الهلال

يناير ١٩٨٠

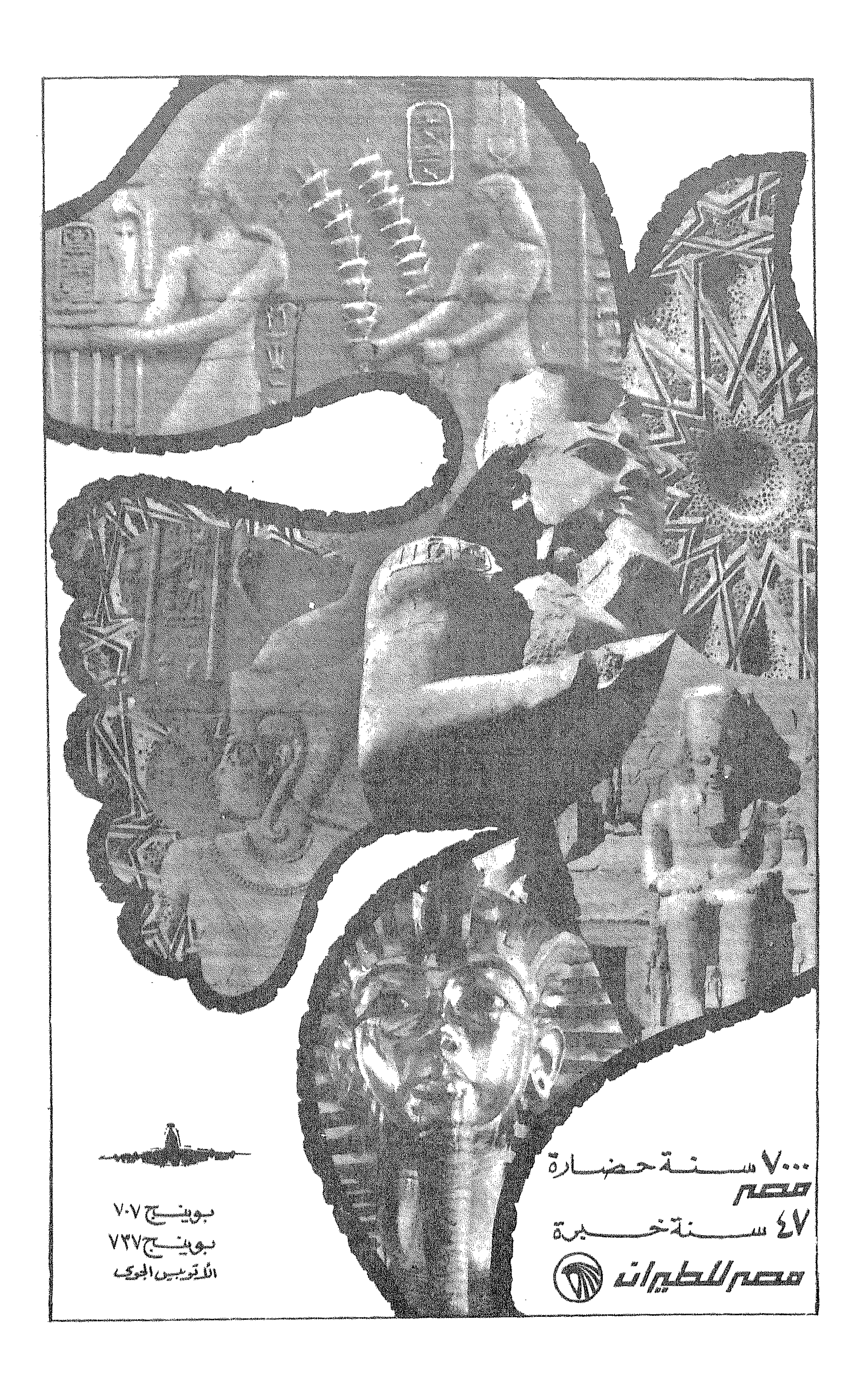
مجلة الفكر العربي

الإسلام والتجديد

- ليس كل جديد بدعة
- مقام العقل فى التجديد الدينى الحديث
- الإسلام .. والعصر
- على صهوات الجياد كانت فتوح الاسلام

- مرحبا بميلاد المسيح ..
  للشيخ / أحمد حسن الباقورى

{ استطلاع بالألوان



كلمة الهلال

أين فرحة العام الجديد؟

هل أحس العرب أن عاما مضى وعاما جديدا قد دخل ؟! ..

هل احتفلوا باستقبال العام الجديد بالاستبشار والفرح والأمل والاحتفالات الحافلة بالمسرة كما فعل غيرهم من الناس !

يا حسرة ! لا طافت ببابهم المسرة ولا عرفت بيوتهم الاحتفال ..

بل لم يكونوا في وقت مضى اسوأ مما هم فيه اليوم .

ونحن عرب منهم ، همومنا همومهم ويؤلمنا ان نرى التمزق الذى يعيشه العرب اليوم . وعدوان بعضهم على بعض وتناحر بعضهم مع بعض ، حتى الجامعة العربية التى كانت رمز وحدتهم اصبحت رمزا على تفرقهم الذى لا يوصف .

لقد بدأ عقد السبعينات فى ظل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، ثم ما لبثنا أن جمعنا قوانا وانتصرنا فى حرب اكتوبر ، وارتفع اسمنا وعظمنا فى أعين الناس ، وكان علينا ان نواصل المسيرة حتى اذا انتهت السبعونات وبدأت الثمانونات استطعنا أن نحتفل كما يحتفل غيرنا من الناس وانفتحت أمامنا أبواب الآمال ..

وهانت ترى عالمنا العربى والاسلامى اليوم .

كانت لدينا مشكلة رئيسية واحدة هى مأساة فلسطين فاضفنا اليها بذكائنا مأساة أخرى هى مأساة لبنان .

ثم اضفنا اليها ثالثة هى مأساة ايران .

وفى ظلال هذه المآسى بدأ العام الجديد .. فهل فعلا بدأ بالنسبة لنا عام جديد ..

لا والله ، لا بدأ عام جديد ولا اى شىء جديد . انما هو الماضى الأليم باق كما هو ، والقلوب المتناحرة ما زالت على تناحرها ، وحواجز سوء الظن تتعالى كالجبال ..

وقد سألنى كاتب غربى لقيته فى روما – قبل أسابيع : ماذا تريدون .. ؟ وهذه الضجة التى تثيرونها ماذا تقصدون بها .. ماذا ينقصكم ؟

قلت له : لقد أعطانا الله كل شىء : الارض والمال والناس ولكنه لم يمنحنا العقل لاننا لا نستحقه .

هذا هو الذى ينقصنا ايها العزيز ..



المحرر

فى هذا العدد





صفر ١٤٠٠ هـ

يناير ١٩٨٠ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة الثامنة والثمانون - اول يناير ١٩٨٠ - ١٣ من صفر سنة ١٤٠٠

من الهلال

جرت عادة الهلال على ان نطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل أقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد أحمد فاضل وأحمد الورديى

● الغلاف الأول ●

اخترنا لهذا العدد غلافا مناسبا للموضوع الرئيسي فيه وهو « الاسلام والعصر » وقد خصصنا لدراسات هذا الموضوع اكثر صفحات هذا العدد وجعلنا الغلاف صورة لجانب من مآذن الحرم المكى الشريف .

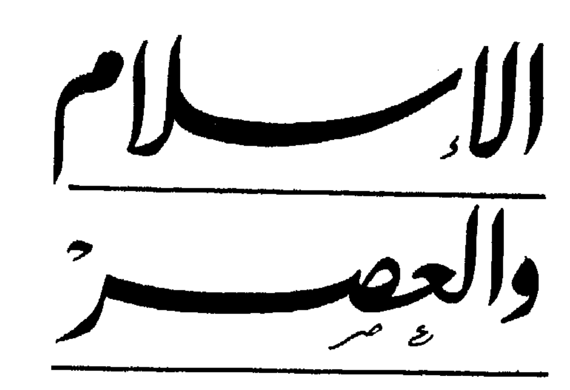
● الغلاف الأخير ●

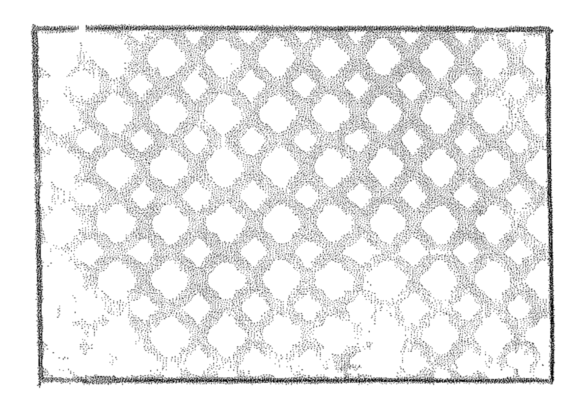
صورة للعلامة المؤرخ ابى حنيفة الدينورى الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى وكتب فى كل فن : من النبات الى الادب والتاريخ. وقد رسم اللوحة الفنان ابراهيم السكردى مع موضوع ((فضل الحضارة الاسلامية على النهضة الاوروبية)) ـ داخل العدد ..

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ((١٢)) عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات أو ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ ((عشرة خطوط))





الإسلام بخير في هذا العصر وكل عصر

.. ولكنَّ الذين ليسوا بخير هم المسلمون

بقلم : رئيس التحرير

● اخواننا الطاعمون يوما بعد يوم على مائدة الدين يفتحون افواههم الكبيرة ويقولون : الاسلام دين هذا العصر وكل عصر ، لانه دين صالح لكل زمان وكل مكان .

وهذا حق ، فان الاسلام فعلا ، دين هذا العصر وكل عصر لانه صالح لكل زمان وكل مكان .

ولكن الذى لا يصلح لهذا العصر هم اولئك الطاعمون على مائدة الدين يوما بعد يوم .

لانهم يعرفون أصول الدين : يحفظون المتون والشروح ويتشدقون بأسماء ائمة هذه الامة من مالك بن انس الى الحافظ تقى الدين بن تيمية وهو عندهم آخر المجتهدين المجاهدين فى سبيل هذا الدين .. ولكن كلامهم هذا يخرج من الراس الى اللسان ولا يمر بالقلب ابدا ..

ولهذا فان هذا الكلام لا يقنع قارئا ولا يشفى غلة سامع وقد كنت اتحدث مع واحد من كبار المسئولين عن احدى المجلات الاسلامية فقال بفخر : نحن نوزع عشرين الفا ..

وآلمنى ذلك القول وادهشنى منه لاننى كنت اظن ان مثل هذه المجلة ، وهى لسان ومعرض علم شيوخ أجلاء توزع الف الف نسخة ..

فاذا بلغ الامر ان يفخر أصحابها بانهم يوزعون عشرين الف نسخة فى امة عربية تعدادها ٤٠٠ مليون انسان **فامر لا يوصف الا بانه ماساة ، لان معناه** ان عشرين الفا فحسب من هذه الامة المؤمنة بالاسلام يعجبهم ما ينشر فى هذه

نقولـــ : الإسـلام والتجديد والأصح ان نقولـــ :
المسلمون والتجديد لأن الاسـلام جديد بنفسـه دائمـا ،
فهو لـيس فى حـاجة إلى تجـديـد ، ولـكن المسـلمـين
هـم الذين يحتاجون إلى التجـديـد ..!.

المجلة . وهذا حكم يؤيد ما قلناه من ان الاسلام نفسه دين خالد صالح لكل زمان وكل مكان ، ولكن العيب فى المتصدرين للكلام باسمه ، فهؤلاء ، بشهادة ضآلة انتشار مجلتهم هم الذين لا يفهمون العصر ولا يفهمهم العصر

والحق ان قليلين جدا من هؤلاء العلماء عرفوا كيف يتحدثون عن الاسلام بلغة العصر ، فى مقدمتهم الامام محمد عبده ثم الامام المراغى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ محمود شلتوت ، ثم الامام القدوة الشيخ عبد الحليم محمود طيب الله ثراه ، وفى أيامنا هذه يحسن الحديث عن الاسلام بلغة أهل العصر الشيخ متولى الشعراوى

ولهذا فاننا نقول : رحم الله الشيخ محمود شلتوت الذى تحدث بلغة العصر فاقبل عليه اهل العصر ، وكتابه ، الاسلام ، عقيدة وشريعة . طبق الآفاق ، وطبع مرة بعد اخرى ..

ورحم الله الف رحمة شيخنا ، بقية الصالحين عبد الحليم محمود الذى احبه اهل العصر وقراوه .. وكتبه اصبحت اليوم اشعة من نور تضىء الطريق لاهل عصرنا والعصور التالية ..

ويرجع الجانب الاكبر من توفيق الامام عبد الحليم محمود انه كان يكتب من قلبه .

وكلام القلوب ينفذ الى القلوب ..

وكلام الله سبحانه خالد ، وكلام رسوله صلوات الله عليه ، خالد لأنهما ينفذان الى القلوب والعقول معا ، وصدق الله سبحانه عندما قال : « **انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** » .

الاسلام دين العصر ..

فعقيدته السمحة التى تتفتح لها مغاليق القلوب ليست فى حاجة الا لموصل جيد يوصلها الى الناس ، فاذا وصلت نفذت بقوتها وفضائلها الى اعماق القلوب .

ولكن اين الموصل الجيد ؟

أين الداعية الصالح ؟

اننا ــ أمة العرب ــ امة مؤمنة ، ولهذا فنحن دائما فى حاجة الى الداعية الصادق ، فأين الداعية الصادق ..

اين داعية مثل مصعب بن عمير شهيد احد ، ذلك الشاب الذى بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم مع وفد المدينة من اهل العقبة الثانية ليدعو للاسلام فيها ، فعاد اليه بعد أقل من عام ليبلغه انه لم يعد فى المدينة بيت الا وأسلم اهله ..

أين داعية مثل سعيد بن المسيب الذى كتب صفحتين فى الدعوة الى الاسلام واعطاهما لعبد الله بن عامر من كبار فاتحى فارس وقال له : قل لرجالك يقرأوا هاتين الورقتين على الناس حيثما كانوا ، وفعل عبد الله بن عامر ، واعطى نسخة من كلام سعيد الى قواده وجنده ليقرأوها على الناس ويشرحوها لهم فما سمع احد من الكفار كلام سعيد حتى آمن ودخل فى الاسلام

لأن كلام سعيد بن المسيب كان صادرا من قلب خاشع ونفس استغرقها الاسلام حتى ذابت فيه ، ففتحت مغاليق القلوب



حتى لقد صاح رجل من الازد كان فى مرو عندما سمعها : الله اكبر ! الان آمنت بالله ورسوله .. الان تتوق نفسى الى الشهادة فى سبيل هذا الدين

فقيل له : اما كنت أسلمت يا شيخ..

قال : لا والله ! كنت احسب اننى آمنت اذنطقت بالشهادتين، حتى سمعت كلام هذا الشيخ فرايت اننى مازلت على الكفر ! والان اشهدوا : آمنت بمحمد ورب محمد وقرآن رب محمد ..وسمع نفر من الترك هذا الشيخ وهو يقول هذا فقالوا له : اقرا علينا ما جاءك من سعيد ابن المسيب هذا ..

فقراه عليهم بلغتهم ، لان هذا الأزدى كان يحسن التركية .. فاسلم باسلامه عشرون ألف تركى فى ساعة واحدة !

ثم يفخر اصحابنا فى ايامنا هذه بأن مجلة اسلامية توزع عشرين الفا فى عالم عربى مسلم تعداده ٤٠٠ مليون !

لانهم لا يعرفون كيف ينقلون الاسلام بلغة العصر كما نقله هذا الأزدى الى الترك بلغة الترك ..

اجل ايها السادة : الاسلام دين هذا العصر وكل عصر

ولكن الذين يحملون رسالته الى الناس لا يتحدثون بلغة هذا العصر ..

تريد الدليل ..

اسمع يا اخى خطب الجمعة وقل لى: الى من يوجه الخطباء هذا الكلام ؟ لاهل العصر ام لاهل عصور مضت ؟

وهذه مكتبتنا العربية فقل لى : كم كتاب جديد فيها الفه شيوخ وفهمه عنهم اهل العصر فاقبلوا عليه ؟ .

لا اجد فيما نشروه وينشرونه على الناس الا كتاب الشيخ شلتوت وكتب الامام عبد الحليم محمود

وعصرنا الذى نعيشه اليوم عصر جديد

ولابد للعصر الجديد من كلام جديد صادر عن عقل يفهم العصر ومطالبه ومشاكله ..

فهل العقول التى تتحدث اليوم باسم الدين تفهم العصر ومشاكله ، وهل فيها - على الاقل - من يملك قدرة الشيخ شلتوت على الشرح والتوضيح .. وهل فيها من له رقة قلب الشيخ عبد الحليم محمود لكى تتفتح لها القلوب ..

الجواب واضح ...

والمنبر الذى لايستمع اليه الا عشرون الفا من اربعمائة الف الف يصور ازمة الشيوخ فى عصرنا هذا باجلى بيان ..

ويقولون ان لغة العلم هى لغة هذا العصر ...

وهذا حق ، فان كل شىء فى عصرنا هذا قائم على العلوم والرياضيات ومنطق العلوم والرياضيات

والجميل فى الامر ان القرآن يتحدث فى الكثير من آياته بلغة العلوم والرياضيات ، ولو احصيت ما فى القرآن الكريم من الآيات التى تشرح الاسس العلمية التى يقوم عليها نظام هذا الكون العظيم ، لاجتمع لك منها كتاب جامع فى إصول العلوم ...

ولكن المشكلة أن اكثر الذين يتصدون للدعوة والكلام فى الدين هم انفسهم بعيدون جدا عن الفكر العلمى واسلوبه فى التعبير .

وما رأيك فى رجل الف كتابا فيما سماه الاعجاز العددى فى القرآن الكريم مضى يحصى فيه كم مرة ذكرت الجنة، وكم مرة ذكرت النار ، كم مرة ذكرت الملائكة وكم مرة ذكرت الشياطين .. ثم عمل حسابه فى نهاية كل احصاء على نظام حسابات الميزانيات وخرج من ذلك بما سماه المعجزة العددية فى القرآن الكريم ، وظن بذلك انه تحدث بلغة العصر فى النظر الى القرآن الكريم ..

وما رايك فى رجل مضى يفسر الطير الابابيل بأنها الجراثيم وحسب انه بذلك يفسر القرآن بلغة العصر ! ..

وما رايك فى كتاب نشرته هيئة

اسلامية تقول انها علمية احصت فيه اعداد المسلمين فى كل قطر من اقطار الدنيا ، وضربت الناتج فى ثلاثة او اربعة حسب المناسبة وخرجت فى النهاية بأن المسلمين الف مليون وانهم بهذا ثلث البشرية ...

ايحسبون انهم بهذه الاساليب يخدعون الناس ..

لا والله ! مايخدعون الا انفسهم ..

لان المسلمين ليسوا الف مليــون ، وليسوا ثلث البشر ..

وهم ليسوا الف مليون لاننـــا نحن عجزنا عن ان نجعلهم الف مليـــون فى الواقع، فكذبنا على انفسنا وجعلناهم الف مليون فى كتاب طبعناه على ورق صقيل ووزعناه بالمجان ، وحسبنا اننـا بذلك انتقلنا بالدعوة الى اســـلوب الارقام والاحصائيات ..

عبث !

ثم ان العبرة فى النهــــاية بالكيف لا بالكم ..

ورسول الله صلى الله عليه وســـلم كسب للاسلام من اهل مكة اثناء مقامه فيها بعد البعثة نفرا لا يزيد عددهم على خمسمائة من خمسين الفا كانوا يسكنون مكة اذ ذاك .

ولكن هؤلاء المئات الخمس ـ ولـــم يبلغوها ـ كانوا اقوى من الخمسين الفا الذين كانوا يسكنون مكة ، وكانوا كذلك أقوى من السبــــعين الفا الذين كانوا يسكنون المدينة المنورة ، ومن العشرة ملايين الذين كانوا يعمرون جزيرة العرب ...وقد استطاعوا فى النهاية ان يدخلوا الجزيرة كلها فى الاسلام ..

فما قيمة الاعداد ؟

وماذا اضافت تلك الهيئة العلمية التى ذكرناها بكذبتها الكبيرة التى سمتهـــا كتابا ؟

لم تفعل اكثر من ان اضافت ضلالا الى ضلال .. وهل بعد الكذب ضلال ؟

وليتنا ما كنا الا مائة مليون فحسب ، ولكن من طراز صحابة محمد صلوات الله عليه ! اذن لادخلنا فى الاسلام كل نفس على الارض ..

ولكن ما أبعدنا عن صحابة الرسول ! ان بيننا وبينهم مسافات شاسعة فى الزمان والمكان والايمان وقوة القلوب ..

فقد كانوا يؤمنون بعقيدتهم وبأنفسهم، وكانوا يؤمنون قبل كل شىء بأن لهـــم رسالة عليا فى الحياة .

هل تذكر حديث عبادة بن الصامت مع قواد الروم فى مصر ؟ لقد كان عبادة رجلا اسود ، ولم يكن عليه الا ثوب بسيط من الصوف ، وكان رجال الروم يختالون امامه فى ملابس الحرير والارجوان . وكان سلاح عبادة سيفا كلت شفرته، من كثرة ما حارب به فى سبيل الاسلام ، ولكن القوة الكبرى كانت فى ذراع عبادة وفى قلب عبادة ، ولهذا فقد كان يتكلم مع قادة الروم من موقع القوة والعــــزة والايمان . وكان قد وضع حياته خلف ظهره وأصبح الموت عنـــده احب من الحياة ، ولهذا لم يكن يخاف الا الله. ولقد اذهل قادة الروم بايمانه بدينـــــه وبرسالته فى الحياة وبثقته بنفســـه ، فزلزلوا امامه وهم الاقوياء الذين كانوا يحسبون انهم اهل عزة ، فذهبوا بعـد الحديث مع هذا العربى المـــؤمن الى رئيسهم ونصـــحوه بالتســــليم للعرب ، فهؤلاء ناس لا يهابون المـــوت ولا يخافون الا الله .. والموت عندهم احب من الحياة

وهـــل يذكر اصحابنا الذين غرتهم انفسهم وظنوا انهم شموس العــــلم واقماره ، معتزين بوظائفهم ومكاتبهم ، هل يذكرون سعيد بن المسيب عنـــدما رفض ان يخرج من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طلبوا اليه ذلك وقالوا له ان عبد الملك بن مروان سيزور المسجد وانه لن يدخله الا اذا خرج كل

من كان فيه ـ خوفا على حياته ـ فأبى من ذلك سعيد وظل مكانه من المسجد ، ورآه الخليفةذو الحول والطول، فعرفه من بعيد وقال : لابد ان هذا هو الشيخ سعيد ! ولم يجرؤ على النظر اليه ،وأراد انيقدم لهمالا ليفرقه علىالفقراء..كما قال ، فما حفل سعيد للخليفة ولا للمال، وظل صامتا مكانه ، واحس الخليفة ان هيبته تتزعزع أمام ثبات هذا الشيخ الاعزل ، فأسرع بالخروج تاركا ذلك الجبل الاشم الصامت الذى يسمى سعيد بن المسيب ماضيا فى صلواته.

هذا هو الذى نحن بحاجةاليهاليوم : الإيمان الصادق ، الايمان بالاسلام وقيمه ايمانا يحكم تصرفاتنا كلها ، فلا نتبع قواعده حينا وننساها حينا، ولانتحيل ولا نحاول التماس المعاذير والتعلات والحجج ، ولتكن لنا قوة عمر بن الخطاب فى الحق . لقد حدثه بعض جلسائه فى أمر عبد الله بن عباس،وسأله لماذالايعهد اليه فى ولاية، فقال عمر دون تردد: والله لا أوليه فيستحل الفيىء على التأويل! وربما كان عمر عنيفا فى الحكم على ابن عباس ولكن هكذا كان عمر : لاينظر بغير الحق ولا يمارى فيما يراه الحق ! **ولقد جاءه عبد الرحمن بن عوف فى ثوب خز على برذون مطهم وحياه وجلس ليتحدث معه ، فقال له : مه يا عبد الرحمن هل لك عند عمر حاجة وانت فيما انت فيه؟ فقال عبد الرحمن : الله الله فينا ياعمر، ماذا ساءك منى ؟ قال : لباسك وركوبك ومالك وهو مال الله .. فقال عبد الرحمن : فاسمع منى الآن ثم انظر الى ثيابى بعد فقال عمر : لا والله لا سمعت منك وعندى من امة محمد من لايجدون ما يسد جوعة العيال .**

***

الاسلام بخير ايها الناس

« الاسلام قادر على ان يتمثل فى كيانه هذا العصر وكل عصر .. الاسلام لايعتبر العلوم او التكنولوجيا مشكلة ، فقدحوى القرآن من آيات العلم ما يتخطى اقصى ما يصل اليه الواصل فى اى ميدان من ميادين العلم الى آخر الزمان . .

ولكن المسلمين مع الاسف البالغ اقل بكثير من تحديات العصر ، واقل بكثيرمن حمل راية الاسلام ..

وليس فى الدنيا اثقل من شيخ يخطب فى الناس ويلومهم على انهم نسوا الله وتخلوا عن سبيل الاسلام ، فاذا نزل من المنبر اسرع الى بيت المحافظ او السيد الوزير المحافظ كما يقولون اليوم ، لان هناك اجتماعا وهو يريد أن يراه سيادة الوزير المحافظ فى مقدمة الداخلين ..

لقد كنا فى مؤتمر السيرة ، وتعرفت على شيخ طويل عريض مستكرش كأنه يحمل فى بطنه سنام جمل ، وتحدثت معه فعرفت انه من المتخرجين فىالازهر ـ وهو ليس مصريا ـ **فمضى يحدثنى بانه كان مستشار جلالة الملك فيصل عليه رحمة الله وانه كان يحمل رسالاته الى الرؤساء فى بعض الاحيان ، فقلت له : ما عن هذا اسالك ايها الشيخ انما اسالك عما الفت وصنفت . فقال : والله ياأخى انت تعرف مشاغل الدنيا ..**

وتركنى ومضى ليكون اول الداخلين الى غرفة الطعام ، فظللت مكانى وانا اتفكر فى احوال امة الاسلام ، وقلت فى نفسى: لا عجب ان نكون كما نحن ، وهذا الشيخ الازهرى لا يفخر بخدمة واحدة اداها للاسلام ، وانمايفخر بانه كان رسول ملك مهما كان ملكه فهو عبد من عباد الله

***

هل سمعتم حكاية الراهبة تيريزا التى أعطوها جائزة نوبل للسلام هذا العام

انها يوغوسلافية فقد ولدت من سبعين سنة فى قرية قومية من سكوبية فى يوغوسلافيا التى كانت فى يوم من الايام بلدا اسلاميا وكانوا يسمونها : البوسنة والهرسك ..

بمناسبة عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام
م خاص
صفحة ٨٨

من خمسين سنة تعمل هذه الانسانة المؤمنة بدينها وبرسالتها فى الحياة فى التبشير فى الهند ، وتبذل غاية وسعهافى معاونة المساكين هناك . لقد نالت تلك المبشرة جوائز مالية تصل فى مجموعها الى نصف مليون دولار ، فلم تحتفظ منها بدولار واحد ! كلها انفقتها فى سبيل الفقراء .. انها تجمع اليتامى والارامل والمسنين وتبنى لهم الملاجىء وتجتهد فى تدبير وجوه الرزق لهؤلاء المساكين حتى اصبحت ملاجئها تعد بالعشرات ..

وهل يتصور واحد من شيوخنا الذين يحسبون انفسهم آيات فى الايمان والتقى حياة المساكين فى بومباى ؟ ان الالاف منهم يموتون من الجوع والمرض ، ويموت الواحد منهم فى الطريق ، وتمر عربات القمامة فتاخذ الموتى وترسلهم الى محرقة خارج البلد ..

هناك تلد الخاطئة ابنها وتتركه فى الطريق ، ويمر رجال النظافة وياخذون الطفل الحى الى مجمع القمامات ، ويظل الطفل يحتضر حتى يرسلونه الى المحرقة

ألم نكن نحن المسلمين أولى باغاثة هؤلاء ، ولو اغثناهم لكان ذلك احسن تعبير عن رحمة الاسلام ، وكان ذلك يؤدى قطعا الى دخول الناس هناك فى الاسلام ؟ . هذا الذى لم نفهمه نحن ، وفهمته الراهبة تيريزا ، فهجرت الدنيا وذهبت الى هذا الجحيم وعاشت تعانى أوصابه خمسين سنة

ويبلغ من عطفها على الفقراء والمساكين انها تنشىء دورا للموتى ، وهى تقول ، اذا كنا لا نستطيع ان نساعد كل المساكين هنا ليعيشوا فى سلام ، فلا اقل من نعينهم على ان يموتوا فى سلام . لابد ان نتداركهم قبل ان يدخلوا فى سكرات الموت ونحيطهم بالعطف حتى يبارحوا الدنيا .

تقول : ان أسوأ من الموت الا يجد الانسان مكانا يموت فيه فى سلام ..

والموت نفسه ليس عذابا ، ولكن العذاب الحقيقى يحسه انسان يحتضر وهو ملقى الى جانب الحائط فى الطريق .. انه يجود بنفسه وفى عينيه رعب لا يوصف من القطط والكلاب والفئران وبنات عرس .. لهذا فانا انشىء دور الموت .. دور ، يموت فيها أولئك المساكين دون هذا الفزع ..

وفى مساء كل يوم تذهب الراهبة تيريزا الى دار من دور الموتى وتظل مع المساكين طول الليل ! انها تضىء هذه الدور حتى يحس التعساء أنهم فى حماية وامن ، وتمر عليهم بآنية الماء لتسقى العطشان منهم قبل ان يفارق هذه الدنيا .

ذلك يا قوم هو الايمان ..

انها لم تذهب لتتسلم جائزة نوبل لان المساكين فى بومباى فى حاجة اليها كل يوم ، ولكنها طلبت الى طبيب سويدى كبير ان يتسلم الجائزة باسمها ويشترى بها اجهزة طبية عينتها له لتوضع فى مستشفيات بومباى .

فتأمل هذا ، وتفكر معى فى هذا الشيخ المستكرش الذى حصل على عالمية الازهر فلا يفخر بما ألف ودرس وما قدم من الخدمات لدعوة الاسلام ، ولكنه يفخر بانه كان رسول جلالة الملك الى الرؤساء

تلك هى ماساة المسلمين فى ذلك العصر

اما الاسلام فهو يا سادتى بخير ..

وهو يطلب الينا ان نكون جديرين به ، فاذا لم نكن فلا اقل من ان نكف عن الحديث عنه والارتزاق منه والمتاجرة باسماء السلف الصالح ..

لان السلف الصالح لا ينفع فى شىء اذا لم يكن له خلف صالح ●

● د. حسين موسى ●



● د. زكي نجيب محمود ●

– ١ –

● **القرآن الكريم هو كتاب الاسلام ، اوحى به الى النبى محمد عليه السلام ، وقد ورد فى الكتاب أن محمدا هو ((خاتم النبيين)) ، وبهذا كانت رسالة الاسلام هى آخر رسالة سماوية الى الانسان ، وتعليل ذلك هو ان الانسان – بناء على العقيدة الاسلامية نفسها – قد احيل الى احكام ((عقله)) كلما جدت له فى حياته مشكلات يريد لها حلا ، بعد ان كانت تلك المشكلات ، كلما تراكمت ، هبطت الهداية من السماء ، رسالة الى نبى ليهدى بها قومه الى سواء السبيل .**

انه لو كانت مسائل الحياة العملية كلها ، محلولة بنصوص مباشرة وصريحة ، فى شريعة كتاب منزل على نبى – منذ نزول الرسالة والى الابد – **لما احتاج الانسان فى مواجهة حياته ،** لا الى رسالة الهية أخرى تهديه ، ولا الى عقله ليحتكم اليه كلما أشكل عليه امر من اموره ، الا بمقدار ما يستطيع به أن يستخرج للموقف الطارىء حكمه المناسب من كتاب الله ، لكن حقيقة الامر ، هى ان الانسان – على طول المدى – قمين ان يواجه احداثا **طارئة غير مسبوقة باشباه لها ،** ولا منصوص عليها فى الكتاب الموحى به **من السماء . فهاهنا يريد الاسلام من** المسلم أن يحتكم الى منطق العقل ، وكانت تلك هى المرة الاولى فى الرسالات الالهية ، أن يحال الانسان – بحكم الرسالة نفسها – الى عقله – كلما **جدت مشكلة لم يرد لحلها نص فى** كتابها .

وماذا يقصد بالعقل ومنطقه فى هذا السياق ؟ المقصود به أمور ثلاثة على وجه التخصيص ، ان لم يكن كذلك على وجه الحصر والتحديد :

أولها – استخدام منهج الاستدلال الذى يتيح للباحث ان يستخرج من النص القائم محتواه ، وذلك حين يكون ذلك المحتوى مضمرا فى الالفاظ وتركيبها ، بحيث يحتاج ظهوره الى تحليل ، والتحليل عملية عقلية .

وثانيها – هو قراءة الشواهد الحسية ، قراءة تؤدى الى فهمها وتعليلها ، على نحو يكون من شأنه حل المشكلة الطارئة .

وثالثها – النظر الى القيم – والقيم الاخلاقية بصفة خاصة – نظرة

ركون المسلم إلى عقله فيما يشكل عليه - مما لم ترد في شأنه نصوص - هو الدعامة الأولى في الوقفة العقلية عند الإسلام تلك الوقفة التي أقام عليها حضارته وثقافته على امتداد تاريخه، خلال القرون التي شهدت قوته وقدرته على الإبداع

موضوعية مطلقة، بمعنى لا يجعلها امورا ذاتية تتغير مع الاهواء، كما لا يجعلها مرهونة بظروف الزمان والمكان، وما دام امرها كذلك، فانه - يصبح في وسع الفقيه الموهوب ان يحكم على مايعرض له من مواقف طارئة جديدة، غيرمنصوص عليها نصا مباشرا صريحا، حكما يميز فيه بين ماهو حق وما هو باطل ..

- ٢ -

ركون المسلم الى عقله، فيما يشكل عليه، مما لم ترد في شأنه نصوص، هو الدعامة الاولى في الوقفة العقلية عند الإسلام، تلك الوقفة التي اقام عليها حضارته وثقافته على امتداد تاريخه، خلال القرون التي شهدت قوته وقدرته على الابداع ..

وكان الناس قبل ظهور الاسلام، قد الفوا ضربين من الحضارة ومن الثقافة، اختلفا فيما بينهما الى حد التنافر، بل الى حد المقابلة في حروب مستعرة يعرفها المؤرخون، وهاتان الحضارتان والثقافتان، المتنافرتان الى حد القتال، هما حضارة الفرس وثقافتهم من جهة، وحضارة الروم «اليونان» وثقافتهم من جهة اخرى.. المحور في الحالة الاولى هو الاملاء يفرض على الانسان طريقة فكره ونمط سلوكه، والمحور في الحالة الثانية هو عقل الانسان، يقيم له الحجة على الباطل فيرفضه، ويسوق له البرهان على الحق فيرتضيه.

كان الظن هو الا سبيل الى بقاء بين «الشرق» متمثلا في فارس، و«الغرب» متمثلا في اليونان، فلما اكتسح الاسكندر الاكبر بجيوشه هذه الرقعة من الارض التي امتدت بين اليونان والهند، بما في ذلك بلاد الفرس، قيل ان اهم اهدافه هو أن يحطم الحاجز الحضاري الثقافي الذي أشرنا اليه، حتى يصبح العالم المعمور عندئذ متجانسا كله، فلا يكون بعد ذلك «شرق» هنا و «غرب» هناك، ولكن ما كل ماتمنى الاسكندر الاكبر لنفسه وللعالم، قد أدركه أو حققه، اذ لم يكد يطوي الزمان صفحته، حتى أوشك الامر أن يعود الى ما قد كان عليه قبل الاسكندر وحروبه.

ثم جاء الاسلام في اوائل القرن السابع الميلادي، ومع فتوحه، انهدمت الفواصل بين فرس وروم، وظهرت بوادر قوية تشير الى ظهور وحدة الانسان، فتلك الوحدة هي في الصميم من الايمان الجديد، كانما كانت تلك الخطوة هي الاولى على طريق المواطن العالمي، الذي لا هو من شرق، ولا هو من غرب، وانما هو «انسان»، وكان



كان الناس قبل ظهور الإسلام قد ألفوا ضربين من الحضارة ومن الثقافة اختلفا فيما بينهما الى حد التنافر، وهاتان الحضارتان والثقافتان المتنافرتان إلى حد القتال، هما حضارة الفرس وثقافتهم من جهة، وحضارة الروم اليونان وثقافتهم من جهة أخرى!!..

ذلك الدمج الباهر بين ثقافتين كانتا متنافرتين متناحرتين الى درجة القتال هو الذى أخرج الى العالم تلك الصيغة الحضارية الثقافية الاسلامية الجديدة، وهى الصيغة التى ربما تمناها الاسكندر الاكبر من قبل، ولم يحقق منها الا قليلا .

وكان السر الذى مكن المسلمين من الاضطلاع بهذا الدور الحضارى العظيم، هو اعداد المسلم بديانة، في مبادئها ما يهيئه لاستخدام المنطق العقلى فى شئون فكره ومعاشه، كما فى مبادئها كذلك ما يعده للاتصال بالحق صلة مباشرة، وحيا أو شهودا مما لايحتاج فيه الى تدليلات المنطق العقلى ذات الخطوات المتتابعة فيما بين نقطة البدء ونتيجة الختام .

ومن دمج هاتين النظرتين فى انسان واحد ـ هو المسلم ـ نشأت الصيغة الثالثة، التى الفت فى مركب واحد، صوفية الفرس وعقلانية الروم، وباتت تلك الصيغة الجديدة هى مايعرف باسم الثقافة الاسلامية من حيث هيكل بنائها، فاذا كانت الصفة الاساسية التى تميز ما كان يعد « شرقا » ، هى ادراكه للحق عن طريق حدس صوفى مباشر، بحيث تنعدم الفواصل بين الانسان العارف والحقيقة التى يعرفها، ثم اذا كانت الصفة الاساسية التى تميز ما كان يعد « غربا » هى انه فى ادراكه للحق يلجأ الى طريق غير مباشر « هو طريق العقل فى الادراك » بمعنى انه ينتقل من مقدمة الى نتيجتها، ثم من النتيجة الى نتيجتها، وهلم جرا، حتى يبلغ خطوة النهاية التى يكون فيها البرهان المطلوب على الحقيقة المراد اقامة البرهان عليها، فان الصيغة الثالثة الجديدة، قد جمعت بين ادراك الحدس الصوفى، وادراك العقل الاستدلالى، بحيث احتملت الحياة الثقافية فى الجماعة الاسلامية أن يظهر فيها أعظم المتصوفة واعظم مناطقة العقل فى آن معا .

والذى يعنينا فى سياق حديثنا هذا من تلك الصيغة الثقافية الاسلامية، هو جانب العقل منها، اذ بغير هذا الجانب العقلى من ثقافة المسلمين، ما كانوا ليستطيعوا ان ينقلوا فى عصر المأمون بصفة خاصة ـ ما نقلوه من فلسفة اليونان وعلومهم، والا فلماذا نقلت تلك الفلسفة والعلوم الى العربية، ولم ينقلها اهل الهند او اهل الصين الى لغاتهم ؟ ان العلة لم تكن فى ان لغة تستطيع ولغة اخرى لا تستطيع، بل العلة هى ان ثقافة تتقبل منطق العقل، وثقافة اخرى لا تتقبله ..

جاء الإسلام فى أوائل القرن السابع الميلادى .. ومع فتوحه انهدمت الفواصل بين فرس وروم ، وظهرت بوادر قوية تشير إلى ظهور وحدة الإنسان ، فتلك الوحدة هى فى الصميم من الإيمان الجديد ، كأنما كانت تلك الخطوة هى الأولى على طريق المواطن العالمى ، الذى لا هو من شرق ، ولا هو من غرب ..

— ٣ —

كان القرآن الكريم هو محور العلوم الاسلامية وأساسها ، فلم يكد القرن السابع الميلادى ((الأول الهجرى)) ينقضى ، حتى اخذ العلماء يتجهون بكل جهودهم نحو دراسة الكتاب ، فكان من المنطقى أن يبدأوا بدراسة اللغة العربية نفسها ، لتجتمع لهم أدوات الفهم الصحيح ، فلم يريدوا الوقوف من اللغة موقف المتذوق وكفى ، بل ارادوا ان يجعلوها دراسة علمية بأدق مايكون المنهج العلمى ، ان قواعد اللغة لم تكن قد استخلصت وجمعت الى ذلك الحين فانصرفوا الى استخلاصها وجمعها ، وهنا انشعب الباحثون الى شعبتين ، كان لكل منهما منهج فى البحث ، على ان المنهجين كليهما ممايجيزه منطق التفكير العلمى .

اما الشعبة الأولى فكان مقرها مدينة البصرة ، وأما الثانية فكان مقرها الكوفة ، وإذا جاز لنا ان نستخدم لغة الفلسفة الحديثة فى التمييز بين الشعبتين ، قلنا أن فريق البصرة ، وعلى رأسه العملاقان العظيمان : الخليل بن احمد ، وتلميذه سيبويه ، قد اختار لنفسه أسلوب المنهج « القبلى » ، على حين اختار فريق الكوفة أسلوب المنهج «البعدى »، بمعنى ان فريق البصرة قد وضع الاسس العقلية للبناء اللغوى «قبل» أن يتقيد بأوضاع اللغة كما حدث بالفعل فى استعمال الأولين ، واما فريق الكوفة — وعلى راسه الكسائى — فقد اراد ان يكون السند فى القبول والرفض، هو ما استعمله الأولون من اللغة وما لم يستعملوه ، فلو عرض للباحث اللغوى لفظ معين أراد ان يحكم فيه بالصحة أو بالخطأ ، كانت طريقة علماء البصرة ان يحتكموا فيه الى القياس العقلى ، فاذا وجدوه جاريا مع ذلك القياس ، لم يأبهوا بعد ذلك اذا كان القدماء قد استعملوه على هذه الصورة أو لم يستعملوه .. اما الطريقة عند علماء الكوفة فكانت ان يراجعوا ذلك اللفظ على ما استعمله الأولون ، فاذا وجدوه كان صحيحا ، والا فهو غير جائز الاستعمال ..

كان منهج جماعة البصرة أقرب الى منهج العلوم الرياضية ، بمعنى ان يقام البناء الرياضى على الاستدلال المنطقى المحكم ، ولا عبرة بعد ذلك لانطباقه على الواقع الطبيعى أو عدم انطباقه ، على حين كان منهج جماعة الكوفة أقرب الى منهج العلوم الطبيعية الذى يستمد معطياته من الواقع الفعلى فتجىء النتائج كلها مطابقة كذلك لما قد حدث بالفعل .

ليست مدارس البحث اللغوى فى ذاتها هى موضوعنا هنا . لكننا نذكرها



بيانا للوقفة العلمية والعقلية التي ميزت علماء المسلمين ، كائنا ما كان ميدان البحث ، فقد كان فهمهم للقرآن فهما صحيحا هو الهدف . ومن أجل ذلك هموا بدراسة اللغة بوجه عام دراسة علمية ، قبل ان يزعموا لانفسهم مثل ذلك الفهم الصحيح ...

ثم جاءت بعد دراسة اللغة ، الخطوة الثانية فى طريق الدراسة العلمية ، وكان فهم القرآن الكريم هو الهدف ، وأعنى بتلك الخطوة جهود الفقهاء في استخراج أحكام الشرع ، استدلالا صحيحا من النص القرآنى ، فرأيناهم جميعا ، وعلى اختلاف مذاهبهم ، وكأنهم امام عمل تطبيقى لمنطق الاستنباط ، فمن مقدمات مسلم بصوابها ، أخذوا يستنبطون النتائج التى تلزم عنها ، فتكون هى بين ماتحكم به الشريعة .

وكان للفقهاء منهجان للنظر كذلك ، فانتهج بعضهم منهج ما سموه بالقياس وأرادوا به ما يسمى فى كتب المنطق بالتمثيل ، بمعنى أن مالم يرد فى أمره نص يحكم على اساسه ، يلجأ فيه الفقيه الى شيء يشبهه أو يوازيه مما وردت فى امره نصوص ، على حين انتهج بعضهم الآخر الى ما سموه « بالرأى » ، وقصدوا به رؤية الصواب « او الانحراف عنه » بنظرة مباشرة ناقدة الى الموقف المعروض للحكم ، تأسيسا على كون القيم أشياء موضوعية .. يراها العقل كما يرى سائر الاشياء ومثل هذه الرؤية تغنى عن وجود مثيل للموقف المعروض ، بين ماوردت فى شأنه نصوص .

ومرة أخرى نقول انه ليس من شأننا فى هذا الحديث ، أن نتعرض لتفصيلات الفقه الاسلامى ، لكننا نريد بيانا للوقفة العقلية عند المسلمين ، فى كل مجال من مجالات النظر .

— ٤ —

كان من الطبيعى أن يختلف الرأى اختلافات بعيدة المدى بين المسلمين ، عندما اصطدموا باول مشكلة سياسية عسيرة ، نشأت لهم نتيجة للقتال بين علي ومعاوية حول الخلافة ، وذلك أن سؤالا طرح نفسه امام العقل ، وهو : لقد سفكت دماء المسلمين في ذلك القتال ، فعلى من تقع تبعته ؟ ومالحكم فيمن يثبت أنه هو المخطىء من الفريقين المتحاربين ؟ ان احدى الجماعتين المتحاربتين — على الأقل — كانت على خطأ فى اثارة الحرب وما استتبعته الحرب من سفك للدماء . ودون ان نعين اى الجانبين هو المخطىء يسال السائل عن حكم الاسلام فيه .

ألقى بهذا السؤال ، فكان كأنه الفأس الفائرة ضربت بها الأرض ، فتفجرت ينابيعها ، اذ انقدحت اذهان المفكرين ، وجاءت الاجابات من هنا ومن هناك ؟ وهى اجابات نستطيع أن نردها الى شعب ثلاث ، اختلفت كما تختلف المدارس الفكرية فى كل العصور . فاذا استخدمنا طريقة عصرنا فى التقسيم ، قلنا انه قد كانت هناك تجاهات ، فيها اليمين المتطرف ، وفيها اليسار المتطرف ، وفيها الوسط المعتدل .

أما اليمين المحافظ فقد آثر الا ينسب الخطأ الى اى من الجانبين ، وكيف يفعل وفى كل من الجانبين المتقاتلين صفوة ممتازة من خيار المسلمين ؟ واما اليسار المتطرف فى ثورته ، فهم الخوارج ، الذين أصروا على أن يكون الجانب المخطىء فى هذه الحرب خارجا على الاسلام ، وبين أولئك وهؤلاء ، فريق وسط ، هو الذى يهمنا بالدرجة الأولى ، لأنه هو الفريق الذى يمثل موقف العقل فى القضايا العامة ، ولبث كذلك لفترة

كان القرآن الكريم هو محور العلوم الإسلامية وأساسها فلم يكد القرن السابع الميلادي "الأول الهجري" ينقضي حتى أخذ العلماء يتجهون بكل جهودهم نحو دراسته ..!

طويلة ، واعنى به فريق المعتزلة .

فقد طرح السؤال على الحلقة الدراسية التى كانت تلتف حول الحسن البصرى ، فما هو الا ان خرج واصل بن عطاء — بين الحاضرين — برأى استوقف الأسماع ، وتحركت له الاذهان ، وهو أن من تقع عليه التبعة فى القتال ، وفى غير القتال مما يعد من الذنوب الكبيرة ، لا يخرجه فعله هذا من أسلامه ، بل يظل مسلما وان يكن مسلما عاصيا ، اى انه يقع فى منزلة وسطى بين منزلتى الايمان والكفر ، قال عنها انها المنزلة بين المنزلتين ، ولعل رأيه هذا لم يصادف قبولا عند شيخه الحسن البصرى ، فانتقل واصل بن عطاء من مكانه فى الحلقة ، واتخذ لنفسه مكانا آخر ، ولحق به نفر من المؤيدين لوجهة نظره ، فقال الحسن البصرى عندئذ : لقد اعتزل عنا واصلٌ . ومن هنا سمى هذا الفريق على امتداد تاريخه بعد ذلك بالمعتزلة .

وكان اهم طابع يميز المعتزلة ، هو النظرة العقلية فى البحث عن حلول المشكلات المعروضة للنظر ، او فى طريقة فهمهم للافكار التى يراد فهمها على نحو صحيح ، ونكتفى من اعلام المعتزلة بذكر رجلين كان كلاهما فى البصرة ، وهما ((العلاف)) الذى يوصف بانه شيخ المعتزلة ، وتلميذه ((النظام)) الذى قال عنه الجاحظ ان مثله لايظهر الا مرة واحدة فى الف عام ..

ولقد ذكر الشهرستانى فى ((الملل والنحل)) عشر مسائل دار حولها فكر العلاف ، وثلاث عشرة مسالة للنظام ، وكان من اهم الموضوعات التى تناولها العلاف بالبحث ، موضوع الذات الالهية وصفاتها ، باحثا عن تصور تفهم به الصلة بين الذات والصفات ، فهما يؤدى الى توحيد حقيقى ، ولا يؤدى الى تعدد باى معنى من معانية . وكذلك تناول موضوع الارادة الالهية ، البادية فى قول الله تعالى : ((اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون))، ثم انتقل العلاف الى الارادة الانسانية ، ليرى فيها ضرورة أن تكون حرة الاختيار ، ليكون صاحبها مسئولا عما يفعل ، وبغير ذلك لا يتحقق العدل . وكان مما بحثه العلاف ايضا، وجوب ان تقام معرفة الانسان لربه على براهين العقل .

واما « النظام » فكان يشارك العلاف فى مسائل عرفت بها المعتزلة جميعا، كالقول بحرية ارادة الانسان فى اختياره لافعاله ، ليكون للتبعة الخلقية معناها الصحيح . لكنه تميز بسعة الافق وعمق الفور ، حتى ليذهلنا فى كثير من المواضع ، باقترابه فى الرأى من



فلاسفة عصرنا هذا اقترابا شديدا . مثال ذلك موقفه من موضوع أثير حوله جدل كثير ، وهو عن علاقة الله تعالى بفعل الشر ، أهو غير قادر على فعل الشر ؟ أم هو قادر على فعله ولكنه لا يفعله ؟ فكان الرأى فى ذلك عند النظام ، هو نفسه الرأى التالى الذى كنا نسممه من أصحاب المذهب الاجرائى فى المعانى ، من فلاسفة عصرنا ، اى ان معنى عبارة معينة ، ان هو الا مجموعة الاجراءات العملية التى تترتب عليه ، فاذا اختلفت عبارتان فى الفاظهما ، لكنهما يولدان مجموعة من الاجراءات لا تختلف احداهما عن الاخرى ، كان معناهما واحدا برغم اختلافهما فى الالفاظ . وهكذا كان موقف النظام من العبارتين السالفتين، اذ قال انه لا فرق بينهما، اذ ان الله تعالى لا يفعل الشر على كلا القولين .

ومسالة اخرى يروعنا فيها النظام برايه الذى سبق به عصرنا بعدة قرون وهو أن الانسان يعرف بنفسه لا بجسمه ، شريطة ان تفهم النفس على انها وظائف ، لا على انها كيان قائم بذاته فى باطن الانسان، فكأنما أراد النظام ان يقول عن النفس انها انماط سلوكية ، يراها بعينيه من شاء أن يرى .

ومسالة اخرى تضع النظام فى قلب الفلسفة فى عصرنا ، وهى رأيه عن شىء ما — اى شىء كان — بأنه مساو لمجموعة ظواهره التى تنقلها منه الحواس ، اى أن المعول على معرفة الشىء هو الجوهر المزعوم كمونه وراء الظواهر ، بحيث اذا ما تغيرت الظواهر كان له هو الثبات والدوام ، فتثبت بالتالى هوية الشىء وتدوم .

بهذا القول عن حقائق الاشياء ، يمكن المشابهة بينه وبين « هيوم » فى الفلسفة الانجليزية التجريبية الحديثة لكن النظام لا يلبث أن ينتقل الى مسالة اخرى ، فاذا هو يشبه فى « عقلانيته » ليبنتز شبها شديدا . بل ادهشنا أن يلجأ فى التوضيح الى مثل ، كان هو نفسه المثل الذى ساقه ليبنتز فى توضيحه لوجهة نظره ، وذلك ان النظام فى رؤيته للعلاقات التى تربط **الاشياء بعضها ببعض ، قال انها « تتولد » بعضها من بعض ، اى ان الشىء يكمن مضمونه فى جوفه ، الى أن يظهر ذلك المضمون علانية فى وقته المناسب ، مثال ذلك « وهنا يشترك معه ليبنتز فى المثال » كان آدم يحمل فى طبيعته كل من ظهر ، ومن سوف يظهر من البشر ، وهكذا قل فى كل شىء ، فافعال فرد من الناس — مثلا — تظهر متتالية على تعاقب لحظات الزمن ، لكنها جميعا كانت كامنة فى طبيعة صاحبها منذ اللحظة الاولى . كان الكائن من الكائنات يشبه شريط السينما ، فى أن تكون القصة كلها مطوية فيه ، ثم تاخذ الحوادث فى الظهور شيئا فشيئا اذا انبسط ما انطوى .**

— ٥ —

ونمضى مع المسلمين الاولين فى تاريخهم الفكرى ، خلال القرنين التاسع والعاشر بعد الميلاد « الثالث والرابع من تاريخ الهجرة » فاذا نحن امام حركة عقلية نشيطة دائبة تنقل « العقل » اليونانى بكل ما قد انتجه من فلسفة وعلم ، فاذا كان اليونان عند الغرب هم معجزته الكبرى لما ابدوه من قدرة على « التنظير » بعد أن لم يكن يعرف الشرق القديم الا الممارسة العملية ، فقد كان المسلمين القدرة على تقبل ذلك الفكر النظرى وهضمه ، والاضافة اليه ، وماذا تقول فى قوم خلقوا علم الجبر فى الرياضة من عدم ، وهو لا يزال يحمل اسمه

العربي في لغات الغرب ، واضافوا الى الأعداد « العربية » - كما تسمى في الغرب ، برغم افتراضهم بأن العرب نقلوها من الهند - اضافوا اليها «الصفر» الذى احدث ثورة حقيقية في علم الحساب ، وكان أحد علمائهم في الرياضة - وهو الخوارزمي - هو الذى ابتدع اللوغارتم ، وقد سمى كذلك على اسم صاحبه .

وتطول بنا القصة لو مضينا في رواية ما اضطلع به المسلمون فى دنيا العلوم بشتى صنوفها ، من منطق ورياضة وفلك وطب وكيمياء وغيرها ، ذلك أن هدفنا هنا - كما اشرنا من قبل - هو بيان الاتجاه الفكرى العام على طريق المنطق العقلى دون الوقوف طويلا عند تفصيلات تمتلىء بها الكتب .

وما نقوله عن العلم بشتى فروعه عند المسلمين ، نقول أكثر منه عن ميادين الفكر الفلسفي ، ويكفينا ان نذكر من لوامع الاسماء في هذا الصدد الكندى ، والفارابي ، وابن سينا ، **وابن رشد ، وهم قمم في الفكر الفلسفي باى معيار نقيس به ذلك الفكر .**

ولقد كانت الصبغة الفلسفية تلون المناخ الثقافى كله عندهم خلال القرن العاشر الميلادى ((الرابع الهجرى)) بصفة خاصة ، ففيه ظهرت جماعة اخوان الصفا أصحاب الرسائل المشهورة والمعروفة بهذا الاسم ، وهى في مجموعها بمثابة موسوعة شملت أهم ماكان يعرفه العالم حتى ذلك الحين ، من فلسفة وعلم وعقيدة ، ونستطيع ان نقارنها في مهمتها ، وان نقارن جماعة اخوان الصفا ، بفلاسفة عصر التنوير في فرنسا ابان القرن الثامن عشر ، وما أخرجوه للناس من موسوعات وما يجرى مجراها .

ولو استطرد بنا حديث العقل وطريقه عند المسلمين ، لرونا طائفة من ألمع المفكرين في مختلف الميادين ، كابن طفيل في رائعته « حي بن يقظان » التى بينت في بناء قصصي عميق ، كيف أن العقل اذا ترك على سجيته ، ينظر ويعلل ، لانتهى الى ماجاء به الوحى في الدين ، وابن باجة في « تدبير المتوحد » الذى يبين فيه ماذا يمكن للطبيعة الانسانية ان تصل اليه ، حتى لو انفرد الانسان في عزلة من الآخرين .

بل اننا لنسلك في طريق العقل شعراء بلغوا ذروة الحكمة والفلسفة في شعرهم ، كأبى العلاء المعرى ، ومتصوفة لم يمنعهم طريق التصوف من أن يسلكوا طريق العقل الى آخر مداه في عرض ما أرادوا عرضه ، كأبى حامد الغزالى ، ودع عنك نقاد الأدب الذين بلغوا في تحليل النتاج الادبى من شعر ونثر ، تحليلا بلغ اقصى غاياته ، ونكتفى منهم بمثل واحد ، **هو عبد القاهر الجرجانى ، ثم ماذا تكون عملية التجميع والتصنيف التى شغل بها علماء المسلمين خلال قرون ثلاثة - الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر من التاريخ الميلادى ، فى القاهرة ودمشق ، من قواميس اللغة الى مجموعات تمثل التراث الأدبى العربى ، اقول ماذا يكون هذا العمل اذا لم يكن عقليا علميا أكاديميا من طراز رفيع ؟**

ووصلت مسيرة الفكر العلمي المنهجى الى اعلى ذراها في آخر خطاها الا وهو فيلسوف التاريخ ابن خلدون أكان هو تغريدة طائر التم ، التى تنم عن موته الوشيك ؟ لكن طائر التم هذه المرة لم يمت بعد تغريده ، بل رقد في بيات دام معه نحو اربعة قرون مظلمة ، ثم اسلمته الى القرن التاسع عشر ، حث استيقظ ليعود سيرته الاولى من ازدهار وعطاء ، وهو على طريق العقل .

الإصلاح السياسى هو

ركن الزاوية فى أمة الاسلام

● فتحى رضوان ●

● حينما نتحدث عن الاسلام والتجديد ، أو تجديد الاسلام ، يجب أن نتوقف لنفهم ما الذى ننوى تجديده فى الاسلام .

ففى هذا الدين القيم أصول ثابتة لا تقبل التبديل ولا التحويل ولا تخضع للتطور ولا التغير . فهى كسنن الله العظيم التى وصفها فى كتابه المنزل على نبيه المرسل لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا .. «ولن تجد لسنة الله تبديلا» « الاحزاب » « ولن تجد لسنة الله تحويلا » سورة طه .

بل هذه الأصول ، هى سنة الله ، لان أولاها ، هى وحدانية الله ، ويتبعها ويتفرع عليها ان محمدا رسول الله ، وان الناس ، سيبعثون فى يوم عظيم ، وانهم محاسبون ، وسيجزون على ما عملوا ،فمنهم من مثواه الجنة ،ومنهم من مأواه النار .. على هذه الأسس يقوم الدين ، فان زال أحد هذه العمد ، أو وهن ، فى نفوس المسلمين ، لم يعد الاسلام اسلاما .

والذين كانوا يتأولون معنى الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، والحساب والصراط ، يبقون الى يوم الدين ،يعانون من شكوكهم ، ويبثونها للناس ، فى صور عديدة ، فتثير نقاشا ، وتسبب شقاقا ، وتجد من يفتح لها قلبه أويقدح بها عقله ، ولكن يبقى القائلون بها ، والمروجون لها ، والسائرون فى سبيلها قلة يتدفق تيار الاسلام الاكبر ، بعيدا عنها ، لا تعترض مجراه ..

فالتجديد اذن لا يتناول هذه الأصول كما لا يتناول العبادات : فالصلاة والصوم والزكاة والحج ، مسلمات عند المسلمين ، والخلاف حول فروعها ، لم ينشىء المدارس ولا الفرق التى انشأها الخلاف حول الأمور المتصلة بالعقيدة ، والتى أدت الى نشوء المذاهب الكلامية ، والتى تغذت بالاضطراب السياسى حينا، وغذته حينا آخر ..

فالتجديد ينصب اذن فى الحاضر ، وسينصب فى المستقبل ، على ما يجب أن يفهمه المسلمون من أحكام الدين ،حين تتصل بأمور الدنيا ، التى لا يكف تشكلها ، وتغيرها ، عن نقل المسلمين من حال الى حال ، حتى اذا انقضت عليهم بضع سنين ، رأوا أنفسهم ، فى دنيا غريبة عن دنياهم التى ألفوها ، فألمت بهم الحيرة ، واشتد القلق فمنهم من يضيق بالدنيا ،ذاتها ويعجز عن مجاراتها والتكيف لها ، ومنهم من تفتر «صلته

بالدين ، حتى يحسبه عبئا لا قبل له باحتماله ، أو عقبة فى طريق النجاح ، لا مبرر للصبر عليها ..

***

وفى العصور الأخيرة ،كان أكبر هموم المسلمين ، وأعظم مشكلاتهم ، ثلاث طوائف من الأمور :

أولا - علاقة المسلمين بالمال والتجارة وأخذهم بأساليب الغرب فى استثمار النقود . وعقد القروض ، وتعاطى الفائدة ، أم ترك ذلك كله ،خشية الوقوع فى المعصية بأكل الربا فى صورة من الصور ، والربا محرم صراحة بقول الله تعالى : « **وحرم الله الربا** » .

ثانيا - علاقة المرأة بالرجل من حيث سفور المرأة المسلمةوحجابها ، وتشبهها بالغربيات في الخروج من البيت الى العمل ، ومشاركة الرجل فيه ، ومنافسته فى ادائه . ومن حيث تعدد الزوجات ، وحق الرجل فى هذا التعدد بلا قيد عليه فى ممارسته أنى شاء ، ما دام في نطاق القيد العددى . ثم حق الرجل فى الطلاق ، أو تحريم هذا كله ، أو فرض القيود عليه .

ثالثا - انزال الحدود على من تجاوزوها ، ولا سيما القطع فى السرقة

حول هذه الأمور ، اشتد الجدال ، واعتبر الاجتهاد فيها ، للخروج علىالحكم القرآنى الصريح أو حكم السنة الواضح لا يمت الى الاجتهاد المأذون به ، بتحرى حكمة النص ، ومصلحة المسلمين ، والتشبه بالائمة فى الاستعانة بالاستحسان ، والاخذ بالمصالح المرسلة والاستصحاب، والذرائع وقولالصحابى والعرف - ذلك كله بعد الاجماع والقياس ..

ويلتمس للمسلمين العذر ، اذا هم أكثروا الجدال فى هذه الأمور ، وأطالوا الوقوف امامها ، فهى في واقع الأمر ، جمله الحياة ، لا فى عصرنا هذا ، بل هى عصب الحياة ، فى كل زمان ومكان .. فتدبير المال ، واستثماره ، وادارته واستنباطه ، وطرق الحصول عليه ، وتوريعه . هى منابع القوة ، ووسائل النفوذ ، والوسائط المباشرة الى الحكم ، والطرق السلطانيه الى السيادة . والمرأة ، وصورة حشمتها ، وبقاؤها فى البيت وخروجها منه ، وتعاطيها الاعمال العامة أو قناعتها بمهام العائلة من انجاب الاطفال ، وتنشئتهم ورعاية الزوج ، اما أن تبقى للرجل مملكته وسيادته ، ويبقى كل شيء في مكانه ، فتقر النفوس وتهدأ ، ويعرف كل عضو فى المجتمع حده ، ويلتزمه . واما ان تنقلب الدنيا راسا على عقب .

اما موضوع الحدود ، فموطن المشكلة أن العلم انتهى الى ان المجرم ، مريض ، وانه فى حاجة الى العلاج والتطبيب ، لا التأديب والتعذيب .وقطع اليد عقاب صارم ، وهو عقاب لا يقبل التصحيح ، ان شابه خطأ ، وما أكثر ما أخطأ القضاة ، فهم بشر .

هذه هى مواطن هموم المسلمين ، وهم يرون شيئا يكرهونه ،ويتوقون الى شىء يتمنونه . يرون الذين تحرروا من الدين ، على صورة من الصور فى نطاقه ، والزموه مكانا لا يتجاوزه ، وأطلقوا للعقول وللفنون عنان التفكير والتدبير ، فأنشأوا هذه الحضارة التى أتت بالخوارق وحققت المعجزات . ويسرت على الناس سبل الانتقال ، ووسائل التعلم ، وطرائق العلاج ، وجملت الحياة بالمدن الواسعة ، والطرق الفسيحة ، والمتاحف والحدائق، وقاعات الموسيقى ، ومسارح الفن ، واتقان الطباعة ، وتجويد العمارة ... بحرية لا نهاية لها فى البحث والمناقشة والنقد والمعارضة ، مع نظم حكم مستقرة يتساوى أمامها .. كل الناس .

ورأوا أنهم محرومين من القوتين المادية والمعنوية . ففى جوانب الحياة المادية هم فقراء متوسط دخل الفرد فيهم لا يكاد يصل الى ما ينفقه الغربى على الكماليات من رغائبه وللذائذه. وهم بلا صوت مسموع فى بلادهم ، وبلا كلمه محترمه ، فى بلاد الناس اجمعين .

ومن الناحية المعنويةفان أكثر المسلمين جهال ، ذهبت سدى كل المحاولات لتعليمهم الابجديه ، فالاميه تعصف بهم شرقا وغربا ، ولا تزال الخرافات والأباطيل هى دستور حياتهم ، وما زالت شعوب العالم الاسلامى عالة على علم أوروبا تأخذه عنها، وتشترى منها الآلات

والاجهزة ، واكثر ضروريات الحياة من ملبس ومأكل ، وما زلنا نستورد العلم، في كتب الغرب ومجلاته ودورياته ، وما زلنا نتثقف بما يثقفون به عقولهم ، ونتمتع ونتلهى بكل منتجات فنونهم ·

وقد دعا هذا كله الى تلمس أسباب هذا التخلف المروع فمنا من أراح نفسه فقال انه الاسلام ، فهو دين نزلت أحكامه على النبي الذى أرسل به ، منذ أربعة عشر قرنا فاخرج العرب ، وعددا كبيرا من أمم الأرض من الظلمات الى النور ، ووضع أساس حضارة عربية ثم اسلامية لا يشك أحد في جمالها وجلالها وسموها ، ثم مهد لحضارة اليوم بما انتجته وأخرجته قرائح أدباء وعلماء وفقهاء المسلمين · ولكن أدال الله على المسلمين فنزع منهم الملك ، وحرمهم من السلطان ، وورثهم أهل اوروبا ، فأرادت سلطات الكنيسة ان تخضع الحكم لباباواتها ومطارنتها وقساوستها · وأن تحبس الفكر والرأى ، في العلم الكنسى والأفكار التى تقرها مجامع الأحبار والكهان ،وتعقبت الاحرار والعماء امثال (كوبر نيكوس) و (جاليليو) بل حرقت بعضهم ، أو فى القليل سجنتهم بعد أن عذبتهم ، فطفح الكيل بأهل أوروبا ، فقاموا ضد الكنيسة قومة رجل واحد ، فنزعوا عن الرقاب نير سلطانها ، ووضعوها حيث يجب أن توضع مؤسسة روحية تعلم الناس أحكام الدين ، تستقبلهم فى الكنائس والبيع ، تعظ وتنصح ، ولكن لا شأن لنا بأمور الحكم ، ولا بشئون العلم ·

ومن هنا استقام الحكم فى بلاد أوروبا ووجد خطان متوازيان : الدين بسلطانه على الأرواح ، والحكومة المدنية المنتخبة بحرية ، ومن جميع افراد الشعب وبسلطانها على جميع ما يهم المواطنين من شئون المال والصناعة والتجارة ··

وبهذه القسمة الدقيقة ، صلح حال الغرب ، ووصل ما وصل اليه من المنعة والعزة والغنى والسؤدد ، فأخرج من العلم ما سخر به الدنيا ، عملا بقول الله تعالى من انه سخر لنا ما في الأرض جميعا · وأخرج من فنون الثقافة ، ما شحذ الهمم ، وألهم القلوب ، وجمل الحياة ، ونفى عن الشعوب عيوب السوقية والعامية ، والغلظة ·

فعلى المسلمين أن يتأسوا بأهل الغرب بأن يدعوا الدين لعلمائه ،يتلون كتاب الله ويشرحونه ، ويذكرونهم بأيام الله وآياته ، ويجتهدون فى تطبيق احكام الدين على ما يجد من محدثات الأمور ، دون أن يتدخلوا فى شئون السياسة ، والحكم ،ولا فى شئون الناس المدنية من معاملات ، ولا فى شئون الحياة الخاصة الا بالقدر الذى يحتمه الدين ·

فان استطاع رجال الدين أن يعوضوا ما فات المسلمين من متابعة الحياة ،ومن آخر ما أنتجه العلم ، فبها ونعمت ، وان تخلفوا وقصروا ، كان خطر تخلفهم وقصورهم ، محصورا في عملهم ودنياهم وسلمت الحياة العامة ،للمفكرين المدنيين من رجال تشريع وقانون ، ورجال علم وفن ، ورجال مال وصناعة ، ومصارف وزراعة ، ورجال اقتصاد وتخطيط ··

وقال آخرون ان الأمر فى ديننا يختلف تماما ، عما تم في دين المسيح عليه السلام في اوروبا ، وبالتالى فى الغرب كله ··

ففى الغرب قام ما لم يقم فى ظل الاسلام من بابوية ظفرت بسلطة زمنية، حتى أصبحت ملكا عضوضا ، وقد استكثر البابوات من المال،حتى أخضعوا الرجال ، ثم أخافوا الملوك ، فملك سلطانهم القلوب ، والجيوب معا ،ودانت لهم الملوك والشعوب على السواء · ولما انقسمت الكنيسة الى كنيسة غربية فى روما ، وشرقية فى بيزنطة ، اختلفت علاقة الكنيسة بالدولة في الظاهر ولكنها لم تختلف فى النتيجة · فكنيسة روما وقفت ندا للدولة، بل وقفت سيدة تطلب الطاعة ، وتحرم الملوك الذين يأبون طاعتها ، فتحرمهم من حب شعوبهم فى

الدنيا ، ومن الدخـــول في ملكـــوت السموات في الآخرة .

اما في بيزنطة فقد اصبحت الكنيسة تابعا للامبراطور ، ودخلت في مؤسسات الدولة تأتمر بأمرها ، وتنفذ رغائبها .

وفي الحالين أصـــبحت الكنيســـة والدولة بيتا واحدا ، اما أن تكـون هي الدولة ، واما ان تكون ذيلا لها ..

أما في الاسلام فلا بابوية ولا كهنوت ولا سلطة دينية قائمة بذاتها تناطح الملك أو الخليفة ،وتصارعه ،وتسلبه السلطة أو تسلمها له . والخليفة فرد من افراد المسلمين بايعته الرعية على أن ينزل على مقتضى الاسلام ، وينفذ احكامه دون ان يكون له حق تعديل ما أمر الله به ، أو وقفه أو تأجيله أو تعطيله . ولقد وضع هذا الدستور ، في ظل الاسلام ، وبوحي منه ابو بكر الصديق خليفة رسول الله الاول : اذ قال (اطيعوني ما اطعت الله) وقد فرع علماء المسلمين على هذه القاعدة قاعدة في مثل سموها فقالوا : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ومن هـــذه التربية نشأ هذا الاعرابي الذي ســـمع عمر بن الخطاب يقول : « اذا وجدتم في اعوجاجا فقوموه » فقال الأعرابي على الفور: (لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا) فحمد الله عمرخليفة رسول الله الثاني اذ جعل في المسلمين من يقوم واليهم ، وخليفة نبيهم بحد السيف ..

هؤلاء اذن رفضوا أن يذهبوا المذهب الذي دعا اليه ، وتأثر به الذين عـادوا من أوروبا ،وتلقوا العلم فيها ، وانخدعوا بظاهر الحال ، فظنوا أن ما عالجتـه به هذه القارة ، شأن الدين فيها ، فصلح صالحها ، واستقامت امورها ، وحفظت امـوال الرعية واعراضـــها من الظلـم والعسف والعدوان – هو سبيل الاصلاح والحرية ، والرخاء والطمأنينة ، في ظل الاسلام في كل بلاد المســلمين اى ان يدعـــوا الدين لرجال الدين ، داخـل مســاجدهم ، وتحت عمائمهم ، ويتولى رجال التشريع والاقتصـــاد والعلـــوم شئون المسلمين يأمرون بما يرونه مؤديا لاستكثار الارزاق ، وتقويم أداة الحكم ، وحفز المواطنين على الانتاج ، بلا تحـــرج ولا تأثم .

فاذا كانت المرأة الغربية قد خـــرجت سافرة في أوروبا ، وراقصت الرجال ، ثم وليت المناصب حتى أصبحت رئيسة للوزراء ، ووزيرة ،واستاذة في الجامعة الى جانب أنها فنانة وراقصة ومغنية ، فلنفعل ذلك دفعة واحدة ، وبلا تردد ، وسنرى انه كلمـــا اقدمنـــا على هـــذا التطوير بجرأة وصراحة ، تحـــررنا من متاعب ومخاوف التردد ، ووســـواس الضمير المتذبذب ، واستطعنا ان نسابق الدول الغربية ونســـبقها بما لدينا من مناخ افضل وثروات اعظم وموقع أكثر اهمية وخطرا .

واذا كان الاقتصـــاد العالمي يقوم على الربا فينتج هذه المؤسسات الهـــائلة ، ويخـــرج لنا مما تحويه عقـــول العلماء الجهابذة من الافكار والمخترعات وبدائع الوسائل والوســـائط – فلنقبـــل على (الربا) نتعـــاطاه ، ونعطيــه ، ونقيم حياتنا على اساسه بلا خوف ولا توجس .. بهذا قال بعضنا فدعينا الى الاخذ بحضارة الغرب بشرها وخيرها ،وحلوها ومرها . ولم يمض الدعاة في دعوتهم ، ولم يقبل كل الناس عليها ، وبقي الامر معلقا .

وتمر الســـنون ونحن واقفون حيث نحن ...

ولا تزال فكرة الاســـلام والتجديد ، تغازل عقولنا ونفوسنا . لا نســـتطيع أن ننحيها عن عقولنا ، فنستريح ، ولا نستطيع ان نهتدي الى معرفة ما هو الذي نجدده بالضبط في الاسلام أو في ظله فنتقدم وننتج ونؤثر .

والرأى عنـــدى ، ان هذا الـــدين يصلح آخره ، على ما صلح اوله وقد قال الله تعالى « كنتم خير امة اخرجت

الإصلاح السياسى هو ركن الزاوية فى أمة الإسلام

للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » •

وبهذا حدد كتاب الله كيف يتأتى الخير لهذه الأمة • وكيف يكون التجديد وكيف يكون البعث • كيف نحصد الخير المادى : أى الرخاء ، وكثرة الأرزاق ، ورواج التجارة ، واختفاء الفقر ، وابتعاد شبح المجاعة التى تلتهم من مسلمي افريقيا ، واحيانا آسيا ، فى السنة الواحدة فوق المئة ألف ، واغنياء المسلمين ودولهم يسمعون ويعلمون ، ولا يفعلون شيئا لمنع تجدد الكارثة ، وتكرر المهانة •

كيف نحقق الخير المعنوى ، فتختفى الآفة الضاربة أطنابها فى العالم الاسلامى وكأنها احتلت اقطاره ، وتأبى ان تجلو عنها ، بل تعشش فى عقول أبنائه ، فلا ترحمهم ، فتخف وطأتها عليهم • كيف نلحق بركب العلم الحديث نتعلمه ، ونتلقاه ، ثم ننتجه ، ونضيف الى القائم منه •••

وفى هذه الآية الكريمة مصراعان ، بهما يكمل الخير ، اولهما الأمر بالمعروف، وثانيهما النهى عن المنكر •

ولكون هذه الآية من آيات القرآن الكريم ، نتصور أن المقصود بها ينحصر كله فى نطاق الدين البحت ، أى العبادة أى أداء الفروض من صلاة وزكاة وحج • ومن الانتهاء عن المعاصى ، كالزنا والسكر والربا •

وهى أن حملت المسلمين على هذا القدر من الخير، غيرت احوالهم ، وأصلحتها، وأمدتهم بقوة تجعلهم فى صدر الأمم وعلى هامات الشعوب •

ولكن الواقع ان هذه الآية تدعو الى أصل الخير كله ، فى الدنيا ، وفى الآخرة • فى السياسة ، والتربية •

فالغاية منها أن تجعل عامة الناس ، هم رعاة الدين ، ورعاة الحكم ، ورعاة المال العام ، ورعاة الأخلاق العامة •

وفى كلمة ، هذه الآية تخلق الرأى العام المستنير الشجاع ، النشيط الفعال المؤثر • بمعنى أنه لا يتم خطأ فى محيط صغير ، كقرية أو مدرسة أو جمعية ، أو سيارة أو طريق ، الا ويجد من جميع الحاضرين استنكارا له ، ورفضا ، وقدرة على تقويم المخطىء ، واشعاره بأن ما وقع منه ، قد وقع على كل واحد منهم ، وأنه آذاهم ، وأحزنهم ، فأخذوا على يديه ونبهوه • ولكن ليس معنى هذا أن رفض الخطأ يتحول الى غلظة ، أو أن تقام الحدود فى الشارع ، وان يكون الافراد اينما اجتمعوا ، هم الحكومة •

المقصود هو أبعد الأمور عن هذا ، لأن الغاية اقامة مجتمع هادىء ، قليل الصخب ، متحاب ، لا يسوده الكره ، ولا الميل الى العنف • ذلك لأنه كما أننا سنعلم الأفراد بأن واجبهم تقويم المخطىء وتسديد خطا الجاهل ، وردع الظالم ، ومقاومة المعتدى ، فانه مع الزمن ، سيكون أصحاب السلطة ، والآمرون ، والقادة كأفراد الشعب ، حريصين على تجنب الخطأ ، وعلى صيانة الحرمات ، وعلى حماية المال العام ، فلا يقع العدوان منهم ولا يتورطون فى الزلل الا قليلا ، فاذا الجميع فى أمن ورعاية •

***

واذا أردت ان ترد جميع ما انتاب المجتمعات الاسلامية من الأدواء والامراض والعلل ، اذا أردت ان تعرف لماذا يشقى المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها فى الفقر والمسغبة والجهل والاوبئة ، وتفشى الخرافات ، وسيادة الأباطيل ، فلانهم لم يعودوا ، يعرفون شيئا عن هذه الآية ولا يطبقونها • أئمتهم وعلماؤهم، وقادتهم ومعلموهم ، لا يلقنوهم دروسها ، ولا يطبقونها فى محيطهم الصغير • فاصبح المجتمع مجتمعا ينافق صغيره كبيره، فقيره غنيه، وضعيفه قويه •• ولا نتيجة لذلك كله الا الفقر ، فى جانب وكثرة الأموال فى جانب ، واهدار المال العام ، وانتهاك حرمته ، وصرف الموارد فيما لا يعلم

جاهلا ، ولا يشق طريقا ، ولا يقيم مستشفى ، ولا ينشر فضلا ، والنتيجة المثالية ان تسود الفرقة بين الناس ، فيتباغضون ، لان الوسيلة الوحيدة المناسبة للاعتراض على الفساد ، وسوء الاحوال ، ان يحسد الفقير الغنى ، وان يكره الضعيف القوى ـ وان يتعاطى الجميع النفاق والرياء • هذا المجتمع مصيره ، ان يأكله الطامعون فيه من الاجانب والاعداء المتربصين به الدوائر كلقمة سائغة ، وهذا الذى أقوله ، يتلخص فى كلمة واحدة،ان نقطة البداية فى التجديد المرغوب فى ظل الاسلام ، هو الاصلاح السياسى •

وهذا ما يؤكده تاريخ الرسالة المحمدية•فان محمدا عليه الصلاةوالسلام حينما دعا الى التوحيد ، هز مجتمعا ظالما ، كان يقوم على التفرقة الطبقية ، والتفرقة القبلية ، والتفرقة العرقية ، كان مجتمعا ثلاثة ارباعه رقيق ، والارقاء فيه تستباح اعراضهم ودماؤهم وتهبط فيه المراة الى المتاع الذى يباع ويشترى ، وتشتد فيه المظالم، وتنتفى معه الحرية • ولقد قاوم الاغنياء وأصحاب النفوذ هذه الدعوة ، لانهم ادركوا تماما ، انها ستنقلهم من سدة السيادة والسلطان ، وستسوى بينهم وبين الناس • واشتدت الحرب بين دعوة المساواة ، والحكم الظالم ،والتفرقة بين البشر،وجماعة الاقوياءبالمال وبالنسب وبالسلطة الموروثة • واستمر محمد يعلم الناس ان يجهروا بقول الحق ، حتى اذا قيل له : اعدل يامحمد • لم يغضب ولما عارضت عمر بن الخطاب امراة فى المسجد ، عندما دعا الى نبذ المغالاة فى المهور ، وعلى مرأى ومسمع من المسلمين اعترف بخطئه قال : اصابت امراة واخطأ عمر •

هذه التربية هى التى خلقت من الأعراب الاجلاف المتفرقين أمة متحدة ، رقيقة ، تحب كل شيء جميل ، وتنتج فنا جميلا ، وأدبا رقيقا وحضارة تفيض لطفا واناقة •

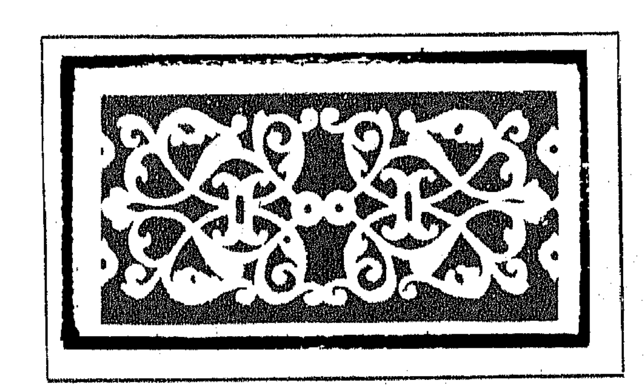
ولن يصلح اجتهاد ، ولا تجديد فى الاسلام ، وظله ، الا اذا بدىء بتفهم هذه الآية وتطبيقها كما طبقها صحابة رسول الله ، والمسلمون فى صدر الاسلام • فالاسلام الذى خلق هذه الشعوب الهائلة من هذا الشعب الضعيف ، هو هو الاسلام الذى نؤدى هذه الايام فرائضه مع فارق واحد ، هو ان هذه الآية كأنما اسقطت من القرآن ، وان بقيت ضمن سطوره تتلى وتسمع • ولكن لا نقوى على ادراك مداولها ، ولا ننتفع بالتيار الهائل الذى بعثه فى عروق الأيام ، حينما كانوا يستظلون بها ، ويستمدون منها القوة والعون •

فاذا كنا قد عقدنا العزم على أن نجدد شباب الاسلام ، وننفض عنه تراب الاهمال والتراخي ، فهذه هى البداية • ولندع البحث طويلا فى النصوص ، ولندع الخلف حول تطبيق الشريعة ، بعامة ، لا لأن هذه امور قليلة الشأن ، ولا لأن مخالفتها جائزة ، بل لأن ركن الزاوية فى الشريعة ، هى هذه الآية بعد الايمان بالله ، والتسليم برسالة نبيه • بدأ بها محمد ، ولنبدأ بها نحن•

ولقد فطن جمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده الى هذا حينما بدأ دعوته ، فى أخريات القرن التاسع عشر فراح الافغانى يذرع العالم الاسلامى شرقا وغربا ، ملقيا بذور هذه الدعوة الاصلاحية ، فبقى أثرها الى اليوم ، ولو واصل محمد عبده ، بعده هذا العمل العظيم ، لتضاعف فضله ، ولرأينا تجديدا فى فهم الاسلام ولغته ، وفقهه ، وفى كل جانب من جوانب حياة المسلمين •

هذه هى البداية ، ولا بداية قبلها ، فان اخذنا بها طبقت الشريعة على أحسن وجه واستقامت الأمور على خير صورة ، وتعلم الجهال ، وتغذى المحرومون ، وصينت الاموال والاعراض ، وقام حكم الاسلام القوى المستنير ••

الوسائل الفعالة لتجديد شباب الإسلام وإقصائه عن غربته فى عالم مختلط غريب



● محمد عبد المنعم خفاجى ●

يقال فى اللغة : (جدد الشىء) أى صيره جديدا .. فهل فى الاسلام قديم وجديد ؟

وهل طرأ على الاسلام من عوامل البلى ما جعله يحتاج الى تجديد ؟

والذى نعلمه ونردده منذ من الله على الانسانية بالاسلام ، أن الاسلام صالح لكل زمان ، فهل يحتاج الشىء الصالح لكل زمان الى التجديد ، مع ايماننا بصلاحيته لكل العصور حتى أبد الآبدين ؟

سؤال يرد الى الذهن قبل المضى فى معالجة موضوع الاسلام والتجديد . واذا كانت حركة التجديد فى الاسلام التى قام بها الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر الميلادى بتأثير من أستاذه جمال الدين الأفغانى ، كانت (تسعى الى تحرير الدين من أغلال الجمود ، وتتجه الى استكمال اصلاحات توفق بينه وبين مطالب الحياة العصرية المعقدة) ـ فما معنى حركة التجديد أو الاصلاح التى قامت فى الهند فى وقت مواكب لحركة التجديد فى مصر ؟

وهل نذهب مع المستشرق المجرى « جولد زيهر » فيما ذهب اليه من خلق فروق بين الحركتين ، مع أنهما فى الحق يستهدفان غرضا واحدا لمصلحة الاسلام والمسلمين فى عالم طغت عليه الحضارة الأوروبية الحديثة ؟

وهل التجديد فى الدين نفسه أصولا وعقيدة وفكرة ، أم التجديد فى مظاهر الدين وسلوك أصحابه حتى يكون موائما لحاجات العصر ومتطلباته ؟

والذى افهمه واوقنه ان (التجديد) ليس فى مفهومه الا مرادفا (للاصلاح) كما يظهر من نماذج التجديد والمجددين فى تاريخ الفكر الاسلامى . واقرب مثل لدينا هو ما قام به المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى تلميذ الأستاذ

الإسلام في تمدده وتجديده وانطلاقه وامتداده ليس إلا تفسيرا حقيقيًا للطبيعة المتجددة ، والطبيعة الممتدة في الحياة ، فالله جل شأنه قد مد الظل ولو شاء لجعله ساكنًا ، كما قال في محكم آياته

الامام واحد شيوخ الأزهر السابقين اللامعين ، من حركة اصلاح المحاكم الشرعية في مصر ... فقد كان القضاء الشرعي عندنا يرجع الى مذهب واحد بعينه من المذاهب الفقهية منذ حدوثها . ورأى المراغي أن هـذا « الالتزام » هونوع من « الجمود » لا يرضى به دين سمح متحرر ، فكان أول من خرج على هذا الجمود وعدل عن العمل قضاء بمذهب أبى حنيفة الى العمل بمذهب الأئمة الثلاثة الباقين وغيرهم .

وكانت له آراء وجيهة في الحلف بالطلاق وفي منع وقوع الطلاق « الثلاث » بلفظ واحد .

وكان حديثه في افتتاح (لجنة تنظيم الأحوال الشخصية) دعوة الى التجديد والاسلام الواعي الجريء ، حيث قال رحمه الله ورضي عنه : (ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان . وأنا لا يعوزني ـ بعد ذلك ـ أن آتيكم بنص من المذاهب الاسلامية يطابق ما وضعتهم ..)

فالمراغى هنا جرى على طبيعة الأسلام « المتجدد » الذى لا يرضى بالجمود ولا يقف عنده ...

وليس (التجديد) عديلا (للاصـلاح) وحده ومرادفا له ، ولكنه عديل (للاجتهاد) ويكاد يكون مرادفا له .. والاجتهاد أصل من أصول الأسلام . وما أصدق المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش وهو ينادى بأن كل من يعرف لغة القرآن لا ينبغي له بحال ما أن يقلد غيره تقليدا متى قدر على فهمه وفهم الكتب الصحاح في السنة . ومن هنا جرى الشيخ جاويش على تكرير وتوكيد ما قاله الامام جمال الدين الافغانى من رفض ما زعمه الفقهاء من أن باب الاجتهاد قد أوصد عند أهل السنة ، فلا مجال لمجتهد أو باحث بعد هذا الايصاد ..

وللافغانى هنا كلام جميـل خطير ورد في « خاطراته » . فقد ذكروا يوما في مجلسه رأيا للقاضي عيـاض ، ورأوا فيه انه غاية ما يمكن أن ينتهي اليه الاجتهاد ... فقال الامام الافغـاني : ياسبحان الله ... ان القـاضي عيـاض قال ما قاله على قدر ما وسعه عقله ، وتناوله فهمه وناسب زمانه . فهل لا يحق لغيره أن يقول ما هو أقرب الى الحق ، وأوجه ، وأصح من قول القاضي عياض أو غيره من الائمة ؟ وهل يجب الجمود والوقـوف عند اقـوال اناس هم أنفسهم لم يقفوا عند حد اقوال من تقدمهم ؟ قد أطلقـوا لعقـولهم سراحها ، فاستنبطوا وقالوا ، وأتوا بما ناسب زمانهم ، وتقارب مع عقول جيلهم ، وتتبدل الأحكام بتبدل الزمان ..



والحق أن سد باب « الاجتهاد » هو تضييق على العقول ، وتقييد لحرية الفكر التي جاء الاسلام مؤيدا لها ومناديا بها . ومن هنا حارب الأفغاني القول بسد باب الاجتهاد بقوله الحكيم الجرىء : (ما معنى باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأى نص سد باب الاجتهاد ؟ أو أى أمام قال لا ينبغى لأحد من المسلمين بعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ؟ أو أن يهتدى بهدى القرآن وصحيح الحديث ، أو أن يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما ؟

والقرآن : لسان الاسلام وبيانه ، كتاب مفتوح لكل قارىء واع ، ولقد جاء فيه على لسان رب العالمين : (**ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر**) أى : فهل من طالب علم منه ، ومتفهم له ، فيعينه الله على الفهم ؟

والقول بأن الاسلام متجدد يؤكده ما جاء من اجتهادات النبى عليه الصلاة والسلام ، واجتهادات الخلفاء الراشدين والصحابة . فلو كان الاسلام جامدا لوقف النبى وأصحابه والمسلمون الاولون عند نصوصه لا يتعدونها ، ولا يجارون بها تطور العصر ، ولكن الخلفاء الراشدين اجتهدوا فى المصالح المرسلة التى لم يجىء بها نص ، ولم ترد لها سابقة .

وللامام أحمد بن آدريس القرافى رأى وجيه فى هذه المسألة جاء فى شرحه لتنقيح الفصول حيث قال : (ومما يؤكد العمل بالمصالح المرسلة أن الصحابة رضوان الله عليهم عملوا أمورا لمطلق المصلحة ، لا لتقدم شاهد بالاعتبار ، نحو كتابة المصحف ، ولم يتقدم فيه أمر ولا نظير ، وولاية العهد من أبى بكر لعمر رضى الله عنهما ، ولم يتقدم بها أمر ولا نظير ، وكذلك ترك الخلافة شورى ، وتدوين الدواوين ، وعمل السكة للمسلمين ، واتخاذ السجن ، فعل ذلك عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، وهد الأوقاف التى بازاء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتوسعة بها فى المسجد عند ضيقه ، فعله عثمان رضى الله عنه ، وتجديد الأذان فى الجمعة بالسوق ، فعله عثمان رضى الله عنه ، ثم نقله هشام الى المسجد ـ وذلك كثيرا جدا ـ لمطلق المصلحة ..)

***

والتجديد فى الاسلام لا يكون بداهة فى أمور العبادات ، لأن أمور العبادات لا تقبل التغيير فلا يجوز التجديد فيها . وهل يصح فى الأذهان أن نجدد فى الأصول التى بنى عليها الاسلام ؟ وكيف يكون التجديد فى الشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج ؟

لو أن الاسلام دين عبادة فقط لوقفنا عند العبادات الواردة وجمدنا عليها ، وبهذا ينتفى « التجديد » الذى نريده ويريده لنا الاسلام . ولكن الاسلام دين جاء لصلاح الدنيا والآخرة ، وملة جاءت لخيرى الدنيا والاخرة ، وعقيدة جاءت لمصلحة أصحابها ـ بل لمصلحة الناس جميعا ـ فى الدنيا والاخرة ، فكيف نقف عند العبادات ومصالح الناس وصلاحهم ممتد الى يوم يبعثون ؟

لو أن الاسلام جاء لصلاح الآخرة فقط لانتهى بنا الأمر الى أن نكون « دراويش » فى هذه الحياة الدنيا التى جعل الله الانسان خليفته فيها . وما معنى الخلافة هنا؟ أليس معناها أن الله استخلف الناس على صلاح الأرض وعمارتها والنهوض بأهلها فى كل مجالات النهوض التى لا تتعارض مع أصول الأديان ؟ ومن هنا كانت ملازمة التجدد للاسلام لانهما مرتبطان على امتداد الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

***

نعود الى معنى التجديد فى الاسلام . هل معناه ادخال أمور على الدين لم تكن

الإسلام من طبيعته التجديد، وليس من طبيعته الجمـــود، وآية ذلك دعوته الدائمة إلى العلم وحثه عليه ... وقد أعلى الإسلام من شأن العلم ولم يساو بين عالم وغير عالم، لأنه يريد للناس والإنسانية أن يتجددوا مع الحياة ولا يقفوا عند حد معين

فيه من قبل ليصبح بذلك جديدا ؟ وهل الاســـلام ثوب يرث ثم يســـتدرك بالتجديد حتى لا يخلع ، جريا على القاعدة التى أجراها شاعرنا القديم من واقع التجربة ، وهى أن كل جديد اذا مارث يخلع ؟ ونعوذ بالله أن يحوجنا ســـوء الفهم الى خلع ثوب الاسلام بدعوى أنه قديم غير صالح !

نحن ـ معشر الأدباء ـ نفهم « التجديد » فى الأدب منذ تطور الحركة الادبية والشعرية فى عصر صدر الأسلام وبنى أمية والعصر العباسى حتى نبلغ العصر الحديث ..

فالتجديد فى الشعر الأموى ـ مثلا ـ كان بادخال سمات واشياء على الشعر العربى لم تكن فيه فى العصر القديم . والتجديد فى الشعر المهجرى ـ مثلا ـ كان بادخال سمات ومظاهر ومـــلامح لم تكن فى الشعر العربى الشرقى غير المغترب ... فهل هذا المفهوم « للتجـــديد » فى الأدب هو الذى نفهمه فى التجـــديد الاسلامى ؟

اننا لا نضيف شيئا الى أصول الاسلام وقـــواعده والعبادات فيه حين نريد ان « نجدد » والا شاركنا الله ـ جل شأنه وتقدس فى علاه ـ فى فرضه العبودية على خلقه ، وذلك لا ينادى به عاقـــل أو مؤمن .. ولكننا حين نحاول النهوض العام بالانسان والانسانية ـ تحقيقا لحكمة الله فى عمارة الكون فانا نحـــاول ، الاخذ بوسائل النهوض ، ولا نجمد بها عند حد معين لا نتعداه ، حتى تجرى مصلحة الدنيا ومصلحة الاخرة فى عناق واحد لا يجيز التخلف لواحد ، والارتقاء لواحد . ومن هنا كان الاسلام تجديدا دائما لشـــباب الحياة حتى لا تهرم ولا تتخلف .

والاسلام فى تجدده وتجديده وانطلاقه وامتداده ليس الا تفسيرا حقيقيـا للطبيعة المتجددة والطبيعة الممتدة فى الحياة ، فالله جل شـــأنه قد مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ، كما قال فى محكم آياته . والله لم يجعل الليل سرمدا ، ولم يجعل النهار سرمدا ، ولكن جعلهما موصولين امتدادا وانطـــلاقا الى أبد الآبدين ، ولو وقف الكون عند نهار دائم وحسب ، أو ليل دائم وحسب ، لكان ذلك جمودا لا تصح به الحياة ، ولا يصح عليه الأحياء .

***

والاسلام من طبيعته التجديد ، وليس من طبيعته الجمود ، وآية ذلك دعوته



الدائمة الى العلم وحثه عليه ، وقد أعلى الاسلام من شأن العلم ، ولم يساو بين عالم وغير عالم ، لأنه يريد للناس والانسانية أن يتجددوا مع الحياة ، ولا يقفوا بها عند حد معين ·

ولعل ايراد بعض آيات من مادة (العلم) في القرآن يساند هذه القضية · فالقرآن يقــول : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ويقول : (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) ويقول : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) ·

ويقول : (وزاده بسطة فى العلم) ويقول : (هل يستوى الذين يعلمــون والذين لا يعلمون) ، فالعلم متغير ، متجدد ، قابل للتطور والارتقاء ، وليس كذلك العبادات · ومن هنا كانت دعوة الاسلام الى العلم ، لأنها دعوة الى التجديد فى الحياة ·

وليس المقصود بالعلم هنا هو علم الدين كمــا فهمه بعض الجامدين من المسلمين وجاراهم فيه خبثاء المستشرقين والباحثين فى الاسلام ، من أمثال (سـيكار) الفرنسى الذى ملأ مجلة (مراكش الكاثوليكية) فى الثلاثينات من هذا القـرن بادعاءات وطعون فى الاسلام زعم فيها أن الاســلام لم يدع الى العلم بمفهـومه العام ، ولكنه دعا الى علم الدين ، وذلك ليجرد الاسلام من فضيلة الدعـوة الى العلم مطلقا والحث عليه ·· ونسى المسكين الحـديث النبوى : (اطلبوا العلم ولـو فى الصين) فلو كان العلم هنا دينيا ما دعا النبى الى طلبه فى الصــين ، لأن أهلها من عباد الأوثان ·· وهذا الحـديث مما رواه العقيـلى ، وابن عدى ، والبيهقى وابن عبد البر عن أنس ·

***

والاسلام ــ فى دعوته الى التجديد والانطلاق فى آفاق الكون ، والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، وعدم الجمود عند حد معين ــ لم يجر على سنن غريب عليه ، وليس منه ··· فهو فى ذاته مجدد مصلح منذ أن دعا النبى الى سبيل ربه ·· وهو أبو التجديد ورائده ·· وخاصة فى كثير من شـئون التشريع ، فقد أتى على نظم الجاهلية وأدخل عليها من التجديد والاصلاح ما جعله حريا بأن يوصف بالتجديد لا بالجمود ···

لقد قلل من تعدد الزوجات وكان مطلقا بلا قيود ، وجعل نظام الميراث يتسع ليقبل المرأة والصغار من أبنــاء الميت ·فقد روى عن ابن عبـاس انه قال : (لمـا نزلت الفرائض التى فرض الله فيها للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس وقالوا : تعطى المرأة الربع والثمن ، وتعطى الابنة النصـف ، ويعطى الغـلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة) وهذا يدل على أنهم كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار من أبناء الميت ، وانمـا يورثون من يلاقى العدو ، ويقاتل فى الحروب ··

واذا كان الاسلام قرينا للتجديد وداعيا له ، فما بال المسـلمين قد تاخــروا ــ وخاصة فى القرون الأخيرة الى اليوم ؟ الحق أن هذا التأخر ليس من الاسلام ولكنه من المسلمين حين جمدوا ، وركنوا الى التوقف ، بل مالوا الى معاداة العلم ومحاربة الاصلاح ، وسدوا على أنفسهم باب الاجتهــاد · والا فكيف نعلـل ازدهار الاسلام وقوة المسلمين وتقدمهم فى القرون الأولى للاسلام ، وتاخرهم وهوانهم على الناس وعلى أنفسهم فى العصور الأخيرة ، مع أن الدين واحد ،

دعا الإسلام إلى التجديد والانطلاق فى آفاق الكون، والنظر فى ملكوت السموات والأرض... والإسلام فى ذاته مجدد مصلح، منذ أن دعا النبى إلى سبيل ربه.. وهو أبو التجديد ورائده، فقد أتى على نظم الجاهلية وأدخل عليها من التجديد والإصلاح ما جعله حريًّا بأن يوصف بالتجديد لا بالجمود..!

والعبادات واحدة ؟ الحق أن طرائق المسلمين الآن غير طرائق المسلمين السابقين فليس غريبا أن تتفرق بهم السبل عن سبيل الله ..

ان الاسلام الصحيح تجديد ، وهو يحض على التجديد ويدعو اليه . وليس من الضرورى أن يكون المجدد في الاسلام فقيها أو من المارسين لعلوم الفقه والتشريع ... فقد يكون من القراء ، أو المحدثين ، أو الزهاد ، او المتكلمين ، وقد يكون من أصحاب العلم الطبيعي والرياضي والفلسفي ، وقد يكون من ولاة الامور وأصحاب السلطان .

واذا صح حديث : (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها) ـ وأترك تصحيحه لرجال الحديث ـ فقد ادعى كل قوم فى امامهم انه المراد بهذا الحديث ، كما يقول الحافظ بن كثير ... واذا كانت (من) ـ بفتح الميم ـ تقع على المفرد والجمع فهل هناك ما يمنع أن يكون على رأس كل مئة من السنين رجل مجدد واحد أو أكثر على ما تقتضيه اللغة ؟

لقد نظم الامام السيوطى المؤرخ أرجوزة سماها : (تحفة المهتدين ، بأخبار المجددين) ذكر فيها أسماء مجددى الأمة الاسلامية من القرن الأول الهجرى الى القرن الثامن ، ولم يذكر مجددا فى القرن التاسع لانه رجا أن يكون هو المجدد المرجو المنتظر حيث قال :

وهذه تاسعة المئين قد ... انت،ولا يخلف ما الهادى وعد
وقد رجوت أننى المجدد ... فيها ، ففضل الله ليس يجحد

واذا كان صاحب كتاب (عون المعبود ، فى شرح سنن أبى داود) لم يجعل لعلماء الشيعة حق الانتظام فى سلك « المجددين » لأنهم ـ فى نظره ـ (لا يستحقون هذه الرتبة ، وان وصلوا الى الاجتهاد ، وبلغوا أقصى العلوم ، واشتهروا غاية الاشتهار) فاننا نطمع أن يتسع صدر السماحة فى الاسلام **لظهور امام مجدد ، مصلح ، واسع الافق ، مسموع الكلمة ، مقدور الرأى ، يؤكد دعوة الاسلام للتجديد ، والاصلاح ، والاجتهاد ، والفكر والتفكير ، والعلم والتعليم ، وهى وسائلنا الفعالة الى تجديد شباب الاسلام ، وانقاذه عن الغربة التى يعانيها فى عالم مختلط غريب ...**

الإسلام والتجديد

● د . احمد الحوفى ●

قطرات من بحر السماحة واليسر

شرع الله سبحانه وتعالى الاســـلام خاتما للاديان السماوية ، ومكملا لها، واقتضت حكمته تعالى ان يجعل الاسلام سهلا سمحا ميسرا فى جميع عقائـــده وعباداته ومعاملاته وسلوكه : وهـــذه لمحات الى بعض مايتصف به الاســلام من يسر وسماحة .

ـ ١ ـ

تكفل القرآن الكريم، وسنةرسول الله، بالأصول العامة للاسلام، قال تعالى: « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الاسلام دينا** ».

وقال عليه الصلاة والسلام: عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى: عضوا عليها بالنواجذ ـ الاضراس ـ واياكم ومحدثات الامور، فان كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة

فنهى عن الامور التى لا اصل لها فى الدين، وحذر من العمل بها، لانها مبتدعة تضل المسلمين، ووصفه كل امر من هذه بانه بدعة، ووصف كل بدعة بانها ضلالة، وقال ان كل ضلالة فى النار، يريد من هذا ان يصون الاسلام من التزيد والاضافات والمبالغات، وان يصون المسلمين من الشحناء والخلافات

واذا كان الاسلام قد امر بعبادات، وشرع معاملات، فان جوهره لا يفصل هذه عن تلك، ولا يفصل هاتين عن الاخلاق السامية، لانه نظام كامل متكامل وضعه وفصل حدوده وموازينه ومقاييسه رب العالمين، وهو العليم بما يصلح عباده، ويصلح لهم، الخبير بنفوسهم وسرائرها، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، ويعلم السر والنجوم، قال تعالى: « **الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** »؟

ـ ٢ ـ

فرض الاسلام على المسلمين الوانا من الطاعة والعبادة، وعدهم على ادائها ثوابا عظيما من الله، وليس فيما فرضه الاسلام شىء من العسر او الارهاق او التكليف بما لا يطاق فى عقيدة اوعبادة او معاملة، ولقد صدق الله العظيم فى قوله: « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » وفى قوله: « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » وفى قوله: « **يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر** ».

وان اقوال النبى عليه الصلاة والسلام وافعاله المتصلة بيسر الاسلام وسماحته لكثيرة:

منها قوله صلى الله عليه وسلم: اللهم من ولى من امر امتى شيئا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولى من امر امتى شيئا فرفق بهم فارفق به ..

ومنها ان رجلا شكا اليه انه يتخلف عن صلاة الصبح مع الجماعة، لان فلانا يطيل بالناس، فغضب رسول الله وقال: ان منكم منفرين، فايكم صلى بالناس فليتجوز ـ فليخفف ـ فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة.

ومنها انه راى رجلا يمشى بين ابنيه متوكئا عليهما، فقال: مابال هذا؟ قالوا: نذر ان يمشى الى الكعبة، فقال رسول الله: « ان الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى »، وامره ان يركب.

ومنها قوله: انى لأقوم فى الصلاة اريد ان اطول فيها، فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى، كراهية ان اشق على امه.

وقدم اليه رجل يستشيره فى الجهاد فساله: الك والدة؟ قال: نعم، فقال رسول الله: الزمها، فان الجنة عند رجليها.

وقد تحلق المسلمون حوله يسالونه وهو بمنى فى حجة الوداع، فكانت اجاباته كلها يسرا وسماحة.

ساله رجل: يارسول الله، لم اشعر فحلقت قبل ان انحر. فقال رسول الله: انحر ولا حرج.

وقال رجل ثان: يارسول الله، نحرت قبل ان ارمى الجمرات، فقال رسول الله: ارم ولا حرج.

ثم جاء رجل ثالث فقال: يا رسول الله، افضت الى البيت الحرام قبل ان ارمى، فقال رسول الله: ارم ولا حرج.

فلم يسال عن عمل قد يقدم المسلم بعضه على بعض نسيانا او جهلا الا قال: افعل ولا حرج.

ويتضح للمطلع على الشريعة الاسلامية ان اليسر اصيل فى عباداتها ومعاملاتها وان الضرورات تبيح المحظورات.

فمثلا يغنى التيمم عن الوضوء اذا فقد الماء.

ويباح للمريض او الضعيف الفطر فى رمضان.

ويجوز للمسافر ان يقصر الصلاه الرباعيه.

والحج غير مفروض الا على القادر قدره ماليه وجسديه.



والذى لايستطيع الصلاة قائمايصلى قاعدا . وهكذا .

ولما استقل بعض الصحابة عبادتهم بجانب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم :والله انى اخشاكم لله ، واتقاكم له ، ولكنى اصوم وافطر واصلى وارقد ، واتزوج النساء ، فمن يرغب عن سنتى فليس منى .

ولما نزل قوله تعالى « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** » اى خافوا الله وراقبوه واطيعوه فلا يعصى واشكروه فلا يكفر ، واذكروه فلا ينسى ، وجد الصحابة فى هذا ما يشق عليهم ، فنزل قوله تعالى : « **اتقوا الله ما استطعتم** » للتخفيف والتيسير ، لانه سبحانه وتعالى يعلم ضعف عباده .

وعلى يسر الاسلام وسماحته بايع رسول الله من بايعهم على السمع والطاعة فيما يستطيعون .

- ٣ -

احل الاسلام جميع طيبات الارض مادامت مباحة لا معصية فيها لله تعالى .

احل الطعام والشراب والكساء والاستمتاع المباح بما فى الارض وعلى الارض من خيرات وثمرات .

قال تعالى : ((يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون)) وقال سبحانه: ((ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون)) .

وقال عز وجل : ((يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق)) .

وقال سبحانه : ((يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم)) .

وفى مقام الامر بالعمل الصالح املا فى ثواب الاخرة اقترن الامر بالنهى عن اهمال الدنيا ، قال تعالى : ((وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا)) .

وعلى هذا اليسر بايع رسول الله من بايعهم على السمع والطاعة فيما يستطيعون .

فلا غرابة فى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره التشدد فى غير مواضع التشدد ، لان المتشددين يضيقون على انفسهم وعلى الناس حيث وسع الله عليهم وعلى الناس .

فقد روى عنه قوله : هلك المتنطعون

وروى عنه قوله : ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة، اى استعينوا على طاعة الله بادائها فى اوقات نشاطكم وفراغ قلوبكم ، بحيث تؤدونها وانتم تحسون حلاوتها ، ولا تساءمونها ، كما ان المسافر فى اول النهار وفى آخره وفى آخر الليل يسير فى هذه الاوقات الثلاثة فلا يجد من المشقة مايجده فى غيرها من الاوقات .

وقال صلى الله عليه وسلم : ان هذا الدين متين ، فاوغل فيه برفق ، ان المنبت لا ارضا قطع ، ولا ظهرا ابقى .

ومن هنا نعلم انه ليس من الاسلام التزمت ، وتحريم الحلال ، والامتناع عن المباح ، بدعوى ان هذه زهادة ، كان يمتنع بعض الناس عن الاستمتاع بالمسكن الانيق ، وبالملبس الفاخر ، وبالمركب الفاره ، وبالطعام الجيد ، وبزينة الحياة . ليس هذا من الاسلام مادام الاستمتاع حلالا ومباحا وفى غير اسراف ولا خيلاء .

وكان عليه الصلاة والسلام انظف المسلمين جسدا وثوبا ، وكان اطيبهم عطرا ، وكان يامر صحابته اذا ما قدم اليهم وفد ان يلبسوا اثمن ماعندهم .

كما نعلم ان التنطع فى الدين بدعوى شدة الحرص على تعاليمه سخف ضار بصاحبه وبسواه ، فقد نهى القرآن الكريم عن الاستقصاء الذى يؤدى الى التحريم ، لما فى التحريم

من اعنات وتضييق ، ونهى عن السؤال الذى يتعرض به السائل لما ليس فيه مجال للراى ، لان هذا يؤدى الى مزيد من التكليف ، قال تعالى : « **لا تسالوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ، وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم**» ويؤيد هذا انه روى فى سبب نزول الاية الكريمة ان بعضهم سالوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الحج : أهو فى كل عام؟ فقال : لو قلت نعم لوجبت، ذرونى ماتركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم .

***

وذكر سبحانه وتعالى قصة بنى اسرائيل والبقرة التى امرهم بذبحها ، وكان مقتضي الامر المطلق أن يسارعوا الى ذبح اية بقرة ، ولكنهم جعلوا يسالون عن اوصافها وعن لونها ، ويشقون من السؤال سؤالا ، بدعوى ان البقر تشابه عليهم ، ثم ذبحوهابعد لأى ، وما كادوا يفعلون .

والعظة التى نستنبطها من قصتهم ان الاستقصاء فى السؤال اضرهم ، لانهم لما شددوا شدد الله عليهم ، وصارت البقرة المطلوبة ذات صفات نادرة ،بعد ان كانت فى أول الأمر سهلة ميسرة فلو سارعوا الى الطاعة فذبحوا بقرة ما لأجزأتهم .

والحديث الشريف يجرى فى هذا الاتجاه نفسه ، قال صلى الله عليه وسلم : ان أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سال عن شىء لم يحرم على الناس فيحرم عليهم من أجل مسالته .

وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها .

وقد خرج رجلان فى سفر ، وليس **معهما ماء ، فلما حضرت الصلاة تيمما وصليا ، ثم سارا فوجدا الماء فىالطريق، والوقت حاضر ، فتوضا احدهما واعاد الصلاة ، ولم يعد الاخر ، ولما ذكرا ذلك لرسول الله قال للذى لم يعد: اصبت السنة ، واجزاتك صلاتك ،وقال للذى توضا واعاد : لك الاجر مرتين .**

لهذا انب الخليفة عمر بن عبدالعزيز احد عماله ، لانه كان يبالغ فى سؤال الخليفة ويستقصى .

قال له عمر : اذا امرتك أن تعطى فلانا شاة سالتنى : اضان أم ماعز ؟

فاذا بينت لك سالتنى : اذكر أم أنثى ؟

فاذا أخبرتك قلت لى : أسوداء أم بيضاء ؟

لم امره بالا يراجعه اذا طلب شيئامنه

وكثيرا ماجرى السلف الصالح على آداب الاسلام . كتب اسماعيل بن على الى الاعمش يساله عن شيئين : أولهما مباح هو مناقب الامام على بن ابىطالب والاخر غير مباح وهو معايب عثمان ابن عفان ، فمباذا رد عليه الأعمش ...؟

كتب له يقول : لو أن عليا لقى الله عز وجل بحسنات اهل الدنيا جميعا لم يزد ذلك فى حسناتك .

ولو أن عثمان بن عفان لقى الله سبحانه وتعالى بسيئات أهل الارض لم ينقص ذلك من سيئاتك .

وكان الامام مالك يبغض الاسئلة الافتراضية ، فاذا ساله أحد عما لم يقع قال له : سل عما يكون ، ودع ما لا يكون . لانه كان يرى أنكثرة الفروض مفسدة .

وكان رحمه الله كلفا بملابسه وبطعامه وبأثاث بيته . فلما عاتبه بعض الناس فى هذا قال لهم : ان البيت نسب الانسان ، ولست احب لامرىء انعم الله عليه الا يرى اثر نعمته عليه، وبخاصة اهل العلم .

وكان يعتقد ان الطعام الجيد يساعد على نشاط الذهن والنفس ، وان جمال الثوب يضفى على صاحبه رضا وراحة وثقة بالنفس ومهابة .

اما بعد ..

فهذه قطرات من بحر زاخر لا ينضب او زهرات من بستان زاهر لا يذبل .. ●

ليفتح الإسلام أبوابه لكل علم جديد وكل حضارة جديدة نافعة

● د. محمد سعاد جلال ●

هذه مسالة دقيقة المعنى ، مترامية الاطراف ، كثر الخوض فيها من اهل العلم على مدى العصر ، مع شدة الحاجة الى علمها ، وكثرة الفائدة فى شرحها ، فنقول فى بيانها ان شاء الله ما يكشف عنها الغطاء . والله الموفق

يتفصل القول فى هذه المسالة على احتمالين :

احدهما : ان يكون الاسلام باعتباره فكرا يحتاج الى تجديد .

وثانيهما : أن يكون الاسلام باعتباره دينا يتقبل الفكر المتطور ، والحضارة الجديدة .

وسيدور كلامنا حول بيان هذين الاحتمالين ، ولكن بعد أن نقدم بذكر ما هو « الاسلام » الذى يدور كلامنا عنه .

الاسلام الذى نعنى الحديث عنه فى هذا المقام هو مجموع الاحكام الاعتقادية ، والشرائع العملية المفرغة من نص القرآن الكريم وما انبنى عليه من السنة ، والاجماع والقياس .

ذلك ان اصل مدارك الاحكام انما هو القرآن وحده : لأن السنة بيان القرآن والاجماع لا ينعقد الا مؤسسا على نص من القرآن ، أو السنة ، أو مصلحة ترد اليهما ، والقياس مبنى على وجود علة الحكم الثابت بالنص ، فى شيء آخر عار عن نص يبين حكمه ، ليتعدى الحكم من هذا الاصل المنصوص الى الشيء الذى لا نص فيه على حكم ، فيكون الشيء الثانى وهو الفرع داخلا تحت عموم النص بواسطة العلة المشتركة بينهما ، ويعتبر النص عاما عموما معنويا بهذا الاعتبار .

وبهذا النظر يكون القرآن وحده مدرك الشرع . لان مدارك الشرع الاخرى راجعة اليه ، غير مستقلة بنفسها ، ويكون الطريق الى معرفة مواطن الوفاق والخلاف بين الاسلام ، وبين شئون الحياة ، والاحداث الجارية فى الزمن ، انما هو طريق معرفة مواطن الوفاق والخلاف الواقعة بين دلالات القرآن وبين هذه الشئون والأحداث الزمنية .

(الشق الاول من الاحتمال الأول — عقيدة الاسلام)

اصل عقيدة الاسلام : وحدانية الذات : **« وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ، انما هو اله واحد » .**

قد عاش المسلمون الأولون بقوة عقيدة التوحيد فى المستوى الأرفع من العزة والقوة واستقلال الشخصية والإيمان بالعلم والعمل واقتحام المصاعب والأحداث بما عرف التاريخ عنهم من التفوق الساطع فى مثل هذه المثل كلها وكانوا بها فى وقتها خير أمة أخرجت للناس!..

ووحدانية العبادة : « **فاعبد الله مخلصا له الدين** » .

ووحدانية الخلق والأمر : « **الا له الخلق والامر** » .

ومن المؤكد ان المسلمين جميعا لم يشركوا فى ذات الله احدا ، لكنهم فيما يتعلق بواحدنية العبادة ، ووحدانية الخلق والامر ، قد اصابهم فى سلوكهم كثير من الجهالة والإنحراف : ذلك ان العبادة هى افراد الله بكل الحب ،وكل الخوف وكل الطاعة — كما يشير الى ذلك « ابن كثير » وانما تتجسد هذه المعانى فى صور العادات الحسية والشعائر الدينية المرئية التى رسمها الشارع بمقادير مخصوصة فى أوقات مخصوصة ، وجعل فعلها آية على تفريده بكل الحب وكل الخوف ، وكل الطاعة عقيدة وسلوكا .

واما وحدانية الخالق والأمر فمعناها: نفى الشريك لله فى مقدار ذرة من خلق الكون اومقدار ذرة من تدبير شيء فيه. وذلك قوله « الا له الخلق والأمر » بتقديم « الجار والمجرور » الدال على قصر الحكم المسند على المسند اليه — كما يقرر أهل الصناعة وهى عقيدة تقضى على المكلف محض التوكل على الله ، والاستغناء بالنظر اليه عما سواه .. بما انه خالق المادة ، والاسباب ، والمسببات جميعا من غير الخلال بمماثاة الاسباب ، لما جرت به عادته سبحانه من انه يخلق الفعل عند مباشرة العبد للسبب ، فلذلك اوجب العمل على المكلف دائما — وفى الحديث الصحيح « قالوا افلا نتكل ؟ قال : لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

***

وقد عاش المسلمون الاولون بقوة عقيدة التوحيد هذه باقسامها الثلاثة فى المستوى الأرفع من العزة والقوة ، واستقلال الشخصية ، والايمان بالعلم والعمل واقتحام المصاعب ، والاحداث بما عرف التاريخ عنهم من التفوق الساطع فى هذه المثل كلها — التى كانوا بها فى وقتهم خير امة اخرجت للناس. ثم انتكسوا بأسباب تاريخية — لا موضع الآن لبسطها — فتخلوا عن عقيدة التوحيد هذه — فى أهم عناصرها التى تعطى تقويما متميزا ، وأصالة مثالية لروح الانسان المسلم ونمط سلوكه بين انسان العالم اجمع — الا وهى — وحدانية « العبادة » ووحدانية « الخلق والأمر » فدخلوا بذلك فى نوعين من الوثنية :

وثنية ذات صبغة دينية — ردا على وحدانية العبادة ، وهى الاقبال على أصحاب الاضرحة ، والمشاهد وأحلاسهم من الدجالين ، أو المصابين بأمراض عقلية ونفسية ، يستقضونهم الحاجات ويستشفون بهم من العاهات . ويستدفعون بهم النائبات ، ويهبونهم من انفسهم الحب والخوف والطاعة ان لم تكن لهم فلأحلاسهم بسبب منهم .

وثنية اخرى — وهى وثنية اجتماعية ،





ربما لم تكن اقل شرا من الوثنيــــة الدينية الاولى ، وأعنى بذلك أكثر ما درج عليه الناس منذ اعصار كثــيرة حتى اليوم من الاستدلال لأهل الجـاه والسلطان، وركائز المال والمنافع المادية والاعتماد عليهم دون الله رب العالمين، واستعمال النفاق . والخضوع لهم فى التماس شهوات الدنيا . وقد جحدوا ماجاءهم من العلم ان الله هو المنفـــرد بالخلق والامر ــ سبحان الله عمــــا يشركون .

نقول : فتجديد الاسلام من هــــذه الجهة هو العمل للقضاء على هــــذه الوثنيات المدمرة لعقيدة الانسان المسلم، وخلقه وشخصيته، برجع المسلمين الى الاعتصام بوحدانية ((العبادة)) ووحدانية ((الخلق والأمر)) .

ولقد نهض رجال من العلماء فى عصور انحدار الفكر الاسلامى الى محاربة هذه الوثنيات البشعة كشيخ الاسـلام ابن تيميه ــ رضى الله عنه ــ وتلميذه ابن القيم فى خلال القــرن الســابع والثــامن . والشاطبى صاحب « الاعتصــــام » فى القرن التاسع . والامام الشوكانى فى القرن الثالث عشر ، وعلماء آخرون لا يزالون يظهرون فى كل عصر حتى اليوم يقاتلون هذه الوثنيات العارمة .

((الشق الثانى من الاحتمال الاول))

الشريعة :

المراد بالشريعة هنا ماورد بهخطاب الشرع من الاحكام الجزئية المأخوذة من الادلة التفصيلية ، وهى مايعرف بالفقه الاسلامى ، وذلك غير ما ورد به خطاب الشرع من الاعتقادات التى اشرنا الى قسم منها .

ولقد ازدهر الفقه الاسلامى فى القرون الخمسة الاولى من الاســلام الازدهار الذى استغرق جميع مراتب الازدهار الممكنة بمــا اجتمــع له من الفــزارة والخصوبة والعمق والشـمول واطـلاق الاجتهـاد وحرية النظـر وسـمو قدر الصناعة ، وباكبر حشد من العلــماء العباقرة المجتهدين الذين جعلوا مــن ادامة الاشتغال به ليلهم ونهارهم صورة من العبادة . حتى اقاموا له صرحــا شامخا يطاول السحاب ، واثرا راسخا يغوص الى اعماق الارض. ووضعوا فى ذلك المؤلفات الخالدة التى يســـجد العقل ازاء ما تزخر به من الدقة الرائعة فى الفكر والاداء ، ومن العنــاية الى درجة الهوس ــ ان صح هذا التعبير ــ بالبرهنة العقلية والنقليـــــة على كل صغيرة وكبيرة ــ مما أظن قدر اطلاعى ــ أنه لا يوجد له نظير عند جميع كتاب الدنيا ...

وبعد انتهاء القــرن الخامس الذى انتهى بوضع آخر كتاب عظيم فى اصول الفقه ــ وهو كتاب المستطيفى للغزالى الذى يتميز باستقلال الفكر والمنهج ــ بدا الفقه ينحدر بصورة ملموسة .

وكان اعظم اسباب انحـــداره فى الحقيقة انقطاع اولئك العمالقة الافذاذ الذين اسسوا الفقه من امثال ابى حنيفة، ومالك ، والشـــــافعى ، وابى ثور ، وســــفيان الثورى ، والاوزاعى ، والليث بن سعد ، واصحاب ابى حنيفة بالذات ــ ممن شادوا المذهب ، ووثقوا عراه كابى يوسف ، ((ومحمد)) ،وزفر ــ ثم لم يات بعد هؤلاء الائمة فى مسار الفقه الاسلامى نظائر لهم، يسيرون على دربهم وينشئون القواعد والاصــــول الفقهية كلما دعا داعى التطور وتبدل الحاجات الى اصول جديدة ، وقواعد فقهية مستحدثة. لا اعنى احكاما فقهية مخرجة على اصول سابقة .

والسبب الجوهرى الثانى هو اغلاق باب الاجتهاد وحرية النظر الفقهى .. ولقد ظهر القول باغلاق باب الاجتهاد فى منتصف القرن الرابع ، فكان العلة السابقة على المعلــول المتــاخر الذى لا يتصور انه ظهر الى الوجود فجاة .ولم ياخذ صفة النشوء والتدرج .

***

ومن المؤكد عندى أن محنة المعتزلة مع أحمد بن حنبل فى مسالة خـلق القرآن التى ادت الى قتل ودفن حرية

ازدهر الفقه الإسلامي في القرون الخمسة الأولى من الإسلام ، الازدهار الذي استغرق جميع مراتب الإزدهار الممكنة ، بما اجتمع له من الغزارة والخصوبة والعمق، والشمول والاجتهاد ، وحرية النظر وسمو قدر الصناعة ، وبأكبر حشد من العلماء العباقرة المجتهدين !..

الراى علـــى يد المتوكل ، هي التى اسهمت اسهاما جذريا فى اغلاق باب « الاجتهاد » فلم يبق فى يد الناس بعد هذه المحنة المؤلمة الا النص والتقليد ـ كما يقول المسعودى ـ واختفى عمــل العقل تماما .

هذا ، ويتمثل انحدار الفقه فى صورتين :

احداهما : انعدام الاجتهــاد ممــا ادى الى عجز الفقه عن مواجهة حاجات المسلمين المتطورة ، فى الاعصـــــار المتعاقبة .

وثانيتهما : صــعوبة طريقة التاليف مما يقف حاجزا سميكا دون الاقبـال على قراءة كتب الفقه واستيعابها .

نقول : وتجديد الفقه اوالشريعة من هاتين الناحيتين : انما يكون اولا بفتح باب الاجتهاد ، واباحة استقلال النظر الفقهى للباحثين .

وان واجب الامانة ليفرض علينا ان نتساءل فى هذا المقام : ان العلمـــاء المؤتمنين قد وضعوا للاجتهاد شروطـا كبيرة منطقية وصــحيحة ، وصـعبة التحصيل ، فمــن فى عصرنا الراهــن من تتحقق فيه هذه الشروط ياترى ؟

وثانيا : باصــلاح نظــام التأليف . والخطب فى هذه المسالة سهل ، فقد خطا هذه الخطوة علماء فضلاءكالشيخ احمد ابراهيم . وشيخنا الشـــيخ شلتوت ـرضى الله عنه ـ وغيرهمــا ممن يؤلفون للعلم لا للتجارة .

الاحتمال الثانى :

موقف الاسلام من العلم والحضارة:

اما موقف الاسلام من العلم فيتشكل بشكلين :

احدهما : ان يكون القرآن مشتملا على نظريات العلوم الكونية .

وثانيهما : ان يكون القرآن يتناقض اولا مع احكام العلوم الكونية .

وقد اشرنا لك فى اول البحث الى ان القــــرآن عمود الاسلام ، ومبنى جميع الاحكام ، وان الوفاق اوالخلاف بين الاسلام وبين حقائق الوجــود ، والاحداث الجارية فى الكون ، انما هو وفاق أو خلاف بين القرآن وبين هــذه الحقائق والاحداث .

فههنا موضع ذكر هذا النص، فانا لا نعتبر شيئا يمثل الاسلام على جهة الاصالة والاستقلال ، الا القرآنالكريم . واما السنة فهى فى معناها ، وما تفيده من احكام لا تخرج عن معانى القرآن ولا عما اشتمل عليه من الاحكام ، ولا تزيد عليه الا زيادة الشرع على المشروع وهذا رأى طائفة من العلماء .. وان لم يكن رأى عامتهــم وجمهورهم ، ذكره الشافعى فى الرسالة واوفاه الشاطبى بيانا ، وحببه الينا ترجيح الاخــذ به لاسباب ليس الآن موضع بسطها .

القرآن كتاب هداية ووعــظ وتذكير بالله ، وعلم دينى يتعلق بتكاليفالبشر

وتعليمهم ما يلزمهم من العقائد ، والشرائع اللازمة لسعادتهم ونجاتهم من الشقاوة والعذاب في الدنيا والاخرة .. وكل مافيه من القصص والمعارف، وذكر الجنة والنار . وأحوالهما، وانواع البشارة والنذارة فهو راجع الى هذه الغاية : هذه وظيفة القرآن التي اخبر بها عن نفسه في آيات كثيرة صريحة ، لا تحتمل اللبس ولا شطط التأويل .

قال تعالى : ((**كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد**)) وقال ((**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون**)) ، وقال: ((**الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا حسنا . ماكثين فيه أبدا**)) **الى غير ذلك من الآيات التى تدور حول هذا المعنى : وهى جميعا تؤكد ان وظيفة القرآن الكلية ، انما هى الهداية الحق الى معرفة الله معرفة كاملة ، وصحيحة . والتزام الانقياد لشرائعه التى جاءت بها رسله، والبشارة والنذارة فى سبيل ذلك : ليس للقرآن وظيفة كلية الا هذا .**

فليس من وظيفته التغلغل فى اسرار العلوم الكونية « الفيزياء والكيمياء والطب والتشريح»» وغيرهامن أصناف هذه العلوم . ولم يقع فيه العناية بشىء منها .

قلت : والدليل على ذلك أمور:

الأول : قوله تعالى : « **يسالونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس ، والحج**)) فسبب نزول الاية : ان الصحابه سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يستوى ويستدبر .ثم ينقص حتى يعود كما كان — فانزل الله هذه الآية :

● ووجه الاستدلال بالنص مع السبب المقتضى لنزوله هو :

انه اعراض من القرآن عن الجواب الاصلى المتعلق بشرح مسالة فى علم «الفلك» ، لأن ذلك ليس من اختصاص القرآن ، اذ لو كان الكلام والفلك من اختصاصه أو مما يجوز له ان يعنى به ، لأجاب السائلين من حال الهلال المذكورة جوابا فلكيا وما يعجزه ذلك ..

لكنه أعرض عن الجواب الفلكى فى المسألة ، ولفتهم الى الجواب الداخل فى اختصاصه ، وهو الجواب الدينى الدال على وظيفة الأهلة الدينية ((**قل هى مواقيت للناس والحج**))

الثانى : قال تعالى : ((**وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم**)): أرسل الله الرسل الى أقوامهم ليبينوا لهم مضمون رسالاتهم بالمعهود لهم من لسانهم ولغتهم فى دلالة الالفاظ وتركيب الجمل وخصائص اساليب البيان، فبهذا تقوم الحجة على المخاطبين بالرسالة ، فلا يقولوا جاءنا بما لم نعهد من أساليب الخطاب، فلا تثريب علينا فى الصدود عما لا عهد لنا بمثله فى الافهام .

، وعلى وزان ذلك المعانى التى كلف المخاطبون بتعقلها ، يجب أن تكون من المعهود لهم تعقلها فيما الفوا من حياتهم الثقافية ، ومعارفهم الميسرة لهم، لا أن تكون من غوامض الفلسفة ،واسرار العلوم التى لم تستكشف الا بعد قرون من زمنهم . فان ذلك — لو كلفوا بتعقله — لكان تكليفا بما ليس وسعهم . وهو باطل .

***

ان الشريعة ، لم تجىء لخطاب الخواص من الناس ولا لمن تدلت منزلتهم فى الادراك عن منزلة الاوساط ، وانما جاءت لخطاب الجمهور الاعظم من كافة الخلق هؤلاء الذين يمثلون العدد الاكبر من المتساوين ، او المتقاربين

الحضارة صور من العمران المتقدم مبنية على أساس من المعرفة المتقدمة ، فالجامعة ، والمستشفى ، والصحيفة والتحف ، والحديقة العامة والمصنع والبرلمان والمحكمة المكتملة العناصر القضائية . كل هذه ونظائرها من صور العمران المتقدم موجودات حضارية يسبقها مادة من الفكر والثقافة .

فى قدراتهم فى الفهم والتعقل والعمل ، ولهذا لا تجىء الشريعة فى طرق الافهام ومدارك التعقل لا بالأخص ولا بالأخس ، وانما تجرى فى ذلك على الحد الوسط مما يناسب الجمهور الأعظم والعدد الاغلب ، كما قرر الاصوليون — فامتنع ان يشتمل القرآن على غوامض الفلسفة ودقائق العلوم الحاصلة فى الأعصار المتاخرة مشحونة بكل محاولات البحث والتجربة عبر الاجيال — لأن ذلك من شأن الخواص ، القلة ، الندرة وهؤلاء بالذات لا يعنون فى مقصد القرآن من خطابه ، وان شملهم عموم الخطاب : **اقصد انهم ليسوا مقياسا** فى وضع الخطاب .

والدليل الثالث : ثبت بالدليل القاطع ان نظريات العلم متغيرة وان احكام العلم متغيرة لا تثبت على حال فلو فسرنا القرآن بالنظريات العلمية — والفرض انها متغيرة — لزم من ذلك تغير احكام القرآن بتغير احكام العلم وتحميله خطا العلم فى عصر اذا استبان هذا الخطا فى عصر آخر ، وهو امر يدخل الشك والشبهة على القرآن ، وذلك غير جائز قطعا .

الدليل الرابع : وهو من نص كلام الشاطبى الامام ، رضى الله عنه ، الذى اصاب به كبد الحقيقة ، وقد مس بكلامه المخالفين فى هذه القضية — كبعض الناشئين فى عصرنا — قال :

« ان كثيرا من الناس تجاوزوا فى القرآن الحد ، فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين او المتاخرين من علوم الطبيعيات ، والتعاليم ، والمنطق ، وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون واشباهها . وهذا اذا عرضناه على ما تقدم — يعنى من الادلة — لم يصح ، الى هذا فان السلف الصالح من الصحابة والتابعين كانوا أعرف بالقرآن ، وبعلومه ، وما أودع فيه ، ولم يبلغنا انه تكلم منهم فى هذا المدعى سوى ما تقدم — وما ثبت فيه من احكام التكاليف ، واحكام الاخرة ، وما يلى ذلك ، ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر ، لبلغنا منه ما يدل على اصل المسألة . الا أن ذلك لم يكن ، فدل على انه غير موجود عندهم ، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشىء مما زعموا »

انتهى كلام الامام الشاطبى — ذكرناه بطوله للانتفاع به . وقطعت جهيزة قول كل خطيب .

وبعد ، فانا أفضنا فى هذه المسألة واطلنا فيها النفس لنرتب على تقريرها اصلا فى غاية الاهمية .

اما هذا الأصل فهو ان القرآن وظيفته الدينية المحددة وله منهجه فى التعبير عن اختصاصات هذه الوظيفة ،

لقد تعاظمت قوة الإسلام وازدادت فاعليته فى خدمة العالم ، والاحسان للبشر ، وازدهرت حياة الأمم التى استظلت برايته يوم فتح الإسلام أبوابه على أوسع جهاتها لاستقبال علوم الأمم وحضاراتها !..

وان للعلم وظيفته المحددة ، وله منهجه فى التعبير عن اداء هذه الوظيفة ، فلا يجوز أن يعترض الدين طريق العلم ، كما لا يجوز للعلم آن يعترض طريق الدين .

بل يسير كل منهما فى طريقه المرسوم له .

فلا يذهبن ذاهب الى ان عزل القرآن نفسه عن الخوض فى أعيان النظريات العلمية الكونية ، والعناية بتقريرها — يحرم القرآن من كمال هو اولى به ، بل الكمال الحقيقى للقرآن هو الا يفرض على العلم المتطور مع اختلاف الاعصار فى مسألة من مسائله — بحسب تفسير المفسرين له — رأيا يعد قاطعا فى نظر المسلمين ، فيقطع طريق البحث على الباحثين الذين تتجدد الفائدة بدوام بحثهم . بل يترك طريق العلم المادى حرا منطلقا الى غاياته الخلاقة التى لا يعلم مدى انتهائها ولا مدى الفوائد المتكاثرة المستمرة المجتناة منها .

***

والى جانب ذلك فقد كان القرآن أقوى من كل شيء ، دعوة الى التحقيق بالعلم بصفة عامة مطلقة ، وذكر العلم فى آيات القرآن عشرات ، وعشرات المرات ، كما كان اقوى من كل شيء ، دعوة الى التحقق بالعلم الكونى بصفة خاصة فحفز الهمم ولفت الأبصار والبصائر الى النظر فى ملكوت السموات والارض وتأمل أحوال الطبيعة ، مما اعتبر سبقا للدلالة على التجربة العلمية — كما نبه على ذلك « اقبال » — واكتشاف اسرارها واستخراج منافعها **((قل انظروا ماذا فى السموات والأرض))** الى عشرات الآيات من هذا القبيل — مما يطول ذكره جدا ، ويكفى ان تفتح المصحف لتقرأ فى أى صفحة ، فسيطالعك من هذا الجنس شيء .

الشكل الثانى من موقف القرآن من العلم .

هل يتعارض القرآن مع العلم ام لا يتعارض .

قضايا العلم اما ان تكون قطعية وآما أن تكون ظنية .

ومعنى قطعية القضية العامية ان يكون دليل ثبوتها قطعيا ، كما أن معنى كونها ظنية أن يكون دليل ثبوتها ظنيا .

والدليل القطعى « هو ما لا يحتمل متعلقه النقيض بوجه » ، والدليل الظنى ما كان على خلاف ذلك .

والنص القرآنى — ايضا — اما ان يكون قطعى الدلالة ، أو يكون ظنى الدلالة فمثال الاول قوله : **((للذكر مثل حظ الانثيين))** وقوله **((فاجلدوهم ثمانين جلدة))** فدلالة الفاظ مثل هذه

الإسلام هو مجموع الأحكام الإعتقادية، والشرائع العملية المفرغة من نص القرآن الكريم، وما انبنى عليه من السنة والإجماع والقياس، ذلك أن أصل مدارك الأحكام إنما هو القرآن وحده، لأن السنة بيان القرآن..

النصوص على معانيها لاتحتمل الا معنى واحدا على جهة القطع . وهو معنى القطع

ومثال الثاني : قوله : « **فامسحوا برءوسكم** » فانه عند المجتهدين محمول على معان متعددة ، وهو معنى الظن : فمنهم من حمله على افادة وجوب مسح كل الراس لان «الباء» الداخلة على لفظ « رءوسكم » « زائدة » ، ومنهم من حمله على افادة وجوب مسح ربع الراس — لان « الباء » عنده تدخل على الآلة ، تقول قطعت « الزبد بالسكين » فالسكين آلة القطع ، وفى الاية جعلت الراس آلة للمسح ، فكان الواجب مسح مقدار اليد التى اعتبر الراس اداة مسحها ، وقدر ذلك بربع الراس — ومنهم من قال غير ذلك وهو المطلوب لنا بهذا المثال المشتمل على تعدد الاقوال الخارج بذلك التعدد من حيز الدلالة القطعية الى الدلالة الظنية والأصل عدم تعارض القرآن مع العلم ، لان خبر الله لا ينافى قدر الله ، وانما يبدو التعارض بينهما ظاهرا لقصور علمنا .

فان تعارض حكم ظنى من العلم بنص ظنى من القرآن ، فلا تعارض بينهما ، لان الظنيات لا تتعارض ، لانه ليس بينها قدر مشترك من اليقين يثبته أحد الدليلين وينفيه الاخر .

وان كان احدهما قطعيا والاخر ظنيا غلب العمل بالدليل القطعى على العمل بالدليل الظنى ايهما كان ، لاجماع اهل العلم على انه لا اعتبار لوجود الدليل الضعيف مع وجود الدليل الأقوى منه .

وانما يكون الاشكال اذا تعارض حكم قطعي من العلم بنص قطعى من القرآن .

فذهب « الرازى » الى الجزم بتاويل نص القرآن حينئذ — كما فى قوله تعالى: « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئه » وتاويله : ان ذلك يكون بحسب راى العين — لأن العقل أصل ، والشرع فرع عنه ، فلو غلبنا العمل بالشرع على العمل بالعقل لعاد الفرع على أصله بالنقض — وذلك باطل، وانما يفهم ذلك مما قرره علماؤنا ان العقل يستقل باثبات وجود الله ، ووحدانيته ، واتصافه بالحياة والعلم . والارادة . والقدرة . وجواز ارسال الرسل عليه ، ثم بعزل العقل نفسه ، فلا يتوقف العقل على الشرع فى هذه الأمور . لان الشرع متوقف عليه فيها — فلو توقف عليه العقل لزم من ذلك « الدور » والدور باطل .

وتوضيحه ببساطة : لا يصح ان تقول علم ثبوت القرآن متوقف على وجود

القرآن وحده مدرك الشرع ، لأن مدارك الشرع الأخرى راجعة إليه ، غير مستقلة بنفسها ، ويكون الطريق إلى معرفة مواطن الوفاق والخلاف بين الإسلام وبين شئون الحياة ، والأحداث الجارية في الزمن - إنما هو طريق معرفة مواطن الوفاق والخلاف الواقعة بين دلالات القرآن ... وبين هذه الشئون والأحداث الزمنية ..

الله ، وعلم وجود الله متوقف على علم ثبوت القرآن ، لأن هذا دور باطل لا يؤدي الى صحة ثبوت القرآن ولا الى صحة وجود الله، وانما تكسرهذا الدور بأن تقول: علم ثبوت القرآن متوقفعلى علم وجود الله لكن علم وجود الله ثابت بالعقل وحده ، لا بالشرع ، فمن هذا يصح الشرع من حيث صحة انبائه على دليل العقل وحده .

موقف الاسلام من الحضارة المعاصرة:

الحضارة فى تعريفنا ـ صور من العمران المتقدم مبينة على اساس من المعرفة المتقدمة. فالجامعة، والمستشفى والصحيفة ، والمتحف ، والحديقة العامة ، والمصنع والبرلمان ، والمحكمة المكتملة العناصر القضائية : كل هذه ونظائرها من صور العمران المتقدم . موجودات حضارية يسبقها مادة من الثقافة والفكر توحي لاصحابها بامكان **اوضاع من الحياة افضل تستدعى سعى الانسان لتحصيلها ـ بما يحفز اصحاب هذا الوعى الى صنع الموجودات الحضارية. فالثقافة والمزيد من الثقافة امر سابق على الحضارة، ولكنه لاينقطع بوجودها ، بل يزداد حجما وكيفا بوجودها .**

ان الحضارة مقابلة لـ « البداوة » فيتعين ان تكون اسبابها نقيضا لاسباب البداوة ، واذا كانت اسباب البداوةهى بغير شك انعدام الثقافة والعلم قبل اى سبب محتمل آخر ، فتعين أن يكون سبب الحضارة الثقافة والعلم .

ولقد اخطأ « فولبرايت » صاحب كتاب قصة الحضارة ، هذه الطريقة ، فعرف الحضارة بقوله : « الحضارة نظام يعين الانسان على زيادة الانتاج الثقافى » وهو تعريف مختل لسببين :

أحدهما انه تعريف بالمجهول ، لانه بناه على زيادة الانتاج الثقافى ،والثقافة ماهى ؟ انها ليست الأمر المعلوم الذى تشرح به « الماهية »

وثانيهما : انه اوهم ان الثقافة هى ابتداء متأخرة عن وجود الحضارة لا سابقة عليها ، مع أن العكس هو الصحيح .

والتصريح بزيادة الانتاج لا يمنعطروء هذا الابهام ؛ لان كثرة المسبب المعلولة بسبب لاتنافى ان يكون السبب علة للكثرة والأصل معا ، وانما وقع افراد الكثرة بالتصريح للتنبيه على قوة السبب .

وقد يقال ـ ايضا ان التعريف غير « مانع » لان العبقرية ـ ايضا ـ تعين الانسان على زيادة الانتاج .

فتعريفنا للحضارة اذن اضبط وادق مما عرف به « فولبرايت » .

من المؤكد أن المسلمين جميعا لم يشركوا في ذات الله أحداً ، لكنهم فيما يتعلق بوحدانية العبادة ووحدانية الخلق والأمر ، قد أصابهم في سلوكهم كثير من الجهالة والإنحراف .

اساس الحضارة امران : كما قدمناقى التعريف ــ العلم المكسب صاحبه وعيا بوجود عمرانى ارقى واتم ، وهــــذا المعنى قد نبه عليه القرآن بمثل قــوله تعالى : ((وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه)) فان اعلام الله الخاق بتسخير مافى السموات ومافى الأرض تحريض لهم على أن يســخروا هم مافيهما من اجزاء الطبيعة التسخير الخاص بهم المناســب لظروفهم الباعثة، وحاجاتهم المستدفعة وذلك يســتدعى تحصيلهم للعلم الذى يدلهم على مسالك تحقيق هذا التسخير .

والامر الثانى : ايجاد صور العمران المتقدم : وهذا المعنى قد نبه علىاعتباره حكم الله بكون الانسان خليفــة عنــه فى عمارة الكون . ولا شك ان لتحقيق هذه الخلافة من الانسان وجــــوها متعددة ، اظهرها انشاء الموجــودات الحضارية التى مثلنا لها آنفا .

فقد تبين لكم الآن موقف الاسلام من العلم والحضارة جميعا .

وتجديد الاسلام من هذه الناحيةانما يكون بفتح ابوابه على مصاريعها . لكل علم جديد . وكل حضارة جــديدة نافعة .

ولقد تعاظمت قوة الاسلام وازدادت فاعليته فى خدمة العالم . والاحســان للبشر وازدهرت حيــــــاة الامم التى استظلت برايته يوم فتح الاسلامابوابه على أوسع جهاتها لاستقبال علوم الامم وحضارتها ــ من فارسية ــ واغريقية ــ ورومانية ــ وهندية وغــــيرها ــ حتى كان من أمر المسلمين ما كان من المحنة ، والتمزق ، وخمود الجذوة .

ففصلوا ما بين الاسلام ، واستقبال، الحضارات المتفوقة وعادوا بينهما عداء اعمى وأصم ، لا يبصر الواقع ولايسمع النذير ... وظهر فيهم من مشــــايخ السوء من يجنح لهذه العداوة غــــير المنطقية ، بمثل قوله تعالى **((يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون)) .**

وربما كان الذين لا يعلمون الاظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ــ هم هؤلاء المشايخ انفســهم المسئولون بهذا اللون من الجهالة وقصر النظر عن تقلص الاســـلام ، وهزيمة المسلمين من اعدائهم ، وتخلف من بقى يصارع منهم مسئولية تعد اكبر جرما من مسئولية غيرهم فى هذا الصدد .

اما بعــــد ، فلعلنــــا نكون قــــد بينا من هــــذا الموضـــــوع ما فيه بلاغ . والله الموفق .

مقام العقل فى مدرسة التجديد الدينى الحديث

● محمد عمارة ●

« الحكم للعقل والعلم .. والانسان من اكبر اسرار هذا الكون ، ولسوف يستجلى بعقله ما غمض وخفى من اسرار الطبيعة ! »
جمال الدين الافغانى

« العقل هو جوهر انسانية الانسان ... وهو افضل القوى الانسانية على الحقيقة ... والله قد جعل قوة العقل للانسان محور صلاحه وفلاحه ، فبه افترق وتميز عن الحيوانات ... »
محمد عبده

● كانت فكرية العصور الوسطى التى بدأت بسيطرة العسكر المماليك على مقاليد الأمور فى عالمى العروبة والاسلام ـ كانت هذه الفكرية تنفر من العقل ، كمعيار للبحث والحكم والتفكير ، وتتنكر للعلوم العقلية ، وتقف عند العلوم « الأدوات » ، دون علوم « المقاصد والغايات » ، وكان عداؤها للفلسفة تجسيدا لهذا الموقف من العقل والعقلانية ...

فالدولة العثمانية ، مؤسسات وشيوخا وسلاطين ، كانت تشجع الفكر المؤسس على الخرافة ، وتنفر من الفلسفة ، وتعادى أداتها فى البحث ، وهى العقل ... واذا كان المقام لايتسع لاستقصاء ادلة هذا الحكم ـ الذى لا نعتقد انه موضع خلاف بين اغلب الباحثين ـ فان بعض الامثلة تكفى فى هذا المجال ... فالامام الغزالى قد الف كتابه « تهافت الفلاسفة » الذى شن فيه اكبر هجوم على الفلسفة والفلاسفة ، وعلى قوانين السببية وقوانين الطبيعة .. الخ ...

ورد عليه ابو الوليد بن رشد بكتابه « تهافت التهافت » الذى انتصر فيه للفلسفة والعقل والعقلانية ... فلما جاء الكاتب التركى العظيم حاجى خليفة « ١٠١٧ ـ ١٠٦٧ هـ ١٦٠٩ ـ ١٦٥٧م » فصنف موسوعته « كشف الظنون ، عن أسامى الكتب والفنون » وهى التى احصى فيها العلوم والفنون والكتب التى وضعت فيها ـ كانت وقفته أمام هذين الكتابين تجسيدا لمكان كل منهما فى المناخ العثمانى .. فهو قد افرد حديثا « لتهافت الفلاسفة » استغرق مائة واثنين وثلاثين سطرا ، بينما لم يفرد « لتهافت التهافت » حديثا ، وانما عرض له فى التذييل والتعقيب على حديثه عن كتاب الغزالى ، ولم يزد هذا التعقيب على ستته أسطر فقط لا غير !

الله يخاطب فى كتابه الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولاحد .. والوقوف عند حد فهم العبارة مضرٌّ بنا ، منافٍ لما كتبه أسلافنا من جواهر المعقولات ، التى تركنا كتبها فراشًا للأتربة بينما انتفعت به أمم أخرى أصبحت الآن متفوقة الحضارة !

والازهر وقتذاك لم يكن يطيق مجرد سماع مصطلحات واسماء مثل : الفلسفة ، والمنطق ، والمعتزلة ، الخ .. ومن العبارات التى غدت حكما على السنة عدد من شيوخة : « من تمنطق ، فقد تزندق ! »

وعندما جاء جمال الدين الافغانى « ١٨٣٨ — ١٨٩٧ م » الى مصر ، وعقد بمنزله حلقة درس أملى فيها تعليقاته على كتاب « شرح الدوانى للعقائد العضدية » وافاض فى الحديث ، باحترام وعمق ، عن فلسفة الاسلام وفلاسفته ، كان يذكر الناس باشياء قد نسوها واعلام كادوا ان يجهلوهم ..

وكان محمد عبده « ١٨٤٩—١٩٠٥ م » — وهو لايزال طالبا بالازهر يومئذ — يخرج من بيت الافغانى الى الجامع الأزهر ، فيجمع نبهاء الطلاب ، ويعيد عليهم ماسمعه فى بيت جمال الدين ، فلما علم الشيخ عليش « ١٨٠٢ — ١٨٨٢ م » ان اسم « المعتزلة » قد تردد فى جنبات الازهر حمل عصاه الشهيرة وذهب « ليكسر عظام محمد عبده » ، ولكن الله سلم ، فلقد استعد محمد عبده للصدام ، فتراجع الشيخ عملا بقول القدماء : القتل أنفى للقتل .. واعداد العدة يمنع الصدام ! ..

ذلك كان مناخ فكر الدولة العثمانية، وموقف مؤسساتها من العقل والفلسفة .. فماذا صنع تيار التجديد الحديث واليقظة الحديثة — الذى بدأ بالافغانى وتجسدت قيادته فيه وفى محمد عبده

— ماذا صنع هذا التيار على هذه الجبهة — جبهة العقلانية ؟ ..

ان الافغانى ، راس هذا التيار ، قد قدم نفسه كفيلسوف ، ليس بما احيا من دروس الفلسفة ومباحثها فقط ، ولكن بسلوكه وتصنيفه لنفسه — فهو اذا كان شجاعا ولا يخشى اعداءه ، بل ولا يخشى الموت فى سبيل غاياته ، فان هذه الشجاعة اثر من آثار الفلسفة على ذاته ، وثمرة من ثمار نظرته للعالم كما ينظر الفيلسوف : « ايها الدرويش الفانى : مم تخشى ؟! .. اذهب وشانك ولا تخف من السلطان ، ولا تخش الشيطان ؟! .. كن فيلسوفا ترى العالم العوبة ! ولا تكن صبيا هلوعا ؟! .. انه سيان عندى طال العمر او قصر .. فان هدفى ان ابلغ الغاية ، وحينئذ اقول : فزت ورب الكعبة ! » ..

وهو امام تلاميذه وبين مريديه صورة عصرية للفيلسوف المناضل ، لا الذى يعيش منعزلا فى خلوة او فوق سطح منزله يتامل النجوم ! بل وللفيلسوف المتصوف ، الذى جمعت العقلانية فيه بين الفلسفة والتصوف العقلى .. فهو صورة جديدة على عصره لكل من الفيلسوف والصوفى ..

ومن تعريفاته الطريفة فى هذا المقام : « الفيلسوف ، ان لبس الخشن واطال المسبحة ولزم المسجد ، فهو صوفى . وان جلس فى قهوة « متاتيا » وشرب الشيشة ، فهو فيلسوف ! » قال ذلك وهو يشرب الشيشة فى قهوة





« متاتنا » بميدان العتبة الخضراء بالقاهرة !.

وعلى حين كان موقف الدولة العثمانية من ابن رشد وفلسفته ماقد علمنا ، فان هذا التيار قد احل ابن رشد مكانا عليا ، بل لقد كانت فلسفة ابن رشد ، وتوفيقه بين العقل والنقل، بتأويل النقل اذا تعارض ظاهره مع براهين العقل ، وبمؤاخاته بين الحكمة — « الفلسفة » — وبين الشريعة .. كانت هذه الفلسفة ، مع التصوف الفلسفى لابن عربى من ابرز المنطلقات التى انطلق منها هذا التيار التجديدى فى هذا الميدان .

ولقد دخلوا هذه الساحة داعين الناس الى العودة للبديهيات « فلقد بدأ الانسان بداية لا تميزه عن غيره من الحيوانات ! .. لكن نقطة الافتراق **كانت قوته العاقلة .. والله قد جعل قوة العقل للانسان محور صلاحه وفلاحه ... والعقل هو جوهر انسانية الانسان .. وهو افضل القوى الانسانية على الحقيقة ...** » « والحكمة — « أى الفلسفة » — وآلتها العقل — هى مقننة القوانين ، وموضحة السبل ، وواضعة جميع النظامات ، ومعينة جميع الحدود، وشارحة حدود الفضائل والرذائل ، وبالجملة ، فهى قوام الكمالات العقلية والخلقية .. فهى اشرف الصناعات ! » .

ونقيض العقل وعدوه هو الجمود ، والصراع بينهما ازلى ، لكن النصر للعقل فى هذا الصراع حتمى واكيد .. والافغانى يصور هذه المعركة ، التى كانت فى الحقيقة معركة تياره التجديدى فيقول : « لبث الانسان يقلب طرفه فى الفضاء وطبقات الهواء ، يتجادل عقله مع النسور والعقبان المحلقة ، ويهب لمجاراتها واللحاق بها ، ثم يقعده الجمود ويريه ذلك مستحيلا فيرجع الى الوراء ، والعقل وهو معتقل بذلك الجمود ، يحاول فك قيده ليسير الى الامام .. **فاذا ظفر العقل فى هذا العراك والجدال ، وتغلب اقدامه على الاوهام ، واستطاع فك قيوده ، ومشى مطلق السراح ، لايلبث طويلا الا وتراه قد طار باسرع من العقبان ، وغاص فى البحار يسابق الحيتان ، وسخر البرق بلا سلك لحمل اخباره ، وتحادث عن بعد اشهر مع غيره كانه قاب قوسين او ادنى . وهل يبقى مستحيلا ايجاد مطية توصله للقمر ، او الاجرام الاخرى وما يدرينا بعد ذلك ما ياتيه الانسان فى مستقبل الزمان اذا هو ثابر على هذا السير لكشف السر بعد السر من مجموع اسرار الطبيعة ، التى ما وجدت الا للانسان ، وما وجد الانسان الا لها !.. ان الانسان من اكبر اسرار هذا الكون، ولسوف يستجلى بعقله ماغمض وخفى من اسرار الطبيعة ، وسوف يصل بالعلم وباطلاق سراح العقل الى تصديق تصوراته ، فيرى ما كان من التصورات مستحيلا قد صار ممكنا ، وما صوره جموده بانه خيال قد اصبح حقيقة !.»**

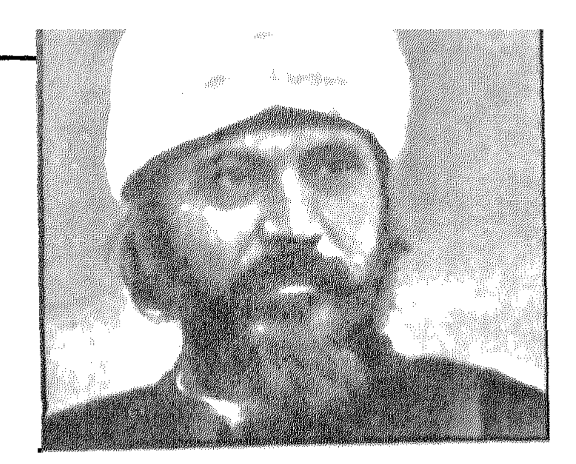
على هذا النحو كانت الثقة بالعقل وقدراته ، وكان التنبؤ ، قبل عصرنا ، بما حقق فى عصرنا من انتصارات ، وكان القطع بانه سيحقق كل الانتصارات ، اذ لا سر فى الطبيعة والكون سيستعصى على الكشف بواسطة هذا العقل الانسانى !.

والافغانى ، الذى يقول « ان الحكم للعقل والعلم » ، لا ينكر ان للعقل نظرات ، ولنظراته ثمرات هى فوق ادراك العامة والجماهير ..

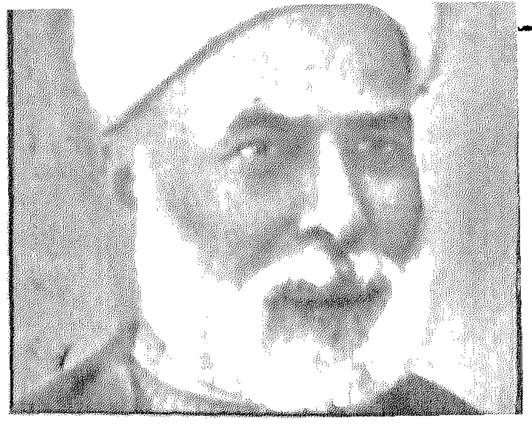
وهنا نتذكر منهج ابن رشد عندما قسم الناس الى مستويات ثلاثة :

العامة : وسبيلهم للمعرفة والايمان: الوعظ والخطابة ، والاسلوب الشعرى

واوساط الناس : وسبيلهم الجدل وحجج المتكلمين ..



جمال الدين الافغانى



الامام محمد عبده

والخاصة : وسبيلهم صناعةالفلسفة وبراهين العقل ..

وانطلاقا من هذه النظرة يقــــــول الافغانى : « ان العقل لايوافق الجماهير وتعاليمه لا يفقهها الا نخبة من المتنورين والعلم ، على ما به من جمال لا يرضى الانسانية كل الارضاء ، وهى تتعطش الى مثل اعلى ، وتحب التحليــق فى الآفاق المظلمة السحيقة التى لا قبــل للفلاسفة والعقلاء برؤيتها او ارتيادها ؟!

***

ومسرح العقل وميدانه ليس امـور الدنيا وعلومها فقط ، بل وعلوم الدين ايضا ، والدين الاسلامى عــلى وجه الخصوص ، فالايمان ، يقين « ولا يقين مع التحرج من النظر ، وأنما يــكون اليقين باطلاق النظر فى الاكوان ، طواها وعرضها ، حتى يصل الى الغاية التى يطلبها بدون تقييد . فالله يخاطب فى كتابه ، الفكر والعقل والعلم ، بدون قيد ولا حد .. والوقوف عند حــد فهم العبارة مضر بنا ، ومناف لما كتبه اسلافنا من جواهر المعقــولات ، التى تركنا كتبهافراشا للاتربة واكلة للسوس، بينما انتفعت به امم اخرى أصبحت الآن تنعت باسم النور ! ... »

وحتى « المعجز الخــارق » الذى تحدى به الاسلام خصومه ــ « وهــو القرآن وحده ــ قد دعا النـــاس الى النظر فيه بعقولهم .. فهو معجـــزة عرضت على العقل ، وعرفته القــاضى فيها ، واطلقت له حق النظر فى انحائها، ونشر ما انطوى فى اثنائها .. فالاسلام لا يعتمد على شىء سوى الدليل العقلى، والفكر الانسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى ، فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشى بصرك باطوار غير معتــادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ،ولا يقطع حركة فكرك بصيحة الهية .. »

والتقليد ، حتى فى العمــل الدينى الصالح ، ليس من شأن المؤمنين « اذ المرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينـــه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به .. فمن ربى على التسليم بغير عقل ، والعمل ، ولو صالحا ، بغير فقه فهو غير مؤمن، **لانه ليس القصد من الايمان ان يذلل الانسان للخير ، كما يذلل الحيــوان ، بل القصد منه ان يرتقى عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان فى دينــه ، فيعمل الخير لانه يفقه انه الخير النافع المرضى لله ، ويترك الشر لانه يفهـــم سوء عاقبته ودرجة مضرته فى دينـــه ودنياه ، ويكون فوق هذا ، عــــلى بصيرة وعقل فى اعتقاده .. فالعاقل لا يقلد عاقلا مثله ، فاجدر به ان لا يقلد جاهلا هو دونه ! .. »**

ومن هذا المنطلق الفلســــفى ، المسترشد بالعقل ، أبرز هذا التيــار

التجديدى العلاقة الضرورية بين الاسباب والمسببات .. وهى من الافكار المحورية فى معارضة فكرية التواكل التى لعبت دورها فى تخلفنا بالعصور الوسطى :
فالعالم الجزائرى عبد الحميد بن باديس « ١٨٨٩ – ١٩٤٠ م » – وهو من أعلام ذلك التيار التجديدى – يرجع نجاح الامة فى عصر حضارتها الذهبى الى ايمانها بارتباط المسببات بالاسباب ، وهو الايمان الذى اثمر الاعتقاد بحرية الانسان واختياره ، وبأن للاشياء ، فى ذاتها وبطبيعتها ، نفعا او ضررا ، حسنا او قبحا ، بصرف النظر عن النصوص والنقل والمأثورات ..

وهذه القضية ، قضية ابراز ما للاشياء والعوامل والظواهر الطبيعية من خصائص وافعال وتاثيرات قد وجدت لها حيزا ملحوظا فى الفكر الفلسفى لهذا التيار التجديدى .. فالافغانى يبدى اعجابه بتلك العبارات التى صاغ فيها المفكر العربى ابو بكر بن بشرون « قبل اكثر من الف عام » افكاره العلمية عن اصل الحياة ، والتى يقول فيها : « ان الحركة هى الاصل فى توليد الحرارة ، وللحرارة خاصية نقل الاشياء وتحركها ، والكون ، بما فيه من رطوبة ويبس ، ليس لهما الا البرودة والحرارة ، فالبرودة تيبس الاشياء وتعقد رطوبتها ، والحرارة تظهر رطوبتها وتعقد يبسها ، والمرجع الكلى فى الاشياء : الحرارة المنبعثة عن الحركة ، وهى اصل الحياة ، ومتى فقدت حرارة الكون تعذرت الحياة ، او فقدت ! » .

ولقد قاد هذا الموقف ، المؤمن بالعلاقة الضرورية بين السبب والمسبب ، بين العناصر الطبيعية وبعضها ، قاد الافغانى الى الايمان بنظرية النشوء والارتقاء ، بعد ان كان قد انتقدها فى صدر شبابه بكتابه « رسالة الرد على الدهريين » ، بل وبحث عن تراث العرب فيها ، فلما ساله سائل عن مراد ابى العلاء المعرى « ٣٦٣ – ٤٤٩ هـ ٩٧٣ – ١٠٥٧ م » بقوله :

والذى حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد

وهل مراد المعرى هو « ما عناه » « داروين بنظرية النشوء والارتقاء ؟ » .
كان جواب الافغانى : « .. ان مقصد ابى العلاء ظاهر واضح ، ليس فيه خفاء ، فهو يقصد النشوء والارتقاء اخذا بما قاله علماء العرب قبله بهذا المذهب ، اذ قال ابو بكر بن بشرون فى رسالته « لابى السمح » ، عرضا ، فى بحث الكيمياء : « ان التراب يستحيل نباتا ، والنبات يستحيل حيوانا ، وان ارفع المواليد هو الانسان « الحيوان » ، وهو آخر الاستحالات الثلاثة وارفعها .. وان ارفع مواليد التراب « ومنه المعادن » : النبات ، وهى ادنى طبقات الحيوان .. سلسلة تنتهى عند الانسان .. الخ .

فاذا كان بناء مذهب النشوء والارتقاء على هذا الاساس ، فالسابق فيه علماء العرب ، وليس « داروين » ، مع الاعتراف بفضل الرجل وثباته وصبره على تتبعاته ، وخدمته للتاريخ الطبيعى من اكثر وجوهه ، وان خالفته وخالفت انصاره فى مسالة « نسمة الحياة » التى اوجدها الخالق سبحانه وتعالى ، لا على سبيل الارتقاء ..

ولم يجد هذا التيار التجديدى – مثلهم فى ذلك مثل ابن رشد – اى حرج فى تقرير علاقة السببية ، على الاعتقاد والايمان الدينى العميق بوجود الخالق الفاعل فى هذا الكون ، سبحانه وتعالى .. لانه سبحانه هو الذى خلق الكون وخلق القوانين والسنن التى لاسبيل الى

نقيض العقل وعدوه هو الجمود .. والصراع بينهما أزلي .. لكن النصر للعقل في هذا الصراع حتمي وأكيد!

خرقها وتبديلها فعلى حين تحرج الغزالي من تقرير علاقة السببية حتى قال ان الثلج ليس هو السبب في برودة الماء ، والنار ليست هي السبب في احتراق القطن ، والسيف الذى جز العنق ليس هو السبب في القتل ! .. لم يتحرج اعلام هذا التيار في تقرير هذه العلاقة الضرورية ، باعتبارها سنن الكون وقوانينه وقوى المواد الطبيعية وخصائصها وفعل الظواهر المادية التي لا تتخلف عن الفعل الا اذا عاقها سبب وقانون جديد ..

ووجدنا الامام محمد عبده يتناول هذه القضية في جلاء فيقول : «ان القول بنفي الرابطة بين الاسباب والمسببات جدير باهل دين ورد في كتابه ان الايمان وحده كاف في ان يكون للمؤمن ان يقول للجبل : تحول عن مكانك ، فيتحول الجبل ! .. يليق باهل دين تعد الصلاة وحدها ، اذا اخلص المصلي فيها ، كافية في اقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصري !.. وليس هذا الدين هو دين الاسلام .. دين الاسلام هو الذى جاء في كتابه : ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم)) ـ ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)) ـ ((سنة الله في الذين خلوا ولن تجد لسنة الله تبديلا))

وامثالها .. وليس من الممكن لمسلم ان يذهب الى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب في السببية والمسببية الا اذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله ! ان لله في الامم والاكوان سننا لا تتبدل .. وهي التي تسمى شرائع، او نواميس او قوانين .. ونظام المجتمعات البشرية وما يحدث فيها ، هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل ، وعلى من يطلب السعادة في المجتمع ان ينظر في اصول هذا النظام حتى يرد اليه اعماله ، ويبني عليها سيرته ، وما ياخذ به نفسه ، فان غفل عن ذلك غافل فلا ينتظر الا الشقاء ، وان ارتفع في الصالحين نسبه ، او اتصل بالمقربين سببه . فمهما بحث الناظر وفكر ، وكشف وقرر اتى لنا باحكام تلك السنن ، فهو يجري مع طبيعة الدين ، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه ، ولا تنفر منه ! .. »

هكذا .. وعلى هذا النحو تألق العقل في مدرسة التجديد الاسلامي الحديث ، وعادت له في مباحث اعلام هذه المدرسة تلك المكانة العلية التي تبوأها من قبل في الاسلام ، كدين ، والاسلام ، كحضارة ، عندما استطاع العرب والمسلمون بسلطانه ان يصبحوا سادة الدنيا في الماديات والمعنويات !

ولا نحسبهم بالغين ما يريدون ـ اليوم وغدا ـ الا بهذا السلطان ؟!

ليس كل جديد بدعة ضالّة أو مُضلّلة..

قد يكون في الجديد عطاء الله للأمة

● د . محمد كمال جعفر ●

● من اروع ما يطالع المتامل فى الابعاد الفكرية للنظرة الاسلامية للوجود ، مبدآن يعتبران فى نظرنا الركيزة الاساسية ، والقناة الاصيلة التى يمر عبرها تيار التجديد والابداع وفى بساطة سافرة نشير الى هذين المبدأين الهامين بكلمتين قريبتين هما : الحركة ، والزمان ..

ودون أن نقحم القارىء فى بحث فلسفى موغل حول مفهوم هذين اللفظين عند الفلاسفة والحكماء ، فاننا نكتفى بأن نتنزه مع القارىء فى رياض القرآن ، لنرى بأنفسنا كيف اهتم الاسلام بهذين المبداين ، وكيف أبرز لكل فطن لبيب مبررات هذا الاهتمام ...

أما الحركة فقد جعلها القرآن الكريم طابع الوجود ، تسرى فى أوصاله وتشمل ارجاء الكون ، علوه وسفليه ، ظاهره وباطنه . فكل شىء يسبح بحمد الله فى حركة تسخيرية تسير وفق قانون منظم ، يستغرق عرض تصورها مقالات ضافيات ، ولكننا سنقتطف بعض الملامح السريعة التى تكفل نقل ما نريد فى هذا المقال .

وأول ما نلحظه فى هذا الصدد هو أن الحركة فى حد ذاتها على المستوى القريب المباشر ، تعد الأمارة الظاهرة الملموسة على الحياة ، كما يعتبر السكون والهمود والخمود والجمود أمارة واضحة على الموت والتلاشى .. وأن الحركة والحركية ترتبطان دائما بالفاعلية والتغيير والتبديل فى المواضع والأبعاد من اجل غايات ونهايات محددة .

والآن وقد تاملنا ذلك ، فلنستمع الى هذه الآيات الكريمة التى نعرضها فى غير ترتيب سورها ، لتشهد فى مواضعها المختلفة بما نود تاكيده من أن الحركة ـ ومعها الحياة ـ تسرى فى خلايا الوجود ، وانها نفاذة الى مواطن أرجائه ظاهره وباطنه ، المحسوس منها والمعنوى ، الالهى منها والارضى .

ومن أقرب دلائل الحركة المحسوسة الظاهرة ما تنطق به هذه الآيات : **((والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون)) .**

مما لا جدال فيه أن الانطباع السريع لهذه الآيات فى ذهن المنصت لها هو انطباع بتأثير الحركة التى تعتبر العامل المشترك بين الظواهر التى تتحدث عنها

إننا لا نقدر الوقت حق قدره، سواء كان ذلك فيما يتعلق بأوقاتنا نحن أو بأوقات الآخرين، مع أننا أمة شرح الإسلام لنا في عديد من المناسبات قيمة الوقت وخصوبته في الحياة الإنسانية

هذه الآيات، وقد توج ذلك بقوله تعالى « **... وكل في فلك يسبحون** » .

ولعل هنا سرا في العلاقة بين التسبيح والسباحة من حيث أصل الاشتقاق، فهما على كل حال يشتملان على الحركة والانتقال .

لقد صور القرآن الكريم الأنهار والبحار والفلك تجرى لا تكف عن الجريان، وصور الحركة في النبات وتفاعله مع الأرض والماء، ولم يكتف بهذا، بل جعل الأرض تشارك في هذه الحركة بايجابية وفاعلية اذ يقول سبحانه : « **ومن آياته انك ترى الارض هامدة . فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج** » .

وصور النخل باسقات، وصور الطير صافات ويقبضن، ما يمسكهن الا الرحمن . وصور ظهور النبات ونموه « ثم يهيج فتراه مصفرا » . وصور الكائنات كلها بما يشمل الدواب والحشرات والادميين والجن والملائكة في حركة دائبة لا تفتر . وكان هدير تيار الحياة ـ وعنوانها الحركة ـ هذا التيار الذى هو في منتهاه من اسرار الخالق جل شانه ـ كان هدير هذا التيار هو الطاقة التى تنظم بين الكائنات وتربطها ربطا وثيقا بواهب الحياة .

والحركة في الوجود نوعان : حركة قسرية آلية رتيبة، وحركة ارادية اختيارية هادفة ... وقد شاء الخالق أن تكون الحركة الاولى وهى القسرية الآلية الرتيبة هي حركة ماسوى الانسان . أما الانسان فكان وحده المميز بالحركة الارادية الاختيارية لأنه للتكليف أعد، ولحمل المسئولية أو الأمانة اختير . فانخراط الكائنات في سلك القانون الالهى القاضي بالتسخير والتزام الكائن بالدور المراد به ومنه لا يعدوه الى غيره لأنه ليس عنده البديل . والكائنات بهذا قد اراحت واستراحت فلا تملك الأرض أن تبخل بما في بطنها متى سلك الانسان اليه السبيل، ولا تملك الشمس أن تعدو حدها او تهمل عملها .. ولا يملك سائر الحيوان أن يخرج عن النطاق الملتزم به بقاعدة التذليل والتسخير، حتى الملك نفسه ـ على شرفه وطهارة أصله ـ لا يملك القدرة على الانحراف عن الجادة التى رسمت له، فالملائكة « **لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون** » وكانهم اجهزة مضبوطة يصدر الضبط منها طبعا وليس تطبعا .

***

ومن هنا كانت كل حركة صادرة من هذه الكائنات لا تعبر عن ذاتية الكائن بقدر ما تعبر عن حكمة المكون .

أما الانسان فقد حمل الأمانة التى اشفقت منها السموات والأرض والجبال، وكان له أن يختار بين البديلين، وأن يقرر ويؤدى الحركة التى تعبر عن ذاته، وتفصح عن شخصيته،



ومن هنا كان حراً ، وكان مسئولا . واذا كان الانسان مقدرا لمكانته ودوره فلابد أن يتحرك لكى يكون مواكبا لحركة الكائنات من حوله ولكن حركته ينبغى الا تكون نشازا بين نغم الوجود ، هذا النغم الذى يسوده الانسجام والاتساق والوحدة والتكامل .

وفى الحركة الانسانية نلتمس جانبين هامين ، أولهما جانب الأصول الثابتة التى تدور حول قيم عزيزة هى موضع حب الله ، وموضع تقدير كل ذى طبع سليم ، وثانيهما جانب الابداع والابتكار بما يضيف الى الحياة الجديد الدافع الى التطور والتقدم .

ولعل أسلافنا كانوا يعنون ذلك عندما حذرونا من ان النفس اذا تركت الى طبعها الحاد ، وشهواتها العارمة ، فانها تتحرك حيث لا ينبغى التحرك وتسكن حين لا يحسن السكون ... انها تتحرك عند النهى او موضع اللوم والمؤاخذة من أوجه النشاط المفسد أو العقيم ، وهى تسكن ولا تؤدى دورا اذا واجهتها متطلبات القيم والمكارم .

***

من أجل ذلك وجب علينا ــ نحن أبناء هذا الجيل ، أن نزن حركاتنا وان نهدف بها الى تحسين واقعنا الحسى والوجدانى والعلمى ، وان نخلق الانسجام والاتساق فى ذواتنا وحركاتها الظاهرة والباطنة . فاذا عنينا مثلا بأن يكون حولنا الجمال فى شتى صوره الجسية والمعنوية ، فانه يجب أن نعنى كذلك بأن يكون الجمال ذاته فى داخلنا وفى أعماقنا ، فلا نطويها الا على النيات الطيبة والأفكار البناءة والآمال الرشيدة التى تفسح باب الرجاء فى وعى وبصر يقدر قيمة الكفاح من حيث تحقيق هذا الرجاء .

وقد بقى أن نتأمل المبدأ الثانى وهو الزمان ، ومرة أخرى لن نقتحم الميدان الفلسفى لنعرض التحليلات العميقة لمفهوم هذا المبدأ ، وانما سنقنع بالاشارة الى المعنى القريب الذى يمس حياة كل مواطن ، بل حياة كل انسان على هذه الأرض .

ومع ارتباط الزمان بالحركة من الناحية الفلسفية ومع علاقته بها من الناحية الواقعية العملية ، فاننا قد نخص الزمان هنا بالعناية ونستخدمه فى هذا المقال لنعنى به النظام التوقيتى الذى يرصد الثوانى والدقائق والساعات والأيام والسنين ، ونعتقد أن مشكلة المشاكل فى واقعنا المعاصر هى مشكلة الزمن أو الوقت .

لقد أهدرت قيمة الوقت والزمن لدينا بدرجة مؤسفة حتى بدا وكأن الزمن لا يدور ، وكأن الأيام لا تمر ، أو هى تمر ــ ولا جديد ، فأعمارنا كلها أعمار طولية رتيبة قد تكون كثيرة الكم ولكنها عديمة القيمة ، لقلة منجزاتنا كأفراد بالنسبة لما اتيح لنا من وقت وزمن .

اننا لا نقدر الوقت حق قدره سواء كان ذلك فيما يتعلق بأوقاتنا نحن أو بأوقات الآخرين ، مع اننا امة شرح الاسلام لنا فى عديد من المناسبات قيمة الوقت وخصوبته فى الحياة الانسانية حتى استلهم شاعرنا هذه الحكمة الاسلامية فى قوله :

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان

وكان هناك من الأسلاف من بين لنا كيفية اخصاب العمر واثراء الزمن بجليل الاعمال وروائع المنجزات العملية ، والحضارية .

وكثيرا ما يعرض القرآن أحوال هؤلاء الذين « **طال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** » وهؤلاء قد مر عليهم الزمن ولم يمر بهم ، فكانوا خارجه أو على هامشه ، فلم يضعوا بصماتهم عليه ، ولم يحملوه طابعهم الذين يعتزون به .

وليس بغريب أن يصنف الناس ــ والمؤرخون منهم خاصة ــ الأزمنة والعصور ، فيصفون عصرا معينا بانه العصر الذهبى ، ويسمون عصرا آخر بانه عصر التدهور والانحدار والانحلال ، كما وضعوا أيدينا على نقاط التحول

فى الزمن حيث تطوى أمة ما صحيفة معينة لتنشر صفحة جديدة قد تحدد الميلاد الحقيقى لهذه الأمة .

***

ومن الطريف أن تجد بين قصص الأولين من أسلافنا الأماجد ما يوحى بمدى ادراك هؤلاء لنفاسة الوقت وخطورة الزمن واهمية الأيام ، فقد روى عن أحدهم أنه سئل عن عمره ـ وكان قد جاوز الخمسين ـ فأجاب بأن عمره خمس سنوات فقط ... ولما تعجب الحاضرون من اجابته شرحها لهم بقوله ان هذه السنوات الخمس وحدها هى الزمن الذى عشته على المستوى المطلوب منى كانسان ... انها الزمن الذى انتبهت فيه لقيمتى ودورى فى الحياة ، ومكانتى من أمتى، ومركزى بين الكائنات ، فقمت فيها بما املاه الضمير الحى والهمة المشحوذة والقلب السليم والعقل المتفتح والسلوك الفاضل الذى يزيد فى ساحة الجمال والخير ، ويحسر من ساحة القبح والشر... أنها عمرى الحقيقى الذى افخر ابانه باننى انسان ! » .

***

واذا كان المسلمون يودعون قرنا ـ هو القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية الشريفة ـ ويستقبلون قرنا جديدا هو القرن الخامس عشر ، فان عليهم أن يراجعوا انفسهم ويحاسبوا ضمائرهم حيال هذين المبداين : الحركة ، والزمان .

عليهم الا يكفوا عن الحركة البناءة المتقدمة فى شتى مجالات الثقافة والحضارة والعمران ، وعليهم أن تشمل الحركة كافة ملكاتهم ومواهبهم ومواردهم وامكاناتهم ، رابطين ذلك كله بتقدير الزمن والضن بالوقت وعدم اهداره وقتله دون فداء . على المسلمين ان تختفى من تعبيراتهم : قتل الفراغ، او تسلية الوقت !

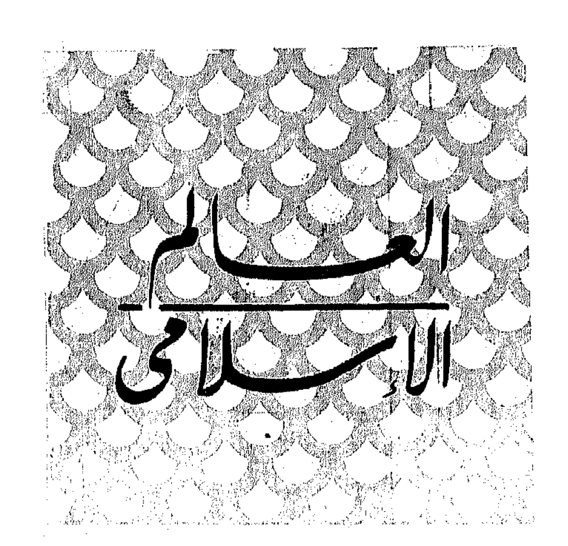
عليهم ان ينظموا عواطفهم وافكارهم وتخطيطهم واهدافهم فى اطار من الزمن المحسوب والمقدر تقديرا دقيقا ، مدركين ان الزمن نفسه لا يتغير ، وانما يتغير محتواه من خلق وأخلاق وعلى كل مسلم بصير الا يمل من تذكير نفسه بان هناك فرقا بين ما يجب ثباته ودوامه ، وما يجب تغييره وتجديده ، فهناك القيم الخالدة والمبادىء الثابتة التى تشبع كل انسان فى كل زمان ومكان ، ولكن هناك الوقائع والحالات والصور والأمثلة القابلة للتطور والتغيير .

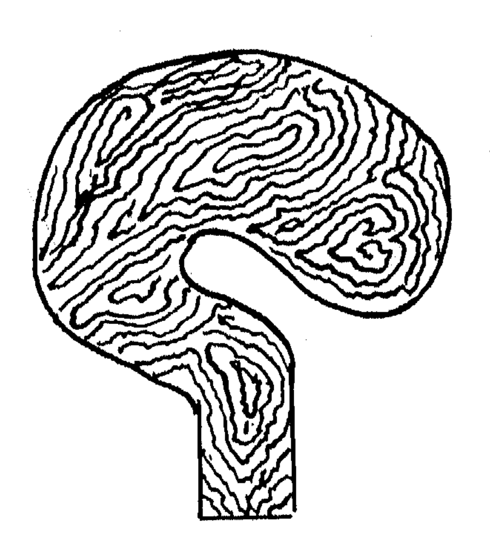
عليه الا يتزعزع مع الثوابت ، والا يجمد مع المتغيرات ... عليه أن يدرك أنه ليس كل جديد بدعة ضالة او مضلة ، بل قد يكون فى الجديد عطاء الله للأمة فى هذه الفترة أو تلك . فليس له أن ينفر من كل تجديد ، بل عليه أن يزن الأمور بالمقياس الجامع الشامل الذى يكفل للقيم ثباتها ، وللحالات والصور والامثلة الفرعية تجددها وتطورها .

***

اننا مطالبون الآن بأن نقف موقف الحزم من مشكلة الزمن ومحنة الوقت ، فنقضى على كثير من الظواهر التى تبدد أوقاتنا هباء ، وعلينا أن نغرس فى نفوس هذا الجيل احترام الوقت وتقديره ، كما علينا بالنسبة لأولادنا واسرنا أن نكون لهم القدوة والمثل على هذا الاحترام بما نعرضه عليهم من انماط سلوكنا ومواقفنا . ففى ظل هذين المبداين : الحركة والزمن يمكن لأمتنا أن تخطو بالحضارة والثقافة والعمران خطوة يحتاج اليها كل مسلم الآن ...

ونرجو أن نتبع هذا المقال بالخطة التقريبية التى يمكن أن نرسمها لكيفية تطبيق الانتفاع بهذين المبداين الجليلين فى حياتنا المعاصرة ، وبالصورة ، وثراء الانواع والمقاييس التى قدمت للزمن فى **الاسلام لنرى بانفسنا اننا نملك الكثير الثمين ، ولكننا لم نفق بعد للافادة الكاملة من هذه الروح الاسلامية الأصيلة التى تفتح ارحب الآفاق للتجديد والابداع ، وايسر السبل للاقتداء والاتباع .** ●





هل يسترد قيادته للحضارة الإنسانية



• د. محمد عبد المنعم خفاجى •

— ١ —

● ماضي العالم الاسلامي في الفكر العالمي وفي الحضارة الانسانية معروف لا يخفى على أحد ، ولم يعد يستطيع أن يجحده انسان ..

فجامعات الشرق الاسلامي ومدارسه وعلماؤه ومفكروه وأدباؤه وشعراؤه ، كل ذلك أصبح تراثا خالدا عزيزا جليلا في تاريخ التقدم والمدنية ، وفي تاريخ الانسان والانسانية ، وكان من الممكن أن يذهب التراث الاغريقي في الفلسفة والعلوم بددا ، لولا أن اعلماء المسلمين نقبوا عنه ، وحفظوا ذخائره ، وترجموا كنوزه الى اللغة العربية ، وأحاطوه بهالة من النور والاكبار ، وجاءت أوروبا بعدهم بقرون ، لتأخذ هـذا التراث عنهم ، ولتعرف ما أسداه أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم للفكر من آثار خالدة ، ثم أخذت تبحث عن مؤلفاتهم في خزائن الكتب في العالم الاسلامي وتنقلها الى مدنها ومتاحفها ودور كتبها . وحين كانت أوروبا تحارب العالم الاسلامي في الحروب الصليبيه أو في الغارات المنظمة التى كانت تشنها على بلاد المسلمين حول الثغور الاسلامية في سهول آسيا الصغرى ، أو في الجزر المتنثرة في حوض البحر الأبيض المتوسط ، أو في المدن الاسلامية في الشواطىء الشمالية الافريقية ، أو في جبال الأندلس وسهولها ، وكذلك حين كانت أوروبا ترسل السفراء والتجار الى كل مكان في بلاد المسلمين ـ كانت تطيل التحديق والتفكير في هذه النهضة الباهرة العجيبة التى تظلل العالم الاسلامى ، وترنو الى أضواء الجامعات الاسلامية باعجاب وانبهار شديدين ، وتفكر في كل ما وصل اليه العالم الاسلامى من تقدم ونهضة ورخاء ، ثم توازن بينه وبين ما هى فيه من تأخر وانحطاط وتخلف شديد عن ركب الحياة .

وحين كان شارلمان ومن معه يحاولون

ان يعرفوا كيف يكتبون ويقراون كان امثال سهل بن هارون والجاحظ وعلماء بيت الحكمة فى بغداد ، يملأون الدنيا ضجيجا بفكرهم وآرائهم ، ثم كان الخوارزمى والرازى والفارابى بعد ذلك بقليل يبحثون فى شئون الفكر والحياة وفى فلسفة ارسطو وافلاطون .

اليس ذلك كله وغيره مما لا يتسع المجال للحديث عنه من نهضة العلوم والفنون والآداب فى العالم الاسلامى منذ نهايات القرن الأول الهجرى الى فتح القسطنطينية والى سقوط الاندلس — دليلا ما بعده من دليل على تقدم المسلمين فى مجال الحضارة والمعرفة والفكر ؟

أما تاريخ المسلمين السياسى فى هذه الفترة ، بل وفيما بعدها حتى أوائل القرن التاسع عشر ، فمعروف وهو حافل بالانتصارات الباهرة التى لم يستطع شعب ولا مجموعة من الشعوب أن يحققوها فى مدى قليل كمثل هذا المدى الذى حقق فيه المسلمون معجزاتهم فى السياسة والحرب وفى النظم التشريعية والقضائية والادارية للدولة الاسلامية ، على الرغم من الأحداث الكبيرة ، التى نزلت بالعالم الاسلامى وبالشعوب المسلمة .

كل ذلك يعطينا الصورة الواضحة لروح العالم الاسلامى ، التى انبثقت من روح دينهم وشريعتهم وكتابهم العظيم .

ثم كانت النهضة الأوروبية ، وكان عصر الاستعمار ، عصر تخلف المسلمين، وغزو بلادهم واستعمارها ، ومحاولة أوروبا تجزيد الشعوب الاسلامية من كنوزهم وخيرات بلادهم ، وعملها الدائب على نقل المسلمين فكريا الى الايمان بالغرب وحضارته ، والى ترك تراثهم العظيم والى التمسك بكل ما هو وافد من بلاد (الأوروبيين) وتقديره ، ونبذ كل ما هو مستمد من روح الشرق العظيم .

وكان ما كان .. ومن أجل ذلك عاد المسلمون يعملون من أجل استعادة حريات بلادهم ، واستعادة نهضتها ، بأسلوب غربى ، وبولاء شديد للسادة المستعمرين سابقا .

— ٢ —

ويحاول العالم الاسلامى اليوم ان يعى دروس الماضى البعيد والقريب ، ولكن تيارات الحياة العالمية المعاصرة تدفعه هنا وهناك ، فيتصرف بغباء حينا ، وبنزق شديد حينا آخر ، وبدون تخطيط للمستقبل حينا ثالثا .. وفى أحيان يدركه الخور فيقف حائرا لا يدرى الى أى اتجاه يسير .

ان نكبة العالم الاسلامى اليوم تتمثل فيما يلى :

اولا : بعده عن روح الاسلام ، فليس الاسلام أموالا كثيرة تصرف فى أوروبا وغيرها ، وليس هو خزائن حديدية تملأ بالذهب ، وليس هو احتكارا لمقدرات الشعوب ، ولكنه عدالة اجتماعية شاملة وايمان بالقيم الانسانية الرفيعة ، وعدالة تامة فى كل جانب من جوانب الحياة .

نقرأ فى « **سورة الرحمن** » قوله تعالى : ((**والسماء رفعها ووضع الميزان**)) . فنمتلىء ايمانا بعظمة النواميس الالهيه المدبرة للكون ، والتى هى الميزان الحقيقى لبقاء العالم وحياته ، وضعه الله ليعيش هذا الكون الرحب فى نظام وتناسق وجمال ، وليبقى فى حياة متجددة ولذلك قال تعالى هنا: ((**ووضع الميزان**))

ومن هنا دعا الله عز وجل الى أن يحافظ كل انسان على ظهر الأرض على هذا الميزان ، فقال تعالى : « الا تطغوا فى الميزان » ، أى ويدعوكم الله عز وجل الى أن لا تتجاوزوا الحد فى هذا الميزان الدقيق ، ولا تخرجوا عن حدود العدالة والنظام فى كل شىء ، وما دام العدل هو ناموس الكون يسيره بنظام دقيق ، فليكن هو ناموس الانسان فى الحياة يسير بهداه الى الأمن والأمان والسلام والنجاة .

العالم الإسلامي

هل يسترد قيادته للحضارة الإنسانية ؟

المسلم اليوم بعيد كل البعد عن روح الاسلام فى أفكاره ومبادئه وقيمه وسلوكه ومعاملاته • وذلك هو الخطر الكبير عليه ، وعلى عالمنا الاسلامى كله • وسلوك المسلم الحقيقى لا يمكن أن يتمشى مع دعوات الفرقة والخلاف والشقاق التى تسود العالم العربى الذى هو جزء من الكيان الاسلامى الأكبر •

بل ان فرقة العالم الاسلامى اليوم تحول بينه وبين كل عمل ايجابى كريم وقوى ، وتحول دون القيام بكثير من الانجازات الحضارية الكبيرة ، فالشعوب الاسلامية لم تستطع اليوم ايجاد وحدة سياسية أو ثقافية أو اقتصادية بينها ، بل عجزت عن قيام سوق اقتصادية مشتركة بين دولها ، وكان من الممكن لو قامت هذه السوق تحقيق تكامل اقتصادى تام بين مجموعة الدول الاسلامية بعضها والبعض الآخر ••

والوحدة الثقافية ، بين شعوب المجموعه الاسلامية فى العالم ، عسيرة للغاية ، حتى اليوم ، ويمر الوقت سريعا دون امكان تلاقى المسلمين على نظام متكامل موحد فى التعليم وفى مختلف الشئون الثقافية •

ولو وعى المسلمون المعاصرون روح الاسلام وعيا جادا ، لكان لهم اليوم مكانهم المرموق فى الحياة ، ولجمعتهم عقيدتهم على الاتحاد الكامل فى كل جوانب المعيشة ، ولاحترمتهم الدنيا بأسرها ، ولصاروا أقوى وحدة سياسية فى العالم •

ثانيا : بعد المسلمين عن روح العصر ، فهم حتى اليوم لم يستطيعوا توفير (تكنولوجيا) العصر ، ولم يدركوا المبادىء التى تسيطر على المجتمعات الدوليه التى تهيمن بقوتها على العالم وحضارته ، فلم يصلوا الى القوة المادية ولا الى القوة الروحية ، التى تسير شئون الحضارة العالمية •• واذا كانت أوروبا فى القرن التاسع غارقة فى الأوهام ، يستنكر الأساتذة فى اوكسفورد الاستحمام ، ويحسبونه من ملذات العيش الشهوانية التى يجب الترفع عنها ، بينما كانت تعيش الأندلس الاسلامية من أجل اثراء المعرفة والحضارة الانسانية ، وتبلغ آدابها وفنونها وجامعاتها الذروة ، ويتردد الشباب المسلمون فيها على خزائن كتبها السبع عشرة ، ثم يعودون الى بيوتهم فيتنعمون بالاستحمام فى حمامات بلغت الغاية من النظافة والأناقة ، فان الصورة اليوم أصبحت شبه مقلوبة ، نحن نعيش فى ظلال التأخر والكسل ودعوى السيادة المزعومة ، وأوروبا تعمل ليل نهار ، لتزداد انتاجا ورخاء وثراء وقوة

اننا بعيدون حقا ، وسنظل بعيدين صدقا ، عن روح العصر والحياة — ما دام أسلوبنا هكذا لا يتغير أبدا •

ثالثا : توزع العالم الاسلامى بين مختلف الايديولوجيات وبعده عن ايديولوجيته الخاصة به ، والمميزة له • ولقد كانت أيديولوجية المسلم من قبل تدفعه الى الأصالة والمعاصرة معا ، الى الرجوع الى التراث ، والى كل جديد يهتدى اليه الباحثون بعقولهم ، والمؤمن الحقيقى لابد أن يتلقى أصول فكره من الاسلام ، وأن يجلس طويلا الى مائدة القرآن ، وأن يكون يقظا يعرف مدى الصلة الوثيقة بين الاسلام والعلم ، وبينه وبين شريعه التكافل الاجتماعى ، وبينه وبين نظريات الحرية والمساواة والاخاء كما يعرف صلة الاسلام بالمذهب الاقتصادى السليم ، وبتحرير الانسان واعزاز كرامته ، وباطلاق ارادته وكل قواه الانسانية الساعية نحو البناء والتجديد ، وبغير ذلك من أصول الحضارة والتقدم ، لأن هذه الصلة واضحة ومقررة ومعروفة •

ايديولوجية الشرق والغرب لا تغنى المسلم شيئا عن نفسه ولا عن فكره ، ولا ينتمى الاسلام بحال من الأحوال الى مذاهب الشرق أو الغرب •• ان التزام المسلم بكل قيم الاسلام الشريفة ، من

الشعور بالمسئولية ، والحرص على أداء الواجب ، والايمان بالعدالة الكاملة وبالتعاون التام بين جماعات المسلمين ، وبالمساواة بين جميع أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات ، وبالحرية لكل الناس والطيبات وبتوفير العمل وجعله حقا لكل واحد ، وبكفالة الدولة لتجميع مرافق الحياة وايصالها الى الناس ، وبمساعدة الدولة لكل محتاج بقدر ما يسد حاجته ، وبالعمل الجاد من أجل نشر الرخاء بين الناس ، وبمحاربة كل الوان الفساد الاجتماعي والرذائل الشيطانية ، وبالشورى ، وبالسلام الاجتماعي بين جميع طبقات الأمة ، وبالتكافل الاجتماعي ، وبالقضاء على الامتيازات الفردية والاجتماعية ـ هذا الالتزام الجاد بكل هذه المبادىء هو التزام بالفكر الاسلامي ، وبأصول شريعة الاسلام ، وبأيديولوجيته الانسانية الرفيعة ٠

ـ ٣ ـ

وعندما نريد أن نستعيد ثقتنا بانفسنا ، وبمقوماتنا الخاصه المتميزة ، وننطلق مرة أخرى ، لنعمل من أجل انفسنا ، ومن أجل الحياة ، ومن اجل الحضارة الانسانية ، علينا أن نعي ان منطقتنا هي بيئه الحضارات العالمية على مر العصور ، ففيها قامت الحضارة المصرية والفارسية ، والسبئية والاشورية والبابلية والفينيقية ، ثم ورثتها حضارة الاسلام ٠

انها منطقة حية حافلة بمختلف ألوان التطور ، الذى حققه التقاء الحضارات فيها ، وقد ازدهر الاسلام في نفس هذه المنطقة التى نشات فيها أصول جميع الحضارات الكبرى ٠٠ ومن قبل قيام الحضارة في ربوع منطقتنا هذه ، قامت فيها ثورة العصر الحجرى الحديث ، وشاهدت قيام أول حياة زراعية في تاريخ الانسان ، كما شاهدت تاسيس المدن ، وحكم الأسر الملكية الأولى ، وتصنيف الادبيات ٠٠

واذا كانت المواليد الحضارية في المنطقة قد انقطعت ، فانها لم تفقد طاقتها الابداعية ، على مرور الأيام ، ولقد أسهمت في ظلال الاسلام اسهاما فعالا في اثراء الحضارة والحياة الانسانية ٠ بل ان هذه المنطقة لم تفقد قيمتها الحضارية لقيام الحضارة الغربية في بيئة جديدة بعيدة عنها ، فما زالت مؤهلة لمخاض جديد ينبعث من ورائه ميلاد أعظم مما يتصوره عقل لحضارة جديدة باهرة ٠ ان منطقتنا لم ولن تخمد فيها روح الابداع أبدا ، لأنها منطقه التاريخ والفكر والمعرفة ، وهى المنطقه التى شهدت أعظم أحداث التاريخ الكبرى وجميع التحولات الفاصلة في حياة العالم ، ولم تنطفىء جذوتها الحضارية في يوم من الأيام ٠

وفي ظلال الايمان بقدرتنا على بعث حضارة اسلامية جديدة في رقعتنا العربية ، أو في رقعتنا الاسلامية ، علينا أن نحارب كل ضعف في صفوفنا وأن نطهر انفسنا من كل وهن ، وأن نعمل من اجل قيام عصر جديد يحفل بكل ابداعات العقل ، المؤمن بكل قيمة ذاتية ، وبكل فضيلة انسانية ، التزمنا بالايمان بها ديننا العظيم ٠

على جامعاتنا مسئولية كبرى في قيادة مواكب العلم والحضارة في بلادنا على جامعاتنا الاسلامية بصفه خاصه عبء العمل من أجل السمو بأفكار الشباب والجماهير والمجتمعات في بلادنا لتعود الى نقائها وصفائها الروحى وطهارتها الاسلامية الخالصة ، وعليها كذلك عبء العمل من أجل نشر القيم الروحية والدعوة الى السلام والاخوة الانسانية في عالم اليوم المليء بالاحقاد والبغضاء ٠

ومن اجل ذلك أقول : هيا لنعود من جديد الى الايمان بالاسلام وبالحياة وبقدرتنا المستمرة على الابداع فيها لخير الانسانية والانسان والحضارة ٠

مصطفى عبد الرازق

رائد الفلسفة الإسلامية في مصر

● د . عبد الحميد يونس ●

ان انشاء الجامعة المصرية يعد معلما من أبرز المعالم فى تاريخنا الحديث وكان انشاؤها واستمرارها دليلا واضحا على التحول من مرحلة المحافظة الى مرحلة الحداثة أو التجديد والأساتذة المصريون الاوائل فى الجامعة هم ، بلا جدال ، الرواد الذين أصلوا المناهج الحديثة فى الدراسات الانسانية والطبيعية وكل من يحاول تسجيل سيرة هذه الجامعة يدهشه ان يكتشف المحاولات الجادة التى انتهت الى توطيد أركانها وتحقيق غايتها فى مسايرة التغير فى الحياة والفكر والتعبير ، وهو تغير يحاول اللحاق بحركة التجديد متزايدة السرعة .

ومن هنا نجد أن النظرة الموضوعية الى الاسلام والتجديد ، كانت ، ولا يزال لها ، التأثير القوى فى تخليص التقدم من العثرات . وأساتذتنا المباشرون ،الذين أخذنا عليهم تلك المناهج ، هم الذين يشخصون المرحلة التى استكملوا فيها الاتجاه الى الأمام ، والسير الوئيد فى طريق العصر . والهدف هو المستقبل بالمفهوم الانسانى ، الذى يفيد من الماضى ويكابد الحاضر ويستعد للمستقبل .

وأهم فضيلة يشترك فيها الأساتذة الرواد هى الجمع بين طلب العلم وبين نشره والاضافة اليه .. وأتيح لى ، كما أتيح لغيرى أن تقوم العلاقة بينى وبين أساتذتى على المودة ، وأن أجد الصداقة الحميمة فى قاعة الدرس ، وفى دار الأستاذ ، وفى المجالس والندوات واللجان والجمعيات ...

وتبرز من جيل الأساتذة شخصية ، تعد وثيقة تاريخية حية فى حركة الاسلام والتجديد فى مصر الحديثة ، وهى شخصية الشيخ مصطفى عبد الرازق ..

والدرس المستخلص من أستاذنا مصطفى عبد الرازق وزملائه أنه جمع بين القديم والجديد ، أو كما نقول نحن فى هذه الأيام : انه ممن جمعوا بين الأصالة والتجديد .

وهو من أسرة أصيلة وعريقة ، وكان والده حسن عبد الرازق ممن شاركوا بصورة واضحة فى الحياة العامة ، فقد انتخب فى مجلس النواب الذى ألفه الخديو اسماعيل وكان هو الذى يتلو خطبة الخديو فى افتتاح جلسات ذلك المجلس . كما انتخب عضوا فى مجلس شورى القوانين عن مديرية المنيا . ونفى الى السودان لمواقفه الوطنية والاجتماعية ، واشترك فى تأليف حزب الأمة ،وكان صديقا حميما للشيخ محمد عبده ، واشترك معه أيضا فى انشاء الجمعية الخيرية الاسلامية التى كان لها أثر كبير فى المجالات الدينية والاجتماعية والانسانية ، وتعد أمارة بارزة من أمارات التطور والتجديد فى مصر .

***

ومصطفى عبد الرازق الرائد العظيم لدراسة الفلسفة الاسلامية ، احتفظ بزيه التقليدى الأزهرى ، وعرف فى أسرته وفى الجامعة بلقب « الشيخ » ، وهو برهان ناطق على الأصالة ، التى لا يستطيع التطور أو التجديد ان يتغلب عليها ...

ويذكر كل من اتصل بهذا الأستاذ الكبير ما رواه عن سر احتفاظه بهذا الزى التقليدى ، فقد تشبث به وفاء لوصية والده بالا يخلع هـذا الزى المعبر عن الأصالة والمكانة الاجتماعية والاشتهار بالعلم .

وتعلم الشيخ مصطفى عبد الرازق فى الأزهر وفى فرنسا ، واستوعب عيون التراث العربى والاسلامى فى الفكر والأدب ، وتعلم اللغة الفرنسية ، وكان ممن أجادوها حديثا وقراءة وكتابة ... وما زلنا نتمثل صـوته العذب ، ونبرته الفرنسية ، ويأخذنا العجب من تشبثه بالأصالة ، التى قرنت شخصيته العصرية بمكانة الشيخ الأزهرى .

ولكى نتبين اتجاه أستاذ الفلسفة الاسلامية مصـطفى عبد الرازق ، فان من الضرورى أن نسجل دعوة الأستاذ الامام محمد عبده الى اتخاذ المنهج العلمى ، والى الدعوة الى نشر العلوم ، اذ قال فى رسالة التوحيد : « ان رسـالة النبى اشتملت على دعوة الناس الى العلم بأن الله عرض عليهم جميع ما بين أيديهم من الأكوان ، وسلطهم على فهمها ، والانتفاع بها ، بدون شرط ولا قيد ، الا الاعتدال والوقوف عند حدود الشريعة العادلة » .

وهو يقطع بأنه لا تعارض بين الدين والعلم لأن كلا منهما يعتمد على العقل .

وقبل أن تغلب الفلسفة على هذا الرائد ، بدأ بالنزوع الى التعبير ، وحاول أن يحقق شخصيته ـ مثل الكثيرين من المفكرين ـ بالشعر . وكل الذين سجلوا سيرته يذكرون أنه اشتهر فى محيطه بنظم الشعر ، وأخذ يكتب الفصـول والمقالات فى جريدة المؤيد ، كما أنه نشر بعض منظوماته وبحـوثه فى مجلة الموسوعات التى قيل ان الذى كان يصدرها فى القاهرة هو محمد فريد رئيس الحزب الوطنى . ولكنه انصرف عن نظم الشعر ، بعد أن رحل الى فرنسا ،وقال أخوه على عبد الرازق فى ذلك « لقد شغلنا هنا بالحقيقة عن الخيال » .

واعتقد أن الواجب يقتضى جميع الذين درسوا على هـذا الرائد العظيم أن يكشفوا عن جهوده الأدبية والفكرية فى مرحلة الشباب ، لأن ذلك يبرز الأمارات الكاملة لشخصية الأديب والمفكر والمصلح فى وقت واحد .

***

ولقد توثقت العلاقة بين الشـيخ الامام محمد عبده وبين رائد الفلسـفة الاسلامية الشيخ مصطفى عبد الرازق حتى ان معظم المعنيين بهذه الفترة يذهبون الى أن تاثير الامام على تلميذه كان عظيما .

وحسبنا أن نذكر ما قاله الشيخ مصطفى عن دروس الشـيخ محمد عبده : « كنت طالبا من صغار الطلاب أيام جاء الشيخ محمد عبده الى الأزهـر . وكان أساتذتنا عفى الله عنهم ، لا يفتأون يذمون لنا الشـيخ ، ويمثلونه خطرا على الدين داهما ، فتتأثر بذلك عقولنا الطفلة ، وكنت أفر بدينى من أن ألقى الأستاذ أو أستمع الى دروسه ، مع انه كان صديق والدى ا وحضرت درسه مرة لأشهد كيف تشيه وجوه الملحدين وتشيه معها عقولهم وقلوبهم . فلما رأيت الرجل بالرواق العباسى ، وسمعته يفسر كتاب الله ، قلت منذ ذلك الوقت : اللهم ان كان هذا الحادا فأنا أول الملحدين .

ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافض » .

ومن الجلى أنه كان يدل بهذه العبارة على اعجابه بأستاذه واقتناعه بمنهجه فى التفكير والاصلاح .

ومن السهل أن نجد قوة تأثير الامام فى تلميذه فى احتفاله بشـيخه ، حتى شغل بسيرته وآثاره وأفكاره فى الجانب الأكبر من نشاطه الفكرى . واننا نجد محاضراته عن محمد عبده فى جامعة الشـعب عام ١٩١٩ ، قد جمعهـا أحد تلاميذه (١) ونشرها فى كتاب بعنـوان « محمد عبده » فى عام ١٩٤٥ . ومما

---

(١) محمد عثمـان نجاتى ، كتاب « محمد عبده » سنة ١٩٤٥ .

يذكر أنه لما ترجم عباس محمود كتاب « الاسلام والتجديد فى مصر » تأليف تشارلز آدمز ، رحب الشيخ مصطفى عبد الرازق بصنيعه وكتب مقدمة لترجمة هذا الكتاب ، الذى يتركز فيه الاهتمام بالدرجة الأولى على الشيخ الامام .

***

ويجمع هذا الرائد الأول لدراسة الفلسفة الاسلامية كل الخصائص التى يتسم بها جيل النهضة المصرية ، فى الفكر والفن والاجتماع والسياسة . وهؤلاء الصفوة يمثلون كل المقومات ، التى يعود اليها الفضل فى تقدم الانسان العربى ولانقول المصرى فحسب ـ ومصطفى عبد الرازق يشخص هذه المقومات كلها مع التخلص من التناقض الذى ظهر فى مرحلة أو شخصية ، فهو خلاصة تراث أصيل ، تمثل العناصر القومية والوطنية تمثل الغذاء فى وجدانه وفى فكره ، وأعانت فطرته السمحة على أن يمزج العناصر الاصيلة بكل صالح ومفيد من الحضارة الغربية .

وتخصصه الذى فرضته الحياة عليه ، وهو ريادة الفلسفة الاسلامية، يعكس امتزاج التراث بالعصرية . ونحن نجد فيه كل ما اشتهر به أحمد لطفى السيد من تعقيل الحياة والدعوة الى الديمقراطية ، وكل ما اشتهر به قاسم أمين فى مرحلته الثانية من دعوة الى تحرير المرأة ، فى اطار الاحترام ، الذى يكافىء الصالح من التقاليد والعلاقات . وكل دعاة التنور الذين لا نزال نجد فيهم صمام الأمان فى تيارات يصطدم فيها الشرق بالغرب ، والقديم بالحديث .

وثمة قاعدة عامة تنطبق على النوابغ والأعلام ، وهى انهم يبدأون بالنزوع الى التعبير الأدبى ، ويغلب عليهم الشعر فى الصبا ، ثم يتحولون عنه الى النثر أو الفلسفة أو العلم . ومصطفى عبد الرازق ظل يصدر عن الشاعرية فى تعبيره وتفكيره جميعا ، ذلك لأنه كان قوى الاحساس بانسانيته . ولقد سجل آحاد من تلاميذه فقرات من نظمه ، ولكن كل من يراجع نثره وفكره يتلقى نبض وجدانه فى رسائله ومقالاته ومحاضراته وكتبه ، بلا تناقض ظاهر أو خفى بين التأمل والتفكير ، والأسلوب الذاتى الذى لايتنافر مع نهجه فى التقييم .

والذين يعكفون على آثار مصطفى عبد الرازق ، أو الذين تلقوا دروسه ومحاضراته ، يتفقون على أن الصفة الغالبة عليه هى الصدق ... وهو متكامل فى تحقيق الذات بالكلمة ، والاقتناع الكامل بالفكرة ، وقلما يستشعر من عرفه، أو قرأ له ، صراعا عند مواجهة الحياة والأحياء ، أو تناقضا لم يستطع أن يتخلص منه فى معالجته للقضايا الفلسفية . ولا نبالغ اذا استعرنا هذا الحكم على التكامل الواضح عنده فى التفكير والتعبير ..

لقد كان مصطفى عبد الرازق أديبا فى دراساته ومحاضراته ، وفيلسوفا فى ادبه ونقده للأدب . نجد ذلك فى محاضراته المبكرة عن محمد عبده ، وفى عرضه لبعض أعلام الشعر العربى .

ومن الانصاف أن نقرر أن أستاذنا مصطفى عبد الرازق لا يقل تأثيرا أو عطاء عن جيل الرواد من أمثال طلعت حرب وأحمد لطفى السيد وطه حسين وعلى مصطفى مشرفة . وهو يشبه بعض الجامعيين الأوائل فى أنه لم يسجل كل دروسه ومحاضراته ، كما أنه شغل فى فترات بالسياسة والادارة ، ومن حق هذه الشخصية على تلاميذه أن يبادروا بجمع كل ما يستطاع جمعه من دروسه ومحاضراته وأحاديثه ، والعمل على نشرها ، ليتبوأ مكانه الذى يستحقه مع الرواد الذين أسهموا فى تطوير المجتمع .

وفضيلة التكامل ، التى تحدثنا عنها فى ثقافته ومنهج حياته ، تدفعنا الى أن نذكر مزيتين عرفهما فى شخصيته زملاؤه وتلاميذه جميعا ... المزية الأولى

أنه كان متساميا في خلقه على العصبيات الطبقية والحزبية ... كان صديقا للجميع ، لا يعرف الحقد أو الضغينة ... كان يحب الناس ، كل الناس . ولم يكن يجد غضاضة في أن يكون أخا لمعاصريه من هذا الحزب أو ذلك . وكانت له مشاركته الوجدانية ، التي تتجاوز البيئة والطبقة والحزب ، ودائما يصدر عن واجب انساني ، بلا تظاهر ولا ادعاء .

والمزية الثانية أنه كان يؤمن بالتواصل بين الأجيال ، فهو يعرف قدر شيوخه وأساتذته ، ويقبل على تلاميذه اقباله على أبنائه ، من الناحيتين المادية والمعنوية وأكثر تلاميذه يشهدون بأنه قام عن الهيئة الاجتماعية كلها بأعباء الأجيال المتتالية من الطلاب ، دون أن يعرفوا ، وكان يطلب الى أولى الأمر فى الجامعة أن يظل ما فعله سرا ، وأن يتركوا الطلاب مقتنعين بأن الهيئة الاجتماعية هى التى أعفتهم من النفقات الدراسية .

ويعود الفضل فى نجاحنا فى ترجمة دائرة المعارف الاسلامية الى الأستاذ الوالد مصطفى عبد الرازق ، فقد شجعنا على هذه المبادرة ، على الرغم من العقبات العلمية والمادية ، وزودنا بارشاده فى تصنيف مواد هذه الموسوعة على حروف المعجم العربى ، وهى فى أصلها أعدت على ترتيب الحروف اللاتينية ، لكى يفيد منها الغربيون . وتعلمنا من هذا الدرس منهج المستشرقين فى رسم الحروف العربية التى لا وجود لها فى اللسان الأعجمى مثل الخاء والذال والعين .. الخ .

وعاوننا الرائد العظيم بتصحيح الأعلام ، ووجهنا الى وجوب الرجوع الى المصادر العربية الأصيلة عند الترجمة . وحفزنا الى متابعة العمل على تنوع الموضوعات ، وتباين بعض المناهج .

وأحسسنا منذ البداية بأن المستشرقين يصدر بعضهم عن آراء وأفكار ، يستطيع أن نقول عنها انها تتجاوز الموضوعية والانصاف . وخشينا فى تلك المرحلة من مواجهة الآراء التى ينكرها الكثيرون من المتعلمين عندنا ، وتغلبنا آخر الأمر على تلك الصعوبة الكأداء باقتراح أستاذنا ورائدنا مصطفى عبد الرازق بأن نحافظ على آراء اولئك المستشرقين ، وأن نعلق عليها بأقلام كبار المتخصصين .

وهكذا جمعنا فى صعيد واحد بين وجهات النظر المختلفة . وأصبحت للنسخة العربية مزية لم تتوفر فى النسخ الأوروبية . وكل من يؤرخ لجيلنا فى مرحلة الشباب يستعيد الصراع المفاجىء بيننا وبين بعض أساتذتنا ، فلما صدر العدد الأول من هذه الموسوعة فوجئنا بمقالات ضافية تعارض الفكرة ، وتقلل من الجهد وتنقد الترجمة . وكادت تفتر عزائمنا . وزارنا مصطفى عبد الرازق فى مقر اللجنة ودفعنا الى وجوب الاستمرار فى القيام بهذا الواجب العلمى ، ولا يمكن أن ننسى قوله « ان العمل الصالح لا يخفت نوره مهما كانت السحب .. »

وأثبتت التجربة أن الخطوة الأولى تحفز الى خطوات وخطوات ... وعاد أساتذتنا الى الرضا عن الجهد والتشجيع على الاستمرار ، وسجلوا ذلك فى مقالاتهم ورسائلهم وأقوالهم . وتعاون الجميع على استكمال الناقص ، والرد على آراء بعض المستشرقين بتعليقات تستوعبها الموسوعة العربية .

كان مصطفى عبد الرازق همزة وصل حية بين الأجيال بنفسه ، وبالقدوة الحسنة ، التى حفزت علماء جيله على السير فى الطريق نفسه ... ودفعنا الاحتفال بالاسلام والتجديد أن نراجع الكتاب الذى ألفه المستشرق تشارلز آدمز ، والذى جعل عنوانه « الاسلام والتجديد فى مصر » ، وأن نواجه تشجيع الأستاذ الرائد مصطفى عبد الرازق للصديق المرحوم عباس محمود ، الذى ترجم هذا الكتاب الى العربية . ونحن جميعا نردد عبارة أستاذنا ونستشهد بها فى ختام مقدمته لهذا الكتاب ، وهى « ... واذا لم يكن لنا من تلاميذنا أصدقاء فليس لنا فى الدنيا من صديق ! » ..

الحياة على أساس من المعرفة العقلية في الكون كله ...

● د . محمد احمد خلف الله ●

هذه الحياة الدنيا في تجدد مستمر . ويرجع الفضل في استمرارية هذا التجدد الى تلك الحصيلة الضخمة من المعرفة الانسانية التي يكتسبها العقل البشري كل يوم تقريبا ، والتي تحرص المجتمعات البشرية على أن تمارس حياتها اليومية ، وحياتها العامة ، على أساس منها حتى لا تحصى في عداد المجتمعات الجامدة أو المتخلفة حضاريا .

وهذه الحصيلة من المعرفة البشرية التي تجدد شباب هذه الحياة لاتأتي أبدا من خارج نطاق الدين ، ولا تتناقض أبدا مع المبادىء العامة للدين ، وانما تظل دائما وأبدا مرتبطة بالدين برباط قوي متين ــ رباط لاينفك مع الايام وانما يزداد قوة وازدهارا بالايام ..

وتفسير هذا الذي نقول به ليس بالامر الشاق ولا العسير .

اننا ندرك جميعا ادراكا واعيا سليما أن هذه الحصيلة الضخمة من المعارف الانسانية المتمثلة في الدراسات الانسانية ، والعلوم المادية والطبيعية ، والحقائق التكنولوجية والالكترونية وما أشبه ــ ليست الا وليدة النظرة العقلية التي طوفت بالافاق ، وجابت كل نحى من أنحاء هذا الكون ، باحثة عن الحقيقة ، منقبة عن المجهول ، كاشفة لاسرار هذا الكون بمن فيه وما فيه من كائنات ، مدركة في النهاية نواميس هذا الكون ، وسنن هذه الحياة ، وكيف تمضي في دقة واتقان وانتظام .

هذه النظرة العقلية التي تفعل كل هذه الافاعيل ليست في حقيقة الامر الا نظرة دينية ــ أو على أقل تقدير نظرة اسلامية .

فالقرآن الكريم ــ وهو المصدر الاول للديانة الاسلامية ، يوجه العقل دائما الى النظر في الانسان ، وفي ملكوت الله ، وفي هذا الكون الفسيح بمن فيه وما فيه من كائنات . ينظر الانسان ببصره وبصيرته ، ويعمل هذه البصيره في التعرف على كل ما في هذا الكون من كائنات ــ يحصيها عددا ، ويميز فيما بينها ، ويدرك ما لكل منها من خصائص وما تملك من قوى وقدرات ، ويسعى في استثمارها لكل مافيه من خير للبشرية ، فيدفع عن هذه البشرية الاضرار ، ويجلب لها المنافع .

***

وجه القرآن الكريم الانسان الى ذلك كله ، وطلب اليه أن يعمل عقله في ذلك كله ، لينتهي الى تلك الحصيلة الضخمة من المعرفة التي تجدد دائما وأبدا شباب هذه الحياة الدنيا حتى ليمكننا القول بأن مستقبل هذه الحياة الدنيا المتجددة في كل آن على أساس من العلم والمعرفة الانسانية ، سوف يكون خيرا من حاضرها ، ومن ماضيها .

والآيات القرآنية التي تؤكد هذه الحقائق كثيرة جدا ، ونكتفي منها بما يلي :

إن هذه الحصيلة الضخمة من المعارف الإنسانية المتمثلة في الدراسات الإنسانية والعلوم المادية والطبيعية والحقائق التكنولوجية والألكترونية وما أشبه ، ليست إلا وليدة النظرة العقلية التى طوفت الآفاق وجابت كل أنحاء هذا الكون ، باحثة عن الحقيقة ، منقبة عن المجهول ، كاشفة لأسرار هذا الكون بمن فيه وما فيه من كائنات

جاء فى القرآن الكريم : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض ••• »

وجاء : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض ••• »

وجاء : «وفى أنفسكم افلا تبصرون ••»

وجاء : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج • والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج •• »

وجاء : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم ••• »

وجاء : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » •

« ومن آياته خلق السموات والارض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم •• ان فى ذلك لآيات للعالمين •• »

وجاء : « هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ، ومن كل الثمرات ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »

« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون ••• »

وواضح من هذه الايات الغايات الكبرى التى يبتغيها القرآن الكريم من توجيه الانسان بعقله وفكره نحو كل هذه الاشياء التى وجهه اليها •

وتبرز هنا من بين هذه الغايات هاتان الغايتان الكبيرتان :

الاولى : ـ ان هذه النظرة العقلية وما تنتهى اليه من ادراك لنواميس الكون وسنن الحياة سوف تيسر على الانسان سبل استثمار هذه الموارد الطبيعية التى سخرها الله له أفضل استثمار •

وليس منا من ينكر أن العلم والمعرفة البشرية قد مكنت الانسان من السيطرة على العديد من هذه الكائنات وهذه الموارد الطبيعية ، وأنه يستثمرها ، ويستخرج منها كل ماتملك من قوى وطاقات •

الثانية : ـ أن هذا الادراك الواعى لكل ما فى هذا الكون من كائنات ، وادراك العلاقة القائمة بين هذه الكائنات ، وكيف تعمل كلها فى دقة واتقان ، هو الذى يوحى للعقل البشرى أولا ، ثم يؤكد لديه ثانيا ، أن هناك وراء هذه الكائنات قدرة خارقة هى التى خلقت فأبدعت ، وصنعت فأتقنت وأجرت نواميس الكون وسنن الحياة فى دقة لايعتورها الخلل أو الاضطراب •

ان وراء ذلك كله : الله • العليم الحكيم • الخبير البصير • القوى العزيز • الذى قدر كل شىء تقديرا •

***

ولقد وضع مفكر دينى كل هذه الحقائق فى عبارة موجزة ولكنها دالة •• فقال :

« الا ان لله كتابين : أحدهما مخلوق وهو الكون • والاخر منزل وهو القرآن ، ولا يغنى أحدهما عن الاخر »

ولم يرد هذا المفكر أبدا أن يفسر القرآن

تفسيرا علميا ، أو أن يثبت الاعجاز العلمى للقرآن ، من حيث أنه يعلم أن ذلك قد يولد الشك فى القرآن والبلبلة فى العقول حين يثبت للناس أن هذه الحقائق العلمية التى فسر القرآن على أساس منها ، أو ثبتت المعجزة العلمية للقرآن على أساس منها ، قد بان خطؤها ، وانها ليست بالحقيقة أو قد أصبحت هى الباطل .

لم يرد هذا المفكر شيئا من هذا ، وانما أراد شيئا آخر هو أن أى تقدم علمى ، وأى تجدد لشباب الحياة يقوم استنادا الى هذا التقدم العلمى ، انما هو من آثار تلك التوجيهات التى يقوم بها القرآن الكريم حين يوجه العقل البشرى نحو هذا الكون بمن فيه وما فيه من كائنات .

ثم ان هذا الذى يحصله العقل البشرى من معارف انسانية يعود بالخير على الفهم الدقيق العميق لآى القرآن الكريم .

هذا هو المعنى الذى قصد اليه حين نص على أن أحد الكتابين : القرآن الكريم والكون ، لايغنى أحدهما عن الاخر .

وليس يصح أن يقال ان الخطأ العلمى قد يحدث هنا كما يحدث هناك ، وأنه قد يعرض القرآن الكريم لمثل ذلك الخطر الذى عرضه له فى التفسير العلمى أو اثبات المعجزات العلمية للقرآن .

ليس يصح ، لأن التوجيه هنا انما يقصد منه الادراك الواعى السليم ، وأن العقل هنا مطالب بأن يصحح نفسه حين يقع فى الخطأ . أما هنا فاستنباط المعانى واستكشاف المعجزات العلمية انما يكون من القرآن ذاته . وهذا هو الذى يعرض القرآن الكريم للخطر حين يثبت خطأ الحقيقة العلمية المستنبطة من القرآن .

ويبدو أننا فى حاجة الى ضرب مثل تبين به حقيقة مايقوله هذا المفكر الدينى .

لنقرأ معا هذه الآية القرآنية : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون »

ان النظرة العقلية الدائمة ، المتجددة فى كل حين ، الى البحر بما فيه من كائنات هى التى وفرت لنا على مر العصور هذه الحصيلة من المعرفة البشرية المستنبطة من النظر فى البحر ذاته ، وفى اللحم الطرى وأنواعه ، وفى الحلى وأحجارها الكريمة العديدة ، وفى الفلك المواخر .

وهذه الحصيلة التى توفرت للانسان على مر السنين قد مكنت الانسان من الانتفاع من البحر والفلك وما فى البحر من كائنات حية وميتة .

وهذه الحصيلة التى مكنت الانسان من الانتفاع بأنواع اللحوم الطرية ، وأنواع الاحجار الكريمة ، والتيارات المائية ، وأنواع السفن والبواخر المواخر ، قد عادت على الاية الكريمة بحصيلة من المعانى الجديدة التى لم يكن المسلمون يفهمونها من الاية الكريمة أيام الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ، وهلم جرا .

***

ان تسخير البحر وما فيه من كائنات للانسان قد دفع بالانسان الى أن يعرف عن البحر وعن الكائنات التى فيه كل شىء تقريبا ليبتغى من فضل الله مايمكن ابتغاؤه . ومن هنا استنبط علوم البحار ، وعرف كيف يستثمر العلم والتكنولوجيا فى الانتفاع بكل هذه الكائنات .

ثم ان هذا العلم وهذه المعرفة التى استنبطها الانسان من النظر والتفكر ، والتدبر فى أمر ماسخر الله ، قد عادت هى الاخرى على الآية الكريمة بمعان لم تكن تخطر ببال القدامى من رجال الفكر الدينى من حيث التيارات البحرية ، والاحياء المائية ، والاحجار الكريمة ، والبواخر المختلفة العديدة .

وهنا نستطيع التأكيد على حقيقة هى التالية :

الدين الاسلامى هو الباعث للانسان على التفكير وعلى التجديد . وهو فى الوقت ذاته مستفيد من كل مايستطيع الانسان الحصول عليه من علم ومعرفة يستتبعهما التجديد .

***

والحصيلة الضخمة من المعرفة البشرية التى تتجدد بها هذه الحياة الدنيا ، وتتجدد بها أيضا معانى الآيات القرآنية الواردة فى شأن ما سخر الله للانسان من كائنات وموارد طبيعية، لا يقف أثرها عند هذين الحدين من التجديد ، وانما

إن المعرفة البشرية الضخمة الناجمة عن النظرة العقلية في الكون بمن فيه وما فيه من كائنات، انما تجدد فقط فيما هو من شئون العقل البشري، ومما أذن الله للبشر في النظر فيه.. أما ما لا شأن للعقل به فيما هو من باب المعتقدات الدينية والعبادات، فلا يناله التغيير والتبديل..!

يتجاوزهما الى ميدان ثالث هو :ميدان الاحكام الشرعيه •

ولقد قرر علماء أصول الفقه من قبل قاعدة أصولية يذهبون فيها الى أن الاحكام تتغير بتغير الازمان •

يذهبون الى ذلك في صراحة تامة عندما تكون هذه الاحكام من عمل المجتهدين ، وعلى أساس من الاصلين الفقهيين : الاجماع والقياس •

أما عندما يكون مصدر الحكم الشرعي النص فانهم يتوقفون ولا يقولون بالتغير حتى ولو كان هذا التغير قد تحقق ، وأخذ المسلمون يمارسون حياتهم على أساس من البديل الجديد •

ان رجال الفكر الديني الاسلامي يقفون في مثل هذه الحالة في موقف لا هو : لا ••• ولا هو : نعم ••• انهم لايرفضون الرفض البات ، ولا يوافقون الموافقة الصريحة •

ونحن هنا نقدم الشاهد على أن الحصيلة الضخمة من المعرفة البشرية تتقدم في بعض الاحيان الى الاحكام الشرعية فتجدد من معانيها وتغير من معالمها •

نقدم الشاهد والدليل من القرآن الكريم نفسه •

وقبل أن نقدم هذا الشاهد نشير الى حقيقة يجب أن يعرفها القارىء أولا ، وقبل كل شيء •

هذه الحقيقة هي أن الحكم حين يتغير ويتجدد بفعل هذه الحصيلة الضخمة من المعارف البشرية تبقى المبادىء الدينية التي كان الحكم الشرعي قائما عليها ، ثابتة مستقرة لاينالها التغيير والتبديل •

والمبادىء الشرعية التي هي الاساس في كل حكم شرعي هي : الحق ، والعدل

والحق انما يستمد مقوماته من مراعاة الله للمصلحة البشرية ، ومراعاة الناس لمصلحة العقيدة الدينية •

والعدل انما يستمد مقوماته من الحق •• حتى ولو كان هذا الحق لمصلحة الاعداء •

يقول الله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى »

***

ونأخذ الان في ذكر الشاهد القرآني الذي نؤكد به صحة مانذهب اليه من قول في أن الحصيلة الضخمة من المعرفة البشرية تؤثر آثارها في تجديد بعض الاحكام الشرعية ، وتغير معالمها ، مع الابقاء على النص القرآني ذاته لتلاوته والتعبد به •

وهذا الشاهد هو بعض الايات القرآنية الواردة في شأن القتال وتوزيع غنائم القتال من سورة الانفال •

يقول الله تعالى في آية : **«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم »** •

ويقول الله في آية اخرى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ان كنتم آمنتم بالله ، وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم

التقي الجمعان » .
« والله على كل شيء قدير ... »
ومن المسلم به أن اعداد القوة لقتال الاعداء وارهابهم قد تجددت مقوماته ووسائله بفضل العلم والتكنولوجيا والالكترونات .

لقد كانت عدد القتال يوم نزول الآيات القرآنية هي : الخيل ، والسيوف ، والرماح ، والنبال ، وما أشبه . أما اليوم فقد تغير كل شيء بفضل العلم والتكنولوجيا والالكترونات .

وتكلف الدولة اليوم بالانفاق على الجند وعلى معدات القتال وأدواته من حيث أن مصلحة المسلمين اليوم هي في الاعتماد على هذه المعدات والادوات القتالية التي جاءت بها المعرفة البشرية من علم وتكنولوجيا والكترونيات . ومن حيث ان مصلحة المسلمين هي في شراء الدولة لمعدات القتال وأدواته من حيث أنه لا طاقة للافراد في شراء طيارة أو دبابة أو غواصة أو بارجة حربية أو قنبلة ذرية أو هيدروجينية .

ولقد أصبح من المتعذر في الوقت ذاته ان توزع الغنائم وهي من عدد القتال الحديثة وأدواته على الجند المنتصرين .

لقد تغير كل شيء في النظام القتالي للمسلمين بفضل العلم والتكنولوجيا الحديثة . وتغير تبعا لذلك الحكم الشرعي الخاص بتوزيع الغنائم ، وأصبحت الآيات القرآنية الخاصة بذلك بعيدة عن أن تمارس بها حياة المسلمين القتالية اليوم لأن في ذلك الضرر كل الضرر .

وقبل المسلمون جميعهم ممارسة حياتهم القتالية على أساس من الجديد الذي جاءت به المعرفة العقلية من غير اعتراض على شيء من ذلك .

ان مصلحة المسلمين اليوم تكمن في ممارسة الحياة على أساس من هذا الجديد الذي جاءت به النظرة العقلية في الكون بمن فيه وما فيه من كائنات ــ وهذا هو الحق .

وان أخذ الدولة للغنائم ، وهي التي تنفق على كل صغيرة وكبيرة في ميدان القتال ، هو العدل .

لقد تجدد الحكم الشرعي ، وبقيت المبادىء الدينية التي يقوم عليها الحكم الشرعي ثابتة مستقرة لم ينلها أي شيء من التغيير والتبديل .

وقبل أن ننهي هذا المقال نشير الى حقيقة لابد من الاشارة اليها في هذا الموقف وهي :

ان المعرفة البشرية الضخمة الناجمة عن النظرة العقلية في الكون بمن فيه وما فيه من كائنات انما تجدد فقط فيما هو من شئون العقل البشرى ، ومما أذن الله للبشر في النظر فيه .

أما ما لا شأن للعقل به فيما هو من باب المعتقدات الدينية ، والعبادات ، فلا يناله التغيير والتبديل .

ان المعتقدات الدينية لاتتغير ولاتتبدل من حيث أنها من الغيب المحجوب عن العقل ، والعقل البشرى لايعمل الا حين يشاهد ويعمل ويجرب .

ان تلك من المعرفة الالهية التى تؤخذ عن القرآن .

والعبادات قد تغيرت في المسار التاريخي للبشرية .. ولكن حق التغيير فيها لله وحده ، فهو الذى فرض على كل قوم عبادة بعينها جاء بها النبى الذى أرسل اليهم .

ان تلك أيضا من المعرفة الالهية التى تؤخذ عن القرآن ، مع بيان الرسول عليه الصلاة والسلام لها .

أما مسائل هذه الحياة الدنيا فهى التى تتأثر وتتجدد بفعل النظرة العقلية وما انتهت اليه من معارف بشرية .

وذلك هو الذى أذن به القرآن الكريم حين قال : « واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ... »

ومسائل الامن والخوف هى مسائل الحياة الدنيا .

أهذا أنت

• مبارك المغربى •

أهـــذا أنتَ يا زاهي — وهـذا العطرُ ريّـاكا
وهـــذا النور نور الصبـ — ـح أسقتني أم مُحيّـاكا
رأيتك في وشاح السّحـ — ـر تخطرُ في مزاياكا
وظلُّ مناىَ يا دُنيا — ىَ أن أحظى بلقيـاكا
لقـد تيمتني حبـاً — وشاقتني سجاياكا
وذوب قلبيَ الملهو — ف ما قالته عيناكا !

***

حديثك صيغَ من درِّ — ومن أنشودة الفجرِ
عشقتك قبلَ أن ألقا — كَ في آياتك الكُثرِ
جمعتَ الحُسن أشتاتا — وحزتَ نفائسَ الفخرِ
أسيتُ على الذى قدْ ضا — ع قبلَ هواكَ منْ عمْرى
فمثلكَ أنتَ من يُوحي — ومَن يسبى ومَن يغرى
ومثلى من يصوغُ الحُسـ — ـن أنغاما من الشّعرِ

***

أحبكَ حبَّ هذا النيـ — ـل إجلالا وإيمانا
وهـل كالنيل من يروى — حديث الحبّ ألحانا ؟
جمالكَ آخـذ منه — فنونَ السحر ألوانا
أحبكَ فاترَ النظرا — ت بالاشراق مُزدانا
وأعشقُ فيكَ السَّا — نا نبيل الروح فتّانا
أعادَ لنا عذابَ الوجْـ — ـد فتاكا كما كانا !

مبارك المغربى
الخرطوم — السودان

فضل الحضارة الإسلامية على قيام النهضة الأوروبية

فى مجال الزراعة

● اعداد ورسوم :

ابراهيم الكردى ●

● اهتم العلماء المسلمون بعلم النبات اهتماما كبيرا ، ليس لذات النبات وانما باعتباره تابعا لعلوم الطب والصيدلة ، فأغلب الادوية والعقاقير الطبية المستعملة فى العلاج ، ان هى الا نباتات او خلاصات نباتية ...

ولذلك اخذوا فى دراسة كل نبات على حدة دراسة علمية مجردة ، لبيان اصله وساقه واوراقه وازهاره وثماره وبيئته التى ينمو فيها ، ان كانت ارضا طينية او رملية ، او كان ينمو على الماء .

ثم لبيان النباتات المفيدة والتى تصلح عقارا للعلاج من الأمراض المختلفة . وكيف يعد كل عقار ، وكيفية تعاطيه ، ومقدار جرعته ـ وهو ما يسمى بالصيدلة ...

وكان العلماء المسلمون هم اول من انشأ الصيدلة بعد قدماء المصريين ، فقد انشأوا فى بغداد اول صيدلية منظمة تبيع للناس الادوية والعقاقير .. والفوا الكتب والرسائل فى الصيدلة والطب والتراكيب الدوائية ، ورتبوها بحيث يسهل استخدامها ، فقد رتبوها على حروف المعجم لتكون سهلة التناول .

وقد وصفوا كل دواء من حيث ماهيته وطبيعته وخواصه ومفعوله ، واخترعوا الأشربة والمستحلبات والعطور ، كما عرفوا « الترياق » وهو دواء يتركب من عشرات بل ربما من مئات الأدوية . كما حسنوا تركيب الزئبق .

اشهر الصيادلة المسلمين :

● **(سابور بن سهل) : وهو اول من وضع نظام الأدوية الذى لم يكن يعرفه اليونانيون .**

● **(ابن سينا)** : وقد خص جزءا خاصا من كتابه (القانون) للمادة الطبية والصيدلة . وعن الأدوية اورد






والنباتات الطبية والصيدلة

وصفا تفصيليا للنباتات التى تتخذ منها الادوية ، وكذلك لبعض الحيوانات والمعادن التى يستخلص منها العقاقير النافعة .

وفى الكتاب وصف للأجزاء النباتية التى تباع جافة عند العطارين من اخشاب وثمار وأزهار وقشور ، ثم يصف كيفية استخلاص الدواء منها وطريقة تعاطيه .. الخ ...

وقد قسم ابن سينا (الآلام) الى ١٥ نوعا ، وسجل لعلاجها ٧٦٠ دواء .

● **ابن البيطار** : جمع ابن البيطار فى كتابه « الجامع » ـ لمفردات الأدوية والاغذية ـ مجموعة من العلاجات المستخلصة من النباتات والحيوانات والمعادن .

وذكر ماهيات الأدوية وخواصها ومنافعها ومضارها واصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من جرعاتها أو عصارتها أو بديلاتها عند عدم وجودها .

وقد سجل فى كتابه (المفردات) حوالى ١٤٠٠ عشبة . وقد حوى هذا الكتاب ما جاء فى كتاب (الافضل) لديسقوريدوس وكذلك ماجاء فى المقالات الست لجالينوس . وايضا ذكر فيه كثيرا من الأدهان من دهن الورد ودهن النرجس ، ودهن القيصوم ودهن البابونج .

● **داود الانطاكى** : وله كتاب « تذكرة اولى الألباب والجامع للعجب العجاب » وهو ما يسمى (تذكرة داود) وفيه وصف دقيق للنباتات الطبية وموطنها ومتى نقطعها وكيف نحفظها من الفساد .

وقد اخذ عن ديسقوريدوس فى (المفردات) وكذلك عن جالينوس ، وحنين بن اسحق ، وابن سيراعون ، وابن جلجل ، وخلف بن الزهراوى .. ويعتبر من اهم المراجع للأطباء .

ومن العلماء المسلمين الذين كتبوا فى الصيدلة ولهم كتب هامة فيها :

● **البيرونى** : وله كتاب (الصيدلة) .

● **ابن الهيثم** .

● **ثابت بن قرة** : الذى الف كتابا فى اجناس ما تنقسم اليه الادوية .

● **الرازى** : الذى حضر الكحول بتقطير المواد النشوية وكان يستعمله فى الادوية والصيدليات . وله كتاب فى الصيدلة ايضا .

● **الادريسى** : وصف فى كتابه انواع

النباتات المختلفة وطرق التداوى بها ويحوى مجموعة ضخمة من النباتات الطبية .

● **عبد الرحمن الداودى :** ذكر فى كتابه (نزهة النفوس والأفكار فى معرفة النباتات والأحجار والأشجار) العقاقير النباتية والمعدنية واستعمالاتها الطبية .

وأورد بالكتاب ايضا تراكيب كثير من السموم والترياقات والأشربة والدهانات والحبوب مع ذكر طريقة تحضيرها .

● **القرطبى :** له كتاب فى الصيدلة أطلق عليه اسم (شرح أسماء العقار) يحتوى على ذكر للعقاقير النباتية وطرق تحضيرها وكذلك للعقاقير الحيوانية والمعدنية .

وقد اخذ عن (ابن جلجل والغافقى وابن سمحون) وغيرهم .شيخ علماء العرب فى علم النبات وهو :

الدينورى ...
المتوفى عام ٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م

هو احمد بن داود الدينورى ـ أبو حنيفة . نباتى ، مهندس ، مؤرخ من نوابغ الدهر . جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب . فهو فقيه ولغوى ، ومؤرخ ، له شهرة عالمية كبيرة كعالم للنبات ويعتبر بحق شيخ علماء العرب فى النبات .

ولد بدينور قرب همدان بايران الحالية .

ومن مؤلفاته :

● **الأخبار الطوال :** (الذى تناول فيه بالتفصيل فتح العراق على يد العرب) .

● **كتاب النبات :** (تناول فيه النباتات المعروفة مرتبة على حروف المعجم . وقد عنى بايراد ما قالته العرب من شعر ونثر فى وصف هذا النبات وذاك ، كما اهتم بذكر صفة كل نبات واستعمالاته ومواطن نموه) .

● **تفسير القرآن** (من اجل كتبه ، وهو فى ثلاثة عشر مجلدا) .

● **ما تلحن فيه العامة ● الشعر والشعراء ● البحث فى حساب الهند ● الجبر والمقابلة ● البلدان ● اصلاح المنطق .**

وقد توفى هذا العالم الجليل عام ٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م .

انتقال الصيدلة العربية الى اوروبا :

بعد ان تحقق لدى الاوروبيين ان العرب المسلمين قد وضعوا أسس الصيدلة وانهم استنبطوا انواعا كثيرة من العقاقير ـ والدليل على ذلك ان اسماءها عندهم تحمل الاسماء العربية حتى الان ـ بداوا فى ترجمة كتب العلماء المسلمين فى الصيدلة الى اللاتينية .

ومن ابرز الامثلة على ذلك مؤلفات (ليكرك) الذى جمع فيها الأدوية النباتية التى ذكرها العرب فى كتبهم وذكرها كلها بنصها واسمها العربى وما يقابلها بنصها واسمها اللاتينى . مما يظهر الاقتباس الواضح من علماء المسلمين .

وقداخذ الأوروبيون عن المسلمين نبات الزؤان ونبات الأفيون والحشيش لاستعماله كمخدر للمرضى قبل العمليات الجراحية . واخذوا ايضا كثيرا من المستحضرات الطبية كالاشربة واللعوق واللزقات والمراهم والدهانات والمياه المقطرة .

فى مجال الزراعة

كذلك كان فضل المسلمين فى مجال الزراعة عظيما على اهل اوروبا ، فقد برع المسلمون فى مجال الزراعة ، ولهم

بحوث عظيمة في ميدان الفـــــلاحة والنباتات الطبية .

فقد الف كثير من العــرب المسلمين كتبا فى فلاحة الأرض منهم :

● (ابن البصال) : وله تجــارب زراعية خاصة جديرة بالاهتمام .

● (يحيى بن العوام) : وهـــو اندلسى وله كتـــاب فى الزراعة باسم (الفلاحة) .

● ابن الخير الاشبيلى :

● والحاج الفرناجي :

لهما كتب فى الفلاحة تحدثا فيها عن فلاحة الأرض وكيفية العمل فى الزراعة والغراســـة ، خاصـــة اشـــجار الفاكهة ، وتكلموا عن غرس الأشـــجار من حيث انواع الغراس وكيفية عمــل الحفر لها وكذا مواعيدها .

الانظمة الزراعية التى ادخلها المســـلمون الى اوروبا :

● **الطواحين الهوائية** : وهى لا تزال منتشرة فى بعض سهول اسبانيا وفى بعض بلاد أوروبا الغربية والوســـطى وتستخدم لطحن الغلال ولرفع المياه .

● **المدرجات الزراعية** : وهو النظام الذى ادخله العرب ليتفق مع طبيعـــة البلاد الجبلية فى اسبانيا .

● **شق القنوات والقنوات المغطاة** .

● **اقامة الجسور والقناطر** .

● **ادخال الحيـــوانات الزراعية** : مثل البقر والأغنام والماعز والخيول والبغال .

● **ادخال النباتات النـــادرة** : مثـــل الأرز والتوت وقصب السكر والخوخ والمشمش والبرتقال والليمون والبرقوق والرمان والورد والياســـمين والسوسن والريحان والحنـــاء ، والباذنجان والسبانخ واللوبيا والحلفــا والترمس والخروب والخرشوف .

وقد انتقلت النباتات الزراعيـــة من البلاد الاسلامية الى اوروبا بالاتصــال المباشر بين الفلاحين فىاسبانياواخوانهم فى جنوب فرنسا ومنهـــا الى أوروبا كلها .

● **البن « شراب القهـــوة » :**

والقهوة شرابعربى ، فالعرب همأول من عرف القهوة فى التاريخ . فقد كان الصوفيون المســلمون فى القرن التاسع الهجرى يشربون القهوة لتعينهم علــى السهر والتهجد بالليل . وانتشرت فى شبه الجزيرة العربية ثم فى اليمن ثم الى القسطنطينية حيث احبها الأتراك ومنها الى فرنسا حيثانتشرت فى أوروبا كلها فى القرن السابع عشر ثم زرعهـــا الهولنديون فى مستعمراتهم . وزرعهـا الفرنسيون فى جزيرة « سان دومنجو » ومنهـــا انتشرت الى امريكا الجنوبية اشهر البلاد فى انتاج البن .

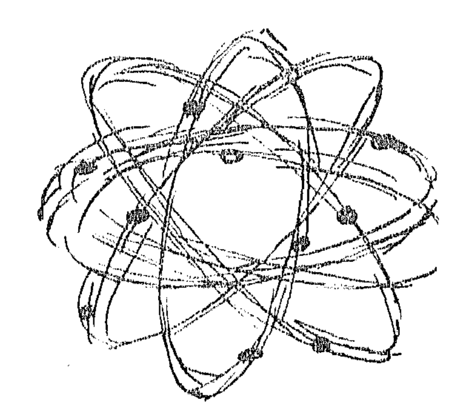
ونقدم بعض الأســـماء الافرنجية للنباتات ، وواضح انهـــا هى نفس الأسماء العربية . وهذا دليل لا ينكره أحد على انتقالها من البـــلاد العربية الاسلامية الى أوروبا .

وهذه بعض الاسماءالعربيةومايقابلها فى الانجليزية :

الأرز	Rice
القطن	Cotton
البرتقال أو اللارنج	Orange
الليمون	Lemon
السكر	Sugar
القهوة	Coffe

وهذهبعض الاسماء العربية ومايقابلها فى الأسبانية :

الحبقة	Al habca
السوسن	Azuecenas
الريحان	Arrayan
الياسمين	Jasmines
الحسيناء	Al hucena
زعفران	Saffran
عطر	Attard



قصة خبر هز العالم

أوشكت الحرب الذرية أن تندلع !

فى الشهر الماضى

● لواء مهندس سعد شعبان ●

عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس .. ورئيس لجنة الفضاء بنادى الطيران المصرى

غارة نووية على امريكا :

خبر قصير نشرته الصحف منذ ايام : انه فى ليلة العاشر من شهر نوفمبر ١٩٧٩ اهتزت اجهزة القيادة فى القواعد العسكرية الامريكية فجأة ، بسبب انذار بغارة نووية على الولايات المتحدة .. وصدرت الأوامر الفورية باقلاع طائرات من طراز « ف ـ ١٠١ » من قاعدة كولومبيا الامريكية ، كما اقلعت طائرات من طراز « ف ـ ١٠٦ » من قواعد فى ولايات أديجون وميتشجان . الا أن قاذفات القنابل الثقيلة طراز « ب ـ ٥٢ » التى تحمل القنابل الذرية ، بقيت رابضة فى المطارات فى انتظار الاوامر التى تصدر من الرئيس الامريكى شخصيا ..

غير ان «الغارة» توقفت بعد ست دقائق فقط ، عندما أعلن المسئولون فى وزارة الدفاع الامريكية « البنتاجون » ان خطأ وقع فى تشغيل الحاسب الالكترونى مما أسفر عنه هذا الانذار النووى الخاطىء .. وتحدد أن الخطأ وقع فى الجهاز الآلى بقيادة الدفاع الجوى بولاية كلورادو ، وانه تم اصلاحه على الفور ! ..

انتهى الخبر ، ولنا معه وقفة .. لأنه لم يكن الخبر الوحيد الذى هز العالم ، وتعلقت به قلوب المراقبين للاستراتيجية الدولية . فقبل ذلك بشهر أو يزيد روع العالم بخبر علمي اهتزت له وزارة الدفاع الامريكية وارتبكت أجهزتها ، وتوقف عليه مصير البشرية .

حدث مدته ثانية

ففى يوم ٢٢ من سبتمبر ١٩٧٩، وقع حدث علمي فريد لم تعهده البشرية ، ولم يألفه العلماء من قبل ، حار فى تفسيره المفسرون ، وتخبط المراقبون .. وسبب ذلك أن الحدث كانت مدته ((ثانية واحدة)) ! ..

فقد ومض ضوء ساطع ومبهر فوق منطقة جنوب المحيط الاطلسي وغطى رقعة واسعة قدرت بأنها ٧٥٠ كم مربعا ولكن هذا الضوء خبا وخيم على المنطقة الظلام مرة أخرى بعد ثانية واحدة .

ثمانى قنابل يطلقها صاروخ واحد

وتيقظت الأوساط العلمية للحدث لأن احد الاقمار الصناعية الامريكية المخصصة للانذار المبكر سجلت اجهزته هذا الارتفاع المفاجىء فى شدة الضوء، وهو القمر الصناعى ((فيلا))

وعلى مدى اربع ساعات متوالية انشغل المسئولون فى ((البنتاجون)) الامريكى وعلى راسهم وزير الدفاع نفسه فى تفسير الحدث لأن مركز الضوء كان يتركز حول راس الرجاء الصالح وفى جمهورية جنوب افريقيا على وجه التحديد .

وانتهى المسئولون الى تفسير الحدث بانه تفجير نووى محدود تم فى دولة جنوب افريقيا .. غير ان التصريحات الرسمية فى هذه الدولة نفت الخبر باستنكار شديد ، لانه يثير الشكوك حول عضوية النادى النووى ! ..

وقد شجع هذا النفى كثيرا من المراقبين على الاجتهاد فى ايجاد تفسيرات اخرى للحدث ، لان المنطقة التى غمرها الضوء تمتد من حافة القارة الغارقة « الانتاركتيكا » قرب القطب الجنوبى، حتى جنوب قارة افريقيا .، وتشمل مساحات شاسعة من المحيطين الاطلسى والهندى معا .

فاصر المسئولون عن متابعة القمر الصناعى الامريكى « فيلا » على ان تفجيرا نوويا حدث فى جنوب افريقيا، لأن القمر يعمل بكفاءة منذ عام ١٩٧٠ وله اكثر من ٤٠ سابقة فى تسجيل تجارب نووية . بينما رجح آخرون فى جنوب افريقيا نفسها ان الامر قد يكون ناجما عن حادث تم فى غواصة نووية سوفييتية . ودللوا على ذلك بان غواصة سوفييتية من طراز «ايكو ـ ٢»



كانت تجوب منطقة راس الرجاء الصالح قبل ذلك بأيام .

غير ان أجهزة المخابرات الامريكية ، حاولت الحصول على دليل ثابت وتفاصيل أكثر دقة عن الحدث فاخذت تزرع المنطقة بطائرات من طراز «سى ـ ١٣٥ »» و (يو ـ ٢) وهى مجهزة باجهزة لرصد بقايا المواد المشعة ، كما قامت بفحص سجلات السفن التى تجوب المنطقة .

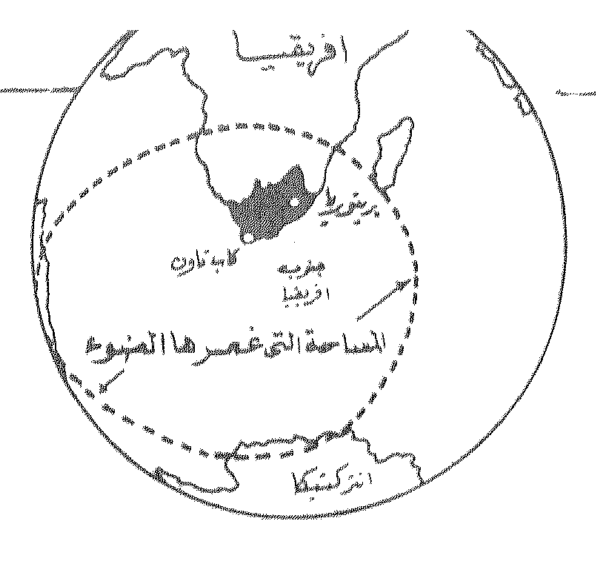
وعكف المحللون على معطيات القمر الصناعى « فيلا » ، فوجدوا أن قوة التفجير الذى سجله لا تتجاوز « ٢ كيلو طن » ، وقارنوا ذلك بالانفجارات النووية المعتادة والتى غالبا ماتزيد على « ١٠ كيلو طن » . فزادت الاحتمالات التى تشير بأصابع الاتهام الى دولة جنوب أفريقيا ، التى تحاول أن تخترق حزام النادى النووى . ولكن بدات اصوات التشكيك فى جدوى اتفاقية « سولت ـ ٢ » بين أمريكا وروسيا تتردد ، وتتهكم من العجز عن مراقبة كل طرف للآخر . وانتهى الأمر بتصريحات غامضة ليس فيها جزم بشىء محدد .

مصير العالم تحكمه المفاجاة

معروف ان المفاجاة احد العناصر الرئيسية لتحقيق النصر فى اى حرب من الحروب ، ولقد ثبت ذلك فى كثير من الحروب ، آخرها انتصارات حرب اكتوبر ١٩٧٣ التى حققها الجيش المصرى على الجيش الاسرائيلى ، اذ احكمت خطة المفاجاة بذكاء نادر بهر العالم وجعل المخابرات المركزية الامريكية فى حيرة من تفاصيل هذه الخطة وعدم القدرة على اكتشافها ، رغم أن العالم كله تحت أنظار عدسات الاقمار الصناعية للتجسس والاستطلاع . والحقيقة ان عنصر المفاجاة تعاظم شأنه بعد الحرب العالمية الثانية ، لأن الكتل المتصارعة فى العالم تحكمها القدرة العسكرية على اطلاق الصواريخ العابرة للقارات وحاملة الرءوس النووية . ويحكمها ايضا التقدم المذهل فى فنون الحرب الالكترونية ، ووسائل الانذار المبكر ، وبعد ان كانت المدة اللازمة لتحقيق عنصر المفاجاة تقدر بسبع عشرة دقيقة خلال الحرب العالمية الثانية نفسها ، تضاءلت هذه المدة حتى اصبحت جزءا من الدقيقة . فمن يبدأ بالهجوم على الآخر ، ويملك زمام المبادأة ويعطل خصمه دقيقة واحدة قبل أن يمالك القدرة على الرد ، يكون له النصر ..

ولذلك أصبح العسكريون يخططون لتحقيق عنصر المفاجاة بشتى الأساليب والوسائل والحيل الخداعية . فنشات عدة افكار ذكية اولها التحفز بحمل الرءوس الذرية والنووية ليس فوق الصواريخ العابرة للقارات فحسب ، بل ايضا بحملها فوق متن الطائرات « ب ـ ٥٢ » من قاذفات القنابل الاستراتيجية الامريكية ذات المدى البعيد . **وجعلها تجوب السماء فى دوريات مستديمة خلال الاربع والعشرين ساعة ، على ارتفاعات عالية ، وعلى مسارات تطوق المساحة الشاسعة للاتحاد السوفييتى من كافة اطرافه .**

ومعروف أن طائرات « ب ـ ٥٢ » جيل قديم من القاذفات الثقيلة عرف منذ الخمسينات ، وادخلت عليها عدة تعديلات لتلائم متطلبات الحرب النووية ، ولزيادة مداها الذى يفوق « ١٦,٠٠٠ » كيلو متر ، والذى يمكن زيادته باعادة التزود بالوقود اثناء الطيران من حاملات وقود طائرة. ولذلك فان الدوريات الاستراتيجية تغطى بلاد المعسكر الغربى كله وتحيط



منطقة انتشار الضوء

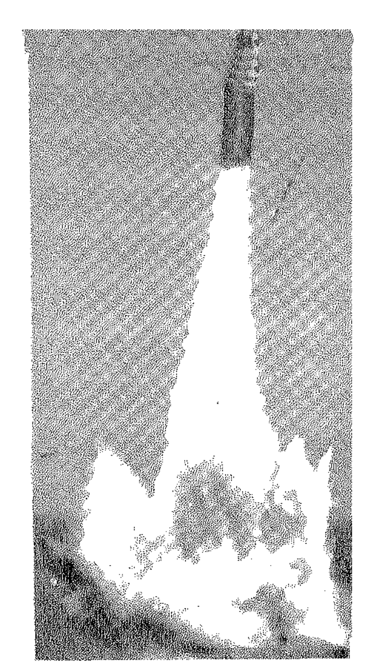
بدول المعسكر الشرقي ، فى مسافات كبيرة . وتطير هذه القاذفات الثقيلة على ارتفاعات شاهقة ، وهى تأتمر من خلال حواسب الكترونية وشبكة اتصالات دقيقه باوامر الرئيس الامريكى نفسه، الذى له وحده سلطة توجيهها الى اهداف معاديه لتصب عليها صواريخها الموجهة ذوات الرءوس النووية .

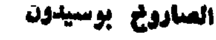
صواريخ تحت الارض وتحت الماء

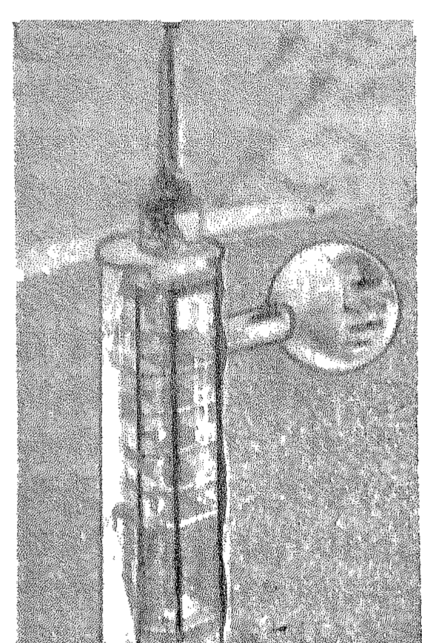
بعد ان أصبحت الدول الكبرى تخطط لاستراتيجيتها على اساس الذراع الطويلة للصواريخ البعيدة المدى والتى تجاوز بعدها ۲۰٫۰۰۰ كيلو متر ، ابتكرت اهذه الصواريخ آبار اطلاق محصنة .. تحت الارض ، وذلك حتى يصعب على طائرات الاستطلاع والاقمار الصناعية اكتشاف هذه الصواريخ بسهولة لأن اطولها يبلغ عشرات الامتار . ولذلك صممت آبار الاطلاق ليختفى فيها الصاروخ بكامله ، وبحيث يسهل التحكم فيه من غرف محصنة تحت الارض ايضا بحيث تحمله المصاعد الكهربائية الى اعلى فى وضع الاطلاق خلال ثوان معدودة ، وامعانا فى اخفاء الصواريخ عن اعين استطلاع الاقمار الصناعية ، نشأت فكرة اخفائها فى الغواصات اعتمادا على عدم ظهور الغواصات على شاشات الرادار وعدم مقدرة التعرف على ما تحت الماء بسهولة من الفضاء. ومن ثم خططت الولايات المتحدة الامريكية ،

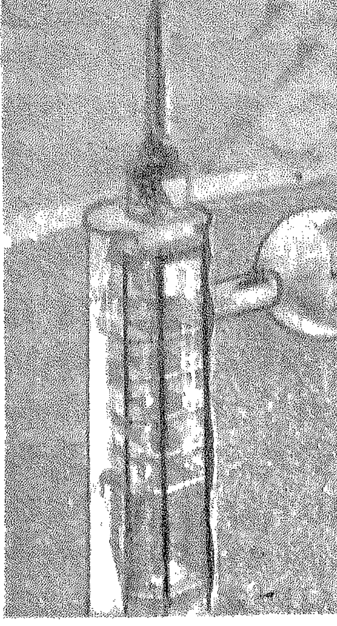
الصاروخ بولاريس

وشركاؤهـا فى حلف الاطلنطى لاستراتيجيتها على اساس التكامل بين ما يمكن ان تحققه دوريات الطائرات « ب ـ ٥٢ » ، وما يمكن أن تصل اليه صواريخ « بولاريس » المحمولة فى باطن الغواصات الذرية . ولقد عرفت صواريخ بولاريس منذ أوائل الستينات، وصممت لتحمل كل غواصة ذرية ١٦ صاروخا منها . ويبلغ مدى




الصاروخ بوسيدون






بئر لاطلاق الصواريخ من تحت الارض

كل منها ٢٥٠٠ كيلو متر او يزيد ، وتم هذا التصميم على أساس ابعاد البحار والمحيطات التى تحيط بالاتحاد السوفييتى من ثلاث جهات .

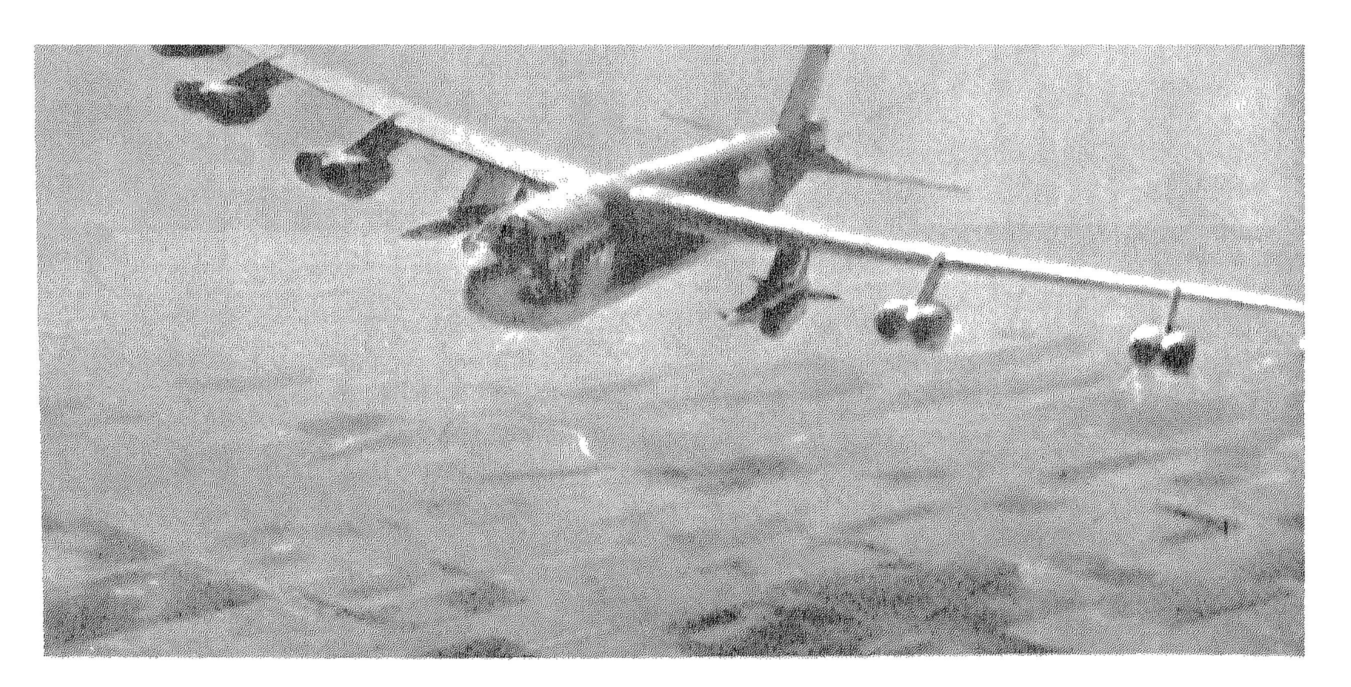
ولكن رغم مرونة الحركة التى تضفيها هذه الغواصات ، ورغم خفة وزن الصاروخ ، فان الأمر تطلب ادخال بعض التعديلات على هذا النوع من الصواريخ حتى بلغ مداه ٤٦٠٠ كيلومتر ، وهو محمل بالرءوس النووية ، ويمكن اطلاقه والغواصة تامة الغطس تحت الماء .

ولكن فى أواخر الستينات طورت الولايات المتحدة الامريكية الصواريخ التى تطلق من تحت الماء ، بانتاج صاروخ اكبر وزنا تحت اسم ((بوسيدون)) ولكنه يستطيع حمل راس نووى اكبر وزنا واكبر قدرة تدميرية ، او حمل عدة رءوس نووية تصل الى عشرة رءوس يحملها صاروخ واحد ، لتوجه الى عدة اهداف متفرقة فى آن واحد . ولذلك فالفارق بين ((بوسيدون)) و((بولاريس)) ، يتركز فى مجموعة التوجيه التى تتحكم فى دقة توجه الراس النووى الى اهدافه .

وبذلك يمكن القول أن انتاج هذا الصاروخ حقق المثل الشائع ((اصاب عصفورين بحجر واحد)) ، والحقيقة انه يمكنه اصابة عدة عصافير . وعلى أساس التدقيق فى صناعة هذا النوع من الصواريخ التى تطلق من تحت الماء ، تطورت صناعة ((الفواصات الذرية)) التى تستطيع أن تنقب قبة الجليد التى تغطى القطب الشمالى فى حركتين متوافقتين فى الاتجاه الافقى لتتقدم خلال الجليد الى الامام ، وفى حركة دورية حلزونية لتستطيع أن تذيب الجليد المتماسك فى صلابة . ويقدر الزمن اللازم لاختراق قبة الجليد القطبية كلها بعدة سنوات قد تمتد حتى أربع سنوات . وكل هذه الاستعدادات من أجل تحقيق المفاجاة من خلال أقصر الطرق وهى المسافة القصيرة بين أمريكا وروسيا عبر القطب الشمالى .

الفضاء سيد المفاجآت

بعد توالى اطلاق الأقمار الصناعية الى الفضاء ، وتطور اجهزتها ، بدات الدول الكبرى فى استخدام الفضاء للاغراض العسكرية تحت اسم اقمار الانذار المبكر ، او الاستطلاع ، **وهى تسميات مهذبه للتجسس . والحقيقة ان تكنولوجيا الفضاء كانت سببا مباشرا فى تطور كل التكنولوجيات الاخرى بما فيها التكنولوجيا العسكرية التى تشمل اجهزة الاستطلاع والاستشعار من بعد والانذار المبكر ، والرؤية فى الظلام . ولقد اخذ عنصر المفاجاة بعدا جديدا من خلال التقدم**



قاذفة القنابل بعيدة المدى ب ــ ٥٢

في استخدام الاقمار الصناعية للاغراض العسكرية المعلنة او غير المعلنة ، وذلك بأساليب سلبية أو ايجابية .

ومن الوسائل السلبية ، فضح كل ما هو فوق سطح الارض ،أمام عدسات كاميرات التصوير في الاقمار الصناعية بحيث يصعب اخفاء أي شيء عنها مهما احكم اخفاؤه او تمويهه سواء بالليل او بالنهار فهذه العدسات قادرة على تمييز الطائرات داخل حظائرها بل هي قادرة على رصد المسمار الذي تربط به اجزاء كشك خشبي صغير الى بعضها، عندما تخضع لعمليات تكبير متوالية .

ثم زاد التطور عندما اصبحت عدسات هذه الاقمار قادرة على تمييز بعض القرائن التي تفضح ليس فقط ما فوق سطح الارض ،بل ايضا ماتحت السطح ، سواء كان ذلك مياها ارتوازية، أو آبارا بترولية، أو رواسب معدنية او آثارا مطمورة ، وذلك بقياس الأشعة تحت الحمراء الصادرة منها .

ومن ثم أصبحت الآبار المحصنة لاخفاء الصواريخ الاستراتيجية سهلة الاكتشاف من الفضاء . فضلاً عن كل التحركات العسكرية العادية سواء كانت بمدرعات أو مصفحات أو عربات ، أو بواسطة افراد .

ولكن الاساليب الايجابية لتحقيق المفاجاة من الفضاء تعتبر قمة في التكنولوجيا وتتمثل في اطلاق الأقمار الصناعية التي تستطيع ان تحمل القنابل النووية بدلا من أجهزتها . وتظل متصلة بالارض ، طوال مسدة دورانها على مداراتها العالية من الفضاء بحيث يمكن التحكم في توجيهها الى اهداف ارضية من هذه الارتفاعات الفضائية العالية . وزاد الامر تعقيدا عندما أمكن تحميل هذه الاقمار ، اكثر من قنبلة واحدة ، بحيث أصبح ممكنا توجيه « القنابل المدارية » الى اكثر من غرض ارضي واحد

وهكذا أصبحت المفاجاة من الفضاء اكثر وسائل المفاجاة فاعلية على اصابة الاهداف .. وتدميرها . وكل ذلك يتم في اطار تحكم الحواسب الالكترونية في مسارات الاقمار الصناعية ومتابعتها .

ولكن هل وضع العلماء في حساباتهم احتمالات الاخطاء التي يمكن أن تقع لهذه الحواسب كما حدث يوم ١٠ من نوفمبر الماضي ؟.

احسب ان الحقيقة مرة .. هي ان الانسان أصبح عبدا للآلات التي اخترعها . وأن مصير العالم معلق بخطأ واحد يمكن ان يحدث فيجعل الحضارة الانسانية في خبر كان !

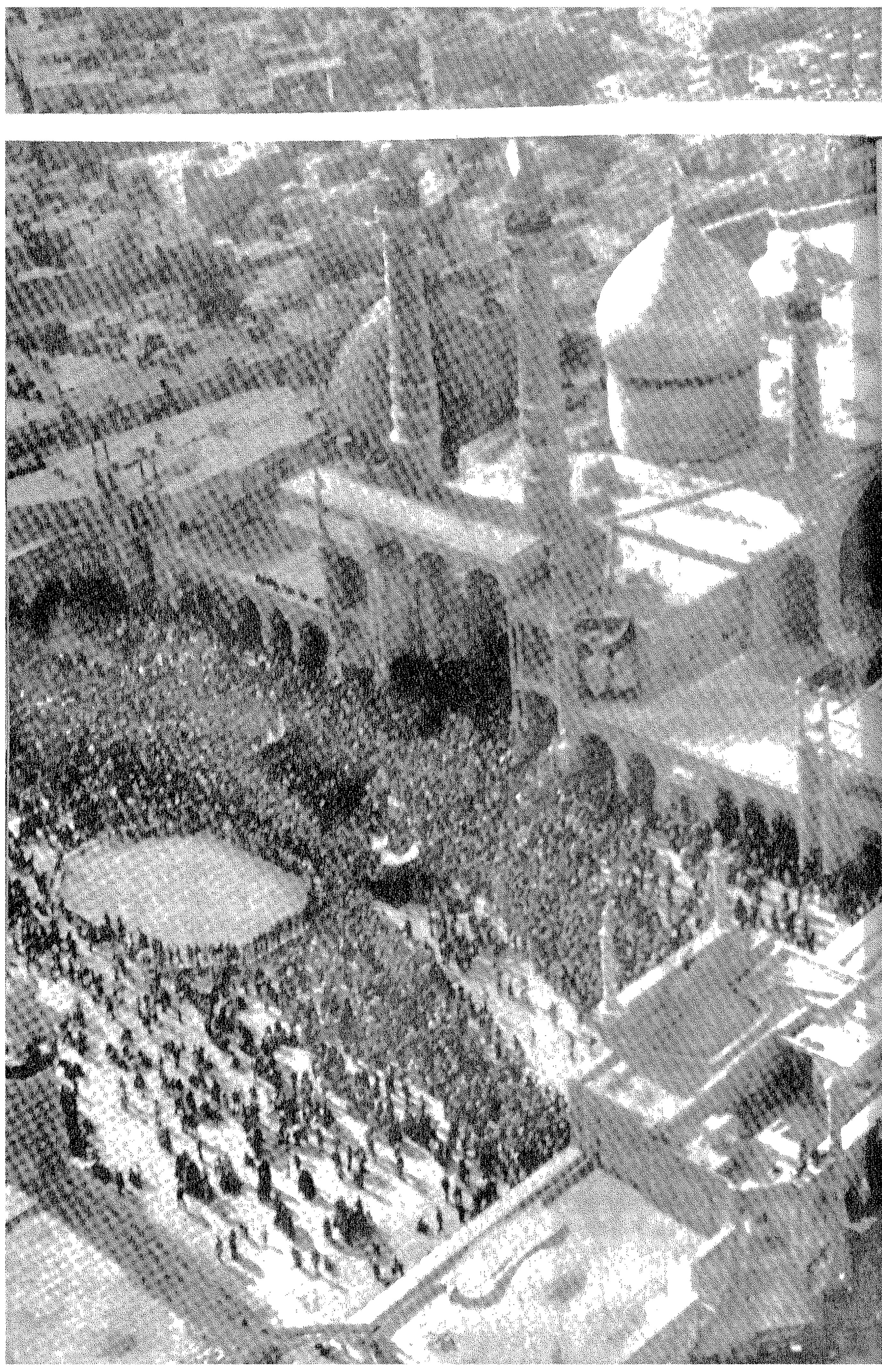
هذا هو مسجد «قم»

يتوارد فى الصحف اليوم ذكر « قم » وهى المدينة الايرانية التى اصبحت اليوم العاصمة السياسية لايران نتيجة للجمهورية الاسلامية التى أعلنت هناك ..

وقم مدينة صغيرة فىوسط ايران ، كانت قريةعندما اختارها اسماعيل الصفوى وانشا فيها واحدا من المساجد الشيعية الكبرى عندما جعل المذهب الشيعى فى ايران مذهبا قوميا . وقد فعل مثل ذلك ببلخ التى اصبحت تسمى مزارى شريف ومشهد التى أصبحت تسمى مشهد على ..

ومسجد قم مشهور بضخامته واتساع صحنه الذى يستعمل مكانا للاجتماعات الدينية فى غير أوقات الصلاة

وفى وسط الصحن مساحة مفروشة بالرخام ومسورة مخصصة لامام قم الذى يعتبر واحدا من الآيات أى الشيوخ الكبار فى ايران ، اما الشيخ الصغير فيسمى الملا .



خرافة السيجارة ولغة "أكلونى البراغيث"

من نكد الدنيا ان يقبل الناس على التدخين بعد ما تبين من انه سبب من اكبر اسباب طائفة من الهن الامراض منهـــا السرطان ..

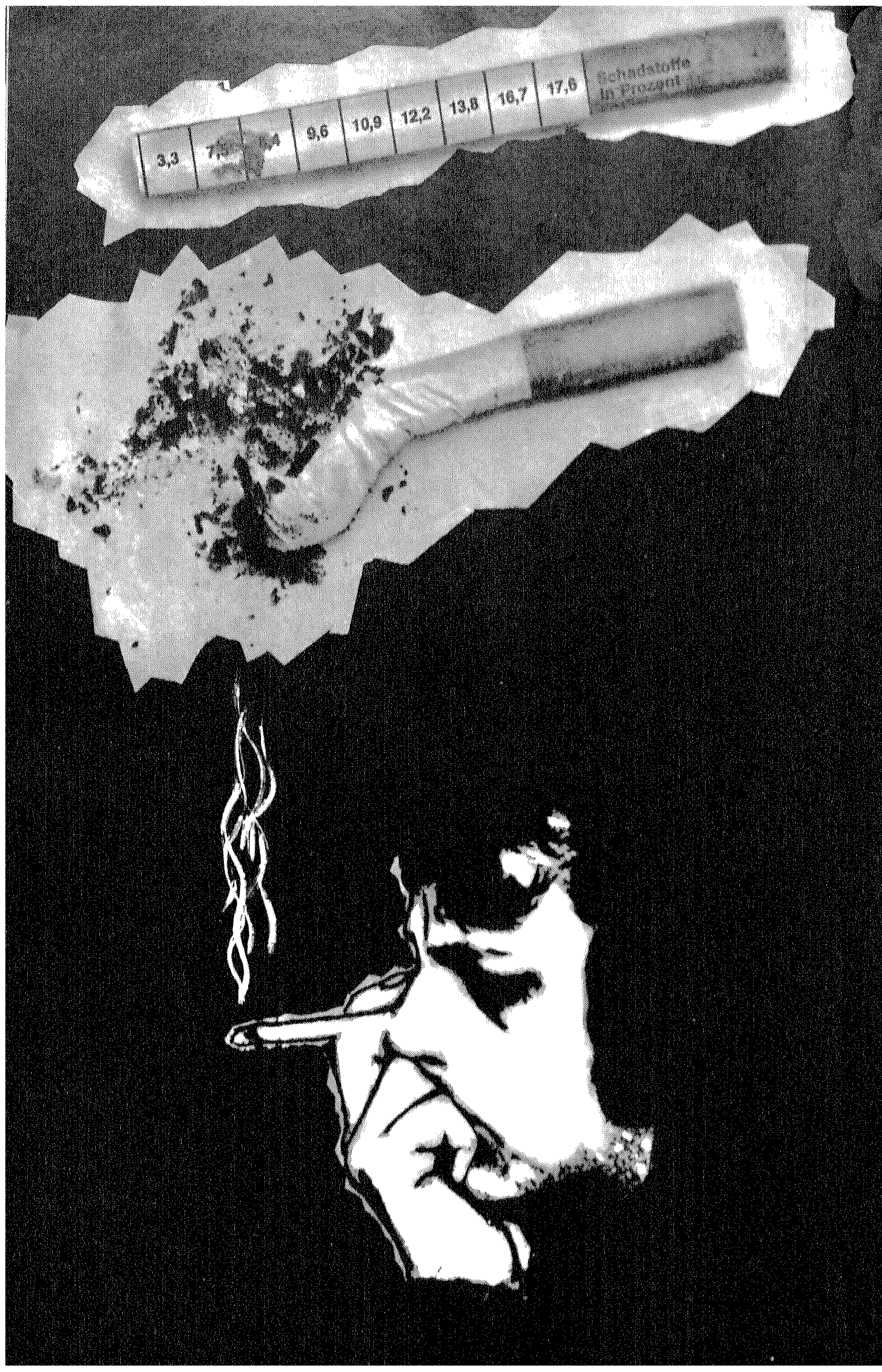
والنكد من ذلك ان تنفق شركات السجائر الملايين فى دعوة الناس الى تناول السم الذى تنتجه ..

والنكد وانكـد ان يســتعملوا فى هذه الدعاية التى تغطى مســاحات شاسعة من صفحات الجرائد والمجـــلات ولوحات الاعلانات لغة رديئة تدخل تحت ما يسمى عادة بلغة اكلونى البراغيث ..

ان السيجارة نار تحرق وقطران يستقر فى الصدر ..

وقد اثبت معهد بحوث الصدر فى فرانكفورت ان السيجارة التى طولها ١٠ سنتيمترات خمسها مصفاة او فلتر ـ لا يضر شيئا والباقى منه سنتيمتر واحد لا يضر عند التدخين والباقى سم زعاف .

فاجعل هذه السيجارة ـ ان كنت مدخنا ـ آخر ما تدخن، او دخن من كل ســيجارة سنتيمترا واحدا هو النفس الاول ثم ارم بها ..


3,3
9,6
10,9
12,2
13,8
16,7
17,6
Schadstoffe
in Prozent

هذا هو القمر الصناعى

سمعت كثيرا عن القمر الصناعى ، وخيل لك ــ فى الغالب انه قمر صغير معلق فى الفضاء حول الارض ••

ولكن القمر الصناعى الذى يسمى فى اللغات الاوروبية باسم ساتلليت أو تابع هو جهاز معقد بعيد كل البعد عن استدارة الاقمار • انه شبه طائرة ذات جناحين كبيرين ، يطلقونه من الارض فى صاروخ ، وعندما يصل الى الارتفاع والوضع المطلوبين ينفجر الصاروخ ويخرج منه التابع ويظل مكانه فى الفضاء غير متأثر بجاذبية الارض • ثم يبرز منه جناحان عريضان هما عبارة عن سطحين يجمعان اشعة الشمس وباشعة الشمس تعمل أجهزة القمر الصناعى وهى اجهزة استقبال وارسال ، تستقبل الصور التى تتحول الى موجات صوت وضوء وتعيدها صورا واصوات مرة أخرى ثم تعيدها الى أجهزة الاستقبال على الارض ••

هذا هو القمر الصناعى عن قرب وبعيدا عنه ترى كرة الارض سابحة فى الهواء •

••



لكل شهر عربي قصة..

شهر ربيع

▪ مصطفى الشهابي

كان شهر ربيع الاول يسمى « خوان » بفتح الخاء وتشديد الواو ... والخوان في اللغة هو المبالغ في الخيانة والغدر ، لان العرب في ذلك الشهر كانوا يقومون بالغارات المفاجئة خلاله ويعودون منها بالغنائم والأسلاب ، وقال شاعرهم :

وفي النصف من خوان ود عدونا
بانه في امعاء حوت لدى البحر

وكان شهر ربيع الآخر يسمى (بصان) (بضم الباء وفتح الصاد) أو « وبصان » بفتح الواو وتسكين الباء ، وسمي بذلك لوبيص السلاح فيه اي بريقه . ثم غير الاسمان الى ربيع الاول وربيع الآخر ، فقد صادف وقت ذلك التغيير في الاسم ان كانت الابل ترتبع فيهما أي تأكل العشب ، ومن ثم كانا شهري خير وبركة . والربيع الخصب وكل ما ينبت في الربيع من الأعشاب .

وقد التزمت العرب أن تقرن كلمة ربيع بكلمة شهر تمييزا لربيع الاشهر عن ربيع الزمان والفصول ، لهذا كان من الحتم أن يقال شهر ربيع ، سواء أكان الاول أم الآخر (بكسر الخاء) ..

ويقال ربيع الآخر لا الثاني ، كما يجرى الاستعمال على أقلام الكثيرين اليوم ، لان التعبير بالثاني يعني أن يكون هناك ربيع ثالث .

وبعد ظهور الاسلام اصبح لشهر ربيع الاول شرف وقدر لمولد النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، ولذلك يسمى « ربيع الانوار » وقد اشتهر عند الكثيرين باسم « شهر المولد » .. ويعتقد البعض ان من يولد فيه يعيش سعيدا موفقا .

وتيمنا باسم الرسول الكريم، يسمى المولود في ذلك الشهر احيانا باسم « محمد » ، كما يستحب فيه عقد الزواج لان الرسول عقد له على خديجة في العاشر منه .

ومن الموافقات العجيبة في حياة الرسول الكريم ان شهر ربيع الاول كان شهره من بين الاشهر ففيه كان مولده وفيه كانت هجرته التي اتخذت بداية للتقويم الاسلامي . وفيه كان انتقاله الى الرفيق الاعلى ، ولهذه الموافقات سر يعلمه من اصطفاه على سائر خلقه واختصه برسالته .

وفي ربيع الاول من السنة الثالثة الهجرية قام الرسول بغزوة ذي أمر لرد محاولة بني غطفان الهجوم على المدينة ، فلما علمت غطفان بتحرك الرسول اسرعت بالفرار ولم يحدث قتال . وما كاد الرسول يعود الى المدينة حتى علم باستعداد بني سليم لقتال المسلمين ، فلما خرج اليهم بادروا الى التفرق والفرار .

وفي السنة الهجرية الرابعة اجلى الرسول بني النضير اليهود عن المدينة وذلك لتآمرهم على اغتياله وحض قريش على قتاله ، وكان ثمار ذلك الجلاء ان استولى المسلمون على ارضهم ومساكنهم ومغانم اخرى .

وفى السنة الخامسة للهجرة غــزا الرسول القبائل المقيمة على حــدود بلاد الشام لاعتدائهم على من يمر بهم من المسلمين واعتزامهم غزو المدينة ، فلما قصد اليهم بادروا بالفرار تاركين غنائم كثيرة للمسلمين .

وفى السنة السادسة للهجرة غزا الرسول بنى لحيان لارهاب قــريش وغيرهم من أعداء الاسلام ثم الانتقام منهم لقتلهم من اوفــدهم الرسـول لدعوتهم للاســلام ، ولــكنهم فروا واعتصموا بالجبال . ثم تلت تلك الغزوة غزوة الغابة او « ذى قرد » وفيهـا سار الرسول الى بنى غطفان لتاديبهم بسبب اغتصابهم لابل يملكها الرسـول كانت ترعى قرب المدينة . وقد جرى فيها قتال قصير اعقبه فرار الاعــداء واسترداد ابل الرسول .

وكانت نهاية غزوة خيبر فى ربيـع الاول من السنة السابعة الهجرية وفيها هاجم الرسول اليهود المقيمين شــمال المدينة لاثارتهم المشركين على المسـلمين وجرى قتال فى الأحراش انتهى باقتحام المسلمين حصون اليهود وسقوطها فى أيديهم واحدا بعد الآخر ، واخـيرا تم الصلح على ان يكون للمسلمين نصف الثمار لما يملكون من اشجار ، هــذا عدا الغنائم الوافرة ويتصل بتــلك الغزوة اهداء زينب بنت الحارث شاة مسمومة للرسول وبعض صحابته ، واكتشاف الرسول لذلك بعد ان لاك قطعة منها ، ظل تاثير سمها حتى انتقل الى الرفيق الاعلى ، وكانت صفية بنت حيى بن اخطب من السبايا وقد تزوجها الرسول بعد تلك الغزوة .

وفى شهرى ربيع اوفد الرســول بعوثا وسرايا اهمها بعث محمــد بن مسلمة الانصارى لقتل كعب بن الاشرف اليهودى لتحريضه على قتل الرسـول ولتشبيبه بنساء المسلمين . وقد تم قتل كعب .. اما السرايا فعديدة وتبــلغ نحو احدى عشرة سرية كانت خاتمتهـا السرية التى اعدها الرسول بقيــادة اسامة بن زيد لقتال بنى غسان والروم انتقاما لمقتل زيد بن حارثه وجعفـر بن ابى طالب فى مؤتة فى جمادى الاولى من العام الهجرى الثامن ، ولكن تلــك السرية عادت للمدينة عندما علم اسامة بوفاة الرسول . ثم ادت مهمتهـا فى اوائل خلافة ابى بكر الصديق ..

وممن ولدوا فى شهر ربيــع الاول السيدة نفيسة والــرحالة ابن جبير ، وكذلك ابن تيمية ، وابو العلاء المعرى ... اما المتوفون ففى طليعتهم الرسول الكريم ، والحسين بن على ، وسكينة ابنته ، والامام مالك ، والسيد احمـد البدوى ، والسلطان محمد الفــاتح ، والملك عبد العزيز آل سعود . ثم الملك فيصل الذى اغتيل فى ذلك الشهر .

اما ربيع الآخر فقد مات فيــه ، الخليفة هشام بن عبد الملك ، والمعــز لدين الله الفــاطمى ، وابو فــراس الحمدانى الشاعر .

واشهر احداث شهرى ربيع هــو رمى الحجــاج للكعبة بالمنجنيق فى حصاره لابن الزبير ، ثم زواج قطــر الندى بالخليفة المعتضد ، وكذا وصول القرامطة الى القاهرة وصدهم عنها ، ثم انتصار صلاح الــدين الايوبى على الصليبيين فى معركة حطــين . وكان سقوط غرناطة وانتهاء حكم العــرب للاندلس واسبانيا فى ربيع الاخر وفيه ايضـا شنق طـــومان باى على باب زويلة .

في العدد القادم

الادب والمستقبل

- حلقة جديدة من الاستفتـــاء الادبى عن الادب المستقبل
- القرصنة عمل غير عربى ــ تتمة ما نشر

مرحبا بميلاد المسيح

• احمد حسن الباقورى •

كلما اقبل عيد الميلاد المجيد ، تنادت فى صدورنا معان كثيرة كبيرة ، تقتضينا حقه فى احتفال نقيمها ، او نستجيب للدعوات اليها ، تكريما لذكرى ميلاده — عليه السلام — بمايرضاه الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، اولئك الذين هدى الله ، واولئك هم اولو الالباب .

واشرف تحية لميلاده الشريف ، تحية نستصحب فيها ماقال الله تعالى ، وما قال رسوله — صلى الله عليه وسلم — ثم مايأثره الثقات عن اسلافنا الصالحين

فأما التحية فيما قال الله ، فاليه الاشارة بالآية من سورة آل عمران : **« اذ قالت امراة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم »**

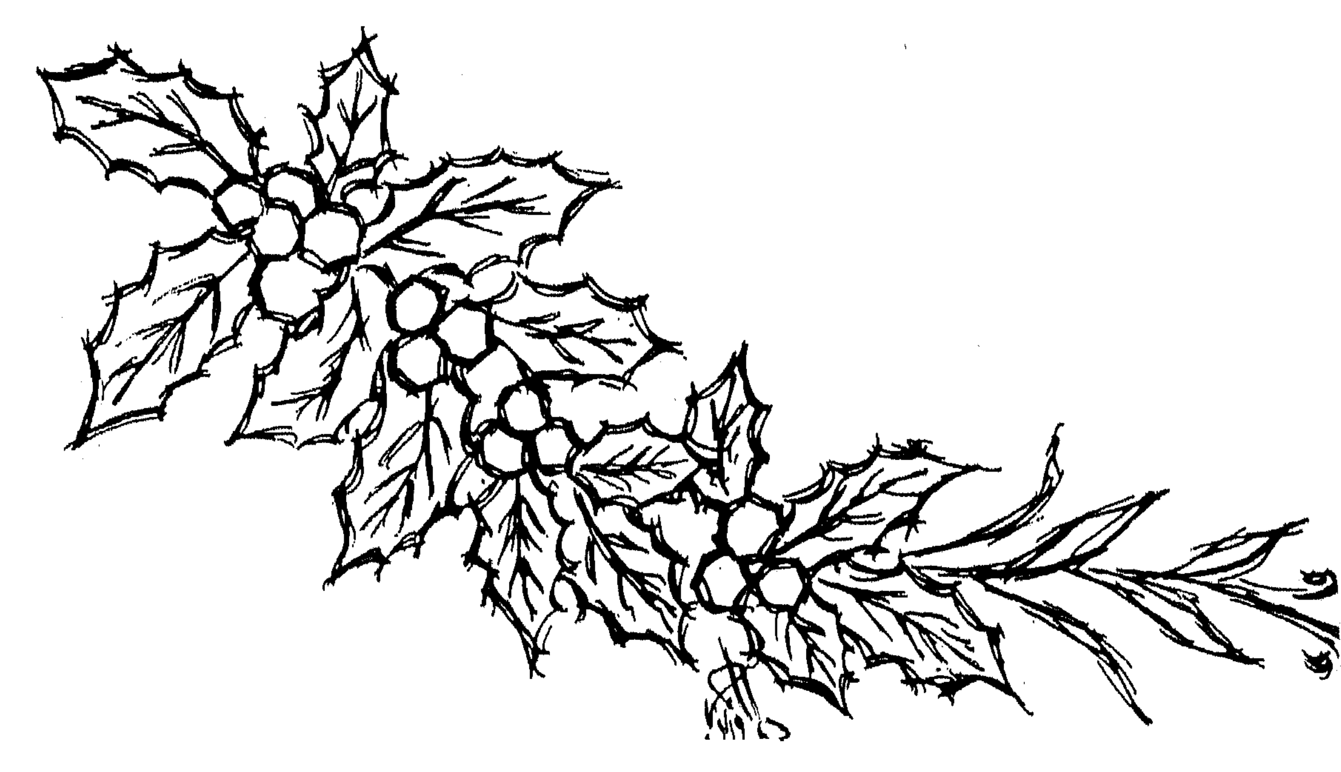
فقد تضمنت هذه الآية حقيقة دينية تاريخية موثوقة ، خلاصتها ان امراة عمران كانت عاقرا لاتلد ، وذات يوم أبصرت طائرا فى ظل شجرة يطعم فرخا له ، فتحركت نفسها الى الولد ضارعة الى الله — تعالى — ان يكون لهما من ولد نصيب ، ثم نذرت أن تجعل هذا الولد سادنا لبيت المقدس بحيث يكون خالصا للخدمة ولا سلطان لأحد عليه

ولم يكن الولد فى خيال السيدة الكريمة الا غلاما ، يقبل فى سدانة بيت المقدس ، لان الانثى لم تكن تقبل فى ذلك الاحتراف الشريف

***

وقد استجاب الله دعاء المراة الصالحة زوجة الرجل الصالح وام العذراء البتول فاعطاها الولد ولكنه كان انثى ، وكان امرا طبيعيا ان تحزن الوالدة حزنا شديدا ، لم يدفع آلامه عن نفسها الا ان الله تقبل هذه الانثى ، ورضيها لخدمة بيته الكريم ، على ماتشير الى ذلك الآية الشريفة : « فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »

ووجه التحية لميلاد المسيح فى هذه الآية ، ان الله قد اختار له ارحام المؤمنات الطاهرات ، الى اصلاب



المؤمنين الطاهرين من لـــدن ابيه واب الانبياء ابراهيم عليه السلام .

واما التحية فيما قال رسول الله ، فانه الحديث الذى اخرجه البخـارى ومسلم : « ما من بنى آدم من مولود ، الا ينخسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من نخسته ، الا مريم وابنها »
ووجه التحية لميلاده ـ عليه السلام ـ فى هذا الحديث النبوى الشريف ، أن الله جنبه مع امه سلطان الشـــيطان عليهما ، استجابة لدعوة جدته لأمـــه :
« رب انى وضعتها انثى ، والله اعـلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ، وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ..

***

واما التحية فى المأثور عن اسلافنـا الصالحين ، فهو مايرويه الثقات من ان ابا هريرة قال : قال رســول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « خير نساء ركبن الابل ، نساء قريش : احناه على ولد فى صغره ، وارعاه على زوج فى ذات يده »

وجه التحية فى هذا الحديث ان ابا هريرة حين روى هذا الحديث ، أردف يقول : « ومريم ابنة عمران لم تركـب بعيرا قط » ، يريد بذلك ان تظل مريم افضل نساء العالمين .
وقد نمى الى امير المؤمنين عمـر ان أحد أبنائه سمى نفسه « أبا عيسى » فلما به اليه ، ثم سأله ، هل سـميت نفسك « أبا عيسى » ؟ فقال : نعم فقال له عمر ـ فى حدة وغضب ـ : « لقد جعلت له أبا وجعلت نفسك ابا له » ثم اخذه بالسوط وهو يستغيث بغـير مغيث ، ولم يدفع عنه حرارة الضرب الاأنه قال لأبيه : اننى اتوب الى الله ثم اليك ، ولن اسمح لاحد أن ينادينى بهذا الاسم بعد ذلك .

تلك كلمات رأينا انها خير ما تكرم به ذكرى المسيح فى عيد ميلاده المجيد ، والضراعة الى الله ـ عز وجل ـ ان يعيد هذا العيد على شعبنا المصرى العـريق وامتنا العربية المجيدة ، والوحـــدة الوطنية شـامخة المعالم خفـاقة الاعلام ، فى اطار كـريم من الحرية الشـاملة والعدالة الكاملة والسـلام العـزيز ●

من آيات التلاقي

بين المسيحية والإسلام

● الأنبا غريغوريوس (*)

اسقف عام الدراسات اللاهوتية العليا
والثقافة القبطية والبحث العلمي

لعله مما يخدم قضية الوحدة الوطنيــة بين المســلمين والمسيحيين ، وهم ابنـــاء بلد واحد ، مصر الحبيبة ذات الحضارة التليدة بل منبع الحضارات ، وملتقى الديانات ، ان يتبين ابناء هـذا البلد ، الامور التى تجمع بينهم ، روحيــا وعقائديا ، مما يدعم المحبة بينهم ،ويوطد وشائج المودة ، ويقوى أواصر الوحدة ، فيجعل منهم امة لا تنحر ، صلبــة لا تقهر .

ليست هذه دعوة الى نبذ الخصائص المميزة للاسلام او للمسيحية ، ولا هي مناداة بنــوع من الميوعة الدينيــة العقائدية ، معاذ الله فما قصدنا الى شيء من هذا !

انما جل قصدنا أن نهدىء من حرارة حمى الخلافات العقائدية بين الاســلام والمسيحية ، حتى لا يتصاعد منها بخار خانق لمحبتنا ، ونحن ابناء عائلةواحدة، ويتحول الى غمام قاتم يحجب رؤيتنــا لما يجمع بيننا في الواقع من اصـــول واحدة مشتركة عزيزة على جميعنا

أفهل هناك من شك في أن المسيحيــة والاسلام يدعوان الى عبادة الله الواحد الاحد الصمد ، الذى لم يكن له كفوا احد ، والذى ليس كمثله شيء ،السميع البصير الغفور الرحمن الرحيم ، القوى العزيز رب العرش الكريم ، وهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، وانهما يأمران بالخير والمعروف واقام الصلاة ، وينهيان عن الفحشــاء والمنكر والبغى والاثم والعدوان ؟

أليس الاســلام والمسيحية يأمران باكرام الوالدين ويناديان ان اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا؟

الا ينادى دين المسيح ودين محمــد بالنهي عن القتل والزنا والسرقة والكذب

وشهادة الزور ، وان لا يجعل المؤمنون الله عرضة لأيمانهم ؟

الا يأمر الدين الاسلامي والدين المسيحي المؤمنين ان اركعوا واسجدوا واعبدوا وافعلوا الخير ، وان يقضوا بالحق ، واذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل ؟

الا يتفق الدين المسيحي مع الدين الاسلامي على ان متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ، والدار الاخرة خير للذين يتقون ؟ وان المتقين هم اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة ، وان الاخرة هي دار القرار ، وان الاخرة خير وابقى ؟

في كل اولئك يلتقي المسلمون والمسيحيون ، يؤمنون بالله واليوم الاخر ، يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ، ويرجون الله واليوم الاخر .

والمعروف ان الاسلام دين توحيد ، والدعوة الاسلامية دعوة للايمان بالله الواحد ، وعبادته ، وعدم الاشراك به وما اكثر النصوص القرآنية التي تدعو الى التوحيد صراحة ، وتضمينا :

« والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » (١٦٣ م البقرة ٢)
« انما الله اله واحد » (١٧١ م النساء ٤)

« وما من اله الا اله واحد » (٧٣ م المائدة ٥)

« قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون » (١٩ ك الانعام ٦)

« قل الله خالق كل شيء وهوالواحد القهار » (١٦ م الرعد ١٣)

« وليعلموا انما هو اله واحد » (٥٢ ك ابراهيم ١٤)

« الهكم اله واحد » (٢٢ ك النحل ١٦) .

« وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد » (٥١ ك النحل ١٦) .

« انما الهكم اله واحد » (١١٠ ك الكهف ١٨)
(١٠٨ ك الانبياء ٢١)
(٦ ك فصلت ٤١)
« فالهكم اله واحد » (٣٤ م الحج ٢٢)
« ان الهكم لواحد . رب السموات والارض وما بينهما » (٤ ك الصافات ٣٧)
«وما من اله الا الله الواحد القهار» (٦٥ ك ص ٣٨)
« سبحانه هو الله الواحد القهار » (٤ ك الزمر ٣٩)
« لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» (١٦ ك غافر ٤٠)

« قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا » (١٣٣ م البقرة ٢)
« وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو » (٣١ م التوبة ٩)

كذلك المسيحية دين توحيد .

فقانون الايمان الذي يردده جميع المسيحيين في صلواتهم الخاصة والعامة ويتلونه في كل خدمة دينية وفي كل قداس ، وفي كل صلاة من الصلوات اليومية ، باكرا ونهارا وعشية ، ويرنمونه ترنيما ، ومنذ القديم ، واليوم ، والى الابد ، يقولون في مطلعه « بالحقيقة نؤمن باله واحد » .

والمسيحيون يؤمنون وينادون بان الله واحد ، ولا يمكن الا ان يكون واحدا ، ويقولون : اذا كان هناك اله آخر غير الله ، فما عمل هذا الاخر ، وما هو اختصاصه ؟ لانه مادام الله غير محدود وغير متناه ، فلا مجال لاله آخر ، لان وجود هذا الاخر يتعارض مع صفة اللا نهائية واللا محدودية في الله .. فانه طالما ان الله يتصف باللانهائية واللا محدودية ، فوجوده اذن يملأ كل مكان ، ولا يخلو منه مكان .. فكيف ، ولماذا ، واين يوجد الاله الاخر ؟ وهل هذا الاخر هو في الكون

ام خارج الكون ؟ فاذا كان فى الكون ، فهل هو فى كل مكان فى الكون ، ام فى مكان دون مكان ؟ فاذا كان فى كل مكان فهو شريك مع الله فى وجوده .. وبذلك يصبح وجود الواحد منهما فضلة زائدة مع الاخر .. فاذا كان الاخر كائنا فى مكان دون مكان ، فيترتب عليه أن يكون كل منهما محدودا فى المكان ، وهذا يتعارض مع كونه الاله الحقيقى الكائن فى كل مكان ولا يخلو منه مكان .

***

ثم لما كان الله قادرا على كل شيء فلماذا يكون ثمة اله آخر ، وما هو اذن عمل هذا الاخر ؟ .. هل ياخذ هذا الاخر شيئا من اختصاص الله ؟ ..

لو كان الامر كذلك لترتب عليه ان يكون الله غير قادر على كل شيء ، او يكون قادرا على اشياء دون اشياء لان هذه الاشياء تدخل فى اختصاص الاله الاخر المزعوم ..

وهكذا يمكن منطقيا وعقليا رفض القول باكثر من اله واحد .. واعتباره محالا ، لا يقبله العقل ولا يسيغه .

***

ولقد كتب آباء الكنيسة المسيحية الى الوثنيين قديما ، يثبتون لهم بالدليل العقلى ان الله واحد ، ولا يمكن الا ان يكون واحدا ، وان القول باكثر من اله امر لا يقبله العقل .. وكان لابد لاباء الكنيسة ان يكتبوا للوثنيين مدافعين عن عقيدة التوحيد ، بالدليل العقلى والمنطقى ، ولا يكتفون بالادلة النقلية المقتبسة من نصوص الكتب المقدسة ، لان الوثنيين لا يؤمنون بالكتب المقدسة

وقال المسيحيون ان « الواحد » هو أصل الوجود ، عليه يقوم كل شيء ، واليه يرتد كل شيء ، ومنه يتركب ويتكون كل الوجود .. ولا يوجد قبل « الواحد » شيء ، فهو الاصل ، أو هو اصل الوجود .. واذن فالواحد هو الله والله واحد ، ولا يمكن الا ان يكون واحدا ، ولا يوجد غير اله واحد .

واضاف المسيحيون الى الادلة العقلية والمنطقية التى واجهوا بها الوثنيين ادلة اخرى اقتبسوها من اسفارهم المقدسة ، وكانوا — ومازالوا — يبرزونها للمؤمنين من المسيحيين ، ولغير المسيحيين ممن يسالونهم عن اسانيدهم فى اعتقادهم ووحدانية الله .

ومن هذه النصوص :

«الرب هو الاله ، ليس آخر سواه» (التثنية ٤ : ٣٥)

« الرب هو الاله فى السماء من فوق، وعلى الارض من اسفل . ليس سواه» (التثنية ٤ : ٣٩)

« الرب الهنا رب واحد » (التثنية ٦ : ٤)

« الرب وحده .. وليس معه اله » (التثنية ٣٢ : ١٢)

« انا انا هو ، وليس اله معى » (التثنية ٣٢ : ٣٩)

« لانه ليس غيرك » (١ . صموئيل ٢ : ٢)

« واعدوا قلوبكم للرب ، واعبدوه وحده » (١ . صموئيل ٧ : ٣)

« قد عظمت ايها الرب الاله ، لانه ليس مثلك ، وليس اله غيرك » (٢ . صموئيل ٧ : ٢٢)

« لانه من هو اله غير الرب » (٢ . صموئيل ٢٢ : ٣٢)

« الرب هو الله ، وليس آخر » (١ . الملوك ٨ : ٦٠)

« ايها الرب .. انت هو الاله وحدك» (٢ . الملوك ١٩ : ١٥)

« انت الرب الاله وحدك » « ٢ . الملوك ١٩ : ١٩ »

« يارب ، ليس مثلك ، ولا الهغيرك» « ١ . اخبار الايام ١٧ : ٢٠ »

« انت هو الرب وحدك . انت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها والارض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها ، وانت تحييها كلها ، وجند السماء لك يسجد » « نحميا ٩ : ٦ »

« انك انت الاله الواحد فى الارض كلها » « طوبيا ٨ : ١٩ »

« لا اله قادرا على كل شيء سواه» « طوبيا ١٣ : ٤ »
« وسجدوا لاله السماء الواحد » « يهوديت ٥ : ٩ »
« انك انت الاله وليس آخر سواك » « يهوديت ٩ : ١٩ »
« الباسط السماوات وحده » « ايوب ٩ : ٨ »
« وواحد كوننا فى الرحم » « ايوب ٣١ : ١٥ »
« لانه من هو اله غير الرب » . « مزمور ١٧ : ٣١ »
« من مثلك يا الله » « مزمور ٧٠ : ١٩ »
« انك اسمك يهوه وحدك العلى » « مزمور ٨٢ : ١٨ »
«عظيم انت .. انت الله وحدك» « مزمور ٨٥ : ١٠ »
« منذ الازل الى الابد أنت الله » « مزمور ٨٩ : ٢ »

« ليسبحوا اسم الرب ، لانه قد تعالى اسمه وحده» « مزمور ١٤٧ : ١٣ »
« ليس اله الا انت » « الحكمه ١٢ : ١٣ »

« الاسم الذى لا يشترك فيه احد» « الحكمة ١٤ : ٢١ »

« لا اله الا انت يارب» « يشوع ابن سيراخ ٣٦ : ٢ ، ٥ »
« انك انت الرب اله الدهور » « يشوع بن سيراخ ١٩:٣٦ »

« يارب الجنود .. انت هو الاله وحدك » « اشعياء ٣٧ : ١٦ »
« انك انت الرب وحدك » «اشعياء ٣٧ : ٢٠ »
« انا الرب ، انا الاول والاخر ، انا هو » « اشعياء ٤:٤١»
« انا الرب ، هذا اسمى ، ومجدى لا اعطيه لآخر » « اشعياء ٤٢ : ٨ »
« انى انا هو . لم يكن اله قبلى، ولا اله بعده » « اشعياء ٤٣ . ١٠ »
« انا انا الرب ، وليس غيرى » « اشعياء ٤٣ : ١١»
« انا الاول وانا الاخر ، ولا اله غيرى » « اشعياء ٤٤ : ٦ »
« هل يوجد اله غيرى » «اشعياء ٤٤ : ٨ »

« انا الرب صانع كل شيء ، ناشر السماوات وحدى ، باسط الارض . من معى » « اشعياء ٤٤: ٢٤ »
« انا الرب وليس آخر . ولا اله سواى » « اشعياء ٤٥ :٥»

« انه ليس غيرى . انا الرب ، وليس آخر » « اشعياء ٤٥ : ٦ »
« الله ، وليس آخر . ليس اله غيره » «اشعياء ٤٥ : ١٤ »
« خالق السماوات هو الله .مصور الارض وصانعها .. انا الرب وليس آخر » ـ « اشعياء ٤٥ : ١٨ »

« انا الرب ، ولا اله آخر غيرى .. ليس سواى » « اشعياء ٤٥ : ٢١»

« التفتوا الي واخلصوا .. فاني انا الله وليس آخر » « اشعياء ٤٥ : ٢٢ »

« لانى انا الله ، وليس اخر ، انا الله وليس مثلي » « اشعياء ٤٦:٩ »
« انا هو ، انا الاول وانا الآخر » « اشعياء ٤٨ : ١٢ »

« انه لا نظير لك يارب» «ارميا ١٠ : ٦ »

« ألست مالىء السماوات والارض، يقول الرب » « ارميا ٢٣ : ٢٤ »

« هذا هو الهنا ، ولا يعتبر حذاءه آخر » « باروخ ٣ : ٣٦ »

« فلست تعرف الها غيرى ،وليس مخلص سواى » « هوشع ١٣ :٤»

« أليس اله واحد خلقنا » «ملاخى ٢ : ١٠ »

ومن تلك النصوص يتبين ان الله تعالى هو الاله وحده ، ولا شريك له، وليس كمثله شىء .. هو الله ،وليس غير الله اله ، لم يكن قبله اله ولايكون بعده اله .. هو الواحد والوحيد.. والمتفرد بالالوهية .. هو الواحدالاحد والرب الصمد والسرمد والسرمدى ، الازلى الذى لابداءة له ، والابدى الذى لا نهاية له .

قال الانجيل المقدس :

« للرب الهك تسجد ،واياه وحده تعبد » « متى ٤ :١٠ » ، « لوقا٤ :٨»
« فمن يقدر ان يغفر الخطايا الا الله الواحد وحده ؟» « مرقس ٢:٧»
« لوقا ٥:٢١»

«ليس صالحا الا واحد هو الله »

« مرقس ١٠ : ١٨ » ، « لوقا ١٨: ١٩ » ، «متى ١٩ : ١٧ »

« ان الرب الهنا هو رب واحد »
« مرقس ١٢:٢٩» ، «متى ٢٢ :٣٧، ٣٨ » ، «لوقا ١٠ : ٢٧ » .

« ان الله واحد ، وليس آخر سواه»
« مرقس ١٢ : ٣٢ »

« كيف يمكنكم ان تؤمنوا وانتم تقبلون المجد بعضكم من بعض وأما المجد الذى من الله الواحد وحده ، فلا تبتغونه » « يوحنا ٥: ٤٤»

« وهذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك » « يوحنا ١٧: ٣ »

« لان الله واحد » «رومية ٣ :٣٠»

«للجميع رب واحد » « رومية ١٠ : ١٢ »

« لا اله الا واحد » « ١ . كورنثوس ٨ : ٤ »

«لنا اله واحد » « ١ . كورنثوس ٨ : ٦ »

« الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل » « ١. كورنثوس ١٢ :٦ »

« الله واحد » « غلاطية ٣: ٢٠»
« واحد هو الله ، الذى هو فوق الكل » « أفسس ٤ : ٦ »

« اهتديتم الى الله ، وتركتم الأوثان ، لتعبدوا الله الحى الحقيقى» «١. تسالونيكى ١:٩»

« ملك الدهور الذى لا يفنى ،ولا يرى ، الله وحده ، له الاكرام والمجد

الى دهر الدهور » « ١ . تيموثيوس ١ : ١٧ »

« لان الله واحـــد » « ١ . تيموثيئوس ٢ : ٥ »

« انت تؤمن بأن الله واحد ، فقد اصبت . والشياطين ايضا يؤمنون ويرتعدون » « يعقوب ٢: ١٩ »

«واحد هو واضع الشريعة وهو الديان ، الذى يقدر ان يخلص ويهلك» « يعقوب ٤:١٢ »

«للاله الوحيد مخلصنا .. المجد، والعظمة ، والعزة والسلطان ، قبل كل زمان والآن ، والى جميع الدهور » « يهوذا : ٢٥ »

« انا هو الالف والياء ، البـــداءة والنهاية ، يقول الرب الاله »«الرؤيا ١ : ٨ » ، «٢٢: ١٣ »

« انا هو الاول والاخر » « الرؤيا ١ : ١٧ »

اما التثليث المسيحى فلا يتعارض مع الايمان بالتوحيد .

فالمسيحيون يؤمنون باله واحد ، احـــدى الـــذات ، مثلث الاقانيم والخاصيات .

فالتوحيد للذات الالهية ، واما التثليث فللاقانيم . والاقانيم خاصيات وصفات ذاتية أى بها تقوم الـــذات الالهية .

فالله الواحد هو « اصل»الوجود، ولذلك فهو «الاب » . والاب لفظـة سامية بمعنى « الاصل »

والله الواحد هو « العقل » الاعظم ولما كانت المسيحية تنادى بأن الله قد ظهر وتجلى فى المسيح ، على نظير ماظهر للنبى موسى فى العليقة ، وتجلى فـى المكان دون أن يحده المكان ، لذلك كان المسيح هو« الكلمة »، قال الانجيل « فى البدء كان الكلمة » والكلمـــة تجسيد «للعقل » فان « العقل» غـير منظور ، ولكنه يظهر فى « الكلمة »وهو ايضا « الابن » لا بمعنى الولادة فى عالم الانسان ، بل لأنه « صورة الله غير المنظور » « كولوسى « ١:١٥»

والله الواحد هو «الروح» الأعظم، وهو « ابو جميع الأرواح » ولهـذا فهو « الروح القـــدس » ، لان الله قدوس .

وعلى ذلك فايمان المسيحيـــين بالتثليث لا يتعارض مع ايمانهـــم بالتوحيد . لان التثليث ليس تثليث ذوات ، لكنه تثليث اقانيم ،والاقانيم صفات وخاصيات فى الأله الواحد ، لكنها صفات وخاصيات ذاتية وليست مجرد صفات نسبية . والصـــفات والخاصيات الذاتية ما تقوم بهاالذات

وعندهم ان الله الواحد كائن بذاته ناطق بكلمته ، حى بروحه .

ولذلك يقولون فى البسملة «باسم الاب والابن والروح القدس ، الالـــه الواحد »

والخلاصة ان المسيحية قدمت عن الله درسين متممين الواحد للاخـر : الدرس الاول عن التوحيد ، والدرس الثانى عن التثليث . والدرســـان لا يتعارضان وانما الدرس الثانى ينبنى على الدرس الاول وهو يكمل معرفتنا عن الله الواحد ، اذ يدخـــل بنا الى طبيعته وصفاته . ولم تقدم الـدرس الثانى الا بعد ان استقر الدرس الاول فى اذهان الناس : ان الله واحد احد ، وليس غيره اله .

بمناسبة عيد الميلاد :

اسم السيد المسيح وألقابه

● زكي شنوده ●

● جاء في انجيل لوقا عن ميلاد السيد المسيح : ((ارسل الملاك جبرائيل من الله الى مدينة في الجليل تسمى الناصرة ، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، وكان اسم العذراء مريم . فدخل الملاك اليها وقال لها : سلام أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة أنت في النساء . فلما رأته اضطربت من قوله ، واخذت تفكر ما عسى ان يكون معنى هذه التحية . فقال الملاك لها : لا تخافي يا مريم لانك قد نلت نعمة عند الله . وهانت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع .. فقالت مريم للملاك : كيف يكون لي هذا وانا لا أعرف رجلا ؟ فاجاب الملاك وقال لها : ان روح القدس سيحل عليك ، وقوة العلي ستظللك .. لانه ليس مستحيلا على الله . فقالت مريم للملاك : هاأنذا أمة الرب . فليكن لي بحسب قولك . وانصرف الملاك من عندها)) .

(لوقا ١ : ٢٦ ــ ٣٨)

فما معنى اسم ذلك المولود الذي بشر الملاك السيدة العذراء مريم بانها ستلده وهو اسم يسوع ؟.

ان اسم « يسوع » في الأصل العبري هو « يهوشع » . وهو مكون من كلمتين مندمجتين ، هما كلمة «يهوه» وهي اسم الله ، كما أعلنه الله لموسى النبي في صحراء سيناء ، وكلمة « هوشع » ومعناها « المخلص » . ثم تطور اسم « يهوشع » الى « يشوع » أو « يسوع » .

اما كلمة « المسيح » فهي اللقب الذي أطلقه الكتاب المقدس على المخلص الذي كان الانبياء في العهد القديم يتنبأون بانه سيجيء ليخلص العالم من شروره ، والذي كان الرسل في العهد الجديد يبشرون بانه قد جاء ، وانه هو يسوع الذي ولدته السيدة العذراء مريم .

ففي العهد القديم جاء مثلا في نبوءة دانيال النبي التي يقول فيها « فاعلم وافهم أنه من خروج الامر بتجديد أورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا » (دانيال) . والمقصود بالاسبوع هنا لا سبعة ايام وانما سبع سنين .

اما في العهد الجديد فقد جاء في انجيل لوقا أن ملاك الله ظهر لبعض الرعاة عند ميلاد السيد المسيح ، وقال لهم انه « ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح » (لوقا ٢ : ١١).

وكان اليهود يلقبون المخلص الذي ينتظرونه بالمسيح ، اذ جاء في انجيل متى انه « حين جاء يسوع الى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا : من تقول الناس اني هو ؟ .. فقالوا : ان قوما يقولون انك يوحنا المعمدان ، وآخرون انك ارميا أو أحد الانبياء . فقال لهم : وانتم من تقولون اني هو ؟. فأجاب سمعان بطرس وقال : انت هو المسيح » (متى ١٦ : ١٣ ــ ١٦) .

ويرجع لقب ((المسيح)) الى أحد الطقوس الدينية في الشريعة اليهودية ، وهي المسح بنوع معين من الدهن ، بقصد التقديس والتكريس والاختيار لوظيفة عظيمة او رسالة سامية، اذ جاء في سفر الخروج ((وكلم الرب موسى قائلا : وانت تاخذ لك افخر الاطياب ، مرا قاطرا .. وقرفة عطرة .. وقصب الذريرة .. وسليخة .. وزيت الزيتون .. وتصنعه دهنا مقدسا للمسحة ..

وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لي ، وتكلم بني اسرائيل قائلا : يكون هذا لي دهنا مقدسا للمسحة في اجيالكم » (الخروج ٣٠ : ٢٢ ـ ٣١) .. وكان الذين ينبغي مسحهم بالدهن المقدس عند اختيارهم هم الكهنة والانبياء والملوك . وقد كان اليهود يعلمون من نبوءات انبيائهم الاولين ان المسيح المنتظر سيكون كاهنا ونبيا وملكا في نفس الوقت ، وان الله قد مسحه مكرسا اياه لهذه الوظائف جميعا .. (المزمور ٢ : ١ والمزمور ٤٥ : ٧ واشعياء ٦١ : ١) .

وكان يطلق لقب المسيح في البداية على كل ممسوح بالدهن المقدس ، ولكن هذا اللقب لم يلبث ان اختص به المخلص الذي كان اليهود ينتظرونه ، فقصر الانبياء استعماله على الاشارة الى هذا المخلص المنتظر وحده (دانيال ٩ : ٢٤ و ٢٥) . ومما يدل على ان هذا اللقب اصبح مقصورا على المخلص المنتظر وحده ان رئيس كهنة اليهود اثناء محاكمته للسيد المسيح سأله قائلا : « استحلفك بالله الحي ان تقول لنا هل انت المسيح » (متى ٢٦ : ٦٣).

وقد اصبح الذين آمنوا بالمسيح معروفين بالمسيحيين ، فجاء في سفر اعمال الرسل انه « دعى التلاميذ (اى المؤمنون بالمسيح) مسيحيين في انطاكية اولا » (الاعمال ١١ : ٢٦) .

واذ كان اليهود ينكرون السيد المسيح ويحاولون النيل منه واهانته ، كانوا يطلقون عليه لقبا آخر ينطوى في اعتقادهم على التحقير ، قائلين عنه « الناصرى » . لان السيد المسيح عاش معظم حياته في مدينة الناصرة احدى مدن الجليل التي كان اليهود يكرهون اهلها ويحتقرونهم ، لانهم كانوا يتعاملون مع غير اليهود من الامم الاخرى ، ولم يتعصبوا ضدهم ويقاطعونهم ، كما كان يفعل المتزمتون من اليهود . ومما يدل على ذلك ما جاء في انجيل يوحنا اذ يقول ان « فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذى كتب عنه موسى في الشريعة وسائر الانبياء ، وهو يسوع .. الذى من الناصرة . فقال له نثنائيل : امن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح ؟ » (يوحنا ١ : ٤٥ و ٤٦) .

ومما يدل على ان اليهود كانوا يقصدون بهذا اللقب تحقير السيد المسيح انهم اطلقوه على اتباعه ، تحقيرا لهم ، اذ جاء في سفر اعمال الرسل ان رئيس كهنة اليهود وشيوخهم قدموا بولس الرسول للمحاكمة امام الوالى الرومانى في قيصرية ، قائلين له «وجدنا هذا الرجل مفسدا ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ، وزعيم شيعة الناصريين » (الاعمال ٢٤ : ٥).

وقد كان اليهود في تحقيرهم للناصرة وتعييرهم المسيح بانه « ناصرى » ، جاهلين حتى بنبوءات انبيائهم التي تتضمنها كتبهم المقدسة ، والتي تقول ان المسيح المنتظر سيكون ناصريا ، اذ جاء في انجيل متى ان السيد المسيح بعد عودته مع العائلة المقدسة من مصر « جاء وسكن في مدينة تدعى الناصرة ، لكي يتم ما قيل بفم الانبياء من انه سيدعى ناصريا » (متى ٢ : ٢٣) .

وقد اطلق اليهود كذلك على السيد المسيح لقبا آخر يقصدون به تحقيره والازدراء به ، فقالوا عنه « يسوع الجليلى » اذ جاء مثلا في انجيل متى ان رؤساء اليهود حين كانوا يحاكمون المسيح في دار قيافا رئيس الكهنة .. « كان بطرس عندئذ يجلس خارجا في فناء الدار ، فجاءت اليه جارية قائلة: وانت ايضا كنت مع يسوع الجليلى » (متى ٢٦ : ٦٩) . وذلك ان اليهود كانوا يحتقرون اهل الجليل ويزدرونهم، لانهم اختلطوا بالامم الاخرى غير اليهودية ، وتميزوا ببعض الصفات التي تخالف صفات سائر اليهود ، سيما لهجة كلامهم . ولذلك اعتبرهم اليهود كافرين يعيشون في ظلام الجهل بالشريعة اليهودية ، ومن ثم يستحقون **الهلاك والموت ، على الرغم من انهم من سلالة سبطين من اسباط اليهود وهما سبطا زبولون ونفتالى ، بيد ان لقب « الجليلى » لم يتردد كثيرا عن السيد المسيح كما تردد لقب «الناصرى» .. فلم يحدث ان قيل عن الذين آمنوا به انهم « جليليون » ، ومن ثم ظلوا الى اليوم معروفين غالبا بالمسيحيين، واحيانا بالناصريين ، او النصارى ..**

على صهوات الجياد

قامت فتوح الإسلام

الحصان العربى

آية من آيات الخالق سبحانه فى الجمال والقوة
ورقة الإحساس وإرهاف العاطفة



الحصان اجمل مخلوقات الله جميعا .

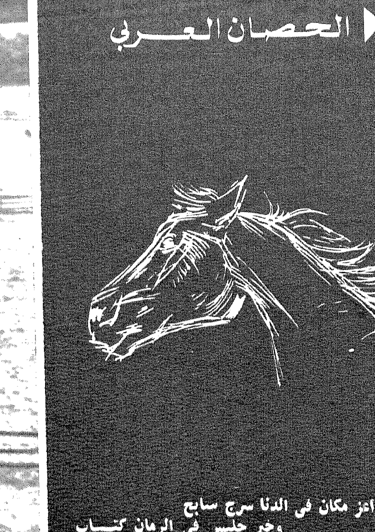
والحصان العربى هو اجمل الخيل فهو يمتاز بتناسق فى الاعضاء يستوقف النظر وخفة فى الحركة تبهر العقول .. وهو متين البنـــاء ، وعظامه امتن عظام يتمتع بها حصان ، واذا جرى خيل اليك انه يسبح او يعوم .

ومنذ ما استأنس الانسان الحصان وادخله فى خدمته وقع انقـــلاب هائل فى تاريخ البشر فقامت الدول الكبرى على صـــهوات الخيـــل : الاشوريون والمصريون القدماء واليونان والرومان ثم العرب اقاموا دولهم بفضل الحصان .

فما هى الخصائص التى جعلت الحصان يتمتع بهـــذه المكانة الكبرى فى عالم التاريخ وعالم الجمال ؟



الحصان العربي





اعز مكان في الدنا سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

هكذا قال الشاعر العربي يعبر عن شعور العزة الذى يزدهيه اذا امتطى صهوة حصانه واندفع به يعدو كأنه سابح في الهواء .

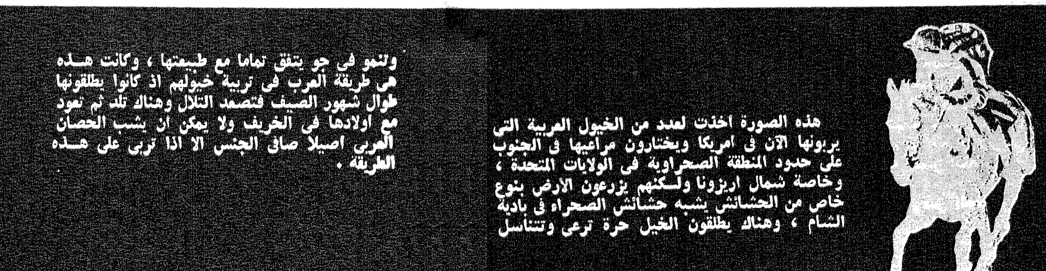
وليس هناك ادق من هذا التعبير في وصف الحصان العربي اذا اندفع يعدو، انه يسبح ولا يعدو ، فهو يتحرك في خفة وأناقة ورشاقة لا يدانيه فيها مخلوق على سطح الارض . ولقد قيل ان الحصان العربي أجمل وأرشق مخلوقات الله . انه أجمل من الانسان وأرشق ، لأن الله سبحانه صاغه على هيئة من الجمال والتناسب لا تدانى ، وجمع فيه بين الرقة والصلابة على نحو يدعو الى العجب .. فانك تراه بقوائمه الرفيعة الدقيقة فيخيل اليك انه هش سريع الانكسار ، ولكن عظامه أصلب عظام في الحيوانات .. انها تعدل في صلابتها ووزنها سن الفيل، ولهذا فهو يعدو في قوة ويضرب الارض بحافرين كأنهما حديد فيطير طيرانا ، ويزيد في خفته ومتانة تكوينه ان فقرات ظهره تقل فقرة عن فقار الخيل الاخرى ، مما يجعل ظهره أقصر وأمتن وأمكن للفارس ، وليس في الدنيا منظر حيوان أبهى من حصان عربي تحت فارس ماهر .. انهما يتحركان وكأنهما مخلوق واحد ، لأن الحصان العربي شديد الحساسية دقيق الفهم لكل ما يصدر اليه من اوامر فارسه التي تصله في صورة لمسات خفيفة بالقدم أو حركات يسيرة للجام . ومن أغرب ما شوهد ان الحصان العربي تملكه الخيلاء اذا ركبته فارسة حسناء . هنا يبدع في حركته وأناقته حتى ليشعر وكأن الدنيا لا تسعه .

ولا يعرف احد كيف نشأ هذا الجنس من الخيل الذى لم يعرف الا في جزيرة العرب . فقد دخلها الحصان فيما نعرف ـ وفيما دلت عليه الحفريات في القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد . أتى به لاشوريون وقد جاءهم الحصان من صحراوات جوبي في الصين . فهناك الموطن الأصلي لكل خيل الدنيا . والمغول هم الذين استأنسوه وركبوه وتبينوا مزاياه . ومن صحراء جوبي انتقل الحصان الى منغوليا ، ومنها الى بقية نواحي الدنيا ، وقد وصل الحصان الى الاغريق والرومان عن طريق وسط آسيا وشمالي البحر الاسود وبحر قزوين ، وفي بلاد اليونان ثم في ايطاليا ظهرت فصيلة الحصان الاوروبي الضخم ، لأن مراعي اوروبا وخضرتها ومياهها الوفيرة غيرت شكل الحصان الصغير الذى عرفه المغول . وما زال هذا الحصان الاوروبي معروفا الى اليوم ، وبفضل هذا الحصان تمت غزوات الرومان الكبرى ونشأت عندهم طبقة من النبلاء تسمى الفرسان أو الأكوستري كان لها أبعد الاثر في التاريخ ، وذلك كله بفضل الحصان .

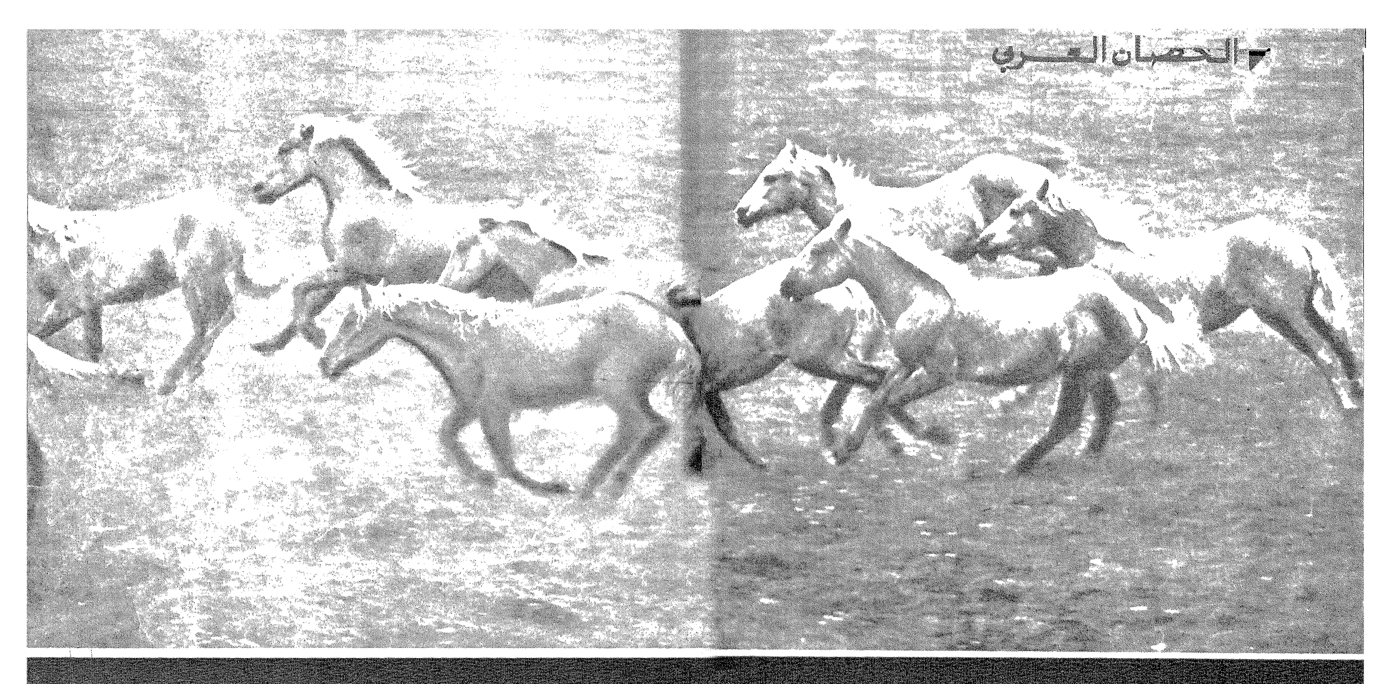
وعن طريق ايران وصل الحصان الى

لكي ينمو الحصان العربي نموا سليما ينبغي أن يتربى في مرعى طلق فسيح لأن جنسه تعود على ذلك في بيئته الطبيعية الأولى وهي الصحراء ، وهذا المرج الأخضر كله خصصه رجل أمريكي من هواة الخيل العربية لهذا العدد القليل من الخيول .





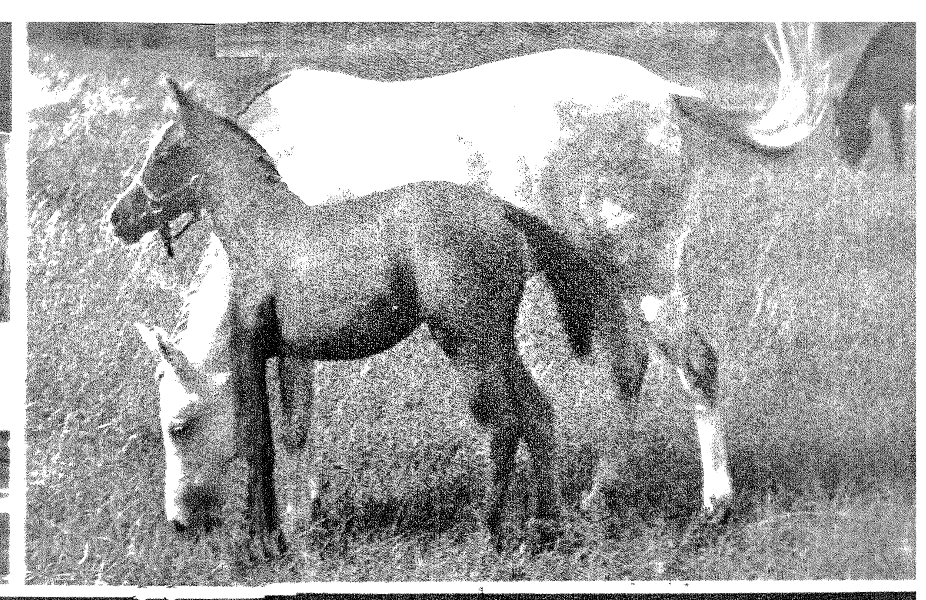
هذه الصورة اخذت لعدد من الخيول العربية التي يربونها الآن فى امريكا ويختارون مراعيها فى الجنوب على حدود المنطقة الصحراوية فى الولايات المتحدة ، وخاصة شمال اريزونا ولـكنهم يزرعون الارض بنوع خاص من الحشائش يشبه حشائش الصحراء فى بادية الشام ، وهناك يطلقون الخيل حرة ترعى وتتناسل وتنمو في جو يتفق تماما مع طبيعتها ، وكانت هـذه هى طريقة العرب فى تربية خيولهم اذ كانوا يطلقونها طوال شهور الصيف فتصعد التلال وهناك تلد ثم تعود مع اولادها فى الخريف ولا يمكن ان يشب الحصان العربي اصيلا صافى الجنس الا اذا تربى على هـذه الطريقة .



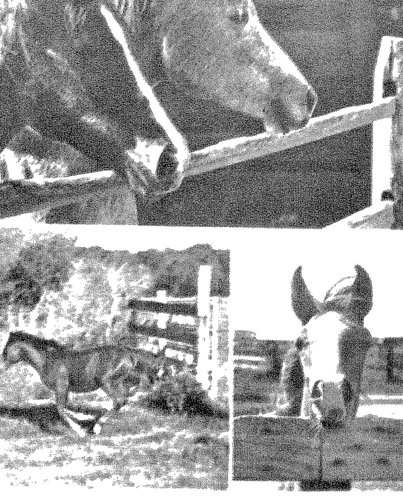
العراق ، وهناك استعمله الأشوريون وقاموا بانشاء امبراطوريتهم على صهوات الخيل ، ومن المعروف انهم هم الذين ادخلوا الحصان المغولي الصغير فى جزيرة العرب وفى مصر ، وكلنا نذكر رمسيس الثاني في عجلته الحربية يقودها زوج من الخيل فى هيئة بديعة . ومن جنوب العراق دخل الحصان بلاد العرب .

وللعرب حكايات طويلة فى دخول الخيل بلادهم ، والرأى السائد عندهم هو ان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام هو اول من ركب الخيل وادخلها جزيرة العرب ، اى ان الحصان دخل الجزيرة مع العرب الاسماعيلية وهم العدنانية ، وهذه اسطورة فى الغالب لأن الحفريات دلت على ان الحصان دخل شبه جزيرة العرب قبل ذلك بكثير ، منذ ايام الاشوريين .

فى جزيرة العرب تطور الحصان على مر القرون حتى صار الى ما نسميه الحصان العربي ، فجزيرة العرب ليست فى برودة صحروات شمال الصين فلم يعد الحصان بحاجة الى الشحم الذى يتكون فى بدن الحيوان ليحميه من البرد . ثم ان جزيرة العرب كانت اذ ذاك - قبل ثلاثة آلاف سنة على وجه التقريب - كانت كثيرة العشب والماء ، ثم ان جو الجزيرة وخاصة فى نجد جاف صحى بارد فى الشتاء حار فى الصيف والحصان يحتاج الى برد الشتاء كما يحتاج الى حر الصيف لأن الصيف فترة الحمل عند المهرة ، وتلد فى الخريف فى جو معتدل ، وتنشأ الافراس الجديدة فى شمس الشتاء وتجد الارض خضراء والغدران فياضة بالماء فتترعرع وتشب صحيحة سليمة قوية العضلات مرهفة الاحساس صلبة العظام . وجيلا بعد جيل تكون ذلك الحصان العربي البديع الذى ظل على تعاقب الدهور موضع اعجاب اهل الارض اجمعين ، فلا يخلو بلد من بلاد العالم من جمعية للحصان العربي ، وفى امريكا بالذات تنتشر هذه الجمعيات بشكل يستوقف النظر ، واكبر جمعيات الحصان العربي هناك توجد فى كاليفورنيا يرأسها رجل من اكبر هواة ذلك الحصان يسمى جيرالد دونوجهيو ، ويملك اعضاء هذه الجمعية من الخيول العربية ما يزيد على كل ما يوجد فى جزيرة العرب من الخيول ! وجدير بالذكر ان احسن انواع الخيل العربية كان يربى فى مصر الى حين قريب ، وكانت مصر اكبر مصدر للخيول العربيه . وقد اهتم الكثيرون من العرب فى المملكة السعوديه وبلاد الخليج بالخيل من نحو



هذا الحصان يعتبر حصانا عربيا اصيلا نموذجيا فهو يمتاز بانسياب الجسم ودقة الأرجل وانحناء الرقبة في قوس جميل ثم يمتاز بما يسمى بالغرة أو الهلال وهي البياض الذي يكون في وجه الحصان العربي ، ولاحظ أيضا أن القوائم الخلفية بيضاء في نهايتها ، وذلك ما يسمى بالتحجيل .



هذه الصور الثلاث تريك خصائص راس الحصان العربي . منظره الجانبي في غاية التناسق والجمال والآذان صغيرة ((والمعرفة)) كأنها الحرير والعينان واسعتان ، وفي الصورة السفلى الى اليمين ترى وجه الحصان العربي من الأمام ، ويمتاز باتساع المنخرين وتقارب العينين ، وفي الصورة اليسرى ترى رشاقة الحصان العربي في عدوه وقد انساب ظهره في قوس جميل . اما رقبته فتستقيم ، فاذا وقف الحصان حدث العكس : استقام الظهر وانحنى العنق في قوس متناسق جميل .

ثلاثين سنة ، وبفضلهم عادت جزيرة العرب مركزا من اكبر مراكز تربية الخيول العربية وتصديرها الى نواحي العالم .

***

واهم ميزة للحصان العربي ـ بعد ميزاته الجسمانية المتعددة هي انسانيته فان احدا من البشر لم يحب حصانه كما احبه البدوي في العصر الجاهلي ثم في صدر الاسلام ، فقد كان البدوي لا يترك

حصانه ينام وحده ، بل ينام معه في نفس الخيمة ، وكان يهتم بطعام الحصان اكثر من اهتمامه بطعام نفسه ، فكان اذا طلعت الشمس فتح باب الخيمة لخيله فخرجت تجري وترتع في ندى الصبح وتحت الشمس الدافئة ، وتظل الخيول في مراعيها طوال اليوم والبدوي يرعاها بنظره ويتتبع ما يشرد منها ويرده الى القطيع ، بل كان الجاهلي يستعذب الماء لخيله ، فلا يدعها تشرب ماء زعافا او

آسنا ، فاذا كانت لديه مهرات زادت عنايته بها ، وعندما يرى أن المهرة حامل حماها أي حدد لها حمى ترعى فيه حتى لا تضايقها بقية الخيول ، وادخلها لتنام بمجرد ان تميل الشمس نحو الاصيل . وعندما يقترب موعد وضعها جعل يراعيها عن قرب ، ووكل امرها الى امرأته ، فاذا حان اوان الوضع كانت البدوية مع مهرتها تساعدها في الولادة وتخفف عنها بكلام عذب كأنها صاحبة لها ،

ويسكن روع المهرة وتلد في هدوء ، فاذا ولدت ووقف المهر الصغير ربطت البدوية المهرة الأم لتنام ، وغطتها بغطاء حتى لا يصيبها برد ، وأتتها بالماء والحشائش وحب الشعير بنفسها ثلاثة ايام ، ومنعت المهر من أن يسرف في الرضاعة .

أما البدوي فان حصانه صاحبه واليفه وهو يسميه ويدلله كما يكلم الصديق ولا يزال يربت على جلده حتى تنشأ بين

الاثنين الفة ومودة . وقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يمسح رقبة الحصان بكمه ويقول ما معناه : المجد تحت صهوات الخيل ، وعندما قضى على بنى قريظة أخذ كل ما تحصل من غنائمهم وأرسل رجالا الى نجد فاشتروا خيلا عتاقا للمسلمين ، وحمى لها الرسول أرضا جنوبى المدينة عرفت بحمى ضرية ، وفيها نشأت الخيول التى ركبها فرسان المسلمين فى فتح مكة وفى معركة حنين وفى حرب الطائف وفى غزوة تبوك .

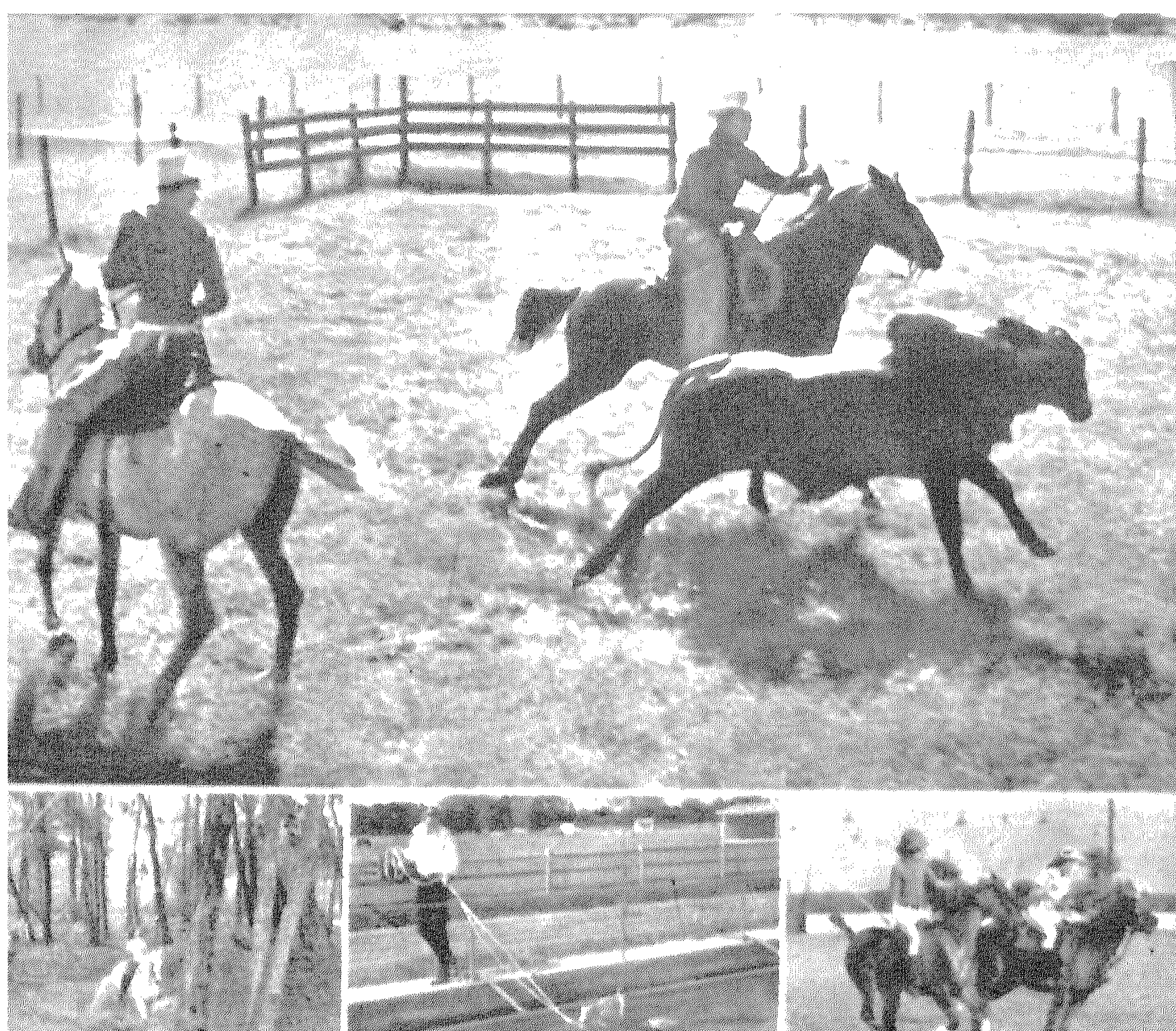
***

وعلى صهوات الخيل تمت الفتوح العربية الكبرى فى صدر الاسلام . ولا يمكن تصور امكان هذه الفتوح الواسعة بدون الحصان العربى بالذات ، فان العربى فى الجزيرة عشق حصانه وتآلف معه حتى أصبح الفارس وفرسه شيئا واحدا ، وكان الفارس العربى وحصانه يناما فى نفس الخيمة لان الفارس كان لا يطمئن الا اذا توسد ظهر حصانه ونام ، وألف الحصان صاحبه حتى أنه كان لا ينام كذلك الا الى جانب صاحبه . وعندما قامت دولة الاسلام دهش الفرس والروم من التحام الفارس العربى وحصانه التحاما أصبحا معه شيئا واحدا ، ومن هنا ، وكان الفرس يحسبون أنفسهم أمهر الناس على ركوب الخيل ، فاذا المئة منهم يطيرون فزعا أمام خمسة من فرسان العرب ، لأن خيل الفرس كانت ثقيلة بطيئة الحركة وكان طعامها دسما وافرا ، أما خيل العرب فكانت ضامرة خفيفة تعيش على حفنات من التمر وشىء من الحشائش الجافة ، وكذلك كان الفارس على ظهرها لا يملأ بطنه أبدا ، وعندما التقى فرسان الروم بفرسان العرب لأول مرة فى معركة كبرى هى اليرموك وقف الروم جامدين فى مواضعهم وهم على ظهور خيولهم لأن تلك الخيول وجفت من سرعة انقضاض الخيول العربية واختراقها الصفوف كأنها سهوم مارقة .

وكان الفارس العربى يخترق صفوف الروم ثم يفر ليعود مرة أخرى فيخترق الصفوف ، فخيل للروم أن فرسان العرب كانوا الوفا وكانوا فى الحقيقة مئات ، ثم ان الحصان العربى يستطيع أن يقاتل اربع ساعات متوالية دون أن تهبط قواه ، فى حين كانت خيل الروم لا تصبر على القتال أكثر من ساعتين ثم تخور قواها وتميل الى الهرب أو الراحة ، وقد تنفق فى وسط المعركة .

وفى معركة اليرموك ظلت خيل العرب تقاتل من مطلع الشمس الى صلاة العصر فصلى المسلمون الظهر صلاة الخوف وصلوا العصر بعد هزيمة الروم صلاة حضر ، وقد كان بعض القادة يريدون أن يصلوا العصر قصرا فصاح فيهم ضرار بن الخطاب فارس قريش : لا قصر بعد نصر . لقد رعبت الروم ومضت ، فصلوها صلاة حضر بتمامها ثم اعقبوها بركعتى صلاة شكر لله . وقد بلغت هذه المقالة عمر بن الخطاب فقال : بورك لضرار ، لقد محا كل مساءة له فى الاسلام بهذه القولة ..

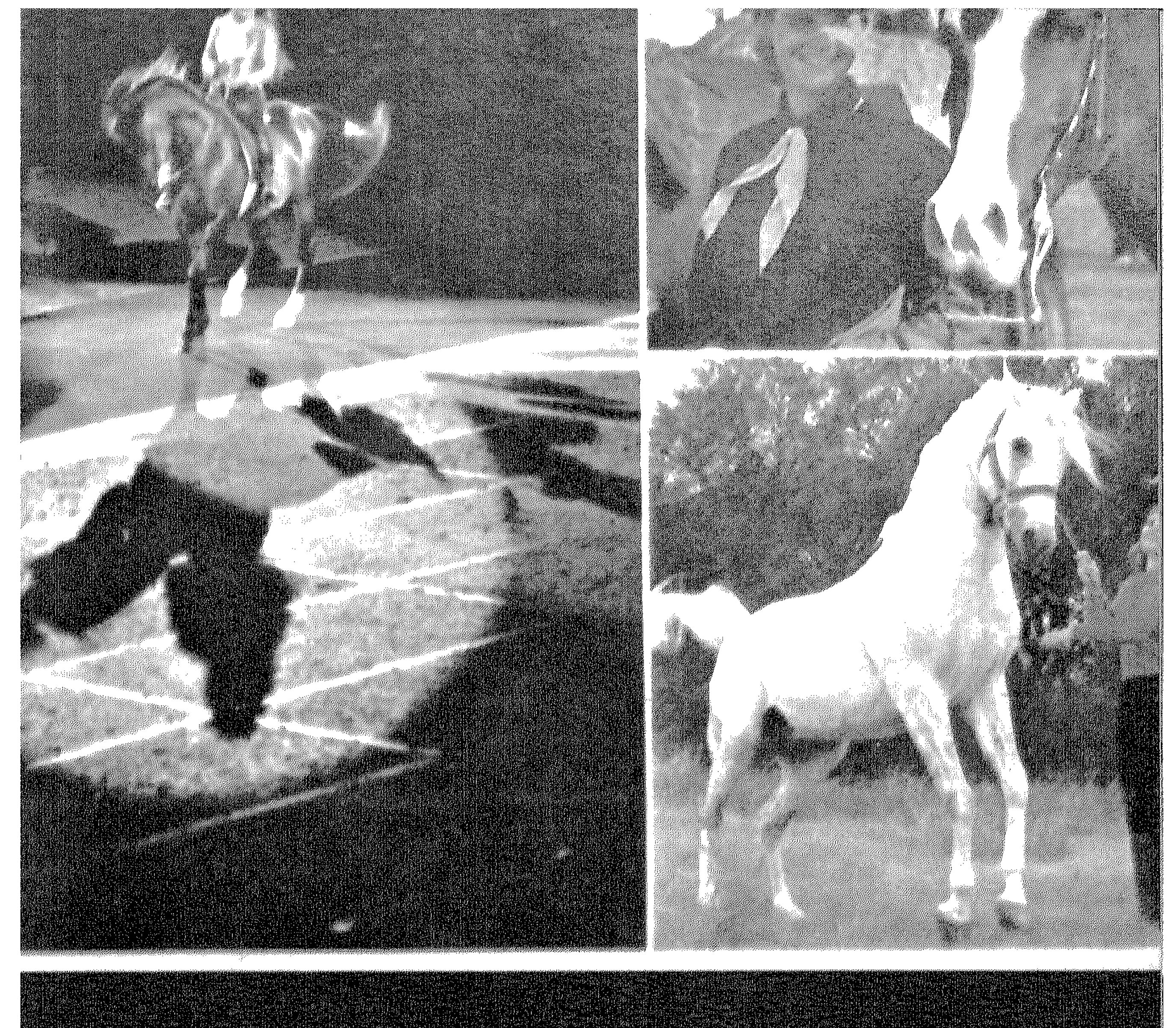
وعندما شرع العرب فى فتوح المغرب لم يثبت الحصان المغربى للحصان العربى فى معركة واحدة ، مع أن الحصان المغربى أو البربرى معروف بصلابة بنيانه وشدة احتماله واكتفائه بالقليل من الطعام ، فاكتسح فرسان العرب بلاد المغرب اكتساحا . ومن غريب الامر أن الحصان العربى اختلط بعد ذلك بالحصان المغربى ، ونشأ من ذلك نوع بديع من الخيل يعرف باسم البارب وهو اختصار لاسمه الكامل فى الانجليزية وهو «باربارى هورس» وعلى ظهر البارب فتحت الاندلس ، واكتسح ذلك الحصان جيوش القوط فى معركة وادى لكه فى جنوب الاندلس ، وقد فتحت هذه المعركة بلاد الاندلس كلها أمام العرب والبربر فأسرعوا يطوون شبه الجزيرة حتى دخلوا طليطلة ومنها الى جنوب فرنسا ، واتموا الفتوح فى سرعة لا تصدق .



يمتاز الحصان العربي بذكاء يفوق ذكاء اى نوع آخر من الخيول ، ولهذا فهو يتعلم بسهولة عددا كبيرا من الأعمال يقوم بهابنجاح كبير مثل مطاردةالعجول او الثيران التى تعد للمصارعة والقفز على الحواجز والسباق ، وفى كل عمل من هذه الاعمال نجد الحصان العربى يتقنه فى وقت قليل .

وقد تدهور الحصان العربي بعد ذلك نظرا لسوء استعمال الاتراك له ، فسمن وترهل واختلط بغيره ففسدت طبيعته، ولكن شبه الجزيرة احتفظ باعداد قليلة من الخيول العربية في مراعيها الواسعة وقد تكاثرت هذه الاعداد وبفضلها تمت غزوات الهلالية في المغرب كله ،وبفضلها ايضا كان فتح السودان وازالة ممالكه القديمة على يد عرب رفاعة وجهينة ..

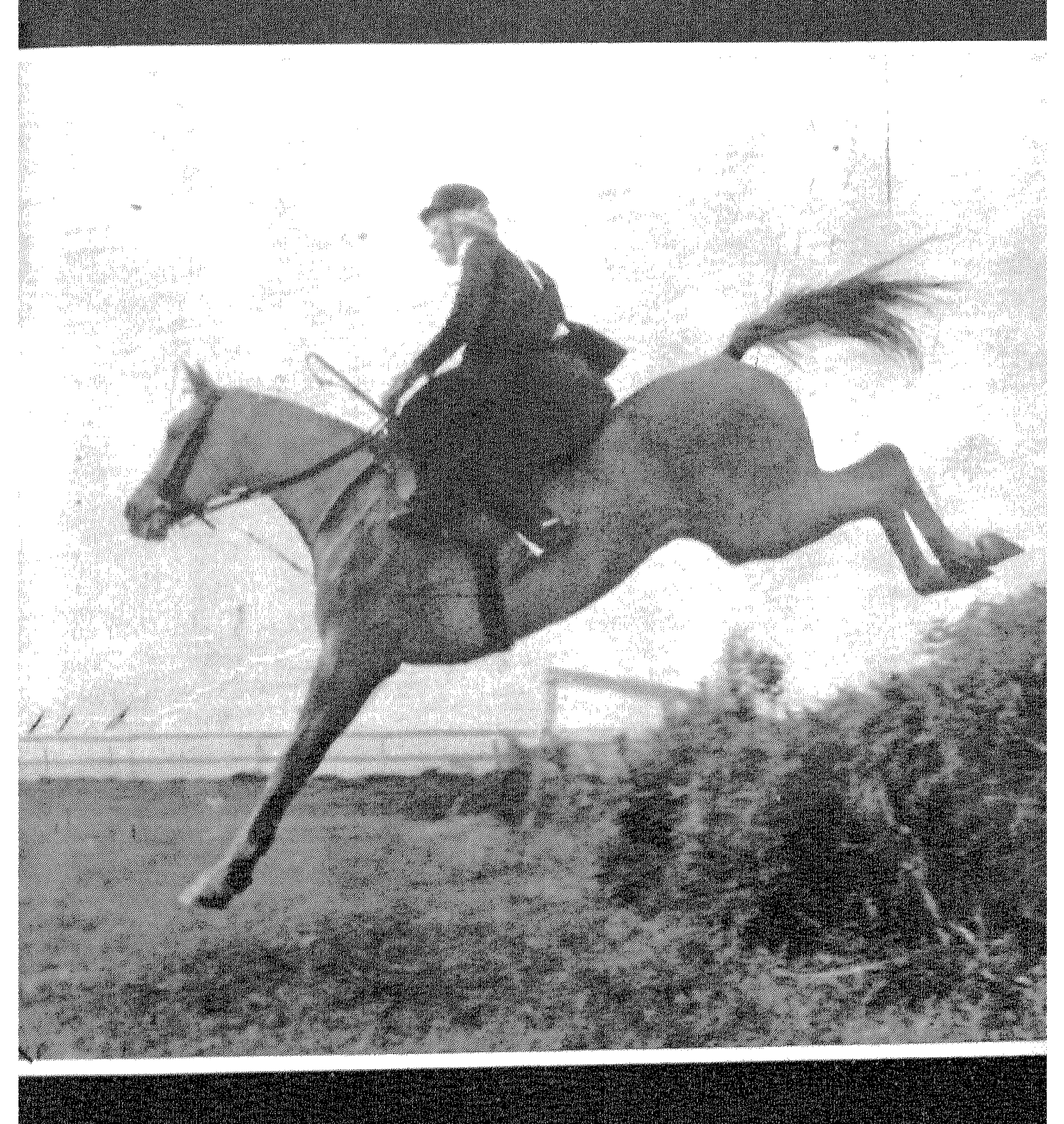
ومنذ ايام محمد على بدا الاهتمام بالحصان العربى فى مصر ، وقد تولى تربية الخيول العربية وتاصيلها فى مصر فارس فرنسى يسمى الجنرال مارسو ، وعلى يديه نشات اجيال جديدة من اجمل واقوى الخيول العربية ، وقد ظلت مصر المصدر الاكبر للخيول العربية الى يومنا هذا ، وفى جزيرة العرب اليوم خيول



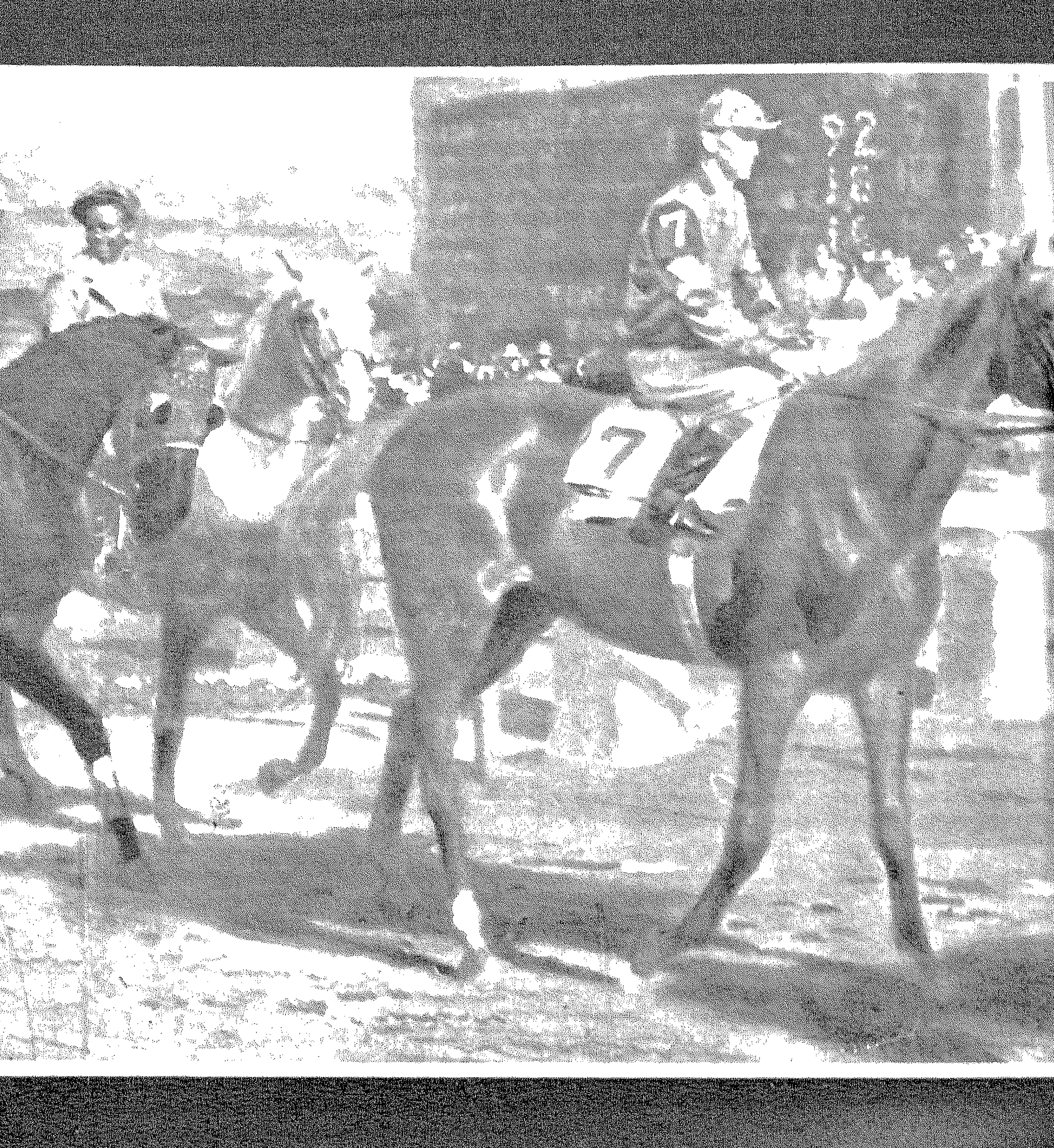
لا يهتم احد بتربية الخيول العربية كما يهتم الامريكيون اليوم . لان الحصان العربي اذا عاش في الصحراء فهو لا يتكلف شيئا ولكن اذا نقل من بيئته الى بيئة اخرى تكلف كثيرا لانه لابد من انشاء بيئة مناسبة له في الوسط الجديد . وفي الولايات المتحدة المال اللازم لذلك كله ، واكثر الناس هناك ولعا بالخيول العربية هن البنات والنساء ، يحببن ذلك الحيوان الجميل ويدللنه كما في صورتين من الصور التي تراها هنا ، والصورة الاولى في اعلى الصفحة عن اليمين تريك راس حصان عربي في اجمل صوره ، يملكه راعي بقر امريكي ، وفي الصورة الثانية ترى سفير احدى الدول العربية في اوروبا وهو من هواة الخيل يدون ملاحظاته على خيوله التي يربيها هناك .

وبقية الصور لخيول عربية تربى فى مراعى انجلترا والمانيا والولايات المتحدة ويصل ثمن الحصان الواحد ذى الدم الأصيل بعد تدريبه على السباق وقبل ان يتخطى الثالثة من عمره ـ يصل الى ربع مليون جنيه انجليزى ، ومعظم خيول السباق التى تكسب المباريات فى اوروبا وامريكا خيول عربية خالصة الدماء ويليها في ذلك الخيول الانجليزية التي توصف بانها مرباة تربية كاملة ((ثاروبريد)) وهذه ايضا اصلها البعيد عربى وقد اختلطت دماؤها بدماء خيول انجليزية اصيلة .

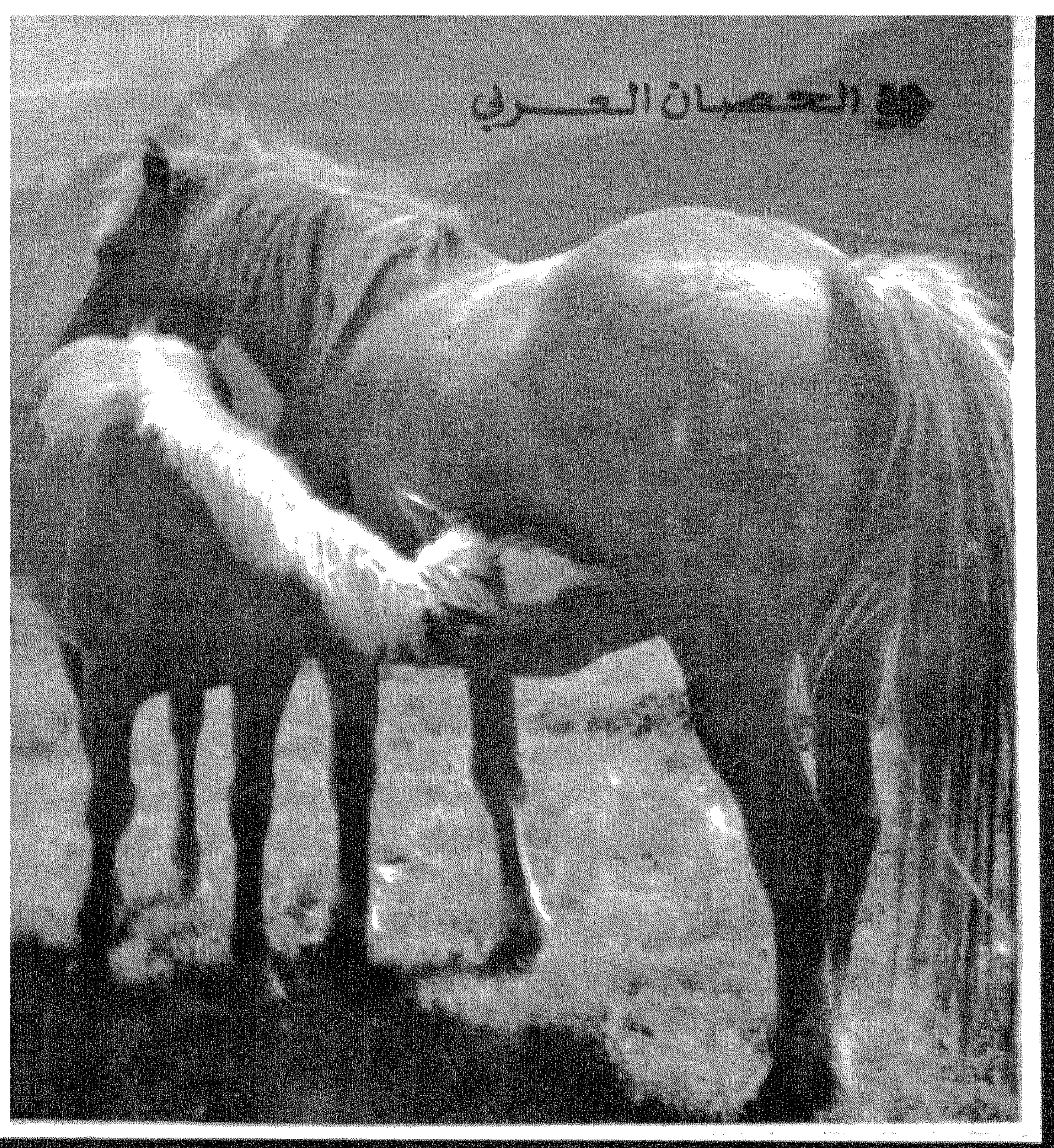




في الصورة اليمنى ترى حصانا عربيا يتمرن على سباق الحواجز ، ونظرة واحدة الى هذه الصورة تدلك على رشاقة ذلك الحصان وانسجام حركته عندما يقفز الحواجز فهو يقفز في رشاقة وخفة حتى ان راكبه لا يحس بقدميه عندما تمس الارض. وفي الصورة الثانية ترى خيولا عربية من خيول السباق في الولايات المتحدة وتتجلى في هذه الصورة قوة الحصان العربي وجمال سيقانه التي تتميز الى جانب دقتها بانها صلبة العظام ، وجدير



بالذكر ان عظام الخيول العربية لا تقارن فى المتانة الا بسن الفيل . لاحظ كذلك
الغرة في وجه هذه الخيل وجمـــال انسياب رقبة الحصان الثالث منها ،
وهذا انحناء يدل على فخر الحصان بنفسه واعتزازه بجمــــاله وثقته
بنفسه ، لاحظ كذلك ان الخيول العربيه كلها هنا محجلة اما تحجيلا طبيعيا او
صناعيا بلف قطعة من الشاش الابيض عند رسغ احدى قوائم الحصان .



يمتاز الحصان العربي بالحنـــان الشديد ، فهو مع اليفته كأنهما زوجان متحابان ، وهذه الفرسة تقف ساكنة ليرضع منها ابنها وقد مالت برقبتهـــا نحوه كأنها تقبله .

بديعة ولكن معظمها اصله من مصر ..

وقد انتقل الحصان العربي اليوم من جزيرة العـــرب ومصر الى شتى نواحي الأرض ، واصبح الحصان الاول في العالم ويليه الحصان الانجليزي المعروف باسم « ثاروبريد » ومعناه المربى تربية كاملة ولكن كل هواة الخيل يفضلون الخيول العربية الاصيلة ، ولها في امريكا اليوم جمعيات كثيرة كما قلنا .

لقد انتهى عصر الحصان بصفته سلاحا لا يضارع في ميادين الحـــروب ولكن دوره لم ينته في سباقات الخيل ونوادي الفروسية . والناس في الغرب كله يعنون بالخيل لجمالها ورقتها وحنانها وانسانيتها ، وقد سأل رجل ذات مرة واحدا من كبار هواة الخيل : ولكن فيم ينفع هذا الحصـــان ؟ فكان الرد : انك لا تشترى الحصان العربي لتستخدمه في شيء ولكن لتراه .. وهذا حسبك .

د . حسين مؤنس

السيرة الذاتية

متعة وثقافة وثروة وطنية

• منى مؤنس •

لا يمر اسبوع واحد الا وتظهر ترجمة ذاتية لاحدى الشخصيات المعروفة من بلد من بلدان الغرب، وحينما نقارن ذلك بما يحدث في بلادنا نجد ان قادتنا وعظماءنا يظلموننا من هذه الناحية رغم انهم هم الذين يرجع اليهم الفضل في المحافظة على مصر بلدا عظيما .. انهم يظلموننا لاننا في حاجة الى ان نعلم حياتهم من اول نشاتها حتى يومنا هذا ، حتى نصبر ولا نيأس ونكمل المشوار ونحافظ على مابنوه ..

ان ظاهرة انتظار الترجمات الذاتية في الغرب تتسع يوما بعد يوم ، والذين يكتبونها هم رجال ونساء وصلوا الى مكانة مرموقة في مجتمعهم . ونجد ان الناشرين هناك يشجعون الناس على كتابة هذه السير الذاتية بسبب اقبال الجمهور على قراءتها ، وبهذه الطريقة تتزايد أعدادها يوما بعد يوم الى درجة تستوقف النظر . وعندما نتساءل عن سبب نجاحها والاقبال عليها نجد اسبابا عديدة ، وربما كان أهمها :

اولا : ان اسلوبها سهل وسلس ، لأن كاتبها يتحدث عن حياته فيتخذ موقف الراوى من مستمعيه ..

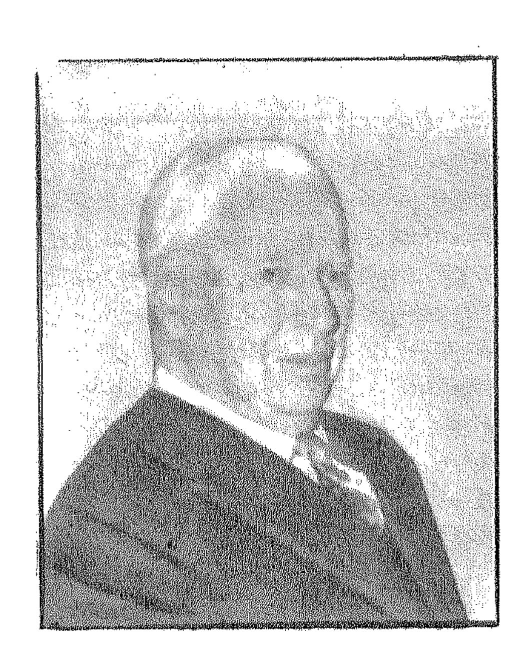
وثانيا : اننا نعلم الكثير عن كاتبيها واعمالهم وانجازاتهم عن طريق ما ينشر عنهم مما يشوق النفوس الى ان تعرف الشخصيات التى وراءها

وسبب ثالث : هو أن أولئك الافذاذ يروون في خلال ما يقصون من تاريخ حياتهم ، اخبار فترات هامة من تاريخ اوطانهم لان حياتهم مرتبطة تمام الارتباط بتاريخ البلاد التى عاشوا فيها وعملوا على اعلاء شانها .

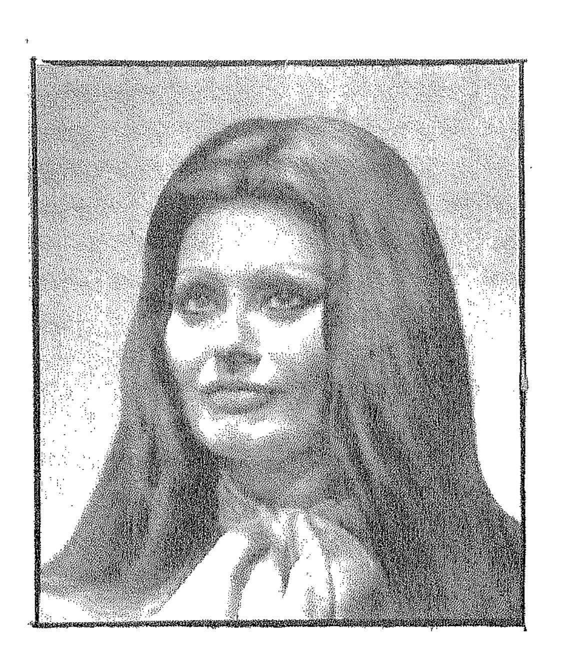
ربما كانت هذه الاسباب من ضمن اسباب نجاح معظم هذه الترجمات ، ثم اننا نجد أن كل قارىء يشترى ويقرأ مذكرات الشخص الذى كان يعجب به طوال حياته ، واختياره هذا متعلق بذوقه وبتربيته وباهتماماته وبطموحه وبمثله الاعلى في الحياة ، وخلال قراءته لها يعرف القارىء الكثير عن تاريخ البلد الذى ينتمى اليه المؤلف .

***

ولا شك في ان كل هذه التراجم الذاتية والمذكرات في مجموعها وبدون استثناء تضيف الكثير الى التراث الغربي وان قيمتها ستزداد بمرور الزمن لانها ستصبح مرآة لفترة من فترات تاريخه، اذ انها تعطى فكرة عن المجتمع وعن



تشارلس تشابلين



صوفيا لورين

اسلوب تعامل الناس فيه بين بعضهم والبعض وعن قيمة الحياة بالنسبة للغربيين ، وعن اشياء اخرى كثيرة سوف تظهر فى المستقبل

وعلى سبيل المثال اذا قرانا السيرة الذاتية لتشارلس تشابلين .. سنجد انفسنا نقرأ تاريخ السينما الغربية من نشاتها ، اذ كان هو احد منشئيها ، فيتحدث عن كفاحه المستمر وعن صموده وتعرضه للفشل بضع مرات حتى استطاع ان يقف على قدميه بابتكار شخصية تشارلى .. التى ما زالت حية حتى الآن ..

وان قرانا السيرة الذاتية لسيمون سينيورى الممثلة الفرنسية الشهيرة سنجد أنها تتحدث فيها عن كفاحها الشاق فى ميدان السينما حتى وصلت الى النجاح. وخلال مذكراتها هذه تربط سيمون سينيورى ما بين الافلام التى مثلتها والحوادث السياسية التى كانت تدور فى ذلك الوقت . ويشعر القارىء خلال قراءته لهذا الكتاب الى اى مدى ارتبطت الاحداث السياسية والاجتماعية بالافلام التى كانت تنتج فى حينها .

***

وقد نشرت ايضا مذكرات مارجريت ترودو الزوجة السابقة لرئيس وزراء كندا السابق بيير ترودو ، ونتبين من خلال قراءتها قلة ما يتاح لزوجات كبار السياسيين من حريات شخصية ، وكيف يمكن ان تتسبب ظروف حياة مثل هذه الشخصية فى القضاء على الشخصية نفسها واصابتها بالامراض النفسية ..

وهناك ايضا السيرة الذاتية لكريستينا أوناسيس ابنة واحد من اغنى رجال العالم ، ونستخلص منها ان كل مال الدنيا الذى عاشت فيه كريستينا طوال عمرها لم يستطع ان يعطيها اى شعور بالسعادة ، فطوال حياتها كانت وحيدة لا تشعر بحنان الابوين ولا بصداقة حقيقية ، فالجميع لا يهتمون الا باسمها وبمالها .

اما مذكرات جاكلين كينيدى فتتحدث فيها عن زواجها اولا بالرئيس الامريكى

السيرة الذاتية .. متعة وثقافة وثروة وطنية



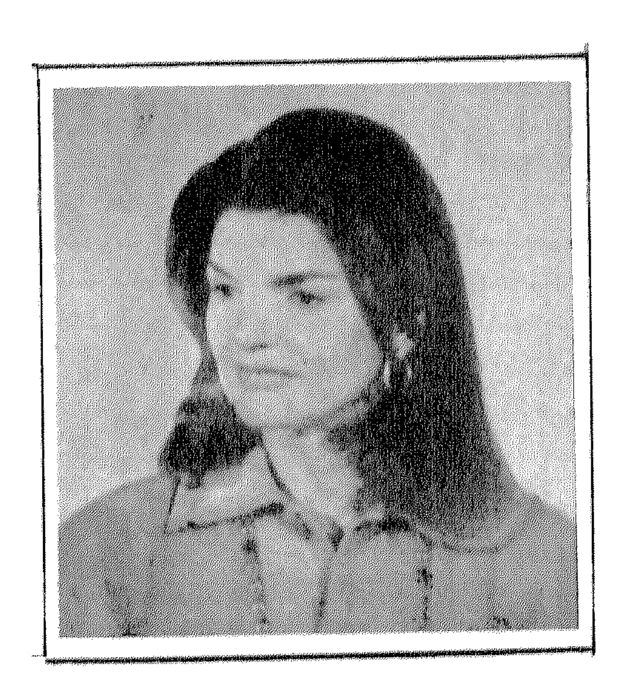
كريستينا اوناسيس

جون كينيدى ، ثم بالمليونير اليوناني أوناسيس . ومن كلامها نتعرف بطريقة غير مباشرة على بعض أساليب الصحف الغربية فى تلفيق الشائعات عن الناس حتى تصبح صورتهم أمام الجمهور مشوهة لا علاقة لها بالحقيقة ..

وهناك سير ذاتية اخرى كثيرة نشرت واخرى تكتب ، مثل مذكرات ريتشارد نيكسون ، ومذكرات هينرى كيسنجر ، ومذكرات موشى ديان ، وادوارد هيث ، والسيرة الذاتية لبريجيت باردو ، وحياة لورين باكال ، وغيرها وغيرها ، فهى كثيرة ، ذلك لان هذه السير لقيت رواجا واسعا لانها ناجحة ومربحة لاصحابها ولناشريها .

***

وليس من الضرورى أن تكون هذه التراجم الذاتية أعمالا ادبية ، لأنها ـ اذا استثنينا القليل جدا منها ، وكذلك تراجم الكتاب المحترفين الذين لم نذكرهم هنا ـ تعبر عن حياة أصحابها كما صدرت عنهم بأسلوبهم الخاص الذى يتكلمون به فى شئونهم العادية ، فيصبح أسلوب هذه الكتب نفسها جزءا من الشخص وشخصيته ، فهو يقدم احداث حياته بالاسلوب الذى تكلم به وكافح به بنفسه ، ومن هنا فهى لاتعد ادبا ..



جاكلين كينيدى

ومن ناحية اخرى لا نستطيع ان نعتبرها صحافة ، لان كل مؤلف يتحدث بنفسه وبصراحة مطلقة ، بل يعرض حياته كما هى ويقدمها للجمهور ليحكم .

ومع ان مثل هذه التراجم الذاتية لا تعتبر اعمالا ادبية او صحفية ، الا انها تعتبر وثائق وتراثا ، فهى حافلة بالحقائق السياسية والاجتماعية والفنية

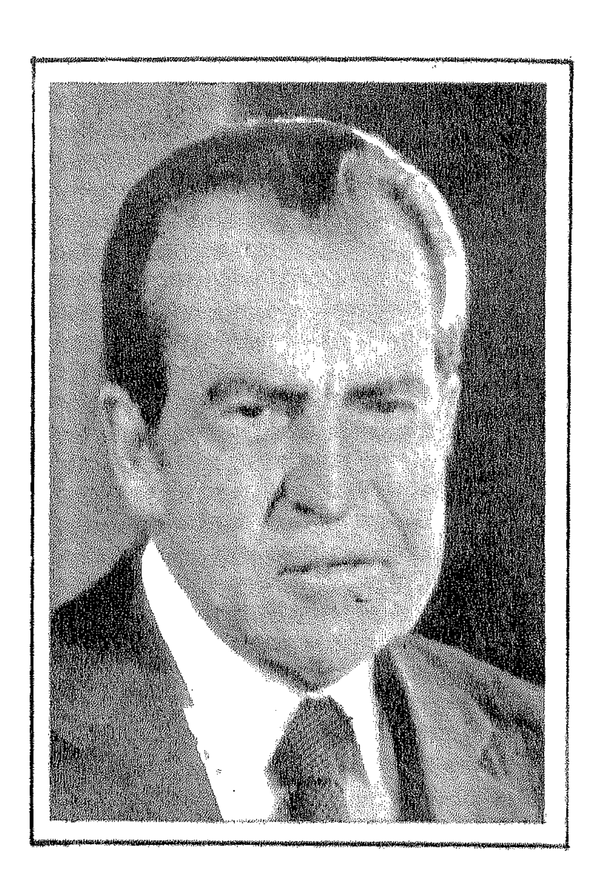
عن حياة البلد الذى ينتمى اليه كاتب السيرة .

ولكننا نحن فى مصر وباقى البلاد العربية اذا اقبلنا على قراءة ماينشر فى الغرب من مذكرات وسير ذاتية ، فاننا بدون شك نكسب الكثير فى ميدان المعلومات العامة ، وتزيد معرفتنا بتقاليد وتفكير وتصرفات واتجاهات الغرب ، فكلها تتعلق بهم وبنشأتهم وبتراثهم وبدينهم ، ومعظمها جدير بالاحترام وان كنا نحن كعرب لانجد أنفسنا فيها لان طريقتهم فى الحياة ونظرتهم اليها تختلف عنا اذ هى نابعة منهم ومناسبة لهم

حقيقة ان صحافتنا تنشر بين الحين والحين أحاديث عن قادتنا وعظمائنا فى مجالات الادب والفكر والعلم والفن والسياسة ، وكذلك تقدم لنا الاذاعة والتليفزيون احاديث من هذا النوع ، ولكن هذا كله لا يعطينا صورة متكاملة لأى من هذه الشخصيات ، ولا يغنى بحال عن السير الذاتية التى تظهر فى شكل كتاب ، والتى نحن فى أشد الحاجة اليها لكى نعرف حقائق حياتنا ومجتمعنا فيزيد فهمنا لانفسنا

***

نرجو الا يبخل علينا اصحاب الشهرة والمكانة فى مجتمعنا فى كتابة سيرهم الذاتية ، والا يظن احد منهم ان تفاصيل حياته لا تهم الا دائرة محدودة من الناس ، لان حقائق حياة شعبنا تتجلى لنا بصورة اوضح واقرب الى الصدق ، عندما نراها من خلال مايرويه اولئك الذين يصنعون تاريخنا فى كل ميدان من تفاصيل حياتهم وما مروا به من احداث وتجارب حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه ، ثم اننا بدون شك سنجد قطعة من مصر فى كل سيرة ذاتية كتبها مصرى ..



ريتشارد نيكسون



بريجيت باردو

أدباء القرن العشرين

• تاليف: الدكتور نبيل راغب •

• اعداد : عادل عبد الصمد •

مما لاشك فيه أن كل عصر يمر ينسم بسمات تحدد ملامحه واتجاهاته ، وان أي ذخيرة من كنوز الحضارة والثقافة التى تتوارثها الشعوب جيلا بعد جيل - هى ملك للبشرية جمعاء وليست ملك امة واحدة .

واذا كان الادباء والعلماء ورجال الفكر يختلفون فى جنسياتهم ، فانهم يعبرون بكل احاسيسهم ومشاعرهم عن قضايا العصر ومشاكله ، فانهم الرواد الذين يتعايشون مع كل مايدور فى زمانهم فى كل اعمالهم ...

وذلك ما نلمحه فى كتاب « ادباء القرن العشرين » الذى استطاع فيه الدكتور نبيل راغب برؤية الاستاذ والناقد ان يصور لنا الاتجاهات التى تشكل ملامح الادب العالمى المعاصر من خلال انجازات هؤلاء الاعلام الذين سيطروا على مجالات الشعر والمسرح والرواية والنقد منذ مطلع القرن الحالى حتى الان .

وكتاب « ادباء القرن العشرين » يقع فى جزءين ، وقد حرص المؤلف ان يلتزم فيه جانب الموضوعية للادباء الذين تناولهم بالبحث والتحليل ، وذلك من خلال تطبيق معايير النقد الحديث

وكان ترتيب هؤلاء الادباء فى هذا الكتاب حسب ميلادهم بصرف النظر عن البلد الذى ينتمون اليه ، حتى يستطيع القارىء تتبع مراحل التطور التى مر بها الادب العالمى منذ مطلع القرن العشرين حتى الآن

ومما هو جدير بالذكر ان بعض هؤلاء الادباء ترك بلده الاصلى واستوطن فى بلد آخر ، ولذلك جاءت خبرته الفكرية والفنية خصبة تجمع فى داخلها روح العصر ...

ومن هؤلاء ت. س . اليوت الامريكى المولد الذى قضى الفترة الاولى من حياته فى الولايات المتحدة **ثم هاجر بعد ذلك الى انجلترا لكى يستقر هناك ويحصل على الجنسية البريطانية ، ولذلك تمتزج فى اشعاره ومسرحياته الروح الامريكية المتوثبة بالروح الانجليزية التقليدية المحافظة بحيث**




ت . س . اليوت




فرانسوا مورياك

فلاديمير نابوكوف

يصعب وضع أدبه تحت بند الادب الامريكى وحده او الادب الانجليزى وحده .

ينطبق نفس الوضع على الاديب الروسى المولد ((فلاديمير نابوكوف)) . الذى هاجر مبكرا الى امريكا بعد ان عاش فترة قصيرة فى اوروبا متنقلا بين فرنسا والمانيا . ولذلك امتزجت فى رواياته روح روسيا الاقطاعية والشيوعية بروح اوروبا الليبرالية والديمقراطية بروح امريكا الراسمالية التى تجعل من الفرد محورا للمجتمع يدور حوله

امايوجين اونيسكو فهو رومانى المولد بينما يعيش فى فرنسا منذ أكثر من ربع قرن ، ويتزعم مسرح العبث مع صامويل بيكيت الايرلندى الاصل . فهذه الروح العصرية هى التى تطبع انتاج هؤلاء الادباء بسمات متميزة مشتركة بالرغم من تعدد بيئاتهم ، فلم يكن اختلاف الاجيال والاجناس سببا جوهريا فى ضياع السمات المتميزة والمشتركة التى يمكن ان نلمسها فى خلال الدراسة التى قدمها كتاب ((ادباء القرن العشرين))

فان روح العصر تدمغ الجميع بطابعها المحدد ، فنرى ان أعمال سومرست موم الروائية والمسرحية تستقى مضمونها الفكرى والاجتماعى من حياته فى فرنسا او من خبرته كطالب طب مما جعله احدى العلامات البارزة فى الاتجاه الواقعى المعاصر .

اما اعمال أ . م . فورستر فتغلفها النظرة الانسانية الشاملة التى ترى انه بدون القيم الانسانية ستتحطم الحياة

اما شون اوكيس فيبلور مضمونه الفكرى من خلال تعرية كل مظاهر الريف والنفاق الاجتماعى

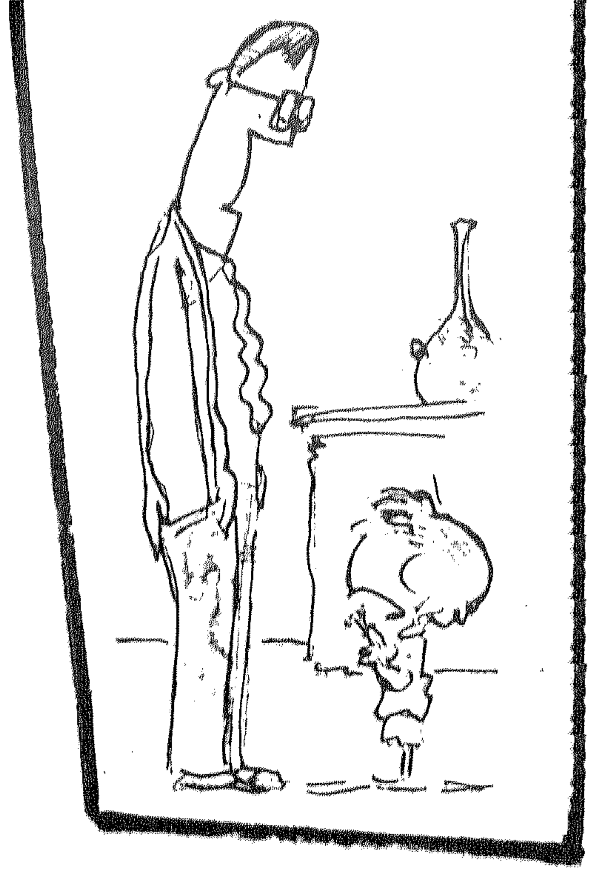
اما روايات فرانسوا مورياك فترتبط بالارض التى عاش عليها وخاصة مدينة بوردو والمناطق الريفية المحيطة بها فهى كانت قطعة من وجدان مورياك .

هذا ما قدمه الجزء الاول اما الجزء الثانى ، فقد قدم الينا ادباء بلاد الحضارة الرئيسية فى عالمنا المعاصر فقدم يوجين اونيل وايرنست هيمنجواى ، وتينسى ويليامز من الولايات المتحدة ... واندريه مالرو ، وناتالى ساروت ، وصامويل بيكيت ، والبير كامى من فرنسا ، ولورانس داريل ، وآنجوس ويلسون ، وايرس ميردوخ ، وجون اوزبورن من بريطانيا ... والبرتو مورافيا من ايطاليا ... **وبوريس باسترناك من الاتحاد السوفييتى ... وبيتر فايس وفريدريش دورنيمات من كل من المانيا وسويسرا ممثلين للادب الالمانى المعاصر**

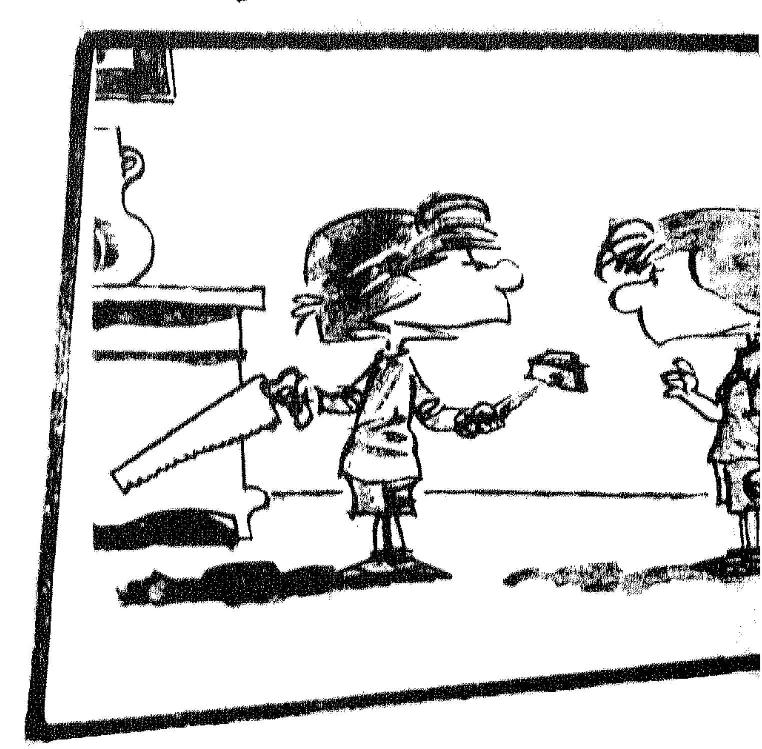
وهذا مما يدل على انه برغم تعدد البيئات والجنسيات فان روح العصر تقرب بينهم وتدمغ اعمالهم الشعرية والمسرحية والروائية بطابع مميز يسهل التعرف عليه ●

كاريكاتير

جيل جديد جداً !



الولد لوالده : اللى محيرنى ياسيدى ان الخضار فيه فيتامينات ..والسبانخ فيها حديد .. اشمعنى بقى الملبس والبونبون ـ لا فيتامينات ولا حديد ؟!



الولد لصاحبه : بقولك ايه .. ما دام ماجابوش لنا لعب كويسة ، تاخد انت شاكوش وانا منشار .. نلعب بيهم على راحتنا فى البيت ونتسلى !



الولد لوالده : دايما ، دايما تقولى احنا مش متفقين ! يعنى لا انا عاجبك ، ولا انت برضه .. خلاص نبقى متفقين !

صورة الرجل في عين المرأة الفنانة والأديبة

● ماری غضبان ●

●● عندما تتصدى المراة لعمل فنى .. ماذا تكون وجهة نظرها اذا تعرضت لمن يشاركها الحياة .. الرجل ؟.. كيف تكون نظرة الاديبة ، المصورة ، المخرجة ، صاحبة الموهبة التى تشارك فى الخلق الفنى ؟ ..

هذا الموضوع هو محور بحث الناقد الفرنسى دانيال سيرسو فى كتابه ((صورة الرجل فى عين المراة)) والذى يقول فيه ان الرجال دائما متهمون ـ تدينهم المراة .. تعصب .. هم صغار فى عيونها ـ هذا على الأقل المراة للرجل فى اعمالها الادبية والفنية ..

●● فالرجل هنا لا يجد من يدافع عنه ... والرجل فى اعماله الادبيــة والفنية لايلتفت لهذه الناحية، ولكن المراة لا تعطى للرجل هذه الفرصة فى الدفاع عنه ، بل هى دائما تتهمه ، تواجهه ، تبارزه ولا تعطيه نفس القــدر من نزاهة المبارزة .

حالة الرجل انه اما قوى جدا ، او ضعيف جدا .. رغم ان الحقيقــة غير ذلك ، وغير ما تظهره حالة الرجل فى الاعمال الادبية والفنية التى تظهره اما قويا تعبده المراة ويستعبدها واما ضعيفا لا يستطيع مقاومتها او الافلات من اغرائها .

باختصار تبدو غالبية اعمال النساء الفنية والادبية ثورة ضد الرجل .. والغريب ان تحــرير المراة ليس من الموضوعات التى تأخذ اهتمــام المراة الاديبة او الفنانة .

والقضية المحورية لمعالجة المراة لمسائل الحياة العامة للمراة والرجل لا تدور حول السياسة العــامة التى تتناول مركز المراة فى المجتمع وحجم مشاركتها للرجل . ولكنهاتصر على ان تدور حول قضية ((الخيانة)) خيانة الرجل للمراة .. والمراة التى تقبل ان تخون امراة اخرى مع رجل .. هذا الوضع اصبح فى حكم ((الجريمة))التى تدينها كل اعمال المراة الادبية والفنية

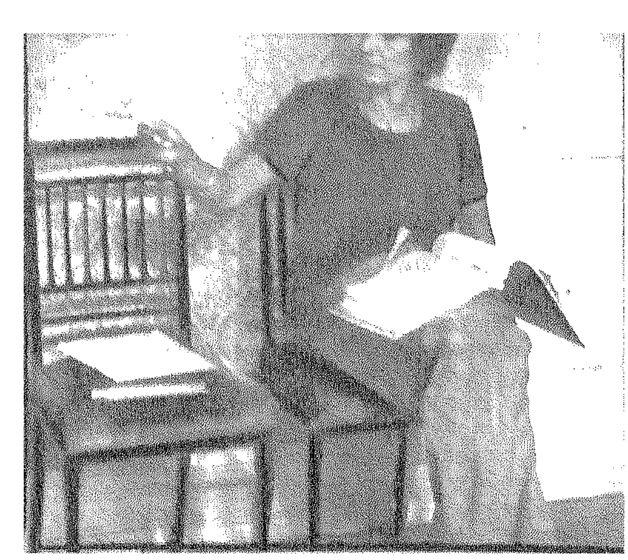
***

والأجيــال الجديدة من النســاء يمتلكن الايجابية التى تجعلهن يثرن على هذه الاوضاع ، بل ويكون الاصرار على رفضها ، فالمراة ترفض ((ســادية)) الرجل بل وترفض ((ماسوشية)) المراة ورضاءها بأن تكون أسيرة رغبات الرجل، الرغبات التى تعذبهن فى احيان كثيرة .

***

وينتقل الكاتب الى امثلة من اعمــال ادبية وفنية عالمية اتيح له ان يتابعهــا فالعمل الاخير لمخــرج المجر الــكبير مارتاميزاروش ـ وعنوانه ((٩ شهور)) ـ تقول فيه المراة التى ملت الرجــل الذى يتصورها مجرد عاشقة او خادمة انها تكتفى بانها حصــلت على طفل ، وترفض ان تصارحه بمن يكون اب هذا الطفل .. وهى ترفض هذا الرجل الذى عاملها بقسوة ، وتقبل ان تستبدل به الطفل الذى تتصوره استمرار سعادتها وحياتها .

ومن بين اعمال الفنانة الفرنسيــة **ايناس فردا : ((واحدة تغنى والاخرى**



الجابراين : صاحبة وجهة نظر متقدمة تجاه قضايا المرأة فى مواجهة الرجل

ترفض)) ـ تقدم صورة انسان عاجز، تنظر اليه المرأة صاحبة العمل الفنى على انه مجرد اضحوكة .. ولم تتعمق المرأة فى حياته لكى تحلل الوضع المرضى الذى يعيشه ونظرت اليه على انه مجرد مادة للسخرية .

وفى رواية ((**لعبة التفاحة**)) التى قدمتها التشيكية **فيرا تشتيلوفا** التى تقدم صورة طبيبة ناجحة فى مستشفى بينما يبدو زملاؤها الاطباء مجرد امثلة غير ناجحة ، ومع ذلك تخضع هذه المرأة لسيطرة وبيروقراطية الرجل ..

ايضا فى ((زهرة المرجريت)) تتصور المرأة انها هى وحدها الجديرة بالنجاح . بينما الرجل لا يستحق النجاح ، لكنه يحصل عليه بسهولة .

وفى الفيلم الفرنسى ((حب الخيانة)) للمخرجة **يانيك بيلون** تقيم المخرجة الدنيا وتقعدها من اجل محاربة الخيانة الزوجية من خلال اسلوب هجومى على الرجل لا يتعرف على الدوافع التى تبعث بالرجل على الخيانة الزوجية ..

ورغم هذا تقول المخرجة انها تريد العدالة ، بينما هى مستمرة فى الهجوم على الرجل والتعريض به بقسوة بالغة العنف .

***

●● واذا كان هذا حال المرأة عندما تتعرض للرجل فى اعمالها الادبية والفنية فان الرجل لا يأخذ هذا الجانب المتميز عندما يتعرض للمرأة .. وكثيرا ما يأخذ الرجل جانب المرأة ، والامثلة عديدة ، وحتى فى الاعمال الفنية والادبية العربية كما نرى فى عشرات الامثلة **من اعمال الرجال الادبية والفنية ، وكما نرى بعد ذلك فى الاعمال القليلة التى كتبتها المرأة وتحولت الى اعمال فنية مثل رواية حسن شاه ((اريد حلا)) التى اخرجها للسينما سعيد مرزوق ورواية لطيفة الزيات ((الباب المفتوح)) التى اخرجها بركات ورواية كاثيا ثابت ((لا عزاء للسيدات)) التى اخرجها بركات ايضا ورواية ((أيام معه)) لكوليت خورى التى اخرجها محمد علوان وغيرها من اعمال فتحية العسال وزينب صادق وامينة الصاوى التى تحولت الى اعمال فنية فى الاذاعة والسينما والتليفزيون والمسرح** ●



المخرجة الاسترالية
جيل ارمسترانج

قصة

دنيا .. بلا أحزان

• السيد ابراهيم •

استوقفني المنظر الصاخب وشدني اليه .. ادهشني صديقي وهو يجذبني بعنف : هيا ! ..

ولكنى تسمرت في مكانى ... الفتاة التى ترقص وتتمايل على صعود الرجال ، صورة باهرة للانسانة الرقيقة .. لو امعنت فيها النظر لهالك واقعها ... لا تصدق ابدا ان هذه الفتاة العابثة ملائكية الوجه رغم الاهمال الواضح .. الوجه النحيل ، العينان ملونتان رائعتان ، فيهما سحر وطفولة .. الجسد النحيل الذى يتمايل في مهب الريح وتلعب به العواصف ليس سوى غصن البان لا يتحمل حرارة الرقصات وعنف الاهتزازات ! ..

تسمرت عيناى عليها ... ماذا ارى ... ان ما أراه شيء غريب يجذبنى ، ويعذبنى ! ...

صوت صديقى ينتشلنى قائلا :

— هيا يا رأفت .. سوف احدثك عنها !

— اه تعرفها ؟

— بالطبع ...

واخيرا استطعت ان اتمالك نفسى ، وان أجر قدمى جرا .. تساءلت وانا أسير كالمنوم مغناطيسيا ..

— ماذا أرى ؟ من هذه الفتاة ..

ونظرت نحو صديقى ، وجدته يبكى .. الدموع تفلت من بين أهدابه تبلل وجهه ، دون ارادة منه يحاول مسح الدموع ، تخونه الكلمات .. ساءتنى حاله .

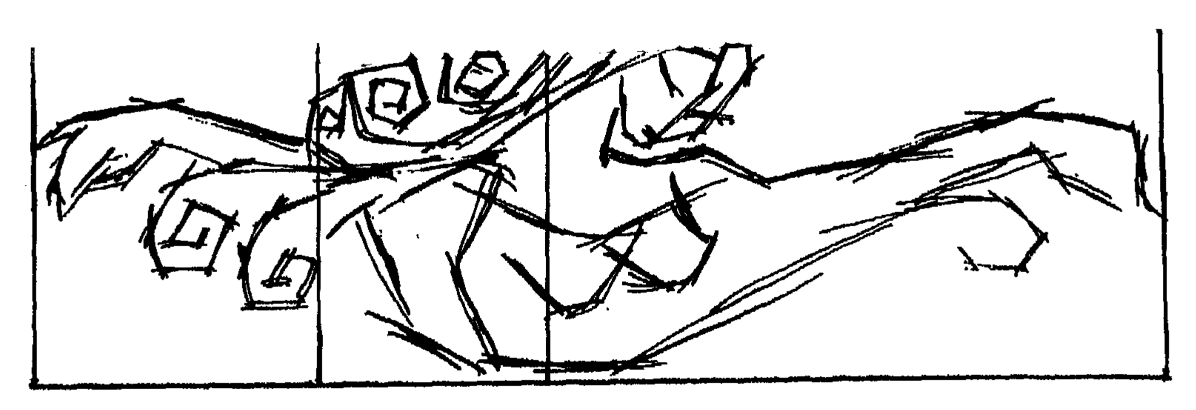
— ماذا يا حمدى ! لماذا كل هذا ؟

— هيا بنا .

وتمالك حمدى نفسه . . . قال بحزن ودموعه لا تنقطع : قد لاتصدق ما سوف احكيه ... اتدرى من هذه الفتاة ومن هو والدها ؟ .. انها زينب .. بنت الحاج محمد عميد اسرة أبو السعود ، اسرة معروفة جيدا لهما صلة بكل من فى البلدة . معروفة بالخلق الرفيع . . لا تشكو من شيء أعطاها القدر كل شيء ، المال والجمال والخلق الرفيع ..

وزينب هذه التى تراها فى هذا الموقف العجيب هى ابنته البكر .. لا يعرف احد ماذا الم بها ، سوى القلة القليلة التى تعرف حكايتها .. طول عمرها كانت متفوقة فى دراستها ، حسادة الذكاء ، رشيقة الاسلوب . . سعادتها فى العلم تنهل من موارده كما تهوى.. سهلة الانقياد لوالديها . تحبها الأسرة ولا تمنع عنها أى شيء .. والفتاة تقابل هذا كله بالامتنان والشكر والتفوق ، حتى وصلت الى دراستها الجامعية ، وبدات سنتها الأولى بالجامعة .. صاروخية الصعود .. اجتازت العقبات والمتغيرات ، وفرضت نفسها على كل شيء أحبها الجميع واحترمها الزملاء ، وشجعها الاساتذة الكبار .. كانت شعلة خارقة من الذكاء ، وعيها اشعل لهب الغيرة فى قلوب زميلاتها .. الزملاء اعجبوا بها وعاملتهم فى رقة واخوة .. قلبها غنى لا يعرف الحقد أو الالتواء ..

تسلل الى قلبها شعور انسانى يهواه الناس ويتعذبون به ، ولكن ذلك الامر لم تكن بحكم تربيتها تستطيع الافصاح عنه لاحد .. عاشت للشعور به ونما وسيطر عليها ، وبدات الوردة تذبل.. اصابها الشرود وتعطلت مواهبها .. وبدات تغرق فى دوامة من الافكار لم تكن تعرفها .. احست بالتمزق ، وفى



الجسد من داخلها ينبعث مارد شيطان يسخر منها ومن رقتها وطهرها وعفافها ، ويدفعها دفعا نحو المجهول

فى السنة الدراسية الثانية لم يعرفها كثير من الزملاء . حقا انها اجتازت الامتحان بنجاح ولكن بلا تفوق .. وفى السنة الثانية بدت الدراسة بلا رضا ، بلا قناعة ، بلا طموح .. تحطم داخلها شىء عظيم .. لم تشعر بنفسها . نسيت داخلهاكل احلامها . بل لم تعد تعرف الحلم الوردى الذى اخذ بيدها الى ضباب المأساة .. ماذا ترى ؟ ماذا تسمع ؟ بل ماذا تريد ؟

لم تعد تعرف ، ولم تعد تستطيع، ورويداً .. رويدا بدات تنفصل عن واقعها . بدات تعيش اوهاما لم تكن تعرفها ..

وبدات اسرتها تتالم من اجلها وتمد يدها لانتشالها . ولكن يبدو أن الوقت قد فات ...

الفتاة تتعذب ، تتالم ، تعيش احزانها واوهامها .. الدراسة لم تعد هدفا ، التفوق لم يعد شيئا يهمها انقطعت اياما ، راحت كالتائهة فى سراديب القاهرة .. لم تعد تعرف طريقها نحو كليتها ...

تالم من اجلها الزملاء والاساتذة ؟ حاولوا مساعدتها ولكنها رفضت . خافها الزملاء والناس ، اسرتها تحاول الاخذ بيدها ، ولكن كل شىء راح فى غيبوبة الصراع الذى تعيشه ..

حاولوا اعادتها الى بلدتها ، لم تقبل .. ومرت ايام عصيبة وهم فى قلق **وانفعال الى ان فوجئوا بها يوما امامهم فى ثياب غير ثيابها .. اختفى الاحتشام وحل محله تبرج وحركات غير متزنة .. تصرخ وتغنى ، ترقص وتبكى ! .**

حبسوها بين اربعة جدران ، ولكنها هربت الى النور .. كانت تصرخ وتبكى حتى يضطروا للافراج عنها وتخرج الى شوارع بلدتها التى تعرفها جيدا ... ووسط أهلها وناسها وصبيانها وبناتها تجرى حوارا صامتا بالدم والدموع والالم والعذاب ... تحيطها قلوب الجميع وتواسيها ، ولكنها هى الوحيدة التى تعرف الحقيقة .. حقيقة ماساتها انها لا تحس بالالم او العذاب ..

لقد انطلقت الى آفاق البهجة بعد ان حطمت اسوار العزلة التى فرضت عليها ، وكانها احست بان كل ما فى الحياة زيف وبهتان وباطل ، وان الالم والعذاب والشقاء والتفوق اشياء اصطنعها الانسان اصطناعا ليظل اسيرا وسجينا لخيالات وضباب يخلق له واقعا يرضى عنه ...

حطمت قيودها وانطلقت الى عالم بهيج ودمت فيه احزانها واوهامها وعاشت للسعادة وهى محلقة فى واقعها الجديد باجنحة الخيال ، ترقص وتغنى ولا تتذكر شيئا عن الماضى الذى هجرته وحطمته .. سعيا وراء حرية وارادة وواقع تريده ولم يردها ..

هذه حياتها وواقعها الجديد .

ومسح صديقى دمعة كبيرة انحدرت على خده ، وجدتنى اجذبه برفق وانا اردد بينى وبين نفسى .. حقا ، ما الذى يريده الانسان . . بل ماذا تريده الحياة للانسان ولمن يحمل رسالته على مر العصور والازمان .. ولم اجد الاجابة ، وظل السؤال كما هو، ولعله سيظل الى آخر الزمان! ●





● لا تراجع ●

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامل له فى المظالم :
« انه يخيل الى انى لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت الى : اضانا ام ماعزا ؟ .. ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى اذكرا ام انثى ؟ ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى أصغيرا ام كبيرا ؟
فاذا كتبت اليك فى مظلمة فلا تراجعنى فيها !

● فطنة شاعر ●

ولى عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه رجلا من قريش عملا ، فبلغه انه قال:
اسقنى شربة الذ لديها
واسق بالله مثلها ابن هشام
فأمر عمر بعزله عن عمله ، فلما قدم عليه قال له : الست القائل « فأنشد له البيت السابق » .
فقال الرجل : نعم يا أمير المؤمنين، وقد قلت بعده :
عسلا باردا بماء سحاب
انى لا احب شرب المدام



فقال امير المؤمنين : اكذا قلت ؟
قال : نعم :
فرده عمر الى عمله .

● الحياء من الله ●

كان الفضيل بن عياض يقول : يا مسكين : تغلق بابك ، وترخى سترك، وتستحى من الناس ، ولا تستحى من الملكين اللذين معك ، ولا تستحى من القرآن الذى فى صدرك ، ولا تستحى من الجليل سبحانه وتعالى ــ وهو لا تخفى عليه خافية .

● لا توجد حسنات ●

استفتى رجل الحسن البصرى فى أخذ راتبه ، لأنه يرى أن مافى خزائن الدولة من مال قد جمع من ظلم فقال للحسن : اترى أن آخذ عطائى او ادعه حتى آخذه من حسناتهم يوم القيامة؟ فقال له الحسن : ويحك ! قم فخذ عطاءك ، فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة !

● انفسكم اولا ●

قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه « ميدانكم الأول انفسكم ، فان انتصرتم عليها كنتم على غيرها اقدر ... وان خذلتم فيها كنتم عن غيرها أعجز .. فجربوا معها الكفاح اولا » .

● دعوة الى الجنة ●

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى » ..
قالوا : يارسول الله ومن يابى ؟
قال : « من اطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد ابى » ..

● محسن فهمى ●

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر يناير ١٩٨٠

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلى عشرة أسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ...

اكتب الاجابة على هذه الورقة وأرسلها الينا ...

اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال .

• شروط المسابقة والجوائز •

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان .

والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال » .

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد مارس ١٩٨٠

آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من فبراير ١٩٨٠

• الاسئلة •

س ١ : من اول من ركب الخيل وادخلها جزيرة العرب ؟
ج ١ ... ... (مقال ... ...)

س ٢ ـ اين تقع قارة الانتاركتيكا ؟
ج ٢ ـ ... ... (مقال (... ... ...

س ٣ ـ لماذا يجب الا نقول ربيع الثانى ؟
ج ٣ ـ ... ... (مقال ... ...)

س ٤ ــ ما الاصل العبرى لاسم « يسوع »
ج ٤ ــ ... ... (مقال ... ...)

س ٥ ــ ما هو الفحم الابيض ؟
ج ٥ ــ ... ... (مقال ... ...)

س ٦ ــ من مؤلف كتاب « تهافت التهافت » ؟
ج ٦ ــ ... ... (مقال ... ...)

س ٧ ــ ما المبادىء الشرعية الاساسية فى كل حكم ؟
ج ٧ ــ ... ... (مقال ... ...)

س ٨ ــ ما الاساس الذى يقوم عليه الاقتصاد العالمى ؟
ج ٨ ــ ... ... (مقال ... ...)

س ٩ ــ لماذا ضرب عمر بن الخطاب ابنا له عندما سمى نفسه « ابا عيسى » ؟
ج ٩ ــ ... ... (مقال ... ...)

س ١٠ ــ من يوصف بانه شيخ المعتزلة ، ومن تلميذه ؟
ج ١٠ ــ ... ... (مقال ... ...)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد يناير ١٩٨٠

الاسم: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ	السن: ـ ـ ـ ـ ـ ـ
العنوان:	ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

نتيجة مسابقة

عدد نوفمبر ١٩٧٩

هذه هى نتيجة المسابقة الثانية : اقرأ الهلال واكسب جائزة ـ عدد نوفمبر ١٩٧٩ .

ومسابقات « الهلال فى الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا اذا شاء الحظ وكان من الفائزين .

فان « الهلال » حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء ان يقرأها ويبدى رأيه فيها ، وهذه هى الغاية التى نرمى اليها من وراء هذه المسابقات ، اما الكسب المادى فرمزى فحسب ..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم فى المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة واجريت القرعة بينها .. وفيما يلى اسماء الفائزين فى مسابقة شهر نوفمبر ١٩٧٩ ، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ، ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا فى مسابقات الشهور القادمة :

الجائزة الاولى وقدرها خمسة جنيهات : حازم ممدوح يس ـ سوهاج ـ اخميم ـ شارع التحرير .

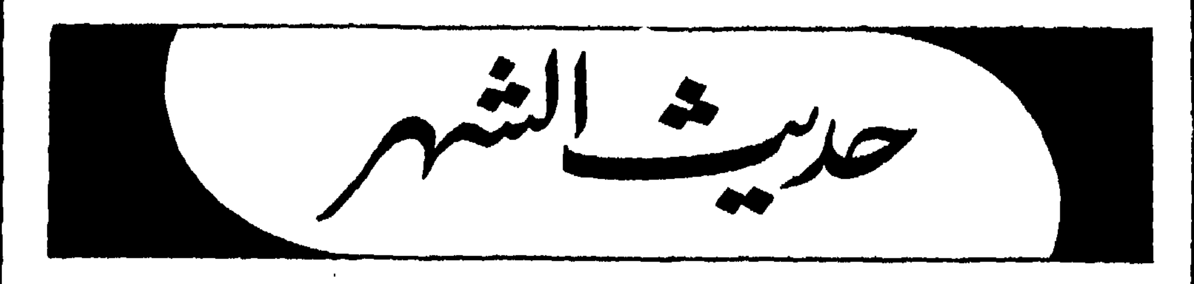
الجائزة الثانية وقدرها ثلاثة جنيهات : محمد عبد الفضيل عبد القادر ـ ٣ شارع توفيق مجاهد بحدائق القبة .

الجائزة الثالثة وقدرها جنيهان : سهير السعودى ـ منوف ـ محافظة المنوفية .

الجائزة الرابعة وقدرها اشتراك سنة فى مجلة الهلال : محمد سعيد ـ جمهورية جيبوتى ـ حارة عبد الله رقم ٤ شارع ١٣ .

الجائزة الخامسة وقدرها اشتراك سنة فى مجلة الهلال : اكرو محمد ـ وزارة المالية ـ المراقبة الاقليمية للالتزامات بالنفقات اغادير ـ المغرب

فهرس موضوعات الهلال عام ١٩٧٩



● بقلم رئيس التحرير : د . حسين مؤنس ●

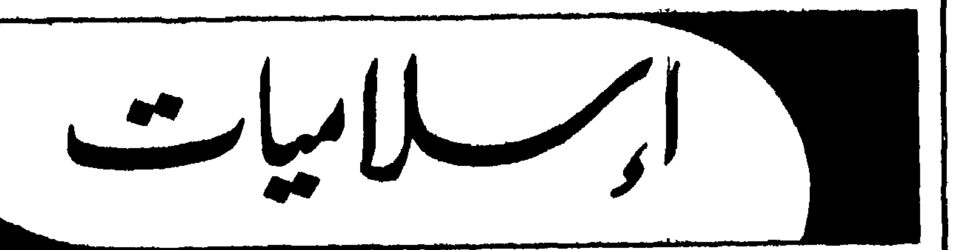
موضوعات عامة

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
اللا مبالاة فى حياتنا الثقافية	د. زكى نجيب محمود	فبراير	١٦
الاحلام .. وهل هى انذار بما سيحدث ؟	ترجمة : د.حسين مؤنس	فبراير	١٨
مصر عند الشدياق	فاروق خورشيد	فبراير	٥٨
حظوظ تلعب باقدار النابهين والابطال	فتحى رضوان	مارس	٢٦
حظوظ واقدار عند الشعراء القدامى والمحدثين	محمد عبدالغنى حسن	مارس	٣٤
الحظ مظلوم ...	عباس محمود العقاد	مارس	٤٠
نجاحك ذكاء ام حظ ؟	مصطفى الشهابى	مارس	٨٠
عن السحر والزار وعين الحسود	د. احمد متولى مسلم	مارس	٨٤
حديث الى الشباب	محمد عبدالغنى حسن	مايو	١٤
قضية الدماء الساخنة فى الادب	د. عبدالفتاح الديدى	مايو	٥٦
رحمك الله يا جيل العمالقة	محمد عبدالغنى حسن	يونيه	١٠
وحدة الثقافة فى مصر	فتحى رضوان	يونيه	٢٢
هناك ايضا يؤمنون بالحسد		يوليه	١٣٢
امرأة فى الظل	د. حسين مؤنس	سبتمبر	٤٢
الثقافة والمثقفون	د. عبدالفتاح الديدى	اكتوبر	١٦
البحث عن الكاتب فيما كتب	عزت محمد ابراهيم	اكتوبر	٧٦
طاقة فى حائط دارنا تحكى قصة القصة	سعد رضوان	اكتوبر	٨٦
الادب أيضا له مستقبل	منى مؤنس	اكتوبر	١١٥
مع الشباب .. مشاكل وحلول	د. مصطفى كمال حلمى	نوفمبر	١٢
دفاع عن الثقافة العربية	فتحى رضوان	نوفمبر	١٦
مائة عام من الجهاد فى سبيل الثقافة الوطنية	فتحى رضوان	ديسمبر	١٤
ملامح مصر فى شعر الشعراء الذين وفدوا اليها .	محمد عبدالغنى حسن	ديسمبر	٢٢

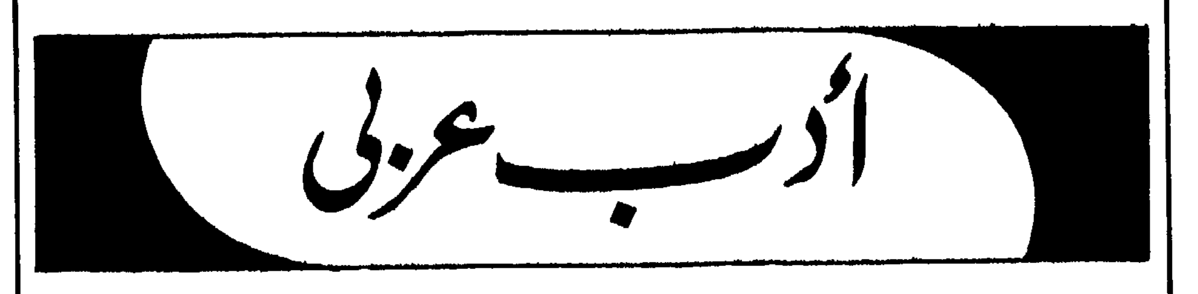
استطلاعات مصورة

الموضـــوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
عالم الاسلام .. عالم من الثروة والقوة والجمال	د. حسين مؤنس	يناير	٣٥
من روائع الفن الاسلامى .. التصـوير فى الهنـد الاسلامية	د. حسين مؤنس	يناير	١١٥
سيناء جزء من ارضنا الطاهرة	د. حسين مؤنس	فبراير	٣٥
ابتسامتك مفتاح نجاحك	د. حسين مؤنس	فبراير	١١٤
نحن وزهور الربيع	د. حسين مؤنس	مارس	٩٩
جلدك .. ثوب بديع متجدد		ابريل	٩٩

الموضـوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
مصر الخالدة	د. حسين مؤنس	مايو	٩٨
الحمام	د. حسين مؤنس	يونيه	٩٨
سيناء .. ارض الاديان والتاريخ والمعارك	د. حسين مؤنس	يوليه	٩٨
غرناطة	د. حسين مؤنس	اغسطس	٩٨
الماس	د. حسين مؤنس	سبتمبر	٩٦
الكون على ضوء علم الفلك الجديد	د. حسين مؤنس	اكتوبر	٩٨
ملديف .. جزر النساء	د. حسين مؤنس	نوفمبر	٩٨
علماء وراء سر الحياة		نوفمبر	١٠٧
اسرار كوكب زحل	سعد شعبان	ديسمبر	٣٤
باريس الكبرى والقاهرة الكبرى	د. حسين مؤنس	ديسمبر	٩٨

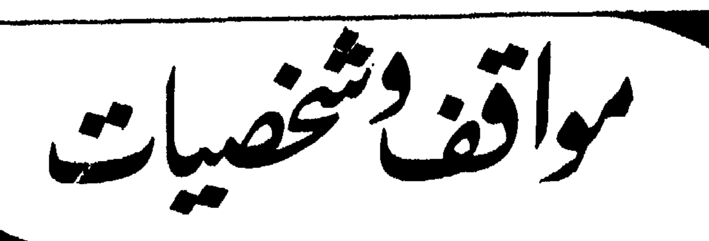


الموضـوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
بالشورى والحرية يواجه الاسلام تحديات العصر	د. حسين مؤنس	يناير	٦
الاسلام وتحديات العصر	د. عبدالمنعم النمر	يناير	١٢
نبى الاسلام فى رأى الغربيين		يناير	١٧
الاسلام والنظرية العقلية	د. زكى نجيب محمود	يناير	١٨
الاسلام والمستقبل	فتحى رضوان	يناير	٢٠
من روائع اعجاز القرآن	د. جمال الفندى	يناير	٢٨
نبى الاسلام ومجتمع السلام	د. مصطفى الشكعة	يناير	٣٢
الاسلام والامن	د. لواء كمال عبدالحميد	يناير	٥٢
المناهج الاسلامية الحالية لا تمثل الاسلام الصحيح	د. احمد شلبى	يناير	٥٨
مادة السلام في الاسلام	د. احمد الشرباصى	يناير	٦٤
الاسلام والحياة المعاصرة	د. محمد كمال جعفر	يناير	٧٠
الدين فى مجتمعات العصر	د. محمود على مكى	يناير	٧٤
مفهوم عصرى للاسلام فى افريقيا	الشيخ عبدالرحمن النجار	يناير	٧٨
المرأة بين الاسلام والشرائع الاخرى	عبد الرزاق نوفل	يناير	٨٨
الاسلام فى مرآة الفكر الغربى	محمد الحديدى	يناير	٩٢
الاسلام فى عالم البحر المتوسط	فرانشيسكو جابرييل	يناير	٩٨
موقف الغرب من الأسلام عبر التاريخ	مكسيم رودانسون	يناير	١٠١
حول الرؤية الجديدة فى السيرة النبوية	السيد حسن قرون	يناير	١٠٧
تجربتى من الايمان	د. عبدالحليم محمود	فبراير	١٠
مع طلائع القرن الهجرى الخامس عشر	انور الجندى	فبراير	٣٦
وحدة الثقافة الاسلامية ودور اللغة العربية فيها	محمد خلف الله احمد	فبراير	٥٢
الاسلام والعلم	د. عبدالمنعم النمر	ابريل	١٢
الله وحياة الانسان فى فكره وسلوكه	د. زكى نجيب محمود	ابريل	١٨
الله والعلماء	محمد الحديدى	ابريل	٢٢
الاسلام والحياة المعاصرة	د. محمد كمال جعفر	ابريل	٣٨
الازهر .. مناهجه ومشكلاته العلمية	د. احمد شلبى	ابريل	٤٤
ايثار الاسلام للسلام	د. احمد الحوفى	مايو	١٠
الخيط المقطوع بين التوجيه الدينى والشباب	د. حسين مؤنس	يونيه	٦

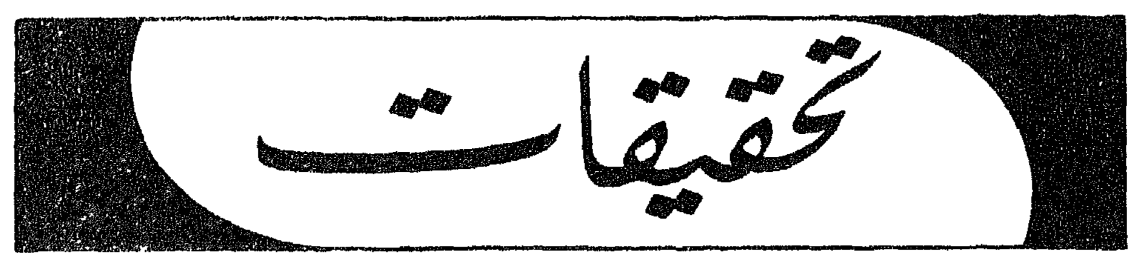

أدب عربى

مرآة الفكر الغربى

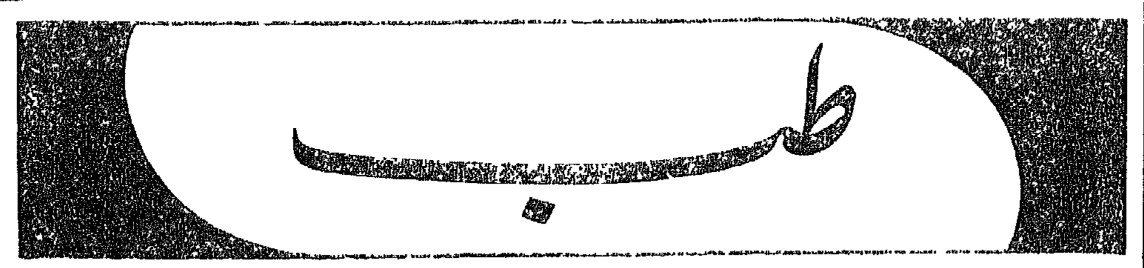


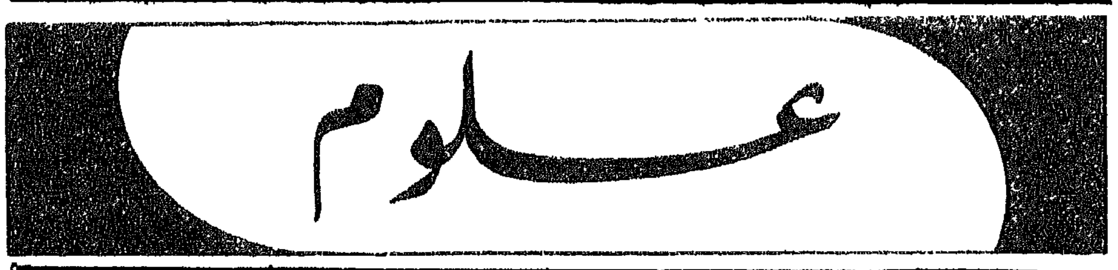


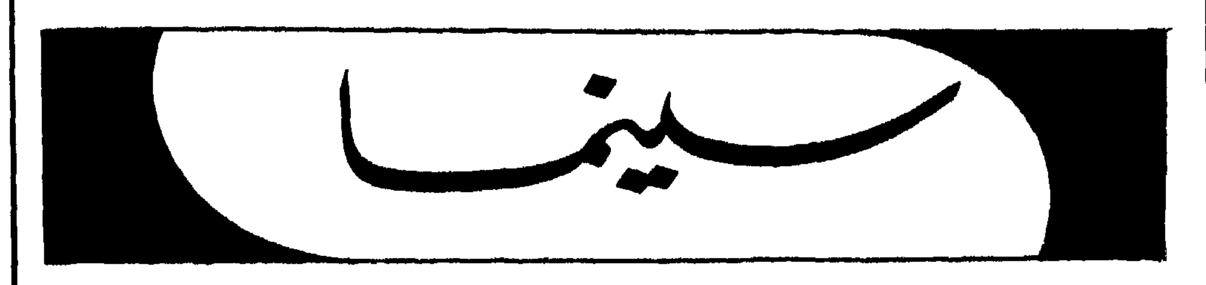
مواقف وشخصيات



تحقيقات


طب

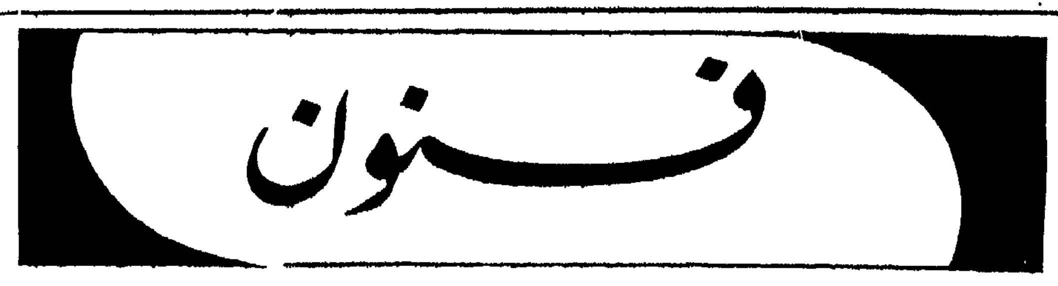

علوم

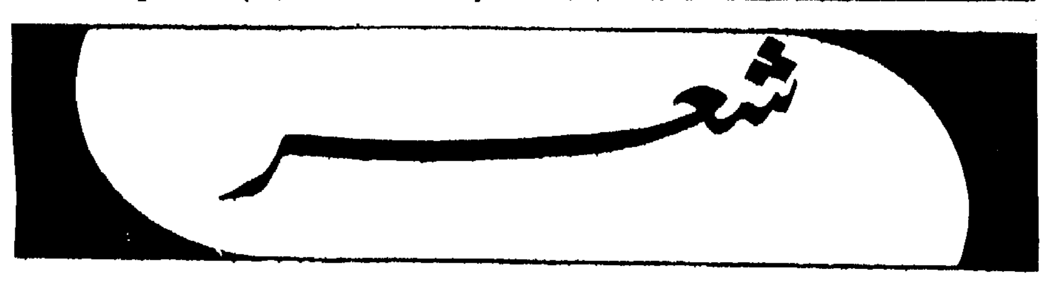


الموضـــوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
اضواء على السينما الافريقية	مارى غضبان	فبراير	١٠٠
النهاية السعيدة والنهاية غير المنطقية	مارى غضبان	مارس	١٢٠
الاعمال الادبية وراء نجاح افلام المهرجان	مارى غضبان	ابريل	٨٠
عالم الطفل والسينما	مارى غضبان	مايو	١٢٦
الخيال العلمى بين الكتاب وشاشة السينما	مارى غضبان	يونيه	٨٦
رسالة مهرجان كان السينمائى	مارى غضبان	يوليه	١٣٨
الادب العالمى المصدر الاهم فى سينما المضمون	مارى غضبان	اغسطس	١١٦
الفكر السياسى فى السينما	مارى غضبان	سبتمبر	٩٦
دراسة فى ظاهرة نجم	مارى غضبان	اكتوبر	١٢٢
الابعاد الثقافية والاجتماعية لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى	مارى غضبان	نوفمبر	١١٦
جونتر جراس .. ظاهرة فى الادب الالمانى الحديث	مارى غضبان	ديسمبر	١٣٠



الموضـــوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
الموشى او الظرف والظرفاء	د. انس داود	فبراير	١٥٤
من فكر القدماء		مايو	٦١
مجالس العلماء	تقديم : د. انس داود	مايو	١٢٠
جوانب شخصية محمد ، صلى الله عليه وسلم	للامام الراحل : محمود شلتوت	اغسطس	٢٥
وقفة عند غار حراء	عبدالوهاب عزام	اغسطس	٣٢
محمد وعلماء الافرنج	محمد رشيد رضا	اغسطس	٤٩


فنون


شعر

الموضوع :	الكاتب	الشهر	الصفحة
عودة الوجه الغائب	حسين علي محمد	ابريل	١٣٦
لا تخجل	سعد عبد الرحمن	ابريل	١٣٧
سابقى اغنى	محمد عثمان صالح	ابريل	١٤١
مرافىء الاحداب	فوزى عطوى	مايو	٢٧
الربيع والحب	مصطفى عبدالرحمن	مايو	٦٤
العودة الى بلاد الشمس	سالم حقى	مايو	١١٥
انت غـال	كريمة زكى مبارك	مايو	١٢٥
الذى لا يذوب	فولاذ عبد الله الانور	مايو	١٤٠
احتج على عينيك	مصطفى رجب	مايو	١٤١
رفة العبير	محمد محمود غديه	مايو	١٤٥
نجم بعيد	مصطفى عبدالرءوف	مايو	١٤٥
فى مجلس الاحباب	مصطفى عوض الله بشارة	يونيه	١٥
ابو العباس المرسى	عبدالعليم القبانى	يونيه	٢٧
لهفة الحياة	ابراهيم عيسى	يونيه	٦٦
اعتراف	ابراهيم صبرى	يونيه	٨٢
سجن القلماء	احمد السمرة	يونيه	٨٩
الحقيقـــة	محمد برهام	يونيه	١٢٨
تفتح ورد الحياة	محمد على عبدالعال	يونيه	١٢٩
معزوفة للشاعر	ابراهيم صالح	يونيه	١٣٦
مقاطع من اغنية لم تكتمل	درويش الاسيوطى	يونيه	١٤٠
كهف الذكريات	د. سعد ظلام	يوليه	٧٧
ما تغير	روحية القلينى	يوليه	٩٣
عيناك	محمد حليم غالى	يوليه	١٢١
قالوا	فتحية النميرى	يوليه	١٢٥
البـــاب	محمد حلمى حامد	يوليه	١٤١
ذات الرداء الاسود	عبدالجواد طايل	يوليه	١٤٢
من خلال عينيها	د. عبدالحميد محمود	اغسطس	٣٣
بين يدى سيدى	ابراهيم عيسى	اغسطس	٧١
ليس الا الحب	محمد كمال الدين امام	اغسطس	٧٩
حسـبى	عبد المنعم الانصارى	اغسطس	٩١
القبلة الاولى	سالم حقى	اغسطس	١١٥
متنـــوعات	عمر شاهين	اغسطس	١٢١
روح المتنى	د. مصطفى الجندى	اغسطس	١٢٣
صفاء الحقيقة	مديحة ابو زيد	اغسطس	١٣٢
اغنية لهواها	احمد مرتضى عبده	اغسطس	١٣٤
باقة سوسن	د. انس داود	سبتمبر	٢١
خيانة البنفسج	محمد ابراهيم ابو سنة	سبتمبر	٨٢
ذكريات صغيرة	ابراهيم عيسى	سبتمبر	٩٠
امسياتى	عبدالهادى النجار	سبتمبر	١١٥
روح الكلمات	عبدالشافى داود	سبتمبر	١١٩
اســمك	نشأت المصرى	سبتمبر	١٣١
وجهها والحضور البعيد	محمد طنطاوى	سبتمبر	١٣٤
خلود الهوى	ياسين الفيل	سبتمبر	١٣٥
لا ترحلى	احمد مصطفى عوض	سبتمبر	١٤٢
كيف افلت	نصار عبدالله	اكتوبر	٤١
حنين	مهدى محمد سعيد	اكتوبر	٤٩
سقطت جسور الحب	احمد السمرة	اكتوبر	٧٥
اللحن الاخير	فريد قرنى	اكتوبر	٧٩
نجمة الاصباح	د. كامل سعفان	اكتوبر	٨٩
قصيدتان	مصطفى رجب	اكتوبر	١٣٨
توبة	تاج الدين سلامة نوفل	اكتوبر	١٣٩
رسـائلها	اسماعيل عبدالفتاح	اكتوبر	١٤٤
شفاء القلوب	مصطفى عوض الله بشارة	اكتوبر	١٤٧
حب جديد	د. انس داود	نوفمبر	٣٦
عاد .. وعدت	روحية القلينى	نوفمبر	٥٩
الداحى الثلاثات	محمود العتريس	نوفمبر	٦٧
البيان والحسن	عبدالله الانور فواز	نوفمبر	٧٥
نبض الحياة	فولاذ عبدالله الانور	نوفمبر	١١٥



قصــص

أبواب ومتنوعات

● ناس وصور وحكايات ●

الاعداد : من عدد فبراير الى ديسمبر الصفحات
٨٠ـ٢٢ـ٧١ـ٥٠ـ٥٧ـ٦٢ـ٧٢ـ٧٤ـ٥٦ـ٦٨ـ٥٠ـ على التوالى

● فى مثل هذه الجميلة قالوا ●

الاعداد : يناير ـ مارس ـ ابريل ـ يونيه
الصفحات : ١٣١ـ١١٥ـ١١٥ـ١١٤

● زهرات من رياض العرب ● محسن فهمى

الاعداد من يناير الى ديسمبر ، الصفحات :
١٣٩ ـ ١٥٣ ـ ١٤٠ ـ ١٤٤ ـ ١٤٤ ـ ١٤١ ـ١٤٦ـ١٢٥ـ١٤٣ ـ ١٤٠ ـ ١٣٨ ـ ١٢٥

● روح عن نفسك ● مصطفى الشهابى

الاعداد : ابريل ـ مايو ـ يونيه ـ يوليه ـ اغسطس ـ سبتمبر ـ اكتوبر ـ ديسمبر
الصفحات : ٩٨ـ١٤٦ـ١٢٤ـ١٤٤ـ١٣٠ـ١٤٠ـ١٤٢ـ ١٣٦

● مرآة الفكر العربى ●

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
الحلال والحرام فى الاسلام ـ تاليف : يوسف القرضاوى	اعداد : عادل عبدالصمد	يناير	١٠٤
الكعبة المشرفة ـ روح مصر فى قصص السباعى	اعداد : عادل عبدالصمد	فبراير	١١٢
من قضايا الفكر الاسلامى ـ تاليف : د٠ محمد كمال جعفر	اعداد : عادل عبدالصمد	مارس	١٣٦
شخصية مصر ـ الضرورة الشعرية فى النحو العربى	اعداد : عادل عبدالصمد	مايو	١٣٦
الغزالى والتصوف الاسلامى ـ السرقات الادبية	اعداد : عادل عبدالصمد	يونيه	١٢٠
مع الشعراء ـ تاليف : زكى نجيب محمود	اعداد : عادل عبدالصمد	يوليه	٩٤
الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى ـ تاليف : د٠ عبد الله شحاته	اعداد : عادل عبدالصمد	اغسطس	٩٦
المتنبى ٠٠ دراسة عامة ـ تاليف جورج غريب	اعداد : عادل عبدالصمد	ديسمبر	٩٨

• كتاب الشهر •

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو ـ تاليف : نجاة عبدالعظيم الكوفى	تقديم : د. حسين نصار	فبراير	١٠٨
ابى بن كعب ـ تأليف : د. الشحات زغلول	تقديم : د. حسين نصار	يونيه	٨٤
جوردون وجنايته على مصر والسودان	د. حسين مؤنس	سبتمبر	١٤٤
المجوسى ـ تاليف : جون فاولز	ترجمة : محمد الحديدى	ديسمبر	٨٢

• كاريكاتير •

الاعداد : مارس ـ ابريل ـ مايو ـ يونيه ـ يوليه ـ
سبتمبر ـ اكتوبر ـ نوفمبر ـ ديسمبر
الصفحات : ١٣٠ ـ ١٣٠ ـ ٦٦ ـ ١٣٠ ـ ١٣٠ ـ ١٢٢
١٣٠ ـ ١٢٢ ـ ١٢٢

• مسابقة العدد •

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
احداث وبطولات اسلامية		يناير	٩٠
فكر واكتب		فبراير	١٣١
نتيجة مسابقة الهلال : « لا تصدق كل ما تقرأ »		مارس	٩٥
اقرأ الهلال واكسب جائزة		اكتوبر	١٤٥
اقرأ الهلال واكسب جائزة		نوفمبر	١٣٩
اقرأ الهلال واكسب جائزة		ديسمبر	١٣٩
نتيجة مسابقة عدد اكتوبر ١٩٧٩		ديسمبر	١٤١

• قراءات • مصطفى الشهابى

الاعداد : مايو ـ يونيه ـ سبتمبر
الصفحات : ١٢٣ ـ ٣٩ ـ ١٢٠

• طرائف •

مع الادباء والشعراء والظرفاء
عددى مايو واغسطس صفحتى ٨٤ ، ١٤٧

• متنوعات •

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
الهلال تسبق الصنداى تايمز بربع قرن	مصطفى الشهابى	يناير	٦٣

ترنيمة الختام ...

سبحانك ..

• حسن كامل الصيرفى •

قد سبحْنا بالفكر عندكَ يارب
فتاهت أرواحُنا فى سمائِك
وشدونا ما قد شدَوْنا ، ولكن
ضاعَ هذا جميعه فى فضائِك
وعرفْنا من الخيالِ معانيـ
ـهِ ، وغابت معانى جلالك
وسمعناكَ فى الضمائر تُوحى
ما يهز القلوبَ من إيحائِك
فجهلناهُ ، واستمعْنا إلى ما
يملأ الجوَّ من صفيرِ هوائك
ورأيناكَ فى الظلام مضيئا
فمشيْنا به حيارى ضيائِك
ورأيناكَ فى الجمالِ ، ولكن
لم تقدَّرْ لنا حياةُ الملائكْ
أنت قدَّرت أن نعيشَ حيارى
والحيارى على الرِّضا بقضائِك
أنفْس تهمس الرَّغائب فيها
همسات الكفاح والجسْم شائك
فى صراعِ الجسوم تنتقل الـ
أرواحُ ترجو الهدوءَ عندَ جوائِك
ليتَ هذى الجسوم كانت صفاء
مستمِدا جلاله من صفائِك
لنعِمْنا مع الخلودَ بسرٍّ
دنيَوى وصلته بسمائِك ..



العلامة المؤرخ: أبو حنيفة الدينوري

أنظر داخل العدد مقال:

فضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية

فبراير ١٩٨٠

الهلال

جائزة

مجلة الفكر العربي

الفن امرأة جميلة

السبعونات.. عقد المتناقضات

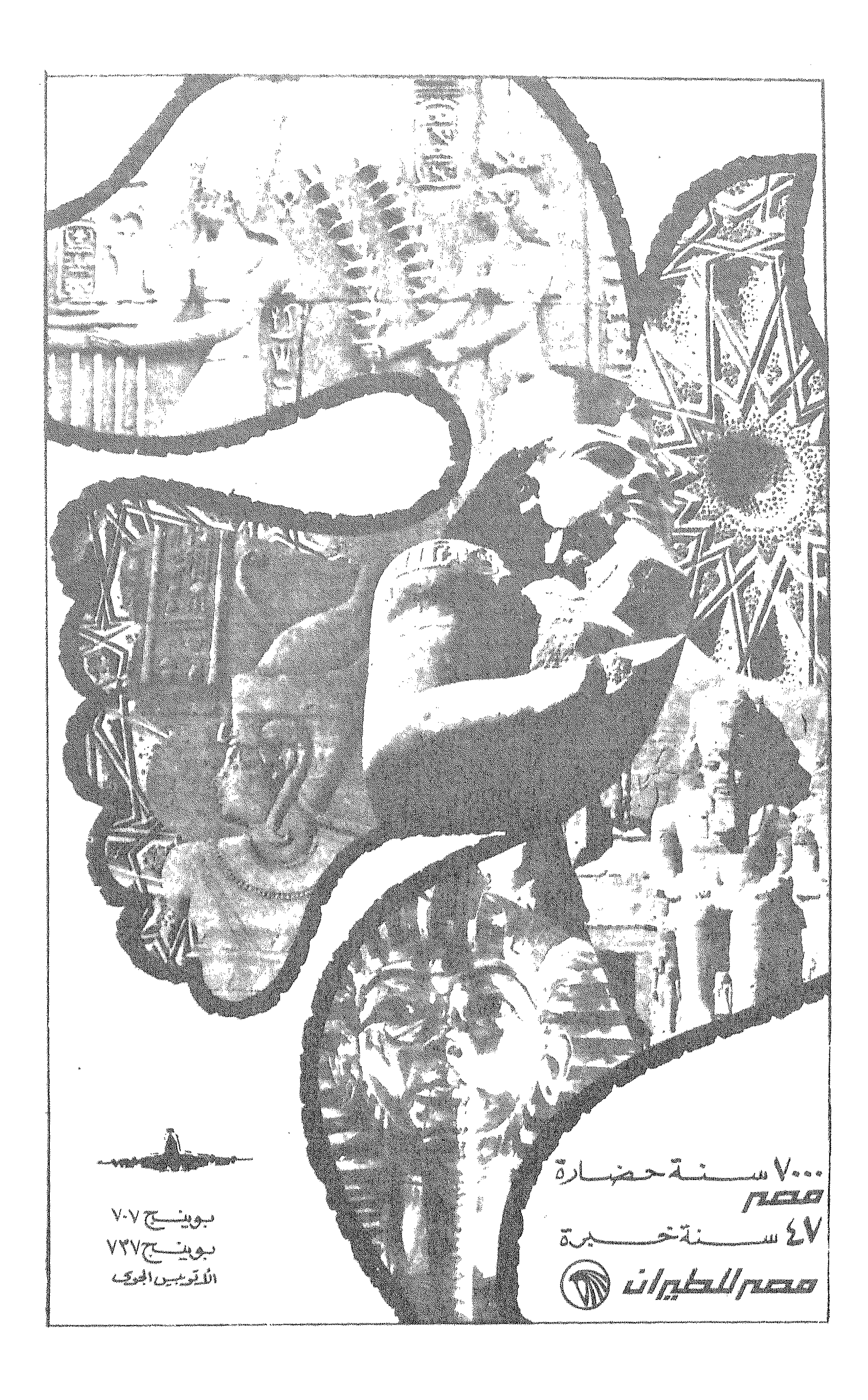
قراءة فى فكر توفيق الحكيم

الرائدة: هدى شعراوى.. شاعرة

اللوفر

متحف الفن والجمال الخالد

(استطلاع بالألوان)



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٧ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

البند الأول

البند الاول فى ميزانية الدولة وميزانيات الوزارات والهيئات الحكومية هو بند المرتبات والاجور ..

وقد ألقينا نظرة على مشروع الميزانية فروعنا ان البند الاول فى الميزانية العامة وفى الميزانيات الفرعية وميزانيات المشروعات يمثل ما بين ٦٠ الى ٧٥ فى المائة من الميزانية .. ومعنى ذلك اننا نأكل ثلاثة أرباع دخلنا كله ، والربع فقط هو الذى يذهب الى الانتاج نفسه .

حقيقة مروعة معناها اننا - فى كل بلد عربى - نأكل لحمنا الحى .
وتهمنا هنا ميزانية الثقافة لأننا نعمل فى ميدانها .. ان الميزانية - أو الموازنة - ترصد ٤٤ مليونا للثقافة والاعلام . الثقافة تأخذ الربع والاعلام الثلاثة أرباع الباقية .

وهذا الربع الخاص بالثقافة يبلغ حوالى ١٠ ملايين ، منها سبعة ملايين ونصف للمرتبات والأجور و ٢ر٥ مليون للعمل الثقافى نفسه أى اننا ننفق ٥ر٧ الى ثمانية ملايين لنحصل على انتاج ثقافى قدره مليونان ونصف ، فاذا فرضنا مثلا أن مسرحية تتكلف ١٠٠٠ جنيه فان ٧٥٠ جنيها يأخذها العاملون فى المسرحية ولا يبقى للانفاق على اعداد المسرحية وملابسها ومناظرها وأضوائها الا ٢٥٠ جنيها لا تكفى لاعداد مشهد واحد

هنا نضع يدنا على حقيقة رهيبة : اننا نأكل الثقافة كما نأكل التعليم والصحة وكل أموال الخدمات ، بدلا من أن ننفق المال فى تثقيف الناس نطعم « الافراد » أو العاملين ونظل بدون ثقافة تقريبا ، ونحن بلد سكانه اربعون مليونا يخص كلا منهم للثقافة أقل من اثنين من عشرة من الجنيه .

حقيقة رهيبة نعيشها نحن العاملين فى خدمة الثقافة ونسأل أنفسنا دائما : ولم هذا الشقاء اذا كان نصيب المواطن من الثقافة عشرين قرشا

ماأصدق محمود بيرم التونسى عندما قال يسخر من المجلس البلدى فى الاسكندرية والضرائب التى كان يجبيها من الناس :

يا بائع الفجل بالمليم واحدة
كم للعيال ، وكم للمجلس البلدى

المحرر

فى هلال هذا الشهر



ربيع الأول ١٤٠٠هـ
فبراير ١٩٨٠م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة الثامنة والثمانون ـ اول فبراير ١٩٨٠ ـ ١٤ من ربيع الاول ١٤٠٠

من «الهلال»

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج إليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، ويبذل أقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير «الهلال» غير مسئول عن رد ما يرد إليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر ..

الاشراف الفني على هذا العدد

أحمد الورديجي

● صورة الغلاف الأول ●

للشتاء في الدنيا جماله الذي يتجلى في الغابات السامقة في اجلى صوره ، وهذه الصورة التي زينا بها غلاف هذا العدد تصور هذه الناحية من جمال الشتاء في بلاد الغابات !

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات او ٤ ج . ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج . ك . تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .

الادارة : دار الهلال ــ ١٦ شارع محمد عز العرب ــ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

السبعونات

عقد من تاريخ العرب حافل بالتطورات والتجارب والنصر الكبير

بقلم رئيس التحرير

عقد من تاريخ العرب حافل بالتطورات والتجارب والنصر الكبير والفرقة حول سياسة ما بعد النصر ، ولكنه رغم كل ما فيه عقد تقدم ونهوض ويقظة وسير الى الأمام ..

فى مطالع الثمانينات من هذا القرن ، يحلو للمفكر أن يجلس فى صمت يسترجع السبعينات التى ودعناها منذ قليل ليعمل حسابها ، حساب السنين اقصد ، ويسأل عما صنعناه بها وما صنعته بنا ، وهذا الحساب لا مفر منه اذا اردنا ان تكون حياتنا ذات معنى او شئنا ان نعرف ان كنا نسير مع السنين او نتخلف وراء ركب السنين ..

بدأت السبعونات فى ظل الالم والهزيمة ، فعندما اهلت سنة سبعين كنا لا نزال فى تلك الغيبوبة التى أصابتنا عقب هزيمة يوليو ١٩٦٧ . هذه الهزيمة كما تصور لنا ما زالت سرا مخيفا ، لا يتصور انسان أن شعبا كالشعب العربى ، يجر وراءه تجارب حافلة الدروس والعبر يمكن أن يدخل حربا مع ألد أعدائه بالصورة المهينة التى دخلنا بها تلك الحرب .

لكنا نعرف أن اسرائيل كانت تستعد وكنا نعرف ايضا أن ذلك العدو يحسن الاستعداد للحرب ، بل انه لا يحسن الا ذلك العمل لان الذين انشأوا ذلك البلد فكروا دائما على أن يبنوا كيانهم على العنف كما كان الرجل الابيض يفرض سلطانه على السود الذين يستوردهم من افريقية ليخدموه على العنف البالغ والارهاب . وما حدث فى النصف الثانى من مايو ١٩٤٨ يشبه بالضبط ما كان يفعله البيض مع السود الذين كانوا يخدمونه فى امريكا : ارهاب وعنف بالغ وتخويف . ضربات مثل دير ياسين أصابت الناس فى فلسطين بهلع لا يوصف ، فخرجوا من ديارهم ألوفا ، وهاموا على وجوههم تاركين البيت

• في تاريخنا المعاصر كانت الستينات سنوات آلام وهزيمة ويأس ومحاولة لإعادة البناء ، ثم أعقبتها السبعينات : بدأت بالحيرة ، ثم كان النصر العظيم وما أعقبه من انتفاع بالنصر ثم عاد أمر العرب فتفرق من جديد .. !

والمال والوطن أيضا ..

وهذا ما قصد اليه الارهابيون الاسرائيليون .. وكل الاسرائيليين فيما يتصل بعلاقاتهم بالعرب - ارهابيون .

وفيما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ رأينا من ارهاب اليهود ما كان كفيلا بأن يفتح العيون حتى تخرج من المحاجر ..

ولكن عيون العرب لا تخرج قط من محاجرها .. لا شيء في الدنيا يدهشهم أو يشغل اذهانهم أو يوقظهم من السبات العميق ..

ودون استعداد تقريبا ذهبنا لنهزم اسرائيل .

وقبل أن ندخل الحرب كنا قد فقدناها .

وقبل أن نسترد انفاسنا كنا قد فقدنا الضفة الغربية والقدس والجولان وسيناء وفقدنا معها جيوشا كاملة .

وفقدنا اكثر من ذلك : فقدنا حلم النصر الجميل ، وكانت امتنا منذ قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ قد كسرت القيود وتخطت السدود واستكمل معظم بلادها استقلاله ، وبدأنا نستعد لاسترجاع الجزء الذى كان باقيا اذ ذاك فى يد الاستعمار وهو فلسطين .

بعد قرون طويلة قضيناها خارج التاريخ اردنا ان نعود اليه فى موكب نصر حافل جدير بماضينا ..

وكان يقود هذا الموكب بطل من **ابطال تاريخ العرب هو جمال عبد الناصر .**

وجمال عبد الناصر عندما قاد ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت عيناه مثبتتين فى قيادة أمة العرب . وأمة العرب كانت يومها تبحث عن قائد . ومن غرائب تاريخ العرب اننا لا نحب النظام ولا القيود ولا نستريح لطاعة القانون ، ولكننا مع ذلك لا نحسن السير الا تحت لواء قائد بطل ، حتى لو كان هذا القائد مملوكا يسمى بليبرس البندقدارى ، فاننا سرعان ما نصنع منه بطلا ونسميه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، تحت رايته نسير وننتصر ، فاذا ادركنا النصر أخذنا نتمرد عليه ..

وجمال عبد الناصر الذى قاد العالم الثالث كله فى صراع حاسم مع الاستعمار أصبح بطل المستضعفين فى الارض جميعا الى ذلك الحين ، ومنهم العرب .

وتاميم قناة السويس كان نهاية عصر وبداية عصر للدنيا كلها الا لأمة العرب ففى غداة ذلك التأميم رفعت أمة العرب رجلها جمال عبد الناصر الى مصاف الأبطال .

وبلغت الفرحة بشعب عربى هو شعب سوريا أن أقبل من بعيد وبايع جمال عبد الناصر برياسة بلده ..

وكما وحد الملك مينا مصر العليا ومصر السفلى فى تاجه المزدوج ، كذلك وحد جمال عبد الناصر مصر وسوريا ، وحسبنا بعدها ان سلطنة مصر والشام

السبعونات

عقد من تاريخ العرب حافل بالتطورات والتجارب والنصر الكبير

- وكانت العمود الفقرى لأمة العرب خلال العصور الوسطى - قد عادت من جديد لتكسب لنا انتصارات تهز الدنيا مثل حطين وحمص وعين جالوت ..

ولكننا كما قلت لك لا نكاد نتابع حتى نأسف على اننا بايعنا ونبدأ حكايتنا الخالدة مع التمرد ..

وسوريا التى كانت تقوم على قدميها لفرحتها ولا تنام قط اذا وطئت أرضها قدم عملاق بنى مر مركز بنى مسزار بالمنيا - كانت أول من تمرد عليه ..

والناس الذين رأيتهم بعينى رأسى فى صيف سنة ١٩٥٨ ينامون فى العراء على جانبى طريق جمال عبد الناصر من حلب الى القاهرة لكى تكتحل عيونهم بمرآه .. هذا البلد هو الذى انقلب عليه وخلع طاعته فى فجريوم من أيام سبتمبر ١٩٦١،ومن ذلك اليوم بدأت مأساةهزيمة ١٩٦٧ ، لأن الانقلاب السورى أحدث فى نفس البطل العربى دويا هائلا فاتجه الى فرض سلطان قاهر على الجزء الذى بقى له من امبراطوريته ولكى يفرض هذا السلطان القاهر اثقل على المواطن المصرى ، والمفكر المصرى بصفة خاصة ، وملأ بالفزع قلوب الفئة التى كان يرجى منها أن تقود المسيرة معه ، فئة المفكرين أقصد ، فخفتت الاصوات وانكسرت القلوب وخيم على النفوس ظلام .

وفى الظلام لم يعد أحد يرى شيئا فى وضوح .

وفى هذا الظلام انتقل السلطان داخل مصر من يد القائد نفسه الى ايدى فئة من الشياطين

وهؤلاء الشياطين هم الذين ساقونا - وساقوا أمة العرب كلها الى هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

***

وفى ظلال تلك الهزيمة التى أصبحت عقدة نفسية دخلنا عقد السبعينات . ولم نكد نخطو خطوة فى ذلك العقد حتى اختطفت المنية بطل هذه الأمة فى الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠ .

لقد قام بمهمته فى التاريخ ،ايقظ أمة العرب ورفع لواء الوحدة العربية وهزها فى عنف حتى تساقطت كل أوراقها كما تسقط أوراق الشجر فى الخريف ، وترك الشجرة العارية ومضى لحال سبيله .

واخذت رياح الشتاء الهوج تعصف بشجرة العرب حتى ظن بعض الناس أن ماء الحياة فى كيانها قد جف .

***

ولكن ماء الحياة لا يجف فى شجرة العرب أبدا ..

ففى صمت بالغ وهدوء نفس يهز المشاعر بدأ زعماء جدد من العرب يتقدمهم محمد أنور السادات وفيصل ابن عبد العزيز ، عصرا جديدا فى تاريخ العرب ،عصرا من التعاون الوثيق والعمل المرسوم باحكام لبناء النصر ، لأن النصر يبنى خطوة خطوة كما يبنى كل شىء عظيم ، وكان الرئيس السادات قد استوعب فى نفسه خلاصة التجارب الاليمة الماضية كلها ، وادرك ان ما يحتاجه العرب قبل كل شىء هو قاعدة صلبة يبنون عليها النصر ، قاعدة مبنية على الواقع كما هو ، لا تعرف الايهام ولا مكان فيها للاوهام ، لأن ايهام الناس بأن هناك قوة كافية لكسب النصر ينفع اسرائيل ولا ينفع العرب ، لأن اسرائيل تكون لديها فى هذه الحالة القوة الحقيقية اما العرب فلا يكون لديهم الا وهم القوة، وهذا الفرق الشاسع بين القوة ووهم القوة كان السبب الأكبر فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ . يتجلى لنا ذلك واضحا عند ما نقرأ فى كتاب « البحث عن الذات » للرئيس السادات كيف علم بكارثة يونيو ١٩٦٧ :

«فى صباح الاثنين٥ من يونيو عرفت من الراديوأن اسرائيل قد بدأت الهجوم، فقلت فى نفسى : حسنا ، سوف يلقنوا

• الثمانينات بدأت بداية سيئة بل مخيفة : بدأت وايران في براثن الفوضى والخلاف بين العرب على أشده حتى ضاعت الرؤية عند الكثير من العرب ثم جاءت كارثة اغتيال الروس لأفغانستان!

درسا لن ينسوه مدى الحيـــاة ــ كنت مطمئنا تمام الاطمئنان ، فحلقت ذقني ، وارتديت ملابسى على مهـل ، وتوجهت بسيارتى الى القيادة » ••

ثم تجلى بعد ذلك كيف تبــدت لـه الحقيقة الأليمة ، وفى النهاية يقـول : « سألت بعض الموجــودين ، قد ضرب الطيران بأكمله وهو على الارض ، وبعد قليل رأيت جمال عبد الناصر يخرج من الصالون ، ثم بدأ عامر يلقى باللوم كله على الأمريكان قائلا : ان سلاح الطيران الامـريكى هو الذى ضربنا ، وليســت اسرائيل ، ورد عبد الناصر « انا لست مستعدا لتصديق هذا الكلام، ولا لاصدار بيان رسمى بأن امريكا هى التى اعتدت علينا الا اذا اتيتنى بجناح طائرة واحدة عليها العلامة الامريكية » ــ (ص ٢٢٧)

نرى كيف ان ايهام عبـد الحكيم عامـر لكل من حوله بأن قواته العسكرية كانت على أتم الاهبة لمواجهة كل طارىء ، أدى فى النهـــاية الى الهزيمة ، ثم أدى بعـد ذلك الى موته نفسه •

هذه المرة ، وخلال سنوات ١٩٧١ و ١٩٧٢ بنى الرئيس الســـادات قـوة عسكرية حقيقية ، واشرف على اعدادها وتدريبها بنفسه ، ولهــذا كان واثقـا بالنصر ، فهو يعتمد على قوة لا على وهم بالقوة •

وعرف السادات ان النصر لا يتم الا بتضامن عربي سليم، واضمن الوسائل الى ذلك هو بناء محور مصر ــ السعودية وجعله اساسا يقوم عليه ذلك التضامن ، وكان محقا فى ذلك التفكير ، فهناك فى الرياض كان يحكم رجـل ذكى مؤمن واقعى هو الملك فيصل الذى أدرك تماما أن مصر السادات هى الحليفة المرجـوة للنصر ، وقد تم التفاهم بين الرجلين على احسن ما يكون التفاهم والتعـاون بين العرب •

وكانت الخطوة التالية لضمان النصر هى التحرر من تدخـل الروس لان أى دولة لا تملك ان تكسب حربا الا اذا كانت لها الحرية فى اتخاذ القرار النهـائى ، لانها تعرف ماذا تريد وتنفذه متى وكيف تريد ، والروس كانوا اصدقاء وحلفاء فى الظاهر ولكنهم فى الحقيقة لا يريدون للعرب ان ينتصروا قط ، ويريدون أن يظل العرب دائما تحت سلطانهم ، لأن الروس عرفوا فى التــاريخ بانهم لا

السبعونات عقد من تاريخ العرب حافل بالتطورات والتجارب والنصر الكبير

يخدمون الا انفسهم ، وهم احرار طبعا فى اتخاذ السياسة التى يريدونها ،ونحن أيضا ينبغى أن تكون لنا هذه الحرية . ولهذا فقد اتخذ الرئيس السادات قراره بابعاد الخبراء الروس ، وكانوا الوفا وقد وزعهم الروس على النحو الذى يمكن لهم من التدخل فى أى قرار يمكن أن نتخذه ، ولهذا فقد كان ابعادهم من مصر خطوة لابد منها على طريق النصر .

وكان النصر بالفعل لأن محور مصر السعودية كان كفيلا بتوثيق التعاون بين مصر وسوريا وهما القوتان الضاربتان اللتان حملتا عبء حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وعندما بدت طلائع النصر تسارعت الدول العربية الى التأييد ، ووضعت دول البترول امكانياتها فى خدمة المعركة واستخدمت بترولها سلاحا فعالا فى المعركة ، فخرجت أمة العرب كلها منتصرة على اسرائيل لأول مرة منذ ثلاثين عاما ، وقد كان النصر مهينا لاسرائيل ، لأن قواتها تلاشت خلال الايام الاربعة الاولى من المعركة واستغاثت بأمريكا استغاثة المشرف على الهلاك ، فسارعت الولايات المتحدة الى تأييدها ، ووجد المحارب المصرى نفسه أمام الولايات المتحدة ، ولم يكن هناك أى معنى لاستمرار الحرب مع امريكا ، فاننا لن نهزمها أبدا ثم انها ليست هى الخصم الرئيسى ، ولهذا **أوقفت الحرب بعد أن أبدى العرب فيها من البطولة وروح التضامن والذكاء ما رفع مكانهم فى الدنيا بأسرها ،وهبطت اسرائيل فى نظر العالم كله ، وعرفت الولايات المتحدة أن اسرائيل فى حقيقة الامر ليست القوة الكبرى فى المنطقة ، وانما القوة الكبرى في العرب اذا اتحدوا وفى مصر والسعودية اذا دام محورهما سليما ، واخيرا فى مصر وحدها .**

***

كان نصر رمضان / اكتوبر نصرا حاسما ولو أن اسرائيل افلتت في النهاية من الهزيمة الكاملة، ولكن العبرة هنا أن العرب حطموا الوهم الذى كان يقول ان اسرائيل لا تقهر ، وان العرب لن يستطيعوا هزيمة اسرائيل قط ، فقد انكشفوا وهانوا بل ذلوا وهم يستنجدون بالولايات المتحدة استنجاد الهالك الذى لا أمل له فى نجاة ، وعالم الغربى يتميز على غيره بأنه يؤمن بالحقائق ولا يعتمد الا عليها ، ويؤمن بالقوة والاتقان والاحكام والكفاءة ، فأما اسرائيل فقد تبين لاهل الغرب وفي مقدمتهم امريكا انها ليست بالقوة التى صورتها لهم ، وانه من الممكن للعرب اذا اتيحت لهم الفرصة أن يعصفوا بها ، وأما العرب فقد تكشفوا للغرب عن قوة هائلة ، فهم عسكريون من طراز ممتاز ، وهم قادرون على وضع الخطط السليمة وتنفيذها ، وحل المعضلات العويصة بوسائل تبتكرها عبقريتهم ، فقد ابتكر المصريون حلولا تدعو للاعجاب للقضاء على الاستحكامات التى لا تصدق التى انشأها الاسرائيليون على ضفة القناة وخلفها ، وليس بالامر اليسير أن يسقط خط بارليف فى اليومين الثانى والثالث من المعركة ، وأن تتدفق الدبابات المصرية على سيناء بالمئات وتدخل فى معركة دبابات هائلة تستنفد فيها معظم دبابات اسرائيل ، ثم ان القيادة المصرية قامت برسم خططها ونفذتها باحكام كان الغربيون يحسبون انهم ينفردون به دون غيرهم من البشر . وكذلك الجندى العربى اثبت بطولة أعادت الى الأذهان بطولات العرب الأول .

وكل هذه عوامل غيرت صورة العرب امام الدنيا ، فهم أصحاب ايمان وقوة وقدرة على صنع النصر ، وهم اغنياء يملكون عنصرا من عناصر القوة المالية والاستراتيجية وهي البترول أو النفط

• لو ظللنا على هذه الحال فإن الأمر لن يقف عند افغانستان ، فإن أزمة إيران تتطور من سيئ إلى أسوأ ، وليس بمستبعد أن تحل بها لعنة الشيوعية وهنا يكون الخليج كله تحت رحمة الأعداء .. !

(١) فهو مصدر الطاقة الاكبر وعماد الصناعات والنقل • والعرب يملكون ثلاثة أرباع المستعمل منه فى الدنيا ونصف المخزون منه تحت باطن الارض ، أى احتياطى القوة لعالم الغرب •

وبعد حرب أكتوبر ازداد احساس العرب بقوتهم النفطية ، وتجلت لهم خسة شركات النفط العالمية اذ كانت تشترى منهم البرميل وهو مئة وثمانون لترا بدولارين وثلاثة ارباع الدولار ، ثم تصفيه وتبيعه وكل ما يستخرج منه بما يقابل الاربعين دولارا ، ومن هنا فقد كدست هذه الشركات أرباحا هائلة وقد استخدمت بعضها في الكشف عن منابع أخرى للبترول ، ونجحت فى ذلك وكانت تريد أن تستمر فى شراء النفط بهذا السعر الزهيد الى ما شاء الله •

ولكن نصر اكتوبر منح العرب القوة على مجابهة شركات البترول ورفع اثمان بترولهم شيئا فشيئا حتى بلغ متوسط سعر البرميل اليوم ستة وعشرين دولارا أو أكثر ، ومعنى ذلك أن دخل الدول العربية من البترول ارتفع حوالى تسع مرات مما جعل هذه الدول قوة مالية واستراتيجية يحسب لها كل حساب فى ميزان السياسة العالمية •

ولكي يستمر العرب على هذا المستوى من القوة ويزيدوا عليه كان ينبغى أن يستمر التضامن وان يستمر ذلك العمل العربى المشترك بنفس القوة التى تجلى بها فى حرب اكتوبر وما بعدها بقليل ، ثم ان نصر اكتوبر كان لابد من الاستفادة منه والا ظلت اسرائيل كما هى جاثمة على صدر العرب محتلة لسيناء والضفة الغربية والقدس والجولان •

ورأى بعض العرب أن حرب اكتوبر لابد أن تستمر ، بمعنى اننا اذا كنا قد عقدنا هذه المرة هدنة مع اسرائيل ، فينبغى أن نكسرها عندما تجتمع لنا عناصر قوة جديدة نخوض بها معركة أخرى ، وهذا كان رأى الذين لم يدخلوا الحرب ولم يكتووا بنيرانها أو يتعرضوا لخسائرها ، وكان ذلك أيضا رأى سوريا التى لم تكسب شيئا يذكر من حرب

(١) ينطقه الكثيرون بكسر النون وهو خطا ، والصحيح بالفتح ، وهو معرب عن اليونانية نافتا ومنه جاء لفظ النافتالين المعروف ، ومازال الروس يستعملون كلمة النافتا بمعنى البترول ، أو الزيت اويل » المستعمل فى الغرب ، ولفظ « اويل يعنى البترول الخام فهو زيتى القوام بما فيه من الفازلين والكيروسين ولكنه اذا صفى ونقى من المواد الاخرى اصبح بترولا فى لغة الغرب الاوروبى و « جاز » فى الولايات المتحدة •

اكتوبر لأن رجالهـــا لم يحكموا خطتهم الاحكام كله ، فكسبوا في اليومين الأولين شيئا من الأرض ، ثم فقدوه بعد ذلك ، فخرجوا من الحرب بشعور المنهـزم في قراره النفس .

وعلى هذا الاساس قسمت الـدول العربية الى دول مواجهة وهي فى الحقيقة مصر وســـوريا ومنظمة التحــرير الفلسطينية ودول مساندة تقدم الدعم المالى لدول المواجهة .

وكان رأى مصر أن هذا الوضع سيعود بنا الى جمود فترة اللاحرب واللاسلم ، وسنستمر فى ذلك الوضع حتى تجتمع القوة اللازمة لخوض معركة أخرى .

وقد وافقت مصر على ذلك أول الامر ، ولكنها كانت ترى أن هذا الوضـــع اذا استمر طويلا ضـــاعت ثمرات حـــرب اكتوبر ، وانه لابد للعرب من التحـرك المستمر حتى تظل للنصر قيمتـه وحتى يمكن الانتقال منه الى نصر آخر .

وكانت مصر قد رأت انهـــا هـزمت اسرائيل فى حرب اكتوبر ، فلما انتهت قوة اسرائيل ظهرت قوة الولايات المتحدة وراءها ، وتحولت الحرب الى حرب مع الولايات المتحدة ومن العسير تصـــور انتصار العرب على الولايات المتحدة الا اذا كان ذلك فى ميدان الوهم والايهام ، وبالفعل ارتدت بعض دول العـــرب الى سياسة الوهم والايهام مرة أخرى : وهم النصر البعيد والايهام بأنه ممكن وفى متناول اليد ، وكانت اكثر الدول امعانا فى ذلك هى الدول التى لم تحارب قط الا وهما ، وكانت حربها وهما وايهاما ، وقـــرأنا فى خطاب القاه رئيس دولـــة عربية يقول فيه نصا « سنظل نطـــارد الاستعمار اينما ذهب ،وكلما برز برأسه فى مكان ضربناه حتى قطعنا جذوره من بلادنا بتاتا » وهذا نموذج ملموس من نماذج الوهم والايهام ، لاننا فى الحقيقة لم نعد نحارب الاســـتعمار فى بلادنا ، لأن الاستعمار بمعناه المعروف انتهى منها

وانمـــا نحن نحـــارب الافتراس ، لان اسرائيل لا تستعمر ما بيدها من الارض بل تفترسه ، وســـياستها فى الضـــفة الغربية وغزة والقدس سياسة افتراس عن طريق انشاء المستوطنات ومصـــادرة اراضى العرب واستقدام اليهود من نواحى الارض ، **واذا نحن تركنا اسرائيل ــ كما هى ــ فى انتظار النصر البعيد فاننا حتى عندما نخوض المعركة التالية لن نجد ما نحرره لأن اسرائيل تكون قد افترست الأرض والناس افتراسا . والاوطان كلها تبدأ فتوحا أو استعمارا ثم تتحـــول الفتـــوح والاســـتعمارات الى أوطان ، فالعـــرب مثلا فتحـــوا بلادا كثيرة ، وباستمرار وجود العرب فيها تحـــولت الأراضى الى أراض عربية ، وكذلك تحول الناس الى عرب .**

لهـــذا لجأت مصر الى طريق آخـــر للوصول الى الغاية الكبرى ، طـــريق السياسة لكى تســـتمر القضية حيـــة متحركة ، وبالسياسة يمكن دفع الفكرة الجديدة عند أهل الغرب عن العرب حتى يثبت فى أذهان الامريكيين أن العرب هم القوة الحقيقية فى المنطقة وانهم أصحاب الارض ، كـــل الارض ، ولا يمكـــن أن تستمر فى الارض سياسة الافتراس .

وهذا هو طريق السلام الذى دعا اليه الرئيس محمد انور الســـادات وبدأه بالمبـــادرة الفريدة فى بابهـــا وزيارته للقدس وخطابه فى الكنيســـت مخيرا الاسرائيليين بين السلام والحرب ، بين الاستقرار والرخاء لكل المنطقة ، والشقاء والمآسى لكل من فيها أيضا ، وهى مبادرة أذهلت الدنيا حتى شـــبهوها بهبوط الانسان على سطح القمر .

وسار الســـادات فى هذا الطريق ، فكسب الولايات المتحدة وأوروبا الغربية الى جانبه ، وفصل الولايات المتحدة عن اسرائيل بعض الشىء ، بل أدخلهـــا شريكا فى صـــنع السلام فى المعركة ، وتخطى ذلك الى كسب تأييد الامريكيين

● تتحسرون على ضياع الأندلس! فهذا هو عالم الإسلام تحول إلى أندلس يتهدده الأعداء وملوك الطوائف سادرون في غيهم .. نخشى أن يكون هذا عصر طوائف جديدة، وهنا تكون النتيجة الأسيفة حتمية وهذه المرة لن نجد من يبكي علينا..!

لوجهة النظر العربية فى ضرورة تحرير كل الارض العربية وانشاء دولة للفلسطينيين .

وقد فوجئت اسرائيل نفسها بهذه السياسة الجديدة ، لأنها تقضي قضاء مبرما على سياسة الافتراس التى كانت ماضية فيها ، ولهذا فقد بدأت تتراجع وتتحيل ، ولكن وجود الولايات المتحدة الى جانب الحق والعدل اللذين يدعو اليهما العرب يرغمها على التسليم شيئا فشيئا، وهى اليوم تبذل أقصى ما تستطيع للافلات من النتيجة المحتومة التى سيؤدى اليها الطريق الذى فتحته مبادرة السادات فى ١٩ و ٢٠ من نوفمبر ١٩٧٨ .

***

ولكن بعض الاخوة العرب يتخوفون من هذا الطريق فيرفضونه رفضا فيه الكثير من الوهم والايهام ، ولكنهم قطعا سيتغير موقفهم عندما يرون أن هذا الطريق يؤدى آخر الامر الى النصر الموعود ، وهناك عوامل شتى وراء هذا الرفض لا يتسع المجال هنا لعرضها ، ولكنه فى النهاية خط سياسى ، والفرقة العربية الراهنة ،هى فرقة أسيفة أطاحت بالكثير من دعائم وحدة العرب ومنها الجامعة العربية ، ولكنها ليست الفرقة البغيضة التى سادت عالم العرب فى الستينات ، انها فرقة اختلاف حول الطريق : طريق الحرب بعد عمر طويل وطريق السياسة والاخذ والرد والتقدم فى بطء وصعوبة بالغة لا تقل عن صعوبة الحرب ومتاعبها ، ولكنه طريق يحرك القضية باستمرار ويجعلها حية فى قلوب الناس وأذهانهم ، وما دامت قضية فلسطين وتحريرها ـ بما فى ذلك القدس ـ متحركة حية وموضع مفاوضات وأخذ ورد فانها تظل حية ولا تموت قط وبحياتها ينحسر خطر الافتراس شيئا فشيئا .

ويكفى ان نذكر ونحن فى مداخل الثمانينات أن السبعينات بدأت واسرائيل منتصرة ومعتزة بقوتها ومحتلة لأراض عربية شاسعة ، وانتهت واسرائيل قد فقدت النصر والاعتزاز بالقوة وفقدت تلك الهالة التى كانت تظلها قبل حرب اكتوبر ، وهى تحاول التشبث بما فى يدها ولكن اظافرها تتكسر وقواها تضعف ، وفى النهاية لابد أن ينتصر الحق وأهله ، وهنا لا يكون هناك مناص لأهل الرفض من التسليم بأن النصر له اكثر من طريق وأن السياسة لابد أن تكون سياسة حركة حتى تؤتى ثمارا ، بدل الجمود وانتظار فرصة قد لا تسنح قط ، عندما يتبينوا ذلك سيعود التضامن العربى ونحن فى الثمانينات باذن الله .

د . حسين مؤنس

فـى محـراب الخلود

● د. محمد عبد المنعم خفاجى ●

تذكره الدنيا . ويهلل له العالم وتهتف باسمه الشعوب ، ويحيطه الخلود بأجنحة الجلال والمجد والنور ، كلما مضت الأيام ، ومرت الأعوام ، وتوالت الأجيال ، لأن « الشريعة التي تلقاها من ربه مملوءة بالحكمة ، وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس » (١)

ان الشعوب والأمم تعرفه ، والانسانية دائما تحنى رأسها اجلالا لاسمه ،الغرب يعجب من سيرته وتاريخه والشرق يرى فيه الانسان النبى الرسول الذي انقذ العالم ، وحرر البشرية من اسار الطغيان والعبودية .

أما المسلمون خاصة فيمجدونه ، ويرون أن الايمان به قرين الايمان بالله جل جلاله ، وأن هذا الايمان ضرورة انسانية لا مفر منها ، لأنه اعلان لسيادة فكر حضارى رفيع ، لابد أن تعيش فى ظلاله الناس جميعا ، وأن يطبقوه فى حياتهم تطبيقا عمليا دقيقا ، لينعموا بالحياة فى جنة العدل والحرية والمساواة

يقول المستشرق المجرى الكبير عبد الكريم جرمانوس « ١٨٨٤ – ٧ من نوفمبر ١٩٧٩ »

« انى وأنا الرجل الأوروبى ،الذى لم يجد فى بيئته الا عبادة الذهب والقوة والسطوة الميكانيكية – تأثرت اعمق التأثر ببساطة دين محمد ، والشريعة المنزلة عليه ، وبعظمة سيطرته على نفوس معتنقيه .

« لقد حافظ الاسلام دائما على مبادئه الداعية الى الحرية والاخاء والمساواة ، ولا يوجد فى تعاليمه كلمة واحدة ، أو عمل واحد ، من شأنه أن يعوق تقدم المسلم ، أو يمنع زيادة حظه من النور والمعرفة والقوة ، بل ليس فى تعاليمه شيء لا يمكن **تحقيقه عمليا ، ان اوروبا لم تعرف الاخاء بين الناس الا بعد الثورة الفرنسية ، بينما دعا الاسلام اليه ، وطبقه المسلمون قبل ذلك بنحو الف عام**

« ولقد كانت فكرة الديمقراطية والمساواة من ابتكار القرن السابع عشر فى أوروبا ، بينما هى حقيقة من حقائق الاسلام وأصوله منذ نشأ ، فقد استمتع البشر فى ظله بكافة الحقوق الانسانية ، فحجر الزاوية فى بناء هذا الدين أن الناس امام الله سواء ، من آمن منهم بهذا الدين ، وارتضى شريعته ، ومن لم يدخل فيه ، وذلك فى عقد اجتماعى مرتكز على حسن التوازن . ومنح محمد ورسالته المرأة حقوقا قانونية أكثر مما لها فى ظلال غيره من الشرائع . وأؤمل، بل اتوقع ، ان يكون الاسلام قادرا مرة اخرى على تحقيق هذه المعجزة » (٢).

وقال «رانكه »المؤرخ الألمانى (٣):«ان وحى القرآن الذى لا يجارى ، يعد بلا مراء أساس العقيدة الانسانية ، والثقافة البشرية »

« لقد قامت على رسالة محمد دولة كانت لا تغرب عنها الشمس ، وقد عبر عن ذلك الخليفة العباسى هارون الرشيد

---

(١) كما جاء فى نبوءة السامافيدا ، وهى من كتب براهمة الهند القديمة – الفقرتان ٦ و ٨ من الجزء الثاني من السامافيدا . ص ١٧ مطلع النور للعقاد ((ط مكتبة دار العروبة)) – نقلا عن كتاب ((محمد فى الاسفار الدينية العالمية » لعبدالحق – وهو بالانجليزية .

(٢) ص ٣٥٩ وما بعدها من كتاب « لماذا اؤمن بالقرآن » لهلال على هلال .

(٣) ص ١١ بين فكرين تاليف جرمانوس – طبع دمشق .

(ـ ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) خير تعبير ،حين رأى من قصره العظيم فى بغداد سحابة فى السماء ، فقال يناجيها : « أمطرى أين شئت فسوف يأتيني خراجك » .

«وقامت على شريعته ثقافة عالمية كانت هى ثقافة العالم كله طيلة ألف عام أو يزيد ، وقامت على مبادئه وعقيدته حضارة أظلت البشرية كلها أجيالا طوالا .

لقد ذعر الشاعر الايطالى بترارك (١٣٣٤ ـ ١٣٧٤ م)»لسيادة الحضارة العربية فى عصره ، وعجز العقل الأوروبى عن مجاراتها ، فلم يملك الا ان يناجي نفسه قائلا لها : « يا عجبا ، لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب غالبا ، وسبقناها أحيانا ، الا العرب ، فهل قدر علينا ألا نعمل شيئا بعد العرب ؟ ، فيا لعبقرية ايطاليا الخامدة ! » .

واستمر هذا الذهول بأفضلية العقل العربى والحضارة العربية ، طويلا ، حتى قال غوستاف لوبون فى كتابه المشهور « حضارة العرب » : « الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوروبا ارهابا عدة قرون ، وعندما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم ، كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية السامقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالأمس » .

وقال فى موضع آخر من كتابه :« ان أوروبا مدينة للعرب بحضارتهم ،فالعرب كانوا هم ممدنين للغرب ، وأئمة له ، فى ستة قرون ، وعن طريقهم اهتدى الغرب الى تراث الاغريق ، وكشف ماضيه فأخذ ينقب عنه »

ويشهد برنارد شو بحيوية دين محمد العجيبة ، ويقول : « انه الدين الوحيد ، الذى له طاقة هائلة ، لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة ، وهو صالح لكل العصور ، وان محمدا يجب ان يسمى منقذ الانسانية ، واعتقد انه لو اتيح لرجل مثله ان يحكم العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حل جميع مشكلاته ، باسلوب يؤدى الى السلام والسعادة ، اللذين يفتقر العالم اليهما كثيرا » .

ويقول جوته شاعر الالمان (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) فى كتابه « الديوان الشرقى للشاعر الغربى » : « ان الكتاب المقدس الذى جاء به محمد سيبقى ـ ولا ريب ـ منيرا للفكر الانسانى الى الأبد » .

ولقد كان انبعاث الاسلام على تلك الصورة الهائلة التى انطلق بها ، عملا معجزا حطم كل الاقيسة التاريخية ، كما يرى المؤرخ الانجليزى الكبير « توينبى » فوقف العالم حياله ، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، مبهورا مذهولا ، لا يدرى كيف حدث ، ولا كيف كان ، فلقد أصبحت الدولة الاسلامية ـ بعد فتح العراق وفارس والشام ومصر وغيرها ـ وارثة للامبراطورية الساسانية ، مثلما ورثت ملك الدولة الرومانية ، ثم تحولت بعد قليل الى امبراطورية عالمية كبرى ، فاقت جميع الامبراطوريات العالمية القديمة: البارثية ، السلوقية، الاخيمينية، البابلية الجديدة ، الاكادية ،الفارسية، الرومانية . وبنقل المسلمين للارقام الهندية عام ١٥٤هـ / ٧٧٣ م فى عهد المنصور العباسى ، وعلى يدى ابراهيم الفزارى ، ثم بترجمتهم للثقافات الفارسية واليونانية والهندية فى عهد المنصور والمهدى والرشيد والمأمون أسدوا للحياة الانسانية ، وللحضارة البشرية ، أجل ما أسدته اليهما أمة من الأمم . وكان المسلمون هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمى الحق القائم على التجربة (٤) ، وكانت واقعيتهم العملية الشديدة تدفعهم دفعا ثابتا الى القيام بتجارب واختبارات شخصية عديدة ، فكانوا يرون اجراء مئات التجارب والتحقيقات،للهدف العلمى الذى يعملون له ، دون ان يسعوا الى مكسب مادى .

(٥) ولم يأخذ العرب المسلمون العلوم التى دونوها عن طريق الاقتباس وكذلك لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم الغريبة من الامم القديمة ، دون مناقشة أو تحقيق ، فلقد أدهشوا العالم بالحريه الموضوعية ، والشجاعة العلمية ، اللتين استقبلوا بهما نتائج السالفين واقوالهم، ليشبعوها بحثا ونقدا وتحقيقا ، وعملا دائبا فى الحقل الجديد . رفضوا كل الاراء المنقوله عن السالفين باسم العلم ،

---

(٤) شمس العرب تسطع على الغرب ، للمستشرقة الالمانيه هونكة .

(٥) ١٤٣ ، و ١٤٤ المرجع السابق .

ما لم تثبت لهم انفسهم صحتها ، عن طريق التجارب العلميه الصحيحة (٦) ، وقد صاح بترارك الشاعر الايطالى فى القرن الرابع عشر الميلادى متألما قائلا : ((هل قدر علينا الا نؤلف بعد العرب))؟

وصاح بطريرك قرطبة فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى يقول : « وا اسفاه!ان كل الشبان الذين يريدون اظهار نفوسهم تجدهم لا يعرفون الا لغة العرب وآدابهم ، حتى لقد كان قهر الاسبان العسكرى للعرب غير منتقص من اعجابهم الفكرى بهم قيد شعرة » .

وفى عصر المأمون العباسى قام سبعون عالما جغرافيا من العرب برسم خريطة الأرض .

- ٢ -

اننا لنتذكر ذلك كله ، فى هذا اليوم العظيم ، يوم ميلاد محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. نذكر ذلك بعد ١٤٥٣ عاما هجريا من هذا الميلاد الخالد وبعد ١٤٠٩ اعوام ميلادية من مولد هذا الطفل اليتيم ،فى مكة المكرمة ، فى أرض الحجاز الهادئة،فى جزيرة العرب الكبيرة ذات التاريخ الطويل .. نذكره ، ونحن على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى والعالم كله يعى معنى هذا الحدث العظيم فى تاريخ العالم ومستقبل الانسانية ..

ومن قبل قال لامرتين الشاعر والمفكر الفرنسى الكبير : « ان حياة مثل حياة محمد ، وقوة كقوة تأمله وتفكيره ، وجهاده ووثبته على خرافات أمته ، وجاهلية شعبه ، وبأسه فى لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان ، وايمانه بالظفر ، واعلاء كلمة الله ، ورباطة جاشه ، لتثبيت اركان العقيدة الاسلامية ، ان **كل ذلك ادلة على انه لم يكن يضمر خداعا ، او يعيش على باطل ، فهو خطيب ومشرع ورسول ، وهاد للانسان الى العقل ، وناشر للعقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب ، ومؤسس دين لا فرية فيه ، ولا حور ، ولا رقيات ، ومنشىء عشرين دولة فى الأرض »**

ولقد كان هذا الميلاد أملا للبشرية جمعاء ، وانقاذا للانسان من عصر الجاهلية والوثنية والعبودية والظلام والفوضى والهمجية ، وكان نورا يضىء فى الأفق ، ليبشر العالم ببروغ فجر النور والحضارة والتوحيد والحرية والمساواة والاخاء والعدالة ، كان بشيرا بعصر جديد من المعرفة والرخاء والسعادة والسلام لبنى البشر جميعا .

ولقد ولد صلوات الله عليه وسلامه فى مكة، من بيت فى الذؤابة من قريش ، ومن العرب أجمعين ، أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب . وامه سيدة بنى زهرة، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وهو نسب شريف عريق عظيم، لم يجتمع لاحد من قبل ولا من بعد. وحدث عن أبويه ، وعن أجداده ، ولا حرج ، أصالة وعراقة ومجدا وتاريخا مشرقا ، وصفحات مشرقة بالجلال والفخار والعزة والمنعة وكريم الخلال .

ومات عبد الله وآمنة حامل بمحمد رسول الله ، **وذلك قبل الميلاد النبوى بسبعة شهور ، وكان هذا الميلاد النبوى الكريم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام الفيل ٥٧٠ للميلاد ، بعد حادث الفيل بخمسين يوما، وكان هذا الميلاد صدى لآمال كبيرة لكثير من الناس والجماعات والشعوب .**

ويروى التاريخ - كما يذكر ذلك الكلبى - أن ابناء عبد المطلب ، ومنهم عبد الله ، « كانوا اذا طافوا بالبيت ياخذون البصر »، وكانت آمنة امرسول الله افضل امراة من قريش نسبا وموضعا .

وكما مات عبد الله أبو رسول الله ولم يره ابنه اذ كانت وفاته قبل ميلاد محمد بسبعة اشهر - ويروى الطبرى أن عبد الله أقبل من الشام فى قافلة تجارية لقريش ، فنزل بالمدينة ، وهو مريض ، فأقام بها أياما ، وتوفى ودفن بها - .. كذلك ماتت أمه وهو فى السادسة

---

(٦) ٢٨٥ ، المرجع نفسه .

من عمره. وعاش رسول الله في كفالة جده عبد المطلب ورعايته ، وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، لا يجلس عليه غيره ، حتى لقد كان بنوه اذا أرادوا الجلوس جلسوا حول الفراش ، لايجلس عليه أحد منهم اجلالا له ، الا رسول الله فقد كان ياتى وهو غلام صغير ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم : «دعوا ابنى ، فوالله ان له لشأنا» ثم يجلسه معه عليه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

ولما بلغ رسول الله ثمانى سنين توفى جده عبد المطلب ، وذلك عام ٥٧٨ للميلاد فكفل محمدا عمه أبو طالب ، وكان عبد المطلب في حياته يوصى به أبا طالب ، لأن أبا طالب وعبد الله والد الرسول أخوان لأب وأم ، وأمهما فاطمة المخزومية

وكان محمد يقول : أنا أعربكم ، أنا قرشي ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر (٧) .

— ٣ —

هذا الميلاد النبوى العظيم ، كان مقدمة لحياة حافلة كبيرة ، فلم تلبث الأحداث أن توالت مسرعة مبشرة :

● حرب الفجار التى نشبت والرسول فى سن العشرين «٨» وقيل بل كان فى الرابعة عشرة أو فى الخامسة عشرة من عمره .

● يوم ذى قار الذى انتصر فيه العرب على الفرس ، وقال فيه الرسول : هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم ، وبى نصروا .

● انتصار سيف بن ذى يزن ملك اليمن على الحبشة ، حيث أجلى الجيش الحبشى عن بلاده ، وهذا الحدث يرجع الى الأعوام الأولى لمولد رسول الله .

● حلف الفضول الذى عقدته قريش فى دار عبد الله بن جدعان ، حيث تعاهدت قبائلها على الا يجدوا بمكة مظلوما الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه ، حتى ترد اليه مظلمته ، وقد شهده الرسول ، وهو فى سن العشرين ، وقال فيه : شهدت فى دار «ابن جدعان» حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعيت به في الاسلام لأجبت .

● رحلة محمد مع عمه أبى طالب فى قافلة تجارية لقريش ، الى الشام ، وسن محمد آنذاك تسع سنين كما يقول الطبرى «٩» ، أو اثنتا عشرة سنة كما يقول ابن القيم (١٠) .

● زواج محمد بخديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ومحمد فى الخامسة والعشرين ، وخديجة في الخامسة والثلاثين ، أو فى الأربعين وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا .

● بناء الكعبة ، ووضع رسول الله الحجر الاسود بيديه الشريفتين فى موضعه من الكعبة بعد أن اختلفت قريش فيمن يضع الحجر بيده ، واختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه ، دون الأخرى .

● البعثة النبوية الشريفة وبدء نزول القرآن الكريم ، على محمد بن عبد الله ، بالرسالة ، نزل به الروح الأمين جبريل ، على محمد ، صلوات الله عليهما .

وهكذا تصاعدت الأمور ، واختير رسول الله محمد بن عبد الله ، ليبلغ رسالة ربه الى الناس جميعا .. ودوى بهذه الرسالة صوت الوحي ، وجلجل بها فم الزمان ، وانتقل صداها فسار فى سمع العصور ، وضمير الأجيال ، وهزت مشاعر الانسانية جمعاء ، ووجدان البشرية كافة ، وكانت ايذانا بعصر جديد من التوحيد والايمان والعلم والحرية والحضارة .

---

(٧) ١ : ١٧٨ سيرة ابن هشام
(٨) ٢ : ٤١ الطبرى « طبع الاستقامة »
(٩) ٢ : ٣٣ الطبرى
(١٠) ١ : ٢٢ زاد المعاد

الأستاذ أحمد حسين

على عتبة العقد الثامن من العمر ويقدم منهجاً إسلامياً كاملاً

● انور الجندى ●

لا توجد فى تاريخ الأدب العربى الحديث شخصية استطاعت فى خلال خمسين عاما ان تطوف بكل المناهج والايديولوجيات والمذاهب العصرية ، وان تكشف عن حقيقتها وجوهرها ومدى صلاحيتها لبلادنا العربية والاسلامية مثل ، شخصية الأستاذ احمد حسين ..

وتمثل حياة الاستاذ احمد حسين المباركة فى هذا العقد الثامن ، قمة النضج والفهم ، بعد تجربة ضخمة تتمثل فى رحلتين : رحلة فى عالم المكان الى مختلف اجزاء العالم ، ورحلة فى عالم الزمان دراسة لتاريخ الانسانية والامم ... ومن هنا فقد حق علينا ان نقدم خلاصة هذه التجربة لنهديها الى شباب الاسلام والعرب فى مطالع القرن الهجرى الخامس عشر .

ولقد بدأ الاستاذ احمد حسين حياته السياسية والفكرية وطنيا يدعو الى المصرية ، كما دعا الى كثير من المناهج العصرية كالديمقراطية والاشتراكية والانسانية عبر مراحل متعددة ، ثم كانت مرحلة حياته المعاصرة الخصبة خلاصة كل التجارب والدراسات وهي ما يمكن ان تسمى بالمرحلة الاسلامية الخالصة . . .

ويرجع هذا الاتجاه فى اعماق الاستاذ أحمد حسين الى مطلع الصبا ، ولكنه ظل يعمق عاما بعد عام ، ثم كان لاتجاهه الى تفسير القرآن الكريم منذ عشرين عاما تقريبا وقراءته لكل ماكتبه المفسرون على اختلاف مذاهبهم وعصورهم ابعد الاثر فى تاكيد مفاهيمه الاسلامية الأصيلة المستمدة من المنابع القرآنية والنبوية التى يمكن أن يطلق عليها مفهوم أهل السنة والجماعة .

ثم صفت النفس بعد المرض والعزلة خلال العشر سنوات الاخيرة فاضاء القلب بايمان عميق وبيان عذب يسمعه الذين يسعدون بلقاء الاستاذ والجلوس اليه .

ولقد شاء الاستاذ احمد حسين فى السنوات الاخيرة او شاء الله تبارك وتعالى له ان يستصفى جميع القضايا المطروحة فى الساحة المصرية والعربية والاسلامية ببيان واف صحيح ،



يستمد اساسه من مفهـــــوم قرآنى أصيل وعميق .

وبهذا المفهوم الاصيل والعميق يراجع كل كتاباته القديمة والمختلفة فى عهـود مختلفة منها ابان مصر الفتاة أو الحزب الاشتراكى ، أو مواقفه واعجابه ببعض مظاهر النهضة الغربية كاعجـــابه بالقمصـــان أو بناء الشـباب بالتربية العسكرية مما أطلق عليه كذبا وضـــلالا اسم الفاشية .

وقد كشف الاستاذ احمد حسين هذا المعنى حين قال : اننى فى مختلف أدوار حيـــاتى انتقلت افكارى من النقيض للنقيض، ومن ابرز ذلك انى كنت رئيس اول حزب اشتراكى يعمل فى ظـــل القوانين القائمة قد سعيت رغم مرضى الى دار نقابة المحامين لأعلـن بأنى ابرأ من الاشتراكية التى اوصلتنا الى مـا وصـــلنا اليه وقـد غيرت كـل آرائى وافكارى تحت ضغط التجارب .

ويقول ان الهدف من انشـــاء نظام الاقمصة الخضراء فانه لم يكن فاشية او نازية وانما كان التماســـا لتنظيم الشباب واعداده عسكريا فى وقت كانت البلاد فيه محتلة ولابد لتحـــريرها .

وجعلوه احدى سنن الحياة ..

وهكذا نجد الاستاذ أحمد حســــين يستصفى وجهته خالصـــة لله تبارك وتعالى ، فيكشـف عديدا من الحقـــائق اهمها فى مجال الاقتصاد ، فيكشف دور اليهود فى بناء الاقتصاد العالمى وادخاله الى عالم الاسلام وانهم الذين انشـــأوا علما سموه علم الاقتصاد وجعلوا الربا جوهره ولبه ، واقاموا المؤســـــــــات صغراها وكبراها على اساس التعـــامل بالربا ، ووضعوا على رأس الهرم البنوك تفرض على الكافة التعـــامل بالربا .

وتربع اليهود على عرش البنوك يأخذون اموال الناس ويستنزفون دماءهم فى صورة الربا الذى جعلوه احدى ســـنن الحياة كالشمس والقمر والليل والنهار .

ويقول ان اليهود لم يستطيعـوا ان يطلوا برأسهم فى دنيا المال « الاقتصاد » الا بعد ان فقد المسلمون ســـــلطانهم وتفـوقت عليهم أوروبا . وكان أن نجح اليهود ان يصبحوا هم ملوك المال وان يخضعوا الدنيا بما فيها العالم الاسلامى نفسه لسلطانهم بحيث اصبحت ترى شركات التامين والبنوك تغمر العـــالم الاسلامى من مشرقه الى مغربه ، دون أن يتصور الكثيرون انهم بذلك يغرقون الى الاذقان فى خطيئة شبهت فى الاسلام بالكفر ، حيث توعد الله المرابين بحرب من الله ورسوله .

زيف النظريات المطروحة ..

ويمضى الاستاذ أحمد حسين فيناقش الماركسية فى افاضة وعمق وفهم ...

يقول : ليس الأمر ان نقف عند عداء الماركسية على أساس انها صادرة مـن يهودى أو انها معادية للدين فحسب .

الأستاذ أحمد حسين

على عتبة العقد الثامن من العمر

فالبدعة الجديدة تقول : ليست الماركسية سوى نظام اقتصادي ، فانا استطيع ان اكون متدينا وان اكون ماركسيا من الناحية الاقتصادية ، وهذا هو آخر الوان التدليس اليهودى فقد وجدوا ان انكار ماركس لله ،وعداءه للدين سيقف حائلا فى المجتمعات الشرقية التى هى أساس الحضارات ومنبع الاديان كلها ـ عن اعتناق الماركسية. فكانت هذه البدعة الجديدة، أن نحوا جانبا مذهب ماركس الفلسفي ، واعتبروا ان كلامه عن المادية الجدلية هو من قبيل الفلسفة ، ولكن اقتصاديات ماركس ومذهبه الاجتماعي جدير بالاتباع !

وهؤلاء الذين يقولون هذا القول اما انهم يغررون بعقول الناس واما انهم جهلة ... ذلك ان كل مادعا اليه ماركس انما ينشأ من هذا الفرض الذى تقدم به من ان ليس هناك اله ، وانما هى المادة تتفاعل وتحدث كل ماحولك من خلائق وانظمة . وخلص من هذه المقدمة الى ان كل ما يقال عن الحب والرحمة والتعاون بين البشر ، وكل ما يقال عن الاخلاق والفضائل ونظام الاسرة انما هى خرافات واوهام ، وسبيل لاستغلال الاقوياء للضعفاء ، وليست الحياة سوى صراع المادة الأعمى ، والمادة كلما زادت ((كما)) تحولت الى (كيف) . ولما كانت الطبقة العاملة فى ازدياد مستمر ، فسوف تصبح حتماً وبقوة التطور المادى هى الطبقة السائدة ، فعليها ان تعجل بالتطور وتجعل من نفسها ديكتاتورية حاكمة يكون عملها فى الدرجة الاولى تصفية الطبقات الاخرى عن طريق كل انواع القهر ! ..

ولقد سارت الوقائع على عكس كل ما قاله ماركس ! ..

وهناك حقيقتان تهدمان المنهج كله الأولى : أنه لا يوجد فى العالم اليوم طبقة عمالية اكثر عددا ووعيا وتقدما مما يوجد فى الولايات المتحدة ، ومع ذلك فلن تجد عداء للماركسية كما تجده وسط عمال الولايات المتحدة واوروبا الغربية بعامة ، حيث بلغت الطبقة العاملة اقصى درجات القوة ، فدل ذلك على ان الامر ليس تطورا حتميا لافكاك منه كما قال ماركس ! .. والسبب فى ذلك جد بسيط ، وهو ان العمال « سواء فى الولايات المتحدة أو أوروبا الغربية» يعملون ساعات اقل ويحصلون على أجر مرتفع ، ويعيشون فى رفاهية بالمقارنة الى نظائرهم ممن يدينون بالماركسية !

واجب النصرة للمسلمين

ويعود الاستاذ احمد حسين فيكشف الدور الضخم الذى سيقوم به العالم الاسلامى فى القرن الخامس عشر فيقول اننى شديد التفاؤل بمستقبل العالم الاسلامى وليس هذا التفاؤل مجرد عاطفة او تمنيات واحلام ، وانما هو واقع وحسابات مدروسة ونتائج وتطورات ملموسة

واننى لم ار عبر اشتغالى بالمسائل الاسلامية خلال اكثر من نصف قرن الا كل ما يشد عزمى ويقوى ايمانى بمستقبل العالم الاسلامى . حقا لقد وقعت بعض الاحداث التى ملأت النفس بالاضطراب والاشفاق على هذا المستقبل ، ولكن الامور كانت لا تلبث ان تستقيم وتصحح الاوضاع وتعود مسيرة الاسلام الظافرة .

وعلى راس الاحداث ظاهرتان : تدفق البترول ، وتناقض مصالح كتلتى الدول الصناعية الكبرى ...

فاما عن الظاهرة الأولى : فالمشاهد والملحوظ الذى لا يكاد يسترعى نظر الكثيرين ان القدر الاكبر من هذا البترول الذى أصبح اليوم هو سلعة الحضارة الأولى، قد اصبح يتدفق فى البلاد الاسلامية شرقا وغربا، ابتداء من جزيرة العرب حتى اندونيسيا ، وحتى فى الاتحاد السوفييتى يوجد البترول فى الاجزاء الاسلامية (القوقاز) . وقد ينكر الروس انها اسلامية وانهم مغتصبون ، ولكن الله والملائكة وأولى العلم يشهدون انها اسلامية فى يوم يظنونه بعيدا وهو اقرب مما يظنون ..

واذا كان البترول « النفط » سينفد في يوم من الايام فان الطاقة الشمسية لن تنفد ، وهي لا تتوفر في أي قسم من الكرة الارضية توافرها في العالم الاسلامي ..

أما العلامة الثانية فهي التصادم بين الكتلة الرأسمالية والكتلة الشيوعية واندفاع كل منهما لتدعيم الدول الصغرى فلن يستفيد من ذلك في خاتمة المطاف سوى العالم الاسلامي في الدرجة الاولى .

ولا يتوقف الاستاذ احمد حسين ان يدعو الى تحرير الدول الاسلامية في قلب آسيا من الاستعمار الروسي في التركستان والقوقاز ، وان على العالم الاسلامي أن يحقق ما فرضه الله تبارك وتعالى عليه من واجب النصرة لاخوانه المسلمين في هذه البقاع .

ويتحدث الاستاذ احمد حسين عن للغه العربية الخالدة ، فيقول :

لقد ماتت كل اللغات في الماضي وستموت في المستقبل ، ما عدا اللغة العربيه فستبقى الى الأبد وتلك هي معجزة القرآن .

القيم الانسانية من الاسلام

ويتحدث الاستاذ احمد حسين عن الحدود الشرعية ويعلن انه لا مناص من تطبيقها ويواجه حملات التبشير والدعوات المادية الالحادية كالشيوعية في رصانة وقوة ويدعو المسلمين الى حمل لواء الجهاد في سبيل تحرير المسجد الاقصى .

ويتحدث الاستاذ احمد حسين عن الحوار بين المسيحية والاسلام ، ويعلن ان الاسلام هو وحده القادر على مواجهة المادية والالحاد وقهرهما ، ويعلن أن أوروبا لم تنهض نهضتها الحديثة الا بعد أن استعارت تلك القيم الانسانية من الاسلام . ويطلق الاوروبيون على العصر الذي عاشوا فيه تحت حكم الكنيسة المسيحية عصر الظلام الذي لم يخرجوا منه الا بعد أن أخذوا ببعض تعاليم الاسلام تحت ستار الاصلاح الديني .

واليوم والبشرية مهددة باسم العقل والعلم والتقدم ، باكتساح الايمان بحجة انه خرافات وأوهام – فان هذا القول اذا جاز اشهاره في وجه اليهودية والمسيحية الكنسية فلا يمكن بحال أن يثار في وجه الاسلام ، لا من حيث العقيده او نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه او تعاليم الاسلام فكل ذلك أثبت بالتجربة الحية قدرته على البقاء ودفع الانسان الى التحضر والارتقاء .

ويعلن الاستاذ أحمد حسين بأن العالم الاسلامي قد عرف ارادة القتال وهي علامة الحياة في الوقت الذي بدأت فيه هذه الارادة تضعف في شعوب أوروبا وأمريكا .

وقد بدأ المسلمون اليوم يشعرون بكيانهم في كل مكان ويقاتلون عن وجودهم في الفيليبين وتايلاند والحبشة وبورما ، وهذا مؤشر على الطريق .

ويدعو الاستاذ احمد حسين الى التحرر من التبعية للفكر الغربي وان نتشبث بحضارتنا الاسلامية ، ولكي نعرف في اختصار شديد ما هي مقومات هذه الحضارة وما تنطوي عليه من ارادة القتال في سبيل ما هو حق وصالح ونافع لبني الانسان . وعندي من اليقين والايمان أن المسلمين مقبلون على ذلك .

وبالنسبة للغرب وأزمته النفسية والاجتماعية يقول الاستاذ أحمد حسين انه لا علاج سوى الاسلام : « ان الاسلام يقدم لبني الانسان في العصر الحديث متطلباتهم في العالمية التي تتسع لبني البشر كافة على اختلاف اجناسهم . والعالم يتطلع لشجب التمييز العنصري . والعالم يتطلع لاعادة التوازن بين الروح والمادة وكل ذلك متحقق في الاسلام . »

وهكذا نجد أن الله تبارك وتعالى قد أعطى الاستاذ احمد حسين في هذه السنوات العشر من المرض – حيوية دافقة وفكرا متالقا يتمثل في ذلك النتاج الضخم الذي ينشره في مجلات رابطة العالم الاسلامي والازهر والهلال والثقافة ومنبر الاسلام كاشفا عن منهج كامل جامع ، هو عصارة ايمان عميق وصدق مع الله .

امد الله في عمره وكتب له مزيدا من فضله ونوره .

حينما ينسى تاريخ الأدب شاعرًا كبيرًا مجودًا

• محمد عبد الغنى حسن •

هناك عدد غير قليل من الشعراء اصابهم الاغفال والنسيان فى تاريخ الأدب العربى على مسيرته الطويلة كلها منذ عصور الجاهلية الى العصر الحديث • والحمد لله على ترفق « التاريخ » بهؤلاء الشعراء ، فانه لم ينسهم جملة ، ولكنه ابقى على اسمائهم ، وعلى شذور متفرقة من اخبارهم ، وان كانت شذورا لا تصور اللوحة الكاملة لحياتهم ..

ومن هؤلاء الشعراء المنسيين المظلومين : « محمود بن حسن الوراق » الشاعر العباسى الحكيم فى المئة الثالثة من التاريخ الهجرى • واسم شاعرنا يدل على صنعة الوراقة عنده او عند ابيه ، الا ان الاعتقاد يميل بنا الى انها كانت حرفة الولد لا الوالد ..

ولا يعيب شاعرنا الكبير الحكيم أن يكون وراقا ، فقد كان ابن النديم صاحب « الفهرست » وراقا ، وكان ياقوت الحموى صاحب « معجم الأدباء » وراقا ، وكذلك كان الشاعر الكاتب الأندلسى « عبد الله بن محمد الشنتريني » الذى قال فى مهنته التى لم تعد عليه بطائل مادى :

اما الوراقة فهى انكر حرفة ... اوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بحالة ابرة ... تكسو العراة وجسمها عريان !

ولقد ظلم صاحبنا « محمود الوراق » من ناحية الاهتمام بسيرته ، والترجمة له والتعريف به،فلم يتنبه لكتابة أسطر قليلة عنه الا الحصرى ، صاحب « زهر الآداب » ، وأبو عبيد البكرى ، صاحب « شرح الأمالى » لأبى على القالى وابن شاكر الكتبى ، صاحب « فوات الوفيات » الذى استدرك به على « وفيات الأعيان » لابن خلكان • وهؤلاء الثلاثة هم أصحاب فضل فى تعريفنا بالشاعر المجيد « محمود الوراق » فى اسطر وجيزة جدا كشفت عن ملامح خاطفة منه ..

(١) اى انه من الصحابة ، وهذا يعنى أنه كان من كبار المعمرين !!

(١) اى رتبه ونصره .

(١) وذكر ابن بسام صاحب الذخيرة أنه توفى سنة ٤٥٣ هـ • فياللفرق بين التاريخين !

ثم جاء خير الدين الزركلي في زماننا هذا فدون له في « الأعلام » ترجمة يسيرة جدا كانت جهد الرجل – رحمه الله – في التنقيب والتنقير عن حياة ذلك الشاعر المغمور ..

***

واذا كان التعريف « بمحمود الوراق » قد وقف في القديم والحديث عند هؤلاء الأربعة ، لم يتعدهم الى سواهم فيما نعلم وفيما وصل الينا من مصادر مخطوطة أو مطبوعة ، فان هناك فريقا آخر من المصنفين قد أنصف ذلك الشاعر الحكيم برواية أطراف من شعره الضائع ، ما بين البيت والبيتين الى بضعة الأبيات ..

وهذا الشعر المروى المنسوب الى « محمود الوراق » يشكل عنصرا من الوفاء والبر بهذا الشاعر الذى لولا أبياته المبعثرة في بعض المؤلفات القديمة لغطى النسيان عليه جملة ، وجر عليه مساحبه ..

وهؤلاء الرواة الذين قدموا يد البر الى الشاعر المغمور « محمود الوراق » ، هم – كما نعلم من مروياتهم التى تحت ايدينا – ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » وابراهيم الحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣ هـ (١) صاحب كتاب « بهجة المجالس وأنس المجالس » وأبو عبيد البكرى الأونبى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ صاحب « اللآلى ، فى شرح الأمالى » . والراغب الأصبهانى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ، صاحب كتاب « محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء » . وابن الشجرى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ صاحب كتاب « الحماسة » – وهى بالطبع غير حماستي أبى تمام ، والبحترى ، والحماسة البصرية . ومحمد بن أحمد الأبشيهى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ صاحب كتاب « المستطرف ، فى كل فن مستظرف » .

ويختلف القدر المروى من شعر « محمود الوراق » بين كتاب وآخر من تلك الكتب التى ذكرناها ، فعلى حين يروى له ابن الشجرى أربعة أبيات لا غير في مقطوعتين احداهما فى الحرص على الدنيا ، والثانية فى الخضاب ، نجد الامام ابا عمر بن عبد البر القرطبى فى بهجة المجالس يروى له أكثر من خمسين وثلاثمائة بيت فى أغراض مختلفة سنذكرها عما قليل . وهذا قدر كبير جدا من شعر « محمود الوراق » يوحى الينا أن نتساءل : من أين نقل ابن عبد البر ، وهو من رجال القرن الخامس ، هذه الأبيات الكثيرة لشاعر من شعراء القرن الثالث ؟ واذا كان قد نقلها عن ديوان وقع له لهذا الشاعر المنسى فاين هذا الديوان الذى لا تدلنا المصادر والمراجع عليه ؟

الواقع أن الأربعة الذين عرفونا بالشاعر محمود الوراق ، وهم ثلاثة فى القديم وواحد فى الحديث كما سلف القول ، لم يذكروا أن لمحمود هذا ديوانا ، ولم يشيروا الى ذلك من قريب أو بعيد ، والواقع أيضا أن فهارس المخطوطات – وعلى رأسها « كشف الظنون » – لم تسجل – فيما سجلته من تراث – ديوانا للشاعر محمود بن حسن الوراق .

وهنا نعيد التساؤل السابق على صورة أخرى : هل كان شعر الوراق الذى وصل الى صاحب « العقد الفريد » أول الأمر والى صاحب « زهر الآداب » ثانيا والى صاحب « بهجة المجالس » ثالثا وعلى قدر كبير – هل كان ذلك الشعر مدونا

في ديوان خاص بالشاعر ، أو في مخطوطات وقعت لهؤلاء الرواة المدونين ، أم منقولا عن روايات الحفظ في الصدور ؟

***

ومن الطريف أن اسم الشاعر الوراق هذا يأتي في المصادر التي ذكرناها على أوجه لا تتفق ، ولكنها لا تختلف في الحقيقة ، ولا تقيم خلافا عليه .. فالحصري القيرواني يسميه « محمود بن الحسن الوراق » كاملا ، أو يقتصر على اسمه الأول فيقول : « محمود » . وابن عبد البر يفعل كذلك ، فيورد اسمه كاملا ، أو يقتصر على « محمود » . والراغب الأصبهاني صاحب « محاضرات الأدباء » يسميه « محمود الوراق » ، أو يقتصر على « محمود » . وقد يرد في «المحاضرات» على أنه « محمد » لا « محمود » كما ورد ذلك في « المستطرف » ، وهو تحريف مطبعي مما يمتلىء به هذان الكتابان اللذان لم تنلهما عناية التحقيق الحديث الدقيق على الرغم مما يحفلان به من نوادر الأخبار والأشعار ..

والذي نلاحظه على صاحب « بهجة المجالس » أنه حين يستوثق من اسم محمود الوراق يذكره ، والا فانه يقول عنه : قال الآخر ، أو قال الشاعر .

ولا شك أن تسمية الرجال باسم « محمود » تقع نادرة جدا في اعلام القرون الثلاثة الهجرية الأولى ، كما تقع على قلة في أعلام القرنين الرابع والخامس . فكان اسم « محمد »كثيرا وشائعا ، على حين كان اسم « محمود » نادرا اولا ، وقليلا ثانيا ، ولم يكثر الا منذ بداية القرن السادس الهجري . ولعل اول « محمود » يصادفنا في تاريخ الرجال في الفكر العربي هو « محمود بن لبيد الأنصاري » المتوفى سنة ست وتسعين ، أو سبع وتسعين من الهجرة . وقد ذكر الامام البخاري أن له صحبة(٢) ، وان كان الامام مسلم عدهمن التابعين . أما ثاني « المحمودين » من الرجال فهو « محمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي » المتوفى سنة ٩٩ هـ . أما ثالث « محمود » نصادفه في أعلام العرب فهو «محمود بن غيلان المروزي» الحافظ المحدث المتوفى سنة ٢٣٩ هـ ، أما رابع « محمود » فهو صاحبنا « محمود بن حسن الوراق » الشاعر الذي توفي في حدود سنة ٢٣٠ هـ ـ كما جاء في « فوات الوفيات » ، وهو وهم يحتاج الى مراجعة وتصحيح ، وان كان الزركلي صاحب « الأعلام » يذكر ـ استظهارا ـ انه توفي نحو سنة ٢٢٥ هـ،وهو وهم أيضا ـ فان شاعرنا عاش الى زمن المتوكل الذي صار خليفة سنة ٢٣٢ هـ كما تدل على ذلك حادثة بين محمود الوراق والمتوكل رواها ابن عبد ربه في « العقد الفريد » حـ ٦ ص ٤٠٤ .

***

ويبدو مما جاء في الأخبار عن الشاعر « محمود الوراق » انه كان ـ على الرغم من احترافه الوراقة ـ ميسور الحال ، موسعا عليه في الرزق . ولعله أثرى بعد احترافه الوراقة فتركها وظل اللقب الدال على قديم الحرفة لاصقا به وقد كانت له جارية أديبة ظريفة ذكية حاضرة الجواب شاعرة .

ويروي « ابن عبد ربه » صاحب العقد الفريد أن الخليفة المتوكل على الله العباسي سمع بهذه الجارية الظريفة المغنية ، فأراد شراءها من شاعرنا وأعطاه

بها عشرة آلاف دينار ، فأبى ، فلما مات « محمود الوراق » وصارت الجارية من ميراثه ، اشتراها المتوكل بخمسة آلاف ، ٠٠ وقال لها : كنا أعطينا مولاك بك عشرة آلاف، وقد اشتريناك من ميراثه بخمسة آلاف ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، اذا كانت الخلفاء تتربص بلذاتها المواريث ، فسنشتري بأرخص مما اشتريت!
ويدل هذا الجواب اللطيف المسكت على بديهة حاضرة لا يستغرب وجودها في شاعرة أريبة ٠ فقد روى صاحب محاضرات الأدباء أبياتا قالتها هذه الجارية في وصف مصلوب، ولعله «بابك الخرمي» الثائر في الحاد على الدولة العباسية وتصف الجارية أداة الصلب والمصلوب قائلة :

على مركب خشـــن ظهره ... طويل الوقوف بطيء المسير
تظل الذئاب وعرج الضباب ... بعقوته حسدا للطيور ٠٠
فاسفلـه مأتم للســـباع ... وذروته عرس للنســـور !

وتؤكد لنا حادثة « محمود الوراق » وجاريته مع الخليفة العبـــاسي المتوكل ما استنتجناه من أن وفاة شاعرنا الوراق لم تكن في خلافة المعتصم في حدود سنة ٢٣٠ هـ كما ذكر ابن شاكر الكتبي في « فوات الوفيات » ولا نحو سنة ٢٢٥ هـ كما استظهر المرحوم الزركلي في « الأعلام » ، ولكنها كانت بعد سنة ٢٣٢ هـ وهي السنة التي ولي فيها « المتوكل » الخلافة العباسية ٠

وقد كسر (٣) شاعرنا « محمود الوراق » شعره على موضوعات الزهد والحكم والمواعظ ، وقد انتبه مترجموه القليلون ورواة شـــعره في كتب الأخبـــــار والمحاضرات والأسمار الى هذه الناحية التي تتضح بجلاء في كل ما روى عنه ٠ وان كان يبدو انه كان صاحب صبوة في زمن الشباب ! فقد روى له ابن شاكر الكتبي صاحب « فوات الوفيات » ــ في خلال طائفة من شعر الحكم والمواعظ ــ بيتين يقول فيهما :

ســـــقيا لأيـام خلت ... وكأن أوجهها رياض !
أيام يحيينـا الهــوى ... وتميتنا الحدق المراض

ولكن هذه الصبوة التي يدعو لها الشاعر ولأيامها بالسقيا والاغداق قـد انتهت بانتهاء الشباب ، وصارت الى مسلك جاد رصين رزين وقور في الحياة ٠

ويبدو أن الحكمة التي نظمها الشاعر « محمود الوراق » كانت بين أمـــرين اما مما استظهره هو من حكم الحكماء السابقين ، وأشعار الحكماء ، واما مما اجتمع له هو من التجارب التي لا تمدنا الأخبار عنه بشيء منها٠وقد تنبه الى هذا « الحصري القيرواني » صاحب « زهر الآداب » فقال : (وكان كثيرا ما ينقـل أخبار الماضين ، وحكم المتقدمين ، فيحلي بها نظامه ، ويزين بها كلامه ٠٠٠) ولكن « أبا عبيد البكري » صاحب « اللآلي في شرح الأمالي » لم يلتفت الى هذه الظاهرة ، ولم يعرها اهتماما ، بل اكتفى بالنص على أن صـــاحبنا محـمـود الوراق : (شاعر كثير الشعر جيده ، دعامته في الحكم والمواعظ والزهد) ٠

على أن الحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣ هـ أو ٤٥٣ هـ لم يكن هو وحده الذى قال بأخذ « محمود الوراق » حكم المتقدمين وصبها فى شعره ، فان « ابن عبد البر القرطبى » ــ وكان معاصرا للحصرى القيروانى ــ كان يتتبع بعض الحكم التى نظمها الوراق شعرا دون أن يكون له الا فضل الصوغ لا ابتكار المعنى ·· فحين روى ابن عبد البر قول الأحنف بن قيس : (ما نازعنى أحد الا أخذت فى أمره باحدى ثلاث خصال : ان كان فوقى عرفت له قدره ، وان كان دونى أكرمت نفسى عنه ، وان كان مثلى تفضلت عليه) عقب عليه بقوله : أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب — وان كثرت منه على الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة — شريف ومشروف ومثلى مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف فضله — وألزم فيه الحق ، والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن — مقالته نفسى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أو هفا — تفضلت ، ان الفضل للحر حاكم ··

على أننا اذا رجعنا الى أبيات الشاعر « على بن جبلة » التى يقول فيها :

جلال مشيب نزل — وأنس شباب رحل

نرى أن شاعرنا « الوراق » استلهمها لفظا ومعنى ووزنا ــ فى قوله فى الشيب والشباب :

بكيت لقرب الأجل — وبعد فوات الأمل
ووافد شيب طرا — بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن — وشيب كأن لم يزل
طواك بشير البقا — وحل نذير الأجل

واذا كان الأدباء القدامى الفاحصون المتتبعون قد لاحظوا أن شاعرنا المظلوم « محمود الوراق » كان يأخذ حكم السابقين وينظمها فى أسماط شعره ، سواء أكانت تلك الحكم المأخوذة منثورة أم منظومة ، فان هناك من لاحظ أن الشاعر « محمود الوراق » كان يؤخذ من شعره ومعانيه ، كما كان هو يأخذ من شعر غيره ·· فصاحب « زهر الآداب » الذى لاحظ قضية الأخذ عند الشاعر محمود الوراق هو بعينه الذى لاحظ قضية الأخذ من شعره (انظر زهر الآداب جـ ١/٩٧)

على أن الذى يحير الباحث فى شعر « محمود الوراق » هو اختلاطه بشعر غيره واضطراب الرواة فى ذلك · فان الأبيات الآتية :

حياتك أنفاس تعد وكلما — مضى نفس منها انتقصت به جزءا
فتصبح فى نقص ، وتمسى بمثله — وما لك معقول تحس به رزءا
يميتك ما يحييك فى كل ساعة — ويحدوك جاد ما يريد بك الهزءا

رواها صاحب كتاب « بهجة المجالس » ــ وهو ثقة ــ ونسبها الى محمود

الوراق ، ولكنها جاءت في ديوان أبى نواس من شعره كما جاءت لأبي العتاهية فى ديوانه ص ٥٣ ٠

والأبيات الآتية :

اشتعل الشيب فافنيته وكل مقراضي فاعتقته
كنت اذا استقصيت قصي له وقلت فى نفسى : افنيته
عارضني من جانب آخر كانني قد كنت زملته
الشيب ما ليست له حيله اعياني الشيب فخليته

رواها صاحب « البهجة » ونسبها الى شاعرنا « محمود الوراق » ، ولكن الراغب الأصبهانى صاحب « محاضرات الأدباء » رواها ونسبها الى الشاعر « أبى دلف »

والبيتان التاليان :

وعائب عابني بشيب لم يعد لما الم ـ وقته
فقلت اذا عابني بشيبي : يا عائب الشيب لا بلغته !

نسبهما صاحب العقد الفريد الى محمود الوراق ، ونسبهما صاحب « خاص الخاص» الى محمد بن عبد الملك الزيات، ونسبهما ابوعلى القالى صاحب الأمالى الى أبى بكر السراج النحوى ، وأعجب ما فى قضية الخلط والاضطراب فى الشعر المروى لشاعرنا المظلوم « محمود الوراق » ما وجدناه حول البيتين الآتيين :

ابيض منى الراس بعد سواده ودعا المشيب شبيبتي لنفاد
واستحصد القوم الذي انا منهمو وكفى بذاك علامة لحصادي

فقد نسبهما ابن عبد البر القرطبى في « بهجته » الى محمود الوراق ،ونسبهما الجاحظ فى « الحيوان » الى حسان بن ثابت ـ وليسا فى ديوانه ـ ونسبهما الراغب فى « محاضراته » الى أبى عيينه !

***

قلنا ان الشاعر العباسى « محمود بن حسن الوراق » قال أكثر شعره ـ بل كله ـ فى الحكم والمواعظ ، والزهد والسلوك ٠ وما وقعنا له على شعر يمدح به انسانا ،حتى ولو كان الخليفة المتوكل العباسى الذى أبى أن يبيع له جاريته، أما شعر الصبوة فقد ذكرنا له قبلا بيتين نظمهما زمن الصبا ٠ ولما تصدى الامام ابن عبد البر القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ليجمع فى كتابه « بهجة المجالس » نتفا مما قاله الشعراء في أغراض شتي من القول ، جمع لشاعرنا محمود الوراق أكثر من خمسين وثلاثمائة بيت من الشعر فى أغراض قاربت الأربعين غرضا ، ما بين وزن الكلام قبل النطق ، وارخاص الشيء بتركه ، والغني والفقر فى النفس ، ومقابلة الظلم بالرحمة ، والاساءة بالاحسان ، وعدم جدوى الطب مع القضاء ، وعز القناعة ، وبقاء مال البر ، والأمانة ، والبخل وعلله ، والتكثر من الاخوان ، وادب الصحبة ، والرضا بالأصدقاء على علاتهم ، وصيانة النظر ، والشيب والشباب والخضاب الى غير ذلك من المسائل الخلقية الرفيعة التى تضمن للمتحلى بها عيشا طيبا فى الحياة ، ورضا وتوفيقا من الله ٠٠ ●●

قــــراءة فى الفكر المسرحى عند توفيق الحكيم

• د. محمد احمد العزب •

— ١ —

المسرحية مجموعة من الافعال المترابطة التى يستدعي بعضها بعضا، وتتخلق تخلقا عضويا يفضى الى نهاية ما، وتتجسد هـــذه الافعال فى شـــخوص يتحركون على المسرح، ويطورون الحدث من خلال الحوار المتبادل، وليس من خلال السرد الخارجى، او الحكاية على لسان المؤلف.

وتتطلب المسرحية عقدة او مجموعة من العقد الثانوية التى ترفد عقـــدة اساسية، ويأخذ بعض هذه العقـــد برقاب بعض، حتى تصل جميعـــا الى ذروة التـــأزم، ثم تفضى جميعـــا الى الانفراج..

وقد ظلت الوحدات « الأرسطية » تسيطر على الخلق المسرحى منذ فجر التاريخ المسرحى حتى عصور النهضة الحديثة، فوضع الفنانون المبدعون امامهم وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الفعل كحتمية مسرحية لا يمكن الخـــروج عليها. ولكن هؤلاء الفنانين لم يلبثوا أن تحرروا من هذه التقاليد الكلاسيكية، واصطنعوا لأنفسهم تقاليد اخرى تقترب أو تبتعد عن التقاليد القديمة.

ومهما يكـن من شيء فقـد ظلت المسرحية كابداع ادبى مرتبطة، حتى فى ذهن مؤلفها، بخشبة المسرح. وظل « المسرح » كامنا فى واعية الكاتب ولا واعيته معا وهو يختار موضوعه ويعالج مادته ويؤسس التكنيك الخاص به. فالمؤلف الذى يكتب مسرحية انمـــا يعيش بالقوة او بالفعل على خشبـــة المسرح، وفى دائرة هذا التشكيل الذى يتعانق فى تجسيده الممثـل والنـــص والاضـــاءة و « الديكور » والملابس والجمهور. وهذا هو ما يجعـــل من المسرح نوعا فنيا مختلفا عن غيره من الانواع القصصية والروائية والملحمية.

— ٢ —

وفى البناء المسرحى تختلف الـرؤية بين التقليد والابتداع، وبين الواقعيـــة والرمزية، وبين الحضور والتاريخ.. ويختلف التكنيك بين تكثير الفصـــول وتكثيفها، وبين منطقية البنـــاء ولا منطقيته، وبين نمطية الشـــخوص وتحريرها.

وتختلف طبيعة الموضوع والصراع بين التنامى والجمـــود، وبين البشرية واللابشرية.. ويختلف الحوار والحركة بين الذهنية والجدلة وبين الديناميـــة والسكون. وبين التسطيح والتعميق.

اما فى المنحنى التعبيرى للمسرح طوابع يشترط حلولهـــا فى النص حتى يمكن أن يكون قابلا للحلول على خشبة





توفيق الحكيم

المسرح . هذه الطوابع تتمثل فى ضرورة التركيز ، وحتمية الايجاز ، وتطويع اللغة لطبائع الشخوص وتطبيع المحتوى الفكرى ، وايحائية اللغة ، وصفاء العبارة ، وتوتر الايقاع ، وتدامج الفكر والفعل .

من هذا المنظور الفنى يمكن ان نحاكم الظاهرة المسرحية ، وأن نضيف هذا السؤال الصميمى كقانون اولى : ماذا قالت المسرحية للحياة والاحياء ؟. وكيف قالته ؟. لأن هذا السؤال الصميمى يحدد الغاية والوسيلة من اى عمل مسرحى معا ، والغاية هنا هى ما يريد الكاتب توصيله الى الجمهور .. والوسيلة هنا هى أدوات الكاتب وتقنياته .

الغاية هى الموضوع ميتافيزيقيا او انسانيا ، مثاليا او واقعيا ، رجعيا أو تقدميا ، طبقيا او شعبيا .. والوسيلة هى القواعد الفنية ، كقاعدة الوحدات الأرسطية ، أو قاعدة فصل الانواع ، والصراع الصاعد ، والشخصيات ، والحوار ، والاثارة .

وينبغى للحركة النقدية – دائما – أن تفرق فى تناولها النقدى بين طبيعة المسرح (الحركى) وطبيعة المسرح (الذهنى) وان تحاسب كلا منهما على أساس من طبيعته . فالاول يرتبط بالممثلين والمسرح والجمهور ، أى (بالحركة) حين تقع بعدا ثالثا بعد بعدى الحوار والصراع ، والثانى يرتبط بالفكر والنفس والخيال ، أى (بالتامل) الذهنى الذى (يعيش) الحركة وان كان لا يشاهدها .

ان المسرح الحركى يثير المتلقى عن طريق الحركة والحلول فوق خشبة المسرح المادى ، أما المسرح الذهنى فيمارس هذه الاثارة عن طريق التامل والحلول فى فضاء المشاعر والعواطف والتفكير اذا جاز أن يقال .. وفى كل الحالات لابد من توافر عنصرى الحوار والصراع ، لأنه بدونهما لا يمكن تصور مسرح ، على أن يكونا معا متصلين اتصالا عضويا بطبيعة العمل المسرحى وليسا مستقلين عنه . فالحوار الفكرى المجرد(محاورات افلاطون)ليس حوارا مسرحيا . والصراع العضلى المجرد ليس صراعا مسرحيا .. لابد ان يبطن الحوار بالفعل المتنامى ، وأن يبطن الصراع بالحوار الصاعد .

– ٣ –

وحين نقترب من رؤية توفيق الحكيم المسرحية ، نراه يجسد رؤيته فى هذا الصدد على اساس نقدى هو فى مجمله استقطاب لقيم (الموضوع) و (الحوار) و (البناء) .. ففى (الموضوع) يرى :

١ – أن المسرح ينبغى أن يعالج العام ولا يعالج تفاصيل الحياة اليومية

كالرواية ، اى انه فن تركيبى وليس فنا تحليليا .

٢ - ان الموضوع فى العمل المسرحى يجب أن يتسم - حتى فى اختيارنا له - بالصعوبة والجدية وان يظل كالصخرة الصامدة فى طريق الفنان ليستخرج الفنان منه - فى محاولة تذليله - اروع ما فيه ، وليستخرج الموضوع من فنانه اروع ما عنده ..

٣ - ان يكون الموضوع مما يمكن اخراجه على مسرح محدود بوساطة ممثلين آدميين، بمعنى الا يكون موضوعا وصفيا تلعب فيه الجمادات والنباتات والعجماوات أدوارا يصعب اخراجها على المسرح .

٤ - أن يظل الموضوع متخلقا فى شخوص المسرحية ، دون أن تقع عليه ولا عليهم نقطة واحدة من مداد قلم المؤلف . تفضح وجوده ، أو تكشف أن خلف مخلوقاته مؤلفا .

٥ - أن يتحدد الموضوع فى اطارات من وحدة الفعل ووحدة الزمان ووحدة المكان ، ومع ذلك فلابد أن تتحرك فى هذا الحيز الضيق اعظم المآسى البشرية والمهازل الانسانية ..

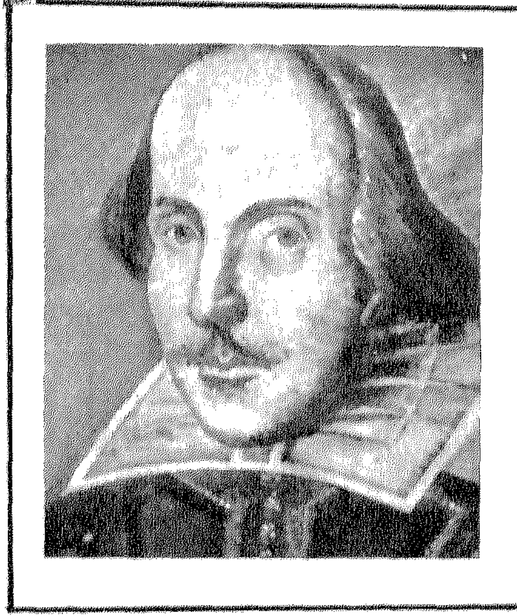
ويرى الحكيم ان المحور الصميمى الثانى من محاور العمل المسرحى هو : (الحوار) وان على الحوار وحده تقع كل الاعباء . وذلك ان الحوار هو اداة المسرحية فهو الذى يعرض الحوادث، ويخلق الاشخاص ، ويقيم المسرحية من مبدئها الى ختامها . بل ان الحكيم ليغلو فيؤكد أن الحوار ملكة تولد مع الانسان الموهوب اكثر مما هو شيء يكتسب .

واذا كان الحوار صميميا الى هذا الحد فينبغى على المؤلف أن يتعهده بطول الممارسة والمرانة . حتى يبوح له باسراره ، ويسلم قياده له . لانه بلا حوار حقيقى مكتمل يصبح العمل المسرحى جثة بلا حراك .

ليس ذلك فحسب . وانما على الحوار يقع عبء تلوين الحوادث والمواقف باللون الموافق لنوع العمل المسرحى .. ان للمأساة مصطلحها اللفظى المشير لطوفان الرهبة والجزع والجلال والخشوع . كما ان للملهاة مصطلحها اللفظى الحاشد بروح الفكاهة والمرح والسخرية والعبرة . ولا تقف مهمة الحوار عند هذا الحد ، ولكنه يطالب بالسفر الداخلى الى اعماق الشخوص والاحداث ، وخلق (جو المسرح) ..

ويرى الحكيم ان هذه المهمات التى ينهض بها الحوار لا ينهض بها كانواع أو عناصر مستقل بعضها عن بعض ، ولكنه يؤدى كل شيء فى وقت معا ، (فقد يرسل العبارة من عباراته ارسالا على لسان شخص من اشخاص المسرحية فاذا هذه العبارة محملة بمختلف المهام، ففيها اخبار بحادثة ، وفيها تكوين لشخصيته ، وفيها خلق لجو ، وفيها

وليام شكسبير



تلوين لروح مظلم أو مفرح مثلها كمثل العبارة الموسيقية التي تنطلق محملة بالنغم الذى يروى ويلون ويكون ويثير كل هذا فى لحظة) .

ويورد الحكيم عديدا من الملاحظات عن الحوار : فقد يجرى الحوار على منطق الحديث الواقعى بين الناس فى الحياة . وقد يجرى على منطق الشعر المتجاوز لحرفية الواقع ... وقد يجرى على منطق الواقع الحيوى ولكنا نشم منه عطرا غريبا ينبعث من ثناياه يذكرنا بذلك العطر الشعرى .. وقد يجرى على منطق العلاقة بين الانسان وما هو اعلى . (وهنا نجد اسلوب الحوار لا يتسلسل طبعا بنظام واقعى ، ولكنه يجرى محمولا على اكتاف الفكرة مرة ، وعلى اجنحة الشعر مرة اخرى) .

اما المحور الثالث من محاور العمل المسرحى ـ كما يراه توفيق الحكيم ـ فهو محور (البناء) لان المسرحية كيان مبنى . اى قائم بعضه فوق بعض ، ومرتبط جزؤه بكله فى منطق ونظام ، هذه الاجزاء التى يضمها هذا البناء تتكون من مراحل ثلاث : العرض .. فالعقدة .. ثم الحل .

فالعرض هو : (تقديم الاشخاص ، وطيف الحادثة التى ستتضح ملامحها فيما بعد .. وتتعقد ثم تنفرج عن الخاتمة) ... وتختلف طرق العرض باختلاف نوعية المؤلف ، ثم باختلاف نوعية الموضوع والشخصية .

والعقدة هى : (حادثة توشك ان تقع ، ويترتب على وقوعها نتيجة أو نتائج ، او هى مشكلة اجتماعية او عاطفية او فكرية تتهيأ للظهور ، وينجم عن ظهورها واشتباك اطرافها نتيجة أو نتائج) .. وقد تكون فى المسرحية عقدة . وقد لا تكون، وقد تتداخل **العقدة مع العرض.**

والحل : **قد يكون جوابا عن الاسئلة التى اثيرت ، وقد ياتى نهاية لوقائع استطردت، وقد ياتى هو سؤالا كبيرا،**



وقد يجيء احساسا عاما بسحابة غائمة او شفيفة من القلق الهائل الهائم .

هذه مفردات البناء المسرحى كما يراها توفيق الحكيم ، ولكنه يستدرك فيؤكد أن هذه المفردات لا تعمل عملها الخالق من خلال جبرية ميكانيكية بحتة ، لأن هذه الجبرية الميكانيكية اذا جازت فى الواقع المادى فانها قد لا تجوز فى الواقع الفنى ، (ان البناء المسرحى لا يمكن ان يكون بالضبط كالبناء المعمارى ، فالمهندس اذا رسم مسمارا على خريطة فلا شيء يغيره ، أما المؤلف فانه لا يضمن بقاء جزئية على حالها لو اندفعت شخصية فى اتجاه آخر على اثر كلمة فجائية لفظتها شخصية اخرى . ان المسرحية عجينة تتطور فى يد مؤلفها ، انها شجرة تنمو تحت اشراف بستانى ، ان المؤلف بالنسبة الى اشخاص المسرحية كالقدر بالنسبة

الينا فالقدر يعرف ما هو صانع بنا فى نهاية الامر ، لكنه يترك لنا حرية الكلام والحركة التى تقتضيها دوافعنـــــــا الداخلية) .

وهكذا تتكامل رؤية رائد مـــن رواد المسرح العـــربى ـ ان لم يكـــن رائده الوحيد ـ فى الاساس النقدى

وقيمة هذه الرؤية أنها ليست رؤية تنظيرية مجردة تجسد الحقائق النقدية من منظور محايد ،ولكنها رؤية تنظيرية مستلهمة من معاناة واقع ابداعى عاشه الكاتب وعاناه ، وخرج من مجمـــوع ممارساته الفعلية فى الكتابة الفنيـــة بمثل هذا الاستقصاء النقـــدى الذى يتعانق فيه الخلق والتاصيل .

ـ ٤ ـ

وقد يكون من المفيد ان نضع هنـــا بعض الفروق الصميمة بين العمــــل القصصى والعمل المسرحى حتى تتضح الرؤية ، وتستقر مقولات النقد على فهم صحيح .

فالحوار (فى المسرحية) يوشـــــك ان يكون الفيصل الحاسم بينها وبين القصة، فبينما تتردد القصة بين الاتكاء على الاسلوب السردى والاســـلوب التصويري مع بعض الحوارات لاتفارق المسرحية اساسية الحوار لانه ماهيتها وبناؤها جميعا ..

والوحدة العضوية اساس فى القصة والمسرحية جميعا ، ولكنها فى القصـــة وحدة متراخية يطوعها القصاص لكثير من المرونة والاسترسال الذى يتيحـــه تعدد الاشخـاص بما لا يطاق فى المسرح ... اما فى المسرحية فهى وحـــــدة متضامنة سريعة الايقاع ، وحدة قافزة متحفزة ، وحدة تتعارك باســـتمرار لتخلق الجو الدرامى وتكثف وحـــدة الاحساس .

وفى القصة يمكن للمؤلف ان يتدخل ليشرح وجهة نظر معينة ، او ليعلق على حادثة بذاتها ، او ليضيف لمسة هنا او لمسة هناك ... اما فى المسرحيـــة فلا يمكن للمؤلف حتى ان يطل بوجهـــه والا اصيب العمل المسرحى بالاحباط.

وفى القصة نحس اننا امام تشـــريح للحياة او امام لقطات من حياة .. اما فى المسرح فنحس اننا امام لقطة واحدة من الحياة يحاول المؤلف ان يركز حولها كل بؤر الاشعاع حتى تصلنا حـــارة دافقة متوهجة .. وبذلك تكون قيمة القصة النهائية فى استقصائها وشمولها، وقيمة المسرحية النهائية فى تركيزهـــا وتكثيفها .

وفى القصة قد لا نرى الرمز الا قليلا، لان رؤية الشخصيات رؤية تامة هى بعض اصول الفن القصصى .. اما فى المسرح فنحن نرى الرمز طاغيا ، لان الزمن هنا لا يتسع الا لنوع من الايماء لا لانواع من التفصيل .

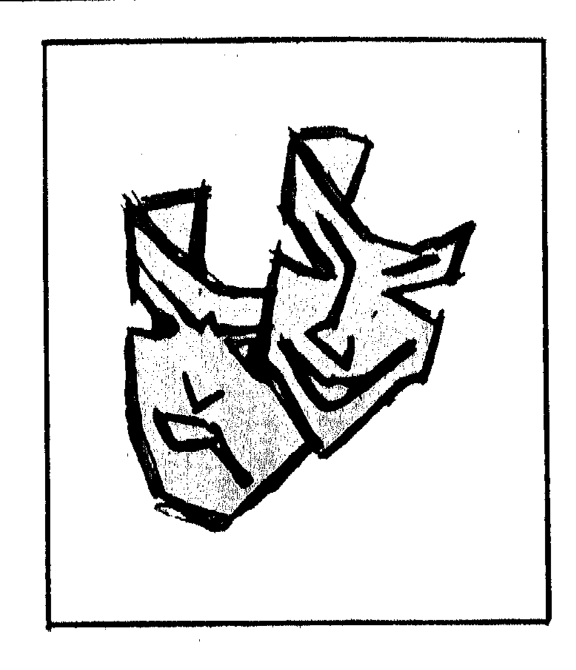
وفى القصة يمتاز الاسلوب بالتعمـــق والاستقصـاء والاطناب والشــمول لأن القصاص مطالب بان يجســـد لنا عالم الشخصية فى كل طور من اطوارحياتها المادية والنفســـية .. اما فى المسرح فالايجاز والتركيز واللمح وتكثيـــف المواقف هى السمات الاســــاسية فى اسلوب التعبير .

ـ ٥ ـ

ومادمنا قد تطرقنا الى مصـــطلح (الاسلوب) فقد يكون من المجدى هنا تماما أن نحاول الاقتراب من حقيقته.

وللأسلوب معنيان : فهو اما بنـــاء العمل الفنى بكل مفرداته وعناصره ، واما طريقة التعبير ووسائله اللغـوية وخصائصه اللفظية .

واذن فالكاتب الذى يحاول آن يعبر من (فرديته) فى التعامل مع (قاموس اللغة) أو (قواعد البناء) هو كاتب صاحب أسلوب .. .وقد يكون ذلك واضحا بالنسبة الى محاولات الكاتب فى بناء العمل الفنى من وجهة خاصة تنبىء عن فلسفته الخاصة فى هذا التركيب البنائى المعقد ... اما فى التعامل مع قاموس اللغة .فقد يبدو الامر غامضـــا



بعض الغموض ، لأن اللغة ملك شائع يستطيع احتيازه كل فنان من جهة ، ولان الدلالات الوضعية للغةتتطور ببطء شديد من جهة أخرى ، مما يجعل التمايز بين فنان وفنان يوشك أن يكون ـ فى هذا المجال ـ امرا عسيرا . . .
ربما يلوح للنظرة المجلى ان ذلك كله هو القاعدة فىالتعامل معاللغةولكن قليلا من الاستبصار بحركة الخلق الفنىلدى كبار الفنانين يؤكد أن الامر مختلف تماما فان كل واحد من هؤلاء يوشك أن يعيد اكتشاف اللغة من جديد .

وقد لحظ ذلك (هافلوك أليس) فى كثير من العمق ، يقول هافلوكاليس: (فالكاتب يرى أن الالفاظ لها معانيها الفنية الموفورة الخاصة بها ، وانها تعيش لتنمو او تذبل ، كما انه تنبعث منها خيوط بينها وبين غيرها منالاشياء فى كل صوب ، وانها تختلج بالمعنى الدائم التغير الذى ينتشر جرسه مسافات بعيدة، فعمل الكاتب لا يقتصر غالبا أو دائما على اعداد قائمة مسببة للاشياء التى يراها أو يحسها ، بل هو فنان يعتمد على الالفاظ اعتماد الرسام على الألوان فى الصورة التى يرسمها ، وكثيرا مانجد انكبار الكتاب تستهويهم الالفاظ المجردة . ، ومن امثلة هؤلاء شيكسبير وكيتس وفيرلاند . فعقل الكاتب يسير ويتحرك بين الالفاظ لا بين الاشياء ، والصلة بين الاثنينوثيقة، الا أن الالفاظ لكثرة ما استعملت وتكررت على الالسن اكتسبت معانى جمة واكتست بالوان كثيرة ، فاصبحت لها حياتها الخاصة بها ، التى تهم الكاتب الفنان الذى لا تعنيه دراسة الاشياء التى يراها دراسة محددة مفصلة) .

ويقول : (ليس الاسلوب قطعة من الزجاج كل ما يهمنا فيها أن تكون صافية خالية من الخدوش، وهو كذلك ليس مجرد وسيلة شفافة لا ترى ولا حلة يكتسى بها الفكر ، بل هو الفكر نفسه كما قال جورمونت ، أو احالة الجسم الروحى الى جسم مادى حتى يتسنى لنا أن نفهمه وندركه .. ولذلك يجب أن يكون جميلا على قدر ما هو واضح) .

ويقول : (... الكاتب العظيم لا يتعلم الا من نفسه ، فهو يتعلم الكتابة كما يتعلم الطفل المشى ، لأن قوانين منطق التفكير لا تختلف عن قوانين الحركة الجسمية على المتعلم ان يجرب الوقوع والتردد والوقوف قبل ان يدرك ادراكا تاما ذلك الروى المقدس الذى تتحقق به انسانيته)

بهذا الاستبصار العميق يتضح ان الاسلوب هو تفرد الكاتب فى رؤيته وفى تعامله مع القاموس معا ، ويتضح كذلك انالكاتب الحقيقى هو القادر باستمرار علىتفجير البكارة حتى فىاقدم الاشياء، ودمج الشكل فى المضمون وانطاقهما جميعا بايقاع مؤحد .. وهذا هو الاسلوب . . .

رسائل إخوان الصفاء

• د. كامل سعفان •

١ ـ هذه الجماعة :

يكاد يكون التوحيدى اول من كشف اللثام عن هذه الجماعة ونشاطها ، كما كان ادق من وضعهم فى مكان هم جديرون به ، وهو بصدد الحديث عن «زيد بن رفاعة» ، استجابة لطالب الوزير أبى عبدالله الحسين بن سعدان ، فيما جاءنا به كتاب « الامتاع والمؤانسة » . «(١)»

قال ابو حيان انه اقام بالبصرة زمانا طويلا ، وصادف بها جماعة جامعة لاصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم ابو سليمان محمد بن معشر البيستى ، ويعرف بالمقدسى ، وابو الحسن على بن هارون الزنجانى ، وابو احمد المهرجانى ، والعوفى ، وغيرهم ، فصحبهم ، وخدمهم ..

وكانت هذه العصابة تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، «(٢)» فوضعوا بينهم مذهبا زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله ، والمصير الى جنته ، وذلك انهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولاسبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، وذلك لانها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ..

وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ... وصنفوا خمسين رسالة فى جميع أجزاء الفلسفة ، علميها وعمليها ، وافردوا لها فهرستا ، وسموها « رسائل اخوان الصفاء ، وخلان الوفاء » ، وكتموا اسماءهم ، وبثوها فى الوراقين ، ولقنوها للناس ، وادعوا انهم مافعلوا ذلك الا ابتغاء وجه الله ـ عزوجل ـ وطلب رضوانه ، ليخلصوا الناس من الآراء الفاسدة التى تضر النفوس ، والعقائد الخبيثة التى تضر أصحابها ، والأفعال المذمومة التى يشقى بها أهلها ، وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينية ، والأمثال الشرعية ، والحروف المحتملة ، والطرق الموهمة ..

فقال الوزير : هل رأيت هذه الرسائل ؟

قلت : قد رأيت جملة منها ، وهى مبثوثة من كل فن نتفا ، بلا اشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات ، وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها ..

وحملت عدة منها الى شيخنا ابى سليمان المنطقى السجستانى ، وعرضتها عليه ، ونظر فيها اياما ، واختبرها طويلا ، ثم ردها على ، وقال :

تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا ففلفلوا ، ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ، ظنوا انهم يمكنهم أن

---

(١) تحقيق احمد امين واحمد الزين ـ لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٣ .

(٢) يبدو ان هذا الوصف مما ادعته الجماعة ..

يدرسوا الفلسفة – التى هى علم النجوم والافلاك والمجسطى والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى التى هى معرفة النغم والايقاعات والنقرات والأوزان ، والمنطق الذى هو اعتبار الأقوال بالاضافات والكميات والكيفيات – فى الشريعة ،وان يضموا الشريعة للفلسفة ، وهذا مرام دونه حدد «٣»

وقد توفر على هذا – قبل هؤلاء – قوم كانوا احد انيابا ، واحضر اسبابا ، واعظم اقدارا ، وارفع اخطارا ، واوسع قوى ، واوثق عرى، فلم يتم لهم ما ارادوه ، ولا بلغوا منه ما املوه ، وحصلوا على لوثات قبيحة، ولطخات فاضحة ، والقاب موحشة ، وعواقب مخزية ، وأوزار مثقلة «٤»

***

ومضت القرون دون ان نضاف حرف جديد .. فلما كانت محاولة احياء التراث ، لم يرد بطرس البستانى – وهو يقدم لطبعة الرسائل – على ان أعاد صياغة بعض ما اورد التوحيدى ، فقال : « تالفت هذه الجماعة فى القرن الرابع الهجرى – العاشر الميلادى – وكان موطنها البصرة ، ولها فرع فى بغداد ، ولم يعرف من اشخاصها سوى خمسة، يتغشاهم الغموض والشك ، ولا يسفر اليقين عن حقيقة أمرهم بما يطمئن اليه الخاطر ، وينشرح له الصدر ، لما كان عليه من التستر والاكتتام فقد ذكرت اسماؤهم ، وكأنها لم تذكر ، لجهلنا اخبارهم واحوالهم ، فقيل ان احدهم هو أبو سليمان محمد بن معشر البستى المعروف بالمقدسى ، والاخر أبو الحسن على بن هارون الزنجانى، ثم أبو احمد المهرجانى ، ويسميه المستشرق دى بور محمد بن احمد النهرجورى ، فأبو الحسن العوفى ، فزيد بن رفاعة » (٥) ..

ويلاحظ أن دى بور لم يزد على أن طرح رأيا فى الجماعة ، محددا هويتهم بأنهم « جماعة سياسية دينية ، ذات نزعات شيعية متطرفة ، وربما كانت اسماعيلية على وجه اصح » «٦» .

ومثل هذا الرأى توفره الدراسة السياسية للفترة التى ظهروا فيها وهى فترة وجود التوحيدى ،«أواسط القرن الرابع الهجرى – العاشر الميلادى – تقريبا » ، كما يقول دى بور ، كما **ان عبارة التوحيدى توحى بهذه « الهوية » ، اذ يتحدث عن كتمان امرهم . وبث كتاباتهم سرا ، ادعاء مرضاة الله ، مع حشوها بالحروف المحتملة ، والطرق الموهمة ..**

لكن الدكتور غلاب يؤكد ان هؤلاء القوم « ليس لهم اية غاية اخرى غير التى اعلنوها ، ولكن الناس لم يطمئنوا اليهم ، ولم يصدقوا ماقالوه، بل رموهم باغراض شخصية كانوا ينتوون الوصول اليها من وراء حركتهم هذه ، وهى قلب الدين والعرش .

« وقد ذاعت هذه التهمة فى عصرهم بين الخاصة والعامة ، فارتاب فيهم اولئك ، وحمل عليهم هؤلاء . واننا لنجد عناصر هذه الريبة فى اخوان الصفاء عند الوزير صمصام الدولة ، حين نمى اليه ان أبا حيان متصل باحد اعضاء هذه الجماعة ، وهو زيد بن رفاعة » ..

ثم يورد قول البارون « كارادى فو » بانها « لم تكن جمعية فلسفية بسيطة ، وانما كانت الى جانب ذلك شيئا آخر ، وان كان من العسير ان يقال ماهو ذلك الشيء بالضبط ..انه يحوم حولها سر غريب ، وهو الذى يمنع من كشف غايتها واعمالها ووسائلها ، ولكن الأمر المؤكد هو أن اخوان الصفاء كانت لديهم ادوات اخرى للدعاية غير مؤلفاتهم ، بل ان هذه المؤلفات نفسها لم تقل كل شيء عنهم ، ولم توضح كيف كانوا ، ولا

---

(٣) دفع ومنع .
(٤) الامتاع والمؤانسة – ح ٢ ص ٦/٤ .
(٥) رسائل اخوان الصفاء – مقدمة طبعة بيروت وصادر سنة ١٩٥٧ – ص ٥ .
(٦) دائرة المعارف الاسلامية – دار الشعب سنة ١٩٦٩ – المجلد الثانى – ص ٤٥٢ .

ماذا كانوا يفعلون ، ولكنهم كانوا يشتغلون بالسياسة » ..

واذا البارون يؤكد ما ذهب اليه التوحيدى ، وما ذاع « بين الخاصة والعامة » ، وما حدث به دى بور ، وما أكده الدكتور طه حسين ، فيما أورده الدكتور غلاب ، فقد « كان هؤلاء الناس اذن يعملون من وراء ستار ، ويؤلفون جماعة سرية ، وكان قوام جماعتهم هذه ـ فيما نظهر ـ سياسيا وعقليا ، فهم يريدون قلب النظام السياسى المسيطر على العالم الاسلامى يومئذ ، وهم يتوسلون الى ذلك بقلب النظام العقلى المسيطر على حياة المسلمين ايضا .. وهم يسلكون فى ذلك مسلك جماعات سبقتهم فى العالم القديم ، أظهرها جماعة الفيثاغوريين فى المستعمرات الايطالية » .

ولم تعد للدكتور غلاب حجة ، الا « انهم كلهم حكماء ، اجتمعوا وصنفوا احدى وخمسين رسالة » كما قال صاحب كشف الظنون ، ومن ثم لم يكن لهم سبيل الى العامة الذين ينهض على كواهلهم العمل السياسى ، فقال : « واحسب ان كلمة «كلهم» هنا لاتدع مجالا للشك فى انه لم يكن بين اولئك الأعضاء دخيل جاهل ، ولا غنى غبى » (٧) ..

وصاحب كشف الظنون ليس الحجة القاطعة فى هذا المجال ، كما ان عبارة « الحكماء » لاتنفى الاشتغال بالسياسة ، وكونهم اشتغلوا بالسياسة ولم يفلحوا فيها لعدم اتصالهم بالعامة قضية اخرى .. ونحن اذا اخذنا فى الاعتبار ان هؤلاء القوم كانوا على صلة بافلاطون الذى جعل الحكماء على قمة المشتغلين بالسياسة ، واذا كانت الحكمة تجربة حياة ، والحياة ابان ظهور الجماعة كانت تنتفض بتطلعات سياسية ، على مستويات مختلفة ـ لم يشق علينا الاطمئنان الى هذه الحقيقة ..

هذا على حين ان عبارة الرسائل تفيد القيام بدور سياسى ، كما تفيد تأثرهم بالفكر الافلاطونى اذ تقول « انه قد تناهت دولة اهل الشر ، وظهرت قوتهم ، وكثرت افعالهم فى العالم ، فى هذا الزمان . وليس بعد التناهى فى الزيادة الا الانحطاط والنقصان .. واعلم بأن الدولة والملك ينتقلان فى كل دهر وزمان ودور وقران ، من امة الى امة ، ومن اهل بيت الى اهل بيت ، ومن بلد الى بلد ..

« واعلم يا اخى ان دولة الخير يبدأ أولها من قوم علماء حكماء وخيار فضلاء ، يجتمعون على راى واحد ، ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد ، ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا الا يتجادلوا ، ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضا ، ويكونون كرجل واحد فى جميع امورهم ، وكنفس واحدة فى جميع تدبيرهم فيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة ، لا يبتغون سوى وجه الله ورضوانه جزاء ولا شكورا ، فهل لك ايها الأخ البار الحكيم ، ايدك الله وايانا بروح منه ، بان ترغب فى صحبة اخوان لك نصحاء ، واصدقاء لك اخيار ، هذه صفتهم ، بان تقصد مقصدهم ، وتتخلق باخلاقهم وتنظر فى علومهم ، لتعرف مناهجهم ، وتكون معهم ، وتنجو بمفازاتهم ، لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون » (٨) .

فالمقدمة التى تتحدث عن انتقال الدولة « من امة الى امة ، ومن اهل بيت الى اهل بيت آخر » ، وتقرر ان « دولة الشر » آخذة فى « الانحطاط والنقصان » ـ هذه المقدمة تؤذن بقيام

---

(٧) د . محمد غلاب ـ اخوان الصفاء ـ المكتبة الثقافية ـ يناير سنة ١٩٦٨ ص ١٦/٩ .

(٨) رسائل اخوان الصفاء ـ ج ١ ص ١٨١/١٨٢

«دولة الخير » ، التي يقوم عليهـــا « علماء حكماء وخيار فضلاء »، ومن ثم كانت الدعوة إلى هذه الدولةبعهد وميثاق « الا يتجادلوا ،ولا تتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضا ، ويكــونون كرجل واحد فيجميع امورهم ،وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم ، فيمـــا يقصدون مننصرة الدين وطلبالآخرة» ولاريب في انه لا تقتصر نصرة الدين على الوعظ والارشاد ، مادام الهدف ازالة دولة الشر « بعــد التنـاهي في الزيادة » ..

ولا يمكن أن نطلب الى «القوم»ــ في دولة قامت على السيف ــ ان يدعوا الى انفسهم بطريقة اكثر وضوحـــا مما فعلوا . .

٢ ـ تقويم الرسائل ..

سبقت الاشارة الى رأي التوحيدي فيها بأنها « مبثوثة من كل فن نتفا ، بلا اشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتليفقات وتلزيقات ، وقــد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأعليها» .. وسبق ما أورده التوحيـــدى على لسان ابي ســـليمان المنطقي السجستاني ، بعد ان نظر فيها اياما، واختبرها طويلا ، من أنهم « تعبــوا وما اغنوا ونصبوا وماأجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ،ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا فغلفلوا .. الخ » ..

وجاء بطرس البستاني ليقـــول : « جاءت مباحثهم وآراؤهم متراخيــة مفككة ، منتشرة هنا وهناك ، فيهـــا عود وتكرار ، ومـــزج غريب ، اختلطت فيه الفلسفة التقليدية والعلــــوم الرياضية والطبيعية بخرافات مـــن السحر والتنجيم ، وحكـايات تشبه امثال كليلة ودمنة وأسمار الف ليلة وليلة فجاء فيها من كل فن خبر ،حتى جعلها المستشرق دي بور اشبهبدائرة معارف «٩» : « لاشتمالها على مجمل ما انتهت اليه علوم الاقدمين وعقائدهم، على غير تعمق في عرض المسائلوبحثها وحلها ، مع ما يتخللها من الـــرموز والأحاجي التي يتوه القـــــارىء في دياميسها »ص ١٩ــ٢٠

لكن الدكتور غلاب يبالغ فيوصفها، فيقول : « من روائع المنتجاتالعملاقية المجهولة القيمة ، المهضومة التقـدم ، بل هي في رأينا انفس وأعمق وانفع من دائرة المعارف الفرنسية الأولىالتي تباهي بها اهلهـا حتى رفعـوها الى السماء ، ولا تزال اوداجهم تنتفخ بهـا حتى الآن » ..

ويقول : « موسوعة اخوانالصفاء تمتاز بالرجاحة العقلـــــة التي تبرز بوضوح في معالجة النظرياتالفلسفة الرفيعة ، وتبدو في كل صفحاتهامعالم الروحية السامية ، ولكن في اعتـدال واتزان ،لا بنسيانها نصيبها مندنيـا الحسيات والواقعيات » ..

ويقول : « واخص ما تمتاز به هذه الرسائل هو البساطة واليسر وسهولة المأخذ وعذوبة الأســـلوب ، وتجنب الاصطلاحات الفنية التي هي احـدى العقبات الكئود التي تعترض الـــادئين في دراسة الفلسفة ، فتعوقهم عـــن الاستمرار فيهـــا ، بل تنفرهم منها »

● للبحث بقية ●

---

(٩) عبارة دى بور (وهذه الرسائل تشــبه في الظاهر موسوعة في العلوم المختلفة) دائرة المعارف الاسلامية ـ حـ ٢ ص ٤٥٤ .

رحلة حياة وأدب مع :

الدكتور لويس عوض

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

في مثل الشهر الماضي من خمسة وستين عاما ، اي سنة ١٩١٥ بدأت رحلة لويس عوض مع الحياة ،وهي رحلة طويلة ممتعة رغم ما شابها من المرارات ومثمرة لصاحبها وللناس ، فقد اسهم خلالها لويس عوض في بناء الفكر العربي المعاصر بنصيب وافر ..
ويسعدنا ان نبعث اليه من ((الهلال)) بتحية بهذه المناسبة راجين أن تستمر تجربة لويس عوض موفقة مع الحياة فياضة بالصحة والعافية والعطاء .

الحق، الواجب ، وجهان لعملة واحدة .. وهما يشكلان حياة الانسان ....

حول هذا المعنى ،حق الجيل الجديد، من الادباء الناشئين وواجب الجيل الرائد .. جيل الأساتذة ـ قال لى أنيس منصور :

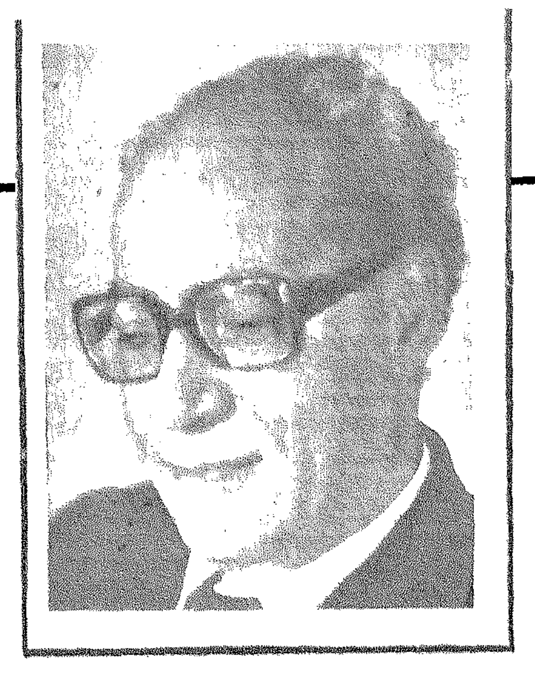
((لايوجد حق يكفله قانون طبيعى او وضعى يعطى الجيل الجديد من الأدباء الحق فى ان يقطعوا علينا خلوتنا الفكرية ، لكى نناقش كتاباتهم او افكارهم او انتاجهم ..
واذا كانوا يريدون النصيحة فعليهم بقراءة كتاباتنا ، فكل منا يمثل اسلوبا ادبيا او مدرسة ادبية ..))

فمن هنا نبدا الحوار معك ..
فماذا يقول الدكتور لويس عوض ؟

ـ أوافق انيس منصور في الشطر الاول من كلامه .. وانه ليس من حق اديب ناشىء ان يقتحم على الأدباء الكبار عزلتهم او يرهقهم بالمطاردة لكى يقراوا عمله او اعماله ..

وانما فى الوقت نفسه ينبغي على كبار الأدباء ان يكونوا فى حالة يقظة دائمة لانتاج الأدباء الشبان من تلقاء انفسهم .. لان هذا جزء من واجبهم الادبى ، اعنى اكتشاف المواهب الجديدة ورعايتها ، وتوجيهها . اذا كانت راضية بالتوجيه .

اقول تلقائيا ، لأن كبار الادباء كثيرا ما يجدون عنتا وارهاقا من صغار



د . لويس عوض

الأدباء الناشئين ، لكى يتركوا اعمالهم الناجزة او قراءاتهم المتصلة لـكى يتفرغوا لدراسة أعمال الناشئين ..

وانا اذكر عندما كنت شـابا ، انى كنت على صلة كافيـة بكبار الأدباء الرواد .. العقاد ، وطه حسـين ، وسلامه موسى ..

أما محمد حسين هيكل فلم يتح لى ان اعرفه ، لسوء حظى ، ومع ذلـك كنت اراه لأستمع اليه واحيانا لاناقشه فيما يكتب .. ولم يخطر ببـالى ابدا ان انتظر من العقاد او طه حسـين اوسلامة موسى ان يكتبوا عنى او يقدموننى للقراء . فالذى يقدم الكاتب لقارئه ، هو عمله ، وليس مقالات التزكيـة او خطـابات التوصية ، وكثير من الأدباء الشبان يتصورون أن الاعتراف الادبى فى الحياة الأدبية شىء شبيه بالحصول على وظيفة .. تذهب الى فلان أو غيره ليعطيك خطاب توصية لكى تحصل على هذه الوظيفة .. وهذا تفكير عقيم .. ثم انـه لا يشرف أى اديب ناشىء ان يجىء الاعتراف به عن طـريق الواسطة ..

كل هذا لا يعفى كبـار الأدباء من متابعة الحياة الأدبية الجديدة ، فاذا وجدوا ما يستلزم الكتابة عن كاتب او اتجاه فعلوا هذا تلقائيا بدافـع من احساسهم بالواجب ، لا نحـو الأديب الناشىء ولكن نحو الأدب ومستقبله ..

وأما الشطر الثانى من كـلام انيس منصور ، وهو صديق اعتز بصداقته — فانا لا اوافق عليه . لا اوافـق على أن حل مشكلة الأدباء الشبان هو ان يقرأوا اعمال الأدباء الشيوخ ..

انما حلها يكون بتوجيههم الى الاطلاع على الأدب العالمى والفكر العالمى والفن العالمى .. ولعلى لا ابـالغ ان قلت لك ان روادنا سـواء الجيـل الأول او الجيل الثانى .. الجيل الأول مثل طه حسين والعقاد وسلامه موسى والثانى مثل مندور وعبد الرحمن بدوى ، لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا من خـلال استيعابهم للتراث الانسانى فى مجملـه من مصر القديمة الى اليونان القديمة الى الآداب اللاتينية ، ومـن أدب الانجليز والفرنسيين والالمان والايطاليين الى أدب الروس ..

واجدر بنا ان نوجه الشـباب الى الاتجاه مباشرة نحو الأصـول لا الى الاستماع الى الاصداء ، لأن قـراءة

الاصول تفجر فى نفوس الشباب ينابيع الخلق الحقيقية اكثر مما تفجره قراءة المتاثرين بهذه الاصول .. وليس معنى هذا ان الجيل الرائد من طبقات الادباء المختلفة ليست لهم وظيفة ، فهم حلقة وصل او جسور بين ابناء العالم العربى وبين الحضارات العالمية ، فهم اشبه شيء بالمفاتيح التى تساعد على دخول هذه القصور المسحورة ..

انا مثلا عندما كنت شابا كان منهجى ان اقرأ ماقاله طه حسين عن المعرى .. وما ان اتم هـذا حتى اذهب الى دار الكتب واستعير دواوين المعرى واحدا بعد الآخر .. او اقرا كتاب العقاد عن ابن الرومى ، ثم اشترى ديوان ابن الرومى واعكف عليه . وبهذا يكون لدى المتن فى اصله والاضواء الكشافة الملقاة عليه من عقلية رجل او رجال متوازنين فى الثقافة واصحاب الخبرة فى الأدب .. كنت اقرا مقالات سلامة موسى عن فرويد او عن داروين وما ان افرغ منها حتى اقبل على دراسة محاضرات فرويد فى التحليل النفسى واعماله التى يبسط فيها نظرياته عن اللاوعى .. او اقرا كتاب اصل الانواع ، وما تفرع عنه من فلسفات ككتب « سبنسر » وغيرها .. هذا هو المنهج الذى انصح شبابنا بأن يتبعه ، ان ينظر الينا نظرته الى مفاتيح الى معرفة ، والا يكتفى بقراءتنا فما نحن الا مداخل لثقافة عالمية .

ويتواصل الحوار مع الدكتور لويس عوض حول الحركة الأدبية ومسارها الفكرى الآن وكيفية تحديد هذا المسار حول خلو الساحة الأدبية من النقد والنقاد ..

يقول الدكتور لويس :

ـ مصر الآن تعيش فى مرحلة انتقال بين دورة تاريخية ودورة تاريخية اخرى . وفى ازمنة الانتقال عادة يوجد فراغ تتخلق فيه القيم الجديدة والآداب الجديدة والفنون الجديدة . وانا لست ممن يدينون جيل الشباب ، على العكس من ذلك ، انا ارى ان هناك بدايات كثيرة مبشرة بالخير ويمكن ان تنضج مستقبلا فتكون جيلا راسخا من الأدباء والفنانين ..

ولكن هذا بحاجة الى حيز من الزمن والى قدرة الجيل الجديد على ان ينفتح ثقافيا على حضارات العالم وآدابه وفنونه .. لا فضل لنا عليهم وكل ما نستطيع أن نقوله ان ظروفنا افضل من ظروفهم لان سبل المعرفة والاطلاع على الحضارات الأخرى كانت متاحة لنا ، ثم الاستقرار النفسى والضمانات الفكرية كانت متوفرة لدينا بصورة اكبر .. مما هى متوفرة فى المجتمع الحالى .

المجتمع الذى نشأت فيه شخصيا كان مجتمعا قائما على الحوار الملازم للنظام الديمقراطى الليبرالى ، الحوار فى السياسة ، فى الايديولوجيات ، فى مدارس الفن والادب ، فى القيم الاجتماعية والثقافية وفى كل شيء ..

ثم ان سبيل السفر الى الخارج كان ميسورا لنا وكنا نجد الرعاية والتوجيه من اساتذتنا ، ويخيل الى ان هذا يمثل صعوبة خاصة بالنسبة لجيل الشباب لان اكثر اصحاب العقول الراجحة مجردون من السلطة وبالتالى لا يستطيعون ان يرعوا احدا وهو ما كان متوفرا لجيل آبائنا الروحيين فى طه حسين ، واحمد امين ، ولطفى السيد ،

وغيرهم وغيرهم .. كانوا فى زمانهم فى موقع السلطة بحيث يستطيعون ان يرعوا المواهب الجديدة بايفادها الى الخارج فى بعثات طويلة الأجل او بمساعدتها على الاستقرار الوظيفي حتى تتمكن من النضج والانتاج ..

***

عود على بدء ، حول العلاقة بين الأجيال الرائدة والشابة .. يتحدث البعض عن الحرية الكافية لكى تخرج الأفكار الجديدة الى حيز النور من جانب الشباب المجدد . ويقول ان الكبار يفرضون وصاية تضفى الجمود على الحركة الفكرية .. وليست لهم طاقة على تقبل الجديد . . فما الذى يراه لويس عوض - وهو الثائر الرومانسى العقلانى التفكير ؟

- هذا منطق الحياة فى كل بلاد العالم .. ليس هناك جيل ينتحر بنفسه ، المشكلة ليست فى رغبة الجيل القديم فى الاستمرار او فى رغبته فى فرض الوصاية على الأجيال الجديدة ..

هذه طبعا نظرة متخلفة ولكنها من طبيعة الأشياء فى البلاد المتخلفة خاصة ان كل اب يريد ان يكون ابنه نسخة مكررة منه .

بل اكثر من هذا فان بعض الناس يكرهون ابناءهم على تحقيق ماعجزوا هم عن تحقيقه ،

الأب الذى كان يحلم بان يكون مهندسا او طبيبا ولكنه اضطر الى تقلد وظيفة كتابية لاسباب العيش ، نجده يكره ابنه على ان يكون طبيبا او مهندسا ، ولو كان ابنه يريد ان يكون شاعرا او فنانا ... !

وكلما ارتقى الانسان ، تجرد من هذه الرؤية ، وانا اعتبر ان الجيل الجديد

له حق تقرير المصير ..

ويمكن القول ان مشكلة الأجيال تكمن فى ان الجيل الجديد عادة مايعبر عن نفسه عن طريق الثورة على القدماء .. الجيل الابن فى العادة يؤكد ذاته بتحدى الجيل الأب . لكى يسمعه صوته ويلتفت الناس الى ما يحمله من قيم جديدة ، ولا يكتفى بالشكوى كما يفعل أدباؤنا الشبان . والجيل الجديد ملوم لانه ناقص فى الثورية والقدرة على التحدى وفى الرغبة فى التضحية من اجل ما يمثله من قيم جديدة ، وهو يريد كل شىء ان يأتيه من الجيل القديم مثل الموزة المقشرة او يظل يضيع وقته فى الندب او فى مؤاخذة الاباء والأجداد ..

وانما احب ان انبه الى ان الثورة الصحيحة شىء والفوضى شىء آخر ، فليس كافيا أن تقول ان جيل طه حسين او العقاد مثلا طغاة اديبون ويجب عزلهم ، هذا ليس من حقك أن تفعله الا اذا كنت قد اهتديت الى نظام جديد فى الأدب يحل محل القديم ، نظام فى الأدب فى النقد فى القيم الاجتماعية الخ ..

اما الاكتفاء بالتحطيم فهذا يضر اكثر مما ينفع ، فانا احب ان ارى كاتب قصة شاب يتحدى نجيب محفوظ ويقول - لا يا أستاذ نجيب ما هكذا تكتب القصة ، وانما القصة يجب ان تكتب على الأسس التالية .. كذا وكذا .. وكذا .

لكن الاكتفاء بمهاجمة نجيب محفوظ او توفيق الحكيم او اى قطب من هؤلاء دون ان يكون عندك ماتحله محل القديم .. فهذا مرادف للفوضى .. والمراهقة الفكرية ..

رحلة حياة وأدب مع:
الدكتور لويس عوض

لايزال الحوار ممتدا بيني وبين الدكتور لويس عوض حول : الأدب في سبيل الحياة او في سبيل المجتمع ، وهل الفن للفن خرافة .. وما هو الراى في كتابات « أوسكار وايلد » ، والتي يرى فيهاان الفن للمتعة فقط..

يقول الدكتور لويس عوض ..

ـ الفن طريق لرقي الانسان بتكوين القيم الراقية ، وقد كان صديقي المرحوم الدكتور محمد مندور يخطيء عندما يفسر قول ارسطو ان غاية الفن هي الأخلاق بمعنى أن الفنيبشر بالقيم الاخلاقية ، انا لا اعتقد ان ارسطو قصد هذا المعنى ..الفن اخلاقيبمعنى اكثر تعقيدا ..

فاعتقادىّ ان الذى قصده ارسطو هو ان التراجيديا تجعل المشاهد يتقمص شخصية البطل الآثم ، ويمر في كافة أدوار صعوده وانهياره . فاذا ما فعل هذا تطهرت نفسه بما كان يسميه ارسطو عملية « التطهير » وبعبارة اخرى ان بطل التراجيديا .. بطل وليس وغداً .. «ماكبث» بطل وليس مجرد سفاح ، « عطيل » بطل وليس مجرد مجنون بالغيرة وهكذا .

فالذى يحدث هو أن المشاهد بتقمصه شخصية البطل نجده يتعاظم مع البطل حتي يبلغ القمة ثم يتعذب مع البطل ويدفع ثمن خطيئته عند انهياره او مصرعه ..

لان بذور الخطيئة موجودة في كل منا .. وقد كان اليونانيون يعتقدون أن الكبرياء او ما يسمونه «الهوبيرس» هو أس سقوط الانسان ، سقوط الأبطال بصفة خاصة ، الطموح الفائق عن العادة ، والتاله ، احساس الانسان بانه فوق القدر وبانه يستطيع انيصوغ كل شيء وفق ارادته وان يتحدى السماء نفسها كما نجد مثلا في حالة « فاوست » أو « بروميثيوس » أو « ماكبث » هنا تلقنه الالهة الدرس الخالد ، وهو ان كل تجاوز للحدود المرسومة للانسان يتبعه القصاص الفظيع .. أجا ممنون مثلا لانه قدم ابنته قربانا للالهة كان جبارا امتلا بغرائز القائد الذى يريد أن يحرز النصر على الطرواديين باى ثمن ولوكان بذبح ابنته أرضاء لاله السحر حتى يتحرك الأسطول ..

نفس الأمر بالنسبة لماكبث . . كان قائدا عظيما وصاحب ولاء أعظم لملكه ووطنه ، وصاحب امجاد عسكرية ولكنه تجاوز الحدود المسموح بها لطموح الانسان ، فصدق كلام الساحرات بانه سيكون ملكا على انجلترا ، وقتل ملكه فدفع الثمن. ثمن خطيئته وثمن جريمته ..

كل منا فيه شيءمن اجا ممنون وماكبث ومن غيرة عطيل ، وهكذا . ونحن حين نرى هؤلاء الابطال يصرعون امامنا على المسرح نتطهر من هذا النقص بتقمص شخصياتهم ، وهذا التطهير يمثل أخلاقية الفن ، فالفن اخلاقي دون أن يعظ الناس بمكارم الاخلاق .

وعندها اقول أيضا ان الفن يجب أن يكون في سبيل الحياة وليس في سبيل المجتمع لأن الحياة اعم كثيرامن المجتمع .

الفن في سبيل المجتمع قد ينتهي

بأن يصبح دعوة مادية بحتة، اما الفن في سبيل الحياة فانه يشتمل على الوجه المادي والروحي لهذه الحياة ..

ولم يمر الكلام عن التطهر والتطهير امام عيني مرورا عابرا ، بل جرني — وخصوصا موقف « بروميثيوس .. » وهي الاسطورة التي اخذ عليها لويس عوض درجة الدكتوراه — الى التطرق الى الفلسفة الوجودية ، فالدكتور لويس يرفض الفلسفة الوجودية لانها تقوم على فلسفة العملاق المعاصر ، في حين انها تؤكد على الحرية والاختيار ، وقد وضح ذلك في مسرحية : الله والشيطان التي كتبها سارتر .. فسألته :

رغم انك تعتنق الانسان وتزكي فيه شعلة الحرية ، تعود لترى ان عليه أن يتطهر بتقديم نفسه بحريته واختياره قربانا لقوى اقوى منه .. كما حدث بالنسبة لبروميثيوس ، الذي بعد ان لعن جوبيتر ندم « بعد ان صقل الالم نفسه واصاب الحكمة من شقائه » فهل نكتفي بالسلبية أم نخوض التجربة رغم معاناتها ؟

يقول الدكتور لويس عوض :

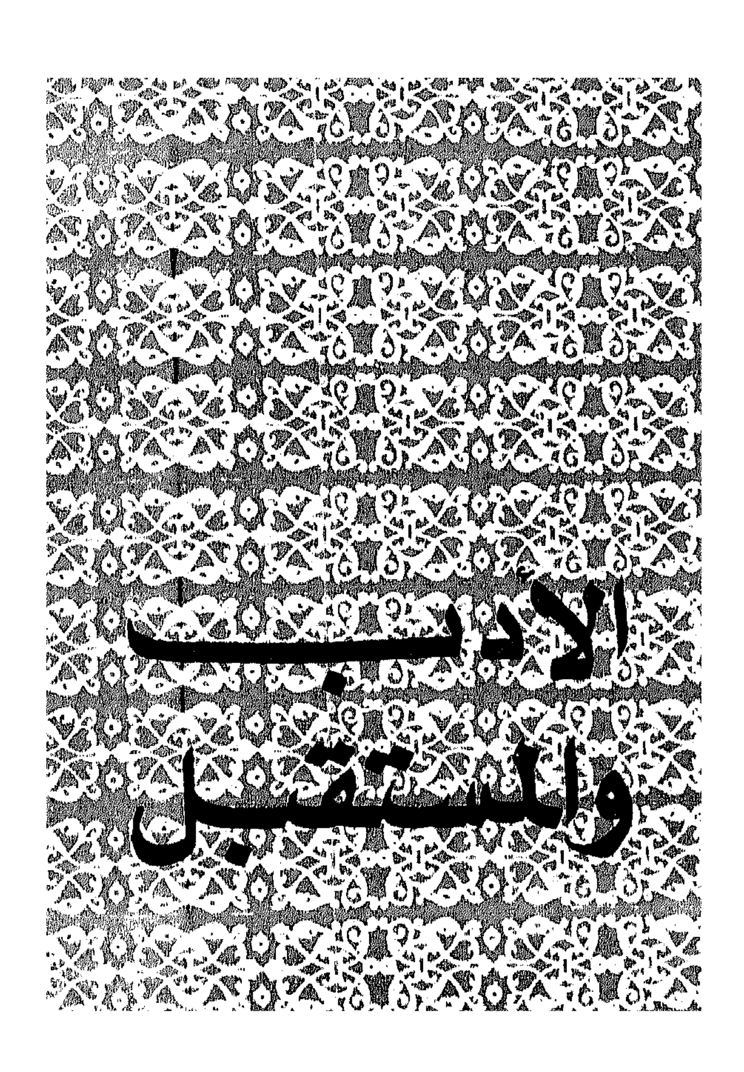
— انا ارى ان مشكلة الوجودية في نظري على الأقل عند رجل مثل البيركامي وفي بعض الاحيان عند سارتر .. ان فيها تناقضا بين دعوى ان الانسان سيد مصيره وان الاختيار واجب اخلاقي على الانسان ، وبين النظرية الوجودية الأصلية .. القائمة على نظرية القلق الدائم ، الذي يقوم على امتناع الانسان عن الاختيار لأن الاختيار فيهما يسمى الاسقاط، اسقاط النفس الى الخارج .

.. والاسقاط الى الخارج يحدد دوائر الاختيار وبالتالي يفقر نفس الانسان .. وهذا ما جعل بعضهم ينظر الى شخصية « هاملت » على انها المثل الاعلى للانسان الوجودي بسبب تردده المستمر بين الثأر واللا ثأر . والفكرة في هذا ان هاملت لو اختار احد الطريقين، لحل المشكلة بسهولة وتحول من انسان خصب النفس متعدد الامكانيات يستطيع ان يفعل هذا وذاك الى انسان محدود فقير النفس وانتهت أمكانياته بالاختيار .. ولقد عجز سارتر في التوفيق بين القلق الوجودي ، وحل القلق الوجودي بالاختيار الذي يتضمن الفقر في القلق

اما « بروميثيوس » فان نص اسخيلوس مفقود ، ولا ندري .. اذا كانت النهاية التي يتضمنها نص « بروميثيوس طليقا » لشيللي ، هي نفس ما انتهت اليه احداث اسطورة اسخيلوس ام لا .. من هنا فان الحكمة التي أصابها بروميثيوس هي المعرفة .. وقد ظل يقاوم حتى نهاية .. تلك الفترة التي بدأ فيها رحلة الندم ..

وفي رأيي ان السلبية نوع من العجز ولا اقول بها . ولكن بخوض التجربة ومعاناة احداثها ..

وعندما ينتهي الحوار .. مع المفكر الدكتور لويس عوض ، احييه واهنئه بمناسبة عيد ميلاده الخامس والستين ففي مثل الشهر الماضي من عام ١٩١٥ بدأت رحلة حياة المفكر الكبير ليجوب بعد ذلك بحار الثقافة ويضرب في اعماق المعرفة .



● استطرادا لما بدأنا فى عدد « الهلال » قبل الماضى ، وتكملة لهذا الاستفتاء الادبى حــول الأدب والمستقبل ـ نقدم هنا آراء لفيف من الأدباء والمفكرين ـ اجابة عن هذين السؤالين :

● فى زحام وسائل العصر ، وما يشغل الانسان ، ومع انتشار السينما والاذاعة والتليفزيون ـ ما هو ، فى رأيك مستقبل الادب؟

● وفى مجال البحث عن قوالب وافكار جديدة لكتابة القصــة والرواية والكتاب والشعر والدراسة ـ ما هو تصورك للقــوالب والأفكار التى تلائم هذا العصر ؟ ..

● اعداد : موريس عزيز ●

المضامين التى تتفوق فيها الكلمة وتعجز عنها الصورة

● نجيب محفوظ ●

ما هو مستقبل الأدب فى عصر الاذاعة والتليفزيون والسينما ؟

اولا : ان وسيلة الأدب ، وهى الكلمة المكتوبة ، وسيلة فذة لا يغنى عنها غيرها ... وهى تمتاز بالقدرة على التغلغل فى النفس والفكر بقوة لا تتساح لها فى الوسائل الأخرى ...

كما انها تمتاز بانها تدعو القارىء الى التخيل وقدر من الابداع ، بخلاف الوسائل العصرية التى تفرض عليه سلبية مطلقة ...

كما انه توجد آثار ادبية لا يمكن نقلها الى الوسائل الاخرى لصعوبتها ، فهى وقف على الكتاب دون غيره .

ثانيا : ان الوسائل العصرية ليست منافسة للكلمة المكتوبة باطلاق فهى أيضا تكون فى خدمتها فتحول القصص والأشعار الى صور ومسموعات وتضيف الى روادها ملايين ممن لا يستطيعون أو لا يحبون القراءة ...

ثالثا : انه على الأدب أن يتوافق مع عصره ، وذلك بأن يتخصص ما أمكن فى المضامين التى تتفوق فيها الكلمة وتعجز عنها الصورة ، مثل التأملات والفكر ، كما انه عليه أن يستعير منهما صفات التركيز وغيره مما تتصف به هذه الوسائل الحديثة ، وأن يقلل مما يعجز عن منافستها فيه كالوصف والعرض .

رابعا : على الوسائل العصرية ان ترفع من مستواها ، أن تستهدف الفن الرفيع والفكر العميق حتى يكون انتصارها انتصارا للروح الانسانية لا لخسارة لها .

سيكون هناك الأدب المستعجل الموجز

● محمد زكى عبد القادر ●

لابد ان يتاثر مستقبل الأدب فى مصر والعالم بالاذاعة والسينما والتليفزيون ، فهى تؤثر فيه وتتاثر به . وان كنا لم نذكر الصحافة ، ولعلك اهملتها لأنها وسيلة قديمة من وسائل الاعلام ، ولكنها فى الوقت نفسه متطورة ، ومتطورة بسرعة ... وأثر الصحافة فى الأدب ربما كان أشد من اثر الاذاعة والسينما والتليفزيون . فهذه الوسائل الأربع تتفاعل مع بعضها تفاعلا مستمرا ولعلك تقرأ او تسمع او ترى ما يسمى بالأدب الاذاعى او التليفزيونى او السينمائى ، وهو ادب مسرع فى التطور بسرعة هذه الأجهزة فى التطور .

وتوجد الآن ما تسمى بالقصة

الأدب والمستقبل

الاذاعية والسينمائية والتليفزيونية . بل وكذا اقول القصة الصحفية ... ولكل من هذه الأنواع قوالب وسمات تتفق مع الجهاز الذى يتولى الاذاعة أو النشر .

والذى ارى ان كل هذه الأنواع لن تحجب ادب الكتاب فستظل له الصدارة والاهمية والمذاق الذى يكون للعمل الأدبي الخالص المتميز بالعمق والهدوء والتأنى واستخلاص ما فى النفس والوجدان والعقل من انفعالات ، وبذلك يظل هو الأدب النقى الذى تكتب له الحياة والتأثير على الرغم من انه يكون اقل انتشارا من الأنواع الأخرى التى تفرزها الاذاعة والصحافة والسينما والتليفزيون .

والأدب كائن حي يستمد حياته من النشر وسعة الانتشار . واغلب ظنى أن الأدب فى المستقبل ستكون سمته السرعة والايجاز حتى يتلاءم مع سمة العصر .

ثم لا ينبغى ان ننسى نبض الحياة فى العالم المعاصر وهو نبض وصفه المفكرون بانه نبض يدخل فيه العلم والتكنولوجيا .

ثم ان الحياة فى هذا العصر وما يقبل من عصور ستكون مشحونة بالاهتمامات المتعددة التى تتقاسم وقت القارىء واهتماماته ، ولست استطيع ان اقطع على اية صورة سيكون شكل الادب وقوالبه وصوره ، فانه لابد ان يساير العصر ...

ولكن الذى استطيع ان اقطع به هو ان الأدب سيظل عنصرا أساسيا فى حياة الانسان ، وان التكنولوجيا والعلم والاختراع الذى قد يغير من حياة الانسان تغيرا لا يعرف أحد مداه ، فمهما يكن هذا التغيير فان الانسان لن يتخلى عن التعبير عن نفسه وخوالجها وانفعالاته على الصورة التى ترضى فيه النزعة الأدبية التى هى نزعة طبيعية ..

وأما عن القوالب والأفكار الجديدة التى يمكن أن تطرأ على القصة والكتاب والرواية والشعر والدراسة . والذى لا أرتاب فيه انه لابد أن تكون هناك قوالب وافكار جديدة لهذه الفنون جميعا .

فان استقراء تاريخها وتطورها فى العصور الماضية يؤكد انها لابد أن تتطور فى العصور المقبلة .

على انني يخيل الى مما وقع من تطور فى السنوات الأخيرة انه لابد أن يوائم الأدب بفنونه المختلفة من قصة ورواية وشعر ومسرح – يوائم العصر بايجاز ، والبعد عن التطويل والوصف والدخول فى دقائق قد يحتملها العصر ، ويمكن أن يستبدل بها التعبير الموجز المفيد الذى يصوب الى المعنى المقصود مباشرة ، وان كان هذا سيجىء على حساب دقة التعبير وجماله . **فقد يكون من متطلبات هذا وذاك الافاضة فى الوصف والتحليل وبلوغ كوامن النفس الانسانية .**

ومن اجل هذا اعتقد انه سيكون هناك نوعان من الأدب :

١ – الأدب المتعجل الموجز ، الذى لا يهتم كثيرا بالدقة وجمال التعبير ، ولكن يرضي عادة الكثرة ممن يرضيهم ان ياخذوا من كل شىء السطح والمتعة العاجلة .

٢ – ادب آخر هو الأدوم والابقى والأعظم متعة وجمالا ، يجرى على ما يجرى عليه الأدب الصحيح عادة من الاحتفال بالقالب بنفس الدرجة التى يحتفل بها بالمضمون .

روائع الفكر والأدب ولدت في زحام العصر

● محمد عبد الغنى حسن ●

اشم من سؤالك هنا ريح القلق على الأدب ، والاشفاق عليه ، والخوف على مصيره في وسط زحام العصر ومشاغله التي لا تكاد تترك للمرء متنفسا فى حياة ادبية يظفر بها كما كان يظفر بهـا الناس قبلنا ، حيث كان البال رخيا ، والعيش رضيا .. ثم لم يكتف بهـذا الكابوس الثقيل من أعباء الحيـاة المعاصرة،بل اضيفت اليه اثقال السينما والاذاعة والتليفزيون . واظنك - ان لم يخطىء حدسى - انك لست مشفقا على الأدب وحده ، بل أكاد المس اشفاقك على مصير (الـكتاب) و (المجلة) ، وهما المجالان الظاهران لاحتواء الادب وعرضه على اختلاف فنونه وصوره من مقالة ، ودراسة ، وقصيدة ، وقصـة ، وخاطرة ادبية ، ونقد وما اليه من الوان تجد مجالهـا الرحب فى الـكتاب والمجلة .

ولا اكتمك يا اخي انني لا أرى داعيا لهذا القلق والاشفاق ... فالأدب بخير فى حاضره ، وبخير فى مستقبله ... ولا يأتيه الخوف والقلق من ناحية تلك العوامل والظروف المحيطة التى ظننتها شرا عليه ، ولكن الخـوف والضعف يأتيانه من ناحية نفسـه هو ... فاذا كان الأدب قويا فى ذاته ، خالصـا فى ذاته فلا خوف عليه من سينما تنافسه، أو تليفزيون يزاحمه . وهل تصد الأعمال الأدبية الجليلة او الجيدة انسانا جادا مخلصا من ان يستمتع بها وان يتطلبها قارئا لها ، متمعنا فيها ؟

وما كانت الســينما والاذاعة والتليفزيون ادبا ، ولكنها وسائل قصـد بها الترفيه والتسلية اولا ، أما الادب فلا شأن له بها ولا شأن لها به الا من حيث انها فى بعض حالاتها تمثيل للأدب او لنـوع من الادب - وهو القصة والرواية ، واخراج لهما على هيئة فيلم أو تمثيلية . على أن هذه التمثيليات والمسلسلات الاذاعيـة والتليفزيونية لا تغنى عن الأصل الأدبى المكتوب أو المطبوع شيئا ...

صحيح يا اخى اننا نستمتع بمسلسل « الأيام » للدكتـور طه حسين على شاشة التليفزيون ، ولكن أتظن أن هذا المسلسل ، مرئيا او مسموعا ، يغنينا عن « كتاب » الأيام مقروءا ؟ ان الأديب الحق وطـالب الأدب لا يكتفى برؤية (الأيام) على الشاشتين : الـكبيرة والصغيرة ، ولكنه يجرى وراء كتـاب الأيام ليقرأه ، ويعيد النظر فيه .

فان الأدباء الأصلاء سيظلون يقرأون وسيظلون يصاحبون الكتاب والمجلة فى هدأتهم وفى أوقات فراغهم ، وفى أوقات درسهم ودراستهم .

الحق اننا نستفيد من الاذاعةواختيها انها تحيل بعض الاعمال والروائع الأدبية المطبوعة الى صور ومشـاهد مرئية ومسموعة وجميلة ، ولكنها لا تصرفنـا بحال عن تلك القطع الادبية .

اما زحامات العصر الحديث ومشاغله فانها زحامات العصور القديمة ومشاغلها، بل هى مشاغل (الانسان) كله فى كل زمان ومكان ... ولقد خلق الله الانسان فى (كبد) ـ كما يقول فى محكم كتابه ـ فهو شقي بهمومه وشواغله ومشاكله حتى فى أهدأ العصور ، وأهدأ الأزمنة وأقلها ازدحاما بمشاغل الحياة ..

ولكن هل منعت تلك الزحامات المكتظة اديبا قديما او معاصرا ان ينتج لنا ادبا عاليا ؟ أو هل صرفته عن ان يقرأ لغيره ادبا عاليا ؟ .

ان روائع الفكر والأدب قد ولدت فى وسط الزحام ، واذا كان هناك أدباء أو شعراء عرفوا بأنهم ينتجون فى ظل الهدوء ، فان هناك ادباء عرفوا بأنهم لم يحسنوا الكتابة والتأليف الا فى وسط الضجيج ...

اما ما هى القوالب او الافكار الجديدة التى تلائم العصر فى مجال القصة والرواية والشعر والكتاب والدراسة ؟

فلا شك ان القوالب والافكار تتغير بتغير الزمن وتتطور بتطوره . فالذى يكتب او ينتج على غير مقتضيات عصره ومتطلبات زمانه هو متخلف عن وقته .. الا اذا كان يكتب او ينتج فى ريادة ظاهرة ، فهو اذن سابق لعصره . وأكثر الأفذاذ من هذا النوع الاخير ، فانهم يسبقون زمانهم ، لأنهم لم يخلقوا له ، ولكنهم خلقوا لزمان مقبل .

ويجب أن يكون الانتاج الفكرى والأدبى للمفكر والأديب استجابة لحاجات العصر ، وانعكاسا حقيقيا له .

ان عصرنا عصر متميز عما سبقه من عصور ، فهو بحيرة انصبت فيها كل رواسب العصور الماضية بالاضافة الى مشاكل العصر الحديث . ومن هنا لابد ان تدور القصة والرواية والشعر والدراسة فى مداره ، وان تصوره بكل ما فيه من خير وشر ، وان نحاول ان نجعل من ذلك صورة صادقة نقدمها الى العصور الآتية ... .

الكلمة المكتوبة لا يمكن أن تموت !

● د . مصطفى محمود ●

اما عن مستقبل الأدب فى القادم من السنين ، فعلم ذلك عند ربى ، ولا استطيع التنبؤ بمستقبل نملة تسير الى جحرها . فما بال التنبؤ بمستقبل الأدب ...

ولكن لا اتصور ان الكلمة المكتوبة يمكن ان تموت بمجرد ظهور منافسة قوية من سينما واذاعة وتليفزيون لأنه حتى هذه الفنون المرئية والمسموعة تعتمد على الكلمة المكتوبة .

والقوالب الادبية يمكن ان يجرى عليها التطور لتكون اكثر طواعية فى خدمة التليفزيون والسينما والمسرح والاذاعة .

وأما عن الأفكار الجديدة والقوالب العصرية فى القصة والرواية وغيرها ـ فانى أجيب عن ذلك فى كتاب جديد أصدره . وسوف يجد القارىء قالبا جديدا أصدره للفكر والقصة الجديدة القصيرة فى مجموعتى الجديدة التى تصدر بعنوان « المسيخ الدجال » .

الشكل الجديد فى القصة والقصة القصيرة جداً

● فتحي الابياري ●

ان الأدب هو نبض أى أمة ، وهو الذى يعيد للانسان كينونته من خلال قصيدة شعرية او قصة أو رواية او اى عمل أدبى حقيقى صادق يعبر عن مشاعر الانسان تجاه قضايا عصره ..

وعلى مر العصور نجد ان الأدب أو الاديب من اهم المعالم البارزة فى حياة الانسانية مهما تنوعت اساليب وسائل الاتصال .

وكان المسرح وهو ابو الفنون منذ القدم وحتى الآن هو الذى يجمع بين كل وسائل التعبير ، فى النقد وابداء الرأى فى نظام الحكم ويصور الانسان فى دوامات عصره وصراعاته مع القيم والاخلاق ، وقد تمثل هذا فى مسرحيات يوربيدس وسوفيكليس وارسطو فان فى روائعهم أوديب وانتيجونا والضفادع .

وقد تطور العصر وولدت وسائل اتصال كثيرة من اهمها الصحافة ثم الاذاعة ثم التليفزيون . وفى هذا العصر الحافل بدوامات وازمات هدت من كيان الانسان المعاصر وجعلت العلاقات الانسانية قائمة على المادة واعدمت كثيرا من احاسيس الانسان ومشاعره .
ـ فى هذا العصر ـ وجدت وسائل الاعلام فرصا ذهبية لغزو هذا الانسان وخاصة التليفزيون الذى يجد فيه الانسان المعاصر واحة الراحة لتهدا نفسه بعض الشىء من هذا الصراع المادى ، فما اسهل ان يضغط على زر التليفزيون فيشاهد بعض الرقصات والافلام والمسرحيات والبرامج التى تحاول ان تشغله عن واقعه المرير ..

وقد أثر هذا كله على الأدب الحقيقى الذى ينشره الاديب فى كتاب .. كذلك اصبحت عملية النشر من وسائل التعذيب بالنسبة للأديب ..

وارتفع ايضا سعر الورق وبذلك تضاعف سعر الكتاب الى حد غير معقول وبالتالى انحسرت موجة تأثير الأدب على انسان هذا العصر ..

ومع ذلك فهمها تكالبت العناصر المادية للسيطرة على مشاعر الانسان ، فانالأدب سيظلالنبض الحقيقى لضمير انسان هذا العصر المتأزم .

ولذلك فاننى ادعو الى شكل جديد فى القصة ، وهو القصص القصيرة جدا .. لقد مشى الانسان بقدميه على ارض القمر واصبح العالم كله حلقة صغيرة بالاتصال الهاتفى ووسائل النقل من الطائرات السريعة .. ولذلك لابد من شكل جديد للقصة ، على شكل قصة قصيرة جدا . اى ان يتناول الأديب فى القصة القصيرة جدا النبض السريع للعصر .

ان الانسان لا يحتمل الآن قراءة الروايات الضخمة كما كان يحدث فى القرن التاسع عشر .

وبالنسبة للقصيدة أيضا يستطيع الشاعر أن يترنم بنبض واحاسيس الانسان فى أرق عاطفة كادت تنعدم وسط الماديات وهى عاطفة الحب التى لن تنمحى أبدا ما بقى هذا الانسان وأيضا سنجد ما يسمى بالرواية القصيرة جدا وليست الملاحم كما كنا نقراها فى العصور الماضية .

يجب على الأديب ان يواكب عصره باستخدام اللغة المعاصرة ، وقد حاولت ذلك فى ثلاثيتى مجموعة قصص قصيرة جدا والتى صدر منها جزءان ، وحاولت فيها أن تتحول الكلمة والتركيبات العربية الى كاميرا تصور المشهد أو الموقف أو الشخصية التى اكتب ●●

ذكرى

الرائدة هدى شعراوى

أمينة السعيد

تحتفل المراة العربية هذه الايام بذكرى رائدة النهضة العربية هدى شعراوى ... وتنشر مجلة ((حواء)) مذكرات هدى شعراوى كما سجلتها ابنتها الروحية السيدة سيزا نبراوى، وقدمت السيدة امينة السعيد ـ وهى كذلك من رائدات نهضة المراة العربيـة ـ لمذكرات هدى شعراوى بمقال ممتع تنقل منه فقرات هنا ، لانه كلام رائدة عن رائدة . . .

ونضيف الى ذلك حقيقة لم يكن يعرفها الا القليون، وهى ان هدى شعراوى شاعرة تصوغ الشعر الجميل، وعلى هذه الصفحات نموذج من شعرها ننشره طليعة لما سينشر بعد ذلك من شعر هدى شعراوى .

ويسعد ((الهلال)) ان يشارك فى هذا الاحتفال بذكرى رائدة النهضة النسائية هدى شعراوى .



من شعر هدى شعراوى بمناسبة بناء مقبرة الحـــوش بالشرق

يا مـــوت مهــلا للغد
حتى أعـــد لى منـــامى
مادام لا يرضـــيهم
أن تحـــرق يوما عظـــامى
دعنى أقيم لمرقـــدى
بجوار من رفعـــوا مقـــامى
دارا تخلد مجـــدهم
ودوام حبى واحتـــرامى

« هدى شعراوى »هى بلا نزاع قائدة حركة تحرير المراة فى العالم الأســلامى قاطبة، ولقد قضت ما لا يقل عن خمسين عاما من حياتها، وهى فى صراع مرير من اجل رفع الظلم عن المراة المسلمة عموما، والعربية على وجه التخصيص، وكانت البادئة برفع الحجاب، والمناداة بالمساواة الكاملة بين الجنسين لتمكين نصف الشعب العربى من الخروج عن عزلته الاجتماعية والانطلاق الى عالم البناء والانتاج ..

وموطن العظمة فى «هدى شعراوى» انها كانت فى شخصيتها تجمع المتناقضات فلقد ولدت فى فراش من ذهب، ولكنها تنكرت للترف والدعة ، واختارت أن تقضى حياتها فى النضال والكفاح من اجل أسمى وانبــل الغايات.. وكانت تقاليد عصرها تحرم العلم على النساء، فتحدت هذه التقاليد بأن علمت نفسها بنفسها، وتوسعت فى طلب العلم حتى بلغت اعلى مراتب الثقافة والمعرفة ، واتقنت ثلاث لغات ، واصبح بيتها صالونا أدبيـــا وسياسيا يهرع اليه فى يوم الثلاثاء من كل اسبوع اعلام السياسة والادب والفلسفة والفنون..وتبنت المواهب وهى مازالت فى براعمها ، فارســلت على حسابها بعثات الى الخارج من الرجال والنساء

على السواء ، وخصصت للنوابغ من الشباب جوائز سخية تشجعهم وتساعدهم على الصعود الى القمة . والوصول بمواهبهم الفنية او الادبية الى مراتب الامتياز .. ولا اظن اناحدا بين قمم الحياة فى عصرها كان يفوقها حبا لمصر ، ووفاء لارضنا الطيبة ، وجراة على المطالبة بالحريات فى ظل اسمى واطهر مبادىء العفة والاخلاق.

ولقد خاضت « هدى شعراوى » مجال السياسة الذى لم تكن تجرؤعلى الاقتراب منه امراة قبلها ، ولم تكن تخاف من الجهر بآرائها ، والتفانى فى تحقيقها سوى الله عز وجل ، وتاريخ تلك الحقبة يذكر لها مواقفها الباسلة من الزعماء والملوك، ومن ذلك معارضتها لزعيمها « سعد زغلول » حين خشيت ان تهدد بعض مواقفه الوحدة الوطنية فى مصر ، وخصومتها « لفاروق » بسبب انحراف سلوكه الاجتماعى وطلاقه لزوجته فريدة ..

وما هذه النقاط سوى ذرة صغيرة فى عالم كفاحها العظيم ، ولو اننى استرسلت فى سرد مآثر «هدى شعراوى» ما انتهيت ، ولهذا اكتفى بهذه الكلمات المحدودة تاركة لمذكراتها مهمة التفصيل.

وجدير بالذكر أن الزعيمة الخالدة « هدى شعراوى » عاصرت الاحداث السياسية الكبرى التى وقعت فى بلادنا منذ نهاية القرن التاسع عشر الى حين وفاتهايوم ١٢ من اغسطس عام١٩٤٧..

ولقد سجلت فى مذكراتها رؤيتها لتلك الاحداث ، واوردت بمنتهى الشجاعة والصراحة المواقف التى حضرتها بنفسها ، كما ابدت رايها صريحا فى بعض القادة وبعض الزعماء . . . فان كان لاحد من قرائنا وقارئاتنا راى مخالف ، فنحن نرحب به ، ولن نتأخر عن نشره بشرط أن يكون موضوعيا ومدعما بالاسانيد .. اما المهاترات والتهجمات فلن نعيرها اهتماما مهما بلغت مكانة صاحبها .. لاننا نقدس الحق، ونرفض انيتخذ ذريعة لتحقيق اغراض شخصية او خدمة مبادىء خاصة ..

ويسرنى ان اقرر فى ختام هذه الكلمة .. ان مذكرات الزعيمة الخالدة قد قدمت لنا من الاخ العزيز الاستاذ «عبد الحميد فهمى مرسى » ، ولقد اعطاها لنا دون اى مقابل ، ولم يرض اطلاقا بأن يسمح لنا حتى بالاسهام المحدود فيما تكبده فى تنظيم هذه المذكرات واعدادها للطبع والنشر متمسكا بواجبه فى تنفيذ الوصية التى تركتها له امه الروحية هدى شعراوى التى اختارته دون جميع مريديها ومريداتها لتنظيمها ونشرها فى الوقت المناسب . ولسوف يجد السادة القراء فى الصفحة المقابلة صورة الوصية التى كتبتها بخط يدها فللصديق الكريم « عبد الحميد فهمى مرسى » خالص شكرنا وتقديرنا .

من تكون ؟!

• البابا شنودة الثالث •
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية

كلُّ ما حولَكَ صمتٌ وسكونْ ... وهدوءٌ يكشفُ السرَّ المصونْ
اعتزلْتَ الناسَ حتّى ماترى ... غيرَ وجهِ الله ذي القلب الحنونْ
وتركتَ الكونَ بَل أُنسيتَه .. لم يعاودْكَ إلى الكون الحنينْ

***

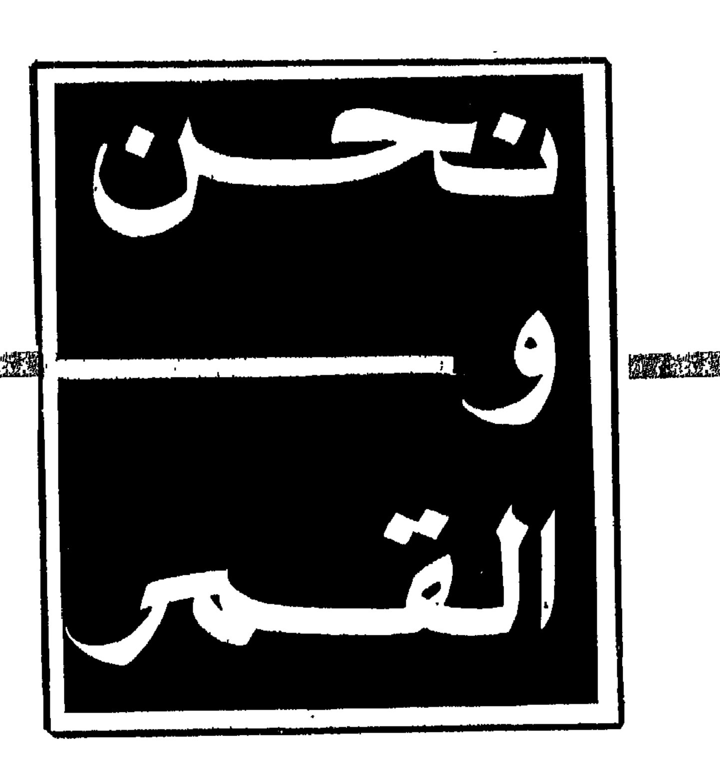
هلْ ترى العالَم الا تافهاً ... يشتهى المتعةَ فيهِ التافهون
كل مافيهِ خيالٌ يمّحى ... كل مافيهِ سيَفْنى بعدَ حين ...
هَلْ ترى الآمالَ إلا مجمراً .. يتلظّى بلَظاه الآمِلون ؟
لستَ منهم .. هم جسومٌ بَيْنما ... أنتَ روحٌ فرَّ من تلك السجون

***

قدْ يقولُ البَعض هذى حكمة ... ويقولُ البعضُ كلاَّ .. بل جنون !
فاتركِ الناسَ إلى أفكارهم ... مثْلَما شاءَ الهوى يفتكرون
لكَ نهجٌ مفردٌ ، والناسُ فى .. منهجٍ مختَلف يضْطربون

***

أنْتَ رمزٌ كلّما نبصره ! ... تزدرى الآمالَ والكونُ يهون !
أنتَ رمزٌ لحياة طُهرَت ... قد دعا الخالقُ يوماً أن تَكونْ
أنتَ لحنُ الروح يسرى هادئاً ... يسْكُبُ النشوة فى القلبِ الأمين
أنت قلب هائم فى حبِّهِ ... أنت سر .. ليتَ شعرى من تكون؟!
أنتَ سر لستُ أدْرى كُنهَه ... أيُّ شيء فيه لى غير الظنون ..!
أنت روح سارح فى عُمقِهِ ... يجتلى الأعماقَ فى صَمْتٍ رَصين
إنَّ فى صَمْتك سراً لن يَرى ... قدسَ أقداسه إلا الصامتون



● محمد الحديدى ●

« كلنا نحب القمر » ، هكذا يقول عبد الوهاب ، فماذا لو كنا خلقنا على ظهر كوكب ليس له قمر ؟ كنا سنحرم من هذه الاغنية ، ومن اشياء اخرى كثيرة جميلة وعزيزة علينا ، ولكن هل هذا كل شيء ؟ .

لا ، لان تاثير القمر على الحياة فى كوكب الأرض لا يقتصر على القاء ظلال الأشجار فى الليالى التى يطلع فيها ، او الهام مؤلفى اغانى الحب ...

القمر والجاذبية

مرة اخرى ، نحن لا نتحدث عن جاذبية القمر بمعناها الجمالى ، وليس فى علمى ان قوما غيرنا يتخذون القمر انموذجا للوجه الجميل ، بل ان الغربيين يتخذونه للدلالة على الانتفاخ والسمنة ويعدون وجهه قبيحا ، وهم الخاسرون فى هذه المسالة على الاقل ، فقد الهم القمر شعراءنا أيضا بالأغانى الرائعة ! .

سنة ١٦٦٥ كان وباء الطاعون الشهير يجتاح انجلترا ، وكان العالم الانجليزى الكبير اسحق نيوتن فى الثالثة والعشرين من عمره ، طالبا فى جامعة كمبريدج ، واضطر الى الانقطاع عن الدراسة ، وبينما هو يتجول فى الريف رأى تفاحة تسقط من شجرة على الأرض ، وقال لنفسه انه لابد أن الأرض تجذب القمر كما جذبت هذه التفاحة ، وأوحى له هذا بما أصبح فى النهاية قانون الجاذبية العالمى ، الذى يقول بأن كل قطعة أو ذرة من المادة فى هذا الكون تجذب كل قطعة أو ذرة أخرى ، وان قوة الجذب تتناسب على كتلتى هذين الجسمين وتتناسب عكسيا مع مربع المسافة بينهما .

الأرض تجذب القمر بقوة عظمى تجعله لا يستطيع أن يخرج عن المسار الذى يتخذه فى دورانه حولها ، ولا حتى أن يستدير لبرينا ظهره ، ولذا فنحن لا نرى منه الا هذا الجانب ، أما الجانب الآخر ــ البعيد ، كما



يسمونه صحة ، والمظلم كما يسمونه خطا ، فهو الذى عرفناه لاول مرة فى التاريخ عندما صوره قمر صناعى سوفييتى فى الستينات من هذا القرن .

والقمر بدوره يجذب الارض ايضا ، مما يجعل الماء على سطحها يبدو كما لو كان ثوبا تثيره الريح فيبتعد عن جسد صاحبته ثم يعود فيرتد ، عندما تواجه الارض القمر ، ينجذب ماء المحيطات والبحار التى تواجهه، وعندما تمضى الارض فى دورانها يرتد الماء فيهبط ، وهكذا يحدث المد والجزر فى كل دورة للأرض ، وبينما يكمل القمر دورته حول الأرض فى ٣ر٢٧ يوما ، فان الارض تريه كل اجنابها مرة كل ٨ر٢٤ ساعة .

كل نقطة ماء فى المحيط تتجاوب مع هذه الذبذبة ، وكل كائن بحرى يحس بهذا الوضع .. طلوع ، نزول ، مد ، جزر ، وهو يلعب دورا اساسيا فى حياة هذه الكائنات . هناك مثلا دودة مفلطحة صغيرة تتحد مع عشب بحرى يكسوها ويعيشان معا، كلما احست بالمد خرجت من الرمال لتعرض العشب للشمس ، وجربت احدى عالمات الحياة البحرية ان تأخذ هذه الديدان بعيدا عن موطنها الى معمل التجارب ، وهى تقول فى وصف النتائج : « مرتين كل يوم ، تخرج « كونفوليوتا » من الرمال فى قاع الحوض المعملى ، لتتعرض لأشعة الشمس ، ومرتين كل يوم ، تعود فتغوص فى الرمال ، بلا مخ ، وبلاذاكرة، او حتى قدرة واضحة على الادراك ، تستمر كونفوليوتا فى حياتها كما تعودت عليها ، حتى بعد ان جاءت بها الغربة الى هنا ، ان كل خيط فى جسمها الأخضر الصغير يتذكر نبض المد والجزر فى المحيط البعيد » .

وهناك عالم آخر اجرى تجربة مماثلة على نوع من القواقع يعيش فى خليج يسمى « لونج آيلاند ساوند » بالقرب من نيويورك (وهو مسرح احداث الرواية الشهيرة « جاتسبى العظيم ») هذه القواقع تنفتح أثناء المد ثم تنقفل

فى الجزر احتمـــاء من ضغط الماء المرتفع . وتعتاد هذا الوقع المنتظم . وبينما تجرى أغلب التجارب فى معامل على شاطىء المحيط ، فان هذه التجربة اجريت بالقرب من مدينة شيكاغو على ارتفاع مائة وثمانين مترا فوق ســطح البحر ، لاحظ العـــالم الذى أجرى التجربة ان القواقع مضت فى برنامجها تمـاما كما لو كانت لا تزال فى قاع البحر ، ثم حدث شيء عجيب ، اذ تغير نظامها ومع ذلك ظلت متوافقة احدها مع الآخـــر كالاوركسترا ، وبعملية حسابية ظهر انها تتصرف كما لو كـان المد يغمر هذا المكان البعيد عن البحر . ظن أول الأمر انها ربما تتجاوب مـع شروق الشمس وغروبها ، فاحتفظ بها فى ظلام مستمر ، واستمر نظامها كمـا هو ، والسر فى ذلك هو أن جاذبية القمر لا تؤثر على المحيط فقط ، بل على كل مكان يواجه القمر فى اى وقت .

وفى معامل شركة «هيوزايركرافت» (وهى مصانع للطائرات كان يملكهـا المليونير الغامض الشهير هوارد هيوز) أمكن صــنع ميزان على درجة من الحساسية يمكن بها قيـاس تاثير المد لا على حوض تعيش فيه القـــواقع فحسب ، بل على ســطح كوب من الشاى ! وهكذا يؤثر القمر على كائنات تحيا بعيدا عن الأرض ...

نفس الشيء يحدث للغلاف الجـوى المحيط بالأرض ، هذا الهـواء الذى نعيش فيه يتعرض للمـد والجزر هو ايضا بتاثير جاذبية القمر ، صحيح ان جذب القمر للهواء ثم تركه له «يرسخ» ثانية لا يحدث الآثار الواضـحة التى يحدثها فى المحيط وعلى شواطئه ، ولكن هذا لا ينفى ان عمق الغـلاف الجـوى الذى نعيش نحن فى اعماقه يتغير مع الدورة اليومية للقمر ، وهناك مناطق بعينها يكون فيها هذا التاثير أشد مما يكون فى غـيرها ، وهى لذلك تتميز بالاعاصير وشدة الظواهر الجوية ، وبعد استحداث الاقمار الصناعية امكن دراسة هذه الظواهر وتحديد هذه المنـــاطق بدرجة اكبر من الدقة .

هو والتنبؤات الجوية ...

وقد ظهر هذا الاكتشاف لأول مرة فى مجلة « ســايانس » الأمريكية على هيئة مقالين لاثنين من العلمـــاء كانا يشتغلان بهذه النظرية منفـــردين ومنفصلين ، أحدهمـــا امريكى والآخر استرالى ، وكان كل منهما يخشى ان يجاهر بانه يعتقـد ان القمر يؤثر على أحوال الارض الجوية لكى لا يتعرض لسخرية الناس ، ونشرت المجلة المقالين فى صفحتين متقابلتين فى عدد واحد سنة ١٩٦٢ ، بعد أن واتت الباحثين الجراة لذلك عندما علم كل منهما بالآخر .

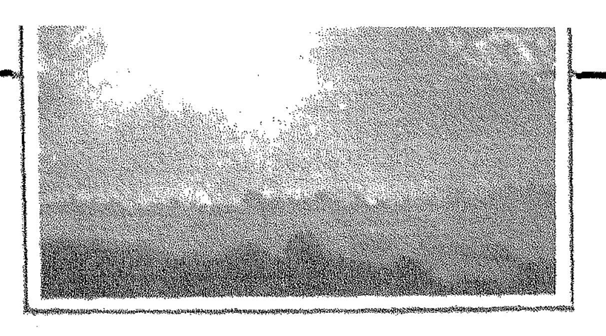
كما عمل فريق بحث امريــكى على جمع الحقائق عن تسجيلات الاحـــوال الجوية من اكثر من ١٥٠٠ محطـــة بحوث جوية فى امريكا الشمالية ، على مدى النصف الاول من القرن العشرين، واوجدوا العلاقة بين القمر وســقوط الامطار بعد ان رسموا خرائط عـديدة واجروا حسابات مستفيضة واصدروا تصريحا قالوا فيه « هناك تاثير واضح للقمر يظهر على هيئة الميل الى سقوط امطار غزيرة جدا فى امريكا الشمالية بالقرب من منتصف الاسـبوع الاول والثالث من الشـــهر القمرى » وهو ما يعنى ان الأمطار الغـــزيرة تسقط بمعدل اكبر فى الايام التالية لاكتمال القمر ورؤية الهلال .

وقد توصل الباحثـــون الى نتائج مشابهة فى استراليا بناء على قراءات الاحوال الجوية فى الربع الاول مـن هذا القرن ايضا ، وذلك فيما يختص بنصف الكرة الجنوبى ، ونحن نعرف أن المطر يســقط عنـدما تتشـبع السحب بذرات الغبـــار او الملح او الثلج مما يؤدى الى تكثف بخـــار الماء فيها حول هذه الجسيمـــات وسقوط قطرات الماء المتكثف علـــى

الارض ، ويستخدم العلم بهــذه الظاهرة فى اسقاط « المطر الصناعى» من طريق «ذر» السحب بالكيمائيات التى تبذرها الطائرات والصواريخ ، ومن المصادر الطبيعية لهذه الجسيمات الغبار المتساقط من الشهب والنيازك وقد تكون هذه هى الصلة بين القمر والامطار لان فريقا من العلماء قد اكتشفوا العلاقة بين اكتمال القمر وظهور الهلال، من ناحية ، واقتراب الشهب من الغلاف الجوى للارض من ناحية اخرى .

واجرى احد العلماء تجارب عديدة على عدد من الكائنات منها اعشاب البحر والجزر والبطاطس والسدودة الارضية وحيوان السلامانلر ، اخذ يقيس كميات الاكسجين التى تمتصها واوجد ذبذبة يومية تشبه ما كان يحدث فى حالة القواقع ، وعندما وضعها فى جو خاص يبقى الضغط الجوى ثابتا فانها استمرت تظهر مايدل على انها «تعرف» السدودة القمرية اليومية وتتجاوب معها ..

ما السبب فى ذلك ؟ احدى النظريات تعزو هذه الظواهر للتغيرات فى المجال المغناطيسي للارض والتى تنتج عن تاثير الشمس والقمر ، وقد دلت قراءات اخذت فى مرصد جرينتش فيما بين سنتى ١٩١٦ ، ١٩٥٧ على أن المجال المغناطيسى يتغير كل ساعة تؤخذ فيها قراءة ، وذلك بتاثير اليوم الشمسى واليوم القمرى والشهر القمرى ، ويبدو أن الاحياء تحس بهذه التغيرات . ومن المقطوع به ــ طبقا للتجربة ــ ان بعض الكائنات الدنيئة تنجذب بفعل القوى المغناطيسية ، منها كائن كروى الشكل قطره حوالى ملليمترين ، اسمه « فولفوكس » يعيش على اسطح بحيرات الماء العذب ، ويعتقد علماء الاحياء انه سليل التكوينات الاولى للكائنات المتعددة الخلايا .



و «الوقع» اليومى للقمر متوافق مع الوقع الشمسى ، من حيث انهما يحدثان على مدى فترة «يوم» تتساوى فيهما تقريبا ، ولكن للقمر وقعا آخر هو وقعه الشهرى ، نحن نرى القمر لان ضوء الشمس يسقط عليه ، نرى « النهار القمرى » سواء سطع فى ظلمة الليل الارضية أو ظهر اثناء النهار ، وتتم دورة أوجه القمر على مدى يزيد قليلا على فترة التفافه حول الارض ، فهى ٢٩٫٥ يوما من القمر المكتمل الى القمر المكتمل الذى يليه ، اثناء هذه الدورة يحدث مرتان أن تكون الشمس والارض والقمر على استقامة واحدة «ليست الاستقامة التى تحدث الكسوف أو الخسوف ، فهذه مسألة اخرى » بحيث تتحد جاذبيتهما ، وينتج عن ذلك مد وجزر اشد مما هو فى غير ذلك من ايام الشهر القمرى ، وذلك عند اكتمال القمر وبدء تكون الهلال ،

وفى مقابل ذلك ، فى ربع الشهر وبعد انقضاء ثلاثة أرباعه ، يحدث العكس وتتضاد القوتان ، ويضعف تأثير المد . لهذه الظواهر تأثيرات عديدة مباشرة على حياة الحيوانات البحرية والاسماك ودورات تناسلها والكثير منها ربما يفنى لولا تأثير القمر !

الانسان والقمر :
هل صحيح ان النوم فى ضوء القمر يجلب الجنون ؟

هناك نزعة عند بنى الانسان ــ بما فى ذلك العلماء والفلاسفة ــ الى ايجاد العلاقات بين الاشياء ، ثم اصطناعها اذا لم توجد ، وهكذا فهناك قائمة لا تنتهى من المعتقدات الخرافية ،

الشيء الفلاني يجلب الشيء العلاني، خذ الاعتقاد في «العين» مثلا ، ولا نقول الحسد فالحسد غير العين و « شر الحاسد » هو الضرر المادي الذي يقع علينا من حقد من يحسدوننا ، كالثورة مثلا ، اما العين فهي شيء آخر ، انه ان تقول : « ما أسعد حظ فلان » .. وبقوة خفية تزل قدم فلان وتنقطم رقبته !

من المؤكد أن كل انسان مهما كان « غلبانا » سيجد من يحسده على شيء لم ينله هو ، وطبقا لقانون العين كان المفروض ان يصاب الجنس البشري كله بمكروه او آخر « وهذا ليس بعيدا عن الحقيقة على اية حال» ومن الغريب ان رجلا مثل برتراند راسل مثلا لا يجد من يحسده وقد حاز نصيبا عظيما من الفكر والشهرة والمجد والمال والسعادة والمكانة ، وصادق اجمل نساء العالم وعاش دنيا من صنعه هو ، عاش فيها ما يقرب من مائة عام بصحة وافرة ورضا تام حتى موته بحسدعليه فهو لم يمرض ولم يعان شيئا ، ومع كل هذا لم تصبه عين واحدة ، برغم كثرة الذين كانوا ينقمون عليه ومنهم على الاقل ازواج عشيقاته !

وهكذا توجد العلاقات بين تضاؤل القمر واكتماله وبين امور كثيرة في الحياة الانسانية ، الكثير منها خرافة ولكن القليل قد يكون صحيحا .

اول مجال طرقه الباحثون هو ولادة الانسان ، فالولادات تكثر في النصف الثاني من الشهر القمري وتقل في الهلال ، هذا ما وجدوه في نيويورك، ولكن البحوث في المانيا جاءت بنتائج عكسية ، ولكن هذا لم يضعف من حجة اصحاب الراي الاول ، فتاثير القمر يختلف من مكان لمكان على الارض ، تماما كتاثيره على المد والجزر فالمد لا يتجاوز عدة بوصات في جزر تاهيتي مثلا ولكنه يصل الى ..خمسة عشر مترا في خليج فاندى مثلا !

على اية حال فانه عندما يكون القمر عاليا فوق رءوس الناس فان حالات الولادة تتدافع كما لو كان الاطفال يتسارعون لمشاهدة هذا الجرم الفضى الجميل ، ولا علاقة لهذا بالمد ، انها مسالة « برية » صرف ، ما السبب ؟ لما كان وقت الولادة يتاثر بوقت الحمل فلا بد أن العلاقة تاتى من هنا ، ولم يفت احدا حتى العلماء — أن دورة الطمث عند انثى الانسان تتم على مدى شهر قمري ، وقد تعب الكثيرون في البحث عن العلاقة بين هذا وذاك ، و «أثبت» طبيب سويسري أن بدء الحيض يكثر اثناء تزايد القمر، ثم عادوا فقالوا انه من العسير معرفة بدء حدوث هذه الظاهرة لان الغشاء المبطن للرحم يبدا في التساقط قبل الظهور الفعلي للحيض ربما بثلاثة ايام او اربعة ، ولذلك فالقياس الادق هو الذى يعنى بخروج البويضة وتعرضها للاخصاب .

ويقول باحث تشيكوسلوفاكي ان وقت خروج البويضة هو الذى يتعلق بالقمر ، وانه عند كل امراة يتاثر بوجه القمر الذى كان سائدا ساعة ولادتها وبناء على ذلك رسم خرائط لمريضاته تمكنهن من التحكم في الحمل سواء اردنه او اردن اجتنابه ، واستخدث شيئا اكثر فعالية من الاقراص دون اعراض جانبية ، وبنجاح شبه تام . الا يستحق هذا شيئا من اهتمام علمائنا قبل ان نموت من الجوع بفعل التكاثر ؟

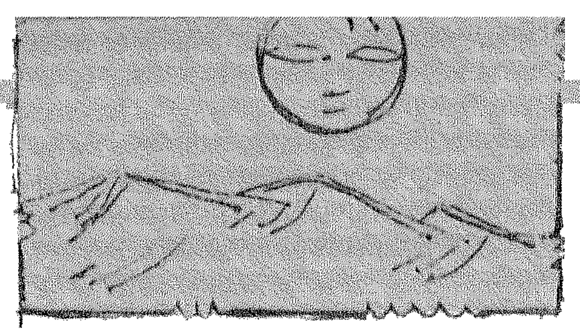
ربما كان هذا صحيحا ذات يوم وتغير الحال لان مدة هذه الدورة ذاتها اصبحت تختلف من انثى لاخرى من ١٩ يوما الى ٣٧ يوما فاين تاثير القمر ؟ ولكن هذا لاينفي ان اطباء سلاح الجو الامريكي اجروا تجارب

علي عدد من النســـاء اللاتي يشكين من اضطراب دورة الطمث ويقـــولون انهم عالجوهن بـ « قمر صـناعي » ، وهم لا يطلقون هذا التعبير هنالاعلى ما نسميه نحن القمر الصناعي بل على النوم في ضوء يشبه ضوء القمـــر لثلاث ليال هي اقرب موعد لافـــراز البويضة ، وقد حصلوا على نتائج طيبة ايضا ، صدق او لاتصـــدق . وقد يكـون التـــأثير نفســيا بحتـــا ، من يدري ..

ولكن هناك علاقة بين القمر والنزف علي اية حال ، تقول الخرافة القديمة ان للقمر تاثيرا على النزف يشـــبه تاثيره على ماء البحار ، مجرد جاذبية ، معقول ..

وعندما كان « الفصاد » اسلوبا طبيا معتمدا كان « الاطباء » يتجنبـــون اجراءه عند اكتمال القمر لكى لاينزف المريض نزفا خطرا ، واجرى احـــد الجراحين احصاء على حالات النـــزف الجراحي واوجد انه يتزايد بشـــكل ملحوظ فى الليالى القمرية ، وقال ان قراءاته قد اقنعته بأن يشـــتغل بالطب السحرى والا يجرى عمليـــاته الا فى الليالى المظلمة ، اما الليالى القمـــرية فهي للحياة العاطفية والحب والشعر فقط .

وكلمة « قمـــرى » ذات الاصـــل اللاتينى ، معناها « مجنـــــونة » ، وتاتى من الاعتقاد بأن النـــــوم تحت القمر الساطع يؤدى للجنون ، او على الاصح فان هذا التعبير يصـــف الذين « تتحـــرك عليهم » الحالة فى الليـــالى المقمرة فقط، وقد درجت مستشـــفيات الامراض العقلية على منـــع اجازات الاطباء فى الليالى المقمرة ، وفى القـــرن الثامن عشر كان كل نزيل فى مستشـــفى كهذا يعطى « علقة » تهد حيله قبـــل اكتمال القمر ، بينما كان النـــزلاء يخشون بعضهم البعض فى هـــــذه الفترات .



ونشرت جمعية طبية امريكية مؤخرا بحثا جاء فيه أن الجرائم التى تنشـــا عن الحالات النفسية كهوايات السرقة واحداث الحرائق والقيادة الجنونيـــة والقتل بدافع السكر ، كلها تتـــزايد فى فترات الاكتمال القمرى ، وانه اذا كان « فى الجو غيم حجب القمر » فان هذا لايمنع الظاهـــــرة مما يدل على تاثير الجاذبية وليس الضـــوء ، وأن السبب قد يرجع الى فعل المغناطيسية واثرها على فارق الجهد الكهـــربائى بين راس الانسان وصدره . وقيل فى ذلك «مهما كانت طبيعة الانسان فهو لا يزال آلة كهربائية ، ولا يوجد تيار كهربى لا يتاثر بتغيرات المجال المغناطيسى »

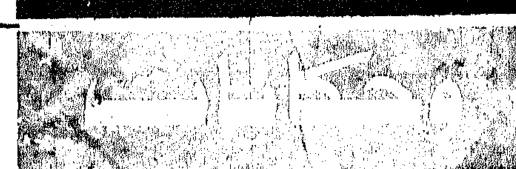
صحيح ، ولكن الى اى مدى ؟

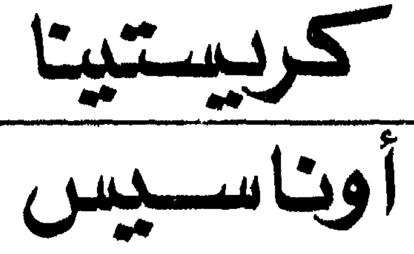
ولكن اذا كانت الطائرات التى تفوق سرعة الصوت تسبب الاصابة بسرطان الجلد وامراض اخرى كثيرة ، فمـــاذا يمنع ان يكون لشيء هائل كالقمر اثره ايضا ..

انا واثق بشيء واحـــد ، وهو اننى كواحد من سكان مصر الجديدة ، فى الحي القريب من المطار ، اوشك ان افقد عقلى بسبب ازيز الطائرات الذى لايمكن الانسان من اكمال جملة واحدة دون مقاطعة ! اعوذ بالله ..

لابد ان للقمر تاثيرا فعـــلا ، تاثيرا مغناطيسيا او جاذبيا ، اما من حيث الضوء فهو ليس الا وسيط ، ياتينـــا بضوء الشمس المنعكس عليه ، وبناء عليه فهل للشمس تاثير على حيـــاتنا العضوية والنفسية ؟

لم لا ؟
هذه مسالة اخرى ..





وارثة عاقر.. وملايين كثيرة لاتجد من يورثهـــا

كريستينا اوناسيس هي دون شك من اغنى نساء الدنيا ، فقد ورثت أموال ارستطاليس اوناسيس بعد أن اخـرجت من التركة جاكلين اوناسيس وارضتها بمبلغ متواضع : عشرين مليونا مـن الدولارات .

وكانت مشكلة كريستينا هى الزواج والشـــهرة ، فاما الزواج فقد فشلت فيه مرتين ، ثم اختارت بنفسها زوجا روسيا متواضعا، كان يعمل فى شركة تامين ، وتزوجته رغم معارضة الدنيا كلها ..

واما الشهرة فقد زهدت فيها واستطاعت أن تتخلص من فضول الصحفيين بالانزواء والاندساس وسط الجماهير ..

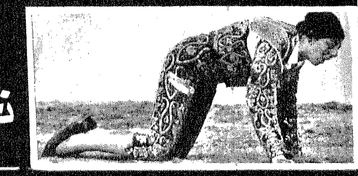
ثم جاءت مشـكلة الولد . بعد انقضـــاء اكثر من عام لم ترزق المليونيرة المسكينة ولدا ، ومضت تستشير الاطباء ، واخيرا ذهبت الى الطبيب السويسرى الاشهر الذى استطاع أن يعالج صوفيا لورين .. فاجرى كشوفه وفحوصه ثم قال لها فى النهاية : آسف ياتينا ـ وذلك هو اسم التدليل لها ـلن تصبحى اما أبدا . .

وخرجت من العيادة وفي عيونها حزن ويأس لا يوصفان ، وكان الصحفيون لها بالمرصاد فالتقطوا للمليونيرة الحيرى هذه الصــورة التى تعبر عن تعاسة الدنيا كلها ..

هذه الملايين كلها .. بلا وارث ..







نحن الثيران يا آنسة لا يعجبنا هذا اللعب



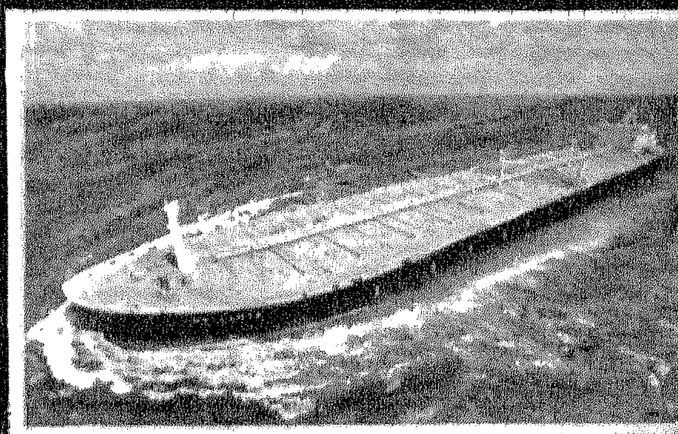
مصارعة الثيران او مقاتلتها بتعبير اصح رياضة تتلاشى شيئا فشيئا لانها من مخلفات عصور الصيد الماضية ، ثم لان هناك تسليات اخرى حديثة تصرف الناس عن الذهاب الى ميدان المصارعة او لابلازا دى توروس لقضاء عصرية مثيرة فى الفييستا او الاحتفال القومى .

وتلك اللعبة الخطرة لعبة رجال ، ولكن النساء يغامرن بالدخول فى ميدانها بين الحين والحين ، وهذا امر لا يعجب الثيران ، فما يكاد الثور يرى الآنسة او السيدة تحرك « الموليتا » اى القطيفة الحمراء أمامه حتى يندفع نحو المصارعة بدلا من الموليتا .

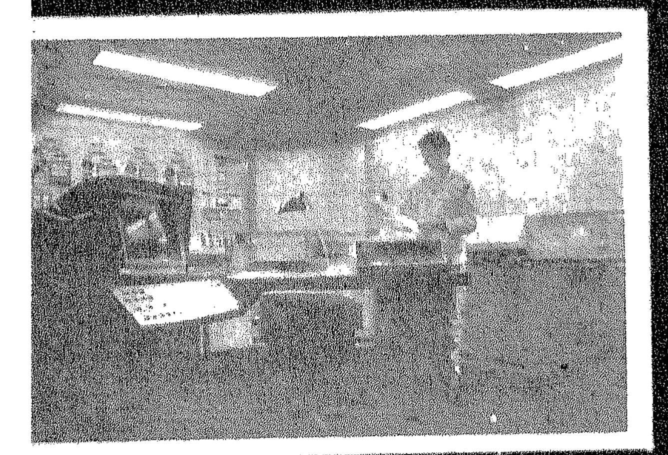
وهذا ما حدث فى مدينة سان سباستيان فى شمال اسبانيا منذ قليل : لم تكد الآنسة المصارعة ماريا فورتس تتوسط الحلبة وتامر مساعديها باخلاء الميدان ، حتى وضعت الموليتا على السيف وحركتها امام الثور تدعوه للهجوم . ولم يتمالك الثور اعصابه فاندفع وضرب الآنسة الجريئة بقرنه والقاها ارضا كما ترى فى الصورة الكبيرة .

والصورة الصغيرة تريك الآنسة الجريئة تزحف هاربة من الثور وحالتها تبعث على الاسى والضحك معا .

أضخم سفينة



هذه السفينة التي ترى في الصورة جزءا من سطحها هي حاملة بترول تسمى بلاميا وحمولتها ٦٠٠ الف طن من البترول • للمقارنة نذكر ان باخرة الركاب الكبيرة الفاخرة لاتزيد حمولتها على ٢٠ الف طن ، وحمولة هذه السفينة من الذهب الاسود تكفي حاجات ٣٠٠ر٠٠٠ عائلة من الوقود خلال عام •



على سطح الماء

طول هذه الناقلة الهائلة ٣٠٠ متر وعرضها ١٠٠ واقصى سرعة لها ١٧ عقدة فى الساعة • وهى من الضخامة بحيث ان ربانها يوقف كل ماكيناتها على بعد كيلو مترين من الشاطىء ويدعها تسير بقوة الدفع حتى تقف بعد كيلو متر من الاندفاع • وهنا تأتى المنشات الجرارة لجرها الى الشاطىء وهى لا تسكن الا اذا اسندت جنبها الى الرصيف •

والسبب فى هذه المبالغة فى احجام الناقلات هو الرغبة فى خفض تكاليف نقل البترول •



ناس
وصور..
وحكايات

أم تحمل طفلها في حمالة

رغم كل الابتكارات فى عربات الاطفال تبين ان خير وسيلة لحمل الطفل هى تعليقه فى حمالة على ظهر الام او على صدرها او الى جانبها ..

لان اكثر ما يطمئن الطفل ويريحه هو ان يحس ان جسده ملتصق بصدر امه ، وهذه خلقة الله التى تجعل القرد الوليد يتشبث بشعر امه ولا يفارقها ابدا ولا يصيبه بذلك اذى او مرض ..

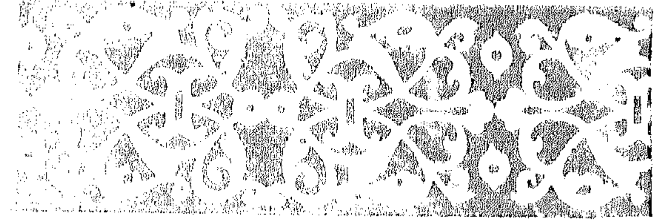
حقا ان الطبيعة لهاحكمتها ، ومهما تقدمت الحضارة فنحن لابد ان نعود الى الشىء الطبيعى .. الى ما بدات به قصة الحياة على ظهر الارض ..



● ابراهيم عيسى ●

صَدَّقنا أنَّ متاعَ الأرضِ
خيوط تَنسجُ نعمانا
صَدَّقْنا الدنيا .. فعَدَوْنا
نستبقُ الريحَ بدنيانا
صَدَّقنا الآمالَ ... فشدْنا
للأمَلِ الباسِمِ بنيانا
صدقنا الشِّعرَ ... فذَلَّلنا
لجَوادِ الشعرِ الأوزانا
صَدَّقْنا الحب. ... فغنّينا
وزرعْنَا اللهفَةَ بستانا
صدقنا الفرحَةَ ... فضحكنا
حينا ، ونسينَا الأحزانا
صَدَّقْنا أنَّ الخلدَ هُنا
نَبع لا يَترك ظَمْآنا
صَدَّقنا صدَّقنا ... حتى
صِرْنا للدنيَا فرسَانا
نغتالُ الأيّامَ ونمضِي
لنُقيمَ عليهَا سُلطانا
ونُحيلَ الخيْرَ بأنفسنَا
جِنّا يحتضِنُ الشَّيْطانا
ونَهُدّ الأرضَ ونَبْنِيها
ونسينا فينَا الانسَانا
حتّى إنْ جَفَّ ربيعُ العُمْر
ومالَ الغصنُ بِنَجْوانا
أبصرْنا الأرضَ ومنْ فيهَا
عرْيانا يستر عريَانا
وسَرابا يسقينَا وهماً
ويَخُط الحَيْرةَ عنوانا
قدْ ضَاعَ حصادُ العمرِ ... سوى
عَمل يَسْتَسْقى الغُفرانا !





● على غريب بهيج ●

المادحون وارباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مديحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملى صادق الكلم
« احمد شوقى » فى « نهج البردة »

يلاحظ كل من يطالع الشعر الحديث فى مصر منذ البارودى حتى اليوم ، احتفال الشعراء بالسيرة النبوية العطرة ، احتفالا لا نظير له فى عصور الشعر العربى وبيئاته عبر التاريخ • وقد اختص الشعراء مناسبة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقدير والعناية وبأروع قصائدهم ، تلك القصائد التى أصبحت من عيون الشعر العربى على الاطلاق ••

واذا تصفحنا دواوين الشعراء منذ البارودى حتى اليوم نلاحظ ذلك القدر الهائل من المدائح النبوية عامة ، وقصائد المولد خاصة • ولا يملك المرء سوى الانتخاب والانتقاء اذا أراد الايجاز لضيق المقام •

فاذا ذهبنا نقرأ فى شعر البارودى رائد الشعر الحديث نراه يختص السيرة النبوية الشريفة بقصيدة رائعة تبلغ اربعمائة وسبعة وأربعين بيتا من قافية واحدة ، هى قافية الميم المكسورة ، بعنوان « كشف الغمة فى مدح سيد الأمة »• ومطلعها : ــ

يارائد البرق يمم دارة العلم   واحد الغمام الى حى بذى سلم

وقد قدم لها البارودى بمقدمة قال فيها : « هذه قصيدة ضمنتها سيرة النبى صلى الله عليه وسلم من حين مولده الكريم الى يوم انتقاله الى جوار ربه ، وقد بنيتها على سيرة ابن هشام وسميتها (كشف الغمة فى مدح سيدالأمة) ورغبتى الى الله أن تكون لى ذريعة آمن بها يوم المعاد ، وسلما الى النجاة من هول المحشر •• » •

المـادحـون وأرباب الـهـوى تـبـعٌ
لصاحـب الـبـردة الفيحاء ذى الـقـدم

مَديحُهُ فيك حبٌ خالصٌ وهـوى
وصادق الحب يملى صادق الكلم

والقصيدة معارضة لقصيدة « البردة » الشهيرة للامام البوصيرى رضى الله عنه ، الا ان منهج البارودى فيها يختلف عن منهج البوصيرى ، حيث عرض البارودى وصفا مفصلا لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم واهم الأحداث البارزة فى سيرته صلى الله عليه وسلم ·

وقد يبلغ البارودى من دقته فى عرض الأحداث ، الحد الذى تتحول معه قصيدته من الشعر الى النظم التاريخى ، ومن ذلك قوله فى المولد النبوى الشريف :

وحينما حملت بالمصطفى وضعت
يد المشيئة عنها كلفة الوحم
ولاح من جسمها نور اضاء لها
قصور بصرى بارض الشام من امم
ومذ اتى الوضع وهو لرفع منزلة
جاءت بروح بنور الله متسم
ضاءت به غرة « الاثنين » ، وابتسمت
عن حسنه فى « ربيع » روضة الحرم

فهو يؤرخ لمولده صلى الله عليه وسلم تأريخا دقيقا لدرجة أنه يذكر يوم مولده (الاثنين) صلى الله عليه وسلم ، من شهر ربيع ·

الأن القصيدة فى مجملها ملحمة تاريخية رائعة للسيرة النبوية الشريفة ، تغلبت فيها شاعرية البارودى المقتدرة على أسلوب النظم الذى كان يهدد القصيدة بالسطحية والجفاف ·

●● شوقى والسيرة النبوية :

حفل ديوان شعر أمير الشعراء أحمد شوقى بقصائد اسلامية عديدة من أهمها قصيدتان ، الأولى : « نهج البردة » وهى التى حاكى فيها الامام البوصيرى وتجلت فيها عبقريته الفذة بشكل كاد يتفوق على البوصيرى نفسه ·

والثانية : همزيته التى مطلعها :

ولد الهدى فالكائنات ضياء　　　وفم الزمان تبسم وثناء

وهذه القصيدة تربو على مئة وثلاثين بيتا من رائع الشعر وأعذبه ، وهى

معارضة لهمزية أخرى للامام البوصيرى أيضا ، الا أن همزية شوقى تعتبر من عيون الشعر العربى كله ، ومن أروع ما قيل فى الشعر الحديث فى هذا المجال ..

وقد تابع شوقى فيها خليفتاه : على الجارم وعزيز أباظة على نحو ما سوف نذكره فيما بعد ، ومن روائع الهمزية النبوية لشوقى قوله :

بك بشر الله السماء فزينت ... وتضوعت مسكا بك الغبراء
وبدا محياك الذى قسماته ... حق وغرته هدى وحياء
وعليه من نور النبوة رونق ... ومن الخليل وهديه سيماء
يوم يتيه على الزمان صباحه ... ومساؤه بمحمد وضاء

وفى هذه القصيدة لا ينسى الشاعر أنه شاعر للأخلاق ، فيقول مشيرا الى أطراف من خلقه ، عليه الصلاة والسلام :

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا ... منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لقامت وحدها ... دنيا تضىء بنوره الآناء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل ... يغرى بهن ويولع الكرماء

وعن الشريعة الاسلامية يقول :

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة ... بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد ، وهى حقيقة ... نادى بها سقراط والقدماء
والدين يسر ، والخلافة بيعة ... والأمر شورى والحقوق قضاء

ثم يختتمها بابتهالات ومناجاة منها :

يا من له عز الشفاعة وحده ... وهو المنزه ما له شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه ... والحوض انت حياله السقاء
انت الذى نظم البرية دينه ... ماذا يقول وينظم الشعراء

***

وللشاعر « على الجارم » قصيدة رقيقة يعارض فيها « احمد شوقى » فى همزيته التى تحدثنا عنها ، ومطلع « همزية الجارم » التى وضعها فى صدر ديوانه « سبحات الخيال » يقول :

أطلت على سحب الظلام ذكاء ... وفجر من صخر التنوفة ماء
وخبرت الأوثان أن زمانها ... تولى وراح الجهل والجهلاء

ثم يختتمها بقوله

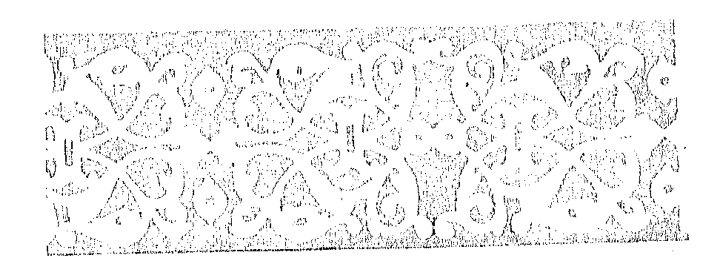
عليك سلام الله ما ذر شارق ... وما عطر الدنيا عليك ثناء

***

اما الشاعر الكبير عزيز أباظة فله ديوان كامل عن السيرة النبوية الشريفة شعرا ، بعنوان : «من اشراقات السيرة الزكية » يقع فى نحو ثمانية وثلاثين فصلا ، تتناول مراحل حياته عليه الصلاة والسلام ، على نحو ما تذكره كتب السيرة . ومن هذه الفصول الفصل الثامن بعنوان « المولد الشريف » . وهو يستهل هذا الفصل بقوله :

اليوم ضاح والنسيم رخاء ... وتريق فيض رواتها الصحراء
وتبرجت تحت الظلال وأشرقت ... كالمحصنات الكعبة الغراء

وفى هذا الفصل يضمن الشاعر شعره بيتا من قصيدة شوقى وهو مطلع



الهمزية الذى يقول فيه :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

وبعده يقول :

وضعته فى احضان يتم امه فاذا الأسى طاف عليه عزاء

الا أنه لا يتابع الروايات الشهيرة عن معجزات مولده صلى الله عليه وسلم ، وانما يتناول الموضوع من زاوية المنطق العقلانى على نحو ما فعل العقاد فى « عبقرية محمد » . فهو يقول :

ولدت كما تلد النساء فهن فى حمل وفى عنت المخاض سواء
سنن الخليقة ليس فى قانونها عوج ، ولا فى ضبطها استثناء
ان تخب نار أو تدك ركائز فعوارض ان صحت الأنباء ...

●● شعراء آخرون :

ولا يتسع المجال لعرض نماذج من كل الشعراء الذين تناولوا مولده صلى الله عليه وسلم فى أشعارهم ، الا أننا نحب أن نختتم بالاشارة الى شاعرين اخرين أحدهما « كلاسيكى » من المدرسة التقليدية ، وهو الشاعر محمد مصطفى الماحى ، والثانى « حديث » : وهو الشاعر محمود حسن اسماعيل .

والماحى يصدر ديوانه باهداء الى ساحة النبى الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ــ يقول فى مطلعه :

الى الساحة العظمى الى مطلع الهدى
بسطت لخير الناس ــ أجمعهم ــ يدا

وللماحى قصائد عديدة فى السيرة النبوية وفى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، منها قصيدة قالها فى بغداد عام ١٩٣٧ بمناسبة المولد النبوى الشريف مطلعها :

يا شادى الروض قد ضاعفت اشجانى وهجت يا طير بالتغريد وجدانى

● أما الشاعر محمود حسن اسماعيل فهو يختتم ديوانه « نهر الحقيقة » بقصيدة بعنوان « مع النور الأعظم » ــ فى ذكرى مولد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ــ يستهلها على هذا النحو :

يا أول نور
سكب الله النور الأعظم من شفتيه
يا أول نور
كل النور تألق منه وجاب الكون على كفيه
يا أول نور
خف اليه الروح القدس وكبر شوقا بين يديه

أزمـــة الأدبـــاء الشـــبان

أزمة جدلية إلى حد كبير!

● د . نبيل راغب ●

● لاشك أن أدباء الأجيال الماضية في العالم العربي بصفة عامة ، كانوا أكثر حظا من أدباء هذا الجيل ، نظرا للظروف العصر المتغيرة .. فبعد أن كان الكتاب سيد أدوات المعرفة على الاطلاق ، تراجع كثيرا الى الخلف بفعل أجهزة الاعلام والفن الحديثة مثل الاذاعة والسينما والتليفزيون ، وهي الاجهزة التي علمت الإنسان العربي الكسل في مجال التثقيف الذاتي ..

واذا كانت هذه المشكلة عامة بالنسبة لعالمنا المعاصر ، الا انها اشد حدة وكثافة في العالم العربي ، لأن الكتاب لم يكن قد انتشر واحتل مكانته المرموقة مثلما فعل في دول العالم المتحضر . يرجع هذا الى عوامل متعددة منهاالظروف السياسية القاسية التي مرت بها المنطقة العربية وعلى رأسها الاستعمار والاحتلال ، وانتشار الأمية التي شجعها الاستعمار بكل طاقته ، وقتل كل تطلعات ثقافية عندما اقتصر التعليم على مجرد تخريج موظفين للعمل في خدمة الجهاز الحكومي

وعندما حصل العالم العربي على استقلاله ، كانت الأجهزة الاعلامية والفنية قد زحزحت الكتاب العربي عن مكانته الأثيرة في قلوب الأجيال السابقة لدرجة أن وجود الكتاب الآن مهدد بالاندثار في حياة الجيل الحالي . ومن ثم اهتزت مكانة الأدباء والمفكرين الى حد كبير لأن بضاعتهم لم تعد رائجة في سوق المعرفة الذي أصابه الكساد في حمية اللهث وراء المكاسب المادية والانغماس في صراعات الحياة اليومية .

وكان من الممكن أن يتحول العالم العربي من المحيط الى الخليج الى سوق رائج للكتاب العربي الصادر في أية دولة عربية ،لكن الانقسامات والصراعات الداخلية التيتمزق الأمة العربية أوشكت أن تقضي على وحدة الثقافة العربية . فالكتاب الذي يصدر عن أية دولة عربية لا يكاد يجد سوقا له الا في حدود هذه الدولة ، وذلك على الرغم من وحدة اللغة والتراث والتاريخ التي تتمتع بها أمتنا ، والتي نعتز بها فقط في مجال الكلام والجدل ، أما في مجال التطبيق العملي والتنفيذ الفعلي فما زلنا أبعد ما يكون عن وحدة الثقافة العربية . ونحن بهذا نساعد القوي الخارجية في محاولاتها المستمرة لتشتيت وحدتنا الثقافية ، ولن نلوم في النهاية سوى أنفسنا ، حتى مؤتمرات الأدباء العرب التي كانت تعقد في الماضي لاقامة الجسور الثقافية بين مختلف أجزاء الأمة العربية راحت ضحية الخلافات السياسية .

هذه مجرد أمثلة على المناخ العام الذي يعيشه أدباؤنا الشبان ويعانون منه أشد المعاناة . اما عن الظروف الخاصة التي تؤثر في انطلاقهم فحدث عنها ولا حرج فقد انقسموا هم بدورهم الى تشييع

متناحرة ، وبذلك جعلوا من انفسهم صورة مصغرة ومركزة للامواج السياسية المتلاطمة والمتصارعة ، فقد نسوا أن السياسة مجرد جزء أو فرع من فروع المعرفة الانسانية ، ومن ثم نسوا دورهم الريادى فى تشكيل وجدان امتهم وفكرها ، وأصبحوا تابعين لما تأتى به حركات المد والجزر السياسى • لذلك يتحتم عليهم أن ينظروا الى الدور الريادى الذى قام به رجال من امثال لطفى السيد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، والعقاد ، وغيرهم فى مجال الثقافة • فقد اشتغل معظمهم بالسياسة على أعلى المستويات ، لكنها كانت مجرد تنويعة جانبية على خطهم الثقافى الأساسى •

***

هناك مشكلة أخرى يعانى منها أدباء هذا الجيل وتتمثل في الهوة السحيقة التى تفصل بينهم وبين الجيل الذى سبقهم ، لدرجة أنهم اصطلحوا على تسمية أنفسهم بأنهم « جيل بلا آباء » ومن ثم فان الجيل الذى سبقهم يعتبر جيلا بلا أبناء • وللأسف لم يحاول أحد الجيلين أخذ زمام المبادرة فى يده والقيام بلقاء الجيل الآخر ، بل قنع كل جيل بمهاجمة الجيل الآخر • فالجيل القديم يتهم الجديد بالعقوق والسطحية والجهل والجيل الجديد يتهم القديم بالانانية والتسلط والاستيلاء على كل الفرص التى من حق الجيل الجديد ، منتهزا بذلك استمراره فى تحكمه القديم فى مراكز الثقل الثقافى من أجهزة ودور نشر •

وبالطبع كانت الثقافة هى ضحية هذه الهوة أو هذا الصراع المؤسف • ذلك لأن الثقافة هى نهر متصل ، قد يحمل على سطحه الأمواج المتلاطمة ، لكن لا يعنى هذا أن مجراه قد فقد حدوده المميزة وملامحه الخاصة •

وفى تراثنا العربى العريق كان الأستاذ يفخر بانه قدم للثقافة العربية أكثر عدد ممكن من التلاميذ النجباء ، فى حين كان التلاميذ يعتزون أشد الاعتزاز بتلمذتهم على يدى هذا الأستاذ لكن هذا لم يمنع وجود الاختلاف فى الرأى والاجتهاد بين الأساتذة والتلاميذ فقد كان الاختلاف دليل الصحة والحيوية والقدرة على الابتكار والتطور • أما الصراع فلا يؤدى الا الى العقم والجدب والموات • وهو ما جعل أدباء هذا الجيل يعانون من الطريق المسدودة التى أوشكوا على الدخول فيها بلا عودة •

وعلى سبيل ممارسة النقد الذاتى فانه يتحتم على أدبائنا الشبان مواجهة عيوبهم الذاتية فى محاولة للتخلص منها ، وذلك حتى ينطلقوا فى المسار الصحيح • من هذه العيوب التسرع والعجلة فى النشر والانتشار ظنا منهم أن الأمور تقاس بالكم فى ميادين الثقافة • فالعبرة ليست بعدد الكتب التى نشرت لكاتب ما ، بل بنوعية الكتب التى أصدرها • فقد يحتل مؤلف مكانة مرموقة وعريضة على الخريطة الثقافية بكتاب وحيد ألفه طوال حياته ، وقد يغفل تاريخ الثقافة والفكر ذكر كاتب نشر عشرات الكتب • فالثقافة معاناة واستيعاب وفكر ورؤية واضحة محددة للكون والأحياء قبل أن تكون استعراضا أو تكرارا للمعلومات التى يمكن الحصول عليها من مصادر أخرى •

***

من العيوب التى يعانى منها أكثر الأدباء الشبان أيضا تلك التى تتمثل فى أن معظمهم لا يجيد اللغات الأجنبية وعلى راسها الانجليزية والفرنسية ، ومن المعروف أن اللغات الأجنبية العالمية هى النافذة التى يطل منها الأدباء والمفكرون على ثقافة العصر • ولا يهم ان اتفقوا مع هذه الثقافة أو اختلفوا ، لكن المهم الاطلاع ثم الاستيعاب حتى يتسنى لهم تحديد موقفهم الحضارى من الثقافة العالمية ، وحتى يتمكنوا من الاستفادة من الايجابيات وتجنب السلبيات التى قد تعتور جوهر ثقافتنا وتراثنا •

أما اعتماد الأدباء والكتاب على الأعمال المترجمة فمن شأنه أن يضعهم تحت رحمة المترجمين • ونحن نعلم أن بعضهم يعجز عن نقل المعنى الذى يقصده المؤلف الاصلى • هذا بالاضافة الى ضعف حركة الترجمة الى الدرجة التى أوشكت فيها على الاندثار •

***

أما عن أزمة النشر التى يشكو منها الكتاب الشبان فهى تختلف من بلد لآخر

فى المظهر الخارجى ، أما فى جوهرها فهى تكاد تتشابه الى حد كبير فدور النشر ـ سواء كانت حكومية أو خاصة ـ تفضل بطبيعتها التعامل مع مشاهير الكتاب ذوى الأسماء الكبيرة حتى تضمن توزيع انتاجها ، ومن ثم لا يتسع المجال للأدباء الشبان لكى يصلوا الى الجمهور فهناك عنق زجاجة يتحتم على الأديب الشاب أن يمر منه فى عملية نشر أعماله وبالطبع فان قليلين هم الذين يوفقون فى هذه المحاولة ·

فى هذه الحالة لا يستطيع الجيل الجديد من الأدباء اتهام الجيل القديم بالأنانية والتحكم والتسلط ، ذلك أن المسألة هنا تخضع لعوامل السوق التى يضعها الناشرون فى اعتبارهم دائما · هنا يمكن للدولة أن تقوم بدور ريادى فى تشجيع الأدباء الشبان عن طريق تبنيها لأعمالهم ونشرها وتقديمها للجمهور العريض من القراء ، فهدف الدولة ـ بطبيعته ـ نشر الثقافة وتعميقها قبل الحصول على ارباح معينة · أما الأدباء الكبار فالباب مفتوح لهم على مصراعيه عند ناشرى القطاع الخاص الذين يجنون الكثير من وراء الأسماء الكبيرة ·

هناك مشكلة أخرى تبرز فى مواجهة الأدباء الشبان ، وهى على الرغم من بداهتها فانه ثبت عمليا أنها ظاهرة خطيرة الى حد كبير · هذه المشكلة تتضح فى عدم تمكن عدد غير يسير من الأدباء الشبان من ناصية اللغة العربية ذاتها · واللغة ـ كما هو معروف لدى الجميع ـ هى أداة توصيل الأعمال الأدبية الى الجمهور · واذا كانت الأداة رديئة التوصيل للفكر والفن فلابد أن يكون العمل الأدبى رديئا بدوره مهما كانت عظمة الفكر والفن اللذين يحتوى عليهما · فالشكل اللغوى لا يمكن أن ينفصل عن المعنى الفنى أو الفكرى ، لأن العنصرين يشكلان وجهين لعملة واحدة · من هنا كانت حتمية تمكن الأديب من ناصية اللغة · وهذا التمكن لا يتأتى له الا من خلال المران الشاق والطويل حتى يدرك أسرار اللغة وحيلها وألاعيبها · وهى أسرار تختلف من لغة الى أخرى اختلاف بصمات الأصابع · فاذا كان التمكن من قواعد النحو والصرف والمحسنات البديعية واللفظية بديهة لا تقبل الجدل فان تطويع اللغة واستخراج أسلوب مميز منها وخاص بالاديب ضرورة ملحة أيضا ·

كل هذه ضرورات لابد أن يضعها الأديب الشاب فى اعتباره ، وعليه بالتروى والتأنى والدراسة العميقة والمستفيضة حتى يقع فى نهاية الأمر فى غرام لغته وأدبه وفنه · وعندما يصل الى هذه المرحلة المتقدمة من عشقه لفنه ، سيجد المتعة كل المتعة فى عملية الابداع الأدبى ذاتها وسيتوارى جنون النشر فى خلفية تفكيره الى حد ما · لكن عليه أن يعلم أن الجيد الأصيل لابد أن يصل ، لأنه فى النهاية لا يصح الا الصحيح · أما المتعجل فسرعان ما يقع ضحية لليأس أو الملل ، وسرعان ما يهجر الميدان لغيره من الأدباء الأصلاء المثابرين ·

***

ولا نعتقد ان ازمة النشر او صراع الأجيال أو غير ذلك من العقبات التى يظنها الأدباء الشبان نهاية العالم ـ لا نعتقد ان هذه العوامل تمكنت من القضاء على اديب جديد أصيل بطول تاريخ الأدب الانسانى · وان كانت قد فعلت فلابد ان تكون هذه حالات شاذة للغاية ، لأن من سار على الدرب وصل · لذلك فان ازمة الأدباء الشبان ازمة جدلية الى حد كبير ، لأن الشباب الأصيل ـ بطبيعته ـ قادر على اجتياح اية ازمة طالما انه مسلح بالثقة بالنفس ، والدراسة العميقة ، والنظرة الشاملة ، والتحليل الموضوعى ، والمنهج العلمى وغير ذلك من الأسلحة التى لابد ان تساعده فى النهاية فى تحقيق كل طموحاته الفكرية والفنية ·

صخب السكون !

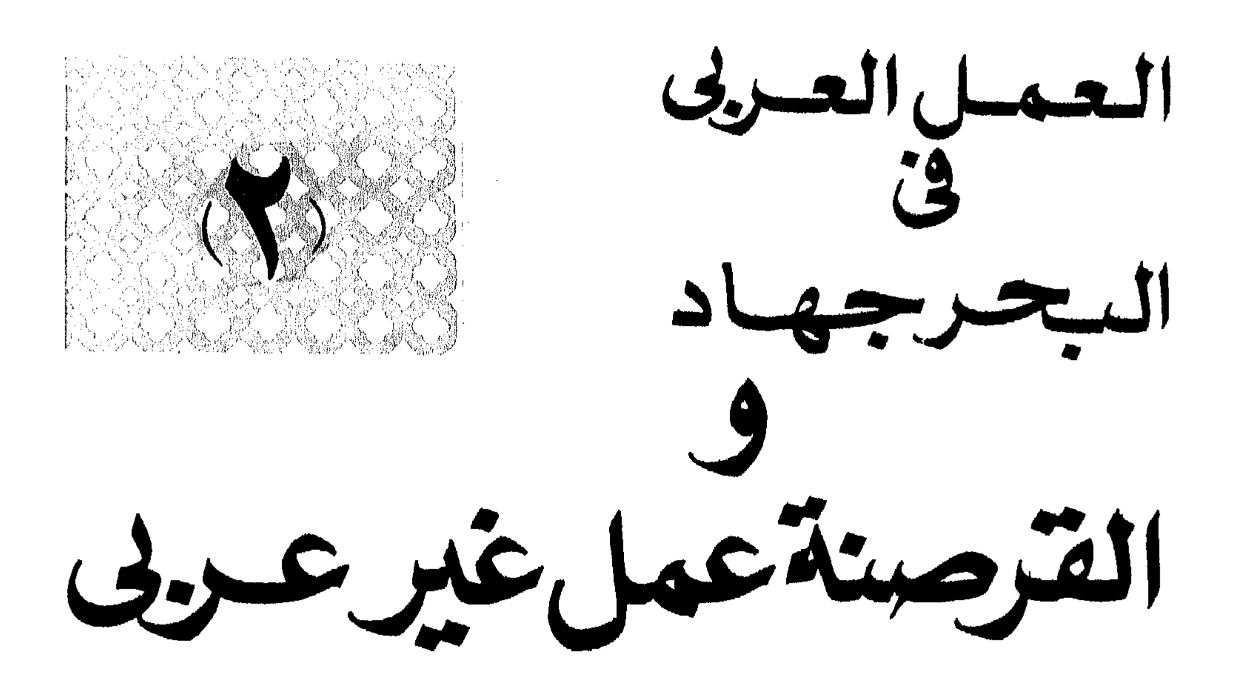
• محمود المتريس •



وبعد ... يا ظمآنة العينين ..
متى .. وأين .. ؟؟
هذا السكون الصاخب الأعماق ..
قد يطول
وتنتهى الفصول
وعندما يستيقظ الهجير
وليس فى قرارة الغدير .. غيرقطرتين
ماذا ترى نفعل ــ حينذاك ــ
أو نقول .. ؟؟

***

يا ظمأ العينين .. ياخفاء
أقول : إنَّ أرضنا ، سماء
تعرف ماتشاء ، لكن ليتها تشاء
إن حبال الصمت ، قد تقطعها رياحنا
العنيده
لكنَّ ما أخشاهُ ــ ياحبيبتى
لو أسلم الرجاء ...
أن تبرد احتدامة الفضول
وتذبل القصيده



العمل العربى فى البحر جهاد و القرصنة عمل غير عربى

(٢)

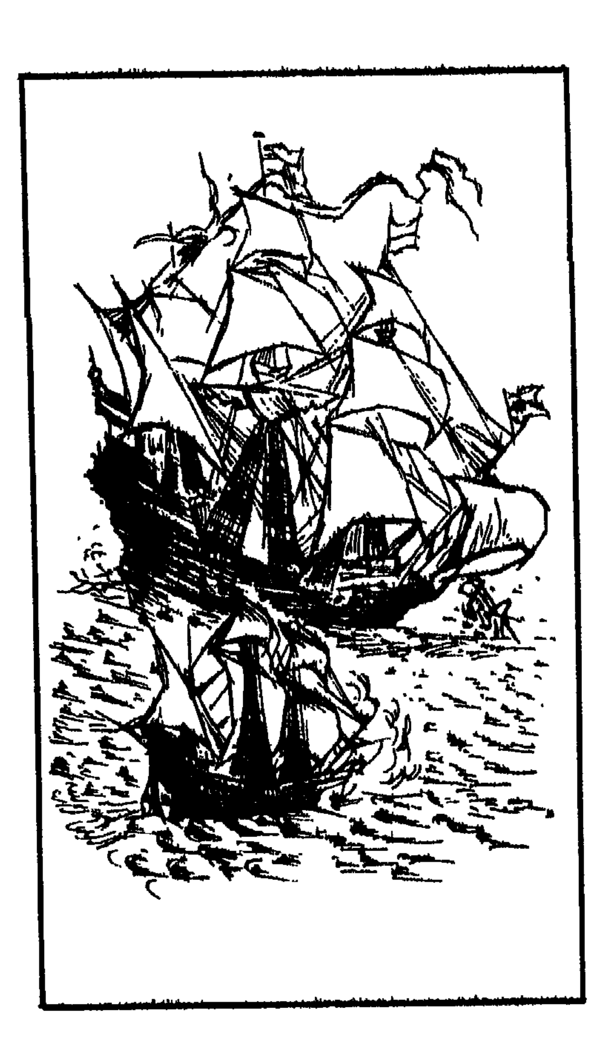
● د . عبد العزيز بن عبد الله ●

بقية ما نشر فى عدد ديسمبر ١٩٧٩

وقد كان مجموع المغرب مهددا اذ ذاك من طرف غزاة الاسبان الذين حدتهم الى اكتساح افريقيا روح صليبية باركتها رسميا البابوية اذ ذاك ، ولم تكن تخلو هذه الغارات من الرغبة فى الغنيمة لاسيما وان استقرار المسيحيين فى الشواطىء المغربية كما يقول الاستاذ « تيراس » ساندته سلسلة من غزوات النهب قام بها البرتغاليون والفرسان الاسبان ،على ان هاته الاعتداءات ضد المغرب تندرج فى اطار حملة استعمارية واسعة النطاق ، زجت اوروبا بنفسها فيها فى القرن السادس عشر الميلادى، ذلك أن الاستعمار الاسبانى البرتغالى لم يسعه الا ان ينجذب لثروات بلاد قريبة من اوروبا مثل الشمال الافريقى.

ولا يمكننا ان نفصل تاريخ تلك القرصنة الموسومة بالافريقية عن حركة الغزو التى نسقت « كما يقول تيراس » تنسيقا بديعا تحت ظل البابوية . وقد اغار الاسبان على شرق البلاد ، بينما اكتسح البرتغاليون غربها محاولين اقرار حمايتهم على جميع المغرب ، ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل ، وارتطمت بصمود تلقائى عنيف ، حيث هرب الشعب الذى كادت تجرف به لاول مرة فى تاريخه حملة الغزاة الاوروبيين — فى كتلة متراصة لصد العدوان ، فتدفق المتطوعون من جميع انحاء البلاد لنصرة الوطن المهدد..

وقد لاحظ « تيراس » أن مجاهدى الجنوب الاقصى للمغرب شوهدوا وراء أسوار سبتة متحفزين للوثوب على العدو ، فقد كان المغربى متسامحا حتى ذلك الحين ازاء الاوروبيين ، واستوثقت علاقته مع أوروبا طوال خمسة قرون فى جو من التحالف الواثق الهادىء . غير ان هذا المساس بسيادة وطنه وكيانه ، وذلك الثلم الاليم



لكرامته وحريته .. اسفر عن عهد جديد وسمه الحذر والحيطة بطابع خاص ، فانقلبت الجماهير المتسامحة المسالمة الى شعب ثائر جريح في شعوره القومي فانتفض انتفاضة الموتور للذود عن حماه ..

وقد حفزه ذلك الحذر الى الانطواء على نفسه لا بالنسبة للعالم المسيحي وحده بل حتى بالنسبة للامبراطورية العثمانية التى اكتسحت منذ القرن السادس عشر الميلادى الاقليمين الشرقيين للشمال الافريقي وهما الجزائر وتونس ، ذلك أن التوسع التركي كان يرمى الى الاستيلاء في شمال المغرب على بعض المراكز الاستراتيجية التى كانت تركيا ترى من الضرورى مراقبتها لتعزيز كفاحها ضد الاسبان . غير أن المغرب الذى كان شديد التمسك باستقلاله لم يتوان في خوض كفاح مرير من أجل الدفاع عن كيانه ضد المعتدين ولو كانوا من المسلمين ، لكفاحه هذا يتسم اذن بسمة عنصرية ولا ملية وانما كان رد فعل قوى ضد الاجنبي بصفته معتديا . وهذه الفترة العصيبة في التاريخ العربي قد وافقت سقوط غرناطة آخر معقل اسلامي في اسبانيا والفتك الذريع الجماعي بعشرات الالاف من الاندلسيين فاضطر المغرب الذى انتزع منه قسط من ترابه الوطني الى ايواء المهاجرين الاسبان الذين حطوا معهم الحقد والطوت قلوبهم على ضغينة ضد العداة ممن طردوهم من بلادهم .

نعم ، ان المهاجرين الاندلسيين حنقوا اشد الحنق على اسبانيا التى فتكت في ظرف ١٣٩ سنة بنحو ثلاثة ملايين من المسلمين واليهود حسب قول المؤرخ ((لورانت)) في تاريخه النقدى للتعذيب باسبانيا ، كما احرقوا عام ١٥٩٩ ازيد من مليون مخطوط عربي حسب رواية المؤرخ ((بيرسكوت)) في كتابه ((حول فراند وايزابيلا)) ص ٤٥١ ، وهكذا انقلب الاندلسيون الذين فقدوا اموالهم وعائلاتهم من جراء الضربات المتوالية التى انزلتها بهم اسبانيا الصليبية — ليأخذوا الثأر لقتلاهم فاستوطنوا بعض مدن الشمال ، وكونوا عصابة من القراصنة هاجمت الاساطيل الاسبانية في قوة وعنف ، فتحولت القرصنة البحرية آنذاك الى كفاح وطني ..

وقد ابرز المؤرخ الانجليزى ((لينبول)) هذا النوع الجديد من الحرب في الكتاب الذى صنفه حول قراصنة افريقيا ، وبذلك ارتسمت القرصنة كمرحلة جوهرية في المناورات الحربية في ذلك العصر ، باقتضى القراصنة الاندلسيون مضاجع الغزاة الاسبان الذين كانوا قد استقروا بقسم من الساحل الافريقي ، مما حدا الاستاذ ((تيراس)) الى القول بان سيطرة العثمانيين على سواحل الجزائر وتونس كانت نتيجة رد فعل لطائفة من القرصنة ضد الاكتساحات

الاسبانية على هاته الشواطىء ، كما اكد المؤرخ « اندرى جوليان » أن تدخل هؤلاء القراصنة العرب هو الذى أدى الى فشل سياسة اسبانيا الافريقية ، كما غير مجرى تاريخ القارة الافريقية .

ففي عام ١٥٠١ نقل السيد خير الدين المعروف عند الأوروبيين « بباربورس » — وهو مسيحي الاصل من جزيرة ليسوس اليونانية — مركز عملياته الى البحر الابيض المتوسط بعد ما ساعد على نقل سبعين ألف اندلسي الى التراب المغربي « راجع « لين بول » ص ٥٩ وبذلك اندرج في سلك عصابة خير الدين عدد من المرتزقة للقيام بالقرصنة في مياه البحر المتوسط .

نعم ، كانت هناك أوكار أخرى للقراصنة في شواطىء الاطلنطيك ، لاسيما في مصب أبي رقراق ، تطور نشاطها مع الايام حتى أصبح رجالها معروفين بالقراصنة السلاويين ، وهو اسم أطلق في الحقيقة على مجموع القراصنة المغاربة — غير أن هؤلاء لهم وضع خاص يعتبر مظهرا لمشكلة استثنائية هي مشكلة الداخلين في الاسلام من المسيحيين في افريقيا . وسنرى كيف ان هذه القضية المعقدة خلقت لبسا خطيرا في ذهن بعض المؤرخين .

وعلى اى حال فان الاعمال التى كان يرتكبها هؤلاء القراصنة أصبحت مع الزمان مثار قلق بالنسبة للمغرب ، ولم يكن في وسع ملوكها مواجهة هذه المشاكل ، لأن المسئولية ترجع في الواقع الى اوروبا التى تحدت السلطات المغربية المشروعة فاعترفت لمن يسمون بالقراصنة المغاربة طوال قرنين اثنين بوجود قانوني شبه رسمي — « راجع كتاب دوكاستر في الموضوع » — بل ان بعض الدول الاوروبية حالفت هؤلاء القراصنة وشجعتهم ، ثم شملتهم بعطفها وحمايتها مثل هولندا وانجلترا ، فلا يغرب عن أذهان المؤرخين ذلك العمل الغريب الذى قامت به الولايات العامة « اى هولندا » حيث اجبرت بحارة « لوبيك » . « وهى مرسى المانية تقع على ٥١٥ م . من بحر البلطيق » — على اعداد مركب جديد لتسليمه الى القراصنة المغاربة ، بل ان الاسطول الانجليزى حمى هؤلاء القراصنة عام ١٦٣١ بدعوى مسالمته لهم ، ذلك أن وجود القراصنة بالمغرب كان يشجع دسائس ومناورات بعض الدول التى كانت تتحين الفرص للانقضاض على الشمال الافريقى ، وقد استغلت بعض هذه الدول القرصنة نفسها فاعتبرت وجودها خطرا على كيانها ، والفت كتلة عملت على القضاء على اسطوله الوطنى الذى كان سعقلا متنقلا وحصنا مكينا للذود عن سيادة المغرب ، فكان ذلك من أوروبا الخطوة الاولى فى سبيل القضاء على استقلال المغرب .

وقد كتب « دوكاستر » بحثا قيما حول تاريخ « قراصنة سلا » فاكد ان المغرب تمكن من فرض وجوده خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، الى حد أن الدول المسيحية خطبت وده وحالفته ، وادت له جزية ، ثم علل ذلك بأن اسطولا قرصنيا كان يثير الرعب في الاطلنطيك فوجب أن تضمن ضد السلاويين سلامة السفن التجارية عن طريق المعاهدات والجزيات .

ومعلوم أن القرصنة في حوض ابى رقراق من اثار الاوروبيين انفسهم لان ذلك كان مجهولا فى المغرب ، حتى استقر ايام العرينيين انفسهم ، وكر « قرصني » فى المعمورة « المهدية » على ساحل الاطلنطيك ، فعظم شأنه واستفحل امره ، وكان القائمون عليه اخلاطا من جميع الامصار فيهم من

إن القرصنة ضد الأساطيل الأوروبية كان يستغلها أحيانا ملاك من بحارة الغرب.. فقد كان هنالك ضباط ضاربوا في التأمينات البحرية... فسلموا سفنهم إلى القراصنة

المسيحيين أكثر من المسلمين ـ كما يقول « دوكاستر » .

***

ولكن بعد دولة الشرفاء واسترجاع المغرب لمراكزه البحرية وقع حادثان اثنان كان لهما كبير الاثر في تاريخ المغرب ، وهما استيلاء خير الدين ورجاله على مدينة الجزائر ، وتحول محور التجارة الدولية من الشرق الى الغرب على اثر الاكتشافات البحرية الكبرى ، فقد اصبح مضيق جبل طارق المحجة التجارية الكبرى ، وكان من بين المدن الساحلية التي نجت من غارات البرتغاليين والاسبان ، سلا ـ الواقعة على ساحل الاطلنطيك ، وتطوان على ضفاف المتوسط فاصبحتا « مهدا » للقراصنة المغاربة ، ثم صارت سلا خاصة المدينة القرصية الرابعة ـ حسب قول « دوكاستر » ـ بعد طرابلس الغرب وتونس والجزائر

وبالرغم من ان سلا كانت رديئة الميناء فقد أصبحت أهم مورد للغرب حيث كانت أوروبا تروج مجموع منتجاتها المصدرة للغرب ، فقد لاحظ قنصل فرنسي عام « ١٦٩٩ » ان منتجات الغرب كانت تباع بأقل من ثمنها في أوروبا نفسها نظرا لوفرة الكمية المستورده .

وطوال قرن كامل انحدر الى سلا من الفردوس المفقود عدد كبير من المهاجرين على اثر سياسة القمع التي نهجتها اسبانيا آنذاك ، واستمرت هذه الهجرة المؤلمة الى عام ١٦١٠ ميلادية وهو تاريخ الطرد النهائي المقرر من طرف فيليب الثالث ، ولم يندمج الدخلاء الجدد مع سكان المدينة ، بل زادوا عليهم عددا وقد انجذب لهاته المدينة التي كانت في حمى امنع من المدن الاخرى ضد ردود فعل المسيحية ـ عدد لا يستهان به من الاندلسيين الذين كانت تذكيهم روح المغامرة البحرية ، فوجدوا في القرصنة ذريعة للاقتصاص من اسبانيا بوجه خاص ، ولتنمية ثرواتهم في آن واحد ، وقد شجع السلطان عبد المالك السعدي استقرار هاته العائلات الاندلسية لاسيما وان المدينة المعمورة التي سبق لعبد المؤمن الموحدي أن اقام فيها ١٢٠ قطعة حربية **كانت لا تزال هي واصيلا والعرائش في قبضة المسيحيين ، فكانت سلا بذلك هي الميناء المغربي الوحيد بالاطلنطيك الذي تتاتى له مراقبة مضيق جبل طارق الذي لم تكن تفصله عنه سوى خمسين مرحلة ، وقد لاحظ الأب « دان » ان هذا الوضع ساعد القراصنة على الانزواء المستتر استعدادا للتحفز ضد السفن الاجنبية وكانت معرفة الاندلسيين للجهات الاسبانية ولثنايا البلاد تمكنهم من تقمص المظهر المناسب للتربص بالعدو ولم يكن لهؤلاء الاندلسيين صلات طيبة بالقبائل المجاورة التي كانت تعتبرهم ضعيفي الايمان فلم يكن بينهم والحالة هذه تآمر من اجل القرصنة المشتركة .**

وقد لاحظ « دوكاستر » انه ورد على سلا عقب هذا العهد اتراك ومسلمون حديثو عهد بالاسلام ، انحدروا من

مختلف آفاق المتوسط ، وكانوا عبارة عن عصابات اتخذت اللصوصية مهنة لها ، فما لبث هذا الخليط من البشر ان انساق على غرار امثاله من سكان المدن القرصنية الاخرى. واذا استثنينا العقيدة الاسلامية فى نفوس هؤلاء فلم يكن هناك فرق كبير بينهم وبين اهالى مدن المتوسط المسيحية وبالاخص منها « جنوة وبيزا ولفورن وبرشلونة » .. وكان الاسترقاق هو هدف الجانسين الاساسى فى القرصنة ، فقد حط الجنويون من كرامتهم التجارية عندما استرقوا المسيحيين والمسلمين على السواء ، وفتحوا باب الرق على مصراعيه على حد تعبير « دوكاستر ».

ففي بحبوحة القرن السابع عشر الميلادى كنت ترى فى مدينة جنوة بحارة الرياه يستخدمون عبيدا افارقة، ولم يتورع عن ذلك حتى كبار المسيحيين الذين كانوا يضربون المثل لغيرهم ، فقد حكى المؤرخ « مويط » ان احد سكان تلمسان كان عبدا عند كردينال مدينة ارجونة ، وقد انقلبت سلا على غرار اخواتها من مدن المتوسط القرصنية الى جمهورية وكانت ظاهرة عادية فى التاريخ لان الحواضر البحرية والتجارية كانت دائما تتوق الى الاستقلال الذاتى فقد انفصلت هذه المدن تدريجيا عن الدول التى كانت تابعة لها لاعتناق النظام الجمهورى ، ففى فرنسا ايضا حصلت مدن «مرسيليا ولاروشيل وسانت مالو » على امتيازات وحريات كانت عبارة عن استقلال ذاتى حقيقى .. فوجود وكر للقراصنة داخل التراب المغربى كان يتسم اذن مع الناموس الطبيعى فى ذلك العهد . وقد ادخل الاندلسيون الى سلا اللغة الاسبانية كما استعملوا القوانين والاعراف الاسبانية البرتغالية ، وقد لاحظ « دوكاستر » انه لا ادل على ذلك من قوائم اعضاء ديوان سلا حيث ابتت اسماء عائلات اندلسية مثل زهراء وفنيس ، غير ان هؤلاء الاندلسيين الذين ظلوا مرتبطين نظريا بسلاطين المغرب حيث كانوا يؤدون اليهم جراية خاصة طواعية ، لم يكونوا يرتكبون جرائمهم الا خارج المياه الاقليمية الوطنية ، فظل بذلك التجار المسيحيون القاطنون سلا المغربية ، محفوفين بالعناية والرعاية .

وقد استمسك ملوك المغرب بمبدا حرية البحار وسلامة التجارة الدولية وجعلوا ذلك فوق الاعتبارات الدينية ، بل كانوا يتحرجون عن مجابهة الاعتداءات المتكررة فى هذا الميدان ، وكانوا يفرقون بين العمل البحرى ـ خلال الحرب وهو عمل مشروع ، وبين القرصنة التى لم تكن اكثر من لصوصية بحرية.

ان الافارقة لم تكن لهم هواية خاصة فى القرصنة مما جعل « دوكاستر » يؤكد « ان قراصنة طرابلس الغرب وتونس والجزائر وسلا ـ اذا اردنا ان نقتصر على المدن الهامة ـ « لم يكونوا ينبثقون على وجه العموم من بين ظهرانى اهالى المغرب ، بل لم يكونوا ينبثقون حتى من بين الاتراك ، لان الذين كان يطلق عليهم هذا الاسم كان معظمهم من الدخلاء او احفاد الدخلاء فى الاسلام»

وقد لاحظ « دوكاستر » ان عدد المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام واستقروا فى تركيا او فى المغرب « يتجاوز كل حسبان » فمن هؤلاء خير الدين واخوه ، وحسن رمضان امير القراصنة البندقى وغيرهم .

وقد استنكر الاب « دان » حوادث اليونانيين والروس والبرتغاليين والاسبان والفلامند والالمان وغيرهم ممن كانوا يملأون جوانب البلاد الافريقية .

والحقل العادى لعملية « القراصنة السلاويين » كان هو بحر الظلمات الذى كانوا يمخرون عبابه صعودا ونزولا

يقول المؤرخ "دوكاستر" أن القراصنة كانوا يحترمون المراكب التي تحمل على ظهرها رهبانا متوجهين لتحرير الأسرى.. رغم ما كانوا يحملون معهم من أموال...

حتى الجزر الخالدات الى مياه بريست بفرنسا ، وكانت هذه الجزر تحتضن عام ١٥٩٥ ميلادية أزيد من ثلاثمائةعائلة افريقية ، بحيث كان معظم سكان مدينتي فوريطا فانتورا ولا نزاروط أفارقة ، وكانت الاولى وحدها تشتمل على ثلاثعشرة قرية افريقية«هسبريس ـ مجلد ٢٥ عام ١٩٣٥ » ، وقلما كان السلاويون يعبرون مضيق جبل طارق للدخول للبحر المتوسط حيث كان قراصنة الجزائر يتعرضون لهممدعين احتكار القرصنة بهاته المياه ، بل كانوا يفضلون الجولان في لجج الاطلانطيك الى حدود المياه البريطانية وحتى الى جزيرة نرنوف الامريكية ..

على ان القرصنة ضد الاساطيل الاوروبية كان يستغلها احيانا ملاكمن بحارة الغرب ، فقد كان هنالك ضباط ضاربوا في التامينات البحرية فسلموا سفنهم الى القراصنة المغاربة . وقد ضرب « دوكاستر » مثلا لذلك البارجة « لاارويال » وهي من حمولة ٦٠ طنا ومجهزة بستة مدافع ، فقد سلمت هذه بربابنتها والمسافرين المحمولين عليهامع أمتعتهم الى احد قراصنةسلا يوم١٦ من سبتمبر ١٦٧٠ ـ ميلادية ،وحكي « مويط » أن قبطانها وهو من مدينة دييب « مدينة فرنسية على بحرالمانش» كان قد ضمن لنفسه تامينات كبرى على سفينته ، بحيث اصبح غرمها غنما كبيرا ...

وقد لاحظ « دوناستر »أنالقراصنه كانوا يحترمون المراكب التيتحمل على ظهرها رهبانا متوجهين لتحرير الاسرى رغم ماكانوا يحملون معهم منأموال .

وقد نظمت بعض الدول الاوروبية حملات ضد قراصنة سلاولكنمطاردتهم وحصارهم للقرصان ذهبت ادراجالرياح ذلك ان نفس هؤلاء القرصان كانوا محميين من طرف دول غربية اخرى تحالفت مع عصابات اللصوص امعانا في الدسيسة ضد ملوك المغرب ، على أن بعض الاقطار الاوروبية التيلم تكن تذكيها مطامع بالمغرب ، كانت تسالم القراصنة حفاظا على وضعها في البحر . وكانت دولاخرى تستخلص من علائقها مع القرصان ارباحا طائلة شجعتها على عدم التحرج من مساندةتلك العصابات وقد لوحظ أنه في أواخر العهدالعريني اصبحت مدينة انفا غنية جدا مستقلة عن باقي البلاد في نظام جمهورية صغرى سكانهاقراصنةتربطهم بانجلترا والبرتغال روابط تجارية ،وقد ساعد هذا التشجيع كلا من انفا وسلا على الايغال في تمردها ضد السلطة المركزية وعقد عدة معاهدات مباشرة مع اوروبا ، كما وقع لعدد من الدول المسيحية التي عاقدت الجزائر دون اشراف تركيا .

فانعدام اللياقة الديبلوماسيه كما يسميه « دوكاستر » هو الذى اطال امد الحركة الثورية التي خاض غمارها هؤلاء الدخلاء من ضعاف الايمان ضد ملوك المغرب ...

قصــة

رســالة فى زجاجة

● بقلم : ارستوبارا ●
● ترجمه . د . محمود على مكى ●



كاتب هذه القصة قصصى اسبانى ناشىء ، اشترك فى المسابقة السنوية التى تنظمها مجلة ((الرســالة الادبية)) الاسبانية فى الشعر والقصة القصيرةللكتاب الشبان ممن هم دون الخامسة والعشرين ، وكانت قصته هذه قد فازت بالجائزة الاولى فى المسابقــة ونحن نرى فيها نموذجا طيبا لكتابة الادباء الشباب فى اسبانيا ذلك البلد الصديق الذى تربطنا بهعلاقات وثيقة فى الماضى والحاضر .

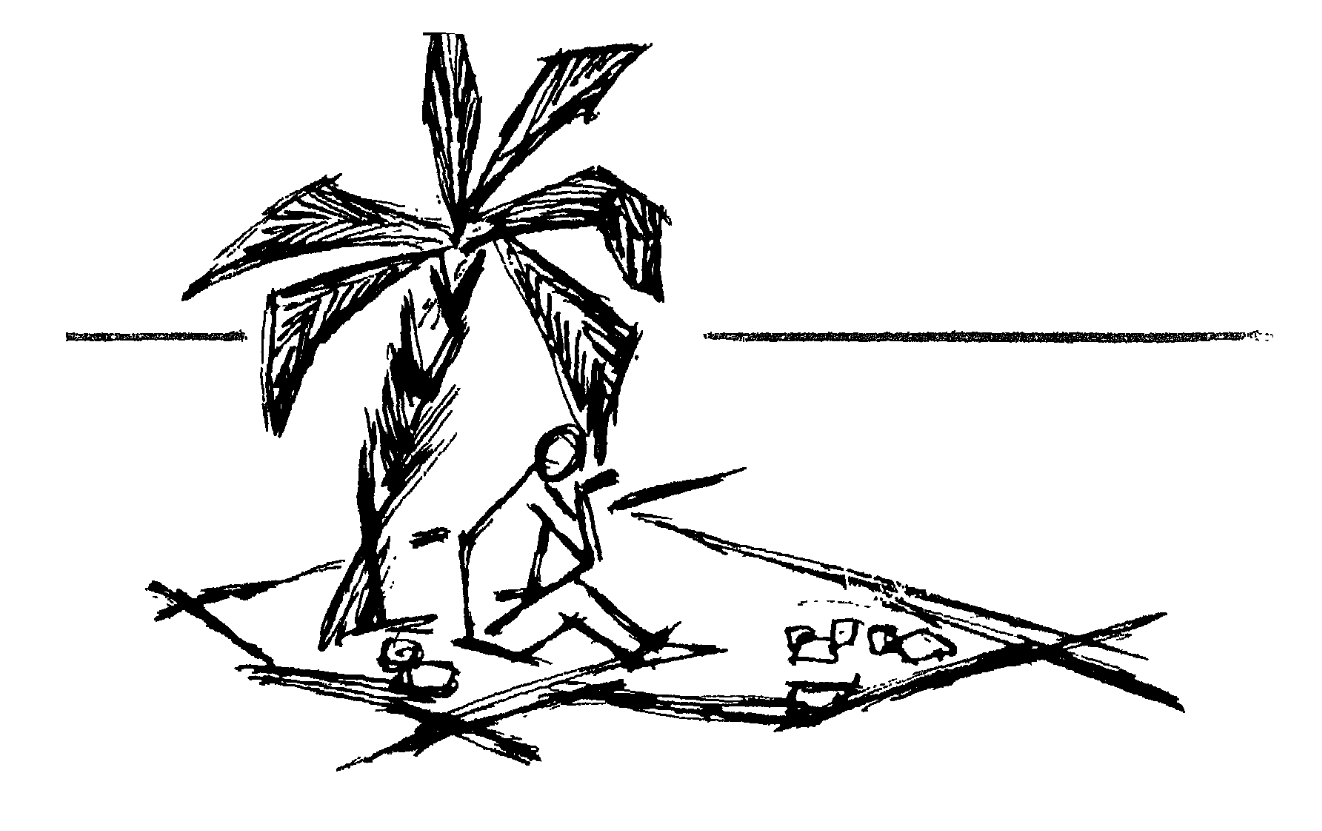
((من اســــوأ ما ابتلى به الشرفاء انهم فى العــادة جبنــــاء !))
فولتير

● **لم يكن هنــاك مركب واحد فى المينــــاء وكان ((فوثيو)) يقـــوم بنزهته عــــلى الرصيف فى اصيل هذا اليوم الملبد بضباب كثيف كانه مطلى بالقطران .. الشمس تبدو كقرص من الاسبرين قد الصق بسقف غرفة ، ولكنها كــانت لاتزال ترسل اشعتها فى جلالة مهيبــة وان كان ضوؤها رفيقا لا يغشى بصر الناظرين ..**

لم يكن هناك بحارة يتجولون علــى الارصفة ، ولا نساء يبذلن اجسادهــن لطالبيهن ، ولا مهربون يعرضــــون بضاعتهم من العطور اليابانية . حتــى الحانة كانت مغلقة .. الميناء كلــه مهجور كما لو كان مدينة اســـطورية انحسر عنها الطوفان . كل ما يمثــل الحياة فى عصر هذا اليوم هــــو أسراب من الطيور البحرية ترســـم بأجسادها الصغيرة بقعا بيضـــاء على خلفية رمادية ، بقعا طائرة ، شهبا فى وضح النهار ..

ولكن على بعد كيلو مترات كثيرة من رصيف الميناء كان فى عرض البحــر رجل شاء له حظه أن ينجو من غرق سفينته ، وكان معتصما بجــزيرة مرجانية صغيرة لم يبد على سطــح الماء منها الا طرف ضئيل كأنه قلامة ظفر حاد يشق البحر ويخدش صفحة السماء !

كان مع الرجل زجاجة .. فالمعتاد فى كل من يظفر بالنجاة من مركــب غارق ان تكون معه زجاجة او علــى الاقل يعثر عليها فى مكان ما . وكانت فى جيبه قطعة من ورق التنظيف، فقد فاجاه غرق السفينة وهو فى دورة المياه . ولكن لم يكن معه قلم . الا انه شرع فى التفكير معتصرا ذهنــــه المبلل بالماء ، وظل يستعرض بذاكرته



كل ماكتبه الادباء والقصاصون حول من حملهم الموج بعد نجاتهم من الغرق الى جزر مهجورة . كانت كل تجاربه فى ذلك لا تعدو سطورا قليلة قراهـا حول الموضوع بينما كان يجلس فى ليالى الشتاء مادا قدميه امام المدفاة وقد بسط على ركبتيه بطانية غليظة .

ولكن الأمر الان يختلف : هو نفسه الان الذى يقوم بدور « روبنسون كروزو » مع فارق واضح هو انه لم يوهب قدرة «كروزو» على تعذيب نفسه بالتأمل والتحليل ولا برودته وهدوء أعصابه عند مواجهة المواقف الصعبة !

لم يكن أمامه الا حل واحد : هو أن يجرح ذراعه بشفرة اتفق انها كانت فى جيبه ، ويكتب بدمه رسالة استغاثة ، ولتكن هذه الرسالة المسطرة بالدم بمثابة حلف ماساوى يحاول عقده فى هذه اللحظات مع الحياة .. اما آلة الكتابة فيمكن أن يفى بالغرض اى فرع يابس . هذا الفرع سوف يكون صاحب الفضل فى نجاته اذا نجا ، وسوف يضعه دائما أمامه على مكتبه اعترافا بجميله!

وكان « فوثيو » هو الوحيد المثابر على هذه النزهة اليومية على رصيف الميناء فقد كان يعجبه سماع النعيب الحاد العالى الذى تطلقه الطيور البحرية المحومة على تلك المقبرة الصامتة من أحجار الرصيف المهجور .

ثم جلس على أحد المقاعد الحجرية بعد أن انتزع من جريدته ورقة تحمى ثيابه مما علا المقعد من تراب ، ومضى يتصفح الجريدة ، ثم تركها الى جانبه واقبل يتأمل صفحة الماء . كان البحر يبدو فى هدوئه كما لو كان صورة مرسومة . ومضت عيناه تجوبان الافق هنا وهناك ، ونظراته ترتفع وتنخفض وتنزلق على صفحة البحر ثم تغوص حتى يبللها الماء ، ثم تنطلق حتى نهاية الافق وتعود من جديد .واخيرا تصطدم عيناه بشىء معدنى البريق يطفو على الماء ، ويحد النظر ويلف جريدته ليتخذ منها منظارا مقربا يعينه على الرؤية ، وكانه قرصان يبحث فى البحر عن سفينة يشن عليها الهجوم !

ومن جديد يركز نظره على هذه النقطة اللامعة التى تبدو طافية على صفحة الماء .. الآن يبدو عنق

زجاجة يتارجح على السطح مانحا انفحة من الحياة على المنظر الجامد !

وينحى «فوثيو» منظاره المقسرب جانبا ويقترب من حافة الرصيف ،ثم ينزل من الدرج المؤدى الى الماء ليلتقط الزجاجة الطافية . لقد عودته التجربة على انه لا يعثر المرء على زجاجة فى البحر الا اذا كانت تحمل رسالة دعوة الى نجدة عاجلة ..

***

الرجل الناجى من الغرق يجلس بعد ان قذف برسالته بادئا مرحلة انتظار فيها امتحان لصبره . ولكنه لا يستطيع عد الايام كما فعل « روبنسون كروزو » ، اذ هو لايجد فى جزيرته نخلة ولا آلة حادة يسجل بها حسابا للوقت ، ولا قططا ولا كلابا ولا قرودا تؤنسه فى وحدته . بل حتى طيور البحر لا يرى منها واحدا يصفق بجناحيه فى جو تلك الجزيرة. ليس هناك الا البحر ممتدا امام عينيه وقد امتزجت على صفحته الوان متباينة من الازرق البحرى الى الاخضر القاتم كانها اللوحة التى يمزج الرسام عليها الوانه .

وحينما كان ظلام الليل يخيم على الجزيرة كانت تصل الى مسامعه ضحكات الاف من الاسماك حوله ،وكان يحدث نفسه مغيظا وقد فرغ صبره « ليتها كلها تموت مختنقة او تشرق بما تبتلعه من ماء ! »

***

ويلتقط «فوثيو» الزجاجة ،ويعالج سدادها الفلينى حتى ينتزعه ، ثم يستخرج الورقة المطويه بداخلها . كانت الكتابة بمداد احمر او لعله دم، اما القلم فيبدو انه لم يكن على درجة من الجودة لما فى الخط من اضطراب ، وان كان يبدو من طريقة الكتابه وما فيها من طلاقة أن الكاتب رجل أوتى حظا من الثقافة . كانت هذه هى النتائج التى وصل اليها « فوثيو »وهو يقوم بدور المخبر البوليسى . وكان هذا هو نص الرسالة :

النجدة ! .. انا فى جزيرة مهجورة . سفينتنا تحطمت وغرقت وانا الناجى الوحيد .. لابد اننى فى موقع قريب من التقاء خط الطول ١١ بخط العرض. ارسلوا نجدة عاجلة ، ارجوكم الاسراع — امضاء » .

واودع « فوثيو » الرسالة من جديد فى جوف الزجاجة ، وعاد الى بيته فى عجلة ، وهناك اخرج صينية النيكل التى كان يحتفظ بها فى الصوان ، ووضع عليها الزجاجة ثم مضى بها فى خفة ، واجتاز عدة شوارع حتى وصل فى النهاية الى مبنى مصمت ليس له نوافذ وان كان له باب واحد وصعد الدرج وهو لا يزال يحمل صينيته التى انتصبت عليها الزجاجة ومضى يذرع الممرات الصامتة حتى وقف امام باب كتبت عليه لافتة : « ادخل بلا استئذان » وتحتها بخط اصفر : « نحن لا نعانى قليلا من الصمم » .

كانت الغرفة مربعة الشكل ولم يكن يبدد الظلام الذى تسبح فيه الا ثلاثة مصابيح خافتة الضوء نصبت على ثلاثة مكاتب جلس وراء كل منها موظف . وكان على المكتب الاول لافتة كتب عليها : « طلبات المواطنين» . ومن ورائه موظف أشهب الشوارب قد اثبت على عينيه نظارة سميكة .

— نعم .. ما هو طلبك ؟

ووضع «فوثيو» صينيته بحرص على المنضده ونزع سداد الزجاجه ثم اخرج منها الرسالة وهو يقول :

— لقد اتيت اليكم بهذا .

ومضى الموظف فى قراءة الرسالة

على حين كان « فوثيو » يقطب حاجبيه فى قلق .

ـ آسف ، ولكن هذه الرسالة لا تدخل فى اختصاص مكتبى ، اذ انه لا سلطة لنا على اراضى ماوراء البحار ، ومن ناحية اخرى يجب ان يتم التحقق اولا اذا كانت الجزيرة التى يشير اليها هذا السيد تقع فى نطاق مياهنا الاقليمية ام لا ..

واعاد الموظف اليه الرسالة فطواها بعناية وزج بها فى داخل الزجاجة ، وحمل صينيته من جديد ، وتوجه بها الى المكتب الثانى حيث انتصبت لافتة تقول :

« الحالات العاجلة للمواطنين الذين يهددهم خطر الموت او الحوادث الخطيرة »

وكما حدث فى المرة الاولى شرع « فوثيو » فى نزع السداد عن الزجاجة واستخراج الرسالة وتسليمها للموظف المواجه له ، وكانه يؤدى طقسا من الطقوس . كان الموظف متكئا على مكتبه وقد أسند رأسه الى ذراعيه وهو يغط فى النوم .

ـ معذرة اذا كنت قد أيقظتك .

ودفع اليه « فوثيو » بالرسالة ، فمد الرجل ذراعه وعيناه نصف مغمضتين وتناول الورقة بينما كانت يده الاخرى تستخرج النظارة من جيب صديريته واثبت النظارة على عينيه ومضى يقرأ الرسالة بصوت مسموع وهو يبسبس بشفتيه ، على حين سرت فى جسد « فوثيو» قشعريرة خوف غامضة .

ـ آسف . ولكن ليس فى وسعنا التدخل فى الامر طالما لم نعرف على وجه التحديد مكان تلك الجزيرة ولا جنسية هذا المواطن ، وذلك خوفا من انتهاك الحقوق الدولية ومبادىء السلام المقررة فى هيئة الامم المتحدة بالنسبة للدول الاعضاء فى هذه المنظمة

او التى ينتظر ان تنضم اليها فيما بعد

ـ ولكن هذه حالة خطيرة ! ماذا بوسعى أن أفعل من أجل هذا الرجل المسكين ؟

ـ حاول ان تبعث اليه برسالة بنفس الوسيلة التى استخدمها واطلب اليه ان يحدد عنوانه وجنسيته !

وانهى الموظف الحوار بأن أخلد من جديد الى نومه الهادىء .

« جهاز معونة المواطنين الذين فقدوا المأوى » كان هذا هو العنوان الذى تحمله لافتة المكتب الثالث . وأمامه عاد « فوثيو » الى تكرار ما فعله فى المرتين السابقتين ، وقدم الرسالة الى الموظف القابع خلف المكتب ، فقرأها الرجل وهو مقطب الاسارير وقد بدا عليه اهتمام واضح .

ـ نعم . هى مما يدخل فى دائرة اختصاصنا .

وتناول الرسالة فضمها الى أوراق اخرى وضعت فى ملف كتب عليه : « حالات تحت البحث » .

وامتدت يده الى استمارات شرع فى ملئها ثم الصق عليها عددا من أوراق الدمغة وانهى عمله بايصال حرره **وقدمه الى محدثه وهو يقول :**

ـ خذ هذا الايصال ليثبت انك تسلمنا الزجاجة والرسالة عليك ان تدفع خمسمائة بيزيته لقاء الرسوم والدمغات !

ويعود « فوثيو » الى مكان نزهته على رصيف الميناء ، ولكنه يحمل فى هذه المرة زجاجة تحت ابطه . . . وحينما يصل الى المكان الذى التقط منه رسالة الاستغاثة يخرج من جيب سترته ورقة مطوية ويعود لقراءتها قبل ان يودعها الزجاجة ويقذف بها الى البحر ، وقد ساده شعور بالرضا شأن كل من ادى واجبه :

« صديقى اللاجىء الى الجزيرة المهجورة . تذرع بالصبر والشجاعة. فحالتك فى طريقها الى الحل بالطرق المشروعة ـ صديقك : فوثيو »



الحزورة أقرب من الفزورة إلى العربية

• محمد قنديل البقلى •

• ثمة تلازم بين الفصحى والعامية ، لا تخلو من ذلك لغة ... وهذا التلازم له مظاهر تختلف مراتبه ، فقد يشتد ما بين العامية والفصحى من قرب ، وقد يبتعد ، ومرد ذلك لاشك الى تمكن الفصحى من الألسنة وعدم تمكنها ، نعنى شيوعها وانحصارها ، فمتى شاعت الفصحى على الألسنة واصبح المتكلمون بها كثرة غالبة ، رأينا هذا التقارب يشتد حتى لتكاد العامية تنهج نهج الفصحى ، ويكاد الاختلاف بين الاثنتين ينحصر فى فوارق ضئيلة .

اما اذا ما ضعفت الفصحى وأصبحت لغة القلة وكان للعامية شيوع ، رأينا تباعدا كثيرا بين الفصحى والعامية وكدنا نرى العامية لغة أخرى لا تمت الا بصلات قليلة للفصحى ودخلتها الفاظ من هنا ومن هناك ، يرجع بعضها الى لهجات لشعوب يكون لها دور فى حياة تلك الامم حين تضعف الفصحى فيها وتأخذ عن غيرها الكثير من الفاظ وتراكيب .

ولكن الذى لا شك فيه أن الفصحى مهما غلبت على أمرها لا تغلب الا فى العرض لا فى الجوهر ، نعنى أن كيان الفصحى اى هيكلها الذى هو قوامها يظل باقيا ، وان التغيير يمس غير ذلك الكيان وذلك الهيكل ، وان قدر للغة من اللغات الفصحى أن تمس فى ذلك الكيان وذلك الهيكل ، كان ذلك ايذانا بزوالها ، واختفت هى لتظهر لغة الغالب ، وهى لغة اخرى بمبناها ومعناها ..

ولقد منيت اللغة العربية مع عصور الازدهار بعصور انهيار ، وكانت فى هذه العصور وتلك تعيش الى جانبها لهجة عامية ضعفت مع عصور الازدهار فكان التقارب بينها وبين اللغة العربية شديدا ، وضعفت الفصحى فى عصور الانهيار فبعد ما بينها وبين العامية من تقارب ، وبدت العامية وكأنها لغة

اخرى تعيش الى جانب اللغة الفصحى ... ولكننا رأينا أن مع عصور الانهيار التى بدت العامية فيها شبه لغة مستقلة ، كما قلنا ، فان تلك العامية لم تستطع أن تنال من كيان الفصحى وهيكلها ... ثم رأينا انها على الرغم من هذا الاستقلال فى التعبير تعيش على تلك المناهج القولية التى اختصت بها الفصحى مع اختلاف فى الأداء ، فاذا كان للفصحى شعر له موازينه وله طريقته ، كان للعامية ما يشبه ذلك الشعر وهو الزجل ، وكان له هو الآخر موازينه وطرائقه ، وكما كان للفصحى أمثالها المدونة المرتبطة بأحداث تعبر عنها فى ايجاز فجاءت وكأنها الحكم ـ كذلك رأينا للعامية هى الأخرى امثالها التى تترجم عن احداث قد تتفق واحداث الفصحى ، وقد تختلف ، ولكنها جاءت آخر الأمر وكأنها الحكم ...

وكما رأينا فى الفصحى مكانا للنثر والأحجية شعرا ونثرا ، كذلك رأينا العامية تحتذى حذو الفصحى فتشغل هى الأخرى بالالغاز والاحاجى ، كما اختلفت المسميات مع ذلك التشابه الذى سميناه من قبل فسمى الشعر العامى زجلا واتخذت فنون الزجل أسماء تقابل تلك الأسماء التى وضعت لبحور الشعر الفصيح ، فبدلا من أن نسمع فى العامية ذكرا للطويل والرجز والبسيط ، سمعنا فى العامية ذكرا للمواليا والكان كان والدوبيت وغير ذلك ..

الالغاز والاحاجى ...

والأمر هنا فى الالغاز والاحاجى يكاد يخضع هو الآخر لمثل ذلك ، فاصبح أسم اللغز والأحجية يتسمى فى العامية بأسماء جديدة ، فسمى «الفزورة» أو « الحزورة » ... ويكاد الاسمان فى العامية يرتدان الى أصل عربى ، فالفزر فى اللغة هو الشق والفزورة ليست غير امعان فى الكشف عما تتضمنه ، فكأنها شق عن الشىء ، وتكاد تكون لفظة الحزورة أقرب من الفزورة الى العربية ، فهى مأخوذة من الحزر وهو الظن والتخمين .

وهكذا نرى هذا التلازم بين العاميا والفصحى ممتدا على طول السنين يحكى فن فنا ويضارع قول قولا ، ولكن ثمة اختلافا مبعثه عجز القائل فى العامية عن أن يبلغ مبلغ القائل فى الفصحى ، أو نزول القائل فى العامية الى مستوى الشعب الذى لا يلقن الفصحى ولا يفهمها ...

وسواء أكان هذا أوذاك فالذى لاشك فيه أنه كان ثمة عامية لازمت العربية منذ نشاتها ، كما قلنا ، على اختلاف فى ذلك التلازم بعدا أو قربا ، يؤثر البعد فى مجانبة العامية للكثير من نهج العربية لفظا وأسلوبا ، كما يؤثر القرب فى ظهور العامية أوفى ما تكون الى الفصحى ، ويكاد يكون المقول هنا هو المقول هنالك شكلا وأسلوبا الا فى خروج على الاعراب حينا ، وعلى الاشتقاق حينا آخر واستخدام الفاظ دخيلة حينا ثالثا .

وقد قلنا ان هذا التلازم كان له مظهره فى محاكاة العامية بأزجالها للشعر العربى وبأمثالها كذلك ، ثم فى الغازها واحاجيها ، وهذا ما سنعرض له فى مقالنا هذا .

المؤلفات التى انفردت بجمع الاحاجى والالغاز :

ان الناظر فى كتب الأدب الموسوعية ، أعنى تلك التى جمعت طرائف من هنا وهناك ، امثال : العقد الفريد لابن عبد ربه ، ونهاية الأرب للنويرى ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، ثم تلك الكتب التى انفردت فى هذا الباب خاصة ، أعنى باب الألغاز والأحاجى والمعميات ، من ذلك كتاب الالغاز للشريف عز الدين حمزة بن أحمد الدمشقى المتوفى عام ٨٧٤ هـ ، والألغاز لجمال الدين عبد الرحيم بن حسن الأسنوى الشافعى المتوفى سنة ٧٧١ هـ وكذا كتاب الالغاز لتاج الدين عبد الوهاب بن السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، ثم كتاب الدخائر الأشرفية فى الالغاز الحنفية للقاضى عبد البر بن الشحنة الحلبى ، وثمة كتب أخرى جاءت فى الألغاز أيضا ولكنها خاصة بعلوم بعينها مثل : كتاب الألغاز لشمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، وهى قصيدة همزية فى القراءة .

هذا عن الالغاز والاحاجى فى الفصحى وقد جمعت هذه الكتب العامة والخاصة

الفزورة إلى العربية

وغيرها من الاحاجي ماهو شعر وما هو نثر ، وكما قلنا ، انه ليس ثمة باب او نهج في الفصحى الا وحاكت مثله العامية، تقرب ان كانت الشقة بين اللغتين غير بعيدة ، وتبعد ان كانت تلك الشقة على درجة من البعد .

والالغاز في مضمون معناه تحمل الالفاظ والعبارات دلالات خفية تنغلق وتنبسط على قدر قوة الملغز في تحميل كلماته وعباراته دلالات خفيسة تدق وتجل .

اللغز في الفصحى :

وقبل ان نعرض لما يحكي اللغز والاحجية في اللغة العامية، نحب ان نسوق امثلة من ذلك في الفصحى شعرا ونثرا لنعرف مدى القرب والبعد بين العامية والفصحى في هذا الميدان .

واذا كان اللغز في الفصحى حين يخرج في قالب شعري يكاد يتسم بسمات خاصة تباعد به في نسجه منه اذا جاء نثرا ، وكما يحدث ذلك في الفصحى يحدث نظيره في العامية ، — فانا نلاحظ أن « الفزورة » او « الحزورة » اذا انتظمها قالب من قوالب النظم العامي تجيء هي الأخرى فيها شيء من المعاناة والتلوين والتشكيل لا نجد له نظائر في « الفزورة » او « الحزورة » اذا صبت في قالب من قوالب النثر ، من اجل هذا كان لابد من فصل ، وكان لابد من سوق الموضوع مقسما على بابين :

١ — باب يختص بما جاء في ذلك على قالب شعري او قالب من النظم عامي

٢ — وباب يختص بما جاء في هذه اللغة وتلك مصبوبا في قالب نثري

اللغز والاحجية في الشعر العربي

الملاحظ في هذا الباب ، ان ماجاء من لغز او احجية على لسان شاعر ، — نجد ان القالب الشعري فيه اعمال فكرة واعمال بديهة ، وفيه ايضا الوان مختلفة من الوان الاحتيال على الدخول الى الغرض المنشود ، وهذا نهج من العسر بمكان ،لايلين لأي شاعر ولا يسهل على كل قائل ...

ولقد وجدنا على السنة شعراء لهم شانهم ولهم خطرهم ابياتا في هذا الغرض ،ولكن اذا قسناهم الى ما قيل لهم في اغراض اخرى نجدها قليلة قلة ملحوظة ، وهذا كما قلنا ، مرجعه المعاناة الخاصة التي يتحملها الداخل الى هذا الغرض ، كما قد تكون هذه القلة من الالغاز وردت على السنة هؤلاء الفحول أصحاب القصائد الطويلة الكثيرة لها سبب آخر يضاف الى السبب الأول ، وهو الجهد الخاص والفطرية الخاصة والموهبة التي تتصف بالحيلة والخوض في المعميات والدخول فيما يغمض .

وهذا السبب الآخر قد يكون في نظرة هؤلاء الفحول الى اللغز والاحجية على انه عمل دون ما يعملون ويبدعون ،فما من شك أنهم كانوا ينظرون اليه على انه من الفكاهة والدعابة .

وعلى قدر ميل هؤلاء الشعراء الفحول الى الدعابة والفكاهة كان يصدر عنهم من ابيات فيها اللغز وفيها الأحجية ، فنظفر لابي العلاء المعري مثلا وهو الشاعر الفحل الفيلسوف الزاهد الجاد في كل ما يصدر ، ابياتا في الالغاز ...

وما نشك في أن الدافع لأبي العلاء الى نحو هذا كان عن سبب آخر ينضاف الى السببين اللذين ذكرناهما ، فنحن نعرف ان ابا العلاء كان يميل الى التعمية والى الاغراب والى سوق الالفاظ المحملة باكثر من معنى ، وهذا السبب كان لا شك ، كما قلنا ، مما ساند السببين الأولين ومما دفع ابا العلاء الى خوض هذا المضمار ..

تحس ذلك في قول ابي العلاء حين يلغز عن الملح فيقول :

وبيضاء من سر الملاح ملكتها
فلما افتقدت اربى حبوت بها صحبي
فبالوا بها مستمتعين ولم تزل
تحثهم بعد الطعام على الشرب !

فانت ترى معي ان البيت الغارة في

استخدام الفاظه لغة ، فهو لا يحتاج منك الى اعمال فكرة ترتاح آخر الأمر لبلوغ الغاية معها ، ولكنه يحتاج منك الى بحث عن معانى تلك الألفاظ اللغوية وما تحتمل ، فابو العلاء يريد هنا بكلمة سر : الخالصة ، ويريد بكلمة الملاح : كلمة ملح ... وأنت بعدتعرف هذين المعنيين قد وقعت على اللغز فى يسر دون إعمال فكر ودون كد ذهني، ثم أنت لن تحس بعد الكشف عن اللغز الى تلك الراحة النفسية التى يحسها الماضون فى الكشف عن سر الالغاز فى ابيات لشعراء فطرتهم المرح وديدنهم المرح .

ويقول ابو العلاء ايضا ملغزا فى ركابى السرج :

خليلان نيطا فى جوانب مجلس
جداراه قدام له ووراء . . .
متى يضع الرجلين ماش عليهما
يزل عنه فى وشك حفا وحفاء !

فهو يعنى بالمجلس : السرج، ويعنى بجداريه : قربوسه ورادفته ،ويعنى بكلمة الحفا مقصورة : وجع الرجل ، ويعنى بكلمة الحفاء ممدودة : مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وهذا يؤكد ما سقناه قبل عن البيتين السابقين لابى العلاء من أن الالغاز يتشكل بطبيعة الملغز وميله واتجاهه ، فمن كانت طبيعته كطبيعة ابى العلاء تتصف بالتزمت والجد كان الغازه من ذلك .

ومثل هذا الشعر الملغز الذى يصدر على السنة شعراء ملغزين من هذه البابة أعنى بابة أبى العلاء ، يكون الغازهم جافا لا اثارة فيه ولامتعة ، على العكس من الشعراء الملغزين الذين لم يكونوا من الفحول وانما كانوا من الشعراء اللاهين العابثين . وتكادنرى شاعرا يلحق بأبى العلاء فى هذا المضمار وهو ابن الرومى ، ولكنه اذ كان ليس له عمق ابى العلاء ، بدا شعره الذى الغز فيه اقرب الى النفس واخف على الروح ، يقول ابن الرومى فى فتيلة السراج :

ما حية فى راسها درة
تسبح فى بحر قليل المدى...
ان غيبت كان العمى حاضرا
وان بدت لاح طريق الهدى!

فهذان البيتان لاشك يبدوان اقرب ما يكون الى الفن الالغازى ، نعني الفن الفكه الذى يحتاج الى اعمال فكرة من ابيات ابى العلاء .

ويجيء بعد ابن الرومى شاعر آخر يخطو الى الفن الالغازى خطوة أوسع، وهو السرى الرفاء حيث يقول فى شبكة الصياد :

وكثيرة الأحداق الا انها
عمياء مالم تنغمس فى ماء
واذا هي انغمست افادت ربها
ما لا ينال باعين البصراء !

وهكذا نرى أن الالغاز فى الفصحى الذى جاء على السنة النحاة والفقهاء والمحدثين و اللغويين واضرابهم كان الغازا خاصا ، اعنى انه كان لفئات المختصين من نحاة ولغويين وفقهاء ومحدثين يستخدمون فيه علمهم الخاص الذى لا يقوى على فهمه عامة الشعب ، من أجل ذلك جاء الغازا جامدا ليست فيه روح التسلية والتسرية التى خلق الالغاز من اجلها فيما نرى ، لذا لم تكن هذه المرحلة من الالغاز من المراحل التى سايرت فيها العامية الفصحى .

وحين خرج الالغاز من يد هؤلاء المختصين الى ايدى غيرهم من الشعراء أو الناثرين المتيسرين الذين يفهمون الالغاز بروحه العامة التى فيها التسلية واعمال الفكر وكد الخاطر والذى فيه فسحة للذهن يأخذ ويعطى ، حين وصل الالغاز الى أيدى هؤلاء وقالوا فيه جاءت تلك المرحلة الثانية التى شاركت فيها العامية الفصحى ، وكان كل ماجاء على السنة هؤلاء الشعراء

الحزورة اقرب من الفزورة إلى العربية

من الغاز جاء مثله أو قريب منه على السنة شعراء العامية وناثريهم .

وهاك ما استطعت جمعه لشعراء الفصحى القائلين فى اغراض عامة تتفق واغراض القائلين فى العامية .

فى القلم :

اصم عن المنادى لا يجيب
به وتشتعل الخطوب ...
ضئيل الجسم «اعلم» ليس تخفى
عليه غيوب ما تخفى القلوب
تراه راجلا لاروح فيه ...
ويحييه وينطقه الركوب !

يبين لسانه ماكن سودا
معارفه ويخرسه المشيب
يقسم فى الورى بؤسى ونعمى
ويحكم والقضاء له مجيب . . .
عجبت لسطوة فيه وضعف
وكل اموره عجب عجيب . . . !

وفيه ايضا :

بصير بما يوحى اليه وما له
لسان ولا قلب ولا هو سامع
كان ضمير القلب باح بسره
اليه اذا ما حركته اصابع ..

وفى الميزان :

وقاض قد قضى فى الأرض عدلا
له كف وليس له بنان
رايت الناس قد قبلوا قضاه
ولا نطق لديه ولا بيان !

وفيه أيضا :

ما واحد مختلف الاسماء
يعدل فى الأرض وفى السماء
يحكم بالقسط بلا رياء . . .
اعمى يرى الرشاد كل رائى !
اخرس له من علة وداء
يغنى عن التصريح بالايماء
يجيب ان ناداه ذو امتراء
بالرفع والخفض عن النداء
يفصح ان علق فى الهواء !

وفى البيضة :

الا قل لأهل الراى والعلم والادب
وكل بصير بالامور اخى ارب
الا خبرونى اى شئ رايتم
من الطير فى ارض الاعاجم والعرب
قديم حديث وهو باد وحاضر
يصاد بلا صيد وان جد فى الطلب
ويؤكل احيانا طبيخا وتارة
قليا ومشويا اذا دس فى اللهب
وليس له لحم وليس له دم
وليس له عظم وليس له عصب
وليس له رجل وليس له يد
وليس له راس وليس له ذنب .
ولا هو حى .ولا ولا هو ميت
الا خبرونى ان هذا هو العجب ؟ !

وفى الخاتم :

ومستدير تروق العين بهجته
كانه فلك نجم الدجى فيه
حروفه اربع قد ركبت فاذا
ما قلت اول حرف تم باقيه !

وفى اسم سعيد :

يبسم عن اول اسمه حبى
ثم بثانى حروفه يسبى
ثم بحرفين لو بدا بهما
اسدى يدا ، صورة اسمها تنبى
اربعة نصفها كجملتها
فى العد ام تنتقص ولم تربى
هذا وفيه اسم يوم اتفقت
مفاخر العجم فيه والعرب
فاعمل الفكر فى تامله
واركب به كل مركب صعب

فشبه السين بالثغر ، وثانيه العين وهى تسبى القلوب، والحرفان يد وهى اربعة فى العدد وستة فى الصورة ، واذا اخذت السين والعين فهى اربعة ، وهى جملة العدد وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللباس .

ولقد اكثرنا شيئا من الشعر الملغز لانه هو مناط المقارنة بينه وبين النظام العامى الذى جاء يحمل « الفزورة » او «الحزورة» ، وقد رايت انهذا القسم الثانى من الشعر الملغز الذى سايرته العامية كله دون استثناء يسير على ادراك العامة وفهمهم ، وتكاد تكون عبارته وان بدت عربية سليمة الا انها هى الاخرى ميسورة ، ثم تكاد النكتة فيه مما تحذقه نفوس العامة . .

نحن والـزمـان..

● فاروق جويده ●

وفى عَيْنَيك ...
ألقيتُ الأمانى
وقلتُ الآنَ
اصفح عن زمانى
تضيت العمر
أبحثُ عنْكِ حلْما ...
رأيتكِ منْ سنين
فى كيانى !
تركتُ القلبَ عندكِ
دونَ خوْف
وأخْشَى أن يموت ...إذا أتانى!
فإنْ سألوكِ يوما
عن فؤادى ...
وكيفَ يعيشُ مذْهُولَ الأمانى
فقولى إن حبك
كانَ لحْنا
كحلم لاحَ فى ليل الزّمان !
عشقْتك ذاتَ يوم
فى ضياعى ...
وفى عينيك
أصفحُ عن زمانى !..



فاروق جويده
من ديوانه الجديد
فى عينيك عنوانى

الخليل بن احمد

عبقري نذر نفسه لعلوم العربية وقواعدها

• عزت محمد ابراهيم •

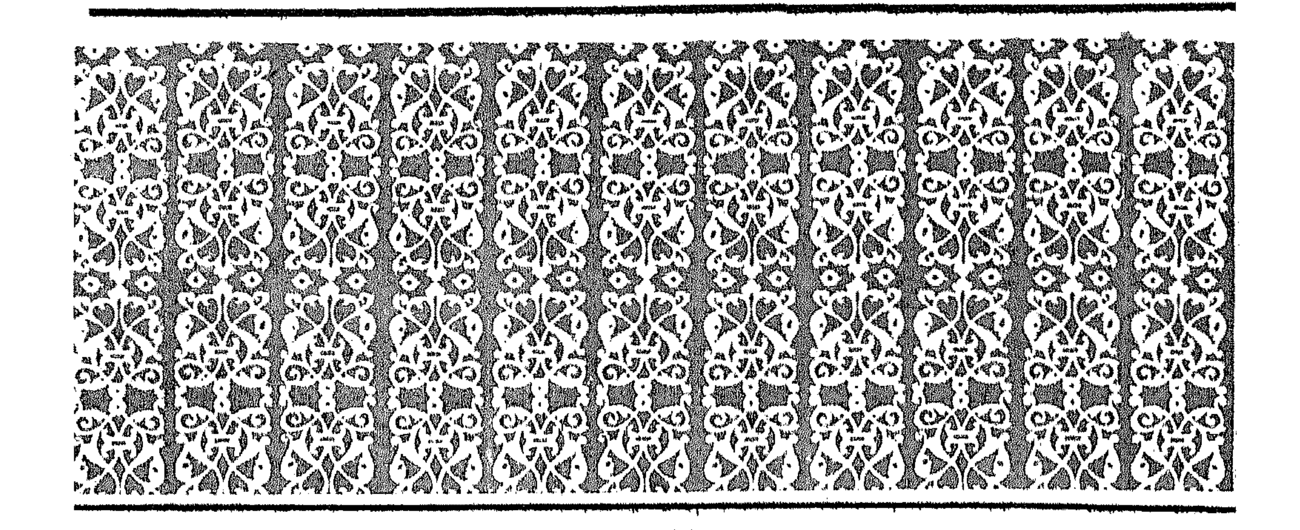
ما اكثر ما يضفي الناس على الناس ـ في عالم الادب والشعر ـ من نعوت وصفات ، فهذا واحد دهره ونسيج وحده ، وذاك فرد زمانه ، وذياك درة عصره .. ثم ينقضي الزمان ، ويزول الهيل والهيلمان ، فيصبح الجميع في خبر كان !

وقل من صدق فيه الرأى في زمانه وبعد زمانه ، وهؤلاء هم الافذاذ حقا على توالي الحقب وتتابع الازمان ، ومن هؤلاء : الخليل بن احمد الفراهيدي : قيل انه اجتمع بمكة ادباء من كل افق ، فجعل اهل كل بلد يرفعون علماءهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل بن احمد فلم يبق احد الا قال : الخليل اذكى العرب ..

وحياة الخليل بن احمد جديرة حقا بالتامل والتدبر ، لعلنا نجد فيها أسوة ، وهدى نهتدي به ، ومنوالا ننسج عليه ..

عاش في البصرة أوائل القرن الثاني للهجرة ، ومات بها في النصف الثاني من ذاك القرن ، وفي حياته صور ومواقف فيها الكثير من الدلالة على خلقه ، وسجايا نفسه .. كان في مستهل حياته قد برع في علوم النحو واللغة ، ولكنه كان مغمورا لا يعرفه احد .. وقد كان له صديق يدعى ابا المعلى اراد ان يعينه على أن يتصدى للتدريس والتعليم ، ويشق لنفسه الطريق الذى يطمح اليه ، فالح عليه في مناظرة شيخ من شيوخ العلم، يتربص به حتى اذا بدت منه عثرة انقض عليه ينال منه .. ويهون من قدره ، ويعلى بذلك من قدر نفسه ، بذلك يكون له شان ..

وحانت الفرصة في حلقة ابي عمرو بن العلاء ، وهو اذ ذاك شيخ جليل مهيب في الثمانين من عمره ، وجعل ابو عمرو يلقي دروسه ، ويتعثر احيانا في بعض



مسائل النحو ، وأبو المعلي يدفع صاحبه الي الرد عليه واظهار براعته ولكن الخليل امسك فلم تنبس شفتاه بكلمة . ..

وانتهي الدرس ، فانهال عليه صاحبه لوما وتقريعا : هذه فرصة قد اتيحت لك فجعلتها تفلت من بين يديك ، وكان جديرا بك ان تعض عليها بالنواجذ ، وكانت جديرة ان تشد انتباه الناس اليك ، فتغدو بينهم شهيرا .

وزاد من لومه وتقريعه فالصق به تهمة الجبن ، ورد الخليل عليه قائلا: لست جبانا ولكني رايت شيخا قدبلغ من العمر عتيا ، وقد افنى عمره في العلم ، وافاد به الناس ، وقد رايته يخرج علما من عنده ، اكتشفه واذاعه فاخذته من شيوخي سهلا يانعا ، ثم ظهرت لي منه مسائل ما كنت لأجدها لولاه ، فما اقبح ان اسقطه بها ، وما عرفتها الا به ، فافضح بين الناس علمه ، واضيع حقه وحرمته ، لافعلت ذلك ابدا !

وينطلق الخليل بن احمد بعد ذلك الى الحياة مزودا بما طبع عليه من الخلق الرفيع ، والتجلة والاحترام لشيوخه الذين تلقى عليهم درسا ،او انتفع منهم بعلم

وانقطع الى النحو ، واتصل بأبي عمرو بن العلاء ، فنال اعجابه وحظي بثقته فشجعه على المضي ، وبث في نفسه الثقة بنبوغه وقدرته ، فمضى في طريق الابداع والابتكار ، واكتشف في النحو قواعد وضوابط بهرت الناس وادهشت العلماء ، فاحدقوا به يمدحونه ويجلونه ويرفعون من شأنه

وكانت أولى غزوات الخليل بن احمد هي ابتكاره لعلامات ضبط الكلمات من ضم وكسر وفتح وسكون ... هذا الامر الذى نراه اليوم سهلا يسيرا هينا ، لم يكن له قبل الخليل وجود ، وانما نراه اليوم كذلك لاعتيادنا عليه والفنا له ، كشأننا مع كل اختراع وابتكار .

وكان آخر ما اهتدى اليه ابو الاسود الدؤلي قبل ذلك هو تمييز الكلمات بعضها عن بعض بالنقاط ، وبيان حالة اعرابها بالنقاط كذلك ، وانما كانت تميز النقاط بعضها عن بعض بلون الحبر ، فيكون اسود للنقاط التي توضع فوق الحروف ، واحمر للنقاط التي تدل على اعراب الكلمة، وقد كان في ذلك مشقة وعسر ، يتسبب عنه اضطراب في النطق واختلاط في التعبير ، وظل الامر كذلك حتى جاء الخليل فاقاله من عثرته .

***

ولقد جاء علم النحو وليدا للحاجة بعد ان اختلط العجم بالعرب ، فكثر في اللغة العربية اللحن والخطأ ، وكان

لابد من وجود علم يلتزم به الناس في لغتهم فلا يخرجون عليه حتى تسلم من الخطأ ، وتكون بمنجاة من الواغل الدخيل ، فكان علم النحو .

ولكن الشعر حتى زمن الخليل بن أحمد لم يكن له ضابط ولم تكن له قواعد ، وكان يقال ان الشعر العربي أصله الطبع ، ومقياسه الأذن ، ولكن هذين عرضة للفساد فيفسد مع فسادهما الشعر ، وهيأ الله الخليل ابن احمد لهذا الأمر ، فوضع له الضوابط والمعايير ، لقد ابتكر ميزان الشعر وانشأ علم العروض ، اى الذى يعرض عليه الشعر ، فان كان صحيحا تبينت صحته ، وان كان فاسدا ظهرت علته .

ولم يقف الخليل عند اختراع هذا العلم ، بل جعله سبيلا الى ابداع انواع من البحور والشعر لم يكن للعرب بها من قبل عهد ، انه مفتاح الشعر ، قد امتلكه بعروضه ، فكان حريا أن يفتتح به آفاقا من الشعر مجهولة .. وما جاء به من بعد ذلك الاندلسيون من الموشحات ، وما يأتى به الناس بعد ذلك من أوزان جديدة انما يرجع فضله للخليل ، فقد اكتشف مفاتيح الشعر ، وأتاح للشعراء استخدامها بما يرتضيه ذوقهم ، ويستجيب له طبعهم .

***

ولعل الخليل بن احمد يكون قد استهوته نفسه فازدهى بها ، وامتلأت أعطافه فخرا وخيلاء بما قدر عليه ولم يقدر عليه سواه ، وقد كان خليقا أن يفعل ، فليس ادعاء منه ، وانما هو زهو الواثق المطمئن الذى يعرف قدر نفسه ، ولكنه على كل حال ليس بالخلق الحسن ، فليس اقبح من الزهو ، وليس اضر على المتفنن من الفخر والخيلاء ، فانه خليق ان يقف به عند الحد الذى بلغه لا يتجاوزه الى سواه . ولعل الله قد أراد به خيرا حين أوقعه فى تجربة يرده بها الى جادة الصواب ، فيخفف من غلوائه ويطامن من خيلاء نفسه : جاءه رجل يصحب ابنه يتلقى على **الخليل العلم ، وأراد الخليل أن يسأله أسئلة يعرف بها مبلغ علمه ، وتصدى له الغلام يقول فى لهجة جريئة واثقة مطمئنة: سل ما شئت ، قال : يابنى أرأيت هذه النخلة ، قال : نعم ، قال : فصفها لى ، قال : ان لو وصفها وجهين ، فاما ان يوصف ما حسن منها فتبدو صالحة ، واما ان توصف مساوئها فتبدو سيئة ابمدح ام بذم تريد ان اصفها ؟**

قال الخليل : احسنت يابنى بهذا التفصيل ، وانى اوثر ان تمدح نخلتى فتحببها الى . قال الغلام : انها حلو مجتناها ، باسق منتهاها ، ناضر اعلاها .. قال الخليل : حسن يابنى وعساها ان تكون كما قلت ، فذمها لى حتى اعرف سوءها ... قال الغلام : انها صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، محفوفة بالأذى .

واحسب انك تستطيع ان تتخيل حال الخليل اذ ذاك : فاغر الفم دهشة ، وهو يرى أمامه غلاما لم يبلغ الحلم ، يحسن من الكلام ما لا يحسنه الدارسون ... ولم يكن هو فى مثل سنه يحسن شيئا مما يحسنه ، فتضاءلت فى عينه نفسه ، وهان عنده ما بلغه من علم ، والتفت الى الغلام يقول : يابنى نحن الى التعلم احوج منك .

وقد يتعلم الكبير من الصغير !

وان من حق هذا الغلام الاريب الحاد الذكاء الشديد الفطنة أن يحفل به التاريخ ، وأن يتتبع من بعد ذلك خطاه ليعرف فيه فى نضجه واكتماله : « النظام » رأس المعتزلة ، من سادة القول ، وأئمة البيان .

وما كان النظام أوفى من الخليل ذكاء ، ولكنه الاختلاف في النوع : احدهما ذكاء بديهة وسرعة خاطر ، وحسن بيان وانطلاق لسان ،والآخر ذكاء تدبر وتعقل وغوص في حقائق الاشياء ، واستنباط لدقائق الامور. ولا وجه للمقارنة بين نوعين مختلفين ولا وجه كذلك لتفضيل واحد على آخر .

ويمضي الخليل بن احمد بعد ذلك عالما متعلما حتى يهيىء الله له وضع كتاب «العين » وهو في خراسان في ضيافة تلميذه الليث بن المظفر، وقد كان ابتكارا لم يسبقه اليه احد ، فهو لم يات حسب الحروف الابجدية، وانما جاء حسب مخارج الحروف من الفم .

ومن بعد الليث جاء من يقول في الخليل الكثير والكثير ، قال فيه الثعالبي : سيد اهل الادب في علمه وزهده ، والامام في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله ، وهو أول من استنبط علم العروض ، واخرجه الى الوجود .

وصار للخليل بن احمد شان عظيم ، ومكانة بين الناس عالية ، فهم يشيرون اليه بالبنان ، وتسير باخباره الركبان ، ويقول الناس اذا وقعت عليه ابصارهم : هذا الخليل ، اذكى الناس ، واصفاهم ذهنا ، واحسنهم قريحة

***

وقد كان الخليل الى جانب اشتغاله بالعلم ونبوغه فيه يحسب أن بعظ الناس ويدلهم على سبيل الرشاد ، وكانت له مجالس وعظ يؤمها الناس ويستمعون فيها اليه ..

ولم يكن قوالا غير فعال ، ولم يكن بالذى ينهى عن خلق ، وياتى مثله ، وانما كانت حياته لمعتقداته خير مثال : اقبلت عليه الدنيا فادبر عنها واشاح بوجهه عن بهارجها وزخارفها، والقى وراء ظهره بما تذل له اعناق سواه .

وقصته مع الأمير سليمان بن حبيب المهلبى ، شاهد على ذلك ودليل، اراد له ان يكون حاشية من حواشيه فابى ولوح له بالمال الوفير يغدقه عليه اغداقا ، ويغرقه فيه اغراقا ، فازداد اباء ، وآثر القلة وكفاف العيش مع الكرامة والشموخ ، على الوفرة والرفاهية مع الذلة والهوان ..ويسأله رسول الأمير عما يحمله اليه من رد ، فيقول الخليل :

ابلغ سليمان انى عنه في سعة
وفى غنى غير انى لست ذا مال
سخا بنفسى انى لا ارى احدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال

ويعود الرسول بالفضة يسيل لها لعاب القوم ، وتكاد تخرج لها العيون من محاجرها شرها وطمعا ، وهو يقول قولة المتعجب :ما هذا انسان كما رايته . بلى ، ما هذا انسان كما يرى ، اذا كان الانسان الذى يرى هو الخانع الذليل ، والذلة ضروب والوان

ذلك انسان قد نذر للعلم نفسه، فلا يعنيه من بعد ذلك مال ولاجاه.

***

واخيرا تاتى النهاية فريدة متميزة كما كان هو فردا متميزا غير مسبوق بمثال ، ولعلها نهاية تذكر بنهايات الذين يذهلهم فكرهم عن انفسهم فلا يحذرون ولا يحتاطون .. كان يسير في المسجد مشغول الفكر بما يدور في راسه من مسائل وافكار ، فارتطم الراس بسارية من صخر ، فكان في ذلك القضاء عليه ..

وهل يفل الحديد الا الحديد .

وهل يقدر على مثل هذا الراس العنيد الا الجلاميد !

طعام الآلهة

● سعد رضوان ●

● وجدت نفسى جالسا الى مائدة الطعام لاكتب بدلا من ان اطعم ... فقد اتضح انه لم يعد هناك مكان فوق او تحت مكتبى الا وشغلته الكتب والمجلات ، كما لم يعد فى ارفف مكتبتى موضع لكتاب كبير او صغير .. واصبح من الضرورى ان اقوم بعملية فرز لهذا الركام من الورق فالقى منه الى بائع اللب والنقل ما ينفعه فى عمل القراطيس المطبوعة ، وبدات لعبة الفرز ...

ووقع فى يدى بين ما وقع ، كتاب « طعام الآلهة » . الذى الفه « هـ.ج. ويلز » وترجمه محمد بدران ، ونشرته دار الكاتب المصرى عام ١٩٤٦ ، ونسيت ما اعمله وعدت الى مائدة الطعام لأكتب ، وافكر فى وضع «هـ. ج. ويلز » من مكتبتى ، ولتغضب زوجتى ..

واول علاقتى بـ « هربرت جورج ويلز » كانت فى أحد كتب القصص المدرسى حيث قررت علينا احدى قصصه الانجليزية القصيرة ، التى لا اذكرها ، وان كنت اذكر أن لغتها القديمة أتعبتنى فابعدتنى عن كاتبها الذى ولد عام ١٨٦٦ وكتب بلغة عصره ... الى ان قرات عام ١٩٤٥ فى مجلة «القصة» التى كان يصدرها الكاتب الساخر محمد عفيفى قصة فكهة « لويلز » عنوانها « سر بانكرفت » ...

وكانت هذه القصة الساخرة هى مبدأ اهتمامى « بويلز » الذى ولد فى بلدة « ريملى » بمقاطعة « كنت » بانجلترا ، وكان ابوه بستانيا فى بيت ريفى وله حانوت لبيع الخزف فى « كنت » لايدر ربحا كبيرا .

وساءت احوال الاسرة فاخرج «ويلز» من المدرسة فى سن الثالثة عشرة ليعمل عند تاجر اقمشة وبائع عقاقير . وقد حاولت أمه تعليمه عدة حرف فلم يفلح ولكنه افلح فى مواصلة دراسته الثانوية ودخل الجامعة وحصل على بكالوريوس فى العلوم من جامعة لندن ، واشتغل مدرسا لمادة الأحياء وكتب للصحف، ثم تفرغ للكتابة ، وكان اول كتبه كتابا مدرسيا بعنوان « احاديث مختارة مع عم » .

وفى سنة ١٨٩٥ نشر قصته « آلة الزمن » فكانت سببا فى شهرته ...

وبعد ذلك توالت رواياته التى اشتهرت ومثلت السينما الكثير منها ، كرواية « الرجل الخفى » و « حرب العوالم » و « انقاذ المدنية » و « رجال كالالهة » .. الى آخر رواياته وقصصه القصيرة التى لا تحصى بسهولة .

واهم ما يميز « ويلز » هو خياله العلمى ، هذا الخيال الذى جعله احد مبدعى القصة العلمية ، وهو قد تنبأ بكل ما دار بخيال الانسان منذ مئات أو آلاف السنين حتى عهده ، فالانسان قد حلم بسكنى القمر فكتب له «ويلز» رواية « أول رجل فى القمر » .

ورواية « طعام الآلهة » التى ذكرتها تدور حول اختراع قدمه عالمان وهو طعام يجعل الكائنات الحية تكبر وتتضخم ، ولكن هذا الطعام تسرب يمينا وشمالا فكبرت فئران ونملات وذبابات الى أحجام ضخمة ، احالت حياة الانسان الى صراع للقضاء عليها.

ومن هذه الناحية الخيالية العلمية استطاع العلماء فى وقتنا الحالى ببحثهم ودراستهم لاطوار النمو والهرمونات والفيتامينات . الخ . أن يتوصلوا الى انواع راقية مختارة من الحيوان والطيور كالابقار الفريزيان، والدجاج الكبير الحجم

الذى يتبارى الكثيرون اليوم فى انشاء مزارعه .

***

والحق ان ما ورد فى روايات « ويلز » قد تحقق الان الكثير منه ..

ثم مرت بـ «ويلز» فترة تفلسف فيها، فروايته « النار التى لا تموت » هى صراع بين الايمان والشيطان ، وفى رواية « بلاد العميان » يقدم تصورا خياليا لما تسببه الانطوائية وعدم الانفتاح من قصر فى النظر وجهل للحقائق التى لا نلمسها بحواسنا ، لقد حدث ان انخفضت الارض بسبب زلزال حيث نشأت مدينة منعزلة عن العالم اصاب سكانها مرض افقدهم البصر جميعا حتى ان الاجيال الجديدة اصبحت تولد عمياء .

ويوما سقط رحالة تسلق الجبل من الناحية الاخرى الى هذه المدينة ، وامسكوا بالغريب وحاولوا ان يقودوه فافهمهم انه يبصر فلم يصدقوه او يصدقوا حكاياته عن السماء والنجوم والشمس والقمر ، فانه لا يوجد فوق العالم غير سقف املس ولا شىء آخر ، وهو اذن مجنون .. وحتى يتجنب الرجل شرهم اضطر ان يوافق على آرائهم وان يعمل عند احدهم ليعيش .. واحب الرجل الفتاة ((مدينا)) العمياء ، ورفضوا زواجه منها لانه مجنون يتخيل انه يبصر ، ولكن البنت احبته ، ولما كان سبب جنونه انه يتصور ان المحجرين الغريبين الموجودين داخل الانخفاضين بالوجه يبصران ، فلتجر له جراحه ، ويزال هذان المحجران ليعود له عقله ويتزوج البنت .. واقنعته البنت باجراء الجراحة التى تحدد موعدها بعد اسبوع ، وفى الليلة السابقة للعملية خرج ((نونيز)) ـ اسم الرجل ـ الى الجبل يتسلقه هاربا بابصاره الى مصيره المجهول بين الجوع والثلج !.

وكما ارخ «ويلز» خيال الانسان فقد قرر ان يكتب تاريخا للعالم بطريقة جديدة قديمة فى كتابين : الاول «تخطيط التاريخ » والثانى : « مختصر تاريخ العالم » .

قدم فيهما تاريخ العلوم ، فبدأ بتاريخ علم الفلك والجيولوجيا والحيوان والتاريخ الطبيعى للانسان وعلم الاجتماع .« الخ « ويلز » لم يؤمن بأن التاريخ مخصص لدراسة اسماء قواد ووقائع حروب ، بل يعتقد ان هذا هو السبب فيما يصيب العالم من خراب لما يتركه فى اذهان الناس من خيالات عن بطولات الغزاة والفاتحين، فيحاولون التشبه بهم .



الكاتب الانجليزى هـ . ج . ويلز

وقد قلت أن طريقة « ويلز » فى كتابة التاريخ هذه جديدة قديمة ، فالحق انها جديدة بالنسبة لكتب التاريخ الاوروبية ، ولكنها فى العربية قديمة فهى الطريقة التى اتبعها ابن خلدون فى مقدمته عن تاريخ العالم التى عرض فيها لتاريخ وحقائق كل علم عرفه وقته على حدة فى فصل خاص .

وقد توفى « ويلز » سنة ١٩٤٦ وهو فى الثمانين من عمره .

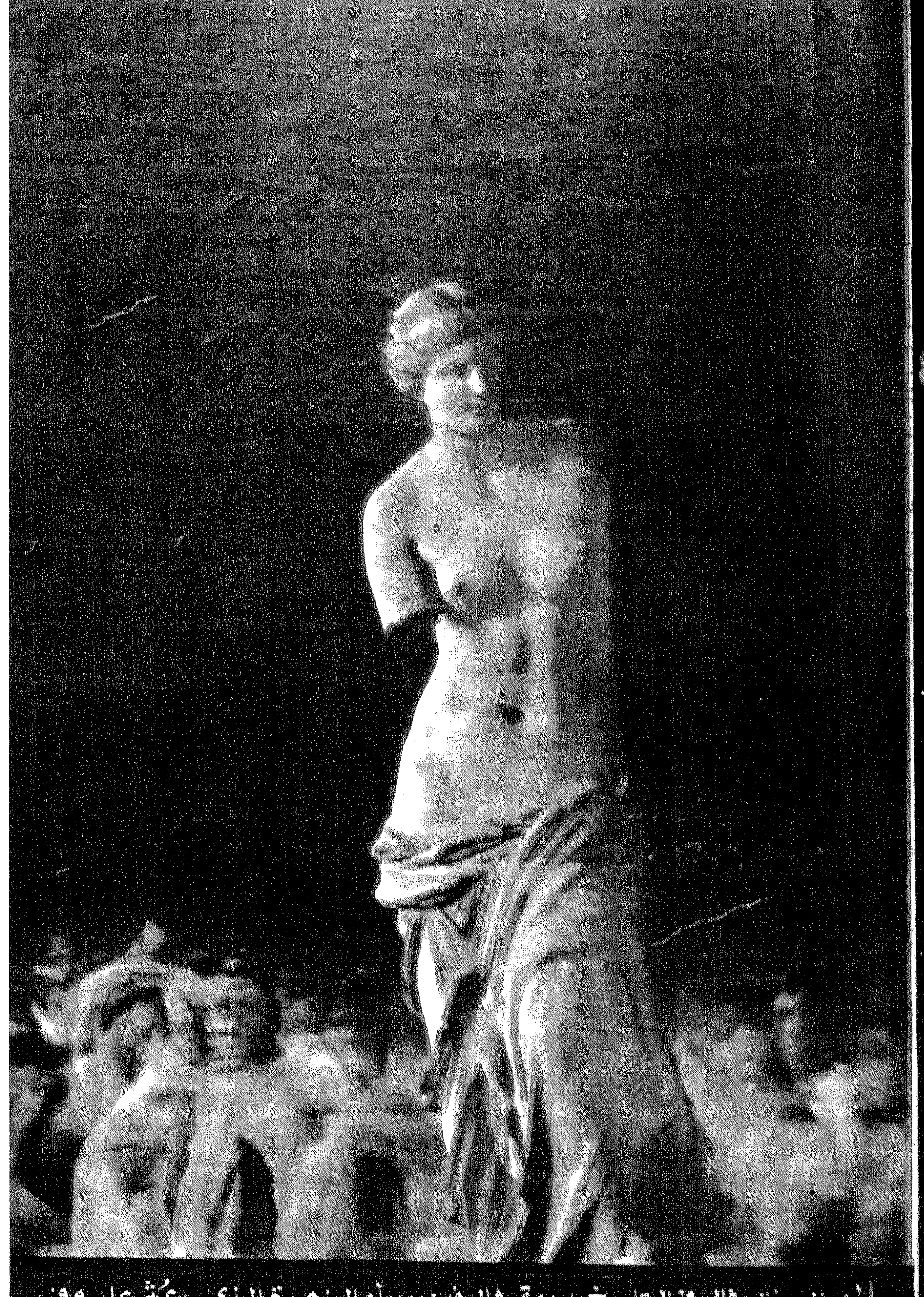
ولكن ماذا كان موضوعى ؟! ... انه كتاب ((طعام الآلهة)) الذى امسكه بيدى الان ، فهل احتفظ به أم .. الحق، انى لا ادرى .. نعم ان القصة التى به، قد تحققت علميا الان ، ولم يعد موضوعها جديدا او ذا قيمة ، ولكنه ايضا كتاب من التراث الجميل للخيال الانسانى ، مثله مثل قصص السجادة الطائرة ، والحصان الطائر فى حكايات الف ليلة ، والتى فقدت قيمتها الخيالية بظهور الطائرات الحديثة والصواريخ ، ولكن هل نلقى بالف ليلة .. لا ، لا .. ساعيد ((ويلز)) الى المكتبة واتركه فى حاله وابحث عن كتب غيره .. ربما .

متحف

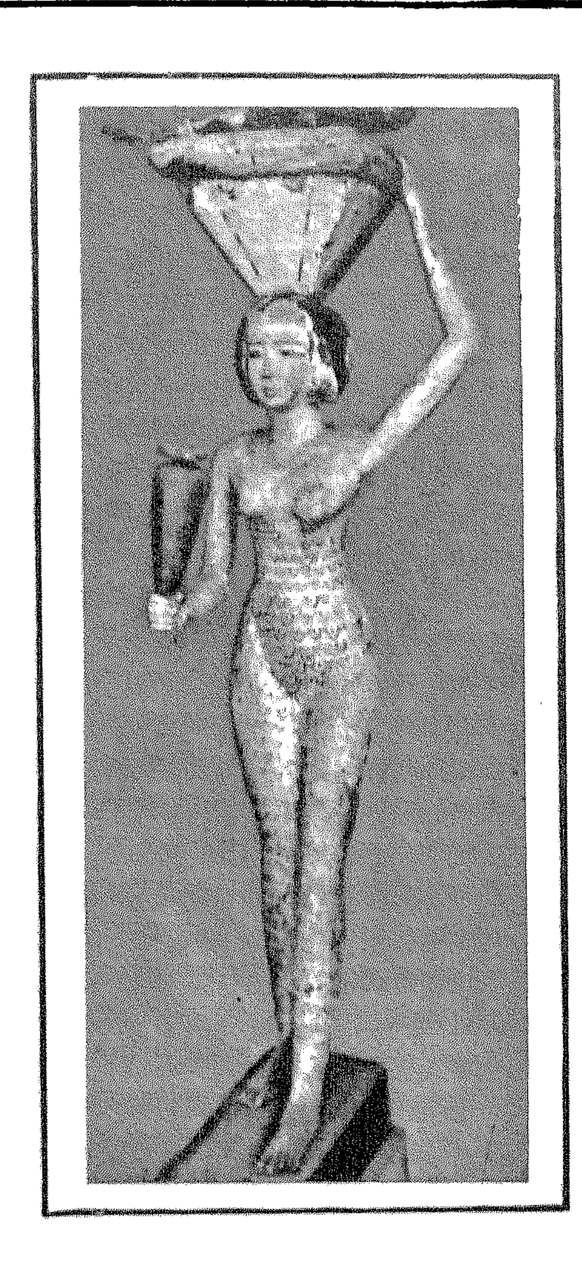
اللوفر

أعظم ديوان للفن في الدنيا

.. انه ليس متحفا وانما هو ديوان للفن الخالد ، ففى اطار من البساتين التى تتألق بالجمال أقام الفرنسيون متحفا للتصوير والمثالة على مر العصور يضم نحو ٥٨٠ قاعة متصل بعضها ببعض على نحو يجعل منها نموذجا لفن المتاحف .. هنا كنوز وذخائر تعجز شركات التأمين عن التأمين عليها لأنها لا تقدر بثمن .. هنا مدرسة للفن عليا ومعهد لدراسات الآثار وترميمها والكشف عنها والمحافظة عليها .. هنا اقيم ذخر تملكه فرنسا .



أعظم تمثال في التاريخ، إنه تمثال فينوس أو الزهرة الذى عُثر عليه فى جزيرة ميلوس فى اليونان، وقد ذكرنا قصة العثور عليه فى المقال ويجمع النقاد على أن هذا التمثال استكمل كل صفات الجمال والإبداع على نحو لا يدانيه فيه تمثال آخر



تحفة من أجمل ما يحتفظ به اللوفر • انه تمثال خادمة مصرية عثر عليه فى مقبرة فرعونية قرب أسيوط • طول التمثال ٣٠ سنتيمترا وهو من الخشب الملون ويقول النقاد ان هذا التمثال من اجمل ما صاغته أيدى الفنانين فى التاريخ لأنه يصور رقة المرأة واناقتها وابداع قوامها • • •

● **أكتب هذه السطور بعد أن فرغت من قراءة كتاب ضخم عن « اللوفر » ألفه مديره الحالى اندريه بارو •• أصارحك الحق لقد شعرت بالحزن يملأ نفسى وبعينى تتندى عندما ذكرت متحف الآثار المصرية وما يلقى من الاهمال منا والهوان على يد الكثيرين من العاملين فيه لا أقصد رجال الفن ولأثريين ، فهؤلاء والحمد لله رجال من طبقة عالية ومستوى من الاحساس الفنى والحضارى رفيع ، ولكن المديرين ورؤساء الاقسام ليسوا كل شىء فى المتاحف ، لأن معظم العمل والعناية يقوم به موظفون عاديون ما بين حراس وفراشين وعمال نظافة ، وأكثر هؤلاء يعيشون فى المتحف المصرى ولا يكادون يشعرون بأنهم فيه ، لا صلة بينهم وبين ذخائر الفن التى يحرسونها الا صلة الراتب الذى يتقاضونه • وليتهم يقومون بالواجب الذى يتقاضون الراتب عليه ، فقطع التماثيل يعلوها غبار الشهور ، وزجاج « الفترينات » لم يعرف التنظيف ربما من أسابيع • وآلم للنفس من ذلك ما قاله لى أحد الأمناء: ان اهمالهم التنظيف فى ذاته نعمة ، لأن الغبار لا يضر بالتماثيل ، وبقع القذارة لا تأكل الزجاج ، وانما أيدى هؤلاء العمال لا تمس شيئا الا كسرته ، وهم اذا قاموا بأعمال التنظيف لا يخلو فمهم من السيجارة أبدا ، وبعضهم يفعل ذلك وهو يتناول « الساندويتش » ! ••**

وفى ذات مرة دخلت قاعة فلم أجد فيها حارسا ، وانتظرت حتى عاد ، فلما لمته فى اهماله لتلك الذخائر القومية قال بكل غباء : ذخائر فنية •• هذه لعب يا بيه ! ماذا تريد أن أفعل لها أكثر من القيام « ملطوعا » الى جوارها طول النهار ؟! هل تريد أن أطعمها وأغسلها؟!

ولم أجب ، وبارحت القاعة ، وعندما قرأت فى كتاب أندريه بارو كيف يختارون حراس « اللوفر » والمشرفين



تمثال النصر الذى عثر عليه في جزيرة ساموس • برغم ضياع اليدين والرأس يعتبر هذا التمثال أعظم التحف الفنية فى تاريخ الفن وهو من الرخام • لاحظ الابداع فى نحت الثوب • ورقة يد الفنان فى عمل ثوب من الحجر • • •

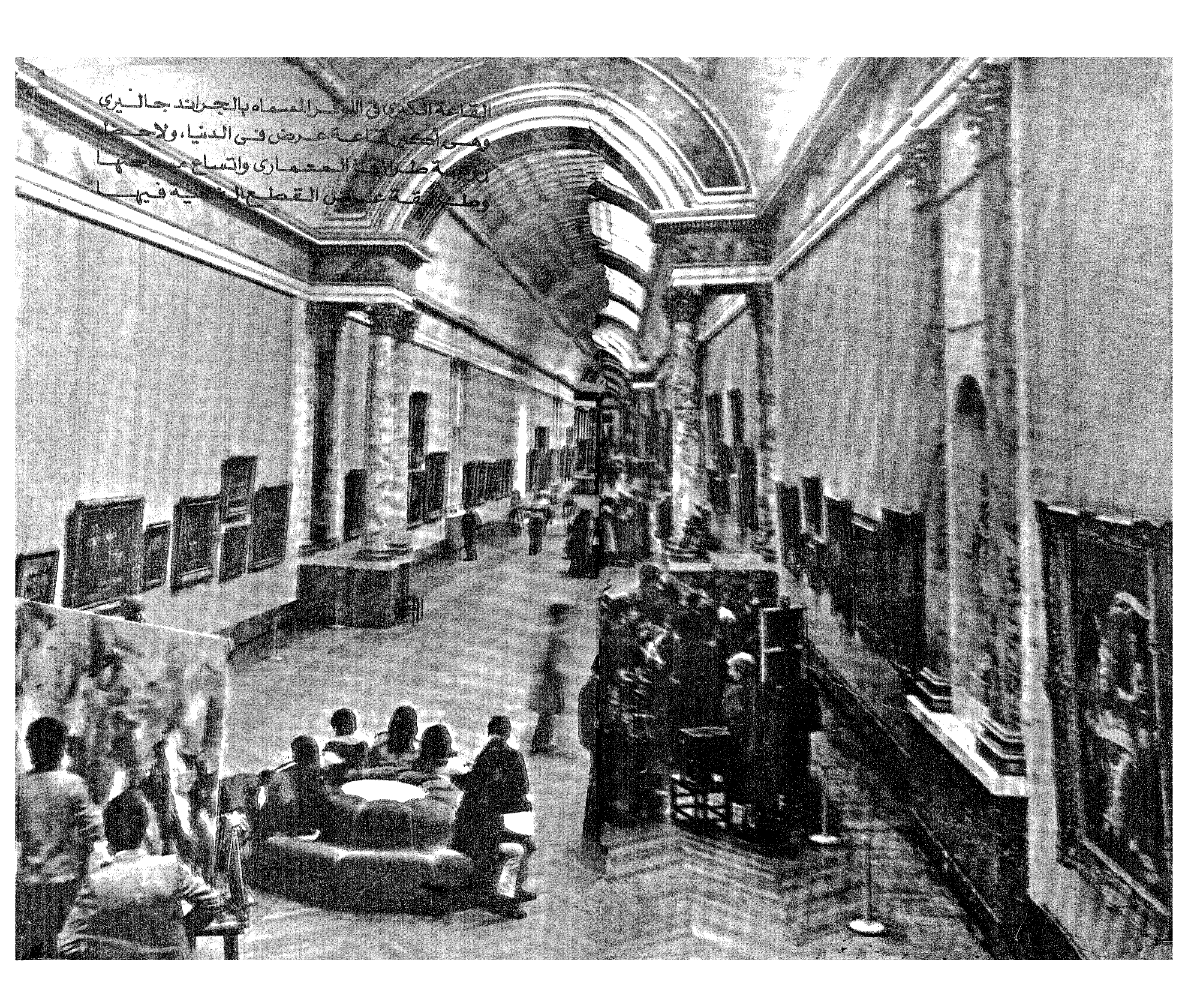
على قاعاته ويتحرون أن يكونوا من أهل الفن أو الاحساس الفنى على الاقل ، فغالبيتهم من خريجى كليات الفنون ولابد من تدريبهم على الاعمال التى سيقومون بها تدريبا طويلا ، لان « اللوفر » مفخرة فرنسا ، وهو ذخر للانسانية كلها ، ولا ينبغى أن يترك الا فى أيدى رجال يعرفون قيمة الاعمال التى يقومون عليها •

متحف « اللوفر » أو قصر « اللوفر » هو أعظم متاحف الدنيا على الاطلاق ، وهو ليس مجرد متحف وانما هو مجموعة كبيرة من المتاحف بعضها الى جوار بعض وهذه المتاحف لم تنشأ مرة واحدة ، لان الملك فرانسوا الاول ،وهو الذى خصص للمتحف حديقة واسعة مساحتها نحو ثمانية أفدنة ــ بدأ بانشاء معرض صغير وضع فيه التحف الفنية التى كان يملكها وكان هذا الرجل من هواة العلوم والفنون ورعاتها ، وهو الذى استقدم ليوناردو دافنشى من ايطاليا ، ويسر له وسائل العمل فى باريس •

ثم جاء لويس الرابع عشر أعظم ملوك فرنسا على الاطلاق وأفرغ على « اللوفر » جانبا كبيرا من عنايته ، فجلب له مئات القطع الفنية وأنشأ البوابة الرئيسية التى تؤدى الى البهو الرئيسى ، وانفق فى ذلك مالا طائلا •

وهذا الجزء الذى انشأه لويس الرابع عشر هو الذى أعطى « اللوفر » طابعه المعمارى المميز ، لان كل الذين أتوا بعده احتذوا النموذج الذى بناه هذا الملك واستمر الحال الى اليوم فيما يتعلق بالشكل الخارجى للمبنى •

وكان نابليون من أكبر المعنيين « باللوفر » ، فقد كان يحرص فى حروبه وغزواته على أن يسلب البلاد المفتوحة



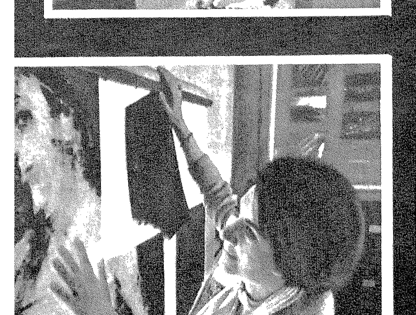
القاعة الكبرى فى اللوفر المسماه بالجراند جاليرى
وهى أكبر قاعة عرض فى الدنيا، ولاحظ
روعة طرازها المعمارى واتساع مساحتها
وطريقة عرض القطع الفنية فيها



متحف اللوفر

العمال الفنيون ينقلون لوحة موناليزا المشهورة الى قسم المحافظة على اللوحات حيث يتم الكشف عليها مره كل سنه للتاكد من سلامتها واصلاح اى خلل فى الالوان او القماش وكذلك مراجعه البرواز وكل الاشياء التى استعملت فيه ، لقد رسم ليوناردو دافنشى هذه اللوحة بين سنتى ١٥٠٣ و ١٥٠٦ وكانت اعز شىء عنده حتى انه كان يحملها معه فى أسفاره كلها •

◀ فى معامل اللوفر حيث تفحص القطع بأحدث الاساليب العلمية • هنا نرى ذراع تمثال يونانى من البرونز • ان العلماء يفحصون معدنها بالتحليل الالكترونى لكى يعرفوا تركيب البرونز اليونانى •



▲ مدام مادلين اور أكبر اخصائية فى الدنيا فى الكشف عن اللوحات للتعرف على أصالتها ، وهى تستخدم الاشعة السينية بطريقة فنية خاصة تتعرف بها على طبقات الالوان فى اللوحات وكذلك انواع الزيوت والألوان المستعملة • لقد فحصت هذه اللوحة المشهورة لرامبرانت واسمها حمام ملكة سبا وتبينت أنها أصيلة ولكنها اكتشفت ان الرسام الكبير اعاد رسم الراس ثلاث مرات ليخفض وضعها الى المستوى الذى يرضيه •







لوحة :«الحرية تقود الشعب»، احدى اللوحات الضخمة التى نراها فى اللوفر . كل لوحة من اللوحات الضخمة يخصص لها جدار كامل ، رسم هذه اللوحة يوجين دى لاكروا ليخلد بها ذكرى ثورة أهل باريس سنة ١٨٤٨ على الملك شارل العاشر ، وقد أعلنت بعد ذلك الجمهورية وانتخب نابليون بونابرت رئيسا لجمهورية فرنسا ولكنه لم يلبث ان اعاد الملكية وتسمى بنابليون الثالث ، هنا جمع دى لاكروا وهو من اعاظم الرسامين الرومانتيكيين بين الخيال فى صورة الحــرية فى هيئة امرأة رافعة علم الثورة ، والواقعية فى تصاوير الثوار الذين يتبعونها ويهتفون للحــرية والاخاء والمساواة .



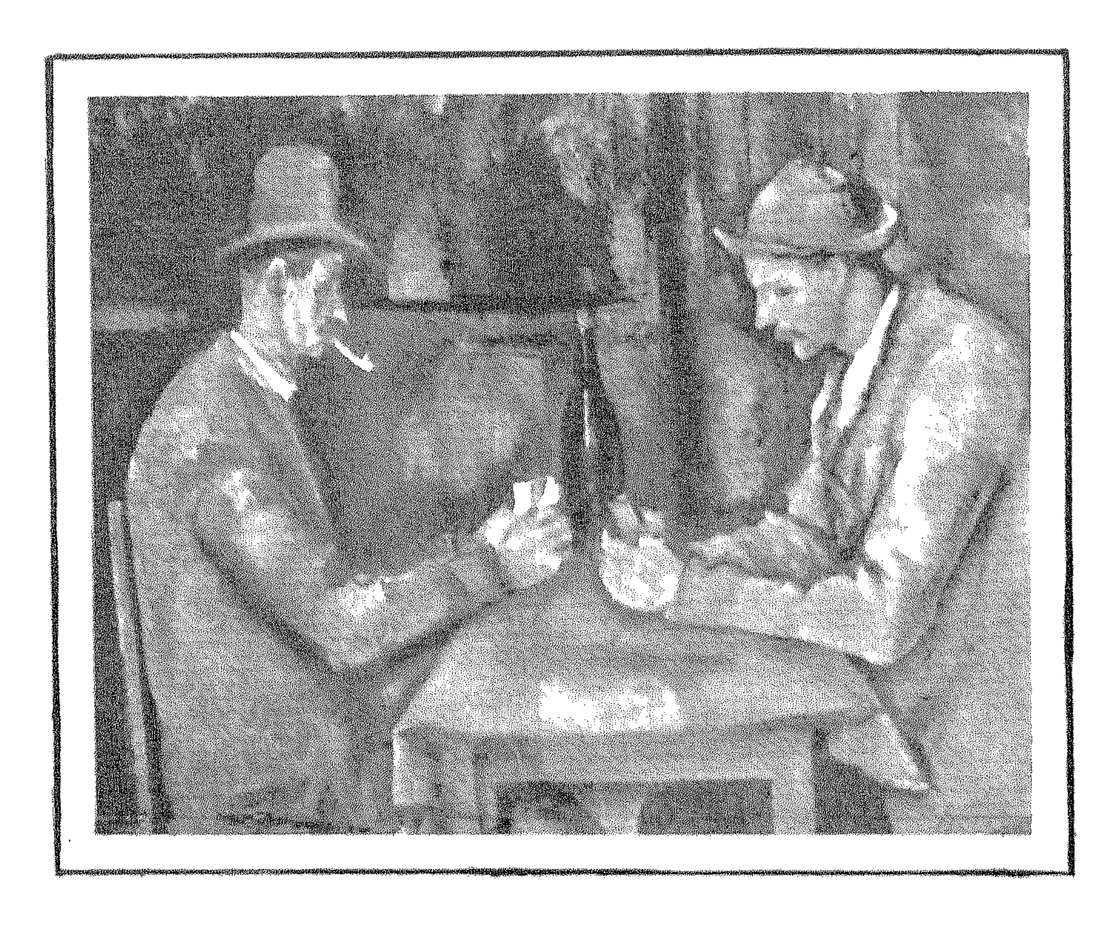
الشاغبون في المسرح ـ لوحة من الفن الحديث بريشة أونوريه دومييه ، وكان المشاغبون ظاهرة شائعة في مسارح الخمسينات والستينات من القرن الماضي في فرنسا · وكانوا يتعمدون اخذ مقاعدهم في الصفوف الامامية ويجتهدون في افساد الحفلات ·

كان أونوريه دومييه رساما ساخرا يركز على ابراز انواع من يرسم من الناس

ذخائرها الفنية ويرسل بها الى فرنسا سواء وجدها في متاحف أو في مجموعات يملكها افراد · ويقدر عدد القطع الفنية التي جلبها الى فرنسا وملأ بها متاحفها وخصوصا « اللوفر » بنحو ٢٥ الف قطعة ما بين لوحات وتماثيل وأعمال فنية من كل شكل ولون وعصر · وقد استردت بلجيكا وهولنداوألمانيا وايطاليا والنمسا وبولندا والروسيا ٥٢٣٣ قطعة مما اهداه « للوفر » ولكن الباقي بعد ذلك كان كثيرا جدا ··

ثم استمرت عملية جمع التحف وتقديمها الى « اللوفر » ونظمت أبنيته في هيئة أجنحة تسمى « بالبافيونات » كل منها يتألف من مبنى مربع يحيط ببهو مكشوف ، واضلاع المربعات كلها قاعات عرض مكونة من دورين ، وربما كان هناك دور نصف أرضي ودور صغير علوى ، وانشئت دهاليز ومخازن واسعة تحت الأرض ، وكلما أرادوا توسيع « اللوفر » انشأوا « بافيون » جديدا ، وكل هذه الابنية تحيط بحديقة واسعة هي حديقة « اللوفر » ، وهي في الاصل جزء من حدائق « التويلرى » وهي حدائق القصور الملكية الفرنسية ، وعنايتهم بالحدائق لا تقل عن عنايتهم بالمتحف نفسه ، وهي تتألق في الربيع بالخضرة والزهور ذات الالوان الباهرة ، مما يجعل الجلوس في تلك الحدائق متعة ·

ويدير « اللوفر » مجلس ادارة من

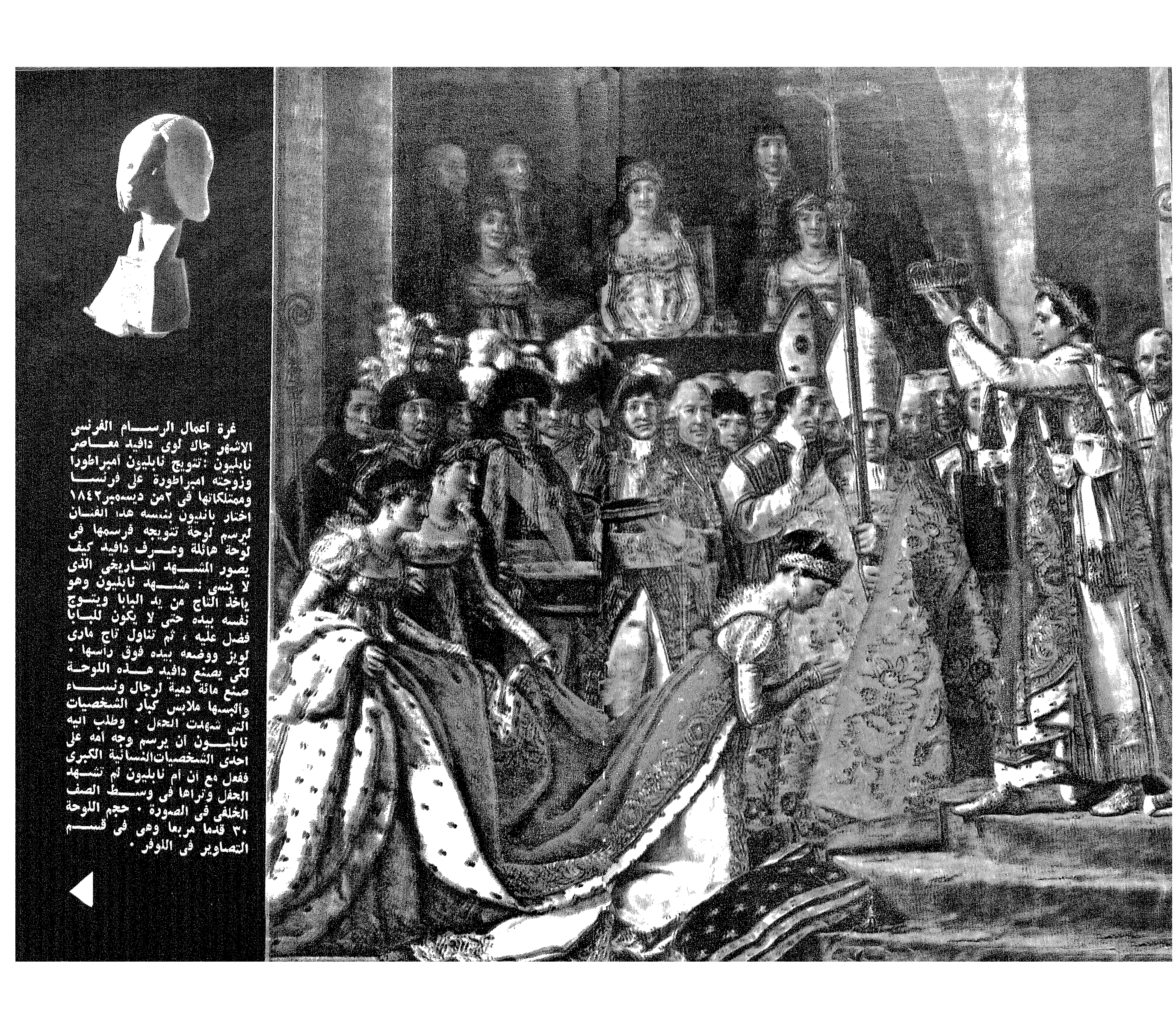


لوحة بريشة بول سيزان رائد الفن الحديث : لعب الورق هذه واحدة من خمس تجارب لنفس المشهد قام بعملها سيزان حتى وصل أخيرا الى النتيجة التى ترضيه ، لم يكن سيزان يركز على التفاصيل بل على « جو » اللوحة ، وكان يدقق جدا فى رسم الوجوه وهيئات الاجسام حتى تعبر تماما عما يدور فى نفسه .

الفنيين والاداريين يرأسهم مدير من أهل الفن وتاريخه، والمسيو أندريه بارو المدير الحالى قضى عشرين سنة من عمره فى العراق يعمل فى الحفر والتنقيب عن آثار الكلدان وآشور وبابل ، وقد اختاروه لأنه أعد فى سنة ١٩٦١ مشروعا لتجديد « اللوفر » واعادة تنظيم قاعاته وقد لقى مشروعه القبول وانتهى الامر بتعيينه مديرا « للوفر » .

و « اللوفر » مقسم الى ستة أقسام فنية كبرى لكل منها مبنى أو أكثر، وهى قسم آثار مصر ، وما بين النهرين ، وقسم اليونان والرومان وقسم الفن الايطالى ، وقسم التماثيل ، وقسم التصوير .

وهناك أقسام أصغر بعد ذلك مثل أقسام الفن الروسى والبولونى والصينى والهندى والهولندى والبلجيكى والانجليزى ، وأعظم هذه الأقسام ثلاثة ، هى : المصرى، واليونانى ، والرومانى، فان القسم المصرى فى «اللوفر» يلى المتحف المصرى من حيث ضخامة عدد القطع المعروضة وأهميتها ، ولكنها معروضة هناك بشكل يبهر الانظار . وأنت تزور المتحف المصرى فتشعر وكأن القطع تختنق فاذا رأيتها فى « اللوفر » أحسست أنها حية تتنفس بل سعيدة



غرة أعمال الرسام الفرنسى الاشهر جاك لوى دافيد معاصر نابليون : تتويج نابليون امبراطورا وزوجته امبراطورة على فرنسا وممتلكاتها فى ٢من ديسمبر١٨٤٢ اختار نابليون بنفسه هذا الفنان لرسم لوحة تتويجه فرسمها فى لوحة هائلة وعرف دافيد كيف يصور المشهد التاريخى الذى لا ينسى : مشهد نابليون وهو يأخذ التاج من يد البابا ويتوج نفسه بيده حتى لا يكون للبابا فضل عليه ، ثم تناول تاج مارى لويز ووضعه بيده فوق رأسها . لكى يصنع دافيد هذه اللوحة صنع مائة دمية لرجال ونساء وألبسها ملابس كبار الشخصيات التى شهدت الحفل . وطلب اليه نابليون أن يرسم وجه أمه على احدى الشخصيات النسائية الكبرى ففعل مع ان أم نابليون لم تشهد الحفل وتراها فى وسط الصف الخلفى فى الصورة . حجم اللوحة ٣٠ قدما مربعا وهى فى قسم التصاوير فى اللوفر .



في معمل ترميم التماثيل في اللوفر ، هذا الرأس الضخم لتمثال يوناني كان موضوعا في قاعة سولى في اللوفر ، لقد جربوا كل وسيلة للمحافظة على هذا الرأس الذي تتدهور حجارته ، وأخيرا ، انتهوا الى أن أقصى ما يمكن عمله هو تنظيفه بفرشاة حريرية بغاية الخفة .

تهش لمرآك ..

وفي القسم المصرى وحده ٧٥٠٠ قطعة ما بين تماثيل ولوحات ومجموعات نحتية وقطع أثرية معروضـــة فى ٢٦ قاعة ، وقد خصصت قاعة لما يسـمى هنـــاك بالمصطبة ــ وهى عبارة عن داخل مقبرة مصرية قديمة بدهليزها ، وقــد نشروا هذه المصطبة نشرا ونقلوها بكل عناية الى باريس محافظين على سقفها وأرضـيتها وكل جزئية من جدرانها وتصاويرها وكل ما كان فيها ..

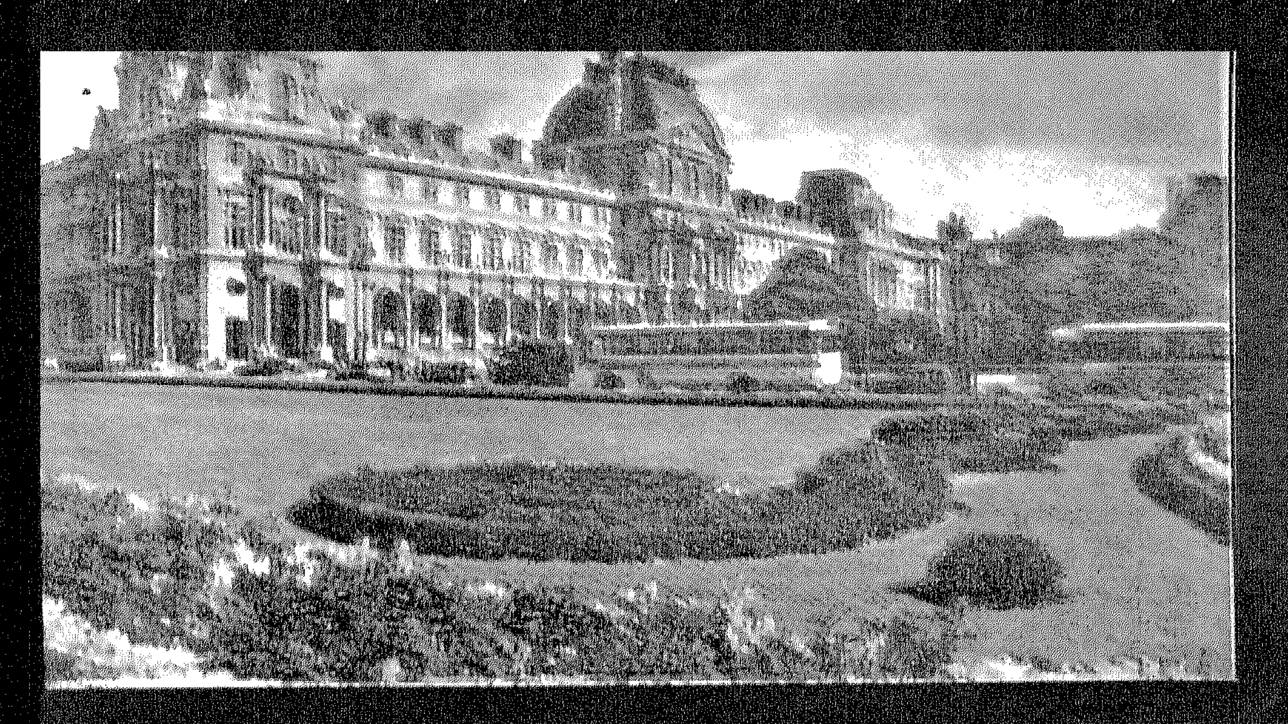
وقد عرضوا هذه المصطبة بصـــورة فنية ووزعوا الاضواء فيها على نحو يبعث على الاعجاب ، فأنت ترى فيهـــا بكـل وضوح تفاصيل كل جزء وكل قطعة . واننى لآسف طبعـــا لانتقال كل هــذه القطع الفرعونية الى فرنسا وأمثالها الى المانيا وخاصة برلين ، وكنت فى شبابى أتحمس للمطالبة باعادتها الى مصر ، أما الآن فاننى أعتقد انها هناك أحسن لهـا ولنا ، فهناك على الاقل يحرسها ويرعاها ناس لا يقولون انها لعب ، ولا أثر للغبار وزجاج الفترينات نظيف شفاف حقا .

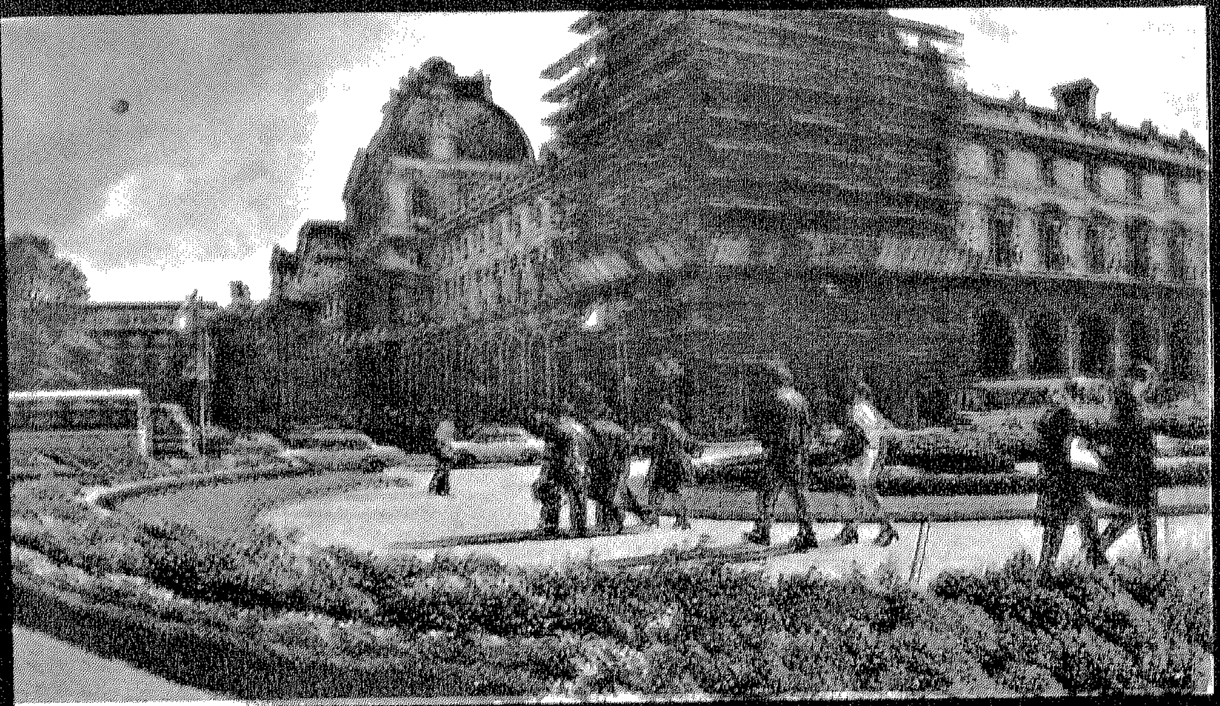
وعندما تقف أمام تمثـال السـيدة مرس ــ عنخ وزوجها راهــركا ، موظف الدولة ــ تحس بالفعل أنها تحب زوجها .. تقرأ ذلك فى عينيها وابتســـامتها الفياضة بالمودة ويدها الحنون التى تطوق ظهره .

فاذا انتقلت الى قسم التصوير وجدت نفسك فى عالم من الفن عجيب ، فهناك خمسون قاعة تعرض عليك من روائـع الفن ما لا يجتمع قط فى مكان واحــد ، ومن بين هذه القاعات قاعة تسمى قاعة الشهرة جمعوا فيها لوحات للخـــالدين دملا من المصورين من امثال والفائيــل ، وتتسيانو ، والجريكـو ، ورمبرانت ، وبوسان ، وروبنز ، هنا تحس فى أعماق نفسك بروعة التصـــوير وابداع الفن . هنا يجلس الناس على المقاعد الخشـــبية ساعات يتأملون هذا العـالم الحـــافل من الجمال ،أما موناليزا رائعة ليوناردو دافنشى فقد خصصـــوا لها قاعة كاملة وعرضوها على نحو يملك المشاعر .

وللكثـــير من قطـــع ذلك المتحف الفريد قصص ، ونكتفى هنا بقصـــة فينوس ميلوس ، ذلك التمثـــال الرائع لامرأة رائعة الحسن ، صاغتها يد المثال المجهول على نحو من الكمال فى التكوين لا نظير له فى عـالم الفن قط . ويذهب العلماء الى انها ترجع الى أواخر القــرن الثانى قبل الميلاد . وقد اكتشفت سنة ١٨٢٠ فى جزيرة ميلوس فى بحر ايجه، وقد عثر عليها فلاح يونانى ، كان يحرث أرضه عندما اصطدمت فأسه بقطعة حجر كبيرة ، فأزاحها ليجد تحتها حجرة وفيها ذلك التمثال راقــدا على الارض منكسرا قطعا وعرف الرجل انه عثر على كنز ثمين فوضع الحجر مكانه ومضى يفكر فيمـــا يعمله . ولكن الخبر نما بطريقة ما الى السلطات التركية ، وكانت اليـــونان اذ ذاك تحت حكم الاتراك ــ وصـــدرت الأوامر بنقـــل التمثال بكل قطعه الى استامبول ، وحملوه فعلا على ســفينة تركية شراعية ، وكان عملاء فرنســـا الباحثون عن تحف الفن والآثار فى العالم **كله بالمرصاد ، فلما ابتعدت الســـفينة التركية عن الشاطىء تبعتها سفينة حربية فرنسية ، وانتقل التمثال الى السفينة الفرنسية ، واسرعت به الى فرنســـا ، هنا ارتجت فرنسا كلها للخبر ، واقيم حفل لتقديم التمثـــال الى الملك لويس الثامن عشر ، وضربت ميـدالية تذكارية لهذه المناسبة ، وبعد قليل رمم التمثال واقيم فى « اللوفر » ، اما ربان السفينة التركية فقد ضرب خمسين جلدة عقـابا له على التفريط فى اجمل امرأة عـرفت فى التاريخ .**

د. حسين مؤنس





الحدائق الغناء تحيط بمبانى المتحف من كل ناحية وعلى مساحات واسعة حافلة بالخضرة والازهار والاشجار لكي يكون شكل المتحف ووضعه قطعة فنية . فى هذه المبانى يعرض تطور فن العمارة الفرنسية على طول أربعة قرون تبدأ من عصر النهضه الى يومنا هذا مارة بعصر النهضة الاوروبية وعصر نابليون الاول والثالث ثم عمارة القرن العشرين مكيفة تكييفا معماريا بديعا يدخلها فى الاطار المعمارى العام للمبنى كله وبساتينه . هذا الجزء من قصور اللوفر استولت عليه وزارة المالية الفرنسية من مائة عام ولكنها حافظت على عمارته وجماله . عن قريب تنتقل الوزارة الى مبنى جديد خاص بها خارج باريس ، فتتضاعف مساحات العرض فى اللوفر لكي توضع آلاف القطع المحفوظة فى المخازن فى أماكنها المناسبة لها . لقد فتح متحف اللوفر للجمهور سنة ١٧٩٣ بعد قيام الثورة الفرنسية بقليل . كان قبل ذلك معرضا ملوكيا ، ومع ذلك فان جنود ثورة ١٨٤٨ فى فرنسا اقتحموا متحف اللوفر واستعملوه معسكرا وأقاموا مواقد الطبخ والتدفئة فى القاعة الكبرى - لاجراند جاليرى .

قصة الموت مرتين !

● حنفى المحلاوى ●

لم تدم غربته طويلا ، ما هى الا لحظات ويعود من حيث أتى .. اخذته الافكار بعيدا . وعلى صوت اصطدام القضبان بعجلات القطار ، اســـتيقظ .. قفز ، اعطى لنصف جسده حرية الحركة اكثـــر من ذى قبل ..

الهدوء يسود على غير العـــادة ، الوقت ظهرا ، الحرارة تصنع بريقا فى عيون الناس .. صيحات مكتومة ، ولغة كأنه لا يعرفهـــــا ، والكل يتزاحم ليتقدم .. وقف خارج البوابة لحظات اختطف خلالها نظراته .. حمل ما فى يده تحت ذراعه ــ كومة من بقايا كتب الماضى ، لم يعبأ بها ، ربما تســاقط أغلبها قبل أن يخرج من المحطة .. هذه اجازة نصف السنة ، يا طول الغربة عن القاهرة وجوها الرمادى .. لقد خرج من سجن الهواء العفن ودخان أفران جدته ..

خطوات ، اخذ بعدها فى العد التنازلى .. ثلاثة شوارع ضيقـــــة ، وثلاث حارات قذرة ، علامات لا تخطئها العين .. أكثر من أربعة أشهر ، تمنى خلالها لو شاهدها طويلا ..

وعلى غير هدى ، توقف من جديد .. كومة من البشر من مختلف الاعمار ، ناصية شارع طويل ، لا يتذكر اغلب معالمه ، رائحة الدواء تتلاعب مع الانفاس ، اصوات استغاثة ملأت جو المكان .. جرى مسرعا ، توقف ، تعالت صيحات المتزاحمين ، وسرعان ما تكونت الدائرة المعروفة ، مجموعة كبيرة من الناس حول مريض او مصاب ..

وبصعوبة بالغة كان فى المقدمة يدفعـــــه حب الاستطلاع .. دقق النظر ، هيكل عظمى خال من اللحم الآدمى .. وعشرات المناديل تلاحق فمه من أجل وقف النزيف ..

تصلبت مفاصله ، دقق النظرات اكثر واكثر ، ارتعشت كل اعصابه .. انقلب لونه الى الاصفر ، ودون ان يدرى ــ صرخ عاليا .. لم يتمالك ، اصابه الانهيار ....

ركع على ركبتيه كمن يصلى .. انتابته حالة من الخشوع ، انتفض قلبه ، وامسك بما تبقى من الهيكل العظمى ، ناداه طويلا ..

قفزت علامات الدهشـة تعلو الوجوه ... ماذا يحدث ؟! .. انسان ينزف دمه ــ يموت ، والاخر يصرخ من اجله ...

من يكون ؟ .. كيف ظهر ؟ أسئلة واستفسارات لا اجابة لها فى حينها ..

انحنى عليه أغلب الواقفين بالكلمات والتوجيهات ...فهم ربما فهم مايقصدون..المطلوب عربة لنقله الى البيت ..

نهض واقفا فى صمت ، كسر الدائرة . تركه وراءه ينزف .. لم يتـــوان عن صيحاته ، جرى فى كل ناحية ، كيف يموت على الرصيف ؟ ان منزلهم قريب. وبلهن مشتت ، مشى مسرعا ، لا بل جرى. تولدت فيه طاقة لم يعهدها فى نفسه ..

البحث عن سيارة أو حتى عربة اى عربة .. لابد من نقله الى البيت ، سيموت على الرصيف ، دمه ينزف بغزارة .. لم يعـــد لديه قـــدرة على السير ..

بعد خطوات كاد يموت تحت عجلات ســــــيارة مسرعة .. وقف وسط الطريق ، ولم يجـــــد من يسعفه .. السيارات وحوش كاسرة تأكله قبل غيره .. ما العمل .. سيموت ، سيموت ..

وعلى الرصيف الذى حمله بعيدا عن الكارثة ، التقطه صديق ، ناداه ، هزه بقوة . نظر اليه فى بلادة غير معهودة ، وأخيرا تذكر ، عانقه ، أخذه بالاحضان .. انطلق لسانه ، طلقات مدفع خرجت فى غير أوانها :

ــ بابا مات .. بابا مات .. يا محمد !

ولم يكتف بلسانه ، أصابع يده ، كل أعضاء جسمه ، تشير الى هناك حيث يرقد الميت الحى.. جسم مرتعش وعيون زائغة ، وكلمـــــــــــات متقطعة ..

لم يفهمه صاحبه ، استفسر منه أكثر :

ــ من الذى مات ؟

نظر اليه فى خوف . والده يموت على الرصيف .. لقد تركه منذ قليل ينزف ، دماؤه ملأت عيون الناس .. أخبروه انه ترك المستشفى منذ قليل .

وعلى دموعه التى انسابت مكتومة حزينة ، أخذه بين ذراعيه الى جوار الحائط .. :

ــ ابوك ؟.. أبوك مات من سنتين !

جحظت عيناه اكثر ، تسمرت فى اتجاه واحد ، قضم على شفتيه حتى سال الدم ..

اخيرا ... افاق على الحقيقة .. لقد اكد له بالدليل وبالعلامات الواضحة ان والده فارقه بالفعل منذ سنين !

مشى بجواره ، اطبق عليه الصمت ، تمنى أن يغوص وتبتلعه الارض ..

نسى كل شىء .. ولد من جديد .. نسى حتى كتبه التى تركها هناك على امل النجاة !

الحقيقة الضائعة في رواية :

مسافة بين الوجه والقناع

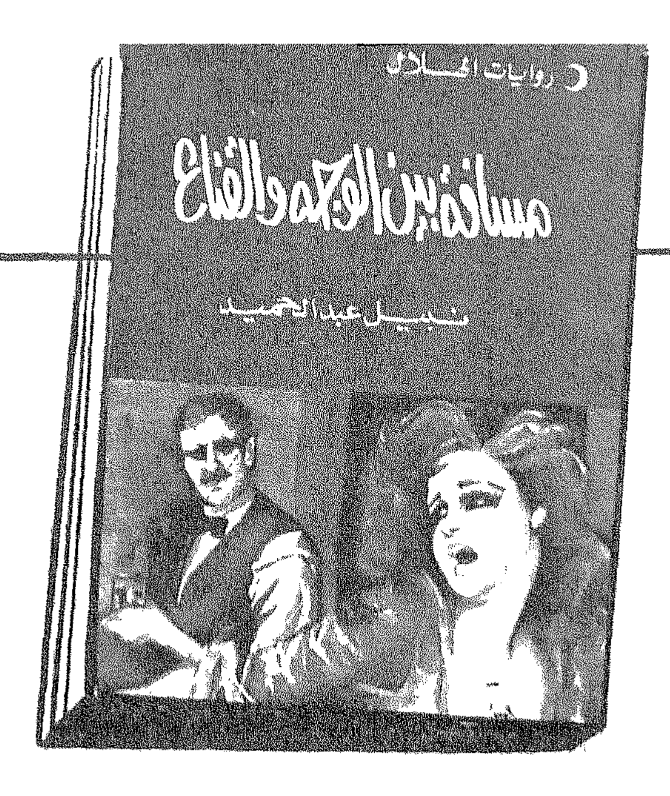
• محمود العزب •

هذه الرواية ـ للقاص نبيل عبد الحميد ـ يمكن أن يقال انها من نوع خاص ، انها تسعدنا وتغمرنا بالدهشة ، وتثير تساؤلات متعددة كلما أعدت قراءتها ، وهي تقوم على فكرة غير مسلم بها ولا يمكن تصديقها ظاهريا ، هذه الفكرة هي اختفاء « عطيات » ابنة صاحب العمارة في ليلة زفافها ·· سقطت في فجوة حدثت داخل عمود مسلح بالدور الأخير من العمارة ، وحضر وكيل النيابة المحقق ، ليبحث سر اختفاء « عطيات » ويكتشف الفاعل ·

وقد أخذت العمارة بعدا مكانيا لاطار هذه الرواية بحيث يدور التحقيق داخلها ولا يتجاوز جدرانها ، ونتعرف على شخصيات العمارة ابتداء من « حسن » زوج « عطيات » الى « أبو العينين »البواب وفكرة الفجوة اللامعقولة ، وسقوط أو اختفاء الضحية « عطيات » فيها ، وقضية البحث عن السر ، واكتشاف غموضه وخفاياه ·· كل هذا يحمل رائحة من « كافكا » في بعض اللمحات ، على الاقل حين يكون الجو الضبابي غالبا على الواقع الملموس ، ويتداخل دور النمل الذى يأكل الأشياء ، ويتلذذ بمهاجمة الآخرين حتى « عين » الأستاذ رفعت ·· تلك الشخصية التى تبدو رؤيتها عبثية في حين يتهكم عليها أهلها ، ربما ما عدا الابنة سوسن ··

على أية حال المحقق يواصل عمله ، الشبهات تلاحق الجميع ، ولا أحد يصبح متهما على الاطلاق ، لأن كل شخصية حرصت على حماية نفسها ، في نفس اللحظة التى لا تتردد عن توجيه الادانة لغيرها ، أو اثارة الشبهات حولها على أقل تقدير ، وبخاصة اذا كان هذا « الغير » غير محبوب من جاره ، أو في النفس منه أشياء ، ولعل هذا ما كان يدعو المحقق الى التريث ، والبحث بدقة أكثر، ناظرا باهتمام الى علاقات الانسجام غير المتوفرة بين معظم الشخصيات ·

هذا ، وشخصيات العمارة شخصيات بورجوازية مترددة ، متناحرة ، غير منسجمة ، وعلاقات الجوار القائمة غير موفقة ، يجمعها التنافر ، ويهجرها الترابط ، والنميمة تسود مجتمعهم



المشغول فى المحل الأول بذاتيته ومنافعه وان كان ذلك لم يمنع هذه الشخصيات من المحافظة فيما بينهما على نوع من التوافق « البورجوازى » حفاظا على حبل الرياء الذى لا يرغب أحد أن يفرط فيه٠

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : ما دلالة أن تكون جميع الشخصيات (ما عدا البواب) من نمط بورجوازى ؟ ربما لكى يظل التردد والتبرير واصطناع المواقف الذاتية ملائما كمناخ يزيد من متاهة البحث عن الحقيقة التى قد يمسك كل منهم بطرف منها دون أن يكون فى مقدوره أن يفيد البحث فى الوصول الى نتائج حاسمة ٠

الشخصيات تعيش لحظتها الراهنة وفقا لغرائزها وأهوائها ومطامعها ونزواتها ما عدا شخصية سوسن ، وشخصية الدوريش ٠٠ الشيخ حامد ، ولا تجدى مثابرة المحقق فى كشف غموض الحادث ، وكلما تقدم فى استجوابه يتنبه الى أن كل شخصية بكيفية أو بأخرى لا تزال تضع قناعها على وجهها تخشى رفعه أو تستمرىء بقاءه ذلك لأنها تخفى ما ينبغى أن يعلم ، وتراوغ لكى تنفى ما تريد ، فمنطق السلامة ، وسطوة القناع يحتم عليها نفى ما تعرف ، واثارة الشبهات على غيرها ، ويبدو المحقق ،برغم جهوده،كمن دخل متاهة كمتاهة الفجوة التى فقدت تعليلها المادى أمام حيرته وشكوكه ، وتضارب أقوال سكان العمارة ٠ ان الخيط الرهيف الذى يصله بالحقيقة يتمدد ويرق ويكاد يتمزق ، فهل يغرق فى وهم الحيرة ، وتضيع الحقيقة ؟! فهو كلما حاول أن يمسك بها يراها تفلت من أصابعه كالشعاع ٠٠ اذن يبقى الوهم ، ولكن الوهم نفسه يحتاج الى ما يثبته٠ ما الوهم هنا ؟ ان اثبات ما جرى وما يجرى ، وما هو فيه ، وما يسدده اليه فراغ الفجوة من نظرات غامضة ٠٠أليس كل هذا وهما يحتاج هو الآخر الى أدلة وبراهين ؟!

انه فى عمارة أشبه بزنزانة منعزلة فى المكان المنفرد ، مجردة من الزمان ــ تجريدا ظاهريا على الأقل ــ تسبح فى ضوء حائر يتوه فيه الخط الفاصل بين الوهم والحقيقة ، وحين يضطر المحقق أن يسلم بضياع الحقيقة ذات الألف وجه يكاد يرى نفسه موضع شك وشبهة كأنما أصبح هو الآخر مدانا ، حين زحف ــ فى آخر الرواية ــ بصدره الى الأمام ونظر فى ــ الفجوة ــ وظلت ذراعه تتارجح فى فراغها ٠٠

ان الخطاب ، والعصا ، والنظارة ، والايصال ، « والباروكة » وزجاجة « خيشه » ، والنمل ٠٠ كل هذه الأشياء

الحقيقة الضائعة فى روايـــة :
مسافة بين الوجه والقناع

تبرهن على وجود رابطة بين سكان العمارة ، وبين اختفاء « عطيات » فى ليلة زفافها بأعماق الفجوة ، والذى يلفت النظر أن الفجوة التى حدثت فى رأس عمود مسلح من الأعمدة الرئيسية والتى لا غنى عنها لعمارة متماسكة تحمى نفسها وحياتها وسكانها ، يقول عنها تقرير الخبير المسئول : « •• ان الفجوة منحوتة بطريقة فنية للغاية ، لا يوجد على جدرانها الداخلية أى بروز أو تشقق أو حتى نتوء صغير •• فجوة مصنوعة بمهارة •• »

هذا العمود بالذات ، الأساسى فى البناء •• أصيب بالفجوة ، واختفت فيها العروس ، وبمعنى آخر أصيب أحد الأسس الهامة التى تقوم عليها الحياة ، فمن يطمئن للحياة ؟! فمن يطمئن ؟! وتجدد الحياة يتوقف ، فى شخص العروس المختفية !

ومن الواضح من طريقة حدوث الفجوة فى العمود أنها لم تحدث عفوا أو قضاء وقدرا ، والوقائع وظلالها بما فيها النمل الذى يشارك هو الآخر فى الهدم والتصدع ، يشير الى أن الجميع بدرجة أو بأخرى كانوا مشتركين فى نحت هذه الفجوة ، انهم من زمان طويل (•• زمان لا يذكر أوله من آخره فى الرواية ، بل لايكاد يذكر مطلقا لأن امتداداته غير مرئية •• بلا حدود) •• زمان متكاثف وغير مرئى ، ينحتون ــ عبره ــ هذه الفجوة كما يفعل النمل تماما ، وكما يتسلل كيفما شاء ، ابتداء من المخزن ــ مخزن العمارة ــ الى عين •• ورؤية شخصية رفعت ــ الى حد تواجده على حافة الفجوة كدليل ملموس على التآكل البطىء الذى بدأ منذ أحقاب بعيدة فى هيكل « العمارة » العصرى المصنوع من الأسمنت المسلح •

وبرغم أن الزمان المحدود الذى يدور فيه التحقيق غير مثبت على نحو محدد فى الرواية الا أننا نحس بامتداده وانعكاساته •• زمان غائر فى أعماق الماضى ، يلقى بثقله وظلاله على الحاضر المشحون بالتوتر والتأزم والرغبة فى الاكتشاف ••

ان الزمن هنا يعاد بناؤه كحقيقة لا جدوى من التهرب منها ، كحقيقة لا تقتصر على احتواء الرواية وعالمها ،بل لأن الزمن ــ الذى كثر تجاهلهم له وتهربهم منه ــ جزء من نسيج كياننا ــ وكيانهم ــ الذى يظهر من خلاله فى علاقة جدلية •

وربما كان من سلبيات المحقق أنه كان يريد أن يخضع « الزمن » لحدود الواقع المباشر مثلما يخضع أمامه « المكان » بحدوده التى لا تتعدى مساحة العمارة ، ربما لأنه فى حاجة الى أن ينهى تحقيقه فى وقت محدود ، والا لذاب فى متاهة الزمن واللاجدوى ، وهو ما حدث له بالفعل عندما استسلم لعجزه عن اكتشاف الحقيقة فى عالم متصارع تحكمه الأهواء والمطامع •

ومن المدهش أن الشخصيات جميعها لم تهتز أمام المحقق كما هو متوقع فى هذه الحال ،ولو من بعضها على الأقل ــ التى تجابه موقفا كهذا ــ وربما يكون هذا عيبا فنيا ــ وان كان يمكن تبريره بأننا لسنا أمام رواية تقليدية •• ان كلا منهم يظهر أمامه بمظهر عادى ان لم نقل بمظهر هادىء تماما ، قادرا على المواجهة أو لا يخافها ، فهل يقال ان ذلك نابع من اقتناع كل منهم ببراءته وحده ، أو أنها جرأة المذنب ومهارته المكتسبة من قبل ، ولا مبالاته السائدة ؟! فكم من أشياء وقيم وأحلام وحياة تختفى وتضيع على طول وعرض الحياة ، وتفلت منهم وتذوب فى معاناة الواقع المرير ! فماذا يجد لو اختفت حياة أحد بطريقة غامضة وغير مالوفة ؟! ربما تجمدوا من كثرة دوران المالوف وغير المالوف فى طاحونة الحياة التى تتكرر بالأمل المفقود والحقائق الضائعة ، وربما يقال ان كل شخصية كانت تلعب دورها بكامل وجودها ــ بصرف النظر عن الاهتزاز أو الارتباك

> إن هذه الرواية على طريق التجديد، تتحول من موضوع للفهم إلى موضوع للبحث، وهذا معناه أن تشرك القارئ في عملية الإبداع والتفسير والاكتشاف

المنتظر أمام وكيل نيابة فى العـرف الاجتماعى .

ان الشىء الأكثر اثارة للاهتمام هو أن الشخصيات تعطى انطباعا بأن وجودهم بأسره متورط فى « الفعل » الذى أفلت سره من بين يدى المحقق وأن كل واحد منهم مقيد بالآخر فى أعماق وجوده ، وهذا ما يسبب التصادم فيما بينهم ــ سواء أكان مباشرا أم غير مباشر كما لو كان كل منهم هو الجلاد والضحية .

***

ان هذه الرواية الهامة تعكس ضرورة البحث وعبثه ، وضرورة التفكير وعبثه ، وضرورة الاتصال واستحالته ، وضرورة الوهم وزيفه ، وضرورة الحقيقة واختفاءها ، وضرورة الكشف عن عورة غير مستورة .

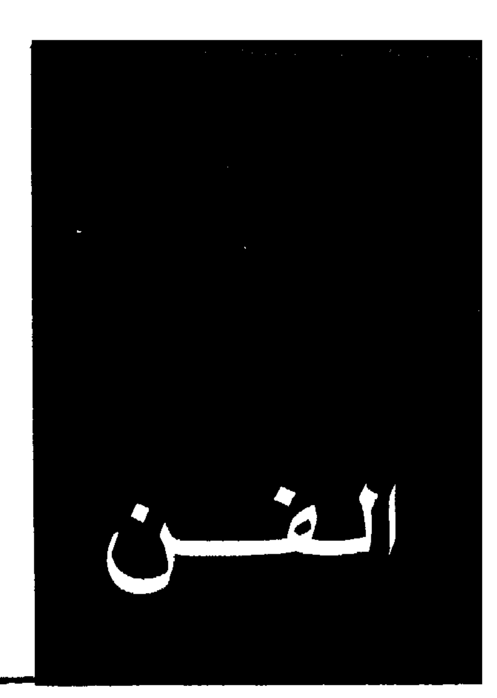
ان هذه الرواية ــ على طريق التجديد ــ تتحول من موضوع للفهم الى موضوع للبحث ، وهذا معناه أن تشرك القارئ فى عملية الابداع والتفسير والاكتشاف

هذا ويبدو أن المؤلف نبيل عبد الحميد قد ضاق بعدم كفاية السرد التقليدى ، بقصد الثورة على أسلوب الرواية السائد الآن ، وحاول أن يتميز بشىء يقترب مما يسمى بالرواية الجديدة ، فهو هنا يقوم بتسجيل بعض المعطيات الحسية كوصف النملة وحركتها وصفا دقيقا فريدا من غير توجيه أو تعليق أو تدخل، تاركا للقارئ الحرية فى تكوين انطباعه الشخصى ، واعادة تكوين ما يقرأ بمعرفته هو بعيدا عن التحليل النفسى أو التعليق الفلسفى أو الكشف الاجتماعى ، مثل دور النمل، ومثل ما حدث أثناء تناول الطعام بين الرجل وولديه .

وهو هنا يستخدم « الأشياء » خارج حدود الشخصية ، ويوظفها فى عرض الواقعة التى حدثت حاجبا بمهارة الأسلوب الوصفى ، تاركا الشخصيات « تفعل » أكثر مما تقول ، وهى محاولة على طريق التجديد لعله يكون واحدا من روادها ، واذا فلسفنا هذه الرواية فربما يمكن اعطاء رموز ، فصاحب العمارة رمز للاقتصاد ورأس المال ، والنمل رمز للغريزة والموت ، واسماعيل الجارحى وأولاده رمز للجانب المادى الحيوانى .. الخ . لكن هذه النقطة تحتاج حديثا آخر

وأشير هنا الى بعض نقاط خاصة أخيرة حيث الاحظ أن الفصل الثالث على صلة بأسلوب المرحوم ضياء الشرقاوى فى مرحلته الأخيرة من انتاجه كما أن الأسلوب فى الرواية عموما شديد الاقتصاد فى العبارة مع تركيزها ، ويستخدمها خالية الى حد بعيد من النعوت والكاتب يتلاعب بمهارة باللحظة من خلال المكان المحدود بين المائدة والمطبخ ، وهو قليل الاستخدام لحروف العطف بحيث تبدو الجمل كنقلات عين الكاميرا وهى تجمع اللقطات المتوالية دون حاجة الى وسيلة ربط خارج العدسة .

ان رواية «مسافة بين الوجه والقناع» لنبيل عبد الحميد علامة هامة على الطريق الجاد للرواية العربية وهى تؤكد بالأصالة والمهارة أن الرواية على يد الأجيال الجديدة تخطو الى الأمام بانتصار ونجاح



الفن امرأة جميلة

عرفت فى اسبانيا رساما يعيش فى فيللا انيقة قرب ماربيا المصيف المشهور . كان رجلا ثريا ينفق عن سعة ، وكان يعمل الوقت كله ، فما زرته مرة الا وجدته يرسم أو يتفاوض على رسم لوحات ..

وكان لا يرسم الا صور نساء ..

كان يرسمهن فى كل شكل وهيئة : يرسمهن جالسات وواقفات ومستلقيات بملابس أو بغير ملابس ، أو يرسم وجوها أو ابتسامات .. ولكن رسومه كانت فى غاية الاتقان والجمال ، والعين لا تشبع قط من تامل رسومه ولوحاته ونسائه ..

وكانت الطلبات تنهال عليه من كل نواحى الدنيا مع أن لوحاته كانت غالية الثمن ، وكانت له سكرتيرة تعمل طول الوقت فى ضبط مواعيده ومراسلاته وحساباته ، وفى العادة كان الرجل مرتبطا لسنتين قادمتين ، فاذا طلبت منه لوحة ذات هيئة معينة كان لابد أن تنتظر أكثر من سنتين ..

وكنت اساله :

ـ ولماذا تقصر اعمالك على المراة وحدها ..

فكان يقول :

ـ لأن المراة هى الفن ، والفن هو المراة !

وقال لى ذات مرة ونحن على شاطىء البحر بعد الظهر :

ـ انظر الى ذلك البحر وتامل مياهه وامواجه . ان هذا المنظر ساحر ولا شك ولكن لأمر ما أجد انه صامت لا يقول شيئا ليس له صدى فى نفسك . كل أثره انه يريح عينيك ونفسك ، وأنت تنظر اليه لحظات ثم تنساه : عيونك مفتوحة عليه وفكرك فى مكان آخر .. ثم أنظر الى هذه الغابة خلفنا .. انها أيضا بديعة



يحب الانسان أن يقضى الساعات فيها ، ولكنها اطار لراحة النفس ومتعة العين، مجرد اطار ٠٠

اما المرأة الجميلة فشىء آخر ٠٠ ان ملامحها الجميلة تريح عينيك ورقتهـا تبعث فى نفسك مشاعر شتى ٠٠ انني أرسم صورة امرأة تبتسم أو تمشط شعرها وهى تنظر اليك أو مسترخية على كرسى ، ثم أنظر اليها فأحس أنها تخاطبنى ، تحاورنى ٠٠ هناك حديث متصل بيني وبينها ٠٠ ان جمالها ليس مجرد اطار للراحة أو الهدوء ، انه الحياة نفسـها ٠٠ انها صورة صامتة على قماش ولكنها حية تتحرك وتتكلم ، أو قل انا أرسمها على نحو تبدو معه وكأنها تتحدث وتتكلم ٠٠ لهذا يطلب الناس منى صور النساء ٠٠ انها ليست مجرد صور ، انها مخلوقات حية ، انها نساء حقيقيات ، والذين يشترونها منى يحسون بذلك ٠٠ انهم لا يشترون لوحة بل امرأة ٠٠ انهم يشترون رفيقة وصاحبة ونديمة ٠٠

وبعد لحظة صمت :

ـ ليس فى الدنيا يا اخى أجمل من المرأة ، انها اجمل من مناظر الطبيعة الخلابة أو الجواهر البديعة ٠٠ انها الفن كله ، انها الحياة نفسها ٠٠٠ هناك رجل من امريكا الجنوبية ـ من المكسيك ـ يشترى منى صورة كل سنة ٠٠٠ حوائط بيته كلها مغطاة باطارات تضم صور نساء من رسمى ٠٠ انه يقول انهن اسرته ، وكل عام تزداد الاسرة واحدة ٠٠ وهو غير متزوج لأنه يفضل صور النساء على النساء ، لأن النساء يتكلمن ويغضبن ويطالبن بأشياء وينجبن أطفالا يدخلونه فى مشاكل ٠٠ انه على حق ٠٠ ليس أجمل فى الدنيا من صورة وجه مشرق انثوى جميل ٠٠ انه متعة متجددة وصحبة بلا متاعب وفن بلا حدود ٠٠ يا صديقى : ان الفن امرأة جميلة !

جنكيزخان والشبح

للكاتب الهندى : آرندجوخالى
ترجمة : حسن حسين شكرى

امتاز « راج » فى القاء دروسه بروح خاص مفعم بحماسه واخلاصه اللذين جعلا التفكير فى مستقبل البراعم المتفتحة من تلاميذه همه الوحيد .. ولذلك كان دائم الخلاف مع زملائه المدرسين الذين كانوا لا يعيرون النواحى الاخلاقية والتربوية للتلاميذ اهتماما ، بل يعتبرون التلاميذ (خيل سباق) يجب أن تعد لخوض معركة الامتحانات فحسب ! ..

وكان « راج » يرى أن هذه الطريقة قد جعلت من المدارس شبه اوكار للقمار يلعب الحظ فيها دورا كبيرا .. وكانت نفحات السرور والاغتباط تنتابه وحده كلما لمح بين تلاميذه عقلا متفتحا تبدو عليه دلائل النبوغ ، فيأخذ على عاتقه ان يوجهه الوجهة المثمرة ، وبذلك غدا « راج » فيلسوف طلابه ، ومرشدهم ، وصديقهم ، وغدت شخصيته لديهم المثل الأعلى للاعتزاز بالنفس والتمسك بالمبادىء ..

وكثيرا ما كان «راج» يباهى المدرسين والطلاب بأحب تلاميذه الى قلبه ، بابنه الوحيد « شنتمانى » فقد استطاع أن يشكل عقليته ويصوغها كما يحب ويرضى وان يفعم نفس الغلام وعقله المتقبل فى شوق بعطر الصفاء والرحمة ..

وكان « راج » لا يؤمن على الاطلاق بجدوى الوسائل النظرية فى التربية والتهذيب ، وقد دفعه ذلك الى تأييد نظرياته بالامثلة العملية . واراد أن يبرهن لابنه « شنتمانى » على أضرار الكحوليات فاصطحبه معه الى احدى الحانات لكى يرى بعينى رأسه مصائب اضرارها ، حيث السكارى يتشاجرون ويتبادلون الشتائم البذيئة بلا حياء .

وأراد بعدها أن يبصره باضرار المقامرة فحدثه عن لعب الورق (والروليت) وعقب قائلا : يا بنى انها ألعاب تعتمد على الحظ ، وكلها ذات هدف واحد هو الحصول على المال فى أقرب وقت دون القليل من العمل ، وأكد أن المقامرين على اختلاف شواكلهم ينتهون نهاية واحدة ، هى خسار المال والاصدقاء والأقرباء والكرامة والاحترام ! .

ونظر الى « شنتمانى » نظرة فاحصة ليرى أثر هذه الكلمات ، ولما لمح تأثره واستياءه أراد أن يضرب على هذا الوتر قبل أن تفلت منه فرصة الاندماج فمضى فى حديثه قائلا : أما أسوأ أنواع المقامرة يا بنى فهو « سباق الخيل » ! .. ولكن علية القوم تحاول أن تخفى قسوته فتسميه « رياضة الأثرياء » ، ولكن نهاية المقامر السابق هى نهاية كل مقامر: ضياع المال والكرامة والأصدقاء !

وأحب « راج » كعادته أن يبرهن لابنه على صدق حديثه ببرهان عملى: سأصحبك **اليوم « ياشنتمانى » الى نادى السباق لأتيح لك الفرصة أن ترى بنفسك ، كيف يفقد الرجال والسيدات احترامهم ونقودهم ، وكرامتهم !**

وبعد لحظات كان « راج » وابنه امام شباك التذاكر هناك ، وظل الفتى ينظر مبهورا الى الجموع البشرية المتراصة ، والسيارات الفخمة والعربات التى تجرها الخيول ، وبعد قليل كان « راج » و « شنتمانى » فى احد المدرجات حيث راى « شنتمانى » الرجال والنساء ، شيوخا وشبانا ، نحافا وسمانا ، شقرا وسمرا ، والشحاذين واصحاب الملايين والطلاب وغاسلى الثياب.

العيون كلها مشدودة نحو الخيول الرشيقة التى يجرى اعدادها امام الآلاف، الكل يرقبها فى قلق ، ويعلق عليها الآمال • واينما نظر « شنتمانى » رأى الاثارة والأمل واليأس والرجاء • وبدا المكان باجمعه فى نظر الغلام كعالم الاحلام ! ••

وجاهد « شنتمانى » أن يتذكر ما أخبره به والده من مصائب السباق ولكن دون جدوى •• فقد تبخر كل شىء من خلايا ذاكرته لمرأى آلاف الروبيات تتبادلها الأيدى فى سرعة غريبة ، واشياء أخرى كالذى يرهن ساعة يده ، والذى يرهن أزرار قميصه الذهبية ، حتى أقلام الحبر كان البعض يرهنها ــ ومن أعجب ما رأى ــ قارىء الكف وغيره من الفلكيين يطمئنون الباحثين عن الثروة ••

ولمح « راج » ابنه « شنتمانى » مأخوذا بتلك المناظر • فخشى أن تحدث فى نفس الغلام ، نتيجة عكسية لما أراد ، فبادره قائلا : سأذهب واشترى تذكرة لترى يا بنى كيف يضيع المال فى لحظات ولتعلم أن هؤلاء المجانين الذين يظنون انهم سيكسبون المئات سيخسرون كل شىء فى ثوان ! ••

واخرج عشر روبيات واشترى بها تذكرة وهو يرتجف دون أن يبدى أية ملاحظة عن الحصان الذى سيراهن عليه ودفع التذكرة الى الغلام بيد مرتعشة وهو يردد فى ثقة تامة : سترى كيف يضيع المال فى لحظات يا « شنتمانى »!

وبدأ السباق واشرأبت الأعناق ••• الجموع كلها تصفق ، تصرخ ، تقفز من مقاعدها فى نوبات جنونية ، وشقت الفضاء صيحات : رقم سبعة رقم سبعة رقم سبعة سيكسب •• رقم سبعة كسب ! وفى عصبية فحص الغلام التذكرة فى يده ، وبدأ رأسه يدور ••• لم يصدق عينيه ،وتعلق بوالده صائحا : معنا رقم سبعة !

وفى نفس الوقت ظهر على اللوحة أن هذا الرقم قد كسب ٤٥٠ روبيه ، ووقف « راج » فى حيرة •• لقد حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد أراد أن يبرهن لابنه كيف يضيع المال فى لحظات ، ولكن ! ••

ووسط الجموع الصاخبة أخذ «راج» يشق طريقه فى صعوبة بالغة وهو يقول : يا بنى أن الذى كسب فرد واحد وهذه الآلاف منكسة رءوسهم ، بادية عليهم سمات الهزيمة ، لقد خسروا الآلاف ! •

وانصرفا •• والوالد يعد رزمة النقود ويضعها فى جيبه بعناية !

وفى هذه الليلة آوى « شنتمانى » الى فراشه منهكا من تجربة اليوم المثير •• لقد فارق النوم عينيه ، وكلما أغمض جفنا توالت احداث اليوم أمامه كالشريط السينمائى ، رزم من أوراق النقد ،أرقام تتوالى ، جموع صاخبة ، خيول رشيقة ••• ومع اقتراب الصباح بدأ النوم يتسلل الى عينيه فى اغفاء وهو ما زال يحلم بنفس الاشياء والمناظر •••

لم يستطع الغلام أن ينهض من فراشه مبكرا كعادته ، فانزعج خاصة واليوم يوم الامتحان الاسبوعى ••

واخذ كتبه بسرعة محاولا أن يتذكر شيئا من الدروس أو يراجع شيئا منها، ولكن الكلمات كانت تتحول فى عينيه الى خيول •• والسطور كأنها حلبات للسباق ! •• واخذ يذرع الغرفة فى ضيق شديد ، وفكر فى كوب من اللبن عله يساعده ، فأسرع الى المطبخ ، وفتح الدولاب الصغير ، فوقعت عيناه على اناء من المعدن بجوار اناء اللبن ، وعندما نزع الغطاء ظلت عيناه معلقتين بفراغ الاناء الذى لم يكن خاويا ، فخمس روبيات ترقد فى القاع ! ••

خمس روبيات ، ماذا استطيع أن افعل بها •• اشترى تذكرة واراهن بالباقى !•• وبدا « شنتمانى » يرتجف للفكرة ، لكن الاثارة والاغراء تفاعلا فى نفسه •• هل ياخذ المبلغ أم لا ياخذه فربما تكون والدته قد ادخرته لشراء بعض الحاجيات ، فاخذه يعتبر سرقة ، وقد اخبره والده أن السرقة جريمة وذنب عظيم ••

وبدا يسمع دقات قلبه ، وكأنما ثارت عاصفة باعماقه هزته فى قسوة • اذا اخذت الروبيات الخمس ، وكسبت فى السباق سيكون معى بدلا منها •• خمسات ، خمسات •• اردها مكانها ،

ولن تعلم امى شيئا ! . هـذه ليست سرقة انها قرض لفترة وجيزة لبضع ساعات ، واخذ « شنتمانى » الروبيات الخمس ..

وفى المساء عاد « شنتمانى » حزينا لأنه فعل أشياء كثيرة يعلم أن أباه قد نهاه عن فعلها .. قائمة من الذنوب ، ففى الصباح قدم كراسات الواجب الأسبوعى ولم يسود فيها سطرا ! .. وفى الظهر استمع الى احاديث والده فى ضيق واستياء ولم يعرها انتباهه ، بل حاول مرات أن يشعره بأنه فى حاجة الى الراحة !

والأدهى من ذلك انه توج ذلك كله بالمقامرة فى السباق ! .. وبذلك يكون قد خالف كل تعاليم والده ، وليس هناك ما هو أسوأ من ذلك ، نعم ... لقد عاد الى المنزل ومعه عشرون روبيه ـ رد منها القرض الى مكانه وأصبح يملك خمس عشرة روبية ! ..

ومنذ ذلك اليوم اقتنع « شنتمانى » أن المقامرة لا تعتمد على الحظ وحده بل تحتاج الى مهارة وذكاء .. انه « علم » يحتاج الى رباطة الجاش وتجنب الاثارة والاغراء ..

وأصبح الشاغل الوحيد لفكر « شنتمانى » هو احداث بعد ظهر السبت من كل أسبوع ـ موعد السباق ... وأصبحت المدرسة وامتحاناتها فى نظره هراء فى هراء ، وغدت كراساته وكتبه المكان المفضل لحفظ جداول السباق . وبمرور الزمن زادت ثقته بنفسه . وكلما خسر مرة كان يأمل انه سيسترد الخسارة أضعافا ، عندما تكتمل دراسته « العلمية » لخيل السباق ، ومن ثم بدأ يرهن كل شىء حتى كتب المدرسة ، وذلل العقبات أمامه فى الحصول على المال اكتشافه (لمراب) يعرف والده يقرض مبالغ صغيرة الا انها تفى بالغرض فى وقت الضيق ، ورغم أن المخاوف كانت تنتابه من حين الى حين خشية أن يسمع والده أو يراه وهو فى طريق الاثم ، الا انه كان يطمئن نفسه ويشجعها .. ولم يقلق « شنتمانى » فقد كان متأكدا انه سيسدد كل الديون فى مساء اليوم التالى ، بل سيكون مالكا لثروة كبيرة اذا راهن على الحصان « جنكيز خان » وربما نبتت هذه الثقة العظيمة من الشهرة التاريخية لهذا الاسم ، وذهب الى المرابى لاقتراض عشر روبيات ووجه اليه المرابى الانذار الاخير بابلاغ والده نظرا لما تراكم عليه من الديون .

وحانت اللحظة الحرجة ، وبدأ السباق . وظل « شنتمانى » ينظر الى من حوله وكأنه خبير يحتفظ بسر خطير .

وارتفعت معنوياته بعد أن همس لنفسه بتلك العبارة .. والخيول تقترب بعضها من بعض وكل يشجع الحصان المراهن عليه ، والجموع تصرخ وتصفق ، وانطلقت الصيحات «جنكيز خان» سيكسب .. «جنكيزخان» سيكسب ، وارتفعت معنويات « شنتمانى » أكثر فأكثر وقلبه الصغير يتسابق مع الخيول ... تقدم يا « جنكيز » تقدم ... « جنكيز » سيكسب !

وهدأ الصراخ فجأة .. فحصان آخر هو الذى كسب السباق ! .. ولم يصدق « شنتمانى » عينيه ، وموجات من الفكر تترى : ماذا سيفعل غدا ، عندما يخبر المرابى والده بكل شىء ..

وترك مكانه وهو يحس بأن الحياة تنفلت من جسده ، وفجأة عادت اليه يقظته ، واخذ يحملق .. لا ، لا .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقة ، انه شبح! .. انها صدمة الخسارةوالفشل : هى التى جعلته يرى هذا الشبح ، وحك عينيه ثانية فلم يجد شبحا .. فالرجل الداخل الى مقصورة الدرجة الثانية ملامحه واضحة وضوح الشمس ، فهو والده « راج » بشحمه ولحمه .. متابطا جداول السباق ، ويمسح جبينه من العرق باليد الاخرى ! ..

●



متى تعود؟

● اسماعيل عبد الفتاح ●

● لا تبتعد ...
ساظل وحدى فى دروب العمر
انتظر المجىء ! .
وحدى على درب الفراق
بقسوة الاشواق
بالحزن الكئيب ! .
وحدى على ذكرى هوانا انتظر
بقسوة الايام
باليتم الغريب ! .
● لا تبتعد ...
الدرب يبدو خالى الأرجاء ،
مسكين القلق
والعمر يسلو نسجه الاحلام
يدنو للغرق !
والليل يبدو فى دروب الوحدة العصماء
وحشى الشفق
الصوت يرجع خائب النبضات
مشنوق الارق ..
والريح تحمل لى صدى خطوات
بين الافق !
وانا هناك على الطريق
تكاد تخنقنى القيود
اترى تعود ؟!
ما زلت وحدى انتظر
ومكاننا المحبوب يسالنى
والشوق شوق العمر
يحرقنى اليك ..
اشتاق ليل الذكريات ..
اشتاق ليل القرب والاحلام والذكرى
وفتنة ناظريك ؟!
اترى تعود ؟!
والعمر يسلو نسجه الاحلام
يدنو للغرق !
وانا على دربى وحيد
زائغ النظـرات
مشنوق القلق !

مرآة الفكر العربي

فكرة فابتسامة..

● تاليف : يحيى حقى ●
● اعداد : عادل عبد الصمد ●

● ان أصالة الكاتب والمفكر انما تكون بمدى اعتزازه بارضه ووطنه ومشاكل مجتمعه الذى يختلط به ويعيش فى أرجائه فلا ينعزل عنه ولا يضع نفسه داخل سور حديدى ويطل على الناس من اعلى وانما اصالة الكاتب تتضح بمدى احتكاكه بالناس ومدى تعايشه مع مشاكل مجتمعه اليومية ، فيجعل من نفسه الحارس الامين على قضايا الناس ، فيصبح قلمه المصباح الذى يضىء الطريق للناس ويكون الهادى والمرشد الامين الذى ينير الطريق لمن يضل طريقه .

والاستاذ يحيى حقى من المفكرين الذين تنطبق عليهم تلك الاصالة ، فهو علم من اعلام الفن الروائى والاديب والمفكر الذى تقرأ له فتشعر باحاسيس وخصائص متداخلة ومتشابكة بالمصرية التى تمتلىء بها كتاباته العديدة المتنوعة من قصة ، وسيرة ، ورواية ، ومقال نقدى نذكر منها : قنديل ام هاشم ، ام العواجز ، صح النوم ، دماء وطين ، ياليل ياعين ، خليها على الله ، انشودة البساطة ، حقيبة فى يد مسافر ، عنتر وجولييت .

ونحن هنا بصدد مجموعة مقالات جمعها فى مؤلف واحد تحت عنوان « فكرة .. فابتسامة » وهى عبارة عن تجارب ومواقف عديدة فى الحياة اراد بها أن تكون نبراسا يهتدى به لانها عالم من التجارب والغرائب لمفكر ينبض قلمه بكل ما يدور فى مجتمعه من مواقف ومشاكل فيتناولها بالدراسة والمناقشة والتحليل ليستخلص العبرة والعظة لكل من أراد ان يستفيد من تجارب الاخرين حتى يقف على الاراء السديدة لحل مشاكل الحياة مهتديا بالراى الراجح المدروس .

وجاءت المقالة الاولى لوحة ترسم لنا امراة فقدت الرحمة والانسانية وملكتها الانانية المفرطة لتكون ذئبا يفترس آدمية الانسان

فيصور بأسلوبه الساخر تلك المراة وهى تعامل مخدومتها الجديدة فتشعرها بأنها جاءت تلتمس رزقها بالذل والامتهان فجاء التصوير بارعا وواقعيا

« وكيل نيابة » يسأل متهما .
عندما نصبت تلك السيدة من نفسها

وظلت تحاصرها بالاسئلة حتى شعرت الخادمة بالذلة والانتهاك لحرمة الامومة فشعرت بالضياع الذى جعلها تفكر فى موت ابنتها .

فهذه لوحة من الحياة نراها كل يوم ليظهر فيها صدق الكاتب ومدى واقعيته .. ثم نجده فى مقالة اخرى يتناول عادة سيئة من العادات التى تمتلك الناس ولا يستطيعون الخلاص منها فهى السيجارة الملعونة التى تصيب الناس باضرار جسام منها الاضرار المادية والاضرار الصحية ، ورغم ذلك يتفنن الناس فى تدخينها ولا يستطيعون الخلاص منها ، بل يصور لنا الكاتب مدى استعباد تلك السيجارة للناس ، تنتهى عندها عزيمتهم وقدرتهم على انفسهم والسيطرة عليها ..

وفى مقالة اخرى يتناول مشكلة لها حيويتها على الناس اجمعين وهى كيفية التعامل مع البائعين حيث ان التعامل مع هذه الطائفة محتاج لفن بارع ، فاستحدث الكاتب الوصايا العشر فى فن شراء الفاكهة .. وهى مسالة هينة فى جميع البلاد ، تصبح عندنا مشكلة عويصة تحتاج الى بصر وذكاء وصبر وخبرة كبيرة فى كافة وسائل الغش .

ثم تناول فن الصداقة ، وقد رسم لنا فى مقالته هذه الطريق السليم لنضمن وفاء الاصدقاء وحبهم ، وكيف نحافظ على الود والحب الذى قد يضيع بين الاصدقاء ، اذا لم يعلموا فن الصداقة ، فاعطانا فى مقالته هذه خبرته العظيمة فى عالم الاصدقاء ، وكيف تكون الصداقة وطيدة لان معاملة الناس فن يحتاج لخبرة مدروسة لها احتكاكها الكثير وتجاربها العديدة .

وقد تناول الاستاذ يحيى حقى فى مقالة اخرى .. الاغنية المصرية وماانتابها من ضعف وركود ، متعجبا من بعض الالفاظ التى دخلت على اللغة مثل كيفية تسلل لفظ « العزول » الى اغانينا ؟

والذى يؤكده الاستاذ يحيى حقى ان شعر الجاهلية وصدر الاسلام وأيام عز الدولة العربية قد خلا من هذه اللطخة ويرجح انها ترجع الى عهد انحطاط الشعر العربى ابان احتضار الدولة العباسية فكان الشاعر لا يخجل من ان يلطم الخدود ويشق الجيوب ويستغيث بطوب الارض لترثى له وتبكى معه على نكبته .

ويرى الاديب يحيى حقى ان كلمة « العزول » تختفى شيئا فشيئا من اغانينا والحمد لله ، ولكنها كالحشرات تترك وراءها « سبانا » يعشش فى الشقوق فعسى أن كلمته هذه تفعل ما تفعله « المبيدات » فى الحشرات

ومما جاء فى المقالات أيضا البخل واثره فى حياة الناس ضاربا الامثلة من واقع الحياة وما يتسبب عنه من أمراض اجتماعية جسيمة

وقد جاء ايضا فى كتابه « فكرة .. فابتسامة » تاريخ من نوع جديد اراد ان يكتبه فى فترة معينة ، وقد حصر فيه النكبات التى احاطت بالانسان على مر العصور ، فذكر منها ان أول نكبة فى التاريخ انما هى ولادة الذكاء مقترنة بولادة الكذب فى مهد واحد .

اما النكبة الثانية جاءت بسبب افتراق الطب عن السحر حيث يرى الاستاذ يحيى حقى ان الطب كان سحرا له جلاله ، فاصبح هواية او لعبة ، ومن اللعب ما يسفر عن ضحايا يفوق عددهم ضحايا اشد المعارك هولا .

وكان الانسان من قبل يعالج كانه روح بلا جسد ، فلما افترق الطب عن السحر اصبح يعالج كانما هو جسد بلا روح وهو فى نظر الاستاذ يحيى حقى هبوط من نصف الصدق الى نصف الكذب .

المدرسة الحديثة في أدب الرسوم المتحركة

● ماري غضبان ●

●● مرت الرسوم المتحركة في تطورها بعديد من المدارس والمراحل خاصة عندما تحولت هذه الرسوم الى الأعمال الفنية في السينما والتليفزيون ..
كان التطور الأول على يد مدرسة الفنان والت ديزني التي بدأت نشاطها في عام ١٩٢٧ ، وابتكرت شخصيات « ميكي » و « بلوتو » و « بطوط » و (سنو هوايت) وغيرها ، ثم تطور هذا الفن وانتشر في انحاء أخرى من العالم مرتديا الوانا وأفكارا مغايرة ، فظهرت المدارس الفرنسية والتشيكية والبلجيكية والمجرية والرومانية . وكان الاتجاه الاحدث هو ما تمثله المدرسة البلجيكية الحديثة التي اتجهت الى عالم الادب والكتابة السياسية لكي تستخدمها في دنيا الرسوم المتحركة ..

● والكاريكاتير فن للجميع . يعشقه الطفل الصغير ويتابع الكبار ألوانه .. والكاريكاتير محبوب لدى كل الشعوب تقريبا ..

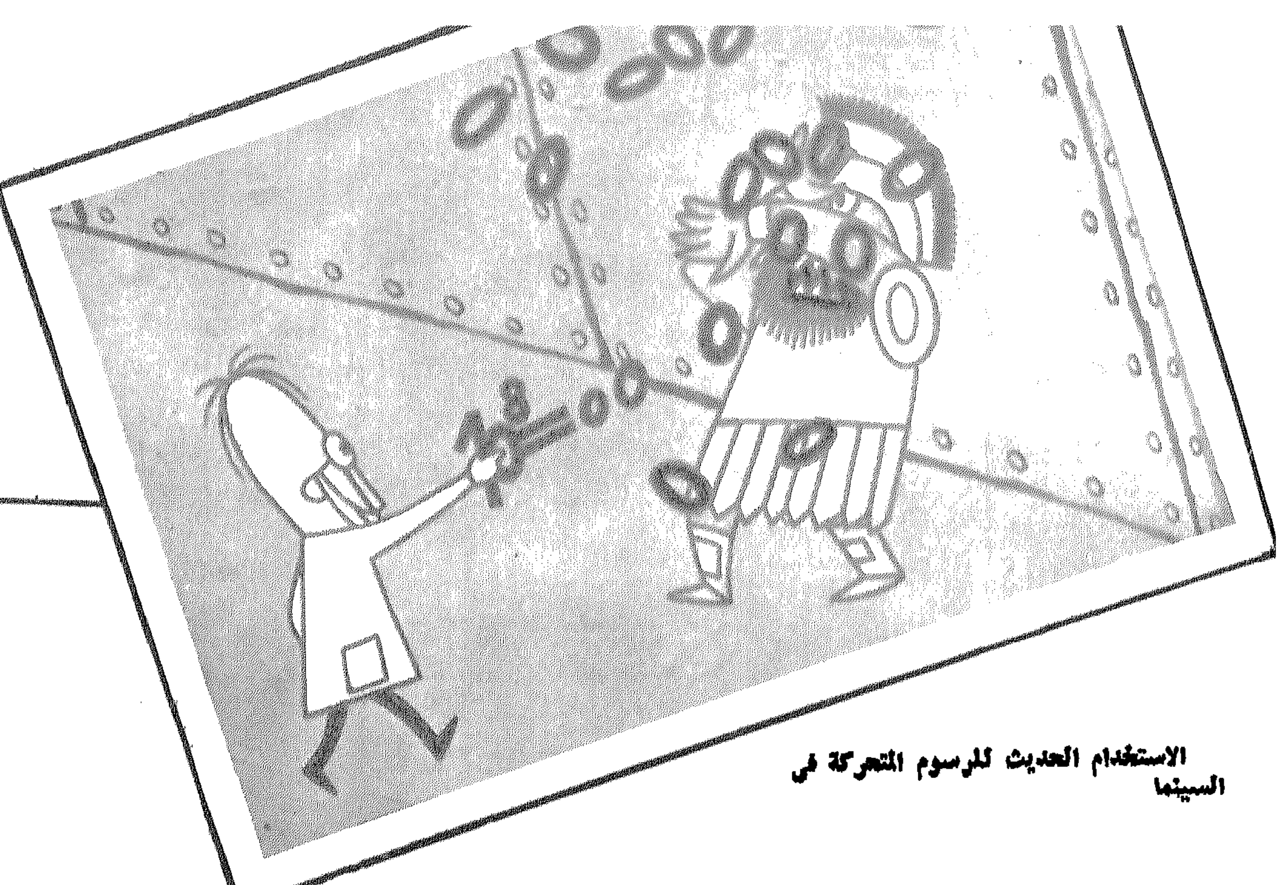
والفنون التي تعتمد على الرسوم المتحركة تختلف عن القراءة ، فانها لا تتطلب أي جهد من المتلقي أكثر من متابعة حركة هذه الرسوم .. فالقارىء يجد القيم والمثل التي يبحث عنها من خلال القراءة عن أبطال العالم الذي يهواه وهذا قد يتوفر بأسلوب أفضل في عالم الرسوم المتحركة ..

وفي واقع اليوم يبدو انسان العصر محاطا بالمشاكل والهموم ولهذا فان القارىء يبحث عن الكاريكاتير من بداية بحثه عما يشغله في الصحف والمجلات .

وكل الرسوم التي تقدم مضمونا معينا تعطي للمشاهد أو للقارىء قدرا من الراحة في هذا الاطار الشكلي الذي تقدمه الرسوم المطبوعة ..

وانسان اليوم لديه التخيلات من الطموحات والرغبات ما يريد ان يجد له اطارا يبعث فيه قدرا من الاطمئنان ، وهذا ما يجده في الاطار الذي توصله الرسوم المتحركة ورسوم الكاريكاتير ..

وفن الرسوم والرسوم المتحركة هو أسهل فنون الاتصال التي تحقق أكبر قدر من الاستجابة لدى المتلقي سواء القارىء أو المشاهد ..



الاستخدام الحديث للرسوم المتحركة في السينما

● السينما والرسوم المتحركة ●

كان من الضروري أن يكون للسينما تأثير علي رسوم « الكاريكاتير » والرسوم المتحركة ، من خلال وحدة « الكادر » على الشاشة والاتفاق بين « الكاريكاتير » والسينما في القصة وضرورة وجود مضمون « للحدوتة » بجانب التوقيت أي تحديد الحدوتة بالوقت ..

وقد أضافت السينما عنصر الجمال الى رسوم « الكاريكاتير » التي تحولت الى رسوم متحركة اكسبتهاالسينما المضمون والتعبير والأسلوب الجمالي ..

وأضافت السينما الى فن «الكاريكاتير» والرسوم المتحركة ما يسمى بالتنسيق وتخطيط الشكل والزوايا والاضاءة والجو العام. ثم ترتب على هذا الاستخدام أسلوب الحيل السينمائية ، والحوار والموسيقى والمؤثرات الصوتية .

● ادب الرسوم المتحركة سينمائيا ●

كان لحكايات وأساطير « الكرتون » ورسوم «الكاريكاتير » أبطال ونجوم يعرفهم متابعو هذا الفن ، استطاعت السينما أن تضعهم في الاطار السينمائي والأمثلة عديدة منها شخصية « جيمس بوند » .

وقد وضح تاثير فن « الكاريكاتير » على اسلوب كبار المخرجين في السينما مثل بليك ادواردز ، وريتشارد ليستر ، والممثل جيري لويس ، والمخرج الايطالي فدريكو فيلليني الذي كان في الأصل رساما « للكاريكاتير » . وهناك الشخصيات التي خرجت للأدب السينمائي من ادب الرسوم ومنها (سوبرمان) الذي مثل فيه النجم العالمي مارلون براندو مع عدد ضخم من نجوم السينما ، وهو مأخوذ عن كتاب الرسوم الذي صدر عام ١٩٣٣ رسوم وتاليف جيري سيجل وجو شاستر . والفيلم يحكي عن حلم امريكا بتحقيق خيال أوسع من خلال انتصار الخير على الشر .. وكذلك شخصية انسان الغابة « طرزان » الذي بدا ايضا في مجلات رسوم الاطفال ، وايضا شخصية المغامر « روبين هود » ، وحتى المجموعات الموسيقية مثل الخنافس « البيتلز » عرفهم العالم من خلال رسوم «الكاريكاتير» التي سبقت بالشهرة قبل أن يصل الى العالم صوتهم .

وتطور أدب الرسوم المتحركة ورسوم

المدرسة الحديثة فى أدب الرسوم المتحركة

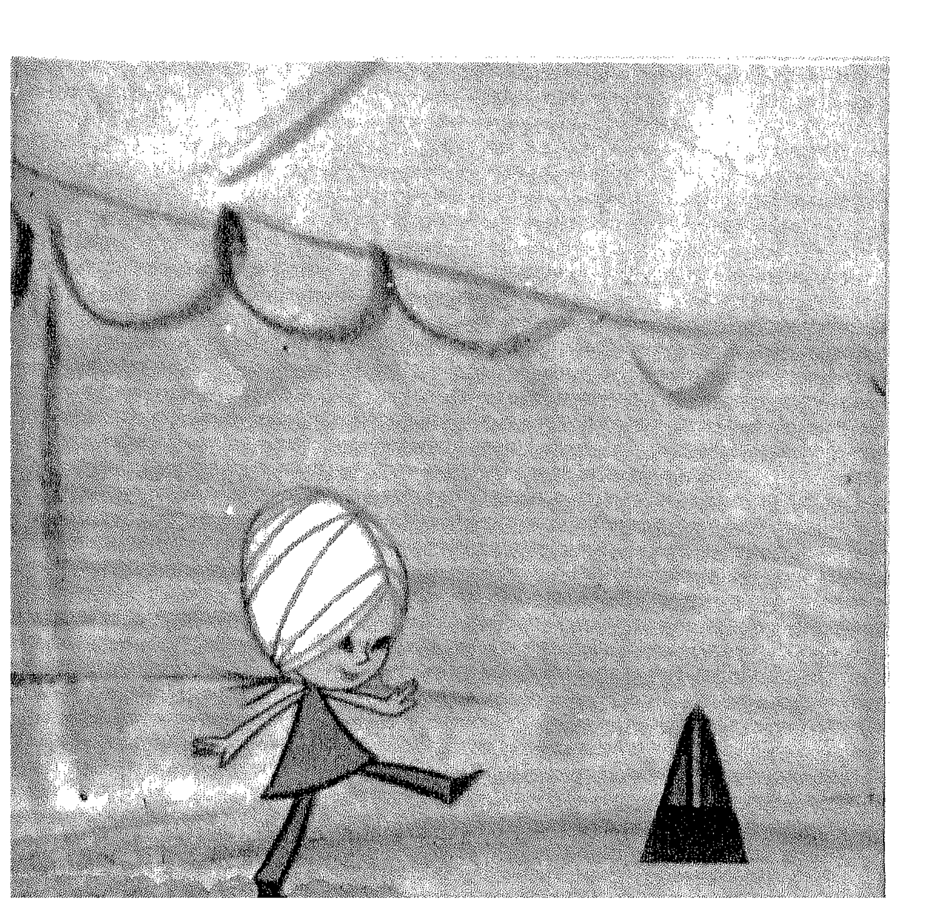
الكاريكاتير ليكتسب أبعادا جديدة بجانب مضمون المغامرات ومضمون التسلية ، فاكتسب مضامين جديدة فى تناول المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال أسلوب النقد المتعلق بأسلوب الحياة والحكم والسياسة والادارة ، وكان أساتذة هذا اللون فى مدرسة الرسوم المتحركة فى بلجيكا ، وأشهر الاسماء التى قدمت هذا اللون جون رونالد توليكيان الذى نشر فى عام ١٩٣٧ كتاب « القزم بيلبو » • بعدها فى عام ١٩٥٤ ظهرت الثلاثية التى أصدرها « أمير الحلقات » •• كان الكتاب الأول عن مجتمع الحلقات (الشكل الحديدى للدائرة) والكتاب الثانى (البرجان) والكتاب الثالث (عودة الملك) •

وقد أطلق النقاد على هذا النوع من الرسوم والكتابات « أدب الفانتازيا » بما يحوى من خيالات ورومانسيات وأشياء أخرى مسلية •

وعندما ظهرت هذه الكتب استهوت المخرج رالف باكش وهو مخرج بلجيكى شاب تاثر بها قبل ان يشترى والت ديزنى حقوق تقديم هذه الأعمال فى السينما • لكنه لم يقدمها بسبب التعقيدات الموجودة فى مضمونها ، حتى عندما أسند اخراجها الى المخرج ستانلى كوبريك •• وكذلك المخرج جون بورما حتى بدأ المخرج رالف باكش ياخذ طريقه الى عالم الشهرة من خلال فيلم (المرور الثقيل)وهو من اللون الكوميدى الساخر ، فاشترى من والت ديزنى حق تقديم هذه الكتب فى السينما •• لكن الجديد الذى قدمه فى الفيلم الذى يعرض حاليا فى أوروبا ويعتبر ثورة فى «تكنيك» الرسوم المتحركة فى السينما ،هو أنه يصور الفيلم بالممثلين ، ثم يستبدل بهم الرسوم التى يضعها على « السوليفان » على « نيجاتيف » الفيلم ـ (الفيلم الخام)

وهذا الاسلوب يوفر الرسوم العديدة التى تتطلبها كل حركة ، مما يجعل هذا الاسلوب اقتصاديا فى التكلفة والوقت•

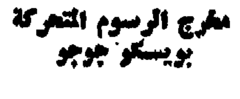
والمدرسة البلجيكية ليست وحدها فى عالم ادب الرسوم المتحركة فهناك أكثر من مدرسة أخرى حديثة واهمها مدرسة بوخارست التى يتزعمها



نموذج من افلام الرسوم المتحركة

لقطة من فيلم مجرى

(رسوم متحركة)





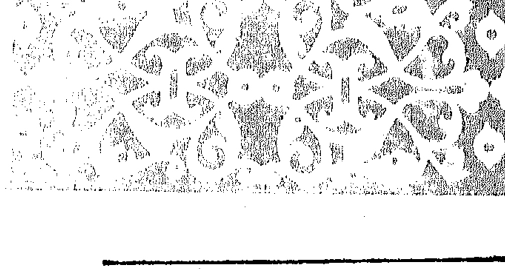
مخرج الرسوم المتحركة
بويسكو جوجو

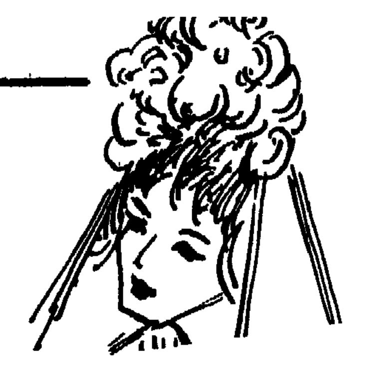
يان بوبسكو جوبو ، وهو فى الأصل رسام « كاريكاتير » تحول الى الرسوم المتحركة المتميزة بالقصر والايجاز والتى تتضمن نقدا سافرا لاذعا ..

وهناك المدرسة المجرية التى يشتهر بها فنانو بودابست وفى بلغاريا هناك مدرسة يتودور دينوف وهو ايضا رسام « كاريكاتير » والمدرسة البلغارية متقدمة جدا فى فن الرسوم المتحركة . وتعادل مدرسة صوفيا مدرسة بروكسل فى الشهرة والتفوق والنقد الساخن .

كما ظهر فى الاتحاد السوفييتى ايفان فانو . واكتسبت المدرسة المجرية بعض الاسماء الكبيرة مثل بيتر سوبوسلاى وهى مدرسة تستفيد من العرائس والحيل السينمائية والرسوم المتحركة، ومن أبرز فنانيها يارى يترنكا وكاريل زيماك الذى نوع فى استخدام الرسوم مع مشاهد السينما العادية مع أساليب الحيل والخدع السينمائية .

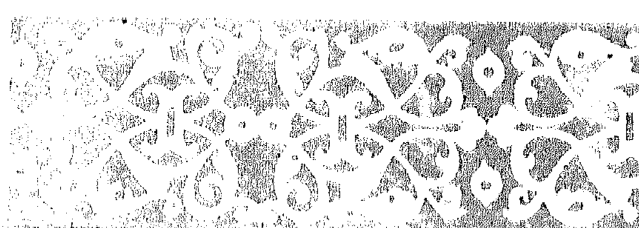
●● وهكذا يبدو لنا أن التشابه بين حدود الرسوم المتحركة ورسوم « الكاريكاتير » كونهما مصدرا من مصادر التأثير على الناس من خلال الصورة المطبوعة فى الصحافة والصورة المتحركة فى السينما ، فان الفارق بينهما لم يعد موجودا اليوم بنفس الوضوح فان الرسوم المتحركة فى السينما والتليفزيون ما هى الا رسوم منشورة ولكن من خلال « تكنيك » مختلف .





قصـــة ..

المدينة التي تخلع الثياب !!



• محمد كمال محمد •

كان الطنين البشرى فى حجرات الشـــقة الواســـعة يئز فى داخل ... وكانت ضربات الدفوف تتلاحق كلطمات على راسى وصيحات الغناء تنفجر من الحناجر الخشنة ، متدافعة من بطن الارض ومن السقف الخشبى ومن جوف الجدران .. تطوقنى وتلتف بى ، فادور معها حول نفسى، حتى احسستنى ساسقط منها.

انسللت خارجا ، ووقفت على درجة الســـلم الخشبى المرتفع وسط صبية يتقافزون داخـل عالمهـــم ..

احســت زوجتى بجانبى ، تضــغط ذراعى وتقول بصوت منخفض :

ـ البنت سعيدة بعريسها !

اخفضت راسى وحدقت فى الالواح الخشبية المشـــققة ..

ـ وأختهـــا ... هل تراها ! .. انها تقف بجوارها فرحانة !

تمتمت فى أسى :

ـ صغيرة لا تعرف بعد ...

وكزت بكوعها كتفى :

ـ تفكر فى الآخر ؟ لماذا تتعب نفسك ؟!

بصوت خفيض قلت :

ـ كان افضل لها ، لو انتظرت ...

تنهدت زوجتى وغمغمت : ـ مقسوم !

بعد لحظة عادت تقول :

ـ لم أكن مطمئنة لدخولها الجـــامعة هنا ... المدينة بحالها الجديد تدير رءوس البنات .

صمت آسيا ..

حاولت زوجتى ان تخرق صمتى لتهون على بكلماتها . لكنى ظللت مستغرقا فى الصمت ، أسقط نظراتى فى فراغ السلم المعتم ...

« الأمس ونحن قادمون على طريق المدينـــة الصغيرة مع ابنتنا قالت زوجتى :

ـ كيف وافقتهم ان نجىء الى بلدهم ؟. كان الأليق آن تقيم عندنا نحن حفل الزفاف ! .

لم أرد عليها : فاعادت كلماتها ...

تنهدت ، كلمتها اقنعتها بالقاعدة القـــائلة ان الاقل عددا أخف حركة . وفوق ذلك نحن لانقدر على استضافة أسرة كبيرة العدد ..

كان الطريق الواسع المزدوج خاليا امامنا .. وكانت ريح الصحراء تسفى الرمال على جانبيه فتغيبه فى ضباب أصفر يصيبنى بالكآبة .. »

اندست يد فى مودة تحت ابطى .. دعانى الرجل المبتسم سعيدا لاتصور مع العروســين ، ولده وابنتى ..

مشيت فى جواره وسط صفوف النســاء .. كان بعضهن يرفعن المقاعد بأذرعهن الناعمـة لينقلنها من فوق رءوس الاخريات ..

صعدت كالمخدر آلى المنصة المزينة بالورود ، ارتطم رأسى باللمبة الكهربائيـــة المتوهجـــة واعطيت وجهى لآلة التصوير ...

« ـ شــــاركت فى الجريمة ... لماذا تهون الاشياء الطيبة ! »

« ـ غلبنى القلب من اجل ابنتى .. سأظل حزينا من أجلك »

انسلت يد العروس لتحتضن ذراعى ولتلتصق بى مبتسمة ...

ومضت آلة التصوير فى وجهينا . « سأبتسم من أجلها .. لكن سوف تبدو العيون حزينة »

وسط اللمة على سلم البيت الذى يئن تحت

ثقل الاجسام ـ كنت تائها كانني في غابة هائجة مجهولة المسالك ..

خرج احدهم من باب احدى الشقق يلتقط للعروسين صورة ، مباركا بابتسامة ..

« ـ وقفت بيننا الأشياء .. ولم تستطع هي ان تتجاوزها ... هل كنت اخاطبها بلغة عالم لا تعرفها ؟ »

في الشارع العريض تعلق المفتنون امام البيت حول العروسين صانعين بفتوة الزفاف ..

« ـ تخدع نفسها .. تنجذب الى الاخر .. المدينة « الحرة » الان لها بريق الذهب ! »

تدافعت شظايا اللعب النارية في الفضاء .. لسعت أحداها عنقي فانتفضت في ألم ...

ابتسم لي احدهم وقادني الى سيارته التي تقف وسط السيارات الممتلئة بالنساء والاطفال ـ جلست وحدي في المقعد الخلفي ...

انطلقت السيارات في الطريق تتصايح ابواقها المنغمة خلف سيارة العروسين .. انتبهت على صوت العجوز يتحسس رباط عنقه الثمين ، وهو يقود السيارة :

ـ لذة شهر وعذاب دهر !

ابتسم متنهدا ...

املأ خياشيمي بعطره الباريسي النافذ الرائحة ..

فجأة توقف الرجل وسال في حيرة : ـ

ـ اين ذهبوا ؟! .. السيارات كلها اختفت!

التفت الى ينظر في وجهي كانما يقيس صمتي .. حول وجهه الى الطريق مهمهما :

ـ يجب أن نعثر عليهم ، حتى لا يغضبوا !

دار بي الرجل في شوارع المدينة التي بدات تخلو من الناس .....

منذ الصباح كانت تغص ببنات الحاممة المغتربات . يتدفقن من الضفة المقابلة ..العيون تتحسس في جوع وشره الثياب الفاخرة خلف واجهات الدكاكين المتجاورة ...

والصديق القديم الذي استضافني امس للغداء ، لم يعد يأكل غير لحم العلب المفروم والمربى .. والزبد الاجنبي ، وقدر المدمس في ركن البيت يكسوه الصدأ : بعد أن خلا مكانه في الدكان الصغير لانواع الشكولاتة واللبان الامريكي وحقائب النساء الايطالية ..

اسرع الرجل وابطأ .. همهم لنفسه ، وسالني : ما الرأى ؟

ـ هل خرجوا من المدينة ، ام غطسوا في بطن الأرض ؟!

مال بجذعه الى الامام فوق عجلة القيادة ، محدقا بعينيه الجاحظتين من خلف الزجاج ، وتلفت يمينا ويسارا تجوس عيناه في كل اتجاه ..

ارخيت بيني وبين الرجل ستارا من اللا احساس بوجوده ....

غصت في مقعدي .. سقطت في عالمي ... القيت براسي الى الوراء .
اغمضت عيني باحزاني ..



قصيدتان • الرحلة •

• أغنية صغيرة إلى طفلتي •

• حسين على محمد •



• الرحلة •

حينما رحلت في عيونك ـ البحيره .
راكبا بساط الموجة المنطفئه . . .
ماسكا زمام الماء والاعشاب والطحالب الملونه
كانت عناكب الخريف فى انتظارى
تراقب انكسار الضوء فى مدامع النهار
ومركبى فى الوحل يا صديق
اخاف من عوائق الطريق
اخاف من غدى المجهول
الخوف فى خطاى
والخوف فيك يا سهول !

• اغنية صغيرة الى طفلتى •

ـ ١ ـ

ابتسمى يا فاتن ، يا زهرة أيامى القاحلة العجفاء
جئت صباحا ..
فابتسمت كل شموس الدنيا فى وجهك
وارتفعت فى خيلاء ...
فوق الاشجار الطارحة ثمار الحب
غنى يا فاتن لحن القلب العاشق منذ زمان

ـ ٢ ـ

ما احلى تغريد البلبل فى عينيك
ما احلى بسمة حب وحنان
تترقرق فى شفتيك
ان شئت قطفت نجوم الدنيا
لأصوغ العقد لأحلى جيد
واغنى فى احلى عيد ..
للأيام القادمة ، من القلب
بعد سنين القهر واحقاب الصبر .

حاسب نفسك !

● وحساب النفس معناه وزن الأمور أولا ، وتقديرها ، والنظر فيهـا وتدبرها ، ثم الاقدام عليها ومباشرتها ..

فى القرآن الكريم يقول الله جلت قدرته . (**ان الله كان عليكم رقيبا**) قال أبو عثمان : قال لى أبو حفص : اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك ، فانهم يراقبون ظاهرك ، والله رقيب على باطنك

● وحكى انه كان لبعض المشايخ مريد شاب ، وكان يكرمه ويقدمه ، فقال له بعض أصحابه : كيف تكرم هذا وتقدمه وهو شاب ونحن شيوخ ! .. فدعا بعدة طيور ، وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا ، وقال : ليـذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه فيه أحد .. ودفع الى الشاب مثل ذلـك ، وقال له كما قال لهم ..

فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ، ورجع الشاب والطائر حى فى يده .. فقال له الشيخ : ما لك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟

فقال : لم أجد موضعا لا يرانى فيه أحد .. اذ الله مطلع على فى كل مكان! فاستحسنوا منه هذه الفطنة وحسن مراقبة النفس .. وقالوا للشيخ : حق لك ان تكرم هذا الشاب الصالح والأمين .

● وعلى العكس من ذلك ما روى عن شاب ماجن راود حرة عن نفسها ، فقالت له : الا تستحى ؟ فقال : ممن استحى وما يرانا الا الكواكب ؟

فقالت : فأين مكوكبها ؟!

● وقال رجل للجنيد : بم أستعين على غض البصر ؟ فقـال : بعلمك أن نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه ..

● وسئل ذو النون : بم ينال العبد الجنة ؟ فقال بخمس : استقامة ليس فيها روغان .. واجتهاد ليس معه سهو .. ومراقبة الله تعـالى فى السر والعلانية .. وانتظار الموت بالتاهب له .. ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب !

وقد قيل :

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقـل ... خلوت ولكن قـل : على رقيب ..

ولا تحسـبن الله يغفـل سـاعة ... ولا ان ما تخفيـه عنـه يغيب

الم تر ان اليـوم اسرع ذاهبـا ... وان غـدا للناظرين قـريب !

● وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنـه الى مكة ، فاسترحنا فى بعض الطريق ، فانحدر عليه راع من الجبل ، فقـال له : يا راعى ... بعنى شاة من هذه الغنم!

فقال : انى مملوك ..

فقال : قل لسيدك أكلها الذئب !

قال الراعى : فأين الله ؟

فبكى عمر رضى الله عنه ، ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال: أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك فى الآخـرة ..

● درية عبد الله ●

لكل شهر عربي قصة

● جمادى ، شهران : جمادى الأولى وجمادى الآخرة · وكانت الأولى تسمى « الحنين » بفتح الحاء أو ضمها ، وكانت الآخرة تسمى « ورنه » بفتح الواو وتسكين الراء ··

ولما وضع العرب أسماء الشهور الحالية ، وافق الوضع شدة البرد ، ولذلك اشتق الاسم من طبيعة زمن وضعه ، يقال جمد الماء اذا صار ثلجا وجمادى معناها البرد الشديد ·

قال الشاعر :

وليلـة من جمـــادى ذات أندية
لا يبصر المرء فى ظلماتهـــا الطنبـا
لا ينبح الكلب فيهـــا غير واحـــدة
حتى يلف على خـرطومه الذنبـــا

(الطنب : حبل لشد الخيام)

وأسماء الشهور كلها مذكرة الا « الجماديين » فهما مؤنثتان ، نقول مضت جمادى ، وجمع جمادى هو « جماديات »

ويقال جمادى الأولى وجمادى الآخرة بمعنى المتأخرة ، ولا يقال الأخـرى لأن الأخرى بمعنى الواحدة فتتناول المتقدمة والمتأخرة ، ومن ثم يحصـــل اللبس ، ولذلك يقال الآخرة لتختص بالمتأخرة ·

وكان جمادى الأولى يسمى أحيانا « جمادى خمسة » أى الشهر الخامس كما سمى جمادى الآخرة « جمادى ستة » أى الشهر السادس أو تمامه ، قال لبيد :

حتى اذا سلخا جمادى ستة
جزء فطال صيامه وصـــيامها

ويزعمون أن المولود فى احدى الجماديين يكون جامدا أى هادىء الاعصاب ·

اهم أحداث الجماديين

ولعل أهم الأحداث فى هذين الشهرين هو وضع عمر بن الخطاب للتقـويم الهجرى فى يوم الأربعاء الموافق ٢٠ من جمادى الآخرة فى السنة السابعة عشرة للهجرة ، وذلك بسبب ما حدث من بلبلة فى تأريخ المكاتبات والصكوك وغيرها ·

وأهم غزوات جمادى الأولى هى غزوة سنوان ثم العشيرة فى السنة الثـانية للهجرة وقد قادهما النبى صلى الله عليه وسلم ولم يحدث فيهما قتال ، ثم غزوة بحران فى السنة الثالثة للهجرة بقيادة النبى الكريم ولم يحدث فيها قتال كذلك، وفى السنة الرابعة كانت غزوة ذات الرقاع وقادها النبى أيضـــا ولكن الاعداء تفرقوا دون قتال وتركوا غنائم وافرة للمسلمين وفى السنة الســادسة جرت بضع غزوات وسرايا انتهت بنصر المســـلمين على المشركين ثم وقعت سرية مؤتة (والبعض يسميها غزوة) وكانت فى السنة الثامنة للهجرة وكانت لتأديب بنى غسان والروم جنوبى الشام وفيها قتل زيد بن حارثة وجعفر بن ابى طالب ثم عبد الله بن رواحة ، وتولى القيادة خالد بن الوليد الذى استطاع بخطة بارعة

شهر جمادى

● مصطفى الشهابى ●

وتحركات موفقة ان ينقذ جيش المسلمين من براثن عدوهم وكان نحو مائتى الف مقاتل بينما المسلمون نحو ثلاثة آلاف . وعاد خالد الى المدينة وقبل وصوله بأيام اخبر النبى الكريم من اجتمعوا اليه بالمسجد بما حدث ونوه بدور خالد ودعاه « سيف الله » .

ثم كانت سرية ذات السلاسل فى نفس العام وقد قادها عمرو بن العاص وانتهت بهزيمة الاعداء وتشتتهم .

وجدير بالذكر أن هناك خلافا بين المؤرخين فى تحديد الأشهر التى وقعت فيها بعض هذه الغزوات فبعض أصحاب السير اوردها فى جمادى الأولى والبعض الآخر أوردها فى جمادى الآخرة .

وأشهر من ولدوا فى الجماديين على بن أبى طالب وزوجته فاطمة ، وكذلك جعفر الصادق ، وأسامة بن منقذ ، والطرطوشى ، وعز الدين بن الأثير .

اما الوفيات فاهمها مصرع عبد الله بن الزبير بعد قتال مرير مع الحجاج بمكة عام ٧٣ هـ . ومن العلماء والأدباء والشعراء والعظماء : هارون الرشيد ، وابو العتاهية ، وبديع الزمان الهمدانى ، ثم الغزالى ، والقلقشندى صاحب صبح الأعشى ، والسيوطى .

ومن أعلام القرن الهجرى الماضى توفى عبد الله النديم ، ومحمد عبده ، وشوقى ، ومحمد رشيد رضا ، ومحمد فريد وجدى .

وفى جمادى الأولى سنة ٣٥٩ كان الشروع فى بناء الجامع الأزهر الذى رفع راية الاسلام وصان اللغة العربية أكثر من ألف عام .

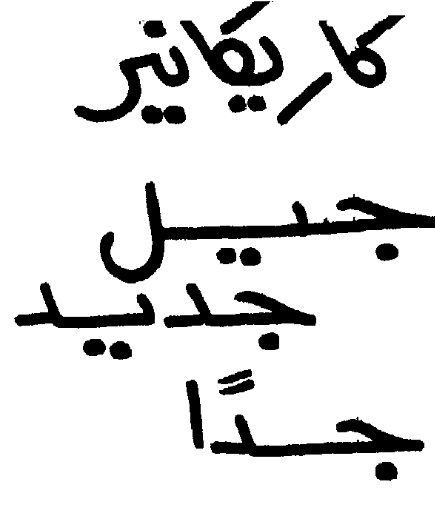
وفى جمادى الآخرة عام ٥٤٨ وصل رأس سيدنا الحسين بن على ــ سيد شباب أهل الجنة ــ القاهرة ، فتوج تلك الجماعة الكريمة من آل بيت الرسول ــ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ــ المدفونين بالقاهرة .

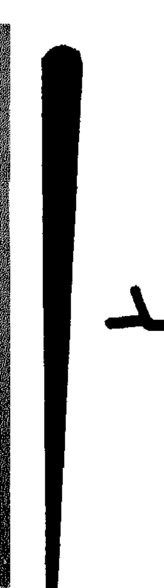
وفى جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ أعدم الايطاليون المجاهد الخالد الذكر عمر المختار الذى كافح طويلا فى سبيل تحرير ليبيا من الاستعمار الايطالى .

وفى الثامن من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٩ ارتكبت اسرائيل أكبر حماقة ضد المسلمين والعرب وذلك باحراق المسجد الأقصى ، مما زاد من التمسك بعودة القدس الى حظيرتها الأولى ، تحت الراية العربية الاسلامية .

وكان مسك ختام أحداث جمادى الآخرة هو رفع الرئيس أنور السادات علم مصر على مدينة العريش فى ٢٨ من جمادى الآخرة عام ١٣٩٩ (٢٦ من مايو سنة ١٩٧٩) فعادت تلك المدينة الباسلة الى أحضان الوطن الأم بعد غربة نحو اثنى عشر عاما ..

ولا يفوتنا أن ننوه بصدور الوقائع المصرية أقدم مجلة عربية مصرية فى ٢٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٤٤ (٣من ديسمبر سنة ١٨٢٨) كما يجب أن نذكر أن جمعية الشبان المسلمين قد انشئت فى آخر جمادى الآخرة عام ١٣٤٦ . وعلى الرغم مما قوبلت به من مضايقات وعراقيل ، الا أنها استطاعت أن تثبت أقدامها وان تشق طريقها وتكثر فروعها فى مختلف أرجاء مصر بل وامتدت دعوتها الى العديد من الدول العربية .





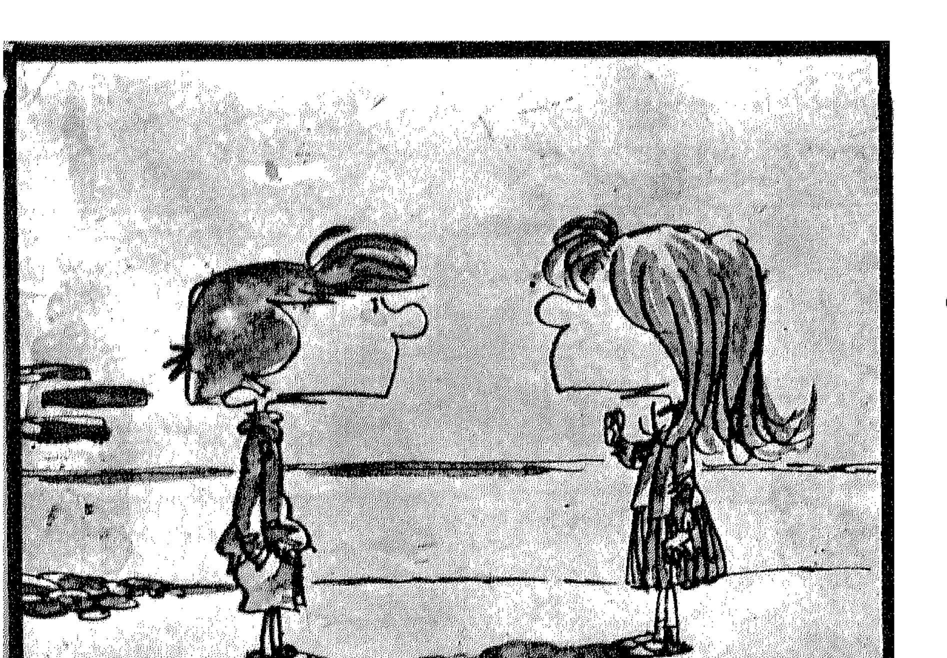


الولد لأبيه : لا ابدا ، انا مش زعلان .. انا مكشر كده بس ، احسن حد من اصحابى يشوفنى ويفتكر انى مبسوط علشان رايح المدرسة !



البنت : بقى لنا أكتر من سنة مخطوبين فى السر ، مش ح تيجى بقى تكلم بابا !
الولد : الحقيقة انا موقفى حرج جدا ... عندى بابا مغلبنى ، اجيب لنفسى كمان بابا تانى !

الولد لأبيه : انا اتعرفت امبارح على بنت عجبتنى ، وقررت اخطبها واتجوزها . شد حيلك بقى وياللا رتب لنا اللازم والذى منه !





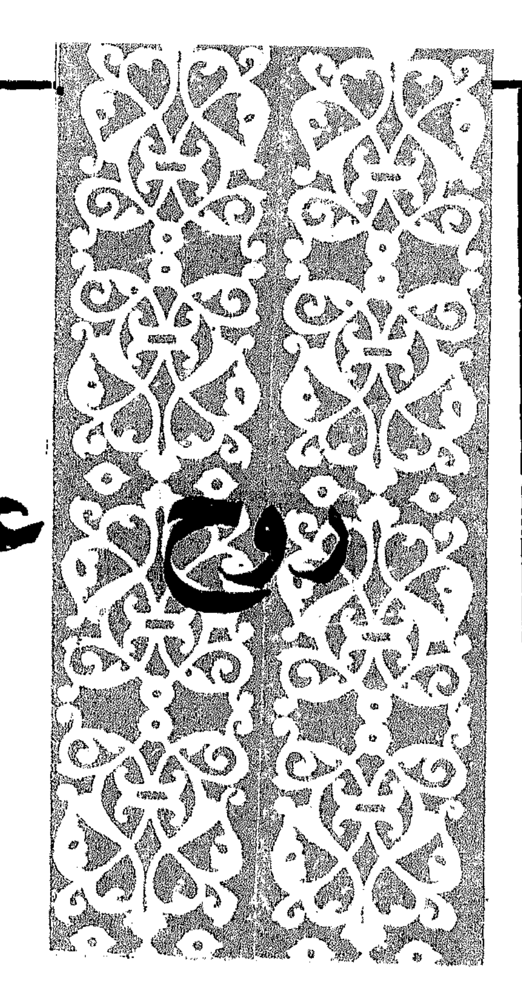
الولد لابيه : انا مش فاهم ليه نص البنى ادمين فى الدنيا دى ستات ٠٠ دى واحده بس عندنا مغلبه الدنيا كلها !



الولد لابيه : قلبوا دماغى فى امتحان الحساب بمسائل عن الحنفيات وتركيبها وتكاليفها ، الخ ٠٠ الخ ! ٠٠ مش كانوا يشوفوا لهم واحد سباك كويس ويريحوا دماغهم ويريحونى !



الولد لاختسه : انا مش موافق على خطيبك ده ! ٠٠ ومش عاجبنى ! عمره ما عزمنى على حاجة ، ولا قدم لى حاجة ، الخ٠٠الخ!!



روح عن نفسك

اولا : لغز بالشعر :

يميت ويحيي وهو ميت بنفسه
ويمشي بلا رجل الى كل جانب ..
يرى فى حضيض الارض طوراً وتارة
تراه تسامى فوق طود السحائب !

ثانيا : كم مربعا فى الشكل التالى ؟

ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ـ اذا استغرق سلق بيضة واحدة اربع دقائق ، فكم من الوقت يستغرق سلق خمس بيضات ؟

٢ ـ اشترى فلاح نعجة وخروفا صغيراً بمبلغ ٨٥ جنيها ، وكان ثمن النعجة اكبر من ثمن الخروف بمبلغ ١٥ جنيها ، فكم ثمن الخروف ؟

٣ ـ عند احد هواة تربية الحيوانات الاليفة مجموعة منها ، وكلها كلاب ماعدا اثنين ، وكلها قطط ما عدا أثنين ، وكلها ارانب ما عدا اثنين ، فكم عدد القطط والكلاب والارانب ؟.

٤ ـ ما الكلمة المكونة من سبعة أحرف والتي اذا حذفت أولها صارت ثمانية ؟

٥ ـ اذا كنت آخر رجل على ظهر الارض وسمعت صوتا يناديك، فصوت من يكون ؟

٦ ـ لي ثلاثة اطفال ولكل منهم أخت ، فكم عدد ابنائي ؟

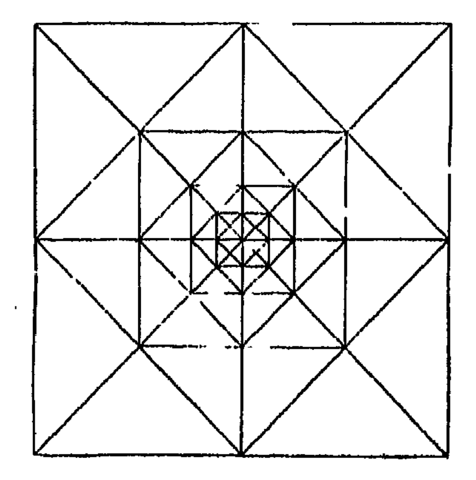
٧ ـ لقيت سيدتان شابين ، فقالتا: « مرحبا بابنينا وزوجينا وابني زوجينا » . فكيف صح ذلك ؟

٨ ـ سقط طفل فوق القضبان الحديدية وعلى مسافة متر واحد من القطار الذى كان يسير بسرعة ، ولكنه لم يصب بسوء .. فلماذا ؟

٩ ـ عمري الآن ضعف عمر ابني ، ومنذ ثلاثين عاما كان عمري ثلاثين عاما، فما عمري الآن ؟

١٠ ـ ما قرابة طفل لوالده الحقيقي، حين لا تكون أبنه ؟

رابعا : اختبر معلوماتك ...



ما هو :

١ ـ كتاب الموتى ؟
٢ ـ الكاياك ؟
٣ ـ اللون الاكثر ظهورا امامنا ؟
٤ ـ طير لا يستطيع الطيران ؟
٥ ـ الفحم الابيض ؟
٦ ـ الباستيل ؟
٧ ـ اقدم آثار العالم القديم ؟
٨ ـ الاولمبياد ؟
٩ ـ السمك الفضي ؟
١٠ ـ الاعلان المعاكس ؟

الإجابات

الاجابات

اولا : لغز بالشعر : الماء .
ثانيا : كم مربعا ؟ : أربعون .
ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ـ أربع دقائق ايضا .
٢ ـ ٣٥ جنيها .
٣ ـ كلب واحد وقط واحد وارنب واحد .
٤ ـ عثمانية .
٥ ـ صوت امرأة .
٦ ـ أربعة .
٧ ـ كان الشابان ابنى المرأتين فتزوجت كل واحدة منهما بابن صاحبتها ، فكان الشابان ابنيهما وزوجيهما وابنى زوجيهما .
٨ ـ سقط الطفل خلف القطار بعد مروره .
٩ ـ ستون عاما .
١٠ ـ ابنته .

رابعا : اختبر معلوماتك :

١ ـ لفائف بردية كانت تدفن مع الاموات لترشدهم الى العالم الآخر .
٢ ـ قارب الصيد المصنوع من جلد عجل البحر او الحوت والمستعمل فى المناطق القطبية .
٣ ـ اللون الازرق فهو لون السماء التي تحيط بنا .
٤ ـ النعام أو البطريق .
٥ ـ القوة المستمدة من المياه الساقطة من عل .
٦ ـ سجن سياسى هدم اثناء الثورة الفرنسية .
٧ ـ اهرام الجيزة .
٨ ـ مدة السنوات الاربع التى تقع بين كل دورتين .
٩ ـ نوع من الحشرات يوجد بين الكتب .
١٠ ـ الاعلان الذى يثير القارىء ولا يدله على الشيء المعلن عنه ويدفعه الى ترقب اعلان آخر .

زهرات من



● ادب ●

التقى الاصمعي بابن المقفع فقال له : من ادبك كل هذا الادب ؟

فقال ابن المقفع : نفسى !

فضحك الاصمعى وقال له : يا ابن المقفع ايؤدب الانسان نفسه بغير مؤدب؟!

فقال ابن المقفع : وكيف لا ؟. كنت اذا رايت فى غيرى حسنا اتيته ، وان رايت قبيحا أبيته .. وبهذا وحده تادبت نفسى !

● اكره ان اقول ! ●

دخل محمد بن كعب القرظى على سليمان بن عبد الملك بثياب رثة ، فقال له : يا ابا كعب ما الذى حملك على الظهور امامنا بهذه الثياب الرثة ؟

فأجاب ابو كعب : يا امير المؤمنين والله ما حملنى على هذا الا امران :

الاول : انى اكره أن اقول انه الزهد فاطرى نفسى !

والآخر: او اقول الفقر فاشكو ربى!

● جعلت فداك ! ●

غضبت عائشة بنت طلحة على زوجها مصعب بن الزبير يوما ، فاشتد ذلك عليه ، وشكا امره الى خاصته ، فقال له اشعب : ماهى جائزتى عندك ان هى رضيت عليك ؟

قال مصعب : اعطيك عشرة آلاف درهم ! فاتى اشعب الى عائشة ، وقال : ((تفضلى بكلام الامير ، فقد استشفع بى عندك ، واجزل لى العطية ان انت كلمته)) !

قالت : ((لا سبيل الى ذلك ياأشعب ـ اذهب من حيث اتيت)) !

فقال : ((جعلت فداك كلميه حتى اقبض عشرة آلاف درهم ، ثم ارجعى الى ما عودك الله من سوء الخلق)) !.

فضحكت عائشة وقامت من توها وصالحته ..

● الهذر ●

تكلم رجل عند معاوية فهذر ، فلما اطال قال : أاسكت .. ياامير المؤمنين؟

فأجاب معاوية بقوله : وهل تكلمت؟!

● عظنى ●

قال رجل لاخر : عظنى ..

فأجاب بقوله : لا مال اوفر من العقل ولا فقر اعظم من الجهل ، ولا ظهر اقوى من المشورة !

● نسيج الاضراس ●

قال اعرابى لرجل رآه سمينا : ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك!

● لا تقل الا خيرا ●

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)) .

● محسن فهمى ●

تذكرة طبية

غذاؤك فى الشتاء

● د . السيد الجميلى ●

● غذاؤك فى الشتاء ●

يحتاج الجسم فى فصل الشتاء الى أغذية معوضة لقاء الحرارة المفقودة منه ، اذ ان درجة حرارة الجو فى الشتاء أقل من درجة حرارة الجسم ،ولذلك فان الجسم يفقد حرارته باستمرار ، وهو الملك ــ بديهيا وعمليا ــ محتاج لان يعوض هذه الحرارة المفقودة ..

من ثم يحتاج الشخص البالغ ٣٥٠٠ سعر حرارى كل ٢٤ ساعة فى الشتاء ، ولابد ان يكون غذاؤه لائقا لان يدفع اليه هذه الكمية الهائلة فليكن مثلا : الزبد والالبان ومنتجاتها مطبوخة ، ثم اللحوم الدسمة ،والعسل الأسود وعسل النحل والحلاوة الطحينية والارز والمكرونة .

أما الخضروات فتشمل الخضروات الدرنية : البطاطا والبطاطس والبسلة واللوبيا والفاصوليا وفول الصويا .

الفواكه : كالموز والجوز وغيرهما .

ولا ننصح فى الشتاء بشرب الماء البارد ، انما يفضل شرب الحساء السميك الدافىء ، والمشروبات الدافئة الحارة كالقرفة ، اذ لها اهمية قصوى فى توليد الطاقة ، فضلا عن قيمتها فى تنبيه اعصاب الشم والتذوق، كما انها تنبه افراز اللعاب وتنشيط عملية الهضم .

وافضل ما يشرب ويؤكل فى الافطار شتاء كوب من اللبن الحليب او طبق من مطبوخ اللبن مضافا اليه ــ ان امكن ــ قليل من الزبيب او الفواكه المجففة، مع الجبن والخبز .

اما وجبة الغداء فمن الاحسن ان تحتوى على اللحوم والارز والخضر ولاسيما الدرنية والسلاطة الخضراء والفواكه الطازجة .

وفى المساء يفضل تناول كمية من عسل النحل او العسل الاسود وماتيسر من المربى أو بليلة القمح او الجبن الجاف مع الخبز الاسمر وما يطيب من الفاكهة .

عضة برد

نتيجة الخروج الى جو بارد وطب فجأة من مكان دافىء او مواجهة التيارات الهوائية، فانمقاومة الجسم تضعف لحظيا ، ومثل ذلك وعلى شاكلته التواجد فى دور السينما او الاوتوبيسات او الاماكن المزدحمة الاهلة بالناس ، مما يساعد على انتشار الفيروس الخاص بالجهاز التنفسى من شخص لآخر فيحدث التهابا حادا بالغشاء المخاطى للأنف والأذن والحنجرة والقصبة الهوائية ، ثم تتطور الحال سريعا الى رشح بالانف وزكام وأوجاع بالعظام وآلام بالعضلات ، وهبوط شديد وخمول شامل لكافة أعضاء الجسم ومختلف نواحى البدن .

بعد قرابة الثلاثة ايام تظهر مضاعفات أخرى مثل التهابات الجيوب الانفيه الحادة مما يشعر معه المريض بالام فى عظام الجبهة من الامام ((مقابل الجيب الانفى الجبهى)) ، ثم يتوقع فى هذه الاثناء حدوث التهاب رئوى أو التهاب شعبى ، وقد تنتهى الحال بالصمم واوجاع الاذن الشديدة مع ارتفاع فى درجة الحرارة .

● سلامة قلبك ●

● اذا أفادك طبيب القلب باصابة عضوية فى قلبك ــ لاقدر الله ــ فلا تنزعج ولا ترهق اعصابك من الوهم ، فالاعمار بيد الله ، لكن يجب الاحتراس من ثلاثة عوارض :

١ ــ حدوث أية التهابات باللوزتين أو الجهاز التنفسى .

٢ ــ الانيميا الشديدة وفقر الدم .

٣ ــ الامساك الحاد .

من ثم يجب المسارعة بحسم هذه العوارض اذا ماحدثت لايقاف ضراوتها وتامين القلب السقيم من أخطارها لانها تقوض بنيته وتهدد بقاءه .

● وليكن معروفا لمرضى القلب أن العلاج سهل ميسور واهم اسسه الانتظام والاعتدال وعدم الاسراف.

نتيجة مسابقة
عدد ديسمبر ١٩٧٩



● هذه هى نتيجة المسابقة الثالثة اقرأ الهلال واكسب جائزة ــ عدد ديسمبر ١٩٧٩ .

ومسابقات ((الهلال)) فى الحقيقه دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا ، اذا شاء الحظ وكان من الفائزين ..

فان الهلال حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء ان يقراها ، ويبدى رايه فيها . وهذه هى الغاية التى نرمى اليها من وراء هذه المسابقات اما الكسب المادى فرمزى فحسب ..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم فى المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة ، واجريت القرعة بينها ..

وفيما يلى اسماء الفائزين فى مسابقة شهر ديسمبر ١٩٧٩، فنهنئهم بمافازوا به من تقدير ، ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا فى مسابقات اعدادنا القادمة ..

الجوائز واسماء الفائزين

الجائزة الاولى ، وقدرها خمسة جنيهات : نجيبة خليل مصطفى ـ مكتب التامينات الاجتماعية ــ بمدينة : العريش .

الجائزة الثانية ، وقدرها ثلاثة جنيهات : مجدى ابراهيم زغلول ١٣ شارع ابى بكر الصديق ــ طنطا ــ محافظة الغربية .

الجائزة الثالثة ، وقدرها جنيهان : احمد عبد الرسول بخيت ٩ شارع الضياء ــ الساحل ــ القاهرة .

الجائزة الرابعة وقيمتها اشتراك لمدة سنة فى مجلة ((الهلال)) : السيد موسى النفزاوى ــ تونس الجمهورية التونسية .

الجائزة الخامسة وقيمتها اشتراك لمدة سنة فى مجلة ((الهلال)) : نقال الادريسى حسن محطة موبيل ــ سيدى حجاج ــ المغرب

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر يناير ١٩٨٠

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟.

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز .

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا .

اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان .

والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى ((الهلال)) .

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد ابريل ١٩٨٠ .

آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من مارس ١٩٨٠ .

• الاسئلة •

س ١ – من قال : ((امطـرى حيث شئت فسوف ياتينى خراجك)) .
ج ١ – ... ... (مقال ... ...)
س ٢ – ما اعظم متاحف الدنيا على الاطلاق ؟
ج ٢ – ... ... (مقال ... ...)
س ٣ – ما هو المحور الصميمى الثانى من محاور العمل المسرحى ؟
ج ٣ – ... ... (مقال ... ...)
س ٤ – كم مخطوطا عربيا احرقت فى اسبانيا عام ١٥٩٩ م ؟
ج ٤ – ... ... (مقال ... ...)
س ٥ – من مؤلف كتـــاب عيـون الاخبار ؟
ج ٥ – ... ... (مقال ... ...)
س ٦ – من أصحاب الفضـــــــل فى تعريفنا بالشاعر ((محمود الوراق))؟
ج ٦ – ... ... (مقال ... ...)
س ٧ – ما عنوان القصيدة التى نظمها البارودى عن السيرة النبوية الشريفة ؟
ج ٧ – ... ... (مقال ... ...)
س ٨ – اى الاديان اقدر على مواجهة الالحاد والمادية ؟
ج ٨ – ... ... (مقال ... ...)
س ٩ – من من الادباء المعروفين يرى أن الادب يجب ان يتوافق مع العصر ؟
ج ٩ – ... ... (مقال ... ...)
س ١٠ – ماذا قال أرسطو عن غاية الفن ؟
ج ١٠ – ... ... (مقال ... ...)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة
عـــدد فـبرايـر ١٩٨٠

الاسم : - - - - - - - - - السن : - - - - - - -

العنوان : - - - - - - - - - - - - - - - - - -
- - - - - - - - - - - - - - - - - -

ترنيمة الختام

الجمال والأمومة

للشاعر البرتغالى : الميداجاريت
ترجمة : أحمد مصطفى حافظ

عن الحبِّ يصدُرُ سحرُ البهاءْ
كما يصدرُ الضوء عن نارهِ ..
فان شئت أن تكتسى بالسّناء
فَذُوقى الغرامَ ... بأسرارِهِ
جميعُ المفاتن طوْعَ البراع
وتسطيع تصويرَها .. الريشة
وتمثالها .. بيمين صناعْ
يُقد ، وتبدعه الصنعة.
ولكن .. أهذا جمال صحيح؟
أشك : وللحكم لا أستريح ! ..
فذلك ظَرف بدُنيا الفنون
ومحضُ قشور .. لحسن يصيح
ولكنّ ما أستريحُ إليهِ
جمالَ الأمومةِ .. فى البسمةِ
كما يبسمُ الفجرُ ، فى مقلتيهِ
ندى الدمع .. للزهر فى النشأةِ
هى الأم ، تكتيمُ أوصابَها
وتهفو لطفل بأحشائِهِا
فتبسمُ ... والله أوصى بِها
فكَم تستهين بلوائها
هىَ الأم ! .. لا شك فى حبّها
بنور الإله ، غَدا يستضىءْ
كنور الطهارةَ فى قلبها
ومَنْ ذا .. إلى حضنها لا يَفىءْ



قيمة الاشتراك السنوي
بالبريد العادي:
بالبريد الجوي:
لقسم الاشتراكات بدار الهلا
١٨٩٢م
١٩٨م
ين العدد الاول من الهلال والاخيرمنه
٨٨عامًا من العلم والثقافة والأدب والفن والطرافة
لازالت مجلة الهلال عميدة المجلات
ثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!
لا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر..

الهلال

مارس ١٩٨٠

مجلة الفكر العربي

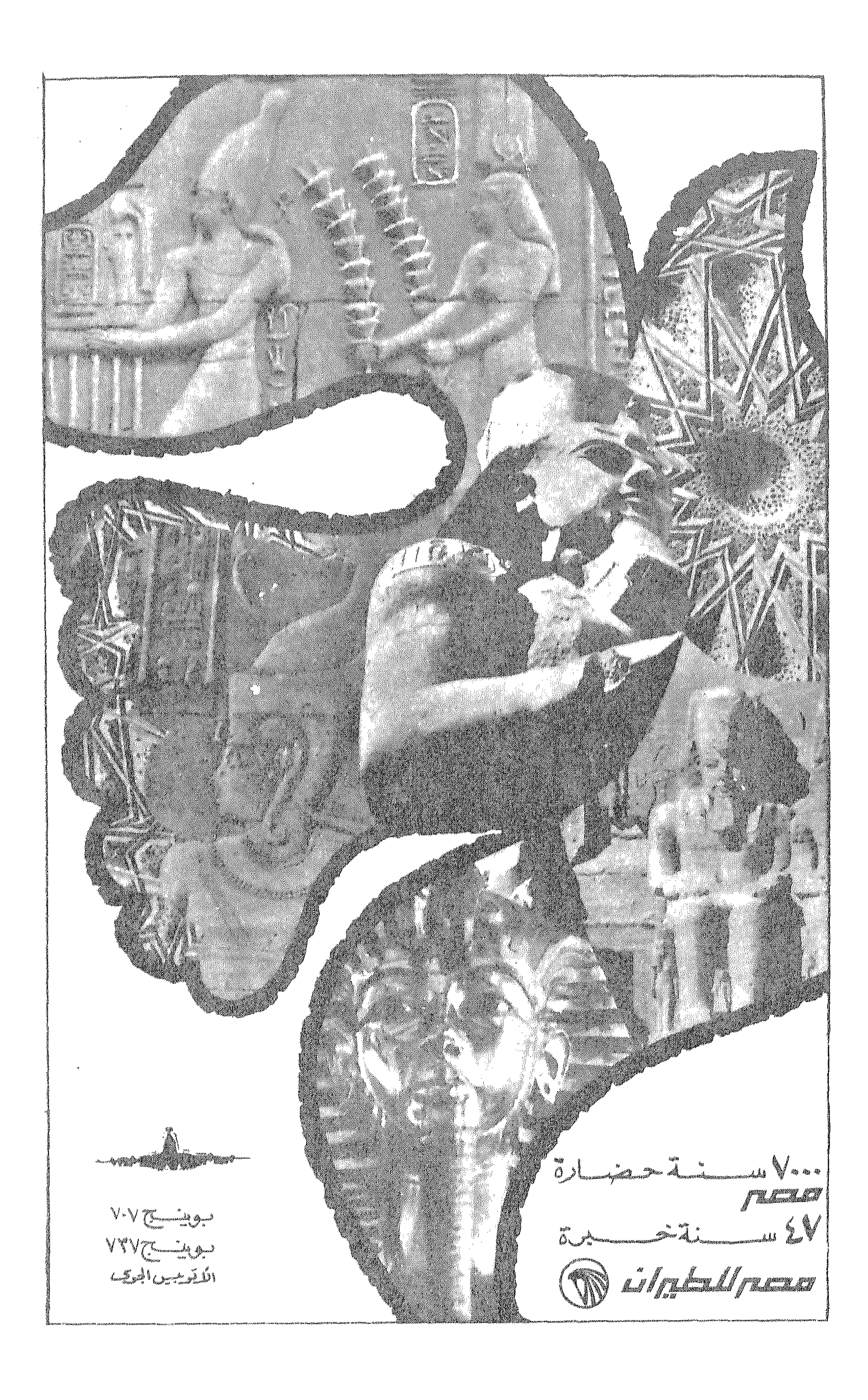
اقرأ الهلال واكسب جائزة

افغانستان

محطة إلى قلب عالمنا الإسلامى

{استطلاع بالألوان}

- شخصية الشهر: ذكرى العقاد
- الإسلام والعلوم التجريبية


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٧ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

الخروج من عُنق الزجاجة

اعلنت ادارة التليفونات فى المانيا الغربية انها قد حققت خلال العام المنقضى (١٩٧٩) ارباحا قدرها ٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ماركا المانيا اذا ضربتها فى اربعين قرشا للمارك كانت ٨٠٠ مليون جنيه مصرى .

ومصلحة التليفونات فى المانيا لايمكن أن تختلف فى تركيبها عن مصلحة التليفونات فى مصر ، فهى - هنا وهناك - لا تخرج عن ادارة وتركيبات كهربائية وعدادات وآلات للمكالمات .

اذن لماذا يكسبون هناك ونخسر نحن هنا ؟
لماذا يعتبر التليفون هناك نعمة وراحة وهنا عذابا وتعبا
الجواب بسيط : العيب فى العنصر البشرى .
او قل ان العيب فى طريقتنا فى اعداد العنصر البشرى الذى يدير التليفونات وسكة الحديد والموانى وكل ادارات الدولة ..

هناك يعدونه اعدادا سليما ونحن لا نعده على الاطلاق .
هناك يحاسبونه على عمله ونحن لا نحاسبه على الاطلاق .
هناك يفرقون بين من يعمل ومن لا يعمل : من يعمل يكافأ ويعطى وتفتح له الأبواب . ومن لا يعمل لا مكان له عندهم اطلاقا .

والأمر عندنا على خلاف ذلك .
نحن نفسد العنصر البشرى وهم يجودونه .

ونحن نحسب اننا نكرم المواطن عندما ندلله ولا نحاسبه على عمل أو على خطأ ، والحقيقة اننا نهينه .

ونحن ننفق الملايين على الأدوات والماكينات والمعدات لكى يفسدها الناس بعد ذلك ويتلفونها . يخربونها ثم يجلسون على تلها ..

الأمل قليل فى تحسن حقيقى اذا لم نعن بالعنصر البشرى أولا . لابد من الحزم فى معاملته ، لابد من التدقيق فى محاسبته . ليس من المعقول أن يترك عامل ماكينة ثمنها ١٠٫٠٠٠ جنيه ويخرج ليقضى مصلحة خاصة ويعود فاذا الماكينة قد اصابها عطل اوقفها عن العمل نحو العام وتكلف اصلاحها اربعة آلاف جنيه دون أن نوجه لهذا المخطىء همسة عتاب كما يقولون ..

هذا غير معقول ..
وبهذه الطريقة فى العمل والحياة كيف نرجو أن نخرج من عنق الزجاجة أم أن حياتنا كلها عنق زجاجة ؟

فى هلالك

هذا الشهر

ص



ربيع الآخر ١٤٠٠ هـ
مارس ١٩٨٠ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة الثامنة والثمانون - اول مارس
١٩٨٠ - ١٤ من ربيع الآخر ١٤٠٠

من « الهلال »

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، ويبذل القصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئولين رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

غلاف هذا العدد مشرق باسم متعدد الألوان، رجونا عند اختياره ان يكون الشتاء رفيقا بنا فلا يبخل علينا باشعة شمس او قطعة سماء زرقاء .. وعلى هذه القطعة من الأمل اثبتنا مايتضمن هذا العدد من الهلال المتجدد دائما

الإشراف الفني
أحمد الورجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم - قيمة الاشتراك السنوى «١٢» عددا في جمهورية مصر العربيـــة ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتركات بدار الهلال في جمهورية مصر العربيـة بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ جـ . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .

الادارة : دار الهلال - ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

"بـــازار"

الكتاب العربى

الثانى عشر

بقلم : رئيس التحرير

● القارىء موجود ، والعطش الى العلم والثقافة شديد ، ولكن الذى ينقص دور نشر جادة تخدم الكتاب وفكر جديد فى التأليف والنشر والتوزيع وتنظيم المعارض .

فى العام قبل الماضى حضرت معرض الكتب العالمى الذى يقام فى فرانكفورت يومها بهرنى كل ما رايت .

نحو ٨٠٠ دار نشر عالمية تنتشر من اليابان الى نيوزيلاندا . كل واحدة منها عرضت من مائة الى خمسمائة كتـــاب جديد ، جديد فى موضوعه واخراجه . حتى القديم الذى اعادوا طبعه واخراجه كان له شكل جديد .

وشركات صناعة مطابع لا نهاية لها .

وشركات ورق وشركات أدوات كتابية

وشركـات تســجيلات ، من الكتب الجديدة المسماه ليبرو ـ فيلم الى الكتب المسجلة للاستماع الخـــالص « ليبرو تيب » .

وشركات ماكينات تصـــوير كتب ومستندات: ميكرو فيلم وميكروفيش ولناســخات (كوبيرز) وآلات كاتبة واخرى حاسبة واجهزة كومبيوترز ..

الى جانب ذلك كله دليل ضخم أنيق بكل ما فى المعرض ، ومكتب استعلامات على أحدث طراز وأربعة مكاتب للتلغراف والتليفون الدولى والتليكس .

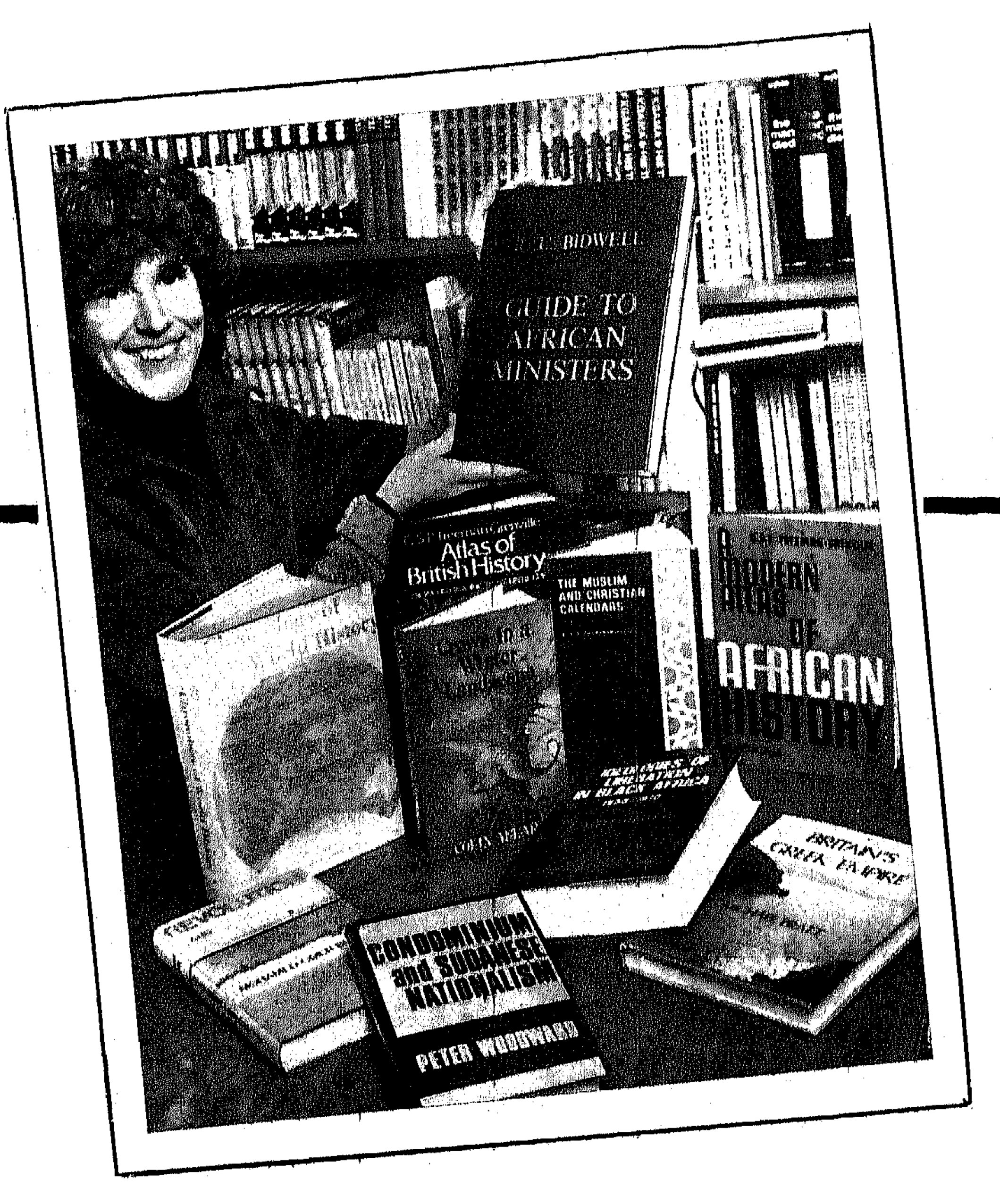
ومطاعم من كل صنف ،كبيرة وصغيرة وقاعتان لعرض الافلام الثقافية .

وكل شركة تعطيك دليلا أنيقا مصورا

عالم رائع تشعر فيه حقا انك مع ناس يعرفون ماذا يعملون ويعـــرفون كيف يعملون .

وقد قدرت الصفقات التى تمت أثناء هذا المعرض بأكثر من أربعة ملايين مارك المانى .

ومن أول يوم خصصـــوا لنا نحن الضيوف مضيفات دليلات مســـتعدات لمصاحبتك ، والبقـــاء فى مكاتبهن فى



جانب من الكتب الاوروبية التى عرضت فى المعرض ،، كلها كتب حديثة وهامة لانها تتناول موضوعات العلوم والتكنولوجيا اى انها كتب العصر وفيهـا قواميس ودوائر معارف . ذلك ما كنا ننتظره من المعروضات العربية فى ذلك المعرض ..

انتظار اشارة منك ..

ولم اشأ ان يصحبني احد . فظلت المضيفة الموكلة بأمرى فى مكتبها ، ولا اذكر أننى احتجت اليها فى أمر واتصلت بها بالتليفون من داخل المعرض الا وجدتها فى مكانها .

وفى يوم السفر رافقتنى الى المطار بعد أن كانت قد قامت بكل اجراءات السفر • وفى المطار سلمتنى تذكرتى وبطاقات شحن حقائبى • اضافت اليها ادارة المعرض حقيبة ملأتها بالكتب وادوات الكتابة ودفعت كذلك اجر المتاع الزائد الخاص بها •

يومها ، وبعد ان ودعت السيدة المضيفة وجلست فى قاعة السفر انتظر الطائرة وجدت نفسى اقول :

ـ حلال عليكم يا ناس ! عملتم واجتهدتم واتقنتم وانتجتم وربحتم وكسبتم الدنيا ••

حلال عليكم قيادة الدنيا ، فان الله سبحانه وتعالى خلق هذه الدنيا للعامل المجد المتقن الذى يزيد عمران الارض وينفع الناس ••

هذا العام حضرت معرض الكتب الثانى عشر فى القاهرة •

من البداية يفاجئك منظر السوق

بازار الكتاب العربي الثاني عشر

الشرقي أو البازار : الفوضى وقلة النظافة والبهدلة ..

دليل للمعرض ؟ لا يوجد

مكتب استعلامات ؟ يوجد ولكنك لن تجد فيه انسانا لا في الصباح ولا في أي ساعة من نهار .

مكتب تليفون وتلغراف وتليكس .. لا يوجد .

مضيفات وأولاد .. لا يوجد

مصرف أو مكتب تحويل عملة .. لا يوجد

قيل لتاجر كان يريد أن يعقد صفقة : هناك قريبا من هنا ، في فندق البرج وجد فرع لاحد البنوك ..

وذهبنا الى فندق البرج ووجدنا الفرع ولكن لا أحد فيه فأصحابنا الموظفون — على العادة — ليسوا هناك ..

اذن ما الذى هناك ..

مولد ..

أصوات الميكروفونات من اكشاك اجرها صانعو الأشرطة . على طول سيرك تسمع أسخف الاغاني والتسجيلات .. فقرات من كوميديات مهلهلة تصل سمعك في كل خطوة :

— ما لك يا محمود ..

— مفيش

— انت عيان يا محمود ..

— مفيش ..

— امال لونك مقطوف ليه يا محمود

— مفيش ..

الى آخر حوار التدهور الفكري .

مباني العرض أو السرادقات ابراج بابل : قاعات واسعة مقسمة بقواطيع كل مكتبة أجرت بضعة أمتار لتبييع كتبها . هذه الكتب كانت .. هنا في المعرض الحادى عشر وفي المعرض العاشر ومعظمها طبعات بالاوفسيت فكيف طبعناها في الثلاثينات والاربعينات .

كلهم يسطون على الكتب دون مبالاة : وجدت مروج الذهب للمسعودى في خمس مكتبات ، كل منها طبع الكتاب بالأوفسيت وعرضه بثمن يختلف عن جاره ، والطبعة الاصلية نفسها سقيمة حافلة بالخطأ ، ولكننا لا نستطيع اليوم أن نعمل مثلها ، ورحمة الله على الشيخ محيي الدين عبد الحميد ، كان لا يعجبنا في أيامه ، واليوم لا نجد من يضاهيه .

والكتب الجديدة .. ؟

لا شيء تقريبا .

الجديد الوحيد كتب جامعية .كتب ألفها اعضاء هيئات التدريس لتباع على الطلاب .

هي دائما نفس الكتب تحت اسماء مختلفة : رأيت ثلاثة كتب بعنوان : تاريخ أوروبا في العصر الحديث .. ، المؤلفون مختلفون وكذلك الناشرون ، ولكن الكتب منقولة نقلا سخيفا سطحيا عن ترجمة تاريخ « فيشر » الذى أبدع في ترجمته أستاذنا أحمد نجيب هاشم وبعض مذكرات الاستاذ شفيق غربال عليه رحمة الله . بل ان واحدا منها نقل بالحرف من كتاب للمرحوم الاستاذ الدكتور محمد صبرى .

هذه كتب بالاسم فحسب اما بالفعل فهي مذكرات طلاب يؤلفها القائمون بالتدريس طلبا لزيادة الدخل . والتقليد الجامعي الجارى عندنا ان الاساتذة يتنافسون على المواد التى تدرس للفصول الكبيرة لأن معنى ذلك ان اى مذكرة يطبعها الاستاذ ستبيع الف نسخة من أول يوم ..

لا تهم المذكرة .

ولكن ثمنها مهم .

والناشر دائما رجل بجلباب ومقطف يطبع الكتاب في مطبعة صنعت من ايام سيدنا نوح . وكذا للاستاذ وكذا للطابع الذى يسمى ناشرا ، والطالب يشترى والامور تسير او لا تسير ، فماذا يهم ؟ المهم أن الطالب يحوز الامتحان والاستاذ يكمل ايراده والناشر يبني عمارة جديدة .. دنيا ..

وقيل لى : ان الكثير من دور النشر

فى البلاد العربية لم تشترك ..
ـ وماذا فى ذلك ..
ـ خسارة كبيرة ..
ـ لا خسارة ولا شبه خسارة ...
دور النشر هناك هي مثل دور النشر هنا الفرق في آلات الطباعة : هؤلاء يسرقون الكتب بالطبع التصويرى وأولئك يسرقونها بمطابع شارع الصنادقية .

وسواء أكانت دور النشر هناك ، قد مثلت هنا أم لم تمثل .. فان الكسب الثقافىمنعدم . لقد خسروا مالاوكسبنا نحن راحة البال .. وليس فرضا على هذه الامة ان يكسب كل قرصان كتب فى بيروت كذا مليون ليرة فى العام ..

***

ولكنى رأيت الناس يشترون الكتب مئات ومئات تغص بهم القاعات ، وهم يشترون . من قروشهم القليلة اشتروا كتبا بجنيهات .

رأيت سيدات عاديات يحملن كتبا كثيرة اشتريناها حبا فى الثقافة والعلم

ورايت ناسا عاديين يدفعون عشرات الجنيهات ليحصلوا على تفسير ابن كثير او الاحكام للقرطبى او الاعمال الكاملة للعقاد ..

الناس موجودون والشغف بالعلم قائم ، ولكن التقصير منا نحن اهل الفكر نعم والجناية من الناشرين . كل همهم الكسب ، انهم لا يدفعون للمؤلف مالا الا اذا كان الكتاب جامعيا مضمون البيع للطلاب .

والعقود التى يقدمونها للمؤلفين عقود رق ! المؤلف رقيق بين ايديهم ، لهلن يتقاضى الا ما يتسلم ساعة توقيع العقد والباقى ! يعوض الله فيه .

لا مكان عندهم لأديب جديد أو شاعر ناشىء .. وكفاية علينا : زعلان ليه يا محمود ؟ أنت عيان يا محمود ؟ لونك مقطوف ليه يا محمود .

والذى اعجبنى حقا هي الاقسام الخاصة بالكتب الاوروبية . كلها منظمة مرتبة وفيها كتب جديدة تفرح القلب

القسم الفرنسى تحفة والايطالي متعة ، وبعض دور النشر الاوروبية كانت زينة للمتحف كله ..

والذى أعجبنى أكثر وأكثر ان الناس التهموا هذه الكتب التهاما : قاموس لاروس كان يباع بأربعين جنيها . كنت سعيدا أن اشتريت احدى نسختين بقيتا باع القسم منها مائة وثلاثين قاموسا . ومندوب دائرة المعارف البريطانية باع فوق الثلاثين مجموعة وأخذ معه فوق المائة عقد شراء دفع كل واحد من أصحابها مائة جنيه مقدما ..

القراء موجودون والناس متعطشون ولكن المورد راكد آسن ، والمتعطش الى العلم يظل عطشانا الى الأبد ..

والذى يفسد علينا كل شىء هو روح البازار ، فوضى سوق القرية والمذياع يذيع باعلا الصوت تسجيلات هي وصمة للفن وبائع اللب والسودانى المترىص بك في كل مترين من الطريق واكوام أوراق مهملة وبائع سندويتش لم يغسل يده قط وقرصاننشريملأحافظة نقوده بجنيهات مجموعة من طلاب يشترون ملازم لينجحوا فى مواد لا يعرفون من أمرها الا القشور .

والى المعرض القادم

د . حسين مؤنس

● مذكرات هدى شعراوى ●

نحب ان نصحح هنا مانشر فى العدد الماضى من « الهلال » فى تقديمنا لمقال السيدة أمينة السعيد عن الرائدة هدى شعراوى ـ فنقول ان هذه المذكرات كتبتها بيدها واسلوبها الزعيمة هدى شعراوى واستودعتها ابنها الروحي الاستاذ عبد الحميد محمد زكي الذى يراجعها وينشرها كما كتبتها صاحبتها . فى زميلتنا « حواء » ..

أزمة التاريخ المصرى الحديث

● فتحى رضوان ●

قال انتونى ناتنج فى مقدمة كتابه «العرب» الذى نشرته دار الهلال اخيرا : يصنع الناس التاريخ اكثر مما يصنع التاريخ الناس» . وهو قول شبيه بما قاله بعض الزنادقة ، من ان الناس يصنعون الهتهم ، ثم يعبدونها ، ويخافونها، ويتقون بطشها، ويلتمسون خيرها ..

فمن اقدم العصور ، والانسان لا يزال فى الكهوف عاريا ، قد صنع بيده من الحجر او الخشب الها، جافى المنظر ، خشن الهيئة ، قبيح الصنع ، وركع له وسجد . وما التاريخ الا اله من الهة المتحضرين، يستشهدون به ، ويستمعون لحكمه ، ويعرضون امورهم على حكمته وتجربته ، وينسون او يتناسون انهم هم الذين صنعوه ، وانشاوا له هيكلا ، ثم اضافوا اليه وحذفوا منه ، وعاشوا حياتهم ، يغيرون فيه ، ويبدلون ، بدعوى ان هذه ارادة التاريخ والتاريخ لا يملك لنفسه ردا ولا قولا !.

وللتاريخ فى حياة الامم والشعوب ، مواسم ، يلتفتون اليه ، ويتجهون نحوه، وتلك هى فترات التغيير والانتقال ، وعصور المحن والهبوط ، او عهود الانتصار والتفوق .. وليس ثمة غرابة فى هذا ، فالتاريخ هو مستودع امجاد الشعب ، ومعرض آثاره ، والمبكى الذى يندب فيه حظه العاثر ، وافول عهده الغابر ، وديوان عظمائه ، يلتقون فيه ، ووثيقة افضاله على الأمم ، واياديه فى اعناق الآخرين .

وقد مر عصر ، منذ سنوات غير طويلة ، عهد احسست معه ، او احس بعض اصحاب القلم فيهما بان تاريخ مصر ، قد تحلل واختفى ، فندت من صدورهم صرخة استغاثة ، قد يكون مبعثها الوهم ، او الحب ، أو اضطراب الأعصاب ، الذى يصاحب المحن ... فمنذ بدات ثورة ١٩٥٢ ايامها الاولى ، الى ان اختفى من عالم الأحياء رجلها الاول ، وشغل الناس الشاغل ، وحديثهم المتصل هو هذا الرجل ، يسمعونه ،ويسمعون عنه ما يملأ ساحة العمل العام ، لا يقف الى جواره احد. فلما وقعت مصيبة الهزيمة ، ثم توالت أحداث جسام ، ضخام ، كانها الطوفان الذى يزيل من طريقه ، كل شىء، وانتهت الملحمة بالموت الرهيب ، اهتزت الاعصاب اهتزازا شديدا ، فنجم منه احساس اشبه شىء باحساس

الحبلى ، حينما يفجعها مخـــاض ، يتبعه اجهاض . فما نصيب هـــذا الاحساس من السلامة والصدق ..

يستطيع الذين ينقمـــون على ثورة سنة ١٩٥٢ أمورا كثيرة من أهمهـــا انها ختمت الفصل الاول منها ، وهو الفصل الذى أرسى الاســاس ، وقنن الأصول بهزيمة لم تنطو على مثـــل فداحتها ، وضخامتها صحائف تاريخ امة سوانا ، ولو كانت دوننا بمراحـــل .. لهؤلاء أن يقولوا ما شاءوا فى ثورة سنة ١٩٥٢ ولو كان أكثر ما سيقولون باطلا ، لا نصيب له من الحق .. الا انهم لا يستطيعون أن يرموا هذه الثورة، بانها غضت من شـأن تاريخ مصر ، أو أزرت به ، أو هونت من أمره. بل على النقيض ، لقد فعلت من أجل هـــذا التاريخ أمورا صانت هـــذا التاريخ من ان تتبدد وثائقه ، او تزيف حقائقه..

فقد استفتحت الثورة بقرار جمهورى صدر فى سنة ١٩٥٤ ، ونشأ لاول مرة فى تاريخ مصر السيـــاسى دارا للوثائق التاريخية ، وقد أعد هـــذا القـــانون ، وكتب مذكرته الشارحة المرحوم الدكتور حسن أبو السعود ، وكيل وزارة الارشاد القومى ، وقد كان قبل اختياره لهـــذا المنصب الادارى ، استاذا جامعيا درس القانون فى كلية الحقـــوق بجامعـــة الاسكندرية ، كما درس هذا العلم ذاته فى كلية حقوق بغداد .

والمذكرة الشارحة للقانون المنشىء لدار الوثائق ، هى فى ذاتها وثيقة . فقد سـجلت ان وثائق تاريخ مصر ، وهى مادة التـــاريخ ، وعنصره الاصيل ، تتوزعها جهات حكومية فى مصر متعددة، وان هذه الجهات جميعا تستقبل هذه الوثائق ، وهى لا تدرى قيمتهـــا ، اذ لا تعدو عند كل جهة على حدة، اوراقا رسمية فرغت منها حاجة الحـــكومة ، وفقدت قيمتها كمستند ، يقيم الحقوق، ويعين على اصدار الاحكام ، ولم يحتفظ بها الا من باب الاحتياط والتوقى، فقد تقوم اليها الحاجة بعد ذلك ..

وقد عددت المذكرة هـــذه الجهات فذكرت القصر الملكى ، ومراســـيمه ، وبراءاته ومراسلاته .. وقد كانت هذه الاوراق الهامة ، فى حين من الزمن ، مكتوبة كلها باللغة التركية ، ومع ذلك كانت لها قيمة لا تعدلها قيمة ، ابان عهد محمد على، ومن بعده حتى الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ ، فقـــد كانت (السراى) ، أى القصر الملكى ، هى الحكومة بكل فروعهـــا الداخليـــة والخارجية ، ومن ثم فقد تجمـــع فى اقسام محفوظاتها المعاهدات ، ومراسلات الدول الموالية والمعادية منذ ولى سدة مصر ، الحاج محمد على باشـــا الكبير، حتى وقعت مصيبة الاحتلال البريطانى.

وقد راى الملك فؤاد أن يسند الى الاستاذ أسعد رستم ، استاذ التاريخ الحديث فى الجامعة الامريكية فى بيروت، أن يدرس وثائق السراى الملكية بالتركية وباللغات الاجنبية الخاصة بعهد محمد على ، وينشرها مبوبة ومحققـــة ، مع التعليق عليها ، ففعل الاســتاذ اللبنانى ما طلب منه ، ونشرت السراى عـــددا من المجلدات الحاوية لبعض هـــذه الوثائق .

تشريع لباطن هذا المجتمع

وكانت المحكمة الشرعيـــة فى مصر منسية تماما باعتبار دار محفوظاتها التى تضـــم عشرات الالوف من حجج وقف العقارات من أطيان زراعية ومثـــله فى القاهرة وريف مصر ، على مدى بضعة قرون ، مع العطايا والهبات ، وأحكام هذه المحاكم بالزواج والطلاق ، والعتق والرق ، والحجر للســـفه والعتـــه — ليست سوى جهة قضـــاء ، ولا ينفـــع نظر المؤرخ اليها ، والتامل فيها ، الا ان هذا النظر ثبت خطؤه ، اذ تبـــين ان كثيرا من تطورات السياسة والحكم ، قـــد انعكس فى حـــجج أوقاف الولاة والحكام ، وزوجاتهم ، وأصهارهم ، وفى حجج أوقاف كبار الاعيان الذين كانوا ينتمون الى السلطة أو يخاصمونها . وأن من الخطر أن نترك هذه الحجج ، ليتصرف فيها أولو الامر ، بعيـــدا عن الهيئات العلمية فى الجامعات ومراكز

البحوث ، وتبوب ، وتصنف وتستخرج منها حقائق تاريخية بالغة الاهمية ..

والجهة الثالثة من مصادر التاريخ هى محفوظات وزارة الخارجية ..التى تنطوى على المعاهدات والمراسلات الدولية والتقارير السرية المرسلة من السفراء واعوانهم فى الداخل والخارج ..

ثم محفوظات وزارة العدل التى تضم جميع القضايا السياسية الكبرى التى تعكس كل ما يجرى فى المجتمع بين الهيئات الحكومية من جهة ، والاحزاب والهيئات الشعبية من جهة ، وما يدور من صراع بين الاحزاب والتجمعات السياسية بعضها البعض . وهذه القضايا ليس ثمة أدق ولا اكثر حساسية فى البيان والعرض من القضايا ، وتحقيقاتها ، والدفاع العلنى والسرى الذى يجرى فيها .

واخيرا فان تقارير الشرطةالسياسية هى عملية تشريح للمجتمع ، أو تصوير بالاشعة لباطن هذا المجتمع ، وما تخفيه احشاؤه .. ولو جمعت هذه التقارير، وطبع كل ما يخص منها موضوعا فى حقبة من تاريخ مصر ، أو حقب ... لعرف المؤرخ من الغرائب التى لا تخطر له على بال ما يغير نظرته للتاريخ وللشخصيات التى توجهه ، وتلعب ادوارها على مسرحه .

وقد انقذ قانون الوثائق الصادر فى سنة ١٩٥٤ عددا من ملفات القضايا السياسية الهامة من ان تأكلها النار لتصبح رمادا . اذ ان التقليد الرسمى ان هذه الملفات تحرق بعد ١٥ عاما فقط ..

الا أن هذا القانون الخطير ، لم يقتصر على تقرير الحماية لهذه الوثائق الكبرى ، والمحافظة عليها ، واخضاعها لادارة مركزية ، بقصد الانتفاع بها كعناصر أساسية للتاريخ ، والمؤرخين، ولو اقتصر على ذلك وحده ، لكانت يده فى عنق التاريخ المصرى عظيمة ، ولكان من حق المؤرخين والعلماء ، ان يقرروا بأن نصل للعهد الذى فطن الى وجوب اصدار هذا التشريع ، واصدره ونفذه ولكن الواقع انه احتوى على حكم آخر يقضى بأن يكون من حق وزارة الارشاد القومى التى حلت محلها وزارة الثقافة الاستيلاء على ما يتركه عظماء المصريين من مذكرات وأوراق — ما عدا ما كان منها متصلا بالذمة المالية للمورث — وقد انقذ القانون بهذا الحكم عددا من أهم ما تركه زعماء مصر ، من مذكرات وذكريات ، كان الورثة يتنازعونها ، اما لشدة حرصهم على اظهار الولاءلصاحب هذه المذكرات والذكريات ، واثبات انهم أقرب الناس منه ، وأولاهم به ولما لمظنة امكان الانتفاع بهذه الاوراق فى سوق البيع والشراء ، او فى سوق السياسة بابتزاز ثمن اخفاء ما جاء فيها مما يمس الاحياء واسرارهم ...

وقد امكن بفضل هذا القانون انقاذ عدد من مذكرات عظمائنا وفى مقدمتها مذكرات وذكريات محمد فريد الرئيس الثانى للحزب الوطنى ، ومذكرات سعد زغلول ، وعبد الرحمن فهمى ، ومحمد على علوبة ، وفخرى عبد النور ، وعبد العزيز جاويش وهدى شعراوى ، ولا شك ان كل ما سيتركه عظماء مصر من هذا القبيل ، سيكون مقره دار الوثائق ، وسيوضع كل هذا لخدمة الباحثين فى الجامعات ومراكزالدراسات التاريخية فى هيئات البحث العلمى والنشر ..

امجاد ثورة ١٩١٩

وقد تميز هذا العهد ، بأن شهادات الماجستير والدكتوراه ، فى الاقسام التاريخية ، بعد أن كانت قاصرة على شخصيات العصور القديمة والوسطى، بدات تدور حول شخصيات التاريخ الحديث والمعاصر فبحث عصرنا هذا ، والذى سبقه مباشرة ، فى عشرات او

مئات من الرسائل التى اشرف عليها أساتذة كبار متخصصون ، بعد ان كان ما يكتب فى وقائع هذا العهد ، من قبيل التعليق السياسى المرتجل ، شفاء لاحقاد ، أو من قبيل التعسالم ، مع اطمئنان الكاتب أنه لن يجد من يصحح له خطأ ، او يرده عن افتراء ..

ولأول مرة بعد أكثر من ربع قرن، استأثرت ثورة سنة ١٩١٩ ، باهتمام الدارسين والباحثين بعد ان انقضى على انطفاء نارها ، وانطواء صفحتها بثلاثين عاما أو يزيد ، فقد بدات فى العقد السادس من القرن الحالى ، فى سلسلة طويلة من حلقات البحث والتحقيق لاحداث هذه الثورة المجيدة، وحاولت ان تحصى فى تحقيقها كل اشارة واردة ، ثم جمعت هذه الحلقات فى مجلد ضخم من القطع الكبير ، اشرفت على جمعه وتنشيطه ونشره لجنة من العلماء ، على راسها الدكتور عزت عبد الكريم استاذ التاريخ الحديث فى جامعة عين شمس الذى اصبح فيما بعد رئيسا الجامعة ذاتها، كما انتخب رئيسا لجمعية الدراسات التاريخية ، وبيع هذا المجلد بثمن بخس .

وفعلت جريدة الاخبار الشيء نفسه، فقد واصلت لمدة تزيدعن الشهرين نشر وقائع ثورة سنة ١٩١٩ ، وقد أسهم فيه كل من اسهم فى هذه الثورة او ادعى انه يسهم فيها من الاحياء او ابناء او احفاد او اصدقاء او زملاء ابطال هذه الحركة العظيمة ، وقد جمعت خلاصة هذه التحقيقات فى كتاب بقلم الاستاذ مصطفى امين بعنوان: ((الكتاب الممنوع)) وفى الحلقة السابعة بدات مجلة (آخر ساعة) سلسلة من حلقات البحث والتحقيق والتحليل عن ثورة سنة ١٩١٩ ، بقلم الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ، وقد امتازت هذه الحلقات بامرين اولهما المذاق الادبى لها ، والثانى دقة العالم المتخصص وقد جمعت ايضا هذه الحلقات فى سلسلة (اقرأ) التى تصدرها دار المعارف ..

هذا كله الى جانب عدد كبير من الكتب التى قام على نشرها الاستاذ الدكتور محمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة القاهرة فى مقدمتها كتابه عن مذكرات وخطابات المرحوم عبد الرحمن فهمى بك الذى نعده قائد ثورة سنة ١٩١٩ تحت زعامة سعد زغلول ، ودراسات اخرى عن هذه الثورة ، لم تر النور ، حتى قامت ثورة سنة ١٩٥٢ ..

ونحن لا نعدو الحق اذا قلنا ان هذه الثورة لم تظفر من الذين اسهموا فيها وعملوا معزعيمها سعد زغلول الا بكتاب واحد ، هو الكتاب الذى وضعه الاستاذ عباس العقاد عن سعد زغلول ، والذى وسمه بوصفه اياه بانه (سيرة وتحية) أما كتاب عبد الرحمن الرافعى عن هذه الثورة والمجلدين اللذين وقفهما على ما جرى فى أعقابها ، فقد كانت كلها حلقات من سلسلة التاريخ القومى، التى نذر عبد الرحمن الرافعى نفسه لكتابتها ابتداء من عصر الحملة الفرنسية حتى قيام ثورة سنة ١٩٥٢ ، وما جرى فى صدر أيامها .

وقد كان آخر ما كتب عن ثورة سنة ١٩١٩ ، الكتاب الذى وضعه المرحوم محمود سليمان غنام باشا عضو الوفد المصرى ، وأحد وزرائه ، وذلك قبيل وفاته فى العقد السابع من هذا القرن ، وقد حفزه على وضع هذا الكتاب ، الآراء التى أبداها كاتب هذه السطور فى ثورة سنة ١٩١٩ وزعامتها ، فظفر القراء بالكتاب الوحيد الذى كتبه أحد تلاميذ زعيم هذه الثورة الخالدة .

باكورة اعمال دار الوثائق

وقد نشطت شهية كتاب التاريخ المصرى الحديث وكلهم حائز على وثائقه، فنشر الدكتور محمد أنيس كتيبا احتوى على خطابات متبادلة بين الزعيم مصطفى

كامل ، وبين صديقه الاستاذ عبد الرحمن أحمد الذى كان وكيلا للديوان العربى للخديو ، وأحد كبار خريجى دار العلوم كما نشر الاستاذ عبد العزيز دنيا المراسلات المتبادلة بين مصطفى كامل أيضا ، وبين صديق صباه وشبابه المرحوم محمد فؤاد سليم الحجازى باشا الذى كان أول أمين عام للحزب الوطنى الذى انعقدت جمعيته العمومية قبل وفاة زعيم الحزب ومؤسسه وذلك فى ٢٢ من ديسمبر سنة ١٩٠٧ .وقد كشفت هذه المراسلات جانبا هاما من حياة الزعيم مصطفى كامل ، ومن تاريخ الحركة الوطنية •

وقد كانت باكورة أعمال دار الوثائق نشر المجلد الاول من أوراق محمد فريد وهو المجلد الذى يحوى مذكرات الزعيم بعد هجرته الى منفاه فى تركيا فى ١٢ من مارس سنة ١٩١٢ وستثنى بمذكرات سعد زغلول ، التى كانت الاساس لرسالتى الدكتور عبد الخالق لاشين (للماجستير والدكتوراه) عن دور سعد زغلول فى السياسة المصرية •

ولقد تعددت مراكز دراسة التاريخ المصرى الحديث او المعاصر،فنشأ مركز لدراسة وثائق هذا التاريخ فى كلية آداب القاهرة ، وآخر باسم « مركز وثائق تاريخ مصر المعاصرة بهيئة الكتاب »وكذلك بما يشبه هذا الاسم فى جريدة الاهرام •

وليس ثمة شك فى أن الدراسات التى صدرت لاول مرة حول فلسفة تاريخ مصر ، ودلالة الدولة ، وحول شخصية مصر ، قد ساعدت على خلق الوعى التاريخى ،وتأكيده ، وارهافه ،والارتفاع به عن الجزئيات الى الكليات ••

ولقد كان من اول ما وضع من هذا القبيل ، كتاب (تكوين مصر) الذى ضم عددا من محاضرات الاستاذ العالم المؤرخ الدكتور محمد شفيق غربال باللغة الانجليزية ثم ترجمتها الى العربية ، وكتاب الاستاذ الدكتور حسين مؤنس فى سلسلة اخترنا لك بعنوان « رسالة مصر » •

وهل من حقى أن أذكر هنا على استحياء الكتيب الذى ضم محاضرات متواضعة القيتها فى الاذاعة عن تاريخ مصر الحديث وجمعتها دار المعارف فى حلقة من سلسلة اقرأ بعنوان : أخى المواطن • وفى هذه الفترة نشر الدكتور محمد حسين هيكل باشا مذكراته السياسية عن الفترة السابقة للثورة فى مجلدين وهو عمل أدبى وسياسى وتاريخى لا نجد له ندا فى الفترة السابقة على الثورة •

ولقد اسهمت وزارة الثقافة بعملين جليلين فى هذا الصدد وأولهما مجلد بعنوان (كفاحنا ضد الغزاة) تناول تاريخ كفاح مصر ، ضد اعدائها وخصوم حضارتها ، منذ العهد الفرعونى ، حتى عهد الاحتلال البريطانى الذى بدأ فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ • ولم يكن هذا المجلد ، بيانا خطابيا متحمسا ، يشيد بحضارة مصر ، ومواقفها فى دفاع بناتها عنها ، وانما كان بحثا علميا صوره أساتذة التاريخ فى جامعات مصر، بروح العلم مؤيدا بأسانيده ومراجعه •

مهرجان لتاريخ مصر الحديث

أما العمل الثانى فهو مجلدان ضخمان يضمان مراحل الحضارة المصرية من عهد ما قبل الاسرات حتى منتصف القرن العشرين الميلادى ، ويتناول الحديث فى كل مرحلة عن وجوه الحضارة المصرية فى مجالات الدين والفن والأدب والقانون والموسيقى • ومدى تفاعل الحضارة المصرية بالحضارات الشقيقة فى الشرق الاوسط أخذا وعطاء ، ولا يمكن أن ينسى الدكتور جمال حمدان فى هذا الصدد ، وقد أنشأ لونا جديدا من دراسة جغرافية لتاريخ مصر ، وأثر موضعها العبقرى ، فى مجريات شئون العالم الحديث ، فقد استظهر فى هذه الدراسات روح مصر ، وكشف عن رسالتها الانسانية بأسلوب العالم والأديب معا •

فأنت اذا قلت بعد ذلك انه قد أقيم لتاريخ مصر الحديث مهرجان وأنه امتد طوال المدة من ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ حتى آخر سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، فانك لا تتجاوز الحقيقة ولا تعدوها ، وقد شمل هذا المهرجان الطويل المواكب ، والمتاحف ، واصدار الافلام ، والدوريات ففى ١١ من فبراير سنة ١٩٥٣ شيعت جنازة مصطفى كامل ، فى نفس اليوم الذى شيع فيه جثمانه حينما توفى فى ١٠ من فبراير سنة ١٩٠٨ واصطف الناس على جوانب الطرقات من مقر جريدة اللواء التى أصدرها الزعيم فى ٣ من يناير سنة ١٩٠٠ ، والتى كانت لواء ، ومنبرا،وبوقا ،ومدرسة ومعهدا لاعداد المقاتلين والمجاهدين • وعاشت روح الجهاد الأول ، وبعثت ذكريات الوطنية الغضة •

وفى نفس السنة فى ١٥ من نوفمبر سنة ١٩٥٣ شيع رفات محمد فريد من مقر اللواء القديم بشارع نوبار (ولسنا نسأل عن المفارقة) الى الضريح الذى أعد للزعيمين فى حى الخليفة ، وتجلات الذكريات عينها ، ومشى المصريون مرة أخرى ، وراء الجثمانين ، محاولة للوفاء لهما ببعض حقهما لتتصل حلقات التاريخ المصرى •

ثم أقيم للزعيمين متحف فى ضريحهما ضم ما أمكن جمعه من آثار ، تتناول الأوراق والملابس والأوسمة والكتب • وكان هذا أول متحف من نوعه يقام لعظيمين من عظماء مصر،ولا يزال المتحف قائما ، ولا تزال افواج من شباب الأمة يقصدونه ويلتمسون عنده المدد الروحى.

ثم اقيم لمختار متحف فى حديقة الحرية بالجزيرة ضم آثار هذا المثال العظيم ، الذى احيا فن استنطاق الجرانيت والبازلت ، بازميل الفنان المصرى ، على طريقة الفنان الفرعونى العريق ، الذى علم الانسانية كلها فن الحفر وقاد خطى الانسان نحو التعبير الانيق والرقيق لخلجات النفس الانسانية الدفينة بما هو يشبه الشعر رقة ولطفا وعمقا •

وأقيم تمثال لمحمد فريد ، بعد طول الاهمال ، وآخر لطلعت حرب ، وافرج عن فيلم مصطفى كامل ، بعد أن حبسته حكومة ما قبل الثورة • وتوالت حلقات سلسلة اعلام العرب ، التى قامت على اصدارها هيئة الكتاب التابعة لوزارة الثقافة وبقيت تماثيل العهد الملكى ، فى شوارع وميادين القاهرة والاسكندرية لم تنقل من مكانها ، ولم يمسها ماس ، كما بقيت اسماء شوارع العاصمة والاسكندرية وعواصم الوجهين البحرى والقبلى ، كما هى لم تتناولها يد التغيير والتبديل ، وتحدث من له قلب أو القى السمع وهو شهيد عن رجالات العهد القديم،سواء من كان منهم مصريا جديرا بالتوقير ، أو اجنبيا تذكر له يد فى التثقيف أو التعمير،واحيانا من كان عدوا لمصر ، عمل ضدها وأساء اليها كنوبار باشا الذى يحتل شارعا ضخما •

وليس فى ذلك شىء غريب فمصر هى موطن رواد التاريخ العربى والاسلامى ، بعد التاريخ القديم الضارب فى العراقة، عاش فيها ، وأنتج ومارس مواهبه العظمى زعيم المؤرخين والاخباريين ابن عبد الحكم الذى تتلمذ على يديه ونهل من مورده صف طويل من أكبر مؤرخى العرب والاسلام ، الذين انشأوا مكتبة عامرة بالموسوعات والمجلدات والآثار الأدبية والتاريخية نذكر منهم ، الكندى المتوفى سنة ٣٥٠ هجرية وصاحب « خطط مصر » •

والبكرى وابن دقماق والمقريزى وابن حجر وأبو المحاسن ، والسيوطى ، وابن اياس وقد بقيت روحهم تعطر جو مصر ، وجو القاهرة ، بروح الحب للتاريخ بعامة وتاريخ مصر بخاصة وتخرج اجيالا من المؤرخين الذين يهيمون بحب هذا الوطن الخالد ، ويبذلون اغلى ما يملكون من جهد وفكر وقدرات فى الجمع والفحص والتنقيب والمقابلة والمراجعة فى اسلوب، يجمع بين لطف الأدب وعمق العلم • ●

مطالعات ومراجعات

حول التأليف والمؤلفين

● محمد عبد الغنى حسن ●

● **من نعم الله على الفكر الانسانى انه هدى الانسان الى اختراع الكتابة والكتاب ، فبهما تسجل الأفكار وتقيد كلمة كلمة ، كما نطق بها صاحبها او ارادها فلا يتسرب اليهما تغيير او تحوير ولهذا أصبحت الأفكار اليوم بعد اختراع المطبعة وانتشار الكتاب على مقياس وسيع أقرب الى الضبط والدقة بعد ان كانت محلا لاختلاف الرواة او تزيدهم او تنقصهم .**

ولقد فطن الى قيمة التدوين والكتاب شاعر عربى قديم هو « ذو الرمة » من رجال العصر الاموى ، فقد قال يوما للراوية النحوى المشهور عيسى بن عمر: (اكتب شعرى ــ فالكتاب أحب الى من الحفظ .. ان الأعرابى ينسى الكلمة قد سهرت فى طلبها ليلة ، فيضع فى موضعها كلمة فى وزنها ثم ينشدها الناس . والكتاب لاينسى ولا يبدل كلاما بكلام ..)

وقد وفر المطبوع علينا اختلاف الروايات ، وخاصة فى الشعر الذى لا نجد نسخة خطية منه تتفق على رواية واحدة لأن التدوين بالرواية غير التدوين على عين المؤلف او الشاعر . فالراوية يغير ويبدل ، والناسخ يحرف ويشوه . وهكذا نجد روايات متعددة لديوان الشعر الواحد ، او للكتاب المخطوط الواحد على حين نجد الشعر بعد التدوين والتقييد والطبع لا يتسرب اليه اختلاف .

وقد دلتنى تجاربى فى القراءة أن كثرة الكتب المؤلفة فى موضوع واحد توسع أطراف الموضوع ، وتقدم مجموعة من الآراء الجديدة فيه ، فما زعم مؤلف أن كتابه هو الحكم الفصل فى الموضوع ، والا كان مغرورا .. لأن كتابا واحدا لا يمكن أن يلم بأطراف المجموع ويستوفى كل وجهات النظر .. ففى السيرة النبوية ــ مثلا ــ وصلت الينا من القديم سيرة ابن هشام ، وسيرة المؤرخ ابن كثير ، والسيرة الحلبية ، وامتاع الأسماع للمقريزى ، والطبقات الكبرى لابن سعد والروض الأنف للسهيلى ــ وغيرها ..

كما وصلت الينا فى الحديث كتب السيرة التى كتبها كل من أستاذنا الشيخ محمد الخضرى ، ومحمد رضا ، والدكتور محمد حسين هيكل ، ومحمد عزت دروزة ، وأمين دويدار ــ وغيرهم .

فهل يقال ان واحدا من هذه الكتب يغنى عن صاحبه أو يحل محله ؟ الواقع أننا نجد فى « امتاع الأسماع » ما لا نجده حتى فى سيرة ابن هشام ، وهو من أقدم المؤرخين للسيرة النبوية .

ومفتاح الهدى الى الكتب هو الفهارس المتنوعة لدور الكتب ، وقوائم المكتبات التى تتولى نشر الكتب وتوزيعها ،

والمعاجم الخاصة بالمؤلفات والمؤلفين ، « كمعجم المطبوعات العربية » ليوسف سركيس ولا غنى عنه لباحث « ومعجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ، وكالمعجم الموجز الذى وضعه المستعرب « فانديك » وأسماه : (اكتفاء القنوع بما هو مطبوع) على ان معجما لفنون التراث العربى وألوانه وتصنيفاته حتى القرن السابع عشر الميلادى لا يجوز أن تفوتنا الاشارة اليه ، وهو كتاب « كشف الظنون » للعلامة التركى المستعرب حاجى خليفة المتوفى سنة ١٦٥٧ م ، وهو يعد رائدا عظيما لكتب التراث العربى ومسجلا لها بعد البداية العظيمة التى بدأ بها « ابن النديم » الوراق العربى العظيم فى كتابه المشهور : (الفهرست) .

***

ولا شك ان أول محاولة علمية لتنظيم قوائم المكتبات ودور النشر فى الشرق العربى هى التى صدرت عن دار المعارف سنة ١٩٥٠ ، وكان من سوالف الأقضية أن ألقى الى عبء هذا العمل ، فقمت به عن محبة ورغبة . وزادت الأقدار فى عبئى فعهدت الى اكثر دور النشر فى مصر بعمل قوائمها المنظمة المنسقة المعرفة كتبها تعريفا دقيقا وجيزا .

وهذه الفهارس المتنوعة للكتب تسوقنى الى الحديث عن الفهارس الداخلية للكتب ذاتها ، أى الفهارس التى تحتوى على موضوعات الكتاب ومسائله . وقد انتهت الينا أعداد غير قليلة من كتب عربية لا فهارس لها . وكانت هذه الكتب يصعب الرجوع اليها للاستشهاد ببيت من الشعر ، أو الاهتداء الى علم من الأعلام ، أو مكان من الأمكنة .. فجاء المحققون المحدثون لكتب التراث العربى من أمثال الشيخ أحمد شاكر ، ومحمود محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، ومحمد أبى الفضل ابراهيم ، وعبد الستار فراج ، وعبد العزيز الميمنى ، وعلى محمد البجاوى . وحسن كامل الصيرفى ... وغيرهم ، فأضافوا الى دقة التحقيق ، ومقابلة النسخ عمل الفهارس العديدة المتنوعة لكل كتاب يحقق .

وأصبحنا نجد فى كتب «زهر الآداب» و « الوساطة » و « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى ، و «الأغانى» للأصفهانى و « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، وشرح ديوان الحماسة ــ للتبريزى أو المرزوقى « وازهار الرياض » للمقرى ، و « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، و « طبقات الشافعية » للسبكى ــ فهارس متنوعة للأعلام ، والأمكنة ، والقوافى ، والآيات والأحاديث ، والأمثال ، والأراجيز وغيرها وشجعنى هذا على ان اصنع لكتاب «حلية الفرسان ، وشعار الشجعان » لابن هذيل الاندلسى احد عشر فهرسا لموضوعات الخيل وأوصافها وأمراضها وشياتها وعدة السلاح والسيف والدرع والترس فكان هذا أول فهرس متعدد الأبواب والمسائل لكتاب فى المكتبة العربية ، مما جعل الزميل المحقق الأستاذ عبد السلام هارون يشير اليه ، ويشيد به فى كتابه الثمين عن (تحقيق النصوص ونشرها)

والحق ان كتاب عبد السلام هارون هذا كان اللبنة الاولى فى المكتبة العربية، اعقبته كتب ودراسات على راسها كتاب ((قواعد تحقيق النصوص)) للدكتور صلاح الدين المنجد

وقد يصادف المحققين لكتب التراث اوهام تتصل باسم المخطوط ، واسم مؤلفه، فيفطن بعضهم اليها ويصححها .. ويلجأ بعضهم الى الحدس والاستنباط والظن الذى قد يجرهم الى مزالق واخطاء.. واذكر ان المرحوم الشيخ احمد شاكر ذكر فى تقديمه لكتاب (لباب الآداب) لأسامة بن منقذ ان أسامة له كتاب (القضاء) ، وأنكر على من قال أن اسمه كتاب « العصا » ، وعلى رأسهم المؤرخ الدكتور فيليب حتى . ثم تبين أن اسامة له كتاب « العصا » ، وأن « القضاء » ما هو الا تحريف من النساخ للكلمة ...

واذكر أن كتاب «الذخائر والتحف» صدر سنة ١٩٥٩ بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، وفيه انه للقاضى « الرشيد بن الزبير » ، وجاء المحقق ليعرفنا بهذا المؤلف ، فأخذ يدور ــ على غير يقين ــ قائلا انه عراقى ، وانه كان فى خدمة « كاليجار » السلجوقى،

وانه هاجر الى مصر لان المذهب السنى هناك لم يوافقه ... واستنبط حول هـذا استنباطات غريبة « مجانية » للصواب وللحق وللتاريخ . فالرشيد ابن الزبير هو مصرى صميم من اهل اسوان فى القرن الخامس ، وكان شخصية بارزة عند الفاطميين ، وكان اسود اللون هو واخوه « المهذب » من شعراء مصر المعدودين فى العصر الفاطمى ...

ومن الطرائف المتصلة بالرشيد هذا ان المرحوم الدكتور سامى الدهان اسماه احمد بن الزبير المقرى ـ بالقاف ـ وصوابها : المصرى، نسبة الى مصر، **فانظر كم تجر الاوهام فى تحقيق التراث من مفارقات !!**

***

وما زالت المقدمات للكتب شيئا يميزها منذ ظهر فى عالم التدوين العربى اول كتاب . فالمقدمة تكشف عن منهج صاحبها وغايته من التأليف، على ان ذلك لا يمنع أن بعض الكتب ظهر بدون مقدمات ، كالكتب التى تعتمد على رواية الاخبار بالاسانيد ، مثل « فتوح البلدان » للبلاذرى ، وكتاب « الطبقات » لابن سعد ، و « الاخبار الطوال » للدينورى ، و « المعانى الكبير » لابن قتيبة . فهذه الكتب تدخل على موضوعاتها دخولا مباشرا بلا تقديم ولا مقدمات ...

وفى عصرنا الحديث ظهرت طائفة من الكتب بلا مقدمات ، ومنها : « عبقرية خالد » لعباس العقاد ، و «متنوعات» للجراح الدكتور محمد كامل حسين ، و « الامام الشافعى » للشيخ مصطفى عبد الرازق ، و « ابن رشد » للدكتور محمد يوسف موسى . وتصادفنا مقدمات وجيزة جدا لا تزيد على بضعة سطور . ومقدمات طويلة جدا تبلغ كتابا قائما بذاته .

ومن الكتب ما يقدم لها غير اصحابها .. وقد يكون ذلك التقديم « الغيرى » للتعريف بمؤلف بادىء او مغمور ، او للتعريف بكتاب ذى اهمية خاصة فى موضوعه ، او الوكالة عن المؤلف او المصنف فى التعريف به استحياء أن يتحدث هو عن نفسه ... والتقديم من الغير معروف وحاصل فى المؤلفات الاجنبية ،ولعلنا قد نقلناه عن الغربيين، فما أظن أن قدماء المؤلفين العرب كانوا يدعون لغيرهم كتابة المقدمات لكتبهم .

***

واذا كنا نصادف فى عالم الكتاب العربى مؤلفين أو مترجمين أو محققين للتراث ، فاننا نلتقى أيضا بعدد غير قليل من الكتب التى يسهم فيها مراجعون توضع أسماؤهم على أغلفة الكتب توكيدا لقيمة العمل الموضوعية وتوثيقا له . وهذه المراجعة غير مراجعة تجارب الطبع ، فهذه عمل لا يتصل بالتأليف أو الترجمة أو التحقيق ، ولكنه يتصل بتصحيح اوهام المطبعة وتحريفاتها ، واصلاح اخطائها . وأكثر ما تكون المراجعة الموضوعية فى مجال الترجمة والتعريب، أو فى مجال تحقيق كتب التراث .

ويحمل كثير من الكتب اليوم ظاهرة المشاركة فى التصنيف . وهى ظاهرة بكثرة فى العصر الحديث ، وان كانت جاءت على ندرة نادرة فى العصور الماضية ، كما وقع من الشقيقين الخالديين : سعيد ومحمد من رجال القرن الرابع ، حيث اشتركا فى تاليف ديوان شعرى لهما، كما شاركا فى تاليف بضعة كتب منها « الاشباه والنظائر »، و « التحف والهدايا » و « اخبار أبى تمام » وغيرها. ولقد كانت مشاركتهما فى ديوان شعر يحمل اسميهما عملا عجيبا التفت اليه أبو العلاء المعرى وسجله فى « رسالة الغفران » ، الا اذا استقل كل منهما بقصائد من نظمه، وهذا نادر عندهما . ومن المشاركات الشعرية فى عصرنا الحديث ما صنعه الشاعران الشقيقان : شبلى الملاط ، وتامر فى شعرهما ، فقد صدر لهما عن بيروت ديوان واحد .

وقد يضع المؤلفون اسماء مراجعهم فى اول الكتاب او فى آخره على السواء، الا ان بعض المؤلفين الآن يضع المصادر

والمراجع لكل فصل فى نهايته . كالذى نجده فى كتاب «الادب المصرى القديم» لسليم حسن المؤرخ ، وكتاب « الحملة الفرنسية » للدكتور محمد فؤاد شكرى . وهذه المصادر والمراجع ضرورية للباحثين ، على شرط الا يكون ذكرها على سبيل التباهى والتكاثر ...

ويتفاوت المؤلفون بين كثرة الانتاج وقلته تفاوتا عظيما . ومن العلماء والمفكرين من اهتم باخراج تلاميذ ونشر رسالته عن طريقهم أكثر من اهتمامه بالتصنيف . فالسيد جمال الدين الافغانى لم يوجه عنايته بالتأليف ، ولم يترك فى دنيا التصنيف كتابا ذا بال ، على حين كان المؤرخ السيوطى تعد مؤلفاته ورسائله بالمئات ما بين كبير وصغير ، حتى لقد بلغت عند بعض مترجمى حياته ستمائة مصنف ..

ومن أكثر المؤلفين انتاجا فى عصرنا الحديث الأساتذة عباس العقاد ، وطه حسين وميخائيل نعيمة ، وأحمد أمين وسلامة موسى ، وجرجى زيدان ، وعادل زعيتر ، وأحمد تيمور ، وولده محمود ، وتوفيق الحكيم ، ويوسف السباعى ، ونجيب محفوظ ، وشوقى ضيف ، واحمد الحوفى ومحمد عبدالمنعم خفاجى وأنور الجندى (المصرى)

وقد وزع بعض المؤلفين انتاجهم بين التأليف والترجمة ، لكل منهما قدر من نشاطه . ومن هؤلاء على أدهم ، وزكى نجيب محمود ، وحسين مؤنس ، والدكتور أحمد زكى ، ومحمد مندور ومحمد مفيد الشوباشى ، وعبد الرحمن بدوى . على حين أن هناك من وقف نشاطه كله على الترجمة والتعريب ، كما فعل المرحومان عادل زعيتر ، ومحمد بدران ،وهما من أساطين النقل والترجمة فى العصر الحديث . وقد حدثنى عادل زعيتر أنه كان يتهيب التأليف فلم يترك فيه كتابا واحدا ، على حين ملأ المكتبة العربية بكتبه المترجمة .

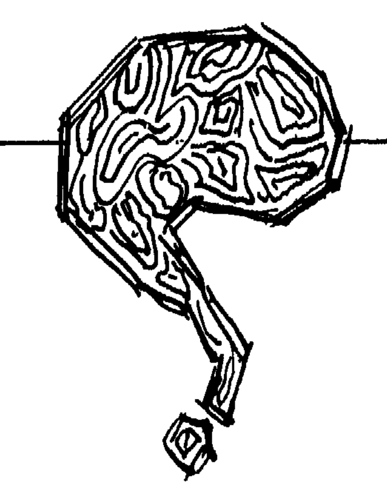
***

ومن حسنات العصور الحديثة الى المكتبة العربية والكتاب أن المرأة العربية قد شاركت الرجل فى التأليف والترجمة ، وفى الدراسات الجادة ، حتى فى ميدان تحقيق التراث . وعلى حين كانت اسماء: باحثة البادية ، ومى زيادة ، وعائشة التيمورية ، ووردة اليازجى من النوادر التى تثير الدهشة والاعجاب عند الرجال أصبحنا الآن لجد كثرة مألوفة — نرجو لها المزيد — من أسماء النساء المؤلفات أمثال : منيرة ثابت ، وبنت الشاطىء ، وسهير القلماوى ، وجميلة العلايلى ، وأمينة السعيد ، ونجلاء عز الدين ، وسيدة الكاشف ، ونفوسة زكريا سعيد ونادرة جميل سراج ، وفدوى طوقان ، وعاتكة الخزرجى، ونازك الملائكة، وثريا ملحس ، وصوفى عبد الله ، ووداد سكاكينى ، وزاهية قدورة ، وسميرة عزام ، وعزيزة مريدن ، وسلمى الحفار الكزبرى — وغيرهن .

ولا تزال تحقيقات بنت الشاطىء لرسالة الغفران للمعرى ماثلة امامنا مما يعد فخرا للمرأة العربية فى مجال نشر التراث . فقد تبين لى أنها لا تستهين فى تحقيقها للمخطوطات اعتمادا على الحافظة أو الذاكرة التى قد تخطىء وتصيب ، ولكنها تؤثر الرجوع الى المصدر لتكون على يقين مما تروى .

وكثيرا ما انزلق مؤلفون الى رواية آيات الكتاب الكريم خطأ لاعتمادهم على الحافظة ، حتى وجدنا تلك المزالق عند بعض القدامى .. وما اشد ما كانت تزعجنى تحريفات (الجاحظ) القرآنية الفظيعة فى كتابه « الحيوان » فهى تحريفات من عمله هو ومن اتكاله على الحافظة — لا من عمل النساخ ... ومن أخطائه القرآنية : (فلما أتوا على وادى النمل) ، وصوابها : (حتى اذا أتوا على وادى النمل) و (انى مبتليكم بنهر) وصوابها : (ان الله مبتليكم بنهر) و (ثم اسلكى سبل ربك ذللا) وصوابها: ((فاسلكى سبل ربك ذللا)) . وقد نبه الى هذه التحريفات الزميل المجمعى المحقق الأستاذ عبد السلام محمد هارون فى احد مصنفاته المباركة .

الاسلام



هل له تصور خاص في العلوم التجريبية

• د. محمد عمارة •

● من الظواهر الطيبة والايجابية التى يشهدها عالمنا اليوم : تعدد المؤتمرات الفكرية التى تعقد لدراسة حال الاسلام واحوال المسلمين، ولتدارس مستقبل الشعوب الاسلامية ومكانها بين الأمم والحضارات وموقعها فى خريطة الصراع العالمى ونصيبها فى الاسهام الحضارى بالمستقبل ، القريب منه والبعيد ...

تلك ظاهرة طيبة وايجابية ، لانها ثمرة الوعى بالذات ، الذى يلى الحصول على الاستقلال والتعرف على المواريث والامكانيات ، ولانها تعكس بلوغ الانسان المسلم المعاصر سن الرشد ودور النضج ، فلم يعد مبهورا ولا مندهشا بالحضارة الغربية ، يرى فيها التوحد والانفراد بطرح الحلول لمشاكل الانسان، ويعتقد أن صلاحها للعطاء الجيد والفعال خالد على مر الزمان ، كما اعتقدت اجيال مضت دون أن تلمس مابهذه الحضارة الغربية من سلبيات)).

لكن الشيء غير الطيب وغير الايجابى، أن العديد من هذه المؤتمرات الاسلامية ، على خطورة ماتطرح من قضايا ، وعلى اهمية ما تصدر من توصيات ، لا تلفت نظر الباحثين والمفكرين والنقاد الى الحد الذى يدعوهم الى تناول اعمالها بما تستحقه من جدية توازى خطورة ما يطرح فيها من تصورات ويتخذ فيها من قرارات ...

وهذا الموقف الذى يفتقر الى الاهتمام بهذه المؤتمرات ، ويفتقد الى الموقف النقدى الشجاع لما يطرح فيها من تصورات ، سيقودنا حتما الى احدى النتيجتين .. اما أن تذبل تلك الجهود، وتضيع ايجابياتها ، وتلك خسارة محققة . . واما أن نفاجأ بالاخذ

إن أبحاث العلماء، وممارسات المفكرين وتجربة الانسانية الحديثة - تؤكد أن الشك هو الطريق إلى اليقين، وأن الفروض والاحتمالات والخيال العلمي الجامح والشوق العلمي المعلق والحرية والمعاناة الطليقة من كل قيد - كلها خطوات لابد منها على درب الذين يبغون امساك الحقائق النهائية وبلورة النظريات.

بكثير من قرارات هذه المؤتمرات ، - التي تسهم فيها حكومات ، ويشارك فيها الكثير من ذوى المسئولية والسلطان - ويوما نكتشف ان العديد من هذه القرارات قاصر ، او ضار ، أو لا يعبر عن الفكر الذي تتطلبه حركة التطور والتطوير لعالمنا العربي والاسلامي من الواقع الراهن الى الوضع المأمول ...

ونكتشف يوما كذلك - بعد فوات الأوان - أن فكر هذه المؤتمرات لايعبر عن التيار المستنير والمتطور في عالمنا الاسلامي ، وان قراراتها وتوصياتها لاتصمد كثيرا ولا تعيش طويلا اذا هي عرضت على حقائق الفكر الاسلامي المستنير ، رغم انها قد اتخذت في مؤتمرات اسلامية ، رفعت عاليا رايات الاسلام . ..

وعلى سبيل المثال . . فالمؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي » الذي عقد بمكة - « ٣١ مارس - ٨ ابريل سنة ١٩٧٧ م ١٢ - ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٩٧ هـ » - قد مر انعقاده ومرت توصياته دون أن تحظى بالدراسة النقدية الجادة .. وذلك على الرغم من خطورة توصياته التي اصدرها ٣١٣ عضوا شاركوا فيه ، ومثلوا بمشاركتهم هذه أربعين بلدا اسلاميا، وبينهم العديد من القادة والمسئولين عن العملية التعليمية في العالم العربي والاسلامي . . وعلى الرغم من أن البحوث التي قدمت الى المؤتمر قد جاوزت المئة والخمسين !.

كل هذا الجهد ، بما فيه ، وبما له وما عليه ، قد مر دون دراسة جادة ودون نقد موضوعي يلقي الضوء على الاتجاه الذي تبشر به مثل هذه المؤتمرات ، ويسهم في بعث اليقظة الفكرية تجاه مايطرح في الساحة من حلول وما يقدم لهذه الامة من اطواق نجاة ! ..

الايجابيات ، والتناقض الذي يلغيها :

والى جانب الايجابية العامة التي يمثلها هذا المؤتمر ، كواحد من المؤتمرات التي تجسد وعينا بذاتيتنا الحضارية ، فلقد تحدثت توصيات المؤتمر عن تقسيم للعلوم سارت فيه على هدى الموقف الذي استقر عليه المفكرون العرب والمسلمون ، عندما قسموا العلوم الى علوم شرعية «علوم الشريعة » والأخرى غير شرعية . فكان من بين توصيات المؤتمر توصية تدعو الى تصنيف العلوم الى نوعين .

أ - العلوم القائمة على الوحي ، المتمثلة في علوم القرآن والسنة وما يستنبط منها ، مع ملاحظة اللغة العربية التي هي مفتاح فهم القرآن والسنة .

ب - العلوم الأخرى ، كالعلوم الكونية القائمة على التجريب ، وعلوم الآداب والاجتماع والتربية ، وما الى ذلك من المعارف المكتسبة .»

فى العلوم التجريبية

وتبع ذلك أيضا حديث المؤتمر فى « المفاهيم والتصورات والأهداف» عن أن « مصادر المعرفة فى التصور الاسلامى نوعان : أولهما : الوحى **وثانيهما : العقل .»**

لكن هذه الايجابية التى نسجلها لهذا المؤتمر قد عادت التوصيات الأخرى لتسلبها فعلا فاعليتها ، وتوالت القرارات التى تلغيها وتمحو آثارها ، وذلك عندما طرح المؤتمر ، وركز فى توصياته على تلك القضية الخطيرة : **قضية : علاقة الاسلام ، كدين ، بالعلوم التجريبية وما ماثلها من علوم لا تستمد أصولها ونشاتها من الوحى الالهى والسنة النبوية الشريفة ..**

هنا طرح المؤتمر هذه القضية الخطيرة ، واتخذ فيها اخطر القرارات، فمحا بذلك ما قدمت بعض توصياته من ايجابيات .

● **اغفال التمييز بين الاسلام كدين وبين الاسلام كحضارة .**

لقد عاد المؤتمر ، وهو يتحدث عن « المفاهيم والتصورات والأهداف »، فوقع فى الخطأ الفكرى الذى يخلط أصحابه بين ماهو دين وما هى علوم دينيةشرعية مصدرها الوحى وموضوعها أصول الدين وأركانه وعباداته ، وبين ما هو حضارة وما هى علوم اسلامية بالمعنى الحضارى موضوعها كل ماعدا موضوعات علوم الدين من ميادين للمعرفة الانسانية ومجالات لعقل الانسان ونظره وتدبره وتأمله .. عاد المؤتمر ليقع فى هذا الخطأ وذلك الخلط فقالت توصياته : « .. تلتقى علوم الشريعة مع الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس والاجتماع .. الخ فى انها كلها علوم اسلامية مادامت داخل الاطار الاسلامى ومتفقة مع تصوره ومفهومه وملتزمة بأحكامه وتعاليمه »

وزاد المؤتمر هذه الفكرة وضوحا عندما تحدث أن للاسلام تصورامحددا هو الذى يحدد « اسلامية » هذه العلوم غير الشرعية من عدم « اسلاميتها » !.. فقال : « ان للاسلام تصورا عاما شاملا تنبثق منه فلسفة تعليمية وتربوية قائمة بذاتها ومتميزة عن غيرها ، لذا فان نظام التعليم الاسلامى يجب ان يقوم على أساس هذا التصور الخاص المتميز »

ثم حدد المؤتمر ان نطاق الاشتراك والاستفادة مع غير المسلمين ومنهم فى هذه العلوم هو نطاق « **الوسائل** » فقط .. فقال : « اما الوسائل فلا ضير من الاستفادة منها فى التجارب البشرية الناجحة ، مادامت لا تصادم هذا التصور الاسلامى ولا تناقضه»!.

وبناء على هذا الفهم وانطلاقا منه كان تقييم المؤتمر لمدى تحقق«الاسلام» فى ميدان العملية التعليمية والتربوية فى العالم الاسلامى ، فكان حكمه بمجافاة هذه العملية للاسلام لابتعاد العلوم فيها عن التصور الاسلامى بل لقد اعتبر ان « **الواقع غير الاسلامى** » **فى المؤسسات التعليمية عند المسلمين هو أهم سبب لانعقاد المؤتمر ، فنصت مقدمة قراراته على « ان الاوضاع القائمة فى المؤسسات التربوية والتعليمية الحالية فى معظم بلاد العالم الاسلامى لاتمثل الصورة الاسلامية الصحيحة ، ولا تقوم بدورها الواجب فى تنشئة الاجيال على هدى الاسلام ، عقيدة وتصورا وسلوكا ، بالاضافة الى ما دخل فى التعليم من افكار وتصورات مناقضة للدين ومعادية له » ..**

ثم تأتى أكثر توصيات المؤتمر خطورة فى هذا المقام ، وهى التوصية الخامسة عشر ، فتطلب صياغة للعلوم التجريبية تجعلها «مؤمنة» بعد

إن الدعوة إلى "وصاية دينية" على العلوم غير الدينية بحجة أن للإسلام كدين، تصورا خاصا لما يجب ان تكون عليه حقائق هذه العلوم ونظرياتها هي دعوة تلغي تلك الحقيقة التي رسخت في تراثنا الإسلامي واتفق عليها أعلامه

ان « كفرت » أو كادت !.. تقول: « يوصي المؤتمر باعادة صياغة العلوم التجريبية صياغة اسلامية .. كما ينبه المؤتمر الى ضرورة تنقية مناهج تلك العلوم وكتبها المقررة مما يندس في ثناياها من افكار واتجاهات تصادم العقيدة الاسلامية او تخالف التصور الاسلامي الصحيح ، وضرورة الفصل بين الحقائق العلمية النهائية - وليس فيها ما يخالف العقيدة - وبين الفروض والنظريات العلمية التي لم تثبت نهائيا ، والتي قد تحتوي على مقررات مخالفة لمقررات العقيدة الاسلامية »(1)!

وفي التوصية الرابعة والثلاثين ، التي دعا المؤتمر فيها الى انشاء « المركز العالمي للتعليم الاسلامي » بمكة المكرمة ، حدد المؤتمر النموذج الذي يبتغيه للسياسة التعليمية الاسلامية المثلى ، فنص على انه يستهدف « رسم السياسة التعليمية على غرار الخطوة الرائدة التي قامت بها المملكة السعودية والتي تقوم على أساس التصور الاسلامي وتستمد اصولها من مصادره ».

تلك هي جوهر توصيات المؤتمر التي تعلقت بدراسة العلوم ، وبالعلوم التجريبية خاصة ، اى بالعلوم غير الشرعية ، وهي التوصيات التي انطلقت من فكر يرى ان من هذه العلوم ما هو اسلامي مسلم ومؤمن ، ومنها ما هو غير اسلامي ، فهو كافر ، ولا بد من اعادة صياغته صياغة اسلامية ، وكما فعلت المملكة العربية السعودية على وجه التحديد .

والامر الذي لانشك فيه ان هذه الدعوى وتلك الدعوة التي اطلقها « المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي » هي دعوى خطيرة . واهم من خطورتها انها ضارة . وايضا غير علمية ! .. ولا أدل على ذلك من ضررها المحقق بواقعنا الراهن ومستقبلنا المأمول ، ومن تناقضها مع تراثنا الاسلامي الذي ورثناه عن أعلام فكرنا الاسلامي في هذا الميدان ! ..

● هذه الدعوة .. وطموحنا العلمي ●

لا نعتقد ان هناك من يجادل أو يخالف في أننا ، في ميدان البحث العلمي ، متخلفون . متخلفون ، متخلفون ! .. سواء أكان النموذج الذي نقارن به حالنا امريكا أم أوروبا وسواء أكانت أوروبا الرأسمالية أم أوروبا الاشتراكية .. فالهوة التي تفصل بيننا وبين الامم التي تمتلك مراكز البحث العلمي وتتسابق فيه ، هوة سحيقة ، والتفكير في اتساعها يقلق ، بل ويخيف كل صاحب ضمير حي ومسئول من المعنيين بالعلوم وأبحاثها ، المدركين لخطر العلم في التقدم وصراع

(1) انظر النص الكامل لتوصيات المؤتمر بمجلة (المسلم المعاصر) العدد العاشر يونيه سنة 1977 م ص ١٤٩ - ١٦٢ .

الأمم والحضارات .. ويكفى ان نعلم ان طموح دوائر البحث العلمى فى بلادنا يكاد ان يقف فى معظمه عند هدف متابعة بحوث الآخرين والالمام بأنباء فتوحاتهم فى هذا الميدان ، وليس الاسهام فى الابداع والخلق ! .

ولكن الذين يمتلكون الوعى بنشأة الحضارات وتطورها ، ويدركون قوانين بعث الأمم ونهضاتها لا يصيبهم الهلع ولا يتطرق الى تفكيرهم اليأس من صورة الواقع الذى نحياه فى ميدان العلوم وابحاثها .. فقط ينبهون الى ضرورة ان نعى قانون التطور وشروط التقدم ومتطلبات الانطلاق لتعويض التخلف وتضييق الهوة . تمهيدا للحاق والسباق ..

فمنذ عدة قرون ، وفى أعقاب الاحتكاك العنيف بين الغرب وبيننا خلال الحروب الصليبية ، كنا نمثل نحن مركز التحضر والتقدم والاستنارة ، وكانت أوروبا ميدان الجهل والتخلف والبدائية .. ولكن أوروبا استثمرت فكرنا وتراثنا **واتخذت منه سبيلا لاكتشاف تراثها القديم الذى حفظناه نحن وطورناه فعرفت** ارسطو من خلال ابن رشد ، وتعرفت على مكوناتها الحضارية من خلال آثارنا فى الطب والفلك والرياضات والفلسفة والعلوم .. الخ . الخ ثم لم تلبث ان وعت ذاتها ، فاستقلت بالملامح التى ميزت حضارتها ، واصبحت صلاتها مباشرة مع تراثها دون وساطة من الفكر العربى الاسلامى ، وكانت تلك شهادة نضج شخصيتها الحضارية ، التى بدأت بها رحلة التقدم والاصالة ثم التفوق الذى نشهده الآن .

وعندما صنعت اوروبا ذلك لم تسلم مسيرتها هذه من التجريح ، ولم ينج روادها من الاتهام ، ولم يخل طريقها من العقبات ، بل الضحايا والتضحيات ! فلقد وقفت الكنيسة يومها موقف العداء من علوم العرب وفكر المسلمين ، ورأت فى هذه العلوم هرطقة « تصادم العقيدة المسيحية ، وتخالف التصور المسيحى للكون » ! فحرمت ابن رشد واحرقت كتبه وحكمت بالكفر على تلاميذه ... وسعت الى فرض وصايتها على دوائر الفكر والبحث العلمى ، بحجة ان للمسيحية تصورات محددة فى ميدان العلم ، تجعل بعض العلوم وبعض النظريات « مؤمنة » وتجعل البعض الآخر مجردا من « الايمان » ! .. وقصة الكنيسة مع نظريات : كروية الأرض ودورانها ومع بحوث الوراثة ، والنشوء والارتقاء . الخ . الخ أشهر من ان تحتاج الى تفصيل .

وهنا نتساءل : ماذا كان سيحدث لأوروبا لو فرضت على عقلها العلمى ومراكز البحث فيها قيودا من خارج نطاق مراكز البحث هذه ؟ هل كانت ستنهض من تخلفها ، ثم تدخل عصر نهضتها ، لتقفز الى مكانها الآن ؟! وماذا كان سيحدث لو نجح رجال الدين فى فرض وصايتهم ، فاستبعدوا هذه النظرية ، ومنعوا الاستمرار فى هذا البحث .. وطلبوا التوقف عن متابعة اختبار هذه الفروض « لأنها لم تثبت نهائيا ، ولأنها قد تحتوى على مقررات مخالفة لمقررات العقيدة .. » ؟!

ان جواب التساؤل واضح .. **ذلك ان الذين يعرفون شيئا عن « صناعة الفكر » ويمارسون البحث والخلق والابداع فى اى ميدان من ميادينه ، يعلمون جيدا ان أية قيود ، داخلية كانت او خارجية ، معلنة كانت او متوهمة ، انما تمثل مناخا غير ملائم للبحث والابداع ..**

فعندما تجىء توصيات « المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى » لتتحدث عن وجود تصور اسلامى للعلوم ؛ ولتطلب « اعادة صياغة العلوم التجريبية صياغة اسلامية » فاننا نتذكر ، مرغمين واسفين ، ذلك الصراع الذى عرفته اوروبا عندما أرادت ان تنهض ، صراع العلم واهله مع رجال الدين هناك ! .. ولن تجدى تلك التفرقة التى تقدمها

إن الذين يفهمون الإسلام بعقولهم يؤسسون إيمانهم على الحق والحقيقة، ومن ثم يدركون قوة حجة الإسلام كدين، فلا يخشون عليه من ثمرات العقل وإبداعه في مجالات العلوم، طالما هم يلتزمون التقاليد العريقة لحضارتنا في التمييز بين علوم النقل والدين وبين علوم العقل والتجريب!

توصيات المؤتمر « بين الحقائق العلمية النهائية .. وبين الفروض والنظريات العلمية التي لم تثبت نهائيا » واجازة دراسة الاولى واباحة تدريسها، لأنه « ليس فيها مايخالف العقيدة» وتحريم تدريس الثانية لأنها « تحتوى على مقررات مخالفة لمقررات العقيـــدة الاسلامية » ..

ذلك ان هذا الموقف يفترض فينا دوام الوقوف موقف المتلقي، لا موقف المشارك في البحث والابداع .. فعلينا ان نظل على تخلفنا، وان نسأل الاخرين: هل وصل البحث في هذا الفرع من فروع العلم الى مرتبة « الحقيقـــة النهائية » ؟ فان كان الجواب : نعم .. سمحنا بدراستها وتدريسها ،لأنه«ليس فيها مايخالف العقيـــدة » وان كان الجواب : لا ، فهي لا تزال فروضا وافتراضات، حرمنا النظر فيها ومنعنا تدريسها في مؤسسات العلم والتعليم. مع ملاحظة هامة، هي ان الذين يقررون لنا : اى البحوث صارت « حقيقـــة علمية » ، وايها لا يزال « فروضا » هم الذين يختبرون « الفروض » ويتعاملون مع « الافتراضات » حتى يستخرجوا منها « الحقائق والنظريات » اى هـم العلماء غير المسلمين فهم المرجع فيما ندرس ونبيح وما لا ندرس ونحرم .. ومن ثم فهم المرجع فيما سنعتبره غير مخالف لعقيدتنا، حتى وان لجأنا الى تاويل ظواهر النصوص لتتفق معـه، وفيما سنعتبره « مصـادما لعقيدتنـا ومخالفا لتصورنا الاسلامي الصحيح ؟»

ويزيد من خطورة هذه القضية ذلك الواقع الذى نعيشه، رغم منافاته لما تعارفت عليه تعاليم ديننا الاســلامي الحنيف .. فمعلوم أن الاسلام ينكر ان تكون لأحد من الخلق سلطة دينية على عقائد الناس وضمائرهم، وانـه ينكر الكهانة والكهنوت، ولا يعرف الدين « وظيفة » لنفر من الناس، على النحو الذى عرفته المسيحيـة واليهـودية من قبل، فليس في الاسلام « رجـل دين » لأن المسلمين سواء، يسعى بذمتهم أدناهم، وأفضلهم عنـد الله أتقاهم .. لكن الواقع قد صـــادم هذا الوضع « النظرى » المعلوم . لان تفرع العلوم وتشعبها، ونمو بحـوث العلوم الشرعية وتعقدها قد فرض على الحياة الفكرية ضرورة أن يتخصـص نفر من العلماء للبحث والتبحر في علوم الدين، فعرفت حياتنا الفكرية منذ قرون الفقهاء، والمحـدثين، والمفسرين، والمتكلمين ـ اى علماء الدين، ثم حدث ان استمالت نظم الحكم الجائرة بنفر من هؤلاء العلماء فاصبحت لفتاواهـم سلطة وسلطانا، وحـدث كذلك ان «قلد» بعض هؤلاء العلماء نظراءهم في المسيحية واليهـودية، فاصبحوا «رجال دين» واصبحت لهم ـ رغـم

نظرية الاسلام ونظرته ـ سلطة « رجال الدين » .. وصدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، اذيقول : « لتتبعن سنن الذين من قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع ، حتى لو دخلوا حجر ضب خرب لدخلتموه ! » (٢).

وهكذا نشأت في الاسلام ، على الرغم منه ، فئة احتكرت ، أو هي تجاهد لتحتكر ، الحديث باسمه ، والفهم لتصوره الخاص للكون ، ونظرته المتميزة للعلوم .. فاذا نحن اخذنا بتوصيات « المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي » فلابد لنا وان نستفتي فقهاءنا فيما هو مطروح في الساحة العلمية من نظريات وبحوث ، أيها يتفق مع التصور الاسلامي ؟ وايها يتصادم مع العقيدة ؟ .. وايها قد بلغ مبلغ الحقيقة حتى نقبله ، وان طوعنا النص لموافقته بالتأويل ؟ .. وايها لا يزال فرضا ، فنحرم دراسته الى ان يستخلص الآخرون ، الذين لا تقيدهم التصورات الاسلامية ، الحقيقة من هذه الفروض ؟ !

ولعل أكثر الالفاظ نعومة في التعبير عن تلك المأساة هي تلك التي تقول **اننا بذلك نستفتي غير المتخصصين ونخالف قول الله سبحانه : « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (٣) .** .. فالله سبحانه قد أمرنا ان نرجع عند الاختلاف في **الدين** ، اليه والى رسوله « **فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول** » (٤) والرسول الكريم قد طلب الينا ان نرجع الي عقولنا وتجاربنا ، كل في نطاق تخصصه وابداعه عندما تكون **الدنيا وعلومها** هي موطن البحث والخلاف والاختلاف ، وذلك عندما قال : « ما كان من امر دينكم فالي ، وما كان من امر دنياكم فأنتم اعلم به » (٥) .

فهي ستكون اذن مأساة ، نؤيد بها تخلفنا العلمي ، ونزيد الهوة بيننا وبين المتقدمين اتساعا ، ونزيد سخرية الاخرين منا فوق ما هي ! .. بل ونزيدهم سرورا عندما يطمئنون الى ان هذه الوصاية غير الواعية ستضمن لهم الامن من قرب بعثنا الحضاري الذي يخشاه منهم اولئك الذين وعوا تاريخ الصراعات الحضارية واولئك الذين يبصرون ما هو ابعد من مواطيء الأقدام !) »

وللذين لا يدركون ابعاد مأساة تلك الوصاية « الفقهية » على البحوث والدراسات « العلمية » نقدم مثلين اثنين ، ليتم عليهما القياس :

اولهما : ان الذين اطلقوا للعقل العنان كي يبحث في ميدان العلوم قد وصلوا بالعقل المتحرر وبحقائق العلم الى حيث وطئت أقدامهم سطح القمر ، وهم يعملون لما هو اخطر وابعد.. اما نحن فان وصاية «الفقهاء» تمنعنا حتى اليوم من استخدام العلم في تحديد توقيت ظهور القمر ! .. وما زلنا نتمسك بأن «العين المجردة» هي وسيلة « الرؤية » الوحيدة !.. وعندما طرحت القضية للنقاش في مؤتمر ضم الفقهاء ووزراء الاوقاف، عقد بماليزيا منذ سنوات رفض الفقهاء ان يمثل «العلم رؤية» بالنسبة للانسان ، وحسم مفتي احدى الجمهوريات العربية الامر عندما روى حديثا منسوبا الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، يقول فيه : « نحن امة امية ، لا نقرأ ولا نكتب » ! .. هكذا طلب المفتي ان نرفض العلم ، في هذه القضية ، لأنه فرغ من القراءة والكتابة ، والرسول قد حدد اننا امة امية لا نكتب ولا نحسب .. ولم يكلف هذا المفتي الفاضل نفسه ان يعرض مضمون هذا الحديث ، ليختبر صحته

(٢) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم ، وابن ماجة ، وابن حنبل .
(٣) النحل : ٤٣ (٤) النساء : ٥٩
(٥) هذا الحديث رواه مسلم وابن ماجة وابن حنبل

ومعقوليته ، على كل ما في القرآن والسنة من حض على العلم وتمجيد له ولأهله ، كما لم يكلف نفسه البحث في : هل هذا الحديث ، ان صح ، هو وصف لواقع قديم نهض الرسول وصحابته بتغييره ؟ أم هو تشريع يطالب من المسلمين، ان يلزموا الجهل ويبتعدوا عن مواطن العلم والتعليم . . . .

لقد ساد منطق الشيخ في مؤتمر ماليزيا ، وفيما تلاه من مؤتمرات وما زالت له السيادة في واقعنا . . ولقد ضاعت صيحات علماء الفلك والارصاد هباء ، لان الوصاية هنا هي للفقهاء ، نعم هم ((علماء)) في علوم الشريعة ، ولكن وصايتهم تعدت الى ((الفلك والحساب والارصاد)) ، فكانت تلك النتيجة ، التي هي ((مأساة وملهاة)) في ذات الوقت ! .. فهل نريد تعميم هذا النموذج بمد هذه الوصاية الى مختلف فروع العلم ؟!))

وثانيهما : ان «المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي » قد حدد لنا في **توصياته النموذج الذي يبتغيه ، ويطالب لشعوب الامة الاسلامية احتذاءه في دراسة العلوم وتدريسها .. ونحن نعلم ان هذا النوذج : تنكر كتب العلوم التي تدرس لطلابه الكثير من النظريات العلمية ، وتتجاهل عددا آخر منها .. تنكر وتتجاهل مثلا : كروية الارض ! .. ودورانها ! .. وقوانين الوراثة وعلومها ! .. ونظريات اصل الكون ! .. ونشاة الحياة على الارض ! .. والنشوء والارتقاء ! .. الخ .. الخ .. فهل نريد تعميم هذا النموذج في كل بلاد الإسلام ؟!**

وهل يستطيع باحث او مفكر او عالم ، يستشعر المسئولية عن وضع امته ، ويطمح الي ان تنهض لتعود ثانيا الي الساحة الدولية بعطائها الحضاري واسهامها الفكري والعلمي .. هل يستطيع هذا الانسان ان يري في ذلك الطريق السدرب الذي يلبي احتياجاتنا ، ويعوض تخلفنا ، ويلحقنا بمعسكر المتقدمين ؟!

أن الاتهامات العشوائية ليست من من شيمة الباحث الجاد او المفكر الاصيل أو العالم المسئول .. لكننا نتساءل ، وفي ذهننا الواقع الذي نعيشه والمستقبل الذي نأمله ، ووصايا ديننا الحنيف بأن نطلب العلم ولو بالصين - ولم تكن مسلمة - وبان الحكمة هي ضالة المؤمن ، اني وجدها فهو احق بها .. نتساءل : لماذا يدعو «المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي» الي أن نغلق دون عقولنا أبواب العلم والتعلم ؟ فبدلا من أن يدعو الى السياحة العلمية والانتشار في الارض والفضاء للدرس والنظر والتدبر ، كما امرنا الله سبحانه ، اذا بتوصيته الثامنة والعشرين تطلب :

« قصر ارسال البعثات الى الخارج على التخصصات النادرة - نظرا لمايتعرض له الشباب المبتعث الى الخارج من فتنة .. مع العمل على ايجاد جميع التخصصات في داخل العالم الإسلامي حتى يتم الاستغناء عن الابتعاث الى الخارج الا في حالة الضرورة القصوى » ! ..

ان هذه التوصية لم تجانبها فقط النظرة والروح والواقعية ، التي تؤكد أن التقدم العلمي والبحث العلمي، قد غدا يتطلب من النفقات والامكانيات ما يجعل الاستقلال فيه والاكتفاء ضربا من ضروب المستحيل .. تلك حقيقة الامر لدى المتقدمين فيه ، فما بالنا بالمتخلفين يتحدثون عن الاكتفاء : انها بالقطع دعوة الى مجتمع عصر المماليك والعثمانيين ، أي الي جاهلية عصورنا المظلمة ! .. فهل هذا هو النموذج الذي يبتغون ؟! وهل هذا هو طوق النجاة المنقذ لنا من التخلف الذي نعيش فيه ؟!

● **للبحث بقية** ●

رسائل إخوان الصفاء

بقية ما نشر في العدد الماضي

● د . كامل سعفان ●

● ويقـول : « ان المستشرق الالمـاني فريدرخ ديتريص قـد اتخـذ من هـذه الرسائل مرجعه الوحيد لكتابه الضخم الذى بلغت مجلداته ثمانية ، والـذى فيه دراسة الحكمة عند العـرب فى القرن الرابع الهجرى ، وان دوائـر المعارف الاوروبية وكتب المستشرقين قد اسهبت فى تحليل هـذه الرسائل واستكناه دررها وحل الغازها ، ومحاولة تبيين رموزها ، وتتبع ترتيباتهـا وتنظيماتها ، لأنهم جميعا قد اقتنعوا بأنها هى المرآة الصادقة لنضـوج الفكر الاسلامى ، بعد أن انتشرت حـوله المعارف الأجنبية المترجمة ، وعملـت عملها ، وآتت اكلها » ..

واورد قول الدكتور طه حسين : « لسنا نقول شيئا جديدا حين نقول : ان رسائل اخوان الصفاء هذه اشبه شىء بدائرة معارف فلسفية علمية ، جمعت كل ما لم يكن بد من تحصيله للانسان المثقف حقا فى ذلك العصر ، ولكنها جمعت ذلك كله على شىء مـن النظام يمثله الفهرست الذى قدم بين يديها » «١» .

هذان رايان متقابلان الى حدما .. التوحيـدى والبستانى ودى بور يقررون انها جملة تقول اعوزها الاختبار الجيد والنقد البصير ودقة التناول ، والدكتور غلاب يقرر انها قمة فى التراث مجهولة القيمة ، مع « ان دوائر المعارف الاوروبية وكتب المستشرقين قد اسهبت فى تحليل هذه الرسائل .. الخ ..

فما الراى لو انا طالعنا هذه الرسائل معا ، ووقفنا عند ما تقدمه لنـــا النصوص ؟!

٣ ـ هذه الرسائل ..

يقول كاتب الرسائل فى التعريف بها : « هي اثنتان وخمسون رســالة ، فى فنون العلم ، وغرائب الحكم ، وطرائف الأدب ، وحقائق المعـــانى ، عن كلام الخلصاء الصوفية ، صـــان الله قدرهم ، وحرسهم حيث كانوا فى البلاد .. وهى مقسومة اربعة اقسام : فمنها رياضية تعليمية ، ومنها جسـمانية طبيعية ، ومنها نفسانية عقلية ، ومنها ناموسية الهية » ص ٢١

« وهى اثنتان وخمسون رسـالة ورسالة ، فى تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق » .. ص ٤٣

« انها جلاء وشفاء ، ونور وضياء ، بل كالداء أن لم تكن دواء ، وكالفساد أن لم تكن صلاحا ، وكالهـلاك ان لم تكن نجاة ، تداوى وقد تدوى ، وتميت وتحيى ، فهى كالترياق الكبـير الذى هو فى نفسه وحده ، وتختلف الاحوال

(١٠) اخوان الصفاء ـ ص ١٧ و ١٨ و ٢٢ و ٢٣

عنده ، فيفعل الشيء وضده ، بحسب القوابل والمنفعلات عنه ، والحواصل والمتولدات منه ، بل مثلها الغذاء والضياء ، فان بالغذاء القوة والزيادة ، وبالضياء الإبصار والهداية » .. ص ٤٤ - ٤٥

وينبغي ملاحظة انه - مع حسن التقسيم والفهرسة بين يدي الكتاب - نجد طبيعة كتابة الرسائل ، وطبيعة الهدف من كتابتها ، وكون الكاتبين متعددين - كل هذا ساعد على يسر الحركة الفكرية ، بعيدا عن المنهجية بتاليف كتاب ، ومن ثم كان التداعي الفكري ، وكان التكرار .. وبالرغم من الشعور الذي قد يصل الى حد اليقين بأن هذه الرسائل أعيدت صياغتها بقلم واحد ، مما تكشف عنه خصائص التعبير ، فانها على الأرجح كانت بين يدي كاتبها رسالة بعد اخرى ، ومن ثم احتفظت بظاهرة التكرار التي كان يمكن تلافيها ، لو أنها تنوولت فى شكل كتاب ..

أ - المجلد الأول

: قوامه الحديث عن العدد ، وماتوحي به الأرقام .. فالواحد الذى قبل الاثنين هو أصل العدد ومبدؤه ، ومنه ينشأ العدد كله ، صحيحه وكسوره واليه ينحل راجعا » .. ص ٥٠ « ونسبة البارى - جل ثناؤه - من الموجودات كنسبة الواحد من العدد » ص ٥٣ .. « وكما أن الواحد أصل ومنشؤه ، وأوله واخره ، كذلك الله - عز وجل - هو علة الأشياء وخالقها وأولها وأخرها .. وكما أن الواحد لاجزء له ولا مثل له فى العدد ، فكذلك الله - جل ثناؤه - لا مثل له فى خلقه ، ولا شبه .. وكما أن الواحد محيط بالعدد كله ويعده ، كذلك الله - جل جلاله - عالم بالاشياء وماهياتها » - ص ٥٤ - ٥٥

ولاريب فى أن هذه الدعوى ظاهرة البطلان ، لأن علاقة الواحد بغيره من الأرقام قائمة على « التكرار » والتعدد اما علاقة الخالق بالمخلوق فقائمة على أساس « ليس كمثله شيء » ..

وتستمر الرسائل فى هذه «المغالطات قائلة :

العدد كله احاده وعشراته ومئاته والوفه ، أو ما زاد بالغا ما بلغ ، فاصلها كلها من الواحد الى الاربعة ، وهى هذه ٤٣٢١ ، وذلك أن سائر الأعداد كلها من هذه يتركب ، ومنها ينشا ، وهى أصل فيها كلها ، بيان ذلك انه اذا اضيفت ثلاثة الى اربعة كانت سبعة ، وان اضيفت واحد والثنان وثلاثة الى اربعة كانت عشرة » - ص ٥٣

لكن ، مادام الأمر مرتبطا باضافة ارقام أخرى ، فما مبرر الوقوف عند رقم بعينه ؟!

●● والحديث عن العدد يسلم الى الحديث عن « النجوم » .. ولعل الكلام عن النجوم يشعر بقدر كبير من المعرفة فى هذا المجال ، على حين اقتصر الحديث عن العدد على أوليات وسفسطات وطرائف ايضا ..

وجملة المآخذ على ماورد عن النجوم مردها الى الخلط بين معارف العلماء وأوهام رجال الدين ، وبخاصة الصائبة ، وبين ما انتشر فى المجتمع الاسلامى من خرافات واساطير عن طريق الفرس والهنود .

فالرسائل تدعى أن علم الفلك جاء به أدريس النبى ، اذ «يحكى عن هرمس المثلث بالحكمة ، وهو ادريس النبى ،(٢) عليه السلام ، انه صعد الى فلك زحل ، ودار معه ثلاثين سنة ، حتى شاهد جميع احوال الفلك ، ثم نزل الى الأرض ، فخبر الناس بعلم النجوم ، قال الله تعالى : « **ورفعناه مكانا عليا** » - ص ١٣٨ .

استشهد بالاية الكريمة فى غير موضعها .. لكن ماذا جاء به هرمس بعد مشاهدة « جميع احوال الفلك » خلال ثلاثين عاما ؟! يقول :

٢ - تذكر الرسائل ص ٢٩٧ أن هذا ورد فى السفر الرابع من صحف هرمس (!!)

« واعلم ان الارض بجميع ماعليها من الجبال والبحار بالنسبة الى سعة الأفلاك ما هي الا كالنقطة في الدائرة ، وذلك أن في الفلك ألفا وتسعة وعشرين كوكبا ، اصغر كوكب منها مثل الارض ثماني عشرة مرة ، واكبرها مائة وسبع مرات » — ص ١٦٦

« واجزاء الارض لما كانت كلها ثقيلة انجذبت الى المركز ،وسبق جزء واحد، وحصل في المركز ، ووقف باقي الاجزاء حولها ، يعني حول النقط ، يطلب كل جزء منها المركز ، فصارت الأرض بجميع اجزائها كرة واحدة بذلك السبب ، ولما كانت اجزاء الماء اخف من اجزاء الأرض وقف الماء فوق الارض ، ولما كانت اجزاء الهواء اخف من اجزاء الماء صار الهواء فوق الماء والنار لما كانت اجزاؤها أخف من اجزاء الهواء صارت في العلو مما يلي فلك القمر » — ص ١٦٢

مجرد كلام ، لاعلاقة له بالعلم ، وان اخذ صورته .

●● ثم ينتقل الى دور الكواكب في مسيرة الحياة ، فيقول :

« ان كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سمواته ، خلقهم الله تعالى لعمارة عالم ، وتدبير خلائقه وسياسة بريئة ، وهم خلفاء الله في افلاكه ، كما أن ملوك الارض هم خلفاء الله في ارضه، خلقهم وملكهم بلاده ، وولاهم على عباده ، ليعمروا بلاده ، ويسوسوا عباده ، ويحفظوا شرائع انبيائه ، بانفاذ احكامهم على عباده ، وحفظ نظامهم على احسن حالات مايتاتى فيهم، واتم غايات مايمكنهم من البلوغ اليها ، وافضل نهايات ما يصلون اليها ، اما في الدنيا واما في الاخرة ..

فعلى هذا المثال والقياس تجرى احكام هذه الكواكب في هذه الكائنات التي تحت فلك القمر ، ولها افعال لطيفة وتاثيرات خفية تدق على اكثر الناس معرفتها وكيفيتها ، كما تدق على الصبيان والجهال معرفة كيفية سياسة الملوك وتدبيرهم في رعيتهم » — ص ١٤٥

●● ثم ينتقل نقلة اخرى ، فماذا الملائكة المتجسدة في الكواكب تفارق اجسادها ، ولا ندري من أمر هذه الأجساد ،ماذا بقي لها في عمارة الكون .. يقول :

«فاجناس الملائكة هي نفوس خيرة موكلة بحفظ العالم وصلاح الخليقة ، وقد كانت متجسدة قبل وقتا من الزمان ، فتهذبت واستبصرت ، وفارقت اجسادها ، واستقلت بذاتها، وفازت ونجت ، وساحت في فضاء الأفلاك ، وسعة السموات ، فهي مغتبطة فرحانة مسرورة ملتذة ، مادامت السموات والأرض » — ص ١٤٢

●● وما دامت الملائكة خيرة مستبصرة فمن أين هذا الشر في العالم ، لابد من عنصر اخر يتمثل في العفاريت ومردة الشياطين ، لكنه لم يحدد فيم كانت الأرواح الشريرة متجسدة .. قال :

« واما عفاريت الجن ومردة الشياطين فهي نفوس شريرة مفسدة ، وقد كانت متجسدة قبل وقتا من الزمان ، ففارقت اجسادها ، غير متبصرة ولا متهذبة ، فبقيت عميا عن رؤية الحقائق ، صما عن استماع الصواب ، بكما عن النطق الفكري في المعاني اللطيفة ، فهي سابحة في ظلمات بحر الهيولي ، غائصة في قعر من الأجسام المظلمة ، ذي ثلاث شعب ، تهوى في هاوية البرزخ ، كلما نضجت جلودهم بالبلاء بدلناهم جلودا غيرها بالكون ، مادامت السموات والأرض » ص ١٤٣

واحسب ان من كان هذا حاله شغله ما هو فيه عن غيره،لكن مع ذلك،

فان للشر دورا فى الحياة الى جـانب الخير ، كيف يتم ذلك ؟ هنالك تفسير جديدة لطريقة التدبير الكونى ،

واعـلم يا اخى ان أول قوة تسرى من النفس الكلية نحو العـالم فهى من الأشخاص الفاضلة النـيرة التى هى الكواكب الثـابتة ، ثم بعـد ذلـك فى الكواكب السيارة ، ثم بعد ذلك فيمـا دونهامن الأركان الاربعة ،وفى الاشخاص الكائنة منها من المعادن والنبـات والحيوان ..

واعلم بان مثال سريان قـوة النفس الكلية فى الاجسام الكلية والجـزئية جميعا ، كمثال سريان نور الشـمس والكواكب فى الهواء ومطارح شـعاعاتها نحو مركز الأرض » .. ص ١٤٦

وبهذا تنتفى « الارادة »مع«الفعل»، ومن ثم لايكون داع للثواب والعقاب ، لكن الكاتب ـ وهو يختطف خطفة مـن هنا واخرى من هنالك ـ يعالج قضـية « الكسب والاكتساب »بطريقة اخرى، على اساس :

ان اخلاق بنيالدنيا هى التى ركزتها الطبيعة فى الجبلة ،من غير كسب منهم ولا اختيار ولا فكرةولا روية ولا اجتهاد كلفة ، فهم يسعون فيها ويعملون عليها مثل البهائم فى طلب منافع الأجسـاد ودفع المضرة عنها ، كما قال الله تعالى ذكره : « **ياكلون كما تاكل الانعـام ، والنار مثوى لهم** » .

واما اخلاق أبناء الآخـرة فهى التى اكتسبوها باجتهـادهم ، اما بموجب العقل والفكر والروية ، واما باتبـاع أوامر الناموس وتأديبه ، وتصـير عند ذلك عادة لهم يطـول الدءوب فيهـا ، وكثرة الاستعمال لها ، وعليها يجـازون ويثابون ، كما ذكر الله تعالى بقـوله : « **وان ليس للانسان الاماسـعى ، وان سعيه سـوف يرى ، ثم يجـزاه الجزاء الاوفى** » .

واعلميا أخى ـ أيدكالله وايانا بروح من عنده ـ بانك اذا انعمتالنظربعقلك وفكرت برويتك ، وتاملت أوامـر الناموس ونواهيه وأحكامه وحـدوده وترغيبه وترهيبه ووعده ووعيـده وزجره وتهـديده ـ عـرفت وتبينت أن أكثر اوامره هى بخلاف ما فى طبـاع الناس ، ونواهيه عما هو فى الجبلـة مركوز من تركيب الشهوات ، أو طلب الراحة والنعيم والتلذذ » ـ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ـ

خلط بين آراء ومفاهيم ،تبعد كثيرا عن دور الكواكب ، فالشر مـركوز فى الانسان « من غير كسب » ، والخـير يمكن « بموجب العقل والفكر والـروية و « او امر الناموس » هى «بخلاف ما فى طباع الناس » ..

ويسطو على الآيات القرآنية فيوظفها لصالح هذه الآراء والمفاهيم دون روية .. هذا مع ان ابسط المفاهيم الدينية تشير اليه الآية الكريمة : « واذ اخـذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهـم واشهدهم على انفسـهم : الســت بربكم قالوا : بلى » ... فالهـدى الالهى مستقر فى ذرات التكوين الانسـانى ، ومن ثم يصبح الشر طارئا ، نتيجـة التفاعل مع الحياة ومتطلبـاتها ، و « بموجب العقل والفكر والـروية » يمكن التحرر من هذا الشر الطارىء ، والا ففى « أوامر الناموس ونواهيـه واحكامه وحدوده وترغيبه وترهيبـه ووعده ووعيده وزجـره وتهـديده » ما يحول دون تجـاوزات صراعات الحياة ، او يخفف من تاثيرها ..

●● يستمر فى تاكيد مفهـوم « القدرية » ، وأن الانسان « مسـير لا مخير » ، فيقول :

« اذا اتفق للفلك شكل محمود من أوقات الزمان ، ويولد فى ذلك الـوقت عدة مواليد من اجناس الحيـوانات ومواليد الناس ، ولكن يكون بعضـهم من اولاد الفقراء والمساكين والمكدين ـ

فلايكون قبولهم لسعادة الفلك على سن واحد ، بل كل واحد منهم بحسب مرتبته ـ ص ١٤٩ .

حقا يكون المؤثر واحدا ، ومع ذلك تختلف درجات التاثير من شخص لآخر ، بل من وقت لآخر على وفق الاستعداد النفسى والعقلى في الدرجة الأولى ، لامن حيث كونهم ابناء ملوك اوابناء سوقة ، والا فما قيمة الصراع بين الأفراد وبين الطبقات ؟ وما دلالة ان يصبح اولاد الملوك سوقة واولاد السوقة ملوكا ، بفعل أحداث التاريخ ؟

●● والحديث عن الافلاك يؤدي الى الحديث عن الموسيقى ؛ لانه :

« لو لم يكن لحركات أشخاص الأفلاك أصوات ولانغمات ، لم يكن لاهلها فائدة من القوة السامعة الموجودة فيهم ، فان لم يكن لهم سمع فهم صم بكم عمى ، وهذه حال الجامدات الناقصات الوجود . وقد قام الدليل وصح البرهان بطريق المنطق الفلسفى ان أهل السموات وسكان الأفلاك هم ملائكة الله وخالص عباده ، يسمعون ويبصرون ويعقلون ويعملون ويقرأون ويسبحون الليل والنهار لايفترون ، وتسبيحهم الحان اطيب من قراءة داود للزبور فى المحراب ، ونغمات الذمن نغمات أوتار العيدان الفصيحة فى الايوان العالى » . . ص ٢٠٦

اى منطق واى فلسفة تقيم الدليل على صحة هذا القول ؟ واذا كانت الملائكة هى روح الأفلاك ، لأنها كانت متجسدة فيها ، فهل تسمع عنها وتتاثر بها تلقائيا ، او بطريقة الخفافيش التى تصطدم اصواتها بالاجسام فترتد ، لتحدد طريقا ؟!

الحقيقة ان كاتب هذه الاخبار التى لا يسهل على العقل أن يسيغها او يستريح اليها ، اخطاه التوفيق كثيرا ، لا فى ايرادها ، ولكن فى توثيقها بعبارات « اعلم يا اخى » ، وفى نسبتها الى انبياء والى علماء . . وقل ان لجا الى لفظ الحكاية او الرواية بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات **كان يقول ؛**

« ويقال ان فيثاغورس الحكيم سمع حركات الأفلاك والكواكب . فاستخرج بجودة فطرته اصول الموسيقى ونغمات الالحان ، وهو اول من تكلم فى هذا العلم ، واخبر عن هذا السر من الحكماء ، ثم بعده نيقو ما خس وبطليوس واقليدس وغيرهم من الحكماء » . . ص ٢٠٨

وجد فى هرس أول من علم عن الأفلاك ، ووجد في فيثاغورس أول من علم عن الموسيقى ، مع أن القول عن الأوليات هذه يتنافى مع بدائه الأفكار ، لكنها شنشنة « اخوان الصفاء » فى رسائلهم ، يقطعون ويجزمون فيما لاقطع ولا جزم فيه ! . .

●● ولا يكاد المجلد الأول يخرج عن هذا الخط الرئيسى ، وان كان القارىء يلتقى هنا وهناك بحديث عن شرائط التفسير للقرآن الكريم « ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ » ، أو عن آفات الشبع ، وخصال الزهاد « ص ٣٥ ـ ٣٦٠ » ، أوعن النشاة الآخرة « ص ٣٤١ » ، أو عن النشوء والارتقاء ، « ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ » ، الى كثير مما هو أشبه بالاستطرادات . .

● للبحث بقية ●

أحبتها

محمود ابو الوفا

أحببتها ، أحببتها ، أحببتها
وأحب في الأيام يومَ رأيتها
ووددتُ لو أني جمعت لها المنى
وأتيتُ بالدنيا لها ووهبتها
تمشي مفاتنها تلحنُ خطوها
الله فيما لحنت خطواتها
لم تكذب الرؤيا وقد فسرتها
وعن اسم هذا اللحن ،رحت،سألتها
لم أدر ما قالتهُ إلا بعد ما
كانت بمعصمها يدي ور فقتها
كل المنى في لحظة أنا نلتها
لما شعرتُ بأنني كلمتها
وكلامها .. إن قلتُ إن كلامها
نغمُ (الكمان) فقد أكونُ ظلمتها
إن لم تكنْ (فينوس) فهي مثالها
في موكبِ الربات أو هي أختها
الحسنُ ولاها على سينائه
وعلى الجمال أقامها ملكوتها
وأنا الكليمُ ، فهل عليَّ ملامة
ولقد عبدت الحسن لو ألهتها
ياليلة في العمر أحسب أنها
عدلت جميعَ العمر لو قومتها
منحُ الشباب جميعها ، استقبلتها
هذا المساء وللشباب منحتها
لم أبق صالحة تمنى عاشق
في عشقه المبرور إلا جئتها
والله لو بيدي لما ترك أمرؤ
ذو حاجة ، إلا له نولتها ! !

المرأة المسلمة والميراث

• د. احمد الحوفى •

● اجمع المفسرون للقرآن الكريم والمؤرخون للعرب قبل الاسلام ان المرأة العربية كانت مسلوبة حق الميراث، لان عرب الجاهلية لم يورثوا النساء والغلمان ، اى لم يكن حق الميراث الا لمن طاعن بالرماح، وذاد عن الحوزة، وحاز الغنيمة .. (١) .

وقالوا ان العرب بقوا على هـذا النظام الى ان مات اوس بن ثابت وترك ابنتين وولدا صغيرا وزوجة ، فجاء ابنا عمه فاخذا ميراثه كله ، ولم يتركا لامراته واولاده شيئا ، فقالت لهما : تزوجا اليتيمتين ، فابيا لانهما كانتا دميمتين ، فذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته ، فدعاهما ، فاحتجا بان ولدها لا يركب فرسا ، ولا يحمل كلا ، ولا ينكى عدوا . فقال رسول الله : انصرفوا حتى انظر مايحدث فيهن ، فانصرفوا .

حينئذ انزل الله تعالى الآية الكريمة : « للرجـال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، مما قل منه او كثر ، نصيبا مفروضا » . «(٢)»

ثم نزلت بعد ذلك الآية الكريمة : « ويستفتونك فى النسـاء ، قل الله يفتيكم فيهن ، ومايتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لاتؤتونهن ماكتب لهن ، وترغبون ان تنكحوهن ، والمستضعفين من الولدان، وان تقوموا لليتامى بالقسط ، وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما » . «(٣)»

ثم نزل قوله تعالى : «يوصيكم الله فى اولادكم ، للذكر مثل حظ الانثيين ... والله عليم حليم » . «(٤)»

* لكن هذا فى حاجة الى مناقشة وتمحيص :

١ ـ فلو أن حرمان المرأة من الميراث عرف عام عند العرب ما شكت أم كحة زوجة أوس بن ثابت انها واولادها قد حرمن الميراث ، بل ان هذه الشكوى

(١) تفسير الطبرى ١٨٥/٤ ، ١٩١/٥ والكشاف للزمخشرى ١٩٠/١ .

(٢) سورة النساء ٧

(٣) سورة النساء ١٢٧

(٤) سورة النساء ١٢ .

لاشك أن نظام التوريث في الإسلام قد استوفى العدل والإنصاف والرحمة جميعا ، لأنه فرض للمرأة نصف الرجل ، والرجل هو المكلف بالإنفاق على نفسه وعلى زوجته وعلى أولاده منها وإن كانت ذات مال .

تدل على أن أولياء الميت كانوا عادة يعطون الزوجة والبنات بعض ما ترك ، ولكنهم في هذه الحالة ضيقوا على الزوجة وعلى أولادها ، واحتازوا التركة كلها ، فلم تجد بدا من أن تستنجد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حكم القرآن الكريم فيصلا في موضوع الميراث .

٢ - ثم انني وجدت في تفسير الطبري نصا استنتجت منه ان الثروة كانت من نصيب الولد الاكبر وحده ، لأنه قال : فكانوا لا يعطون الميراث الا من قاتل ، ويعطونه الاكبر فالاكبر . ((٥))

وهذا النظام شبيه كل الشبه بالنظام الانجليزي المعمول به الى اليوم .

ومعنى هذا ان الذكور الكبار المقاتلين كانوا يفضلون على الذكور الصغار وعلى الاناث في تقسيم الغنائم والاسلاب والميراث ، لأن اعباء القتال وتبعات الثأر وحماية الحوزة كانت كلها على الرجال وحدهم دون الاطفال والنساء ، فلم يكن الحرمان من الميراث مقصورا على الاناث وحدهن .

٣ - واذا كان النظام العام الا ترث المراة ، فمن اين حصلت النساء على ما امتلكن من اموال ؟ وكيف صارت بعض **النسوة ثريات مشهورات بالثراء كالسيدة خديجة ؟**

ولقد أوصى القرآن الكريم برعاية اليتامى في أموالهم وحظر اكله بالباطل ، وحبب الى المسلمين زواج اليتامى وإعطاءهن صداقهن كاملا : **((وآتوا اليتامى اموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا)) . ((٦))**

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم باليتامى أصحاب المال خيرا ، وحذر الاوصياء من العدوان على مالهم .

ومن المعقول ان يكون بعض هؤلاء قد ورثوا قبل مشرق الاسلام ، وان يكون آخرون قد ورثوا بعد الاسلام ، لان القرآن الكريم ينص على ان اليتامى كان لهم مال قبل ان تنزل الآية : ((وآتوا اليتامى اموالهم)) وفي معنى الآية ان بعض الاوصياء كانوا ياخذون الجيد من مال اليتيم ، ويتركون لليتيم الرديء والخسيس مكانه ، فنهاهم الله عن هذا التبديل ، ونهاهم عن خلط مال اليتامى بمالهم ، حتى لا ياكلوه .

ولقد تشدد بعض الاوصياء في

(٥) تفسير الطبري ١٨٥/٤ .

(٦) سورة النساء ٢ .

تحرزهم ، حتى كرهوا ان يخالطوا اليتامى، فنزل قوله تعالى : « ويسالونك عن اليتامى ، قل اصلاح لهم خير ، وان تخالطوهم فاخوانكم » . «(٧)»

كذلك ينص القرآن الكريم على ان الاناث اليتامى كان لهن مال « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » . «(٨)»

والمراد كما روى عن السيدة عائشة ان تكون اليتيمة فى حجر وليها ، فيرغب فى مالها وجمالها ، ويريد ان يتزوجها باقل من صداقها ، فنهاهم الله عن هذا الزواج الا بالعدل فى الصداق ، او ان تكون اليتيمة ذات مال ، فلعل وليها ينكحها لمالها وهى لا تعجبه ، ثم يسىء عشرتها ، فنهاهم الله عن هذا . «(٩)»

٤ ــ ولقد عثرت على نصوص فريدة تكشف الحجاب عن هذه الحقيقة ، وهى ان المراة كانت ترث احيانا قبل الاسلام، وهى نصوص كالشعاع الذى يومض من خلال السحب الكثيفة ، يعلن ان الشمس ها هنا ضوؤها، لم يذهب كله، ولم تغرب الشمس .

انها نصوص كالاثر الوحيد الذى بقى سليما على عوادى الدهر وعوادى الناس ، فى اكداس من آثار مهشمة والواح محطمة ، ونقوش ممسوخة .

من هذه النصوص :

أ ــ قال ابن حبيب : ورث ذو المجاسد وهو عامر بن جشم بن غنم اليشكرى ، ماله لأولاده فى الجاهلية ، للذكر مثل حظ الانثيين ، فوافق حكم الاسلام . «(١٠)»

ب ــ وذكر ابن حزم الاندلسى ان عامر ابن جشم اول من أعطى الذكر حظين والانثى حظا . «(١١)»

ولم يكفل لهذا الاثر ان عامرا ورث بناته ، وانما كفل له البقاء انه فرى فريا عجبا اتفق مع ما شرع الاسلام فيما بعد ، ولولا هذا لضاع ما عمله عامر كما ضاع ما عمل غيره .

جـ ــ ووجدت الواقدى قد ذكر فى قصة ام كحة انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : مات بعلى ، فانتقل الميراث الى اخيه ، وبقيت بناته بدون مال ، ولكن انى للبنات ان يتزوجن اذا لم يكن لديهن مال ؟ «(١٢)» فهذه الزوجة تشكو الى النبى صلوات الله وسلامه عليه ان عم بناتها استاثر بمال زوجها ، وتستبعد ان يقبل احد على بناتها ليتزوجهن ولا مال لهن ، وتصرخ من استئثار الرجل بتركة اخيه .

ومعنى هذا انها كانت تتوقع كما يتوقع غيرها من هذا العم ان يترك لبنات اخيه نصيبا من تركة ابيهن .

د ــ ثم وجدت نصا فى الطبرى صريح الدلالة على ميراث البنت احيانا هو قوله : كان جابر بن عبد الله الانصارى ثم السلمى له ابنة عم عمياء، وكانت دميمة ، وقد ورثت عن ابيها مالا ، فكان جابر يمتنع من زواجها ، ولا يمكن غيره من أن يتزوجها ، مخافة ان يذهب زوجها بمالها ، فسال النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وكان ناس فى حجورهن فتيات ايضا ، فجعل جابر يسال النبى صلى الله عليه وسلم : اترث الجارية اذا كانت

(٧) تفسير الطبرى ١٥٢/٤ .
(٨) سورة النساء ٣ .
(٩) تفسير الطبرى ١٥٥/٤ وسنن ابى داود ٢٠٥/١

(١٠) المحبر لابن حبيب ٢٣٦ .
(١١) جمهرة انساب العرب لابن حزم ٢٩٠
(١٢) المغازى للواقدى ١٤

قبيحة عمياء ؟ والنبى عليه الصلاة والسلام يقول نعم . «١٣»

ولاشك ان هذه كانت قد ورثت فى الجاهلية ، بدليل ان جابرا رغب عن زواجها ، وعضلها ، وفى سؤال جابر للنبى اترث الجارية اذا كانت قبيحة عمياء ؟ دليل على ان مبعث الاستنكار او العجب انها مصابة بالعمى والدمامة، لا انها انثى .

هـ - كذلك وجدت ان ضباعة بنت عامر بن قرط ورثت من زوجها هوذة بن على الحنفى مالا كثيرا ورجعت به الى قومها . «١٤»

٥ - كانت المراة ترث اذا فى بعض الاحيان ،وكان قومها يحرمونها هذا الحق فى أحيان أخرى، ولكن التى كانت ترث لم تكن ذات حق معلوم مقرر كهذا الحق الذى حدده القرآن الكريم وانما ارجح ان بعض العرب كانوايسيرون مع المراة على نظام يشبه التخارج فى الاسلام ، فيرضونها بمقدار من المال قليل او كثير .

ومن هذا نستنبط ان المراة العربية تميزت من نساء العالم القديم ، لأنهن كن محرومات من الميراث فى قانون حمورابى والقوانين الاشورية ، ولم يكن لهم الا المهر يدفعه الاب لابنته ، فاذا مات قبل ان يمهرها منحها اخوتها جزءا من ريع ما خلف ابوهم ، اما العين فلهم وحدهم . «١٥»

وكانت المراة العبرية لا ترث قديما، بل كانت تورث كما يورث متاع الرجل، ثم ورثت البنت اباها فى عصر متأخر اذا لم يكن له أبناء ، فاذا كان له ولد ذكر حجبها فلا ترث شيئا . «١٦»

كذلك لم ترث المراة اليونانية ، فاذا مات أبوها ورثه اخوتها وان لم يكن لها اخوة تزوجت اكبر الوارثين الاقربين . «١٧»

ولم ترث المراة الحبشية ، مخافة ان ينتقل المال الى الاجانب ، الا اذا فقد الورثة من الذكور الى الدرجة السادسة . «١٨»

اما الاسلام فانه كفل للمراة فى التركة حقا معلوما مقررا مقدرا مفروضا لا يصح العدوان عليه .

ولاشك ان نظام التوريث فى الاسلام قد استوفى العدل والانصاف والرحمة جميعا ، لأنه فرض المراة نصف الرجل ، والرجل هو المكلف الانفاق على نفسه وعلى زوجته وعلى اولاده منها وان كانت ذات مال .

وهو مكلف البذل فى وجوه اخرى لا تكلفها المراة .

فالاسلام اذا سخى فى فرضه للانثى نصف الذكر .

وحسبنا شهادة العلامة جوستاف لوبون فى قوله : يظهر من مقارنة الاسلام بالقوانين الفرنسية او الانجليزية ان الشريعة الإسلامية منحت الزوجات والنساء - اللاتى يزعم بعض الناس ان المسلمين لا يعاملونهن بالمعروف - حقوقا فى الميراث لا مثيل لها فى قوانين فرنسا او انجلترا . «١٩»

(١٣) تفسير الطبرى ١٩٣/٥ .

(١٤) اشعار النساء للمرزبانى ٢٢ .

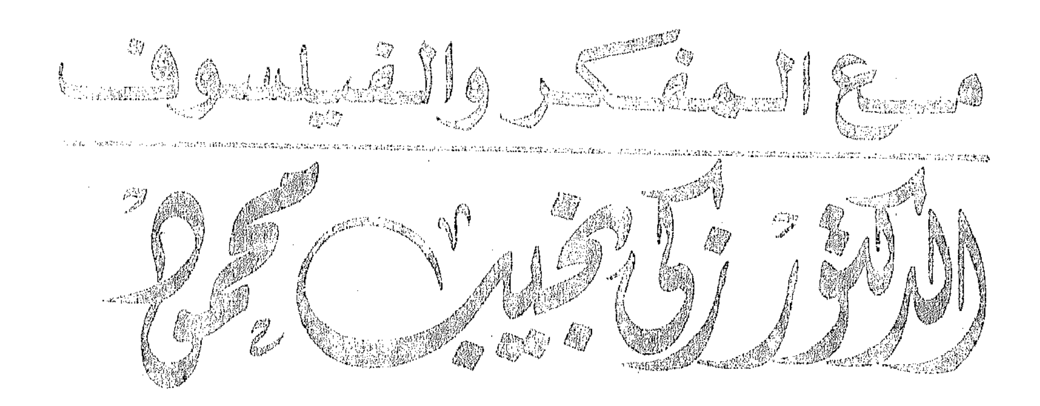
(١٥) النظم الاجتماعيةوالسياسية ١٧١ محمد جمعة .

(١٦) سفر العدد - اصحاح ٣٦ آية ٨ ، ٩ .

(١٧) المراة فى التاريخ والشرائع ٧٤ محمد جميل بيهم .

(١٨) مقدمة الحضارات الاولى ٦٩ جوستاف لوبون .

(١٩) حضارة العرب جوستاف لوبون ٤٧٢ .



● حوار اجراه : عادل عبد الصمد ●

● اتفق جميع المفكرين فى كل العالم على أن هناك علاقة ما ، فنية وفكرية ، تربط جميع الكتاب والأدباء على مر الأجيال .. هذه العلاقة هي الدعوة الى اصلاح المجتمعات الانسانية من اجل تحقيق المزيد من الحب والخير والرفاهية لكل الناس .

ومما لاشك فيه ايضا ان الرواد على اختلاف العصور لا تختلف عليهم الشعوب بل يكاد ينعقد الاجماع على زعامتهم وريادتهم . والقيادة الثقافية والفكرية لا تتحدد بالظروف او تتاثر بمواقف ، وانما هي نتاج فكرى يتالق ويتجدد على مدى العمر ..

ومن هذا المنطلق أود أن نضع ايدينا على ذلك الخيط الفكرى والفني والأدبي والفلسفي لأستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود الذى اقيمت على يديه جسور هامة بين الفكر الأوروبي والفكر العربى ، وصاحب الثلاثية المشهورة .. تجديد الفكر العربى » ـ و « المعقول واللامعقول فى تراثنا » ، و « ثقافتنا فى مواجهة العصر » حيث كان الغرض الأساسى من تلك الثلاثية هو دراسته كل شيء بموضوعية .. لا نقدس الماضى ، ونضفى عليه جلالا لانه « ماضى » فقط .. ويجب الا نتجه الى الحدث وندبر ظهرنا للتراث ،ولكن لابد ان نأخذ من الجديد جدته وطرافته ونأخذ من القديم ثراءه ، بلا خوف ولا وجل .

ومن ذلك بدأنا الحوار مع الدكتور زكى نجيب محمود ، حول كثير من القضايا التى شملت جميع أوجه مجالات حياتنا الثقافية فى العلم ،والفن والأدب والنقد والفلسفة والسياسة والتعليم .

وكان بداية الحوار مع الدكتور زكي نجيب محمود حول قضية تشغل اذهان الكثيرين فى الوقت الحاضر سواء فى الغرب أم فى الشرق ، ونقصد بذلك ، الرأى الذى يرى ان ما اصاب الانسان فى الوقت الحاضر من محن واضطرابات وقلق انما يرجع الى التقدم الهائل فى العلوم والتكنولوجيا.

فيقول الدكتور زكي نجيب محمود

كثيرا ما اقع على مثل هذا الراى عند

الثقافة فى صميمها هى وجهة نظر فى الحياة يراها المثقفون من خلال التصورات التى تتكون لديهم من وسائل التثقيف التى أهمها الأدب والفن والدين.

الكتاب في أوروبا وأمريكا ، لأنهم وجدوا ان عصرا طويلا لا يقل عن مائتى عام قد انقضى على الانسان وهو يغوص الى ام راسه فى العلم واجهزته التى ملأت كل ركن من كل منزل . ولكنهم ــ اعنى هؤلاء الكتاب ــ يلاحظون ان الانسان ليس اسعد حالا مما كان عليه قبل هذا العصر الاخير الذى امتلأ بنتاج العلوم ، ولذلك ترى كثرتهم الغالبة يفضلون ان يوقف الانسان هذا الزحف العلمي والتكنولوجي ليرتد بعض الشيء الى طبيعته وهى فى طمأنينة الهدوء ، وذلك ما يقوله كثيرون فى الغرب عن العلم والتكنولوجيا ..

ولكنى اعجب عجبا اشد اذا قاله كاتب مصرى أو عربى أو من أى بلد آخر مما يسمونه بالعالم الثالث ..

فاعجب اولا من هذا الرأى عند الكتاب الغربيين انفسهم ، لأن العلم والتكنولوجيا حررت الانسان بدرجة لم يحلم بها فى اى عصر مضى ، فلم يعد الانسان يحمل الاثقال كالدواب ، كما كان يحملها قديما ، ولم يعد الانسان يعمل عددا من الساعات تملأ نهاره ومعظم ليله كما كان يفعل قديما ..ولم يعد الانسان يجد بينه وبين اخيه الانسان ذلك التفاوت الشديد الذى كان بين الناس قديما اذ هو الآن مهما بلغ من التواضع ، فهو يملأ فراغه امام التليفزيون والراديو تماما كما يملأ فراغه أغنى الاغنياء ، وهكذا ...

ثم لابد أن نضيف الاجهزة الطبية مثلا التي هي جزء من التكنولوجيا الحديثة ، والتى لولاها لما نعم الانسان بما ينعم به اليوم ، ثم نضيف وسائل النقل الحديثة وغزو الفضاء ، فكل هذا واكثر منه هو ثمرات التكنولوجيا، فكيف يتمنى الكاتبون فى الغرب أن لم تكن هذه التكنولوجيا فى حياتهم ... ومع ذلك فربما اتخموا علما واتخموا اجهزة ، فحق لهم ان يأخذهم الملل والضجر ...

اما نحن ابناء العالم الثالث فلم نخط بعد على عتبة الحضارة العلمية ، ونكاد لا نخطو خطوة جريئة نحو استخدام التكنولوجيا فى حياتنا كما يفعلون فى الغرب ،فليس من حقنا ان نتعجل رأيا كهذا لانفسنا . . واولى بنا ان نتمنى لانفسنا مزيدا من العلم ومزيدا من التكنولوجيا .

● رؤية المستقبل المنشود ●

ثم ننتقل بالحديث الى دور المثقفين، ونوعية الثقافة التى يجب أن ندعو اليها ، حيث اننا نعلم أن الثقافة تتغير معانيها مع تعاقب العصور ..

فيقول الدكتور زكى نجيب محمود :

الثقافة فى صميمها هي وجهة نظر للحياة يراها المثقفون خلال التصورات التى تتكون لديهم من وسائل التثقيف التى اهمها الادب والفن والدين ، فاذا كان الامر كذلك



وضح لنا ماذا تكون مهمة المثقفين، فهى نشر التصور الجديد الذى يمكن ان تكون عليه حياة الناس ، نشره على ارسع نطاق ممكن ، ليكون بمثابة التمهيد الذى يتلوه التغيير الفعلى فى حياة الناس ، كان المثقفين يسبقون الى رؤية المستقبل المنشود ويرسمون صورته امام مواطنيهم .

واما الصورة الثقافية التى اراها احق بالدعوة اليهــا فى مصر ، فهى صورة تمتزج فيها ثقافة الحضارة العلمية الصناعيه الحديثة مع الركائز الأساسية التى ورثناها من اسلافنا سواء المصريين القدماء منهم ام العرب لاننا ننتمى اليهما معا .

هذا المزج بين الثقافتين فى وحدة واحدة قد تجسد بالفعل فى بعض اعلامنا ونريد له الآن ان ينتشر ليكون هو ثقافة الشعب .

ويستمر حديث الدكتور زكى نجيب محمود متدفقا مفندا الرأى القائل «بانه ليس هناك ما هو أشد خطورة على الفنان من مبالغته فى تقدير اهمية الفن ـ بقوله :

انني لا اوافق على هذا الراى فى الفن ، لاننا لا نستطيع أن نبالغ فى أهمية الفن ، فمهما بالغنا فى أهميته فسنظل مقصرين فى تقدير تلك الاهمية على حقيقتها ، ويكفى ان نعلم ان الفن فى مجموعه هو عالم يخلقه الانسان لنفسه ليستريح فيه من عناء عالم لم يخلقه لنفسه ، بل فرض عليه فرضا ، فنحن مثلا فى ساعات العمل التى نكسب منها أقواتنا . انما نعمل فى شبه سخرة لاننا مكلفون بما قد لا نحب ان نعمله لولا ضرورات العيش ولكن تلك الساعات التى تقضيها فى الفن مختارين لا اجبار علينا ، وعندئذ كما قلت نعيش حياتنا كما نريدها وكما ابدعناها لانفسنا

● من ذات انفسنا ●

وننتقل الى الفن الدرامي الحديث فهل هو تطوير للفن الدرامي القديم .. أم هو ثورة عليه .. فيقول :

هو كلاهما معا ، فهو تطوير للفن الدرامي القديم من جهة لانه هو وذلك الفن الدرامي القديم اجزاء من **سلسلة تاريخية واحدة حيث تؤدى حلقات السلسلة بعضها الى بعض، ولكنه فى الوقت نفسه ثورة عليه ، اذ لا نتوقع من اي عصر الا ان يكون ذا شخصية مستقلة تعبر عن نفسها فى فن درامي مختلف عن الصور السابقة وبصفة عامة نقول مثلا انه بينما كان الفن الدرامى عند اليونان يصور الحوادث وكان اصبعا من القدر يتدخل فى مجراها ويرغمها على مسيرة معينة فى غفلة من الناس، ثم جاء الفن الدرامي عند «شيكسبير» ايام النهضة الاوروبية فجعل مسار الحوادث وليدة التكوين السيكولوجى الباطنى للافراد ، فليس هو قدر مفروض من الخارج ، بل هو اندفاعة نابعة من الداخل واظننا نتذكر العبارة التى وردت عند « شيكسبير » فى مسرحية « يوليوس قيصر » عندما قال البطل مخاطبا بروتس « ان الخطا ياصديقى بروتس انما ينبع من ذات انفسنا ولا يهبط علينا من انجم السماء » .**

ثم جاء عصرنا الحاضر فادخل محورا جديدا للفن الدرامى اذ لم يعد يتصور البطل قائدا عسكريا او حاكما او « امبراطوريا » ، ولكن قد يتصور بائعا متجولا او خادما او غير ذلك .

وهنا يمتد الحوار مع المفكر والفيلسوف حول قضايا الفكر العربي المتعددة ، ونطرح السؤال التالي « لقد كان لكل من لطفي السيد ، والدكتور هيكل ود . طه حسين ، والعقاد وغيرهم من اعلام الفكر السياسي مكانته المرموقة في ميادين الفكر الأخرى .. أما اليوم فنرى عكس ذلك المفكر الناقد والمفكر في مجال الفلسفة او في مجال القضايا الاجتماعية والاقتصادية ، ولا يكون له شأن ملحوظ في الكتابة السياسية ، فما تعليلكم لذلك في ضوء معاصرتكم لهذه الاجيال ؟

يقول : هذا صحيح ، وتعليله ان في العشرينات التي ظهر فيها هؤلاء الاعلام جميعا، كانوا هم الذين يعرضون الفكر السياسي وينقدون ما يتراءى لهم ان ينقدوه .. اما المرحلة الراهنة بحكم ظروف التغيير العميق الذي جاءت به ثورة ١٩٥٢ من حيث الارتفاع بالايدي العاملة من فلاحين وعمال مما لابد ان يجيء معارضا لمصلحة اصحاب الأرض والمال ، فكان من الضروري أن يوضع الفكر السياسي تحت مراجعة حتى لا يبلبل الأفكار نحو التغيير الجديد ، ولا غرابة ان نجد مثل هذا الفكر السياسي يتولاه المسئولون عن الدولة ويتلقاه المفكرون بالشرح والتحليل .

ويجيء دور الحديث عن الاديب ودوره في المجتمع وبكلمات مضيئة ، لها دلالات قوية على عمق الفكر واتساع الأفق — ليقول الدكتور زكي نجيب محمود : الاديب الحق انما خلق ليكشف من حقيقة الانسان في تفاعله مع غيره من الناس ، ليفهم الانسان نفسه . ومن هنا كان الاديب لا يكتب لنفسه . والا لما كان ينشر كتاباته في مقالات او كتب او قصائد، او مسرحيات ، وانما هو يكتب ليرى الناس انفسهم في مرآته لعل ذلك ان يكون طريقا للتخلص من مواضع القصور في حياتهم .

ثم ننتقل الى طور آخر من الحوار ، الى الحركة النقدية وهل هي في غفلة عن حياتنا الثقافية او ان الادب افتقد اهميته في المجتمع

— فيقول :

لقد أوشك النقد الجاد العميق أن يختفي من حياتنا لسبب بسيط ، وهو انه ليس هنالك ما يستحق النقد الجاد العميق . فحينما يوجد انتاج يتحدى العقل يظهر فورا الناقد الذي يتصدى للتحدي .. اذ لابد هنا ان نلاحظ ان عمل الناقد الاساسي . هو بيان ما يكمن في باطن العمل الادبي، ولايراه القارىء العادي ، فيأتي الناقد ويصب تحليله من اي زاوية شاء ليخرج ذلك الكامن فيراه جمهور الناس ويزدادون بذلك فهما للعمل الادبي ، لكن اذا كان العمل الادبي من السطحية بحيث لا يحتوي على باطن فما الذي يراد بالناقد ان يحلله ويظهره ؟! .

هذا صحيح من جهة ، ومن جهة اخرى لابد ان نضيف الى ذلك نوعا من العجز وضعف القراءة عند اولئك الذين كنا ننتظر منهم ان يتصدوا للعملية النقدية ، فلو كانوا على شيء من القدرة ثم لم يجدوا في الانتاج الراهن ما ينتقدونه لاتجهوا الى اعمال قديمة يمارسون عليها قدرتهم النقدية لكنهم لا يفعلون ذلك ايضا .. فاذا اضفنا الى هذا كله ان القارىء الجاد اصبح نادرا ، وجدنا شيئا من التعليل ، لماذا لا يوجد عندنا المؤلف الجاد ، وبالتالي لا يوجد الناقد الجاد ! ..

● **سبيل الاصالة والابداع** ●

واستطرد بنا الحديث الى الفلسفة من حيث اننا لانجد لنا فلسفة خاصة تميزنا عن فلسفات الغرب ..



فيقول الدكتور زكي نجيب محمود اذا علمنا ان الفاعلية الفلسفية ان هي الا تحليل للحياة الفكرية القائمة واستخراج ما تنطوى عليه من مبادىء مضمرة ..

اقول اننا اذ علمنا ذلك عرفنا لماذا يتعذر او يستحيل ان تكون فلسفة خاصة بنا اليوم ، لانه ليس لنا حياة فكرية خاصة بنا ، فاهم جوانب الحياة الفكرية الآن مستعار ، اما من اسلافنا الاقدمين واما من الغرب ، ما الذي نفلسفه اذن ..

اننا مضطرون الى ان ناخذ من اسلافنا فلسفتهم ومن الغرب فلسفتهم، مادمنا قد اخذنا حياتهم الفكرية لنحياها على سبيل المحاكاة لا على سبيل الاصالة والابداع ..

ثم يعلق الدكتور زكي نجيب محمود على الراي القائل بان الجيل الجديد يكتب اكثر مما يقرأ ـ بقوله :

اوافق على ان الجيل الجديد يكتب اكثر مما يقرأ ، ولذلك فهو ـ كماقلت كثيرا ـ مشوب بسطحية لا يمكن انكارها وسر ذلك ان معظم الجيل الجديد يقصر اداة التحصيل التى هى اللغة العربية من جهة واللغة الأجنبية من جهة اخرى ، فلا هو قادر على قراءة التراث ، ولا هو قادر على قراءة ثقافة الغرب ..

وعن دور الجامعة والدراسات الاكاديمية حيث نرى أن الدراسات الاكاديمية لا نجد صداها الا داخل أسوار الجامعة فقط

ـ يقول الدكتور زكي نجيب محمود: ان هذا الرأى مبالغ فيه ، وذلك لانني حينما توجهت فى ارجاء مصر ، بل وفى ارجاء الوطن العربى كله وجدت متخرجى الجامعة يعملون فى مجالاتهم الخاصة ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فاننا اذا تتبعنا القضايا الفكرية التى تثار فى حياتنا الادبية والفنية والسياسية والاقتصادية احيانا ، فيندر الا تجد طائفة من اساتذة الجامعة يعرضون افكارهم وحلولهم ، وحتى وسائل الاعلام من تليفزيون واذاعة فكثيرا جدا ما يكون المتحدث استاذا جامعيا ، فهذه كلها ضروب من المشاركة ولكننا مع ذلك نعترف ان المشاركة يجب ان تكون على نطاق اوسع من ذلك وخصوصا فى حل مشكلات الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها حلا مقاما على بحث علمى يؤديه رجل الجامعة او مراكز البحوث ، لكن الذى نلاحظه ان المشكلات متروكة « للبركة » ولا تهتدي بمثل تلك البحوث العلمية التى تشير اليها .

● فكرة للغد ●

وفى نهاية الحوار القيم تطلب « الهلال » من الدكتور زكي نجيب محمود الفكرة التي يتمناها لغدنا المنشود .

ـ فيقول :

لا ارى لغدنا الا ان يتجه بكل جهده نحو التشبع ما استطاع بالثقافتين معا ، ثقافتنا الخاصة المستمدة من تراثنا ، وثقافة الغرب التى هي ثقافة العصر ، هذا ما صنعه آباؤنا عندما قالوا انهم يريدون التوفيق بين العقل والنقل ، اى بين الفلسفة اليونانية والشريعة الاسلامية ، وهذا ايضا ماينبغي علينا اننقوله ونفعله..التوفيق مرة اخرى بين العقل والنقل ولكن العقل فى هذه الحالة ليس هو فلسفة اليونان فقط بل هو علم وفلسفة الغرب الحديثة ،وان النقل كما كان عند الاقدمينالالتزام بالشريعة واللغة العربية لان فيهما مقوماتنا الاساسية .

شخصية الشهر : ذكرى العقاد ..

هذا باب جديد يفتحه « الهلال » ويخصصه للاعلام من بناة نهضتنا الفكرية والعلمية ، نحيي ذكرى اعمالهم ونقدرهم قدرهم وننشر المقالات والدراسات عنهم ، ونبدا بعملاق الادب عباس محمود العقاد الذى تملأ كتبه عالم العرب ، ولكن ذكراه تمر ولا يكاد يذكرها او يحتفل بها احد ، وهذا الجزء الذى يخصصه « الهلال » للعقاد هذا الشهر هو اول ما يقدم « الهلال » تحية لذكرى هذا العبقرى الاديب الباحث الشاعر ٠



عباس محمود العقاد

وقعودنا عن تكريم ذكراه

● يقال ان مالك بن انس مدين في شهرته وانتشار مذهبه لتلاميذه .. فقد رزقه الله بجماعة من أنجب شباب الفقهاء درسوا عليه وحذوا مذهبه وطريقته ونشروهما في الآفاق وخاصة في مصر والمغرب والأندلس ..

ولم يرزق معاصروه من أمثال الاوزاعي وطاووس مثل هذا الحظ . فقصد بهم تلاميذهم فلم تنتشر مذاهبهم ولا طار ذكرهم مع أنهم كانوا في أيامهم ملء السمع والبصر ..

هكذا يقال عن طه حسين والعقاد ..

فقد كان كلاهما وما زال علما من أعلام الفكر العربي الخالد .

ولكن تلاميذ طه حسين نهضوا به بعد موته ، فظلوا يتحدثون عنه ويكتبون المقالات في أدبه وفكره ودوره الحضاري في حين أن العقاد لم يخلف من التلاميذ من ينهض باسمه كما نهض تلاميذ مالك بشيخهم وكما نهض تلاميذ طه حسين بأستاذهم .

نعم اننا جميعا تلاميذ طه حسين وتلاميذ عباس محمود العقاد على حد سواء ..

وحقا أن اسم العقاد مازال يدوى في الاسماع والقلوب وكتبه تباع بالالوف في طول العالم العربي وعرضه ، ولكن صوت طه حسين يعلو يوما بعد يوم بفضل تلاميذه ..

فقد اقاموا له ذكراه الرابعة في كليتي الآداب في القاهرة والاسكندرية ونشروا مذكرات حرمه عنه مجزأة ثم نشروها في كتاب .

واقاموا اكثر من ندوة ادبية عنه في التليفزيون .

واعادوا اخراج روايته «دعاء الكروان» مسلسلا بل اخذ واحد منهم قصيصة له كتبها في صفحة واحدة ، فما زال يتوسع فيها حتى جعلها مسلسلا للتلفاز من ثلاث عشرة حلقة ، بلغ من تطويلها ومطها أن ضعفت مادتها في النهاية وأصبحت مما نقد من مسلسلات التلفاز .

ولكن المهم ان اسم طه حسين ظل يلمع على الشاشة الصغيرة ثلاثة عشر أسبوعا

فأين من هذا كله ذكرى العقاد ؟ .

***

ان العقاد صنو طه حسين : تعاصرا وتزاملا وتعاونا معا في النهوض بعبء جانب كبير من نهضتنا الأدبية ..

وكلاهما شق طريقه من أسفل السلم الى أعلاه بالعمل والصبر والصدق والاخلاص والموهبة الخلاقة واحترام النفس وارتفاع الهمة .

فالعقاد ولد في اسوان في اقصى القطر المصرى ، وفيها نشأ وتعلم تعليمه الأول ، ثم حفزته الهمة على الوفود الى القاهرة ليكون وسط معركة الفكر في عصر كانت مصر تخوض معركة تحريرها في كل ميدان .

ولم يأبه للتعليم النظامى ، فاكتفى منه بقدر قليل لأنه احس انه في غير حاجة الى مدارس ، فهو نفسه مدرسة ،



وعلم نفسه بنفسه على نحو لا يصل اليه أعاظم الأساتذة ، قرأ الأدب العربى كله وقرأ من كتب الفكر والتراث العربى قدراً لا نظن أنه تيسر لغيره، ثم وجد ان ثقافة الرجل فى عصرنا هذا لا تتم الا باتقان لغة اجنبية فعكف على اللغة الانجليزية يدرسها وحده حتى احاط بها تماما ، واصبح يقرأها كما يقرأ العربية .

وفي الانجليزية قرأ قدر ما قرأ فى العربية ، وكان رحمه الله آية فى الذكاء والاستيعاب . كان ذهنه صافيا كالبللور وذاكرته صادقة كوجه المرآة ، وكانت له ملكة نقادة تزن الأمور وتصفى ما يقرأ فتستبقى منه أحسنه .

كل ذلك وهو على رقة حال يعمل مدرسا حينا وصحفيا حينا ، ولكنه لم **يشك الحاجة قط فقد كان عزيز النفس عالى الهمة الى مكان رفيع ، وكان مثقلا من الدنيا وان كان شديد الحرص على مظهره ، فما رؤى قط بقامته المديدة الا على هيئة جميلة وسمت رفيع ،وقد رزقه الله وجها قويا جميلا وقامة فارعة وصوتا جهوريا رنانا وشخصية كاملة متوازنة وارادة تذلل الصعب وطموح بعيد الغايات .**

ومن أكثر ما كان يميز العقاد قد ته على العمل، فقدكان طول حياته لاينفق أقل من خمس عشرة ساعة فى اليوم فى العمل الجاد المتصل ، وهو لم يتزوج ولا كانت له مسئوليات عائلية ، ومن ثم فقد فرغ للعمل بكل قواه وذكائه ،فكان ينجز الكتاب الضخم فى شهرين أوثلاثة . وبلغ من تمكنه من اللغة انه كان يكتب الشيء فلا يغير منه حرفا عند المراجعة ، فالكلمة فى موضعها والسياق مترابط فى قوة واحدة والمعانى مترابطة والموضوع الذى يكتب فيه يسير من فصل الى فصل حتى النهاية .

ولكنه كان كثير المراجعة لما يكتب . وكان يحرص على أن يصحح تجارب الطبع بنفسه : شهدته مرة حوالى الساعة الحادية عشر ليلا فى جريدة الجهاد جالسا ينتظر تجربة مقالة ليصححها قبل أن يمضى الى بيته ، وطال انتظاره ، فنهض ونزل الى المطبعة وصحح مقاله على منضدة حديدية وانصرف بعد منتصف الليل وقد اطمأن على مقاله .

***

كان العقاد أمة وحده ، وهو دون شك من أعلام هذه الأمة وأمة العروبة كلها ، ومهما ذكرناه فاننا ولا شك مقصرون فى أمر ذكراه . وقد حرصنا **فى الهلال على أن ننبه الى ذلك فلعل العارفين بفضله وقدره ممن بيدهم ان يفعلوا شيئا لاحياء هذه الذكرى يقررون شيئا ، فحق هذا الرجل علينا عظيم ولكننا مدينون له ، وكتبه ثروة طائلة فى المكتبة العربية وهو صانع من صناع الفكر العربى المعاصر .**

●●

دراســات نفســية

بواعث الإبداع عند العقـاد

• د. احمد متولى مسلم •

● كانت حياة العقاد فريدة ، فقد عاش المبادىء والمثل العليا ، طعمها ، وشربها ، وسعد بها، حتى اغنته عن الزوج والولد !

واعمال العقاد ستمكث فى الارض ، وستنفع الناس فى كل عصر ، فقد زاوج بين التراث الاسلامى ، والثقافة الغربية ، وقدس العلم ، فجعله محورا لأعماله الادبية والتاريخية والسياسية والصحفية ، وقدم للباحثين منهجا متميزا – يحتذونه – فى دراسة التراجم والشخصيات .

ويهمنى فى هذه الدراسة النفسية ان القى الضوء على بواعثه فى الابداع ، فلا يمكن تحليل ادب العقاد الا من خلال بواعثه ، كالبحر الخضم لاتتم دراسته الا بمعرفة تياراته واعماقه .

١ – عصره وبيئتـه :

فى القرن الماضى اشتد الوعى القومى فى مصر ، بعد أن افاق الناس من الذهول الذى اطبق عليهم فترة من الزمن عقب احتلال الانجليز مصر ، فزرع رفاعة الطهطاوى بذور الحرية الفردية والاجتماعية والدينية والسياسية ، ودعا جمال الدين الافغانى الى مشاركة الشعب فى الحكم .

وقامت ثورة عرابى تنادى بأن تكون مصر للمصريين ، وكتم الاستعمار الانجليزى انفاس الثورة العرابية ، لكن الغليان الفكرى كان مستمرا ، ازاء تآمر الاستعمار والقصر ، لاستغلال الشعب وخنق حريته ، وارتفع المد الثورى فى مطلع القرن العشرين :

فظهر محمد عبده يدعو الى تنقية الحياة الدينية من الخرافة .

ومصطفى كامل يحارب الاستعمار

وقاسم امين يدعو الى حرية المرأة

ولطفي السيد يدعو الى الديمقراطية والمساواة ، وتطوير التعليم ، وتعليم المرأة .

وطه حسين يدعو الى تحكيم العقل فى البحث العلمى

وتوفيق الحكيم يعيد الروح الخلاقة الى الانسان المصرى

وسيد درويش يحرر الموسيقى ، لتعبر عن روح الجماهير .

« ومن قلب اسوان يقبل عباس محمود العقاد ، شابا نحيلا يتوقد ذكاء وعزما وموهبة وعزة ، فينضم الى موكب سعد زغلول ، ويمسك القلم ويكتب ، فينجلى عن كاتب من اعاظم الكتاب والمفكرين . كان يقدس الحرية ويمجدها ، ويضحى



عباس محمود العقاد .

فى سبيلها بامنه وراحته وكان يدعو الى تحرير الفن والشعر ، ليعبرا عن فردية الانسان بلا قيود ولا حدود ، ولم يجنح الى التملق والمديح ، بل هاجم ـ بكل عنف ـ الخديوى ، والخليفة العثمانى والانجليز ، وطبقة الاقطاعيين المصريين

وقد قضى طفولته فى أسوان ، حيث تلتقى حضارة الفراعنة ، بحضارة أوروبا وامريكا ، وتفتحت عيناه على شمسها الساطعة ،وملأ عقله بما حوت مكتباتها من الكتب العربية والافرنجية

((٢)) وفرة الموهبة والذكاء :

كانت عقلية العقاد نادرة ، تتميز بالبصيرة النافذة ، والقدرة الفائقةعلى الاستدلال والتحليل والنقد والطلاقة والقدرة اللغوية ، وتذوق جمال اللغة .

وبانت بوادر عبقريته فى صورة حب استطلاع مبكر ، ورغبة ملحة فى البحث والتنقيب لاكتساب المعرفة فكثيرا ما وقف ـ وهو طفل ـ يرقب الطيور المهاجرة ، واسراب النمل فى اركان المنزل ، وكان شغوفا بالزهر والطير وطبائع الحيوان ، وكتب الشعر وهو فى التاسعة .

وكان فى لعبه الايهامى يقود جيشامن الاطفال ، مناوئا للانجليز .

وقرأ العقاد مجلة «الأستاذ »لعبدالله النديم فى مكتبةوالده ، وعارضها بمجلة حائط اسماها « التلميذ»

وكان العقاد متقد الذكاء ـ ونسبة الذكاء اذا زادت على ١٢٠ « وهى عند العقاد أعلى من ذلك بكثير » ، فان دور الذكاء فى الابداع يتراجع ، ويترك المجال لبواعث السلوك ، واسلوب الشخصية ..ويتميز المبدعون بارتفاع يقظتهم الاجتماعية ، وقبول ذواتهم، وانخفاض تطبعهم الاجتماعى ، أى انهم يقاومون الثقافة التى تفرض عليهم ، ويرفضون التضحية بفرديتهم ، ولعل ذلك كان الاساس الذى قامت عليه « مدرسة الديوان » ، من العقاد والمازنى وشكرى ، لمحاربة الاسلوب التقليدى فى الشعر .

((٣)) عرف نفسه مبكرا :

حكمة ((سقراط))الخالدة : ((اعرف نفسك ! » تنطبق علىالانسان العادى

أما شعار المخترع أو المبتكر فهو : « اعرف نفسك مبكرا »!

فمعظم المخترعين عندما قدموا اختراعاتهم كانوا فى الحلقة الثالثة

من عمرهم . وقدرة الخلق — ككل قدرات الانسان — تضمر وتضعف ، اذا لم تمارس فى وقت مبكر .

وفى مدرسة اسوان الابتدائية كان التلاميذ — فى كتابة الانشاء — يفاضلون بين شيئين . وكان العقاد يختار اضعف الجانبين ، حتى انه اختار الجهل مرة ، فى مفاضلة بينه وبين العلم ! ونظم قصيدة عن العلوم المدرسية ومنافعها فى التاسعة من عمره .. وتلقى العقاد التقدير والتشجيع من مدرس اللغة العربية ، ومن مدرس التاريخ ، ومن الشيخ احمد الجداوى ، مدير التعليم فى اسوان ((وكان هو نفسه شاعرا)) ومن الامام محمد عبده ، وهو يزور المدرسة ، ويتنبأ له بانه سيكون كاتبا بعد .. فادرك العقاد من كل ذلك انه قادر على الكتابة ، وان هذه القدرة ستقرر مصيره ...

واعتقد ان العقاد قد تقمص شخصية الامام محمد عبده ، اى اقتبس سلوكه ومواقفه حتى اصبحت جزءا من شخصيته ، فبعد أن اصبح العقاد كاتبا ، كتب عن الامام محمد عبده يقول : ((صورة يلتفت اليها طلاب القدوة الحسنة ، من ابناء هذا الجيل فيجدون — امام اعينهم — محمد عبده ، اماما هو اولى ائمة العصر ان ياتم به المقتدى ، فيما اضطلع من امانة العقيدة وامانة الفكر ، وامانة الخير ، وامانة الحق ، وامانة الاخلاص الخلق والخالق))

وكتب العقاد فى كتابه «أنا» ، ان الامام كان من أوائل من شجعوه على ان يكون كاتبا ، ويعلق قائلا: ((انى اومن بكلمات التشجيع التى يتلقاها الناشىء فى مطلع حياته ، ممن يثق بهم ، ويعتز برايهم ، فيمضى الى وجهته ، على يقين من النجاح)) .

((٤)) كان مجازفا جسورا :

طبعت نفس العقاد على المجازفة والبسالة هل هدد مصرى — سوى العقاد — بتحطيم راس الملك ؟ .. لم يحدث فى التاريخ . وكلفته كلمته تسعة شهور فى السجن ، هل استكان العقاد بعد هذا العقاب ؟ ابدا — كتب بعد خروجه من السجن :

واعظم بها حرية زيد قدرها
لدى فقدت اوقيل فى السجن تفقد
عرفت لها الحبين : فى النفس والحمى
وكان لها حب — وان جل — مفرد
وكنت جنين السجن تسعة اشهر
فها آنذا فى ساحة السجن اولد
عداتى وصحبى ، لا اختلاف عليهمو
سيعهدنى كل كما كان يعهد !

وبعد موت سعد زغلول حكم «محمد محمود » باسم الاحرار الدستوريين حكما دكتاتوريا حل المجلسين ، واجل الانتخابات ، وهدد بالضرب بيد من حديد على من يعارضه ، فشن العقاد حملة على حكومته استهلها بمقالة : مجنون فى يده سيف !

وقد التحق العقاد بالوظيفة الحكومية بعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، نزولا على رغبة والده واخواله ، وقضى فى الوظيفة سنتين لا اكثر . وعرض فكرة عمله بالصحافة على ((كتبى)) فى الازهر يثق فى رأيه ، فنهاه عن هذه ((اللعونة)) . لكن جسارة قلبه كانت فائقة ، فكتب مقالا فى ((الجريدة)) بعنوان ((الاستخدام رق القرن العشرين !))

ولم يلبث ان ترك الوظيفة ، فى وقت كان الناس يعتبرون فيه ترك الوظيفة نوعا من الانتحار . وفعلا قضى فترة لا يجد قوت يومه الا ببيع كتبه ، ثم القى بنفسه فى اشواك الصحافة ، وليكن مايكون !

ولم يتراجع عن الكتابة فى مسألة من المسائل ، ولو جلبت عليه الازمات !

((٥)) عوض نقص الشهادات بغزارة العلم :

كان العقاد يدرك — منذ اضطر الى ترك الدراسة بعد المرحلة الابتدائية — ان الخطوة فى النشر والشهرة والمكانة ، من نصيب حملة الشهادات . لذلك حاول أن يعوض عما يشعر به من نقص بالدراسات العصامية الجسادة

المتصلة ، وعندما بلغ النضـــج كان يصب جام عدوانه على من يتعالى عليه بالتفاخر بالدرجات العلمية أحد هـؤلاء « الدكاترة » تعالم عليه فى الفلسفة ـ مع انه ليس من أهلها ـ فرد عليـــه العقاد قائلاً : « عجز عقيم من هؤلاء العلماء « اللقبيين » يضيعـــون به الحقيقة فى سبيل الاسم ، ويجهلون الجوهر ، لأنهم ينظرون الى العرض ، ويرفضون من جرائه البضاعة المطلوبة لأنهم يفرزونها بالعناوين على الصناديق ويوشك العجز أن يخيل الى هـؤلاء أن « اللقب » الذى جعلهم من العلماء كهنوت جديد ، يخلف الكهنوت القديم فى أسوأ عيوبه ، وهو عيب « البركات الكهنوتية » فلا يؤذن لرأى أن يكون « علميا» بغير رخصة منهم !»

وعبارة العقاد ظاهرها السـخرية والتهكم ، وباطنهـــا المرارة والمقت الدفين !

ويقرر الاستاذ ((عبدالفتاح الديدى)) عن العقاد : كانت كتب العبقريات ، ودراساته عن ابن الرومى ، وجبته ، وشيكسبير ، وبرناردشو، ترفعه الى مستوى من يقدم الى هؤلاء جميعـــا الشهادات التى تميزهم بالعبقـــرية والنبوغ والامتياز . ووجد لذة كبيرة فى كتابة التراجم والسير ، لهـــذا كان حماسه فى اثبات دعواه التى يفتتح بها ترجمته لكل هؤلاء ، نوعا من استعراض قدرته وقواه العامية ، فى اثبـــات كفايته هو نفسه فى تقدير النـــابهين والاذكياء)) .

لكانما كان العقاد يقول للنـــاس : انظروا ! أنا الذى لا شهادات لى ، امنح الشهادات الى كبـــار العباقرة والمفكرين والقواد والشخصيات !

وكان ذلك تعويضا عن شعور بالنقص لازمه ، فى حياته الباكرة على الأقل ..

((٦)) اتجاه خلقى قوى :

كان العقاد قويا فى اتجاهه الخلقى، اى الايمان بالمعانى الكبـــيرة ، ذات الطابع الدينى ، والفلسفى والجمـــالى فقد نشأ من ابوين شديدين فى الدين لايتركان فريضة من الفرائض اليومية، ومن ثم فللوراثة دورها فى ايمانه ، يضاف اليها الشعور المرهف ،والتفكير الطويل ..

لذلك وجد هذا الاتجاه تعبيرا غزيرا فى الاعمال التى اختارها العقـــاد لنفسه ، أو بالأحـرى التى اختـــارت العقاد .

بهذا الفهم نتصور كيف كانت حياة العقاد مجموعة من القيم والمعانى .. نذكر منها :

● **الحرية** : نشأ العقـــاد فى عصر ينتفض بالوعى ، ويفتقد الحـــرية ، فكانت أولى حناته لها ، رفض الوظيفة من أجلها ، واستمـــان بالسياســـة على تحقيقها ، ودافع عن طه حسين فى الأدب الجاهلى لالتزامه بالدفـــاع عن الحرية . وحارب الشـــيوعيـــة لانها تطغى على حرية الانسان ..

● **الصدق : هو جوهر الجمـــال والفن فى رايه ، فالطبيعة القنبـــة ان تكون حياة الشاعر وفنه شيئا واحدا، وان يكون ديوانه ترجمة لنفســـه ولحياته . وللعقاد اثنى عشر ديوانا ، وشهد له طه حسين ســـنة ٣٤ بانه لا يؤمن فى هذا العصر الحديث بشاعر عربى كما يؤمن بالعقـــاد : ((خذوا ما شئتم من دواوين الشعراء المعاصرين انا واثق انكم لن تمضوا فى قـــراءة قصيدة حتى تـــذكروا شاعرا من المتقدمين ، أو من الغربيين المحدثين . لكن انظروا فى العقاد . خـذوا بيتا من العقاد ، او قصيدة او مقطوعة ، فلـن تروا الا العقاد !))**

● **الجراة فى الحق** : كانت مواجهاته السياسية منقطعة النظير فى الجراة . فى البرلمان سنة ٣٠ هدد الملك فـؤاد بتحطيم الراس الذى يعتـدى علـــى الدستور . ودخل السجن فى تهديده، لكن صيحته ايقظت ضمير الامة ، فظهر الفدائيون ، وسارت المظاهـــرات ، ورددت الجماهير عباراته .

كتب الأستاذ « عبدالحى دياب » عن العقاد : « شجاع يجاهر بالصدق والعدل ، ويمقت الكذب والظلم ومن هنا فانه قد وقف نفسه لنصرتهما حتى لتحس بأن نصرة هاتين الصفتين رسالته فى الحياة ، وذلك لأنه يدافع عنهما دفاع المستميت ويجاهد فى سبيلهما جهاد الابطال . ومن امثلة ذلك كراهيته لكل مستبد فى التاريخ القديم والحديث . اذ انه لم يكتب فى تراجمه الا على من همه شرف الانسانية وضميرها ، مثل محمد والمسيح ، وابى بكر ، وعمر ، وعلى ، والحسين ، وخالد ، وعثمان ، وسعد زغلول ، ومحمد على جناح ، وغاندى وسن يات سن ، فلقد كان لكل منهم رسالة ، عادت على أمته والانسانية بالخير ، ولم ينل هو منها الا الكروب .. واذكر اننى مارأيته مرة — على طول مصاحبتى له وتلمذتى عليه ، سكت على ضيم لحق انسانا . ومن هنا فانك لتجده يتوجه الى موطن الظلم فيدرؤه بعزم مصمم على النهاية الحاسمة . بل انه ليغلى الدم فى عروقه ، حتى يؤدى الى الاحتقان فى رأسه ، حينما تكرر عليه قصة مظلوم » .

● **تقديس الفرد وذاتيته :** هو الدافع لكثير من آرائه ، ولتمجيده الديمقراطية ومحاربة الشيوعية واذاته الشعر التقليدى شعر المديح والتبعية . وايمان العقاد بالفرد أملى عليه أن تاريخ الانسان كله انما يتجه فى مساره من الاجتماعية الى الفردية . وفلسفة العقاد فردية مسئولة ، تركز على وعى الفرد ، وحرية الفنان كأساس لنشاطه الابداعى . وهذه الفلسفة اسقاط لشعوره القوى بالتفرد والامتياز . وكان له الحق فى هذا الشعور ، فقد كون نفسه بجهده وعرقه ، لم يتتلمذ على استاذ ولا جامعة ، ولم يلتزم بالمنهج القديم فى التفكير ..

وهذا الشعور القوى هو الذى دفعه الى دراسة العبقريات ، التى تؤكد امتياز الفرد ، وتبرز جوانب الغرابة فيه . والعبقريات هى التى دخل بها العقاد عالم الخلود ..

● **الثبات على المبدأ : لم يستهو** العقاد منصب ولا جاه . عرض عليه القصر ان يكون مديرا للادارة العربية فى القصر ، فأبى ، وعرض عليه منصب مدير دار الكتب ، ومدير الجامعة ، بل وعرضت عليه الوزارة ، فرفض هذه العروض جميعا ، كان يقدس شرف الكلمة واستقلال الراى ، وكان يخشى ان تخفض المناصب منه الجبين

« ٧ » دافع عنيف للانجاز :

تفاعل العقاد مع بيئته ، تعرض للصراع والاحباط ، وتلقى المساندة والتشجيع ، وكان يدفعه باعث قوى للانجاز ، يدفعه الى تحقيق مستوى عال من التحصيل ، بل والى تكريس حياته كلها للتحصيل . كان مؤمنا بجدية ما يقوم به ، وبصعوبته ، وبقيمته للانسانية . واصبحت الرغبة فى التحصيل ، وتحقيق الذات موقفا اساسيا من الحياة .

وكان العقاد عنيفا مع نفسه ، يطالبها دائما بالمزيد ، حتى اصبح الانجاز — فى حد ذاته — غايته المنشودة لم يكن طموحا قائما على مطالب الواقع فى مباعثه ومراميه ، بل كانت نظرته خيالية ، كأصحاب الحماسة والاحلام من المثاليين .

فى حديث له عن مقاييس الشباب : بين قائل بمقياس الشعور ، وقائل بمقياس القلب والهوى ، وقائل بمقياس الهمة والطموح ، كان مقياسه الوحيد ، الذى يقيس به جهوده فى جميع أدوار حياته ، هو النهم الى المعرفة . لذلك كان موسوعة فى التراث الدينى ، والفلسفى ، والادبى ، العربى منه والاجنبى ، وفى علوم الحيوان والحشرات والنبات ، وفى الطب وعلم النفس ، وفى التاريخ

والاجتماع .

وسئل العقاد : هل فزت بماكنت تريده من الحياة ؟

فكان جوابه : ((بلغت فيما اعتقد - غاية مايستطاع في بيئتنا العربية. ولم ابلغ الغاية التي رسمتها امامي ، في مقتبل حياتي : ولا قريبا من الغاية واذا قدرت ما صبوت اليه مئة في المئة فالذي بلغته لايتجاوز العشرين او الثلاثين !)) .

كتب العقاد اكثر من مئة وخمسة عشر كتابا ، ونشر اكثر من سبعمائة مقالة في ((اليوميات)) باجزائها الاربعة . فكيف به لو بلغ الغاية ؟!

كان العقاد يجد لذته في الفوز بمستوى الاداء الذي يطمح اليه ، لايهمه الجاه ولا المال . ومثل هذا الشخص اذا اعترضته العقبات تنمر وكشف عن دخيلة نفسه . وهذا يفسر تهكمه وعدوانه على من يتعالى عليه بالدرجات .

وكان العقاد اذا التفت الى عمل معين ينشغل به بكليته ، ولا ينصرف عنه حتى يتمه ، وكان يعطي نفسه اسبوعا للراحة بين الانتاج والانتاج ..

((٨)) فكر عالم ، ووجدان شاعر :

اذا حاولنا ان نرسم ((بروفيل)) شخصية العقاد ، كما تبدو في كتاباته وكتابات من صحبوه وكتبوا عنه ، نتصورها كالاتي :

● **عنده من سمات العلماء :** الانطواء والاكتفاء الذاتي ، والجد والصمت ، والسيطرة والمثابرة ، والجرأة والمغامرة ، ورقة القلب ، والثقة بالنفس ، وحرية الفكر ، وقوة الضمير .

● **وعنده من سمات الفنانين :** العصابية والاحباط ، وقوة الخيال ، والعدوانية ، والبصيرة السيكولوجية.

والخلاصة ان العقاد يجمع بين صفات العلماء والفنانين .

كتب العقاد الشعر ، وعبر فيه عن بواعثه الكبرى ، التي تتجلى في تقديس الحرية والعزة والكرامة ، وعن حبه للجمال ، وعن عطفه حتى على الحيوان ، وعن العنت الذي يلقاه في حياته . بسبب تمايزه عن الناس، وقال عن الشعر انه تعبير عن النفس الانسانية وتمثيل للحياة في شتى الوانها ، وشكولها ، يستحق من التقويم والتقدير ،ما تستحقه الحياة

ودرس العقاد العلوم التجريبية كالطب والوراثة وعلم النفس ، ليفهم على اضوائها الحوادث التاريخية ،فلا يرجعها الى علل متوهمة كما فعل الرواة الاقدمون .

كان منهج بحثه علميا ، واسلوبه ادبيا . وكان يتبع المنهج العلمي في بحوثه ودراساته ، وكتاباته الصحفية على السواء مثال لذلك مقالة له بعنوان ((البحث العلمي في تاريخ الادب)) - ((اليوميات الجزء الاول)) : يفند فيها اسباب وفاة ابن الرومي وعبد الرحمن الكواكبي ، اللذين كتب التاريخ انهما ماتا مسمومين . فيثبت العقاد - بالدليل الطبي والتاريخي المفصل - ان الاول مات بسبب جرح متقيح من مضاعفات مرض السكر ، وان الثاني مات بذبحة صدرية . ويستنتج العقاد ان ((التاريخ بحذافيره وشيك ان يتغير اذا عرضناه على ضوء المعارف التي كانت مجهولة من قبل .))

ويثبت العقاد - بعلمه الموسوعي - انه طبيب شرعي ، ومؤرخ محقق ، وشاعر لماح .!

وبعض علمائنا يقصرون تفكيرهم العلمي على تجاربهم وحساباتهم العلمية ، اما خارج هذه التجارب والحسابات فيعتقدون في الخرافات ويروجونها . لكن العقاد دمج في عمله الفني لغة الادب بما فيها من غموض وايحاء ، ولغة العلم بالتزامها ودقتها . . وكان دائما يندد بالخوارق ويكشف الخرافات حيثما وجدت .. ●●

نفسية العقاد

● حافظ محمود ●

● كانت متعة لأى شاب اديب او متادب ان تكون له اية صلة بالعقاد ... وكانت متعة لي وانا طالب صغير ان اذهب الى كتبي باول شارع محمد على بالقرب من ميدان العتبة ، فى ساعة الضحى ، لا لاشترى الكتب ، بل لارى العقاد جالسا عند هذا الكتبى ، وهو يحاوره فى انباء الكتب ... وكان الانصات الى هذا الحوار متعة اخرى ، فالكتبى لم يكن يرى فى الكتب الا مجرد سلعة . يحسب قيمتها بمقدار ما تدره عليه من الربح ، والعقاد يرى فى الكتب مصابيح للمعرفة يحسب قيمتها بمقدار ما تضيفه الى المجتمع من اشعاعات فكرية ...

وعندما كبرت واتيحت لى فرصة التعارف بالعقاد ، وسألته فى هذا المعنى ، كان جوابه شيئا عجيبا على سمعى فى ذلك الوقت المبكر ... اذ قال لى : يا اخانا ــ وكانت كلمة « يا اخانا » لازمة من لوازم حواره ــ يا اخانا لقد آن لك أن تعرف « ان الحياة رغيف وكتاب » وانت تعيش بهذين الاثنين !

وشاء القدر أن يقدم لى دليلا على تمسك العقاد بهذا الرأى ... كان هذا فى اوائل الأربعينات والحرب العالمية الثانية على أشدها ، والناس بين مشغول بهموم « التموين » وبين مهموم باتقاء الغارات الجوية ... فى هذا الجو لقينى العقاد يوما ، فسألنى عن كتاب صدر حديثا فى لندن ، فلما قلت له اننى لا اعلم عن هذا الكتاب شيئا ، وكيف اعلم والحرب قد قطعت وسائط الاتصال بيننا وبين العالم الخارجى ... فقال لى : وماذا يصنع « معلمك » ــ وقد كانت هذه هى تسمية العقاد للدكتور محمد حسين هيكل بوصفه استاذا لى ..

كان الدكتور هيكل أستاذى ، وكان فى تلك الاثناء وزيرا للتعليم ، وكان من راى العقاد أن وزير التعليم مسئول عن تزويد المكتبة المصرية باحدث المؤلفات العالمية ...

وحدثت أستاذى الدكتور هيكل فى هذا الأمر ، فأجابنى بأنه سمع بهذا الكتاب ، لكن كيف السبيل اليه ... ثم أعطانى خطاب توصية الى مدير الجامعة الامريكية راجيا أن يكون هذا الكتاب قد وصل الى مكتبة الجامعة .

وتبسم مدير الجامعة راضيا عندما قدمت اليه هذا الخطاب قائلا : « من حسن حظ هيكل باشا اننى تسلمت



عباس محمود العقاد

اليوم من القيادة البريطانية صندوقا احتوى على بضع نسخ من هذا الكتاب ... فخذ هذه النسخة للباشا :

وأثر الدكتور هيكل صديقه العقاد على نفسه ، واوفدنى اليه بهذا الكتاب وابتسم العقاد وهو يقول لى : « الآن فقط اقتنعت بأن هيكلا يصلح لوزارة التعليم » .

الجبار ... الرقيق

ليست هذه القصة غريبة على اسلوب العقاد فى الحياة ، فانا لم أعرف انسانا تعامل مع الكتب قارئا وكاتبا كالعقاد ، ومن الروايات التى تروى عنه أنه حين نصح بالسفر الى السودان عندما كادت جيوش المحور تدخل مصر وتسبقها اذاعات من برلين الهتلرية بأن العقاد سيكون فى مقدمة أهدافها للانتقام منه ـ لم يكن فى حقيبة سفر العقاد بجانب الضرورى من الثياب الا كمية من الكتب ! .

ان العقاد نفسه كان كتابا منشورا، فما من خطوة من خطى حياته الا وتصلح أن تكون كتابا . ولنبدأ معه منذ جاء من اسوان الى القاهره فى سنة ١٩٠٧ ليعمل محررا بجريدة « الدستور » التى كان يصدرها العالم الموسوعى « محمد فريد وجدى »

كان العقاد اذ ذاك فتى دون العشرين من عمره ، لكن هذا الفتى الصغير كانت له تجربة سابقة فى التعليم ، ليس بوصفه طالبا ، بل بوصفه معلما ، فقد سبق للعقاد ان مارس وظيفة المعلم وهو فى هذه السن وخرج من هذه الممارسة بأفكار اصلاحية جديدة لم يكتف بنشرها فى مقال ، بل ذهب بها الى وزير التعليم ليناقشه فيها .. وكان هذا الوزير هو سعد زغلول ...

واجرى الفتى العقاد مع هذا الوزير الجليل اول حديث صحفى فى حياته ، بل فى حياة الصحافة المصرية التى لم تكن قد عرفت بعد فن الحديث الصحفى ... فكان العقاد اول من مارس قواعد هذا الفن فى صحافتنا ..

وصار سعد زغلول زعيما لثورة سنة ١٩١٩ ، وأرادت الصحيفة التى كان العقاد يشترك فى تحريرها أن تحصل على حديث صحفى من سعد ، فاشترط سعد أن يكون مبعوث الجريدة اليه هو العقاد ! ...

وحصل العقاد على ثانى وآخر حديث صحفى أجراه فى حياته ... وعلق على هذا الحديث بمقال من عنده ، وعلق سعد زغلول على هذا المقال بأن كاتبه هو « الكاتب الجبار » ... ومنذ ذلك التاريخ اشتهر العقاد بأنه « الكاتب الجبار » ، وأصبح هذا الكاتب هو لسان الثورة ، فلما اختلف العقاد مع خلفاء سعد زغلول فى منتصف الثلاثينات ، وفصلوه من حزبهم ، كان

عظيم التعليق على هذا الفصل بقوله : « انكم بهذا الموقف قد خرجتم على روح الثورة » .

كبرياء .. وليس تكبرا

ليس صحيحا ، اذن ، ان العقاد كان مغرورا ، انما كان رجلا متمكنا واثقا بنفسه ، وكانت رقة النفس من طبائعه رغم كل ما كان يشاع عنه من عنف الحوار .

لقد كان عنيف الحوار حين يدافع عما يؤمن به ... بل لقد كان فى عنف الحوار مخيفا، ومن ادلة ذلك ان الجبار الآخر طه حسين ، كان يحرص اذا اخرج كتابا جديدا ان يحمله بنفسه الى العقاد ليستمع الى رايه فيه قبل ان يكتب عنه .

اما معاملاته مع الناس فقد كانت تسيل عذوبة . وأنا لن انسى يوما كنت فيه اقف فى آخر طابور طويل امام شباك التذاكر باحد المسارح .ومر بى العقاد الذى كان قد احتجز له كرسيا من قبل . فقال لى .. « لماذا انت متاخر هكذا ! » . ودخل قاعة المسرح، ثم خرج ليعود الى كى يفسر لى كلمة « متأخر » .. وانه لا يقصد بها أكثر من موقفى فى هذا الطابور فقط !

الى هذا الحد كانت تبلغ رقة العقاد .. رقة شاعر رقيق الاحساس ... لكن هذه الشاعرية كانت ركنا من اركان نفسية عارمة ، ففى الركن الآخر منها كنز من الكرامة ...

والواقع ان العقاد فيما كان يتصف به من كبرياء لم يكن يدافع عن كرامته وحده ، انما كان يدافع عن كرامة حملة الاقلام جميعا ... ولست انسى له اننا **كلينا كنا ضمن مجموعة من المتحدثين فى حفل عام، ولما كان المتحدثون سوانا جميعهم من رؤساء الوزارات والوزراء .. فقد نشر اسمانا بعد اسمائهم ، فغضب العقاد غضبا شديدا ، ورفض الاشتراك فى هذا الحفل ، وابى على — وانا احد تلاميذه — أن اشترك فيه .. فلما راجعته فى هذا الأمر قال لى : « يا اخانا ... نحن الذين نصنع باقلامنا اولئك الوزراء ، فكيف يوضع اسم الصانع بعد اسم المصنوع ؟! »**

لقد تعالى العقاد بقلمه حتى على الجالس فوق العرش ، ودفع الثمن لذلك تسعة اشهر فى السجن .. وفى السجن كانت للعقاد آية من آيات الحرية .. فقد ذهب وزير العدل اذ ذاك — وهو على ماهر باشا — لزيارة العقاد فى سجنه ، فاذا بالعقاد يشيح بوجهه عن الوزير ، ولا يرد تحيته ، فلما عاتبه على ماهر على هذا الموقف، اذا بالعقاد يقول له « سوف أرد تحيتك بعد خروجى من السجن فى ساحات الحرية »

***

هذه هى نفسية العقاد ... وفى ظنى ان كل ما كتب عنه لم يستكمل بعد الاحاطة بهذه النفسية المتميزة ... وربما كان اعمق ما فى هذه النفسية انه رجل قد ثار بكبريائه للمتواضعين ، وانصف حملة الاقلام المظلومين ، علم الدنيا درسا فى الاباء ،

لقد كان العقاد كثير النقد للمتنبى لان المتنبى على مكانته فى تاريخ الادب العربى كان يداهن الامراء ، وكان العقاد يرى أن الامارة الحقيقية للفكر لا للجاه والسلطان ... وقد شرح هذا المعنى ببلاغة فى الخطبة **التى القاها فى حفلة تكريم الدكتور محمد حسين هيكل بمناسبة توليه الوزارة وحصوله على رتبة الباشوية ، اذ قال ان اسم هيكل الكاتب اعلى قدرا من اسم اى باشا او وزير .**

وكم من الوزراء والباشوات كانوا يتمنون رضاء العقاد عنهم ...



رسالة مجددة إليه

● ادوار حنا سعد ●

كانت الابيات الاتية التى نظمتها بمناسبة منح الفنان سيف وانلى درجة الدكتوراه الفخرية اخر رسائلى اليه .. اعود لها الان تحية للفنان الخالد فى الذكرى الأولى لرحيله ..

إن كرّموكَ فانّما شهِدُوا للعبقرية وهى تنتقد
وخطاكَ فوقَ السّفح دائبةً للقِمّة الشمّاءِ تضطرد
ولروعة الألوان ، ينقشها فى اللّوح حس مرهفٌ ويَدُ !
تَجرى بِها الفرشاة ساحرةً آياتها موروثة جدد ؟
فيّاضة بالسهل ممتنعًا يمتازُ فيهِ الكيف والعدد !
فى عمقِها من روحِكم قبس ويصوغها من فكركم مدَد !
إن كرّموكَ ، فانّما شَهِدوا بسموق نجمك .. وهو منفرد !
مدح الشموس حتى أشعّتها وتحيّة الدفءِ الذى نجدُ !
ومراحنا فى الفجر ، مبعثه سحرُ الضّياءِ وطيرهُ الغرد
وثناؤنا يا « سيف » أطلقه فن عليهِ الغارُ منعقِدُ
وعرائسَ الأوليمب إذ هبَطت بفنونِها لحماكَ تحتشد ،
الشعرُ فيه .. عواطفا وجدت تعبيرها .. وخواطر تَرِد !
وأنّ فنك صيغَ من نغَم فتجسّدت .. وإطارها الأبد !
إن كرّموكَ فانما شهِدوا لكَ بالنبوغِ .. وأنهم وعَدوا ..
.. بمجدّد من حبّ أمتكم يَزداد منه النجح والسدد !
من غنّت الدنيا بروعته هيهات تجحد فضله البلد ؟

من رواد الفكر:

ابن خلدون

فيلسوف التاريخ والاجتماع

١ ــ عبد الرحمن بن خلدون المفكر العربى الكبير أقرب الناس الى قلبى ، فقد عاش تحت سماء مصر سنين طوالا ، وقد تصدر حلقة من حلقات العلم فى الأزهر ، حيث درس لطلابه التاريخ ومقدمته فى فلسفة التاريخ والاجتماع . وقد شهد لمصر ولحضارتها وتاريخها شهادات خالدة على مر الزمان ، سجلها فى كتابه التاريخى الكبير ..

ولقد بهرته مصر بحضارتها وجامعاتها وعلمائها ، فكتب فى كتابه التعريف يقول : « انتقلت الى القاهرة فرأيت محشر الأمم ، وايوان الاسلام ، وكرسى الملك ، وحضرة عاصمة الدنيا ، وبستان العالم » .

ويروى ابن خلدون عن صديقه ابى عبد الله المقرى قاضى الجماعة بفاس ، وكبير العلماء بالمغرب : « من لم ير القاهرة لم يعرف عزة الاسلام »

وابن خلدون من علماء القرن الثامن الهجرى « ٧٣٢ ــ ٨٠٨ هـ » أو الرابع عشر الميلادى « ١٣٣٢ ــ ١٤٠٦ م » . وقد تبوأ تراثه العلمى مقاما رفيعا بين تراث الفكر العالمى منذ القرن التاسع عشر ، وكان من المسلم به أن أوروبا هى اول من اهتدى الى فلسفة التاريخ ومبادىء علم الاجتماع واصول الاقتصاد السياسى ، فلما قرأ المفكرون الغربيون تراث ابن خلدون ملكهم العجب والذهول ، اذ اكتشفوا ان ابن خلدون قد سبق علماء الغرب فى كل هذه الميادين بعدة قرون ، وانه المؤسس الحقيقى لهذه العلوم ، فعكفوا على دراسته ، وترجموا آراءه الى معظم اللغات ، وعدوه فى سلك الفلاسفة ومؤرخى الحضارة وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسى ، واعترفوا له بالسبق والاصالة فى كل هذه الميادين .

يقول د . على عبد الواحد وافى فى كتابه عن ابن خلدون : « ان دراسة الظواهر الاجتماعية ــ لا لمجرد وصفها ، ولا للدعوة اليها ، بل لتحليلها تحليلا يؤدى الى الكشف عن طبيعتها ، والأسس التى تقوم عليها ، والقوانين التى تخضع لها ــ لم يعرض له أحد من قبل ابن خلدون . »

مسلم تقى متزن

وهكذا نرى فى «المقدمة» لابن خلدون علما جديدا سماه هو علم العمران البشرى ، ونسميه نحن علم الاجتماع.

"من لم يعرف القاهرة لم يعرف عزة الإسلام"

أبو عبدالله المقري كبير العلماء بالمغرب

● د . محمد عبد المنعم خفاجي ●

ويقول المؤرخ محمد عبد الله عنان في كتابه عن ابن خلدون : « كان وقوف الغرب على تراث ابن خلدون اكتشافا علميا حقا ، وكان اعجب ما في هذا الاكتشاف أن يظفر الغرب في تراث المفكر المسلم بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي لم يطرقها البحث الغربي الا بعد ابن خلدون بعصور طويلة ، اجل اكتشف الغرب لدهشته واعجابه في تراث هذا العالم العربي كثيرا مما ردده مكيافيللي بعده بعدة قرون ، ومما ردده فيكو ، ومونتسكيو ، وآدم سميث ، وأوجست كونت بعده بقرون عديدة .

ويقول لوفيج جمبلوفتش : لقد اردنا أن تدلل على أنه قبل اوجست كونت ـ الذي اراد الايطاليون ان يجعلوا منه اول اجتماعي ـ جاء مسلم تقى ، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، واتى في هذا الموضوع بآراء عميقة ، وما كتبه هو ما نسميه اليوم : علم الاجتماع .

٢ ـ ينتهي نسب ولى الدين عبد الرحمن بن محمد الى جده الاعلى ابن خلدون ، وهو من بني وائل ، وقد هاجرت اسرته الى الاندلس في القرن الثالث ، وقد ولد بتونس في اول رمضان ٧٣٢ هـ : ٢٧ من مايو ١٣٣٢ م من اسرة اندلسية اشتهرت بالعلم والادب والرياسة ، وكان نزوحها من الاندلس اثر الغزو الاسباني المدمر للمدن الاندلسية وذلك في أواسط القرن السابع الهجري ، وكانت تقيم في أشبيليه . ومنها هاجرت الى تونس .

رابطة الصداقة والأدب

ونشأ عبد الرحمن في ظلال دولة الحفصيين ودولة بني مرين بالمغرب ، الذين كان منهم السلطان ابو الحسن المريني « ٧٣١ ـ ٧٥٣ هـ » ، وابنه أبو عنان « ٧٥٢ ـ ٧٥٨ هـ » وابنه الثاني أبو سالم بن أبي الحسن المريني « ٧٥٨ ـ ٧٦٢ هـ » .. وأكمل دراسته الأولى على والده وعلى بعض الاساتذة المشهورين ، ولكن الوباء الكبير الذي اجتاح البلاد قضى على اسرته في المغرب ، فحزن لذلك حزنا شديدا ، واشتغل بالكتابة ، فدعاه السلطان ابو اسحاق ملك تونس عام عام ٧٥١ هـ ليتولى له كتابة « العلامة » ، وهي التوقيع على المراسيم السلطانيه والمخاطبات الرسمية باسم السلطان ، وقربه اليه ، ولم يلبث ابن خلدون ان

إبن خلدون
فيلسوف التاريخ والاجتماع

ترك العمل فى ديوان السلطان ابى اسحاق ، وعمل مع السلطان ابى عنان المرينى ملك المغرب الاقصى عام ٧٥٥هـ وتولى له الكتابة والتوقيع ، ولم يلبث ان اتهم بالتآمر على السلطان فسجن، ولم يفرج عنه الا بعد وفاة السلطان ابى عنان حيث رد الى وظائفه وتولى كتابة السر والانشاء وخطة المظالم للسلطان ابى سالم بن ابى الحسن المرينى ، فاظهر كفاية واخلاصا . وفى هذه الفترة لجأ الى السلطان ابى سالم ملك الاندلس محمد بن الأحمر ووزيره لسان الدين بن الخطيب ، بعد ان اغتصب العرش منه ، فاتصلت رابطة الصداقة والأدب بين ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب منذلك الحين

وتوفى السلطان أبو سالم عام ٧٦٢ هـ ،ولم يلبث ملك الأندلس أن استرد عرشه ، فرحل ابن خلدون الى الاندلس عام ٧٦٤هـ ، واقام فى غرناطة عاصمة ملك بنى الاحمر ، مشمولا بعطف ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب؛ وأرسله الملك الى ملك قشتاله باشبيلية فقام بالمهمة خير قيام .

ولم يلبث ابن خلدون أن ترك الأندلس بعد فتور العلاقة بينه وبين ابن الخطيب ، وذلك عام ٧٦٦ هـ ، حيث تولى الحجابة ــ رئيس الديوان ــ لأمير بجاية ، ولكن عرش هذا الأمير لم يلبث أن اغتصبه مغتصب ، فظل ابن خلدون ينتقل من خدمة امير الى خدمة امير ، حتى حيكت حوله الدسائس والمؤامرات ، ففر الى الأندلس ، مهاجرا اليها مرة اخرى عام ٧٧٦ هـ ، .

فى العزلة الثانية كتب ..

عاد ابن خلدون الى المغرب الاقصى ملتجئا الى احياء بنى عريف بتلمسان حيث عكف على تأليف كتابه التاريخى الكبير « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ثم عاد الى وطنه الثانى تونس عام عام ٧٨٠ هـ ، فاتم كتابه ورفعه الى سلطان تونس الحفصى أبى العباس عام ٧٨٣ هـ ، فقربه السلطان اليه ، ولكن الوشايات عادت تحوك حوله الدسائس والمؤامرات من جديد ، فعزم على الرحلة الى المشرق ، واستأذن السلطان فى السفر الى مكةللحج ،فاذن له وركب ابن خلدون سفينة أقلتسه الى الاسكندرية عام ٧٨٤ هـ ، فنزل بها ومنها سافر الى القاهرة حيث اقام بها اقامة دائمة فى ظلال دولة المماليك البرجية ،واتصل ببرقوق ملك مصر « ٧٨٤ ــ ٨٠١ هـ » ، وصار من المقربين اليه .

٣ ــ كانت شهرة ابن خلدون السياسية والعلمية ــ والأدبية قد سبقته الى مصر ، وكان كتابه « العبر » قد طار صيته الى كل مكان ، وكانت « المقدمة » التى كتبها ابن خلدون لتاريخه قد نسخت وبعث بها من تونس الى انحاء العالم الاسلامى .

ويرجع تاريخ تاليف هذه المقدمة الى عام ٧٧٩ هـ وحين نزل ابن خلدون فى عيد الفطر عام ٧٧٦ هـ : ١٣٧٤ م فى مدينة تلمسان فى المغرب أراد أن يخلد فى هذه المدينة الى الدرس والتاليف ، وأن يستريح من اعباء السياسة واهوالها ، ولكن امير تلمسان اراد من ابن خلدون أن يسعى لتوطيد عرشه بين القبائل المغربية ، فتظاهر بالقبول ، وخرج من تلمسان ، وذهب الى احياء بنى عريف ، فنزل لديهم ، وقدمت اسرته من تلمسان ، حيث اقام ابن خلدون فى هذه المنطقة النائية على مدى اربعة اعوام لتاليف تاريخه « العبر » ..

وكان ابن خلدون يومئذ فى الخامسة والأربعين ، مكتمل الثقافة كثير **التجارب ،ناضج التفكير ، واسع الاطلاع ، دارسا لأحوال المغرب** «وسياسته وتاريخ دولة وملوكه ، ولحياة القبائل البربرية وطباعها وتقاليدها .. وفى هذه العزلة النائية كتب ابن خلدون كذلك مقدمة تاريخه،

التي جاء فيها بنظريات جديدة ، لاتزال البيئات العلمية فى الشرق والغرب عاكفة على دراستها ..

انتهى ابن خلدون من كتابه «المقدمة» فى منتصف عام ٧٧٩ هـ : ١٣٧٧ م ، حيث امضى خمسة شهور فى تدوينها ، ثم نقحها وهذبها بعد ذلك عدة مرات ، وبعد اتمام « المقدمة » شرع فى كتابة تاريخه ، فكتب تاريخ العرب والبربر وزناته وهو المدون فى الاقسام الاولى والاخيرة من « العبر » .

وكان ابن خلدون يريد أن يكون تاريخه مقصورا على كتابة تاريخ المغرب ودوله دون سواه من الاقطار — كما قال هو — ولكنه ، بعد ان امضى شوطا فى كتابة تاريخه راى ان يكون كتابه شاملا لتاريخ البشر منذ بدء الخليقة ، ومن ثم آثر أن يعود الى تونس ليستكمل مراجعه ، بعد أن كان قد أكمل المقدمة والاقسام المتعلقة بتاريخ العرب والبربر فى المغرب .

وكتب ابن خلدون الى سلطان تونس يستأذنه فى العفو عنه والاذن بعودته الى وطنه ، لاكمال تاريخه ، فرد السلطان عليه بالصفح والقبول ،ودعاه الى القدوم الى تونس ، فغادر احياء بني عريف فى شهر رجب عام ٧٨٠ هـ، ولقى العالم الجليل سلطان تونس ابا العباس بظاهر سوسة ، حيث بالغ السلطان فى اكرامه ،واصدر اوامره الى رجال الدولة بتوفير ما يلزم له ولاسرته من المسكن والمعاش ودخل ابن خلدون وطنه بعد أن عاش بعيدا عنه مغتربا منذ ان كان شابا فى العشرين ، وذلك منذ عام ٧٥٣ هـ ، واقام فى دعة وهدوء ، عاكفا على البحث والكتابة .

وفى اوائل عام ٧٨٤ هـ — ١٣٨٢ م كان ابن خلدون قد أتم مؤلفه التاريخى الكبير ، وكتب مقدمته المشهورة الذائعة .

ترجمة ذاتية جيدة ...

ولم يلبث ان ركب البحر — كما قلنا سابقا — فى منتصف شعبان ٧٨٤هـ — اكتوبر ١٣٨٢م ، متوجها الى المشرق للحج .. وفى عيد الفطر من العام نفسه وصل الى الاسكندرية ، فنزلها ، وتوجه منها الى القاهرة ، فوصلها فى اول ذى القعدة عام ٧٨٤هـ — نوفمبر ١٣٨٢ م ، بعد دخول ابن بطوطة الرحالة اليها بنحو ستين عاما ، اذ كانت وفادة ابن بطوطة على القاهرة عام ٨٢٦ هـ : ١٣٢٦ م فى عهد الناصر ابن قلاوون .

وكان سلطان تونس قد حجز اسرة ابن خلدون فى تونس حتى يعود فيلسوفنا الى وطنه . فتوسل ابن خلدون الى السلطان الظاهر برقوق ليشفع له لدى سلطان تونس ليخلى سبيل اسرته ، ففعل ، واطلق سراح اسرته ، وركبت اسرته السفينة الى الاسكندرية ، ولكن السفينة غرقت فى البحر الابيض ، وغرق اهله فيها ، ووصله فى القاهرة نبا هذه الفاجعة الاليمة ، فحزن حزنا شديدا .

وفى عام ٧٨٩ هـ سافر الى الحج وعاد الى القاهرة فى جمادى الاولى عام ٧٩٠ هـ . وفى هذه السنة اخذ يهذب المقدمة والتاريخ ، وزاد فى حوادث التاريخ حتى بلغ بها نهاية القرن الثامن الهجرى ، بعد ان كان قد بلغ بها فى تونس حتى عام ٧٨٣ هـ .

ومن الفصول الجديدة التى كتبها فى مصر : خواص دول المماليك المصرية ، ونشأة التتار .

وفى آخر تاريخه تعريف كتبه ابن خلدون عن نفسه ، وهو ترجمة ذاتية جيدة له حتى مستهل عام ٧٩٧ هـ ، ويعد بمثابة ذيل لتاريخه ، ومفتاحا دقيقا لشخصية هذا العبقرى الكبير ، ومرجعا لكل من كتب عنه . ومن التعريف نسخة اخرى كاملة مستقلة فى دار الكتب المصرية ، برقم ١٠٩ تاريخ ، تصل حوادثها الى نهاية عام عام ٨٠٧ هـ ، الى ما قبل وفاته باقل من عام

وقد نشرت المقدمة لاول مرة في مصر عام ١٢٧٤ هـ ١٨٥٨ م . وفي عام ١٢٨٤ هـ تم طبع تاريخه باكمله ونشرت المقدمة كذلك في باريس عام ١٨٥٨ م ، وفي بيروت عام ١٨٧٩ م ، وظهرت الترجمة الفرنسية للمقدمة بين عامي ١٨٦٣ و ١٨٦٨ بقلم دي سلان في ثلاثة مجلدات ، وترجمت الى التركية عام ١١٦٢ هـ ــ ١٧٤٩ م بعناية بيرى زاده ، وترجمت كذلك الى مختلف اللغات العالمية .

الدرس النقدي للتاريخ

وفي عام ١٩٣٢ احيا جماعة من ادباء مصر ذكرى ابن خلدون بمناسبة مرور ستة قرون على ميلاده ، ونشر عنان كتابه عنه ، واخذ د . عبد الواحد وافي يحقق مقدمته .

٤ ــ وبحوث ابن خلدون في المقدمة تمهيد لدراسة التاريخ وفهمه ، وهي بحوث جديدة كل الجدة ، وفيها يدرس ابن خلدون قوانين الاجتماع البشرى ونواميسه ، وبذلك وضع اساس علم الاجتماع . ولا شك أن ابن خلدون قد سبقه الى اثارة البحث العلمي حول هذه الامور امثال : الفارابي في المدينة الفاضلة ، واخوان الصفا في رسائلهم كبحوث الفارابي عن حاجة الانسان الى الاجتماع ، وعن نشأة القرى والمدن ، وكتقسيم اخوان الصفا للعلوم والصنائع ، وبحثهم عن تاثير طبيعة البلدان في الأخلاق ، ولكن سمة البحث عند الفارابي واخوان الصفا سمة فلسفية ، أما ابن خلدون فانه يتناول هذه الموضوعات . من الجانب الاجتماعي : ومن الخطأ ان يذهب مثل سلامة موسى الى أن ابن خلدون كان صدى للفارابي أو لاخوان الصفا ، وقد فند رايه الباحث التونسي صديقي ابو القاسم كرو في كتابه عن « ابن خلدون » .

ان بحوث ابن خلدون في المقدمة تشمل جوانب من علوم الاجتماع وفلسفة التاريخ والاقتصاد السياسي .

وقد عني المستشرقون بالجانب الاجتماعي من تفكير ابن خلدون وتراثه ، وقد عده فون كرايمر المستشرق النمسوى مؤرخا للحضارة الاسلامية ، وعده دي بوير فيلسوفا ، ولكن الاتجاه العلمي انصب على دراسة فلسفته الاجتماعية « علم الاجتماع » التي سبق بها : او جست كونت ، وفيكسو ، ومكيافيللي ، من أعلام الاجتماع في اوروبا ، كما سبق فيكو ومونتسكيو ومكيافيللي الى الدرس النقدي للتاريخ ، وسبق ماركس وسواه الى النظريات الخاصة بعلم الاقتصاد السياسي .

والمقدمة تسبق كتاب « الأمير » لمكيافيللي باكثر من قرن من الزمان على الرغم من أن « المقدمة » كتبت عام ١٣٧٧ م ، وكتاب « الامير » الف عام ١٥١٣ م . فابن خلدون بمقدمته يعد مبتكر علم الاجتماع ، وواضع اسس العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصاد الاجتماعي والسياسي ، وفلسفة التاريخ والقانون العام . وهو ينبه في المقدمة على أن الكلام في مثل هذه البحوث مستحدث جديد ، وانه ليس من علم الخطابة المنطقية ، ولا من علم السياسة المدنية ، بل هو علم مستقل وان كانت بعض الأبجديات التي ذكرها في المقدمة قد تجرى لأهل العلوم بالعرض في براهين علومهم ، مثل ماذكره الفلاسفة في اثبات النبوة من ان البشر متفاوتون في وجودهم فيحتاجون الى الوازع والحاكم ، ومثل ما يذكر في اصول الفقه من ان الناس محتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات ، ومثل ماورد في حكم الحكماء وكتب الفلاسفة من امثال كتاب ارسطو في السياسة ، ورسائل ابن المقفع ، وكتاب سراج الملوك للطرطوشي على سبيل الاستطراد والعرض ويؤكد ابن خلدون أن نظرياته

في المقدمة قد الهمه الله اياها الهاما .

والمقدمة هي من اهم ماوصل الينا من التراث العربي الأصيل ، ولقد استغرق كتابتها نحو العامين ، وتمت مراجعتها كاملة عام ٧٧٩ هـ ، اما كتابه التاريخي فقد انتهي منه عام ٧٨٤ هـ ، ولكنه ظل ينقحهما ويزيد فيهما الى ماقبل وفاته بعام ، وان كان عام ٧٩٨ هـ قد كتب منهما نسخا جديدة مزيدا فيها ومنقحة ، ولكن الزيادات الاخيرة اوفى واشمل ، وقد اهدي ابن خلدون نسخة كاملة من الكتاب لسلطان مصر برقوق ، واهدى نسخة اخري الي سلطان المغرب الاقصي ابى فارس المريني ، الذى تولى حكم المغرب ثلاثة اعوام « ٧٩٦ — ٧٩٩ هـ » .

ذكر خالد علي مر العصور

وقد قسم ابن خلدون تاريخه الى :

١ — المقدمة وهي في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ واصول الاقتصاد السياسي .

٢ — الكتاب الأول في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة الي عهده ، وفيه عرض لأشهر الأمم المعاصرة للدول العربية .

٣ — الكتاب الثاني اخبار البربر ومواليهم من زناتة وغيرهم والتاريخ مطبوع في ستة مجلدات في تاريخ العرب والعجم والبربر والمقدمة مطبوعة في مجلد مستقل . وكانت اراء ابن خلدون في الفصل الخامس من المقدمة عن المعاش ووجوهه والكسب والصنائع ذات طابع خاص ادخل في باب الاقتصاد السياسي والاجتماع ، ومنهما اقتبس كارل ماركس بعض الآراء التي بسطها في كتابه « رأس المال » .

٥ — وفي مصر اقام ابن خلدون في القاهرة ، وانثال عليه طلبة العلم بها ، يلتمسون منه الافادة ، وتصدر للتدريس في الأزهر ، وتولى بعد ذلك التدريس بالمدرسة القمحية بجوار جامع الفسطاط « او جامع عمرو بن العاص » ، وهي من مدارس المالكية المشهورة في مصر ، وبعد قليل عين قاضيا للقضاة المالكية في مصر فيأواخر جمادي الأولي عام ٧٨٦ هـ .

ولم يلبث ابن خلدون على اثر توليه منصب قضاء المالكية ، أن ثارت حوله الدسائس والمؤامرات والأحقاد ، وبخاصة من العلماء المنافسين له ، والذين كانوا يودون ان يكون هذا المنصب القضائي الكبير وقفا عليهم ، فاضطرب الافق حوله ، وعزل عن القضاء ، فاستأذن من برقوق في الحج فاذن له ، وعاد بعد الحج فعينه السلطان استاذا في المدرسة الصرغتمشية شمالي جامع ابن طولون، ثم عينه شيخا لخانقاه بيبرس ،وانقطع الى التدريس والتعليم ، يوطد الصلات السياسية والعلمية ، بين مصر والمغرب حتي اعاده برقوق الى منصب القضاء وظل فيه الى ان توفى برقوق عام ٨٠١ هـ ، وتولى بعده ابنه فرج بن برقوق حكم مصر،فعزل ابن خلدونعن القضاء .

ولما خرج فرج للقاء تيمورلنك خرج معه ابن خلدون ، وكان سفيرا بين مصر والسلطان التتري المخرب تيمور لنك ولما عاد ابن خلدون الى مصر اعيد للقضاء لثالث مرة،ثم عزل عام ٨٠٤هـ، واستمر بين ولاية القضاء المالكي والعزل منها ، حتى تولى القضاء لسادس مرة عام ٨٠٨ هـ ، فلبث فيه ستة اشهر توفى بعدها في ٢٦ من رمضان ٨٠٨ هـ — ١٦ من مارس من عام ١٤٠٦ م ودفن في مقبرة الصوفية في العباسية خارج باب النصر .

وودع جثمانه السلطان والشعب ، مشيعا بأحر العبر ، واطيب الذكريات .

ووري جثمانه التراب ،

ولكن ذكره بقي خالدا

على مر الايام والعصور .

ناس وصور وحكايات

قمر الزمان يتزوج ست الحُسن للمرة الثانية !!

روبرت فاجنر ممثل سينمائى امريكى اشتهر بلطف الهيئة وخفة الظل وقد اصبح عند ظهوره فى اواخر الخمسينات حلم الملايين من بنات امريكا واوروبا .

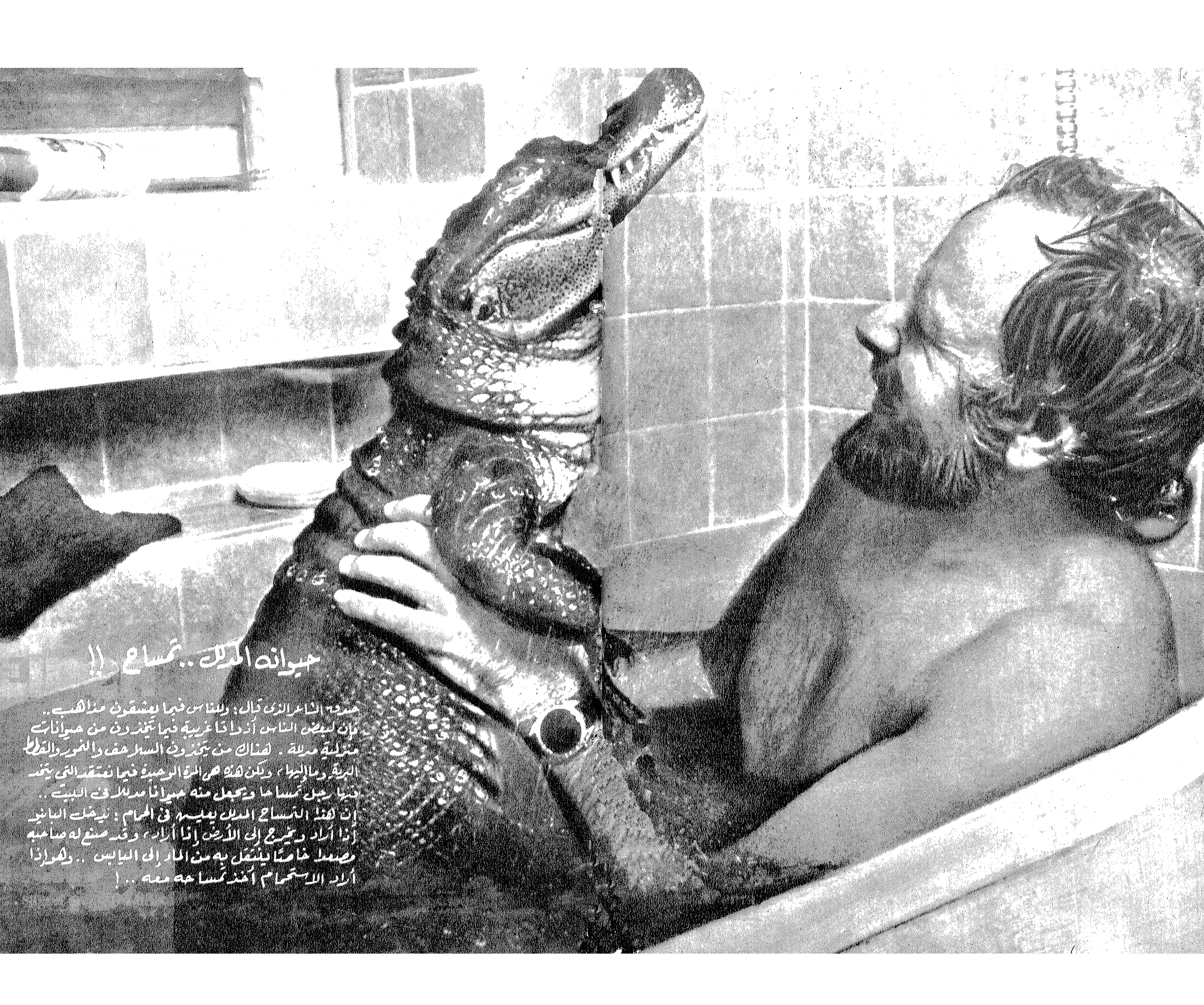
وناتالى وود ممثلة أمريكية من اصل روسى ، بهرت الناس بجمالها فى أواخر الخمسينات .

وفى سنة ١٩٦٢ تزوج قمر الزمان من ست الحسن ، وكان زواجا باهرا تحدثت عنه أمريكا كلها ..

ولكن ست الحسن لم تستطع العيش مع قمر الزمان .. وفى سنة ١٩٦٨ طلقته لتعود الى حريتها كما قالت ..

وفى هذا العام ، وبعد اثنتى عشرة سنة عادت ست الحسن الى قمر الزمان ! تزوجت زوجها فى عرس كبير حضرته هوليود كلها ، لأن الزوجين أصرا على أن يكون حفل الزواج الثانى حفلا كاملا : دخلة وشربات وموسيقى ..





حيوانه المدلل .. تمساح !!

صدق الشاعر الذى قال : وللناس فيما يعشقون مذاهب .. فإن لبعض الناس أذواقا غريبة فيما يتخذون من حيوانات منزلية مدللة . فهناك من يتخذون السلاحف والنمور والقطط البرية وما إليها ، ولكن هذه هي المرة الوحيدة فيما نعتقد التي يتخذ فيها رجل تمساحا ويجعل منه حيوانا مدللا في البيت ..

إن هذا التمساح المدلل يعليه في الحمام : فيدخل البانيو إذا أراد ويخرج إلى الأرض إذا أراد ، وقد صنع له صاحبه مصعدا خاصًا ينتقل به من الماء إلى اليابس .. وهو إذا أراد الاستحمام أخذ تمساحه معه .. !

ثلاثة أزواج من هذا الحيوان أصبحت ٦٠٠,٠٠٠



في سنة ١٩٣٦ لاحظ العلماء الالمان ان حيوان الغابات الالمانية يقل مع الزمن بسبب كثرة الصيد واتساع العمران ، فقرروا ان يعمروها بالحيوان من جديد ، فجلبوا من الولايات المتحدة ثلاثة ازواج من نوع صغير من الدببة ، يتسلق الاشجار ويعيش على الحيوانات الصغيرة التي تأكل جذور اشجار الغابات ..

واليوم بلغ عدد هذه الدببة ٦٠٠,٠٠٠ دب ودبة ! واصبحت بدورها بلاء على الغابات التي حولها ، فهي تهاجم القرى بالليل وتسطو على اى حيوان او طير داجن تصادفه

والغريب ان احدا لا يرى هذه الحيوانات قط ، فهي صغيرة جدا في حجم الكلب المتوسط الحجم ، وهي تعيش اما في باطن الارض او في اعالي الاشجار ، وتنام الشتاء كله في جحورها .

ناس . وصور . وحكايات

طراز جديد من تجارة الرقيق

طراز لا يمكن إيقافه

أو اتخاذ إجراء لإيقافه

الكثير من الشركات الاوروبية تنشىء لها الآن فروعا فى بعض بلاد آسـيا وامريكا اللاتينية لتخرج انتاجا ارخص مما تتكلفه السلع عند تصنيعها فى بلادها وفى هونج كونج وعلى سواحل الفلبين والهند وملقا وبورما وفى كل بلاد امريكا اللاتينية مصانع للملابس وأدوات البلاستيك وأجهزة الراديو والادوات المنزلية وقطع غيار السيارات ..

هذه الشركات مستقلة انشاها اوروبيون وغير اوروبيين او فروعا لشركات كبرى فى اوروبا وامريكا ، ووظيفتها اخراج انتاج رخيص يباع لبلاد العـالم الثالث .

هذه المصانع يشتغل فيها رقيق . رقيق بمعنى الكلمة : ناس يشترونهم من بلاد افريقية وأمريكا اللاتينية ويدربونهم ويستخدمونهم فى مصانعهم لقاء لقمة العيش ..

ذلك ان الفقر شديد جدا فى الكثير من نواحى الدنيا ، وفى موانى الكثير من البلاد التى ذكرناها مئات بعد مئات من النـاس لا يجدون لقمة العيش ، وهم مستعدون للقيام بأى عمل فى سبيل لقمة العيش ..

هؤلاء يشتريهم وكلاء متخصصون فى شراء هؤلاء النـاس ونقلهم الى اماكن اخرى وتشغليهم لحسابهم او بيعهم مرة اخرى بيعا صريحا نهائيا ..

وعندما اكتشفت السلطات البريطانية هذه الحقيقة لم تستطع عمل شىء لا مع تجار الرقيـق ولا مع الشركات التى تستخدم اولئك الناس .لانهم ـ الرقيق ـ يفعلون ذلك برضاهم ، انهم يقبلون بيع انفسهم لكى يضمنوا لقمة العيش والمأوى



قافلة الرقيق تسير . لقد قبضوا الثمن وقيدت ايديهم ، وهم يغـادرون الآن الى حيث تنتظر سفن شحنهم بعيدا عن المياه الاقليمية . تنقلهم اليها لنشات بخارية . لا احد يستطيع ايقاف هذه التجارة لانهـا تتم على أســاس التراضى الكامل بين الطرفين .

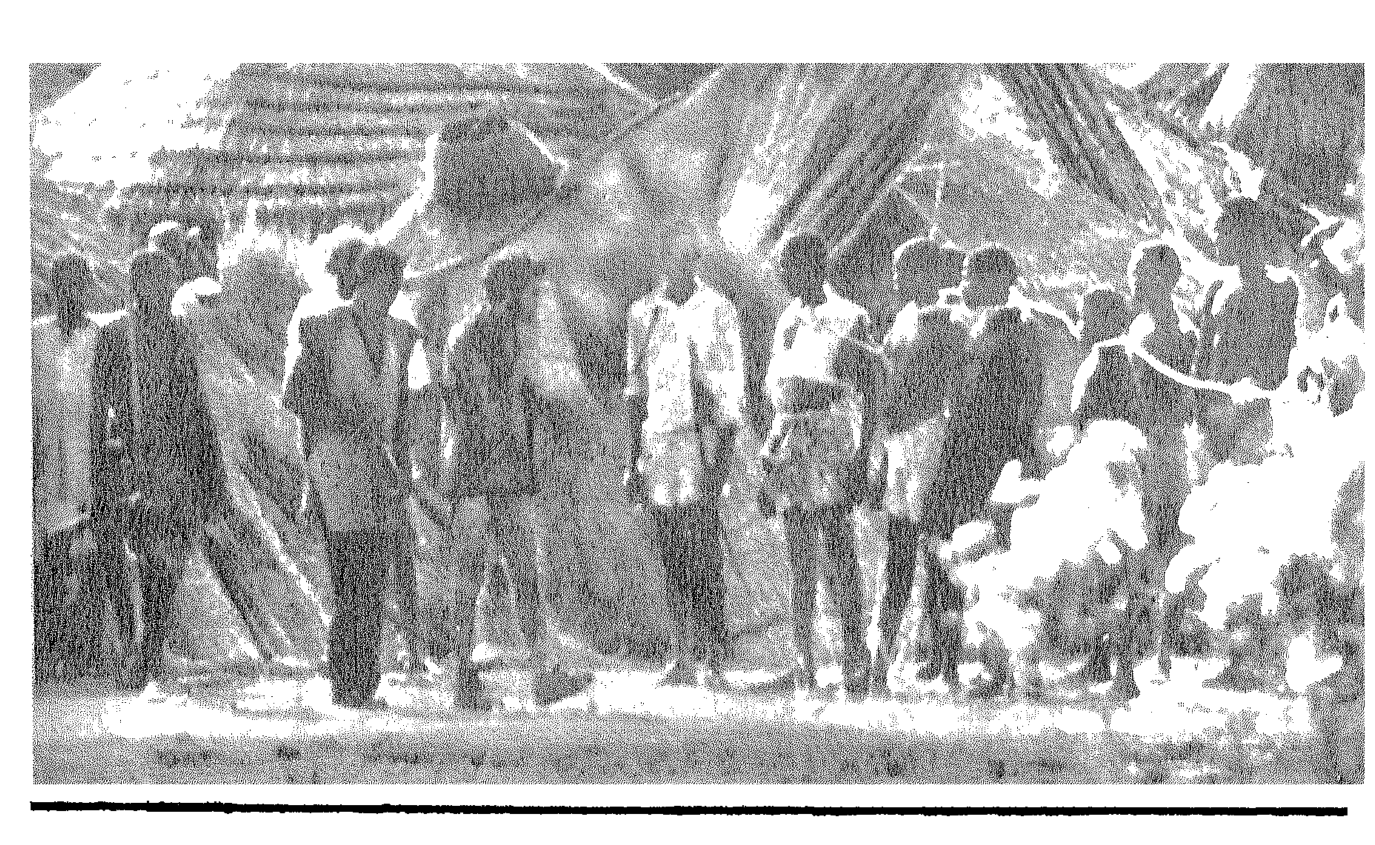
انهم يتزاحمون على تلك المكاتب ، ويعملون بدون عقود اصلا ، لان الوكيل الذى يشتريه واثق من انه محتاج للعمـــل ، فهو يتولى نقله اولا الى بلد بعيد لكيلا يستطيع اللجوء الى سلطات قضائية او بوليسية ، وهو يدخله تهريبا ، فيحرص الرقيق على الصمت حتى لا تتنبه السلطات له وتعيده من حيث اتى فيعـود الى البطالة والجوع ..

والثمن الذى يعطى للرقيق من هؤلاء هو ١٠٠٠ جنيه انجليزى ، يســلم له بمجرد وصوله الى الجهة التى سيعمل فيها ، وهو فى العادة يضعها فى مصرف ثم يضع نفسه تحت تصرف صاحبه فيبيعه اذا راد او يؤجره للعمل ، والمسكين يضمن بذلك عيشا ثابتا وسقفا يأويه . وهو لا يحاول قط ان يهرب من وضعه هذا لأن حالته بدونه اسوأ ، فهو فى بلده عاطل وحكومته لاتهتم به ، وهو تحت اعين رجال الامن فى الميناء او البلد الذى يعيش فيه .

وهذا الرقيق يعمل فى العادة فى مصانع فى افريقيا وآسيا وبعض بلاد امريكا اللاتينية . فهناك مثلا شركة المانية كبيرة فى همبورج تحتـــاج الى الف رجـل يعملون لحسابها قرب مدينة باهيا فى شمال البرازيل ، هؤلاء الرجال عملهم هو نقل مقادير ضخمة من تراب مناجم النحاس الى السفن ، لتشحن الى المانيا وهناك تستخرج منها المعادن . هذه الشركة لا يمكن ان تحقق اى ربح اذا هى اعتمدت على أيد عاملة نظامية ، لانها تستخرج من كل ١٠٠٠ طن من التراب رطلا من النحاس ونحو ٢٠٠ جرام من الذهب ، فلابد أن تتم عملية شـحن التراب باقل التكاليف ، وهى لهذا تشترى مثلا ٥٠٠ عبد وتدفع فى الواحد ١٠٠٠ جنيه ثم تجعله يعمل لحسابها فى مقابل طعام متواضع وسقف يعيش تحتـه لمدة خمس سنوات تبيعه بعدها مرة اخرى او تتركه أو تجدد عقده ..

وهذه الشركات والوكالات كلها تعمل بغير أوراق : ليس هناك عقد بيع ولا عقد عمل ، والرقيق ينزلون على الساحل ويدخلون البلاد خلسة ويظل طوال فترة عقده بلااوراق ، فهوتحت رحمة من يشترونه . وفى حالة وقوع اى تعقيد فان العملاء والشركات تعلن انها لاعلاقة لها به الا علاقة العمل . لقد طلبت عمالا فاتوا وعملوا واخذوا اجورهم ، اى انه لا ماخذ عليها على الاطلاق ..

وفى مكان ما من ساحل بلد آسيوى مصنع كبير لصناعة الملابس النســائية الجاهزة.ان كل عاملاته من الرقيق.المصنع يشتريهن بالجملة من الوكلاء ويدفع عن كل بنت ١٠٠٠ جنيه يضاف اليها نفقات السفر ، ثم تعمل البنت بعد ذلك طول عمرها فى مقابل غذاء من الارز وبعض الخضروات ومكان للنوم فى غرفة

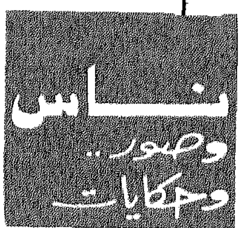


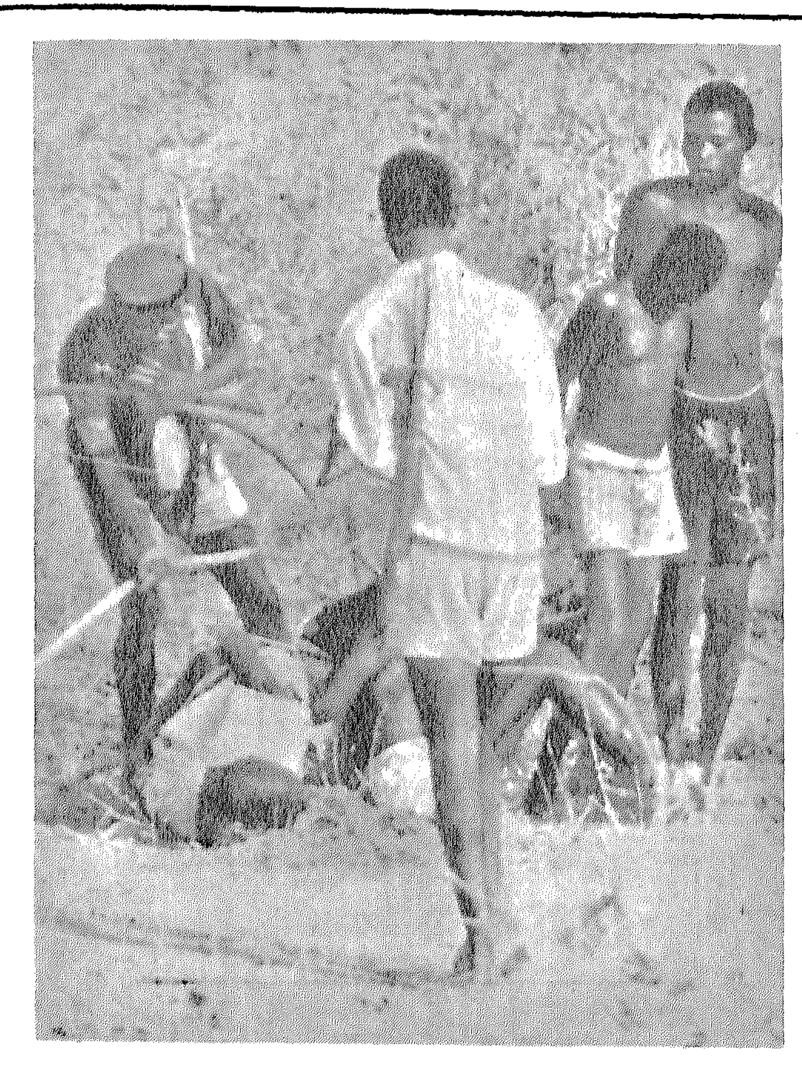
في مكان ما على الشاطىء الافريقى يذهب اولئك الافريقيون ليبيعوا انفسهم • انهم يفعلون ذلك بمحض اختيـــارهم • الواحد منهم يتقاضى الف جنيه ثم يقيد ويصدر الى اى ناحية فى العالم يقررها تاجر الرقيق •

واسعة • يملك هذا المصنع الضخم ثلاثة رجال واحد انجليزى والثانى هنـدى والثالث صينى • والسلطات المحلية لا تستطيع التدخل بين اولئك الرقيقـات ومن يعملن عندهم ، لأن هذه السلطات تكسب من وراء المصـنع ، فهو يدفع لخزينة الولاية ضرائب لا باس بها ثم هو يفتح أبواب العمل لمئات العاطـلات ، هذا الى جانب الرشاوى والاكراميات التى تدفع هنا وهناك ، وهذا شىء معروف

وهذا النوع الجديد من الرقيق لا يمكن ايقافه ، ولا يمكن اتخاذ اجراء ضده ، لأنه يتم برضى الطرفين ، ثم أن الرقيق نفسه كاسب فى النهاية ، لأنه يجـد عملا وماوى وهو خير من البطالة والجوع والتسول والسرقة فى النهاية •

وقد قال واحد من اولئك الارقاء : وما لكم انتم وما اعمل بنفسى:ألست حرا





هذه المجموعة من الرقيق تم شراؤها على الساحل الغربي لافريقية شمال السنغال • هؤلاء الرقيق قدموا ليبيعوا أنفسهم من وسط الصحراء • قبضوا الثمن وها هم رجال التاجر يقيدونهم لكي يرسلونهم خفية الى حيث يريدون •

فيها ؟ من يضركم في شيء ان ابيعها ، واذا انا لم ابع نفسي فهل لديكم حل لي أحسن من هذا ؟ هل عندكم عمل ثابت اعيش منه ؟

ولكن الناحية الوحيدة التي يمكن اتخاذ اجراء فيها ضد هذا النوع من الرق هو شراء الفتيات لبيعهن في سوق البغاء، وهذا امر منتشر جداً مع الاسف ، والمسكينات هنا يستغلهن تجار الرقيق بصورة بشعة ، ومعظمهن يتحولن في النهاية الى مدمنات مخدرات ويلقين اسوأ نهاية •



● مصطفى عبد الرحمن ●

يا ليـــل ..
ايها المنصت الى ارغن الازل
يسكب ثوب السحر فى الاسماع والقلوب
يا وحى الشـــعراء ..
وغنوة المحبين والمعذبين ..
ماذا فيك يا ليل العشاق ..

ثمل ... وليلى فى الهوى ثمل — فنسيمه ، وضياؤه قبـــل !
وعيـــونه نور يســـامرنا — وعيونـــنا بالشوق تشتعل !
وزهوره سكرى تميـــل على — أغصانها ، ما صدها خجـــل !
وعبيرها الفواح يســـكرنا — من طيبات رفيفـــه نهـــل ...
نحديثهـــا وحديثه غـــزل — يخضر عند ســـماعه الأمل !

***

ياليل ...
خذلتـــا فى ضيـــائك إلى — عرش النجوم .. عليه نتنقـــل !
فى زورق يسرى على مهـــل — تحدوه ملء قلوبنـــا شمـــل !
نحكى حكاياتنا ... ولا مـــلل — والحب يصـــفى ، والمنى ظلل
ياليت صبحك لا يتطـــوف بنـــا — وبه تضيـــل على المدى السبل !
ونظل يا ليل الهوى ، أبدا ... — وسناك ممـــدود .. ومكتمل !

مصطفى عبد الرحمن
« من ديوانه الجديد الانيق »
اغنيات قلب

الأسس الفنية للقصة

عند محمود تيمور

● د . محمد احمد العزب ●

● القصة : فن قولى ((درامى)) ، يسعى الى خلق عالم ابداعى، مواز فى علاقاته للعالم الواقعى الذى يعيشه القصاص ، من خلال تجارب الفكر او تجارب العاطفة او تجارب الخيال ..

اوهى ــ كما يقول تشارلتون ــ : ((ضرب من الخيال النثرى له مهمة خاصة به ، وهى أن تقص بعض أعمال الرجل العادى فى حياته العادية بعد ان تضعها فى شبكة من الحوادث كاملة الخيوط ، متتبعة كل فصل الى ادق اجزائه وتفصيلاته وسوابقه ولواحقه ، موغلة فى دخيلة النفس حينا لتبسط مكنونها اثناء وقوع الفعل ، مستعرضة الآثار الخارجية للفعل حينا آخر ، لاتترك من جوانبه وملحقاته ونتائجه شاردة ولا واردة الا سجلتها فى امانة وصدق كما تحدث فى الحياة الواقعية التى يخوضها الناس ويمارسونها))(1).

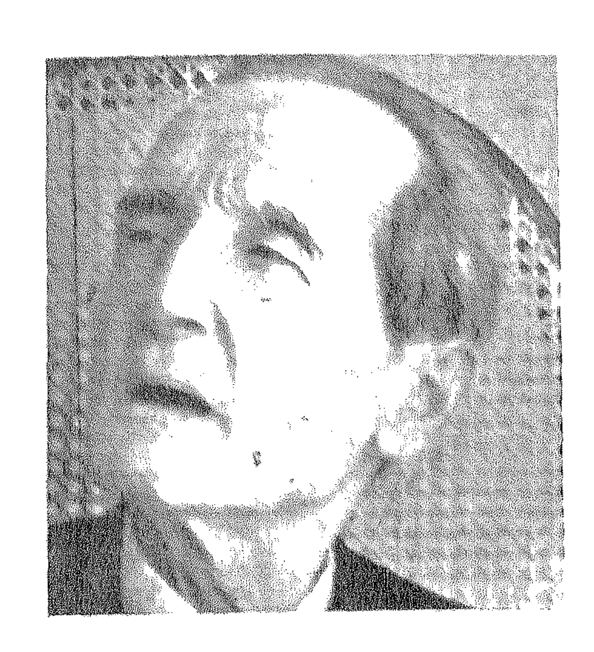
واذن فالقصة استقطاب لواقع الشخصية أو فلنقل لبعض واقع الشخصية ، ليس من خلال منهج استقرائى أو تسجيلى فحسب ، وانما من خلال منظور ابداعى ينفذ الى جوهر هذا الواقع الانسانى ويمنحه تشكيلا فنيا يصبح به ما هو وغير ما هو جميعا : يصبح به ما هو لأنه يعطيه حقيقته الانسانية التى هى جوهر الاشياء .. ويصبح به غير ما هو لأنه يعلو به من مستوى الواقع الحرفى المتعين الى واقع فنى يحمل وجهة نظر الفنان وملامح فلسفته الخاصة .

والعمل القصصى يستلهم من مصدرين اساسيين : اولهما مجموع الخبرات التى صادفها الكاتب فى حياته الخاصة والعامة ، لان هذه الحياة هى المنبع الطبيعى الذى يستلهمه الفنان كواقع عاشه وعاناه .. وثانيهما مجموع الخبرات التى حصلها من قراءاته واطلالاته لأن الفنان كانسان ــ محدود بحدود حياته المادية وهى حدود صغيرة صغيرة مها تراحبت ولكى يمتلك تجربة أعرض وأعمق واغنى ، فلابد له من قراءة تجارب الآخرين الغابرين والمعاصرين .

ولا يتميز الفنان بوقوعة على نوعية معينة أو كم معين من الحوادث الهائلة أو الحائلة ، وانما يتميز الفنان بكيفية ترتيب الحوادث وكيفية توظيفها معا .. قد تكون الحوادث واحدة فى أعمال عديد من القصاصين ، ولكن المنظور الفنى والفلسفى الى هذه الحوادث الواحدة يختلف من فنان الى فنان ،

---

(1) فنون الادب ــ ترجمة د . زكى نجيب محمود ــ ص ١٧



محمود تيمور : اثرى الحياة الادبية واسهم فى وضع الاسس الفنية للقصة

وهذا هو ما يعطى فنانا بذاته امتيازا على جميع من عداه ، اذا هو استطاع أن يمتلك موضوعه واداته ،وأن يخرج بالواقع الحرفى الى ابهاء الواقع الفنى وأن يطل من خلال الخاص على العام ، وأن يضع ملامح وجهه المتفرد على كل جزئية من جزئيات عمله شكلا ومضمونا وبناء ولغة وأسلوبا ورؤية .

ومن هنا تصبح القيمة الحقيقية للقصة كاملة فى هذا الفعل الفنى،وليس فى جلال موضوعها أو حقارته .

ويتردد العمل القصصى ــ كما يقول محمود تيمور ــ بين انواع اربعة، هى : الأقصوصة والقصة ،والرواية ، والحكاية .. والكل واحد من هذه الانواع ملامحه الخاصة التى تميزه عن سواه :

فالاقصوصة : قصة قصيرة يعالج فيها الكاتب جانبا من حياة ، لا كل جوانب هذه الحياة ، فهو يقتصر على سرد حادثه او بضع حوادث يتالف منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته، على ان الموضوع مع قصره يجب ان يكون تاما ناضجا من وجهة التحليل والمعالجة .

والقصة : تتوسط بين الاقصوصة والرواية ، وفيها يعالج الكاتب جوانب ارحب مما يعالج فى الاولى ، فلا باس هنا بان يطول الزمن ، وتمتد الحوادث ويتوالى تطورها فى شىء من التشابك .

والرواية : تعالج موضوعا كاملا او اكثر ، زاخرا بحياة تامة او اكثر ، فلا يفرغ القارىء منها الا وقد الم بحياة البطل او الابطال فى مراحلها المختلفة ، وميدان الرواية فسيح امام القاص يستطيع فيه ان يكشف الستار عن حياة ابطاله ، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من الوقت .

والحكاية : تسوق واقعة او وقائع حقيقية او خيالية ، ولا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة ، بل يرسل الكلام كما يواتيه طبعه ، والحكايات فى الاكثر تكون منقولة عن افواه الناس ، وصاحبها يعرف بالحكاء او السمير . (٢)

ويرى تيمور انالقصة بمعناها العام تتألف عادة من ثلاثة عناصر رئيسية هى « الموضوع » و « الشخصيات » و « الحوار » . وأن كان يرى أن هذا العنصر الاخير « الحوار » ليس من المقومات المحتومة دائما ، ولكنهلازم فى اغلب الاحيان .. فتبدأ القصة بالتمهيد للفكرة ثم تتطرق الى ظهور العقدة ثم تتوصل الى حل هذه العقدة أو ما يشبه الحل ، وهذا هو الهيكل المألوف فى بناء القصة على



(٢) انظر : فن القصص ــ لمحمود تيمور ــ ص ٤٧ ــ ٤٨ .

وجه عام . (٣)

وبديهي أن كل قصاص له ان يرتضي الطريقة التى تلائمه ، ولكن ليس له بد من أن يراعى جانب القوانين العامة فى التأليف القصصى ، لأنه مع اهدار اى من هذه القوانين يشعر الناقد باختلال العمل القصصى ، ولادخل فى ذلك للطريقة الخاصة ولا للمذهب الخاص .

وقد استقرت الحركة النقدية على مجموعة من الاساسيات التى رات انها تشكل قواعد الخلق الحقيقى فى فن القصص ، ومن هذه الاساسيات مايتصل بعناصر العمل القصصي كالحادثةوالسرد والبناء والشخصية والزمان والمكان والفكرة ..

ومنها ما يتصل بالبناء الفنى للقصة كترابط الوحدات ترابطا عضويا . ومواءمة الشكل للمضمون ، ومقارنة الانواع بعضها لبعض ، واختلاف منظور فنى عن منظور فنى آخر ، والابتعاد عن الوعظية والخطابية ، وترك الفحوى لتنطق بها الحوادث والشخوص ..

ومنها ما يتصل بطرائق التعبير القصصى كصياغة القاص اصطلاحه اللغوى الخاص واصطناعه اسلوبا شخصيا يدل على فكره الذاتى،وتعبيره عن الواقع ليس بلغة هذا الواقع وانما بلغة فنية خاصة ، وانطاق شخوصه بلغاتهم ومستوياتهم الفكرية والاجتماعية والنفسية واتخاذ اسلوب سردى فيه ومضة الفن وديناميسة الحياة .

وقد فصل تيمور الحديث عن القواعد الاساسية التى يراها ضرورية فى كتابة القصة ، حتى يكتمل لها بناؤها العضوى ، وحتى تصبح لونا أدبيا قائما على ركائز نقدية تحدد فيه ما هو تلقائى وما هو مشروط ، وهو تفصيل يجمل اهم الخصائص فيما يلى :

اولا : أن تكون للقصة وحدة فنية، وبهذه الوحدة تتوافر فنية القصة . وما الوحدة الفنية الا أن يجعل الكاتب همه مقصورا على ابراز الفكرة الأساسية مجتنبا جهد الطاقة أن يتطرق الى آفاق اخرى .

ثانيا : ان يراعى فى عرض الموضوع جانب التلميح ماأمكن ،وان يحذرجانب التصريح ، فلا يشرح الكاتب الموضوع ويحلل الشخصيات فى شكل مهلهل ، بحيث لايترك شيئا لفطنة القارىء وذكائه .. كما يجب أن يراعى كذلك عدم الاغراق فى هذا التلميح حتى لايتورط العمل القصصى فى الغموض والابهام .

ثالثا : ان يعنى الكاتب برسم شخصياته ، وأن يجعلها تصدر فى اقوالها وافعالها عن منطق الحياة التى أراد لها المؤلف ان تعيشها بواعيتها الظاهرة وواعيتها الخفية أيضا .

رابعا : الا تكون الشخصيات بوقا ينقل ما يلقى اليه المؤلف من الكلام، فيكون المتكلم هو المؤلف نفسه على لسان هذه الشخصيات الببغاوية ، والواجب أن يبقى للشخصيات كيانها المستقل ، وأن تظل حية فى حركاتها وسكناتها ، وأن يحس القارىء من أعمالها حرارة هذه الحياة ، ويتعرف من فعالها ما تتميز به من شمائل وحقائق ..

خامسا : حتم ان يكون لكل قصة معنى ، والا كانت القصة لغوا لا جدوى له .. ومعانى القاص اما مستمدة من الواقع او مستخرجة من النفس البشرية . والا فان المجد الادبى لا يكون الا من نصيب القصة التى يحذق كاتبها رد أصولها ومعانيها الى أوصال الانسانية بغرائزها الباقية وميولها الخالدة .

سادسا : يجب الا تكون الفكرة

(٣) فن القصص – لمحمود تيمور ص ٤٨ – ٤٩ .

المعالجة مصوغة فى قالب وعظى أو على هيئة حكمه والا يظهر فيها تحبيذ شيء أو النهى عن شيء ، بل يجب ان تكون الحكمة او الموعظة مطوية فى غضون الحوادث ، خالصة الى القارىء دون معونة ظاهرة من المؤلف . وان يكون التحبيذ او النهى كامنا فى أعطاف السرد غير ملموس بالكلام المكشوف .

سابعا : الا تخلو القصة من عنصر التشويق . على أن يبقى تشويقا طبيعيا غير مفتعل ولا ملفق .

ثامنا : ان تحرر لغة القصة من المحسنات البديعية الباهظة ، وان تكون القوالب على قدود المعانى ، فى غير اهمال لما تقتضيه خصائص اللغة من الموسيقية الاخاذة على ان يراعى تجنب الأساليب المبتذلة التى تستعمل فيها الالفاظ استعمالا شائعا يفقدها بكارتها وبهاءها ، وكذلك تجنب التراكيب الركيكة التى لا تستبين فيها قدرة اللغة على التصرف فى الاداء والتعبير . (٤)

وواضح تماما ان هذا الاجمال النقدى يستقصى معظم أساسيات العمل القصصى بالفعل وان كان لايزعم أنه استقصاء جامع مانع ، فليس فى الفن كلمة اخيرة ، ولا كلمة تتسم بالشمول والاستغراق ، لان منطق التطور هو الذى يحكم ظواهر الاشياء

وبديهى اننا ينبغى أن نفرق فى النظرة النقدية بين القصة القصيرة والرواية باعتبارهما أشيع الالوان القصصية فى هذا العصر . فالرواية عمل فنى كبير تكون الاهمية فيه « للوقائع » ، أما القصة فهى عمل فنى قصير تكون الاهمية فيه «للشخصية» و « الدوافع». كما انه لابد فى القصة من ملاحظة «التركيز» كقيمة أساسية من قيم السرد والبناء والشخصية ، على النقيض من العمل الروائى الذى تتطلب فيه التحليل والاستقصاء والشمول والعمق والنفاذ .

ويعزو « ادجار الان بو »الاختلاف الجوهرى بين القصة والرواية الى « وحدة الانطباع » التى ينبغى ان تتوافر فى القصة القصيرة .

ويمكن ايجاز الفروق بين القصة والرواية فيما يلى :

١ ـ الطول فى الرواية . والقصر فى القصة القصيرة .

٢ ـ وحدة الانطباع فى القصة، والعدده فى الرواية .

٣ ـ وحدة الشخصية والزمان والمكان فى القصة ، وتعددها فى الرواية

٤ ـ يمكن أن يكون للرواية تسلسل زمنى ويمكن الا يكون كما فى « الفلاش باك » . أما فى القصة فلا بد من تجميع الحاضر والماضى والمستقبل

وهكذا يمكن ان يصح قول من قال « الرواية تصوير من المنبع الى المصب اما القصة القصيرة فتصوير دوامة واحدة على سطح النهر » (٥)

ولكن البعض يذهب الى ان الاختلاف بين القصة القصيرة والرواية يرجع الى « ان الموقف هو الموضوع الغالب على القصة القصيرة ، وان رسم الشخصية هو الموضوع الغالب على الروايه كما تقول « اديث هوارتون » . ولا يرجع الى الطول والقصر ، ولا الى الاسهاب والايجاز ، ولا الى العناية بالاسلوب الادبى وقلة العناية بذلك الاسلوب . ولا الى خطر الموضوع او تفاهته ـ فكل اولئك الصفات قد تتشابه فيها جميع هذه الانواع . (٦)

(٤) فن القصص ـ لمحمود تيمور ـ ص ٥١ ـ ٥٥ .
(٥) انظر الادب وفنونه الدكتور عز الدين اسماعيل . والقصة القصيرة نظريا وتطبيقيا ـ ليوسف الشارونى .
(٦) الوان القصة القصيرة فى الادب الامريكى ـ لعباس محمود العقاد .

فارس الشهباء

• د. احمد الشرباصي •

((فارس الشهباء)) هو الشــــاعر الفارس الامير : ابو فراس الحارث بن ابى العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث، التغلبى الربعى الحمدانى، ابن عم سيف الدولة الحمدانى امــــير حلب ، واخيه ناصر الدولة .

وابو فراس شاعر بطل مشهور ، يعد من ابرز افراد الاسرة الحمدانية المشهورة فى التاريخ . وكان الصاحب بن عباد يقول : ((بدىء الشعر بملك وختـــم بملك)) يعنى امرأ القيس وابا فــراس الحمدانى ..

وقد اثنى الثعالبى على ابى فراس فى كتابه ((يتيمة الدهر)) فقال عنه : ((فرد دهره ، وشمس عصره ، ادبا وفضلا ، وكرما ونبلا ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة . وشعره مشهور ، سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك)) .

وكان والد ابى فراس عمــــا لسيف الدولة وناصر الدولة . وأم ابى فراس أم ولد رومية الاصل. وقد ولد ابو فراس بالعراق على الارجح . وقيــل فى بلدة منبج ، فى حدود سنة عشرين وثلاثمائة للهجرة . ومنبـــج بلد بين حــلب والفرات ، وهو كما يقول ياقوت فى معجم البلدان : بلد قديم ، وما اظنه الا روميا، قيل انها من بناء كسرى ، وهى مــدينة كبيرة واسعة ، ذات خيرات كثــيرة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ، ومن منبج الى حلب يومان ، ومنها الى ملطية اربعـــة ايام ، والى الفرات يوم واحد ، ومنبج هى بلد البحترى الشاعر المشهور . وقد قتل والد ابى فراس فى رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة للهجرة ، ولهذا نشأ ابو فراس يتيما . اذ مات ابوه وهو فى الثالثة من عمره .

نشأ ابو فراس فى بلاط سيف الدولة بحلب ، وكان ســـيف الدولة يأنس بحـــديث ابى فــراس ، ويتوســم فيه الخلال الحميدة فى الشـــجاعة والادب . ولما بلغ ابو فراس أشده انضم الى جيش سيف الدولة ، واشترك فى رد هجمات الروم عن ارض بنى حمدان، وكان اذا عاد من الحرب جلس فى مجلس سيف الدولة يذاكر الشعراء ، ويناقش الادباء ، واخذ ســيف الدولة يزداد اعجابا بمحاسن ابى فراس ، ويخصــه بالاكرام والاحترام ، وكان يستصحبه فى غزواته ، ويقدمه على سائر قومه .

وكان ابو فراس يبادل سيف الدولة الحب والاحترام ، وله في سيف الدولة أشعار فيها تنويه عظيم ، وتقدير رفيع، ومن امثلة ذلك انه كتب اليه يقول :

الا من مبلغ سروات قومي ... اذا حدثن جمجمن الكلاما
باني لم ادع فتيات قومي ... وسيف الدولة الملك الهماما
شريت ثناءهن ببذل نفسي ... ونار الحرب تضطرم اضطراما
ولما لم اجد الا فرارا ... اشد من المنية او حماما
حملت على ورود الموت نفسي ... وقلت لصحبتي موتوا كراما
وهل عذر وسيف الدين ركني ... اذا لم اركب الخطط العظاما ؟
واقفو فعله في كل امر ... واجعل فضله ابدا لماما
وقد اصبحت منتسبا اليه ... وحسبي ان اكون له غلاما
اراني كيف يكتسب المعالي ... واعطاني على الدهر الذماما
ورباني ففقت به البرايا ... وانشاني فسدت به الأناما
فاحياه الأله لنا طويلا ... وزاد الله نعمته دواما

وفي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ولي سيف الدولة ابا فراس ولاية منبج مع صغر سنه ، ثم أضاف اليها ناحيةحران، فضبط الامن وقاوم الفساد .

وجاء في دائرة المعارف ان ابا فراس كان يترفع عن أساليب الشعراء في الاستجداء ، حتى انه كان يتنكر للتب « الشاعر » نفسه ، اذا ما قصد بهمادح الامراء ومطربهم في مجالس انسهم فيقول :

وصناعتي ضرب السيوف وانني ... متعرض في الشعر للشعراء

وهو القائل في ختام رائيته الطويلة في الفخر :

نطقت بفضلي ، وامتدحت عشيرتي ... فما انا مداح ، وما انا شاعر

وكان ابو فراس بارعا في الشعر العاطفي الوجداني ، ومن ذلك انه سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية ، فقال كأنه يخاطبها :

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ... ايا جارتي هل تشعرين بحالي ؟
معاذ الهوى،ماذقت طارقة الهوى ... ولا خطرت منك الهموم ببال
اتحمل محزون الفؤاد قوادم ... على غصن نائي المسافة عالي
ايا جارتا ماانصف الدهر بيننا ... تعالي اقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدى ضعيفة ... تردد في جسم يعذب بالي
ايضحك ماسور ، وتبكي طليقة ... ويسكت محزون ، ويندب سالي
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة ... ولكن دمعي في الحوادث غالي

ومن شعره الرائع قوله فيما يروى ابن كثير في البداية والنهاية من قصيده :

الى الله اشكو اننا بمنازل ... تحكم في آسادهن كلاب
فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذى بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

وكان الشاعر العظيم ابو الطيب المتنبي يشهد لابي فراس — كما يقرر الثعالبي في اليتيمه — بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا ينبرى لمباراته ،ولا

يجتريء على مجاراته . وجرت بينهما مناقشات شعرية فى حضرة سيف الدولة ، أبان فيها أبو فراس سرقات للمتنبى فى شعره ، وخاصة فى قصيدته المشهورة : واحر قلباه ممن قلبه شبم ...
وكان ابو فراس من اخلص مساعدى سيف الدولة فى معاركه ضد الروم،وكان من أشجع قواده . وقد اسر ابو فراس فى « مغارة الكحل » سنة ثمان واربعين وثلاثمائة للهجرة ، وحمله الروم الى « خرشنة » وهى بلدة علىالفرات قرب « ملطية » كان فيها للروم حصن حصين ، يطل على النهر ، ويبدو أن هذه البلدة كانت تتداولها أيدى الروم والعرب . ولذلك يقول أبو فراس :

ان زرت خرشنة اسيرا ... فلقد حللت بها مغيرا
ولقد رايت النار تنـ ... ـتهب المنازل والقصورا
من كان مثلى لم يبت ... الا اميرا او اسيرا
ليست تحل سراتنا ... الا الصدور او القبورا

وقد أسر ابو فراس مرتين ، وفداه سيف الدولة ، ومكث فى المرة الثانية أربع سنوات وشهورا فى الاسر .

يقول التاريخ انه فى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة للهجرة فوجىء ابو فراس بزحف الجيش الرومى عليه فدافع عن نفسه دفاعا شديدا ، حتى ثقلت عليه الجراح ، فاستسلم مع سبعين من رجاله ، فأسروه وحملوه الى بيزنطة ، وظل اثر هذا الجرح فى فخذه يعرج منه طول حياته ، وفى ذلك يقول ابو فراس :

اسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى ... ولا فرسى مهر ولا ربه غمر
ولكن اذا حم القضاء على امرىء ... فليس له بر يقيه ولا بحر

وقد اشار الى جرح فخذه فى رسالة انفذها الى امه وهى من أولى قصائده الرّوميات المشهورة التى كان يكتبها من اسره ، وفيها يقول :

مصابى جليل والعزاء جميل ... وظنى ان الله سوف يديل
جراح تحاماها الاساة مخافة ... وسقمان : باد منهما ودخيل
واسر اقاسيه وليل نجومه ... ارى كل شيء غيرهن يزول

وقضى الشاعر فى أسره — كما قلنا — اربع سنوات .

وقد أخذ ابو فراس وهو اسير فى الاستنجاد بسيف الدولة ليفك أسره ، وفى بعض هذا الاستنجاد نرى أبا فراس يمن بجهاده من اجل سيف الدوله ، مع حفظه للاحترام لشخصه والتوقير لمكانته ، كقوله :

فمثلك من يدعى لكل عظيمة ... ومثلى من يفدى لكل مسود
تشبث بها اكرومة قبل فوتها ... وكن فى خلاصى صادق العزم واقعد
فان تفتدونى تفتدوا شرف العلا ... واسرع عواد اليكم معود
يدافع عن اعراضكم بلسانه ... ويضرب عنكم بالحسام المهند
متى تخلف الايام مثلى لكم فتى ... طويل نجاد السيف رحب المقلد

ولا وابى ما ساعدان كساعد ولا وابى ما سيدان كسيد
وانك للمولى الذى بك اقتدى وانك للنجم الذى بك اهتدى
وانت الذى عرفتنى طرق العلا وانت الذى اهديتنى كل مقصد
وانت الذى بلغتنى كل غاية مشيت اليها فوق اعناق حسدى
فيا ملبسى النعمى التى جل قدرها لقد اخلقت تلك الثياب فجدد

ولم يخل شعر ابى فراس وهو فى الاسر من تعريض بالاصدقاء والاصحاب الذين نسوه فى اسره ، فمن ذلك قوله :

تناسانى الاصحاب الا عصابة ستلحق بالاخرى غدا وتحول
وان الذى يبقى على العهد منهم وان كثرت دعواهم لقليل
اقلب طرفى لا ارى غير صاحب يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى ان المتارك محسن وان خليلا لا يضر وصول

ثم فدى سيف الدولة ابا فراس باموال عظيمة ، سنة خمس وخمسين وثلاثمائة للهجرة ، وكان ابو فراس يكتب شعرا عن والدته يدل على حبه لها وشوقه اليها كقوله :

لولا العجوز بمنبج ما خفت اسباب المنيه
ولكان لى عما سا لت من الفدى نفس ابيه
لكن اردت مرادها ولو انجذبت الى الدنيه
امست بمنبج حرة بالحزن من بعدى حريه
فيها التقى والدين مجمو عان فى نفس زكيه
لا زال يطرق منبجا فى كل غادية تحيه
يا امتا لا تحزنى وثقى بفضل الله فيه
يا امتا لا تيأسى لله الطاف خفيه
اوصيك بالصبر الجمي ل فانه خير الوصيه

وقد توفى ابو فراس الحمدانى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وعمره سبع وثلاثون سنة ، وكان قد شاب قبل بلوغ العشرين من عمره ولذلك قال :

وما وافت العشرين سنى فما عذر المشيب الى عذارى

وقد قيل ان ابا فراس قد قتل فى « تدمر » ، وهى مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام ، بينها وبين حلب خمسة ايام ، وقال ابن خلكان ، انه مات قتيلا فى مكان يسمى « صدد » وذكر ابن كثير فى « البداية والنهاية » ان ابا فراس مات سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وعمره ثمان واربعون سنة .

ويروى ان ابا فراس قال عند موته ، وهو آخر شعر قاله :

ابنيتى لا تجزعى كل الانام الى ذهاب
نوحى على بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولى اذا ناديتنى فعييت عن رد الجواب
زين الشباب ابو فرا س لم يمتع بالشباب

عليه رحمة الله ورضوانه .

قصــة :

زوجات وأزواج

● عاطف سعودى ●

● شيء ما كان يشدني دائما الى شعر صديقي الاستاذ صبحي كلما شدني هو للحديث في مسالة عدم التوافق الزوجي .. كنت اتامل لون شعره الذي كان المشيب قد بدا في غزوه ، وكنت ارى الاستعدادات التى كان الزمن يقوم بها لرسم خطوطه المعروفة حول فمه وعلى جبهته ..

لكن لما كان حديثه هذا مجردا من الاشارة الى انطباق ذلك على علاقته بزوجته يسرية هانم ، فقد غلب على ظنى ان الامر لايعدو ان يكون مجرد « زيادة معلومات » ، خاصة وان عملنا بالمركز الذى تخصص فى اجراء البحوث الاجتماعية كان يحتم علينا باستمرار مثل هذه الاستزادة ..

بيد أني لاحظت عليه في الآونة الاخيرة شروده أثناء عمله واستغراقه فى التفكير وتقلب حاله بين القنوط والرضا ، والفرح والحزن ، حتى بات واضحا أنه يعانى صراعا داخليا يستعر فيه من قمة رأسه الى اخمص قدميه .

وفي يوم طالت فيه سرحته في ملكوت ما اعتاد أن يسرح فيه ، واذا بى أبادره قائلا :

« ألا ترى ياصبحى بك أن نعود الى الحديث عن مسالة عدم التوافق الزوجي .. لكن بشرط » .

انتبه قائلا : « وماشرطك » ؟

قلت : نحذف كلمة « عدم » .. بمعنى أن نتكلم فى موضوع التوافق الزوجي ، شروطه .. أبعاده ، تنميته ، وقايته ، وما الى ذلك .. فمارأيك » ؟

وولجنا باب الحديث على الفور . واعترف أنى كنت خبيثا بالدرجة التي اسـتبحت لنفسى أن أتلصص على اسراره المنزلية من وراء ستار هــذا الحديث ، ولو أن لى بعض العذر فى أنى كنت أريد أن أعرف درجة وفاقه مع زوجته يسرية آنذاك ... وكانت طريقتي في ذلك أن أنتقل مع صبحي من آن الى آخر من باب النظرية العلمية الى مجال التطبيق العملي ، على بيتى أنا مرة ... وعلى بيته عدة مرات .

وانتهى الحديث ، وخرجت مدام يسرية من امتحان التوافق الزوجى مع زوجها ناجحة ، بل ومتفوقة ... فقد كانت فعلا هذه السيدة من كرائم العقيلات ، كما هو حكمى عليها من قديم ، أدب ، وكمال ، ورقة ، وذوق ... تلك كانت صفاتها المعنوية ... وملاحة وجه ، واتساق عود ، وصـفاء بشرة ... وتلك كانت صفاتها الجسدية .

وحارت نفسى فى تعليل هذه الحالة التى اصيب بها صديقي وزميل صبحي ... ما الذى جعله يتارجح بين السعادة الغامرة مرة والتعاسة العارمة مرة اخرى ... وما الذى يدعوه الى الحديث معى عن موضوع عدم التوافق الزوجي ؟

وذات يوم قررت ان القى بالقفاز فى وجه صبحى وليكن مايكون ... فقلت له فجاة وبغير مقدمات : اسمع ياصبحي .. اقول لك الحق ؟

قال : وهل تعودت منك غيره ؟

قلت : انت تحب امراة اخرى غير مدام يسرية !

وتوقعت بعدها أن اسمع منه ما لا ارضى ، او انه سيستنكر رأيى فى درجة أمانته الزوجية . لكن وعلى خلاف ماتوقعت ، اجابنى فى هدوء : نعم انا احب ياصديقى وغارق لأذنى فى الحب !

قلت له : ومدام يسرية .. هل تغير مكانها من قلبك ؟

قال : أبدا .. المدام لم تتاثر أبدا بما أعانى منه !

قلت : مادام الامر كذلك فعليك اذا بالمقاومة . دعم أسوار قلبك يا أخى ضد هذا الهجوم العاطفى الدخيل !

وفاجانى قائلا : فات الاوان .. فنحن الان نفكر فى الزواج !

لم أشأ أن أعارضه او أستنكر كلامه ، عن قصد ... فقد كنت أعلم أن المعارضـة أو الاستنكار فى ذلك الوقت تاتى بنتيجة عكسية ، لان معنى ذلك انى احكم عليه بانه مخطىء . والانسان بطبيعته نادرا مايقبل الاعتراف بالخطا ... كل مافعلت ساعتها أن ذكرته بالاولاد ، فقال انه سيضاعف مايعطيه لهم . ومدام يسرية يا أستاذ صبحي ؟ قال انها ان شاء الله لن ينقصها شيء ... قلت موافقا : « على بركة الله » ..

ومضت أيام على هذا الحديث ، واطمان صبحى الى أن مباركتي لمشروع زواجه الجـديد مباركة من القلب ، فاطلعنى على اسم فتـاته الجـديدة وكل المعلومات عنها ، الى ان وصل « البعير الى القشـة التي قصـمت ظهره » ... فثرت ، بل واحترقت حقيقة وهو يقول لى أن عمرها لايزيد على العشرين ربيعا ...

عرفت لحظتها ما الذى يشدنى دائما الى شـعره وخطوط وجهه ، كلما شدنى الى الحديث عن مسالة عدم التوافق الزوجى ... عرفت أن لســانه كان يتحدث بما يجول بخاطره فعلا . هو يحب . والرجل حين يحب فى مثل هذه السن وفى مثل تلك الظروف الاجتماعية التى تحيط به من زوجة وأولاد ومسئوليات جسام . مثل هذا الشخص يشعر فى قرارة نفسه أنه يرتكب اثما اذ يعتدى على كل هذه البراعم الطيبة بسبب نزوة طارئة . ولـكى يتجنب قسوة هــذا الشـــعور بالاثم فهو يبحث دائما عن مبرر مقنع ليستريح اليه . والمبرر العام والعبارة المطاطة التى تلائم هذه المناسـبة هى حـكاية « عدم التوافق الزوجى » .

عرفت فيه حكاية « الطفو النفسى » ، شعور عميق بالذنب كلما طفا الى السطح ، غطاه صبحى بالحديث

المستمر عن التوافق الزوجي بينه وبين يسرية لتبرير موقفه ، ليس امام المجتمع ولا الناس ولا الاسرة المجني عليها بقدر ماهو لتبرير موقفه وابراء ساحته امام نفسه ... ولذلك لم يكن عفو الخاطر من ناحيتي عندما تحدثت اليه في الموضوع العكسي موضوع التوافق الزوجي ووجدت ان مقاييسه متوافرة لديهما . وانه ليس بحاجة الى زواج جديد على الاطلاق ، لذلك قررت ان ابتعد على الفور عن محاولة رفع قيمة يسرية فى عينيه ، وفضلت من جهة اخرى ان اهبط بقيمة سوسن ـ وهو اسم الفتاة الدخيلة ـ فذلك اجدى واوقع ...

وكانت خطتي تقوم على اساس التحليل النفسي لسوسن . فتاة صغيرة تؤثر رجلا جاوز الخمسين ، ومتزوجا وله أولاد ، تشجعه وتدنيه منها .. لماذا ؟ صحيح أن من الفتيات فى مثل هذه السن من ترى انها بشبابها وحيويتها وجمالها تستطيع ان تقهر كل القلوب خصوصا قلوب المتزوجين ، واقولها صريحة خصوصا ـ المتزوجين ـ ليس لان فيهم عسلا وسكرا ، بل لانها تريد أن تحقق لنفسها لذة الانتصار على غيرها من بنات جنسها . تريد أن تحس بسلطان انوثتها الذى لايقهر واقتدار شبابها ، لذلك فهى لاتقنع فى ميدان التحدى برجل أعزل القلب . تريد ان تستولى على رجل بعيد المنال . رجل يكون مسلحا بحب امراة اخرى ! ..

لكن هناك رغم ذلك اسبابا اخرى كثيرة قد تقنع الشباب أن يرمي نفسه طائعا مختارا فى احضان المشيب . ذلك ماكنت أهدف الى الوصول اليه ...

وراقبتها دون أن تدري في دخولها وخروجها وغدوها ورواحها حتى عرفت مكان عملها . وفى يوم ذهبت الى مكان العمل مدعيا المرض . دخلت المستشفى التى تعمل بها وقطعت تذكرة علاج كأى مريض عادى ، وجلست بين المرضى فى صالة عيادة الامراض الباطنية . وطال انتظارنا حتى جاء الطبيب وحضرت ممرضة اخرى لمعاونته فشخط فيها الطبيب وامرها ان تحضر له زميلتها سوسن فهمي ـ اى «المشخوط» فيها ـ لاتعرف الالف من كوز الذرة فى شئون التمريض !

وبعد قليل حضرت التى تعرف ، حضرت تتهادى طوال الطرقة الطويلة وصوت حذائها يحدث ايقاعا رتيبا ، وعطرها يسبقها الى انوف الغلابة من عباد الله المرضى المتألمين . دخلت سوسن غرفة الكشف مع الطبيب وطال انتظارنا . وضجر المنتظرون ماعداى ، لان مهمتى كانت تحتاج الى الصبر .

بدأ النداء على الاسماء وتوالى دخول وخروج المرضى حتى جاء دورى . فانصرفت الى دورة المياه كي اعطى الفرصة لكل المرضى لينتهوا مما جاءوا من أجله . وأطلت الحسناء مرة أخيرة من الباب ونادت اسمى فوجدتنى قبالتها :

« أين كنت ياسيد ... ناديتك ولم تجب ... الا تعرف النظام »

وتحملت شخطتها قائلا : « معلهش يابنتي »

ودخلت وكشفت ، وسألنى الطبيب عما بى فاصطنعت ثقلا فى سمعى حتى اضجرت الطبيب ولاحظت خلال الكشف ما لا تخطئه عين مثلى . عينا الطبيب الحالمة دائما ، نظراته الثاقبة ـ ليس فى جسدى بطبيعة الحال ولا الى عينى ـ ارتفاع الكلفة بين التابع والمتبوع . والضحكات الواعدة والتعليقات الهامسة . ولا أطيل ... خرجا ... وكان الهدوء قد خيم على ارجاء صالة الانتظار فتبعتهما كانا يسيران جنبا الى جنب ، كتفا بكتف . وصلا الى نهاية الطرقة الطويلة ، وكان عليها أن تتجه يسارا وهو الى يمين :

« سوسن .. لاتنسى الليلة فى المسرح انا حاجز تذكرتين .. تدفعين ثمنهما لو تأخرت ! »

فضحكت وقالت : « لا ، لا ... وانا مفلسة ! »

وبسرعة البرق كنت أقف الى شباك حجز التذاكر بالمسرح المحدد للقائهما . التمثيلية هزلية لاشك ... المسرحية ساخرة مثيرة للالم ولو أنها تبدو ضاحكة . فعلا هذا قمة النجاح المسرحى . لابد من مشاهدة الرواية حتى آخرها . البطل والبطلة ورجل مخدوع وزوجة بريئة يعدونها للذبح ، أطفال الزوجة يتعلقون بها . انهم لايعرفون لحداثتهم مايريد القدر ان يفعل بوالدتهم ... ثم ياتى فارس من بعيد ، نما الى علمه خبر المؤامرة ، أخذته دناءة المؤامرة فهل تراه ينجح فى احباطها ... جمهور الصالة يدعو للفارس من كل قلبه . ينتظر فى لهف وقع خطواته . يحس باحساسه ويتجاوب معه ...

ـ « كم تذكرة ياسيد .. ناديت عليك ولم تجب .. الا تعرف أن خلفك صفا طويلا ؟! »

انتبهت قائلا : ـ « آه .. آه اربع تذاكر من فضلك »

ثم خطفت سماعة التليفون وانتظرت الحرارة وجاءت على الخط :

ـ مدام يسرية .. انا عازمك الليلة والاستاذ صبحي على مسرحية « المتزوجون » ..

ـ لكن ..

ـ مايصحش ولا حاجة . انا حاجز اربع تذاكر .. تدفعين ثمنهم لو تأخرت انت وصبحي !

ضحكت يسرية وقالت : « لا ، لا ... وانا مفلسة » !!

واكتمل عقدنا فى الموعد المضروب أمام باب المسرح ... يسرية وزوجها وزوجتي وأنا . ودخلنا ... وصافحت وجوه الحاضرين بالدور صفا صفا ، ركنا ركنا ... خرجت الى الكافتيريا أيضا . لم يحضرا عدت الى مكانى . تملكنى اليأس . لم اشاهد الفصل الاول بطوله . بكيت نقودى الضائعة . أضيئت الانوار فخرجت أنا وصبحى لنحضر للسيدتين شيئا تتسليان به من الخارج ، وهناك لفرحتي وجدتهما الطبيب وسوسن ، كانا يجلسان فى مكان منعزل بآخر الصالة يتهامسان ويتضاحكان . جذبت صبحى من يده وقلت له فى براءة :

ـ تعالى معى .

ـ الى أين ؟

ـ أعرفك بدكتور شاطر جدا !

واقتحمت على الطبيب خلوته . صافحته بحرارة واخذت أدعو له ، وأشكره على عنايته بى هذا الصباح ... وكلما قال لى لا شكر على واجب ، زدته شكرا ! ... وكلما حاول اقناعى انه انما كان يقوم بعمله المكلف به زدته تفخيما ، واحطته اعجابا ، حتى اضجرته . أما صبحى ... فتركته فى ذهوله وهو ينظر الى رفيقة الطبيب الجالسة الى جواره . وكان الامر لايعنينى فى قليل أو كثير !

وانتهت المسرحية ، وفى طريقنا للخروج نظرت الى مدام يسرية قائلا :

يارب تكون المسرحية عجبتك !

ـ فى الحقيقة مسرحية هايلة !

ثم نظرت الى صديقى صبحى فى براءة تامة وقلت له :

وانت يا صبحى . ما رايك ؟

مط صبحى شفتيه وقال :

« فى الحقيقة ... لم يعجبنى منها الا الفصل الاول » !!

إنسانية..

الأدب النسائي

● شفيق محمود عبد اللطيف ●

عندما بدأت كلمة ادب تتخذ مسارها التخصصي على اسنة الاقلام ، كانت المرأة في قلق وحيرة .. ذلك لانها تشعر بانها مخلوق ناقص التكوين ، لان الرجل سبقها الى الشعر والنثر ، وصار مثالا رائدا للحياة العقلية والفكرية .. فالرجل هو القائد والجندي والفيلسوف والشاعر والمفكر وصانع الحضارة منذ فجر التاريخ الذي يفخر بان العباقرة كلهم من الرجال ! ..

وامام هذا كله لم تطل حيرة المرأة ، فقد اتجهت تدعو بنات جنسها للخروج من هذه القوقعة المظلمة الضيقة — الى عالم الرجال .

فالرجل ، كما يقولون ، هو الذي صنع تاريخ الحضارة الانسانية والمرأة جنس مساعد ، لانها لن تستطيع الحياة الا في ظل الرجل .. رغم ان كلمة « انسان » تشمل الرجل والمرأة ايضا ..

.. وهذه العقدة قد حفزت المرأة لكي تخلق لها وجودا وكيانا في عالم الادب مثل كيان الرجل ، الذي بدأ به الرجل وسبق منذ فجر التاريخ الانساني ..

فالمرأة مخلوق غيور ، يدفعها احساسها بالقيمة الذاتية الى تأكيد وجودها في هذا الميدان ..

وقد برزت عندها هذه النزعة وتأكدت في اواخر القرن الماضي ، وحتى يومنا هذا وحيث برزت في الافاق الادبية وجوه واقلام سوية تحمل قسمات فكرية مرتكزة على النهج القصصي .

وهناك « وردة اليازجي » التي نهجت نهج الرجال في تناول القضايا الادبية

و « عائشة التيمورية » التي بحثت قضايا العصر من خلال رؤيتها الاجتماعية ..

كذلك « مي زيادة » التي جعلت من صالونها الأدبي محورا فكريا جديدا للمرأة ، ولتبدأ مساجلات ادبية مع جبران خليل جبران .

وفي يومنا هذا نجد كثيرات على قمة الادب النسائي امثال الدكتوره سهير القلماوي ، وبنت الشاطيء ، وامينة السعيد وعاتكة الخزرجي وغيرهن ممن اثرين المكتبة العربية .. الى جانب شاعرات مجيدات وكاتبات للقصة منهن لطيفة الزيات ، ونوال السعداوي ، وجاذبية صدقي ، وامينة الصاوي ، وحسن شاه ، وسنيه قراعه ، وغيرهن .. هذا الموجه الشابة التي تتلمس طريقها في ميادين ادب القصة والشعر ..

وهذه النزعة النسائية فى الادب لا يمكن اغفالها ، لانها تعبر عن الحياة الاجتماعية المعاصرة ، وكلها - بلاشك فى طياتها ضرورة انتشال المراة من اسر الرجل وجبروته ... لذلك كانت القصة النسائية هى وسيلة للتعبير عن عن كوامن المراة النفسية والاجتماعية وهى كوامن من ينابيعها الصدق والاحساس بالواقع ..

فالمراةحين تكتبانما تكتبمنواقعية الحياة حولها وماتعانيه من قضايامملحة ..وهى وان كانت ، بوجه عام، مقلةفى الكتابة الا انها تسير فى خطين متوازيين: الأول : الرغبة فى أن تكون كيانا مستقلا له شخصيته الأدبية المميزة .. والثانى ان تعبر عن قضيتها المصيرية فى الحياة

والملاحظ ان ادب المراة بوجه عام ادب انفعالى لا يركز على قضايا عامة او اساسية حول قاعدة الحياةالعريضة خاصة فى مجال القصة التى بعث سمة غالبة فى الأدب النسائى ان صح هذا التعبير .. لأن المراة تكتب عادة عما يشغل بنات جنسها فقط ... وفى معظم القصص التى صدرت لاقلام نسائية تلحظ هذه السمة التى تعيش قلقة فى زاوية من العزلة وكان كل ما يهم المراة من قضايا العصر يتركز فى قضيتها الاساسية التى تقلقها . وكان العالم حولها محدد بتلك الرؤية القريبة

ولسنا بحاجة هنا الى تقديم نماذج من القصة النسائية التى تعبر عن ذاتية المراة لكن رجوعنا الى ماتناثر فى المكتبات ، يبرز ان الرؤية النسائية تغلف ابعاد القصة وتكاد لا تخلو من هجوم على انسانية الرجل ، فى حين ان هناك كتابا كثيرين انصفوا المراة ودافعوا عنها ككيان مستقل وباعتبارها نصف المجتمع وركيزة الاسرة ودعامتها ..

ان الادب النسائى فى معظمه لا يكاد يتخطى حدود النزعة الذاتية للمراة وهذا ما يصيب أدب المراة بالقصور فى تناول قضايا العصر ويبعدها من عن عموميتها وعالميتها ..

ولست ارى ما يدعو الى تسمية كتابات المراة « بالأدب النسائى » . لأن الأدب كل لا ينفصل ، ولانه ينبع عن العقل الواعى غير المحدد بجنس .. فالقول بما يسمى بالادب النسائى قول لايرقى الى العقل الواعى لان الادب لا يعرف الزمان ولا المكان ولا الجنس .. انه يتطور مع الحياة ليعبر عنها فى صدق .. ولعل السبب هنا يعود الى ان انعزالية المراة فى الماضىهوالذىاجبرها على القصور وعدم الولوج فى انماط الحياة الاجتماعية ..

ومنالشواهد على ذلكماصدرمؤخرا وما يصدر من قصص تبرز ضياع المراة فى متاهات الحياة باقلام نسائية غير واعية تفتعل القسوة والمرارة وسقوط الى الدرجات السفلى من الحياة ..

والحقيقة التى لامراء فيها ان ادب المراة فى تناول القضايا الانسانية ، قد يكون فى معظمه ادبا لا يرقى الى مستوى ادب الرجل المتميز بالاصالة والقدرة واستيعاب انماط الحياة بوعى وادراك .. لكنا نقول انها بدايات طيبة ان تدخل المراة ميدان الادب وخاصة القصة التى لها مكانتها بين الوان الادب ..

واخيرا ، فان الرجل والمراة يكملان حلقة من حلقات الفكر الانسانى المتطور مع الحياة ..لان المراة نصف المجتمع

الحب عطاء

ومدينة

ملمح عن "العام الأول للميلاد"

● محمد قطب ●

● حين يعزف الأديب للانسان والحياة معزوفة الدوام والاستمرار والعطاء ، يكون قد حفر الدروب طريقا معبدا للانسان ، واضاء بوهجه الفنى شمعة تلقى بضوئها ، وان كان خافتا ـ شعاع امل يفرش على الوجه بسمة كثيرا ما غابت ، ودفقة حب نادرا ما تواجدت وسط جهامة الحياة وقسوتها . ويظل الحب هو العطاء الاول الذى يعطيه الفنان ويسعى اليه .. الحب بمعناه الشمولى الذى يتمازج فيه الجزء بالكل ، الانسان بالجماعة ، الانثى بالارض . هذا التمازج هو الذى يوقفنا على طريق الانتماء الصحيح . والفن يكون عظيما اذا استطاع ان يجدل من الحب والأرض جديلة واحدة ذابت خيوطها وغمست فى محلول الابداع حتى تستحيل خلقا جديدا وتكوينا متجددا .

والفنان فتحى سلامة استطاع فى رواية « العام الأول للميلاد » ان يضع هذه الجديلة وان يتقن الحوار والتحاور بين الحب والأرض . وان يطهر مشاعرنا من كثير من الانفعالات المحبطة حين استوى بطله فى الرواية شخصا سويا بعد معاناة شديدة للوصول الى الولادة الجديدة بوضع الخطوة الأولى على طريق الانتماء والحب .. فبالحب الحقيقى استطاع البطل ان يسيطر على ذاته وان يكتشف ما فيها من جمال وارادة وتوق الى الأفضل ، طمسته ـ فى مسيرته ـ قسوة النشاة ، وذات مستسلمة لشخصيات آسرة نجح أخيرا ان يفلت منها .. وبالمدينة ـ مدينة السويس وهى تواجه الحرب والدمار ـ ، المدينة التى ابى ان يتركها ويهجرها واصر ان يعيش فيها ، ويواجه الصراع والتجربة ، المدينة التى سرقها ، ثم مسك مدفعه ليحارب عنها ، ليكتب شهادة البطولة ويحصل على لقب البطل ، ويضحى فى عيون الرجال رجلا ، بعد أن كان جبانا ، بهذه المدينة ـ رمز الأرض والوطن ـ يحصل البطل على انتمائه ووجوده . و « محمد فؤاد » وهو يعبر عن الخلاص والميلاد الجديد فى نهاية الرواية ينبهر بما فعله ، فلقد استطاع ان يوقف «رتل» الدبابات . وفى التعبير نرى أن الخلاص ليس على مستوى الفرد فقط وانما على مستوى الجماعة . فالكل يحتوى الجزء ولا يستقيم بدونه كما ان الجزء دعامة



الكل واساسه . هو التحاور والتمازج .. يقول فى حديث النفس « يجتاحنى فرح غامر ، بيان شخصى رقم واحد .. اليوم ولدت لا .. بيان عام رقم واحد : اليوم ولدنا .. لا .. بيان مصرى رقم واحد : اليوم صحونا » .

وكما ولد بطلا فى عيون الرجال ، ولد من جديد فى عين « كاتى » حبيبته التى فرت منه ، حين أدماها جبنه وخوفه واستسلامه وضياعه ... هربت منه لتكون . فى النهاية . اليد الحانية التى تخفف عنه الم الاصابة وتداوى جرحه ، وتنفض عنه ركامات الماضى وثقله . ويتحرر «محمد فؤاد» من الاطار الذى ظل يتحرك داخله ، يتحرر حين يعى ذاته ويلتقط الخيط الأول فيستدعى « كاتى » فى الذاكرة يطلبها لترى ميلاده ، وليصنعا سويا أمل الأيام القادمة .. وليعرى نفسه ايضا ويفضحها من منطق التعرف على خبايا الذات واقتناص ما فيها من جماليات فى المعنى والشعور « كاتى .. انا موجود .. أنا أحمل سلاحا غير مسروق .. احمل قهرا أطلقه على أعدائى كى اتحرر .. ولهذا صرت قادرا على الفعل، قادرا على الحركة.»

ومن ثم يحق له ككل الناس الأسوياء أن يحلم وهو حلم طبيعى للتحرر النفسى – بأن يجلس ساعة الظهيرة فى بيته يتحسس ثوب ابنه القادم من ظلام الرحم .

والشوط الذى قطعه ليصل الى هذه النهاية الحالمة والواعدة كان شوطا محاطا بالمعاناة والفشل ومرارة التجريب .. وكان اساسه وبدايته افتقاد الاتزان والاحساس بالضياع والاغتراب وفقدان الهوية .. ولقد عبر الكاتب عن هذا التوزع والشتات تعبيرا جيدا استطاع ان يلم باطرافه ويأتى بابعاده حتى تكتمل ملامح الشخصية الرئيسية ، ولقد كان اقسى مافى الأمر ان يطلب منه شهادة رسمية باسمه حين التحق بعمله انه شخص غير معترف به« يطلقون على فى الشارع اسم عيد ، وينادوننى فى المدرسة باسم الفول . ويصر عيسوى على ان يسمينى عبد الستار . اما امى فيعجبها ان تنادينى بسامى وابى يلقبنى بالأستاذ ، ومدرس الحساب يدعوننى بالغبى .. الخ ... » . وهذا التعبير الذى لجا اليه الكاتب تعبير مقصود يرمى من ورائه الى رسم

الحب عطاء ومدينة

صورة مهتزة للبطل فى عيون الآخرين هذا الاهتزاز انسحب عليه فى الداخل، وشكل طبيعته وسلوكه ، وادى فى النهاية الى أن تكون الشخصية غير مكتفية بذاتها وانما هى فى حاجة دائما الى الغير ليس من منطق السواء فى العلاقة ولكن من منطق العجز .
« ووسط هذا الشتات كان خيط الامل يتراءى واهنا باهتا وسط الجو الكابوسي المحيط . فجو الاسرة الذى يعيش فيه يفتقد الصدق ، والثقة ، والحب والبسمة التى تضىء وتعين على مشوار الحياة .. يعيش بين اب يخاف من الحرب ويشرى منها يرتعب من وسوسة الشيطان والحديث فى السياسة ، يعشق النساء ويغش فى البيع والشراء .. وبين ام تمقت الزوج وتخاف منه وكانه عفريت سيقتلها »
حتى استحال دعاؤها صباحا نحيبا يبعث على الحزن والياس « دعوات امى فى الصباح تاتى كنحيب ابدى لامراة فرعونية نقش على جدران المعبد » .. فالتعبير فى هذه العبارة يسحب من الام كل معنى جميل عجزت أن تعطيه لابنها وسط جو الحب المفتقد .
وربما كان امعانا فى الاستفزاز والتلذذ بعذابات البطل ، أن يصدر الكاتب فى تعبيرية شفافة حذرة حالة التكوين الجنينى له ، وكانما للخوف «جينات» للوراثة .

«تدفعنى الرغبة فى الانطلاق اثر نوبات الحب الهائلة .. الى أن ادور فى عالمى الواسع .. أطوف بتلك الشجيرات المرتفعة والتى ياتى منها الماء معطرا. .. كان عالمى وحده هو الأرحب والاوسع .. والعوالم الاخرى — ان وجدت — فستكون ضيقة ومظلمة .. والخروج من عالمى يعنى الموت .. ولهذا كنت اخاف الخروج من عالمى. .. كنت اخاف الموت » لكنه خرج وحمل خوفه معه . وارتبط بعيسوى وكاتى ... وكان احد اضلاع المثلث كان الضلع الباهت المطموس وكانت هى أمله وحبه ، وحين فقد عيسوى الشخصية التى لا تزال ترف على ذاكرته ، كان أكثر التصاقا بكاتى علّه يعوض فيها موت صديقه ، ويستولد منها انتماء جديدا ينمى الحب ويزيل الخوف .

— وما الذى يحلو لنا ؟
— ان نفعل ، ان نتحرك ، ان نزاول
— لكنى اخاف
— الخوف فى الخطوة الأولى فقط..

والبطل حين فضل أن يبقى فى جو الحرب بالمدينة ، كان تفضيله ادانة للجو المأساوى الذى نشأ فيه وكان أملا ايضا فى أن الحرب التى تعطى لديدان الارض الحق فى الحياة والسمى قد تعطيه هو الخلاص . ففى جو الخراب ، تلتقطه شخصية كابوسية لا تنبت الا فى ادغال الحرب .. وهى شخصية الاعرج ، الذى استدرجه شيئا فشيئا حتى احتواه فى قبضته وسيره حسب هواه واغراضه ، فسرق ونهب ، وكان السقوط انقاذا لكاتى حتى لا تقع فى قبضة اللص . ويكاد السقوط يطمس وجه الحب ، ويبدو العطاء شحيحا ويتبدى الحب وجهها مدمما .. فكيف يستقيم الحب مع النهب واللصوصية ؟

— الرجل الأعرج يريدنى
— لا ، لا تقولى هذا .. لايجرؤ أن يقول هذا ..

وتدمدم الرغبة فى داخله ، تطالبه بأن يحمى حبه من غول الرغبة المجنونة ، من الأعرج، المسخ الانسانى « أيها الحيوان الشرير سوف أقتلك واقتل نفسى ايضا سوف اقتل الخوف فى قلبى . . » . ومن ثم ياتى التعبير متلائما مع الرغبة فى الخلاص ودعوة الى الانسلاخ واستشراف الامل الذى بدا يرف من بعيد . » فلابد لبذرة

الحب هذه أن تجد تربة صالحةللنمو .. فقد آن الأوان « لمحمد فؤاد » أن يعي ذاته ويعي ما يدور حوله وأن يتخلص من أجل حبه . ويتحـــول التعبير من هذه الحالة الى مقطع صوفى شاعرى النسق ، تعبير خارجى لكنه يتغلغل في الموقـف ، « يا غريب . يا ســــاكن السويس .. يا مالك كل الأسرار تعرف أن الحبة لا تنبت كل الازهار . وأن النبت الاخضر لا ينمو، لا يثمر فى الليل .. لكنه يحتاج الى نهار .. والليــــــل الاحمر طال ، ياغريب .. » . ويثور على نفسه ، يخلع من داخله الاب والأم وعيسوى وكاتى والرجل الاعرج والشيخ الرابض داخل نفسه . وهاهى المدينة تزغرد له ويدفن وجهــه المعروق المخذول فى حضنها وهى تهمس فى اذنه اليــــوم صحوت يا ولدى ويتولد احســـاس بالحب جديد ، حب مطـــلق يوحى بالسعادة في لحظة الفنـــاء « سـمعت صوت جنازير الدبابات، ضحكالشيخ وقال ـــ جاء دورك لا تدعهم يمرون». وتضحك الدنيا له وباقة الورد تزين مضجعه فى المستشفى ،فقد فقد ساقه اليمنى ، وتهدهده كاتى فى صوت رقيق شجى «طاهرا عدت الي . بطلا رجعت» ويعود الحب مرة ثانية الى المدينـــة بعد طول غياب .

ـــ كاتى احبك

ـــ احبك

ـــ ولكن الحب ...

ـــ عطاء .

ـــ الحب عطاء ومدينة .

وهكذا تكتمـــــل الدائرة ويمتزج الحبان ، حب الأنثى وحب الارض ، وتتحرر الذات حين تكون الحرب هى الخلاص بالحب .

واننا لنلحظ من خلال الرواية قدرا هائلا من الانفعالات ومن المواقف ومن الرصد الدقيق يخرج من عدســـــة الكاتب .. انها تعلمـــــة من ذاته ، والذاتية صفة تستقطب الرواية حين تسجل ما يجرى فى العقل عبر تيـــار الشعور واللاوعي . وهـــو يؤكد على حقيقة هامة تتمثل فى تأكيد الحريةعبر التعبير . فلم يعد الاديب يكتب لذات الكتابة وانما ليتحرر بشخصيته هو ، يزيح عن نفسه الخـــوف والمعــاناة والغربة ، ويتقدم عبر فنه ليســـاعد القراء على التحرر ـــ هم الآخرون ـــ من هذه الانفعالات . ومن ثم يحدث التواصل الفنى بين المبدع والمتلقى . والكاتب بفنية واضـــحة « يدرك أن الفن هو أسمى فعل من افعال الحرية يمكن أن يأتيه الانسان » .

والرواية ـــ وهذا ملمحواحد منها ـــ تميزت بقدرتها على تصوير الشخصية المحورية فىدقة وواقعية رغم اندراجها تحت ما يسمى بادب تيار الوعى . اذ كان الموضوع الروائى هـــو الوجود النفسى للشخصية او « الانسان مـن الداخل » . والرواية مصممة بمعمار فنى مدروس ومقصود ، وهذا القصد يعطيها قدرا من الحساسية والتنـوع حيث تقوم على ركائز تجريبية فىالبناء، والاسلوب ،والزمن ، والفعل ، والمكان، واستتبع ذلك كثيرا من الاسترجاعات وحديث النفس والذاكرة ، وفيضـان الوعى والتداخل الآنى فى الزمن والوعى والحوار . ومن ثم فالرواية فى حاجة، لحظة القراءة ، الى اخلاص العقــل وتركيز الفكر . فنحن امام عمل ادبى متميز ، احتشدت له كثير من المقـومات الفنية التى علت به واكـــدت قيمتــه الفنية والجمالية والفكرية. واوضحت فى مرارة مدى ما يصيب المرء منا من حزن وهو يرى مثل هذا العمل الجيد يقابل بالصمت مع ان كاتبـــة فتحى ســـــلامة ـــ احد اصوات الرواية المجيدين .

قصـــة

أزمتى الأخيرة

● نجيبة العسال ●

● امتدت اصابعى توقع عــلى عقد الشركة ووقع حامدبعدى، وامتدت ايدى الشهود وهم المحامى ، ووكيله وشـــقيق حامد واخى الاكبر محمود .. ثم امتـدت الايدى بالتهنئة لنا ، وتعانقنا اناوحامد ثم قال حامد بصوته الجهــــورى الصاخب ويده تربت على كتفى :

ــ انتهى الامر ، والاصحاب اصبحوا شركاء ... من الآن لن اتركـك ، ولن تتركنى . لقد اصبحت مصالحنــا واحدة هذا بالاضافة الى الصــداقة الاصيلة ، والرابطة القديمة !

وقلت بكلمات احسستها تخرج من اعماق قلبى ..

ــ صداقة ، ورابطـة ، وشركة الى الابد ان شاء الله !.

والتقت عينى بعينى اخى محمـود عفوا فى لمحة خاطفة ، واكدت لى نظرته التى حاول أن يخفيها سريعا ، انه لن يحيد عن رأيه فى حامد حتى ولو كتب لهذه الشركة ، أن تظل فعـلا الى الابد .. لم أهتم كثيرا لنظرة محمود كمالم اهتم لرأيه فى حامد من قبل فقد كان محمود لا يرتاح لصداقتى بحامدوكنت اعزو هذا الى أن الأخ الاكبر دائما يحب السيطرة على الأخ الاصــغر حتى فى تصرفاته الشخصية وفى صــداقاته ، ولكنى اناشخصيا ومنذ بدات صداقتى لحامد وانا اكن له فى نفسى قدرا كبيرا من الاعجاب ، فهو سريع التصرف،لبقا مع الناس ، حاضر النكتة والبسمة ، لا ينمى هما لامور كثيرةربما لو صادفت بعض الناس لاخذت من اعصــابهم وتفكيرهم اياما وليالى . اما انافمكسه تماما .. لا استطيع التبســـط فى الحديث مع الناس بسهولة ، ولا يمكننى عقد صداقة الا بعد أن احس فعــلا باشياء تربطنى بالآخرين ، فالصــداقة فى اعتبارى تعنى الكثير .

ان الصداقة احسها دائما كالخيط المشدود عبر الفضاء لا تراه ، ولكنك تحس به قويا متينا ، يشدك الى من ترتاح الى صداقته .

كنت احس انى وحامد تربطناصداقة من هذا النوع فضلاعن طباعه الحقيقية التى كانت تشدنى اليه أكثر، انه يقابل مشاكله ببساطة ومرح ، وسرعان ما اجدها وقد حلت وانزاح ثقلها عن اكتافه .. أما انا فقد كانت اى مشــكلة تصادفنى أو اى عقبــة ارتطم بها فى الحياة تؤرقنى كثيرا واظل داخــل ضبابها الى ان اجد لها حلا مرضــيا أو كليا ..

..ولم يكن حامد ليتركنى ابدا تحت سيطرة طبيعتى بل كان دائما يمد يده الى ليخرج بى الى الفضاء الى رحابة الحياة وسعة صدرها ــ ولكــن اخى محمود كان دائما غير راض عن صحبتى لحامد فهو فى نظره انسان ذو حدين يخفى تحت هذه الصورة الصــاخبة خبثا دفينا فى نفســه . يخفيه بمهارة وذكاء حاد لانه على حد تعبير محمود شخص منتفع فى كل الحالات . ومــا صحبته لى الا ليستفيد على حســابى ان لم تكن استفادة واضحة ملموسة فهى دائما على هيئة المصروفات النثرية لكلينا والتى اقوم بها وحدى كعرفان بجميل حامد لانه لا يتركنى ابدا لانطوائى وصمتى ، ويعمل كل ما فى وسعه حتى

يجدني سعيدا اشعر باقبال الحياة على وافتح لها صدري .

لذلك كنت احس دائما بمدى حب حامد لي واشكر له داخل نفسي كل مجهوداته في سبيل خروجي من ازماتي النفسية التي كنت اعرف حقيقتها ، ومع ذلك لا استطيع مقاومتهـــا ، والسبب كان واضحا لي كل الوضوح ، فرغم وصولي الى سن السابعـــة والعشرين الا انني لم اكن قد ارتبطت عاطفيا او بمعنى اصح لم استقر عاطفيا بعد . ان الحب ايضا له في نفسي وفي يقيني بعض الشروط لم تقابلني فرغم تعدد قصص الحب التي صـــادفتني لكنني لم اجد الروح التي احسبهـــا تسبح معي ولم اجد العقـــل الذي يلتقط افكاري وهي تدور في راسي ..

ربما اكون انسانا حالما ، وربمـا اكون رجلا مثاليا او هكذا ابدو لنفسي ، ولكنها الحقيقة حقيقة نفسي التي كانت تخرجني من كل قصة حب تصادفني .. وكثيرون كانوا لا يفهمون حقيقـة مشاعري ، ومبعث ازماتي ، وحامـد وحده هو الذي يجاهد دائما وبفهم كبير حتى يخرجني من ازماتي ، ولهـــذا كانت صداقتي به تزداد على مر الايام

ـ اخيرا كان عرض تلك الشركة بيني وبين حامد بعد ان توفى والدي وترك لي مبلغا من المال لا باس به . لم يوافق اخي محمود على العرض اولا ، ثم وافق عليـه مرغما لرغبتي لا اكثر ، وكـان العرض في ان تقوم بيننا شركة الملابس الجاهزة امولهـا انا بمالي واشرف على اعمالها في المصنع الذي يعمل فيـــه متخصصون في الملابس الجـــاهزة . ويعمل حامد في الخارج يشتري للمصنع كل ما يلزمه من الاقمشة ثم يســـوق الانتاج من الملابس ، وكل المكاســـب تقسم بيننا مناصفة .

ـ سارت الامور بيننا من حســـن الى احسن ، وبدا اسمنا يعـــرف في الســـوق ، وازدهر انتاجنا وكنت سعيدا جدا بنشاط حامد ونســـيت قصص الحب التي لم تكتمل في حياتي وبدات اشعر بالحياة من حولي نشطة مرحة سعيدة وبطبيعتي الهادئة رحت اشرف على سير العمل بجدية وفهم ، ولكن كانت هناك بعض الملاحظات على مظهر حامد جعلتني اشعر بوخز داخل نفسي بدأ يقلـق راحتي . ان دخـل حامد من مكاسبه التي تعادل مكاسبي تماما لا يتيح له اطلاقا ان يبدو عـلى هذه الدرجة من البحبوحة في العيش التي اصبح عليهـــا . اذن لابد ان في الامر سر .

وبدات استرجع كل كلمـــات اخي محمود عندما كان يعارض تلك الشركة بيني وبين حامد وذلك الخبث الذي اشار اليه محمود وقال ان حامدا يخفيه بذكاء حاد . وفي احـدى الليـالي لم تر عيني النوم .. ان كان حامد يخفي خبثـــه بذكاء فانا ايضـــا رغم طيبتي لست غبيا وان كنت دائما افضـــل الطريق السليم . ولكـــن لن تنقصني الصراحة . والشجاعة حتى اواجهـه ان كان في تصرفاته ما يشين اذن لابد ان اتاكد قبل ان اواجهه . وفي الصباح كان اول ما فعـــلته ان اخرجت كل فواتير الاقمشة التي دخلت المصـــنع على يد حامد وكل الفواتير التي تحولت الينا من ثمن الملابس الجاهزة ودخلت الى المصنع على يد حامد .. واكتشفت تلك البـــورة في نفس حامد وصـــدقت كل كلمات اخي الاكبر محمود .. كانت هناك في الفواتير ارقام قليلة مضـــافة **الى ثمن الشراء . وارقام اخـــرى محذوفة من سعر البيع اخفاها حامد بمهارة فائقة ، واكتشفتهـــا انا بذكاء صادق . وواجهت حامدا في سرعـة وشجاعة . واسف شديد . وحـاول الانكار ولكن كانت الحقيقة اقوى منه**

وصفينا الشركة التي لم تستمر الى الابد لانها قامت اساسا على جـــانبين مختلفين جانب صادق مخاص لا ينقصه الذكاء والآخر يخفي خبثه بذكاء حاد تحت صور من المرح الصاخب .

ولدهشتي البالغة بعد ذلك انني لم اجد نفسي داخل ازمة نفسية كما كنت اتصـــور ، ولم احتـــج الى اي انســـان يخـــرجني من ازماتي بعد هـــذا ....

أفضل أعمال تنيسى وليامز فى التناول الفنى على الشاشة

● مارى غضبان ●

●● قدمت مجلة ((تايم)) الامريكية دراسة خاصة عن اعمال الاديب الامريكى الكبير تينسي ويليامز ، وكيف تحولت الى رؤية فنيةعلى شاشة السينما وعبر الشاشةالتليفزيونية الصغيرة .
تناولت الدراسة أشهر اعمال تينسى ويليامز ، وابرزتان انجحها فيالتناول الفنى كان ((عربة اللذة)) ثم ((قطة على سطح من الصفيح الساخن)) بينما كان افضلها فى التناول السينمائى روايته ((فجاة ..فى الصيف الماضى))

●● وفيلم ((فجاة .. فى الصيف الماضى)) لعبت بطولته اليزابيث تايلور أشهر نجمات الخمسينات والستينات مع كاثرين هيبورن أشهر نجمات الاربعينات ، وقام بالبطولة أمامهما ــ الممثل الراحل مونتجمرى كليفت الذى تفوق فى تجسيد شخصية عالم النفس ورائد المدرسة التحليلية ((فرويد)) ودور مونتجمرى كليفت فى هذا الفيلم يعتبر اخر أعمال الممثل الشاب الراحل.
والفيلم مستمد من مسرحية تينسى ويليامز ((فجاة ..فى الصيف الماضى)) كتب السيناريو والمعالجة الفنية جور فيدال تحتاشراف تينسى ويلىامز والفيلم من انتاج سام شبيجل واخراج جوزيف مانكفيتش .

● سلسلة المغامرات الفجة ●

وتبرير ناقد مجلة ((تايم)) فى اختيار هذا العمل بالتحديد ليدلل على انه اقرب اعمال تينسى ويليامز تعبيرا عنه من بين اعماله التى حولتها الشاشة الى اعمال فنية ، هذا التبرير يعود الى تينسى ويليامز نفسه الذى اوضح فى كتابه ((الفرار من الفندق الكئيب)) حالته الشعورية واعترافاته التى تشبه دور الشخصية المحورية التى يدور حولها مضمون المسرحية المكتوبة ثم الفيلم السينمائى دون ظهورها أمام المتفرج بالرغم من تاثيرها الكبير على محريات الاحداث والتاثير على شخصية ابطال ونجوم العمل الفنى ..

فيقول تينسى ويليامز فى كتابه الذى يضم جانبا من ذكريات حياته ان حياته كانت سلسلة من المغامرات الفجة قبل ان يصل الى سن الثامنة والعشرين بعد ان ذهبالى نيو اورليانز واعتبر الشذوذمسلكا وقرارا باختياره عندما كتب اعماله الأولى : معركة الملائكة ــ معرض الوحوش الزجاجى ، ففى ذلك تأكيد لمعظم كتابات النقد التى تناولته فى اختياره لشخصياته ، بينما فى مسرحيته ((فجاة..فى الصيف الماضى))



اليزابيث تايلور

يبرز توفيقه فى اختيار الشخصية النسائية والتعبير عنها مما يدحض اتهامات نقاده ، لانه استطاع من خلالها ان يخلق شخصية انثوية أصيلة ، فعلى الرغم من تأثير سلوكه على اختياره لابطال رواياته الا أن ويليامز نفسه يقول فى كتابه « الفرار من الفندق الكئيب » انه لا يستبعد هذا وان كان لا يستبعد أن يكون للشخصيات النسائية التى وصفها فى رواياته نفس الدور الذى لعبته فى حياته ، ففى مسرحياته الاولى خلق تينسى ويليامز من أسرته ، أخته وامه وعمته ـ وهى العمة « بيل » التى تتحدث بهستيريا مع كثير من الفصاحة.

● اقرب اعماله الى نفسه ●

وعلى حد تعبير تينسى ويليامز فان لحياته تأثير على فنه فيستطيع أن يكتب من واقع تجاربه .. ماذا حدث وما الذى يحتمل أن يحدث .. وفى اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات حقق تينسى ويليامز نشاط كبيرا فى مجالات الابداع المسرحي ، فقد كان

سيجموند فرويد

له فى كل موسم مسرحى مسرحية كبرى تعرض على مسارح برودواى

.. ثم انكمش نشاطه فى اواخر الخمسينات ، ليعود مرة اخرى بشكل مكثف فى الستينات التى كتب خلالها « ملكية الارض » ومسرحيته السياسية « الشيطان الاحمر » ..

على أن تينسى ويليامز يؤكد فى كتاباته الصحفية أن اقرب اعماله الى نفسه بجانب الصيف الاخير ،مسرحيات: عربة اسمها اللذة ــ كامينو ــ قطة على سطح من الصفيح الساخن »

● ملامح الأسى والمرارة ●

ويبرر نقاد الادب أعجاب ويليامز بمسرحية « فجأة .. فى الصيف الماضى » بظروف طفولته الصعبة واستكمال تعليمه فى ظروف بالغة المرارة .. وهو كانسان أمريكى يعيش الحياة الامريكية التى يلعب فيها الحرص على جمع المال والشراء دورا كبيرا ــ قد طبعت حياته بالكثير من ملامح الاسى والمرارة وحملت نظرته الى الحياة ذات وضع خاص .

● نقاد السينما والادب ●

وبطلة « فجأة فى الصيف الماضى » هى كاترين ــ « اليزابيث تايلور » ، وقد مات ابن عمتها فى ظروف غير طبيعية ، وضعت هى فى مصحة عقلية للظروف النفسية الاليمة التى مرت بها والدة الشاب المتوفى «كاترين هيبورن» ولجأت عمتها الثرية الى طبيب نفسى وجراح فى المخ والأعصاب « مونتجمرى كليفت » لعمل جراحة للفتاة فى المخ حتى ينتهى من عقلها كل الظروف الصعبة لموت ابن عمتها .

ويتأثر الطبيب بواقع الفتاة ويتبادل معها مشاعر الحب ويقتنع بالعلاج سبيلا لانقاذها بدلا من الجراحة ،



كاترين هيبورن

ويتصور أنه سيتوصل الى الحقيقة من خلال هذا العلاج .

وكان لتأثير هذا العلاج واقع جديد على العمة التى بدأت تعترف باشياء جديدة مؤداها أن شخصا مجهولا له تأثير على الشاب المتوفى وله تأثير سادى على الاخرين

●● ورغم أن الفيلم لم يحقق اية جوائز سينمائية الا انه فى راى نقاد السينما ونقاد الادب من افضل اعمال ويليامز التى عالجتها الشاشة، بعد أن قدمها المسرح باسلوب جيد . والفيلم بداية سلسلة من الافلام التى تضم شخصيات مركبة ومعقدة قدمتها اليزابيث تايلور فى السينما ولم يتح لنا ان نتابع افلامها تلك خلال السنوات الاخيرة .

نعم.. و.. لا!

● للشاعر الروماني المعاصر : ايوجين جيبيلانو ●
● ترجمة : د . سليم الاسيوطى ●

فى بداية حياته الادبية كان شعره شبيها بتماثيل منحوتة بمعزل عن الحياة ، وبعد هذه الفترة ، نأى شعره عن الذاتية التى ظلت تلازمه على امتداد ثلاثين عاما . وعلى الرغم من روح الاحتجاج التى كانت قوام قصائده واحتفاله بانتصار الاشتراكية ، فان قصائده ظلت دائما تعبق بنكهة عاطفية مفرطة وحماسة بالغة ، وله ترجمات مؤلفات عديدة من مثل الفرنسية والمجرية والاسبانية ، والالمانية . وهو الآن عضو مراسل فى الاكاديمية .

نعم ، ولا ...
انى ، فى كل شىء يخصك ، اضع ثقتى ..
فهناك الكثير عنك ، ولكن الاعمى لا يرى .
انت على اقرب نجم منا ، ومن الطبيعى لك
ان تطلعى !.
انى ارفض الحقيقة القائلة بحياة الانسان
مئة عام ، ثم يختفى ..
وعلى الرغم من انى استطيع ان اراه فانى ارفض
اللامعقول ، فليس كل خاف ـ وهم !..
الالم الروحى اعمق كثيرا من الم الجسد .
انى اؤمن بقوة هؤلاء الذين تعلموا الطيران
وارفض الاذعان ! .
انا الدعاء الدنيوى الذى يتضمن
ذكرى قبله ،
ولى مقابض تسندها ذراعاك ..
وهى اقوى الآن عما كانت فيما مضى ! .
انى ارفض هذا الذى يرغب فى النسيان ،
باسرع وقت ممكن ، انه ميت ...
فهو الذى ، على هذا الفرار
يوقع بالروح فريسة للموت !
انى ارفض الغراب الذى يحاول ان يغطى
النار باجنحته السود ذات الحفيف
ويقول وهو ينعب : اتبعنى فانى جهاز الضوء
انى اؤمن بسمائك المتحررة من قيودها الآن ،
بجمالك اؤمن ...
وبالرداء الذى يكسو الكارك ،
وارفض النسيان ، الى الابد؟

قصة:

طارت عصافير الحب..

● هدى جاد ●

● رنت اليه بكل الحب ، بكل الالتحام .. وجوده معهما في القاهرة لأيام معدودة يغرقها في دوامات التوتر التي تلوي عنقها احيانا وتخبط صدغيها احيانا اخرى ، واخيرا تكاد تغطيها حتى ذؤابات شعر راسها ..

رنت اليه بكل مالديها من حنان ، بكل عدد مرات ترديدها لاسمه ، بكل نبضة قلب ، ولهفة استماع الي صوته ..

ايام اجازته قاربت على الانتهاء ، والأبناء بينهما كالفراشات تحمل رحيق كل منهما لتبثه للطرف الآخر .. رنت اليه بكل الحب قائلة :

ــ كم اتمنى ان تقصر المسافة بيننا :

يضحك وبدوره يرنو اليهما ؛ امازلت متشككة في الدافع لسفري عنكم .. عن احب اجزاء نفسي ؟

رنت اليه بكل الود : ــ ابدا ، ابدا ..كل ما ارجوه لك هو النجاح والتوفيق في عملك كي تؤوب الينا .. هل للهواء بديل للتنفس ؟

وتطل عينيه عليهما ويجيب : ــ تحملنا الكثير ولم يعد لدينا الا القليل.

***

الغيرة ، القلق ، التوتر .. كلها عوامل تحيط بفقاعات الحب المتحمسة..أليس كذلك ياناهد ؟

تمعنت ناهد في وجه اختها رجاء ، ثم سرعان مارمت بأنظارها الى الأرض .. نعم قد يكون ذلك صحيحا، ولكن .. هل للحب منطق ؟

رجاء غارقة في حب زوجها تائهة في ملكوته ، عالمها يحدده اكثر من اطار في كل زاوية منه وجه مأمون : زوجها الذي تقدس تراب قدميه !

ورجاء تملك عينين رائعتين ، لكنهما لاتريان .. لا تريان الا عالمها هي الذي صنعته بقلبها ووجدانها ، ثم وقع علي صحيفته كيانها كله ، باسمها المقرون باسمه ... مأمون متوتر ، نعم .. قلق ، نعم .. والغيرة هذه هي محك الحب العميق ... هي التي تفرض «صيوانا»من قماش متين، يتعرض لرياح الحب العاصفة ويصمد .. ماذا تقول لاختها رجاء ، المنتشية بعاطفة دعمتها بأمومتها وفرشت تحت اقدام افراد اسرتها ابسطة من الورود الثابتة التى لا تذبل ؟..

ــ مامون مسافر بعد غد ، ويرجوني ان اعيش بينكم ، يخاف على من نسمة هواء .. من وحدتي .. من مرض قد يباغتني والأبناء في الخارج،في المدرسة، أو مع أصحابهم يلعبون .. ما رأيك يا ناهد ؟ .

والتحم الأمين ويتكون عش محبة مجدول باحبال ثقة متينة تمسك باطرافها انامل رجاء ، وماذا تملك ناهد حيال ذلك كله ، الا بعض كلمات قد تفي بالتفسير :

ــ انت في اعيننا يا رجاء ، مكانتك كما هي قبل زواجك او بعده ، تضفين علي جو البيت الحيوية .. تدفعينا لنستنشق معا عطر الألفة والود .. وتر « يستكين الى جوار اوتار اخرى، يكون « كمانا » عظيم القدم الا انه متين البنيان ..

التحمت رجاء مع بقية الأوتار : وكان ابوها رجلا حصيفا يثق بان الموسيقى ملهمة ، لكنها لاتجلب الطعام ، اشار الى رجاء قائلا وهما في موقف هادىء

ـ ألم يحن الوقت كى تزورى بيتك؟
ثم سرعان ما رفع ذراعه وبدت ناصعة مسالمة .. استدرك بعد حديثه على الا يؤول كلامه بأن هناك معولا لهدم « الكمان » ، لكنها اليد العازفة باتقان
ـ سافر زوجك يارجاء وجميعنا يعده واحدا من افراد أسرتنا المتماسكة .. لكن الا تحتاج الشقة الى رعاية ؟ الهواء يبعث الدماء فتية فى عروقنا .. الم يحن الوقت لتستطلعى أحوال بيتك ؟
وتنهدت ودق عقلها بطرقات لينة ، لكنها رتيبة . وهمست من بين شفتيها
ـ معك حق يا ابى ، كل الحق ..

***

تذكر تماما انها رزقت بثلاثة ابناء ، لكن هذه الشقة ذات العنوان المنشود، العش الذى انجبت فيه ((يمامهـا)) ، هى نفس الشقة .. العنوان مضبوط الشارع مازال كما هورغم تفاقم زحامه رقم الشقة ثابت . ماالذى حدث بالتمام؟
رنت اليها امراة وقور ، حدقت فى عينيها متسائلة دون أن يسمع لهـا صوت ، لم يعد هناك بد من اخراج الكلمات : ـ ما الذى تريدينـه بالضبط يا سيدتى؟كيف يتوه الانسان عن وعيه وهو بكامل قواه العقليـة ؟ كيف تختلط عليه الرؤى ومازال بصره حادا ؟ .. الوقت من ذهب ، وقلبهـا هى من ماس ، ومع كل فلابد من القاء الضوء على هذا الحب الغامض !..
ـ هذه شقتى يا سيدتى !
ـ كيف ؟ اجرهـا لى رجل محترم قبل ان يسافر الى الخارج .. وهاك اسمه !!
طارت عصافير الحب من قلبهـا ، بعد الاستماع الى رصاصة كانت تظنها طائشة ، هاهى بكل تـوتها ، بكل شبابها ، بكل عافيتها تتحرك .. تسال فى هدوء يمزق شرايينها بلين ،كمشرط لم يصنع شيئا الا مشـاهدته للدماء السائلة ..
تكلمت بدات كلماتها تكون لكمات ضاربة . واحتقن وجههـا ، والتحمت الكلمات وكونت مدفعا رشاشا :
ـ هذه الشقة شقتى .. انجبت فيها كل ابنائى .. الجيران يشهدون ، أهل الحى ايضا .. لكن هناك حقيقـة ثابتة هى ان عقد ايجار الشقة باسمه .. زوجى ... اعنى من كان يـدعى زوجى !!

***

الشقة أو عش الزوجية ، تحول الى دار حضانة .. القشرة الخارجيـة لوجه الزوج تنبىء عن حنان ورحمة، فالهدف هو تجميع اكبـر كم من « اليمام » ليستكين فى حضن أم كبيرة، ويتحول الى دار للحضـانة .. واين تقيم هى؟بعد ان كونت اسرة لاتستطيع بجناحيها القصيرين ان تزيد على عبء أسرتها الاولى عبئا جـديدا ، ياله من «صيوان» حب أبدعته وجملته برياحين وجدانها وعطرته بانفاس حنين أم قبل حنين امراة .. ماذا صنع بها زوجها؟ تظاهر بالحدب فى أن تكـون تحت رعاية العش الاكبر ، عش امها وابيها، كى يخلو له الجو .. تطير عصـافير الحب من الشجر ، ولا يبقى الا جيبه ليمتلىء ذهبـا ، بالاضافة الى مرتبـه الذى يحصل عليه من خارج مصر .
مديرة دار الحضانة ، تحـولت الى صاحبة حق ، اما من وضعت الأساس وبنت طوبة تعلوها اخـرى ، فقـد اصبحت اليوم حالة معول تريد اخراج عصافير مشردة مـن جنتها .. وماذا يقول القانون وعلام يسفر التحقيق.. وكل صـاحب حق . وبطـل النـزاع هارب الى الخارج .. كي تتصـارع ارواح بريئة ، ولا يبقى فى النهاية الا دماء لا يحل الله اراقتها ..
ثم تضحك رجاء حتى تدمع عيناها، ويدق عقلها منذرا اياها ومـذكرا بكل الود ، بكل الحب ، بكل الالتحام .
ماذا جنيت الا باقـة حصى .. لا نفـع فيهـمـا ولا ضرر آآه ●



محطة إلى قلب عالمنا الإسلامي

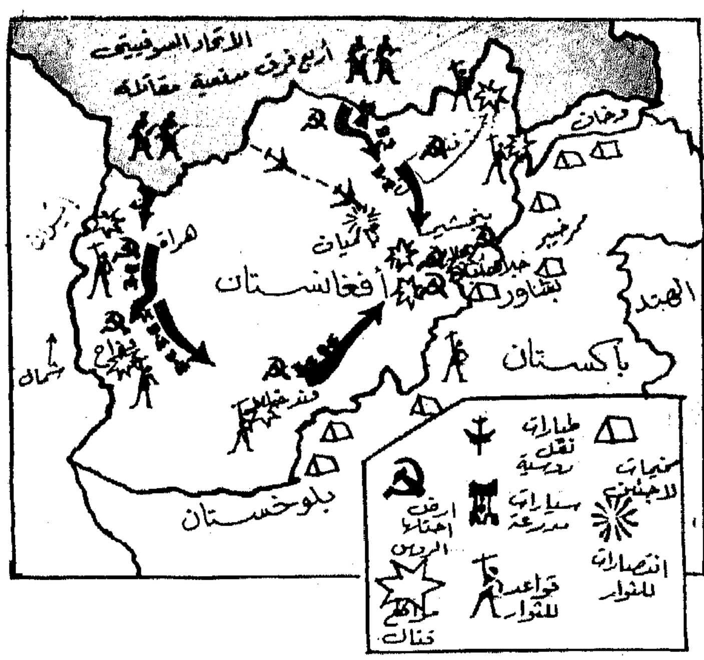
ان سقوط أفغانستان فى أيدى الشيوعية مؤشر خطير لما ينتظر أن يصيب العالم الاسلامى كله اذا سارت الأمور على ما هى سائرة عليه الى الآن ، فان روسيا كشفت عن نواياها ودلت على أن مطامعها فى العالم الاسلامى لا تنتهى عند بلاد التركستان بل تشمل عالم العرب والاسلام كله .. بما فى ذلك البحر المتوسط والمحيط الهندى ... هذا هو الهدف الروسى الذى ندرسه فى هذه الصفحات ..



رجلان أفغانيان يفحصان أسلحة وبنادق يستعملها المجاهدون فى الدفاع عن بلادهم وحربهم مع العدو الشيوعى الغاصب .. انها أسلحة قديمة لا تستطيع الثبات طويلا أمام الروس ، ولكن خلف الأسلحة رجال من حديد قادرون على قهر الروس بهذا السلاح المتواضع وينبغى ان نقف جميعا الى جانبهم ..



افغانستان



● **من اكبر مأسى الكاتب العربي انه اشبه شيء بنهر يفيض في رمال وتتبدد مياهه بين البخر والجفاف ..**

فهو في غالب الامر يكتب لنفسه . من نفسه ينبع وفيها يصب والقليلون الذين يقراونه هم الذين يشاركونه في الرأى ويقولون مثل الذى يقوله، فقراءتهم لما يكتب ليس فيها بلاغ رسالة وانما هى رجع صدى ..

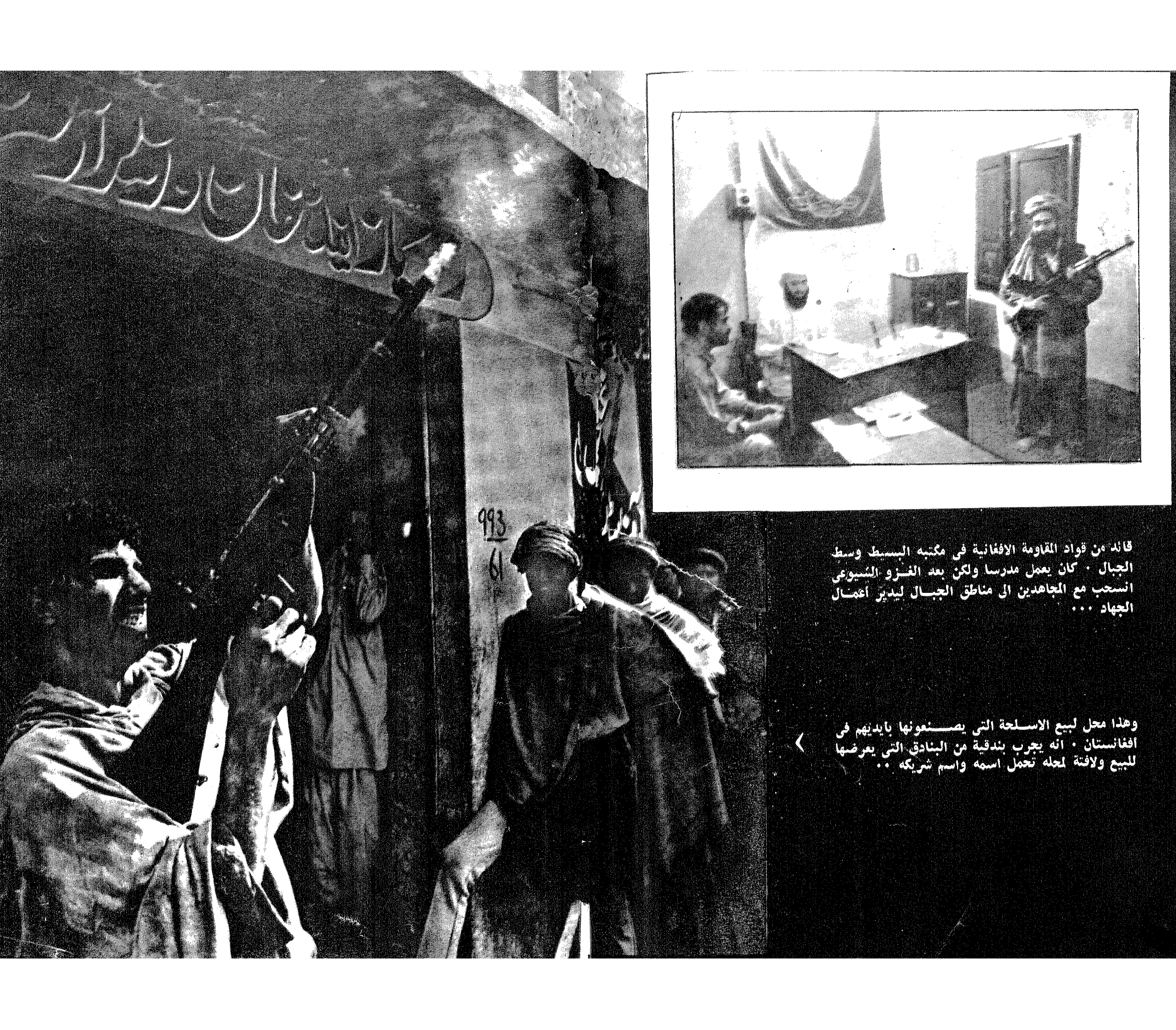
اما الذين يكتب لهم ، ويريد أن يهديهم آراءه حتى تتحول على ايديهم الى حقائق ومنافع فهم أهل القوة والتنفيذ. وهؤلاء في الغالب لا يقرأون كلام مفكر أو أديب ، وقراءاتهم مقتصرة على ما يسمى بالمذكرات والتقارير ، وهى كلام ركيك سقيم لا يتحصل منه شيء ، لأنه يكتب ليؤكد شعور الامتياز والخبرة

منطقة الحدود بين افغانستان وباكستان هي اليوم
منطقة الدفاع عن الإسلام وإعاقة التقدم الشيوعي
هذه المنطقة كانت دائما ميدان حروب متصلة
لأنها منطقة الممرات التي تخترق جبال الهندكوش
وسليمان .

تلك هي خريطة الباكستان وخط الحدود مع أفغانستان .. الى هنا سيقبل الروس اذا لم يجدوا قوة تقف أمامهم ، فسيكون في يدهم ممر خيبر ومداخل الهند وجبال الهندكوش . بعد ذلك لن يستطيع الوقوف أمام الروس أحد ...



الافغان وخاصة اهل منطقة بوخشان ومداخل ممر خيبر من امهر الناس فى الصناعات اليدوية • انهم يصنعون كل شىء بأيديهم من المدافع الى اجهزة الراديو• انهم « يخرطون » اى شكل واشكال قطع الغيار ومكونات المسدسات والبنادق والمدافع •••



قائد من قواد المقاومة الافغانية فى مكتبه البسيط وسط الجبال . كان يعمل مدرسا ولكن بعد الغزو الشيوعى انسحب مع المجاهدين الى مناطق الجبال ليدير أعمال الجهاد ...

وهذا محل لبيع الاسلحة التى يصنعونها بايديهم فى افغانستان . انه يجرب بندقية من البنادق التى يعرضها للبيع ولافتة لمحله تحمل اسمه واسم شريكه ..

افغانستان





والعلم عند ناس يرون انهم أهل الامتياز والخبرة والعلم ، ونادرا ما تضم التقارير والمذكرات رأيا جديدا صالحا ، انما هو دائما القديم مكتوب على ورق جديد .

وقد كانت لى فى يوم من الايام صداقة مع مدير مكتبواحد من رؤساء الوزارات فكان هذا الرئيس يقول له : اكتب لى مذكرة عن كذا وقل فيها كذا وكذا ، ويكتب الرجل المذكرة ويضمنها الكلام الذى سمعه من رئيسه دون زيادة ، ويرفعها الى الوزير الخطير فيوقعها ويتقدم بها الى مجلس الوزراء زاعما انها خلاصة آراء ومداولات ، ويقر المجلس المذكرة ، وهكذا كان الحوار يدور بين الوزير ونفسه ،بين صوته وصدى صوته اما ما يكتبه الآخرون من المتخصصين وأهل العلم والخبرة فيتلاشى دائما على عتبات الادارة والتنفيذ ، وقلما يصل الى حيث اراد الكاتب له ان يصل .

اقول هذا لاننى سبق ان قلت هذا الكلام عن مأساة افغانستان وما لابد ان يتلوها فى صحف ومجلات منها هذا ((الهلال)) نفسه ، وما من شىء كان يدور فى خواطرالروس نحو الاسلام والمسلمين الا كتبناه وكشفناه ولكن لمن تنشد مزاميرك يا داود ؟

ومع هذا فان داود سيظل ينفخ فى مزاميره ، فهذه رسالته وهذا قدره . والكلام الذى ستقراه فيما يلى انما هو ترديد لنفس المزمار القديم ، ولكنه كان فى الماضى تنبيه وانذار ، وهو اليوم مرثية وبكاء على أطلال جدار .

***

ان أعين الروس على افغانستان منذ العشرينات فان لينين عندما قام بثورة اكتوبر كان ظاهر كلامه انه يريد أن ينشىء عصرا جديدا يقوم على وضع « العمل » وضعه الصحيح ، وقال ما ردده كارل ماركس فى بيانه المشهور من أن العمل سلعة تباع وتشترى ، وهى فى آخر الامر أغلى السلع ، لأن جذع الشجرة لا يساوى شيئا الا اذا حولته يد النجار الى مكتب ، أو دولاب ، وفيما خلا ذلك فهو حطب يصطلى به أو يطبخ عليه . وما دام هذا هكذا فان عمل



المجاهدون فى الجبال يتنـــاولون طعامهم المتواضع . انه لايخرج عن طبق حساء يغمسون فيه الخبز ، وعلى هذا الزاد القليل يعيشـــون راضين سعداء ..



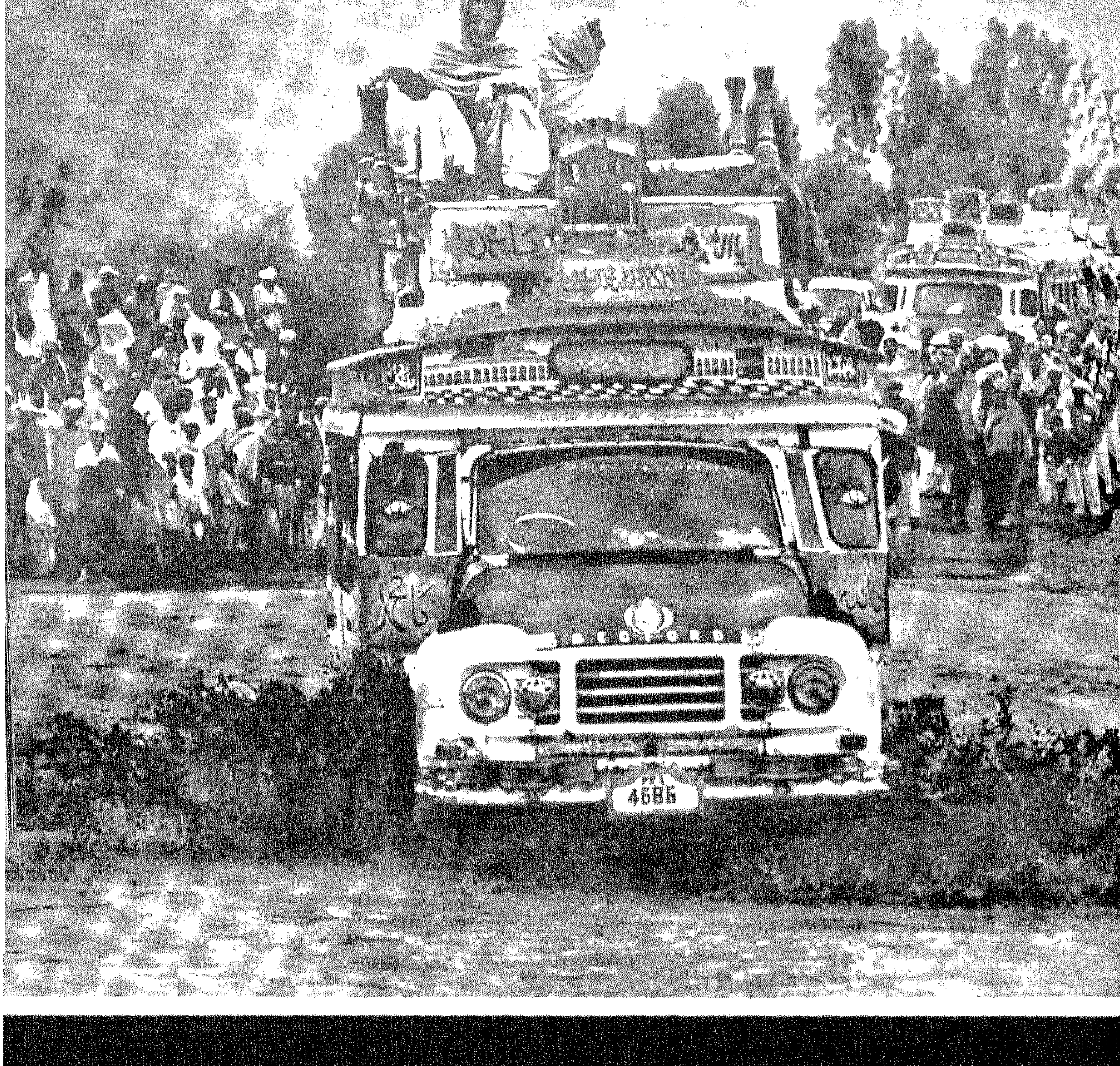
مجاهدون أفغانيون يصلون صلاة الخوف ، وصلاة الخوف هي في الحقيقة صلاة الحرب ، يؤديها المحاربون المسلمون في الميدان في مواجهة الاعداء فنصفهم يصلي والباقي يحرسون .



أفغانستان كلها جبال وأودية ، والناس يعبرون الأودية العميقةفى ناقلات معلقة بحبال من أعالى الجبال كما ترى فى الصورة ...

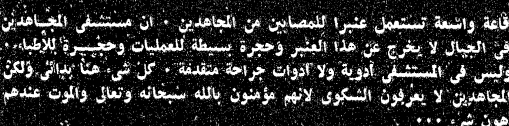
أفغانستان مشهورة بحافلاتها التى يقوم الناس بدهنها بالوان بهيجة ونقوش جميلة وكتابات بالخط الفارسى . هذه حافلة منها مثقلة بحمولتها من الناس ...

أهل قرية أفغانية مطلة على الوادى العميق . انهم ينتظرون دورهم ليعبروا بهذه الطريقة المبتكرة المحفوفة بالاخطار ، ولكن أولئك الناس الذين يعيشون مع الموت لا يعرفون الخوف ...



العامل هو أساس ثروة الأمم وقوة الدول ورخاء الشعوب ، أى انه أهم واقيم شيء فى حياة الجماعات • والعمل هنا ينطبق على كل جهد مثمر : يستوى فيه عمل الفلاح فى الحقل والصانع فى المصنع والباحث فى المعمل والطبيب فى العيادة والمهندس أمام لوح التخطيط والرسم والادارى على مكتب التنفيذ والحاسب أمام دفاتر الحساب •

ولكن لينين كان يقول هذا ويريد غيره فقد كان يعمل على اعادة بناء الامبراطورية الروسية وتوسيع نطاقهـا وتثبيت دعائمها على أساس العقائدية أو الايديولوجية الماركسية : فيزعم فى الظاهر انه يبنى دولة العمل والعمال وهو فى الباطن يبنى دولة الروس ، وباسم توسيع نطاق دولة العمل والعمال يوسع نطاق الامبراطورية الروسية ، فموسكو هى مركز الايديولوجية الجديدة ومهبط وحيها ، والكرملين ، هى قاعدتها ومركز القوة فيها ، والجيش الاحمر هو اداة بناء العالم الجديد ، وما دام فى العالم سذج يتصورون أن الروس يعملون على اقامة العدالة والمساواة بين البشر على أساس القول بان لكل على قدر ما يعمل ولكل على قدر ما يفيد الجماهير - فان الروس يعربدون فى الدنيا كما يريدون بدلا من أن يطبقوا



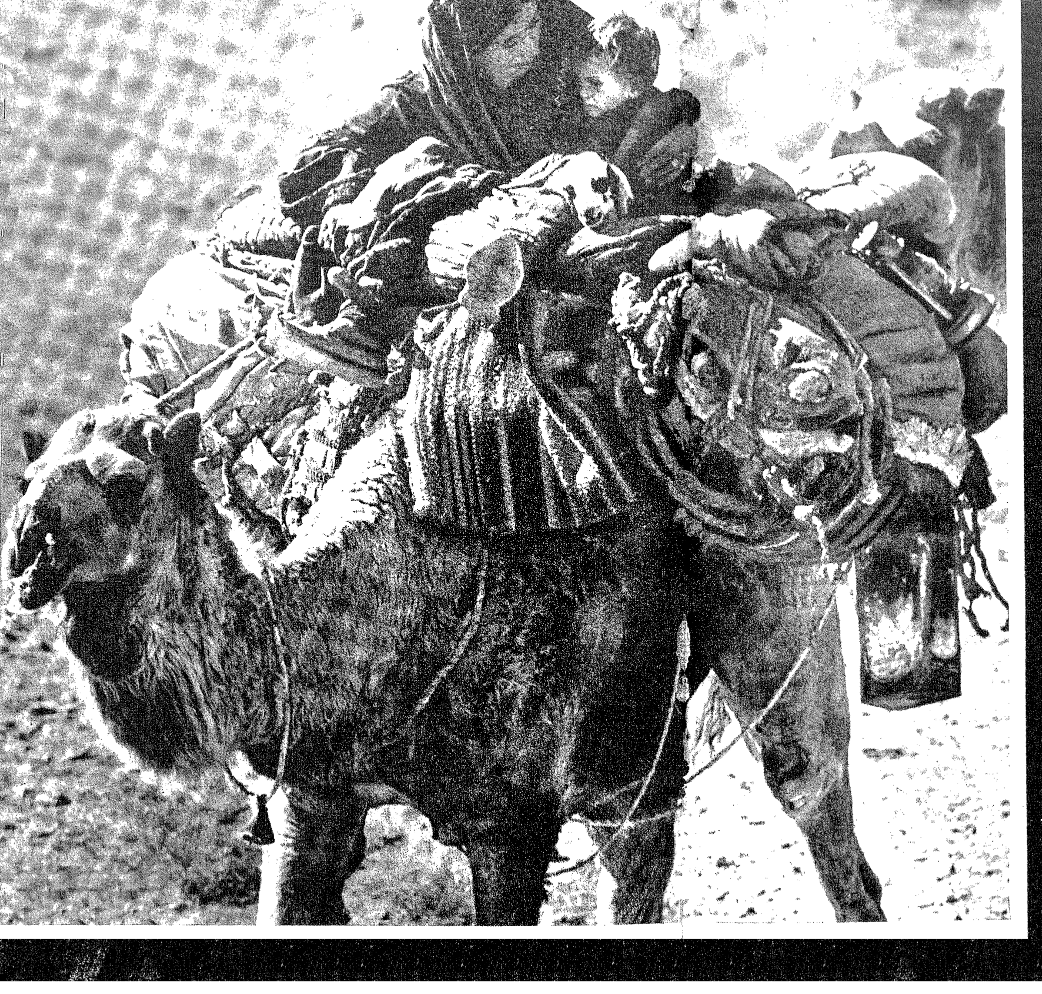
قاعة واسعة تستعمل عنبرا للمصابين من المجاهدين • ان مستشفى المجاهدين في الجبال لا يخرج عن هذا العنبر وحجرة بسيطة للعمليات وحجيرة للاطباء • وليس في المستشفى أدوية ولا أدوات جراحة متقدمة • كل شيء هنا بدائي ولكن المجاهدين لا يعرفون الشكوى لانهم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى والموت عندهم اهون شيء • • •



افغانستان

مبادىء الحرية التي ينادون بها على البلاد التى احتلها القياصرة يزعمون ان هذه البلاد تحولت الى جمهوريات اشتراكية مستقلة بارادة اهلها ، واذن فهى حرة مستقلة . فى كل منها يحكم رجل من صنائع موسكو وحوله نفر من عملاء الروس وتسانده القوات العسكرية الحمراء سافرة او من وراء ستار . هذه الجماعة تؤمر بأن تستدعى عونا عسكريا من روسيا فتدخل الدبابات والمدافع والسيارات المصفحة وتحتل البلاد « استجابة لطلب الرئيس كارمل وحكومته . اتينا لعون الاصدقاء وسنعود من حيث اتينا عندما ننهى المهمة . واداء المهمة معناه قتل الالوف وتشريد الالوف وسحق البلاد تحت الحذاء الاحمر الضخم . وهذا حدث فى المجر وفى تشيكوسلوفاكيا وحدث اكثر من مرة فى بولندا ، هذا بالضبط ما حدث فى افغانستان ، ومن الممكن ان يحدث غدا فى ايران . دعنا من الاعيب تسليح الشعب ببنادق عتيقة من طراز « لى انفيلد » مشتراة من السوق السوداء وهى اليوم معدودة فى لعب الاطفال ، فان اساليب الاستعمار الجديدة تسحق كل شىء فى ايام ، وماذا يفعل رجل بيده لعبه تسمى بندقيه امام دبابه فيها اربعة مدافع وسته مدافع رشاشة . وقاذفة لهب !!

هذا الكلام قلناه قبل ذلك ولكننـــ



اسرة كاملة تهاجر على ظهر جمل : جلست الافغانية الهاربة من الاحتلال الشيوعى على جملها ومعها طفلها وكل شىء تملكه حتى عنزتها الصغيرة . انها تنتقل الى الامان فى جبال باكستان لتكون الى جوار زوجها المجاهد ، وخلفها اسرة اخرى على جمل آخر وهكذا تسير قافلة المهاجرين .



هذه الصورة تعبر عن مأساة افغانستان . هذه الصبية هربت حاملة أخيها من السهل الى الجبل لكى تكون آمنة على نفسها وعلى أخيها . بقية الأسرة تشردت هى الأخرى ، وهكذا نرى ان الغزو الشيوعى انما هو فى الحقيقة عملية إبادة شعب ودين . ولكن الله سبحانه ولى المجاهدين سينصرهم وينصر معهم الاسلام على الكافرين ..

نعيده ، وسنظل نعيده وهذه وظيفتنا : نقول اليوم ما قلناه بالأمس ، ونقول غدا ما قلناه اليوم ، ومن يدرى فربما ايقظنا القلوب في يوم من الايام ومن يدري فلعل مزمار داود يصل نغمه الى اذن تعى وتفهم .

روسيا .. والاسلام

منذ أن قام لينين بثورته كانت محاربة الاسلام هدفا من أهدافه الرئيسية . فالمسلمون الروس كانوا كثيرين ، يقدر عددهم بستة ملايين كانوا يعيشون فى الجنوب . من مصب الفولجا الى كييف كان معظمهم من التتر الذين احتلت روسيا القيصرية بلادهم ، فكانوا يهاجرون الى روسيا طلبا للرزق والعمل كما كان الجزائريون يهاجرون الى فرنسا

والتتر جنس عفي قوى مقبل على العمل .. استعملهم اغنياء الروس لزراعة الارض ورعاية الماشية. استقروا هناك وتكاثروا وأقاموا المساجد فى كل بلاد جنوبى روسيا . ولكنهم كانوا أيام القيصرية طبقة فقيرة عاملة شأنها فى ذلك شأن جميع « الموجيك » وهم الفلاحون الروس فى عصر ما قبل ثورة اكتوبر ١٩١٧ .

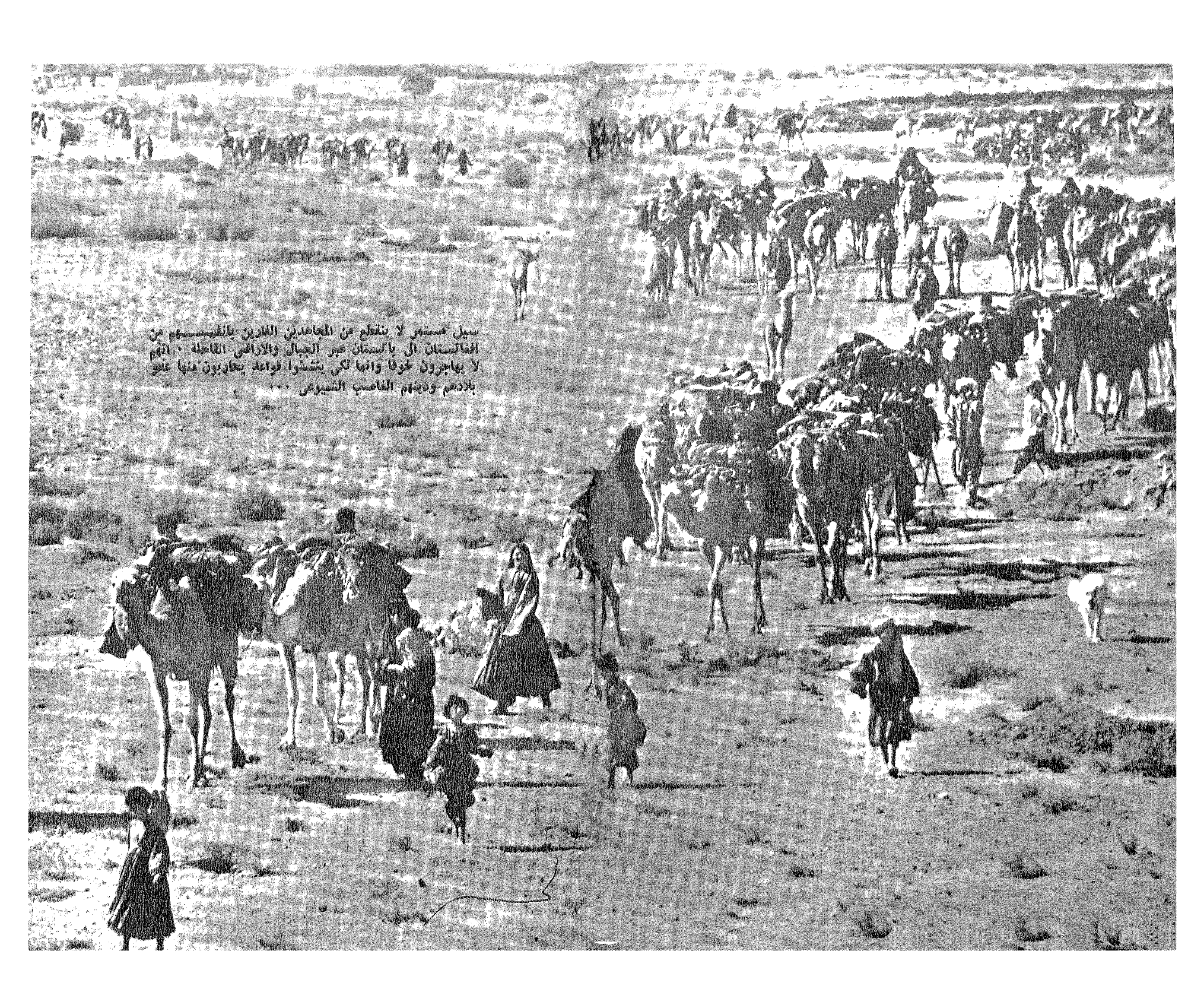
وجاء لينين ، وبدلا من أن يحرر هؤلاء المسلمين ويمنحهم اراضى الاقطاعيين كما فعل مع الكثيرين من المزارعين الروس اخذ ينقل جماعات المسلمين التتر من مواطنهم التى استقروا فيها الى ما يسمى بالجمهوريات السوفييتية الاشتراكية فى بلاد التركستان وما يقع شمالها . كانت عملية ازالة ملايين البشر من مواطنهم . هذا لاشىء بالنسبة للينين وفكره السياسى . فهذا الرجل كان لا يتردد فى ازالة طبقات كاملة من البشر لاقامة الامبراطورية الشيوعية الروسية ، المهم لدينا انه ازال الوجود الاسلامي من روسيا حتى المساجد التى اقامها أولئك المساكين ازيلت وجماعات المسلمين التى تعيش فى موسكو وغيرها من مدن روسيا تموت وتجف لان مساجدها اهملت أو هدمت وأئمتها نقلوا الى سيبيريا . حتى سمعتهم نالوا منها . فى روايات تولستوى كانت شخصية التترى - ولا تخلو منها رواية روسية - شخصية بطولية محترمة ، فى كتابات مكسيم جوركى أصبح التترى متسولا ، دائما متسول

الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية الاسلامية ؟

مما يؤلم النفس ان كل بلاد الاسلام فى بلاد ما وراء النهر وشماله تحولت اليوم الى ما يسمى بجمهوريات اشتراكية ، لقد سقطت هذه البلاد العزيزة علينا فى أيدي الروس أيام القياصرة ، وبدأ الروس يلتهمونها من أواخر القرن الثامن عشر ، كانت هناك سلطنات وامارات فى بخارى وسمرقند وطشقند وبلاد الاوزبك فى عصور الاستعمار وافتراس بلاد الإسلام أخذت روسيا تتوغل فى هذه البلاد وتستولى على قواعدها واحدة واحدة ولكنها لم تستطع التمكن منها الا بعد أن تغلبت على الأوزبك أو الاوزبكيين . والاوزبك فرع من الترك الغزية أو الغز والغز هم الجنس التركى الذى حكم الدولة العباسية أيام تدهورها بعد خلافة الواثق ومنهم أيضاً المماليك وهم غز .

الاوزبك فى بداية القرن التاسع عشر كانوا سادة ما وراء النهر ، كانوا يسمون الشيبانية ، وكانوا واقفين للروس بالمرصاد . كان القياصرة يصانعونهم ، ولكن الذى كسر ظهرهم والجأهم الى طلب عون الروس كان رجلا مسلما وهو نادر شاه قولي شاه ايران ومؤسس الاسرة القاجارية .

نادر شاه كان رجلا دمويا وهو



سيل مستمر لا ينقطع من المجاهدين الفارين بأنفسهم من افغانستان الى باكستان عبر الجبال والاراضي القاحلة . انهم لا يهاجرون خوفا وانما لكي ينشئوا قواعد يحاربون منها عدو بلادهم ودينهم الغاصب الشيوعي ...

مسئول عن تحطيم مراكز القوة الاسلامية فى قلب آسيا . لكى ينتقم من المسلمين فى الهند اقتحم دلهى وخربها وقتل من أهلها ٢٠٠٠٠ فى أسبوع ، ثم هدم مسجدها الاعظم وحمل رخامه على الجمال ليبنى به مسجدا لنفسه فى بلخ التى تعرف اليوم بمزارى شريف .

هذا الرجل المخرب الح على الأوزبكيين بالغزوات واقتحم بلادهم فاضطروا لطلب عون الروس . كان الروس ينتظرون مثل هذه الدعوة لانهم كانوا يطمعون فى وسط آسيا الاسلامى . استولوا على بخارى ثم سمرقند واقاموا فى طشقند حاكما عاما روسيا . اصبحت هذه البلاد الاسلامية كلها حمايات روسية فى عصر الحمايات . بالضبط كما تدخل الفرنسيون فى بلاد المغرب وحولوها الى بلاد تحت الحماية فيما عدا الجزائر التى اعتبرت ارضا فرنسية كذلك اصبحت بلاد ما وراء النهر وخوارزم وشمال اذربيجان حمايات روسية . وهذا كله من نتائج اعمال حاكم مسلم هو نادر شاه قولى

لو استمرت القيصرية لكان من الممكن ان تستقل امارات بخارى وسمرقند وجند وميركى وطشقند كما استقلت بلاد المغرب وبقية بلاد الاسلام التى كانت تحت الاستعمار .

ولكن الثورة الروسية آتت وغيرت كل شىء .

بدل الاحتلال السياسى العسكرى جاء الاحتلال الفكرى العقائدى . بقرار من مجلس السوفييت الاعلى أصبحت هذه البلاد ست جمهوريات سوفييتية اشتراكية : اوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان واذربيجان وخوارزم .

لم يعد الاسلام دينا رسميا او غير رسمى هناك . قضى السوفييت على رءوس المقاومة والمفكرين ورجال الدين — كما يفعلون فى افغانستان الآن — واغلقوا المساجد أو اهملوا أمرها تماما وأنشأوا معاهد البلشفة لكى يصنعوا من أولاد المسلمين شيوعيين ملاحدة وخدما للروس .

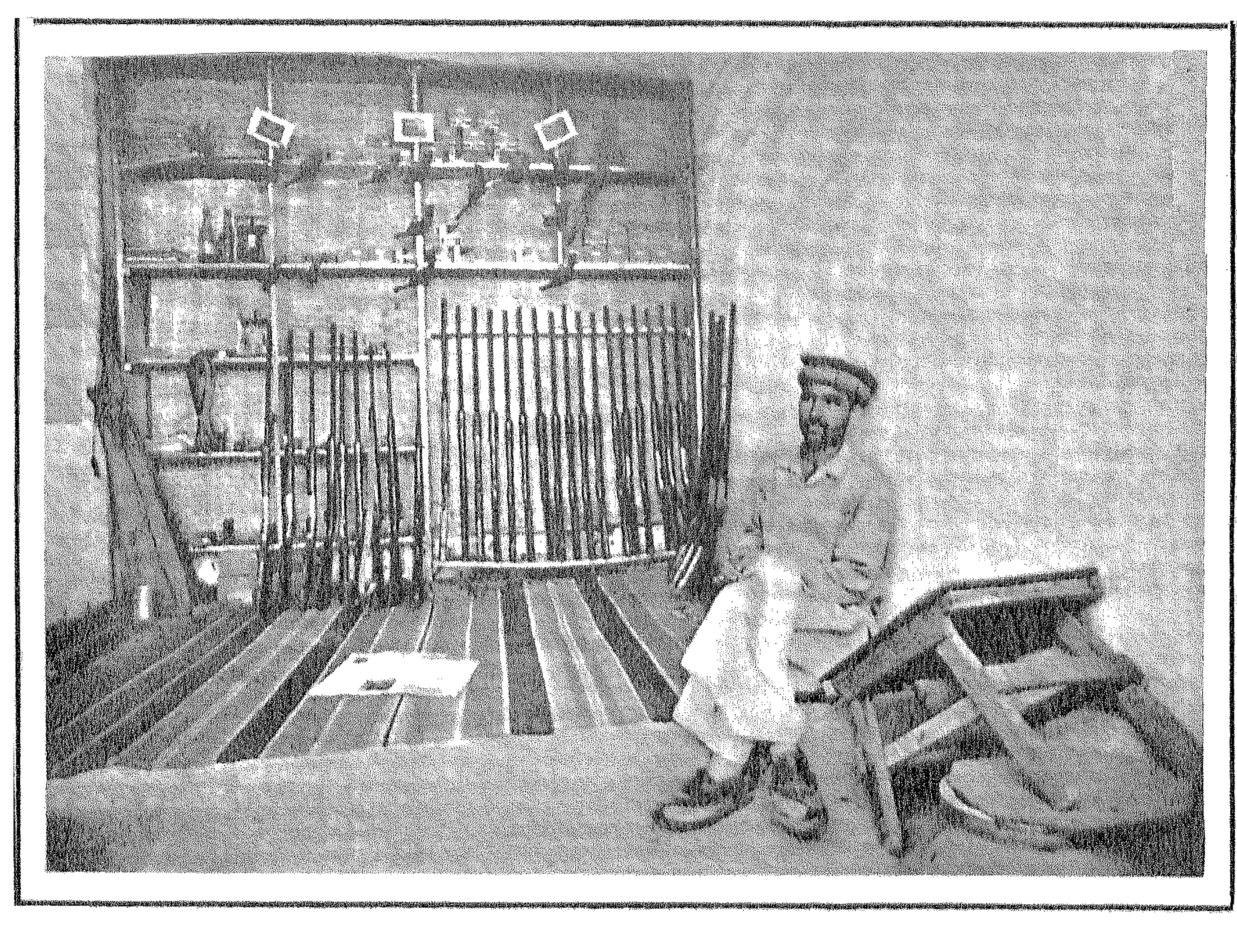
بهذا الاسلوب الخطر على الوجود والكيان الاسلاميين يحكم الروس تلك البلاد كلها . بالاسم جمهوريات مستقلة وهى فى الواقع اذل من المستعمرات . ان أهل تلك المستعمرات الروسية الشيوعية لا يتمتعون حتى بحق الشكوى أو الاعتراف : ومم تشكون ؟ الستم مستقلين ؟ وعلام تثورون ؟ الستم تعيشون فى عالم اشتراكى سعيد ؟

والويل لمن تخطر بباله فكرة معارضة السوفييت . هل تذكرون ثورة المجر سنة ١٩٦٥ ؟ ثلاثة آلاف دبابة سيقت الى المجر لتسوى كل شىء بالارض . لقد طحنوا الناس طحنا خلال أيام قلائل . هذا ما يفعله الروس اليوم فى افغانستان وسنرى بعد قليل أن المسئولين هم الافغانيون أولا ثم نحن — أمة الاسلام ثانيا .

ثم يقولون انهم سينسحبون من افغانستان ، نعم سينسحبون بعد ان يحطموا كل عناصر المقاومة والمعارضة ويقيمون حكما تابعا لهم يأمر بأمرهم ، سيسحبون دباباتهم من شوارع المدن الى مخابىء الدبابات .

بداية المأساة

بداية المأساة كانت فى اواخر ايام الملك محمد ظاهر شاه . كان ملكا تقليديا قديم الطراز ولكنه كان محافظا على بلاده كان الحكم كله مركزا فى ايدى البيت المالك واصهاره والمقربين اليه . نحو عشر اسر كانت تحكم البلاد وما فيها :منها الموظفون وقادة الجيش وكبار التجار . وكانت افغانستان كلها واقفة



تاجر الأسلحة الافغانية يعرض بضاعته • ان البندقية هى الرفيق الدائم للافغانى الذى يسكن الجبال لأنه يعيش دائما مع الاخطار • هناك كانت الحرب دائمة بين القبائل ولكنهم اتحدوا الآن للدفاع عن الدين ، وهذا السلاح انتقل الآن الى أيدى المجاهدين ••

مكانها ، لا سبيل أمامها الى التقدم •

يقولون أن افغانستان بلد فقير • بعض احصائيات الامم المتحدة تقول انها كانت أفقر بلد فى الدنيا وان دخل الافغانى كان ٦٠ دولار فى العام فى المتوسط • ربما كان هذا صحيحا ، ولكن افغانستان ليست بلدا فقيرا فهناك اراض واسعة يمكن أن تزرع ، وهناك غابات غنية بالاشجار ذات القيمة الكبيرة وهناك محصول عظيم القيمة من الفواكه الجافة كاللوز والبندق • وهناك غاز طبيعي وفير ومعادن اكتشفت ولم تستغل • ان مسألة غنى شعب وفقره مسألة حكم • الحكم الصالح يصنع الغنى لأن الثروة الحقيقية فى أى بلد هى أهله والأفغانيون فروع من الاتراك عفية سليمة ، والافغانى ذكى متفتح ، ولكن الحكومة كانت راكدة والملك محمد ظاهر لم يكن يرى ما حوله بوضوح • لهذا كان الشعب الافغانى لا يرى شيئا بوضوح •

ولم يكن فى ذلك كله بأس ، فهناك بلاد تبقى على هذه الحال قرونا ولكن الامان الى جانب الروس مستحيل • ان عيونهم تبحث عن الضحايا دائما وامبراطورية لينين لابد أن تبتلع كل

افغانستان

شيء ٠

الوسيلة التي يلجأ اليها الروس دائما هي خداع الشباب وايهامهم بحلم العدل الاجتماعي والتقدم والرخاء – يقدمون المنح الدراسية للشباب ، والأفغاني الناشيء الذي يخرج من أكواخ قريته ليدرس في طشقند او كييف او موسكو في معهد يسمى معهد لينين وينام لأول مرة في بيت فيه ماء جار بارد وساخن ، وفيه تدفئة كافية ومطعم يملأ فيه بطنه ويتقاضى في الشهر راتبا لا بأس به ويذهب الى قاعة الرقص في الليل وفي ذراعه فتاة روسية بيضاء شقراء يظن انه قد انتقل الى السماء السابعة، على يد هذه البنت – وهي دائما من المخابرات – وخلال سنوات الدراسة يتحول الشاب الساذج الطيب الذي ذهب ليتعلم ويخدم بلاده بعلمه الى انسان شيوعي مضطرب الذهن مريض الوجدان ، يدخلونه في دوامة افكار لينين وماركس ، ويصورون له بلده في حالة سيئة جدا ، وانه لن ينقذها الا النظام الشيوعي ٠

ويعود الشاب الى بلده وليس في رأسه الا هذه الافكار وآمال الحكم والسلطان والعمل مع اولئك السادة الروس العظام ٠

تلك هي قصة نور محمد تراقي وحفيظ الله امين ثم بابراك كارمل وكل من سيأتون بعدهم ٠ لأن الروس لن يبقوا قط على صاحبهم بابراك ، لابد من ازاحته من الطريق بعد أن يؤدي رسالته في خدمتهم ، وقد رأينا هذه القاعدة مطبقة في اليمن الجنوبية التي اتعسها الله بالوقوع بين أيدي زبانية موسكو ، وها هم رجالها الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الشيوعية يأكل واحد منهم الآخر حتى « صفصفت » في النهاية على التعيس عبد الفتاح اسماعيل ، ولا شك أن الروس يعدون اليوم خليفته لأنهم قاتلوه لا محالة ٠

***

تلك بداية المأساة

ونعود الى الوراء قليلا في حديثنا عن مأساة افغانستان فنقول أن البلاء كله بدأ بمحمد داود الذي كان ابن عم الملك محمد ظاهر شاه وصهره ، وظن انه يفعل الخير لنفسه اذا هو غدر بصهره، وبينما كان الرجل في زيارة للخارج نهض محمد داود والغى الملكية واعلن نفسه رئيسا للجمهورية بمعاونة رجال موسكو الذين أسلموا بلادهم للروس في النهاية ،وهم على الترتيب نور محمد تراقي ثم حفيظ الله أمين ثم كارمل بابراك ٠ هؤلاء كانوا رجال محمد داود الذين حقق انقلابه على أيديهم ، وظن أنه يبدأ في تاريخ بلاده عصرا جديدا ٠

لقد كان محمد داود يعرف الخلفية الحزبية الماركسية لمساعديه هؤلاء ٠ كان يعرف أن حفيظ الله أمين رئيس حزب « شولي » جاويد وأن نور محمد تراقي ينتمي الى حزب « الخلق » والاثنان حزبان ماركسيان . كان محمد داود يعرف ذلك ولكنه تغاضى عنهما حاسبا أنه اذكى منهما ، بل أن الأمر

◀ سيارة اطفاء حريق تابعة لقوة الاطفاء في « بشاور » اول بلاد باكستان بعد ممر خيبر ٠ انها من أقدم عربات الاطفاء في الدنيا ولكنها تقوم بعملها على ما يرام ، والذين تراهم في السيارة هم رجال المطافيء ، وليس لهم هناك زي خاص ٠٠


PESHAWAR FIRE BRIGADE No 4

أفغانستان

كان شائعا معروفا لكل النـاس ، فقد نشرت صحيفة « كارانت » التي تصدر بالانجليزية في بومباي عنوانا ضخمـا أعلنت به عن انقلاب محمد داود ، والعنـوان يقول : النجم الأحمر فوق أفغانستان .

وبعد ان استقر محمد داود في الحكم بتاييد اولئك الشيوعيين بدأ يتجه بالبلاد نحو الغرب وأمريكا ، وحسب لسذاجته أن موسكو ستتركه يحقق خطته : اتجه الرجل نحو امريكا والسعوديةوبلاد الخارج ، واتىالى مصر واجتمع بالرئيس السادات ، وقيل يومئذ انه يحاول ان يمد يدا لمساعدة العرب في القضية الفلسطينية وفي اثناء غيابه نشط الروس في العمل على القضاء عليه ، واستغلوا في ذلك غضب رجال الدين عليه بسبب اتجاهه نحو الولايات المتحدة .

ورجال الدين في أفغانستـان كتلة قوية لها خطورتها ، فهي قوة تقوم على جماعات من أشد جماعات السلفيين تمسكا بالقديم ، وعلى رأس هذه الجماعة الدينية المولوية وهم الرؤساء ، وهم يقابلون الآيات في ايران ، غير ان المولويين من اهل السنة والآيات شيعة ويليهم الملا وهم صغار الشيوخ ، وكلهم بعيدون البعد كله عن أي تفكير عصري ، فهم يعارضون التعليم الحديث ،وينكرون الجـامعات وخاصة كلية الطب التي تدرس التشريح وهو عندهم حـرام . واولئك المولوية والملا كانـوا هم الذين أسقطوا ملك أفغانستان العصري المتفتح أمان الله خان في العشرينـات وكانت جريمته عندهم انه ترك زوجته ثريا تنزع الحجاب وتبدو سافرة للناس في اثناء زيارة له لأوروبا .

وكان ٢٧ ابريل ١٩٧٨ هو التاريخ الذي حددته روسيا لنهاية محمد داود عقابا له على ما فكر فيه من الاتجاه نحو الغرب . والحق أن احدا لم يحزن على محمد داود عندما قام عليه نور محمد تراقي واعدمه ، لانه هو ايضـا محمد داود ــ سبق ان انقلب على ابن عمه وصهره الملك محمد ظاهر شاه . ولكن موت محمد داود وصعود نور محمد تراقي الى السلطة كان بداية استيلاء موسكو على افغانستان ، لان الروس يعملون دائما بنظام وبنـاء على تخطيط محكم ، فان مسيرتهم الى كابل كانت مرسومة بعناية : تبدأ بالقضـاء على الاسرة الملكية الحاكمة ، وباختفائها يفقد المولويون والملا قوتهم السيـاسية ، ثم يقضى على محمد داود ليجيء نورمحمد تراقي ثم حفيظ الله امين ثم بابراك كارمل على الترتيب ، ومهمة هذا الاخير هي استدعاء السوفييت لاحتلال بلاده ، وسيلقى بابراك حتفه دون شك ليحل محله عميل روسي أكثر اخلاصا واقل إهتماما بمصير بلاده وبمصير الاسلام . سيعدم لكي يطمئن الناس الى ان الخائن لقي جـزاءه ، ولكن خلفه سيكون قومسيرا روسيا اسمه أحمد أو محمد أو نجم الدين .



هذا هو ممر خيبر المشهور انه مفتاح الهند ، وقد حرص الانجليز على حمـايته ، وارادوا انتزاعه من أيدي الافغانيين فانهزموا وتركوه لافغانسـتان . ان الروس يحاولون الاستيلاء على مدخله اليـوم ولكنهم لن يستطيعوا مهما كان عتادهم الحربي لانهم يحاربون ..



افغانستان

نقول هذا تنبيها للعقول والقلوب في عالم الاسلام ، فماذا فعلنا نحن مثلا لمعاونة أفغانستان وهي تمر بمحنتها مرحلة بعد مرحلة ؟ لقد شهدنا انقلاب محمد داود ووقفنا نتفرج ، ثم كان احتلال افغانستان وها هو الستار الحديدي يهبط رويدا رويدا حتى تختفي افغانستان – ولا نعود نسمع عنها الا كما نسمع اليوم عن قرغيزيا وطاجيكستان، وأهلهما مسلمون ولكن روسيا ابتلعتهم من زمن بعيد ٠

نحن المقصودون

والآن يحتل الروس افغانستان المدن الكبرى على الاقل في ايديهم ، ولكن معاقل الافغان مازالت تقاتل : في طخارستان وبدخشان وفي اقليم بخت الذي تكتبه صحفنا باكيتا ما زال القتال مستمر . هناك جبال الهندكوش الوعرة والخوانق العسيرة التي تؤدي الى ممر خيبر ٠ الروس حريصون جدا على أن يقبضوا على هذا الممر التاريخي الذي يؤدي الى بشاور ومن ثم الى سهول البنجاب وهي قلب باكستان ، ولكنهم أحرص على أن يكونوا على حدود ايران انهم يكدسون قواتهم اليوم في منطقة زابلستان شمالي بحيرة زارنج وكذلك في سجستان ٠ انهم يستطيعون دخول ايران من هناك بسهولة لان اقليم سجستان اقليم بحيرات مالحة وصحار ٠ من هناك المسافة بينهم وبين هرمز او بندر عباس لا تزيد على ٣٠٠ كيلو مترا تقطعها الدبابات في اربع ساعات لتكون عند عنق الخليج . ان المتفائلين يظنون ان الروس يريدون أن يستولوا على آبار النفط في شمال الخليج وغربه اولا ولكن العارفين بطبيعة هذه الحركات العسكرية يعرفون أن الأهم هو القبض على عنق الخليج ٠ هناك حيث رأس مسندم الداخل في بلاد مملكة عمان سيتحدد المصير ٠ وامارة رأس الخيمة التي لم يسمع اهلها صوت المدافع منذ ايام البرتغاليين والصراع مع الانجليز ستكون – ربما – على الصفحات الاولى من صحف العالم كله في اي لحظة ٠ انها اقصى امارات اتحاد الامارات الى الشمال ، هنا ستدخل معركة المصير دورها الحاسم ٠

هنا ستسقط طائرات الهيلوكوبتر الوف الجنود في فجر يوم والايام القادمة ستاتي باستدعاء واحد من شياطين الروس هناك ، وستكون الحجة أن الروس اقبلوا لمساعدة صديق ٠

ولكن – ايها الاخوة العرب ، من منكم تحرك واحتشد واستعد لمعركة المصير ، البلايين الراقدة في المصارف لماذا لم تتحول الآن الى قنابل – ومدافع وطائرات وملايين العرب الناعسون لماذا لا يحشرون اليوم في معسكرات التدريب ؟ بدلا من ذلك تجدنا منصرفين الى خصومات شخصية بل قومية ٠ وفي بعض الاذاعات العربية المستهدفة لا تسمع كلمة تنبيه الى خطر الروس أو الشيوعيين ولكنك تسمع دفاعا عن البعث وغير البعث وتعظيما لفلان وعلان ، بينما هم في روسيا يرون هؤلاء الزعماء جميعا مشردين عما قريب في نواحي الدنيا وهم

شباب افغانستان المسلمين : اولئك يريد الشيوعيون ان يحولوهم الى شيوعيين أو يعدمونهم ، ومن واجبنا نحن ان ننقذهم من هذا المصير التعس ٠ انهم شباب متفائل عزيز علينا ، لا ننسى واجبنا نحوه ٠٠



افغانستان

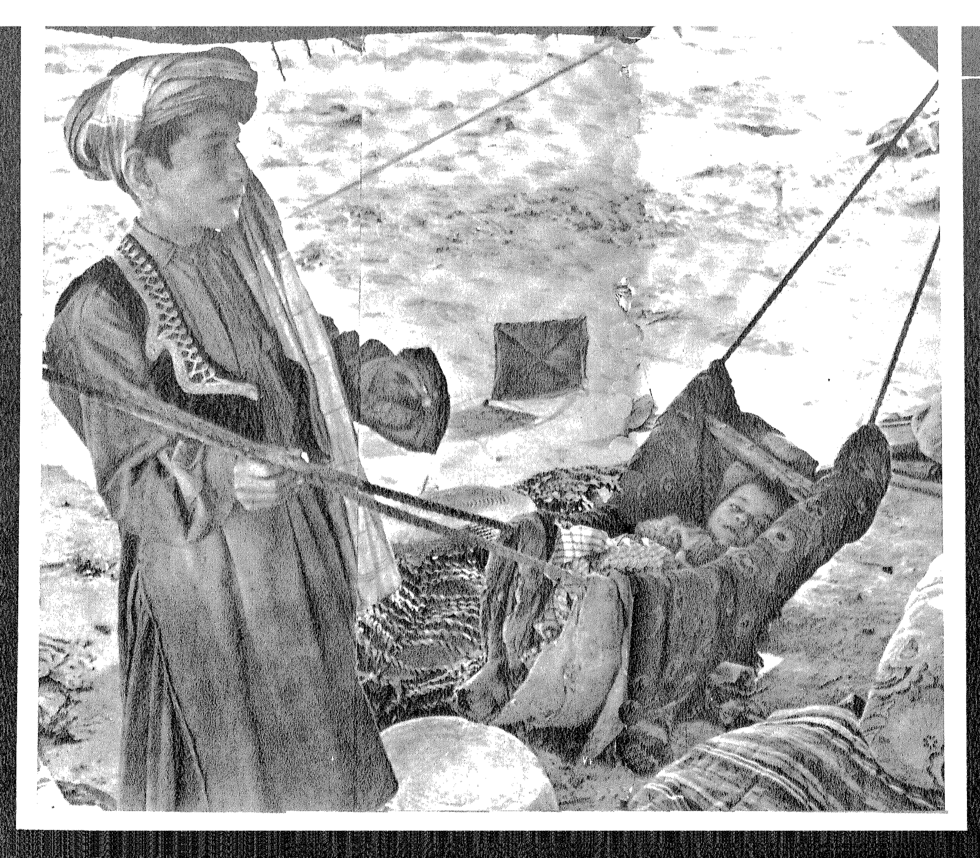
اتعس حالا من المهاجرين الافغان الذين يحاربون فى طخارستان وبدخشان ويقاومون مستبسلين حول جلال اباد .

هم يستعدون ونحن نتفرج

اما الذين يستعدون ويرسمون ويفكرون فهم الامريكيون . وهم يا للخجل ـ هم الذين سيخوضون معركتنا . انني اقرأ الصحف كل يوم ، وعيني تبحث عن خبر يقول مثلا ان البلد العربى الفلانى استنفر قواته واستعد للواقعة . بدلا من ذلك اسمع ان رجالا من ليبيا قد تنكروا ودخلوا تونس من ناحية قفصة لكي يدخلوا هناك الاصلاح الليبى العظيم ..

اريد ان اقول للعرب ان بلاد الافغان فى ذاتها لا تستحق فى نظر الروس عناء الغزو ، فهى بلاد جبلية وعرة واهلها اشداء كالحديد . ولو اقام الروس هناك فما هم بكاسبين شيئا فى النهاية ، بل هم مضطرون للانفاق على انفسهم هناك وعلى الكثير من الافغانيين ، ولكن افغانستان رغم ذلك تستحق كل العناء، فهى المعبر الى عصب الحياة فى عصرنا وهو النفط ، وهى المعبر الى المحيط الهندى ، انها شيء آخر غير الاقليم الجبلى الذى نراه على الخريطة . انها مفتاح من مفاتيح الحياة فى هذا الكوكب ، ونحن العرب ـ الذين منحنا الله كل شيء الا بعد النظر وعمق النظرة والجد حيث يكون الجد مسألة حياة او موت ، مازلنا نظن ـ اننا خارج المعركة واننا نستطيع ان نقف موقف المتفرج حتى تنتهى المعركة ثم نراجع كشوف حساباتنا فى المصارف !

اننا نقول اليوم ان الامل الباقي هي باكستان . ولكن اين باكستان ؟



عبور النهر مغامرة ! لان انهار افغانستان فى مناطق الجبال هى شلالات وجنادل ينحدر فيها الماء بقوة وعنف ، فلا يمكن عبور النهر الا عن طريق حبال تمد فى الهواء بين الجبال ، ويوضع الانسان فى محفة ويجذبه الآخرون الى الضفة الاخرى ، وهنا نرى صبيا افغانيا يستقدم اخاه الطفل القائم عن طريق الحبال التى تمد فى الهواء .

افغانستان

وهناك ايضا فى شـوارع كراتشي وراولبندى ، كما فى شوارع انقـرة واسطمبول وفى شوارع العواصم العربية المواجهة للخطر الشيوعي شبان تربوا فى روسيا ، وفى أى لحظة يتحول أى واحد منهم الى نور الدين تراقي أو حفيظ الله أمين أو ربما كارمل بابراك . بعد الذى رأيناه فى افغانستان واليمن الجنوبيـة لم نعد نستبعد شيئا . ان عبد الفتاح اسماعيل مسلم ولكنه يعبد لينين، وكارمل بابراك يكتب خطابا الى آية الله خميني يؤكد له انه لمسلم صـادق وانه قـام بثورته — أي ثورة يا حسرة — حمـاية للاسـلام ! وخميني فيم يفكر ؟ لا فى افغانستان ولا فى ايران ! انه يفكر فى ابنه الذى قتله الشـاه وفى الثأر الذى ينبغي أن يدرك من الشاه !

الاسلام هو الأمل

فى هذا الظـرف العصيب الذى نقف فيه كما وقفنا قبل سبعة قرون واثنتين وعشرين عاما امام غارة هولاكو ودخوله بغداد — لا امل لنا الا فى الاسلام • ان الهدف المقصود هو الاسلام ، لأن الروس لا يخافون شيئا كما يخافون الاسلام ، وانتفاضة صادقة فى قلب عالم الاسلام قادرة على أن تهز كيان الاتحاد السوفييتي من أقصاه الى أقصـاه • فان ست جمهوريات سوفييتية اسلامية تئن تحت نير الشيوعية ستتحرك ، وتركمانستان واوزبكسـتان وطاجيـك وقرغيزيا وقازكستان سـتتحرك ، وهنا بالذات مراكز الصواريخ الروسية ، هنا قلعـة السوفييت •

ولكننا لا يجوز لنا أن نعلق متاعبنـا كلها على اكتاف الدين . لقد أهدانا الله الاسـلام لندافع عنه ونحميه فاذا بنا نضعف عن حمل أمانته ونلجأ اليه كل يوم للحماية والانقاذ • ثم ان المتحدثين باسم الاسلام هم أبعد الناس اليوم عن أى تفكير من النوع الذى نتحدث عنه فى هذا المقال •

لماذا لا نكون صادقين مرة في حديثنا عن الرسول الاعظم والصحابة والتابعين ونقتدى بهم بالفعـل لا بالكلام ؟ لماذا لا نجد مرة ونثبت اننا أهل لهذا الدين لماذا لانجمع صفوفنا كلها ونخوض معركة الشرف كما رسمها لنا سيد المرسلين •

لماذا لاننسى تفاهات خصوماتنا وننظر للأمور كما ينبغى ان ينظر اليها الرجال؟

وماذا ينقصنا ؟

الرجال ؟

انظر الى شوارع بلادنا وأزقة قرانا تجدنا نشكو تخمة الرجال أو — بتعبير أوحد — تخمة الافواه التى تطلب الغذاء ولا شيء غير الغذاء •

المال ؟

انظر الى حساباتنا فى مصارف الدنيا والى الذهب الذى أهدانا الله اياه من باطن الارض ، ثم انظـر كيف نتصرف فيه ، اننا نعبده كما عبد آل اسرائيل — عجل الذهب • نعبده دون أن ننتفع به •

لا الرجال ينقصون ولا المال •

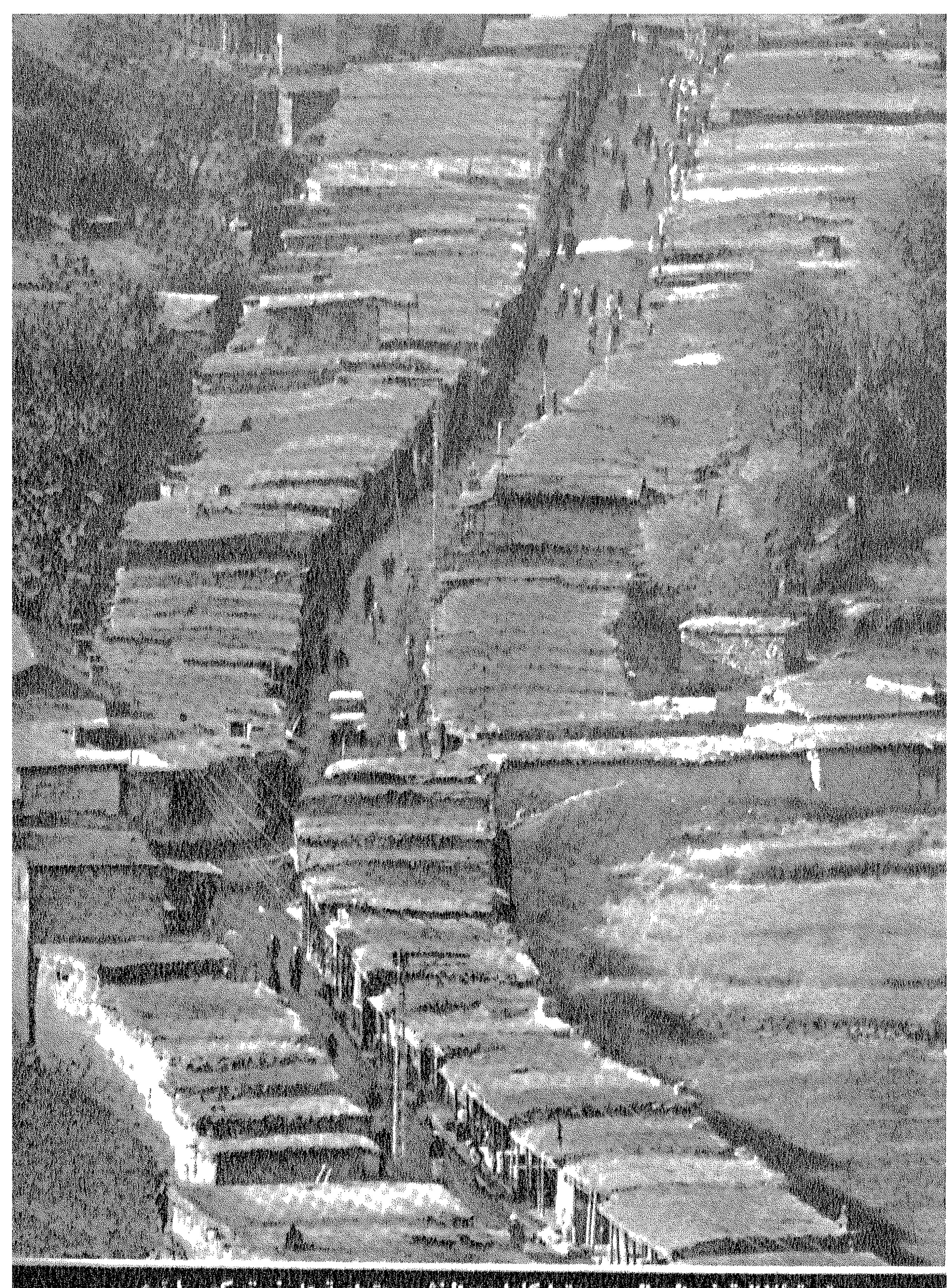
الذى ينقص عزم الرجال وايمـان الرجال وعقول الرجال ••

وهذه ليست موعظة تلقى فى مسجد ولا كلاما يقال تزجية فراغ •

انها دعوة لكـل مسـلم لان يحترم نفسه ويثبت انه جدير بالاسلام •

انها صيحة الى كل عربى يزعم انه ينحدر من اصـلاب عدنان او قحطان !

د • حسين مؤنس



قرية افغانية فى الجبال • بيوتها كلها من الخشب متراصة على نسق كما نرى فى الصورة • هؤلاء الناس يحيون حياة كلها شظف ومتاعب ولكنهم كانوا سعداء بالحرية ، والان يريد الشيوعيون ان يسلبوهم اياها ...

مع جيمس جويس

● ماهر شفيق فريد ●

كتب جبريل جوزبوفتشي في صحيفة ((ذاسنداي تايمز)) مقـــالة عنوانهـــا ((في اثر جويس)) وذلك بمناسبة صـــدور كتابين جديدين عن الروائي الايرلندي جيمز جويس : ((مرشد الدارس الى جيمز جويس)) من تاليف ماثيو هود جارت ، وقد صدر عن دار ((راوتلدج وكيجان بول)) للنشر ، و ((اصوات جويس)) لهيوكنر عن دار ((فيبر)) للنشر .

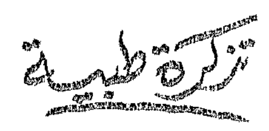
يقول كاتب المقالة : لو لم يوجـــد ((جويس)) لتعين على اساتذة الادب ومعلميه أن يخترعوه . ان اعمـــاله تصرخ منادية بالشرح والهوامش وحل الغاز الكلمات المتقطعة التي تولع بهـــا عقول الاكاديميين . فالكتب التي تدور حول روايات ((جويس)) ، كالـــكتب التي تدور حول قصـــائد ((ملتن)) ، تستطيع حقيقة ان تساعد القارىء على نحو لا نجد معه ان الكتب التي تدور حول جون دن ، او ت . س . اليوت ـ تساعده .

وعلى ذلك فاننا نرحب ب ((مرشـــد الدارس الى جيمز جويس)) . وعندما يكون صاحبه رجلا في مثل لوذعيـــة ((هودجارت)) وانسانيته ، فان ترحيبنا يتضـــاعف . وعلى الرغم من ان كتـــابه قصير متواضع فانه ليس بحـــال مـــن الاحوال مجرد تلخيص لما كتبه الدارسون عن ((جويس)) . ان ((لهـــودجارت)) آراءه الخاصة في رقعة واســـعة من الموضوعات ، وهو اكثر اهتمـــاما بالموسيقى من اغلب رجال الأدب (وهي ميزة كبيرة لدارس جويس الذي كـــان هو نفسه خبيرا بالموســـيقى والفناء) كما انه يصدر دراساته المفصلة لكـــل عمل من اعمال (جويس) بتحليـــلات لتاريخ أيرلندا وأدبها تعين على وضـــع ((جويس)) في سياقه .

ومع ذلك فان هذا النوع من الكتب لا يترك المرء على راحته مهمـــا كانت موهبة مؤلفه . قارن تعليق هودجارت على مسرحية جويس المسماة ((منفيون)) بتعليق ((هيوكنر)) على نفس المسرحية تجد أن ((كنر)) هو الاكثر امتيازا ..

يقول هودجارت : ((ان ((منفرون)) (١٩١٨) مسرحية جويس الوحيـــدة تحية لاستاذه العظيم هنريك ابســـن واستكشـــاف لمشكلات جويس الزوجية ، وفيما عدا ذلك لا يوجد الكثير مما يمكن أن يقال عنها)) ، و ((كنر)) ـ هـــو الآخر ـ لا يبوىء المسرحية مكانا ماليا ، وهاك ما اختار أن يقوله عنها : ((لقـــد كان جويس بحاجة الى أن يكتب شيئا ليس فيه وجهة نظر ولا راو من أي نوع ، شيئا موضوعيا)) كلية ، شيئا تكون وجهة النظر الوحيدة فيـــه هي وجهة نظر المتفرج متفهما ما يمكن تفهمه من الشخصيات عندما لا يتوافر سوى أحاديثها وسلوكها . ما الذي يحـــدث عندما يخرج راوي القصة عن نطـــاق قصته الى هذا الحد ؟ عندما يكـــون الكاتب هو ((جويس)) ، فالذي يحدث هو أنه يفقد سيطرته عليها)) .

ان ((كنر)) ـ بمعنى آخر ـ لا يكتب مرشدا وانما يقدم اطروحة . فهـــو لا يتناول اعمال ((جويس)) على انهـــا مادة بحاجة الى أن ترسم لها خرائط وانما على انها جزء من عملية استكشاف مستمر ، بحث بالنسبة ((لجويس)) مثلما انه بحث بالنسبة لنـــا .. ان ((منفيون)) ليست في نظره مجـــرد ((مسرحية جويس الجديدة)) توصـــف ثم يصدر عليها حكم ، وانما هي اختيار واتجاه ممكن .. وهو حين يوضح لنـــا انها كانت بالنسبة ((لجويس)) اتجاها خاطئا ، انما يلقي الضوء على الطبيعة الحقيقية لمـــا حققه ((جويس)) ، عنـــدما يعثر على الاتجـــاه الملائم لعبقريته . ●



فواكه الشتاء



● د . السيد الجميلي ●

البرتقال

● من نعم الله على البشر ان يكون توافق الطبيعة مواتيا لطبيعة الجسم الادمى فى الشتاء ، اذ يظهر البرتقال فى هذا الفصل ليناسب جو البرد وحاجة الأبدان الشديدة لما يحتويه البرتقال من نسب عالية من فيتامين ج اذ يحتوى المئة جرام منه على ٥٠ « ملليجرام » من فيتامين ج . وهذا يؤدى بطبيعة الحال الى تدعيم جدر الشعيرات الدموية المحتقنة والملتهبة من فعل المناخ البارد الذى يمتص حرارة الاجساد هذا فضلا عن احتوائه على فيتامين «هـ» المعروف بالسترين وهو مادة منظمة لعملية الانتشار الغشائى .

وللبرتقال فوائد طبية عظيمة الشان اذ ان له تاثيرا قلويا ، وهو لذلك مناسب لمن يشكون من حموضة الجوف ولهم أن يشربوه عصيرا ، حتى يعادل هذه الحامضية الضارة احيانا .

ومن الأفضل ان يؤخذ البرتقال بعد الوجبات حتى يسهل عملية الهضم وينبه الغدد ويسهل فرز اللعاب كما يمارس مهمة تنشيط بعض الخمائر المعدية الهاضمة لمادة البروتين ، وملين للهضم منبه لافراز الصفراء الكبدية مهدىء للأعصاب ، محرك لشهوة الطعام .

اليوسفى

ويقارب البرتقال فى فوائده الجمة ونفعه العظيم ، بيد ان مغلى قشور اليوسفى تفيد كثيرا فى امراض الجهاز الهضمى والضعف العام ، وقد استخدمت بذوره قديما كلبخة لعلاج امراض كثيرة

وما أجمل اعطاء عصير اليوسفى الى الأطفال الرضع من الشهر الثالث للولادة .

وحبذا لو تناولته الأم الحامل او المرضع لقوى بنيتها وعزز مقدرتها ونشطها على شهور الحمل .

ليمون البنزهير

وكلمة بنزهير فارسية معناها « مضاد السموم » وهو يعالج كثيرا من أمراض سوء التغذية ، كما أن له فوائد أخرى كثيرة فى الأمراض المختلفة، وقد اكتشفنا فعالية مادة السترين التى يحتوى عليها — فى تقليل كثافة الدم ، كما أن مادة سترات الصوديوم منشطة لافرازات الكبد

ويفيد الليمون البنزهير فى شفاء اوجاع الاسنان ويشفى امراض اللثة كما يبرىء التهابات الحنجرة والقصبة الهوائية كما يوقف النزيف ، ويعادل كثيرا من السموم . وقد افاد فائدة اخرى فى علاج داء الملوك واوجاع الروماتيزم ●

لكل شهر عربي قصة :

شهر رجب

● مصطفى الشهابي ●

رجب هو اسم الشهر السابع من شهور السنة الهجرية ، وكان يسمى في الجاهلية « الاصم » لانه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا تحرك للقتال او قعقعة سلاح ، لاعتباره من الاشهر الحرم .

وقولهم اصم هو كقولهم « ليل نائم » وانما النائم من في الليل ، كان الانسان في شهر رجب اصم عن صوت السلاح كما كانوا يسمونه « منصل الال » و « الأل » او « الال » « بكسر الهمزة » هي ادوات الحرب من رماح وسيوف وحراب وغيرها، ونصل السيف من قرابه اى اخراجه ، ذلك لان هذا الادوات كانت تنزع من نصالها او تغمد في آخر ليلة من جمادى الاخرة لكيلا تستعمل في شهر رجب .

وتسمية رجب بهذا الاسم حدثت قبل الاسلام ، وهي من الترجيب أي التعظيم لان « مضر » ، كانت تعظمه في الجاهلية ، ولذلك نسب اليها وسمى « شهر مضر » ، وقد اشار الى هذه التسمية الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع ، عندما تحدث عن الاشهر الحرم فقال : « ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » تمييزا له عن « رجب ربيعة » وهو شهر رمضان ، لان العرب قبل الاسلام كانوا يؤخرون حرمة رجب من شهر الى شهر ، فيتحول عن موضعه الذى يختص به ، فبين لهم رسول الله الكريم أنه الشهر الذى بين جمادى وشعبان، وقد اقر الاسلام حرمته وسماه الرسول « شهر الله » .

ويسمى رجب كذلك « بالفرد » وهي تسمية شرعيه لانفراده عن بقية الاشهر الحرم ، كما يسمى شهر « الرجم » لان الشياطين ترجم فيه ، لئلا يؤذوا المؤمنين .

وقد خص ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، هذا الشهر بكتيب اسماه « تبيين العجب بما ورد في فضل شهر رجب » وفيه ذكر ان لرجب ثمانية عشر اسما ، اشرنا الى بعضها ، وأضاف اليها اسم « الاصب » لأنهم كانوا يقولون ان الرحمة تصب فيه صبا ، وأضاف كذلك اسم « شهر العتيرة » وهي ذبيحة كانت تذبح لغير الله في الجاهلية في العاشر من رجب وقد حرمها الاسلام وحلت محلها الاضحية، كما ذكر اسماء « الاحب » و « المطهر » .. الخ ومعناها ظاهر .

وكان العرب يرون في رجب افضل واسرع الاوقات لاجابة الدعاء ، ولذلك كان اغلبهم يرجئون الدعاء على الظالم حتى يحل رجب فيدعون بما شاءوا . وكانوا يسمون آخر ليلة من الشهر السابق للشهر الحرام « فلتة » يسارعون فيها الى الأخذ بالثار حتى لا يفلت العدو .

روى ان « عاصم بن القشعر » علم ان « الخنيفيس الضبي » قتل اخاه في آخر يوم من جمادى الاخرة فلحقه لتوه قبل بدء شهر رجب وقتله قائلا : « العجب كل العجب بين جمادى ورجب ! » فذهبت مثلا .

ومما يتقرب به الى الله كثير من المسلمين في هذا الشهر ، زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي

تسمى « الزيارة الرجبية » ثم يزورون بعدها مكة لاداء العمرة .

***

وقد اعتمر الرسول عليه الصلاة والسلام في رجب واقتدى به بعض خلفائه وصحابته وكان يستحب الدعاء فيه، وقد روى انه كان اذا دخل رجب قال : « اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان » .

ونهى الرسول الكريم عن اتخاذ رجب موسما دينيا بقوله : « لا تتخذوا شهرا عيدا ، ولا يوما عيدا » ولا يدخل في ذلك النهى أيام الاعياد الاسلامية المعروفة . وقد روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يضرب أكف الصوام في رجب ليفطروا .

اهم احداث رجب :

واهم احداث رجب ، قبيل الهجرة هو الاسراء برسول الله من المسجد الحرام « مكة » الى المسجد الاقصى « بيت المقدس » حيث عرج به الى السموات السبع ، يقول تعالى : **« سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، الذى باركنا حوله ، لنريه من اياتنا ، انه هو السميع البصير »** وكان الاسراء ليلة ٢٧ رجب وفي تلك الليلة فرض الله على الرسول والمسلمين الصلوات الخمس . ولا يتسع المجال لبيان الحكمة في الاسراء والمعراج وكان الاسراء والمعراج بمثابة بشرى للرسول بأن دينه سيظهر ويظفر ويمتد نوره الى المسجد الاقصى وما حوله . وتكريما لتلك الذكرى تتلى قصة الاسراء والمعراج في احتفال حاشد في ليلة ٢٧ رجب في كبرى المساجد بالبلاد الاسلامية .

ومن المصادفات التى جرت في يوم ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ ، هي فتح صلاح الدين للقدس وتحريرها من الصليبيين بعد ان احتلوها عدة سنوات

وفي رجب جرت بضع سرايا وغزوات ، اولاها في السنة الثانية للهجرة وهي سرية عبد الله بن جحش الى « نخلة » قرب مكة لترصد اخبار قريش ، ولكن عيرا القريش مرت بهم فاستولوا عليها وقتلوا احد سائقيها وأسروا ثانيا وهرب الباقون ، وكان ذلك في آخر يوم من رجب فلما عادت السرية الى المدينة شاع أنها قاتلت في الاشهر الحرم ، وعابت ذلك قريش واليهود ، كما عنفهم المسلمون ، وقال لهم عليه الصلاة والسلام : « ماامرتكم بقتال في الاشهر الحرم ! » فندموا فانزل الله تعالى في سورة البقرة : **« يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل . »** فسرى عنهم .

وآخر السرايا كانت سرية خالد بن الوليد في السنة التاسعة وفيها انتصر خالد على اعداء الاسلام واسر قائدهم

واشهر من ولدوا في هذا الشهر الزمخشري « ٤٦٧ هـ » وابن بطوطة « ٧٠٣ هـ » والسيوطي « ٨٤٩» وعبد القادر الجزائري « ١٢٢٢ هـ » وقد توفى في نفس الشهر عام ١٣٠٠ ثم البارودي « ١٢٥٥ » ومصطفى كامل « ١٢٩١ » ومصطفى صادق الرافعي « ١٢٩٨ » .

اما اشهر من توفوا في رجب فنذكر منهم معاوية عام « ٦٠ » وعمر بن عبد العزيز « ١٠١ » والحسن البصري « ١١٠ » والشافعي «٢٠٤» وابن قتيبة « ٢٧٦ » وابن زيدون « ٤٦٣ » وابن خلكان « ٦٨١ » وزعيم مصر الاقتصادى طلعت حرب عام ١٣٦٠ وجدير بالذكر انه اوصى ان تكون ذكرى وفاته بالتاريخ الهجرى ، ثم المغفور له الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر .

اما اشهر الاحداث في تاريخ مصر الحديث فهي افتتاح مجلس النواب في عصر اسماعيل عام ١٢٨٣ ثم افتتاح دار الكتب عام ١٢٨٧ ، واخيرا خلع اسماعيل عام ١٢٩٦ .

بقي حادثان اهتز لهما العالم الاسلامي وهما الغاء الخلافة الاسلامية في تركيا عام ١٣٤٢ ثم استيلاء اليهود على المسجد الابراهيمى بمدينة الخليل عام ١٣٨٩

●

نتيجة مسابقة

عدد يناير ١٩٨٠

هذه هي نتيجة المسابقة الرابعة « اقرأ الهلال واكسب جائزة — عدد يناير ١٩٨٠ ومسابقات الهلال في الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا ، اذا شاء الحظ وكان من الفائزين ..

فان الهلال حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء أن يقرأها ، ويبدى رأيه فيها ، وهذه هي الغاية التي نرمي اليها من وراء هذه المسابقات ، أما الكسب المادى فرمزى فحسب .

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم في المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة ، وأجريت القرعة بينها ..

وفيما يلي اسماء الفائزين في مسابقة شهر يناير ١٩٨٠ ، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا في مسابقات اعدادنا القادمة ..

الجوائز وأسماء الفائزين

الجائزة الأولى ، وقدرها خمسة جنيهات : محمد عبد الفضيل عبد القادر ٣ شارع توفيق مجاهد — حدائق القبة — القاهرة

الجائزة الثانية ، وقدرها ثلاثة جنيهات : احمد فخرى ثروت — مديرية الثقافة بالخارجة — محافظة الوادي الجديد .

الجائزة الثالثة ، وقدرها جنيهان : محمد محمد أبو الشيخ — مدرسة جابر ابن حيان الخاصة — السيدة زينب — القاهرة .

الجائزة الرابعة : وقيمتها اشتراك لمدة سنة في مجلة الهلال : المنجى فرحات — حومة السوق — جربة — الجمهورية التونسية .

الجائزة الخامسة ، وقيمتها اشتراك لمدة سنة في مجلة الهلال : ناعيم أحمد — شارع المسجد رقم ٥٣٨ — الريش المملكة المغربية .

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر مارس ١٩٨٠

هل قرات هذا العدد الذى بين يديك من « الهلال » ؟ ..

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من « الهلال » يمكنك الاجابة عنهااجابةصحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ..

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا .

اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجود به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة . والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز .. : الأولى خمسة جنيهات - والثانية ثلاثة جنيهات - والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال » .

وستعلن نتيجة هذه المسابقة فى عدد مايو ١٩٨٠
آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من ابريل ١٩٨٠

● الاسئلة ●

س ١ من القائل : « العمل سلعة تباع وتشترى » ؟

ج : . . . . (مقال . . . . .)

س ٢ : اى ادباء العرب سبق ديكارت الى الحديث عن الشك كمنهج فى البحث ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٣ : كم عدد رسائل اخوان الصفاء

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٤ : من مؤلف كتاب كشف الظنون ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٥ : اين ولد ابن خلدون ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٦ : فى اى شهر كان الاسراء ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٧ : ما معنى كلمة « بنزهير » ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٨ : لمن يدين مالك بن انس فى شهرته وانتشار مذهبه ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٩ : ما اهم وسائل التثقيف ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ١٠ : بماذا اشتهر فرويد ؟

ج . . . . (مقال . .. . .)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد مارس ١٩٨٠ .

الاسم: ------------ السن: --------

العنوان: ------------------------

أجمل وجه

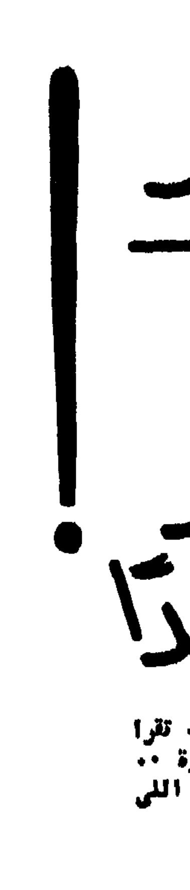
اليها في عيدها ..

• تاج الدين سلامة نوفل •

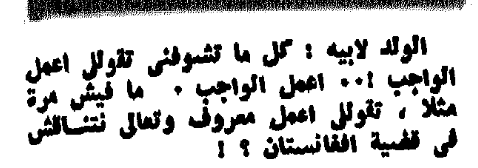
اجمـــل وجه تحت الشـــمس
وجـــه كـم اشرق لا يمسى !
يابى ان تغمض عينــــاه
او يحظى بســكينة نفس
حتى تكتمـــل كواكبـــه
ويعـود النهـر الى الشـمس
فاذا جن الليل عليهـــــم
ملكـــــا يتـــــلالا بالانس
ضمتهم تحت جناحيهـــا
ليناموا في حـــرم قـــدسى
قـــد ينسى كـل واجبـــه
فالدنيـــا سوق قـــد ينسى
والام تقــــوم بواجبهـــا
لا تنسى حاجـــــة ملتمس
ولها قلب يســـع الدنيـــا
لا يعـــرف ما معنى اليـــاس
تعمل في رفق صـــــامتة
كفراش يعمـــــل في همس
والغـــــة بين يـــدى الله
لتؤدى الصـــلوات الخمس
تسرى نورا في الظلمـــــاء
وتفيض رخاء في البـــؤس
طيبـــــة كالطيب العـــــر
مخلصــــــة مرهفــــة الحس
طاهـــرة من كـــل خبيـــث
طهرها الله من الـــــرجس
فلهـــا رؤية صـــــانع جيل
واصـــول في عـــلم النفس
هى ملكة اعظـــــم مملـــكة
وملاك في صـــــورة انس
تملك دون ملوك الدنيـــــا
مفتـــاح دخـــول الفـــردوس
ام في عز امومتهـــــــا
وعروس في اجمـــل عرس
فهى الـــــدفء وهى الانس
وهى الرحمة حين البـــاس !

كاريكاتير

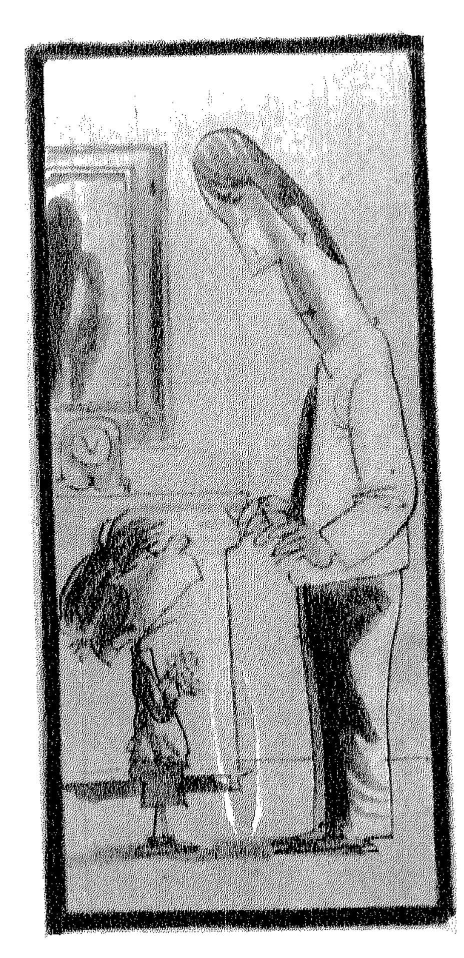
جيل جديد جداً !



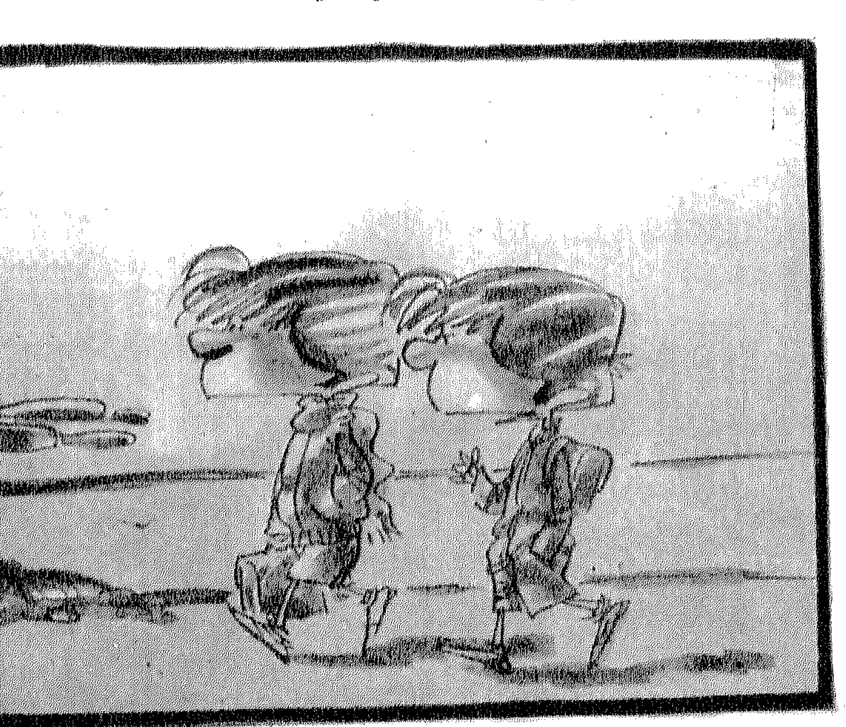
الولد لابيه : حضرتك طول النهار قاعد تقرا جرايد .. وانا طول النهار شغال فى المذاكرة .. يبقى مين بقى اللى بيشتغل فى البيت ده ومين اللى بيلعب ؟ !



الولد لابيه : كل ما تشوفنى تقوللى اعمل الواجب !.. اعمل الواجب . ما فيش مرة مثلا ، تقوللى اعمل معروف وتعال نتناقش فى قضية افغانستان ؟ !

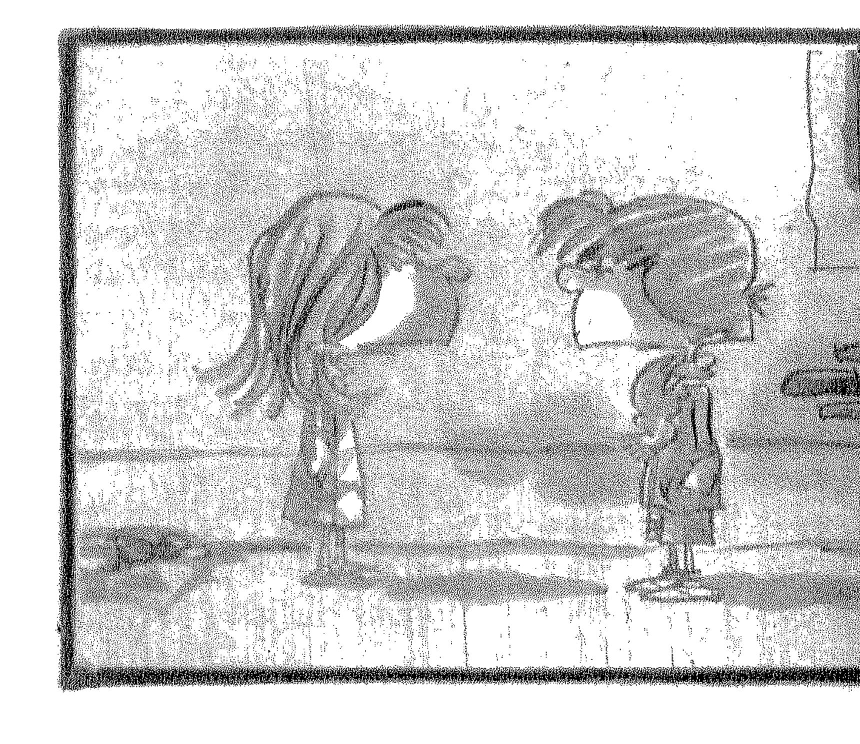


الولد لصاحبه : هى دى المشكلة ! .. لا يعزمونا فى مؤتمر دراسة مشاكل الاطفال ، ولا يعطونا امكانيات نعمل احنا مؤتمر لدراسة مشاكل العيال ! ..

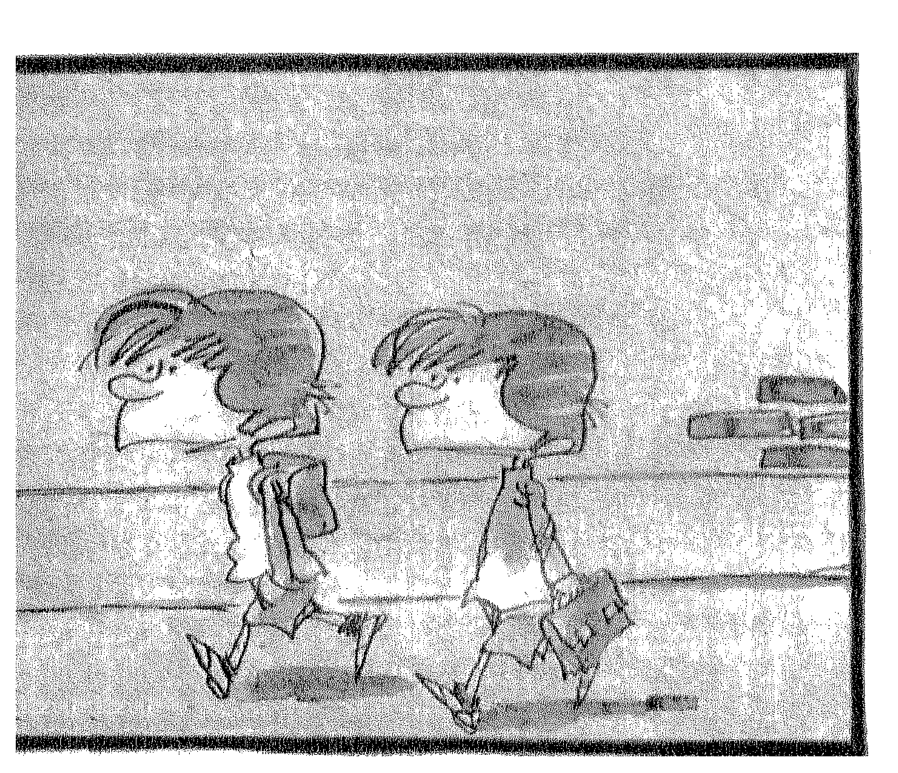




الولد لابيه : الحقيقة يا استاذ بابا انك بدل ماتشتكي من الاسراف والمصـــاريف و ... والخ ... اديني انا ماهيتك وفلوسك ، وشوف بقي انا ح اتصرف ازاي !..



الولد للبنت : يا عزيزتي الدنيـــا اتغيرت .. البنات الايام دي على قفـــا من يشـــيل .. يعنى اللى عاوزانى اتجوزها ، تعمـــل لى ماهيه من دلوقت ! ..



الولد لصـــاحبه : وانا دلوقت - كلام فى سرك ! - رايح اقابل ســـيادة الوزير اقدم له تقرير عن رايى فى مســـتوى التعليم اللى مش عاجبنى ! ..

١٧

● نصر الدين عبد اللطيف ●

....

نضر الله بالحب وبالحضور البهيج عيد ميلادك ...
وجنبك ان تستقبل العيد بابتسامة حزن !
لقد آنست غربتى ، امسية امس ، ملامح من سجاياك وقسماتك ! ..
وعلى غير لقى وتعارف ــ عرفتك ! ..
كنت وحدى فى زحام بهو الانتظار ، بالمطـــار ... وعلى المسرة قربى وبمسمع منى ، صاحبة لك تحدث عنك صاحبة لها !..
... يالوحشة المجهول فى عمق النفوس المهاجرة ! ..
تتنفسين الغربة بين من حولك حتى فى حفاوتهم بعيدك ؟!
لكن عيدك ــ لو تعلمين ــ يوم النضارة والمسرات ومولد « التانجو » !
ففى مثل يوم عيدك ــ فى الحادى عشر من ديسمبر ــ ولدت هــذه الرقصة الموسيقية البديعة ..
كان مولدها منذ سنين بعيدة ، فى البلد الذى تطل عليه مرتفعـــات الانديز ، وتغطى قممه وبراكينه الثلوج ــ فى الارجنتين !..
ومن هناك ، هاجرت « التانجو » الى الولايات المتحدة ، لتزدهر وتنتشر .. رقصة رشيقة ، هادئة ، تتميز بخطواتها الفســـيحة ، مع الدوران التدريجى داخل دائرة يضــــيق نطاقها رويدا رويدا ، وينســـاب ايقاع الموسيقى فيها رباعى الخطوات ! ..
ولقد ساحت « التانجو » فى الدنيا ، فشرقت وغربت .. ولكنهـــا لم تستشعر الغربة .. فقد ذهبت تنثر الحب ، وتلطفه ، وتمنح للحفلـــات المفعمة عذوبة ، واناقة ، ودفئا ...
وكانت دائما فى دائرة اعتزاز وطنها الام ، حتى لقد صدر هناك اخيرا قرار جمهورى باعتبار الحادى عشر من ديسمبر ــ يوم مولد « التانجو » ــ عيدا قوميا يحتفل به رسميا كل عام ، وفى كل انحاء الارجنتين ...
ويا ايتها العزيزة التى عيدها « التانجو » !
لقد تحركت الاضواء بنبا جديد فى لوحة المواعيد ، فتحركت صاحبتك ، تطوى حديثها ، وتنساب متعجلة تذوب فى الزحام ...
وبقيت لى ملامح قليلة عنك ... واحلام كثيرة معك !
فى الاحلام ... ان تتفتح مغانى الفكر والشعر فى سماوات الملهمين ، ترد عنك ــ وعنى ــ غربة الروح !

● هل يزهر فى قلبك الغناء .. والعيد قد فات ؟!

وفى الأحلام .. ان اجيئك على طائرة بيضاء .. نحلق الى مهرجان « التانجو »هناك ، فى الجمهورية الفضية البعيدة ، ونعيش عيدك عيدين فى وقت معا !...

و .. آه ، لولا ان ذلك وهم وقبض الريح ! ..

والا ...

فهل يزهر عندك الغناء ، والعيد قد فات ؟!

وكيف ... كيف المجىء اليك على غير عنوان ؟! ..

● جو يبدع الفرسان والشعراء ●

كل شىء هادىء ... فى احد شوارع العصر ...

اضواء شارات المفارق فى الأحمر ...

تعطل انسياب المرور واختنق ...

هى وهو فى عربة أنيقة وسط حشد العربات المتوقفة فى زحام يملأ نهر الطريق حتى الحافتين ! ...

هو : ـ (ينظر فى ساعته ، ويتنهد) آه .. فات الميعاد !

هى : ـ تاخرنا ...

هو : ـ كالعادة ... الزحام واختناقات المرور !

هى : ـ خسارة ... وسيارتنا جديدة !

هو : ـ الآن ، والطريق مسدود ، لا فضل لجديدة على قديمة ! .

هى : ـ فعلا .. كلها الآن ((محلك سر)) !

هو : ـ وكلها الآن ، احسن وأسرع منها : الجمل !

● جواب .. لكل سؤال ●

... وهكذا ، فان الذى ـ كل الذى ـ نشر وينشر فى ((الهلال)) ، هو حصاد مدرسة استاذنا الكبير رئيس التحرير ..

ويبقى الناس والعصر ، ضـــيوف مناسبات .. يضيق بنا المهرجان ، عادة، فنرد الى ماوراء ((الهلال)) وينفسح ، احيانا ، فنساق الى ما بعد بعد ..حتى اخر الصفحات ، فى الذيل ، هناك ، على يدك الشمال !

الله احمد ...

به ثقتى ..

وهو بالغ آمره ..

هي : هاها .. فعلا !
هو : اذن ، ما رايك .. نبيعها : السيارة ؟!
هي : ـ آه .. و .. وماذا تكون مواصلاتنا بعدها ؟
هو : ـ الجمل !
هي : ـ الجمل .. لا تعطله اختناقات المرور ؟!
هو : ـ والفسحة عليه عظيمة !
هي : ـ في الصحراء ؟!
هو : ـ أرض الله ...
هي : ـ واسعة .. براح ! ..
هو : ـ تصورى ... ونحن معا هناك ...
هي : ـ في الصحراء !
هو : ـ (يتخيل) انت وأنا والجمل .. جملنا !
هي : ـ (متجاوبة) آه ...
هو : ـ (مسترسلا) والرمال ... بحر الرمال ، والهواء ، والنخيل !
هي : ـ (حالمة) جميييييل ! .. جميل !
هو : ـ والجمل يمشي بنا ، يتخطر ، و ...
هي : ـ لا ،لا .. يوقعني ! .. اقع ...
هو : ـ امسكيني ... تعلقي بي ! ..
هي : ـ ولكن ... دع الجمل يقف ، ويجلس ! .. انا خائفة !
هو : ـ انت يلزمك هودج !
هي : ـ هودج ؟!
هو : ـ محمل ، فوق الجمل ، له قبة ، وعليه ستائر ، و ...
هي : (باسمة) صالون ؟ .. صالون جمل !
هو : ـ لكنه مريح ، وامان ، يسعك والأطفال ...
هي : ـ آه ، اطفالنا ...
هو : ـ لكنهم بعد ان يكبروا ...
هي : ـ سيكبرون بسرعة !
هو : ـ ولم لا ؟ .. عندهم هنا أم رائعة ،وجو يبدع الفرسانوالشعراء!
هي : ـ جو يبدع !
هو : ـ ... تقدمين لهم منه ما كانت تقدم لابنائها صاحبة الأصمعي !
هي : ـ من صاحبة الأصمعي ، وماذا كانت ...
هو : ـ اقول لك ... : قال الأصمعي : رايت امراة من العرب ، تاتى
بصبية لها كل يوم قبل الصبح ، فتقف بهم على تل
عال ، وتقول : اى بنى .. خذوا صفو هذا النسيم
قبل أن تكدره الخلائق بانفاسها ! ...
هي : ـ الله ! ..
هو : ـ ولكن .. آه هذه الضجة المفاجئة والصخب ؟!
هي : ـ انها أبواق السيارات وراءنا ، وحولنا !

● ها هنا دكما ترين يبيع الفرسان والشعراء..
● إعلم أيها الشاعر العظيم أن ...

هو : ــ فعلا ! ٠٠ الطريق يتفتح ٠٠ بدأوا التحرك هناك الى الامام ٠٠
هى : ــ طيروا منا الحلم ، والصحراء ، و ٠٠٠
هو : ــ وضيعوا الجمل !
هى : آه ٠٠ الجمل !
هو : ــ فلنسرع اذن ٠٠٠
هى : ــ الى موعدنا الذى فات ؟
هو : ــ لا ، لا ٠٠٠ الى سوق الجمال !

● اعلم أيها الشاعر العظيم ٠٠٠ ●

لا يهم أننا ، هو وانا ، نجدد الوعد كل حين للقاء لا يحين موعده ! ٠٠
يكفى أننا حول شعره جد مختلفين رأيا ورؤية !

لقد عرفته فيما كتب لى وقرات له ، بصيرا بفن الشعر ، رائقا ، حسن الاداء ٠٠٠ لولا أنه يلمس جراح القلب كلفة ، ويأخذ الناس والاشياء من ظواهرها ! ٠٠

لست أرى له عندى بعد ما يمكن أن يقال ٠٠٠
لا أنا عملاق ٠٠٠ ولا هو أمير !

والا فلعلى كنت ــ والقياس مع الفارق والفارق بعيد ! ــ اقول له ماقال العقاد العملاق ، فى الديوان ، لشوقى أمير الشعراء ٠٠٠ :

اعلم أيها الشاعر العظيم ، أن الشاعر من يشعر بجوهر الاشياء ، لا من يعددها ويحصى اشكالها وألوانها ! ٠٠

وليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشىء ماذا يشبه ، وانما مزيته أن يقول لك ما هو ، ويكشف لك عن لبابه ، وصلة الحياة به ٠٠٠

وما ابتدع التشبيه لرسم الاشكال والالوان ، وانما ابتدع لنقل الشعور ٠٠٠ وبقوة الشعور وعمقه يتميز الشاعر ! ٠٠٠

● ليل ، على كل عين لا تنام ــ طويل ! ●

شمس النهار الى مغيب ٠٠٠
والشارع العريض زحام وصخب ٠٠٠
وانا ، مثقل بأحمالى من الأوراق وكتبى ٠٠٠ اتلمس نجدة موصلة الى بيتنا البعيد ٠٠٠
ومن الضفة الاخرى لنهر الطريق ، يلمحنى سائق ((تاكسى)) ، فيعطى

كل براعته للفتة مفاجئة ينحدر بها نحوى ، حتى يتوقف عند حافة قدمى ، واهتف له عجبا وحمدا ...

أنا : ـ شكرا لك ... (أنحنى لأفتح باب السيارة) أجمل الشكر !

السائق : ـ (يمد يده يمنعني) لا ... لا !

أنا : ـ ... أنا في طريقك ، و ...

السائق : ـ (مقاطعا) لحظة .. لحظة واحدة !

أنا : ـ تحت أمرك !

السائق : ـ قل لى ...

أنا : ـ نعم ...

السائق : ـ هذه النظارة التي ....

أنا : ـ التي أين ؟!

السائق : ـ هنا ... (مشيرا بيده) على عينك !

ـ آه ، نظارتى ! .. هاها .. و .. (أمد يدى الى باب السيارة) ..

ـ (معترضا) قلت لك لحظة ! .. انتظر ! ..

ـ حاضر !

ـ أهى طبية ؟

ـ النظارة ؟ .. وللشمس أيضا !

ـ مستوردة طبعا !

ـ طبعا ؟ .. تعني بحكم تطبيع المستوردات ؟..

ـ واعنى لأنها تبدو آخر صيحة !

ـ ولكن الصيحات هذه الايام لا آخر لها ! ..

ـ (يضع الفوطة الصفراء على العداد ، ويكتفى بالاشارة اليها ، ردا على كل طلب أو سؤال) المهم الان أن ...

ـ (مقاطعا) المهم الان أننى ... (أحرك بيدى مقبض الباب) و ...

ـ (معترضا) صبرك بالله ! .. الا تعرف الصبر ؟!

ـ الا ترى أنى صابر معك صبر ايوب !

ـ تقول صبر من ؟!

ـ صبر أيوب العصر يطلب « تاكسيا » !

ـ هاها .. ولكنى لا اريد الآن

ـ (مقاطعا) ماذا تريد اذن ؟

ـ ... أولا ، أن اريحك من بعض احمالك (مشيرا بيده) أوراقك هذه والكتب .. هات عنك !

ـ حسنا ! .. (اناوله ما احمل) وماذا بعد ؟ ..

ـ تتراجع ، لو سمحت ، قليلا ! .. الى الوراء !

ـ نعم ؟!

ـ لا ، لا شىء ... اردت فقط ان ارى نظـــارتك من جانب الوجه ... « البروفيل » يعنى ؟!

ـ ولكن .. لماذا « البروفيل » يعنى ؟!

● ليل على كل عين لا تنام ـ طويل ...
● مقبل ، مدبر .. صعق القلب له عجبا ، وحمدا ..

ـ لانى فى الحقيقة مغرم نظارات ! .. ونظارتك .. شدتنى ! واردت ان ...
ـ حسنا ، ولكن ... ليكن ذلك آخر ما تريد !
ـ (باسما) وآخر كلام !
اتراجع قليلا .. اتلفت له بوجهى ، طوع ما يشاء ويرضى .
... ونفسى تهمس لى تقول : وماله ! .. عارض نظـــارات فى الطريق ... تجربة جديدة ورائدة ! .. فيا رواد الطريق :
تعالوا اعينونى على الليل انه
على كل عين لا تنام طويل !
ـ (يوجهنى) يمين ! .. آه ، يسار ... فى اليســار مدهش ! .. وارفع ، ارفع رأسك يا ..
ـ .. يا اخى كفاية ! ..
ـ الآن ، طلب صغير ، اخير ، ونمشى ! ..
ـ ونمشى ؟!
ـ تماما ! .. (يناوله ورقة صغيرة) تكتب اسم النظاراتى وعنوانه ،
ـ وماذا ايضا ؟
ـ وممكن توصية له ...
ـ تحت أمرك ! .. (يكتب) ... تفضل !
ـ تفضل انت ايضا احمالك ...
ـ اوراقى والكتب ...
ـ (يدير محرك السيارة) وعن اذنك !
ـ ماذا ؟ .. انتظر .. دعنى أركب !
ـ قلت لك مشغول !
ـ و .. والانتظار ، والحوار ، و ... صبرى معك !
ـ صبرك معى ! .. هاها : قلت لى انك ((أيوب العصر يطلب تاكسيا))!!
ـ آه ، ولكنه ... كما ترى .. والطريق معذبه !
ـ معذبة فعلا ! .. (وهو ينطلق بسيارته) هاها ! .. معذبة .. اذن أيوب العصر يمشى عذابه ! .. يمشى !

زهرات من رياض العرب

● محسن فهمي ●

● أسعد الرعاة ●

كتب عمر بن الخطاب الى أبى موسى رضي الله عنهما :
أما بعد ، فان أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وان أشقى الرعاة من شقيت به رعيته ، واياك أن تزيغ فتزيغ عمالك ، فيكون مثلك مثل البهيمة نظرت الى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك السمن ، وانما حتفها فى سمنها .



● قد نسيت ●

قيل ان زيادا – امير البصرة وحاكمها – امر بقتل رجل .
فقال الرجل : أيها الامير ، ان لى بك صلة .
فقال الأمير : وما هى !
قال: ان أبى كان جارا لك بخراسان.
فقال زياد : ومن ابوك ؟
فقال الرجل : قد نسيت الآن ، وانا فى هـذا الكرب ، اسـم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى ؟!
فضحك زياد وعلم انه اديب احتال فى خلاص نفسه ، فخفف الحكم عنه .

● اصحابك ●

قالت زوجة يحيى بن طلحة لزوجها: ما رايت اذل من اصحابك : اذا ايسرت لزموك ، واذا اعسرت تركوك :
فقال : هذا من كرم اخلاقهم ، يأتوننا فى حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا فى حال الضعف منا عليهم .



● أكل مال الله ●

ولى الحجاج اعرابيا ولاية ، فتصرف في الخراج ، فعزله على الفور ،فلما حضر قال له : يا عدو الله أكلت مال الله .
فقال الاعرابي : لم أجد غيره ! فقد راودت ابليس على أن يعطينى فلسا واحدا فلم يقبل !
فضحك الحجاج من قوله وخفف عليه العقاب .



● دعاء ●

اللهم انى اسالك الثبات فى الأمر واسالك عزيمة في الرشد واسالك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك واسالك لسانا صادقا ، وقلبا سليما واعوذ بك من شر ما تعلم ، واستغفرك مما تعلم ، انك أنت علام الغيوب .

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠

ترنيمة الختام

النرجس المائي ..

● عن الشاعر : وليم ورد زورث ●

● ترجمة : عامر محمد بحيري ●

تجوَّلت وحدى ... كبعض السحا

ب فوقَ الرَّوابى ، وأعلى الوهاد

فأبصرتُ جمعا من النَّرجس الـ

مُذهَّب .. جمهرة فى احتشاد

بشطِّ البحيرة ، بين الشَّجرْ !

تصفق راقِصةً فى النَّسيم !

***

دواما كما تستضيء النجوم

وتبرُق فوقَ مسار الزَّمن

تَمدَّد فى لا نِهائية

بشطِّ الخليج ، امتدادَ الزَّمن

وتبدُو عَديدا بلمْح البَصرْ

تهز الرءوس برقص حَكيم !

***

بجانبها يرقص الموجُ نورا

ولكنْ تبعثَره فى حبور !

فَهلْ للطَّبيعة من شَاعِر

يَراها ولا يَعْتريه السرورْ !

نَظرتُ إليها ، ولم أفتكر

بما نلته من ثراء كريم !

***

ولمّا تمدَّدتُ فوقَ الفراش

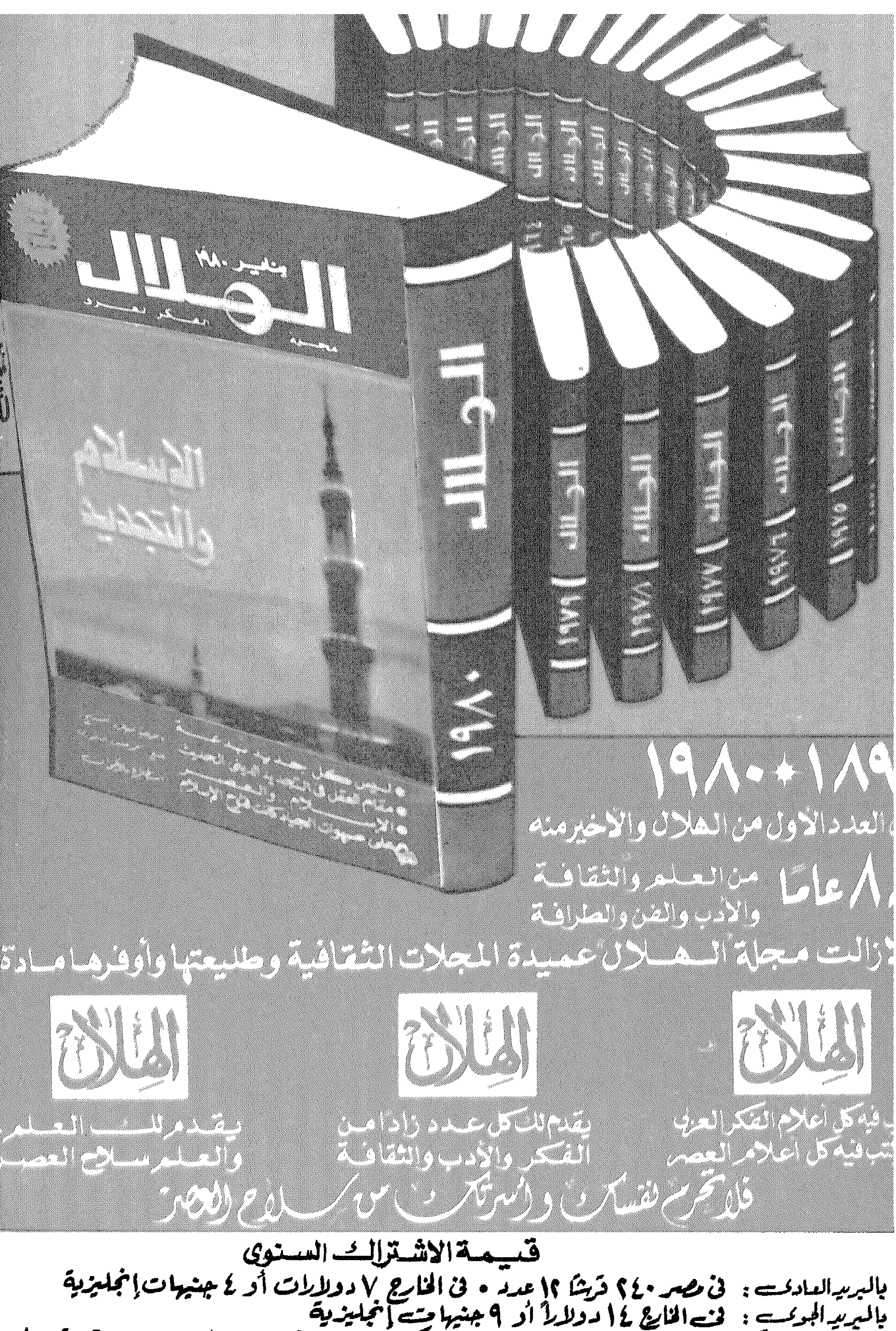
خليّا فؤادى ، أو فى انشغَال

تلألأ للبَصَر الباطنىّ

وتلكَ له نِعمَة الاعتزال

فأرقصتَ قلبى بين الزَّهَر

وأفعمتُه باغتِبَاط عظيم !



قيمة الاشتراك السنوى

بالبريد العادى : فى مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عدد • فى الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات إنجليزية

بالبريد الجوى : فى الخارج ١٤ دولاراً أو ٩ جنيهات إنجليزية

فى البلاد العربية : سوريا : ٣٠٠ ق.س الكويت : ٣٥٠ فلسا لبنان : ٢٥٠ ق.ل

العراق : ٤٠٠ فلس الأردن : ٢٥٠ فلسا السعودية : ٤ ½ ريال

الهلال

ابريل ١٩٨٠

مجلة الفكر العربي

اقرأ الهلال واكسب جائزة

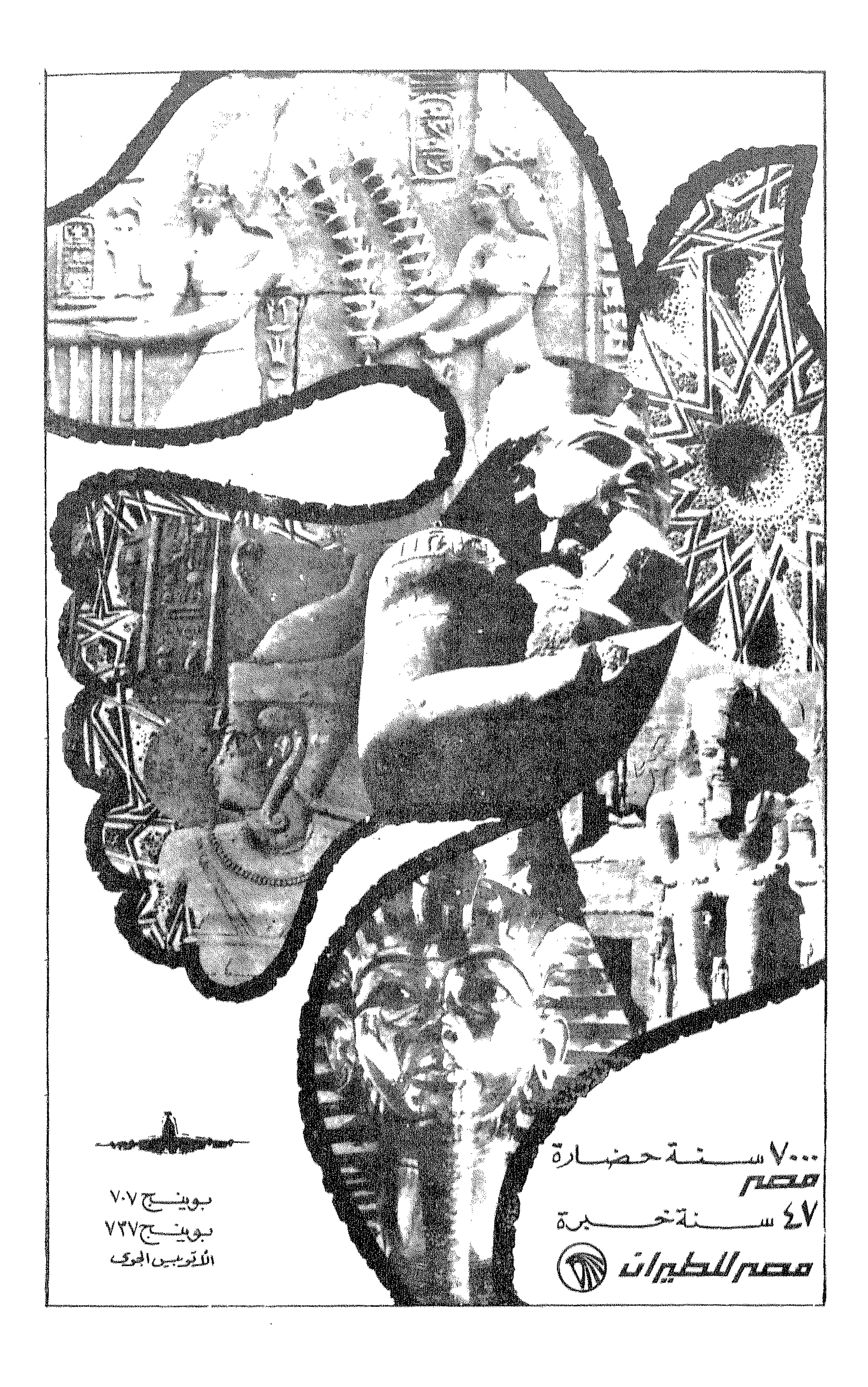
المرأة

كسبت الحرية وخسرت المعركة!

ديرسانت كاترين (استطلاع بالألوان)

● شخصية الشهر: أديب كبير لم ينصفه عصره

● الأربعون.. زهرة شباب كل امرأة



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٧ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

خطوط مباركة على الطريق

ان معرض القاهرة الدولي الدائر هذه الأيام ارهاص بالمستقبل الزاهر ..
لقد أقمنا قبل ذلك عشرات المعارض الصناعية . أقمناها في كل عاصمة عربية من الرباط الى الكويت ، ولكن للمرة الأولى نرى معرضا صناعيا عربيا حقيقيا ..

انني أتحدث الى كل العرب ولهذا فاحب أن يسمعني كل العرب ، وأنا سعيد بهذا المعرض لا لأنه في مصر ، بل لأنه في بلد عربي ، وهو حدث عربي كبير وهو خطوة عربية الى الامام ، لأن اي خطوة الى الأمام يخطوها عربي هي خير لكل العرب ..

في المعرض صناعات عربية مصرية ذات مستوى رفيع . للمرة الأولى تصنع الايدى العربية صناعة يمكن ان تباع في كل بلاد الدنيا : هنا أقمشة تضاهي اجمل اقمشة فرنسا وانجلترا وامريكا ، هنا ادوات منزلية لا تفترق في شيء عما نستورده من الخارج ، هنا « موبيليا » على مستوى رفيع ، هنا معلبات يمكن أن تباع في « السوبر ماركت » في سويسرا ، هنا مصنوعات من « البلاستيك » في غاية الاتقان و « قاشاني » لا يفترق عن الإيطالي والاسباني .. هنا اشياء جميلة جدا ومفرحة جدا ..

هنا بداية جميلة لعصر الصناعة العربية ..

كنت اتمنى أن يرى العرب جميعا ذلك المعرض ، فهو لهم ، وهو غرس أيدى اخوانهم فى مصر ، وهو بداية عصر جديد لهم ..

هنا ايضا اقسام ضخمة لمعروضات من دول أوروبية وامريكية ..

هنا اقسام انجليزية وفرنسية والمانية وهولندية ويابانية والمعروضات فيها هائلة ..

ولكنني واثق باننا سنصنع مثلها غدا ..

ولكن ، أتعرف ماذا افرحني فى هذه الأقسام الأجنبية ؟

ان كل توكيلاتها بايد عربية مصرية ..

لقد تعلمنا كيف نستورد . كيف نزرع بايدينا فروعا لشجرات غريبة في بلادنا ..

وفى الماضي كان يقوم بذلك غير المصريين ..

كانت التوكيلات كلها بيد خواجات ..

كانت الأرباح كلها تذهب فى جيوبهم . كنا دائما ندفع وهم يكسبون . اليوم تعلمنا اقامة التوكيلات وادارتها وتوزيع البضائع وتنظيم الادارات ..

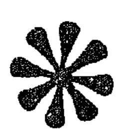
هذه أيضا خطوة هامة على الطريق الصحيح .

خطوة لمصر وخطوة لكل العرب ..

هذا ليس مجرد معرض ..

انه علامة مبشرة بالخير على طريق النهوض ..

انه خطوة حقيقية نحو الغد ..



المحرر

فى هــــلالــــك



جمادى الأولى ١٤٠٠هـ
أبـــريـــل ١٩٨٠م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .
اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ
السنة الثامنة والثمانون ـ اول ابريل
١٩٨٠ـ ١٥ من جمادى الاول ١٤٠٠ .

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها.. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها.. ولكن تحرير «الهلال» غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب، وهى لا ترد، نشرت ام لم تنشر.

● صورة الغلاف ●

خصصنا جزءا كبيرا من هذا العدد لقضية المراة وتساءلنا عما اذا كانت قد كسبت شيئا رغم الضجة التى تملأ الاسماع، ورأينا ان يكون غلاف الهلال تعبيرا عن هذا السؤال المحير .. وها هى واحدة من بنات حواء تسال : اين انا الان ؟!

الإشراف الفنى
أحمد الوردجى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى «١٢» عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



ليست قضية نسائية، إنها قضية الوطن كله

خسرت المرأة قضيتها لأنها أرادت أن تخسرها

وإذا أرادت أن تكسبها، فهذا هو الطريق

بقلم: رئيس التحرير

● بعد قليل سيكون قد انقضى على صيحة تحرير المرأة العربية ثمانون عاما ، فماذا حققت المرأة خلال هذه الأعوام الثمانين ؟

أو ـ بتعبير أدق ـ ما الذى سمح المجتمع للمرأة بتحقيقه خلال هذه السنوات الطوال ؟

هل تحررت المرأة فعلا فى الحركة والتصرف والقول ؟

هل أصبحت تستطيع أن تتولى كل أمورها بنفسها وتتصرف فى شئونها بنفس الحرية التى يتصرف بها الرجل ؟

هل تحمل المرأة العربية اليوم نصف المسئولية عن مصير الوطن كما تنبأ قاسم أمين ؟

ببالغ الأسف لابد أن نقول ان المرأة لم تحقق الا جانبا ضئيلا جدا مما كنا ننتظره منها ونتوقعه لها ..

وباستثناء عدد قليل جدا من النساء وصلن الى مستويات القيادة وأثبتن بالفعل جدارتهن بالمسئوليات التى يحملنها فان الباقى مازلن حيث كن من ثمانين سنة ـ باستثناء المظهر ..

اذا أخرجنا من الحساب سيدات من أمثال أمينة السعيد ، وتماضر توفيق

وهمت مصطفى ، وآمال عثمان ، وكريمة السعيد ، ممن يعتبرن حالات فـردية لا يقاس عليها ، فان المرأة عندنا ما زالت حيث هى فى كل شىء فيما خلا بعض مظهريات لا تقدم ولا تؤخر ..

فان أمثال أمينة السعيد كان لابد أن تظهر وتتميز حتى فى أظلم سـنوات العصور الوسطى ، فان الشخصية القوية والانسانة الذكية الحازمة تفـرض نفسها بنفسها أيا كانت الظروف . وقد ظهرت هدى شعراوى فى عصر ظلام دامس ، وكان كل شىء ضدها ، فشقت طريقها فى بسالة وذكاء ووقفت نـدا لسعد زغلول وطلعت حرب وطه حسين وعبـاس العقاد وغيرهم من فحـول الرجال ..

وفى آخر العصر الايوبى ظهرت شجرة الدر وأمسكت بعنان الحوادث فى عصر عصيب ، وقادت دفة الحكم حتى تآمر عليها الرجال وقضوا عليها ، ولكنها دون شك كانت أقوى وأذكى وأكفأ ممن حولها من الرجال بمـا فيهم الرجـل الذى أرغموه على الزواج منها لكى تكتسب احترام المجتمع بمفهوم العصر ، وهو سيف الدين قطز ..

وقبل شجرة الدر بالف سنة ظهرت كليوباترا وقادت الرجال والتـاريخ وقامت بدورها الكبير وماتت قبل ان تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها ..

ولكن صيتها ما زال يدوى الى اليوم .

ولكن هؤلاء افذاذ لا يقاس عليهن .

انما الذى يقاس عليه ، فهى المرأة العادية : جارتك وجارتى وابنة جارك وزوجتك وزوجة جارك الى اى مدى تقدمت فى المجتمع ..

فى المجتمع الاوروبى والامريكى حيث حققت المرأة تقدما حقيقيا تسـتطيع المرأة المفردة أن تقضى عمرها كله مفردة دون أن يوجه اليها انسان كلمة نقد ، تستطيع ــ فى حدود القانون والاخلاق طبعا ــ أن تفعـل ما تريد دون أن يقتحم الرجال عليها حريتها ويفرضوا عليها ارادتهم كما يحدث عندنا ..

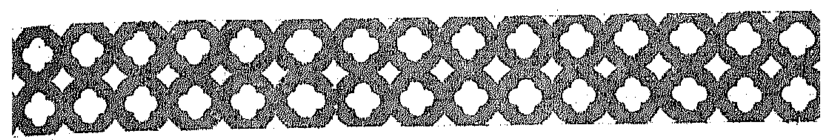
ما يحدث عندنا الى اليوم ورغم كل ما نادينا به وفعلناه ، ما زال المجتمـع مجتمع رجال ، وما زالت المرأة قابعة فى مكانهـا وان دخلت وخرجت وتكلمت وكتبت . ما زالت هى الجانب المنهزم المغلوب فى المجتمع ، الجانب الذى يحمل أثقل المسئوليات دون شكر أو تقدير .

وما زال القانون يقف الى جانب الرجل فى كل ما يتصل بعـلاقته بالمرأة رغم كل شىء ما زالت المرأة بعيدة جدا عن تحمل نصيبها من مسئولية الحيـاة لاننا نحن الرجال لا نريد ، وهى أيضا لا تريد .

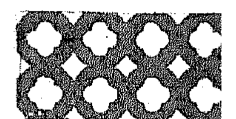
ففى كل ما يتصل بالشكليات يبدو على السطح ان المرأة نالت قـدرا كبيرا من الحرية وانتقلت من حال الى حال ..

ولكننا عندما ندخل فى الحقائق وعندما يجد الجد نجد الامور كلها فى أيدى الرجال





حقوق المـرأة



وما زال المجتمع يصر على غسل مخ المرأة واقناعها بانها نالت كل حقوقهـــا وأنه لم يبق حق الا نالته وتمتعت به ، وليس عليها الا أن تكمل الطـريق على بركة الله ٠

اننا رغم كل شيء لا نريد الحرية للمرأة ولا نؤمن بأن من حقها أن تتســاوى بالرجال ٠٠

ففى أعماق نفوسنا ما زلنا مكبلين بقيود ألف عام مضت من التفكير والتصرف والتعبير ٠٠

وهل من الممكن مثلا ان يؤذن لامرأة شابة على شيء من الجمـال فى ان تنزل وحدها فى فندق لقضاء أجازة صيف مثلا ٠٠ ؟

لقد طلبت سيدة اعرفها ان تذهب للاجازة وحدها لأن زوجها متغيب للعمـل فى بلد عربى ، فاضطرت الى أن تصحب معها غلاما من اقاربها ليكـــون معهـا حماية لها من كلام الناس ٠٠

وهذه السيدة تشغل وظيفة استاذ مساعد فى احدى الكليات الجامعية ، وهى تحاضر وتناقش وتقوم بمسئولياتها العلمية على احسن وجه ، ولكن المجتمع يصر على أن يلزمها مكانها القديم ، لابد أن تظهر فى المجتمع فى حماية رجل ، ولـو كان هذا الرجل صبيا ٠٠ ان المجتمع الذى نعيش فيه لم يتغير مســتوى تفكيره ونوعه عما كان عليه الحال من مئة سنة ، وكل التقدم شكلى ومظهرى ولا زيادة٠

والسبب فى ذلك اننا ــ فى قرارة نفوسنا ــ لا نريد ان نؤمن بحقوق المرأة ، ونحن لا نريد ان نؤمن بهذه الحقوق لاننا ــ نحن رجال العرب ــ لم نصل بعد الى درجة الثقة الكاملة بالنفس ٠ نحن نخاف المرأة ٠ نخاف أن نفقد مكانتنــا اذا نحن اعترفنا لها بملكاتها ، هناك رجال يرون ان زوجاتهم اذكى واقدر منهم بكثير ، يرون أن الحلول التى تقترحها زوجاتهم لما يعرض من المشاكل افضل من الحلول التى يقترحونها هم ، ويضطرون فى النهاية للأخذ بآرائهن ، وهنـا نجد أن مركب النقص ، عقدة الرجل تجعله يحاول اهانتها لكى يثبت لنفســه أنه رجل وانه ما زال السيد وصاحب الكلمة ٠٠

وقد تأصلت عقدة الرجل هذه فى نفوسنا بتوالى العصور حتى أصبحت وكأنها عقيدة أو حقيقة لا تقبل المناقشة ٠ وهى عتيقة ترجع الى عصور الغابات وبدايات الحضارة ٠ فسواء فى أيام اليونان أو الرومان أو خلال العصور الوسـيطة كان الرجل يفرض ارادته لأنه الاقوى ولأنه هو الذى يعول الاسرة ، لأن مجالات العمل أمام المرأة كانت مقفلة ٠ انما هو عمل البيت ولا زيادة ٠

ثم جاءت الاديان ، والاسلام خاصة ، فمنحت المرأة حقـــوقها ، وســـاوتها بالرجل فى القيمة الانسانية والقدرة على العمل والمكانة فى المجتمع ٠٠

هنا سنحت للمرأة الفرصة التى كانت تنتظرها ٠٠

لقد أعطاها الاسلام حرية التصرف فى أموالها ، وفتح أمامها أبواب العمـل فلم يغلقها ٠ نعم انه أمر المرأة بالاقتصاد فى الزينة وبالحـــرص على الا تثير الغرائز ــ اذا كانت من الجمال والفتنة بحيث تثير الغرائز ٠ لقد أمرهن القرآن **بأن يقرن فى بيوتهن ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، ولكنه لم يقل ان تظل**

● **إذا أرادت المرأة أن تكسب كل حقوقها فستكسبها، أما إذا أرادت أن تأخذها من الرجال منحة فلن تحصل قط على شيء، لأن الحياة صراع ، ولا مكان للعواطف في الصراع**

المرأة رهينة البيت لا تفارقه • انها تقر فيه فلا تخرج الا لحاجة أو مصلحة أو عمل ، لأنه من الطبيعي انه لا ينفع المرأة في شيء أن تسير في الطرقات بدون وجهة أو غاية • وكلنا ننتقد السيدات أو البنات اللاتي يقضين أوقاتهن في النوادي لمجرد التسلية وقضاء الوقت الفارغ ـ وفي حالة هؤلاء النساء كل وقتهن فارغ ، لاننا نرى ـ مهما بلغت سعة تفكيرنا ـ نرى انه لا معنى اطلاقا لتسكع المرأة في النوادي وعندها شغل في البيت ينتظر من يعمله •

ولكن القرآن أتاح الفرصة للمرأة لتعمل وتكسب وتسهم في النشاط العام للمجتمع ، وأنا اتحدى أعلم الناس بالفقه أن يأتيني بنص واحد يحرم على المرأة العمل والخروج الى الأسواق ما دامت مراعية لقواعد الحشمة •

وفي عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم كانت المرأة كذلك حتى أن عمر بن الخطاب أقام ذات مرة امرأة على السوق ، أي انه عهد اليها بعمل يشبه عمل المحتسب أو مفتش الاسواق والرقيب على البيع والشراء ومراعاة الاخلاق ••

فلماذا لم تستمر هذه الحركة التي بدأها الاسلام ، والتي نستطيع أن نسميها بنهضة نسوية ؟

ما الذي أوقف المرأة في منتصف الطريق ، وجعل الحجاب ستارا كثيفا يحرم المرأة حتى من الهواء والنور ، وجعل البيت سجنا حتى ابتكر الناس المشربيات ، وهي ـ على جمالها ـ رمز لعبودية المرأة واستبداد الرجل الذي دفع بالمرأة قرونا كثيرة الى الوراء •• ؟

المسئول عن ذلك هي المرأة لا الرجل ••

هي التي قصرت في حق نفسها ، وتركت الرجل يفرض نفسه عليها ويسلبها ما منحه الاسلام اياها من حقوق •

من الذي قال ان شعر المرأة عورة ويد المرأة عورة وصوت المرأة عورة • ؟

بالارهاب والتخويف وتجاوز القانون فرض الرجل على المرأة هذه المفهومات .

واسوأ من ذلك أنها هي اقتنعت بذلك وفرطت فى حقوقها وجعلت الرجل يتصرف فيها كما يريد . كان فى امكان المرأة ان تستند الى الدين وتطالب بحرياتها وحقوقها ..

كان على اهل الفكر فى عالم الاسلام ان يتمسكوا بما يمنحه الاسلام للمرأة - وللانسان عموما - من حقوق وحريات ..

ولكن ، أين اهل الفكر فى عالم الاسلام ؟

ان تاريخ الفكر فى الاسلام طويل ، ولكن الشجعان فيه قليلون او قل لم يوجدوا قط ..

وما اقل انصار الحق فى تاريخنا ..

دائما كان ينتصر الرأى الجامد الجاف . وكان الجامدون دائما اقوى فى الصراع ، لانهم لا يعرفون الحق ولا الحياة . دائما كانوا يسندون رؤوسهم الى صاحب السلطان والى الجماهير الجاهلة الغافلة لاطفاء كل مصباح نور يوقد فى ظلام عصور الجهل والجبروت ..

وفى تاريخنا كله لم تعرف المرأة الا نصيرا واحدا هو الذى فهم المرأة وعرف قدرها وعرف رأى الاسلام فيها وفى حرياتها ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

أما البقية فلم يفهموا عن رسول الله شيئا في هذه الناحية . حتى جاء العصر الحديث وتبين لنا مقدار الظلم الذى ننزله بالمرأة فبدأنا نصلح خطأنا ..

ولكن ، هل اصلحناه ؟

هل عرفنا خطأنا وعدنا الى صوابنا وادركنا مقدار ما يعود علينا من الخير اذا اعترفنا للمرأة بما وهبها القرآن اياه من حقوق ؟

تعال معي وانظر الى اولئك الذين لا يزالون يقولون ان شعر المرأة عورة وصوتها عورة ويدها عورة ..

لقد سمعتها تخرق اذنى فى خطب الجمعة اكثر من مرة ..

ولم اسمع قط واحدا يعرف الحق ويقوله ..

والحق الذى ينبغى ان يقال هو ان عفة المرأة ترجع الى شخصيتها وتربيتها ونوع الرجال الذين يحيطون بها ..

فما معنى ان يقال للمرأة : غطى شعرك واسدل على وجهك الف حجاب وحذار أن يرى كفك احد ، لانك تعيشين بين حيوانات وبهائم تسمى الرجال ..

أليس هذا فى ذاته اهانة للرجال انفسهم .. ؟

وهل اذا كان هناك رجل بهيمة هل ستزول بهيميته اذا رأى امرأة تسير داخل زكيبة لايبدو منها الا عيناها ؟

لقد عاشت المرأة فى هذه الزكيبة ثلاثة عشر قرنا ، فهل قضى ذلك على الفسق وفساد الاخلاق .. ؟

● عندنا نساء ناجحات عرفن كيف يحصلن على حقوقهن ويحملن مسئوليات كبرى دون أن يفقدن شيئًا من أنوثتهن . لقد نجحن بالجد والعمل ومتانة الخلق والإيمان الحقيقى بأن الله وهب المرأة كل ما وهب الرجال من الملكات والقدرات.

أمامك كتاب واحد هو ، الاغانى .. فاقرأ فيه أخبار ما كان يحدث من الفجور فى عصر الحجاب الكثيف ..

وفى العصر المملوكى ، وهو العصر الذى بلغ فيه الحجاب اقصاه اقرأ مقامات الوهرانى ، وهو كتاب بين أيدى الناس لترى كيف ينتشر الفساد ..

اننا اليوم ارفع اخلاقا الف مرة من كل العصور الماضية ما عدا عصر النبوة وامتداده الى آخر أيام الراشدين ..

ان المرأة السافرة اليوم أقرب ألف مرة الى معنى الشرف والعفة والتعاون مما كانت جدتها المحجبة التى كانت لا ترى الدنيا الا من خلال ثقوب المشربية ..

ولكن المشكلة الكبرى اليوم هى ان المرأة نفسها لا تؤمن بنفسها ، ولا تريد ان تحارب معركتها لتكسبها بالعمل الجاد ..

انك ترى الوف البنات قد غسل بعض خطباء الجمعة اذهانهن فاصبحن يرتدين ما يسمى بالزى الاسلامى حاسبات انهن اذا لم يلبسنه فقد كفرن بالاسلام ..

وأنا لست ضد الزى ، فلا بأس به ولا اعتراض لى عليه على ألا يكون لبسه عقيدة تدعو الى القول بأن من لا تلبسه ضعيفة الدين ..

ولا أحب كذلك أن تعتقد بناتنا أننا الرجال ـ جميعا ـ حيوانات وأننا لن نتمالك أنفسنا اذا رأينا شعر المرأة كاننا ثيران تلقيح فى الموسم .

اريد أن أقول انه اذا كانت لابسة الزى تلبسه لأنها هى نفسها تعتقد أن لبسه أنسب لها فلا بأس ، أما اذا كانت تلبسه لأن رجلا قال لها ذلك أو أن صاحبة لها أوحت اليها بهذا المعنى فهذا هو الخطأ ..

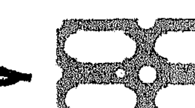
انها بذلك تكون قد ألغت عقلها وحريتها ، وتصرفت بأمر صدر لها من الآخرين ..

والشىء الآخر الذى أحب ان انص عليه هنا هو ان المرأة عندما اقتحمت ميدان العمل لم تدخله بالجدية المطلوبة ..

ومن يوم أن عرفنا المرأة العاملة وهى تطلب أن تعامل معاملة خاصة ، لمجرد أنها امرأة ..

انها لا تأتى فى المواعيد لأنها امرأة ..

وهى تنصرف قبل الموعد لأنها امرأة ..



وتحصل على ثلاثة أشهر للولادة ، ولها الحق فى سـنة اجازة بدون مرتب لرعاية الطفل ..

ولها الى جانب ذلك امتيازات أخرى تصر على الانفراد بها لأنها امرأة ..

وكل ذلك لا يخدم قضية المرأة ..

وما تسميه النساء امتيازات لهن انما هو انتقـاص من اقدارهن ، لأن ذلك يقلل من حرص جهات العمل على استخدام النساء ..

وما الذى يلزمنا باستخدام موظفة لكى نقضى الوقت كله فى انتظار مجيئها ونعمل حسابنا لوقت انصرافها ، وندبر أمرنا ثلاثة شهور كلما ارادت أن تهدى الوطن مولودا .. ؟

وماذا نعمل اذا طلبت سنة اجازة لتربى طفلها ، ماذا نكسب نحن من طفلها ؟

أليس أفضل لنا أن نستخدم رجلا ؟

حقا ان الرجل أيضا ملىء بالعيوب ولكننا نستطيع أن نكون حازمين معـه . نستطيع أن نغلظ له فى القول . نستطيع أن نوقع عليه عقوبات ، أما المرأة ؟

ومن الغريب أن المرأة هذه اذا انتدبت للعمل فى بلد آخر تنازلت عن كل ما تتمسك به هنا وتعتبره امتيازات لأنها تعرف أن العمل هناك جد ، وان أى تقصير معناه الغاء العقد ..

لقد عرفت هناك سيدة مصرية شابة تعمل ناظرة ، فمن غريب الامر أنهـا كانت لا تلد الا فى الصيف ، وفى انتهاء الاجازة السنوية تجدها فى مكتبها فى الساعة الثامنة صباحا ..

ولا أذكر أنها أخذت مرة أجازة سنة بدون مرتب لتربية المولود .

وأولادها والحمد لله يتربون احسن تربية ..

فلماذا هذا التدليل كله للسيدات عندنا .. ؟

ولماذا تصر المرأة على أن تعامل معاملة خاصة اذا كانت تقول انها تسـاوى الرجل فى الملكات والمواهب وكل شىء ، وهى فى الواقع تسـاويه فى الملكات والمواهب وكل شىء ..

ان المرأة تهزم نفسها بنفسها اذا هى أصرت على أن تعامل معاملة خاصة ..

ومن الآن نجد الكثير من الهيئات تنص فى طلبـات العمـل على الا تاخذ الا الرجال ..

وهذه الهيئات معذورة ..

لأن العمل عمل والمسئوليات مسئوليات ..

والسيدات الرائدات اللاتى بدأت مقالى هنا بذكرهن لم يعرفن ولا هن عرفن هذه الامتيازات ..

انهن يعملن فى جد ويظهرن بحق انهن جديرات بكل تقدير واحترام ، وقـد

● لقد منح الإسلام المرأة حقوقها كاملة ، ولكن الرجال سلبوها هذه الحقوق ، وهم منافقون إذ يقولون أن ولايتهم على النساء من صالح المرأة ومن صالح المجتمع وهم منافقون عندما يزعمون أنهم أعرف بحقوق المرأة من المرأة نفسها .

بلغن ما بلغن بالعمل والجد والكفاءة ، وجدير بالذكر أنهن فى نفس الوقت زوجات صالحات وربات بيوت قادرات وأمهات ناجحات أهدين لوطنهن أبناء وبنات على خير ماتكون الذرية الصالحة ، وما سمعنا قط عن واحدة منهن تعللت بزوجها أو أطفالها لكى تقصر فى عملها أو تتخلى عن مسئولياتها ، وعرفن كيف يوفقن بين مطالب العمل ومسئولياته ومطالب الحياة الزوجية ومسئولياتها ، وهذا ما نرجو أن تضعه كل امرأة نصب عينيها • اذا كانت المرأة تريد أن تكسب قضيتها حقا فينبغى أن تعلم انها ينبغى أن تخوضها فى جد تام دون طلب امتيازات أو التعلل بظروف خاصة ••

لأن معظم الذين يرأسون أعمالا فيها نساء كثيرات بدأوا يشكون اليوم ويأسفون على أنهم لم يأخذوا رجالا بدل النساء ، لأن المسألة ليست مسألة أكل عيش ، انما هى عمل وتحمل مسئولية •

لقد قالت سيمون دى بوفوارفيمذكراتها ان سر نجاحها الاكبر هو أنها لم تذكر قط فى عملها أنها امرأة ، ولم تطالب بالمعاملة على أساس انها امرأة • ولكنها لم تنس فى حياتها العامة أنها امرأة ، فلم تهمل فى ملابسها ولا قصرت فى تجميل وجهها والمحافظة على قوامها ••

لابد أن تكسب المرأة قضيتها ••

ذلك حق لها ••

وذلك ضرورة تحتمها روح العصر ويتطلبها صالح الوطن ••

والامر بيدها لا بيد الرجل ••

وحذار أن تحلم المرأة بأن الرجل سيعطيها حقا من حقوقها ، لأن الحقوق لا تعطى بل تؤخذ ، تؤخذ غلابا كما قال احمد شوقى ●••

د • حسين مؤنس

أى حق تكسبه المرأة.. هو حق يكسبه المجتمع كله

● چيهان السادات ●

كلمة حق وحكمة بالغة جديرة بان يفكر فيها كل رجل يحسب أن هناك معركة حامية بين عدوين لدودين هما الرجل والمرأة .

قالتها سيدة مصر الاولى السيدة جيهان السادات بمناسبة يوم المرأة العالمى ، ونحن نرددها هنا داعين الرجال جميعا للتفكير فيها ،فان الرجل لا يصلح حاله الا بالمرأة الصالحة ، والمرأة الصالحة لا تخدم مجتمعها كما ينبغى الا اذا أعانها على ذلك رجل صالح .

وفيما يلى مقتطفات من كلمة السيدة جيهان السادات ، ننشرها فى هذا الجزء من الهلال الذى خصصناه للمرأة ، داعين الرجال والنساء جميعا الى التفكير ..

ان المرأة المصرية لاتحتفل وحدها باليوم العالمى للمرأة وأن المرأة المصرية والرجل المصرى يحتفلان معا بهذا اليوم التاريخى الذى تطورت فيه نظرة المجتمع الى دور المرأة وحقوقها وهى فى سبيل الفوز بكل حقوقها كاملة لاتشن معركة ضد الرجل بل هى تعتمد فى ذلك على اقتناع الرجل الاب والابن والاخ والزوج الشريك فى رحلة الحياة.

لا حياة لمجتمع بدون هذا التعاون الفعال والفهم المشترك والتقدير المتبادل بين الرجل والمرأة ، وان اى حق تناله المرأة هو حق يناله المجتمع كله ، وهو خير تعود آثاره على المجتمع كله وبهذا الفهم ادت المرأة المصرية دورها التاريخى والاجتماعى وهى تنادى بحقوقها وتحصل على هذه الحقوق وتمارسها .

انه عندما تحدت المرأة الاستعمار البريطانى فى ثورة ١٩١٩ ولم تتراجع أمام رصاص المستعمر ، لم تكن المرأة حينئذ الا مدافعة عن حق الوطن كله برجاله ونسائه واطفاله . وعندما اعترف المجتمع المصرى بحقوق المرأة المصرية فى فرصة العمل المتكافئة وفى الاجر المساوى لاجر الرجل ، وعندما تقرر حق التعليم المجانى للجنسين مما دون تفرقة ، فلم يكن ذلك الا نتيجة نضال مشترك للرجل والمرأة معا .

بهذا المنطلق فان المجتمع يطالبنا ونحن نحتفل بيوم المرأة العالمى وقد نفذنا معظم القرارات التى اسفرت عنها خطة العمل العالمية لتطبيق أهداف العام الدولى للمرأة التى صدقت عليها الجمعية العامة للامم المتحدة فى مؤتمر عام ١٩٧٥ — بهذا المنطلق فان المجتمع يطالبنا بأن يكون أسهامنا فى التصدى للمشكلات العامة التى يتعرض لها أكثر ايجابية وأعمق اثرا ..

ان امامنا مشكلات تنظيم الاسرة ومشكلات محو الامية ، ومشكلات توفير الحياة الكريمة للمرأة العاملة نحو رعاية اطفالها ..وكل هذه المشكلات لن تتوافر لها الحلول الجذرية باطلاق شعارات المساواة فى الحقوق فقط ، بل لابد أن يكون اداؤنا لواجبنا القومى فى هذا المجال علامة ظاهرة على طريق التطور .

لقد بذلت المرأة جهودا عديدة ولعلها لم تنتج الاثر الكافى لانها كانت مشتتة ولانها كانت وليدة مبادرات مخلصة متفرقة وقد آن للمرأة المصرية أن تنظم حقوقها فتنتشر فى أرض مصر من اقصاها الى اقصاها .



سيدة مصر الاولى : جيهان السادات

المـــرأة

هل كسبت الحرية .. وخسرت قضيتها ؟

مع مهرجان اليوم العالمى للمرأة ، لا تزال للمرأة قضايا كثيرة تثار ، واسئلة حول قضاياها تبحث عن جواب ...

وعلى مستوى الحياة فى مجتمعنا العربى ، ما هو مفهوم الحرية للمرأة .. ؟ وهل تقدمت المرأة حقا ، واستقلت ، وادت دورها كاملا فى خدمة مجتمعها سياسيا واجتماعيا .؟ وهل لا تزال نظرة بعض الرجال تمثل تحيزا للرجل ، وتفضل الرجل على المرأة للوظيفة والعمل وان تماثلت المؤهلات العلمية بينهما .. ؟

وتمتد قائمة التساؤلات حول حرية الفتاة فى الزواج ... واشتغال المرأة بالعمل ليلا ... وحريتها فى ان تستقل وحدها بحياتها فى مسكن خاص ... وكذلك الرأى فى قانون الاحوال الشخصية ... وفيما يقال عن سيادة الرجل زوجا للمرأة وصاحب عصمة ...

وحول هذه القضايا والتساؤلات ، يحدثنا فيما يلى نخبة من رجال الفكر والقلم ...

● اعداد : موريس عزيز ●

ملك حفنى ناصف

هدى شعراوى

صفية زغلول

نبوية موسى

قضية المرأة

د. آمال عثمان
وزيرة الشئون والتأمينات الاجتماعية

بالنسبة للحريات اللازمة للمرأة — المرأة شان كل انسان — تحتاج الى الحرية المناسبة للقيام بدورها كمواطنة وعاملة وام وزوجة .

وان كان مفهوم الحرية هنا امر نسبى — فالحرية التى لا تتعارض مع حرية الآخرين هى الحرية التى اعنيها فى اطار نظم المجتمع واعرافه وتقاليده .

● عن تقدم المراة المصرية — اود ان اوضح انه اذا قارنا فى تطور تاريخى بين اوضاع المراة فى مصر فى الاربعينات مثلا وبين اوضاع المراة فى الثمانينات ، فسوف نجد الفرق شاسعا .. وقد كان الحديث عن (تحرير المراة) فى البيئة المصرية والعربية بوجه عام منذ سبعين عاما . لم يكن فكاهة ولا تسلية وانما كان معاناة صعبة قاسية .

ويكفى ان نذكر ان المراة لم تكشف وجهها الا بعد ثورة ١٩١٩ — وقد كافحت المراة المصرية وشاركت فى ثورة ١٩١٩ — وكان من اهم نتائج هذه الثورة الاجتماعية حدثان هامان هما :

١ — نزع الحجاب — وكان اول من اقدم على ذلك هدى شعراوى وزميلتها سيزا نبراوى — بعد عودتهما من المؤتمر النسائى الدولى فى روما عام ١٩٢٣ .

٢ — اعلان تاسيس الاتحاد النسائى المصرى فى ١٦ من مارس عام ١٩٢٣ وقد طالب الاتحاد النسائى الحكومة المصرية حينذاك بتحديد سن الزواج بما لا يقل من ١٦ عاما . والمساواة فى فرص التعليم بين المراة والرجل . كما كافح الاتحاد النسائى حتى استطاعت المراة المصرية أن تحصل فى عام ١٩٢٩ على حقها فى طلب الطلاق اسوة بالرجل اذا اثبتت انها تعامل معاملة سيئة كما امتدت فترة حضانة المراة للطفل من التاسعة الى الحادية عشرة .

ثم جاءت ثورة يوليو المجيدة سنة ١٩٥٢ فاعطت المراة المصرية الكثير من الحقوق وصدر دستور الشعب سنة ١٩٥٦ يمنح المراة حق الترشيح والانتخاب . وفى عام ١٩٦٢ تولت المراة المصرية لاول مرة منصب الوزيرة .

وبعد ثورة التصحيح التى قادها الرئيس المؤمن محمد انور السادات فى ١٥ من مايو ١٩٧١ اعيد تعيين المراة فى منصب الوزيرة تقديرا من الدولة لاهمية الدور الذى تضطلع به المراة وقدرتها على تحمل المسئولية جنبا الى جنب مع الرجل .

وقد احتلت المراة العديد من المناصب القيادية العليا وعلى سبيل المثال لا الحصر وصلت الى درجة وكيل الوزارة العديد من السيدات ودرجة المدير العام ، ودرجة المستشار بوزارة الخارجية ، ودرجة نائب الوزير باتحاد الاذاعة والتليفزيون ، وعميدة لكلية جامعية ، ورئيسة قسم ، وعالمة فى الذرة والكيمياء والطبيعة ، وسفيرة لمصر فى الخارج . وعضو بمجلس الشعب ، ورئيسة لمجلس شعبى بالمحافظات ، وعضو فى كافة المجالس الشعبية ، ووكيلة لنقابة المعلمين ، وعضو بمجالس ادارة العديد من النقابات المهنية والعمالية .

وقد شاركت المراة المصرية فى المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية المختلفة ، كما شارك وفد نسائى كبير برئاسة سيدة مصر الاولى السيدة جيهان السادات سنة ١٩٧٥ فى مؤتمر المراة العالمى الذى عقد بالمكسيك .



هذا بالاضافة الى التشريعات والقوانين العديدة التى اعطت المراة العديد من المزايا فى العمل والتامينات الاجتماعية . وتم تعديل بعض القوانين التى تعوق تقدم المراة المصرية .

كما حققت المراة المصرية كسبا رائعا عندما اعطى السيد / رئيس الجمهورية للمراة الحق فى تمثيلها بعضوية مجلس الشعب بثلاثين مقعدا ، كذلك فان الدولة - ايمانا منها باهمية دور المراة المصرية استراتيجية قومية لتنمية المراة المصرية للمشاركة فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد والاسهام فى نشر السلام والتعاون الدولى - فلقد انشأت اللجنة القومية للمراة كلجنة عليا تمثل كافة الوزارات والاجهزة المعنية بشئون المراة فى مصر .

● بالنسبة لوظيفة العمل بين الرجل والمراة ، فانه لا يوجد فرق او تمييز فى تصورى لاختيار شخص رجلا كان ام امراة - لوظيفة معينة .

● انا لا اتفق اطلاقا مع القول بان الوالدين يتجاهلان بنتهما فى موضوع زواجها . فكلنا نلمس التغير الاجتماعى الكبير فى مفاهيم الناس عن الزواج ، واهمية راى البنت فيمن تختاره شريكا لحياتها المقبلة ، وخاصة بعد التوسع الهائل فى التعليم ووصوله الى كل قرية وكل نجع وانعكاس اثره على العادات والتقاليد فى هذه الناحية ، وان كان هذا يحدث احيانا فى الريف فلقد بدأت النظرة تتجه الى ضرورة تغييره ليساير روح العصر .

● هناك بعض الاعمال مقصورة على الرجال ، محظور قانونا تشغيل النساء فيها . وكذلك اعمال بعضها محظور اشتغال النساء ليلا فيها . ومن بينها ما جاء فى قرار السيد وزير القوى العاملة رقم ١٩ الصادر سنة ١٩٧٨ .

وقد قصد بها المحافظة على سلامة المراة وحمايتها من الاعمال التى قد تعرضها لاخطار صحية او اجتماعية .

● وفى رايى ، والحديث عن الزى النسوى - ان القضية لا تكمن فقط فى توحيد الزى او عدمه وانما تكمن فى ضرورة التوعية بين الامهات ودعوة الاسرة ، ومخاطبة العقول بطريقة منطقية تبرز مزايا المظهر المحترم المتانق فى وقار ، وهى مهمة جسيمة تشارك فيها اجهزة الاعلام والمفكرون والمربون ، كما تشارك فيها الاسرة .. ولنضرب المثل والقدوة لبناتنا ليؤمن بما ننصح به .

اما عن اختلاط الجنسين فى المدارس والجامعات فانا لا ارى غرابة فى ذلك ، فلماذا لا ننظر الى هذه الاماكن كاسرة كبيرة تنتظم الفتى والفتاة على اعتبار انها امتدادا طبيعى للعائلة التى نشأ كل منهما فيها .

● ويبقى السؤال حول استقلال السيدة بمسكن خاص لها . فهذا كثيرا ما يحدث لو سافر الزوج خارج البلاد ، او طلق زوجته وترك لها اولادا ، او توفى مثلا . فانها تستمر مع ابنائها فى منزلها ولا غبار على ذلك .

اما عن رايى فى استقلال الفتاة بالاقامة فى مسكن خاص بها ، فلقد تضطرها لذلك ظروف اجتماعية ، كان يموت الوالدان مثلا . اما الفتاة التى تترك اسرتها لتعيش بمفردها فانا لا اوافق على ذلك ، لانه لا يتفق مع قيمنا وتقاليدنا ، وفيه ايضا تعريض للمراة لكثير من المخاطر .

د. آمال عثمان
وزيرة الشئون والتامينات الاجتماعية

في طبيعة المرأة ما يجعل العمل أدنى إلى الكمال والجمال!

● احمد حسن الباقورى ●

● مبلغ علمى ان المراة المصرية فى مختلف اطوار هذا البلد العريق ، لم تكن تلزم بيتها ، وانما كانت تعاون زوجها ، فحيث ما كان تكون . وعلى هذا النحو كانت المراة العربية ، فلم تكن تلزم الخدر او الخيمة ، ولكنها كانت تؤدى اعمالا تنتفع بها فى نفسها، او تنفع بها اسرتها ..

● ان التقدم والتاخر ، من المعانى التى ليست لها حدود واضحة تمكن من الحكم عليها . فاذا نظرنا الى المراة اليوم فى اطار ادراكها للامور وقدرتها على التعبير ، وجدناها بلا ريب تقدمت تقدما وسيعا ..

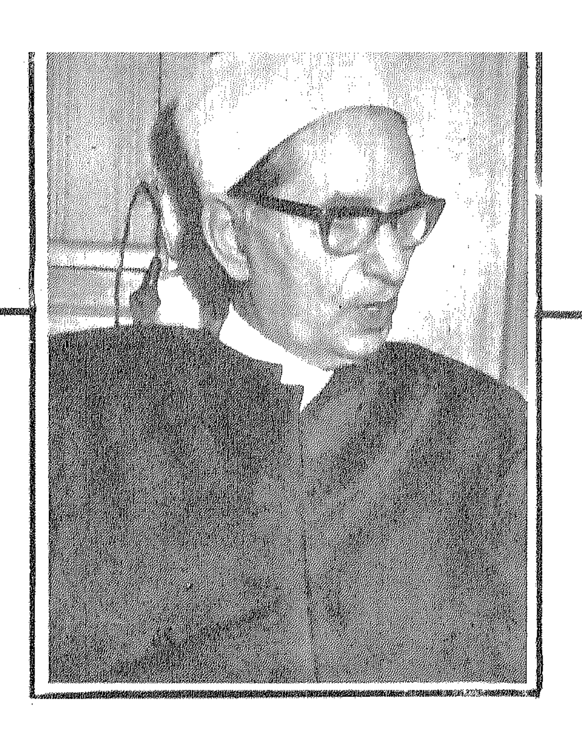
وان الاستقلال بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، لا تستطيع المراة الحصول عليه الا اذا انفصلت عن زوجها ان كانت زوجة ، او عن ابيها ان كانت ابنة ، او عن ولدها ان كانت أما . والاستقلال الكامل فى هذه الصور وامثالها ، مما لا يكون ، ولا خير فى ان يكون ..

● كان المفروض ان يكون دور المراة فى الحياة السياسية والاجتماعية ،أشد وضوحا واوسع دائرة مما هو عليه الان ، فقد توافر لها من الاسباب الداعية الى نشاطها الشىء الكثير ، كما يتضح ذلك فى دعوة قاسم امين ومصطفى كامل وسعد زغلول والسيدةالجليلة ذات الاثار التى لاتنسى فى المجال المصرى والمجال العربى، هدى هانم شعراوى ، وصفية هانم زغلول ، وكثير من فضليات السيدات اللواتى يعتز بهن الوطن وان لم يعرف التاريخ اسماءهن . فمثلهن فى امتنا وبلدنا مثل الجندى المجهول .

ورجاؤنا الى الله عز وجل ، انيوفق القيادات النسائيةالمعاصرة ـ وفى طليعتها سيدة مصر الاولى جيهان هانمالسادات ـ الى تدارك تقصير الماضى ، بالعمل الدائب على تثقيف المرأة ، بما ينفع الامة فى مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد .

● هناك اعمال تنافر ـ غاية المنافرة ـ طبيعة المراة . فمن الخير الا تزاول المراة عملا ينافر طبيعتها ، فذلك أعون على اسعاد الاسرة ونفع الامة .

● المراة أدق حسا واضن بنفسها على التعرض للملامة من المسئول عن عملها فهى من اجل ذلك اتقن للعمل واقدر على بذل الجهد .وربماكان لهامن



طبيعتها ما يجعل الاعمال التى تؤديهـا ادنى الى الكمـــال والجمال . وما دام الامر على ذلك ، فاننى اختار فى هذه الحال السيدات على الرجال .

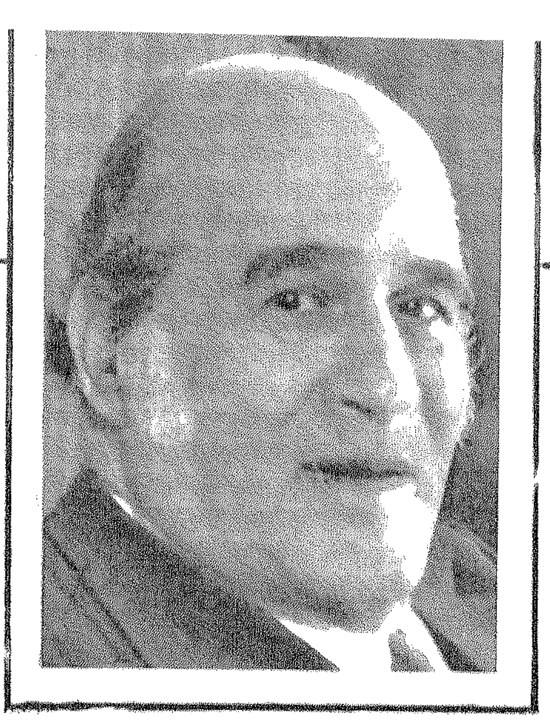
● **أعرف هنا قضاء لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ــ لا ارى مناصا من الخضوع له والنزول على حكمـه ،** فقد ذهبت اليه فتاة تشكو اليه ان اباها زوجها ابن اخيه على غير رغبة منها ، فاستدعى رسول الله اباها ، ولعلــه لامه على صــنيعه هـــذا ، ثم قضى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن لها الحرية الكاملة فى ان تقبل او ترد ، ولكن الفتاة قالت لرسول اللهصلى الله عليه وسلم: اننى اقبل ما صنع أبى ، ولكننى اردت بهذه الشكوى ان ابين للاباء انهـــم لا يملكون من امرنا شيئا يعاند رغباتنا وهذا حديث صحيح النسب الى رسول الله عليه الصلاة والسلام .

● اذا أمنت المرأة الطـريق ووثقت بســهولة المواصلات ، فلســـت أرى فرقا بالنسبة اليها بين العمل فى الليل والعمل فىالنهار .

● مادامت المرأة فى زى حشمتها ، فان لها ان تجالس زملاءها فى المصنع والمتجر والمدرسة والجامعة .

● **ان المرأة امينة على نفســها ، والذىيرميها بما يمس كرامتها او يسىء الى سمعتها ، يعرض نفسه لســخط الله وتاديب الحاكم ، كما تقضى بذلك شرائع الله .**

● مبلغ علمى بالذين اشرفوا عـلى وضع القانون وارتضوه ، انهم امنــاء علىاحكام الشريعة،وفى مقدمتهم شيخ الازهر ، والمفتى ، وكثير من اهل العلم فى بلدنا وفى كثير من البلاد العربيــة التى تحترم شرائع الله . وانا شخصيا اجد فيه انصافا للزوجات من طغيــان كثير من الازواج . ومع ذلك فليس فى دنيا الناس قانون ولد كاملا ، وانمــا تطبيق القانون هو المجـال الذى تظهر فيه الحسنات والسيئات . فــاذا افترضنا ان التجربة تظهر بعد حينمن الزمن مساوىء فى القــانون ، فان من الميسور ــ بمنطق القوانين نفسهـــا ومنطق الدستور ــ ان يعدل القـانون بما يدفع عنه ماكشفت التجربة عن سوء فيه . والله ولى المؤمنين .



عالم المرأة

المساواة التامة بينها وبينه

● مصطفى امين ●

● رايي المساواة التامة في الحريات بين الرجل والمرأة •

● تقدمت المرأة عندما حصلت على استقلالها الاقتصادى ، بمعنى انها استطاعت ان تعمل وتعيش من ايراد عملها •

● ادت المرأة المصرية دورها الحقيقى فى ثورة ١٩١٩ وفى كل الحركات الوطنية التى قامت مطالبة بالدستور والاستقلال •

● ورايى أن المرأة تستطيع أن تقوم بكل ما يقوم به الرجال ، وغير صحيح خرافة ما يقال من ان المرأة اضعف من الرجل ، فقد قابلت نساء كثيرات كن اقوى من بعض الرجال •

● واذا تساوت المرأة والرجل فانى أختار الأكفأ بقطع النظر ان كان رجلا أم امرأة •

● ورأيى أن الفتاة لها حق اختيار زوجها ، وأغلب العرسان الذين فرضوا على البنات كانوا أزواجا فاشلين •

● ويمكن للمرأة أن تشتغل ليلا ، وهذا يحدث فى كل بلاد العالم •

● لا أوافق على أن ترتدى السيدة أو الفتاة زيا معينا فهذا ضد الحرية ، مثل أن تفرض رأيا معينا وان تفرض أكلا معينا ، وأنا أوافق على اختلاط الجنسين فى المدارس وقد حضرت التعليم المشترك فى المدارس والجامعات ولا أذكر أن فتاة أفسدت أخلاق طالبة ، وانما العادة الطالب هو الذى يفسد أخلاق الطالب •

● أنا من رأيى أن كل امرأة ،لابد أن يكون لها مسكن خاص ، ولكنى افضل للفتاة أن تعيش مع أسرتها لأن فى ذلك حماية لها •

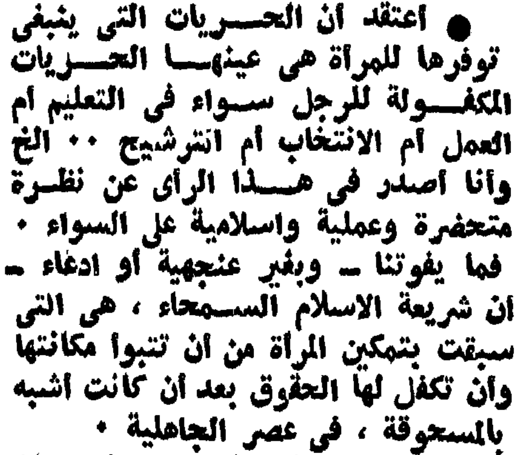
● ورأيى أن القانون اعطى المرأة حقوقا جديدة ، وأنا لا أعتقد أن الرجل هو سيد المرأة فالمرأة هي أمي ، وأنا لم أكن أبدا سيدا لأمي ••

عن استقلال المرأة

ماهو معنى الاستقلال؟



● مصطفى بهجت بدوى ●



● اعتقد أن الحريات التى ينبغى توفرها للمرأة هى عينها الحريات المكفولة للرجل سواء فى التعليم أم العمل أم الانتخاب أم الترشيح .. الخ وأنا أصدر فى هذا الرأى عن نظرة متحضرة وعملية واسلامية على السواء ٠ فما يفوتنا ـ وبغير عنجهية أو ادعاء ـ أن شريعة الاسلام السمحاء ، هى التى سبقت بتمكين المرأة من أن تتبوأ مكانتها وأن تكفل لها الحقوق بعد أن كانت أشبه بالمسحوقة ، فى عصر الجاهلية ٠

ان الاعلان العالمى لحقوق الانسان الذى تعارف عليه وتواصى المجتمع الدولى لا يفرق بين الرجل والمرأة ٠ انها سنة التطور ، وهى أيضا ما يجب أن يتحقق للشعوب وللافراد رجالا كانوا أم نساء وليس مجرد شعارات أو امنيات على الورق ٠وبمعنى آخر فان حقوق الانسان محتاجة الى نضال دائب وخالص حتى تترجم الى واقع ولا تنتهك ٠

● لو رجعنا بذاكرتنا الى الوراء أو قلبنا صفحات التاريخ الحديث من أوائل القرن العشرين حتى الآن (سنة ١٩٨٠) فلسوف نبهر حقيقة بالتقدم بل القفزات العالية الواسعة التى غيرت وطورت معالم المجتمع المصرى عبر هذه المرحلة القصيرة نسبيا فى عمر الزمن ٠ وكان للمرأة بالذات قصب السبق حيث تيسر لها أن تخرج الى الحياة العامة وتفرض وجودها فى شتى المجالات ٠ بل أستطيع القول ان واحدة ممن كن يعشن فى ذلك الزمان لن تصدق عينيها اذا بعثت من مرقدها وهى ترى ما عليه المرأة المصرية المشاركة للرجل الآن فى كل عمل تقريبا وفى البرلمان وفى الوزارة وفى الجامعات طالبات بعشرات الآلاف ومدرسات بالآلاف ..

أما عن استقلال المرأة ، فما هو معنى الاستقلال ؟ اذا كان معناه أن «تستغنى» المرأة عن الرجل فلا هى ولا الرجل مستقلان ، لأن أحدا منهما لا يستطيع أن يستغنى عن الآخر ، بصرف النظر عن نماذج هنا وهناك وحالات استثنائية يمكن تجاوزا اعتبارها استقلالا ذاتيا .. أما اذا كان العمل والدخل العائد منه يمثلان الاستقلال فلا عيب ، فان ثمة « مشاركة » بين الرجل والمرأة أصبح لها مع سنة التطور الحضارى وضرورات العصر مذاق خاص حميد لم يكن معروفا او معهودا ، كما أنها هيأت « ترشيدا » للعلاقات الأسرية ، ولا يصح فى الأفهام أن الاستقلال أو المشاركة أو عمل المرأة ودخلها من شأنه أن يدهش أو يتعارض مع حقيقة أزلية لا تتغير ، وهى أن الرجل هو رب الأسرة والمسئول الأول عنها .. ذلك واجبه أكثر من كونه حقه ـ وأن المرأة هى ملكة مملكة الزوجية والأمومة فتلك أيضا أغلى وأقدس واجباتها وحقوقها ٠

● ربما آن هنا ان تثار قضيتان لم أعرض لهما فيما تقدم ٠ الأولى هى قضية

عن استقلال المرأة
ما هو معنى الاستقلال؟

الريف والحضر ، والثانية هى قضية الأمية ، ولعلهما ليستا بعيدتين عن بعضهما البعض ‥ المرأة فى الريف ـ بكل أسف ـ ما زالت متخلفة وبالتالى لم تنتزع حقوقها وانطلاقها وحريتها ، التى كافحت المرأة الحضرية من أجلها وتوفر لها مناخها ففازت بها ‥

وتأتى « الأمية » فتضاعف من ثقل « هوان » المرأة الريفية حتى ولو كان رجلها أميا ! • فعندما نتساءل عن دور المرأة المصرية الريفية • فى أعماق الريف المطحون ـ فى المجال السياسى والاجتماعى وأوجه نشاطها ، فاظن أن الوضع لم يختلف كثيرا عن دور جداتها ! ‥

على أن هذا لا يعنى أن المرأة المصرية الحضرية والقاهرية بالذات قد أدت دورها الحقيقى فى المجال السياسى كاملا ‥ انها ما فتئت تبنيه لبنة لبنة ويجب أن نلتمس لها العذر ـ مع كل تقديرنا لجهود « فذة » مشهودة ـ فانها حديثة العهد بهذا المجال السياسى فضلا عن « بقية تحفظ » لدى الرجال وعدم تمكين أو عدم اقتناع من شأنه أن يعوق المسيرة النسائية التى قد تبلغ غايتها شريطة الا تيأس أو تنسحب من الميدان صريعة الاحباط ‥

ولأضرب مثلا آخر « محيرا » وان لم يكن سياسيا بطريق مباشر ، وانما للتأمل والاستئناس كليات الطب ـ على سبيل المثال ـ تخرج منذ سنوات بعيده مئات الطبيبات وأصبحن الآن بالآلاف « والأغرب » أن المتفوقات والأوائل من الفتيات ، كم عدد الطبيبات اللاتى «لمعن» فى الحياة العملية أو شققن طريقهن « فى الصخر » وأصبحن على قدم المساواة مع الأطباء؟•انه عدد غير مذكور لان «أزمة الثقة » ما فتئت تقيم حاجزا كثيفا ـ للأسف ـ بينهن وبين المجتمع المصرى لا برجاله فحسب بل وبنسائه أيضا ! ‥ كل ذلك رهن الزمن والتجربة ومزيد من امتناع الصراع بين الاصرار من جانب والاقتناع من جانب آخر • وهى ليست مشكلة مصر وحدها بل تجدها فى أكثر الأمم تقدما •

أما المجال الاجتماعى فللمرأة المصرية نصيب ملحوظ فيه بل هى روحه وملهمته ومن غير مشاركتها ولمساتها ما كان طوع له ما طوع • ان جمعيات مثل الهلال الأحمر ، والوفاء والأمل ، والأسر المنتجة ، وعشرات من جمعيات النشاط الاجتماعى والانسانى لرعاية المرضى والمعوقين والعائلات والأمومة والطفولة ، انما كتبت لها الحياة والنمو والازدهار بكونها رضعت من النساء المصريات وتفيأت اهتمامهن وحنانهن وعنايتهن • ولم يكن من قبيل المصادفة أن وزارة الشئون الاجتماعية والتأمينات تولتها المرأة المصرية بغير انقطاع منذ الستينات فهى مجالها الطبيعى تمد به مظلة النهضة الاجتماعية والتأمينات • فهى ـ كما قال أبو العتاهية : أتتها منقادة فلم تكن تصلح الا لها !

● رغم أنه لا يغيب عن الاعتبار أن بعض الأعمال الشاقة لا تناسب طبيعة المرأة ، فانه فيما عدا هذه فليقلن :فصبر جميل » ‥ ثم ولن يتحقق كل شىء فى طفرة واحدة • ثم أين كنا وكيف أصبحنا ؟ ادخل أية مصلحة حكومية أو شركة أو مجمعا لأنشطة مهنية وتخصصية وتجارية الخ ‥ وقارن ما تراه بما كان عليه الحال منذ ثلاثين سنة • المرأة قامت بعمليات اقتحام فى كل مكان ‥ وأحيانا هى وراء كل نجاح

ويبقى السؤال :

● انه ليس افتراضا نظريا • فانني مارست هذا بالفعل • وأحيانا رجحت كفة المرأة وأحيانا الرجل ، ولم يكن « جنس »هذا أو هذه المانع من شغل الوظيفة • وانما الفيصل هو للاختبار والاستعداد وتقديرات التفضيل العملية المرجحة • واذا كان لى أن أبدى ملاحظة أرجو الا يكون لها طابع التعميم ، فهى انني بالتجربة قد تبين لى ـ وفى بعض الحالات ان أفضل سنوات العطاء للمراة الموظفة هى التى تسبق الحمل والولادة والأمومة ، ثم ينحدر الرسم البيانى مع هموم البيت والأمومة والحضانة حتى يكبر الأولاد ، فتعود

سيرتها الأولى فى الجهد والعطاء وعدم التغيب وعدم « السرحان » . وظالم من من لايعذرها، فتلك ضريبة لابد أن تتقبلها المجتمعات الراقية بنفس راضية بل تشجع عليها وأن تيسر الأجازات المناسبة أو تمدها ولو بغير أجر حتى تطمئن الأم والأمة معا . والشىء الذى يضمن العودة والقبول والانتظام للمرأة المصرية الزوجة والأم العاملة هو التصميم والجدية والايمان بالحرارة والحيوية المنبثقة من استمرارية العمل ايمانها بالدفء الذى تشعه الحياة الزوجية والأمومة .. أهى معادلة صعبة ؟!

● وتبقى مسألة الزى ..

صحيح أن الزى المعين أو الموحد أقل تكلفة وأقرب لتذويب الفوارق بين الطبقات ، غير أنه فى الوقت نفسه ضد طبيعة الأشياء وقيد على حرية المرأة فى الاختيار وفى الأذواق ، « قل من حرم زينة الله » ــ « وخذوا زينتكم » ؟ انما نراعى الاحتشام والحفاظ على الأصول و « عدم البهرجة » والبعد عن التقليد الأعمى « للموضات » التى قد لا يعتبرها الغرب مبتذلة ولكنها عندنا شائنة ومستهجنة . أما عن « عدم الاختلاط فى المدارس » فهذا ــ أردنا أم لم نرد ــ مما عفى عليه الزمن . سؤال قد يطرح فى سنة ١٩٢٠ أو ١٩٣٠ أما فى ١٩٨٠ فسؤال غريب ! الذى لا غرابة فيه هو التسامى بالمشاعر وعلاقات الزمالة و « العين المفتوحة » والعقل المفتوح والمناخ الصحى بغير كبت ولا تفريط !

● وننتقل الى مسألة المسكن الخاص بالنسبة للمرأة .

هل هو هدف .. هذا الاستقلال النسائى بمسكن خاص ؟ لا أظن . انما للضرورة الطارئة والظروف الخاصة أحكام نحن يعنينا أن نجنب السيدة أو الفتاة مخاطر التعرض « لرذالات » من فى قلوبهم مرض . وهؤلاء ربما يحاولون مضايقتها أو الاعتداء على حرمة مسكنها فاذا لم يفلحوا أطلقوا عليها الشائعات بالباطل ، أوليس هذا مما نسمع ونقرأ عنه فى بعض الأحايين ؟ واذا استقلت ففى بيت للفتيات أو فى « ونس » جيران تطمئن اليهم وكأنها جزء منهم أو كأنهم ــ على الأقل « حائط صد » ، فالاحتياط فى مثل هذه الشئون أوجب .

أما عن قانون الأحوال الشخصية الجديد فهو قد جاء بعد دراسات مستفيضة ومتأنية ومناقشات واسعة ،وصحح بعض المفاهيم الخاطئة عن بيت الطاعة وعن الطلاق وخطا خطوات لا بأس بها فى احاطة الأسرة المصرية لا المرأة وحدها ــ بالأمان مستهديا بروح الشريعة الاسلامية الغراء على قدر اجتهاداته . وحاول سد الذرائع على « استبداد » نوع من الأزواج مغرور و « مناكف » لا يعاشر بالمعروف ويسىء استخدام مفهوم الطاعة و « بيت الطاعة » ثم هو أيضا يحمى الزوجة والأبناء والأسرة والمجتمع من « هوى » تعدد الزوجات ومن حماقات ونزوات الطلاق الذى هو أبغض الحلال الى الله ، بتقييده « وتهذيبه » وترشيده بقدر المستطاع . .. أما « العصمة » التى بيد الرجل فهى ليست على اطلاقها ،فالحلال بين والحرام بين ، والقاضى يقرر .. وعلى أى حال فلن يستدرجنى أحد لأبطل حكما من أحكام الله يتفق مع الطبيعة البشرية فى قوله تعالى الذى خلق الزوجين .. الذكر والأنثى وهو أعلم بهما « الرجال قوامون على النساء » . ، ولكن بغير تعنت ولا اساءة استخدام للحقوق المشروعة وعلى حساب الواجبات المفروضة . هذا هو معنى « المشاركة » التى أسلفت الاشارة اليها . وليبق الرجل المسئول الأول عن الأسرة ، وتبقى المرأة ملكتها ومملكتها . هما اذن شريكان متكاملان ــ فى السراء والضراء ــ يسكن اليها وتسكن اليه . تلك هى سنة الله .. ولن تجد لسنة الله تبديلا .

مع الشروط المتكافئة اختار الرجل

● ثروت اباظة ●

● اجتمعت اخيرا مائتان وخمسون الف سيدة فى امريكا يطالبن ان تعود المراة الى البيت لانها بدات تفقد انوثتها فى العمل ..

فاذن الحرية التى انشدها للمراة هى القدر الذى تستطيع ان تطيقه المراة من الحرية ..

● كلمة استقلال المراة دائما كلمة مطاطة فلا ادرى ما المراد بها . وليس هناك استقلال مطلق فالاستقلال المطلق مرادف لكلمة الحرية المطلقة وكلاهما فوضى .. فكل حرية واستقلال لابد ان تسيطر عليه قوانين ، ومفهوم القانون انه يسرى للجميع بلا استثناء ، فاذا استثنى من القانون شخص واحد سقط القانون كله .. فى هذا الاطار اعتقد ان المراة نالت الاستقلال فجعلها ترتبك فى حياتها وتختلط عليها اهداف الحياة .

اما اذا كان المقصود استقلال المراة عن الرجل فهو امر لو قبله الرجل لرفضته المراة لان فى هذا الاستقلال انهيار الحياة الاسرية .

● أعتقد ان هناك أعمالا لا تتحملها طبيعة المراة ، فانا لا أتصور امرأة تعمل فى القضاء ، فالقضاء عقل وقانون ولا مجال فيه لعاطفة فحين تدخل العاطفة يخرج القانون ، وليس من الحكمة أن تعمل المراة فى القضاء الجالس، وحسبها أن تعمل فى القضاء الواقف ، وأعتقد أن الأعمال الأخرى التى لاتعمل فيهاالمرأة قليلة ولا تستحق الصراع ، انما تمتنع من العمل بها للابقاء على ما بقى لها من انوثة .

● وبالنسبة للمراة والرجل فى الالتحاق بوظيفة ، فانه اذا كانت الشروط متكافئة فانى اختار الرجل لاضمن على الأقل الا ياخذ اجازة حمل وولادة .



● وعن السؤال الخاص بزواج البنت فان المقدمة لا تؤدى الى النتيجة ،فانا ابن رجل ينتسب الى الجيل الماضي • ولى أختان تزوجت كلتاهما برغبتها ، فاذا كان هذا يحدث منذ ثلاثين عاما ، فانا لا أعتقد أن أبا يتدخل في زواج ابنته الا اذا كان هذا الزواج مخطما لما جرى عليه الناس من اتفاق الدين والجنسية أما بالنسبة للحالة المالية والاجتماعية فلن يصبح التكافؤ فيهما أساسا للاعتراض • والحالة الوحيدة التى أتصور أن الاب يعترض فيها ولا يقبلها بحكم تكوينه ـ هى اختلاف الدينين او الجنسية •

● أما بالنسبة للعمل فهذا أمره متروك لكل آنسة وسيدة ، لترى ما يناسبها فى هذا العمل ، وربما كانت ظروفها تجعل العمل المسائى أكثر مناسبة لها فالامر هنا لا يمكن أن يخضع لقاعدة واحدة • فالسيدة او الآنسة التى آمنها على شرفها فى الصباح استطيع أن آمنها عليه فى المساء •

● وعن الملابس والزى للمراة فرايي ان الفتيات يحاولن بغريزة المراة ان يلفتن الانظار اليهن ، والملابس ما دامت ليست خارجة ولا عارية فهي أكثر مواءمة للآنسة او السيدة مما يتشحن من ملابس لا تتفق مع العصر ، ولو ان الملابس العصرية المحتشمة وجدت ايام النبى صلى الله عليه وسلم ، للبستها النساء ولما اعترض النبى صلى الله عليه وسلم •

وفى القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى : « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق »

● واذا كان سكن المراة وحدها ،هو المتاح لها وليس هناك بديل فماذاتصنع ؟ اما نظرة الناس فهى التى تصنعها بتصرفها لا بسكنها ، فكم من زوجة مع زوجها وكم من فتاة مع أبيها ولم يستطعن أن يحصلن على احترام الناس•

● وانا معجب بقانون الاحوال الشخصية كل الاعجاب ، وان كانت لى مؤاخذة فان المؤاخذة على من يدافعون عنه لا فى القانون ذاته ، لانهم يصرون على القول انهم لم يخرجوا عن راى المذاهب الاربعة •وكانما المذاهب الاربعة اصبحت دينا جديدا ندين به والعجيب ان هؤلاء اعتبروا اقفال باب الاجتهاد آية لا يجوز مراجعتها • انما هى راى يحتمل المناقشة واعتقادى ان التقدم الذى اصاب البشرية يقتضى وجوبا اعادة النظر فى المذاهب الاربعة •ولو كان واحد من الائمة أصحاب المذاهب الاربعة حيا لبادر باعادة النظر فى مذهبه ومذاهب الآخرين • فقيمة اصحاب هذه المذاهب اهمها حرية الرأى وعدم الخضوع للفوغائية وتفهم النص القرآنى وما ثبت من الحديث فى ضوء العصر الذى كانوا يعيشون فيه ••

حافظ محمود

● عاطف فرج ●

● الصحافة .. مهنة البحث عن المتاعب . وحرفة كل من يجره قدره اليها فيعشقها ويصبح ناسكا فى معبد صاحبة الجلالة ..

وقد كان من فرسانها طه حسين والعقاد ولطفى السيد ومصطفى كامل وسعد زغلول ومحمد عبده .. وغيرهم الكثير ممن رفعوا لواءها فى ساحة القلم والفكر ..

وصحافة اليوم ولا شك تختلف عن صحافة الأمس - فى هذا يقول استاذ له السبق فى هذا المجال هو حافظ محمود نقيب الصحفيين الاسبق ؟

« .. صحافتنا المعاصرة فيها من التقدم الفنى بالنسبة وبالقياس الى صحافة الأمس ، ما نستطيع ان نعتز به .. وفى مقدمة هذا الاعتزاز أن صحافة مصر المعاصرة هى النبع الذى استقت منه صحافة العالم العربى كله الفنون الصحفية الحديثة .. »

والحديث عن الصحافة يجرنا الى ما هو الممكن والمطلوب منها .. وفارس الصحافة حافظ محمود يستطرد فى القول :

« .. المطلوب شىء كثير جدا قد لا يحتمله الواقع ، لأننا .. كصحفيين فطرنا على أن نطلب من حرية الكلمة أكثر مما تحتمله الحرية ذاتها . لكن ما من شىء فى الوجود يمكن الوصول اليه دفعة واحدة ، والذى كنا نعمله فى لجنة تقنين الصحافة هو وضع القواعد التى تستطيع الصحافة بها أن تصعد سلم الحرية دون اهمال للمسئولية » .

وعلى درب الاختلاف بين صحافة الأمس واليوم احاور حافظ محمود ، فى هذا المعنى - فيقول :

« .. كانت الصحافة المصرية تأخذ طابع جيلها على مرور الأجيال ، فقد كانت مهمة الصحافة يوما المطالبة بالدستور ثم مقاومة الاستعمار ، ثم جاءت مرحلة المطالبة بالاصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

هذه المراحل الثلاث ظهرت طلائعها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .. فلما انشا مصطفى كامل جريدة اللواء عام ١٩٠١ اخذت الصحافة المصرية طابعا جديدا هو طابع النيابة عن الشعب نيابة كاملة فى المناداة بكل مطالب الجماهير ، وفى مقدمتها الحريات العامة سياسية وغير سياسية ، وقد تأكدت هذه النيابة للصحافة المصرية فقد كانت الأحزاب السياسية تظهر من داخل الصحف ، فجريدة اللواء هى التى اخرجت حزب مصطفى كامل الحزب الوطنى ... وجريدة المؤيد هى التى اخرجت حزب الاصلاح ... وجريدة ((الجريدة)) هى التى اخرجت حزب الامة ، فقد كانت الصحافة هى



البرلمان الحقيقى للشعب ، ولذلك فقد ثار الشعب فى يوم ٣١ من مارس سنة ١٩٠٩ قبل الصحفيين انفسهم حينما ارادت السلطات البريطانية ان تفرض قيدا جديدا على حرية الصحافة .

ويأتى بعد ذلك دور الصحافة فى ثورة ١٩١٩ . فلولا وجود صحافة متحررة فى تلك الاثناء لما استطاع التاريخ ان يسجل خطوات الشعب فى هذه الثورة. لقد استطاعت الصحافة اذ ذاك ان تجبر السلطات البريطانية على ان ترفع الرقابة عن الصحافة المصرية فى سنة ١٩٢٠ بعد ان كانت هذه الرقابة مفروضة بالحديد والنار طوال سنين الحرب العالمية الأولى .

وفى الثلاثينات تظهر روح شابة جديدة فى الصحافة المصرية تقاوم كل الرجعيات وكل عناصر الاستنامة الى ما انتهت اليه الاوضاع السياسية . وكان من أثر هذه الصحافة الشابة قيام ثورة الشباب فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ . الثورة التى غيرت الكثير من مواقف الساسة القدامى ، بل وأقول صراحة ان حصيلة ثورة الشباب فى سنة ١٩٣٥ هى الخامة التى قام عليها الفكر الثورى عند الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة سنة ١٩٥٢ .

وبعد ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ اخذت الصحافة مسارا آخر فقد كان على اجهزة الاعلام وفى مقدمتها الصحافة ، ان تمهد الطريق لجميع المتغيرات والمفاهيم الجديدة للثورة . وكان هذا المسار يبدو طبيعيا الى ان صدر قانون تنظيم الصحافة فى ٢٤ من مايو سنة ١٩٦٠ وتبع المؤسسات الصحفية الجهاز السياسى القائم يومئذ بوصفه ممثلا للشعب وماتلا ذلك من تداخلات من جانب بعض العناصر التى سميت فيما بعد بمراكز القوى .

فلما جاءت ثورة ١٥ من مايو سنة ١٩٧١ وأخذت تدخل تعديلات جديدة على النظام سياسيا او حكوميا ، ادخلت فى برنامجها رفع يد السلطة عن الصحافة فبدأت الغاء الرقابة فى سنة ١٩٧٤ .

وأريد أن أقول أن الغاء الرقابة وحده ليس هو التمثيل الكامل لحرية الصحافة ، فحرية الصحافة تنبع أصلا من حرية الصحفى ومن حرية الكلمة . وفى المراحل السابقة التى تحدثت عنها كانت هناك رقابة ولكن كان هناك صحفيون احرار يستطيعون أن يقولوا الكلمة الحرة من تحت سيف الرقابة .

وكما قلت لا ينبغى أن يتصور أحد صحفيا كان أو غير صحفى أن ادراك امانينا الصحفية فى الحرية الكاملة ممكن أن يأتى بكلمة او بقانون اوبلائحة .. انما انا أرى أن هذا كله مقدمات لجيل فكرى جديد من الصحفيين يعرف كيف يمارس الحرية دون اخلال بالمسئولية أو كيف يمارس المسئولية دون اخلال بالحرية .. »

***

ويستمر الحوار بين جيلين :

رحلة حياة وصحافة
حافظ محمود

لماذا كانت الصحافة مدرسة العمالقة والزعماء امثال مصطفى كامل وسعد زغلول ومحمد عبده وطه حسين والعقاد ولطفي السيد .. و .. و ..؟

يقول حافظ محمود ، وهو يضحك من أعمق أعماقه ــ بعد ان اشعل سيجارته:

« .. هذه القضية يحددها العلم بالصلة التى بين الاعلام وبين اى تحرك قيادى فى العالم ..

والاعلام المصرى الى الثلث الاول من القرن العشرين متصلا بما قبل ذلك ، لم تكن له اية وسيلة الا الصحافة .. اضف الى هذا ان الصحافة وبخاصة فى الماضى ، كانت هى الحقل الذى تنبت فيه الافكار الاصلاحية سواء فى السياسة او فى الاقتصاد أو الاجتماع.

وانت ذكرت اسماء بعض القادة الذين عاونوا على ابراز قيادتهم او افكارهم، واضيف انا اليهم طلعت حرب الذى لا علاقة له بالسياسية .. فلولا الصحافة لما استطاع طلعت حرب ان يقوم بانشاء بنك مصر ومشروعاته الكبيرة ، فعندما بدا طلعت حرب فى نشر حركته الاقتصادية بداها عن طريق الصحف ، حتى بات ينظر اليه وكانه عضو من اسرة تحرير هذه الصحف ..

نفس الشيء يقال عن الجامعة التى انشئت عن طريق النداءات الصحفية المتكررة .. »

***

ويتشعب الحوار حول اختفاء الصفحات الأدبية ، يقول الرجل الذى امتشق القلم سيفا يصول به ويجول فى دنيا الصحافة :

« .. فى الواقع أن هذه كانت غلطة من بعض الزملاء الذين تصوروا أن عصر الادب قد انتهى ولم يعد القراء يهتمون به ، وان كنت ألتمس لهم العذر لاننى كما قلت ان الصحافة فى الحلقة السادسة من القرن العشرين كانت صحافة موجهة لا تنشر الا ما هو مطلوب منها فقط ، هذا من جهة ومن جهة اخرى اننا اذا استثنينا بعض الأسماء الكبيرة القديمة من الادباء الاحياء ، نجد ان المحصول الأدبى فى هذه المرحلة كان هشا ، مما جعل المسئولين عن الصحف يناون عنه ..

لكنى اقول فى نفس الوقت ان مسئولية الصحافة لا تنحصر فى نشر الجيد فقط ، ولكن عليها مسئولية خلق الجو الجديد الذى يولد ادبا جديدا جيدا .

وهذا ما عملته صحف الجيل الأسبق التى تتلمذنا عليها . فحينما خصصت جريدة السياسة فى سنة ١٩٢٢ وما بعدها صفحة للأدب ، كانت هذه الصفحة غير مسبوقة ، ولكنها تخيرت لها المادة الجيدة ، بدليل أن محررها كان هو الدكتور طه حسين ، فاقبل الناس عليها اقبالا شديدا واخذت جميع الصحف الأخرى بهذا الاسلوب .. »

***

وكان لابد ونحن فى معرض الحديث عن الادب أن نناقش امور الثقافة ، ومفهوم الكلمة ، وحدها الادنى ، وامية المثقفين وكيف تكون .

يقول النقيب الأسبق حافظ محمود :

« .. ترجع نشاة كلمة ثقافة فى مصر الى منتصف العشرينات ، فلم يكن احد يستخدم هذه الكلمة . لكن مع التطور الفكرى الذى قام به اساتذتنا السابقون ظهرت نوعيات جديدة من المقالات ، ومن الكتب لا تتناول الادب خالصا ولا السياسة خالصة ، ولكنها مزيج بين افكار تجمع بين الادب والعلم والسياسة .

ونوقش اذ ذاك هذا اللون من الكتابة وسماه بعضهم باسم الادب العلمى ، ثم لاحظ آخرون ان فى هذه التسمية تعارضا عجيبا لأن الأدب شيء والعلم شيء آخر .

وهنا اتفق اثنان من كبار الكتاب الذين تتلمذنا عليهم وهما الدكتور محمود عزمى

والأستاذ سلامة موسى على ترجمة كلمة Culture باسم الثقافة وأصبح هذا النوع من الكتابة كتابة ثقافية بمعنى ان الكاتب فيما يكتبه يجمع نواحى المعرفة بمفهومها القديم والحديث .

فكلمة ثقافة قد حلت محل كلمة « المعرفة » بالنسبة للاجيال القديمة . وكما أن المعرفة لها مفاهيم واسعة النطاق جدا لانها تحيط بكل شيء يتصل بالنشاط الفكرى ، كذلك أخذت « الثقافة » هذا المفهوم فى العصر الحديث .

ويصعب جدا أن نضع حدا ادنى للمثقف ، لان الثقافة - اى المعرفة - تختلف من جيل الى جيل ومن بلد الى بلد ومن مجتمع الى مجتمع . . ففى المجتمع الزراعى يبدو مثقفا الرجل الذى يستطيع أن يحدثك فى شئون هذا المجتمع ، وثقافته هذه قد لا تمثل شيئا فى مجتمع آخر . لكن على ابسط الفروض نستطيع ان نقول ان المثقف هو الشخص الذى بلغ باطلاعه وتفكيره مرتبة الوعى الضرورية لانسان متحضر . . . ومن هنا يكون الشخص الذى لا يدرك هذا الوعى من اهل الامية الثقافية مهما كان مبلغ توفره أو تخصصه فى الفنون والاداب والعلوم . لان هناك فارقا بين المتعلم والمثقف . »

قلت له : تشعب الكلام عن الثقافة وكثر ، بقدر القائلين بأزمة الثقافة . . فهل انت مع هؤلاء ، واذا كنت معهم فكيف ترى العلاج ؟ .

قال حافظ محمود . . بحماس شديد:

« . . انا ارى ان كلمة « ازمة » كلمة كبيرة جدا . . فكلمة ازمة لا تنسحب الا على العدم . . فنحن حينما نقول ان هناك ازمة ورق مثلا يعنى اننا لا نجد الورق الذى نكتب فيه ، لكن حينما يكون لدينا بعض هذا الورق فالمعنى يختلف . ولهذا فانا اسميها « ازيمة » تصغيرا الكلمة ازمة . . وأنا غير متزعج حينما اسمع هذا كله عن الثقافة ، لان القائلين بذلك - وان تجاوزوا الحقيقة - انما يقولونها رغبة منهم فى ثقافة اكثر او ثقافة اعظم وهذا امل نرجوه جميعا . فقط ارجو ان يكون واضحا ان ثقافة اى جيل او مجتمع ككل شيء فيه - تخضع لظروف الجيل والمجتمع .

ونحن اذا قسنا ثقافتنا الحالية على مجتمع السنين القريبة التى مرت بنا نجد أن الثقافة قد استطاعت ان تتغلب الى حد ما على ظروف هذا المجتمع . . اما كوننا نريد ثقافة أكمل واوعى وأشمل وأعمق أثرا ، فهذا هدف اذا لم يسع اليه المثقفون كانوا غير مثقفين . . »

عود على بدء - من بين المدارس الصحفية ، هناك مدرسة الاثارة . . . فما رأيك فيها . وكيف يكون الالتزام الصحفى . . كان هذا سؤالى لحافظ محمود وهذه هى اجابته :

« . . الالتزام الصحفى شيء متعارف عليه لا يجهله احد ، لكن كلمة «الالتزام» مثل كلمة « القانون » فالقوانين تتفاضل لا بنصوصها بل بأساليب تطبيقها ، وكذلك الالتزام . أما مدرسة الاثارة الصحفية فانها فى رأيى قد وقعت فى خطأ لو لم تمارسه لما انتقدها احد .

ذلك أن اصحاب هذه المدرسة - وليس بالضرورة أن يكونوا كلهم - ظنوا أن الاثارة هى الاثارة الجنسية أو ماهو اقرب الى الاثارة الجنسية ، لكن الاثارة الحقيقية فى الفن الصحفى هى أن يستطيع متناول اى موضوع ولو كان خاصا بعشمش الترجمان ، أن يعبر من الزاوية التى تثير اهتمام اكبر مجموعة من القراء » . .

وكانت هذه الكلمات حول كيفية الاستحواذ على ذهن القارىء . . وتطويعه للفكرة - هى ختام حوارنا الذى امتد لاكثر من ثلاث ساعات . . بين جيلين من ابناء صاحبة الجلالة ، الصحافة. ●

بقية ما نشر في العدد الماضي

رسائل إخوان الصفاء

● د . كامل سعفان ●

ب ــ المجلد الثاني :

● وفي المجلد الثاني يكون الحديث عن الجسمانيات الطبيعيات ، منطلقا من الكواكب ، فاذا مزيد من الاخبار التي لا يخفى خطؤها على ذي فكر محدود ، فكيف بالقوم هؤلاء الذين ندبوا انفسهم لتبسيط علوم الحكماء الاولين،وتقريب فهمها على المتعلمين ، وتسهيل النظر فيها على المبتدئين ؟! ص ٢٠ .

يقول كاتبهم : « اعلم يا اخي ان الارض التي نحن عليها كرة واحدة ، بجميع ما عليها من الجبال والبحار والبراري والانهار والعمران والخراب ،وهي واقفة في مركز العالم ، في وسط الهواء بجميع ما عليها ، باذن الله عز وجل ، والهواء محيط بها من جميع جهاته ، كاحاطة بياض البيضة بمحها ، وفلك القمر محيط بالهواء من جميع جهاته ، كاحاطة القشرة ببياض البيضة ، وفلك عطارد محيط بفلك القمر ، على مثل ذلك ، وعلى هذا القياس سائر الافلاك ، الى ان تنتهى الى الفلك المحيط بالكل ، كما ذكره الله جل ثناؤه : « وكل في فلك يسبحون » ــ ص ٢٧ .

وقدمت الرسائل صورة للكون من دوائر متداخلة ، تبلغ إحدى عشرة ، ولولا أن العين الباصرة ترى كل يوم الاعداد الهائلة من النجوم والكواكب ، لقلنا عسى ، لكن ، والحال كذلك ، كيف لا تحجب الدائرة القريبة بقية الدوائر ؟!

ثم يقدم الكاتب أرقاما يحار المرء في الطريقة التي حصل بها عليها . يقول: « وهي ألف وتسعة وعشرون كوكبا الذي ادرك بالرصد منها السبعة السيارة، وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، لكل واحد منها فلك يختص به » ــ ص ٣٢ .

فاين بقية الكواكب من الكون المرسوم في احدى عشرة دائرة ؟ واذا كان المدرك بالرصد منها سبعة ، فأنى له هذا الاحصاء لبقية الكواكب ؟ وكأنما قد تنبه الى شيء من التساؤل ، فقال

من الكواكب السبعة :

« وهى محيطات بعضها ببعض ، كما بينا من قبل ، وأما سائر الكواكب وهى الف واثنان وعشرون كوكبا ، فكلها فى فلك واحد ، وهو الفلك الثامن المحيط بفلك الكوكب ، اى زحل ، وسائر الكواكب هى فى جوفه » ــ ص ٣٢ .

ويظل التساؤل قائما ، اذ كيف تصبح الكواكب الاخرى فى فلك واحد دون أن تاخذ نفس الاطار الذى شكلت فيه الكواكب السبعة ؟ ثم ان الدوائر إحدى عشرة لا ثمان ، فماذا يكون فى الدوائر الثلاث ؟ .

●● وعلى نفس المنهج فى المجلد الاول ينتقل من الحديث عن الكواكب الى الحديث عن الملائكة ، على أساس انهما شيء واحد ! .. ثم نراه يقدم لنا معلومات جديدة عن الكواكب السبعة ، فيقول :

« انه ينبث من جرم الشمس قوة روحانية تسرى فى جميع العالم .. ويسمى الناموس هذه القوة ملكا ذا جنود واعوان ، واسرفيل منهم صاحب الصور .

« وهكذا ينبث من جرم المريخ قوة روحانية تسرى فى جميع العالم .. والناموس يسميها ملكا ذا جنود واعوان ، وملك الموت منهم ، ومنكر ونكير ايضا .

« وهكذا ينبث من جرم المريخ قوة روحانية تسرى فى جميع العالم .. ويسميها الناموس ملكا ذا جنود واعوان وجبرائيل منهم ، ومالك الغضبان ، وخزنة جهنم اجمعون .. الخ .. الخ » ــ انظر ص ١٤٥ ــ ١٤٧ .

وهذا وغيره بالنسبة لتقويم الرسائل لايفيد اكثر من ان القوم قراوا ثقافة عصرهم ، وان لم يحسنوا التنسيق بينها ، وكان رصيدهم من الخبيث اكثر من الطيب ..

ولعل أبرز ما لهجوا به فى كل المجلدات تقريبا ، هو الحديث عن التطور من الجماد الى النبات فالحيوان فالانسان .

وفى المجلد الثانى جرت مناظرة طويلة « ص ٢٠٤ ــ ٣٧٧ » على لسان ممثلين للحيوان والانسان ، يتضح من خطبها المطولة خلائق كل واهم ما يمتاز به ، لتنتهى الى انتصار الانسان ، وبيان حقه فى التحكم فى الحيوان .

جـ ــ المجلد الثالث :

ويتناول الجسمانيات الطبيعيات والنفسيات العقليات ..

وظاهرة التكرار والنقل عن فيثاغورس وبطليوس وارسطو ، علامة بارزة فى هذا المجلد ، فضلا عن المواعظ المملة ، حتى لايكاد المرء يعثر على فكرة تميز القوم عن سواهم ..

وللوقوع تحت تاثير المقروء دون مناقشة او تمحيص تكثر الاخبار الخرافية المرتجلة ، كالاخبار بأن آدم وبنيه كانوا يتكلمون السريانية ، وقيل النبطية ــ ص ١١٣ ، وان الكتابة ظهرت من اجل انه بيت عطارد ، وشرف الراس وهبوط الذنب ، وصارت الحروف فى ذلك أربعة وعشرين حرفا ، وهى الكتابة اليونانية ، لانها قسمت لكل برج حرفين ، فقيدت تلك الالفاظ ، وكتبت الاسماء بالحروف على لغة أهل ذلك العصر « حين سلم الدور الثور الى الجوزاء » ــ ص ١١٣

وكثر اغتصاب الشواهد التى تخدم الفكرة الخاطئة ، كان يقول :

« يجرى حكم النفس الكلية فى الانفس الجزئية ، فى كل سبعة آلاف سنة مرة ، تعرض النفوس الجزئية لدى النفس الكلية ، فتبرز النفس الكلية لفصل القضايا بينها بالحق ، « **فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ، وكفى بنا حاسبين** » ، **ونسب الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه قال : عمر الدنيا** سبعة آلاف سنة ، بعثت فى آخر الف **منها** » ــ ص ٢١٩ .

ويلاحظ ان ما نسب الى الرسول ــ معانه ظاهر الافتراء والكذب ــ يتناقض مع الخبر الذى اراد تاييده ، لانه اذا كانت النفوس الجزئية من الدنيا ، فكيف يكون العرض كل سبعة آلاف سنة مرة ، مع أن عمر الدنيا سبعة الآف سنة فقط ؟!

●● وقد نجد « فقاعات » كبيرة ذات مظهرية غرارة .. كقوله :

« اعلم يا اخى – ايدك الله وايانا بروح منه – أن علم البعث وحقيقة القيامة محجوب عن ابليس وذريته واتباعه وجنوده ، من شياطين الجن والانس ، وهو سر الله الاعظم ، لايطلع عليه احد من خلقه ، الا من ارتضى من اوليائه واصفيائه ، واهل مودته من ذرية آدم ، ومن ذرية نوح ، وذرية ابراهيم واسرائيل ، وممن هدى واجتبى : « **اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** » ، جعلكم الله ، ايها الاخ ، وايانا ، منهم برحمته ، انه ودود رءوف رحيم ..

ونريد أن نلوح من هذا السر طرفا ، ونشير اليه اشارة ما ، اذ لا يجوز التصريح به ، اقتداء بسنة الله عز وجل : « **والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** » ، وقال عليه السلام : « **اللهم اهد قومى ، فانهم لا يعلمون** » ، اشارة الى مثل هؤلاء القوم الذين هم ظالم لنفسه » – ص ٢٩٩ (١) .

ثم لم يذكر شيئا يكشف به من « سر الله الاعظم » الذى اخبر عنه الله رسوله وصفيه محمدا بقوله : « **وما يدريك لعل الساعة قريب** » (٢) ، اى انه لا يدرى ، وقال له : « **ان الله عنده علم الساعة** » (٣) اى اختص بهذا العلم ، « **ويسالونك عن الساعة ايان مرساها ، قل انما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى السموات والارض ، لا تاتيكم الا بغتة ، يسالونك كانك حفى عنها ، قل انما علمها عند الله ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » (٤) ، ويتجاهلون قول الرسول الامين « ما المسئول عنها باعلم من السائل » ، ويدعون لانفسهم دعوى عريضة ..

ومن الآراء الفاسدة ايضا انه يرى بان أهل الجنة اجسادهم لحمية واجسامهم طبيعية ، مثل اجساد ابناء الدنيا ، قابلة للتغيير والاستحالة ، متعرضة للآفات ، فاذا تأمل ما وصف الله تعالى فى صفات أهل الجنة «**لايمسهم فيها نصب**» ، و«**ولا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى** » ، وانهم خالدون ، وماشاكل هذه الاوصاف المذكورة فى القرآن التى لاتليق بالاجساد اللحمية والاجساد الطبيعية ..

●● والى جانب هذا تورد الرسائل حقائق دينية كثيرة ، لا تتميز بها الرسائل عن غيرها من الكتب الدينية ..

د – المجلد الرابع :

فى العلوم الناموسية الالهية والشرعية الدينية ..

وهذا المجلد يسيطر على اسلوبه روح الوعظ ، وتكرار المعلومات الواردة فى المجلدات السابقة ، والوقوع تحت تاثير كليلة ودمنة ، بالاضافة الى الامثال القصصية ..

ومن خلال هذه المعلومات المكرورة بفعل تعدد أقلام الكاتبين ، قد نعثر فى هذا المجلد على بعض آراء ذات وزن ، كان يقول على لسان رجل آتاه الله الحكمة ، مما يعد تفسيرا لكيفية الوحى :

« أجد قلبى كالمرآة تتراءى فيه حقائق الاشياء ، وأجد لسانى يجرى على الصواب ، من غير تكلف منى ، وأجد نفسى كالترجمان تسمع من وراء الحجاب ، وتعبر وتؤدى الى ابناء جنسى مما تسمع ، بلا تصنع منى » – ص ٩٧ .

كما يورد من صفات القيادة الدينية فيقول :

« **من تمام فضيلة واضع الشريعة أن تكون فيه اثنتا عشرة خصلة ، قد فطر عليها :**

(١) كذا ولعلها (منهم ظالم لنفسه) أوهم ظالمون لانفسهم .
(٢) الشورى – ١٧ (٣) لقمان – ٣٤ (٤) الاعراف – ١٧٨

احداها : ان يكون تام الاعضــاء ، قوية قوائمه على الاعمال التي من شأنها ان تكون بها ومنها ، ومتى هم ان يقضي عملا أتى عليه بسهولة .

والثانية : ان يكون جيد الفهم ، سريع التصور لكل ما يقال له ويلقاه، لفهمه على ما يقصد القــائل به ، على حسب الأمر نفسه .

والثالثة : ان يكون جيــد الحفظ لما يفهمه ولمايسمعه ولمايذكره، وبالجملة لايكاد ينسى شيئا منها .

والرابعة : ان يكون فطنا ذكيا ، ذا رأى يكفيه لتبين ادنى دليــل ، حتى اذا رأى على شيء ادنى الدليــل فطن له على الجهة التي يدل عليها الدليل .

والخامسة : ان يكون حســن العبارة ، يواتيه لسانه على مافي قلبه وضميره باوجز الالفاظ .

والسادسة : ان يكون محبا للعلم والاستفادة ، منقاداً له، سهل القبول، لا يؤلمه تعب العلم ولا يؤذيه الكد الذي يلحقه ..

والسابعة : أن يكون محبا للصدق وحسن المعاملة ، مقربا لاهله .

والثامنة : ان يكون غــير شره في الاكــل والشرب وغيره ، متجنبا للعبث مبغضا اللذات الكائنة عن هذه .

والتاسعة : أن يكون كبير النفس ، عالي الهمة ، محبا للكرامة ، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمــور ويشنع ، وتسمو همة نفسه الى ارفع الأمور مرتبة واعلاها درجة .

والعاشرة : ان يكون الدرهم والدينار وسائر اعراض الدنيا هينة عنــده ، زاهدا فيها .

والحادية عشرة : ان يكــون محبـا للعدل واهله ، مبغضا للجور والظلم واهله ، يعطي النصفة لاهلها ، ويرثي لمن حل به الجور ، ويكون مواتيا لكل مايرى حسنا جميلا عدلا ، غير صعب القياد ولا جموح ، وان دعي الى الجور والقبح لايجيب ..

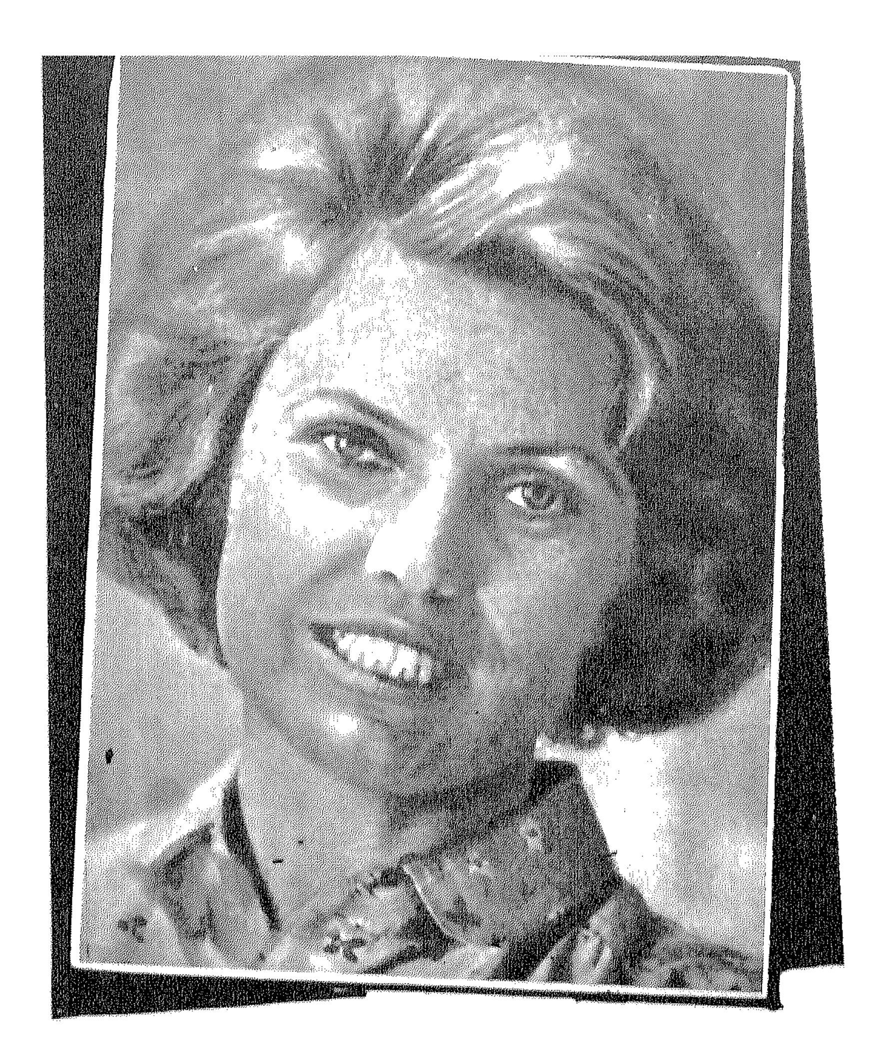
والثانية عشرة : أن يكون قــوى العزيمة على الشيء الذي يرى انه ينبغي ان يفعل ، جسورا مقداما ، غير خائف ولا ضعيف النفس » ــ ص ١٢٩ ــ ١٣٠ .

وهذه الخصال ــ وان كانت تحتاج الى اعادة ترتيب ، والى اعادة صــياغة بعض عباراتها ــ تكشف عن وعي بتبعة القيادة .. ولعله من تحصيل الحاصل أن نضيف الى الخصلة الســادســة ما يؤيد موقفهم المبدئي من كــتب المعرفة .

وقد اكسبهم هذا الانفتــاح على الوان المعرفة ثقافة واسعة ، وعلما بكل ما كان رائجا في زمنهم ، عربيا وغــير عربي .. حتى ليقول قائلهم :

« ان لنا كتبا نقرؤها مما شاهدها الناس ولا يحسنون قراءتهــا ، وهي صورة اشكال الموجودات بما هي عليه الان ، من تركيب الافلاك ، واقســام البروج ، وحركات الكواكب ، وامهات الأركان ، واختلاف جواهر المعادن ، وفنون اشكال النبات ، وعجائب هياكل الحيوانات ، ولنا كتاب اخر لا يشاركنا فيه غيرنا ، ولا يفهمه سوانا ، وهــو معرفة جواهر النفوس ، ومــراتب مقاماتها ، واستيلاء بعضها على بعض وافتنان قواها ، وتأثيرات افعالها في الاجسام من الافلاك والكواكب والاركان، والمعادن والنبات والحيوانات، وطبقات الناس من الانبياء والحكماء والملوك واتباعهم والسوقة واعوانهم » ــ ص ١٦٧ ــ ١٦٨ .

الا ان هذه القراءات وهذه المعارف، لم تزود بالحاسة الناقدة ، ولا بالقدرة على التنسيق ، فجاءت رسائلهم ركاما من المعلومات والخرافات ، لم تستطع العبــارة المشرقة أن تحجب عوارها .. ●



فى الأربعين

تبلغ المرأة أوج شبابها وجمالها..

● فى الماضى كانوا يتحدثون عن « بنت » ١٤ · واليوم يتحدثون عن بنت ٤٠ ·

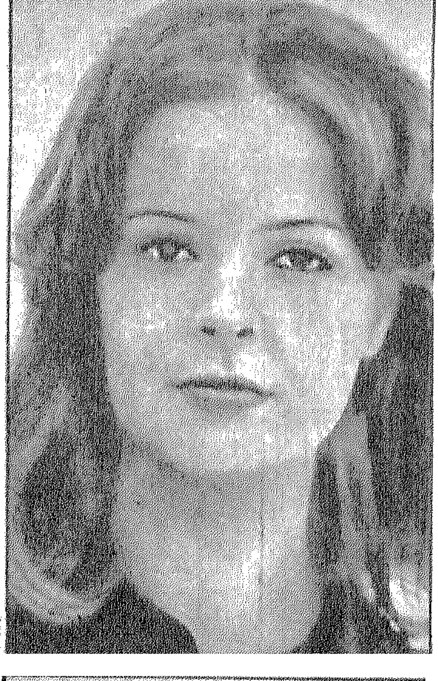
لأن الدنيا تغيرت شكلا وموضوعا ··

فى الماضى كان الرجل هو الذى يتزوج ·· يتزوج المرأة التى تعجبه ، لأنه كان وحده يتحمل المسئولية،وكانت المسئولية خفيفة نوعا ما ، ومن ثم فقد كان يختار الصبية الصغيرة التى تطيع أوامره ويتصرف معها كما يريد دون أن يحسب لها أى حساب : اذا غضبت لم يكترث ، وان فرحت فهى طفلة تلهو ، ثم هى تنجب له الاطفال،وكان الاطفال تسلية · كان كل شىء رخيصا ، حتى التعليم ـ وكان كله بمصاريف ـ كان أرخص من التعليم المجانى اليوم · كان الوالد يدفع ١٠ جنيهات مصروفات لابنه فى المدرسة الابتدائية و ٢٠ جنيها فى الثانوية ، ولكن الولد كان يتعلم وكان يستفيد وكان ينجح ، واليوم لا يدفع شيئا ، ولكن الاولاد كذلك لا يتعلمون شيئا فى المدرسة ، فلابد اذن من المعاونة الخارجية ، والدروس الخصوصية تتكلف مئات ، « وبرضه » لا يتعلم الولد شيئا ·

تغيرت الحياة ، وتغيرت معها الأسرة وتغيرت المرأة ··

لم تعد لعبة ولا طفلة ولا تسلية ولا أم الأولاد فحسب · أصبحت مواطنة وانسانة مكتملة الاحساس ، تحمل على أكتافها مسئوليات أسرة ومسئوليات









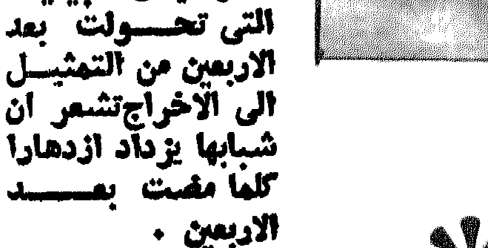


هؤلاء السيدات الخمس اللاتى يعتبرن من أجمل سيدات أوروبا ، تخطين الاربعين ، وبدين فى أوج جمالهن وشبابهن

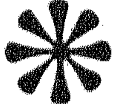
انهـن : من أعلى الى أسفل عن اليمين :

راكيل وولش التى تقول انها لم تشعر انها شابة حقا الا بعد أن مضى عهد الشباب الباكر والرعونة . انها تعترف بان روحها كلها شباب ثم ان قوة اغرائها زادت.

ثم هايدليندا فابس نجمة التليفزيون الألماني التى تقول : اننى ادهش من كثرة عدد الرجال الذين يريدون الزواج منى اليوم ..لقد تزوجت مرة واحدة ولم اوفق، وفى هذا كفاية.



وهايدى جينيه التى تحولت بعد الاربعين من التمثيل الى الاخراج تشعر ان شبابها يزداد ازدهارا كلما مضت بعد الاربعين .



ومن اعلى الى اسفل : العمود الثانى:
فى اعلى : سابين سنجن نجمة التليفزيون الالمانى . تزوجت للمرة الاولى بعد الاربعين وتشعر انها اصغر مما كانت فى العشرينات .
وتحتها : هانلور الزنر نجمة السينما الالمانية ، شابة فى الثانية والاربعين .



بيت وفى معظم الأحيان مسئوليات عمل ..

وهنا يحتاج الأمر الى أكثر من ١٤ سنة .

قد تتزوج البنت فى سن ١٤ وفى سن ٢٠ وفى سن ٣٠ ولكنها لا تصبح امرأة بالمعنى الصحيح الا عندما تقترب من الاربعين ، وفى الاربعينات تحس بكيانها كله ويحس الناس بكيانها كله .. هنا وفى عصرنا هذا تدخل المرأة فى زهرة حياتها ، وفرق جسيم بين زهرة الحياة وزهرة الشباب ، فزهرة الحياة هى زهرة العمر الدائمة، وزهرة الشباب هى زهور الربيع التى تتفتح اليوم وتموت غدا ..

واليوم مع تطور أدوات التجميل ، وظهور حشد حافل من المركبات الطبية التى تعالج البشرة والشعر وغضون الوجه وتجاعيد الجلد وخاصة فى الايدى والرقبة ، تغير الموقف تماما وأصبحت بنت الثلاثينات لا تفترق فى شىء عن بنت العشرينات . أما بنت الاربعينات فهى سيدة الجميع ،وفى أوروبا وأمريكا خاصة تبدو بنت الاربعينات الواعية لنفسها ، المعنية بجمالها ، المحافظة على هيئتها وهندامها ، تبدو زهرة المجتمع حقا ،فهى سيدة بيت كاملة ،وهى سيدة رزين مكتملة ، وهى عاقلة مجربة ، وهى أهل لحمل المسئوليات ، فاذا اضفنا الى ذلك محافظتها على جمالها اكتمل لها المطلوب وأصبحت بالفعل زهرة المجتمع ومحط أنظار الرجال .

***

وفى احصائية عملت فى الولايات المتحدة ظهر أن الرجال يفضلون بنت الأربعين للزواج حتى لو كان الرجل أصغر سنا ، بل هناك اندفاع عام على السيدات فى تلك السن ، لأن ضغوط الحياة فى أوروبا وأمريكا عنيفة ومتوالية وعندما يتزوج شاب فى الخامسة والعشرين من شابة فى مثل سنه تبدأ الاصطدامات فى البيت ، وتصبح معركة الحياة مضاعفة : صراع خارج البيت وصراع آخر داخل البيت ، ومن هنا يكون الطلاق ، لأن الزوجين يفضلان الاكتفاء بمعركة واحدة خارج البيت ، ولا حاجة للزواج ..

وقد دهش الناس من اقبال الكثيرات من مشاهير الممثلات على الزواج من شبان يصغرهن بكثير : فعلت ذلك بريجيت باردو وأورسولا اندريس ورومى شنايدر وهايدى جينيه ، وكان الناس يظنون أن أولئك الممثلات هن اللاتى يجرين وراء الشبان ولكن تبين أن العكس هو الصحيح ، وان الشبان هم الذين يجرون وراء هؤلاء السيدات ويفضلوهن على الشابات الاصغر سنا ، لأنهم يطمئنون فى هذه الحالة الى أن الزواج سيكون هادئا مستقرا ، فان بنت الأربعين امرأة مستقرة هادئة النفس ، فيها شباب وفيها أمومة .

***

وقد كان يقال ان السيدة فى الأربعينات لا تتزوج لأنها تكون قد تخطت سن الانجاب ، فثبت أن ذلك غير صحيح .

وقد تقدم الطب اليوم وأصبحت المرأة تستطيع الانجاب خلال الأربعينات من عمرها بدون مساعدة الطبيب فى كثير من الأحيان .وصوفيا لورين أنجبت ابنها الثانى فى الرابعة والأربعين واورسولا اندريس حملت فى الثالثة والأربعين ، وكاثرين دى نيف ولدت فى مثل هذه السن ، فلم يعد هناك سن يأس بالنسبة للمرأة الا فى الخمسينات المتأخرة .

***

كانت المرأة فى الماضى اذا بلغت الأربعين قال الناس انها استهلكت سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة ، لأن المجتمع كله كان قاسيا على المرأة ؟

أما الآن فقد تغير كل شىء ، حتى سن الانسان تغيرت ، ولم يعد الرجل فوق الأربعين كهلا بل يظل شابا ، والمرأة بالذات تغير الوضع بالنسبة لها تماما للاسباب التى ذكرناها ، أصبحت تستطيع أن تكون شابة فعلا الى أواخر



راقصة الباليه التى تراها الى اليسار سنها أربع وأربعون سنة . كانت طول حياتها راقصة باليه أولى (باليرينا) اما اليوم فقد افتتحت معهدا لتدريب البنات على رقص الباليه وهى تحس اليوم انها فى زهرة العمر .

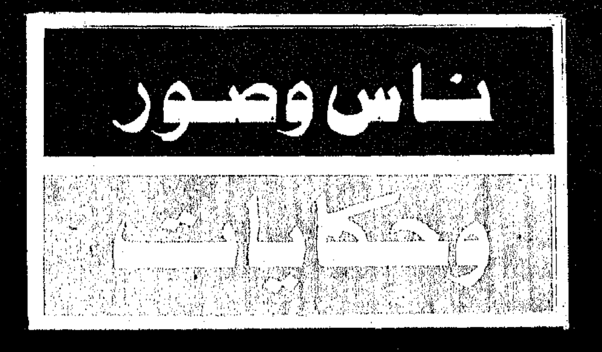
الأربعينات وبدايات الخمسينات .

بل ان جمالها كما قلنا يبلغ ذروته فى الأربعينات وقد كانت تشوب جمال المرأة فى هذه السن تجاعيد الوجه . وشيخوخة الجلد وشيب الشعر وسقوطه والآن أمكن علاج ذلك كله وأصبحت المرأة فى الأربعين نضرة الوجه صبوح الطلعة كما كانت فى العشرينات . وتزيد على ذلك نضجا واكتمالا ..

ولكن ثلاثة أشياء تهدد جمال المرأة فى الأربعينات .. الهموم ، فلابد للمرأة من محاربتها ..

والتدخين فهو من أضر الأشياء بجمال المرأة وجلدها وعينيها خاصة .

والمشروبات الكحولية وهى السم الذى يجعل بنت العشرين تبدو فى الستين .



الجميلة نائمة

والجميلة هنا هي أوروبا .

انها فى أوج نشاطها الاقتصادى والفكرى .

انتاجها الصناعى يغطى كرة الارض ، وفكرها ما زال هو القوة الكبرى التى تسير الفكر العالمى ..

ولكنها من الناحية السياسية نائمة . انها متعبة أو قل منهوكة القوى لطول ما خاضت من الحروب والصراعات من القرن العاشر الميلادى الى نهاية الحرب العالمية الثانية ..

انها لا تريد الحرب ، ولا تريد أن تتحمل مسئوليات السلام . انها تترك كل شىء لأمريكا وروسيا وتكتفى بالتمنيات الطيبة والآراء والكلام الكثير وربما جادت بشىء من المال ..

أما عسكريا وسياسيا فهى فى سابع نومة ..

وهذا الرسم يرمز لاوروبا فى صورة ثور غارق فى النوم . وعلى ظهره نامت أوروبا الجميلة ..

أوروبا التى كانت قبلا تسير الدنيا ولا تريد اليوم ان تحرك قدما ..


Europa

ناس وصور وحكايات

المرأة الفرنسية مشهورة بحرصها البالغ على اناقتها ..

ورجل البوليس الفرنسى مشهور بدقته فى عمله ومحافظته على الظرف الذى يميز كل الفرنسيين ..

وهذه الصورة الطريفة التى التقطها مخرج ذكى تعبر عن هذين المعنيين اصدق تعبير ..

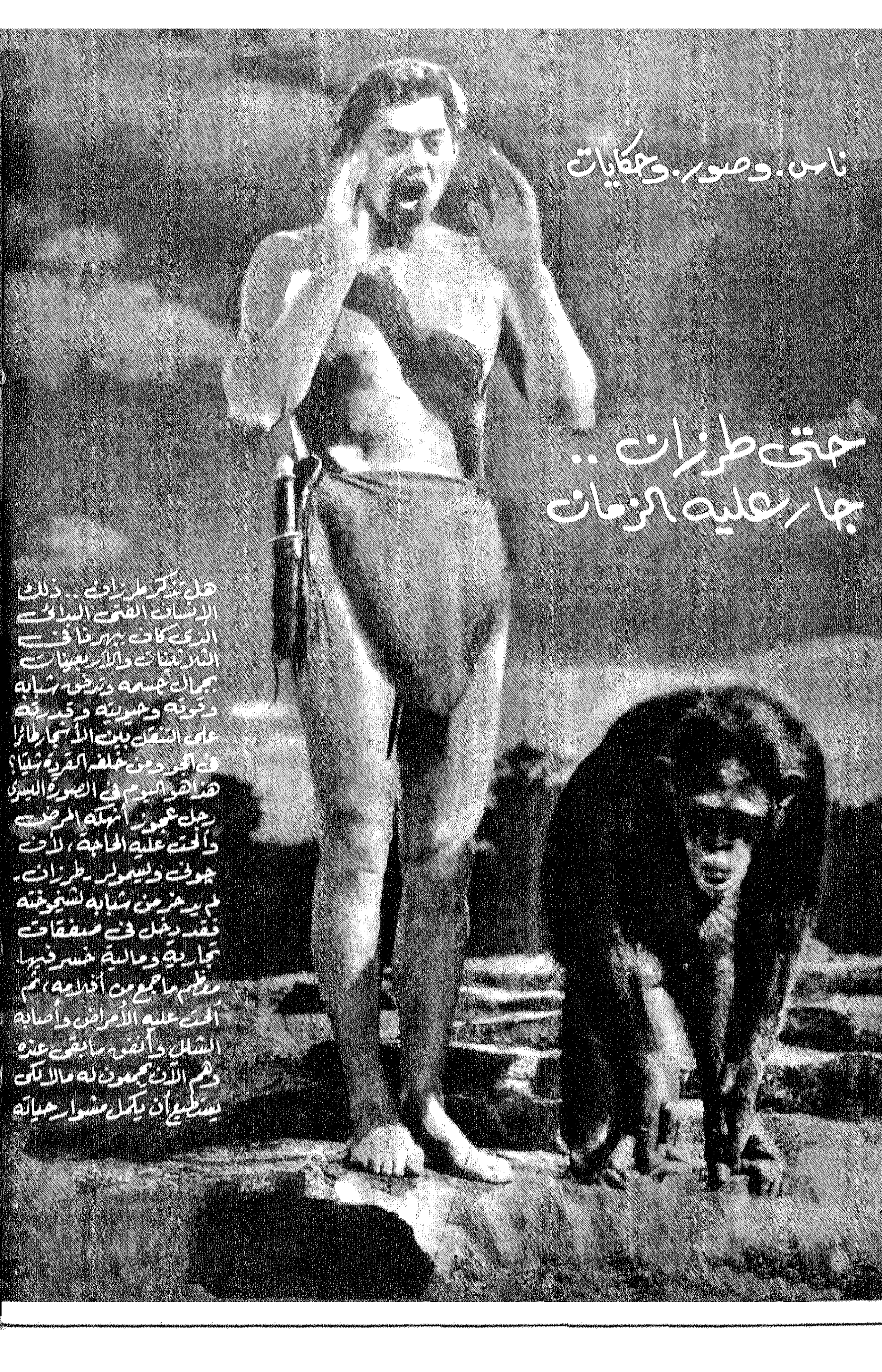
فهذه الفرنسية ركنت سيارتها وخرجت لتقضى امرا ، ولكنها قبل ان تقفل السيارة انحنت لتضع اللمسات الاخيرة فى تجميلها امام المرآة الجانبية للسيارة .

ولمحها رجل البوليس الفرنسى ، لان السيارة كانت فى موضع ممنوع ، وكان لابد من الغرامة .

وعندما اقترب ليكتب الورقة المشهورة لمح السيدة الواقفة فى الهيئة العجيبة امام المرآة وقد نسيت حقيبتها على مقدمة السيارة.

وفى عينيه بدت الدهشة وخفة الظل ، فانه بدلا من ان يكتب ورقة الغرامة مضى يتامل المرأة الأنيقة حينا وما فى داخل حقيبتها المفتوحة حينا آخر .


BOUVARD & DUVIARD SA
JUNGLE JAP KEN
AVERTISSEMENT
هى تنسى نفسها .. ولاهوينسى نفسه


ناس . وصور . وحكايات
حتى طرزان ..
جار عليه الزمان
هل نذكر طرزان .. ذلك
الإنسان الفتى البدائي
الذي كان يبهرنا في
الثلاثينات والأربعينات
بجمال جسمه وتدفق شبابه
وحركته وحيويته وقدرته
على التنقل بين الأشجار طائرا
في الجو ومن خلفه القردة شيتا؟
هذا هو اليوم في الصورة اليسرى
رجل عجوز أنهكه المرض
وألحت عليه الحاجة ، لأن
جوني ويسمولر - طرزان -
لم يدخر من شبابه لشيخوخته
فقد دخل في صفقات
تجارية ومالية خسر فيها
معظم ما جمع من أفلامه ، ثم
ألحت عليه الأمراض وأصابه
الشلل وأنفق ما بقي عنده
وهم الآن يجمعون له مالا لكي
يستطيع أن يكمل مشوار حياته







بين هاتين الصورتين عام واحد من الزمان

ولكن بينهما عشرين عاما من الهموم

انهما لفرح ديبا ملكة ايران السابقة التى عذبها زوجها اكثر مما عذبها الزمان ..

لقد تحملت متاعبه وهو فى قوته ..

وهى اليوم تتحمل همومه وهو شريد طريد .

وهى خائفة على اولادها ..

هموم .. هموم .

وكبرت المرأة الشابة حتى بدت فى الستينات مع انها اليوم فى الاربعينات.



البقرة الحية خير من البقرة الميتة

كلنا نعرف أن الهندوس يقدسون البقرة ويرون فيها نغمة كبرى ورمزا للخير ، بل منهم من يعبدها ، وهناك من يتبركون بكل ما فيها ، حتى بولها يحسبونه شافيا من بعض الامراض فيشربونه ..

والهندوس ليسوا أغبياء حتى يفعلوا ذلك كله مع البقر ، ولكن موقفهم هنا نابع من تقديس الحياة فى ذاتها ، فهم لا يذبحون البقرة ولا يقتلون اى حيوان أو حشرة ..

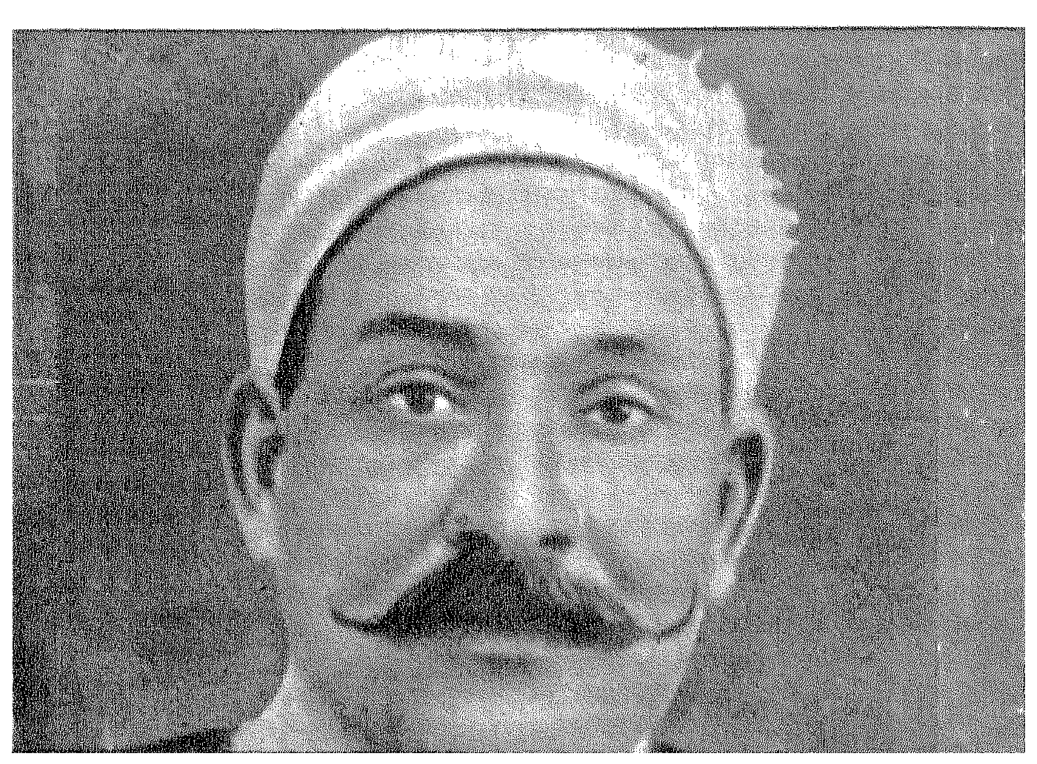
وهم يقولون ان البقرة الحية خير ألف مرة من البقرة الميتة ، فهي تعطيك لبنا شهيا طالما هى حية ، وعلى اللبن تعيش أنت وأولادك ومنه تصنع الزبد والسمن .. وما دامت البقرة تعطى هذا الخير كله فلماذا نذبحها ونأكلها ، هل هذا جزاؤها ؟ ..

لهذا يتركون البقر حرا يمرح كما يريد ، ولا يفكرون فى ايقاظ بقرة اذا نامت أو ابعادها عن مكان ترتاح فيه .

وها هى بقرات جميلات اختارت أن تستريح فى وسط ميدان واسع من بومباى فرقدت ، وليفعل رجال المرور ما يريدون ..

شخصية الشهر ذكرى

مصطفى لطفى المنفلوطى



فتحت مجلة الهلال منذ شهر مارس الماضي بابا بعنوان شخصية الشهر تخصصه للشخصيات الفكرية والأدبية والعلمية التى قامت بدور كبير فى التاريخ الحضارى لأمة العرب ثم تناساها الناس بعد ذلك أو قصروا فى القيام بما ينبغي لها من حق ·

وقد خصصنا الباب فى الشهر الماضى للأديب الكبير عباس محمود العقاد لا لأن الناس تناسوا قدره بل لأنهم لم يحتفلوا بذكراه عندما حل موعدها الاحتفال اللائق بها · وقد كان ذلك تنبيها للهيئات الأدبية فتسارعت بعد ذلك تحيى ذكرى العقاد حتى لقد أقامت محافظة اسوان مهرجانا خاصا له فى شهر مارس دعت اليه عددا من الأدباء والمفكرين ، وخصص التليفزيون أمسية من امسياته الثقافية للعقاد ·

ونخصص الباب هذا الشهر للأديب الكبير مصطفى لطفى المنفلوطى صاحب القلم المبدع والانشاء العربى الرصين الجميل الذى تتلمذ عليه معظم أدباء الجيل التالى له ·

ومع ذلك فقد خيل الينا أن المنفلوطى لم يأخذ حظه من التقدير والتكريم ولهذا فقط خصصناه بالباب هذا الشهر ·

ولم نكن نقدر أن دعوتنا ستلقى الاستجابة الواسعة التى لقيتها ، فقد توالت علينا المقالات والدراسات ، وسننشر بعضها فى هذا العدد وننشر الباقى فى أعداد متوالية ·

مع رائد فن البيان

مصطفى لطفي المنفلوطي

● محمد عبد الغني حسن ●

● اذا ذكرنا مصطفى لطفي المنفلوطي هنا بعد خمسة وخمسين عاما من وفاته . فلذلك ملمح من ملامح مجلة « الهلال » في الوفاء لأعلامنا الراحلين ، ألم يذكره سلامة موسى في السنة الثانية والثلاثين من « الهلال » ، كما ذكره طاهر الطناحي في السنة الثامنة والثلاثين ، وكما كان لعدد سبتمبر سنة ١٩٥٤ من الحديث عنه نصيب غير قليل ...

واذا كان المنفلوطي لم يلق كل التقدير الذي كان حريا به من مثل طه حسين وابراهيم المازني ، والدكتور صلاح الدين القاسمي ، ومارون عبود - فانه من ناحية اخرى قد لقي من حسن التقدير ، وسماحة الرأي ، وبسطة الانصاف ، وفهم الظروف التي أحاطت بالكتابة والانشاء في عصره وقبيل عصره - ما عوضه عما يكون قد فاته من نقد الناقدين ، وعنت المتشددين غير المتوفقين ...

ألم يقل فيه أستاذ الجيل احمد لطفي السيد حين قرأ « النظرات » لأول مرة : (... من أشياخ البيان عندنا السيد مصطفى المنفلوطي . أكاد لا أجد له في طريقته مثيلا بين كتابنا . وأقول من غير محاباة انه هو الثمرة الناضجة للعصر الكتابي الحاضر ...) .

ثم ألم يقل فيه احمد حسن الزيات : (أشرق أسلوب المنفلوطي على وجه « المؤيد » اشراق البشاشة ، وسطع في أندية الأدب سطوع العبير ، ورن في أسماع الأدباء رنين النغم . ورأى القراء الأدباء في هذا الفن الجديد ما لم يروا في فقرات الجاحظ ، وسجعات البديع ، وما لا يرون في غثاثة الصحافة . وركاكة الترجمة ، فاقبلوا عليه اقبال الهيم على المورد الوحيد العذب) ؟

ثم ألم يستقبل الكاتب اللامع احمد شاكر الكرمى ـ شقيق صديقنا الشاعر عبد الكريم الكرمى ـ وفاة المنفلوطى فى عدد من أعداد مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٢٤ بقوله : (لقد فقد الناطقون بالضاد بموت المنفلوطى كاتبا هو أوسع كتاب العربية المعاصرين شهرة ، وأبعدهم صيتا ، وأكثرهم قراءة .. كاتبا كان يضرب أوتار القلوب ، فيضحكها قليلا ، ويبكيها طويلا . كاتبا كان له الفضل الأكبر فى تهذيب ذوق الجمهور ، وتحبيب العامة بالآداب الرفيعة ، وترغيبهم فى الاقبال عليها ... تعرض له الفكرة التى تعرض لسواه من الناس فيصورها صورة يعجز غيره عن تصويرها ..) ؟

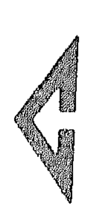
ولا يفوتنا هنا ان نسجل رأى المنفلوطى فى المنفلوطى نفسه ، فالرجل اعرف بنفسه ، وادرى بشانه ، واكثر تهديا الى عقليته .. وحين حكم على ادباء عصره وأعلام وقته باحكامه الأدبية الوجيزة الصادقة ، لم ينس ان يحكم على نفسه قائلا فى غير استعلاء ولا ادعاء : (المنفلوطى شعره كالعقود الذهبية . الا ان حبات اللؤلؤ فيها قليلة ، فهو يغلب بروائعه ، اكثر مما يغلب ببدائعه ..)

وحكم المنفلوطى هنا على المنفلوطى الشاعر .. ولعله كان كثير الاحساس بمنزلته فى الشعر الذى هجره الى النثر ، كما هجر ابراهيم المازنى الشعر وطلقه الى غير رجعة ، وكان هو والعقاد وعبد الرحمن شكرى أول المجددين فيه ...

***

والحديث عن شعر المنفلوطى يجرنا الى الحديث عن رأيه فى الشعر حيث يقول : (وهل الشعر الا نثارة من الدر ، ينظمها الناظم ان شاء شعرا ، وينثرها الناثر ان شاء نثرا ، أو نغمة من نغمات الموسيقى ، يسمعها السامع مرة من أفواه البلابل والحمائم ، واخرى من أوتار العيدان والمزاهر ، أو عالم من عوالم الخيال ، يطير فيه الطائر بقادمتين من عروض وقافية ، أو خافيتين من فقر واسجاع ...) .

وليس الشعر عند المنفلوطى وزنا وقافية ، وعللا وزحافات ، ولكنه (روح يودعها الله فطرة الانسان من مبدا نشاته ، ولا تزال كامنة فيه كمون النار فى الزند ، حتى اذا شدا فاضت على اسلات اقلامه ، كما تفيض الكهرباء على اسلاكها ...) . اما الرجل النظام الذي يعتمد على الوزن والقافية ، اكثر مما



يعتمد على الشعور والحس ، واكتناه اسرار الكون ، وتحليل مشاعر النفس فهو رجل جامد المشاعر متبلد الاحساس : (فوالله ! للمحراث فى يد الفلاح ، والقدوم فى يد النجار ، والمسبر فى يد الحداد ــ اشرف وانفع من القلم فى يد النظام ! ...) .

وعلى الرغم من أن المنفلوطى هجر الشعر بعد أن نظمه زمانا وأجاد فيه ، فان بعض مترجميه الأوائل فى العقد الثانى من هذا القرن ، قد عدوه من كبار الشعراء ، وقرنوه الى شوقى ، وحافظ ، واسماعيل صبرى ، وأحمد محرم . وأحمد الكاشف ، وأحمد نسيم ومن اليهم ... فهذا صديقنا الباحث المحقق الدمشقى أحمد عبيد ينظمه فى سلك كتابه : (مشاهير شعراء العصر) فيقول عنه : (.. ومن نظر الى الشعر من وجهة الاحساس والشعور وقوة التصور والخيال ، حكم بأنه شاعر فى كتابته ، كما هو شاعر فى شعره ،وأنه لم ينقطع عن الشعر فى جميع أدوار حياته . والظاهر انه كان قليل الاكتراث بحفظ ما ينظم من الشعر ، فضاع أكثره مع الزمن ...)

ولا تزال تتردد فى نفسى ذكريات شعر للمنفلوطى كنت أقرؤه وأحفظه حيث الشباب وارف ، والنفس مقبلة على كل طريف ... وهل أنسى له مقطوعته فى المشيب التى يقول فيها :

ضحكات الشيب فى الشعر	لم تدع فى العيش من وطر
هن رسل الموت سانحة	قبله ، والموت فى الاثر
يا بياض الشيب ما صنعت	يدك العسراء بالطرر ؟
انت ليل الحادثات ، وان	كنت نور الصبح والبصر
ليت سوداء الشباب ، مضت	بسواد القلب والبصر
فالصبا كل الحياة ، فان	مر مرت غبطة العمر ! ..

وهل أنسى له عينيته الجميلة فى أسماء بنت أبى بكر وولدها عبد الله بن الزبير حين حرضته على مواصلة القتال ، فقاتل حتى قتل ، وفيها يقول : ــ

ان « أسماء » فى الورى خير انثى	صنعت فى الوداع خير صنيع

وهل أنسى له قصيدته فى وصف القلم ، وهى لا تقل دقة فى الوصف وابداعا فى التصوير عن قصائد فى الموضوع نفسه لأبى تمام وغيره من الشعراء المجودين فى وصف القلم ، وفيها يقول :

● ليس الشعر عند المنفلوطى وزنا وقافية، وعللا وزحافات ولكنه روح يودعها الله فطرة الإنسان من مبدأ نشأته، ولا تزال كامنة فيه كمون النار فى الزند، حتى إذا رشدا فاضت على أسلات أقلامه، كما تفيض الكهرباء على أسلاكها

جمع الله فيه بين نقيضيـ ـن ، فكان الظلام منه نهارا
فهو حينا نار تلظى ، وحينا جنة الخلد تنثر الأزهارا
وتراه ورقاء تندب شجوا وتراه رقطاء تنفث نارا ..
وتراه مصورا يرسم الحسـ ك بين الجوانح الأوتارا
وتراه مصورا يرسم الحسـ ـن ويغرى برسمه الأبصارا
فتخال القرطاس صفحة خد وتخال المداد فيه عذارا
كان غصنا ، فصار عودا ولكن لم يزل بعد يحمل الأثمارا
كان يستمطر السحاب فحال الا مر فاستمطر العقول الغزارا

ولما فرغ المنفلوطى من تعريب رواية « الفضيلة » أو « بول وفرجينى » سنة ١٩٢٣ ـ وكانت آخر ما أخرجه من كتب قبيل وفاته سنة ١٩٢٤ بعام واحد ـ ختمها بقصيدة همزية لعلها تؤكد لنا أنه لم يهجر الشعر جملة ، وأنه دائم الحنين أليه ، فكان التوافق عجيبا بين جمعه للنثر والشعر فى كتاب واحد ..

وقد تعاطف المنفلوطى فى همزيته هذه مع الفقر والفقراء كعادته حين كان يسكب ذوب قلبه دموعا أو « عبرات » على البائسين والمحرومين . ولقد كانت هذه القصيدة من لوازم محفوظنا مما كان يطالعنا به المنفلوطى من كتب وروايات وكان مدرسونا فى المدارس يفاضلون بيننا نحن الطلاب الصغار بما كان الواحد منا يحفظه من كلام المنفلوطى . واذا كان الله قد قدر لعيشنا ورزقنا أن يكون كفافا فى ذلك الزمان ، فان فضيلة المنفلوطى أنه ـ بكتبه وبتعاطفه مع الفقراء ـ قد حبب الى كثير منا عيش الكفاف !

ولعل الأشجان وملامح الشجى التى يحملها لداتنا وأبناء جيلنا اليوم هى أثر من آثار الأشجان والأحزان التى كانت تصادفنا فى كتب المنفلوطى وفى نغماته ! .. وهل تغيب عن حافظتنا الأبيات الأولى لهذه الهمزية حيث يقول :

يا بنى الفقـر : سـلاما عاطرا | من بنى الدنيا عليكم وثناء ...
وسقى العـارض من أكواخكم | معهد الصـدق ومهد الاتقيـاء
كنتم خير بنى الدنيـا ، ومن | سـعدوا فيها ، وماتوا سـعداء
عشـتم من فقـركم فى غبطـة | ومـن القلـة فى عيش رخـاء
خلـق بـر ، وقلب طـاهـر | مثل كاس الخمر معنى وصـفاء
اصـبحت قصـتكم معتبرا | فى البرايا وعزاء البؤسـاء !

والحق الذى تجلله الطرافة هنا ان قصة « بول وفرجينى » وحدها لم تعد معتبرا ، فان القصيدة التى نظمها المنفلوطى فيها كانت أكثر اعتبـارا ، وأعظم اشتهارا .. ففى بلدة « عاليه » بجبل لبنان كان « وديع نصار » راعيا للكنيسة الانجيلية هناك ، فاضطر يوما الى التغيب عن الكنيسة فى يوم موعظة الاحد ، واختار الشاعر المعروف « حليم دموس » لينوب عنه فى القاء الموعظة ، فالقاها وأردفها بقصيدة المنفلوطى ، وكانت تقارب الأربعين بيتا .. واستقبلها المصلون باستحسان شديد ، ولكن رؤساء الطائفة فى بيروت استنكروا هـذه الفعلـة وعاقبوا وديع نصار بابعاده عن كنيسته .

وليست هذه الطرفة الوحيدة التى تتصل بشعر المنفلوطى وشـاعريته ، فان القصيدة التى حكم عليه بالحبس فيها ستة أشهر لهجائه الخديو عبـاس يوم عودته فى نوفمبر سنة ١٨٩٧ ونشرت فى جريدة الصـاعقة للصـحافى المنفلت اللسان : أحمد فؤاد ، كانت مجالا لتشطيرها من بعض الظرفاء الموالين للقصر بما يخفف من حدتها . وكانت مطالع أبيات المنفلوطى تقول :

قدوم ، ولكن لا اقول : سـعيد | وملك وان طال المدى سـيبيد
علام التهانى ؟ هل هنـاك مآثر | فنفرح أو سـعى لديك حميد ؟
تمر بنا لا طرف نحـوك ناظـر | ولا قلب من تلك القلـوب ودود
تذكـرنا رؤياك ايـام انـزلت | علينا خطوب من جدودك سـود !
رمتنا بكم مقدونيا ، فاصـابنا | مصـوب سهم بالبلاء سديد .. !
فلمـا توليتم طغيتـم ، وهكـذا | اذا أصبح التركى وهو عميد ...

فلما تلطف الجو الذى خلقته هذه القصيدة الموجعة ، انتهز أحد أصـحاب الصيدليات فى القاهرة هذه الفرصة ، فكتب على واجهة صيدليته بالخط الكبير الواضح :

قدوم الخديوى أكسب الناس صحة | فاضحى دوائى لا يباع ولا يشرى !

***

ومن غرائب المفارقات بين المنفلوطى الصحافى المنشىء البيانى ، وبين العقاد

● إن الموهبة عند المنفلوطي لم توجهه إلى الاقتداء والتأثر بكاتب حديث أو قديم فقد كان أسلوبه ذاتيا مستقلا أنشأه هو نفسه بقوة طبعه وسلامة فطرته وحسن ذوقه على غير مثال .

الصحافي الكاتب ، أن الثاني بعد وفاة الأول بعام وبعض عام كتب في البلاغ دراسة في أدب المنفلوطي أثنى عليه فيها بمقدار ، فقال انه (أحد أولئك الأدباء القلائل الذين أدخلوا « المعنى والقصد » في الانشاء العربي ، بعد أن ذهب منه كل معنى ، وضل به الكاتبون عن كل قصد) ، ولكنه عاد بعد ذلك ليقول ان المنفلوطي « منشيء » لا « كاتب » ، وأن الفرق بين الاثنين كالفرق بين الذهب الخالص والقشرة المطلية ! ٠٠ فالمنفلوطي ـ كما يراه العقاد ـ (منشيء لبق الصناعة ، كثير التزويق في الصياغة ، قليله في المعاني والأفكار ٠ أو هو ـ اذا بالغنا في انصافه ـ أقرب الى جماعة المنشئين منه الى جماعة الكتاب ٠٠٠) ٠

ولقد قضت الأيام على كل من الرجلين بالسجن ، لاتهام كل منهما بالاجتراء على رئيس البلاد ورأسها ٠٠ فظل المنفلوطي في السجن بضعة أشهر ، الى أن سعى شيخه وأستاذه الامام محمد عبده لاصدار عفو عنه ، وظل العقاد في السجن تسعة أشهر هي مدة العقوبة التي حكم عليه بها ، وكان السجن طريق كل منهما الى شهرة اعرض ، وشعبية أوسع ٠٠ بل رأى العقاد نهاية سجنه هي بداية الخلود حين قال من قصيدته التي ألقاها في « بيت الأمة » عقب انطلاقه من عالم السدود والقيود :

وكنت جنين السجن تسعة اشهر — وهانذا في ساحة الخلد أولد ! ٠

واذا كان ما بين « المنشيء » المنفلوطي ، و «الكاتب» العقاد قد اختلف باختلاف مذهبيهما في الكتابة والتعبير وفقا لما قرره العقاد وذهب اليه ، فأن أوجها اخرى من الوفاق قد قاربت بين الرجلين ٠٠ واذا كانت محنة السجن للتطاول على العرش قد وحدت بين رائدين في مجال النثر العربي المعاصر ، فان هناك ملمحا آخر من ملامح التشابه في الظروف لا يجوز لنا أن نغفله ٠٠ فقد شاءت ارادة الله للمنفلوطي والعقاد ان لا يمضي واحد منهما في طلب العلم والتعليم الى نهاية الشوط ٠٠ فالأول انقطع به الطريق في الأزهر بعد سنوات من الطلب ، والثاني وقف بالتعلم عند مرحلة التعليم الابتدائي ، ولهذا لم يكونا من اصحاب

« الشهادات » التى تجيز لأصحابها ارتقاء السلم الوظيفى ، والوصول به الى أبعد غايات الوظائف ••• فلما تولى سعد زغلول وزارة المعارف سنة ١٩١٠ كان يضمر للمنفلوطى خيرا ، ويكن له حبا ، ويدخر له ولأدبه تقديرا ، فعينه فى وظيفة محرر عربى بالوزارة لعله يصلح من لغتها الرسمية ، وعباراتها الديوانية وهى وظيفة أقرب الى وظيفة (كتاب دواوين الانشاء) بالدول العربية المتعاقبة، حتى لا يصدر عن الديوان رسالة ركيكة ، أو عبارة متهافتة • وكانت تلك الوظيفة للمنفلوطى جزاء وفاقا له على ما أسداه للبيان العربى من نفحات ••

ولكن طالبا من طلاب دار العلوم فى ذلك الزمان ، واسمه الشيخ منصور مهران لم يعجبه ذلك التكريم لأديب كاتب اشتهر « بالنظرات » فى أجزائها الثلاثة ، وبالمقالات الجياد ، فى جريدة المؤيد • وكان اعتراض الطالب المعترض على أن المنفلوطى رجل لا يحمل شهادة ، ولم يكمل تعليما ، ولم يدرس العربية دراسة منهجية منظمة • وانتهز المنتهزون هذه الفرصة ليشوهوا صورة سعد زغلول عند الخديو عباس ، ويجعلوه وزيرا لا يعترف بقانون ، ولا يمضى على شريعة من أمر الوظائف •• فما كان من سعد الا أن قال ردا على ذلك : اذا لم يكن للمنفلوطى من الشهادات سوى كتبه فكفاه ذلك فخرا ••

وكذلك كان موقف سعد زغلول من المستشار الانجليزى للمعارف «دنلوب» حين قامت قيامته لهذا التعيين الذى لم يجر على سابقة منذ تقنين الوظائف ، فما كان من سعد الا أن أسكته بقوله :

(ان الحكومة فى حاجة ماسة الى مثل مصطفى المنفلوطى ••)

***

ولا شك أن المنفلوطى ظهر رائدا فى الأدب والبيان منذ العقد الأول من القرن العشرين • فقد رثت أساليب الكتاب بانتهاء القرن التاسع عشر ، وأصبح أسلوب المويلحى الكبير وولده « محمد » صاحب حديث عيسى بن هشام ينادى بضرورة قيام أسلوب جديد • ولم يستطع كتاب مثل أحمد حافظ عوض ،ومحمد مسعود ، وقاسم أمين ، والشيخ على يوسف ، والشيخ محمد عبده ، وابراهيم اليازجى ، وأحمد لطفى السيد ـ على الرغم من رسوخ أقدامهم فى الكتابة والصحافة ـ أن يملأوا المكان الذى ملأه المنفلوطى باقتدار • فقد بهر الناس وجذبهم برسائله التى كان ينشرها فى المؤيد منذ سنة ١٩٠٨ ، ولفت القراء بأسلوب ممتع مترسل جديد لم يألفوه من قبل •

ويكفى أن يقول الزيات بأنه كان هو وزميلاه فى الأزهر : طه حسين ومحمود زناتى ، وبعض الأيفاع المتأدبين يترقبون المؤيد يوم الخميس ليقرءوا مقال المنفلوطى خماس ، وسداس ، وسباع (وطه مرهف أذنيه ، وزناتى مسبل عينيه والزيات مأخوذ بروعة الأسلوب ، فلا ينبس ولا يطرف ، وكلهم يودون لو يعقدون أسبابهم بهذا المنفلوطى الذى اصطفاه الله لرسالة هذا الأدب البكر •)

وبالطبع لم يأت المنفلوطى الى مكان الريادة فى ساحة الأدب والبيان من فراغ، فقد كان يقرأ كثيرا لابن المقفع،وابن العميد،وأغلب الظن أنه قرأ لغيرهما من أعلام

النثر ، وأمراء البيان منذ العصر الأموى ، ولكننى اشك كثيرا فيما قاله الصديق أحمد حسن الزيات ــ رحمه الله ــ من أنه تأثر فى الحديث بجبران ، وميخائيل نعيمة ، لأنه بدأ يكتب « النظرات » تباعا فى « المؤيد » منذ سنة ١٩٠٨ ، ولم يكن لجبران فى ذلك الزمان الا (عرائس المروج) التى ظهرت فى نيويورك سنة ١٩٠٥ • أما بقية كتب جبران فقد ظهرت منذ سنة ١٩١١ ، كالأجنحة المتكسرة ، والمواكب التى ظهرت سنة ١٩١٨ ، والعواصف التى ظهرت فى مصر سنة ١٩٢٢ ، وكان المنفلوطى قبل ذلك كله نجما لامعا ، وظهرت « النظرات » فى كتاب واحد سنة ١٩٠٩ •

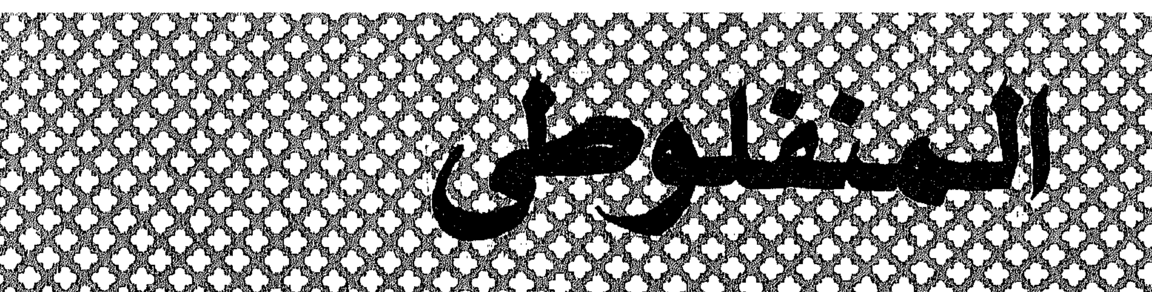
وهكذا نجد أن الموهبة عند المنفلوطى لم تحوجه الى الاقتداء والتأثر بكاتب حديث أو قديم • فقد كان أسلوبه ذاتيا مستقلا أنشأه هو نفسه بقوة طبعه ، وسلامة فطرته ، وحسن ذوقه على غير مثال • فقد كان الرجل صادقا حين قرر أنه استطاع أن ينفلت من قيود التمثل والاحتذاء • وتدل عبارته على أنه حمد الله على ضعف ذاكرته ، التى كانت عاجزة عن أن تمسك الا قدرا قليلا من مقروءاته • فقد كان يقرأ وينسى ، ولا يذكر انه عنى نفسه يوما بأن يحشو حافظته بما كان يقع عليه فى قراءاته من منثور ومنظوم •••

رحم الله المنفلوطى : لقد تعرض لنقد من طه حسين ، وصلاح الدين القاسمى والمازنى ، ومارون عبود • وما انتفضت لنقد كمثل ما صادفنى من نقد المازنى رحمه الله ــ فقد وصف أدبه بأدب الضعف والحلاوة والنعومة والانوثة • وكأن جو (الديوان) الذى أصدره العقاد مشتركا مع المازنى سنة ١٩٢٢ هو الذى أوحى الى المازنى بهذه القسوة التى لم أعرف لها سببا •

وقد يكون وراءه بواعث لم تنكشف لى حقيقتها • وكذلك كان «مارون عبود» فى كتابه : (جدد وقدماء) غير موفق فى تحامله الشديد على المنفلوطى ، فهو يكشف فى نقده عن كلام له خبىء •• والا فما كان أغناه فى سنة ١٩٥٤ وبعد وفاة المنفلوطى بثلاثين عاما كوامل أن يقول : (لا أدرى لماذا صرت أرى المنفلوطى رخوا مترهلا كالمرأة الهركولة التى تعتمد على يديها ورجليها ، لتنهض وتكاد تقعد لولا التشدد ، كهريرة الأعشى • فأدب المنفلوطى أدب مفلطح متنفش ، اغترت الصحف بخرزاته وودعاته فلقبته « أمير البيان ») •

اغلب ظنى انهم ــ ولا اسميهم ! ــ استكثروا على المنفلوطى لقب امير البيان فحولوه الى ناحية الأمير اللبنانى : شكيب ارسلان • ولكن شاء الله أن يقول عنه ــ منذ ثمانية وخمسين عاما ــ صديقنا الباحث الراوية المحقق الدمشقى احمد عبيد : (هو صاحب القلم البديع الجذاب ، المتفوق فى جميع الأغراض والمقاصد ، حتى سمى بحق « أمير البيان » ولأسلوبه تأثير خاص على نفوس القارئين ، كأنه يكتب بكل لسان ، ويترجم عن كل قلب • وقد صار اسلوبه المثل الأعلى الذى يحاول دائما أن يحتذيه الناشئون والمتأدبون ••)

رحم الله المنفلوطى عداد ما أسدى الى الكتابة والبيان ، من حسنات واحسان •••



صاحب أسلوب

● د . عبد العزيز الاهوانى ●

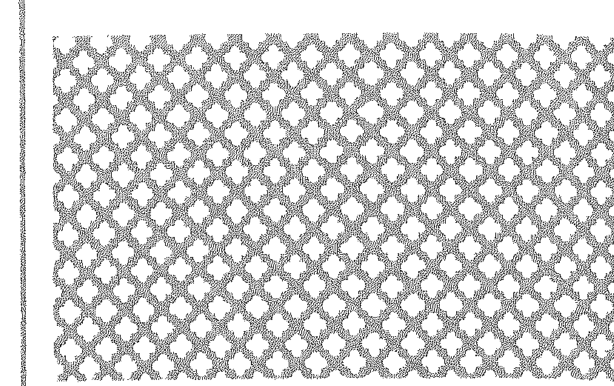
● الذين يؤرخون للنثر العربى الحديث ، والذين يصنفون الادباء المصريين منذ عصر النهضة — سيجدون انفسهم امام تطور ثقافى خرج منه صنفان من الادباء، صنف المفكرين والذين مثلهم رفاعة رافع الطهطاوى الذى يعتبر داعيا لفكر جديد ، والذى اتخذ موقفا عقلانيا من الحياة والمجتمع ، والذى قدر أن الحضارة الأوروبية يمكن ان يكون لها دور ايجابى نافع فى حياتنا الشرقية

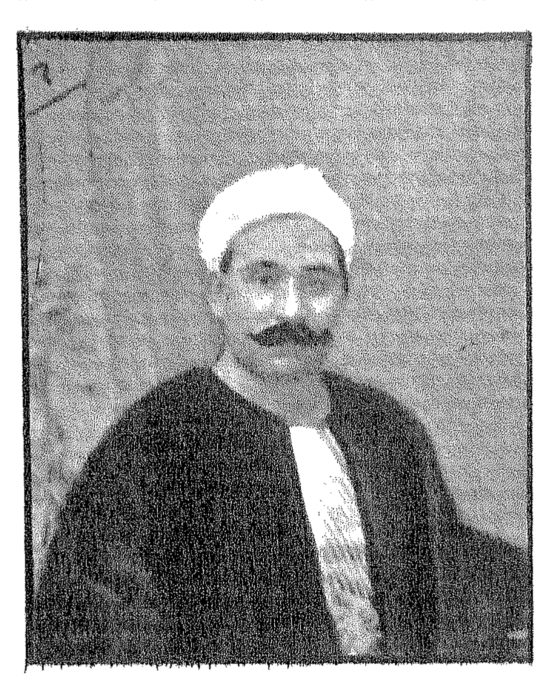
ويجىء جيل بعد رفاعة رافع الطهطاوى على راسه لطفى السيد ، وينتهى زغلول وكثيرون من ابناء الجيل الماضى الذين اعتبروا انفسهم رسلا لفكر وآراء تصاغ وتذاع فى لغة يتوخى فيها البساطة والفهم والوصول الى الغرض مباشرة ، وبجانب هؤلاء وجوه من نسميهم بأصحاب الأسلوب من الادباء ، وهؤلاء يعنون بلغتهم وبطرائق التعبير وبأساليب البلاغة عناية ربما فاقت عنايتهم بالفكرة أو بالموضوع

وهذا الصنف الثانى — اى أصحاب الأسلوب ، هو الصنف الذى ارتبط بالتراث العربى القديم ارتباطا أقوى من ارتباط الصنف الاول . ويلاحظ الباحث او المؤرخ ان الثقافة والادب بمعنى الاسلوب كان وليد دراسة اللغة العربية فى معهدها الاول وهو الجامع الأزهر ثم معهدها الثانى دار العلوم .

كان جيل الازهر اولا وجيل دار العلوم ثانيا لا يسلم بلقب أديب الا لمن سلمت لغته سلامة كاملة من اى لحن او خطأ او شذوذ . وكان يكفى فى تلك العصور ان يكون المرء قادرا على أن يقيم الوزن فى الشعر وعلى أن يكتب أو يخطب دون خطأ لغوى ليكتسبون اديبا ...

ودور المنفلوطى الحقيقى وثورته انه وهو الازهرى تعليما، وهو المنتمى الى مدرسة الاسلوب — انه استطاع بذوقه وحسه وشاعرية نفسه ، أن يطوع اللغة والاساليب البلاغية تطويعا فتن به الشباب فى عصره ، ووجدوا فيه ضالتهم المنشودة من حيث سلامة اللغة وموسيقية التعبير ، وجمال الاداء ، فتخلصت على يديه مدرسة الاسلوب مما كانت تتورط فيه من قيم





جمالية لدى الجيل السابق عليه ، وهى السجع والمقابلات والمحسنات البديعية والاستعارات والمجازات التى كثيراً ما تخرج عن السياق ولا تستقيم مع روح المقالة او القصة .

اما المنفلوطى من حيث هو مفكر ، فلا نستطيع أن نسند اليه دورا فكريا واضحا ، اللهم الا ان نقول انه ينتمي للمدرسة الرومانسية او الوجدانية ، اما من حيث اسلوبه ولغته فهو كاتب ممتاز ، امتدت آثاره الى جيل الشباب فى عصره والمرت هذا النثر الأدبي الطيع الذى استخدم بعده ..

ولا ينبغى ان ننسى ان المنفلوطى توفى عام ١٩٢٤ وان طه حسين فى شبابه حمل عليه حملة شعواء ، وانتقدمقالاته وكتاباته نقدا شديدا فى حياته ، واننا لو راجعنا هذا النقد لوجدنا ان طه حسين وكان شابا يطلب الشهرة ركز على الاخطاء النحوية واللغوية فى كتابات المنفلوطى ، وكان هذا التركيز علىهذا الجانب دليلا على ما كان يفهمه جيل الشباب فى اول هذا القرن من معنى الادب ، وانه فى المقام الاول يرتكز على صحة اللغة وسلامتها ، ولقد كان طه حسين فيما بعد يستنكر مقالاته هذه لتلامذته والقربين منه ، ويعتبر انها كانت خطرات شاب فى اول حياته الادبية .

نقول ان عناية النقد وان صدر عن شاب وهو طه حسين فى جيل المنفلوطى كانت مركزة حول فن الاسلوب بالمعنى القديم المعتمد على الصحة اللغوية قبل كل شيء .

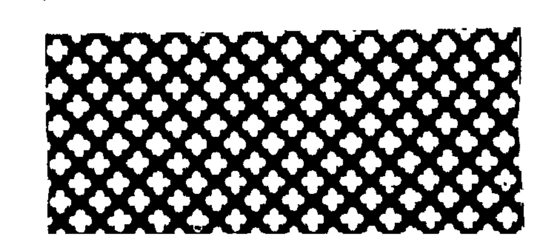
واذن فعناية المنفلوطى ودوره فىمجال الاسلوب وانتماؤه الى ما سميناه مدرسة الاساليب ، وان دوره فىمجال الفكر والآراء كان فى المقام الثانى — لا ينقص من قدره ، بل يؤكد الدورالخطير الذى أداه للأدب العربى ، وهو تطوير مدرسة الاسلوب الى مدرسة جديدة .

فاذا قورنت كتابات المنفلوطى بكتابات المفكرين كرفاعة الطهطاوى والسابقين عليه ، او بكتابات الادباء المعاصرين له وخاصة جبران خليل جبران الذىكان ايضا مثار شغف وشوق لدى شباب القراء فى الجيل الماضى .

نقول اذا وازنا بيناسلوب المنفلوطى وبين اسلوب هذين الكاتبين ، وضح فعلا ما ندين به جميعا للمنفلوطى من انه وضعنا على الطريق الصحيح بحسه الجمالي وموسيقاه العاطفية ، وفتح آفاقا امام اللغة العربية طوعتها للحياةالادبية وخلصتها من عقد التكلف والتعقيد .



المنفلوطى



معلم الأدباء

● د . احمد متولى مسلم ●

نحن ومعلمونا تتلمذنا على مدرسة المنفلوطي ، وتعلمنا فيها الانشاء ، والرومانسية ، والانسانية ، والقيم الخلقية ..

النظرات ، والعبرات ، والفضيلة ، وماجدولين ، والشاعر ، وفى سبيل التاج - كلها تركت فى ذاكراتنا وضمائرنا آثارا لا تمحى . وكنت تلقى كتبه فى كل بيت ، وفى كل مدرسة ، وفى كل مكتبة عامة ، وفى يد كل طالب يتعلم ، وكل مدرس يعلم .. ولم يكن الطالب يكتب موضوع الانشاء الا وعبارات المنفلوطى تتراقص تحت بصره ، او تتداعى فى ذاكرته .

وكان لكلماته وقع السحر فى نفوسنا ، لبساطة الفكرة ، ودقة اللفظ ، وموسيقى الايقاع والاهم من ذلك صدق الاخلاص ورهافة الحس .

ومن تلاميذه جيل الادباء العظام الذين ظهروا فى اوائل القرن ، ولايزالون يؤثرون فى الاجيال بعطائهم الموفود . وعلى سبيل المثال اعترف الاستاذ احمد حسن الزيات انه هو وصاحبه طه حسين كانا يتابعان مقالات المنفلوطى بشوق شديد ، ويقرآنها بشغف بالغ ، وكان لذلك اثره فى الاسلوب الجمالى الذى اختاراه فى الكتابة ، وان تميز كل منهما بطابعه الخاص .

ونستطيع ان نقول ان معظم ادبائنا الكبار خرجوا من جبة المنفلوطى ، كما خرج الروائيون الروس العظام من معطف « جو جول » ...

ماذا صنع المنفلوطى فى الادب ؟ ولماذا كان اول منهل لناشئة الادباء ؟

ظل النثر الفنى يجرجر اذيال الركاكة والتخلف قرونا طويلة ، ويقدم نماذج شوهاء لادب القاضى الفاضل وابن المقفع . وقبيل عصر المنفلوطى بدأ الناس ينفرون من هذا الادب الممل ، ويحيون التراث العربى المجيد .. وفى هذا الجو ظهر المنفلوطى ، وارشده الامام « محمد عبده » الى تجنب الصنعة والزخارف اللفظية ، فخرج على الناس باقاصيص جيدة تبرز معاناة الانسان بشكل درامى ، وباسلوب طلى ، ولفظ بسيط ، وبيان عذب . كان صادق العاطفة ، بعيدا عن التكلف والتقليد .

لقد نظر المنفلوطى فى النثر القديم ، لكنه جدد فى صياغته ومعانيه ، وافرغ فيه مشاعره الذاتية الرقيقة ، بحيث تتعرف على شخصيته من كتاباته .

وشهد له « العقاد » بالريادة فى الادب العربى ، حيث يقول : « لقد كان المنفلوطى احد اولئك الادباء القلائل الذين ادخلوا المعنى والقصد فى الانشاء بعد أن ذهب منه كل معنى ، وخلا به



الكاتبون عن كل قصد »
هكذا كان المنفلوطى ، فماذا بقى منه اليوم ؟

لقد اختلفت الظـروف كل الاختلاف عما كانت عليه في جيلنا ،وتغيرت المفاهيم وتطورت الاهداف ، ولم يعد القـديم يتخذ مثلا يحتذى.. لعلها أزمة الثقافة بأكملها ، لا فى مصر وحدها ، بل فى العالم كله ، الذي اصبح قرية واحدة بعد تطور الاتصالات والمواصلات بين الانسان والانسان فى كـل مكان من العالم . يوجد شعور عـام بضرورة التغيير واعطاء معنى مختـلف لكل ما هو متعارف عليه .

كان أدباؤنا الكبار ـ فى مطلع القرن ـ يقفون فى خشوع امام الصـور القديمة من الادب ، ويريدون ان يفلتوا من تأثيرها الساحق ، ليجددوا فى الاسلوب بصفة خاصة ، وفى المضامين اذا أمكن .

أما الكاتب الجديد فهو لا ينظـر الى الادب القديم بهذا التقديس ، بل انه لينكره ويجرده من كل قيمة فنية .. هم الكاتب الجديد تجديد الفكـر العربى حتى لو اضفنا الى لغتنا الجميلة لغة شائهة ينفر منهـا النظر والسمع .

وبعض الكتاب المحدثين يدعو ـ صراحة ـ الى الكتابة بلغة عامية او قريبة من العامية . وقد يميل طـلاب الادب ، بحكم روح العصر وسرعة الايقاع وضعف اداء اللغة لديهم ، الى اهمـال جانب اللغة .. وقواعدها المعقدة ، مكتفـين بقدرتهم على خلق الصـور ، وابداع الافكار .

وقد حذر المنفلوطى من ذلك ، كـأنه كان يرجم بالغيب ، ويتنبأ بالاتجـاه الجديد ، فيقول :

« يجب أن نحافظ على اللغة ، باتباع قوانينها ، والتمسك باوضـاعها ، ومميزاتها الخاصة بها ، ثم نكون أحرارا بعد ذلك فى التصور والتخيل واختيار الاسلوب الذى نريد .

« يجب ان يتمثل المعنى فى ذهـن المتكلم ، قبل أن يتمثل اللفظ ، حتى اذا حسن الاول فاض على الثانى جماله ورونقه .

فاللفظ لا يجمل حتى يجمل المعنى .. بل لا مفهوم اللفظ الجميل الا بالمعنى الجميل »

وبعد نصف قرن من الزمان يؤكـد الاستاذ توفيق الحكيم الفكرة ويوضحها فيقول :

« اهم صفات الاثر الادبى والفنى فى نظرى : الاتقان والامتاع والانسانية .

فمن انتج فى الادب او الفن عمـلا غير متقن فى اسلوبه الفنى ، ولا محكم فى تعبيره الادبى ، فقد وقع فى العجز الشكلى .. ومن صنع عملا لامتعة فيه ولا روعة ، فقد صنع شيئا آخر غـير الادب والفن ..

المنفلوطي معلم الأدباء

ومن صنع عملا متقنا ممتعا رائعا ، ولكنه فاقد المعنى الانسانى ، والفكرة النافعة للانسان والمجتمع فقد صنع ادبا وفنا ، ولكنه ادب وفن من طراز بارع الصنعة ، زهيد القيمة)) .

والخلاصة أن اللغة اداة لا غاية فى ذاتها ، ولكنها ــ فى لغة العرب والقرآن خاصة ، جزء صميم من العمل الادبى ، واللفظ لابد ان يطابق المعنى .

● نفسية المنفلوطى :

لم يكن المنفلوطى متوقد الذكاء . وصفه الاستاذ احمد حسن الزيات بانه « كان سليم الفكر فى جهد ، هيوب اللسان فى تحفظ ، وكان يتقى المجالس ، ويتجنب الجدل ، ويكره الخطابة » وبسبب ذكائه المحدود لم يسع الى تعلم لغة اجنبية ، ليوسع أفق ثقافته وليقرأ الروايات التى عربها فى منابعها ، بل اكتفى بأن يترجمها له اصدقاؤه ويتناولها هو بقلمه .

والتعليم النظامى الذى تلقاه المنفلوطى كان الدراسة عشر سنوات في الازهر وكان التعليم فى الازهر ــ قبل التغيير الجديد ــ اقرب الى التعليم في القرون الوسطى ، وقد وقف أكثر رجال الازهر وقتذاك ضد المدارس الحديثة وضد الازهريين المتنورين .. أمثال رفاعة الطهطاوى ، ومحمد عبده ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، ومصطفى عبد الرازق .. كان مبدأ رجال الازهر القدامى سلفيا تقليديا : كل خير فى اتباع من سلف ، وكل شر فى اتباع من خلف ..

ذكاء متواضع ، وتعليم متواضع ، لا يشحذ قريحة ، ولا يثير همة ، ومع ذلك يبرز المنفلوطى بفضل موهبته لا صنعته ، لان الصنعة لا تخلق ادبا مبتكرا ، ولا اديبا متفوقا ، ولا طريقة مستقلة .

والذكاء والموهبة لا يلتقيان بالضرورة فبعض الموهوبين منخفضو الذكاء ، او متوسطو الذكاء . والاقلية منهم مرتفعو الذكاء . وحين تقترن الموهبة بارتفاع الذكاء يوجد العبقرى . وحين تجتمع الموهبة والذكاء المتوقد ودافع قوى للانجاز وتحقيق الذات ، تخرج الطبقة الممتازة النادرة من الكتاب ، أمثال العقاد ، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم .

ومفتاح شخصية المنفلوطى يتجلى فى عاطفته الجياشة ، وذوقه الرقيق ، واتجاهه الخلقى القوى ..

ويرجع ذلك الى وراثته ، وتربيته فى بيت كريم بالدين ، جليل بالفقه ، توارث أهله قضاء الشريعة ونقابة الصوفية قرابة مائتى عام .

وبسبب هذه العاطفة وهذا الذوق انصرف عن علوم الازهر الجامدة ، ولم يلق بالا الا لعلوم اللسان ، وفنون الادب ، ونظم الشعر ، وكتابة المقالات فلفت الانظار اليه ، وقربه محمد عبده ووجهه ، وكذلك قربه سعد زغلول ، وتبناه ، وشجعه الشيخ « على يوسف » صاحب المؤيد ونشر مقالاته . وكان لهؤلاء الثلاثة اثر كبير فى تكوين شخصية المنفلوطى الاديب .

وبسبب عاطفته الجياشة كان شديد المشاركة للبؤساء ، حتى لترى صدق شعوره وعمق الم فى كل صفحة خطها .. فى أهداء ((العبرات)) يقول : ((الاشقياء فى الدنيا كثير . وليس فى استطاعة بائس مثلى ان يمحو شيئا من بؤسهم وشقائهم ، فلا اقل من ان اسكب بين أيديهم هذه العبرات ، علهم يجدون فى بكائى عليهم تعزية وسلوى))

والاتجاه الخلقى الذى يرجع الى الضمير الحى والعقيدة السليمة ، جعله يتعلق بالقيم الروحية والانسانية ، فتغنى طول حياته بالعطف والرحمة ، والحنان والاحسان ، والفداء والوفاء ، والحرية والسلام . وقد تناولها بطريقة مباشرة صبغت ادبه بسذاجة الوعظ ، وبراءة الاطفال .

واتجاهه الخلقى املى عليه ان يكون وطنيا صادقا . كان الخديو عباس الثانى على خلاف مع الاحتلال فانحاز الى جانب الحركة الوطنية ، فكتب المنفلوطى قصيدة فى مدحه كان مطلعها :

ملك يسير السعد حول ركابه
فكانه من جملة الحراس

ويمضى عام بعد ذلك ، وينقلب الخديو الى مساندة الاحتلال ، وينكشف خداعه للامة ، فيكتب نفس القلم قصيدة قوية بلا امضاء ، يهجو بها الخديو ، اثر عودته من رحلة داخلية الى الاسكندرية ، وكان مطلعها

قدوم ولكن لا اقول سعيد
وملك وان طال المدى سيبيد

ويقبض عليه فيعترف بانه صاحب القصيدة ، ويحكم عليه بالسجن ، ويخفف الحكم الى ستة اشهر بفضل جهود صاحب « المؤيد » .

وقد ظهر المنفلوطى فى مرحلة ازدياد الوعى والحنين الى الخلاص من الاستعمار ، فقدس الحرية ، ومن كلماته الخالدة :

« الحرية شمس يجب ان تشرق فى كل نفس ، فمن عاش محروما منها عاش فى ظلمة حالكة ، يتصل اولها بظلمة الرحم ، وآخرها بظلمة القبر . أن الانسان الذى يمد يده لطلب الحرية ليس بمتسول ولا مستجد ، وانما هو يطلب حقا من حقوقه التى سلبته اياها المطامع البشرية ، فان ظفر بها فلا منة لمخلوق عليه » .

وبعدثورة ١٩ قدم المنفلوطى رواية « فى سبيل التاج » التى ترجمها صديق له ، وهى تجارى روح ثورة ١٩ ، وتصور كفاح شعب من شعوب البلقان ، من اجل الحصول على حريته واستقلاله ، وقد اهداها الى راعيه الزعيم الوطنى « سعدزغلول »:
« الى الزعيم العظيم سعد باشا زغلول اقدم البطل البلقانى الى البطل المصرى لتانس روح كل منهما بروح صاحبه » .

ومن المصادفات الغريبة فى حياة المنفلوطى أنه عاش ثمانية واربعين عاما نصفها بالضبط فى ختام القرن الماضى، ونصفها فى مطلع القرن العشرين . مصادفة اخرى انه ولد قبل خمس سنوات من الاحتلال الانجليزى لمصر ، ومات بعد خمس سنوات من ثورة ١٩ .

وقد تكون هذه « السيمتريه » ترتيبا الهيا ، ليقف المنفلوطى على رأس المدرسة الحديثة ، التى نقلت النثر من المحسنات اللفظية والكلمات المعقدة والمعانى التافهة ، الى السلاسة والطلاقة وسهولة الكلمات وعذوبة الاسلوب .

ومصادفة ثالثة فى حياته : انه مات فى نفس اليوم وقعت فيه محاولة اغتيال سعد زغلول فى محطة مصر ، فانشغل الناس بالحادث ، ولم يخرج وراء نعش المنفلوطى الا اهل بيته ..
عاش الرجل ومات فى تواضع ، وحياء !

« فى سبيل الله تلك النفس الطاهرة الكريمة التى ما حملت فى حياتها شرا لمحسن ولا لمسىء ، وذلك الصدر الرحب الذى كان يسع الدنيا بارضها وسمائها ، فلا يضيق عنها ، وذلك القلب النقى الابيض الذى ما اضمر فى حياته غير الخير والاحسان ، ولا فاض الا بالرحمة والحنان »

والعبارة من المنفلوطى فى « العبرات» وهو خير من تهدى اليه ، لانها تنطبق عليه ..

رثاء شوقي

للمنفلوطي

● د . احمد الحوفي ●

زخر ديوان شوقي بالمراثي حتى انها تجاوزت الستين ، جاء قليل منها مصورا صادقا لمشاعره وآلامه اذا كان المتوفى صديقا حميما له . وجاء أكثرها تنويها بمآثر المتوفى ، واشادة بفضله ، ومساءلة له عن الحياة والموت،واستكناها لما بعد الموت ، وجنوحا الى الحكمة ..

ولقد كان رثاؤه لمصطفى لطفي المنفلوطي من الضرب الثاني ...

ويبدو أن شوقي لم يخالطه مخالطة تنيض بالود ، او تمزج النفس بالنفس، لكنه كان على ثقة بأن المنفلوطي صاحب قلم بليغ ، واسلوب رائع ، اخاذ متميز ، وكان عظيم التاثير في كثير من الكتاب والشباب الذين قراوا ما ألف أو ترجم .

ولا شك أن شوقي كان يعجب بالبيان الرائع سواء اكان شعرا ام نثرا .

ومن المصادفات العجيبة انالمنفلوطي توفى يوم ١٢ من يوليه عام ١٩٢٤ وهو اليوم الذى اعتدى فيه شاب مفتون على سعد زغلول رئيس الوزراء وزعيم الأمة ، فاطلق عليه رصاصة أصابت ساعده الأيمن وجانبا من صدره ، وكان ذلك في محطة القاهرة ، وسعد ينتوى السفر الى الاسكندرية ليحضر الاحتفال بعيد الأضحى .

كان لهذا الاعتداء دوى فى مصر وفى القاهرة بخاصة شغل الشعب كله ، وشغل انصار سعد ومعارضيه جميعا فصرف الأسماع عن وفاة المنفلوطي . ولهذا كانت جنازته خافتة ، ولولاجرح سعد لكانت الجنازة اشد ازدحاما ، ولكان مشيعوه أكثر آلاما ..

***

١ ــ بدأ شوقي المرثية بمطلع من مطالعه البارعة ، ذكر فيه اقتران الوفاة باطلاق الرصاص على سعد ، واعتذر عن قلة مشيعى المنفلوطي بانه مات يوم الهول الذى طغى على نبأ موته ، فلم يستطع ناعيه أن يسمع أحدا ، لأن عواصف الحادث كانت اعلى منه صوتا،



احمد شوقى

مصطفى لطفى المنفلوطى

ولان الذين وجه النعى اليهم لم يسمعوه ، اذ كان حزنهم على الزعيم قد سد آذانهم .

وعقب شوقى على هذا بحكمة من الحكم التى برع فى سوقها مناسبة لما قبلها هى أن الذى يموت يوم القيامة لا يجد من يشيعه ، فالناس جميعا فى شغل بنفوسهم وكل منهم يفر من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه :

اخترت يوم الهول يوم وداع
ونعاك فى عصف الرياح الناعى
هتف النعاة ضحى فاوصد دونهم
جرح الرئيس منافذ الاسماع
من مات فى فزع القيامة لم يجد
قدما تشيع او حفاوة ساع !

***

٢ ــ وقفى على هذا باعتذار آخر للمنفلوطى عن قلة الذين شيعوه ، فود لو ان جنازته تمهلت ، مع ان المنفلوطى لا يحفل بمظاهر الحياة الدنيا لانها لا قيمة لها فى تقدير الموتى ، وحسبه ان ينتظم فى مصاف العباقرة اصحاب المجد الحافل باعظم المواكب واكثر التابعين والمقدرين ، لانه اذن يعلو الى سماء المجد ويخلد بفضله وآثاره :

من مات فى فزع القيامة لم يجد
قدما تشيع أو حفاوة ساع !
ما ضر لو صبرت ركابك ساعة
كيف الوقوف اذا اهاب الداعى ؟
خل الجنائز عنك لا تحفل بها
ليس الغرور لميت بمتاع !
سر فى لواء العبقرية وانتظم
شتى المواكب فيه والاتباع
واصعد سماء الذكر من اسبابها
واظهر بفضل كالنهار مذاع !

٣ ــ ثم نوه بقلم المنفلوطى ، وبراعة فنه ، وحيوية نثره الدال على شباب دائم متجدد على حين ان الشيب قد خالط رأسه ، وقال انك تقرأ ما كتب نثرا فتحسب انك تقرأ شعرا .. وانه كان حريصا اشد الحرص على اللغة العربية الفصحى فى كل ما كتب ، فان كتب فى موضوع قديم أبدع ، وان كتب فى موضوع جديد اعجب ، كالشمس شعاعها متجدد لا يفتر ولايبلى :

فجع البيان واهله بمصور
لبق بوشى المتمات صناع !
مرموق اسباب الشباب وان بدت
للشيب فى الفود الاحم رواعى
تتخيل المنظوم فى منثوره
فتراه تحت روائع الاسجاع !
لم يجحد الفصحى ولم يهجم على
أسلوبها أو يزر بالاوضاع
حر البيان قديمه وجديده
كالشمس جدة رفعة وشعاع !

٤ ـ وبعد هذا عرض لبعض ما كتب المنفلوطى ، فذكر من كتبه النظرات والعبرات ، وعقب على هذا بأن العبرات تنبىء عن حزن وضيق بالحياة ، والحكيم هو الذى لا يتبرم بالحياة ، لأنها هى والدهر والأرض والسماء والأناس خاضعة للقدر ، كالشراع فى لجة البحر ، تسيره الريح كيف تشاء .

ثم ساءله عن البواعث التى قبحت اليه الحياة ، فلم يجد فيها غير أشقياء وجياع ، حتى انه لم ير فى وجوه الناس وفى عيونهم الا بقايا دموع أو ندوب دموع .

وعقب شوقى على هذا بأن الحياة ليست كلها عذابا وشقاء وبكاء ، وليس الشقاء مقترنا دائما بالفقر ، وليست السعادة تابعة دائما للغنى ، فان الكوخ كثيرا ما يشرق بسعادة سكانه ، وكثيرا ما ينوء القصر بشقاء أربابه ، وكثيرا ما يتقنع البؤس ويتوارى عن الأنظار ، وهو أشد وأنكى من البؤس السافر :

يا مرسل (النظرات) فى الدنيا وما
فيها على ضجر وضيق ذراع
ومرقرق (العبرات) تجرى رقة
للعالم الباكى من الأوجاع
من ضاق بالدنيا فليس حكيمها
ان الحكيم بها رحيب الباع
هى والزمان بارضه وسمائه
فى لجة الأقدار تقو شراع
من شوه الدنيا اليك فلم تجد
فى الملك غير معذبين جياع ؟
ابكل عين فيه او وجه ترى
لمحات دمع أو رسوم دماع ؟

لا الفقر بالعبرات خص ولا الغنى
غير الحيـــاة لهن حكم مشــــاع
ولرب بؤس فى الحيـــاة مقنــع
أربى على بـؤس بغـير قنـــاع !

٥ ـ وانتقل من هذا الى مناجاة المنفلوطى ومسـاءلته عن الموت وعمـا وراء الموت ، وذكر أن أحبابه وخصـومه قد صمتوا بعد موته ، وأنه قد فرغ من حقد الخصوم الذين شنوا عليه غاراتهم ، وهو لم يحفل بهم ، بل واصل جهده الرائع ، فكان هو الرد المفحم لهم ٠

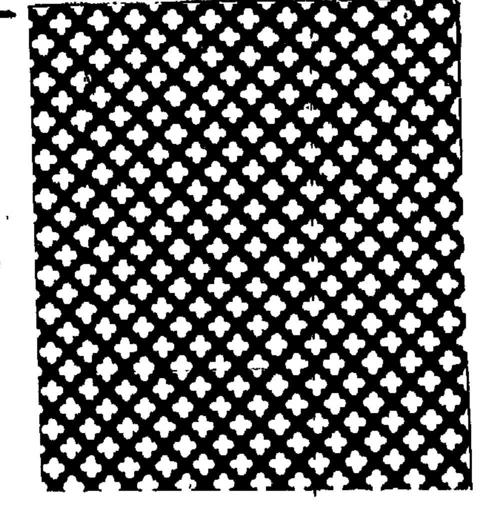
ولم ينس شوقى أن يصف الحانقين على المنفلوطى بأنهم مـرضى ، ولابد أن يخلفهم أصحاء مبرأون من الحقد يقضون للمنفلوطى بالتفوق والاقتدار ، وسيكون فى حكم التاريخ صاحب القلم البليغ والمرتبة العليا التى لا ينالها الا الأفذاذ :

يا مصـــطفى البلغـــاء أى براعة
فقـــدوا وأى معلـــم بيراع ٠٠٠
اليوم ابصرت الحيـــاة فقل لنـا
ماذا وراء سرابهـــــا اللماع ؟
وصف المنون فكم قعدت ترى لها
شـــبحا بكل قـرارة ويفـــاع
سكن الأحبة والعدا وفـرغت من
حقد الخصوم ومن هوى الأشياع
كم غارة شنوا عليـك دفعتهـــا
تصـل الجهـــود فكن خير دفاع
والجهـد مؤت فى الحياة ثمـاره
والجهد بعد الموت غير مضــاع !
فاذا مضى الجبل المراض صدوره
وأتى السليم جوانب الأضـــلاع
فافزع الى الزمن الحكيم فعنـــده
نقـــد تنزه عن هـــوى ونـزاع
فاذا قضى لك ابت من شم العـلا
بثنية بعـــدت على الطـــلاع
واجل ما فـوق التراب وتحتـــه
قلم عليه جـــلالة الاجمـــاع !

ثم ختم المرثية بتمجيد حرية الفكر والقلم والتنويه بشجاعة القلم والرأى ، والتنفير من نفاق الاقلام ومن جبنها ، لان جبنها عار ووصمة كجبن المحـاربين وفرار المقاتلين ٠



المنفلوطى



أديب ظلمه عصره وما بعد عصره

● علي غريب بهيج ●

عاش المنفلوطى حياة قصيرة حافلة .. كانت حياته فترة قصيرة بالقياس الى ما خلفه من آثار ادبية فى النثر بصفة عامة ، وفى المقالة الأدبية بصفة خاصة . وقد أثر أدبه فى ادباء عصره المعاصرين له واللاحقين عليه ، لدرجة لا يمكن ان يخطئها الدارس لتاريخ ادبنا العربى الحديث .

واذا كان الأدب الفرنسى يفخر « بمونتانى » كرائد لفن المقالة الأدبية الحديثة ، كما يفخر الأدب الانجليزى « بفرنسيس بيكون » كرائد أيضا لهذا اللون الأدبى ، فان المنفلوطى يعد بحق وعن جدارة رائدا لفن المقالة فى أدبنا العربى الحديث ، وأحد رواد الفن القصصى – الى جانب ذلك – الذين تأثر بهم أعلام القصة بمفهومها الحديث فى مصر ، وعلى رأسهم عميد القصة محمود تيمور ، وقد ظلم المنفلوطى فى عصره كما لم يقدر حق قدره بعد عصره حتى يومنا .

●● المنفلوطى فى عصره :

ثمانية واربعون عاما هى الفترة التى عاشها المنفلوطى من عام ١٨٧٦ حيث ولد ، وحتى العاشر من يوليو ١٩٢٤ تاريخ وفاته . نشأ المنفلوطى فى بيئة أزهرية سلفية كانت العلوم عندها تدور فى فلك المتون النحوية والبلاغية والفقهية شرحا واسهابا أو اختصارا وايجازا .. ويصور المنفلوطى تلك البيئة بقوله **« ولم يكن حولى لذلك العهد ممن يستعين بمثلهم مثلى على الأدب احد ، لأننى كنت أعيش فى مفتتح عهدى به بين اشياخ أزهريين من الطراز القديم لا يرون رايى فيه ، ولا يتعلقون منه بما اتعلق ، فكانوا يرون أن التوفر عليه أو الالمام به عمل من أعمال البطالة والعبث ، وفتنة من فتن الشيطان ، فكان الذين يتولون أمرى منهم لا يزالون يحولون بينى وبينه كما يحول الأب بين ولده وبين مايعرض له من فتن الهوى ونزعات الصبوة ضنا بى – يزعمون – أن انفق ساعة من ساعات دراستى بين لهو الحياة ولعبها ، فكنت**



لا استطيع ان الم بكتابى الا فى الساعة التى آمن فيها على نفسى ، وقليلا ماكنت اجدها .. وكثيرا ما كانوا يهجمون على، فاذا عثروا فى خزانتى او تحت وسادتى او بين لفائف ثوبى على ديوان شعر او كتاب أدب خيل اليهم انهم ظفروا بالدينار فى حقيبة السارق ، او العشيق فى خدر الفتاة ، فاجد من البلاء بهم والغصص بمكانهم ما لا يحتمل .. »

وسط هذه الظروف البالغة الصعوبة احب المنفلوطى الأدب عن بصيرة وعن فهم حقيقى وتذوق ، فاختار أطيب ما فى العربية من اشعار ، واروع ما فيها من نثر قصصى بصفة خاصة ، الى جانب اقباله على مترجمات للآداب الغربية من القصص الفرنسى الرومانسى خاصة ، كان يطلب الى بعض اخوانه الذين يعرفون هذه اللغة أن يترجموها له بأى أسلوب ، ثم يقوم هو باعادة تمثلها وصياغتها فى لغة عربية آسرة اخاذة ، وهو ما عرف به المنفلوطى معرب : « الفضيلة » و « مجدولين » و « فى سبيل التاج » واقاصيص « العبرات » وغيرها ..

أما محصوله من الأدب العربى فقد اتسع ليشمل مختارات من القصص العربى وبخاصة قصص الحب والغرام والأقاصيص ذات الطابع المأساوى الباكى والى جانب ذلك توفر على دراسة أشعار الفحول من أمثال أبى تمام وابن الرومى وأبى العلاء المعرى والبحترى وغيرهم .

غير أن عيون القصائد هى التى كانت تعجبه بصرف النظر عن قائليها . ويتضح ذلك من « مختاراته » ومما عرضه فى مقدمة الجزء الأول من « النظرات » حيث يقول :

« أغزل الغزل عندى غزل العاشقين ، وأفضل الرثاء رثاء الثاكلين ، وانبل المدح مدح الشاكرين ، واشرف العظات عظات المخلصين ، واجمل البكاء بكاء المنكوبين ،واحسن الهجاء هجاء الصادقين وأبرع الوصف وصف الرائين المشاهدين .. »

وهكذا كان الصدق الفنى هو الذى يشد المنفلوطى الى العمل الأدبي مهما كان قائله .

●● أدب المنفلوطى وبداياته :

بدأ المنفلوطى حياته الأدبية فى نحو العشرين من عمره شاعرا . واتخذ لشعره غاية وطنية هادفة هى مقاومة

الاحتلال والفساد . وكانت أول قصيدة له في بداية العام ١٨٩٧ يقول فيها :

ذهلنا فما ندرى أوالى امورنا
بلندن ام في مصر ! كيف نفرق ؟
اليك خديو مصر منك شكاية
ومثلك ادرى بالأمور واحذق !
كسرت قلوبا كنت قبل جبرتها
فصرنا وكل للمذلة مطرق ! ..
فوالله ان لم تدرك الأمر واسعا
لارغمت عن ادراكه وهو ضيق !

ورغم أنه وقع القصيدة بامضاء مستعار هو « عدو الاحتلال » الا أن القصيدة اشتهرت وعرف صاحبها ولكن بصفة غير رسمية .

ولم يكد العام ١٨٩٧ ينحدر نحو المغيب حتى ظهرت القصيدة التي أودت بالمنفلوطي الى السجن والتي ظهرت في جريدة « الصاعقة » لصاحبها « أحمد فؤاد » . ظهرت هذه القصيدة في ٤ من نوفمبر سنة ١٨٩٧ غداة عودة الخديو من رحلة قام بها داخل البلاد بالوجه البحرى ، وقد ظهرت القصيدة بهذه المقدمة :

« تهنئة مرفوعة لسمو خديو مصر لمناسبة عودته من ثغر الاسكندرية الى العاصمة » ثم القصيدة التي يستهلها المنفلوطي على هذا النحو :

قدوم ولكن لا اقول سعيد
وملك ـ وان طال المدى ـ سيبيد
بعدت وثغر الناس بالبشر باسم
وعدت وحزن في الفؤاد شديد
علام التهاني ؟ هل هناك مآثر ؟
فنفرح ! .. أو سعى لديك حميد ؟
اذا لم يكن أمر فقيم مواكب ؟
وان لم يكن نهي ففيم جنود ؟
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت
علينا خطوب من جدودك سود !
رمتنا بكم « مقدونيا » فأصابنا
مصوب سهم بالبلاء سديد !
فلما توليتم طغيتم وهكذا
اذا أصبح التركى هو عميد !

وكانت النتيجة هي المحاكمة والسجن حيث قضى المنفلوطي في سجن « الحوض المرصود » بالسيدة زينب ستة أشهر بعد تخفيف العقوبة واستئناف للحكم .

هذه هي البداية ..

غير أن المنفلوطي قد وضع أمامه هدف أسمى وأخلد وهو الأدب الانساني الهادف ، حيث وجد في المقالة الأدبية الاجتماعية بغيته فراح يخرج للناس المقالة تلو المقالة ، وهي المقالات التي جمعت فيما بعد في « النظرات » .

●● أعماله في الميزان :

أشرنا الى أن المنفلوطي اثر في أدباء عصره وما بعد عصره ، واعترف بذلك كثيرون منهم رائد القصة محمود تيمور الذي سحره أسلوب المنفلوطي ـ على حد تعبيره ـ في مستهل حياته الأدبية . والذي يقارن أسلوب المنفلوطي بأساليب أعلام العصر مثل البشرى ، وطه حسين وتيمور،وغير هؤلاء يجد التأثر واضحا .

والحقيقة التي لاشك فيها أن أسلوب المنفلوطي نمط متميز في أدبنا العربي الحديث على اختلاف مواطنه ، فهو أسلوب قد تخلص من قيود العصور

المظلمة السابقة عليه ، فخلا من الزخارف اللفظية والمحسنات الصناعية ليستعيض عن ذلك بسلاسة العبارة وانتقاء الالفاظ فى نمط فريد يمكن أن نسميه بالسهل الممتنع كما يقولون عن جدارة واستحقاق .

ومترجماته فتحت أمام كتاب القصة باب التعبير القصصى على مصراعيه نظرا لفقر التراث الحديث فى هذا المجال قبل عصر المنفلوطى ، فقد استطاع أن ينقل الى العربيـة روائع من الأدب الفـرنسى القصصى الرومانسى مثل « مجـدولين » و « فى سبيل التاج » و « الفضـيلة » وقصص قصيرة أخرى ضمنها كتـاب « العبرات » ـ كل هذا بأسـلوب عربى مبين ، لم يعهد قبل المنفلـوطى بآماد بعيدة .

اما « نظراته » والتى تقـع فى ثلاثة اجزاء فهى مما يفخر به تراثنـا الأدبى الحديث فى فن المقالة الأدبية . ومقالات المنفلوطى تستوفى شرائط فن المقـالة بالمفهوم الحديث الدقيق لها . فهى ذات موضوع محدد يستهلها بجملة استفتاحية ويقسمها الى فقرات تحمل كل فقرة جزءا من الموضوع ، ويختتمها بجملة ختـامية تلخص الموضوع ، وهذه طريقة فى بناء المقالة كفن مسـتقل حديث العهد فى الأدب العـالمى بصفة عامـة وفى الأدب العربى بصفة خاصة .

وكان العقاد والمازنى قد ألفا كتـابا سمياه « الديوان » خصصـاه لنقد أو قل هدم علمين فى أدبنا الحـديث هما شوقى أشعر شعراء العصر ، والمنفلوطى أشهر كتاب المقالة الأدبية ورائدها ... والذى يطـالع « الديوان » يلمس آثار التحامل والهدم ...

ولا أريد أن اغض من شـأن المازنى او العقاد فكل منهمـا علم له مكانته فى أدبنا العربى ،ولكن نقدهما هذا قد صرف بعض الشباب عن شـعر شوقى ونثر المنفلوطى الى حين . خصوصا وأن شوقى والمنفلوطى كانا من الشخصيات الهادئة التى تعمل فى صمت دون تجريح ودون أن ترد على تجريح ، وان كان التحـامل والتجريح يغيظهما ويحز فى نفس كل منهما .

ولقد بلغ من الفتئـات المـازنى فى « الديوان » فى نقده للمنفلوطى أن أخذ يحصى استخدامات المنفلـوطى فى أدبه للمفعول المطلق ، واسـتطاع أن يحصى منها ٥٧٢ مفعولا مطلقا ، وكأنه يحصى سيئات خاطىء أو مذنب ! ..

●● وخلاصة القول :

ان ادب المنفلوطى ـ خصوصا مقالاته فى النظرات ـ قيم بكل القيم الفنية التى يقاس بها الأدب . و « النظرات » نماذج رائعـة للعربية .. ونحن اذا نحينـا جانبا النزعة الرومانسية التى سـادتها والموضوعات التى لم تعد تهمنا ـ وكانت تهم المنفلـوطى ـ فاننـا رغم كل ذلك نفيد الكثير من دراسـة الأسـاليب والتراكيب والتعبـيرات فى ادبـه .. ولعمرى فانها خسارة على الأدب العربى وعلى اللغة العربية ، ان نهمل معينـا عذبا مثل أدب المنفلوطى وامثـاله ممن سوف تخلدهم لغتنا الجميلة عبر الزمان.

سيرة وتحية

المنفلوطى

● مصطفى الشهابى ●

ـ من اكتب الكتاب باللغة العربية فى عصرنا ؟

كان السائل ـ حتى بداية الحرب العالمية الاولى ـ اذا سأل السؤال السابق ، اجابته الكثرة الغالبة من القراء يومئذ :

ـ هما اثنان : الشيخ علي يوسف ، والشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى ٠

وقد ظفر المنفلوطى باعجاب مدرسى اللغة العربية ، دون الشيخ علي يوسف ، لما ظهر له من مؤلفات يمكن قراءتها مرارا وتكرارا ، ولذلك كانت وصية هؤلاء المدرسين لمن يرغب فى تحسين اسلوبه الانشائى ان يقرأ كتب المنفلوطى وينسج على منواله ٠

وظل المنفلوطى فى طليعة كتاب مصر الذين علت شهرتهم وعظم تأثيرهم فى الربع الأول من القرن العشرين ، على الرغم مما وجه الى كتاباته من نقد وانتقاص من بعض معاصريه ، والعقد له لواء النثر بعد أن ذاق الأمرين من ملاحقات وتعقيبات محمد الهمياوى ، والعقاد ، وطه حسين وغيرهم ٠

واستمرت كتب المنفلوطى تلقى الرواج والاقبال فى أواخر حياته وبعد وفاته بعدة سنوات ، حتى أن المرء كان اذا قصد الى أية مدرسة ، وخاصة المدارس الثانوية ، وجد الطلبة عاكفين على مطالعة أحد كتب المنفلوطى يقرأونه فى شغف مستلهمين الحب فى أنبل معانيه والفضيلة فى أبهى صورها ٠

● نشأته :

ولد المنفلوطى عام ١٨٧٦ فى أسرة كريمة بمنفلوط احدى مدن محافظة اسيوط، وقد نسب الى تلك المدينة التى تعلم فيها مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ٠ ثم قدم الى القاهرة والتحق بالأزهر حيث شغف بالأدب وأقبل على كتب أعلامه يطالعها وعكف على قراءة دواوين البلغاء من الشعراء ، دون أن يكلف نفسه عناء حفظ ما راقه من هذه أو تلك ، ولكنه كان يتذوق ما يقرأ ويعجب بما يستحق الاعجاب دون أن يحاول تقليده ٠

وهكذا شغل المنفلوطى بالادب ، وكان من اثر ذلك ان انصرف عن التفرغ لكتب الأزهر ومحاولة فهمها واستظهارها ،



وانحصرت علاقته بالأزهر على الحرص على حضور دروس الشيخ محمد عبده ، لاعجابه ببراعته في تبسيط ما كان يلقيه على الطلبة ، مع الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والدينية ومناقشتها في حرية وصراحة .

واتصل الطالب بأستاذه فافسح له في مجالسه وشجعه على الكتابة في الصحف والاتصال بالرأى العام ، وظل المنفلوطى على اتصاله بالاستاذ الامام حتى انتقل الأخير الى جوار ربه عام ١٩٠٥ .

● المنفلوطى الشاعر :

بدأ المنفلوطى قرض الشعر وهو في السادسة عشرة من عمره ، وقد ظهرت فيه بوادر نبوغه لكثرة ما طالعه من قصائد لفحول الشعراء ، وأول قصيدة نظمها كانت غزلية ، ولكنها لم تظهر في مجلة أو كتاب ، ومطلعها :

اردنا سؤال الدار عمن تحملوا
فلم تدر من فرط البكا كيف تسال
وهاج لنا الذكرى معاهد اصبحت
تعيث صبا فيها وتعبث شمال

وقد اطلع بعض الادباء يومئذ عليها فشجعوه على مواصلة نظم الشعر ، فدفعه ذلك الى نشر عدة قصائد في الصحف والمجلات وفي طليعتها مجلة « الهلال » .

● مهاجمة الاحتلال والخديو :

كان المنفلوطى منذ صباه وطنيا سيما يمقت الاحتلال وأعوانه ، فقد دفعت به وطنيته الى أن يلج بشعره ميدان السياسة ولذلك نظم ـ فيما نظم ـ قصيدة طويلة ندد فيها بالاحتلال وجعلها بامضاء « عدو الاحتلال » ـ وكان مطلعها :

الا راية للعدل في مصر تخفق
لعل مساعي دوله الظلم تخفق
الا صدمة للجور توقف سيره
فيجبر ذالك الكسر والفتق يرتق

وعرض فيها برئيس الوزراء « مصطفى فهمى باشا » فغضب وأمر بالبحث عن ناظمها والقبض عليه ،ولكنهم لم يهتدوا اليه عدة اشهر ، فتناسوا أمره .

وكانت القصيدة الثانية ـ الجديرة بالتنويه ـ هى قصيدة الهجاء المشهورة التى استقبل بها الخديو عباس حين عودته من أوروبا يوم ٣ من نوفمبر عام ١٨٩٧ ، وكان المنفلوطى يومئذ طالبا

● شخصية الشهر ● المنفلوطي

بالازهر وسنه لا تتجاوز الحادية والعشرين . وقد وزعت تلك القصيدة على المستقبلين للخديو بالاسكندرية ثم القاهرة ، كما نشرت بمجلة « أنيس الجليس» التي كانت تصدر بالاسكندرية وبجريدة « الصاعقة » القاهرية ..
ومطلع تلك القصيدة هو :

قدوم ولكن لا اقول سعيد
وملك وان طال المدى سيبيد

وفيها ندد بعباس وتصرفاته وشهر بأسرة محمد على وعرض لطمع عباس فى الخلافة . . الخ ولذلك بادرت الحكومة الى التحقيق الذى انتهى الى ان المنفلوطى هو ناظمها ،بالاشتراك مع السيد توفيق البكرى ـ كما قيل ...
واقتصرت التهمة على المنفلوطى وآخرين ثم قدم للمحاكمة وحكم عليه بالحبس سنة مع غرامة مالية .
وشغلت القصيدة والقضية الراى العام طويلا ...
وقضى المنفلوطى فى السجن ستة اشهر ثم سعى الشيخ محمد عبده لاصدار العفو عنه فاجيب لمسعاه . ولكن المنفلوطى لم يستطع الالتحاق باية وظيفة حكومية فانقطع للصحافة والكتابة ، وظل ملازما للاستاذ الامام ، الى ان توفى الامام عام ١٩٠٥ فضاقت به القاهرة وكره الاقامة فيها ، بعد ان فقد اعظم سند له بها، ولذلك غادرها الى منفلوط وقضى بها عامين ، ثم دعاه الشيخ على يوسف الى الخروج من عزلته والسمو فوق محنته باستئناف الكتابة فى « المؤيد » ، وهيأ له فيها بابا خاصا يطالع فيه القراء بخواطره كل اسبوع ، وهى المقالات التى جمعها واصدرها فى كتاب « النظرات » .

● المنفلوطى الكاتب :

ومنذ ذلك التاريخ نبذ الشعر وانقطع الى صياغة النثر ، ، ولو انه استمر فى نظم الشعر لكان فى طليعة شعراء عصره ، قبل ان يكون من ألمع كتابه .

وبعد قليل عرفه الشيخ على يوسف بالمغفور له سعد زغلول باشا وكان وزيرا للمعارف ، فاعجب به سعد وعينه فى وظيفة انشاها له وكان اسمها « المحرر العربى » . وقد ظل المنفلوطى بها حتى جاء « تيودور روزفلت » احد رؤساء الولايات المتحدة السابقين ، الى مصر فى مارس عام ١٩١٠ ، والقى خطبة سياسية فى الجامعة المصرية ندد فيها بالحركة الوطنية المصرية والمطالبة بالدستور وأيد الاحتلال البريطانى ، فاشتد سخط الراى العام ..

عندئذ انبرى له المنفلوطى وهاجمه فى الصحف بمقالات نارية ، فغضب « دانلوب » المستشار الانجليزى لوزارة المعارف وقتئذ واراد فصله من وظيفته، ولكن سعدا لم يجبه الى طلبه، وظل محتفظا به .
ولما عين سعد وزيرا للحقانية « العدل » فى عام ١٩١٠ نقله معه وظل بها حتى انتقل الى الجمعية التشريعية عندما انتخب سعد وكيلا لها حيث عمل سكرتيرا بها حتى نفى سعد الى مالطة فى مارس عام ١٩١٩ عقب مطالبته برفع الحماية عن مصر واعلان استقلالها، ومنذ ذلك التاريخ بدا المنفلوطى يكتب فى الصحف منددا بالسياسة البريطانية ومهاجما للاستعمار البريطانى ، ولذلك طالب الانجليز بفصله من وظيفته ففصل ، وبعد قليل اعيد للجمعية التشريعية ثانية بسعى من سعد زغلول وظل بها حتى اذا ما تولى سعد رئاسة الوزارة وافتتح البرلمان ، عينه رئيسا لاحدى فرق السكرتارية بمجلس الشيوخ ، وظل يعمل هناك حتى توفى عام ١٩٢٤ بالقاهرة عن ثمانية واربعين عاما .

ومن عجائب الاقدار ان المنفلوطي ـ الذي تفاني في الاخلاص لسعد طول حياته ، فغمره سعد بحبه وتقديره ـ ينتقل الى رحمةمولاه في ذلك اليوم الذي اعتدى فيه شاب احمق باطلاق الرصاص على زعيم مصر يومئذ، عندما كان يتاهب لركوب قطار السكة الحديد من محطة القاهرة في طريقه الى الاسكندرية ليتقدم بالتهنئة بعيد الاضحى للملك فؤاد .

ولما ابلغ النبا للملك أمر بالغاء التشريفات في ذلك العيد . وكان يوما عصيبا، شغل فيه الناس بسعدوبحياة سعد وكانهم من هول الحادث في هول يوم القيامة ، والى ذلك يشير شوقي في مطلع مرثيته للمنفلوطي ...

● مؤلفاته :

كانت مؤلفات المنفلوطي هادفة تجمع بين جمال الاسلوب وسمو الفكر، واليك ـ منها :

ـ النظرات : وفيها أودع الكثير من نظراته في الحياة كما رمى الى اصلاح المجتمع وتهذيب النفوس وغرس الفضائل ..

ـ العبرات: وهي قصص عن الاشقياء والبائسين ، البعض منها موضوع والبعض مترجم ، وفيها يصور ما يخالج نفسه من اهداف اجتماعية وانسانية .

ـ وللمنفلوطي روايات طويلةمترجمة عن الفرنسية ترجمها بعض اصدقائه ترجمة حرفية للمحافظة على الاصل بدقة ثم قام المنفلوطي بصياغتها وتهذيب عباراتها مع المحافظة على روح الاصل والتقيد به .

ومن تلك الروايات :

ـ الفضيلة : وهي تمجيد للحياة بين احضان الطبيعة بعيدا عن زخارف المدنية ، وقد جرت احداثها في احدى الجزر الافريقية بالمحيط الهندي قرب مالاجاش « مدغشقر » .

ـ الشاعر : وهي قصة شاعر قبيح الوجه ، كبير الأنف ، أحب ابنةعمه المتعلمة الذكية ، دون ان تعلم بحبه ولكنها احبت فارسا نبيلا غبيا استعان « بشاعرنا » في صوغ عبارات الحب لها واخيرا قتل ذلك الفارس فدخلت الفتاة الدير حزنا عليه ..

ـ ماجدولين : قصة فتى فقير أحب الفتاة ماجدولين ولكن أهلها عارضوا في ذلك لفقره ، وفي نفس الوقت اراد اهل الفتى تزويجه بفتاة غنية ولكنه رفضها ومضى يعمل كمعلم موسيقى . وحدث أن مات عم غني له بعد أن اوصى له بثروته فذهب ليخطب ماجدولين فوجدها قد غادرت القرية وتزوجت شابا غنيا ، فانصرف الفتى الى الموسيقى ونبغ فيها واشتهر واغتنى بينما افلس زوج ماجدولين وانتحر ثم انتحرت هي بدورها !

اما ((مختارات المنفلوطي)) فهي مختارات جمعها وجعل اساس اختيارها : جمال الاسلوب اولا وجمال المعنى ثانيا .

والمختارات قسمان : الاول تناول ما قيل في الشعر والنثر في وصف البيان والفصاحة والثاني عالج الادب والحكمة وما يتصل بهما من فضائل نفسية واجتماعية .

وبعد .. فانه وعلى الرغم من مرور اكثر من نصف قرن على مؤلفات المنفلوطي ومترجماته فلا تزال عند قرائها حافظة جدتها ، باقية على روائها . ●



جوته عاشقاً شاباً وشيخاً

● د . سليم الاسيوطى ●

ورثت من والدي قامته
ومن حياته ، رصانته
وورثت من والدتي فرحها
وحب قراءة القصص !

هكذا قال وكتب عن نفسه شاعر ألمانيا العظيم « جوته ». ولقد تلقى جوته دروسة الأولى على يد والده ، ثم أخذ يتلقى الدروس من أساتذة قادرين ، في بيت الاسرة ، ومنها اللغات الفرنسية والانجليزية والايطالية واليونانية . وفي السابعة عشرة من عمره دخل جامعة لايبزج في عام ١٧٦٥ نزولا عن رغبة أبيه ليدرس فيها الحقوق ، غير أنه أبدى اهتماما كبيرا ، بالآداب والرسم بعد وقت قصير . ثم استأنف دراسة الحقوق بجامعة ستراسبورج ، وكان اذ ذاك قد بلغ الواحدة والعشرين من عمره .

وتعرف جوته بـ / ليلى شونمان الجميلة ، ابنة أحد أصحاب البنوك ، وخطبها للزواج منها ، ولكن هذا الحب لم يدم طويلا لأن جوته لم يكن يميل الى الحياة الاجتماعية الصاخبة التي يحتمها هذا الزواج من « ليلى » ، فآثر الرحيل عن ديارها واصطحب معه في رحلة النسيان الى منطقة الراين ، الأخوين شتولبيرج عسى أن يسلاها ، ثم عاد الى فرانكفورت وقضى فيها فترة من عذاب عاطفى أليم ، وفسخ الخطبة من « ليلى » ، ولكنه لم يكن لينساها وظل قلبه يخفق بحبها .

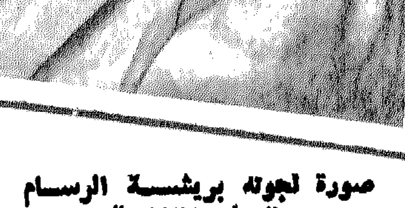
ولما كان جوته قد تخرج فى الجامعة وحصل على درجة الدكتوراه فقد استطاع والده أن يهيء له منصبا فى مجلس الامبراطورية فى مدينة وتزلار ، حيث التقى بشابين معجبين بشعره مفتونين بشخصيته وبما يتحلى به من حميد الخصال ، وكان أحد هذين الشابين يدعى « جيروزاليم » والثانى « كيستنر » من موظفي مفوضية هاندوفر راح الفرسان الثلاثة يلبون نداء الشباب فهرعوا الى الحفلات الساهرة وحلبات الرقص التى يتقاطر اليها ذوو الثراء والجاه والسلطان .

وفى سهرة من تلك السهرات المتلألئة بالأنوار التقى جوته بـ « شارلوت





تمثال نصفي لجوته من النحات شادوف « عام ١٨٢٢ »



صورة لجوته بريشة الرسام سيبرس « عام ١٨٢٦ »

بوف » خطيبة صديقه « كيستنر » الذي كثيرا ما تحدث عنها الى صديقه جوته .

وكان هذا اللقاء بداية فجر جديد في قصة حب كبير بين شارلوت وجوته .

تطورت علاقة جوته بشارلوت ، فأصبحت تشغل كل تفكيره ، وأفلت زمام عواطفه من بين يديه ، لخر صريع هواها ، وزايلته حصانته ، لطبع على جبينها المشرق الوضاء ، وهي غافلة ، وعلى غير توقع منها أو انتظار ، قبلة مشبوبة لم تكن لتدور بخلدها !

وأفضت شارلوت بهذا الحدث الى خطيبها ، ولما كانت ثقة هذا بخطيبته فوق مستوى الشبهات فقد طبع بدوره قبلة على جبينها أكثر حرارة ، وطيب خاطرها ، وترك لها الأمر تعالجه بما عهده فيها من الكياسة وحسن العقل والروية كي ترد صديقه الى جادة الصواب فتوفر الحفاظ على رباط الصداقة وتنقذهم جميعا من سوء القالة .

وفي الوقت نفسه رأى جوته أن من الحكمة والعقل ، وبعد النظر ، أن يرحل عن « وتزلار » حتى لا يعكر على صديقه وخطيبته صفو الحياة ، ولا ينشر في صفائهما السحب والغيوم أو يثير لهما المتاعب والهموم .

رحل جوته الى «كوبلنز » ومنها سافر الى «ايمس»حيث نزل ضيفا على المستشار « لاروش » وزوجه ، وفي بيت مضيفه ولأول وهلة ، استرعى انتباهه جمال « مكسيميلينا » الباهر العبقري ، ابنة مضيفه .

على أن مكث جوته في «ايمس» لم يمتد طويلا فقد غادرها بعد فترة الى فرانكفورت حيث يوجد بيت ابيه . من هناك راح يراجع النظر فيما دونه في الأيام السالفة من مذكرات وذكريات وما مر به من تجارب وخبرات ، وما وقع عليه بصره من مناظر ومشاهدات ، عسى أن يخرج منها بهيكل أول قصة يطلع بها على الناس ..

ثم تلقى رسالة من صديقه «كيستنر» ينهى اليه فيها نبأ انتحار صديقهما « جيروزاليم » ، ذلك الشاب الشاعر ، الهادىء ، الوديع ، الحالم . وتقفز فجأة الى ذهن جوته فكرة موضوع قصته ، يجعل بطلها الشاعر ينتحر في نهايتها فيكتب الى «كيستنر» ليروى له بالتفصيل

غرام الشعراء ..

جوته عاشقاً شاباً وشيخاً

كيف انتحر هذا المسكين • ويحقق له صديقه أمنيته ، ولكن جوته لا يقنع الا بالسفر الى وتزلار ليرى بعيني رأسه الحجرة التى انتحر فيها « جيروزاليم ».

وكان « كيستنر » و « شارلوت » يتأهبان لعقد قرانهما فشهد الحفل وقدم لهما هدية ثمينة • وسافر العروسان الى هانوفر ، وعاد هو الى فرانكفورت حيث شرع فى كتابة « آلام فيرتر » • ولم ينس أن يكتب لهما من محرابه بين الفينة والفينة • واستعار الكاتب لنفسه اسم « فيرتر » الذى اختاره لبطلها ، كما استعار لصديقه «كيستنر» اسم«ألبير» أما « شارلوت » فقد أصر على أن يذكرها صراحة •

ولدى ظهور الطبعة الأولى بعث باول نسخة منها ، ومعها عبارة اهداء رقيقة صغيرة المبنى كبيرة المعنى ، تنص على انه « طبع عليها مائة قبلة » فما كاد يقرؤها صديقه حتى طار طائره ، وثار بركانه وكتب اليه ، متهما اياه بانه ارتكب جرما شنيعا ، اساء به الى سمعته وسمعة زوجه شارلوت وشوه من سيرتهما معا بما ذكره بين سطور قصته من وقائع واحداث خلط فيها بين الحقيقة والخيال فساءت العلاقة بين الخليلين • وانشغل كل منهما عن الآخر بمشاغل الحياة ومتاعبها •

وذات يوم جاءته الانباء بأن « مكسيمليينا دى لاروش » قد تزوجت هى الأخرى من بقال ثرى ، وانتقلت الى بيته وهو ليس ببعيد عنه ، وكان يدعى « برنتانو » •

نعم ، كانت « مكسيلمينا » مازالت تقيم على حب جوته ، وترى فى زوجها غير ما كانت تحلم به وترجوه وتطمع فيه ،ومع ذلك فقد رأت أن الوفاء للحياة الزوجية يحتم عليها أن تقطع على هذا العاشق الولهان خط الرجعة ، فردته عن بيتها فى رفق ، متوسلة اليه أن يكف عن زيارتها خشية الفضيحة والعار •

اعتلت صحة جوته فغادرها الى كارلسباد للاستشفاء فيها ولكنه ما لبث أن غادرها الى ايطاليا دون أن يفضى بنبأ سفره الى أحد ،فاستاء عارفوه والمحيطون به ، ولكنه كان يعرف أن حياته تمر فى أزمة شديدة ، وأن سفره الى ايطاليا كان محاولة جريئة لكى يثوب الى رشده كشاعر •

غادر جوته ايطاليا«روما » ـ بعد أن ظفر فيها بقسط وافر من السعادة فى حياته ، الى « فيمار » ، حيث تزوج من « كريستيانه فولبيوس » ، وكانت فتاة عادية من بنات عامة الشعب ، وبعدت بهذا الزواج الشقة بينه وبين مجتمعه السابق أكثر من الماضى وافتقدته زمرة الأصدقاء القدامى •

ظل جوته بعد هذا الزواج يعيش فى مركزه المرموق فى الدولة ، فهو المستشار والوزير ، وفى اسرته بين زوجه وما انجب من ولد حتى تقدمت به السن وخط المشيب شعره • وصار من عادته فى هذه السن المتقدمة ـ فقد ولد عام١٧٤٩ ـ أن يشخص الى كارلسباد فى كل عام ولكنه فى عام ١٨٢١ عدل عنها وقصد الى « مارينباد » ، يسعى الى الاجتماع بالناس ومخالطتهم ، ينشد حسن الصحبة وسعادة الايناس بعد فترات الهدوء والعزلة ، والمطالعة والدرس •

كان قد ورد الى مارينباد صبية حسناء فى السابعة من عمرها ، بصحبة جدتها وأمها وشقيقتين لها ، وكان تدعى : « أولريكة فون لوتسو » • واقتنت الاسرة لها دارا أنيقة صغيرة تسكنها وتفيد منها فى زيادة مواردها ، فجعلت منها نزلا للقادمين الى « مارينباد » • فلا غرابة أن رحبت الأسرة بضيافة جوته عندها فهو المستشار الخاص لصاحب السمو الملكى أمير ساكس ووزيره • بالاضافة الى أن اقامة جوته عندهم تضفى على الاسرة شرفا عظيما وعلى الدار شهرة بعيدة •

طاب العيش لجوته فى كنف « آل لوتسو » وحيث يرى « أولريكة » التى جمعت فضائل الحسن والجمال ، وكان جوته كثيرا ما يدعو الاسرة للنزهة فى مركبته فتلبى الدعوة الى « العين »

الكبريتية حيث يحتشد كرام القوم في أبهى زينة وأفخر ثياب ، وتبقى الاسرة مع جوته حتى يحين وقت العودة ، فيعود بهن الى الدار وهو لا يمل مجاذبتهن أطراف الحديث طوال الطريق ، وآن كان يخص معبودته بالقسط الاوفر من الاهتمام والكلام .

كان هو و « أولريكة » لا يدعان سانحة تفلت من أيديهما دون أن يظهر كل منهما للآخر التلطف والتودد والمجاملة . أهدت اليه ذات يوم آنية للزينة « فازة » فلم يفتها أن تلفها في اكليل من الزهر واللباب ، رمزا للرابطة التى تؤلف بين قلبيهما . كما كان هو بدوره يحرص على هذا التقليد الجميل فكان يدس في كل ما يقدمه لها من كتب أو مجلات قطع الشكولاته وكل ما تتذوقه من حلوى .

وبعد هذا كله وضح لجوته أن كل ما يشغل قلبه ويملأ عقله خاصا « بأولريكة » ليس هو العاطفة الابوية فحسب ، ولكنه أقوى وأشد ، انه لواعج الهوى وتباريح الغرام ،دهمته في خريف العمر وأرذله بعد أن غدا في الحلقة الثامنة من عمره.ولكن لم لا يحب ويعشق وينعم في هذه السن المتقدمة ؟ انه قوى ممتلىء الجسم ، فارع القوام ، منتصب القامة كالرمح أو أكثر اعتدالا ، زيادة على القلب المحب ، المدنف الذى لا يشيخ انه صريع هوى « أولريكه » فلماذا لا يتزوجها ؟ وقد فقد الزوجة من زمن.

كان جوته في هذه الاثناء يعايش في « ويمار » ، بنيه وزوجة ابنه وأحفاده ، ولكنها كانت عيشة صاخبة مضطربة ، تعصف فيها الأنواء بين الزوجين الشابين من جانب ويكثر فيها الشجار والعراك بين الاحفاد من جانب آخر . ولكن هنا في وتزلار ومع « آل لوتسو » وبجوار حبيبة قلبه « أولريكه » سوف ينعم بالراحة والهدوء والحب ، نعم ان هذا الزواج سوف يكون مثار قيل وقال تلوكه الألسنة في كل مكان ، لما فيه من فوارق ومفارقات ولكنها أسباب لا يؤمن بها الفيلسوف ولا يقرها الشاعر

فكر جوته في خير وسيلة يتوسل بها لتحقيق رغائبه وهداه ذكاؤه الى خير حل لماذا لا يوسط أميره لهذه الغاية ؟وتفضل الامير بمفاتحة مدام لوتسو ــ والدة أولريكه ــ في الامر في أغسطس من عام ١٨٢٣ .

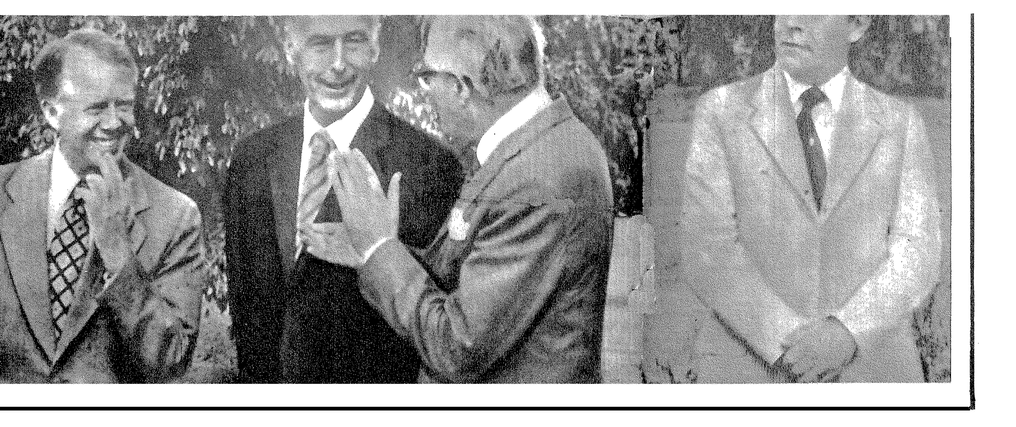
ولكن حين جد الجد وفوتحت « أولريكة » صراحة في الامر ، أفاقت وثابت الى رشدها فأجابت في لطف ورقة وتأدب بأنها لا تروم الزواج ولا تعتزم الاقدام عليه ، فهى تحب الشاعر الكبير الحانى العطوف ،حب الابنة البارة للاب الشفيق ، بجانب انه ذو اسرة وولد وأحفاد ، ولئن كان وحيدا ، يشكو الوحدة والشيخوخة لما ترددت لحظة في قبوله زوجا تقوم على رعايته والعناية به في شيخوخته .

أما الأم ــ أمها ــ فقد آثرت ألا تحسم الأمر في صراحة واضحة فطلبت اعطاء الفتاة الغريرة فرصة تراجع فيها نفسها فيما عساها أن تتخذ من قرار نهائى .

شارف الموسم على نهايته ، وحانت ساعة الفراق والوداع ولكن جوته الذى يعانى تباريح الهوى ، لم يتوافر لديه من القوة والعزم ،ما يمكنه من الانفصال عن الفتاة ، والصبر على حبها.فما كان منه الا أن بقى بجانبها ثمانية أيام ،ولكن **حين وضح له كل الوضوح أنه لابد من رحيله ، قطع الرجاء وفقد الأمل ، فحزم أمره وحقائبه وعاد الى « فيمار » . وفي طريق العودة ثارت به عواطفه ، فكان لابد له من متنفس يخفف به من غلواء غرامه ، فنظم وهو في مركبته « مرثية مارينباد » التى تزخر بالحب والاخلاص وتفيض بالحسرة والوجيعة ، ولكنها تحفل بالذكريات العطرة استهلها بهذه الكلمات :**

في شمس نظراتها الساطعة
وفي جو أنفاسها الذكية
تذوب في الشتاء بعد تجمدها
ثلوج الشيخوخة من وحدتها !

الشخصية و التقدم



● منى مؤنس ●

● هناك ظاهرة تتجلى امام اعيننا اكثر فاكثر بمرور الايام ، وهى ظاهرة تقارب شعوب العالم بعضها من بعض ، لدرجة ان هذه الشعوب جميعا بدات تتجه الى التشابه الكامل الذى سوف يشمل العالم كله . وذلك فى الفكر والغايات وطريقة الحياة ..

والخطر فى ذلك هو ان الدول المتقدمة سوف تقضى على دول العالم الثالث من الناحية الحضارية . ويرجع ذلك الى قيادتها للعالم بسبب قوتها العسكرية وتقدمها فى العلوم والتكنولوجيا . وبهذا تمثل أمامنا القوة وتثير فينا الاعجاب ، ونتبارى فى تقليدها معتقدين اننا اذا قلدناهم سنصبح مثلهم ولكن هذا التقليد الاعمى قد ينتهى بفقداننا شخصيتنا المصرية وذلك قد يحدث بدون أن نشعر ، اذ ان لدول الغرب الفضل فى انها ادخلت فى بلادنا التقدم والتكنولوجيا وهو ما كنا فى اشد الحاجة اليه حتى ننضم الى قافلة التقدم العالمى ، ولكن فى نفس الوقت ادخلت علينا طباعها وأفكارها وأساليبها . ونحن وبدون ان ندرك الامر ، نتاثر بهم ونقلدهم الى درجة ان هناك من أصبح يعتبر أن من يتمسك بتقاليد شعبنا وسلوكه يعتبر « رجعيا » وعقبة فى سبيل التقدم .

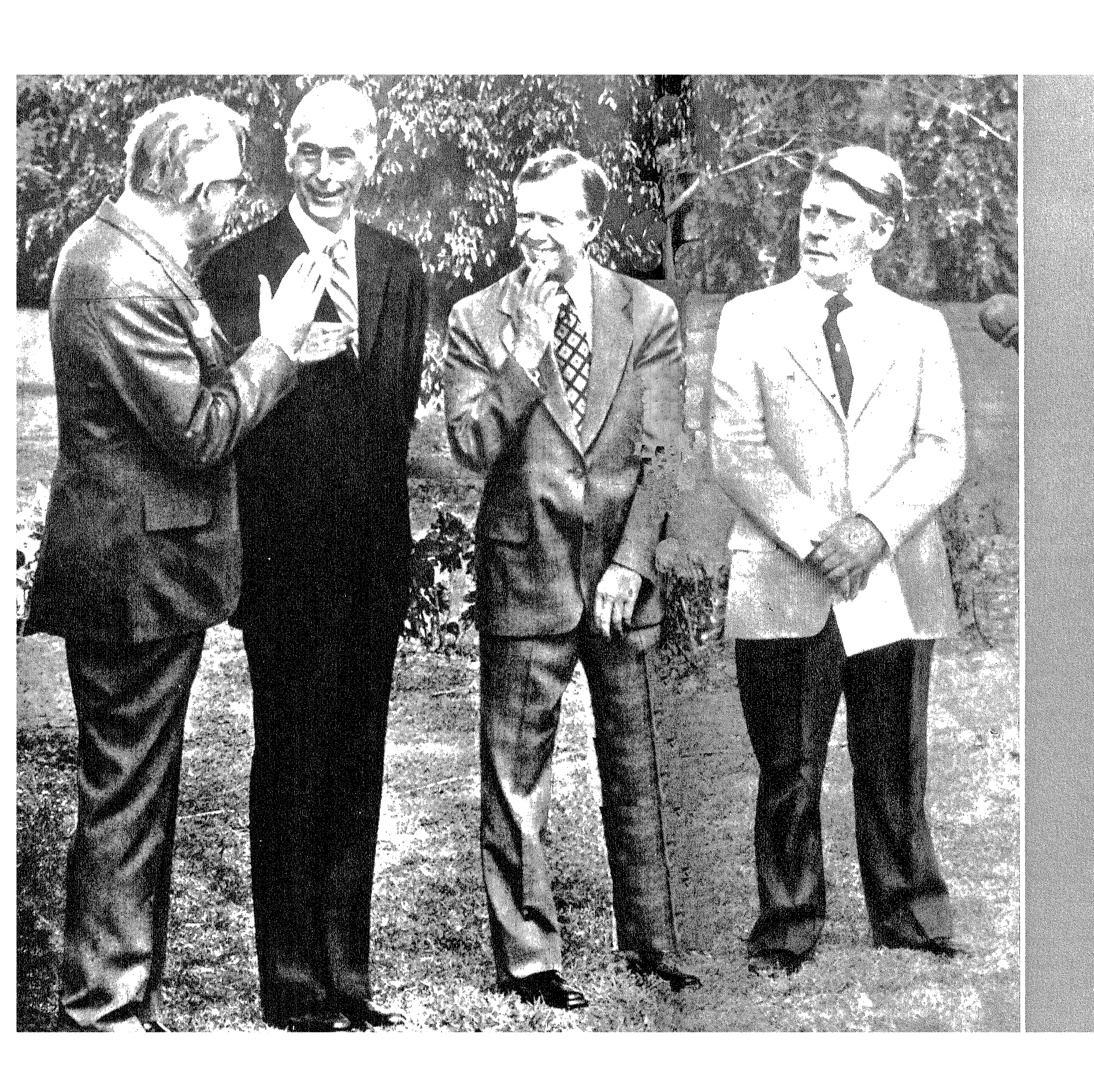
وهذا خطأ .. وهو خطأ لاننا يجب علينا ان ندخل التكنولوجيا ، وان نتقبل العلوم الحديثة ، وان نحاول تطويرها عندنا . **ولكن وفى نفس الوقت يجب ان نتمسك بتقاليدنا وبسلوكنا وبتراثنا وبديننا ونعتز بها ، اى انه يجب علينا ان نفخر بمصريتنا حتى يكون لنا دائما شخصيتنا الذاتية المميزة التى ما زالت حتى الآن والحمد لله تؤخذ فى الاعتبار وتحترم لدى كل شعوب العالم .. يجب اذن ان نتقبل كل ما يقدمونه لنا من فكر واساليب التقدم ونعمل به فى مجال العمل ، وهذا مهم جدا ، ولكن فى نفس الوقت يجب علينا الا نضحى بشخصيتنا المصرية ..**

ان ما حدث فى العالم من تقارب الشعوب بعضها من البعض ناتج اساسا عن أننا جميعا نعانى من نفس المشاكل ، ومنها مثلا ازدياد السكان ونقص المواد الخام . وبسبب هذه المشاكل العامة نتج التقدم فى العلم والتكنولوجيا الذى قفز قفزات مدهشة للتغلب على هذه المشاكل وذلك لتحسين ظروف البشر والعالم . وحدث فى نفس الوقت التقدم فى وسائل الاتصال . وبمرور الزمن نلاحظ فى يومنا هذا أن المسافات فى الدنيا اصبحت قصيرة ، فما اسهل الانتقال من مكان الى مكان .

وكذلك نلاحظ أن سلوك الناس وتعاملهم بعضهم مع بعض فى العالم اصبح يتشابه ، وذلك بسبب ما نراه فى الافلام وما نسمعه فى الاذاعات وما نقرؤه فى المجلات والصحف . وكل هذا يشجع الناس على أن يقلدوا ما يرونه وما يسمعونه بقصد او بغير قصد . ومن هنا يدخل الخطر .. والعكس هو الذى ينبغى أن يحدث ، فانه اذا كان من الواجب علينا ان ندخل التقدم فانه لابد لنا من أن نتمسك بما عندنا ، وأن نحتفظ بشخصيتنا كشعب اصيل له تقاليده وتراثه وتاريخه ولغته ودينه ، فكلها مميزات يجب ان نتمسك بها ، اذ انها سمات شعبنا ، وان فقدناها عن طريق التقليد الذى لا يليق بنا ، سوف نكسب التقدم ، نعم ، ولكننا سوف نفقد مصريتنا . فهذا التقليد الاعمى لسلوك الغرب قد يؤيد ويحقق بمرور الزمن ما تحدث عنه الكاتب الانجليزى الدوس هو كسلى فى روايته « عالم جديد باسل » التى نشرها فى عام ١٩٣٢ . ذلك ان هوكسلى تصور فى روايته هذه عالمنا فى المستقبل ويقول :

ـ ان العالم سوف يقسم الى خمس قارات يحكم كل قارة منها رجل واحد ، وعلى رأس الرجال الخمسة طاغية واحد !.

ـ وان الحكم سيكون اذن حكم الرجل الواحد ، لان قيادة العالم فى هذه الحالة تكون اسهل . وحتى يتحقق له النجاح فى الحكم يجب ان يوجه الفكر البشرى وجهة واحدة حتى يستطيع قيادتهم . وحتى يتحقق ذلك يجب ان تغسل عقول البشر بصفة مستمرة وذلك عن طريق اجبار جميع سكان العالم على ان يستمعوا الى نفس المحطة الاذاعية



صورة تضم كلا من هيلموت شميت ، المستشار الالماني - جيمي كارتر ، الرئيس الامريكي - جيسكار ديستان ، رئيس الجمهورية الفرنسية - جيمس كالاهان رئيس الوزراء البريطاني السابق .

والناظر الى هؤلاء يخيل اليه انه بالرغم من وحدة الملابس والمستوى الحضاري ستظل السمات القومية المميزة لكل شعب من شعوبهم ظاهرة في اسلوب لبسهم .

(وليس هناك الا محطة واحدة فقط !) وذلك بصفة مستمرة . وهكذا يضمن فى نفس الوقت ابعادهم عن التفكير ..

— ولكى يقف عدد سكان العالم عند رقم واحد لا يزيد ولا ينقص ، وحتى يتاكد من ان البشر سينقسمون الى نوعيات معينة فسوف يصنعون الاطفال فى انابيب ،ويربونهم بعد ذلك فى مصانع مخصصة لتربيتهم. وفى هذه ((المصانع)) سوف يتعلم الاطفال قليلا جدا من العلوم ،وهذا القليل يقتصر على الفروع التى سيعملون فيها عندما يصبحون رجالا او نساء . ويوقف اذن التعليم عند حد لا يتعداه وتلغى العواطف ،لأن التعليم والعواطف يمثلان خطرا على سلام العالم وعلى حكم الرجل الواحد.

— ويصف هوكسلى رجلا واحدا حدث خطأ فى صنعه فى الانابيب ونشأ بمشاعر وافكار تميزه من بين سكان العالم ، اذ كان يميل الى التفكير والتخيل والشعر . فاعتبره طاغية العالم خطرا على حكمه فعزله عن الجميع وارغمه بذلك على الانتحار !.

***

وهذه اذن باختصار الصورة التى تصورها هوكسلى قبل اربعين عاما للعالم الذى نعيش فيه . ونحن الان دخلنا فى الثمانينات واذا نظرنا حولنا وجدنا اننا نسير بالفعل فى الطريق الذى يؤدى الى تحقيق الرؤية التشاؤمية التى رسمها هوكسلى . فكما قلنا فان مشاكل العالم أصبحت واحدة واغراض شعوب العالم اصبحت تقريبا واحدة ، وان المسافات قصرت وان سلوك البشر وطريقة تفكيرهم تتقارب .

انني لذلك اتمنى ان نعتز اكثر وان نفخر صراحة ، وان نؤيد كل ما هو شرقى ومصرى فينا حتى نكون دائما مميزين عن الآخرين فى نفس الوقت الذى نتقبل العلوم والتكنولوجيا بمناهجهما العقلية العلمية ، فمن المهم الا يقضى هذا التقدم على شخصية مصر واعتزاز المصرى بكل ما هو مصرى حتى لا يحدث التغيير بدون ان نشعر ونندم بعد فوات الاوان .

ان هناك شيئا يطمئن الى حد كبير وهو أن شعوب الغرب ، رغم تقاربها فى الفكر وتضامنها فى الغاية عن طريق التقدم العلمى والتكنولوجى ما زالت تتمسك بسماتها الشعبية وبسلوكها الخاص بكل منها ، وتفخر بها .. انظر مثلا الى الصورة المجاورة لهذا الكلام :

فلاول وهلة يخيل اليك انهم مجرد اربعة رجال يقفون فى دفء الشمس . ولكن اذا دققنا النظر فى الصورة سنعرف انهم جيمس كالاهان ، رئيس الوزراء البريطانى السابق — وجيسكار ديستان ، رئيس الجمهورية الفرنسية، — وجيمى كارتر الرئيس الامريكى ، واخيرا هيلموت شميت المستشار الالمانى ..

فانك عند تدقيق النظر ستلاحظ انهم رغم لبسهم لبذلات من النوع الغربى العادى ، فان كلا منهم اختار بذلته وطريقة لبسها باسلوب يبين الكثير من سمات شعبه . فكالاهان مثلا يرتدى بذلته من لون رمادى داكن، وفى جيب السترة وضع المنديل الابيض التقليدى حتى يكون لبسه لائقا

للمناسبة ، وهو بذلك يصور حرصه المتوارث على المحافظة على التقليدية الانجليزية ، اذ انه من المعروف أن الشعب الانجليزى فى ماضيه كلهيتمسك بكل ما هو تقليدى .

وان نظرنا الى جيسكار سنجده يرتدى بذلة مناسبة ولكن هنا ايضا تظهر السمة الفرنسية العريقة وهى الاناقة . فانظر الى لون البذلة والى رباط الرقبة المتمشى معها ، والى وقفة ديستان نفسه والى خط البذلة ، فهو عبارة عن تجسيد الاناقة فى الملبس ، وهذه الاناقة سمة معروفة يتميز بها الشعب الفرنسى عبر تاريخه وما زال يحتفظ بها حتى الان فهو غيور عليها.

فاذا دققت النظر فى هيئة الرئيس كارتر ستجد هنا ايضا السمةالاساسية فى الشعب الامريكى ، فهو من ناحية تقليده كشعب فهو شعب مختلط الاصول لانه تكون من انواع بشرية من بلاد شتى ثم حدث نوع من التحام السلوك والتفكير والاذواق المختلفة تعيش جنبا الى جنب ، فالولاياتالمتحدة الامريكية حديثة العمر ولم تستطع ان تنشىء تقليدا وسلوكا امريكيا يوحدها، وهذا ـ وستوافقنى على ذلك ـ يتجلى بصورة واضحة فى لبس رئيس دولتهم ، فانظر الى البذلة ذات اللون الفاتح والرسم المخطط ، ثم الى رباط الرقبة ذى المربعات ، ثم الحذاء الذى لا يتفق لونه اطلاقا مع باقى ما يرتديه .. فهنا اذن نجد السمة الامريكية المميزة وهى اختلاط الاصول مجسدة فى رئيس دولتهم .

واخيرا انظر الى الرجل الالمانى : الوان ما يرتديه ملائمة من ناحية اللون ، والبذلة فى حد ذاتها ملائمة للمناسبة ، ولكن انظر الى مقياس السترة فهو عريض عليه ، والى طول البنطلون فهو اطول من مقياس ساقيه، وهنا تتبلور السمة الالمانية التى عرف بها الشعب الالمانى عبر تاريخه وهى الروح العملية . فالالمانى يحب العمل ذا النتيجة المثمرة ، والمستشار الالمانى كما تراه فى الصورة يجسد ذلك . فهو يظهر بصورة لائقة للمناسبة ولكنه اهمل المظاهر ؛ فهو يكرس حياته للعمل فقط ويهتم بالمضمون اكثر من اهتمامه بالمظهر .

وهذه الصورة كما قلت مطمئنة الى حد كبير ، اذ انها تقول انه رغم توحد الفكر ورغمالتقدمفى العلوم والتكنولوجيا ستظل السمات المميزة لكل شعب موجودة . ولكن يجب الا ننسى أن هؤلاء الناس يتمسكون بتقاليدهم وبتاريخهم وبتراثهم وبعاداتهم وبدينهم ، ويحبونها ويفخرون بها ، ولذلك احتضنوا التقدم رغم انهم كشعوب لم يفقدوا شخصيتهم .. وهذا من ضمن الاشياء التى تجعلنا نحترمهم لانهم احترموا انفسهم .. **وذلك هو ما نتمنى ان يحدث عندنا ، وهو ان نتقبل اساليب العلم الجديدة حتى نحقق الرخاء ، ولكن نتمسك فى نفس الوقت بكل ما هو مصرى فينا حتى لا نفقد سماتنا المصرية ونصبح مقلدين بدون شخصية ، فاذا تمسكنا بها فسوف نحترم اكثر لان الانسان ما دام متمسكا بشخصيته مقتنعا بها ، راضيا عنها ـ فقد اطمان على مصيره وكيانه ..**

الأميرة تعود من الزفاف بطفل !

● سعد رضوان ●

والأميرة هي جويدان زوجة الخديو عباس حلمي الثاني الذى حكم مصر من سنة ١٨٩٢ حتى خلعه الانجليز عن العرش سنة ١٩١٤ وهو يقضى الصيف فى العاصمة التركية ، فسافر الى سويسرا حيث عاش بقية حياته ..

وكانت الاميرة اديبة وقارئة هاوية، والخديو يكره منها ذلك ،ويعتبر القراءة مضيعة للوقت .. وهى تقول فى مذكراتها التى كتبتها عن حياتها معه انه شاهدها مرة تقرأ فى كتاب فقال لها :

ـ ما هذا الحيوان ؟!

وتحكى جويدان فى مذكراتها تلك ، انها قد دعيت لحضور أحد الأفراح المصرية . وكانت تعرف العروس التى لم يكن سنها يزيد على الثالثة عشرة ، وبنت أحد الباشوات الاغنياء .

وكانت العروس الطفلة مريضة بالالتهاب الرئوى ، ولكنهم قالوا ان الطبيب قرر انه لا خطر عليها من الزواج ..

اما العريس فكان فى الثامنة عشرة من عمره ، وكان رفيقا لعروسه فى طفولتهما ، يلعبان معا ، ويمرحان معا، فلما قرر اهلها أنها كبرت ، ويجب ان تحجز فى البيت ، وتمنع عن اللعب مع الاولاد ، أحس الولد بالفراغ وطلب من أمه « وداد هانم » ان تخطبها له ففعلت ..

ولم يفكر أحد فى رد طلب الأم ، فالعريس فى نفس مستوى العروس ، وغنى مثلها ، ولديه من الأراضى التى يملكها ما يمكنه من العيش وعروسه فى رخاء ..

وفى ليلة الفرح ، بدأت الاميرة جويدان ترتدى الملابس التى أعدتها للمناسبة ، وقامت وصيفاتها بتزيينها ثم لبست « الهرطوس » او ما نسميه الآن « بالطرطور » ، وهو ما كانت السيدات تغطين به رءوسهن فى ذلك الوقت .. وثبتت « اليشمك » ــ وهو غطاء شفاف للوجه فى الهرطوس .. وركبت العربة الملكية التى تجرها الخيل قاصدة الحفل ..

وعند وصول العربة تدفقت الأنوار التى تضىء خارج بيت العروس الى داخل العربة .. وصدحت فرقة موسيقى بالالحان الصاخبة التى تصدح بها عند وصول أى ضيف كنوع من التحية ، وكتنبيه لاهل الدار ليخرجوا مسرعين لاستقبال الضيف .. وتمهلت



عربة الاميرة فى سيرها حتى نحـــرت الذبائح أمامها اكراما للاميرة ..

ثم وصلت العربة الى باب الحريم ووقفت .

وكانت الدور فى ذلك الوقت مقسمة الى قسمين، قسم يسمى«السلاملك» وقسم يسمى « الحرملك » .. ولكل قسم باب يؤدى اليه ، فاذا دخلت من باب الرجال ، أى « السلاملك » وجدت نفسك فى صـــالة واسـعة على جانبها عدد كبير من الحجرات تستعمل كصالونات للاستقبال . وحجـــرات للضيوف الاغراب الذين قد يستدعى الحال مبيتهم بالدار ..

وفى الصالة يوجـــد سلم يؤدى الى الطابق العلوى حيث « الحرملك »الذى به حجرات نوم الاسرة وسكن السيدات وعدة صـالونات لاستقبال السيدات وايواء الضيفات .. وامـام الحجرات ممر متسع دائرى به شرفات تطل على الصالة التى بالسلاملك وهى شرفـات مصنوعة من الخشب المشغول والزجاج الملون ..

***

واستقبـل الأميرة عـدد كبـير من النساء المدعوات والجـــوارى اللاتى نزعن عنها نقابها ومعطفها ، وقدمن لها مرآة مرصعة بالجواهر لتتفقد فيهـــا زينتها ..

وعلى راس سلم الحريم وقفت أم العروس وأم العريس وخلفهما عدد من السيدات والآنسات اقبلن على صاحبة السمو يقبلن ثوبها كالعادة المتبعـــة وصعدت جويدان بين مظاهر الترحيب والتحيات المتتالية المزعجة الى صالون واسع اعد فيه مقعد كبـــير مغطى بالكشمير خصـص للاميرة ، فى حين جلست باقى السيدات على وسائد من الحرير .

وحضرت القهوة تحملها « قهوجى كلفا » ، أى المكلفة بالقهوة ، عـــلى صينية من الفضة مستديرة ، وجعـلت تصبها فى فناجين اطباقها وأظرفهـــا

مرصعة ، ثم تقوم خادم مساعدة لها بحمل الفنجان الى السيدة وتقدمه لها فى احترام مبالغ ، وهى منكسة الرأس .

ونظرت الهوانم الى الاميرة لتكون هى البادئة بشرب القهوة ، لان التقاليد تمنع أن يرشفن من فناجينهن قبل أن تعطى الاميرة اشارة البدء ، وتشرب من فنجانها الاول الذى سيتلوه فناجين اخرى كثيرة تدور على الجميع كلما حضرت ضيفة جديدة ..

ورفضت الاميرة ان يحضروا العروس اليها لتحيتها ، وقررت ان تذهب بنفسها لرؤيتها ، فهذا يوم العروس السعيد ..

وذهبت الى الصالون الذى تجلس به العروس التى قامت تمشى الى الاميرة ، فأسرعت الاميرة تحتضنها وتعيدها الى مقعدها .. وظهر على العروس انها تغالب الألم وتخفى البكاء خلف ابتساماتها التى توزعها على وفود النساء اللائى يمرون أمامها فتسلم كل واحدة منهن عليها وهى تختلس النظر الى ما تلبسه العروس من مجوهرات ، محاولة ان تقدر ثمنها حتى تستطيع فيما بعد ، بينها وبين نفسها وصديقاتها انتقاد شىء او اكتشاف عيب تتحدث عنه ! ..

وبعد هذه النظرة الفاحصة للعروس تدعو السيدة لها بأن يقيها الله شر العين والحسد وأن يمتعها بحياتها المقبلة .

***

وكانت العروس تلبس ثوبا من قماش الاطلس الموشى بالذهب ، وعلى راسها تاج مرصع بالجواهر ، يتدلى من تحته نقاب يغطى كل جسمها .. وفى هذا النقاب اربعة احجار كريمة عند الجبهة والذقن والخدين ، ويتدلى من التاج خيوط طويلة من الذهب ، وفى أذنى العروس قرطان من «البرلنت» ، وعلى صدرها وعنقها عقود مختلفة ، وبيديها اساور لاحصر لها ..

ثم قادوا الاميرة الى الحجرة المخصصة للهدايا المقدمة للعروسين ، وللدادة ، فالدادة هى مربية العروس وحاضنتها وراعيتها ، لذا كان لها نصيبها من الهدايا .. وطبعا كانت الهدايا غالية ونفيسة ، وقد وضعت على سرير الزفاف ، وهو سرير فاخر قوائمه مرصعة بالاحجار الكريمة ، ولايستعمل هذا السرير الا مرة واحدة فى ليلة العرس ، ثم يحفظ كتذكار جميل لتلك الليلة ! ..

وانتقل الجميع الى الشرفات والنوافذ التى تطل على السلاملك ، وجلست الاميرة وحولها سرب من الانسات والهوانم يتفرجن على بعض الالعاب الرياضية والبهلوانية التى تجرى فى الصالة وتدل على القوة والمرونة وسعة الحيلة ..

واعلنت ربة الدار عن زفة العروس ، فاسرعت السيدات الى حجرة الاستقبال ، ووقفن صفين ، وحملت الجوارى اليهن اكياس النقود الذهب التى ستلقى تحت اقدام العروس ..

وفتح باب الصالون ، وظهرت العروس واقفة عند بابه ، ثم سارت ببطء وامامها الدادة والجوارى يفسحن لها الطريق ، ويدعين لها بالوقاية من أعين الحاسدين .

والقيت النقود الذهب والزهور تحت اقدامها .. واخذت كل واحدة من السيدات تحاول خطف خيط من الخيوط الذهبية المتدلية من تاج العروس جلبا للحظ !. وطافت العروس بالحرملك ، وعادت لتجلس مكانها .

وجلس الجميع ، ووقفت من لم تجد لها مكانا .. واخذت الراقصات ترقصن شبه عاريات .. وكلما اقتربت الراقصة من احدى الزائرات ، تقوم الهانم بلصق قطع النقود الذهب فى وجهها ..

***

وأعد العشاء .. وبعد الطعام وشرب القهوة بدأت زفة العريس فاستأذنت





الخديو عباس حلمى الثانى

ام العروس من السيدات لاستقباله ليشكرهن على تشريفهن زفافه فوافقن واصلحن من زينتهن ، ووقفن ينتظرن العريس الذى ظهر عند الباب مبهوتا ، وانحنى محييا حتى كاد يقع على الارض ثم شكر للسيدات سماحهن له برؤية وجوههن سافرة .. وأخذ ينتقل من وجه الى وجه محدقا .. وامسكته امه من يده وقادته الى الاميرة فقدم لها القهوة بيد مرتعشة ، وانتظر فى أدب حتى شربتها ، ثم غادر الصالة محييا ..

وعادت السيدات من جديد الى الشرفات المطلة على « السلاملك » للاستمتاع بما يدور هناك من رقص وغناء ...

واغرب ما حدث للاميرة فى تلك الليلة ، هو ان زوجة لاحد الوزراء تقدمت اليها ، وسألتها ان تسمح لها بأن تقدم للاميرة هدية هى أعز ما عندها ..

وذهبت الهانم ، وعادت فى يدها طفل يبلغ من العمر خمس سنوات، هو ابنها ، وهى تقدمه هدية للاميرة .

ولاول مرة فى حياتها ، لم تعرف جويدان ما تفعل او تقول .. وكان الطفل يحفظ دوره تماما ، فقد تقدم وأخذ مكانه عند قدمى الاميرة .. ولكى تدارى الاميرة دهشتها ، فانها أخذت الطفل فضمته وغمرته بالقبلات ، ثم اجلسته بجوارها ، ورفعت راسها الى السيدة الام ، وابتسمت ابتسامة متكلفة ، ثم عانقتها ، وقد انعقد لسانها وخانها الكلام ..

ولكن من الذى قال ان الاطفال تدخل فى باب الهدايا ؟!

ماذا سيكون شعورها ازاء هذا الطفل الذى أهدى اليها لغرض فى نفس أمه وأبيه ! . ولم يكن هناك بد من أن تأخذ الطفل معها الى القصر

وطبعا ، امتنع الطفل عن الطعام والشراب ، واكثر من البكاء طالبا امه، فكانت فرصة اعادته فيها الاميرة الى امه محملا بهدايا ملكية !

قصيدة العودة..

بين امرئ القيس وتينيسون وناجي

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

● في الخامس والعشرين من مارس عام ١٩٥٣ توفي الشاعر الكبير د. ابراهيم ناجي، الشاعر الرومانسي الحالم، الذي عطر دنيانا بالحب والشجن والآهات.

وكان ناجي قد تألقت شاعريته منذ أن نشرت له مجلة ابولو عام ١٩٣٣ قصيدته « العودة » هذه القصيدة الرومانتيكية الساحرة التي خطها يراع شاعر كبير عرف الحب والألم.

وكانت جماعة « أبولو » الشعرية التي أعلن الدكتور أحمد زكي أبو شادي قيامها عام ١٩٣٢، وأصدر مجلة شعرية ـ باسمها ـ « أبولو » ـ قد بدأت تهز الحياة الأدبية والشعرية في مصر هزا عنيفا، وكان من شعرائها: أبو شادي، وابراهيم ناجي، وعلي محمود طه وصالح جودت، ومختار الوكيل، وعبد العزيز عتيق، ومصطفى عبد اللطيف السحرتي، وحسن كامل الصيرفي، ومحمود حسن اسماعيل، والهمشري، ومحمود أبو الوفا. وغيرهم.

وكان قيام أبولو ومجلتها الشعرية تأييدا للحركة الشعرية الجديدة، وللتيار الرومانسي في شعرنا المعاصر، وفي مجلة أبولو ظهرت شاعرية شعراء موهوبين يمثلون مختلف التيارات والمذاهب، وكانت أبولو تحتضن كل المواهب من أية نزعة كانت، وأي مذهب كانوا.

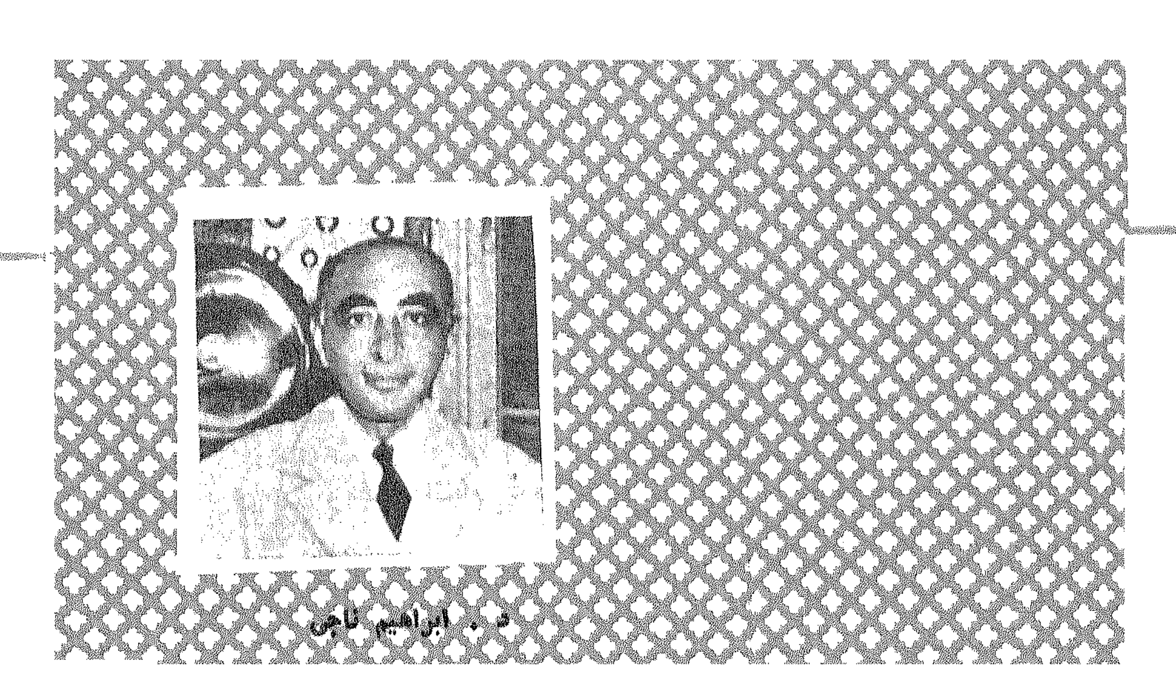
وتألقت شاعرية الدكتور ابراهيم ناجي، هذه الشاعرية الثرة المعطاء التي كان بدء ظهورها في المنصورة، وعلى ضفاف « البحر الصغير »، حيث كان ناجي وعلي محمود طه في المنصورة وكان بجوارهما من الكتاب أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة، وحولهما كان صالح جودت والهمشري ومختار الوكيل ولفيف من الشعراء، الذين لم يلبثوا أن انضموا تحت لواء أبولو، وصاروا من أكبر شعرائها.

ومضت الأيام بناجي، هذا الطبيب الانسان الشاعر، وأصدرت أبولو له ديوان « وراء الغمام » عام ١٩٣٤، ثم صدر له بعد الحرب العالمية الثانية ديوانه الثاني « ليالي القاهرة » عام ١٩٤٧، وبعد وفاته صدر له ديوانه « الطائر الجريح » عن دار المعارف بالقاهرة.

وقد نشر الأستاذ وديع فلسطين في مجلة الأديب اللبنانية مجموعة كبيرة من القصائد للشاعر ابراهيم ناجي، مما لم ينشر في دواوينه الثلاثة، ونشر حسن توفيق بعض قصائد أخرى لم تنشر لناجي أيضا في دواوينه.

***

وكان ديوان « وراء الغمام » يحمل تيارا رومانسيا متميزا، ويعبر عن روح غنائي فريد، وقد قابله فريق من النقاد



بالسخط الشديد ، وآخرون بالاكبار والتقدير ، وحفلت الصحف والمجلات الأدبية فى مصر والعالم العربى بالدراسات النقدية العنيفة والمعتدلة ، للشاعر وديوانه ، ونقده الدكتور طه حسين فى « حديث الاربعاء » ، والعقاد فى فصوله الأدبية ، وأبو شادى ، والسحرتى والصيرفى ، ومختار الوكيل وعبد العزيز عتيق ، ونقده الشاعر السودانى التيجانى يوسف بشير فى مجلة الفجر السودانية ، ونقاد آخرون فى مجلتى المقتطف والرسالة وفى مجلة الحديث الحلبية ، وفى مختلف مجالات النقد ومنابره .

وبينما كان ديوان « وراء الغمام » رومانسيا مستغرقا فى التأمل والحب والحيرة ، ومجددا مبتدعا فى مثل قصيدة « العودة » ، نجد ديوان « ليالى القاهرة » يميل الى النزعة الانسانية ، ويحمل فى قصائده كثيرا من تجاربه الفكرية والشعورية ، وكان ناجى يحيا حياة الرومانسيين ، تلذعه نار عاطفة حزينة باكية ، صاحبته طول حياته ، حتى كان يقول عن شعره الذى فجرته فى نفسه هذه العاطفة الحزينه :

هو آهات شاعر عرف الحب والألم

ومن عجب أن تنتهى حياة الشاعر حياة دامية ، فقد أخرج عقب الثورة من وظيفته دون ما سبب ، مما أورثه آلاما نفسية عميقة ، وتوفى أواخر مارس ١٩٥٣ ، من حيث كان ميلاده فى أوائل مارس (٤ من مارس ١٨٩٦ م) ..

وهذا يذكرنا بالشاعر أبى شادى الذى كانت هجرته الى لندن فى طلب العلم فى ١٤ من ابريل ١٩١٢ ، وهجرته الى نيويورك للاقامة فيها فى ١٤ من ابريل ١٩٤٦ ووفاته فى ١٢ من ابريل ١٩٥٥ فى واشنطن ، حيث نشر نبأ وفاته فى القاهرة فى اليوم الرابع عشر من ابريل ١٩٥٥ .

— ٢ —

وقصيدة العودة ستة وعشرون بيتا من بحر الرمل ، تسير فى قافيتها على نظام الرباعية ، فكل مقطع من مقاطعها مكون من بيتين : أربعة أشطر للشطرين فى الصدر قافية ، وللشطرين فى العجز قافية ، وهو لون من ألوان

التجديد في القصيدة ، قديم جديد معا، والشعراء المعاصرون يلجأون اليه توسعا في القافية ، وخروجا بالقصيدة العربية الى نمط شبه جديد ..

وفي « العودة » نرى فن ناجي الغنائي بوضوح : الموسيقى الشعرية في القصيدة تختلف صعودا وهبوطا ، وتتميز بالتنوع لا بالوحدة ، واذا كان بعض النقاد يرى أن توحيد النغم خير من تنوعه ، فانه لا ضير على الشاعر عند الكثير من النقاد من اختلاف نغم موسيقاه في القبض والسرعة ومدى الارتفاع والانفعال .

والصور الشعرية في «العودة» مثيرة ومؤثرة ، والفكرة موصولة بتجربة عميقة ، والموسيقى تلفتك يمنة ويسرة، وأماما ووراء ، وتجعل بصرك يرمق السماء والأرض ، ليرى يدا البلى ، ونسج العنكبوت ، وأقدام الزمن، وخطا الوحدة فوق الدرج ، وكأنما نظمت القصيدة من ألحان وأنغام ، ومن حياة وصور ، وصيغت من روح وعاطفة وخيال لا من ألفاظ وتعابير ، وحقا لقد تمكن ناجي من أداء مشاعره وتجربته الفنية أداء ملهما .

أن قصيدة « العودة » بتجربتها الحية ، وبخيالها الجميل المتآلف الموحد وبموسيقاها وصورها الشعرية البديعة، لتعبر عن تيار رومانسي حاد . وهي بمجازاتها واستعاراتها الحية ، وبتجسيدها للمعاني العقلية ، وبمسيرتها الذهنية مع عاطفة الشاعر وانفعالاته وتجربته ، وبوحدتها العضوية التي تتآلف فيها الصور والخيالات والعاطفة والموسيقى تآلفا عجيبا ، بل بموضوعها الحي ، وأفكارها الانسانية وبكل ما تحتويه من عناصر وأصول فنية لتعد من أشهر القصائد المعاصرة .

وموضوع القصيدة رومانسي الاطار ، الا أن جوهر الصورة ومعدنها مغرق في رومانسيته كذلك .. أحزان الشاعر ، همومه ، آلامه النفسية ، هربه من الحياة وأحداثها الى حيث يستريح في دار أحبابه ، ثم الى حيث يستريح في جو ذكرياتها ، وقع أقدام الزمن في جنباتها وأرجائها ، خطا الوحدة والوحشة فوق الدرج ، البلى ويداه تنسجان العنكبوت فيها ، والسأم وقد سرت أنفاسه في جوها ، الليل وهو قائم قاعد فيها ، والليل رمز الخطوب والأحداث .

كل هذه الصور هي جزء من البناء الرومانسي في القصيدة ، والشاعر فيها يستعرض ماضي هذه الدار وماضي ذكرياته فيها ، ويستعرض حاضرها ، وعصف الزمن بها ، ويستعرض كل ما يثيره هذا الحاضر في نفسه من أسى وشجن وآلام ، في نسيج مؤثر ، وفن رومانتيكي يهرب من الواقع ، ويعيش في أعماق النفس ، ويربط بين المعاني والأفكار وتداعي الخواطر والانفعالات النفسية ، برباط وثيق .

ولم يعطنا ناجي في قصيدته معاني وألفاظا ، بل أعطانا صورة نابضة بالحياة للدار ، ورسم لها مشهدا فريدا تتألق فيه الأصالة ووهج الفن وشخصية الشاعر .. كل ذلك في غزل عذري رفاف ، وذكريات حلوة شجية .

والعودة تعطينا تفسيرا لتجديد الشاعر المعاصر ، فقد يكون هذا التجديد تصرفا ماهرا في القديم ،والقصيدة التي نعرض لها هنا هي كقصائد بكاء الأطلال في الشعر القديم ، ولكن التصوير مختلف ، والنزعة متفاوتة ، والفن وجوهره متباين فيها وفي القصائد القديمة التي وقف الشعراء فيها على الأطلال باكين .

يقول ناجي في هذه القصيدة :

هذه الكعبة كنا طائفيها
والمصلين صباحا ومساء ..
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها
كيف بالله رجعنا غرباء

***

دار احلامي وحبي لقيتنا
في جمود مثلما تلقى الجديد

انكرتنـــا وهي كانت ان راتنـــا
يضـــحك النور الينا من بعيـد

***

أيـن ناديـك وايـن السـمر
أين أهلـوك بســاطا وندامى ؟
كلمـا أرسـلت عيني تنظـر
وثب الـدمـع الى عيني وغـامـا

***

والبـلى أبصرته رأي العيـان
ويداه تنسـجان العنكبـوت
صحت : يا ويحك ، تبدو في مكان
كل شيء فيه حي لا يمــوت

***

كـل شيء من سرور وحـــزن
والليــالي من بهيج وشـجي
وانـا اسـمع اقـدام الـزمن
وخطـا الوحـدة فـوق الدرج

***

وطني أنـت ولـكني طـريـد
ابـدى النفي في عــالم بؤسى
فاذا عـدت فللنجوى أعـود
ثم أمضي بعـدما أفـرغ كـاسي

— ٣ —

ان موضـــوع القصيدة شبيه ببكاء الأطلال في الشعر القديم ،وبكاء الأطلال التزمه أكثر الشـــعراء الجاهليين في مطالع قصـــائدهم ، وهو سمة مميزة لأغلب قصائد المعلقات الجاهلية ٠

ولقد بكى الشعراء فى الشرق والغرب الأطلال ، حتى فى العصر الحـديث ، بكاها امرؤ القيس وزهير ولبيد وعنترة وطرفة وغيرهم ،كما بكاها حسان وجرير والفرزدق وأبو تمام والبحترى والمتنبي بل البارودى واسماعيل صبرى وشوقى وحـافظ ومحـــرم ، وولى الـدين يكن والكاشف ، بكوا الأطلال ووقفوا عليهـا واستوقفوا أصحابهم عندها ، كما كان يفعل الجاهليون ٠

وكذلك بكاها تنيســون (١٨٠٩ ـ ١٨٩٢) شاعر العصر الفيكتورى ، كما بكاها من قبله شـــوسر أبو الشـــعر الانجليزى ٠

ولما نهض الســير ويليــام جـونز المستشرق الانجليزى المعروف (١٧٤٦ ـ ١٧٩٤ م) بعبء ترجمـة المعلقـات الســبع الجاهلية الى الانجليزية عام ١٧٨٣ وضع أمام الشـــعراء الانجليز صـــورا شعرية جديدة كان لها تأثيرها العميق في حركة الشعر الانجليزى فى العصر الفيكتورى ٠ وفي عـام ١٨٤٢ م كتب تنيسون قصيدته (لوكسلى هول) متأثرا فيها كل التأثر بفن المعلقات وبكاء الأطلال فيها ،ويقول ابن الشاعر تنيسون انه سمع والده يقول :

ان ترجمة سير ويليام جونز النثرية للمعلقات ،تلك القصائد العربيه السبع، التى هي عبارة عن مختـــارات من نتاج شعراء ما قبل الاسلام ، هي التى أعطته فكرة هذه القصيدة ٠ (١) وكان تنيسون يعد هذه القصيدة ، من أكثر القصـائد المحببة لنفسه ، وكان يقول : ان القصيدة قد أوحتها له دراســـته لترجمة جونز النثرية للمعلقات العربية القديمة (٢) ٠

وكان تأثر تنيسون خاصة بمعلقـة امرىء القيس ومعلقة لبيد وبما فيهمـا من فن شعرى أصيل ظهر صـــداه في بكائهما للأطلال فى مقدمة قصيدتهمـــا الجميلتين القويتين ٠

ففي قصيدة تنيســـون يستوقف أصدقاءه للبكاء على الأطلال كما كان يفعل امرؤ القيس تماما ، ويبكي الشـــاعر بحرارة على حبيب ومنزل كمـا فعـل الشاعر الجاهلي كذلك ، ويصف هـذه

(١) رضا حوارى ـ مجلة المنهل ـ يوليو ١٩٧٠ ص ٦٣
(٢) المرجع نفسه ٠

الأطلال ويتحدث عن ذكرياته فيها أيضا ويعبر عن كل ما أورده جونز في ترجمته للمعلقات ومن بينها معلقة امرىء القيس تماما (١) .

ويرى المستشرق الانجليزي ى ٠آربرى أن ترجمة جونز للمعلقات لم تلبث بعد صدورها أن اعتبرت اسهاما ذا أهمية كبرى في مجال الدراسات الأدبية ، بل وأقول أيضا انها اعتبرت اسهاما كبيرا في تطور الشعر الانجليزي الحديث فقد خاطب جونز الشعراء الانجليز في مقدمة ترجمته للمعلقات لافتا نظرهم الى هذه الصور والأخيلة والأفكار العربية التي يعد الالتفات اليها اسهاما كبيرا في دفع عجلة التطور والتجديد في الشعر الانجليزي .

وكما قص امرؤ القيس في معلقته قصته مع عنيزة ومع ابنة عمه فاطمة ، قص كذلك تنيسون في قصيدته (لوكسلي هول) قصة البطل مع ابنة عمه .

وقد رفضت فتاة تنيسون الزواج كما رفضت فاطمة الزواج من امرىء القيس على حد تعبير جونز في ترجمته لمعلقة امرىء القيس ،وكما وصف امرؤ القيس في معلقته المطر وصف تنيسون في قصيدته عاصفة هبت .

وقد كان تأثر تنيسون عميقا كذلك بالبناء الشعرى للمعلقات العربية وزنا وقافية ، حتى ليقول آربرى ان هذا التجديد في العروض الشعرى الانجليزى ـ يذكرنا بالمدى الذى ذهب اليه الفيكتوريون ومن بينهم تنيسون في توسيع نطاق العروض الانجليزى ، ليشمل أيضا الأنغام الشعرية المكتشفة حديثا في منجزات الشرق الأدبية (٢) .

ـ ٤ ـ

وهكذا نرى أن بكاء الأطلال قد أعطاه تنيسون ، ثوبا جديدا عصريا في قصيدته التي ظهرت ضمن مجموعات قصائد ديوانه الصادر عام ١٨٤٢ م وكان تنيسون ممثلا لعصره ، باعتباره شاعرا يعبر صوته عن روح بريطانيا منذ ظهور ديوانه الشعرى السابق ذكره .

ولم يكن بكاء الأطلال شيئا جديدا يظهر لأول مرة عند تنيسون ، انما الذى ظهر في قصيدته هو الطابع العربى لمضامين تنيسون الشعرية في بكائه للاطلال ، ونحن نجد عند شوسر شعرا يتحدث فيه عن الأطلال بثوب جميل يذكرنا تماما بصنيع ناجي في قصيدته « العودة » ، مما يمكن أن يكون ناجي تأثر فيه بشوسر في صوره الشعرية الجميلة في « العودة » ، وليس ببعيد ذلك عن ناجى الذى كان مطلعا على الأدب والشعر الانجليزى اطلاعا واسعا .

يقف الشاعر شوسر Chaucer أبو الشعر الانجليزى الذى توفي عام ١٤١٠ م في حديثه عن البطل Troilus في كتاب Troilus and cresyde يندب حظه البائس بمخاطبته القصر الذى كانت تقيم به محبوبته فيقول ـ ماترجمته :

« أيها القصر الموحش ، أيتها الدار التى كنت تحملين في الأيام الخوالي أروع الأسماء ..

أيها القصر المبتئس الخاوى على عروشه ، وأنت أيها المصباح الذى يشع نورا غريبا .

انت أيها القصر الذى حال الآن الى ليل مظلم بعد ان كان في سالف العهد نهارا منيرا ، انه لحرى بك ان تهوى ، وحرى بى أن أزول ، ما دامت قد غادرت الديار من كان من عادتها ان تقود خطانا » (٣) .

(١) المصدر السابق .
(٢) المرجع السابق نفسه ـ ص ٦٤٢.
(٣) الاصل الانجليزى وترجمته من رضا حوارى في بحثه عن « تنيسون والمعلقات العربية » مجلة المنهل بجدة ـ عدد يوليو ١٩٧٠ .

اليس ذلك هو مضمون روح ناجى فى العودة ؟ أليس « القصر المبتئس الخاوى على عروشه ، والذى حال الى ليل مظلم بعد أن كان فى سالف العهد نهارا منيرا ، هو جوهر قصيدة ناجى ؟

يقول ناجى فى العودة :

موطن الحسن ثوى فيه السأم
وسرت أنفاسه فى جوه
وأناخ الليل فيه وجثم
وجرت أشباحه فى بهوه

ويقول :

دار أحلامى وحبى لقيتنا
فى جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهى كانت ان رأتنا
يضحك النور الينا من بعيد
رفرف القلب بجنبى كالذبيح
وأنا أهتف يا قلبى : اتئد
فيجيب الدمع والماضى الجريح
لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعد

واذا قلنا : ان بكاء الأطلال فى قصيدة « العودة » قد أعطاه ناجى ثوبا جديدا عصريا ، كما فعل شوسر من قبل وكما فعل تنيسون من بعد ، وكما فعل امرؤ القيس وشعراء المعلقات قبل ذلك بطويل ، فاننى لا أستبعد تأثر ناجى فى مضمون قصيدته وجوهرها وصورها بهؤلاء الشعراء جميعا ، مع ما فى طاقة ناجى الشعرية القوية من ابداع وخلق شعرى ، جعل لقصيدته طابعها الرومانسى الخاص المتميز ، ولقد غير ناجى قوالب مادته التى أخذها عن شعراء المعلقات والشعراء الانجليز لتصبح كلا متميزا خاصا بناجى وحده ، بما أضاف الى قصيدته من صور شعرية وأداء نفسى لفكرته ومضمونه ، وبما حرك من خيال ، وأثار من عاطفة ، وأشعل من انفعال ، وهيج من تجربة .

وله بذلك ميزة ظاهرة ، هى ميزة عصره على عصور السابقين له ، وميزة موهبته الشعرية المبدعة التى تألقت جذوتها فى النصف الثانى من حياته التى امتدت سبعة وخمسين عاما حافلة بالأحداث فى حياته وحياة وطنه .

ـ ٥ ـ

ولقد جدد ناجى فى مضمون القصيدة وشكلها تجديدا واسعا :

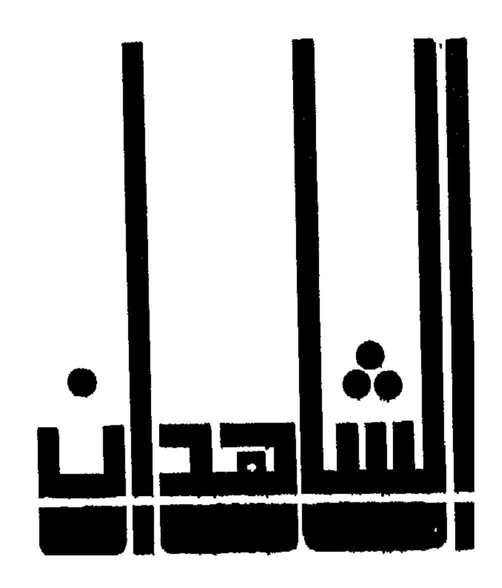
فمن حيث المضمون آثر الجانب العاطفى الغنائى التصويرى واحتفى بشتى العواطف والمشاعر النبيلة ، واتجه الى الطبيعة ، والى الروح يأخذ عنهما أسمى الهاماته ، وكتب أعمق التجارب الانسانية ، مع عصرية الموضوع ، حتى وان استعاره من القدماء .

ومن حيث الشكل : حرص على عمودية القصيدة مع ايثاره للاوزان الغنائية السهلة الخفيفة، وقاده التجديد فى الوزن الى الأوزان الخفيفة والغنائية (الرباعيات) ، متأثرا فى ذلك بالخيام فى رباعياته .. كل ذلك مع الاصالة ، والبساطة ، ومحاربته للزيف والصنعة والابتذال .

ويبدو فى شعره التأثر بمهيار وابن الفارض وشوقى ، وبعمر بن أبى ربيعة والشعراء العذريين فى العصر الأموى من أمثال جميل وقيس . كما تأثر بالمدرسة الرومانسية فى الشعر الانجليزى وبهازلت ومدرسته فى النقد وبديكنز وجون كيتس وغيرهم من الشعراء .

وعنى ناجى بالمدارس الشعرية المعاصرة وقراها : قرأ للبارودى وشوقى وحافظ ومطران ومدرسة الديوان ولغيرهم من أعلام الشعراء ، وكان يعد مطران أستاذا له شأنه فى ذلك شأن أبى شادى تماما .

لقد عاش ناجى حياته يغنى للحب ، ويتحدث بلهفة العذريين الرومانسيين عن قلب الانسان وعاطفته ووجدانه ، وودع الحياة ، بعد أن مثل دوره على مسرح الحركة الشعرية ، المعاصرة ، التى بلغت بناجى وأضرابه عنفوان قوتها وازدهارها ...



● فؤاد بركات ●

ـ ١ ـ

● عيناه تسعيان الى الاستقرار عبثافوق صفحات كتاب ((الهندسة الوصفية)) .. اخيرا والشمس تسقط فى هدوء فى الناحية الاخرى من المدينة ، فان نسمات طرية شرعت تتهادى الى صدره الضيق ..

((الحوش)) فسيح ، على ارضه الترابيـــة تبعثرت الشواهد ـ فوق الجوف ! وتندت بمياه رشها الاولاد لتخفف من لهيب الحرارة . فـــوق شاهد حجرى وطيىء ، جلست هى ، تداعـــب صغيرا ...

بين الحين والحين كانت تصعده بنظرة عميقة، وهى تشير اليه متلفتة أن يذاكر . لم يعـــد يخاف من الليل ، والليل هناك موحش مخيف صامت ، الليل مع الموت ، فليس هناك مكان لتذكر فيه الموت دائما سوى هنالك ، ولـــكنه وبعد ثمانية اشهر كساكن دائم لم يعد يحفل ، ولا يتامله حتى ولا يذكره .. والنسوة كل يوم يطلقن الصرخات التقليدية مروعة متشابهـــــة ، وترتوى الارض بالدموع .. سريعة الجفـــاف ، ويعود الصمت والاولاد يلهون .. ويعود سكان حوش « الفقي » الى سابق اعمالهم ، واحيـــانا والراحل يدلف الى الجوف ، وبعض النســـاء يعددن لمآثره ، فان الاولاد يلعبون الكرة ، والنساء يطبخن الطعام ، وتتحادث البنات في المواضـــيع الدقيقة .. واحدة فقط هى الست « لطيفة » ـ التى تبدي الاهتمام الشديد ، وتواسى فى رياء ، وزوجها المعلم ناحل الجسد مع الصـــبيان يقومون بعملهم فى الردم ، والرش ، والقارئون تتصاعد أصواتهم ، لتدور العربات .

وتلملم الاهل . وتعود الست لطيفة تحـــاسب الجميع . وتلوح بذراعيها واساورهما الذهبيـــة الثقيلة ...

وجه النهار يعتريه الشحوب . هو ، وعيناها .. هى ليست مجرد جارة فى حوش الفقى ، فقد تجاوزت الاحداث ذلك .. كان ذلك بالضبط يوم أقرض اخاها جنيهين كان فى حاجة اليهما لينقل اثاثه البسيط الى حجرة فى البساتين، اذ أن زوجه تتشاءم ، يقولها متهكما وهو ينظر اليه ، وشقيقته بجواره ، وصدرها يضغط فى قوة على جلباب عارى الساقين الى فوق الركبة:

ـ لا تريد أن تصدق أن كلنا .. لها !

ورحلت العربة الى البساتين ، وتظل سعـــاد مع الاب ، الغفير فى جامعة الازهر ، والام التى تصعد عابرة طريق صلاح سالم الى المدينـــة ، ويقول الاب الذاهل ان الغسيل فى البيوت عار ، وان الام تدخر لا يعلم لماذا ، والحفرة قريبـــة جدا ، وهناك .. ـ ويضحك ـ المـــوت بلا ثمن !

تاهت الكلمات من الكتاب ، الى جسد انثوى كامل .. راح يتامل ، السكن هنا زهيد وكـــان الحل الوحيد كي يكون يوما ما مهندسا مثـــل سبعة مهندسين فى بلدته .

وايجار غرفة مع الزملاء يتجاوز الثمـــانية جنيهات ، والوالد قد مات ، ولم يترك له الا عشرين جنيها كل شهر هى مايمكن به ، بالكاد، ان يعيش ليتعلم ، ولكن الايجار والحياة هناك معقولة .. ايجار حجرة جنيهان فقط ، والحجرة مفروشة بمرتبة ووسادة ولحاف ، من المؤكـــد انه من بقايا الراحلين !

... وحينما كاد يذاكر بامعـــان ، قـــد شب النهار ، تصاعدت صيحات نسوة ، وبنات واولاد .. مد بصره الى الشواهد ، عليهـــــا اسماء فخمة ، دكتور كبير ومهندس عظيم ، وباشا وبك ، وصاحب المعالى ، والمغفور له .. وذكرى الوفاة ... صحيح تلك الاجساد العظيمة ترقد تحت ... لم تعد تبعث الرعدة ، ولا حتى الخوف من الموت ذاته ، بالداخل آلاف ، متلاصقين .. متراحمين . يقول لنفسه ، الهندسية الوصفية ترقص من على صفحات الـــــكتاب بالدوائر والخطـــوط : كل الأشياء تعود الى الـكون ، مطلقة مثل الهندسة التى تحكم كل العلوم بحياد كامل !

البنت ، رقصت بجسدها تتمشى ، وهى تأكله بنظرات واسعة تملأ الفضاء ، يخيل اليه وعقله يتارجح بالافكار والحرارة آن الحيـــاة عينـــان جميلتان ، واحيانا تكون شـــفتين شهيتين .. واحيانا لمسة .. رجل وامرأة وبينهما الحياة ..

سعاد فى صوتها المطوط ، راحت تداعـــب بنات صغيرات ، والاولاد هناك لهم دراية بدقائق الحياة ـ مدهشة ، يدركـــون ادق الامور بين الرجال والنساء ، فهم يسمعون اذ يتســـاقط الليل ، العبارات التى تبدو ألغازا سرعان ماتحل وحتى مع الظلام الذى يتطاير برفق على لمبات غازية ولمبة كهربية تنطفىء لادنى خلاف .. الاولاد يرون دفعا عنهم اول الامر ، ثم بالســـعى الى



تصيد الاخبار التى يقذفون بها الى بعضهم بعضا بصورة عادية تلقائية .

— ٢ —

اقتربت منه .. وضمت ساقا فوق الشاهد الحجرى ، وهمست بصوت ثابت :

— لعلك لم تنس ليلة الاسبوع الماضى ؟! الان انا اكاد اجن . ماذا ستفعل ؟ ستقول بعد الامتحانات ..! انا لااستطيع الصبر !.

رمقها فى عجز — وهو يحسب حسابات يائسة بحثا عن قبس ضوء . فى ظلام موقفه المروع .

وفى نفس اللحظة لمانها تمتلكه ، يتذكر اللحظات الرائعة ، تفاصيل اللقاء تنبض فى جسده — من وقتها لمان البنت بكلمات لاسعة تذكره ، وبنظرات حاسمة تطالبه ، وبحسركات جسدها القمحى الفائر ، فانها تماما تستهويه. جلسا فوق الشاهد .. قال لها :

— اريد أن أكون مهندسا كبيرا ، مثل ذلك الذى يرقد فى الجوف ، ياحبيبتى سعاد !

كان الاولاد يلعبون الكرة خارج الحوش ، وعيون كثيرة تراهما فى مباركة تامة لما بينهما .. هى مثلهم لم تعد تحفل بهم ، فهناك اشياء كثيرة تقال ، لرثرة تلوكها الالسن ، بيد أنالثرثرة لا تضر ، ولا تمتزج ابدا بنظرات ازدراء جارحة، ولا حتى سخرية — فكل انسان له مشاكله ، والنهايات لاى وضع لن تكون أسوأ النهايات..

... تطاير التراب والغفار مع دخول قادم جديد ، معه قلة من المودعين . لم تنهض الست « لطيفة » بجلبابها الاسود ، سيدةالمكان،واكتفت بان صاحت فى زوجها ان يلع فى طلب «الوهبة» — والا يترك القراء دون اتاوة ...

جلس بجوارها ، كانت تحترمه ، واحيانا تدعوه أن يجلس إليها إذا خلا من مذاكرته ، قائلة له ، انها كانت تود أن تعلم اولادها الثلاثة ، لكنهم ذوو عقول مثل ابيهم .. لا يصلحون لغير ما هم فيه !

« لطيفة » — وهى تصر أن يشرب فنجانا من القهوة ، تعده له وهو يجلس بجوارها على الحصيرة .. وفجأة تصعده بنظرة هادئة ، وتطلق نفسا من سيجارة :

— البنت طيبة ، والحب حلال ، والزواج سترة للرجل ايضا !

ثم اردفت : بمجرد الحب لا يكون هناك فارق !

ثم ضحكت فى خبث : — ان كان هناك فارق !

وسارا على طريق صلاح سالم ، والعربات تمرق فوقه .. فهرأ الخوف من النظرات والالسنة ... امسك بيدها ، قال ملتقطا انفاسه :

— لا تخافى .. لكل شىء حل !

— هناك حل واحد ، بعد الامتحانات موعده !

يتحول وجهها فى الظلام الى مسرح لتعبيرات الرعب والغم والتردد ، وعبق كل الاشياء .. الرعب رعبهما المشترك،حساب الخسارة،وتصور المستقبل الغامض .. الهروب ممكن ، ماذا بعد الهروب .. يحاول استكمال الذى يتصوره الانسان .. افضل من الان ..

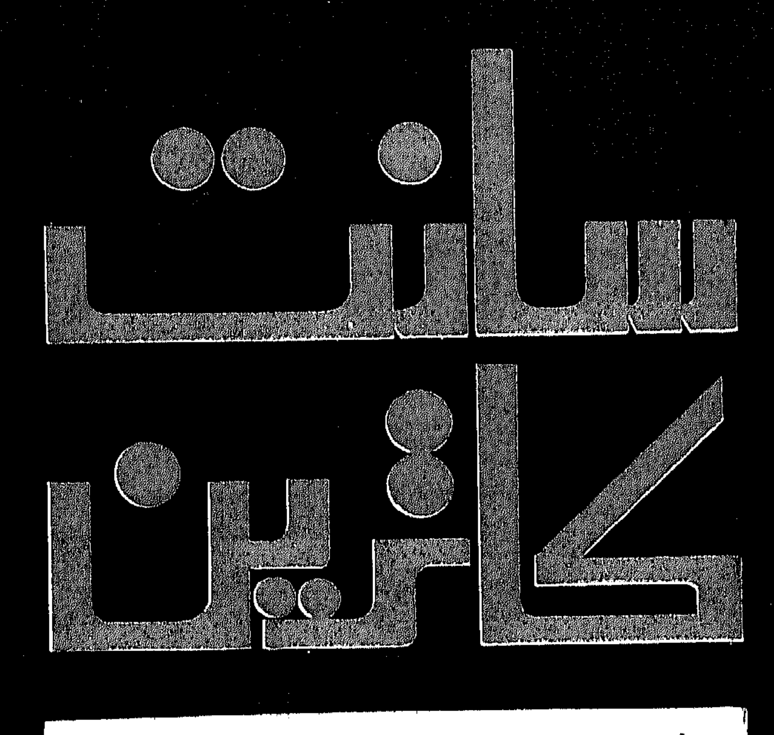
— ٣ —

واقفان أمام الشاهدين ، والخالة عترة ، تعبره بجسدها الاسود واساورها الذهبية ، وتنظر اليه واليها ، وتنظر الى كتابه .

وتهمس : — شد حيلك يا «باشمهندس» .

على الخطوة الاولى من طريق طويل ، مع نهار مبهم غير متفتح اللامح ، فى احضانه دافئة لدنة طازجة ، هى فى ملابس اخرى ووجه آخر وهو فى ملابس أنيقة مثلها .. على الشاهد لوحة رخامية ، الحروف كما لو كان عليها اسمه المهندس « ...... » يتطاير اسم المهندس يقرأ « ...... » عاش عصاميا ، بدأ من البداية .. صالحا عاش ، وأعطى حياته وماله للخير .

من وراء كل الشواهد — وقد ضاع العجز ، وهبت القوة ، عربة انطلقت لا يدرى كيف وهما فى جوفها ، على الطريق ، اسفل سماء مزدانة بسحابات كثيفة ، تحجب النجوم .. القوة مع حيرة الابد ، وجهها الحلو فى نظرات ثابتة ، وعيناه كسولتان ، معذكريات بعيدة ... بعيدة !..



دير عمره خمسة عشر قرنًا وواحة من الخضرة والوديان في أرض سيناء حيث كلّم اللهُ موسى تكليما

انها ليست مجرد كنيسة . انها مدينة فريدة فى نوعها فى الدنيا : مدينة كاملة اقيمت وسط الصحراء لعبادة الله سبحانه ، وفى موقعها هذا صمدت لحوادث الدهور صمود جبـــل موسى الذى يشرف عليها . من اعلى الجبـــل كلم الله موسى عليه السلام واسفل الجبل يصلى الرهبان لله ليل نهار ...



سانت كاترين

● لو سالتنى عن مثـال ملموس لتسامح الاسلام ، لذكرت لك — بين أمثلة اخرى لا نهاية لها: دير القديسة كاترين فى شبه جزيرة سيناء .

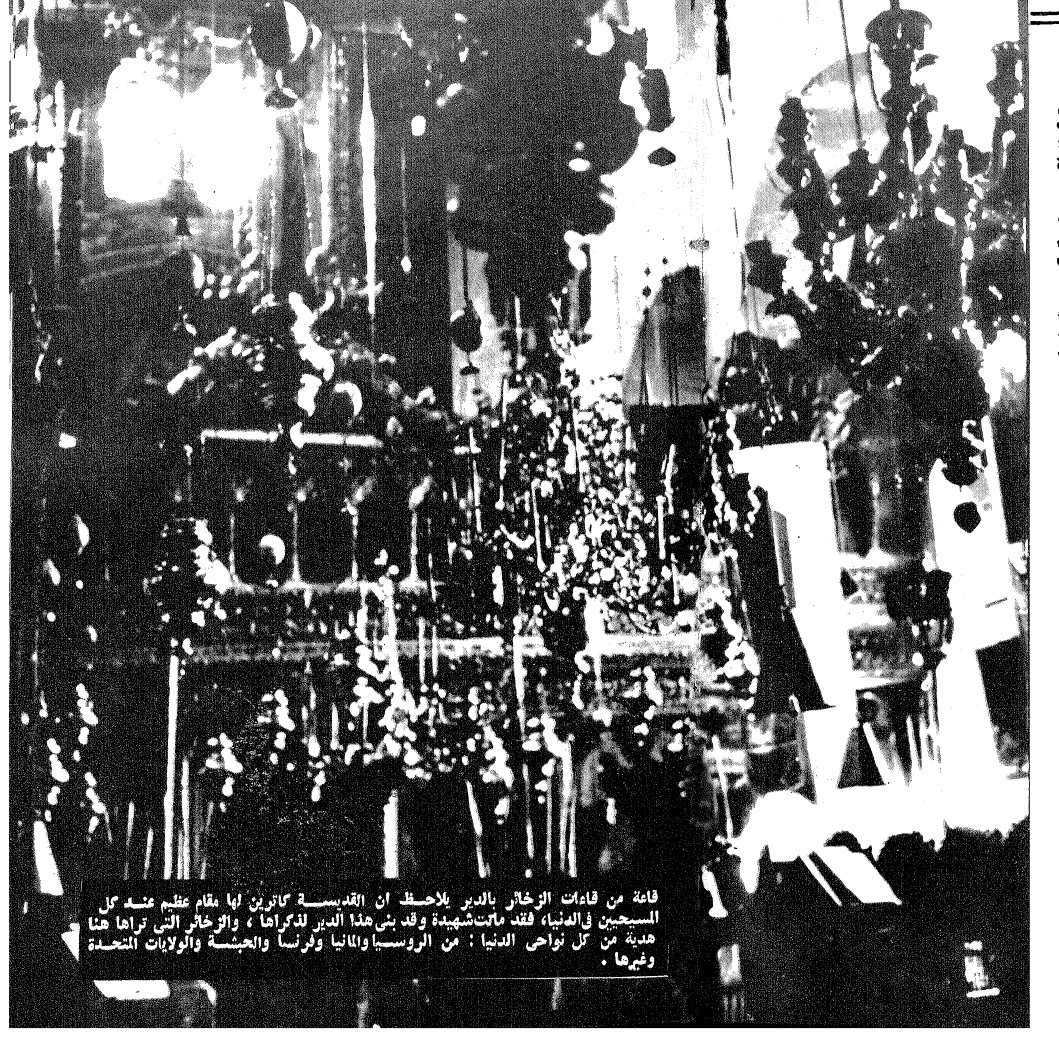
فهذه كنيسة مسيحية بيزنطية بنيت فى جنوبى شبه جزيرة سيناء ابتداء من سنة ٥٤٢ ميلادية وتم بناؤها فيما بين سنتى ٥٦١ و ٥٦٥ ..

ودخل العرب الى مصر حاملين الاسلام سنة ٦٤٠ ميلادية فما مسـوا هـذه الكنيسـة بأذى ، وظلت قائمة خـلال العصور الاسلامية كلها ، وما زالت قائمة الى يومنا هذا فى أجمل صـورة واحسن هيئة ..

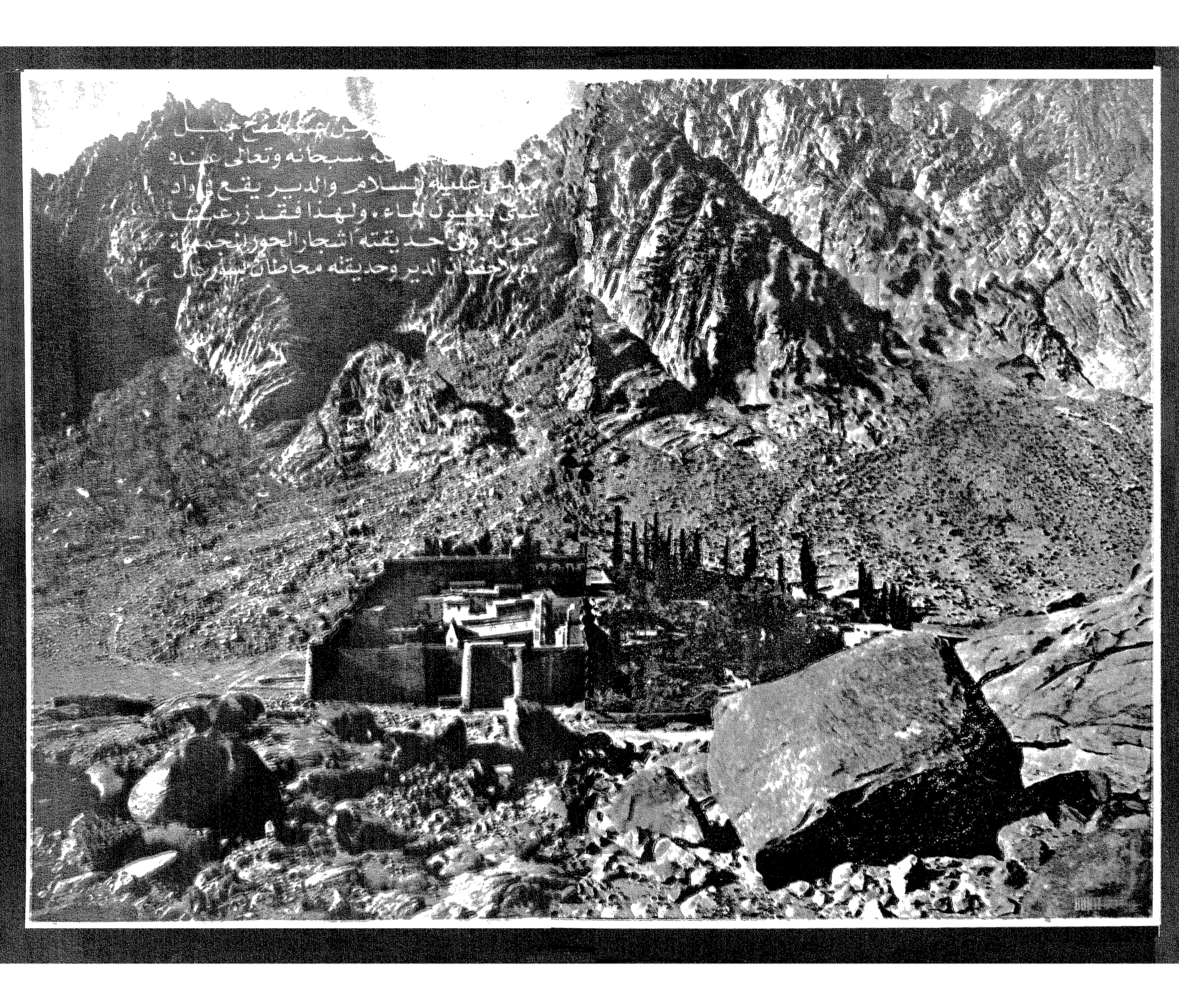
فلنذكر على سبيل المقارنة — فحسب — أن كل بلادالبلقان كانت عامرة بالمساجد الاسلامية تحت الحكم العثمانى ، والحكم العثمانى هناك انتهى تماما عند نهـاية الحرب العالمية الاولى أى سـنة ١٩١٨ ، فسلنى كم مسجدا بقى فى البلقان كله ؟ باستثناء بضعة مساجد فى يوغوسلافيا والبانيا ، فانه لا يوجد فى اليونان مثلا الا عدد قليل جدا من المساجد لليونانيين المسلمين وعددهم لا يزيد على مائة الف نسمة .

ولن اسالك عن عدد ما بقى من المساجد فى الاندلس فالجـواب معـروف : ولا واحد ! حتى مسجد قرطبة الجامع تحول الى كاتدرائية .

هذا ودير سانت كاترين لا يقوم فى مدينة يحرسـها ويؤمنها رجال الدولة وشرطتها ، ولا هو فى منطقة معمـورة يأمن الدير واهلها فيها ، وانما هو يقوم فى وسط صحراء لا يعمرها غير البدو ، والبدو فى الماضى لم يكونـوا حكـومة ، ولا كانوا يخضعون لحكومة ، ولو أرادوا أن ينهبوا الدير ويأتوا على مافيه ويزيلوا آثاره من مئات السنين لفعلوا دون أن



قاعة من قاعات الزخائر بالدير يلاحظ ان القديسـة كاترين لها مقام عظيم عند كل المسيحيين فى الدنيا، فقد ماتت شهيدة وقد بنى هذا الدير لذكراها ، والزخائر التى تراها هنا هدية من كل نواحى الدنيا : من الروسيا والمانيا وفرنسا والحبشة والولايات المتحدة وغيرها .

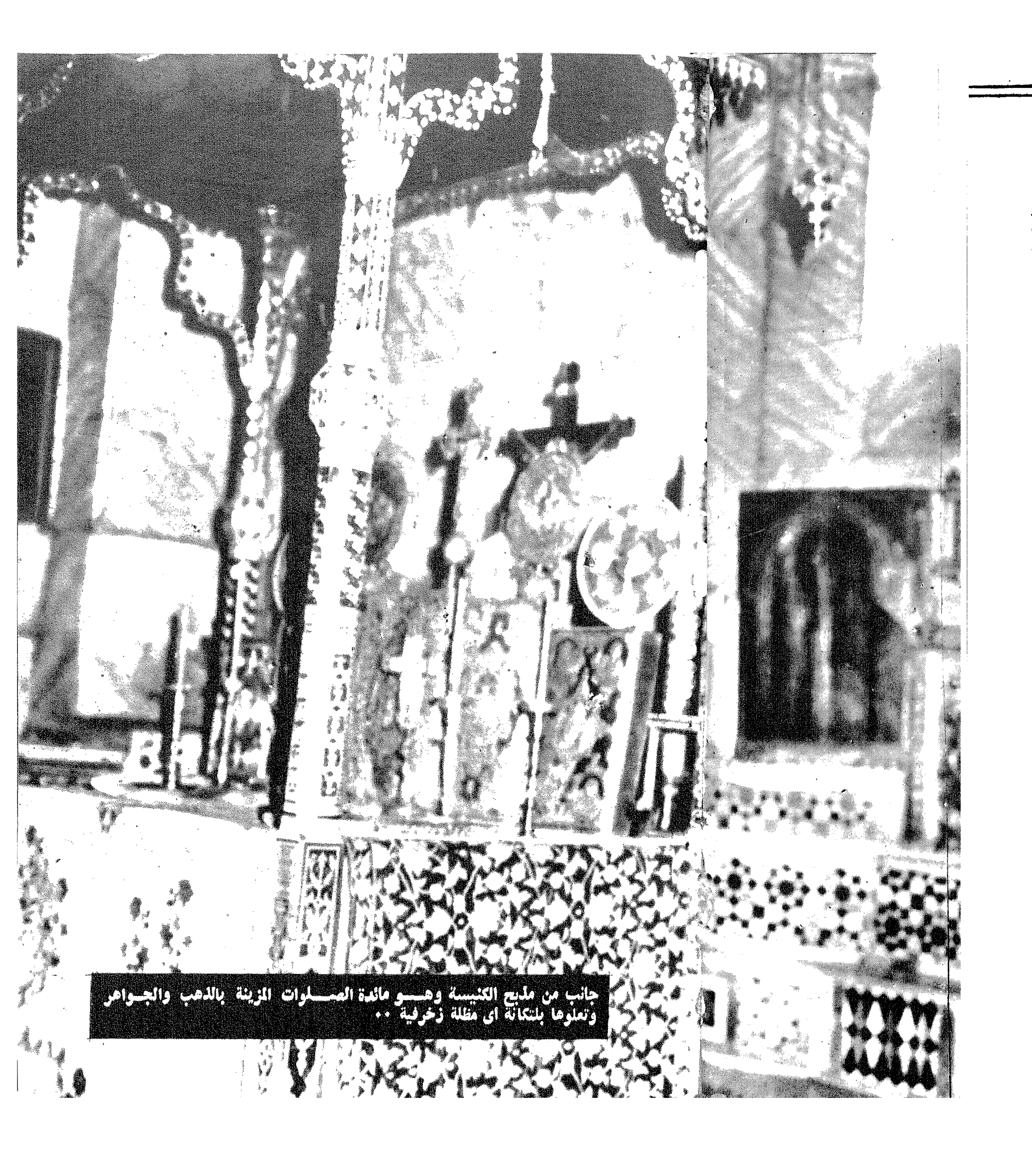

بسفح جبل
سبحانه وتعالى
عليه السلام والدير يقع في واد
بعيون الماء، ولهذا فقد زرعت
حوله وفي حديقته أشجار الحور
الدير وحديقته محاطان بسور

يكون ذلك حادثا فريدا فى بابه فقد أمر الكاردينال تيزنيروس الاسبانى بهدم مسجد غرناطة الجامع بعد سقوط غرناطة فى يد ملكى قشتالة وأرجون بثلاثة أيام .. والكاردينال تيزنيروس رجل فيما يقولون متعلم متحضر بل هو رئيس دينى كبير ، ومع ذلك فان بدو سيناء أثبتوا انهم أكثر تحضرا منه ، فقد صانوا الدير النصرانى القائم فى وسطهم بوازع واحد هو الاسلام ، فقد أمر الاسلام بالتسامح وبرعاية رجال الدين ..

***

واذا سألتنى عن بلد حافظ على حدوده كما هى طوال أربعين قرنا لقلت لك : مصر ، فقد حافظت مصر على حدودها التاريخية كما وصفها الفراعنة من عهد الملك مينا الى يومنا .. حقا لقد عبث الانجليز بحدود مصر الجنوبية حاسبين انهم يخدمون بذلك امبراطوريتهم ، فوضعوا حدودا بين مصر والسودان مع أن تلك الحدود كانت مفتوحة دائما ، فلا أهل السودان كانوا يشعرون اذا دخلوا مصر أنهم غادروا بلادهم ، ولا أهل مصر يشعرون اذا دخلوا النوبة السفلى ودنقلة أنهم غادروا بلدهم ، انما هو كان بلدا واحدا مفتوحا من الجنوب ، لأن النيل نهر المصريين كما هو نهر السودانيين ، ولا يعرف أحد لماذا توضع الحدود على مجرى نهر متدفق يجمع بين أفراد شعب واحد هو شعب وادى النيل .

الذى يعنينى الآن هو الحد الشرقى لمصر ، خط العريش العقبة : رغم كل ما مر على مصر من تطورات ، ورغم قيام سلطنة مصر والشام من ايام أحمد بن طولون كان المصريون يحسون دائما أن حدودهم فى الشرق عند خط رفح العقبة هناك وضع الفراعنة لوحات تؤكد أن حدود مصر تمر هنا ، قد تمتد مصر فى الشام ،ولكنه امتداد أخوة وثقافة ومصالح



جانب من مذبح الكنيسة وهو مائدة الصلوات المزينة بالذهب والجواهر وتعلوها بلتكانة اى مظلة زخرفية ..

يقوم أهل الدير بكل ما يلزم
لحياتهم من خدمات فيطحنون
القمح ويخبزون الخبز، وفي الصورة
نرى عمال يديرون مطحنة الدقيق
وعامل آخر يخبز الخبز وفي
العادة يعد [illegible] كميات
إضافية من الخبز لمن يحتاج من
البدو والمحيطين بالدير



مشتركة ،ولكن مصر تقف هنا ولا يمكن أن تفرط فى هذا الحد مهمـا حـدث . ولقد حاول بعض رجـال الانجليز فى فلسطين أن يتخطوا الحد الى سـيناء ، وحاول اليهود اخذ شيء من سيناء عقب الاحتلال البريطانى لمصر سنة ١٨٨٢ ، ولكن مصر رفضت ، ومن غريب الامر أن اللورد كرومر ممثل الاستعمار البريطانى فى مصر هو الذى رفض ذلك وأصر على التمسك بحدود مصر الشرقية .. رغم كل ما كانت نفس كرومر تنطـوى عليه من جشع استعمارى الا أن مصر فرضت نفسها عليه ، فتمسك بحـدودها وهو أول من أطلق عليها تسمية حدود مصر الدولية ..

***

وعندما دخل الاسرائيليون سيناء فى حرب يونيو ١٩٦٧ ووصلوا الى ضفاف قناة السويس ظنوا أن سيناء قد أصبحت تحت سلطانهم ، وانهم يسـتطيعون ان يقتطعوا من أرضها ما يريدون ،وبالفعل راودتهم الاحلام والاطماع ، وانشـأوا عند شرم الشيخ مدينة قالوا انها مدينة اسرائيلية ، وشقوا اليها طريقا من ايلة ـ البلد العربى الذى يسميه الاسرائيليون ايلات ، ودخل بعض الطامعين فى شمال سيناء وانشأوا ما سموه بمســتعمرة ياميت عند شواطىء البردويل ، وكمـا هى العـادة بدأت الدعاية الاسرائيلية تنشر قصصا عن تضـحيات آل ياميت وعجائب آل ياميت ..

ثم ، انتفضت مصر وضربت ضربتهـا فى اكتوبر المبارك سنة ١٩٧٣ ،وتلاشت احلام اسرائيـل وعرفـوا ان ايامهم فى سيناء أصبحت معدودة ، ان حدود مصر الشرقية لايمكن ان تمس ، وبعد مبادرة الرئيس السادات الفريدة فى بابها فى التاريخ فى نوفمبر ١٩٧٨ تلاشت أحلام اسرائيل فى سيناء ، واخذوا فى التخلى عن سيناء ، وعاد معظمها الى مصر ، وبعد قليل ستكون سيناء كلهـا قد عادت الى مصر ، وتتلاشى الى الابد أحـلام ياميت والمدينة السياحية التى تزول وهى شرم الشيخ .. ان حدود مصر لا تمس ، لا من شرق ولا من غرب ، فهذا البلد لم يعتد يوما على أحد ، ولم ينتزع شبرا من أرض أحد ، ولا يريد أن يعتدى أحد على شبر من أراضيه .

***

ومع سيناء عاد الى مصر دير سانت كاترين .

انه دير فريد فى بابه .

فهو جزيرة من الحيـاة والسـلام والخضرة وسط بحر شاسع من الرمال.

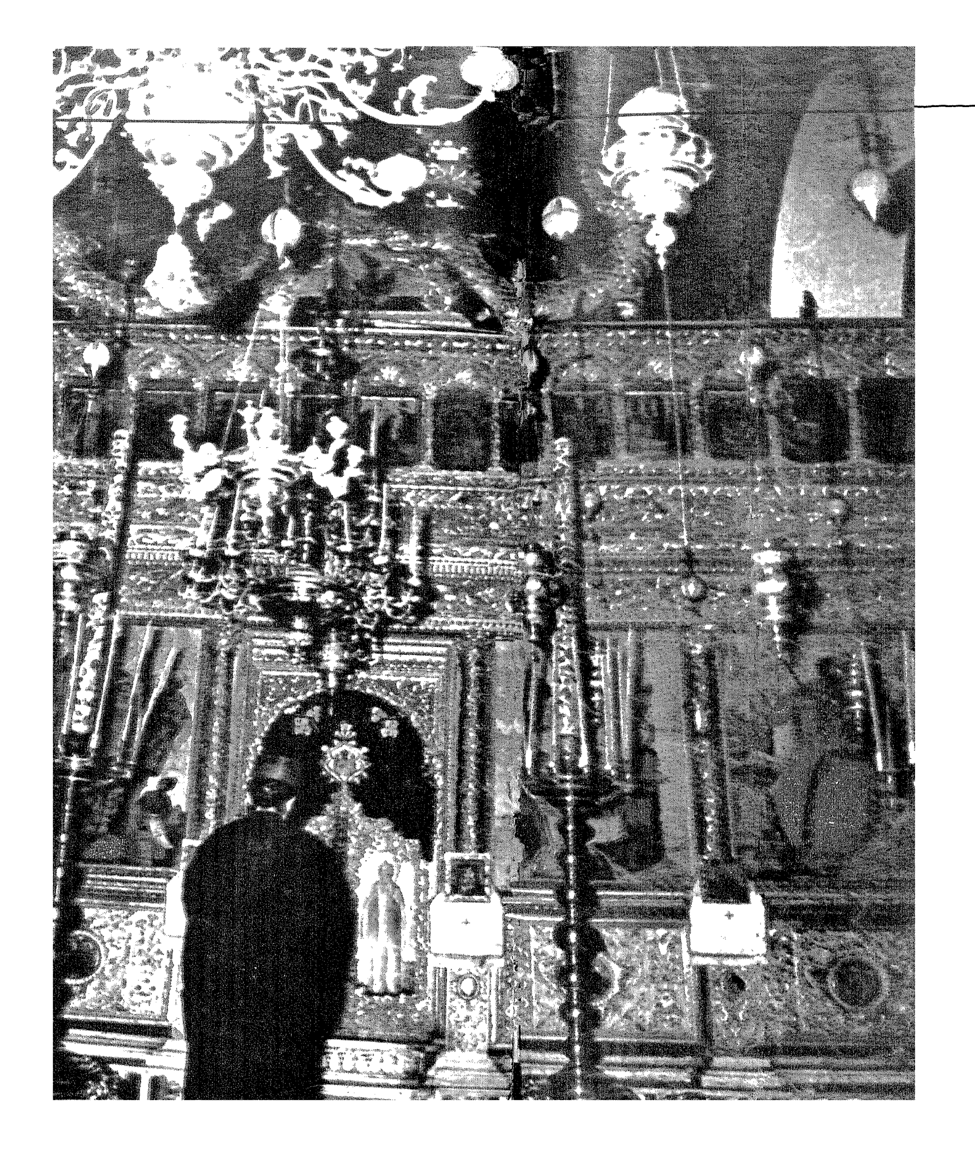
وهو دير مسـيحى على مذهب الروم الكاثوليك ، لأنه كان فى الاصل تابعـا لكنيسة القسطنطينية وأساقفته يختارون من مئات السنين من اليونان والبلقان . ولكنه رغم ذلك دير مصرى داخـل فى نطاق الكرازة المرقسية القبطية المصرية لأنه يقوم على أرض مصر ، وأسقف دير سانت كاترين تابع روحيـا ومعنـويا لكنيسة مصر ، وحكومة مصر هى التى ترعاه وتتولى رعايته وتأمينه .

***

والدير فى ذاته مدينة ، مدينة قائمة بذاتها ، فيها كل مقومات الحياة ، مثله

قاعة من قاعـات الدير مزخرفة بالنقوش الدينيـة البيزنطية وعليهـا لوحات فنية ، والقاعـة تؤدى الى الخلوات التى يخلو فيهـا الرهبان للصـلاة . .





سانت كاترين

فى ذلك مثل كل الاديرة فى العصور الوسطى ، فقد كان المفروض ان الاديرة مدن صغيرة تعتمد فى حياتها على نفسها دون أن تنتظر عونا الا من الله سبحانه وتعالى : فهو يضم الكنيسة والدير والمطحن والمخبز وعيون الماء • وأهله يصنعون كل ما يحتاجون اليه من نجارة وحدادة وعصر زيت واصلاح آلات ، ورئيس الدير أسقف أو مطران ، ولكنه أيضا حاكم أو محافظ لهذه المدينة الصغيرة ، ولابد له من أن يتقن الادارة والاقتصاد ليسير أمور مدينته الدينية الصغيرة ، وهو لابد أن يكون سياسيا ، فهو تابع لكنيسة اليونان وكنيسة مصر فى آن واحد ، وهو محاط بالبدو والبدو فى حاجة الى سياسة ، والى حين قريب كان محاطا باليهود والانسان يحتاج الى أكثر من السياسة حتى يأمن اليهود ولكن مطران الدير عرف كيف يحافظ على ديره مصريا سليما بعيدا عن كل مطامع اليهود ، وقد حاولوا فى وقت من الأوقات أن ينشئوا مركزا سياحيا قرب الدير ، ولكن المطران تمكن بلباقته من صرفهم عن هذا التفكير •

الدير كما قلنا مدينة كاملة تقوم عند سفح جبل موسى • هذا الموقع غير مناسب لأنه يهدد أمن الدير ، وأى عاصفة شديدة تقذف الرمال والصخور من الجبل الى الدير،لقد غضب جستنيان عندما قالوا له انهم أنشأوا الدير فى هذا الموقع،ولكنهم قالوا له انهم مضطرون ، لأن هذا الموقع

◀ كنيسة دير سانت كاترين تعتبر من اجمل آثار العمارة البيزنطية فى مصر لانهـا بنيت فى عصر الامبراطور جستنيان • وهذه الصورة لصدر الكنيسة تعطيك فكرة عن فخامتها وما تضمه من زخارف ونقوش • •

سانت كاترين



قاعة أخرى من قاعات الزخائر التي يحتفظ بها في دير سانت كاترين ٠هذه الزخائر لا تقدر بثمن وان كان معظمها من الفضة والنحاس ولكن قيمتها تاريخية وفنية ..

اختارته من قبل هيلانه زوجة الامبراطور قسطنطين الذى كان اول امبراطور روماني يعترف بالمسيحية وانشات فيه كنيسة سنة ٣٤٢ ميلادية ، ولكنها كانت مجرد مصلى صغير ، وكان من الممكن اختيار موقع آخر ، ولكن هذا هو الذى حدث ٠

***

وداخل أسوار هذا الدير ٠٠ المدينة، يوجد قسمان للضيوف ، كل منهما أشبه بالاستراحة ، ولكنها استراحة منسقة مرتبة يشعر الانسان بالراحة فعلا رغم البساطة والتقشف ٠ ففى كل غرفة - سرير أو سريران ومنضدة عليها ابريق ماء وطبق كبير للغسيل وكرسيان ومصباح للقراءة ٠ والاستراحتان تضاءان بالكهرباء لان للدير محطة توليد كهربائى خاصة به ، ولكنها لا تكفى للمطابخ وتسخين المياه ، وانما تكفى للانارة ، والانارة الكهربائية فى الدير تتوقف الساعة العاشرة ليلا ، بعدها لابد أن ينام الناس أجمعين ٠

***

ولن ندخل فى أوصاف دير كاترين ، فالصور المرافقةلهذا المقال تغنى عن ذلك، انما نريد أن نقول ان عودة دير سانت كاترين الى مصر ليست مجرد حادثة سياسية ، انها رمز ، رمز لبقاء مصر وخلودها وخلود معالها جميعا ، فقد كانت صحارى مصر والشام وبلاد العرب الشمالية حافلة بالاديرة قبل الاسلام ٠ فلماذا زالت هذه الاديرة وبقى دير سانت كاترين بهذه الشهرة العالمية ؟ ولماذا تنفق مؤسسة علمية امريكية ربع مليون دولار لتصوير كل ما فى دير سانت كاترين من كتب ومخطوطات ؟

د ٠ حسين مؤنس



لوحة بالفسيفساء تزين باطن قبة القاعة الرئيسية فى الدير وهى تمثل الرسولين بطرس وبولس وقبة دير سانت كاترين مشهورة بهذه اللوحات من الفسيفساء فى العالم كله .

جراح المساء ..

● محمود العتريس ●

عندى من الذنب جرحُ
أغفو عليه .. وأصحو
أتيته .. غير عادٍ
فعادنى منه قبح .. !!
أخفيه عن حسن قومى
فقد سقمتُ ..وصحوا
شغلت عن ربح ودّى
فضاعَ ود ... وربحُ

***

يقولُ لى .. فى عتابٍ
دواء جرحك .. صفح
فليس كالعفو كفٌ
تطوى الذنوب فتمحو
كأنّ حبّى .. يغض
كأنّ بذلى .. شح
فهل تكون .. وليّى
ما استعبدَ القومَ قدحٌ
حتى ولو مسّ أمرى
لديك فى الظن قرح ؟؟

***

يامن حسنتَ .. عتابا
وزاد حسنكَ ..نصح
سلمت .. مما أعانى ..
ولا نبا بك بروح .!!
شقيتُ ، والمرء قلبٌ
يشقيه .. حزن وفرحُ !
جرح الذنوب .. مساء
قد لا يوافيه .. صبحُ !

هجّاء مُغلق

واديب نهم

● محمد قنديل البقلى ●

● للادباء ميول تختلف باختلاف اهوائهم وتتباين بتباين نزعاتهم، فمنهم الغزل الذى لاينفك يستهويه كل جمال ولايفتأ يقول فيه ويكثر... ومنهم المداح الذى يرصد افعال المعروفين من الرجال يطريهم على كل صغيرة وكبيرة طمعا فيما عندهم من جوائز وهبات .. ومنهم الزاهد الصادف عن ملذات الحياة وما فيها من متاع ومغريات ، يفيض ادبه بالزهد والتعفف والاباء ... ومنهم من يتدنى فيجعل الطعام غرامه ومقصده ومنتهى امله ان يظفر بدعوة الى طعام فيه ما لذ وطاب ياكل حتى يتخم ويشرب حتى يبشم .

وهذا النوع الاخير من الادباء النهمين يفيض شعرهم بوصف الطعام وذكر الشراب ، لا تكاد تقرأ لهم قــولا الا والطعام والشراب لحمته وسداه، وهذا الادب ، ادب الطعام والشراب كـم يروق الكثيرين ويعجب المتادبين ، ففى الحق ان فيه لمهارة خاصة فى الصياغة وبديهة موهوبة فى القول ، ولفتـات طريفة معجبة قد لا يقوى على مثلها الكثيرون من الادباء الذين ليس الطعـام والشراب من همهم وقصدهم .

ولقد ظهــر فى مصر فى القــرن الثــانى عشر الهجــرى ، اديب من هؤلاء الادباء النهمين ، قال الشعر وقال الزجل ، وكان الطعــام والشراب هو غاية هذا الاديب فى شعره وزجله ... ابدع شعرا وابدع زجلا ، وكان هذا وذاك فى الطعام والشراب ، ولم يكفه ما كان يبدع ، بل عدا على ابداع غيره من شعر وزجل فاحاله الى طريقته واخلصه لما يحب ، فاذا هذا الشعر الجاد والزجل الجاد قد استحال شعرا هازلا وزجلا هازلا فى الطعام والشراب وهذا هو كل هدف ذلك الشاعر ومراده .

***

هذا الأديب النهم هو عامر الانبوطى ، المتوفى سنة ١١٢٣ هجرية ، ولعله بوصف الطعام والشراب جعل منه اديبا متهكما حتى كان يخشى تهكمه الادباء من حوله مخافة ان يسطو على ادب لهم جاد فيحيله الى ادب هازل ...

وكم اشتروا سكوته بدعوتهم له الى موائدهم التي كانت تترى وتتوالى وهم يعلمون انهم اذا اغفلوه لحظة لم يغفل هو أن يتهكم بهم وبادبهم فيحيله الى شعر هازل فيه رائحة الطعام ....

وتحضرني في هذه كلمة قالها له اديب من ادباء عصره هو الشيخ الشبراوى ، فقد كان يكرمه اكراما لا ينقطع ، بدعوته اليه يشاركه طعامه وشرابه . يوما بعد يوم ، اذا كان يخشاه ويقول له : « يا شيخ عامر لا «تزفر» قصيدتي الفلانية وهذه جائزتك ! »

وكلمة الشيخ الشبراوى هذه هي كلمة تشبه ادب الانبوطي ، وفي الحق انها كناية لطيفة حين يقول له « لا تزفر » قصيدتي ، اى لا تجعل زفر الطعام يلحقها فتفسد رائحتها ...

والشبراوى بهذا كان يعلم أن اعتداء الانبوطي على شعره واحالته اياه شعر طعام وشراب فيه افساد وهلهلة للشعر ...

وكما كان يفعل الشبراوى بالانبوطي يكرمه خوفا منه ، كان اديب آخر من أدباء ذلك العصر يكرمه هو الاخر ويغدق عليه ويترضاه يخاف ما خافه منه زميلهما الشبراوى من اعتداء على الشعر الجاد واحالته اياه شعرا هازلا يدور حول الطعام والشراب !

ولقد قلت ان هذا اللون من الادب الهازل ليس من الذى يهون ويذل لكل اديب ، بل ان وراءه موهبة وقدرة ليست يسيرة على كل أديب ، ولو نظرت معي الى هذه المحاولة التى حاولها الانبوطي في احالته الفية ابن مالك في النحو الى شعر هازل مضحك ، لآمنت معي ان الانبوطي كان ذا قدرة وكان ا موهبة ، وكان أكثر حفظا لشعر القدماء ... اقرأ معي قوله في الفيته التى سماها « الفية الطعام » يعارض بها الفية ابن مالك :

يقول عامر هو الانبوطي احمد ربى لست بالقنوطي

ثم يقول :

واستعين الله في الفية مقاصد الاكل بها محوية
فيها صنوف الاكل والمطاعم لذت لكل جائع وهائم !

واذا ما قال ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل وحرف الكلم
مفرده كلمة والقول عم ... وكلمة بهـا كلام قد يؤم

نرى الانبوطي يقول :

طعامنا الضانى للذيذ للنهم لحما وسمنا ثم خبزا فالتقم !
فانها نفيسة والاكل عم ... مطاعما الى سناها القلب أم!

ومنهـا :

والاصل فى الاخباز ان تقمرا وجوزوا التقديد اذ لا ضررا ؟!

ارايته معى الى هذه الاحالة وكيف أحال الانبوطى ابياتا فى النحو الى ابيات فى الطعام والشراب فيها احكام وفيها دقة ومن ورائها موهبة ، ثم هى الى هذا كله هازلة فكهة تسرى عن النفس .

وكما اغرم الانبوطى بألفية ابن مالك ، أغرم بلامية العجم للطغرائى ، وهى من الشعر الدقيق الصعب والتى أودعها الطغرائى حكما ومواعظ متعددة ، ومحاكاتها او النسج على منوالها من الصعوبة بمكان لا سيما اذا كان هذا المحاكى لها والناسج على منوالها يريد أن ينقلها من غرض الى غرض ، ولكن اديبنا الانبوطى كان ذلك الاديب الذى لا يستعصى عليه ما يريد ، فنراه ينقل أو يحور هذه اللامية الى صورة فكاهية عن الطعام وصور نفسه فيها الشراهة وحب لون خاص من الوان الطعام وهو لحم الضأن ، وافتن فى معارضته بحيث جعلنا نشعر انه رجل محروم من هذا الطعام .

فالطغرائى يقول فى قصيدته :

اصالة الراى صانتنى عن الخطل وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى اخيرا ومجدى اولا شرع والشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل

فاقرأ معى ما قاله الشيخ عامر الانبوطى وانظر الى هذه الصورة الكاريكاتوريه التى رسم بها نفسه :

اناجر الضان ترياق من العلل وأصحن الرز فيها منتهى املى
أكلى غداء وأكلى فى العشاء على حد سوى اذا اللحم السمين قلى
فيم الاقامة بالارياف ، لا شبعى فيها ولا نزهتى فيها ، ولا جذلى
ناء عن الاهل خالى الجوف منقبض كمعدم مات من جوع ومن فشل
هلا خليلا بدفع الجوع يرحمنى ولا كريم بلحم الضان يسمح لى
طال التلهف للمطعوم واشتعلت حشاشتى بطعام البيت حين قلى
أريد اكلا نفيسا استعين به على العبادات والمطلوب من عملى
والدهر يفجع قلبى من مطاعمه بالعدس والكشك والبيسار والبصل

وكما لم تسلم لامية العجم من محاكاة الانبوطى لها كذا لم تسلم لامية ابن الوردى فقد احالها هى الأخرى الشيخ عامر الانبوطى الى شعر فى الطعام والشراب ، وذلك فى قوله :

اجتنب مطعـــوم عدس وبصـــل — فى عشاء فهو للعقـــل خبـــل
واحتفـــل بالضان ان كنت فتى — زاكى العقل ودع عنك الكســـل
من كباب وضـــاوع قـــد زكت — أكلها ينفى عن القلب الوجـــل !

هذا كله عن الجانب الشعرى ... أما عن الجانب الزجلى فلقدكان الانبوطى فيه كذلك مبدعا لم يسلم منه الزجالون المعاصرون والفابرون كما لم يسلم منه الشعراء السالفون ، فمن كلامه على وزن كلام لزجال فى عصره ، هـو ابن عروس :

اكلك من الضـــــان رطلين — يزيد قلبـــك نفاســـــه ...
وابعد عن الكشـــــك يا زين — دا الاكل منـــــــه تعاسه !

غير هذا وذاك فلقد كان للانبوطى أزجال من ابداعه تصف شغفه بالطعام ونهمه به ، وهل كان له زجل الا فى هذا الولع وذاك النهم ...

اقرا قوله :

يا طابع الضان اشـــتد واغرف اوانى وسيعة
عامر أتى لك وله يد فى الاكل دايمـــا سريعة ؟

واقرا له :

العدس والكشك والفول — الاكل منهم شـــــماته
يصبحوا الشب مخبـــول — قطعوا الجميع التلاته !

واقرا قوله

خشاف مشمش وعناب — الشرب منهـــم دوايا
من بعد ما آكل كبـــاب — يا رب حقـــق رجايا !

أرأيت كيف كان بينا الانبوطى محبا للطعام متهافتا على الاكل متطفلا على الموائد ، لا هم له ان يدعى الى مأدبة ، فان لم يدع اليها اقتحمها على أصحابها والناس على الحالين راضون ، فان لم يرضوا كان لهم من لاذع هجائه ولاسع تعريضه ما يؤذى يسىء .

من أجل هذا سماه الجبرتى : الشاعر الهجاء المفلق لهيب شراره محـــرق .

● مارى غصبان ●

اختفت الأعمال الأدبية من شاشة السينما العالمية

● من المعروف ان كاتب السيناريو ـ او بمعنى اوضح ، المؤلف السينمائى ـ يختار موضوع فيلمه اما من خلال عمل ادبى منشور لاحد الادباء ، او من تاليفه هو .. اى ان القصة السينمائية اما ان يكون موضوعها الاصلى من تاليف شخص آخر ، بحيث يعيد « المؤلف السينمائى » كتابتها بشكل يعتمد على الصورة بالدرجة الاولى .. واما ان يكون هذا الموضوع الاصلى من تاليف المؤلف السينمائى ذاته !

وقد يتصور البعض ان كاتب السيناريو يستسهل اللجوء الى قصة ادبية لمؤلف آخر فيعيد كتابتها للسينما على اساس الصورة ، كما حدث فى السينما العالمية والمصرية حيث نقلت شوامخ الاعمال الادبية الكبيرة لعمالقة القصة والدراما من امثال شيكسبير ، وتولستوى ، وديستويفسكى ، وبرنارد شو ، وجيته ، وجوركى ، وسومرست موم وجرام جرين ، وبيرل بك وغيرهم ـ اقول انه قد يتصور البعض ان تحويل هذه الاعمال الى سيناريو سينمائى اسهل كثيرا على كاتب السيناريو من ان يضطر هو لتاليف الموضوع الاصلى الذى يبنى حوله مشاهد الفيلم او السيناريو السينمائى !

الا ان ذلك فى الواقع غير صحيح .. فان كاتب السيناريو عندما يضع بنفسه موضوع الفيلم او قصته السينمائية ، انما يستطيع ان يتحكم فيها بفكره بحيث يولد الموضوع بشكل يعتمد من البداية على الصورة وبحيث تولد الشخصيات وتنمو وتتطور ايضا بشكل سينمائى يعتمد على الصورة . ويصبح فى النهاية من السهل ان يكتمل بالبناء الدرامى السينمائى .

اما العمل الادبى ، فان المشكلة التى تواجه كاتب السيناريو تعتبر من الضخامة بمكان . لانها تلقى عليه المسئولية الخطيرة فهو يواجه عملا ادبيا معروفا لكاتب شهير . والعمل يحمل مضمونا ما ، عرفه ملايين القراء فى انحاء العالم . وعلى كاتب السيناريو ان يحرص على هذا المضمون وان يزيده وضوحا بالصورة السينمائية كما يحرص على شخصيات هذا العمل الادبى فى تكوينها وتطورها وهو اذا مس هذا او ذاك ، اتهم بانه اساء الى العمل الذى عرفه واحبه الملايين والى الكاتب صاحب التاريخ العظيم .

وتزداد المشكلة تعقيدا عندما يكون هذا العمل الادبى من الاعمال الكبيرة التى تضم تاريخا طويلا يتعرض لمساحة زمنية كبيرة ويشمل عشرات الاحداث



مشهد من الفيلم الفرنسى : فى مواجهة الحياة ـ اخراج : برتران تافرنييـــه

فيها ، اذ يصبح من المحتم على كاتب السيناريو أن يستغنى عن الكثير من هذه الاحداث ، وربمــا عن بعض الشخصيات .. وقد يحتاج العمــل الدرامى فى اعادة بنائه الى اضــافة شخصيات ـ وهــذا من حق كاتب السيناريوغالبا ما يؤدى ذلك الى اقتضاب المساحة الزمنية الطويلة والتطــور الطبيعى بما يتناسب مع وقت الفيلم السينمائى الذى لا يجب أن يزيد على ساعتين عـادة حتى لايمل الجمهور .

ويجد كاتب السيناريو نفســه فى النهاية امام مشكلة ضخمة فهو يبذل من الجهد ما كان يستطيع أن يوفــره لو انه وضـع بنفســه فكرة الفيلم او الموضوع الاســاسى ، وهو فى نفس الوقت من الممكن أن يسىء الى النص الادبى المعروف بما يلغيه من احـداث او يحذفه من شخصيات ، وأيضــا بما قد يضيفه من ذهنه من شخصيات واحداث يقتضيها العمــل الدرامى فى **بنائه الجديد .. ثم فى النهاية فــان اسم صاحب النص الادبى لا يزال بعد ذلك كله فوق العمل .. ولا يــزال الجمهور يعرف صاحب العمل الادبى اكثر مما يعرف كاتب السيناريو الذى حول هذا العمل الى فيلم ســينمائى يشاهده الملايين ،حتى الذين لا يعرفون منهم القراءة ، او الذين يعرفونهــا لكنهم لا يستطيعون قراءة اعمال الكتاب الكبار لانهم غير قادرين على فهمها.**

ولعل الدليل على أن كتــابة السيناريو لعمل أدبى معروف ليس اسهل بالقطع من كتابة السيناريو لعمل من تاليف كاتب الســيناريو ذاته ـ ان هذا العدد الضخم من الافـلام التى ضمها مهرجان برلين السينمائى الدولى الاخير ، وهو عـدد يزيد على ٥٠٠ فيلم

ـ ليس بينها سوى اربعة افلام فقط، هى التى كتبت عن اعمال ادبية !

وهذه الافلام هى : «ارملة مونتييل» الذى اشتركت فى انتاجه كل من المكسيك وكوبا وفينزويلا وكولومبيا ثم « المانيا الوطن الباهت » وهو انتاج المانى .. ثم « جريمة كونيكا » من انتاج اسبانيا . و « فى مواجهة الموت» من فرنسا ..

ارملة نوتييل مقتبس من كتاب للكاتب « جبرييل جارسيا ماركيز » ، ويدور موضوعه حول رجل يدعى « جوسيه مونتييل » الذى يموت ولا يتصور احد ان ميتته طبيعية . فقد كان انسانا مكروها لانه استطاع ان يتحول خلال ست سنوات من رجل فقير جدا الى رجل ثرى . ثم سيطر على التجارة واقتحم ميدان السياسة ، واصبح عينا واذنا للدولة بين الناس

..وقد استغل موقفه هذا لكي يتخلص من اعدائه واحدا بعد الاخر ، بحيث يرسل الفقراء منهم الى السجن ، ويطيح بالاغنياء خارج البلاد .

وفي جنازة هذا الرجل الكريه ، لا نرى جمهوراً يشيعه ، ولا اولاده وبناته الذين يدرسون في الخارج . نرى فقط ارملته التى تسير خلف نعشه .. انها تزوجته وهى صغيرة ، ولا تعرف شيئا عن عمله وقد ظلت تثق به ثقة عمياء ، حتى انها لاتعرف شيئا عن ممتلكاته ولا تعرف مكان مفتاح خزانته .. انها وحدها مع الشغال فى منزله : تراقب كيف تريد المدينة ان تنتقم من الزوج الراحل ، وتريد أن تحرق حظائر خيوله .. انها تهرب فى النهاية من بيتها ، وتسأل السماء ـ متى ترحل اليها ، ثم تنتحر ..

مخرج الفيلم هو « ميجيل لينين » من شيلى ، بدأ حياته مؤلفا مسرحيا ، وهو يختار افلامه من اعمال ادبية معروفة ..

فى مواجهة الموت : فيلم فرنسي مقتبس عن رواية للكاتب « دافيد كومبتون » وهو من الافلام العلمية رغم ان مخرجه « برتراندا برنيه » ينكر ذلك ويقول ان الفيلم يجمع بين الفكرة العلمية وسينما المشاعر والاحاسيس ، والخوف الذي قد يؤدى الى الموت.

الفيلم تجرى احداثه فى مدينة المستقبل ، حيث يموت الناس من الجوع والعنف او الخوف او الشيخوخة لانهم لم يعودوا يموتون من المرض .. لذلك ،فان التليفزيون يجرى برنامجا بعنوان « فى مواجهة الموت » حيث يكشف عن اناس يموتون من المرض . ولذلك ينجح هذا البرنامج فى عالم لا يموت فيه الناس من المرض ويختار البرنامج الفتاة « كاثرين » ليجرى عنها احدى حلقات البرنامج . يحدث ذلك بعد ان يتم « ترقيع » ذهن المخرج بكاميرا صغيرة تقوم بتسجيل كل مواقف هذه الفتاة حيث يصحبها المخرج بتلك « الكاميرا الذهنية » .. وبالفعل تستمر الاحداث التى تنتقل الى شاشة التليفزيون .. ولكن غير المتوقع هو وقوع المخرج فى حب«كاثرين» مما جعله يغمض عينيه لفترة طويلة ، وهنا تنفصل الاسلاك عن هذه الكاميرا الذهنية فلا تسجل شيئا ، بل انها تؤدي الى ان يفقد بصره .

تبحث الطائرات الهليوكوبتر عن «كاثرين» والمخرج بين الغابات ، وتتضح المفاجأة فى النهاية حيث تكتشف ان « كاثرين » ليست مريضة ، وان مدير التليفزيون هو الذى اتفق مع احد الاطباء للايحاء بانها مريضة بالسرطان ، وعندما تكتشف هي هذه الحقيقة ـ تقرر الانتحار !

المانيا الوطن الشاحب : فيلم للمخرجة « هيلما زاندرز »وهومقتبس عن قصة حياة المخرجة نفسها التي عاشت ايام النازية خلال الحرب العالمية



رومى شنايدر : بطل فيلم « فى مواجهة الموت » مع مندوبة الهلال : ســارى غضبان

الثانية وما بعدها .

يروى الفيلم قصة حب سريعة بين «هانز» و « هيلين» ، وبمجرد زواجهما يستدعى هو للحرب ، وفى الايام القليلة التى يلتقيان فيها خلال المعارك، تقرر ان تنجب منه ، ثم نتابعها خلال هروبها من مدينة الى اخرى مع طفلتها الوليدة التى تكبر مع الاحداث . وعندما تلجا الى قصر عمها فى برلين يكشف الفيلم عن الفوارق الاجتماعية الواضحة بين اسرتها واسرة زوجها ، مما يسبب لها شللا نصفيا فى وجهها .. بينما نجد الزوج بعد عودته من الحرب وانتهاء النازية واعلان السلام ،يعانى من بطالته فى حين يحصل كل الذين كانوا تابعين للنازية على الوظائف .

وعندما تقرر الام ان تنتحر بغاز الحمام ، تدق الطفلة على بابها وتصرخ .. فتعود الام تحضنها من جديد !

ورغم حساسية المخرجة وقدرتها على التعبير الا انها استسلمت لاسلوب المبالغة فى الاحداث بطريقة الميلودراما المجوجة .

جريمة كونيكا : وهو فيلم اسبانى لمخرجة امراة ايضا ، عن قصة حقيقية وقعت فى اسبانيا للمؤلف « سلفادور مالدونادو » وهى تدور ايام فرانكو فى قرية صغيرة من اسبانيا ، حيث يقتل رجل ويتهم شخصان بارتكاب هذه الجريمة ،وتحت العذاب غير المحتمل يعترفان بارتكابهما للجريمة – بعكس الحقيقة – ويحكم عليهما بالاشغال الشاقة لمدة ١٨ سنة .. ولحسن السلوك يتم الافراج عنهما قبلها بسنوات ، لكن المفاجاة الغريبة ، ان الرجل المقتول يظهر حيا بعد عامين من الافراج عن القاتلين !.. ويستانف الحكم من جديد ، ويطالب المسجونان خطا بالتعويض ويضطر ثلاثة من القضاة الى الانتحار !

والغريب ان مشاهد العنف غير الطبيعية كانت تسيطر على الفيلم رغم ان المخرجة امراة .. ولعل السبب ان هذه المخرجة نفسها عانت كثيرا فى عهد فرانكو من السيطرة الاستبدادية على كل الاجهزة والنظم الاجتماعية .. وعندما جاءتها الفرصة فى عهد ديمقراطية الملك « خوان كارلوس » ، لم تجد طريقة للتعبير عن معاناتها سوى تلك المشاهد العنيفة فى فيلمها ..

ويبقى الاغرب من ذلك ، وهو ان اسبانيا تمنع عرض هذا الفيلم داخل البلاد .. ايضا – ورغم الديمقراطية.

والذى الاحظه ان المخرجة بدلا من ان تسلط الاضواء على العدالة والقضاء، فقد سلطتها على مشاهد التعذيب والعنف ، مما اضاع رسالتها الاساسية !

وبعد ..

فان المشكلة الاساسية فى السينما – سواء فى مصر او العالم – هى فى كتابة السيناريو ، لان السيناريو هو الفيلم .. ولا شك ان عملية البحث عن كاتب سيناريو متفوق ، خلاق ، لاتزال تدور فى انحاء العالم كما تدور فى مصر .



● عزت محمد ابراهيم ●

● ليست المرة الاولى التى اقرأ فيها كتاب « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحى ، فقد قرأته اكثر من مرة ، وافرغ من قراءته فى كل مرة لاقول لنفسى : هاهو ذا كتاب قد غالب الزمان فغلبه ، وتوالت السنون وكرت الاعوام وهو لايزال بين ايدى الناس يقرؤه قارئون ويعجب به معجبون .. فكم من الكتب التى بين ايدينا اليوم يقدر على الصمود والتحدى قدرته ، وان منها ماهو غثاء كغثاء السيل ،وان منها ما يلفظ فى المهد أنفاسه ، فيكون مهده لحده ، وما يزيد ما بين المهد واللحد على طرفة عين !

واذا كان العقاد العظيم لم يزد تعليمه المدرسى عن الابتدائية ، فان المويلحى لم يحز من الشهادات شيئا ، ولا حتى الابتدائية ، لا لفقر فيه ، ولا لخصاصة فى أهله قعدت به عن الانفاق ، فقد كان ذا يسر ، وكان بيته بيت جاه وعز ، ولكن لعلة فى خلقته ، مع رهافة فى حسه اجتمعا فيه فبغضا الى نفسه الخلطة والاجتماع ، وكانت تعتريه حبسة فى الصوت ، فيغص بالكلمات حلقه ، فلا يقدر على الابانة والافصاح ، وربما كف عن الكلام وأشاح بوجهه عن محدثه الما مما يعانى .. ذلك نقص عنده احسب أن يعوضه ويكمله فى منحى آخر فكان هو منحى الادب والفن ، كحال من عرفنا من سواه من أصحاب الادب والفكر والفن من ذوى الافات والعاهات على اختلافها وتباينها وتنوع اشكالها من هوميروس والمعرى حتى سومرست موم وطه حسين .

ولم تقعد به العلة عن طلب العلم وتحصيله ، فقد جمع له ابوه المعلمين فى بيته ، يتلقى على أيديهم الفرنسية والعربية ، ثم كان يقصد الازهر يستمع الى مايلقى فيه من دروس ، فافاد منه خير افادة ، ثم سافر ورحل وعرف ورأى ، واضاف الى ما تعلم مزيدا من العلم فتعلم الايطالية ، فكان خليقا ان يتوفر له من الثقافة خير زاد ، واهم من ذلك كله ان يجمع بين طرفى الثقافة العربية والغربية ، وهما مرد النبوغ والتفوق عند كل من عرفنا من رواد نهضتنا الفكرية الحديثة ، بغير حاجة الى عد واحصاء .

وقد جمع المويلحى بين الانشاء والفن فكان منشئا متفننا ، وقد كانا له معا جناحين ، حلق بهما فى الاجواء عاليا .

وقد اشتهر المويلحى وذاع صيته

وسمت مكانته ، حتى كان فقده رزءا عظيما وخسارة فادحة يحشد لهـا الراثون فنون قولهم ، فيقول فيه احمد شوقي :

كاتب محسن البيان صناعه
استخف العقول حينا يراعه
ابن مصر وانما كـل ارض
تنطق الضاد مهده وربـاعه

وقال فيه حافظ ابراهيم :

غاب الاديب اديب مصر واختفى
فلتبكه الاقلام او تتقصـفا

***

ذلك هو المؤلف ، اما الكتاب فهـو اقرب الى ادب المقامات ، تأثر فيـه بسابقيه من فحول هذا الفن من امثال الهمداني والحريري ، ونسج عـلى منواله فيه لاحقون ، فكانت « ليـالى سطيح » لحافظ ابراهيم بعض غرسه ، وقد قيل فى الكتـاب انه كان نواة للرواية العربية الحديثة ، وقد يشجر فى ذلك خلاف لبعد مابينه وبين الرواية بمفهومها الحديث ، ويبقى بعد ذلك ما لا خلاف عليه ، وهو انه مهد ارض القصة ورعاها ، وجاء من بعـده فالقى فيها البذور فنمت وترعرعت وأثمـرت واينعت فآتت اكلها بعد حين ..

ولعل من حق ابراهيم المويلحى ان يذكر فى مقام الحديث عن ابنه محمـد المويلحى ، وقد كان الاب اديبا ، وكانا ينشران فى وقت واحـد : الابن ينشر حديث عيسى بن هشام ، والاب ينشر حديث موسى بن عصام. وقدر للاول أن يبقى وان يندثر الثانى فتطويه الايام.

***

وعيسى بن هشام هو الشخصـية التى تدور حولها احداث الكتاب ، او هو الشخصية التى تقمصها المـؤلف ليتحدث بلسانها عما يريد ، وتبـدا صفحة الكتاب الاولى برؤيا او منام ، فهى خارقة من الخوارق لاسبيل الى الوصول اليها الا عن طـريق التخيـل والاحلام ، حين يكون عيسى بن هشـام بين المقابر يلتمس العبرة : ثم اذا بقبر من هاتيك القبور ينشق ويخـرج منه واحد ممن كانوا قد توسـدوا فيـه الثرى واذا به أحد «الباشوات» قد بعث من مرقده ، ثم يكون ابن هشام دليله ومرشده فى عالم جديد لا عهد له به ، ولا علم له بما فيه ، يسـتغرب « الباشا » ويتعجب، ويشرح ابن هشام ويفسر .

لقد هجم المويلحى على موضـوع كتابه هجوما سريعا خاطفا ، لا يستأنى فيه ولايتمهل ، فاذا به بعد صـفحتين فى قبضة يده يحركه كيف يشـاء ، ويشرق به ويغرب كيف اراد ، او هى خيوطه قد اصبحت بين اصابعه فهـو ينسج منها ما يشاء من موشى الثياب، انها يد ماهر صناع قد فجرت ينابيع الكتاب كله بضربة واحدة ، واذا أحب أن يلم بأحداث يأنف «الباشا» وابن هشام من المشاركة فيها ، أو يصيب الخـلل والارتباك موضوع الكتاب اذا هما قد شاركا فيها ، فان الحيلة عندئذ حاضرة والمخرج سـهل ميسور لا يقصر عنـه ذكاء المؤلف ، ولا تضيق به افانينه ، فليقفـا اذن موقف المتفـرج مما يدور امامهما من احداث ، وليكونا منهـما عن كثب فلا يفوتهما منها شىء ، ولا يفوت قارىء الكتاب كذلك ..

انها تلك الحيل والافانين التى يعرفها اصحاب الفن الروائى ويملكون زمامهـا فيحركون بها الوقائع والشخوص عن قدرة ودراية وتمكن، وحسن استخدام للادوات والاساليب ، وانها لمن احفـل

وامتع احداث الكتاب وفصوله ، وهى تلك التى تدور حول العمدة ـ والتاجر والخليع ، والتى جاءت فى الكتاب تحت فصول : العمدة فى الحديقة ـ العمدة فى المجتمع ـ العمدة فى المطعم ـ العمدة فى الحان ـ العمدة فى المرقص العمدة فى الرهن ـ العمدة فى الاهرام ـ والعمدة فى الملهى .. انه عمل فنى قائم بذاته ، او هى رواية داخل الرواية ، وهى فصول تموج بالحركة وتضطرب بالحياة وتتدفق فيها الاحداث تدفقا ، ويتصل بعضها ببعض وياخذ بعضها بزمام بعض ..

واغلب الظن ان قارئها فى حينها كان ينتظر متلهفا فصولها على احر من الجمر فى « مصباح الشرق » ليعرف ماذا آل اليه امر العمدة ، وكيف خرج مما وقع فيه من شر ، وما نصب له من احابيل المكر واشراك الخداع ، تماما كما يحدث فى ايامنا حين تعرض الشاشة الصغيرة حلقات متتابعة ينتظرها الناس فى لهفة ، ويترقبون موعدها فى اشتياق ..

واخص ماتمتاز به هذه الفصول من الكتاب هو الصدق الفنى ، فهى صور صادقة للمجتمع الذى عرفه منشؤها وعاش فيه ، ولم تغفل عينه عن ظواهره وخوافيه ، ترى كم من روايات وتمثيليات قرئت ومثلت ، وقد استمدت قوامها من هذا العمل اقتباسا وتأثرا وتغييرا وتبديلا ، أو على الاقل اشارة الى باب يلج منه المتفننون فيربحون ويغنمون .. ولقد وددت لو لخصت بعضها ولكن المجال اضيق من ان يتسع لذلك ، فضلا عن انه ليس يغنى بعضها عن كلها ، وما اكتب عن هذا العمل العظيم لكى اغنى عن قراءته ، وانما لكى أحفز اليها ، فحسبى منه هذه الاشارة دلالة عليه .

واذا كانت مصر هى مسرح القسم الاول من الكتاب وموقع احداثه ، فان باريس هى موقع احداث قسمه الثانى او هى ـ توخيا للدقة ـ مجال الوصف فيه .. كان المويلحى قد زارها وجاس خلال معالمها وشاهد معرضها المقام فيها حينذاك ، وبرجها الذى تمت اقامته وقتذاك ، فلم يجد غضاضة فى ان يكون ذلك تتمة لكتابه ، فحمل عيسى بن هشام و« الباشا » الى هناك يمخران عباب البحر الى تلك الديار .. ويتناول المويلحى فى كتابه المدنية الغربية بخيرها وشرها تناول الفاحص المدقق الواعى الحصيف الذى لا تلهيه القشور عن اللباب او يغره المظهر عن المخبر .

وقد جمع المويلحى فى كتابه بين السجع والترسل ، ولكنه السجع غير المتكلف الذى يكاد يختفى فيه أثر الصنعة فلا يحس بها متذوقه ، وتلك آية الفن ، وقد اعانه على ذلك ذخيرة من الالفاظ لا تكاد تنفد ، وفيض من الكلمات كانما يغترفها من بحر اغترافا ، ولم يكن كذلك حال النثر فى عصره ، فان من بين الكتاب وقتذاك من يبدو كانما ينحت من الصخر نحتا ، او يقتلع الكلمات اقتلاعا .. تبقى بعد ذلك كلمة يعز على ان تبقى فى صدرى حبيسة . اين الاذاعة .. مرئية ومسموعة عن هذا الكتاب الحافل الفنى ، وهو جدير أن يضيف اليها غنى وثراء .

الحمامة والذئب الشاعر

● سالم حقي ●

وارتدى الذئبُ مسوحَ الناسكين — معلنا توبتَه في العالمين !
ومضى للروض يمشي خاشعا — هادئَ السمت .. يُحيِّي الناظرين
غمغم الثعلبُ ... من دهشته — أي سرٍّ في قناع التائبين ! ؟

***

قصد الذئبُ ... إلى غايته — ذلك العش ... بأعلى الياسمين
قال : يا هذي الحمامات التي — تملأ الروض هديلا كلَّ حين
يشرقُ الفجرُ على أنغامها — عاطر الأنفاس .. وضَّاح الجبين
جئتكنَّ اليومَ أبغي مأربا — ليسَ لي فيه .. سواكنَّ .. معين
آه .. لو أملِك صوتا ملهما — يبعث الشجوَ ويهتاج الحنين !
تنبض الآهةُ في نبرته — مثلما تنبض في القلب الحزين
أنا قلبٌ شاعرٌ ... ينقصه — ساحرُ الجرس وصدَّاح الرنين !
وأنا طوعُ التي تهبط لي — أستقي من نبعها الدرس الثمين
فلقد ودعتُ أيام الصبا — كيفَ آتي العشَّ..والجهد ضنين ؟
آهِ .. لو تبلغنني ..أمنيتي؟! — عشتُ عبدا .. أبد الدهر ..أمين!

***

واستجابت من بريئات القطا — بضةٌ .. بيضاءُ .. تسبى الناظرين
ذاتُ طوقٍ من عناقيد السنا — ذاتُ جرس من لهاة العاشقين
هبطت للذئب .. ترعى شأنه — مثلَ طفل لم يزل غفلَ السنين !
فإذا الصوتُ عواءٌ .. لا ينثني ! — وإذا الجرسُ عصيٌّ .. لا يلين !
قالت الورقاء : يا ذئب الفلا ! — لستَ للشدو .. وهمس الحالمين
صاح : يا ورقاء ! .. لا ..لاتقنطي — ولتجيئي الغابَ خيرَ الزائرين
هو يوم آخر .. أو بعضه — وتؤوبين .. بغار الفاتحين !

***

رجع الذئبُ .. إلى غابته — يحمل الصيدَ البريء المستكين
بارزَ الأنياب .. مسعور الخطى — ينقض العهدَ ويزهى بالكمين !
... ومضى الدهرُ .. ولم يروِ لنا — أن ذئبا .. كانَ .. بين المنشدين!

فلسفة الجمال في الفكر المعاصر

● تأليف : دكتور محمد زكى العشماوى ●
● اعداد : عادل عبد الصمد ●

● يعتبر تحديد ماهية الفن ، من القضايا التى شغلت الكتاب والمفكرين وطرحت نفسها على الباحثين والدارسين فى ميادين علم الجمال والفلسفة والدراسات الادبية والنقدية .

وكل ماتقدم من تعريفات لتحديد ماهية الفن، فهوعاجزعن الوصول الى التعريف الجامع المانع الذى يصلح لكافةالفنون فى كل عصر وفى كل زمان .

ان صعوبة وضع تعريف للفن ، انما يرجع الى طبيعة الفن ذاته ، حيث اننا نواجه وجها من اوجه النشاط الانسانى، لا يخضع للاحكام المطلقة ولا يعرفها .

فالنشاط الفنى على اختلاف أشكاله ـ سواء اكانت فنونا تشكيلية كالتصوير والنحت والعمارة ، ام كانت فنونا تعبيرية كالموسيقى والشعر ـ ليس من العلوم المضبوطة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء ، تلك العلوم التى يتفق على صحة معاييرها أكبر قدر من الناس ...

ولقد تعرض لذلك كله مؤلف كتاب « فلسفة الجمال فى الفكر المعاصر » كما تعرض لقضية أخرى تخص « الفن » و «الذاتية» ، موضحا الفرق بين الحقيقة العلمية والحقيقة الفنية من خلال دراسته عن « الفن والذاتية » .

فبين لنا ان الحقيقة العلمية تصح واقعيتها اذا صحت فكرتها الذهنية ، واذا اثبت المنطق والتجربة صحتها .

فالقوانين العلمية تقتضى صحتها أن تكون منطقية ، وبذلك تكون الحقائق العلمية كليات عامة يتفق الناس على صحتها ويثبتون ذلك باختبار نتائجها اختبارا يخضع لوسائل مادية محسوسة ، وأن معايير الحكم لا تأخذ صفات فردية وانما تكسب صفة العموم لما لها من واقعية يؤكدها المنطق وتثبتها التجربة العلمية . ومن هنا كان العلم موضوعيا وليس ذاتيا .

وبذلك اختلف العلم عن الفن ، لان الفن لا يخضع للاختبارات التى تجرى فى المعامل ولا نتيجة تثبتها التجربة العلمية ، وانما هو نتيجة لما فى الفنان من تباين وفردية .. وترتفع قيمة العمل الفنى كلما كان هذا التباين وتلك الفردية مظهرين واضحين فى الانتاج الفنى

والفردية والذاتية تميز الفن عن العلم عند النقاد وعلماء الجمال ، وهى العنصر الاساسى الذى يجعل الفن عند خلقه يتسم بسمة الاصالة . وهذه الاصالة هى التى تطبع الفن

بطابع الذات وهي التي تجعل من كل أثر فني صورة مشيزة تحمل روح كاتبها ومزاجه ولفتات ذهنه وقدراته على التعبير.

فالصدق في الحقيقة العلمية يرجع الى ما لها من واقعية يؤكدها المنطق وتثبتها التجربة العلمية، والصدق في الحقيقة الفنية يرجع الى مدى ما يكون من تواؤم واستجابة بين التجربة التي تتضمنها قطعة من الادب وبين ما يحدث أو يقع للانسان من تجارب واقعة بالفعل أو ممكنة الوقوع .

وبذلك يقول الدوس هوكسلي ((عندما تصبح التجارب التي يسجلها الاثر الفني متوائمة في يسر والتصاق مع تجاربنا الفعلية أو ما نسميه بتجاربنا الممكنة ، فاننا نقول دون شك هذه القطعة من الادب صادقة)) .

ومعنى هذا اننا نقبل القضايا في الشعر والادب من اجل الاستجابات العاطفية التي تثيرها فينا هذه القضايا .

وليس من شك في أن هذا الاحساس بالتصديق أو الاقناع أو القبول الذي ينتهي اليه القارىء لاثر فني جيد ، مرتبط أشد الارتباط بقدرة الاديب أو الفنان على رؤية الحقائق النفسية والانسانية بصفة عامة، كما انه مرتبط كذلك بمدى طاقته على التوصيل والاداء ، لان كل فنان مزود بقدرة لا تمتلكها اغلبية الناس ، والفنانون لديهم الاستعداد الطبيعي للرؤية والنفاذ والتعلم الى أقصى حد ، وهم في نفس الوقت معلمون ماهرون .

والفن ان كان يصدر عن ذات واحدة فانه يهدف في نتيجته الى اشراك اكبر عدد من الناس في التمتع بالاثر الفني، وبذلك تنتهي الذاتية في الاثر الفني الى محو الفروق والتضاد بين الافراد ، ويظهر هنا مهمة الفنان حيث أن انعكاس الوجود الخارجي على نفس الشاعر او الكاتب انما هو في الحقيقة انصهار الموجود خارج الاديب عن طريق التجربة الوجدانية أو الحدسية التي يعانيها بوجوده الذاتي .

وينتج من ذلك كله ان الاثر الفني تعبيرا أو خلقا او ادراكا هو حصيلة اتحاد ذات الفنان بالعالم الخارجي والباطني معا.

وان مسئولية الفنان لا تقل ان لم تزد على مسئولية العالم في محاولته لتفسير الوجود وفهم اسراره واكتشاف حقائقه.

ثم تعرضت الدراسة في هذا الكتاب ايضا لموضوعية الفن في النقد الحديث حيث يتضح من تلك الدراسة .. ان اصحاب الموضوعية في الادب يريدون تصحيح بعض المفاهيم الشائعة التي تسيء للخلق الادبي .

فان كل ما يهدف اليه اصحاب الدعوة الى موضوعية الادب هو أن يقرروا ان عملية الخلق الادبي لا تستمد قيمتها مما تتضمنه من تجارب ذاتية بل تكتسب قيمتها مما تحتويه من قيم فنية ، وليس هناك ما يحدد هذه القيم الا ما في الاثر الفني نفسه من خصائص هي نتيجة طبيعية لنضج العقل الخالق للفنان وتوافر امكاناته ، وهذه الحقيقة لا تتنافى اصلا مع الذاتية في الادب التي هي شرط اساسي في كل خلق ادبي .

كاريكاتير

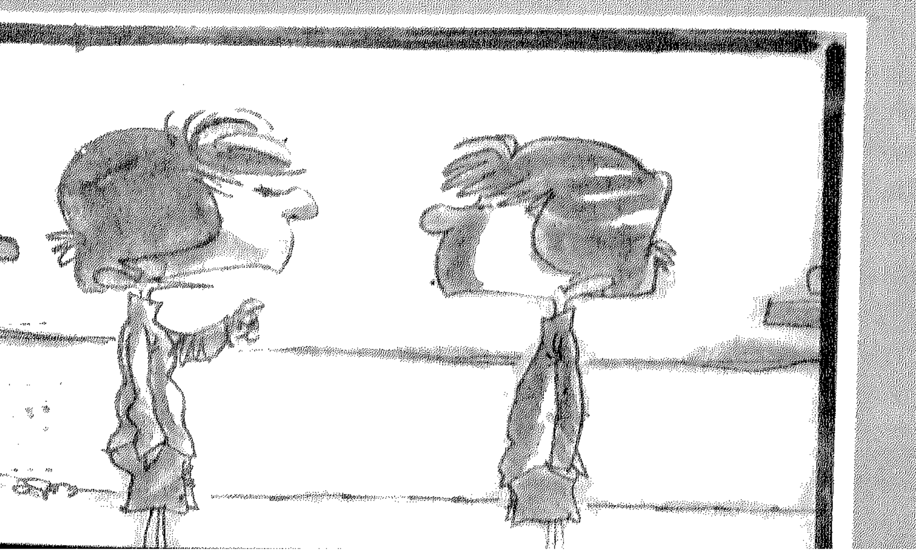
جيل جديد جداً !



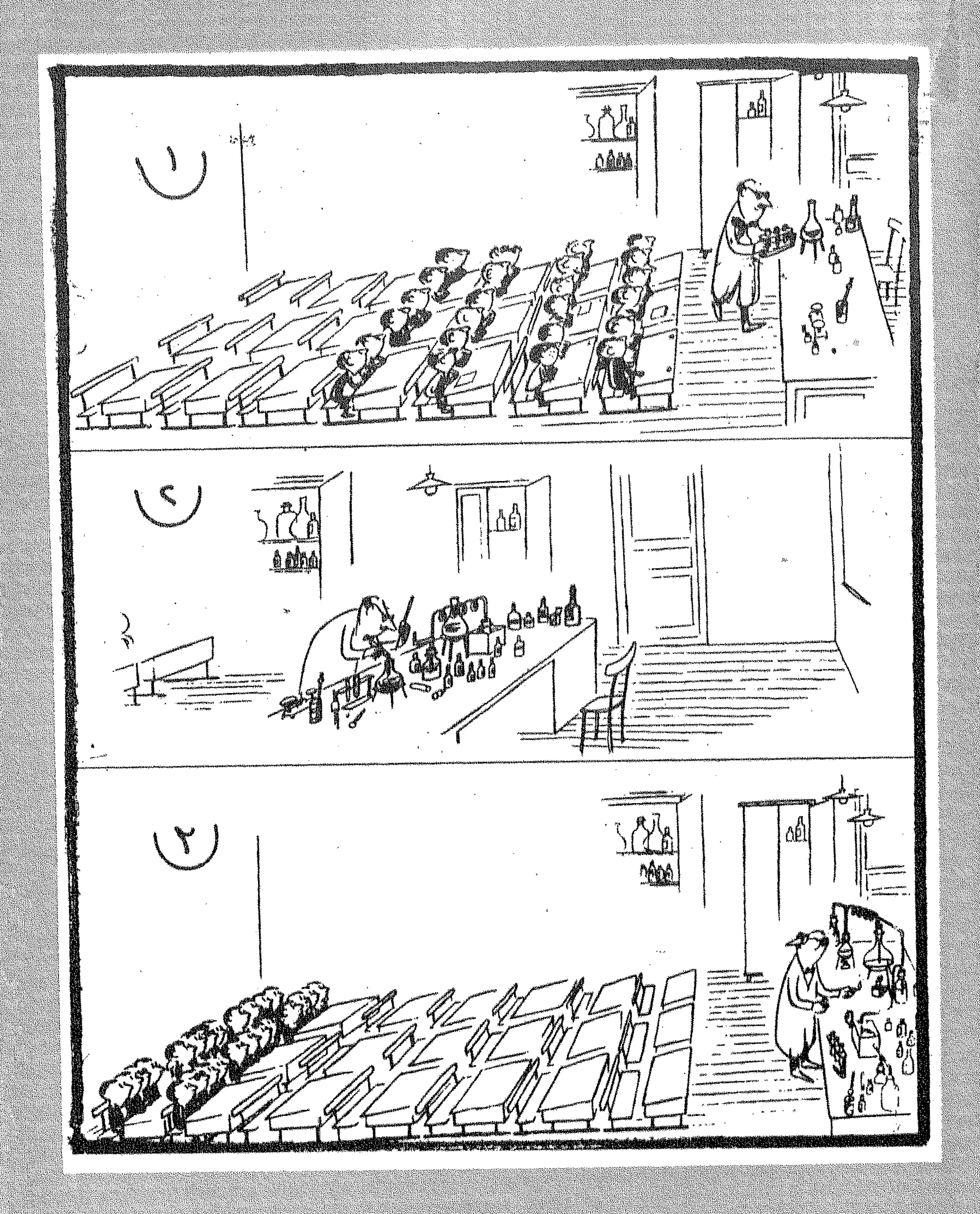
الولد لصاحبه : ما انا عارف ان الدنيا هنا برد زى التلج .. وعلشان كده انا واقف هنا من غير بالطو .. عاوز آخد برد محترم يريحني من المدرسة زى أسبوعين !



الولد لابيه : من نفسك ، مش رايح المدرسة النهارده ، وليه اروح .. ما انت رحت المدرسة عشرين سنة ، والنتيجة زى ما انت شايف !..



الولد لصاحبه : اذا كنت عاوز تاخد مني « شوشو » علشان بتقول انك بتحبها ، لازم تدفع لي تعويض مناسب ، اصرف منه لغاية ما اشوف لي واحدة غيرها !



الجيل الجديد واعٍ جداً .. أوعى من الاستاذ ؟
وهذه الصور الثلاث ـ بدون تعليق ـ تعبر عن
فطانة هذا الجيل من العفاريت !

الغرفة الخالية

● خليل فواز ●

يؤرِّقني البُعدُ يا غاليَه — وقسوةُ أيامي الخاويَه
وتلكَ اللَّيالي .. مضى عهدُها — وأتبعتُها دمعة جاريه
وماذا تَبقَّى سوى ذكرياتي — وطيفك .. في الغُرفةِ الخاليه !

***

ألا أينَ منِّيَ سحرُ الجفونِ — ووجهكِ ذو الفتنةِ الطاغيه !
وهمسُ الشفاهِ وعذبُ الحديث — وعيناكِ .. والنظرةُ الحانيه
وإشراقُ وجهكِ كلَّ صباحٍ — وصوتكِ .. والضحكةُ الصافيه !

***

ووقعُ خطاكِ .. كخطو الملاكِ — وظلّك رائحة غاديه ...
ودرب مشينا بهِ ضاحكينِ — وهمسةُ حبٍ على ناصيه !
وروضةُ سحرٍ سَمعْنا بها — أغاريدَ عصفورة شاديه

***

وثوبٌ جديد أتيتِ بهِ — تُناسبُه وردة ناديه
يتيهُ سعيداً بمَنْ تَرتديه — فترقصُ ألوانهُ الزاهيه !
وقولي «جميل» ..وقولك«شكرا» — تُداعبُك البسمةُ الراضيه !

***

وأذكرُ أوَّلَ لقيا لنا — بعيدا عن الأعينِ الواشيه ،
أبيحُ لثغري مفاتنِ وجهٍ — تورد في حمرة قانيه ..
ونسمعُ وقعَ خطًى من بعيدٍ — فنجفلُ .. كل إلى ناحيه !
وفي فَمِنا قُبَل ظامئات — وفي دمِنا رعشة غاويه !

***

ويومٌ قضيناه بين الحقول — تُعانق خضرتَها الكاسيه
تَميلُ على جذعِ صفصافةٍ — ونلثمُ سنبلةً جاثيه
وآهات شادٍ بِمَسْواله — كأنَّاتِ ساقيةٍ شاكيه !
ترامتْ لسمعِ ذئابِ الخلاء — فرَقّت طِباع لها جافيه !

اعتراف

● نشات المصرى ●

قبلما ياتى الخريف .
ويصير اليوم حلما ،
فنعيد الامس بالاكراه وهما ...
.. تهجر الالحان عشينا الى عش اليف
قبلما ياتى .. تعالى نعترف .
ان ما فات من العمر نزيف لم يجف ! .
واذكرى ان خانت الناس هواها بين صحو ومنام
« نحن شفتان لجرح يتمنى الالتئام ! .. »

***

كان ياما كان ..
بهلوان يسال الساحات عمن يستجيب
زامرا فى حينا لحن الغروب
وحده يضحك ، يبكى ، يتلوى ، ثم يمتص اللهيب ،
يرمق الاشجار عجفاء ، تأست باندثار المعجبين ،
ارسلت أوراقها الصفراء ، بالصمت تصفق
فتعالى .. قبلما نصبح هذا البهلوان
فتخط الوحشة الدكناء رسما فى تراب المائدة
ورفيف الحب فى العينين ذكرى بائدة !

***

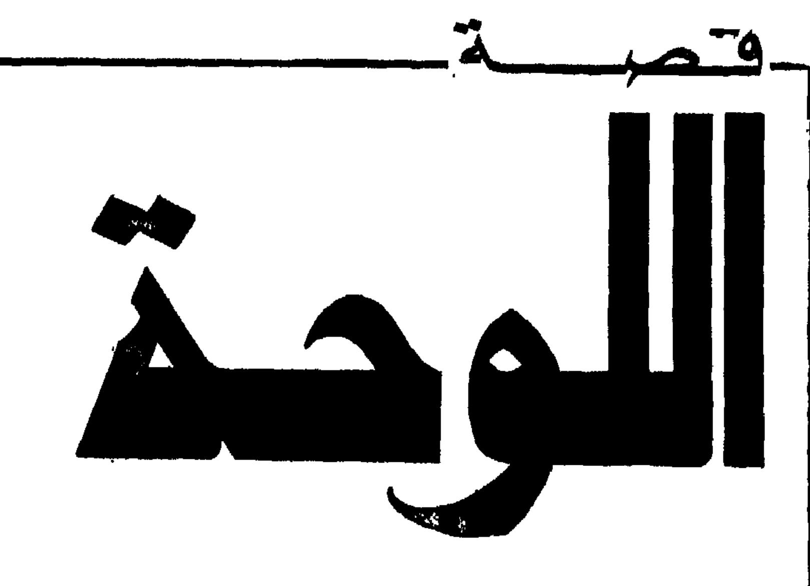
قبلما ياتى تعالى .. ربما نحيا لساعات جديدة
نترك الايام تجرى بعدنا ...
ربما تغفل عنا ، فنوارى ظلنا
نكتفى بالحب مرسانا الاخير !

***

قبلما ياتى الخريف ! ..
هات حرفا منك ، تلقاه حروفى ، ذاك ميلاد اللغات ..
واسترى وجه خريفى ، ان تراءى فى صباح او مساء ..
.. فجرى السر الجميل
انه السر الذى تخفيه ، هل يخفى غريق زورقه ؟
انه السر الذى نخشاه ، هل يخشى سجين مطلقه ؟
.. فصلنا الخامس حب واعتراف ..
هات من قلبك سره
ولبح قلبى بميلاد المسره
واسالى العصفور هل تسكت موسيقاه ان جاوز عمره
وضياء الشمس هل يذبل عاما بعد عام ؟



نشــات المصرى
من ديوانه الجديد
شرائح اللهب



● شوقى فرج ●

كان الصمت يخيم على المكان الا من دقات الساعة الرتيبة المتتابعة المنبعثة من فوق الحائط .. جلس قبالتها يتامل جسدها البض المتفجر بالانوثة ، لكنها ما لبثت ان غادرت المكان مستاذنة .

وتساءل : هذه المراة فى حد ذاتها لوحة رائعة .. ترى هل هى وراء تلك الضجة التى اقيمت حول اعمال « ممدوح » الفنية .. وهل من اجلها اصبح اسمه يتردد على كل لسان ؟ .. ربما . هذا مجرد احتمال..لقد كان فنانا مغمورا يعرض لوحاته فى كل مكان . ولم يعرها احد اى اهتمام .. فجاة اختفى «ممدوح » – هل وراء اختفائه شىء متفق عليه بينه وبين هذه المراة ؟ ! .

هو يعرف « ممدوح » جيدا .. كان يشجعه ويتعاطف مع كل اعماله الفنية .. كان يرى فى لوحاته الواقعية المجردة البعيدة عن العرى ، معزوفة فنية تنبض بالاحساس العميق.. كان يرى لوحاته عن مصر الاسلامية بمآذنها وقبابها العالية ، مصر باحيائها الشعبية وحواريها .. وعندما اختفى تولت هذه المراة عرض لوحاته وسرعان ما تجاوب الناس معها ، وراح اسم « ممدوح » يتردد على كل لسان : فنان .. عبقرى .. موهوب .

هذه المراة ذات الوجه المستدير المشرب بالحمرة .. عيناها العسليتان ، شعرها الاسود المتهدل فوق كتفيها ، صدرها الناهد جسدها الرائع الذى لا تخفى مفاتنه تلك الغلالة الحمراء التى ترتديها..هل يكون لها تاثير فى تلك الضجة ؟. أنه يشك فى ذلك .. « ممدوح » أكبر من هذه المهاترات التى تدور فى رأسه .. حقا انه يعرف جيدا كم لاقى « ممدوح » من النكران . ويعلم جيدا ان هناك أعمالا هزيلة لقيت من النجاح الكثير .. « ممدوح » هرب بعدما حاول الكثير لكى تعيش أعماله بين الناس .. وعندما فشل وجد نفسه فى متاهات ، فضل الهروب – وهذا أيضا مجرد احتمال ! ..

قطعت شريط أفكاره عندما جاءت تختال وفى يديها اقداح الشاى .. أى امراة أنت .. الشيب أصبح فى فودى ظاهرة لا يمكن اخفاؤها ، ولن أستطيع مجاراتك كانثى ، أى انثى أنت .. كيف تركك هذا الفنان التعس .. ان كل الذين جاءوا الى هذا المرسم لا يفهمون فن « ممدوح » ولا يفهمون أيضا فى الفن .. انما جاءوا ليروا لوحة رائعة – هى أنت .. أنت اللوحة الام التى شيدت أعماله جميعا !

مدت يدها بقدح الشاى فتناوله دون أن يرفع عينيه اليها ، فلقد أحس أن عينيها ترقبان كل بادرة تبدر منه ..

قال وهو يحاول ان يطرد عن ذهنه هذه الخواطر التى تدور فى رأسه :

– أنت تعلمين جيدا لماذا جئت الى هذا المرسم

قالت وهى تبتسم :

– أجل اعرف .. لقد جاء من قبلك رجال كثيرون ، وكلهم يسال نفس السؤال المتكرر الممل .. أين اختفى « ممدوح » ؟ !

حك أسفل ذقنه وهو يحاول أن يغالى فى كلماته :

– « ممدوح » فنان يستحق كل احترام وتقدير .. بل ويستحق الخلود !

اجابت وقد ندت عنها دهشة :

– الخلود ؟. « ممدوح »كان لا يؤمن بالخلود ويعتبر مجرد الكلام عنه سخافة لا تغتفر .. كان يؤمن بأن عجلة الزمن تدور وفى طياتها كل جديد .. غريب منك هذا .. يبدو لى أنك تعرف الكثير .. أنت غير أولئك الذين جاءوا الى هذا المرسم .. هل أنت فنان ؟ هل ترسم ؟

قال وقد غض بصره :

– كنت فيما مضى أرسم .. ذلك كان فى فجر الشباب ، ولكن دون جدوى .. ولست اعرف لماذا ؟ ربما كانت اعمالى رديئة . وربما لانى لم أعثر على امرأة مخلصة مثلك تتبنى أعمالى وكان يجب أن أختار : أن أعيش للفن أو أعيش من أجل العيش..طبعا اخترت أن اعيش وأنزوى ولقد كلفنى ذلك الكثير ، معاناتى من الحرمان من فنى ا. ماعلينا .. دعينى أسالك نفس السؤال المتكرر الممل : أين اختفى « ممدوح » ، ولماذا هرب – هل غضب منك ؟

قالت وقد سرحت ببصرها بعيدا :

– « ممدوح » هرب من الزيف شانه كشان ابناء جيله ، فنان لا ارض له ، فنان ضائع لا يملك شيئا.. كان يرى بعينيه الاعمال الهزيلة تصفق لها الايدى فيملؤه الاسى .. اما ان يغضب منى فهذا شىء لا اتصوره !.. لقد كان يحبنى ويعتبرنى عزاءه الوحيد فى محنة النكران .. كان يقول لى : انت اجمل من « مارى انطوانيت ».. وعدنى ان يرسم لى لوحة تضارع « الجيوكنده » التى رسمها ليوناردو دافنشى .. كان يحبنى حبا عظيما .. وهل رايت انت اعمال «ممدوح» ؟

قال فى مرارة :

— لقد رأيت معظم أعماله .. لكن هل تعرف ان هناك من يرسم لوحات تضارع أعمال «ممدوح» وتفوقها عمقا ؟ !

أجابت وكأنه أمر عادي :

— طبعا أعرف ذلك .. والا .. كيف أصبحوا مشاهير ؟

قال وفي صوته نبرة غريبة :

— يقولون ان العمل الجيد يفرض نفسه . هذا أمر غريب .. أنا لا أتحدث عن المشاهير ، وانما حدثك عن فنانين تفوقوا على « ممدوح » ومـــع ذلك لايعرف النـــاس عنهم شيئا ويعيشون في ... العدم ! . واحد منهم مات تحت عجلات ... هربا من ثمن التذكرة ! . اخشى أن يكون « ممدوح » اختفى بعد ما حاول وســلك جميع ... لكي تعيش أعماله بين النـاس ، وعندما فشل أصابه اليأس والقنوط .. هـــذه ظاهرة طبيعية ... كل فنان ــ الرؤية عنـده تزدهر حين يرى انه تعيش بين الناس .

قالت ... تأثر شديد :

— « ممدوح » أيضا كان يعاني الكثير .. كان يمضي يومه من الصباح حتى غروب الشمس داخل المرسم ، أغلقه على نفســه . كانت حالته النفسية سيئة .. آه لو رأيته في أيامه الاخيرة قبل أن يختفي .. كان غائر العينين ، التجاعيد ظهرت على ... وجهه . كانت له نظرات غريبة ومخيفة . يثور لاتفه الاسباب . واذا ثار حطم كل شيء حوله ... مرة أردت أن أهدىء من ثورته ، ضربني وركلني ... انه . بعدها ظل يبكي وقد أغلق مرسمه عليه ..

قال وهو يحاول ... يغير من مجرى الحديث عن ثورة « ممدوح » :

— هل رسمك « ممدوح » وأنت عارية ؟

اجابت في فخر واعتزاز :

— نعم . رسمني في لوحة رائعة . تصور عندما وضع اللمسات الاخيرة ... أراد أن يحطمها لولا **انني رجوته الا يفعل ذلك . هل تحب ان تراها ؟**

قال : ان كان ذلك لا يضايقك .

نهضت من مكانها وقادته الى ممر ضيق ، ومنه الى المرسم وتبعها وهو مشدود البصر الى جسدها الرائع .. أي بنـــاء هذا ... امرأة ، أنت اذن اللوحة التي بهرت الناس جميعا وجعلتهم يتحدثون عن الفنان العبقري « ممدوح » .

وقف في المرسم أمام احدى ... لوحات . كانت اللوحة لها وهي عارية . ياله ... صــــدر رائع وساقين باهرتين وهي متكئة على ... جنبيها . كانت ممتلئة تماما في غير بدانة ... صدر ناهـــد ممتلىء ، ووجه ... يقطر ...

قالت : ما رأيك .. أتستطيع ان ترسم لوحة مثل هذه اذا وقفت أمامك عارية ؟

قال في تخـــابث : لا .. لأنني ... لن أرسم !

قالت : هذا هو الفرق بينكم وبين « ممدوح » .. الشكل عندكم ، أما المضمون فلا ... تصور فنانا مثل « ممـــدوح » في أيامه الاخيرة كان يشرب كثيرا ، وعندما أسأله لماذا يشرب وما الذي يدفعه الى ذلك .. يجيبني بأنه لا يعرف

قال : أكان يرسم اذن وهو ثمل ؟

قالت : أبدا . « ممدوح » كان يقدس فنـــه ويحترمه .. اعتقد انه كان يشرب كي ينسى ... .. كان يهرب من ذاته .. عندما يشرب لا يقترب نحو المرسم ، وكأنه معبد لا يدخله سكير .

قال وهو يحملق فيها :

— هل تعرفين أن ترسمي ؟

أجابت في سذاجة طفل متحمس :

— أجل .. لقد رسمت لوحة عن مملكة النحل آلاف الذكور يجرون وراء أنثى النحل وهي الملكة .. يتساقطون الواحد بعد الاخر . وعندما لايبقى الا الذكر الوحيد يلتقي بها وهي سعيدة ويموت الذكر بعد ذلك اللقاء .

قال في سخرية : مساكين ..

قالت : من ؟

قال : هؤلاء الذكور التعســاء .. نصيحة مني اليك ، اعرضي لوحاتك ، ربما ساوت على النطاق المحلي أعمال ليوناردو دافنشي ، وبيكاســـو وفان جوخ ..

قالت وقد تجهم وجهها :

— ماذا تقصد ؟

قال وعيناه على ساعته :

— صدقيني !

دق جرس الباب فهرولت لترى من القـادم وذهب هو ليجلس مكانه ، وراح في تساؤلات العمل الجيد لا يفرض نفسه .. « ممدوح » ليس معجزة زمانه .. علام هذه الضجة ؟ رباه « ممدوح » « ممدوح » أكذوبة أم حقيقة ؟

جاءت وهي تحمل في يديها لوحة ثم قالت وهي تمدها اليه :

— جاء رجل يقول ان « ممدوح » أعطاه هـذه اللوحة ليوصلها لي .. حاولت أن أعرف منه أين هو فتركني دون أن ينبس بكلمة !

قال : أزيحي عنها هذا الغطاء لنرى ما رسم فيها .

ازاحت الغطاء عن اللوحة ثم قالت وهي تنظر اليها مندهشة :

— ماهذا .. قردة لها رأس بشر ، وانســان له رأس قرد .. لابد وأن وراء هـــذه اللوحة شيئا !

قال وقد أشار باصبعه :

— ولكنه رســم صورة انسان كامل ، وقرد كامل ..

قالت : أيريد أن يثبت نظرية داروين في أن الانسان أصله قرد ؟

— في اعتقادي أنه لا يعرف أصلا لكليهما .. وهذا بعيد كل البعد عن نظرية داروين .. القردة والبشر .. هذا شيء غريب .. كنت فيما مضى أرى في لوحاته النابضة أشياء كثيرة .. أما عن هذه اللوحة فلا أجد فيها غير ســطحية الفكر وسذاجته .

قالت : أؤكد لك أني ســأجعل منها لوحة الموسم .

قال : هذا أمر واضح .

قالت : انت لا تفهمني .

ابتسم وهو يحس من محادثه واخذ ينظر الى عينيها في تحد .. غاص بكيانه فيهما . وقرأ كل ما يجول بخاطرها . ثم مد يده وقال وهو يضغط على كلماته :

— بل أفهمك جيدا ! .

قالت : اذن ماذا نسمي هذه اللوحة ؟

قال : سميها ماشئت .. ما دمت قد فهمتك .

قالت وهي تبتسم :

— ما رأيك في ان يكون اسمها ..

« أين الاصل ... وأين الصورة » .

قال وهو يغادر المكان :

— بل .. « أين الحقيقة » !.

لكل شهر عربي قصة

شهر شعبان

● شعبان هو الشهر الثامن من شهور السنة الهجرية ، وقد سمي بهذا الاسم - كما يقول علماء اللغة - لتشعب او انشعاب القبائل فيه ، أي تفرق العرب من مظانها او في الغارات التي كانت محرمة عليهم في رجب لانه احد الاشهر الحرم التي حرم الله فيها القتال والتزمت العرب بهذا التحريم مئات السنين قبل ظهور الاسلام .

وقيل سمي شعبان بذلك الاسم لانه شعب أي ظهر بين شهرى رجب ورمضان . وكان يسمى فى الجاهلية « عاذلا او عادلا » ومن العرب من كان يسميه « وعلا » ، كما كان يسمى « العجلان » أيضا

ولشعبان عند المسلمين مكانة خاصة فهم ينظرون اليه نظرة اجلال وتقدير ولا غرابة فى ذلك فهو يقع بين رجب احد الاشهر الاربعة الحرم ، ورمضان، الذى انزل الله تعالى فيه القرآن كما فرض صيامه .

ولهذا لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم اكثر ايامه ،وقد روى عن عائشة ، رضى الله عنها ، انها قالت :

« مارايته رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رايته فى شهر اكثر منه صياما فى شعبان » .

والحكمة فى اختصاص الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، شعبان بهذه العناية تتجلى فيما روى عن اسامة بن زيد انه سال الرسول الكريم :

- لم اراك تصوم من شعبان ؟

فاجابه الرسول :

- ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين ، فاحب ان يرفع عملى وانا صائم » .

ولاشك ان فى صيام شعبان تدريب على صيام رمضان ، فكان الرسول الكريم اراد ان يقوم بما يقوم به كبار المربين من التمهيد للقيام بالواجب بمقدمة تدريبية تعويدا للنفس على المشاق وتمرينا لها على صوم رمضان الواجب الفرضى ، ليعتاد المسلمون بصيام رمضان حلاوته ولذته ، فيبداون صيامه بقوة ونشاط ، لا بمشقة وكلفة . لذلك إعتبر شعبان مقدمة لرمضان ومن ثم شرع فيه ما يشرع فى رمضان من الصيام وقراءة القرآن .

وقد روى عن انس رضى الله عنه انه قال : « كان المسلمون اذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف فقراوها واخرجوا زكاة اموالهم ، تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان » .

ليلة النصف من شعبان

وهى احدى الليالى المعظمة ، وتعرف كذلك بليلة الصك ويستحب صيام نهارها ، كما يستحب فيها الاكثار من الدعاء والاستغفار .

عن تحويل القبلة

وفى شعبان جرى تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وكان ذلك فى السنة الثانية للهجرة وفى منتصف شعبان وقيل فى السابع عشر منه . وكان ذلك التحول مظهر قوة للمسلمين مما اشعل فى قلوب اليهود نارا حامية من الحقد الدفين والحسد الكمين ، فتقاولوا فيما بينهم **«ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ »** فردعليهم العليم الحكيم بقوله : **« ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله »** .

عن يوم الشك

وقد اشتهر آخر يوم من شعبان باسم يوم الشك وقد اختلف العلماء فى صومه .

الغزوات والسرايا فى شعبان

وقد جرت فى شعبان غزوات وسرايا اولاها فى السنة الثانية للهجرة وهى غزوة « بدر الموعد » وتسمى أيضا بدر « الاخرة او الثالثة » وقد قادها النبى صلى الله عليه وسلم ضدقريش لقهرها واظهار قوة المسلمين للمشركين واليهود ، وكان زعيم قريش يومها « ابا سفيان » غير انه لم يحدث قتال لعودة المشركين الى مكة قبل وصولهم الى المدينة .

وفى السنة الخامسة قاد النبى الكريم صلى الله عليه وسلم غزوة « المريسيع » وكان هدفها القضاء على تجمعات بنى المصطلق لغزو المدينة وقد قهر المسلمون عدوهم وكثر اسراهم وعظمت غنائمهم .

وفى السنة السادسة كانت سرية « دومة الجندل » بقيادة عبد الرحمن ابن عوف وفيها انتصر المسلمون واستسلم الاعداء واسلم عدد كبير منهم ، كما غزا على بن ابى طالب بنى سعد فى « فدك » لرغبتهم فى مساعدة اليهود ضد المسلمين وانتهت السرية بالانتصار لعلى دون حرب لهروب الاعداء وتركهم لكل ما كان معهم .

وفى السنة السابعة كانت سرية «تربة» التى قادها عمر بن الخطاب لتأديب بعض قبائل هوازن لاعتدائهم على بعض المسلمين ، ولكنهم فروا دون قتال . كما قاد بشير بن سعد الانصارى سرية أخرى لتاديب بنى مره . غير ان قلة عدد المسلمين مكنت الاعداء من قتلهم جميعا باستثناء قائدهم ولذلك وجه الرسول صلى الله عليه وسلم سرية اخرى انتقمت لهؤلاء الشهداء

وفى السنة الثامنة كانت سرية « الغابة » التى وجهت الى « بنى جشم» لقتل رفاعة بن قيس لتحريضه على قتال المسلمين وقد نجحت السرية فى قتله .

وفى السنة التاسعة كانت غزوة تبوك التى قادها النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — وكانت آخر غزواته — وفيها قصد الى تبديد جمع غسان والروم جنوبى الشام ، ولكن المعركة انتهت بانسحاب الروم واتباعهم دون قتال .

اما الاحداث الهامة الاخرى ففى طليعتها مولد عبدالله بن الزبير فى المدينة فى السنة الثانية للهجرة ، وكان اليهود قد اشاعوا ان المسلمين قد عقموا ولن يولد لهم احد فى المدينة ، لذلك كان مولده مصدر سرور للمسلمين وقهر لليهود .

وفى السنة الرابعة كان مولد الحسين ابن على . وفى السنة ٦١ دخلت السيدة زينب مصر واستقرت بها . وفى سنة ٩٣ ولد الليث بن سعد

اما اشهر من توفوا فى الشهر فهم العلامة ابن حزم الاندلسى عام ٤٥٦ والسيد / عبد الرحيم القنائى عام ٥٢٩ وابن جبير الرحالة المشهور عام ٦١٤ وابن مالك صاحب الالفية عام ٦٧٢ .

ولصلاح الدين الايوبى معارك وانتصارات اهمها ما وقع فى هذا الشهر ، من ذلك دخوله بيت المقدس وصلاته الجمعة بها بعد تطهيرها من الصليبيين عام ٥٨٣ ثم افتتاحه عكا والاستيلاء عليها سنة ٥٨٥ ، واخيرا عقده الصلح مع ملك انجلترا ريتشارد « قلب الاسد » فى ٥٨٨ .

ومن الاحداث التى تتصل بتاريخ مصر واعلامها مولد احمد باشا تيمور العلامة المعروف عام ١٢٨٨

ومولد المغفور لها كوكب الشرق السيدة ام كلثوم ١٣١٦

قصة لا تصدق امرأة !

● غبريال وهبه ●

كان سكان حي الروضة يثقون جميعا بالاسطى نجيب ، ميكانيكي السيارات ، ويثنون على امانته ثناء مستطابا . انهم يطلقون عليه لقب « الباشمهندس » ، وهو لم يكمل نصف دينه بعد ، رغم انه أشرف على الخمسين . ان عمله يدر عليه ربحا تضاعف بعد ان رحل منافسه الاسطى حسين الى السعودية .

صحيح ان الاسطى نجيب كان رجلا طيبا حظى باحترام زبائنه ، ومع ذلك لم تكن امانته فوق الشبهات !

منذ عشرين عاما نزل الاسطى نجيب ضيفا على سجن ابو زعبل بعد ان أدين في حادث سرقة . ولكنه نجح بعد فترة وجيزة في ان يستحوذ على حب الجميع من أول المأمور الى أصغر شرطي ، وحاول الجميع ان يعاونوه ليستأنف حياته خارج الليمان بطريقة شريفة .

كره الاسطى نجيب السجن رغم ما احاطوه به من عطف هناك . ما اثقل وطأة القضبان التي فقد وراءها حريته عشرة أعوام خسرها من عمره . كان نجيب من هواة التحف واللوحات الفنية والكتب النادرة ، وهذا ما دعاه الى السطو كل بضعة شهور على بيت من بيوت الشخصيات المرموقة . وكثيرا ما تضطره ضرورات الحياة الى بيع بعضها .

مرت ثلاثة شهور على آخر سرقة ارتكبها ، وها هو ذا يتجول الآن في شوارع الزمالك ، ويتسكع في طرقات الحي بعد أن ظل طوال أسبوعين يرقب فيلا الدكتور موريس المطلة على النيل ، والقى نظرته الفاحصة عبر نوافذ حجراتها ، ودار حول الحديقة دارسا لدروبها ومسالكها وفي هذا المساء شاهد صاحب الفيلا يغادرها . التقطت اذناه صوت الطبيب وهو يأمر سائقه بالاسراع الى حلوان للحاق بحالة وضع مستعجلة . ولم تلبث اضواء الفيلا أن أطفئت ، وتلا ذلك ظهور ثلاثة اشباح في الحديقة . لاشك أنهم التومرجي والممرضة والطاهية العجوز . رمقهم نجيب بارتياح وهم يغذون السير الى الخارج حتى ابتلعهم الظلام . خرج من مكمنه في الحديقة وقد اشتدت قبضة يده على حقيبته .

ان الدكتور موريس طبيب امراض نساء نال من الشهرة ما جلب لزوجته مرجريت مجوهرات داخل خزانته تقدر بما لا يقل عن عشرة آلاف من الجنيهات ، فاذا ما باعها واحدة اثر الاخرى ضمن عيشا رغدا عدة سنوات .

***

ارتدى نجيب قفازا من المطاط ، وراح يعالج فتح الباب الى أن افلح في ذلك . انه يحرص أشد الحرص على عدم ترك آثار بصمات أصابعه .

كان هناك كلب صغير قابع في المطبخ ، نهض من مكانه وأقبل نحوه وهو يزوم .

— تعال يا « لاسى » !

ربت نجيب على راسه وظهره ملاطفا ، فلعق « لاسى » يد اللص شاكرا ، وطفق يهز ذيله بطريقة مشربة بالود . ان خير طريقة لاخضاع الكلاب وجعلها تهدأ وتستكين هي ان تناديها باسمائها ، ان تظهر لها الحب ، وتسبغ عليها العطف والحنان .

كانت الخزانة مثبتة في احد جدران حجرة المكتب خلف لوحة فنية ثمينة لأحد كبار الرسامين . حار نجيب ... ايستولى على اللوحة ايضا أم يقنع من الغنيمة بالمجوهرات ؟ لم يتردد كثيرا ، فقد فضل أن يفوز بالاخيرة هذه المرة ، ولاسيما ان اللوحة كبيرة الحجم .

ان الدكتور موريس يحب الزهور ، وتحرص زوجته على وضع اناء للزهور يوميا فوق مكتبه . ولكن نجيب شعر بدغدغة في انفه .. فهو يعاني حساسية خاصة من رائحة الزهور ، وما يتناثر منها من حبوب اللقاح . اصابته نوبة عطس فوضع حقيبته على الأرض ، واسرع بوضع اناء الزهور في المطبخ . وعندما عاود الهواء رئتيه شرع يرتب ادواته ، فامامه متسع من الوقت قبل أوبة الطبيب ، فالولادة تستغرق وقتا قد يمتد حتى الصباح ، فضلا عن بعد الشقة بين الزمالك وحلوان .

لن يستعصي عليه فتح الخزانة ، فلديه خبرة لا يستهان بها في فتح الابواب والاقفال المغلقة ، أحس بجفاف حلقه فمضى الى المطبخ ليشرب كوبا من الماء ، فاذا بنوبة العطس تعاوده اشد من سابقتها عندما تخللت رائحة الزهور انفه للمرة الثانية .

تمتم نجيب لنفسه قائلا : « ما اشد غباء الأثرياء عندما يركبهم جنون العظمة ويستولى عليهم حب المظاهر ! .. لا ريب أن الطبيب قد دفع مئات الجنيهات لاحدى المجلات ثمنا لمقال تناول فيه الكاتب كيف يعيش الطبيب الكبير مع زوجته ، ووصف فيه « فيللته » بالتفصيل حجرة حجرة ، واشاد باللوحة الخالدة « الرحيل الى جزيرة الحب » التي ابدعها في القرن الثامن عشر الفنان الشهير جان انطوان فاتو الذي يعد اعجوبة في الفن الفرنسي . لم ينس الكاتب مشكورا أن يذكر أن اللوحة تخفي وراءها خزانة الجوهرات ! .. كما لم يغفل ذكر أن الطبيب لم يرزق بالبنين ، وأن زوجته تحب كلبها لاسى !

ان رائحة الزهور مازالت تعبق جو الحجرة ، فغطى نجيب انفه بمنديل كبير خشية أن يعاوده العطس فيعوقه عن العمل . ماهذا ؟ ! لقد سمع صوتا آتيا من وراء الباب :

ـ ماذا هناك ؟ اتشكو من البرد ام عندك حساسية ؟

اندفع نجيب يجيب دون تفكير :

ـ حساسية !

وبدا يعطس من جديد .

طرق الصوت الناعم مسامعه مرة اخرى :

ـ انك تحتاج الى علاج حتى لا تعوقك تلك الحساسية عن مزاولة عملك . لقد سمعتك وانا فى الطابق العلوى !

ياله من صوت هادىء عطوف ، ولكنه لايخلو من رنة حزم . لمح نجيب سيدة تقف بجوار باب الحجرة ، وكان ((لاسى)) يتمسح فى أرجلها العاجية . كانت شابة حسناء مليحة الوجه تتدثر برداء سماوى ، وخاطبت الكلب قائلة :

ـ لاسى ! تقهقر ناحية !

ثم أردفت : حمدا لله اننى جئت فى الوقت المناسب ، ولو انه لم يخطر ببالى اننى ساتشرف بمقابلة لص !

راود نجيب بعض الامل حيث خيل اليه انها مسرورة لمرآه،وانه يستطيعان يتجنب ما لا تحمد عقباه اذا مانجح فى معاملتها بلباقة .

قال لها : لم اكن اتوقع ان اقابل احدا من أفراد الاسرة !

فهزت راسها وقالت :

ـ نعم .. فاننى ارى المازق الذى وقعت فيه عندما ضبطتك . ماذا عساك فاعلا الان !!

فأجابها نجيب :

ـ ان اول فكرة خطرت لى هى ان الوذ بالفرار .

ـ بالطبع يمكنك ان تفعل ذلك ، ولكنك نسيت اننى ساستدعى لك شرطة النجدة على عجل ، وسوف يقبضون عليك متلبسا !

ـ ولكننى سأقطع اسلاك التليفون ، ثم ..

توقف برهة عن الحديث مترددا ، ثم ابتسم قائلا :

ـ كما اننى سافعل مايجعلنى آمن جانبك .

نظرت اليه الحسناء شزرا :

ـ اوتقصد قتلى ؟

سكت هنيهة ثم قال :

ـ يغلبعلى ظنى اننى كنت احاولان اخيفك عندما قلت لك ذلك .

ـ انك واهم..فلا انت ولا عشرة من امثالك تستطيع ان تخيفنى .

ـ من الاوفق ان تنسى تماما انك رايتنى .. دعينى امضى .

فاذا بصوتها يعلو فجاة وهى تقول فى غضب :

ـ او اتركك تمضى وقد جئت تسرقنى !! اننى اذا اخليت سبيلك ستسرق غيرى ، ويجب حماية المجتمع من امثالك !

ابتسم نجيب قائلا :

ـ لست بالرجل الذى يهدد المجتمع . اننى لا اسرق الا من علية القوم فقط ، ولاسباب فنية ! وانت لا ترضين لى السجن .

نقهقهت عاليا وهى تقول ساخرة :

ـ ياللص المتحذلق !.. اول مرة اسمع فيها عن سرقة لاسباب فنية !

قال مستعطفا وقد ظن انه كسب الجولة ونجح فى اقناعها واستمالتها :

ـ فى الواقع ليس لى حق فى ان اسالك شيئا، ولكننى يائس . دعينى انصرف الى حال سبيلى . وأعدك ان اقلع عن ارتكاب ما اقترفته اليوم . صدقينى اننى اعنى ما اقول .

ظلت صامتة تتفحصه بعينيها ثم تكلمت اخيرا :

ـ االنت خائف حقا من دخول السجن ؟

ثم اقبلت نحوه وهى تهز راسها قائلة :

ـ لطالما اعجبنى ذلك الصنف غير المالوف من الناس .

اخرجت علبة سجائرها المستوردة وتناولت منها واحدة . وجدها نجيب فرصة لارضائها بعد أن بدا منها مايبشر انها رقت لحاله . اسرع يخلع قفازه ، واخرج علبة ثقاب من جيبه ، واشعل لها سيجارتها وهو يقول لها :

ـ او ستدعيننى اذهب ؟

ـ نعم ولكن بعد أن تؤدى لى خدمة .

ـ مرى ... فاننى رهن اشارتك وطوع امرك !

ـ لقد وعدت زوجى باننىساودع المجوهرات فى البنك . ولكننى تركتها هنا فى الخزانة . اريد أن أتزين بها الليلة ، فانا مدعوة لحفل ساهر ، وسيلحق بى زوجى هناك اذا سمحت له الظروف .

ابتسم نجيب قائلا :

ـ آنكن معشر النساء كثيرا ماتنسون الارقام التى تفتح بها الخزائن المغلقة ، اليس كذلك ؟

ـ نعم !

ـ اذن دعيها لى فانا كفيل بها .. ستكون المجوهرات معك فيما لايتجاوز ساعة من الزمان . غير اننى آسف اذ ساضطر الى تحطيم الخزانة .

ـ لا تهتم بذلك كثيرا فزوجى سيسافر الليلة فى مهمة رسمية تستغرق شهرا وهذا مادعانى لان اقول لك ان زوجى سيلحق بى فى الحفل اذا سمحت الظروف . وهكذا ساجد وقتا كافيا لاصلحها قبل عودته !

انقضت خمسون دقيقة أفلح بعدها نجيب فى فتح الخزانة ، وناول المجوهرات للسيدة وانطلق سعيدا ناجيا بجلده .

وفى صبيحة اليوم الرابع عاد يفكر فى تعويض تلك الليلة التى لم يفز فيها من الغنيمة الا بالاياب ، ولكنه لم يجد تلك الفرصة ابدا .. فقد ألقى رجال المباحث القبض عليه متهما بسرقة مجوهرات ((فيللا)) الزمالك !

كانت بصماته تملأ كل ركن فى حجرة المكتب ، اذ انه فتح الخزانة بدون القفاز.لم يصدقهأحد عندما اقسملهم انزوجة الطبيب صاحب((الفيللا)) هى التى كلفته بذلك . فها هى ذى الزوجة بنفسها .. عجوز سليطة اللسان فى الثانية والستين من عمرها ، تقول لوكيل النيابة ان القصة محض اختلاق !.

صدر الحكم على نجيب بالسجن ، وفىغياهبه ابت صورة الشابة الحسناء ان تبرح ذاكرته.. فهيهات ان ينسى زميلة مهنته الذكية التىاحتالت عليه وخدعته . ولم يعد يغضبه شىء قدر ان يسمع شخصا يتحدث عن ((شرف اللصوص))!

الخريف الضاحك..

● فتحية النميرى ●

سَافرتُ فى دنْيا الشباب وجدتُهــا
صخبا يهـــدِّدُ بسْمةَ الأيـــامِ
ردهاتُها شَوْكٌ على طُــول المَدى
ورهــادُها ضــرب من الأوهَـــامِ

***

واللّيلُ سَـــاقية تغَنَّت بالهَـــوى
وتنوحُ غائبــــــة عن الوجْــدانِ
مازلتُ أذكُــر ياربيعَ ربيعِنا ...
رغمَ الشّـــذا ماكانَ من أشجانِ
وأهيمُ فى روض كأنَّ ظِـــلالَهُ
لَهَبٌ سرَى فى خضْرةِ الأغْصانِ
لمَ ياربيع العُمْــــرِ غلّفكَ الأسى
وحَسِرتَ بين الزيفِ والبُهتــانِ

***

... ومضَى القطارُ مدوِّيا فى رحلتى
حتّى تَهادى فى رُبا الودْيـــانِ
وتمهّل الرّكبُ المُعَنَّى باسِــــما
بَعْد المشـــقه ، سَاكن الوجْدان
وتلوّحُ الأقْــدارُ تعلنُ صَـــفوها
وكأنّها ذاكَ السّـــرابُ الدّانى ..
وإذا الخريفُ هناك يقبل ضــاحكا
عَبْر الحــدائق شَاحب الألوانِ !



عاشقة البنفسج

● محمد على عبد العال ●

مَنْ قال أشبهت البنفسج أعزل
ألقى السلاح أخيرُهم والأولُ..!
والكل حاروا أنْ يقولوا قولتى
إذْ قلت فيها أنّ حسنك أجملُ

قد شاهدوا لونَ الزهور وما دَروا
فى كُنْهِها أين الرحيق الأكملُ
فهناكَ فى الأعماقِ سر كامن ..
مفتاحُها قلبى إليها يدخلُ
قد نلتُ هذا السر بعدَ مشقة
هل بعدأن يُرسوا فؤادى..يرحَل؟!

***

يا كَمْ فتنتُ بفكرها ونضالها
ولكم ظلَلَت بروضها أتأملُ ..
بستانها فى غابة مسحورة
من حامَ حول الرّوض مثلى ينهلُ !

***

بعيونها فكر تحدّى من هفا
فيه الرموش جنوده والمعقِلُ
هى تُطلق اللّحظ المصيب شعاعهُ
من فكرها ، فيحار لب يَعقِلُ
فهناك فى الأعماقِ سر كامنٌ
مفتاحُها قلبى إليها يدخل

محمد على عبد العال
من ديوانه الجديد
الحب والسلام



رسم .. و كلمات

● يس الفيل ●

اذا عدت يوما مع العائدين
واسدل دهرك ستر الحنين
وغيبنا الدهر بعد اللقاء
وبعثرنا فى دروب الحنين
فذلك رسمى يصون الهوى
لديك . . . وينطق فى كل حين
فما نحن يا صاحبى فى الحياة
سوى ذكريات ، وود امين
وما نحن الا شعاع ضئيل
ينير المعالم للسائرين
وما صورتى فى ليالى الفراق
سوى اللحن يعزف للذاكرين
فصن صورتى... فهى رمز اللقاء
اذا ضمنا موكب الراحلين
ولا تنس أنا بهذى الحياة
نمر ، لنلحق بالآخرين
وخير لنا .. ذكريات تدوم
ويحملها الدهر للقادمين
فصن صورتى يا رفيق المدى
فقد يعصف الدهر بالآمنين
وقد لا ترانى . . . ولكن بها
ترانى .. فهى الرسول الامين

زهرات من رياض العرب

● محسن فهمى ●

● ورع ●

شكا رجل الامام على بن ابى طالب الى عمر بن الخطاب – رضى الله عنهما – وكان الامام جالسا ، فالتفت اليه عمر وقال :

– قم يا ابا الحسن فاجلس مع خصمك .

فقام الامام فجلس معه وتناظرا ، ثم انصرف الرجل ورجع الامام الى مكانه الاول ، فتبين عمر التغير فى وجهه ، فقال :

– يا ابا الحسن ، مالى اراك متغيرا ؟ .. اكرهت ما كان ؟

قال : نعم ... قال عمر : وما ذاك ؟

قال : كنيتنى بحضرة خصمى ! .. والواجب ان تقول : قم يا على فاجلس مع خصمك !

فاعتنق عمر عليا ، وجعل يقبل وجهه ويقول : بابى انتم ، بكم هدانا الله ، وبكم اخرجنا من الظلمة الى النور !

● نعم الزوجة ●

أراد عربى عظيم الحسب ، عريق النسب ، كثير المال ، أن يتزوج ، لكنه كان سيىء الخلق ، غليظ الطبع، سريع الغضب ، فنفرت منه النساء . وذكرت له امرأة ذات جمال وحسب وخلق ودين ، فذهب يخطبها ، فقال لها : انى كما تعلمين فى المال والاصل العريق ، ولكنى سيىء الخلق ، سريع الغضب.

فقالت : اسوأمنك خلقا من احوجك ان تكون سيىء الخلق سريع الغضب !

فصاح بها : انت اذن زوجتى !

● حلم المامون ●

قال عبد الله بن طاهر : كنت يوما عند الخليفة المامون ، فنادى بالخادم : يا غلام ، فلم يجبه احد ، فنادى مرة ثانية وصاح : يا غلام ، فدخل غلام فارسى وهو يقول : ما ينبغى للغلام ان ياكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك صحت : يا غلام ، يا غلام !

فنكس المامون راسه طويلا ، فما شككت أنه يامرنى بضرب عنقه ، ولكنه رفع راسه ونظر الى قائلا : يا عبدالله،



ان الرجل اذا حسنت اخلاقه ساءت اخلاق خدمه ، واذا ساءت اخلاقه حسنت أخلاق خدمه ، وانا لا نستطيع أن نسيء اخلاقنا ، لتحسن أخلاق خدمنا !

● احسن الناس ●

قال رجل للحسن : ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها ؟

فاجاب الحسن : أنهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره ...

● دعاء ●

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، واصلح لى آخرتى التى اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر » .

نتيجة مسابقة

عدد فبراير ١٩٨٠

هذه هى نتيجة المسابقة الخامسة : ((اقرأ الهلال واكسب جائزة)) ــ عدد فبراير ١٩٨٠ ــ ومسابقات الهــلال فى الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ثم يكسب شيئا رمزيا اذا شــاء الحظ وكان من الفائزين ..

فان الهلال حافل بالمقــالات الممتعة ، ونحن نريد من القــارىء ان يقــرأها ويبدى رأيه فيها ، وهذه هى الغاية التى نرمى اليها من وراء هذه المســابقات ، أما الكسب المادى ، فرمزى فحسب..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم فى المسابقة حتى تم فــرز الاجابات الصحيحة واجريت القرعة بينها ..

وفيما يلى اســماء الفــائزين فى مسابقة شهر فبراير ١٩٨٠ ، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ، ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا فى مسابقات أعدادنا القادمة ..

الجــوائــز

● الجائزة الاولى وقدرها خمســة جنيهات : محمد فكرى عبد الجليل ــ البنك الاهلى المصرى ، ببورسعيد

● الجائزة الثانية وقــدرها ثلاثة جنيهات : فوزية محمد عياد ــ كفــر سنباط ــ مركز زفتى ــ محــافظة الغربية .

● الجائزة الثالثة وقدرها جنيهان : نفاد عبد الفتاح عمر زناتى ــ ٥ شارع أبو طويلة ، بمحافظة اسيوط .

● الجائزة الرابعة وقيمتها اشتراك لمدة سنة في مجلة الهلال : خالد صلاح الدين ــ قطر ــ الدوحة ص.ب١٤١٤ .

● الجائز الخامسة وقيمتها اشتراك لمدة سنة فى مجله الهلال : طمطم محمد ــ المركز التربوى الجهوى ــ آسفى ــ المملكة المغربية .

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر أبريل ١٩٨٠

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من « الهلال » ؟ ..

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من « الهلال » يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ..

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا

اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجود به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز .. : الأولى خمسة جنيهات - والثانية ثلاثة جنيهات - والثالثة جنيهان - والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال »

وستعلن نتيجة هذه المسابقة فى عدد يونيو ١٩٨٠

آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من مايو ١٩٨٠

● الاسئلة ●

س ١ - من مؤلف كتاب « حديث عيسى بن هشام » ؟
جـ - . . . . (مقال . . . . .)

س ٢ - لماذا يفخر الأدب الفرنسى بمونتانى ؟
جـ - . . . . (مقال . . . . .)
غريبة فى بلادنا ..
س ٣ - متى انشأ مصطفى كامل جريدة اللواء ؟

اقرأ الهلال واكسب جائزة

جـ ـ . . . . (مقال . . . . .)

س ٤ ـ أى الخلفاء الراشدين عهد الى امرأة بالرقابة على البيع والشراء ومراعاة الأخلاق ؟
جـ ـ . . . . (مقال . . . . .)

س ٥ ـ من وصف المنفلوطي بأنه من اشياخ البيان ؟
جـ ـ . . . . (مقال . . . . .)

س ٦ ـ ما المشكلة الاساسية فى السينما ؟
جـ ـ . . . . (مقال . . . . .)

س ٧ ـ فى أى سنة هجرية وقعت غزوة تبوك ؟
جـ ـ . . . . (مقال . . . . .)

س ٨ ـ أين قضى الخديو عباس بقية حياته بعد عزله ؟
جـ ـ . . . . (مقال . . . . .)

س ٩ ـ الى ماذا ترمز كلمتا « ماجارا والظل » ؟
جـ ـ . . . . (مقال . . . . .)

س ١٠ ـ تعلمنا كيف نستورد ، كيف نزرع بأيدينا فروعا لشجرات غريبة فى بلادنا ..
جـ ـ . . . . (مقال . . . . .)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد أبـريـل ١٩٨٠

الاسم: ــــــــــــ السن: ــــــــــ

العنوان: ــــــــــــــــــــــــ

ــــــــــــــــــــــــ

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠

ترنيمة الختام
الشلال

● للشاعر السويسرى : يوليوس كروس ●
● ترجمة : أحمد مصطفى حافظ ●

أيهـــا الشلالُ من أقصى الدهور
دائما تجرى .. إلى هذى البحورْ
نائحا تبدو .. بليـــل أو نهار
رغم أقــواس غــزار بالإزارْ
« قُزح » يزجيكها إثر انحــدار
والعصــافيرُ تغنّى بانبهـــار
وتظل الدهر تشـــكو وتثورْ
وطوالَ الوقتِ .. تغدو للمصير
حيثُ تهوى فى تضاعيفِ البحورْ
مثلما يهـوى البرايا .. فى القبور!

الحب فى عينيها

● للشاعر الانجليزى : ابراهام كاولى ●

يا لسحرٍ بمُشمس العيـــــنين
يمرحُ الحبُّ فيهمـــا ويغنى !
يصْطَلى الدفء ، ثم يسرى بفنٍّ
فى مَتاهات شعرِها .. بتـــأنٍّ
ثم يَهفو لتيْنك الشّـــفتين
بالغَ الوجدِ .. رانيــا بانعطافِ
باذرا حاصِـــدا .. بطرفة عينِ
قُبْلات .. تُعـــدُّ بالآلاف !
كم يُرى الحب يانعا ، ممتــدًّا
يتبدّى .. بظـاهر القَسمات ..
يتَراءى .. وليسَ ينفذ أبدا
لصميمِ الفــؤادِ والخلجات !

مايو ١٩٨٠

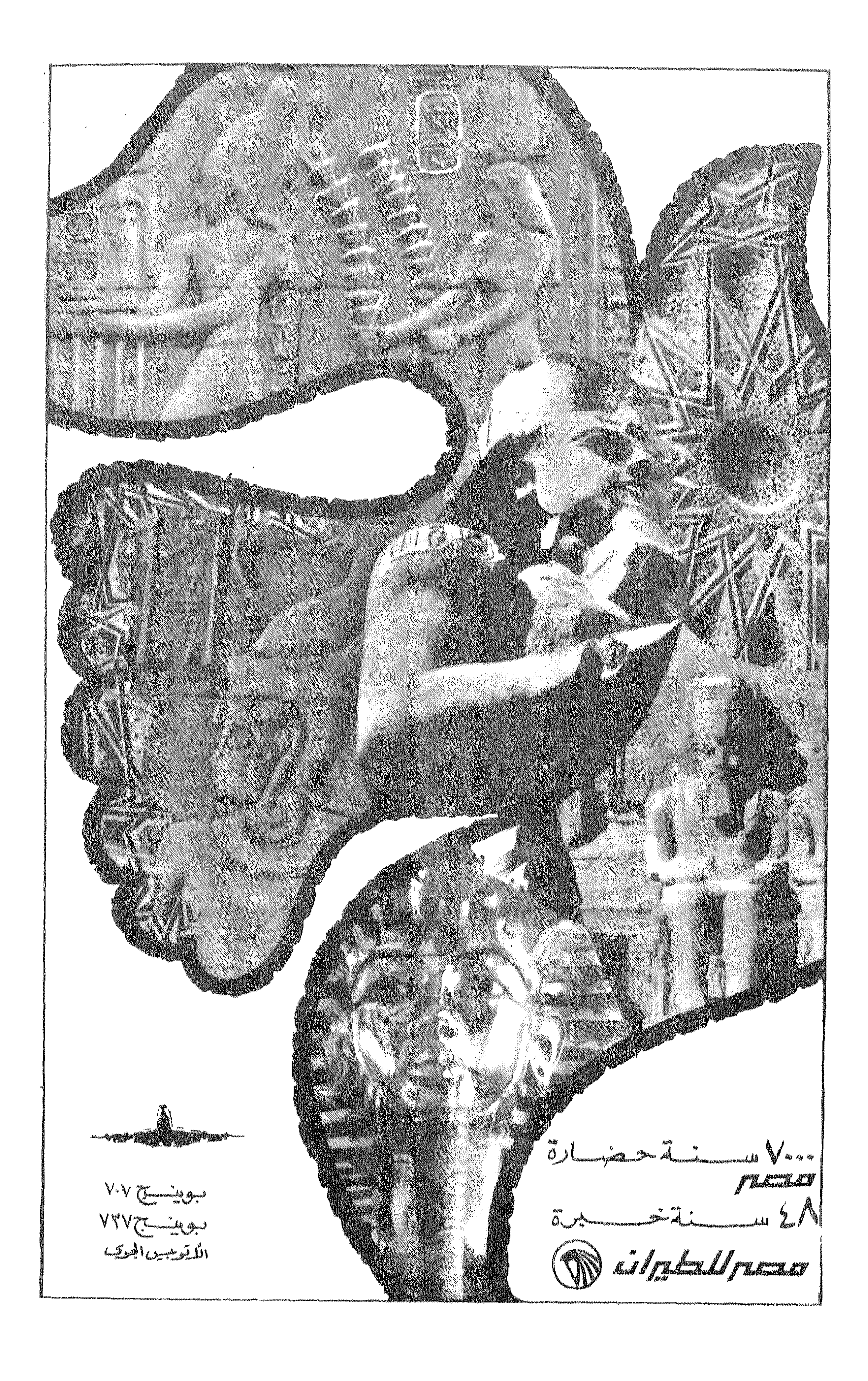
الهلال

مجلة الفكر العربي

نزهة في عمق الشعاب المرجانية

{استطلاع بالألوان}

- أزمة القراءة أزمة قومية حضارية
- شخصية الشهر: مصطفى صادق الرافعي
- الثقافة والتربية بين ... والعلمانية
- المرأة تنظر إلى المرأة ...



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٨ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

٢٦ مواطنا جديدا فى الثانية

هذه الزيادة في السكان رهيبة ، وهي دون شك تقضي على كل جهد نقوم به للتقدم ونشر الرفاهية ..

فاننا لا نكاد ندبر طعاما لواحد حتى يصلنا عشرة ، وما نكاد نفتح مدرسة لألف تلميذ حتى يأتي ثلاثة آلاف !

وهكذا يضيع جهدنا كله ونقف مكاننا ، بل نتراجع ، لأن ناسا منا يبلغ بهم الجهل والقسوة معا ان يغرقوا السفينة بمن فيها !

ونحن اليوم نقوم بمجهود ضخم للتوعية ..

ولكن التوعية وحدها لا تكفى ، لأن الناس تعودوا عندنا الا يسمعوا لنصيحة أو يتدبروا حقيقة تعرض عليهم : والجهل فى عصرنا هذا مرض قاتل . والجاهل لا يعالج بالكلام بل لابد فى رأينا من شىء من الضغط . لابد أن تلجأ الدولة الى اجراء رادع ..

لا نقصد التعقيم الجبرى ، فهو قسوة لا معنى لها ، وأسلوب غير انسانى ..

ولكننا نستطيع مثلا أن نقصر فرص التعليم والرعاية على الولد الثالث والباقى يتحمله الوالدان ..

ولكن الأهم من ذلك كله هو أن نبتكر نوعا جديدا من تكوين الانسان المصرى علميا وفنيا بحيث يستطيع كل مولود أن يتعلم حرفة يكسب بها رزقه أو يهاجر بها الى بلد آخر ، لأن نظام التعليم اليوم يؤدى قطعا الى زيادة العاطلين حتى لو تراخت نسبة زيادة السكان .

فالمشكلة ليست فى الزيادة بقدر ما هى فى الزيادة التى لا تنفع . فاليابان مثلا يزيد فيها السكان ولكنهم يعلمون كل مواطن حرفة تنفع البلد ، وهذه البضائع التى تغطى أسواق الدنيا يصنعها ملايين اليابانيين فى مصانع صغيرة يقضون يومهم كله فيها يعملون فى صبر ونظام .

أما نحن فلا نستطيع أن نرغم مواطنا واحدا على أن يعمل فى شىء الا برضاه ومزاجه !

لابد فى رأينا من شىء من الحزم .

ومن حق الدولة أن تلجأ الى الحزم والعنف لمواجهة خطر قومى كهذا ..

حقا ان التوعية ضرورية ..

ولكن كم من الناس يتعلم بالذوق ؟

كم من الناس تكفيه العبارة الطيبة ..

تستطيع أن تسألنى أنا فقد عملت فى التدريس عمرى وعرفت ان الخيزرانة عند المدرس ذات فائدة كبرى ، سواء استعملها أم لم يستعملها .. المهم أن يعلم الطلاب أن المدرس يستطيع أن يستخدمها عند اللزوم ، ولنذكر بيت أبى الطيب :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما
فليقس احيانا على من يرحم !

المحرر

فى هلالك هذا الشهر



جمادى الاخرة ١٤٠٠ هـ
مايو ١٩٨٠ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة الثامنة والثمانون ـ اول مايو ١٩٨٠ ـ ١٦ جمادى الاخرة سنة ١٤٠٠

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

... من وحي الربيع الجميل ، موسم الماء والخضرة والوجه الحسن – تفتحت هذه الباقة البديعة من الزهور على غلاف هذا العدد من « الهلال » ، يطل عليك منها وجه مشرق وابتسامة تعطيك من سر الربيع وسحره أن الحياة الحب والحب الحياة ! ..

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم – قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات أو ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .

الادارة : دار الهلال – ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

أزمة النشر والقراءة

أزمة قومية حضارية لابد من حلها

حتى تتفتح أبواب المستقبل الذى نرجوه

بقلم : رئيس التحرير

من شهرين كتبنا هنا عن معرض القاهرة الدولى للكتاب ..
● وقلنا أن المعرض لم يضم الا طائفة قليلة جدا من الكتب الجديدة الجيدة والباقي كله بواق من مطبوعات السنوات الماضية واعادة طبع وما الى ذلك وما كاد المقال ينشر حتى أتانى الكثيرون من المؤلفين وكل منهم معه أكثر من كتاب جدير بالنشر . منهم أدباء وعلماء وأطباء وأساتذة وكلهم يؤكد أن لديه كتبا أخرى غير تلك ، ولكن أين الناشرون ؟

واستدعيت نفرا من الناشرين ، ممن أعرف أنهم قادرون على النشر والتوزيع وعرضت عليهم بعض هذه الكتب ، فقالوا كلاما كثيرا خلاصته انهم مستعدون للنشر ، ولكن أين القراء ؟

وقال واحد منهم :

ــ ان الناس فى أيامنا هذه لا يقرأون . من عشرين سنة ، وكان المتعلمون فى هذا البلد أقل مما هم اليوم بكثير كان الناس يقرأون .. كنا نطبع من الكتاب الفين ثلاثة نبيعها فى شهور ، وكنا نصدر الى الخارج كتبا كثيرة جدا ... كنا نبيع فى الخارج أضعاف ما نبيعه فى مصر واليوم أين التوزيع فى الخارج ؟ اننا نعيش اليوم على الكتب الجامعية والمدرسية .. ثم أن تكاليف النشر زادت زيادة كبيرة دون أن نلقى من الدولة أى معاونة . الكتاب الذى كنا نبيعه بخمسين قرشا يتكلف طبعه اليوم جنيهين ولابد لنا أن نبيعه بثلاثة لاننا نعطى خصما للمكتبات يصل الى أربعين فى المائة من ثمن الكتاب .. والقارىء لا يستطيع أن يدفع ثلاثة جنيهات فى الكتاب الا اذا كان مضطرا للشراء ، والوحيد المضطر لشراء الكتاب هو الطالب الجامعى أو غير الجامعى ، لهذا نحن نفضل نشر الكتب الجامعية لكى نضمن اننا نستطيع بيعها ، أما كتب الثقافة والآداب والعلوم فأين من يقرأها ..

● إن أزمة النشر جزء من أزمة فكرية حضارية عامة نعيشها في عالمنا العربي ، فان القارئ الجيد يطلب الكتاب الجيد ، ومادمنا لا نجد كتبا جيدة فلن نجد القارئ الجيد وبالتالي لن نجد الناشر الذي يغامر بماله في نشر كتب للابداع ..

وقال أحد الناشرين :

اننى لا ادرى ماذا جرى فى الدنيا .. قبل عشرين سنة مثلا كنت استقبل في مكتبي اطباء ومهندسين وقضاة ومحامين ياتون للبحث عن كتب قيمة يقرأونها ، أما اليوم فلا أرى من هؤلاء أحدا .. وعندى حالة واضحة جدا توضح لك موقف الناس اليوم من القراءة .. اذهب اليوم الى دار الكتب واجلس فى قاعة المطالعة وانظر كم قارئا حولك .. ستجد أن العدد لا يتخطى أصابع يديك ، وهؤلاء جميعا طلبة جامعيين يعدون رسائل ماجستير ودكتوراه .. اننى أذكر عندما كنت صغيرا كنت أدخل قاعة المطالعة في دار الكتب في باب الخلق فلا أجد موضعا أجلس فيه .. هذه حالة تبين لك أن المسألة ليست مسألة مالية فقط بل أن هناك عزوفا عاما عن القراءة حتى ولو كانت بالمجان ـ هناك عقدة تكونت عند الناس ضد القراءة ولابد أن تعرف هذه العقدة وصدقنى أنك لو أرخصت ثمن الكتاب الى النصف أو الى الربع فان ذلك لن يغرى الناس بالقراءة ، ولهذا فنحن حذرون جدا فى مسألة النشر ، وماذا أعمل اذا أنا وضعت ما عندى من رأس مال ضئيل فى كتب تظل فى المخازن سنوات ..

وفى ذات مرة أنهيت درسي في الجامعة ، ثم استبقيت الطلاب دقائق لاناقش معهم مسالة القراءة وسألت نحو ثلاثين منهم عما قرأوا أو يقرأون فخرجت بنتيجة مؤسفة جدا ، هؤلاء الطلاب جميعا لا يقرأون لا كتبا عربية ولا مترجمه . وبطبيعة الحال لم اجد واحدا منهم يقرأ كتابا غير عربى .

وعندما سألت عن الاسباب سمعت اجابات شتى غير مقنعة ، فبعضهم يقول انه لا يملك المال والبعض الآخر لا يملك الوقت والبقية لا تفكر اطلاقا فى القراءة . وبعد هذه الندوة القصيرة مضيت الى مكتبة الجامعة ، فوجدت فى قاعة المطالعة عددا لا بأس به من الطلاب يقرأون ، لكن كل قراءاتهم بلا استثناء كانت تتصل بدراستهم الجامعية . كانوا يقرأون كتبا عادية كى يوفروا على أنفسهم عناء شرائها ، وكان هناك ثلاثة أو أربعة يعدون رسائل جامعية ورأيت ثلاث طالبات يقرأن كتبا دينية !

وادركت اننا بالفعل امام مشكلة خطيرة بالنسبة لمستقبل هذا البلد ، فاننا فى عصر العلم ، والصراع بين الأمم اليوم صراع علم ، وسيكون هذا الصراع فى

المستقبل أشد ، فاذا لم تكن لدينا حصيلة ضخمة من العلم فان نتيجة الصراع لن تكون لصالحنا ، ومن هنا فان الموضوع يحتاج الى أكثر من مقالات في موضوع الفقر الثقافى تنشر فى هذه المجلة وفى مثيلاتها ، ان الموضوع ينبغى أن يثار على مستوى عال ويناقش كما يناقش موضوع الامن الغذائى أو الأمن القومى .. لأننا نعيش اليوم ـ ثقافيا ـ على حصيلة علم عند الشيوخ وبعض الكهول ، أما الشباب فلا يقرأون ، ومن هنا فانهم لن يستطيعوا الثبات فى صراع الأمم فى الغد ، وعلينا منذ الآن أن ندرس الموضوع دراسة جادة لأن هذا الشباب لابد أن يقرأ ، لابد أن يتثقف ، لأن مستقبله ومستقبل ذلك البلد متوقف على مقدار ما يقسم لهذا الشباب من ثقافة .

وقد بدا لى أكثر من مرة أننا غير متنبهين بما فيه الكفاية الى خطورة موضوع الثقافة هذا حاسبين انه موضوع كمالى وان جامعاتنا ما دامت تغص بالجامعيين فان مستقبلنا بخير ، وأحب ان أقول أن كثرة الجامعيين هذه سبب من أسباب متاعبنا الثقافية والحضارية ، وأمامك مثل واضح تستطيع ان تلمسه بيدك ، فنحن اليوم فى عصر انفتاح وانشاء ، وهذا العصر يتطلب منا اقامة منشآت معمارية وآلية تتناسب مع مطالب هـذه الطفرة وتلاحظ معى ان كل جهات الاختصاص عندنا تلجأ الى بيوت الخبرة الاجنبية لاقامة المنشآت الجديدة ونحن نرى اليوم فى القاهرة أشكالا جديدة من المنشآت المعمارية لم نعهدها من قبل فهناك العمائر الادارية وادارات المصارف ومبانى المستشفيات الحديثة ، وهناك عمائر تبنى كلها من الحديد ، وأخرى تحتاج الى منشآت تحت الأرض ، وفى كل مبنى من هذه نجد أن التصميمات والاعمال الفنية كلها تقوم بها بيوت أجنبية ، فما السبب فى ذلك ؟

هل كليات الهندسة عندنا لا تحسن تعليم الشبان ؟ هل مناهج الدراسة عندنا ناقصة أو قاصرة ؟ هل الاساتذة غير اكفاء ؟ بالعكس ، فان المناهج مثقلة بالمادة والاساتذة أكفاء ولكن الذى ينقص هنا هو الثقافة الهندسية أقصد لأن كل فنون الهندسة الجديدة وكل المستحدثات فى أساليب البناء ومواده لا توجد فى الكتب التقليدية ، أى فى الكتب التى تدرس فى الجامعات ، وانما هى توجد فى المجلات العلمية وفى الكتب الجديدة التى تصدر بالعشرات ، والمهندس المثقف هو الذى يطلع على ذلك كله ويجارى الزمن فيعرف أن الزمن يتطور والعلم يتقدم ولكل عصر مطالبه ، فالمهندس الذى يقتصر عمله على ما درسه فى كلية الهندسة مهندس غير مثقف ، مهندس تقليدى لا يجارى العصر ومثل هذا الرجل لا يسد مطالبنا الهندسية اليوم ، وهو طبعا عاجز عن ان يسد مطالبنا فى الغد ، فاذا اعتمدنا عليه لم نصل الى المستوى المطلوب قط ، ولو أن المهندسين عندنا يقرأون ما يصدر من الكتب الجديدة أو لو أنهم يطلعون على المجلات العلمية التى تصدر فى فروع الهندسة بالعشرات لعرفوا كيف يسايرون العصر ، أن الذى ينقصهم اليوم هو الثقافة الهندسية . ولقد جرى لقاء بينى وبين مهندس من اليابانيين الذين صمموا فندق السلام فى مصر الجديدة ، فاهدانى كتابا مليئا بالصور عن فن بناء الفنادق الحديثة فتصفحته وقرأت عنه ما تيسر ، **ثم أعرته لمهندس صديق لى على أمل ان يهتم به ، ثم مررت به بعد شهرين فاذا الكتاب على مكتبه لم يتحرك ، فاخذته وأنا متحسر ، لاننى**

عرفت أن مثل هذا المهندس مهندس متاخر لا يعرف شيئا عن عالم الهندسة اليوم ، مشكلته انه مهندس غير مثقف ـ انه متعلم ولكنه غير مثقف ،والمتعلمون عندنا كثيرون جدا ، ولكن الذين ينقصوننا هم المثقفون ٠

ولعلك تسمع كل يوم عن مواطنينا الذين يذهبون الى الخارج للعلاج ، وربما يقع فى الظن أن السبب فى ذلك هو أن الاطباء عندنا أقل علما من الأطباء هناك وهذا غير صحيح ، فأطباؤنا عندهم الكفاية من العلم التقليدى الذى فى الكتب التى درسوها فى الجامعة ، ولكن الطب يسابق الريح اليوم فى تقدمه ، وفى كل يوم يجد جديد ، وهذا الجديد هو الذى يذهب لالتماسه أولئك المواطنون الذين يذهبون للعلاج فى الخارج لأنه غير موجود عندنا ، وقل لى والله متى يستطيع طبيب عندنا أن يقرأ وهو قائم فى عيادته الى منتصف الليل يستقبل مريضا بعد مريض ؟

لقد قرأت فى مجلة المانية مقالا عن طبيب انجليزى نجح أخيرا فى أن يصنع عدسة زجاجية توضع داخل العين عندما يصاب الانسان بما يسمى بالماء الابيض ويحتاج الى أن تجرى له عملية الكتاراكتا فتزال العدسة الضامرة وتعوض بعدسة نظارة ٠

ومن المعروف أن العين أو أى عضو من أعضاء الجسد لا تقبل عنصرا غريبا عنها ، وقد حاول نفر من الاطباء أن يبتكر مادة لاتلفظها العين ليصنع منها هذه العدسة ، حتى لاحظ مرة أن الذين يأتون بشظايا زجاجية داخل العين فى حوادث السيارات لا تتسبب تلك الشظايا فى احداث التهابات فى العين ، وفى بعض الحالات عندما تستقر الشظية فى موضع لا تؤمن معه الجراحة لاستخراجها فانها تظل مكانها ولا تلفظها العين ، فقال فى نفسه : هذه هى المادة التى أبحث عنها ٠ ثم بدأ يجرى دراسات وتجارب على شتى أصناف زجاج السيكوريت واتصل بالشركات المنتجة له وعمل فى مصنع منها بضع سنوات حتى توصل فى النهاية الى نوع من الزجاج لا تلفظه العين قط ٠ فصنع منه العدسة المطلوبة وجرب مرة بعد أخرى حتى نجح فى ذلك ، وعن قريب سيستطيع المريض بالماء الابيض أن يعوض عدسة عينه بعدسة زجاجية ٠

هذه العملية تجرى اليوم فى اوروبا ، ولكنها لن تجرى فى مصر الا بعد سنوات ، لأن غالبية أطباءنا الرمديين لن يعلموا بخبر هذا الكشف الا بعد سنوات ، لأنه الآن ثقافة ، ولكنه سيصبح علما يطبقونه هم بعد هذه السنوات والى ان يطبقوه يكون اهل الغرب قد اكتشفوا شيئا آخر ، وسنظل نذهب اليهم للعلاج لأنهم مثقفون ونحن غير مثقفين ، لأن الطبيب هناك يقرأ الكتاب والمجلة العلمية ويحرص على تثقيف نفسه ، وصراع الدنيا اليوم صراع ثقافة أو ما يسمى بالالمانية Kueltu rkampf والالمان هم الذين ابتكروا هذا المصطلح

فالذين يستهينون بالثقافة يستهينون أو يجهلون حقيقة الصراع فى عصرنا هذا ، ونحن عندما نقول اننا لابد أن نتثقف لنكسب معركتنا نتفلسف ، وما نحن بمتفلسفين ولا مطالبين بكمالى ، انما نحن نطالب بالضرورى وهو الثقافة ٠

***

ولكن ، أين توجد الثقافة اذا لم تكن هناك كتب ؟

هكذا نعود مرة أخرى الى موضوع الكتب والنشر والناشرين انه عقدة العقد

ازمة النشر والقراءة .. ازمة قومية حضارية لابد من حلها

وأساس مستقبلنا كله ، فاذا نحن لم نعالج موضوع النشر ولم نفلح فى نشر الكتاب العلمى والمجلة العلمية فاننا سنظل حيث نحن مهما فعلنا ، ومن غريب ما أذكر انني سمعت وقرأت كثيرا عن ساعات الكوارتز، ثم لقيت صديقا لى استاذا فى كلية هندسة وله صلة بالبصريات ، فسألته فى موضوع ساعة الكوارتز وقلت له : اشرح الأمر أرجوك ، فضحك وقال : هذه اشياء يبتكرونها ليبيعوا .. هذه كلها دعاية وتهويش ..

ـ ليكن دعاية وتهويشا ولكنى سألتك سؤالا محددا : ما هى الساعة الكوارتز ، ففكر لحظات ثم قال : دعنى أبحث ثم أجيبك ..

ويبدو لى أن حل أزمة النشر ينبغي أن يسبقها حل أزمة القراءة .. أى اننا ينبغى أن نوجد القارىء حتى يجد الناشر من يشترى الكتب التى سينشرها ،لان الناشر تاجر قبل كل شيء وليس من المعقول أن نطالب بانفاق ماله في كتب لا تباع أو تباع فى بطء شديد يضيع معه كسب ، وانما المعقول هو أن نجد سبيلا يؤمن علي رأس ماله . وأنا لا أريد أن أكلف الدولة جهدا او مالا فان الدولة مرهقة بالمطالب ، وليس من المعقول أن نطالب الدولة بكل شيء ..

نستطيع أن نجعل المواطن يحس بأن الثقافة ضرورة وأنها مطلب ضرورى لصالحه ، فاننا نستطيع مثلا أن نجعل بين مواد الدراسة فى المدرسة الثانوية وفى الجامعة مادة تسمى الثقافة العامة.مادة لاتلقى فيها محاضرات ولا تخصص لها دروس ، وانما يكون في المدرسة أو الكلية رجل يسمى بالموجه الثقافي ، ونستطيع أن نحدد لكل سنة من سنوات التعليم الثانوى والجامعى خمسة كتب من الكتب العامة التى تنشر ما بين روايات وكتب علمية ودراسات ، وندع الطالب يقرأها تحت اشراف الموجه ، ثم نختبر الطالب فيما قرأ من هذه الكتب عند امتحان الثانوية العامة وعند امتحانه فى الليسانس أو البكالوريوس ، والدرجة التي يحصل عليها التلميذ أو الطالب فى مادة الثقافة يكون لها دخل في استجابتنا أو عدم استجابتنا لادخاله هذه الكلية أو تلك ، وبالنسبة المحاصلين على الليسانس أو البكالوريوس يكون التعيين ـ بعد النجاح ـ بنسبة ما يحصل عليه الطالب فى مادة الثقافة العامة وخاصة فيما يتعلق بالتعيين بأوامر التكليف ، فيكون التفوق في الثقافة أساس التعيين ، وبدون ثقافة لا تعيين .

أقول ذلك لأننى أعرف أننا نعرف من تجاربنا أن غالبية الناس عندنا لا يقرأون الا اذا كانت القراءة ضرورة ، فالطالب الجامعى لا يشترى الا الكتاب المقرر ، ولا يشترى قط كتابا لا دخل له بالامتحان ــ كلامى هنا على الغالبية ، فما زالت هناك اعداد قليلة من الطلاب الذين يقرأون . وما دام الناس لا يقرأون «بالذوق» فلا بأس من أن نجعلهم يقرأون « بالعافية » ومصلحة الوطن تبيح لنا ذلك .

نستطيع كذلك أن نجعل القراءة شرطا من شروط الترقيات أيا كانت ، فلا ينال موظفا ترقية الا اذا قرأ عددا من الكتب يختارها من قائمة رسمية ننشرها ، لأنه من غير المعقول أن يترقى الناس فى الوظائف على الاسلوب الحالى ، ولقد عرفت وكلاء وزارة كثيرين لم يقرأوا فى حياتهم كتابا ، واستطيع أن أؤكد لك انهم وكلاء وزارة من النوع السيىء بسبب قلة الثقافة . انهم لا يعرفون الأمور المكتبية الادارية ، والواحد منهم يحفظ عشرات اللوائح ومئات الاسماء ، وكلما

● إن تدخل الدولة فى عملية النشر لم ينفع الناشر ولا المؤلف ، لأن التأليف عملية فكرية ، والنشر عملية تجارية وكلاهما لابد أن يترك حرًا كما هو الحال فى غير العالم العربى أما تدخل الدولة فقد هبط بالتأليف لأنه أضعف الناشرين أولاً ثم تبنيها كتبًا لا تستحق ..

زادت قراءته للوائح وحفظه لاسماء الموظفين ازداد جهلا وبعدا عن الحياة ، فماذا لو ارغمنا مثل هذا الرجل على أن يوسع فى ذهنه مكانا للثقافة حتى يصير أكثر انسانية ويعرف أن الحياة ليست لوائح وان العمل ليس روتينا وان الناس ليسوا أرقاما على جداول ؟

لقد تثقفنا نحن وتعلمنا حب الكتب بنفس الطريقة أى بالقوة ، فقد كان آباؤنا يلزموننا بالقراءة الزاما ، أذكر أن والدى كان يفرض علينا اثناء الاجازات أن نحفظ كل شهر ثلاث صفحات من القرآن الكريم ، وكان يفرض علينا أن نقرأ كل شهر مقامة من مقامات الحريرى ، وكان يمتحننا فى القرآن وفى المقامات وكنا نذهب الى مصيف رأس البر اذ ذاك فى شهر سبتمبر ، فمن حفظ واجبه من القرآن الكريم وقرأ المقرر عليه من مقامات ابى القاسم الحريرى ذهب الى المصيف ، ومن لم يحفظ بقى وحده فى البيت شهرا كاملا ..

ان أزمة عدم القراءة عندنا أزمة قومية وحضارية ، وهى مسئولة الى حد كبير عما نقاسيه من صعوبات فى سبيل التقدم ، فان التقدم مستحيل دون اطلاع وثقافة ، وانه لمن الغريب أن تجد الشباب عندنا يدفع فى الكاسيت ثلاثة جنيهات ليحصل على أغان غثة مريضة ولا يدفع نصف هذا المبلغ فى كتاب ينفعه ..

وما دامت الأزمة غير طبيعية وغير معقولة فهى لا تعالج بأساليب طبيعية أو معقولة ...

لابد من استعمال شيء من الضغط حتى يعرف الناس أن القراءة ثروة لهم وللوطن . لابد أن يعرف الوالد أن ابنه ينبغى أن يقرأ كما ينبغى أن يأكل ويشرب ، وفى عصرنا هذا لا يعيش الناس بالخبز فقط بل بالثقافة ، والعلم .

وقد يتعجب بعض القراء من مناداتى باستعمال الضغط والقوة لارغام الناس على القراءة ، ولكن قل لى : ماذا تعمل مع شاب وشابة ينفقان آلاف الجنيهات فى تأثيث ما يسميانه ببيت الزوجية ، ولا يفكر واحد منهما فى أن ينفق عشرة جنيهات فى كتب تزين البيت وتدل الناس على أن سكانه ناس لهم عقول .. لا بطون فقط ولا أجساد فقط .. وانما هناك أيضا عقول تقرأ وتفهم .. وبالعقل يصبح الانسان انسانا ..

فاذا لم يرد أن يكون انسانا فأى ضرر فى أن نرغمه بالقوة على أن يكونه ؟

د . حسين مؤنس



حول مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السادسة والأربعين

● محمد عبد الغني حسن ●

شهدت من مؤتمرات مجمع اللغة العربية مؤتمرين قبل مؤتمر هذا العام للدورة السادسة والأربعين ، وكنت في هذه المؤتمرات الثلاثة عضوا عاملا بالمجمع ، لا ضيفا مدعوا اليه كما كان ذلك من حظي في بعض السنين ..

وكان حفل الافتتاح في القاعة الكبرى « بجامعة الدول العربية » مشهدا دائما يتكرر كل عام ، على الرغم مما بين كل مؤتمر ومؤتمر من ملابسات وكلمات تختلف من عام الى عام ، باختلاف الظروف والمناسبات ..

ولقد أنست ـ كعادتي كل عام ـ بلقاء بعض اخواننا العرب الذين تجشموا مشقة الرحلة على الرغم مما أحاط بها من ملابسات .. واذا كانت بعض الظروف لم تسعدنا باجتماع الشمل كاملا ، كما كان الشأن فيما مضى من الأعوام ، فان الآية الكريمة المنقوشة على جدار القاعة ـ في مواجهة الأعضاء والضيوف ، وفوق رءوس الجالسين على المنصة ، من وزير الثقافة ، ورئيس المجمع ، والأمين العام للجامعة العربية ، والأمين العام للمجمع ـ تذكرنا دائما بالاعتصام بحبل الله والبعد عن التفرق ..

وقد كان وقع الآية الكريمة في نفسي ونفس كل مشاهد في الحفل ومشارك فيه أكثر الآيات القرآنية مناسبة في هذا العام .. وكم وقعت عيوننا على هذه الآية الكريمة كل عام ، ولكن وقعها في نفوسنا لهذه الدورة كان أعظم وأبلغ وأنفذ الى القلوب ..

وتذكرت مؤتمر الدورة الرابعة والأربعين الذى كانت تدور أبحاثه حول (العامية والفصحى) ، ومؤتمر الدورة الخامسة والأربعين الذى اتخذ من (قضايا اللغة العربية ومشكلاتها في العصر الحديث) موضوعا لأبحاثه . على حين اتخذ مؤتمر عامنا الحاضر موضوع « الأدب العربي المعاصر » مجالا تدور حوله بحوث هذا العام ..

وحين وقف وزير الثقافة الأستاذ منصور حسن يلقي كلمته ـ بصوته الهادىء الرصين المميز ـ لم يفته أن يسوق من تائية شاعر النيل « حافظ ابراهيم » على لسان اللغة العربية أبياتا للاستشهاد . وكانت اشارته المنصفة الى جهود المجمعيين ـ منذ انشاء المجمع سنة ١٩٣٢ الى اليوم ـ شهادة تقدير يعتز بها المجمعيون الذين يعملون في صمت وفي تضحية لا يبتغون على عملهم المضني جزاء ولا شكورا ..

ولقد سمعت في مؤتمرين سابقين وزيرين من وزراء الثقافة أو التعليم هما الأستاذ عبد المنعم الصاوى ، والدكتور حسن اسماعيل ، فعرفت في كل مرة أن الفضل لا يعرفه من الناس الا ذووه ..

اما رئيسنا الدكتور ابراهيم بيومي مدكور فانه كان في كلمته الرقيقة الواعية متفائلا كعادته ، طموحا متطلعا كشأنه في أمره كله في المجمع ، ميسرا لتناول (الأدب) حتى يستطيع أن يخاطب الناس عامة وينفذ الى قلوب الجماهير .

والحق أن الدكتور « مدكور » بطبعه منذ استاذيته في الجامعة ـ ينفر من الأرستقراطية في الأدب ، ولكنه لا يهوى به الى الأدب الرخيص المتملق . المنحرف ، حين يريد له الديمقراطية . فليست الديمقراطية انحرافا ولا هبوطا ، ولكنها تيسير للفكر والثقافة واللغة على أوسع القواعد الشعبية .

أما (البيان) الذى عودنا الزميل الدكتور مهدى علام أن يعرض فيه صورة عامة لملامح النشاط المجمعي بين مؤتمرين ، فقد كان شائقا كالعادة ، دقيقا كالعاده منصفا ومراعيا كل الاعتبارات ، ومسجلا كل صغيرة وكبيرة ، وفاء بالحق لأهله ، فلا يفوته ملمح ، ولا يخطئه في الملاحظة والتقييد مشهد ، استكمالا للصورة المجمعية في خلال عام كامل .

***

ولم يفت الزميل والأستاذ د. مهدى علام أن يبرز في بيانه الدقيق قرارات المؤتمر السابق وتوصياته ، وأعمال مجلس المجمع ولجانه ، ومسابقة المجمع الأدبية السنوية ، ومسابقة احياء التراث ، ومطبوعات المجمع ، وصلاته الثقافية مع المجامع والهيئات الثقافية العربية والاسلامية والدولية . كما لم يفته أن يشير الى لجنة الاعداد للعيد الخمسيني للمجمع ، وهو العيد الذى سيقام في عام ١٩٨٢ احتفالا بمرور خمسين عاما على انشاء مجمع الخالدين ..

ومن الطريف ان زميلنا البحاثة الأستاذ محمد شوقى أمين سمع اسمه يخرج من بين شفتى الدكتور مهدى علام ، وفاته سماع المناسبة .. فسألنى : لماذا ذكر الدكتور مهدى اسمى فى بيانه ؟ فقلت له : أنسيت أنك والأستاذ بدر الدين ابو غازى – وزير الثقافة الأسبق – والدكتور مجدى وهبه ، ومحمد عبد الغنى حسن أعضاء لجنة الاعداد لعيد المجمع الخمسينى ؟

***

واذا كان بكاء الحمائم يهيج البكاء للعشاق والمحبين ، فان الذكـريات دائما تثير الذكريات .. وهل بعد (شوقى) عن الصدق حين قال : والذكريات صدى السنين الحاكى ؟

لقد ذكرت فى مؤتمر هذا العام – ونحن مغمورون بأشـــجاننا العربية – ما ألقيته فى مؤتمر العام الماضى من شعر أنوه فيه بفضل اللغة العربية وما صنعته من قديم الأزمان فى توحيد القلوب ، وربط الشعوب . وأستأذن القارى الكريم ان أروى هنا بعض أبيات قصيدة المؤتمر فى العام الماضى ، ففيها من المشـابهة بين حالينا فى عامين ما لايجوز اغفاله ونحن فى معرض الذكريات .. حيث قلت :

جمـــع الله شـــملنا بعـــد عـــام حافـــل بالأفـــراح والأشـــجان
شغلتنا الجـراح فى قلب (صـــنعا ء) ودامى الجـــراح فى (لبنـــان)
اى خطب دهى العـــروبة حتى أصـــبحت لـوحـة بلا الـوان ؟
نصـــل اللون فى الورود ، وغابت رفـرقات العبـير فى البســتان
ذهبت كـل روعـــة للمـــوازين واضـــحت شـعرا بلا أوزان ...
لا تقولوا : أوهام شـــيخ يئوس قـــد ألـم الدعـــوى بلا برهـان
ما بلغنـــا يأســـا ، ولكن نفثنــا رب نفث أراح صـــدر العـانى
لست اخشى على العروبة صـــدعا فهى صرح موطـد البنيـــان
كـل خلـف ســـينتهى لوفـاق كـل خـوف ســـينتهى لأمـان
لا يضـــير النفوس ان هى شفت كل ما ثار بينهمـــا من دخان ...

واللغة العربية – أو لغة الضاد – دائما هى مدار الحـديث والمناقشـات والمحاضرات فى مؤتمرات مجمع اللغة العربية . فالمجمعيون دائما يدورون حولها ويطوفون بها ، وهل ننسى ما قاله الوزير عبد المنعم الصاوى فى مؤتمر سـنة ١٩٧٨ خاصا بالعربية والدور العظيم الذى يقوم به مجمعنا للحفاظ على سلامتها متطورة ، تلاحق العصر ، وتستوعب كل جديد أو طريف أو مستحدث ؟

وهل ننسى ما قاله الوزير العالم الدكتور حسن اسماعيل فى مؤتمر سنة ١٩٧٩ حين خاطب المؤتمرين فى حفل الافتتاح قائلا : (أنتم أطباء اللغـة تفحصـون أدواءها ، وتضعون دواءها ، فاذا باللغة تشفى على أيديكم مما قد يصيبها من علل ، أو يعتريها من ضعف ، واذا بها تنهض وافرة الصحة والسلامة والعافية

لتؤدى رسالتها الخالدة فى كل مجالات الأدب والعلم والفن) ؟

وهل يفوتنا أن نسجل هنا ما قاله الوزير المثقف منصور حسن فى مؤتمر عامنا هذا : (وهكذا كرم الله الأمة العربية بلغتها ، وكرم لغتها بأن جعلها لسان كتابه الكريم ، ثم كرمكم أنتم أيها الخالدون بأن جعلكم سدنة هذه اللغة الأمناء عليها ، الحرصاء على أن تواصل أمجادها بالتعبير عن الحضارة فى مختلف جوانبها ، وفى تطويرها وتجددها على مدى الأزمان • فما تضيق لغتنا بمعنى وان جل ، ولا تعجز عن مسمى وان دق ، ولا تتباطأ خطاها عن مواكبة العصر بمستحدثاته ومخترعاته)

لقد ذكرتنى هذه اللفتات اللماحة نحو اللغة العربية بما قلته فى مؤتمر العام الماضى من تصوير للغة الضاد : ـ

لغة تجمع القلوب على الحب ... فتمضى سوية فى العنان
رزقت دقة الأداء ••• فادت ... كل ما فى الضمير والوجدان
دخلت كل مسرب للمعانى ... سلكت كل مسلك للبيان
فهى سيان ان تمثل فيها ... آبد الوحش ، أو « صريع الغوانى »
واذا شئت فهى طوق قيون ... واذا شئت فهى عزف قيان
كل معنى له على القد لفظ ... فهما فى السواء يلتقيان
كل حرف يلتف حول اخيه ... مثلما التف فى الهوى عاشقان ••
لغة يلتقى بها الهمس بالجهـ ... ـر ، ولطف الاسرار بالاعلان
ولكل مواطن ••• لم تجاوز ... ما يريد المكان من امكان
حسبها انها تبين ، وتجلو ... ما تريد الحياة من تبيان
تنقل الفكر فى بيان دقيق ... رب فكر يضيق بالكتمان

وفى المجمع لجان كثيرة ، ولعل أقربها اتصالا بمنفعة الجماهير ، واشاعة التيسير لجان الفاظ الحضارة ، والألفاظ والأساليب ، ولجنة اللهجات ، وقد كانت حصيلتها لمؤتمر هذا العام زادا وافرا • فقد عمدت (لجنة اللهجات) الى توثيق أكثر من مائة لفظ ، يتوهم أنها عامية غير فصيحة ، ولكنها وثيقة الصلة بالفصحى ، فلا وجه لاغفالها أو الترفع عنها فى لغة الكتابة ولغة الكتاب • ولا شك أن هذه محاولة للتقريب بين الفصحى والعامية بعد أن باعد الزمن بينهما مباعدة طويلة •

أما « لجنة الألفاظ والأساليب » فقد فتحت باب التيسير واسعا ، وأجازت بعض الفاظ وأساليب كان يتشدد المتشددون فى قبولها ويحكمون عليها بالخطأ لعدم ورودها فى المعاجم اللغوية ، أو لمخالفتها للمشهور من قواعد اللغة ، كالفاظ (المعلن اليه) ، و (التطويع) و (الانضباط) و « اشهار المزاد » و« تصفية المشكلات » • وكأسباب مثل : (ما هى الأسباب) و (ما هو رأيك) و (من هو مؤسس مصر الحديثة) ، وما شاع حديثا من ايقاع كلمات مواقع الظرفيه المكانية ، مثل : طى ـ ضمن ـ أعلاه ـ أدناه ـ رفق هذا مذكرة ••

وقد وافق المؤتمر على هذه الالفاظ والأساليب، بعد أن أجازها مجلس المجمع بعد أن درست فى لجانه .. ومن هنا لم يعد المجمع ذلك الشيخ المتزمت الجامد المخيف ، وانما أصبح وسيلة مقنعة للتيسير والتسهيل • وقد يقال ان فتح هذا الباب هو تمكين للخطأ من الانتشار واقرار له • ولكن الحق أن لجان المجمع لا تصدر فى ذلك الا عن مناقشة ومحاورة وجدال طويل وروية طويلة ممعنة •

ولقد عرض على مؤتمر هذا العام كثير من الالفاظ والمصطلحات فى مجال السينما والمسرح ، وهما وجهان من وجوه الحياة الأجتماعية والتسلية والتثقيف فى واقعنا العربى المعاصر ، بعد ما استقر لهما من شأن فى العالم الأجنبى • وقد لوحظت على اللغة التى عرفت بها مصطلحات هذين الفنين أنها لغة أدبية راقية مع التزام الدقة والفهم العميق لأصول هذين المجالين • ولا غرو ، فخبير هذين الفنين هما الأستاذ أنور أحمد للمسرح ، والأستاذ أحمد كامل مرسى للسينما ، ولكل منهما فى ميدانه سعى مشكور ..

***

ولقد عاد مؤتمر مجمعنا هذا العام الى نظام المحاضرات العامة فى جلسات علنية مفتوحة للجماهير ، بالاضافة الى البحوث التى تلقى على الأعضاء لا غير فى قاعة المجمع نفسه • ومن مآثر الزميل الدكتور سليمان حزين رئيس الجمعية الجغرافية وعضو المجمع أنه قدم قاعة المحاضرات بالجمعية للجلسات العلنية ، بل زاد الى الفضل فضلا وكرما ، فقدم مائدة حافلة بالشاى الشهى وتوابعه لعدد كبير من المدعوين والمستمعين ! وبهذا اجتمع زاد الفكر وزاد المعدة فى ملتقيات الأفكار !

وكانت محاضرة الزميل الدكتور شوقى ضيف عن (لغة المسرح بين العامية والفصحى) مثارا لكثير من المناقشات والتعليقات ، واستدرت كثيرا من الاهتمام الذى يثيره باحثنا العظيم بموضوعيته ، وعمق دراسته • أما المحاضرة الأخرى عن « قضايا حول الشعر العربى » فقد تناولت فيها قضيتين لا غير : قضية الخطأ فى الشعر واضطراب وزنه عند القدامى والمحدثين ، وقضية الاضطراب فى نسبة الشعر فى القديم والحديث الى أصحابه الأصليين ، وكانت الشواهد التى سقتها مما ارتاح له السامعون .. ولم أتعرض لقضية الشعر الجديد تفصيلا اكتفاء بما حكم به عليه نقاد ذوو بصر وبصيرة من أمثال عزيز اباظة وعباس محمود العقاد ، ومحمد بهجت الأثرى ، وايثارا للسلامة والعافية !!

وكأن الله أراد أن يعوضنا هذا العام من دفء زملائنا وأخواننا العرب الذين حالت الظروف دون التقائنا بهم ، فرأينا وسائل الاعلام والصحافة تضاعف الاهتمام بمؤتمرنا هذا العام • وهى مشكورة على هذا الموقف الذى يزيد ما بيننا أحكاما ووثوقا •

وهل يتصور أحد أن تفتر العلاقة بين « مجمع » حى متطور متجدد ، وبين

وسائل الاعلام ، وهو يمدها من حين الى حين بكل جديد وطريف وصحيح من المصطلحات والالفاظ والاساليب ؟ ولا أدرى لماذا لم يكن للشعر مجاله الرحيب فى مؤتمر هذا العام ؟ لقد أمتعنا الزميل الطبيب الدكتور حسن ابراهيم ـ العميد الأسبق لطب القاهرة ـ بقصيدة عالية فى وقفة له خاشعة أمام قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما أمتعنا الزميل الفلسطينى الباحث العالم المحقق الدكتور اسحاق موسى الحسينى بأبيات ثلاثة رقيقة ارتجلها فى آخر جلسات المؤتمر .

ولم يتغير المجمع عن سنته كل عام فى أيام المؤتمر ، حيث يلتقى الزملاء المؤتمرون فى أنشطة من الرحلات وسهرات المسارح ، وزيارة المعالم فى القاهرة وخارجها ... ترويحا عن الأعضاء فى خلال عملهم المتصل خلال فترة المؤتمر . وقد كانت الرحلة الى القناطر الخيرية من نصيبنا يوما كاملا اتخذنا النيل الخالد لها مسارا ممتعا . كما كانت الرحلة الى « مرسى مطروح » نصيبنا يومين آخرين وكان طريقنا الى « مطروح » طويلا مشبعا بريح عاصف مغبر .. ولكنا حمدنا السرى عند الأصيل ، فكان مشهد البحر الصافى الهادىء ولون مائه اللازوردى شيئا رائعا لا ينسى . ووجدنا فى رحاب المحافظ أحد أبطال العبور ، اللواء « فؤاد نصار » كرما بالغا ، وأنسا آنسا أنسيانا مشقة الطريق ..

وهنا لم يستطع الشعر أن يتخلف عن وصف هذه الرحلة ، فقلت من وحى اللحظة الحاضرة :

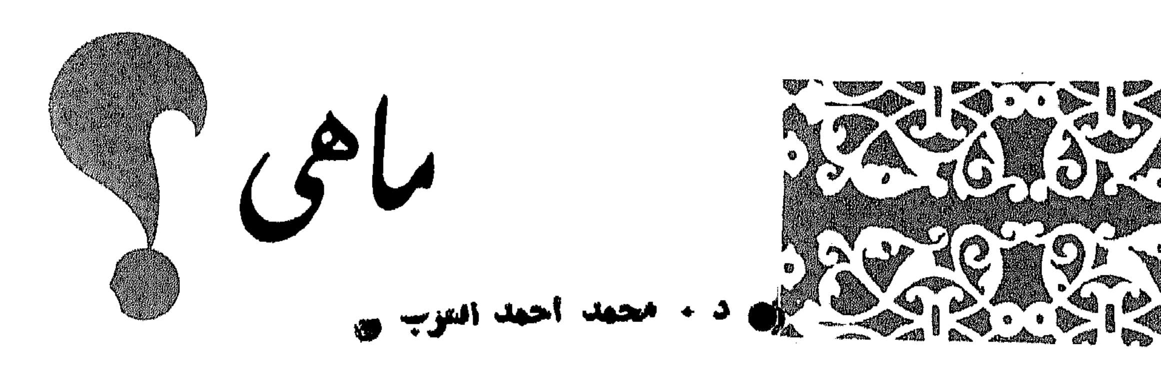
ليت شعرى متى تعود فيافى — مصر روضا مخضوضرا معطارا
ان « مطروح » لا تعز طريقا — لمحب ، ولا تشط مزارا
ذكرتنا رمالها رمل « نجد » — فشممنا قيصومها والعرارا .. !
ورأينا فى بحرها كل معنى — من جمال يحير الافكارا
فوقفنا من الجمال نشاوى — وغدونا من الذهول حيارى !
قد وجدنا فى بحر (مطروح) شيئا — لم نصادفه حين خضنا البحارا
شاطئا حانيا ، وموجا رقيقا — لا يرى صاخبا ، ولا هدارا
يأمن الطفل غدره وهو غاف — حين تلهو بنا قلوب العذارى !

ولولا قلم زميلى السورى ورفيقى فى الرحلة الدكتور عدنان الخطيب لما استطعت تدوين هذه الأبيات .. !!

لقد احتشد مؤتمر المجمع هذا العام بذكريات وانطباعات ، وقد اتخذت فيه قرارات وتوصيات لخدمة اللغة العربية وتيسيرها وتطويعها لتطورات العصر الحديث . وانا لنرجو أن يكون يوم مجمع اللغة العربية خيرا من أمسه ، وغده خيرا من يومه ، وأن يتحقق فيه للضاد ، ما نرجوه لها من آفاق وأمجاد ..



عن التراجم الغيرية



ماهى ؟

د . محمد احمد الترب

ـ ١ ـ

« التراجم الغيرية » مصطلح قد تختلف حوله الآراء او تتفق ، وقد يصل به ذلك الى نوع من التحديد العلمي او الى نوع من التجميد في قاعدة ، ولكننا مع هذا المصطلح مضطرون للوصول به الى لون من الوان الانتماء :

هل هو مصطلح تاريخي بحت ؟

هل هو مصطلح ادبي صرف ؟

هل هو مزاج من التاريخية والأدبية ؟

أسئلة صميمة تطرح نفسها في هذا المجال ، ولسنا نستطيع أن نمضي قبل أن نتصدى لها جميعا ، لانه من خلالها يتحدد المصطلح ، وبتحدد المصطلح تتحدد القضية ، وبتحدد القضية يتاح لخطواتنا ان تكون راشدة الى مدى موائم بعض الشيء ..

ـ ٢ ـ

هل التراجم الغيرية مصطلح تاريخي بحت ؟

أن كل التراجم ـ غيرية .. وذاتية .. ادبية .. وتاريخية ـ تتحرك في مجال تاريخي ، لأن التاريخ ـ بما هو مساحة الوجود والفعل الماديين للذات ـ هو عصب كل التراجم لا يمكن أن تكون ترجمة بلا تاريخ ...

اننا نترجم للذات التاريخية ـ اذا صح ان يقال ـ بمعنى اننا نضع عيوننا منذ البدء في حركة الترجمة على الذات المترجم لها من حيث هي ذات اولا .. ثم من حيث هي ذات لها تجربتها التاريخية ثانيا .. ثم من حيث هي ذات تتحرك بتجربتها التاريخية في اطار التاريخ الموضوعي آخر الأمر !

ومن هنا فقد نستطيع أن نقول ان « التراجم الغيرية » مصطلح تاريخي اساسا ، بكل ما يحمله التاريخ من ثقل في هذا المجال ، ولكن هذه « التاريخية » ليست مطلقة بلا حدود .. فقد يتناول الفنان التاريخ فيصبح في يديه هوية نابضة بكل انفعالات اللحظة الراهنة .. أى أن التاريخ هنا لا يصبح تاريخا وحسب ، وانما يصبح تاريخا أدبيا جائشا برؤية فنانه الخالق ، وطبيعة المرحلة التي يعيشها فنانه الخالق ، ومعطيات ثقافة العصر التي يمكن ان تكون ثقافة فنانه الخالق .

التاريخ اذن هو الأرضية الطبيعية لكل تحرك على مستوى التراجم الغيرية ، وهو يبقى تاريخا في يد المؤرخ ، ولكنه يستحيل الى خلق ادبي في يد الفنان المنشود لكتابة التراجم الغيرية . وقد يوجد المؤرخ الرائع الذي

يمتلك حس الخلق والفن ، فيهيج عواطف البشر وعقولهم جميعا منخلال رؤيته الثاقبة للتاريخ ، بما هو فنان الى جوار كونه مؤرخا ... ان المؤرخ البحث يتناول حياة من الحيوات ، فيعطينا عنها كل ما يمكن ان تكون قد واجهت فى حياتها من مصائر واقدار ، كل ذلك فى سياق تاريخى يوشك ان يكون احصائيا ... وربما نتعاطف نحن مع هذه الحياة وربما لا نتعاطف ، ولكن تعاطفنا اوحيدتنا يتمان على مستوى ذاتى غير خاضع لاى من المؤثرات الخارجية او الغيرية

.. **وقد** يجىء الفنان الى نفس هذه الحياة بنفس هذه المصائر ونفس هذه الأقدار ، فينفخ فيها من روحه ، ويعمق فيها الحركة ، ويؤهب كل طاقاتها لعمليتى الأخذ والعطاء ، فاذا نحن مسوقون الى التعاطف أو اللا تعاطف جميعا من خلال تجاوبنا الصميمى مع ما أثار فينا هذا الفنان من حس ، وما جيش فينا من انفعال ، وهذا يسلمنا بالضرورة الى تأكيد ان التاريخ هو خلفية لتراجم الغيرية فى الأدب ، ولكنه ليس التراجم الادبية على وجه اليقين .

« .. وليس المترجم بالمؤرخ ، اجل أن الرجال يخلقون التاريخ ، ولكننا لا نستطيع أن ندرس الفرد بالطريقة عينها التى ندرس بها انتاج نشاط رجال عديدين » (١)

وهكذا نستطيع ان نقول أن دراسة الحركات التاريخية غير دراسة الشخصية التاريخية ... (فان أمثل الطرق للبحث فى) حركة « الاصلاح الدينى » ليست أمثلها للدراسة شخصية « لوثر » ، ومن يترجم « للود » ترجمة وافية قل أن يصلح لتأريخ « الثورة الانجليزية » فى ذلك العهد تأريخا وافيا ، بل انه كلما ازداد تأهيل الكاتب للعمل الأول قل تأهيله للعمل الثانى ، لأن معالجة الترجمة تختلف تمام الاختلاف عن معالجة التاريخ ، وكثرة التدريب على الترجمة لا تزيد المهارة فى كتابة التاريخ الا بمقدار ما ينفع التدريب على عزف البيانو فى اتقان العزف على الارغن)(٢) .

(.. **وهكذا نطمئن الى ان الترجمة على اختلاف الوانها لابد ان تقوم على اساس راسخ من الواقع التاريخى لحياة المترجم له ، راسيا ذلك الاساس على ارض صلبة من المنهج التاريخى السليم المستفيد من كل تجدد وتطور لهذا المنهج على ضوء المعرفة الانسانية لحياة الفرد والمجتمع ونواميسها (٣)**

ـ ٣ ـ

هل التراجم الغيرية اذن مصطلح أدبى صرف ؟

اذا كان الواقع التاريخى ـ كما أسلفنا ـ وليس الواقع الخيالى هو محور تحرك التراجم الغيرية فى الأدب من لحظة البدء الى لحظة الختام ، فبديهى اذن أن يقال : ان التراجم الغيرية لا يمكن أن تكون مصطلحا أدبيا صرفا ، بمعنى انها لا يمكن أن تكون خلقا فنيا متخيلا أو نابعا من حلم فنان ، والا لاستحالت على الفور **الى عمل قصصى ((او روائى)) او مسرحى، نابع منممالك الخيال ومنته الى ممالك الخيال ، وما الى هذا اللون من الوان الابداع الفنى ـ على روعته ـ نقصدفى هذه الدراسة ، اننا نقصد اساسا الى التراجم الغيرية المنطلقة من واقع تاريخى بصيغة الفن ، وعلى يد الفنان.**

(١) هاملوك اليس ـ مقال الى كتاب التراجم ـ من كتاب : اعلام من العصر الحديث ـ محمود محمود ص ٣٥٦ .
(٢) نفس المصدر السابق
(٣) امين الخولى ـ مالك تجارب حياة ص ٣٠

هي مادة تاريخية اذن تصير في يد الفنان الى عمل ابداعي يطوعها لامكانية ان تصبح مصطلحا ادبيا، بماهي صائرة بالضرورة الى رؤيا فنية لخاصة لفنان خاص متعين بالذات !

وهنا تلوح قضية التفريق بين الترجمة التاريخية من جهة – اذا سلمنا ((جدلا)) بان هناك تراجم تاريخية وبين الترجمة الادبية من جهة اخرى قضية صميمة بلا حدود ، مع الاعتراف الاولى بان الحس التاريخي والوقائع التاريخية جميعا هي القاسم المشترك بين هذين اللونين من الوان التراجم الغيرية .

ان جوهر الفرق بين التراجم الادبية من جهة ، والتراجم التاريخية العلمية من جهة اخرى – ((انمايتجسم في الجانب الفني عند التعبير ، اذ يتسمح منه في الترجمة الادبية بمالا يتسمح به كله في الترجمة التاريخية، اما حق التاريخ فيلزم الوفاء به ، وان تفاوتت الدقة في الترجمة التاريخية بعض الشيء عن الترجمة الادبية)) (٤)

واذا تأكد الخلاف بين هذين اللونين على هذا النحو فسيبقى في النهاية هناك ما يشبه الصلة الحميمة بينهما، لأن (الترجمة الادبية – على اختلافها – تقوم على الاساس التاريخي في عامة امرها – على ما اسلفنا – وهو قابل لكل تجدد وتغير ، فالعمل الفني القولي له تبع وبه متأثر .. والرقي الفني ودقة الحساسية الوجدانية كافية وحدها لأن تستشفه في الشخصية مشاعر وملامح تعرض بها تلك الشخصية عرضا ادبيا متجددا كل التجدد، مختلفا كل الاختلاف عما الف واشتهر) (٥) .

ولعلنا – في هذا الصدد – نلاحظ ان بعض الباحثين ركز في التفرقة بين التراجم التاريخية والتراجم الادبية على الاطار .. (فكلما كانت الترجمة في قسميها – الذاتي والغيري – اكثر اناقة وعناية بالثوب البلاغي الذي تلف فيه . كانت اقرب الى الأدب منها الى التاريخ ، الا أن الاسراف في الصورة الادبية التي يعرضها المترجم ، والمبالغة في الفن الادبي – والروائي الذي يضفيه المترجم على الشخصية التي يترجم لها. قد يبعده كثيرا عن الحقيقة والواقع الذي يجب ان يهدف اليه . والذي يجب الا يضيع لاعتبار يتعلق بزخرفة العبارة اكثر مما يتصل بلب الموضوع) (٦) .

ولعل البعض الاخر ركز في هذه التفرقة على الحس الدرامي .. لان الترجمة كما يراها ، هي البحث عن الحقيقة في حياة المترجم له من خلال الواقع الفني او هكذا يراد للتراجم – في هذه المرحلة – ان تكون، فقد (ظلت السيرة حتى العصر الحديث عرضا اخباريا في اغلب الاحيان ليس فيها وحدة البناء ولا الاحساس الكامل **بالتطور الزمني من حيث تتبع مراحل النمو والتغيير في الشخصية . او بمعنى آخر بقيت السيرة دون شكل عام ودون محتوى تام ايضا . وكانت تعتبر فرعا من التاريخ العام ، ولكن الحركة الرومانتيكية في اهتمامها الشديد بالفرد ، ركزت على المشاعر والعواطف ، ومن هنا بدا ان مجال السيرة متباعد عن مجال التاريخ ويقترب من مجال الفن ، ومع بداية القرن العشرين كانت السيرة قد اتخذت لها اطارا فنيا خالصا واصبح كاتب السيرة فنانا بعد ان كان مؤرخا، فهو يستخدم نفس ادوات كاتب القصة .. او كاتب المسرحية .**

من هنا يتضح الى حد بعيد ان التراجم التاريخية – في عرف الدارسين – هي ما يعكس حياة المترجم

---

(٤) امين الخولي – مالك تجارب حياة ص ٢٩ – ٣٠
(٥) امين الخولي – مالك تجارب حياة – ص ٣٥
(٦) محمد عبد الغني حسن . التراجم والسير ص ٩ .

هكسا موضوعيا وعلميا لا يتيح لصاحبه ان يقول كلمته ، ولا أن يعدل من مسار الحياة المادية لشخوصه سلبا اوايجابا وانما يقتصر دوره على صياغة تاريخ الحياة ، او قل على اقتطاع تاريخ خاص من مساحة التاريخ العام ، جاعلا همه الاول هو محاولة تتبع المسار الحيوى لبطله من لحظة المولد حتى لحظة الموت مستعينا فى ذلك باستقصاء تاريخى شامل ، وببصيرة نافذة فيما يعج به هذا التاريخ من عوامل بيئية ، واقتصادية ، وسياسية ، واضعا كل القرائن الدالة ، والظواهر الشاهدة والحوادث الملموسة فى كفة المترجم له، على مستوى المعية او الضدية يهم!

أما التراجم الادبية فخلق آخر — شكلا ، ومضمونا — من وجهة شكلية يستطيع الفنان ان يترجم لبطله ترجمة استغرافية او ترجمة جانبية، او ترجمة على شكل صورة قلمية او ماشاء لها ان تكون ، قصصية او روائية ، او مسرحية او حوارية ..

ومن وجهة مضمونية يستطيع الفنان ان يمارس حريته الابداعية القادرة ، ان حرية الكاتب فى هذا الصدد ، ورؤيته الذاتية فى هذا المجال ، واسقاطاته المستمرة من العصر وعلى العصر ، وايغاله المترفق فى ممسالك الخيال ، ورجعه الدائم الى التواريخ ومن التاريخ ، كل اولئك يحدد بالضرورة نوع الحرية الفنية — التى يمارسها الفنان ويحدد نوع المفهوم الذى يعطى للتراجم الادبية ، ويجعل من هذه التراجم ليس قسيما للتراجم التاريخية ، وانما يجعلها هى وحدها التراجم بحيث ينصرف الذهن الى ((التراجم الادبية)) كلما اطلق مصطلح التراجم هكذا عاريا من التحديد .

ومن ثم ينصرف الذهن الى « تاريخ الحياة » كلما أطلق اى من المصطلحات التي يراد منها رصد الواقع التاريخى لذات من الذوات ، أو حتى لشىء من الاشياء ، لانه اذا كان الواقع التاريخى هو مادة التراجم الادبية الاولية ،وهو بالضرورة مادة التاريخ العلمى ، فكيف نستطيع نحن ان نقول ان هناك تراجم ادبية وتراجم تاريخية ؟ ان هذا العزل اللا منطقى يوحى بأن التراجم الادبية ليس لها اساس من الواقع التاريخى بماهى المقابل الآخر للتراجم التاريخية والتى هى بالضرورة اندفاع من المنطلق التاريخى وهذا غير مبرر على الاطلاق .. لأن التاريخ — كما أسلفنا — هو خلفية كل من النمطين على السواء .

ان الأهدى هنا ان يقال : ان هناك تراجم ادبية من جهة،وتواريخ اشخاص او تواريخ حيوات من جهة اخرى .. بمعنى ان التراجم الأدبية هى ما تبين فيه بالضرورة رؤية الكاتب وخياله وحريته واسقاطاته — مع شرط الحفاظ على روح الصورة العامة للمترجم له ، وتواريخ الاشخاص هى ما يبين فيها الواقع التاريخى بميلاده واحداثه ، ووقائعه مضافا الى ذلك كله حركة الكاتب فى ربط الاحداث بعضها ببعض ، وتسلسل بعضها من بعض ، وانتهائها جميعا الى كل يشكل محض الحياة ، وهذا وحده هو ما يعطى كل واحد من هذه المصطلحات منطقه الطبيعى والعلمى وينأى به عن ان يكون ذائبا فى غيره ، او غير قادر على التعامل مع غيره بمنطق الاستقلال الذاتى الأصيل ...

وربما كان فى هذا الاستطراد وفاء بما المحنا اليه مسبقا من ان مصطلح ((التراجم التاريخية)) غير وارد فى نسق الدراسة التقييمية او هكذا ينبغى ان يكون !

(٭) د. ماهر حسن فهمى : السيرة تاريخ وفن ص ٧٣ ٭

رحلة حياة وصحافة وحرية مع

مصطفى أمين

• أجرى الحوار •
• عاطف فرج •

لا يهم الزمان ..

لا يهم المكان ..

عندما تجلس الى مصطفى أمين ، فهو قادر ، أن يحلق بك الى آفاق بعيدة . في ساحة زمنية قدرها نصف قرن أو يزيد .. يريك من نفسه بواطن الألم . وبقاع الامل ، عوائق الاحباط ، وممرات النهوض ..

واذا كانت الصحافة هي مهنة البحث عن المتاعب ، فان المتاعب نفسها ضجت من مصطفى أمين ، من كثرة ما ألقت بنفسها عليه .. فوجدته أيوب الصحافة المصرية وعملاقها في نفس الوقت ..

واذا كان الفيلسوف الفرنسي الكبير فولتير قد قال يوما :

« أنني على استعداد لأن أدفع حياتي ثمنا لأن تبدي رأيك » فقد طبق مصطفى أمين على نفسه هذا القول عملا وفعلا ..

هو يقول كلمته ولا يمضي بعيدا عنها بل يقف مدافعا في بسالة فرسان القرون الوسطى ، ونبلهم وشجاعتهم فالكلمة الحرة ـ كما يقول مصطفى أمين:

« لا تكتبها يد مرتعشة ، ولا يخطها قلم واجف .. ويد مصطفى أمين لم تكن في يوم ما مرتعشة ، ولا كان قلمه هيابا ، مما جر عليه من البلاء ما ذاق وفاض . وعرض قلمه للقصف مرات ومرات ..

فهو رجل جريمته في كل مرة الحرية حمل مشعلها فأحرقت أصابعه وملابسه وكوت جسده .

وليس هذا مستغربا ان يفعله مصطفى أمين أو غريبا عنه .. فلقد أهل نفسه لذلك ، ووطنها على تحمل العذاب ..

يقول :

« لقد تربيت في بيت الأمة ، في

كنف سعد زغلول ، زعيم الوطنية المصرية . وقائد ثورة ١٩ . فلقد كان خال والدتى ، على يديه تعلمت معنى الحرية ، عرفت قدسيتها وتقديسها ..

لقد ولدت فى جيل لا يعرف معنى الخوف ، جيل أنجب العمالقة طه حسين العقاد ، المازنى ، لطفى السيد ، حسين هيكل ، وغيرهم وغيرهم من فطاحل مصر

هذا الشيخ الذى بلغ الستين ـ يقصد سعد زغلول ـ لم يخش الموت بل اندفع لملاقاته بكل عزم واصرار ، وطالب باستقلال مصر عن أكبر دولة فى ذلك الوقت بريطانيا العظمى ..

فكان جزاؤه النفى خارج البلاد .. هو الذى علمنى معنى أن أكون حرا ، وأن أقول الكلمة الحرة فى أى وقت ..

فلقد كان بيت الأمة ملتقى الأفكار ، وقبلة السياسيين ، حيث المناقشات الدائمة والحوادث المستمرة .. »

● عصرين .. أم ثلاثة .. عصور ●

امتدت تجربة مصطفى أمين كصحفى .. وهو يصر على هذه الصفة ويفضلها عن غيرها من القاب .. وكانسان خلال مرحلتين : ما قبل الثورة ، وما بعد الثورة ..

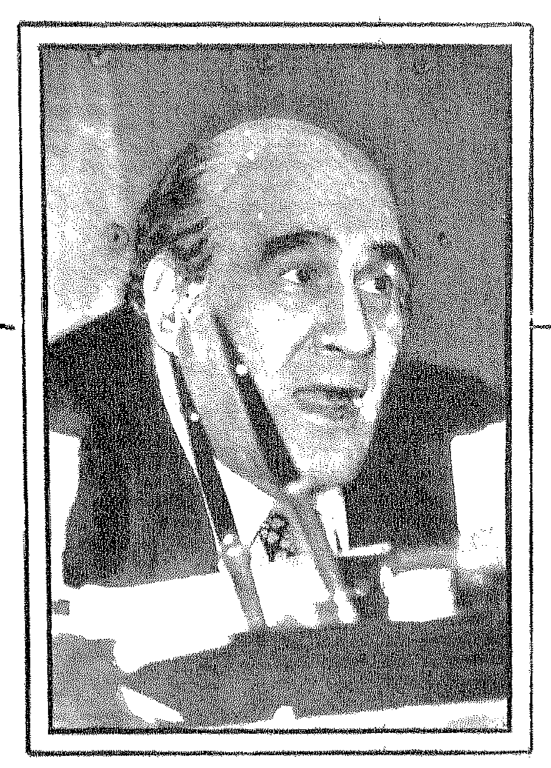
يقول: « هى ثلاثة عصور ، وليست عصرين أو مرحلتين .. العصر الملكى ، وعصر عبد الناصر ، وعصر السادات .. فى مرحلة ما قبل الثورة ، كانت الاحزاب السياسية موجودة ، ولكل حزب سياسى جريدته المعبرة عنه .

« وكنا نكتب بكامل ارادتنا ، نقول راينا بصراحة ، ونعبر عنه بوضوح ..

هاجمت الوصى على العرش الامير محمد على ، واتهمته بالغفلة والسفه ، وحكم على بالسجن مدة ستة شهور مع ايقاف التنفيذ ..

كذلك قدمت للمحاكمة ٢٦ مرة خلال سنة واحدة ، أى « بمعدل مرة كل ١٥ يوما » . وفى كل مرة كانت تبرئنى ساحة القضاء ..

وكانت اقصى عقوبة هى غلق المجلة اداريا ، فى ذلك الوقت ، كنت لا أسمح



الاهتمام بالموضوع لا بالعنوان

بأن تشطب لى كلمة واحدة فى مقال واذا حدث كنت أعتبره اعتداء صارخا على الحريات ، لأن الحرية من المقدسات المصونة ، يجب ألا تمس .. »

« النحاس نفسه وقد كان رئيسا للوزارة سمح لنا أن ننتقده بعد أن تولى بنفسه مهمة الرقيب التى فشل فيها كل من أرسلهم لأنه كان يؤمن بحق المعارضة فى أن تقول كلمتها .. »

● قصتى معه .. ●

« أما فى مرحلة ما بعد الثورة ، وفى عهد عبد الناصر ، فقد كان لا يكتفى بشطب المقالة كاملة ، بل يفعل ما هو أكثر من ذلك . القاء كاتبها فى السجن ! ..

واذا كانت كل مشكلتنا فى عهد ما قبل الثورة ، أننا كنا نطالب بمزيد من الحريات للصحافة ، فاننا فى ذلك العهد فقدنا أبسط ما كان فى أيدينا منها !

● ٩ سنوات فى السجن ●

من المعروف أن مصطفى أمين قضى ٩ سنوات فى السجن ، الى أن أفرج عنه الرئيس السادات .. فسألته عن حقيقة

التهمة التى وجهت اليه ـ قال :

« اذا كنت تريد « نبش » الماضى ، فليكن .. فى سنة ١٩٥٦ ، ألقت احدى الطائرات المعادية منشورات ، كان مكتوبا فيها وكأنها على لسان المصريين ..

ـ كان مصطفى امين يعد على اصابعه : ـ

« نريد حرية .. »

« نريد ديمقراطية .. »

« نريد تشكيل وزارة » من اسماء .. معينة .. »

فاتهم ان معظم اصحاب هذه الأسماء قد ماتوا ، لكن هذا ما جاء فى المنشور .

وكتبت أنا حقيقة هذا المنشور فى الأخبار ، وفى سنة ١٩٦٥ جاءنى صحفى أمريكى ، وطلب منى حديثا ،عن الصحافة سجلت له فى الشريط ما جاء فى هذا المنشور ، كحكاية عادية ..

لكن الأمور لم تقف عند هذا الحد بل تصاعدت دراميا كما يقولون فقصت المخابرات ـ وقتذاك ـ الشريط المسجل ، واكتفت بما جاء فيه من البنود الثلاثة ، وقدمته لعبد الناصر .

« وقدمت أنا للمحاكمة ، وفى المحكمة اردت أن أقدم لهم ما نشرته فى مقالى من قبل حول حقيقة هذا المنشور .. وأرسلت سكرتيرتى لاحضار المقال لكن للأسف كانت سخريات القدر مسيطرة ، ففصلوها من العمل ..

ويضحك مصطفى أمين وهو يحكى هذه الواقعة .. والقى بى فى السجن »

● تليفزيون .. وثلاجة ●

يسألنى مصطفى أمين ، هل تعرف . أن فى السجن تليفزيون وثلاجة ، قلت له لم أسمع بذلك .. ـ قال :

« التليفزيون هذه الأيام أراد أن يصور الزنزانة التى كنت ملقى فيها ، ولم يكن بجوارى غير دلو اغسل وجهى فيه واستعمله بقية اليوم كدورة مياه ... وانام على الأسفلت .. تصور يريدون .. لكى تظهر الصورة جميلة ،أن يضعوا فى الزنزانة تليفزيونا وثلاجة وسريرا . وجاءوا يطلبون رأيى فى ذلك ... أليست هذه من المفارقات الدامية ؟! »

***

قلت : وماذا عن العصر الثالث ، عصر السادات ..

قال : اننى اعتبره عصر العبور ، والديمقراطية الحقة ،فلقد عادت الأحزاب السياسية ، وأصبح من الممكن أن تعبر عن رأيك ..

فلقد كتبت فى مقالى السياسى ، عندما كان السادات يستقبل شاه ايران فى أسوان ـ عن أخطاء الشاه العشرة ..

« وقبل ذلك .. كتبت عن ثورة ايران ، وأنها سوف تنجح ، فى الوقت الذى كان لا يزال فيه الشاه على قمة السلطة .. ولم يغضب أحد .. »

وكان فى ذهنى سؤال .. قبل أن أطرحه .. أكمل مصطفى أمين حديثه .. :

« .. فى احدى المرات ، وفى اجتماع مع رؤساء التحرير ، قال السادات انه عاتب على الصحافة لأنها تكتب .. عن السلبيات دون الايجابيات ، تتكلم عن مشاكل الصابون ، وكأنها مشكلة أزلية ..

وقفت .. وقلت اننى أشكر الرئيس السادات .. فعندما يعاتب الصحافة ، فهو يقدرها .. لأن العتاب دائما يكون بين صديق وصديق .. واذا كان يعاتبنا فمن حقنا ان ننتقد الحكومة ..

● لو لم اكن .. ●

كتب مصطفى أمين العديد من القصص والروايات ، فهل يعتبر نفسه صحفيا أم أديبا .. يقول :

« لو لم أكن صحفيا لوددت أن أكون كذلك .. » كلمات على نمط كلمات الزعيم مصطفى كامل .. فقلت له : لماذا ؟! .

قال : كنت جالسا مع الزعيم سعد زغلول ، وجاء عبد القادر حمزة صاحب

جريدة البلاغ ، وعبد الخالق ثروت وزير الخارجية ورئيس وزراء سابقا فاستقبل عبد القادر حمزة أولا .. ثم استقبل عبد الخالق ثروت بعد ذلك .. وعندما سألته — سعد زغلول — عن ذلك ، قال :

ان عبد القادر حمزة صاحب جلالة . أما ثروت فمن أصحاب المعالى .

و « صاحب الجلالة » أسبق من صاحب المعالي ! .. وضحك مصطفى أمين ، وهو يكمل :

لهذا الحد كان سعد زغلول يقدس الصحافة ويحترمها ويبجلها ..

قلت للاستاذ مصطفى أمين .. اتهمك خصومك بأنك أصدرت الأخبار للدفاع عن القصر ..

قال : هذه اشاعة أطلقها المغرضون فلقد هاجمت القصر وكانت صحف الأخبار صاحبة أكبر نصيب بما شنته على الملك من تسببه فى صفقة الاسلحة الفاسدة ..

أيضا ، عندما جاءت الثورة ، وفتحت كشوف الأرقام السرية التى كان يدفع منها لرؤساء التحرير وللجرائد الاخرى .. لم يكن فيها أو بيلها نصيبا للأخبار .. ولرئيس تحريرها ، ولو مليما واحدا

قلت له : لكن على ما اذكر انك دافعت عن الملك ..

قال : حدث عندما وقف هو — يقصد الملك — فى وجه الانجليز .. فكان لابد ان اعضد هذا الاتجاه ، لاننا كلنا كنا نرمى ونهدف الى اخراج الانجليز من البلد ..

قلت له : ما أحب أعمالك الى نفسك؟

قال : اصدار أخبار اليوم ، ومن الاعمال الادبية قصة « لا » لانها كانت بمثابة منشورات أدفع بها خارج السجن ..

قلت له : بماذا خرجت من حياتك الصحفية ؟

قال : تقديس العمل واحترامه ، وأن تقول الصحافة فى الحق للحاكم لا ..

● كتابات اليسار ●

مصطفى أمين يؤمن بصراع الأفكار الفكرة تدحضها فكرة ثانية حتى تظهر فكرة ثالثة — فقلت له بعد ذلك ..

لماذا لا يسمح بكتابات اليسار فى الأخبار ؟

قال : أنا اؤمن بأن يكون للشيوعيين حزب وأن يعملوا فى وضح النهار ، وأن تكون لهم جرائدهم التى تعبر عن أفكارهم واتجاهاتهم .. ولان الاخبار واسعة الانتشار ، فأنا لا أفضل أن يحققوا بكتاباتهم فيها هذا الانتشار الواسع .

● مدرسة الاثارة ●

من المعروف أن مصطفى أمين صاحب مدرسة متميزة فى الصحافة ، هى مدرسة الاثارة الصحفية — قلت له :

هل صحيح أن مدرسة الاثارة الصحفية لاتكتب مثلا عن : « الانسان عضه الكلب» ولكن .. تكتب مثلا : « الكلب عض الانسان » .

قال ، وهو يرجع بمقعده الى الخلف

« لا .. مدرسة الاثارة التى تبنيتها **تقوم على الاهتمام بالموضوع ، لابالعنوان** .. خذ مثلا :

تعيين وزير انجليزى فى الوزارة الانجليزية يهم الشعب البريطانى أم الشعب المصرى .. ؟

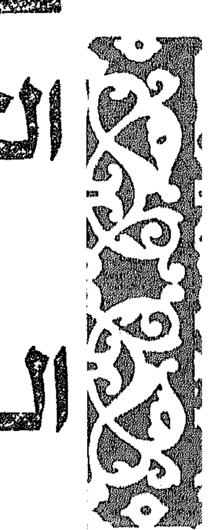
قلت له : الشعب البريطانى ..

اذن محل هذا الموضوع الصفحات الداخلية للجريدة .

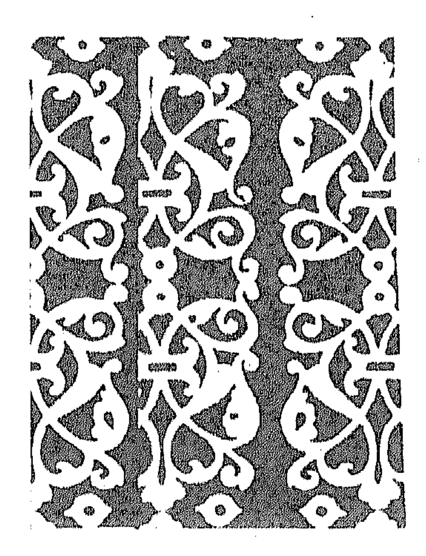
أما ارتفاع سعر سلعة ما — ضرب مصطفى أمين المثل على الفاصوليا — فانه يهم الشعب المصرى ، لذا فان محل هذا الخبر الصفحة الأولى من الجريدة .

وهذا ما استحدثناه فى أخبار اليوم . بعد ان كان يحدث العكس ، وحذت حذونا كل الجرائد المصرية بعد ذلك .

وبعد ، فأن مصطفى أمين لا يرد صحفيا عن بابه ، فليس على بابه « لمبة » حمراء ، وهو دائما يرحب ، ويشجع . وفى النهاية يقف مودعا ، وكان بينكما صداقة عمرها عمر الرجل نفسه .. مصطفى أمين. ●



الثقافة والتربية بين الدين والعلمانية



● د . محمد كمال جعفر ●

● يلاحظ المؤرخون للثقافة والحضارة والتربية أنه كلما برزت عوامل الفزع من أية أزمة معاصرة لجيل ما ، حن الجميع الى العودة الى حظيرة الدين . وفي الماضي القريب على وجه الخصوص ، لوحظ الاهتمام البالغ بالدين بالنسبة لعلاقته بالتربية العامة ، لفقدان الثقة في الحضارة والتربية المادية التى تبالغ فى تحسين وتطوير التكنولوجيا على حساب القيم والمثل الروحية .

وأذكر أنه في مؤتمر «البيت الأبيض» الأمريكى عن الأطفال في ظل الديمقراطية في الأربعينات أجمع أعضاء المؤتمر على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم على أن الضعف الموجود فى الثقافة والتربية انما يتمثل في مواطن القيم والمثل والبواعث ، وأن التربية يجب أن تعنى عناية كافية بالدين . وقد توج ذلك قول رئيس الولايات المتحدة آنذاك بالنسبة للأطفال « نحن نهتم بهؤلاء الاطفال الذين يوجدون خارج نطاق التأثيرات الدينية ، الذين حرموا أية مساعدة في الحصول على الايمان بعالم منظم هادف ، والايمان برب راع مدبر » .

لقد بلغ أعضاء هذا المؤتمر الذى عقد في ١٩٤٠ ، ١٩٤١ أكثر من ستمائة عضو منهم الدكاترة ، وعلماء النفس ، ورجال التربية ، وعلماء الاجتماع ، والقضاة والمشرعون ، والوزراء ، ورجال الدين . وغيرهم .. ومن أهم ما ورد فى هذا التقرير : « يجب أن تتخلل الخطوات العملية لجعل مصادر الثروة الدينية فى متناول الطفل والشاب من خلال ثقافته التربوية كعامل مهم فى دعم الطريقة الديمقراطية فى الحياة ، وفي تطوير الشخصية والحفاظ على وحدة وتماسك الأمة » .

● السؤال الخطير ●

وقد اتفق كثير من العلماء ورجال الدين — على السواء — على أن البلاء الحاضر والأزمة الحالية مردها الى

الاعتداء والتمرد على القيم الانسانية والروحية ، كما اتفقوا على ألا أمل فى الوصول الى عالم يسوده الأمن والاستقرار والعدل الا اذا تغير قلب المجتمع وطهرت نفسه ، وبرئت نياته من وسائل الظلام والانغلاق ..

لكن السؤال الخطير الذى يفرض نفسه فى هذا المقام هو كيف السبيل الى تحقيق هذا الهدف من التغيير والتطهير والاصلاح الشامل ؟

والجواب في نظرنا لا يخرج عما انتهى اليه المؤتمر المشار اليه ، وعما انتهت اليه اللجنة التى كلفها الرئيس الأمريكى السابق هوفر — وهو اعداد زاد ثقافى ونظام تربوى تتساوى فيه القيم الدينية والروحية مع كافة المواقف وأوجه النشاط فى الحياة . وذلك يتأسس على نقطتين احداهما تنطق بطبيعة الدين وعلاقته الوظيفية بالخبرة والتجربة ، والأخرى تتعلق بطبيعة وغايات التربية ..

وسنعنى فى هذا المقال بالنظرة الصحيحة التى ينبغى أن نتبناها ونرعاها بالنسبة للدين . ان كنا حقا نود أن ننتفع بمحصلاته وأن نسعد بثمراته .

اننا نرى ان الدين لا يظهر على حقيقته الطبيعية الا عندما تنتشر قيم محددة عقلية أو اقتصادية أو اجتماعية او فنية او أخلاقية ترتفع فى جلالها وسموها الى الدرجة التى تمنح الحياة معنى وقيمة من حيث علاقتها المسئولة بالله جل جلاله .

كما نرى ان الرجل يكون متدينا بقدر ما يفسر الأشياء ويحكم عليها وعلى أنماط السلوك ، وبقدر ما ينفذ اعماله فى ضوء المركز الحيوى للقيم النابعة من الاحساس بالمسئولية امام الله سبحانه .

ويكون الرجل غير متدين بقدر ما يجرى وراء أى اهتمام خاص أو أنانى دون رجوع الى هذه القيم ، وربما من خلال تحطيمها والتمرد عليها .

ولذا نرى . أن الدين يفقد معناه الحقيقى ، وخاصيته الأساسية ، عندما يترك مركزه كمنظم للتجربة الانسانية ليصبح مجرد نشاط ذهنى على هامش الحياة ، بحيث ينكمش الى مجرد معرض للتشريعات أو النظريات أو مجموعة من الشعائر تجعله مجرد حقل آخر من حقول التخصص الذى ينقلب بدوره — كتخصص فقط — الى غاية فى ذاته .

ان الدين الحق الذى يمكنه الاسهام ايجابيا فى بناء الانسان الجديد من خلال التربية والثقافة ، هو الدين الذى ترتبط وظيفته وفاعليته بتجربة البالغين الذين يواجهون مشاكلهم اليومية فى عالم حقيقى معاصر ،بحيث تكون هذه المواجهة مواجهة حيوية مستضيئة بالقيم الروحية المكتسبة .

ولكى نقدر الدور الذى يمكن أن يؤديه الدين فى اعادة بناء الانسان ، والكسب الذى يمكن أن تحوزه الأمة ، فلابد من أن ندرك أن للدين وظيفة مزدوجة على جانب خطير من الأهمية : فهو — من ناحية — يوحد التجربة الفردية والاجتماعية من خلال تنظيم قيمه الفعالة لشتى مجالات النشاط ،وجعلها موزونة بميزان دقيق من هذه القيم الأصيلة ، ومن ناحية أخرى فهو يسلط عينا من النقد الايجابى على كل اهتمام أو نشاط ليضمن سلامة بنائه ووفائه بالمقومات الدينية الأصيلة .

فالوظيفة الاولى توحيدية تنسيقية تركيبية تحقق تماسك الأفراد والمجتمع، والأخرى انتقائية أو نقدية تسهم فى اصلاح صياغة أوجه النشاط على الوجه الذى يدعو اليه .

ومن هنا يختلف الدين عن الفلسفة ، حيث تهتم الأخيرة بالقيم من حيث كونها افكارا او مثلا مجردة ، على حين يهتم بها الدين من حيث فاعليتها وحيويتها العملية الواقعية .

وقد يندفع بعض العجلين الداعين الى

الثقافة والتربية بين الدين والعلمانية

العلمانية الصرفة فيقولون «ولم لا نجعل ثقافتنا ونظمنا التربوية محددة الأطراف بالاطار العلماني الذى يكفل لنا التقدم التكنولوجي والسيطرة على أزمة الحياة المادية ، ففى ذلك الغناء كل الغناء ؟

وعلى هؤلاء وأمثالهم تتوالى ردود أهل الثقافة والتربية والحضارة العلمانية انفسهم الذين لاحظوا وجود الفراغ والنقص المشين في هذه الأنماط نتيجة لطبيعة هذه العلمانية ذاتها .

ان الثقافة الدنيوية البحتة ، والاتجاه الى العلمانية الصرفة يجعل الحياة مقطعة الأوصال ، متدابرة الميادين ، مختلة الانتظام ، بحيث يقصد الانسان كل ميدان وكل نشاط على حدة باعتباره غاية في ذاته ، ومن هنا يزول الاحساس بالحياة ككل منسجم ، وتمحى النظرة الشاملة للوجود ، وتنحط النظرة الانسانية التي ستحكمها الانانية والرغبة والحرص والتعصب ، وبالتالى لا يمكن ان يتحقق الأمن او السلام او الاستقرار

ويمكن تقريب ذلك بهذا المثال المحسوس المستمد من عالم الفن : ان الرسام الذى تتعدد الألوان فى لوحته لو انصرف اهتمامه الى لون واحد من هذه الألوان ـ دون تقدير لتناسبه مع سائر الالوان ـ لا يلبث أن يخرج بلوحته معانية هذا النشاز او عدم الانسجام بين الالوان ، وبذلك تفقد وزنها الجمالى .

ويخطىء هؤلاء الذين يظنون ان مصادر التوحيد والتنسيق والتماسك يمكن ان تتلمس فى الفلسفة او الفن أو العلاقة المتبادلة بين المسارات الطبيعية كما كشف عنها العلم ، فانه وان كان من الصحيح ان بعض عوامل التجمع والتوحيد يمكن ان توجد في هذه الميادين ، الا ان قيمة الحياة ذاتها باعتبارها هبة ممن سيسألنا عن كيفية أدائها ـ هذه القيمة لا يمكن ان تزرعها فى اعماقنا هذه الميادين ، وان الاحساس العميق بهذه القيمة يعتبر الركيزة الحقيقية لضمان صلاح الانسان وايجابيته الهادفة الواثقة البصيرة .

● ثراء التجربة الدينية وفاعليتها ●

من أجل ذلك نرى لزاما علينا ان ننقد هذا النمط الكمى من التربية الذى يعنى بنقل اكداس من المعرفة عن التقاليد العظيمة التى تشكل معظم المواد المقدمة فى المدارس والجامعات .

ان هذا النوع من التربية يحقق الجانب السلبى ، وقد ينمى المقدرة على الحفظ والاستيعاب بالنسبة للشاب ، غير ان نظرته الى الماضى وتأكيده على السوابق يوجه انظار المتعلمين من الأجيال القادمة فى المجتمع الى الماضى بالالحاح عليه بدلا من النظر الى المستقبل من حيث الامكانيات أو الاحتمالات البديلة للتجربة الجارية

فهذا النوع من التربية يشد الانسان الى الماضى ويدير ظهره الى الحاضر والمستقبل . وهذا من الخطورة بمكان ، لان تجاهل الحاضر والمستقبل ـ وهما فى الحقيقة لحظات صنع التاريخ ـ يفقد الانسان قيمته الحقيقية فى عصره وفى حياته كلها .

لهذا نرى أن تكون نقطة الانطلاق لتربيتنا وثقافتنا الحاضرة من المشكلات والموضوعات الحية فى المواقف الخاصة المحددة التى نجد فيها انفسنا ، وليس من قواعد المنطق المستمد من المادة العلمية او الفلسفية او الفنية . صحيح اننا فى معالجة هذه المواقف نلجأ الى المدخر من تجربة الماضى ، ولكن هذه التجربة تكتسب معنى

جديدا واهمية طريفة من حيث عونها على اضاءة وتوجيه التربية الحاضرة ، وهـذا ما يدل عـلى ثراء التجـربة الدينية من حيث اسهامها الفعال فى منح النظرة الشاملة والسامية الى الكون ، تلك النظرة التى تشكل الاطار العام الذى يرجع اليه كلما لزم الأمر .

انه بغير هذه النظرة المتماسكة السامية ، وبغير هذه الرؤية المنتظمة للحقيقة ، يستحيل على الناضجين من الشباب والكبار بناء فلسفة كاملة للحياة ، او تحصيل احساس دائم بقيمتها وجدارتها بالمواصلة والاستمرار

ان نفس الانسـان تذهب حسرات على كونها هملا مضاعا فى عالم ذرى آلى تتقاذفه القوى اللاعقلية حينا ، واللا اخلاقية احيانا ، وبذلك ينجرف الانسان فى تيار من الحوادث والمواقف المبتورة التى يضيع فيها معنى الحياة

ان الحياة الانسانية تنكمش وتنحسر ساحتها لتبدو ضربا من الاغـراض المرضية ذات النسب المختلفة اذا حبست فى تصور لكون بارد غير مكترث من الآلية المغلقة .

والدين وحده هو الذى يعطى النفس الانسانية نمطا عقليا واخلاقيا يرتبط ارتباطا وثيقا بابداع ورعاية القيـم الخالدة التى تحفظ على الحياة معناها وقيمتها ، ومن ثم يدفع الانسان الى المشاركة البناءة ، لما يرى من مبررات وحوافز تشجعه فى هذا السبيل .

● ارض مشتركة لجميع البشر ●

ان العقلية الدينية المتفتحة التى ترى هذا الكون ثمرة لابداع الخـالق ، تدرك فى نفس الوقت أن هناك هدفا متوخيـا من هذا الخلق ، وغاية جليلة من ابرازه الى الوجود ، وهذا الهـدف وتلك الغاية مما يمكن للعقـل ان يدركه ، وللاخلاق ان ترعاها وتستجيب له ، لان هذه الاستجابة هى فى الواقـع استجابة للنداء الالهى وللغاية الالهية ، وبذلك يكتسب جهاد الانسـان وبلاؤه فى دفع عجلة الحياة وتطويرها معنى كريما وشرفا عظيما مستمدا من جلال وشرف الخالق ـ جل شانه .

ان ادق واجل نقطة فى الدين ونظامه التربوى هى التركيز على قيمة الفرد الانسـانى داخل الجماعة ، ولذا يقف الدين بالمرصاد لكل نظام ينال من كرامة هذا الانسان ، او يعرض كرامته وعزته للخطر . ومن المهم ان ندرك ان تاكيد الدين لقيمة الفرد الآدمي ليس تاكيدا يدعو الى عزلة الفرد عن بني جنسه ، بل انه تاكيـد نوعى يسرى على كل فـرد بمقدار ما يسهم مع اخوته فى صنع وفى تقدم الحياة ، وهذا ما يميز النظـرة الدينية الحكيمة التى لا تميع شخصية الفرد فى المجموع ، ولا تؤلهها لتطغى على هذا المجموع .

وهذا الموقف الفريد للنظرة الدينيـة هو الذى جعل الدين يشرع للانسـان ضرورة مراجعة نفسه بين آونة وأخرى ليرى ما اذا كان قد جار عليها أو على بنى جنسه . فان كان قد وقع منه ذلك فعليه أن يحاول تعديل سلوكه وتكرار محاولته لاحداث التوازن الدقيـق بين مطالبه ورغائبه ، وبين القيم التى أعلنها الدين كأرض مشتركة لجميع البشر . فأبواب التوبة والاستغفار ، ومحاولة الاصلاح ، والكفارات والنذور والقرابين لم تفتح الا لاستدامة اصلاح الانسان لنفسه ، والوصول بها الى الكمال الذى يكفل جمال الحياة وثراءها وأحقيتهـا بالرعاية والحماية والاستمرار .

ان التربية الدينية تدرك جيـدا

الثقافة والتربية بين الدين والعلمانية

صعوبة المواقف ووعورة المسالك التى سيتعرض لها الانسان ، ولذا لا يغفل الدين عن امداده في صميم معترك الحياة ، وتشابك الاحداث وصخبها بما يرد اليه عقله ، والاحساس بذاته ، والتذكر للغاية النبيلة الخالدة التى تنتهى الى الله جل جلاله .

فكأن الدين يمد الانسان بالشيء الثابت فى غضون وصميم المتغير ، وبالباقى فى أثناء الحائل الفاني ، وبالهادىء المكين في معترك الصاخب المتزعزع ، ومن هنا كان الغذاء والتربية الدينية المادة الوحيدة التى تكفل ثبات النفس الانسانية واستقرارها ، وامنها وطمانينتها ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « الا بذكر الله تطمئن القلوب »

ومن هنا أيضا كانت أماكن العبادة ــ وهى بيوت الله أصلا ــ ساحات أمن واستقرار وسكينة وهدوء للناس ما صحت نفوسهم ولعل هذا هو ما يشير اليه القرآن الكريم بقوله « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » فهو بيت وضع للناس ولصالحهم وأمنهم وهدوئهم وراحتهم ، ولم يقل القرآن « وضع لله » .

ولعله ــ وهو الكتاب الخاتم ــ أراد أن يلفت نظر الناس بأنهم موضع رعاية الله ومناط عنايته ، ولم تكن النبوات والديانات المتعددة الا برهانا ملحا ومجددا على هذه الرعاية ،وتلك العناية

● الثمرة الفريدة والجليلة ●

ومن هنا كذلك يمكننا أن ندرك أن الرجل المتدين ــ أى الذى يحيا قيم دينه ، ويعايش مبادئه ، ويلتزم بآدابه ويتوخى وصاياه ــ هذا المتدين ــ يحس فى أعماقه بأنه ينتمى الى مجموعة عزيزة ، ومجتمع نفيس متماسك يشاركه توترات الحياة ووعثائها ، مما يقوى عزيمته ، ويضاعف ثقته في محاولاته لتكميل نفسه ، فاذا نجح ، تضاعفت ثقته ، وازداد تفاؤله وصفت حياته ، وان فشل ، لم يقتله اليأس الذى يقتل هؤلاء الذين يحسون بالغربة والانسلاخ والضياع عند زوال مابه تعلقوا ، لأن ما تعلقوا به لم يمدد بسبب الى السماء .

ان رعاية الفرد فى ظل المجتمع ، ورعاية المجتمع الذى يحمى الفرد ويقدره هى الثمرة الفريدة والجليلة التي يجنيها الانسان من النظرة الدينية للتربية والثقافة ، لانها نظرة اجتماعية تكرم الفرد الى أبعد مدى يمكن أن تصل اليه القرائح البشرية والنظم الوضعية .

والدليل الحاسم على ذلك انه لا يوجد فى النظم الوضعية والتشريعات الانسانية ما يكفل وحدة الفرد النفسية أو تماسكه وما يهيىء له تمركز مجالات نشاطه واهتمامه حول قيمة ثابتة تتجاوز الحدود الأرضية ، لكى تشمل سائر البشر ، فهى اما تشريعات تحابى الفرد فى بعض المواضع ، لتحرمه في مواضع أخرى ، أو تحابى المجتمع في كثير من الاحوال على حساب الفرد لدرجة تفقد الفرد وحدة نفسه واحساسه بقيمته .

وفى ضوء ما سلف لا يسعنا الا أن ندعو الى ثقافة منسجمة العناصر ، متكاملة الأطراف ، بحيث تصلح غذاء لصيانة وحدة الفرد وتماسك قواه ، ولابد أن ترعاها تربية موحدة ،وموحدة لا ينقصها عنصر من عناصر بناء أو رعاية الشخصية الانسانية على أساس ينتهى الى القيم الثابتة الأصيلة التى يجود بها الدين .

● الدوافع الحيوية القيمة ●

لكن يجب أن يكون واضحا أن هذا اللون من التربية لا يفرض بالقهر أو

القسر أو الاقتصار على الشرح والتفسير والمحاورات والمناقشات العقلية المجردة، وانما يتم بصورة أكمل وأروع عن طريق تمكين القيم الدينية من أداء دورها من داخل الفرد والمجتمع ، وذلك بأسلوب القدوة والريادة الموضحة للفكر وللوجدان وللسلوك .

ان الدين يمتلك نبعا ثرا للوسائل والأساليب التي تجعل القيم امرا واضحا لسائر المستويات العقلية ، في الوقت الذي يفشل أي نظام عقلي في تحقيق ذلك ، لان هذا النظام العقلي ، ان ارضى قوما تتلاءم عقليتهم معه ، فانه لن يرضى سائر القوم الذين يهبطون عقليا دونه ، او يرتفعون ذهنيا فوقه ، اما الدين ففيه ما يصلح نقاط الطلاق للممتازين عقليا وما يشبع مجال المتوسطين ، وما يغمر سائر من دونهم ، لانه لا يقصد الى العقل وحده ، وانما يسلك الى الوجدان ، والى مناط النزوع والارادة والسلوك كل سبيل ، فهو يشبع سائر الكفايات والطاقات الانسانية ، ويعين في الوقت نفسه على تحقيق وحدة الفرد ، ووحدة المجتمع ، ووحدة الثقافة ووحدة التربية .

● شابك الاهواء والمطامع ●

لقد خدع كثير من المربين والمثقفين حين ظنوا أنهم يستطيعون حمل الناس على ما ينبغى أن يعقل عن طريق الحوافز الخارجية المادية سواء كانت مكافآت أو عقوبات كالضغط والقهر الاجتماعى كأمور تدفع الى التعلم والتعليم والحقيقة أنهم بهذا عكسوا الوضع الصحيح حيث جعلوا التعلم والتثقيف وسيلة من وسائل الكسب المادى أو اتقاء عواقب الضغوط ، وبهذا فقدت التربية وفقدت الثقافة مصدرها الحقيقي للابداع والفعالية والانبثاق من داخل النفس الانسانية . فان مثل هذه الانجازات لا توجد الا فى التربية الدينية والثقافية الدينية .

ان الثقافة والتربية التى تخلو من عنصر الدين تحمل بحكم طبيعتها عوامل التفسخ والانفصال بين التعلم والهدف أو الغاية ، على حين تكون الثقافة التي تتضمن القيم والمبادىء والمثل الدينية التى يمكن الاستعانة بها فى مواقف الحياة ـ تكون هذه الثقافة وهذه التربية .. حاملة فى جوهرها البذور التى تنبت بذاتها دوافعها الداخلية الحيوية القيمة .

وربما كان العيب الخطير الذى تشكو منه النظم الوضعية فى التربية والثقافة هو نقص هذا العنصر . وهذا النقص هو المسئول عما يعانيه العصر الحاضر من توتر وقلق وتوزع أغراض ، وتشابك أهواء ومطامع لا يقر لها قرار ، ولا يهدأ فى ظلها فرد أو مجتمع .

وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله تبدو الشيوعية مولعة باثارة القلاقل والصراعات ، ولا يرضيها أن يعيش مجتمع ما آمنا فى ظل رعاية القيم والمبادىء السماوية الثابتة . والشيوعية **تخلط بين مفهوم الثبات للقيم ،ومفهوم الجحود الذى يصاب به مجتمع معين ، بدعوى أن جحود هذا المجتمع او ذاك انما هو لاتباعه هذه القيم الثابتة ، والواقع أن جحود هذا المجتمع راجع الى أن هذه القيم الثابتة لا توجد في سلوك افراده ، وانما قنع بالتشدق بالمثل والتباهي بها دون أن يدخلها فى بناء كيانه الفعلي الواقعى . ودون أن ينتفع بمحصلات الدفع لتطور الحياة والانتفاع بها من منطلق الامر الالهى بتسخير كل ما وقع عليه بصر الانسان للانسان .** ●●

الحب الخالد

● د . مختار الوكيل ●

الحب حي خالد لا يموتْ ..
الحب وحي من إله السماءْ
الحب عمري ، وهو ري وقوت ..
من دونه تغدو حياتي هباءْ
دُمْ شامخا ياحب فوق المِحنْ
حتى وأدرجَ جسمي الكفنْ
عشتُ مع الحُسن حليف السرور
عِشتُ زمانا هو رُوح الزمان
لا تنكروا عِشقي ابتسام الثغورْ
ولا افتتاني بالعُيون الحِسان
أنفقت عمري ناعما بالمِنن :
ماء ، وبُستان ، ووجه حَسن !
يا مُسعداتي بالهَوى الخالِد
أنتُنْ سَلْوى الزمن الجاحِدِ
لقد تركت المال
وعشتُ عيشَ الشاعرِ الزاهد
إلا من الحبِّ ، فكان الثمَن
لعاشق لم يَدْرِ قط الحزن
أعيشُ للحبِّ وللذكريات
أعيشِ تياها بماض وآتْ
إنْ كنت تهوى أنت جمْع الفتات
فإنني أُولعت بالفاتنات
في غُربتي ، أو في ربوعُ الوطنْ
وجدتُ فيهن لقلبي السكَنْ !

آدم يجد نفسه ..!



● عبد العليم القباني ●

آدم عاشَ في رحَاب الجنّه ... دمية .. في ظِلالها مستكنّه
فهْو لا يعرفُ الحياةَ ـ وإن عاش ـ ... كمَا تجهل الحيَاة الأجنّه
ليله ، لا يحسّه .. وضحا ... موغِل في الجفافِ ضحلُ المظنّه
وإذا كانَت الحياةُ سكونا ... كان وأدُ الحياةِ فضلا ومِنّه
لا يحس الوجودُ إلا ضَجيجا ... إنّه النور في حَواشي الدجنّه
ومشَى آدم .. يفتّش فيها ... في دُروب الملائِك المطمئنّه
عن فحيح الكيَان ، عن لفحة الشوق ... وعن صرخة الحَنين المرنّه
وعجيب نفوسنا : تحسَب الراحة ... عبثا .. وتجهد السعيَ سُنّه
وإذا بالسّبات غلّف عينيهِ ... وبعضُ السُبات أمن وجُنّه
واستراحتْ هواجسُ النفْس فيه ... كل إحساسه الكئيب تَسنّه (١)
ثم رنّت في مسمعيهِ الأغاني ... نغَمة إثرَ بحّة إثر غنّه
وتَهادى الصّباحُ مؤتلقَ الحُسن ... بهيجَ الشعاعِ سمحَ الأعنّه
اقبلي يا مواكب الحبّ : غطّي ... ربَواتِ الفردوس سحرا وفتنَه
وارقصي يا زنابق الخلد بِشرا ... أيها الحور ! آدم هَدّ سجنه
ما ترونَ التي على سَاعديه ؟ ... تلكَ حواءَ .. إنّها أمهنّه !

(١) تسنه = تتغير

التجسس

من الفضاء

● لواء مهندس : سعد شعبان ●

● فى عام ١٩٦٢ لعب الرئيس الامريكى الراحل كينيدى مع الزعيم السوفييتى خروشوف - لعبة استراتيجية خطرة وضعت العالم على حافة الحرب العالمية الثالثة .. وكانه كان كلاعب « شطرنج » ماهر وضع خصمه فى احرج المواقف ،وراح يهدده « كش ملك » . ولم يجد خروشوف سبيلا امامه بعد ان اعاد حسابات موقفه الا ان « يكش » فعلا !

ونعود بالذاكرة الى ان رقعة هذه اللعبة او مسرحها على خريطة العالم ، كانت « جزر كوبا » التى تحولت آنذاك الى المعسكر الماركسى وكان هدف السوفييت تحويلها الى « شوكة » فى ظهر الولايات المتحدة ..

وكان الفضل فى وضع الحركات الاولى لهذه اللعبة ، التطور المذهل الذى وصل اليه الامريكيون آنذاك فى « الاستطلاع الجوى » . لكن الحدث الهام الذى فضحته وسائل الاستطلاع الجوى ، هو وجود عديد من الصواريخ السوفييتية « أرض - أرض » فوق ربوع جزيرة كوبا المحدودة المساحة . والتى لايفصلها عن سواحل امريكا غير بضع عشرات من الكيلو مترات .

لقد كشفت وسائل الاستطلاع الجوى آنذاك - عن كل موقع صاروخى فوق رؤوس الجبال او فى باطنها او تحت ظلال اشجار الغابات ، او وسط كثبان الرمال .. ووقتئذ كان الاعتماد على اتقان فن الاخفاء والتمويه سمه مميزة للمتقدم الهندسى ، وتستخدم فيه وسائل ذكية لتقليد الطبيعة المحيطة بكل موقع ، بالاضافة الى استعمال بعض شباك التمويه التى تضلل الصور الجوية وتساعد على اخفاء اية معالم يمكن ان تدل على وجود الموقع .

غير ان الامر قد اوضح ان السوفييت لم تكن لديهم دراية عن مدى ماوصل اليه فن الاستطلاع الجوى فى الطيران الامريكى آنذاك ، والذى بلغ درجة غاية فى الدقة باستخدام العديد من الوسائل العلمية المستحدثة التى لاتعتمد على التصوير الجوى بالاشعة المرئية فحسب ، بل يمتد ايضا الى استخدام الاشعة تحت الحمراء غير المرئية . ومن ثم فقد امكن الكشف عن مواقع الصواريخ السوفييتية فوق الاراضى الكوبية بلا مشقة . وحددت مواقعها خلال ساعات ، وانتهت « اللعبة » الى سحب السوفييت لها ، فوق اسطول بحرى أسرع الى نقلها ..

الطائرة « يو - ٢ »

ويرجع نقل تقدم فن الاستطلاع الجوى بواسطة الامريكيين ، الى التصميم الفريد الذى انفردت به طائرة التجسس الاستراتيجى البعيد المدى التى اطلق عليها اسم « يو - ٢ »

طائرة الاستطلاع الاستراتيجية

2 ـ U والتى صممها الامريكيون لكى تحلق فوق الاتحاد السوفييتى على ارتفاعات شاهقة ..

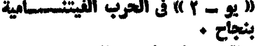
وهذه الطائرة التى تشبه الطائرة الشراعية صممها عام ١٩٥٣ مهندسو شركة لوكهيد لجمع بيانات اكيده عن التقديرات العسكرية السوفييتية . وكانت مهمة الطائرة أن تحلق متجاوزة مدى اى طائرة اعتراضية نفاثة أو اى صاروخ مضاد للطائرات معروف آنذاك ، ذلك بالتقاط المعلومات الالكترونية واخذ الصور الفوتوغرافية اللازمة لاجراء تقديرات عسكرية دقيقة باستخدام اجهزة اليكترونية دقيقة ، ومعدات تصوير حساسة لم تكن متوفرة فى اى طائرة اخرى حتى ذلك الحين .

وتميزت الطائرة « يو ـ ٢ » بشكل غريب لكى تكون على مستوى المهام الموكولة اليها . من اهمها انها ذات اجنحة طويلة جدا ،ومستودعات وقود كبيرة تضمها هذه الاجنحة ، ومن ثم كانت قادرة على الاقلاع من قواعد فى تركيا وباكستان لتجوب اجواء الاتحاد السوفييتى لتهبط فى قواعد فى النرويج والسويد ..

وظلت رحلات الاستطلاع الجوى الامريكية فوق الاتحاد السوفييتى من سنة ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٠ . ورغم ان الكرملين كان يعرف بهذه الطلعات التجسسية ، الا انه لم يصدر اية احتجاجات علنية ،ادراكا منه بان ذلك سيرقى الى حد الاعتراف المحرج بعجز السوفييت عن حماية مجاله الجوى .

ونتيجة لذلك ، ظلت الطائرة « يو ـ ٢ » مطلقة العنان فى القيام باستكشافات اثرت تأثيرا قويا على السياسة الاستراتيجية الامريكية لعدة سنوات . فالصورة التى التقطت عام ١٩٥٦ للقاذفات النفاثةالسوفييتية « م ـ ٤ » التى كانت تصطف فى مطار واحد ، قد كشفت بالفعل عن كل الانتاج السوفييتى من هذه الطائرات. ولم يكن هناك سوى عدد قليل آخر منها فى مطارات اخرى اكتشفته ايضا طائرات « يو ـ ٢ » . وقد ادى ذلك الى اقناع البنتاجون بأن الفجوة التى كان يخشى وجودها بين الدولتين فى مجال القاذفات هى فجوة وهمية .

وبعد ذلك بثلاثة أعوام ، استمدت الولايات المتحدة بعض مشاعرالطمانينة التى كانت فى حاجة اليها من الصور الرأسية التى التقطت لموقع «تيوراتام» حيث كانت كافةالصواريخ السوفييتية تختبر آنذاك. اذ انه عندما تيقن خبراء قراءة الصور أن فتحة « دفع الصاروخ » فوق منصة الاطلاق يبلغ قطرها ١٥ مترا خلصوا الى نتيجة مؤداها أن السوفييت ما زالوا



يستخدمون قذائف تعمل بقوة دفع صواريخ معاونة مثبتة حول جسم الصاروخ الرئيسي . ونظرا لان هذا النظام ينطوى على تعقيدات كثيرة ، فقد خلص المخططون الاستراتيجيون الامريكيون الى استنتاج مقدار التخلف فى صناعة الصواريخ السوفييتية .

كما أظهرت صورة اخرى ملتقطة لاسطول الغواصات السوفييتى فى بحر الشمال انها قوة دفاعية الى حد كبير . ذلك ان الغواصات الراسية التى ظهرت فى الصورة تبين أنها من طراز صمم لمهاجمة سفن السطح وليس لاطلاق قذائف نووية .

واصبح الطيار جاسوسا

غير ان طلعات الطائرة « يو ـ ٢ » فوق الاتحاد السوفييتى توقفت بعد اسقاط طائرة « جارى باورز » فى مايو سنة ١٩٦٠ بواسطة الصاروخ السوفييتى (سام ٢) الذى كان حديث الانتاج آنذاك . فقد اعتقل باورز وعومل كجاسوس ، وظل فى السجن عدة سنوات ، ثم قامت طائرات « يو ـ ٢ » بدور اساسى فى الاستخبارات التى قامت بها امريكا عن كوبا ابان ازمة الصواريخ عام ١٩٦٢ . ولكن رغما من ذلك ظلت امريكا تستخدم الطائرة « يو ـ ٢ » فى الحرب الفيتنامية بنجاح .

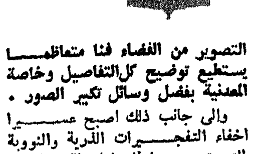
فقد سجلت احدى الصور التى التقطت فوق هانوى عام ١٩٦٧ لحظة مفزعة فى الحرب الفيتنامية لصاروخ (سام ٢) سوفييتى متفجر يسدد اصابة قاتلة لطائرة فانتوم استطلاعية امريكية تتحول الى كتلة من اللهب . وهناك صور اخرى تشبه سن المنشار لكنه يتبين من الفحص الاكثر دقة انها تشكيلة من قاذفات قنابل فى مطار سرى للغاية فى الاتحاد السوفييتى .

كذلك أوضحت صور اخرى التقطت من ارتفاعات على الساحل . وأرض فضاء واسعة شبيهة بسطح القمر هى فى الواقع موقع لاختبار القنابل الهيدروجينية السوفييتية .

اقمار التجسس

ولكن لم تمض غير سنوات حتى أخذ الاستطلاع الجوى ابعادا جديدة، لم يصبح الدور الاول فيها للطائرات، بل للاقمار الصناعية ، التى اطلق عليها فى فجر عصر الفضاء اسم اقمار « الانذار المبكر » .

وتتعدد الاغراض العسكرية التى تستخدم فيها الاقمار الصناعية ، غير ان أهمها الاتصالات اللاسلكية المضادة للتشويش ، والتقاط الصور الجوية الدقيقة . ويطلق العسكريون على ذلك الفاظا مهذبة تخفى حقيقة المهمة نفسها ، المسميات الشائعة هى « الاستطلاع » أو « الانذار المبكر » الذي هو فى حقيقته تجسس . ويعتمد فى التجسس الحديث بالاقمار الصناعية على التقاط الصور أساسا . وتقف وراء ذلك تكنولوجيا التكبير ، وصناعة العدسات الدقيقة ذات الانواع المتعددة مثل العدسات البانورامية ، والتليفزيونية . كما تلعب عملية التصوير بالاشعة تحت الحمراء فى الظلام دورا هاما فى هذا المجال .

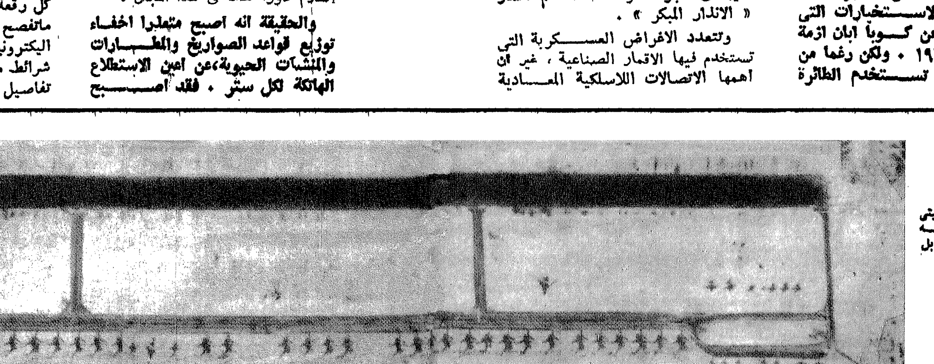


الطائرة يو ٢

والحقيقة انه اصبح متعذرا اخفاء توزيع قواعد الصواريخ والمطارات والمنشآت الحيوية، عن اعين الاستطلاع الهاتكة لكل ستر . فقد اصبح التصوير من الفضاء فنا متعاظما يستطيع توضيح كل التفاصيل وخاصة المعدنية بفضل وسائل تكبير الصور .

والى جانب ذلك اصبح عسيرا اخفاء التفجيرات الذرية والنووية التى تجريها الدولتان الكبيرتان فى المناطق النائية من الاراضى اوالمحيطات، سواء فوق الارض او فى الجو او تحت الارض . ذلك انه من العسير اخفاء موجات الاحرار ، والاشعاعات التى تصاحبها ، والتى من اليسير على الاقمار الصناعية تسجيلها .

واليوم تقوم هذه الاقمار بتصوير كل رقعة من الكرة الارضية . وتترجم ماتفصح عنه الصور الى تموجات اليكترونية يمكن ان توضح فوق شرائط مغناطيسية . ويمكن أن توضع تفاصيل وعناصر مدلول هذه الصور



مطار سوفييتى تتنوع فيه قاذفات القنابل

فى حواسب اليكترونية صغيرة فوق متن كل قمر ، ليترجمهـا بدوره الى الموجات اليكترونية ترسل الى محطات المتابعة الارضية فتتحول الى صور يمكن للمفسرين العسكريين تحليلها واستنباط ما يشاؤون من معلوماتها .

تغير استراتيجية الدول الكبرى

وبسبب التجسس العسكرى بالاقمار الصناعية،غيرت الدول الكبرى استراتيجيتها فى توزيع قواعد الصواريخ والمطارات فوق رقعتها .

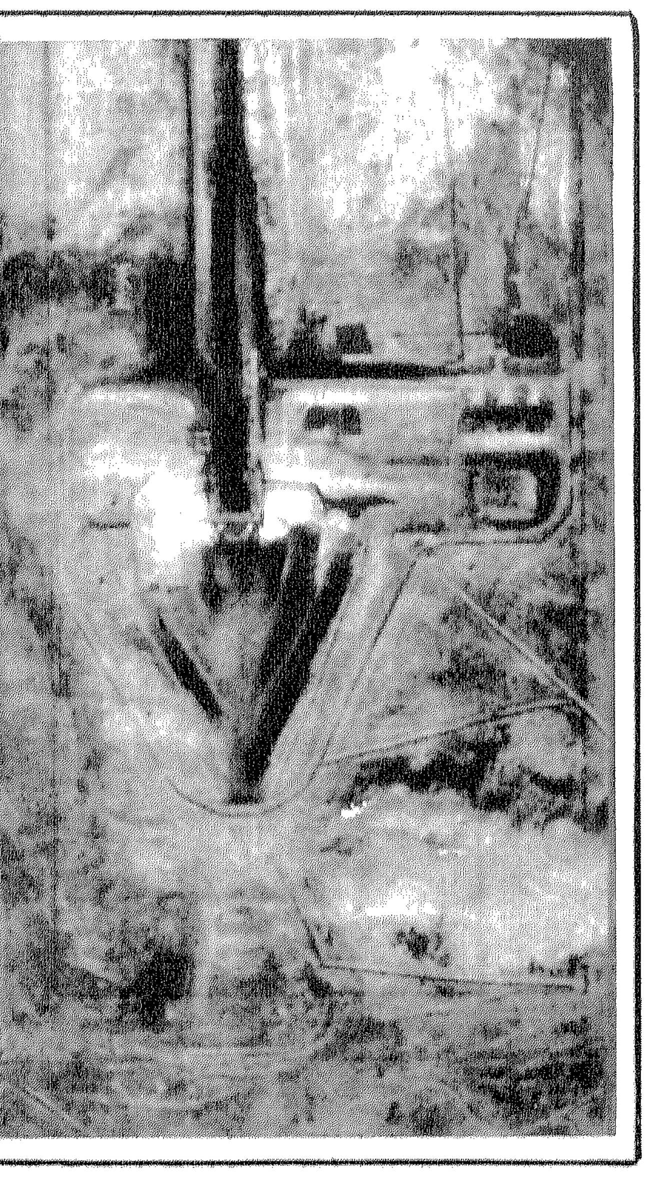
وقد عمدت الدولتان الكبيرتان الى اخفاء صواريخها تحت الارض : فى آبار خرسانية محصنة ، كما عمدت ايضا الى اخفاء بعض صواريخها فىالغواصات الذرية كما هو الحال بالنسبة لصواريخ بولاريس وبوسيدون الامريكية .

وتستخدم أمريكا وسيلة فى تحريك بعض صواريخها من طراز « منيوتمان » فوق شبكة سكة حديد المناطق غير المأهولة فى شمالها الغربى . وتعج السماء حاليا ، بالعديد من الاقمار الصناعية التى تقوم بالتجسس الاستراتيجى على دول العالم اجمع ، دون أن يمنعها أحد ، أو يستطيع ان يعوق أداءها أحد .

انواع اقمار التجسس

ولقد برز من هذه الانواع اقمار «فيلا» الامريكية للكشف عن التفجيرات النووية ، واقمار « ساموس » و « ميداس » وغيرها . ومن البديهى أن هناك أنواعا سوفييتية غير معلن عن اسمائها .

ولقد كشفت الاحداث الدولية الاخيرة ، عن الدور الهام الذى تقوم به بعض هذه الاقمار . فقد كشفت حادثة سفينة التجسس الامريكية « ليبرتى » التى أصابها الاسرائيليون بغير قصد وهى تتجسس قرب الساحل الشمالى لسيناء فى أعقاب

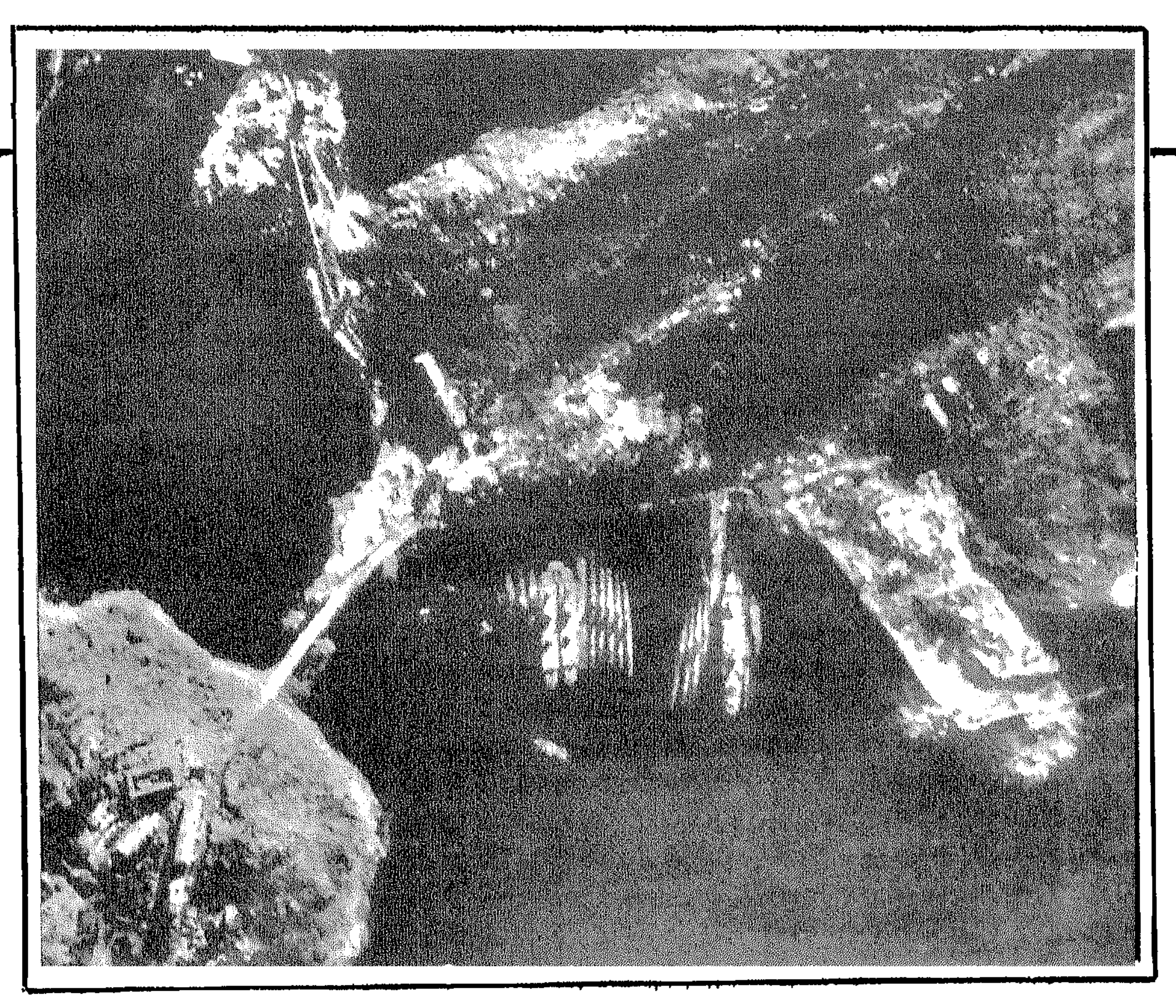


قاعدة اطلاق صواريخ سوفييتية

يونيو ١٩٦٧ ، عن علاقتها فى توجيه الاقمار فوق الاراضى المصرية ، ابان العدوان وبعده .

كما تكرر نفس الامر بالنسبةللسفينة الامريكية « بيوبلو » التى أسرتها سلطات كوريا الشمالية ، وهى تقوم بعمل مماثل لخدمة الحرب فى فيتنام ومنطقة جنوب شرقى آسيا .

واليوم ، يقوم بالقسط الاكبر من عملية التجسس اقمار صناعية كبيرة مثل القمر « بيج بيرد » الذى يزن ١٢



قاعدة غواصات سوفيتية

طنا وعشرات من الاقمار الاخرى، ولكن ما زال لطائرات الاستطلاع الاستراتيجي دور وخاصة بالنسبة للطائرات الاستطلاعية الأمريكية . والتي تستطيع ان تحلق على ارتفاعات شاهقة والمعروفة باسم (س ر ـ ٧١) وهذه الطائرة تطير بالقرب من حدود الاراضي السوفييتة وليس فوقها ، ولكن بسرعة مذهلة تزيد عن ثلاثة امثال سرعة الصوت (٣ ماخ) . وتستطيع ان تلتقط بأجهزتها الاليكترونية الدقيقة وبعدسات التصوير ما بداخل الاراضي السوفييتية من تحركات ونشاطات عسكرية . وربما تكون الطائرة (س.ر ـ ٧١) قد ضربت رقما قياسيا . فحتى الآن استطاعت بنجاح ان تفلت من نحو ٩٠٠ محاولة قام بها السوفييت وحلفاؤهم لاسقاطها دون جدوى .

ومنذ عام ١٩٧٢ بدأ اطلاق انواع مستحدثة من اقمار الاستطلاع الفضائي تستطيع ان تكشف ليس فقط عن كل ما فوق الارض من الشاءات وتحركات، بل أيضا توضح بمدلولات تقرب من التأكيد كثيرا مما تحت التربة او في باطن الارض سواء كان رواسب معدنية او مياها جوفية او آبارا بترولية ، او آثارا قديمة . لانها تستطيع أن تنفذ باستخدام الاشعة تحت الحمراء الى معرفة ما تخبؤه الارض تحت قشرتها حتى أعماق قريبة ومن ثم أصبحت الانشاءات العسكرية التي تحت القلاع المحصنة . او تحت شباك التمويه ، او حتى في جوف الارض ، مهتوكة السر ، مفتوحة لعدسات أقمار التجسس .

ومن ثم تبخرت هندسة الاخفاء والتمويه .. وأصبحت الاسرار كلها معلومة بقدر كبير بفضل تقدم تكنولوجيا الفضاء وقد واكب ذلك أيضا تقدم مذهل في تكنولوجيا الاتصالات الالكترونية بحيث أصبح ممكنا قياس اى حركة او صوت بواسطة أجهزة الاستشعار الدقيقة التي تحويها محطات الانذار المبكر الارضية واجهزة الاستشعار من بعد التي تضمها الاقمار الصناعية .

ترى اى عالم مفضوح نعيش فيه الآن ؟ ..

صورة

هي.. وجبات الفول السوداني

للكاتبة الاوغندية : الفانيا ناموكاوايا زيريمو
• ترجمة : سليم الأسيوطي •

المؤلفة : ولدت قرب مدينة عنتيب ((العاصمة القديمة لاوغندا وتقع على بحيرة فكتوريا)) — في عام ١٩٣٨، وتعلمت الانجليزية في العاشرة من عمرها ، والتحقت بجامعة ميكربري ، حيث تاهلت لمهنة التدريس ، ثم سافرت الى بريطانيا وحصلت من جامعة ليدز على درجة الليسانس بمرتبة الشرف في اللغة الانجليزية وادابها

● **لقد بذلت امي غاية الجهد والعناية لتعلمني فن الطهو التقليدي البالغ قمة الاتقان والكمال في وقت مبكر من حياتي ... وحينما بلغت الثالثة عشرة من حياتي كان باستطاعتي اعداد وجبة تليق بان توضع امام اي زعيم... ولقد كان من مألوف عادة قس الابرشية ، كلما اراد ان يقوم بجولة في الحي الذي نقطنه ان يجيء ويمكث بين ظهرانينا لبضعة ايام قليلة ، ويخرج في زيارته للبيوت الاخرى من جيراننا برفقة ابي ، وبينما كان يقيم معنا في احدى هذه الزيارات تركتني امي لاعداد وجبة المساء والعناية بالاطفال ، اذ كانت بصدد الذهاب لزيارة صديقة لها كانت قد رزقت بطفل لتوها .**

لقد اخرجت كل شيء بالمقادير الصحيحة ، لانني على الرغم من مهارتي في الطهو ، كنت عرضة لان استعمل كميات تزيد كثيرا عن الحاجة أو تنقص كثيرا من كل شيء ... اما بخصوص الفول السوداني الذي يستعمل في صنع مرق التوابل (الصلصة) ، فقد اخرجت لي امي القدر الذي احتاجه كالعادة . واغلقت مخزن المؤن جيدا حتى تأمن عليه من اعتداء الدجاجات والأطفال الذين يتحينون فرصة الدخول ليلتهموا اكبر قدر من الفول في اقل فترة ممكنة !

●

وبعد مغادرة امي للبيت ، انصرفت لأداء واجباتي ، وانا اغني لنفسي ، واستشعر أهميتي في الاسرة ... وبمساعدة الصغار استخرجت حبات الفول من قشورها ، والطعام يتصاعد بخاره على نيران من الخشب المتوهجة وسرعان ما رحت آناجي نفسي بأني أسير سيرا حثيثا في عملي ، وهنا وسوس لي الشيطان فقد ترامت الى سمعي أصوات اخوتي ، يتضاحكون مرحين وهم يلعبون الورق مع اطفال الجيران فوق العشب امام منزلنا ...

كانت اللعبة قد بدات لطيفة هادئة ، ولكنها باتت تثيرني الآن ، بعد تصاعد الصيحات العالية والضحكات الصاخبة ...

كنت بمفردي . وطغت على نفسي موجة من الرثاء لنفسي . لماذا الاولاد يلعبون ويفرحون ويستمتعون بالحياة وابقى انا وحيدة أكد وانصب لاشباع رغباتهم الشرهة ؟ .. ليس هذا من

العــدل في شيء . لماذا لا يوكل اليهم بعض العمل ، حتى يتنـــاح لي بعض المتعة ؟ ! .

وقطعت على سلسلة افكارى موجـة ثانية من الضحك ترامت الى سـمعي اكثر ارتفاعا واشد صخبا من الاولى . فمـــا كان مني الا ان تركت كل شيء واندفعت اعدو الى الخارج .

اذكرتني قرقات (١) الدجـاجـات المتراقصة حول المطبخ وهي تلتقط بقايا الوليمة العظيمة ، بحبات الفـــول السوداني ! نعم ... لقد اختفت كل حبة من هذه الحبات ! ..

لـكم كنت غبية اذ تركتهـا عارية ، وباب المطبخ مفتوح على مداه ...

وتملـكني غيظ أعماني ، وتلبستني رغبة عارمة لعقاب الدجاجات الشرهات المتوحشات ... وانا اقف بالباب ، افكر في افضل طريقة تمكنني من شن هجـوم على الدجاجات في المرة القادمة وهي غافلة لاهيـة عن نفسها تنبش الارض باظافرها هنـــا وهناك بحثا عن حبة فول متناثرة ! .

قبضت على يد الهاون ورفعته عاليا فــــوق راسي . واذ ذاك رأتني الدجاجات ، **وتطايرت في فوضى في كل انحاء المطبخ . وتســاقطت على بعضها البعض في مدخل البـــاب . فالقيت بسلاحي القـــوي في الوقت المناسب ليصيب الدجاجة الاخيرة منها ، في أم راسها مباشرة ...**

لقد أصبتهـــا ! .. كانت انشط الدجاجات في القطيع كله ، ومن ثمة فهي الد اعدائي ... وتنفست لاهثـة بالانتصار بينما هي تغرق بالالم ... وقلت : « لقد اصبتك في هذه المرة ! .

ولكن اغنية الانتصـــار لم تستمر طويلا ، لان الدجاجة المسكينة في لحظة واحدة راحت تتخبط بجنون في جميع ارجاء المطبخ . **وخمدت حركتها بعــد برهة وجيزة ، وسقطت فاقدة الحيــاة تماما بجوار النار الموقدة ! .**

ووثبت لانقـــاذها من اللهب ... حملتها ، وهززتهـــا ، وفحصتها ، ثم حاولت فتح عينيها المغمضتين باصبعي . ولكنها لم تبد حراكا !

اسرعت بها الى المنزل ، واخـذت شيئا من فازلين الاطفـال ، ومســحته بالجرح . ولكن الطـائر لا يستجيب . فوضعتها على الأرض محاولة حملهـــا على المسير ولكنها أطلقت صوتا واهنـــا وســقطت على الأرض ! .. وحملت الدجاجة الى ركن هادىء بالحديقة وأنا اهدهدها كطفل رضيع . فلما رأيت ان هذا كله لا يجدي ، وضعت الدجاجة على الأرض وجعلت أروح لها بورقة من شجر الموز ! .

كنت طوال ذلك الوقت اخشى ما قد ينزله بي ابي من عقاب . طبعا ، لقـد كانت الدجاجة شـقية . واستحقت ما نزل بها من عقاب ، هكـذا اقنعت نفسي ... ان امي سوف تغضب مني الاني قد أضعت حبات الفول التي كنت ساعد بهـــا مرق التوابل للعشاء ... وبالاختصار فاني سوف أثير ضـــدي غضب امي ، واسوأ ما في الأمر ،غضب ابي أيضا ... وبعد خمس دقائق من الترويح بقوة وشدة دون ظهور علامات التحسن على الطائر خطرت لي فـكرة جديدة . فأسرعت الى المطبخ وعـدت حاملة ملء طست ماء ، غمست فيـه الطائر المســكين . وسواء أكان هذا السلوك غير متوقع مني أم لا . بعـد فترة طويلة من تظاهر الدجاجة بالتماوت أو الاغماء ، حقا ، فاني لا أستطيع أن اقطع برأى في هذا الصدد ...

نعم، ولكن المؤمن يثاب رغم انفه فان الدجاجة بعد أن شربت بعض المـاء ، عادت الى حالتهـــــا الطبيعية ، **على الرغم مما اظهـــرت نحوي من اشمئزاز واستياء لســلوكي الشائن نحوها ، وخاصة لما نالها من بلل دون شفقة او رحمة ! .**

قالت امي في صباح اليوم التالي : « اني استطيع ان اقسم ان مرق التوابل بالامس لم يحو اية حبات من الفـول السوداني ! .. كان طعم الطمـــاطم والباذنجان واضحا فيه كل الوضوح . ولكن لم يكن لمذاق الفول أي أثر فيه ! . ولذت بالصمت ، ولم انبس ببنت شـفة ! .

●
●●

(١) صوت الدجاج

ثوبها السرابي!

طَلَعتْ من برعُمِ الحُلْم عبيرًا
تَرتدي الأزهارَ فُستانًا ..قصيرا
في رذاذٍ نَسَجَ النورُ به
ثَوبها المائيَّ سلسالًا نميرا ...
حدَّثتني بالضحى أطيافُه
وحكت عن نشوة الخصر كثيرا
من رواء الصيف فيه وهَج
والأغاريدُ يُنشّرن حريرا!
كلَّما غَنَّى به منعطف
رَقَّ حتى صارَ للوَهم عَصيرا!
يالإيقاع التّماويج به
والتساريح المثيراتِ شعورا!
نقلة من قَدَم وارتعشَت
دَفْق هالات تتابعن بدورا!
تعزفُ الساقان في تمتمة
فتحيل الصمْت موسيقا ونورا
كل خطو رنّة في خافقي
وصُداح مَرَّ في بالي غديرا
أيها الثوب السّرابي الرؤى
يا أصاديحَ العصافير بكورا؟
أنتَ نَهْر يمّحي ثم يُرى
ويعرّي ذاته ـ يغدو أثيرا؟
خبّريني .. واختَفت في حُلُم
ذاب عنّي فغَدا ظلا ودورا؟
أنا والصمتُ حِوار دونها
ونزاع خِلته طالَ دُهورا
إغلقي الأبوابَ في وجه الضحى
سوف يلقاكِ على الدَّرب أخيرا!

أم درمان ـ السودان ● يوسف محمد يوسف السلامي ●

شخصية الشهر

مصطفى صادق الرافعى



كان مصطفى صادق الرافعى اديبا فريدا فى طرازه • كان يكتب فى القرن العشرين ، ولكنك كنت تحس وانت تقرؤه وكانك مع أبى حيان التوحيدى فى فصل منسى من فصول الامتاع والمؤانسة •

كان اديبا بالغ التمكن من لغة العرب وادب العرب ، وكان يكتب على اسلوب القدماء ، اسلوب التامل والانشاء البليغ وتكلف اللفظ الغريب والمعنى الغريب والبحث عن كل ما يتصل بالأدب العربى بمفهومه التقليدى القديم •

ولقد عاش الرافعى زاهدا منصرفا لأدبه وكتاباته ، ولم يأذن قط لأحد بأن يجعله يغير اتجاهه فى الكتابة واسلوبه فى التفكير ، ومن هنا فقد وقف وحده فى عالم تدافع فيه عمالقة كتاب النهضة فى اتجاه التجديد ، تجديد شباب الأدب العربى ، وثارت المعارك بينه وبين العقاد وبينه وبين عبد القادر المازنى فما تحرك ولا اهتم ، وانما مضى فى طريقه صامدا كالطود تاركا مسألة الدفاع عنه لمن احبوه واعجبوا به من امثال الاستاذ سعيد العريان •

والهلال هذا الشهر يحتفل بمصطفى صادق الرافعى ويدعو شباب هذا الجيل الى التفكير فيه وفى أدبه •

الرافعي

عبقرية متحدية

● د . احمد متولي مسلم ●

● ولد مصطفى صادق الرافعي سنة ١٨٨٠ ، والده الشيخ عبدالرازق الرافعي ، واسرته عريقة في التدين والصلاح ، تولى منصب القضاء فيها اربعون قاضيا . حفظ القرآن في الكتاب ، ودخل المدرسة الابتدائية وسنه ثلاث عشرة سنة ، ونال الشهادة الابتدائية سنة ١٨٩٧ . وفي نفس العام مرض بحمى التيفود التي اضعفت سمعه حتى فقده تماما وهو في سن الثلاثين . وكان هذا المرض سببا في عدم اتمام دراسته في المدارس . وأثر المرض على احباله الصوتية ايضا فجعل صوته كصراخ الطفل ..

وعكف على القراءة والاطلاع في مكتبة والده الحافلة بكتب الدين واللغة والادب، واشترى مزيدا من الكتب حتى كون لنفسه مكتبة ضخمة في شتى نواحي المعرفة . وكان يقرأ كل يوم ثماني ساعات متواصلة .. وعين كاتبا بمحكمة طلخا الشرعية عام ١٨٩٩ بمرتب اربعة جنيهات ، ثم نقل الى محكمة ايتاى البارود فمحكمة طنطا . واستمرت اقامته بطنطا وعمله بالمحكمة الى آخر حياته سنة ١٩٣٧ . وكان دقيقا في عمله الرسمي ، ومهمته تحديد رسوم القضايا . وكانت معاملاته وعلاقاته مع زملائه مبنية على النبل وكرم الخلق والتفاهم والمروءة .

تزوج الرافعي سنة ١٩٠٤ شقيقة لاحد اصدقائه ، وتفرغت زوجته لشئون بيتها وابنائها العشرة ، وتفرغ هو للقراءة ودراسة الادب ، وكان جو البيت يسوده الحب والعطف والنظام والاحترام .

وكان شغوفا بالرياضة لا سيما المشي والسباحة ، واولع بالرحلات ، ونشر مقالات عن الرياضة في الصحف .

وكتب في النقد الادبي بدءا من سنة ١٩٠٥ وأصدر ديوانا شعريا «النظرات» (١٩٠٨) وألف كتاب تاريخ آداب العرب (١٩١١) ثم كتب كتاب « حديث القمر » (١٩١٢) في فتاة لبنانية جامعية ، استمد من سماحتها ورقتها معاني الحب التي تملأ النفس بأفراح الحياة . ثم كتاب المساكين (١٩١٧) وهو مجموعة آراء ،



مصطفى صادق الرافعى

ثم ديوان الرافعى (١٩١٩) .

ثم سمع عن الاديبة اللبنانية « مى زيادة » وقرأ لها ما تفردت به من قصص ومقالات تدعو الى تحرير المرأة ، فسعى الى التعرف عليها سنة ١٩٢٣ . وكان لها صالون يحضره الادباء والشعراء والمثقفون يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، ومنهم لطفى السيد ومصطفى عبد الرازق وطه حسين، والعقاد ومنصورفهمى واسماعيل صبرى، وولى الدين يكن . وكان يسافر من طنطا الى القاهرة كل أسبوع لحضور ندوتها . ولم يكن الرافعى يحاورها ، لفقد السمع، وكانت ترد عليه بلطف وأدب .

فكان يحاورها بالرسائل الغرامية ،

وشغف حبا بجمالها وشبابها وذكائها، وعرضت « مى » رسائل الرافعى على الحاضرين من زوارها ومنهم خصمه اللدود « العقاد » ... ثم تغير ترحيبها بالرافعى الى صد وبرود ، فصدمت نفسه الرقيقة ، وكتب « رسائل الاحزان » (١٩٢٤) فى فلسفة الحب والجمال ، ثم كتاب « السحاب الاحمر » فى نفس الغام، فى الغضب والكراهية والميل الى الانتقام . ونقد العقاد وطه حسين كتاب « رسائل الاحزان » فى الصحف نقدا لاذعا ، وانضمت اليهما « مى » فى الحملة . ووقف له العقاد وطه حسين بالمرصاد ، ينقدانه كلما الف كتابا ، فيرد عليهما ويتحداهما أن يأتيا بمثله .

ونشر طه حسين كتاب « الشعر الجاهلى » وفيه يشك أن الشعر الجاهلى من وضع الشعراء فى العصر الاسلامى ، فرد عليه الرافعى بكتاب « تحت راية القرآن » (١٩٢٦) ، وبمقالات عديدة فى الصحف هيجت عليه الرأى العام . وكتب كتاب « على السفود » (١٩٣٠) نقدا لشخصية العقاد وأدبه . وكان ردا على هجوم العقاد على كتابه « اعجاز القرآن »

وهو الجزء الثانى من « تاريخ آداب العرب » .

ثم كتب كتاب «أوراق الورد» (١٩٣١) وهو رسائل متبادلة بينه وبين شخص جرده من نفسه . ويقول عنه الرافعى : « هو أحسن ما كتبت . انى لم أتعب فى شيء مثل تعبى فيه . والغرض الاول من الكتاب اعطاء اللغة العربية هذا الكنز الذى ليس فيها » .

ثم اتفق مع « الزيات » صاحب مجلة « الرسالة » أن يكتب مقالا للمجلة كل أسبوع ، فسلسل أسلوبه نوعا ، وقرأه كثير من القراء فى مصر والعالم العربى ، وراسله كثيرون يناقشونه ويسألونه ، ونشرت مقالات « الرسالة » فى كتاب « وحى القلم » من جزئين سنة ١٩٣٦ ثم من ثلاثة أجزاء سنة ١٩٤١ بعد وفاته .

والآن نناقش التحديات الثلاثة التى واجهها الرافعى :

(١) العاهة :

عندما يصاب الشخص بنقص جسمانى مبكر ، فهو يقع فى مأزق حقيقى ، فالنقص يظل محل صراع فى نفسه بسبب وجوده الدائم ، وأثره فى الكيان الشخصى والعلاقات الاجتماعية ، فهو دائما جزء من صورة الشخص فى نظر نفسه ، ومن تصوراته وعملياته الرمزية ، ويؤدى الى الاستغراق فى الخيالات ، ويزيد التوترات والمخاوف والعدوان والرغبة فى الانتقام ، أى أنه ينعكس على الشخصية ، والضمير ، والسلوك .

وفى الموهوبين تتحول الرغبة فى التعويض فى اتجاه الابداع . فاحساس الرافعى بالنقص بسبب صممه الذى عزله عن التخاطب مع الناس ، كان عاملا بناء بالنسبة له ، فقد أحد شعوره بالوجود ، ودفعه الى تحقيق ذاته ، وأطلق قدرته على التفكير والرمز والخيال والشعور ، الى آفاق لا يطولها الأصحاء .. لكان النفس - فى الحصار الذى فرض عليها - تغوص فى طبقات النشاط النفسى الاعمق ، لتصل الى المحتويات المكبوتة ، فيشكلها الأديب بقدرته ، ويفرغ فيها شحنة عدوانه .. يوحد بين المتناقضات ، ويبدع المعانى الجديدة ، ويشعر بالزهو والاعتزاز ، اذ يثبت لنفسه وللناس أنه قادر على تخطى عاهته ، وعلى خلق نفسه فى صورة كاملة .

كانت عاهته تزوده بالوجهة الثابتة ، وبالعزلة والتامل والانسحاب من دنيا الناس ، وبالاستغراق فى الأفكار والخطط ، وبالمشاكل التى يفترع لها الحلول ، وبالاختصار ، كانت تؤجج نشاطه الخلاق .

والرافعى لم يتمكن من مواصلة تعليمه بسبب عاهته ، الا انه ظل نهما الى المعرفة ، عن طريق القراءة والدراسة ، والتامل والكتابة ، ليتفوق على ابناء جيله من حملة الشهادات . كانت له شهرته المدوية فى الدفاع عن اللغة العربية ، وكانت له مواقف وآراء . وقرظ سعد زغلول كتابه « أعجاز القرآن » بجمله سارت مسار الامثال : « بيان كانه تنزيل من التنزيل ، او قبس من نور الذكر الحكيم » !

كانت مقالاته تتميز بالتعبير الرشيق المنمق ، والميل الى ازدواج الجمل ، والكلمات ، والمطابقة ، والنكتة المبتكرة . وبعض مقالاته أقرب الى الشعر المنثور ، ويكرر فى أواخر المقطوعات جملة ملتهبة شديدة الايقاع ، على شاكلة : « ياالحوم البحر ، سلخك من ثيابك جزار » !

وكان يتميز بقدرته الفريدة على ان يعيش بخياله فى كل عصر من عصور

التاريخ ، يحس احساس أهله ، ويتكلم بلسانهم .

وكان كبير الحرص على اللغة ، شديد الغيرة على الدين ، يدفع عنه الفتنة والضلال ، ولا يسمح لقائل أن يقول فيه قولا حتى يرده الى صوابه أو يسكته .

وكان يدعو الى الاخاء العربى ، والى الكفاح المشترك ، لتثبيت أركان الامة العربية،وكان بسبب هذه الآراء السابقة لأوانها ، يتعرض للنقد من المجددين والمحافظين على السواء . وقد وقعت خصومات أدبية حامية بينه وبين كبار الأدباء والمثقفين ، خصومات فى النقد الأدبى ، وخصومات بسبب الدفاع عن الاسلام . وكان شديد الطموح عظيم الاجتهاد ، وفرض طموحه على أبنائه ، فكان يقول لهم : « أنا لا يرضينى النجاح، وانما يرضينى التفوق فى النجاح » .

(٢) الصومعة :

يقول « منصور جاب الله » : سألت الرافعى ، وهو يصطاف فى الاسكندرية سنة ١٩٣٥ : لماذا لاتغادر طنطا بعد أن لمع اسمك واصبحت من أشهر الكتاب العرب فى العالم ؟

فأجاب الرافعى : كيف تريدنى أن أترك المدينة التى تضم رفات والدى ووالدتى ؟ .. أنا لا أغادر طنطا ولو وضعوا بين يدى مال قارون ! .. ان المال لا يمكن أن يعوض الذكريات الجميلة . انها هى الزاد الذى نقتات به فى حياتنا المعنوية » .

كانت طنطا صومعة الرافعى . قنع بحياته المتواضعة فيها ، وبوظيفة « باشكاتب » المحكمة ، ولم يتجاوز مرتبه سبعة عشر جنيها . وكان رزقه من ممارسة الأدب والكتابة فى الصحف محدودا ، لكنه اكتفى بالحد الادنى والاشعاع الروحى الذى حققه من اعماله . ولو انتقل الى العاصمة لزاد حظه من الشهرة والمال .

والواقع أن جيل الأدباء فى مطلع هذا القرن ، أمثال هيكل ، وسلامة موسى، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وزكى مبارك ، ويحيى حقى ، وزكى نجيب محمود ، والزيات ، وأحمد أمين ، والمازنى وشكرى ، والرافعى — كانوا جيلا فاضلا وكريما بمعنى الكلمة . هؤلاء الادباء والمفكرون العظام اعطوا المجتمع الذى عاشوا فيه اضعاف ماأخذوا منه . وقد طرح « سلامة موسى » فى العشرينات من هذا القرن استفتاء لكبار الكتاب هو :هل يستطيع الكاتب أن يعيش بقلمة ؟فكانت اجابات الجميع بالنفى .

ومن الكلمات التى عاشت قول المازنى :

« أستاذى الاول هو الفقر .. الذى آتانى القوة والقدرة على الكفاح ، وعلمنى التسامح والرفق والعطف ، وايثار الحسنى ، وضبط النفس وتوخى الاتزان . جنبنى العنف والقسوة والفظاظة . وحبب الى الفقراء . وفتح عينى على القيم الحقيقية للناس والاشياء والحوادث . ودربنى على نشدان المخبر من وراء المظهر . وجنبنى أن احترم المال لذاته . وحمانى ان اغمط الفضل والحق »ٓ.

وقول زكى مبارك :

اساهر فى ليلى كتابى ، ولا ارى لنفسى حظ الساهرين على النرد

كان الأدباء فى الفقر سواء ، لكن شعورهم بالوطنية والعزة القومية والانتماء الى الامة ، كان أقوى من كل شىء ..

وبهذه النظرة القانعة الراضية ، ظل الرافعى مقيما فى طنطا ، عاكفا على القرآن والسنة ، وكتب التراث ، لم ينفتح على حضارة الغرب كما فعل العقاد ، ولم يسافرالى أوروبا كما فعل طه حسين ، وبذلك احتفظ بموقفه

السلفي المحافظ ، وكان ينظر بتوجس الى الحضارة الغربية ، وما تأتي به من قيم واخلاق .

(٣) المرأة :

يتناوب الناس مزاجان متناقضان : مزاج يتصل بالغرائز ويسعى لاشباعها، ويتصل بالاخلاق ويسعى للسمو بالنفس وبالناس . والمزاجان ينفصلان احيانا ، فهذه ساعة للقلب ، وهذه ساعة للرب ، وقد يقترن الباعثان في العمل الواحد .

وأصحاب الخلق يقاومون غواية الغريزة ، ويتسامون بها ليرجحوا كفة الاخلاق والمعاني ، لانهم ــ بفطرتهم ــ يفضلون المنفعة الخالدة على المنفعة العاجلة .

ونحن نرى في ادب الرافعي ميلا شديدا الى المرأة ، والعواطف التي تثيرها والدليل على ذلك انه الف فيها اربعة كتب هي: حديث القمر ، والسحاب الاحمر ، ورسائل الاحزان ، وأوراق الورد ، بالاضافة الى كثير من مقالات « وحي القلم » . والدليل الثاني انه حين يكتب عن المرأة تبدو صورة حية مشبوبة جياشة بالعواطف والاشواق .

والدليل الثالث ان الكتابة لم تشبع طاقته ، فسعى الى التعرف على الاديبة اللبنانية ((مي زيادة)) التي كانت تقرب الادباء اليها وتكسب عواطفهم ، دون أن يكسبوا منها شيئا . كانت تستميلهم ، فاذا دنا احدهم منها وجد هوة سحيقة بينه وبينها . وكان الجميع يتغزلون فيها ، لكن بينهم وبين انفسهم اما الرافعي فقد ((افتتن بها حتى اخذت منه كل ماخذ ، فملأت نفسه باشياء ، وملأت عينه من اشياء . فكان يقول لها في نجواه : اني ارى الزمن قد انتسخ مما بيني وبينك ، فانما نحن بالحب في زمن من نفسينا العاشقتين ، لايسمى الوقت ، ولكن يسمى السرور . وانما نعيش في ايام قلبية لاتدل على اوقاتها الساعة بدقائقها وثوانيها ، ولكن السعادة بحقائقها ولذاتها . وتحابا ذلك الحب الفوار في الدم ، كان فيه من دورته طبيعة الفراق والتلاقي ، بغير تلاق ولا فراق ، فيكونان معا في مجلسهما الغزلي ، جنبه الى جنبها ، وفاها الى فيه ، وكانما هربت ثم ادركها ، وكانما فرت ثم امسكها ، وبين القبلة والقبلة هجران وصلح ، وبين اللفتة واللفتة غضب ورضى . »

« وهذا ضرب من الحب يكون في بعض الطبائع الشاذة المسرفة ، التي افرطت عليها الحياة إفراطها ، فيلف الحيوانية بالانسانية ويجعل الرجل والمرأة كبعض الاحماض الكيماوية مع بعضها ، لاتلتقي الا لتتمازج ، ولاتتمازج إلا لتتحد ، ولا تتحد الا ليبتلع وجود هذا وجود ذاك »

والعبارات من اعتراف الرافعي نفسه في مقالة « الاجنبية » بالجزء الاول من « وحي القلم » .

ويعلق « حسنين مخلوف » على حب الرافعي بقوله :

« ليس عجيبا أن يحب الرافعي أو غير الرافعي .. انما العجيب ان أن يعيش الانسان حياة مثالية ، في أسرة دينية ، يتزوج مبكرا ، ويرزق البنين والبنات ، ويكون له مؤلفات تدعو الى الدين والفضيلة ، ويشغل بالامة الاسلامية حاضرها ومستقبلها ثم هو قلق من متاعب حياته ، وبعد كل ذلك متعلق بالمرأة يفكر في جمالها وانوثتها ، ويتحدث عن ذلك في مجالسه

ويقول : « الحب فالـــق قلبي » ! ثم يكتب ليصور معاني الحب ، ويفلســـف أنوثة المراة وجمالها الى معان اشراقيـــة في النفس ، والى حياة عائلية كـــريمة ، والى سلوك قرآني كريم ، وتنثـــــال الأفكار الخيالية على قلمه فينطـــق بالحكمة ويضرب الأمثال في أســـلوب عربي بليغ » .

وتفسير اللغز الذي حير حســــنين مخلوف ان الرافعي لم تشبع عاطفتـــه باكملها في حياته الزوجية ، فهـــو دائم الشوق الى المراة ، يحـــــلم دائما ان يصادف احدى الحسان ، فتتـــــركه محبا ، « فلا تكون الام الحب واماله في باطنه تعبيرا لنفســــيا كانه على ذلك انما يهدم ويبني »

ولم يتحقق حلمه هذا ، فعـــاش في الحرمان ، يلهج باسم الحب ، ويكثـــر الحديث عن المرأة ، « فتـــرك لنا ادبا باقيا في معاني الحب الطاهر المبرأ من العيوب في أسلوب بليغ اقـــرب الى التحليل النفسي منه الى الوصـــــف الجسدي » .

ويرى « فرويد » أن التســــــامي بالغريزة الجنسية هو الأســــاس الذي الذي تقوم عليه عمليات الابداع الفني ، اي أن الفنان يستبدل باهدافه القريبة أهدافا اخرى تمتاز عنها بانها غــــير جنسية ، وبانها ارفع قيمة من الناحية الأجتماعية . ونرى هذا المعنى في قــول الرافعي : « يتحول الحب الى ملكـــة سامية في ادراك معنى الجمال ، فيكون الوجه المعشوق مصـــدر وحي للنفس العاشـــــقة ، وبهـــــذا الوحي والاستمداد منه ينزل المحب من المحبوب منزلة من يرتفع بالآدمية الى الملائكية ، ليتلقى النور لنا بعد فن ، والفـــرح معنى بعد معنى ، والحزن الســـماوي فضــــيلة بعـــد فضــــيلة . فهذا الحب هو طريقة نفسية لاتســـاع بعض العقول ، المهيئة للالهـــــام كي يحتفظ بافراح الحياة واحـــــزانها ، فتبدع للدنيا صورة من صور التعبير الجميلة التي تثير اشواق النفس » .

ونلاحظ أن حبيبتـــــه الاولى التي اوحت اليه « حديث القمـــر » كانت اديبة صحفية لبنانية قابلها عنـــدما سافر الى لبنان للاستجمام سنة ١٩١٢ ، وأن حبيبته الثانية كانت الأديبة اللبنانية « مي زيادة » ، وانه في سن الرابعـــة والخمسين حن الى استئناف التاليف في الحب ، نهفت نفسه الى فتاة سورية جميلة كانت تعلم الموسيقى في المدارس بطنطا اسمها «ماري» أيضا فاسماها « ماري الثالثة » واهدى اليها نسخة من « اوراق الورد » .

والقاسم المشـــترك في « الماريات » الثلاث ان كلا منهن اجنبية أو متمصرة ، اديبة ومتعلمة ، وجميلة ســـــافرة

ويبدو ان هذا هو النوع الـــذي كانت تهفو له نفس الرافعي ، ويوحي اليـــه بالشعر والغزل . ومع ذلـــك يكتب الى ابنه في فرنسا حين هم بالـــزواج من اجنبية : « اياكم اياكم أن تفتروا بمعاني المراة ، تحسبونها معاني الزوجـــــة ، وفرقوا بين الزوجة بخصائصها ، وبين المراة بمعانيها ، فان في كل زوجة امراة ، ولكن ليس في كل امراة زوجة .

« لا تتزوجوا يا اخـــواني المصريين باجنبية . ان اجنبية بتزوج بهــــا مصري ، هي مسدس جرائم فيه ست قذائف .. »

ويمضي يفصل القذائف الســــت في مقالته « الاجنبية » .

والمغزى : هذه نقرة وهذه نقرة ، من تصلح للحب لا تصـــلح للزواج ،

من هذه الثنائية عاني الرافعي طول حياته



شاعر الحسن

● علي غريب بهيج ●

« ما اريد من الحب الا الفن فان جاء من الهجر فن فهو الحب »
«ان النابغة في الأدب لا يتم تمامه الا اذا احب وعشق»
« ان ملكة الفلسفة في الشاعر من ملكة الحب »
« المرأة للشاعر كحواء لآدم : هي وحدها تعطيه بحبها جديدا لم يكن فيه »

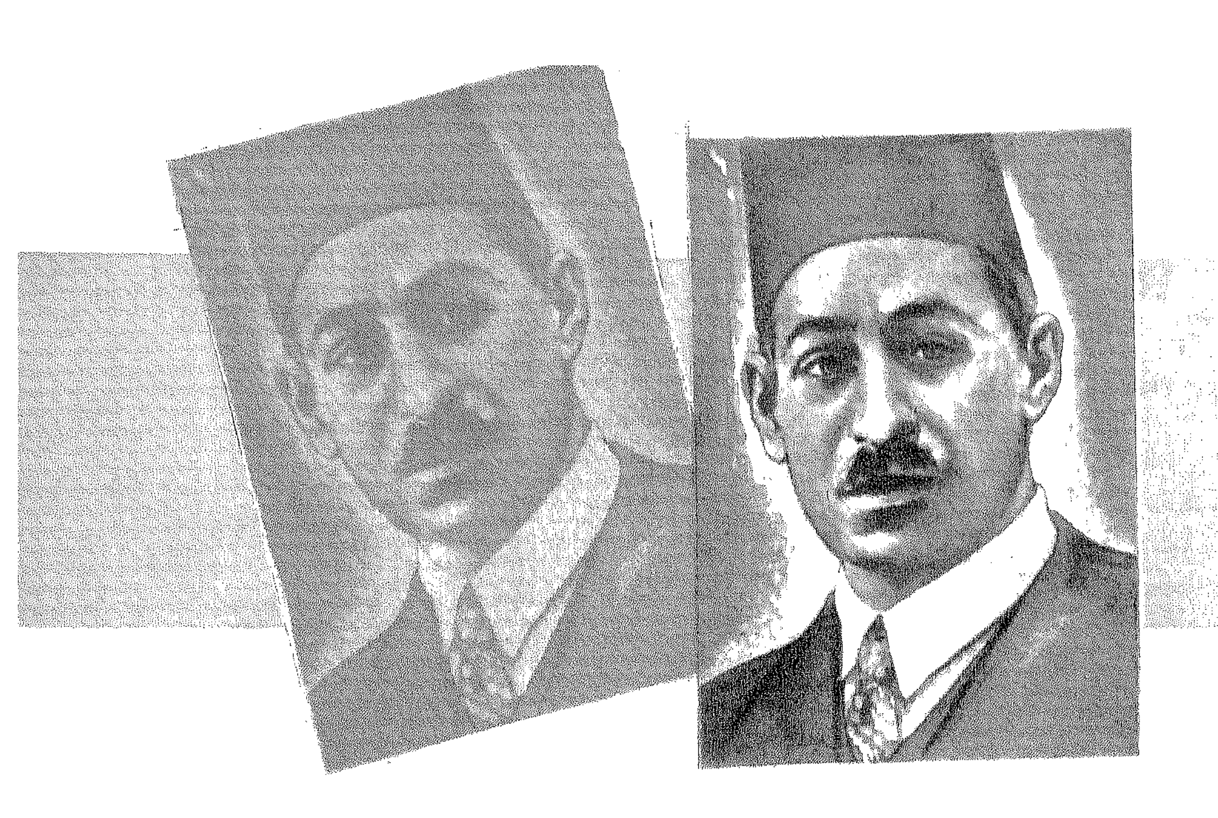
● مصطفى صادق الرافعي ●

« حديث القمر » ـ « رسائل الأحزان » ـ « السحاب الأحمر » ـ «أوراق الورد » ـ هذه الكتب الأربعة قدم بها الأديب والكاتب والناقد والشاعر مصطفى صادق الرافعي لونا جديدا من الأدب الذي يتخذ من فلسفة الحب والجمال موضوعا له قيمة فنية عالية متفردة ٠

والقيمة الحقيقية لهذه الكتب الأربعة تتركز حول الصور التعبيرية ، والغوص وراء الأفكار العميقة ، وهو أسلوب انفرد به وتميز الرافعي ٠٠

وميزة أخرى انفرد بها الرافعي في كتبه هذه ، وهي المزاوجة بين الشعر والنثر ٠ ونحن نقول النثر على أساس التفرقة النوعية وان كانت هذه الكتب ذات أسلوب شعري خالص وان تنوعت الأساليب الشعرية ، فشعر على النسق التقليدي للقصيدة ، ثم شعر يمكن نسبته دون مبالغة الى أحدث أنماط القصيدة الحديثة ، ان لم يكن يتفوق عليها في بعض الأفكار والصور ٠

وعلى الرغم من أن الرافعي قد اشتهر في عصرنا ككاتب وناقد أكثر منه شاعرا ، الا أن شعره ـ وبخاصة في الحب والجمال والوطنيات ـ له قيمة فنية تضارع قيمة شعر كثير من شعراء العصر الحديث ٠ وسوف نتناول ملامح خاطفة عن الرافعي الشاعر ٠



مصطفى صادق الرافعى

●● الرافعى شاعر الحسن :

بدأ الرافعى حياته الأدبية شاعرا يحاول أن يشق طريقه الى شعراء الصف الأول من أمثال البارودى وحافظ والكاظمى ، ولا نقول شوقى ، لأن الرافعى كان يعده من شعراء الطبقة الثانية ــ بعده وبعد هؤلاء !

وللرافعى شعر جيد ولكن أعظم شعره قيمة هو أناشيده الوطنية ، ثم شعر الحب والجمال الذى سوف نتناول شذرات منه ، ومن أناشيده الوطنية نشيد :

اسلمى يا مصر اننى الفدا ذى يدى ان مدت الدنيا يدا

الا أن الرافعى كان قد حدد لنفسه مجالا معينا لشعره ، هو مجال الجمال والحب ، ولذلك أطلق على نفسه « شاعر الحسن » . وتأمل معى قوله :

الحسن الوان يمازج بعضها
بعضا لتصوير الهوى الفتان
وارى الجوى والسحر والايمان قد
مزجت فمنها هذه الفيشان

وهو القائل : « ألم تر الى شعراء الدنيا وهم أنبياء الجمال الذين لا تتصل ملائكته بغيرهم ، ولا يفهم غيرهم ما يفهمونه منها ، كيف يشبهون الحسن الرائع بكل ما فى الخليقة من مظاهر الروعة .. ويجمعون ذلك ثم يفيضون فى أوصاف الجميلة وجمالها حتى لكأنها ذلك السر الذى قام به حسن الخليقة ، وحتى كأن الله لم يخلقها الا ليكون كل شىء فيها تفسيرا لشىء ما فى آية من آياته . »

ويقول : « الجمال على مقدار ما يحسن الانسان أن يفهم منه ، ثم على مقدار

ما يؤثر فيه من هذا الفهم ، ثم على مقدار ما يثبت من هذا التأثير ..

وعن الجمال يقول شعرا فى قصيدة بعنوان « حيلة مرآتها » :

حسناء خالقها اتم جمالها
سألته معجزة الهوى فانالها
لما حباها الله جل جلاله
بالحسن منفردا اجل جلالها
تفنى المحب كانما اجفانها
القت عليه فتورها وملالها
هيفاء لك حسب النسيم قوامها
غصنا فان خطر النسيم امالها
طلبوا لها شبها يضيء ضياؤها
لهوى النواظر او يدل دلالها
هم يطلبون مثالها فليرقبوا
مرآتها يجدوا هناك مثالها
لما عجزنا ان نفصل وصفها
جمعت لنا مرآتها اجمالها
وكانما المرآة من افق السما
وكانها ملك يلوح خلالها

وعندما يعجزه المعنى شعرا يلجأ الى النثر . استمع الى رأيه فى جمال المرأة :
« الجمال هبة الله فليس لا مرأة فيه عمل . ولكن العجيب ان اكثر ما يكون من عمل المرأة انما يكون فى افساد هذه الموهبة ، كانما الجمال غريب حتى عن صاحبته ، تفسدها بالجهل ان كانت جاهلة ، وتفسدها بالعلم اذا كانت عالة وتفسدها بلا شيء اذا كانت هى لا شيء .. »

●● الحب فى حياة الرافعى :

يقال ان الرافعى عرف الحب منذ شبابه الباكر ، وكان غرامه الأول بفتاة يقال لها « عصفورة » وفيها يقول :

عصافير يحسبن القلوب من الحب
فمن لى بها عصفورة لقطت قلبى

ورغم أن الرافعى تزوج فى شبابه الباكر ، وكانت زوجته من أسرة كريمة على خلق عظيم ، الا أن نزوع الرافعى الى الجمال والحب قد لازماه كلون من العواطف السامية التى كان يراها لازمة للفنان وللشاعر بصفة خاصة . وهكذا كان غرامه الثانى بفتاة « لبنان » ، التى ألف فيها ومن الهامها كتابه الأول فى فلسفة الحب والجمال وهو كتاب « حديث القمر »، ذلك الكتاب الذى يتسم

بالفلسفة الهادئة الباسمة فى الجمال والحب بعكس كتبه الثلاثة الأخرى يقول الرافعى فى « حديث القمر » :

« فمن أحب رأى حبيبته من فرط اجلاله اياها كأنها خيال ملك يتمثل له فى حلم من احلام الجنة ، ورأى فى عينيها صفاء الشريعة السماوية ، وفى خديها توقد الفكر الالهى العظيم ، وعلى شفتيها احمرار الشفق الذى يخيل للعاشق دائما أن شمس روحه تكاد تمس ، ورآها فى جملة الجمال تمثال الفن الآلهى الخالد الذى يدرس بالفكر والتأمل لا بالحس والتلمس ، فذلك الذى يشعر بحقيقة الحب ، ويفهم معناه السماوى » .

وله قصيدة بعنوان « أيام لبنان » يقول فى مطلعها :

فجر الهوى من ثغرها البسام
متطاير اللمحات فوق ظلامى
رفت على ظلاله وتنفست
بندى الشباب على فؤادى الظامى
ذهبت هموم حرت فى اسمائها
واتت هموم ما لهن اسامى
فى حبها والحب فى بأسائه
اهنا لأهليه من الانعام
حسناء صورها الهوى فى صورة
كادت تعيد عبادة الأصنام
فى منظر الاقمار الح وجهها
وتحس فى لمس النسيم غرامى

●● الرافعى ومى :

غير ان اهم قصص الحب فى حياة الرافعى هى قصه حبه للاديبه الشاعرة « مى زيادة » التى قدمت من لبنان لتعيش فى مصر وهى فى نحو العشرين من عمرها ، وماتت فى مصر ودفنت فى ثراها عام ١٩٤١ وهى فى سن الخمسين أو ما يزيد عن ذلك بقليل (ولدت فى عام ١٨٩٠ وتوفيت فى عام ١٩٤١) .

كانت « مى » — على ما يقولون — تجيد عدة لغات وكانت تكتب الشعر بالفرنسية ، والقصة بالانجليزية . وقد جعلت من بيتها « صالونا » ادبيا تقام فيه كل يوم ثلاثاء ندوة ادبية تجمع اعلام الفكر والادب فى عصرها ، من امثال احمد لطفى السيد ، وطه حسين ، والعقاد ، وولى الدين يكن ، والرافعى وكثير غير هؤلاء من الكتاب والشعراء .

وقد احبها كثير من مشاهير العصر مثل جبران خليل جبران والعقاد ويكن شاعرنا الرافعى وغيرهم . وهناك كتابات كثيرة عن « مى » والحب فى حياتها وعلاقة المشاهير بها فى عصرها . كما لقيت قصة حب الرافعى لمى وحبها له

لقد كثيرا من الكتاب الذين حاولوا نفي حب «مي» للرافعي ،ولكن هذا لا يعنينا هنا فنحن ، نعرض لأثر الظاهرة ـ الحب ـ في حياة الرافعي وأدبه بصفه عامة وشعره بصفة أخص ، ولا يعنينا استقصاء الحقائق حول صحة الواقعة أو بطلانها • ذلك أن الرافعي نفسه أغنانا عن ذلك في كتبه الثلاثة التي الهمه حبه لي اياها وهي : « رسائل الأحزان » ، و « السحاب الأحمر » و « أوراق الورد » فهو يقول في رسائل الأحزان :

« حسوت كأس الحب فدارت في دمي ، وانحدرت الى قلبي ، وصعدت الى راسي وهذه الرسائل هي الحقيقة التي كانت في خمرها قطرت من القلم كلاما ومعاني » •

« ومنذ اليوم ساضع العقل بيني وبين تلك الكاس فلا اراها ألا جنونا ملونا ومرضا مزخرفا ، ثم لا اراها الا حلما خمريا زاهيا ان حسن بالنائم أن يستغرق فيه ، لا يحسن بالمتيقظ ان يلم به •• »

ويقول أيضا في رسائل الأحزان :

« اضطرمت النار فأكل بعضها بعضا ، وهذه الرسائل هي صوت الماء الذي صب عليها ليطفئها •• »

ويقول مصورا ذلك الوهم الكبير الذي عاش فيه ردحا من الزمان :

« ان اعجابي المجنون اخرج لي من الحقيقة الصغيرة على الأرض خيالا في قدر السماء يتلألأ في عين الشمس على اجنحة الملائكة ، وكذلك ألجهل •• »

ويقول كذلك في نفس المعنى :

« ان ساعة من ساعات هذا الضعف الانساني الذي نسميه (الحب) تنشيء للقلب تاريخا طويلا من العذاب ! » •

أما شعره فيها فهو جميل عذب ، وان كان لا يرقى الى مستوى نثرة الذي ارتفع الى الذروة

كم اسأل الدر عن معناك باسمة
والورد عن لفظه قد اطبقت فاك !
لا الدر يدرى ولا في الورد لي خبر
ارويه عن شفتيك او ثناياك !
يا نجمة انا في افلاكها قمر •••
من جذبها لي قد اضللت افلاكي !

ويقول عن الشعر : « وما الشعر الا أول المعاني المبهمة والدرجة الأولى من سلم السماء الذاهبة الى عرش الله • وهو كذلك أول ما في الانسان من انسانية » ..

ويقول : « واها لك يا شعر الشعراء ، أنت النقص كله مع لذات الدنيا ، وانت الكمال كله مع آلامها »

وفى الرسالة الثالثة من رسائل الأحزان ـ يقول :

وادى هواك كان مطلع شمسه
يلقى على ياسى شعاع امانى
وكان هذا البدر فى ظلماته
يد راحم مسحت على احزانى !

وفى « رسالة ابتسامة » يقول :

يندم الحب على قلبه
كأنه فى نفسه ينهدم
برجفة حاملها لم يزل
ممزقا فى القلب لا يلتئم
زلازل البركان لما دعت
أن سئمت بركانها المحتدم
اجابها الله الطفى وارجعى
من شفتى محبوبة تبتسم !

والحقيقة ان كتب الرافعى الثلاثة التى قالها من وحى « مى » تعتبر من أروع كتب الحب والجمال فى الأدب العربى كله ، وهى شعر ونثر ، ولكن النثر فيها أروع من الشعر ، وهو فى معظمه شعر منثور ، وكثير منه يصلح أن يكون شعرا حديثا بمعنى الكلمة ، انظر الى قوله :

فيك المعانى التى تقول اين كلماتى ؟
وفى انا الكلمات التى تقول : انت معانى !
فى نفسى عالم احلام من خلق عينيك الذابلتين
وفى نفسك عالم اسرار من خلق افكارى المعذبة
كيف تجدين مافى وانك لتعلمين انك فى ؟
اما انا فاجد كل مافيك حلوا
حلوا لان طعمه حلو فى قلبى !

ولا يتسع المقام لعرض نماذج من شعر الرافعى ونثره فى الحب والجمال والتى قالها من الهام «مى» ، وعلى من يريد أن يتزود من هذا المعين أن يرجع الى كتبه الثلاثة التى أشرنا اليها • ونختتم المقال بهذين البيتين اللذين اختتم بهما الرافعى رسائل الأحزان :

آه من الدنيا ومن
قدر على الدنيا حكم
البغض شىء مؤلم
والحب شىء كالألم !

مصطفى صادق الرافعى

ســـــيرة وذكـــــرى

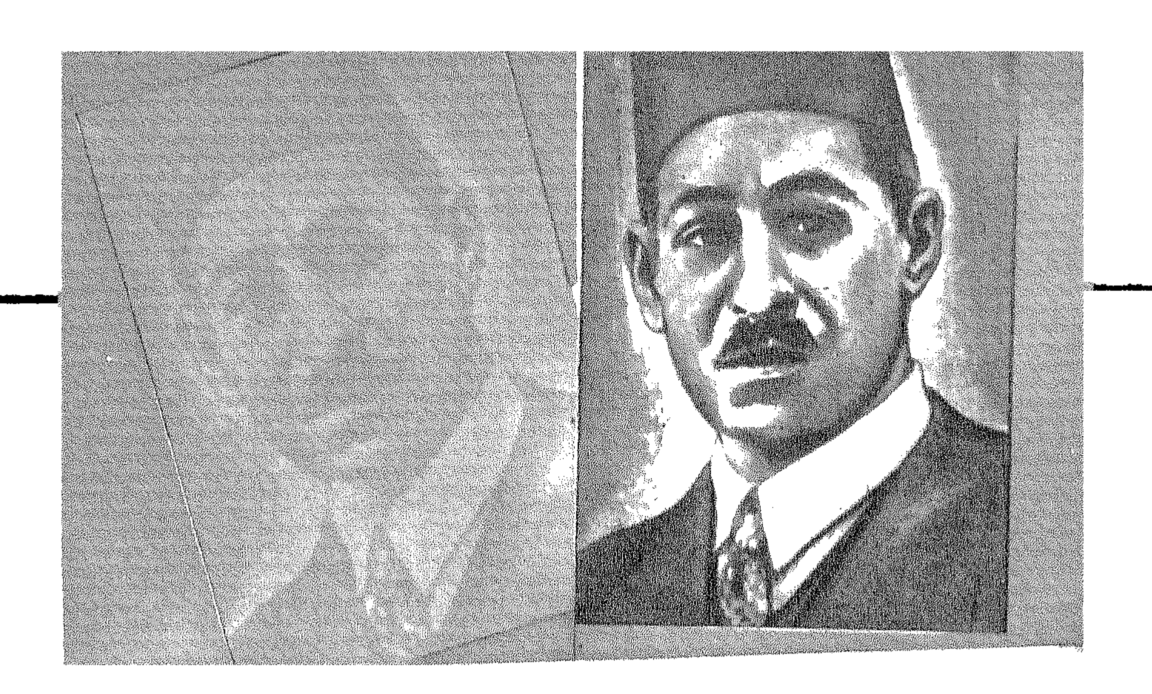
● مصطفى الشهابى ●

هو من اسرة عربيـــة ، عريقـــة فى عروبتها ، توشجت فروعهـــا فى مصر والشام واشتغل اغلب افـــرادها بالدين وتولوا مناصب القضاء ولذا اشتهروا بالتمسك بالتقاليد الاسلامية والصلاح والتقوى ، ولا غرو فهى اسرة يرجــع نسبها الى عمر بن الخطاب

ولد الرافعى فى يناير سنة ١٨٨٠ فى بلدة بهتيم ، احدى قرى محافظـــة القليوبية ، فى بيت جده لابيه الشـــيخ الطوخى ووالده الشيخ عبـــد الرازق الرافعى كان رئيســا للمحاكم الشرعية فى كثير من البلاد المصرية ، وهو واحدمن احد عشر اخا اشتغلوا جميعا بالقضاء الشرعى . وقد اجتمع من آل الرافعى فى زمن واحد اربعون قاضيا فى محاكم مصر وسائر البلاد العثمانية . ولذلك نشأ الرافعى نشأة اسلامية خالصـــة ، جعلته يقضى حيـــاته كلها فى خدمة الاسلام وكتابه الكريم .

درس الرافعى الخـــــط والاملاء والانشاء وحفظ اجزاء كثـــيرة من القرآن الكـــريم على يدى والده ، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية بدمنهور ، وانتقل بعدها الى المدرسة الابتدائيـــة بالمنصورة عندما عين والده قاضيا بها، وحصل على الشهادة الابتدائية عـــام ١٨٩٧

وفى صغره اصيب بحمى اورثتـــــه حبسة فى صوته وثقلا فى سمعه ، مما حال دون اتمام دراسته ، ثم شفى من المرض الاول وخلف المرض الثانى ضعفا فى السمع ، ومع ذلك لم ييأس ، بل اتخذ من ضعفه هذا قوة فثابر على الاطلاع وعكف على قراءة الكتب التى زخرت بها مكتبة والده . وتزايد ضعف سمعه حتى فقده تماما ، وبذلك اصبح الرافعى يعيش فى دنيا تمـــوج حوله باناسها وحوادثها وتضطرب حواليـــه أمانيها ونوازعها ، دون ان يتأثر بها ،



مصطفى صادق الرافعى

لا يسمع الا همسات روحه ، ولايحس الا خلجات قلبه ، ولا يرى سوى الهدف الذى يسعى لتحقيقه ، ومضى فى طريقه لا يلقى باله الى شىء مما حوله ، وعوضه الله عن حاسة السمع ملكة ادبية وعزيمة قوية ، واصبح اديبا وهو دون الخامسة والعشرين .

وقد عمل الرافعى وهو ابن التاسعة عشرة من عمره فى وظيفة بسيطة بالمحكمة الشرعية فى طلخا ، ثم انتقل الى محكمة ايتاى البارود الشرعية ، ثم الى محكمة طنطا الشرعية ايضا ، وأخيرا استقر به المقام فى محكمة طنطا الاهلية التى ظل فيها حتى انتقل الى جوار ربه .

فى خدمة الإسلام والعروبة

واذا كانت لكل كاتب كبير كالرافعى رسالة فى الحياة ، فقد كانت رسالة الرافعى المنافحة عن اللغة العربية والدفاع عن اعجاز القرآن الكريم واحياء الاخلاق الاسلامية لتسود بين المسلمين .

لذلك كان يثور اذا حاول احد ان ينال من القرآن الكريم او اللغة العربية ، فلا يكاد يقع على سقطة أو افتراء لكاتب فى احدى الصحف حتى تثور حميته ولا يغادر مكتبه حتى يرد عليها ويدحض مافيها من مفتريات

ادب الرافعى

ولعل الذين قراوا كتابات الرافعى أدركوا انه كان علما من اعلام الادب ولسانا عربيا مبينا ، فقد كان شديد العناية باختيار الالفاظ والدقة فى صياغة العبارات ، مما جعله يؤثر فى قرائه بشكل عجيب .

وادب الرافعى مشبع بالادب العربى القديم وهو خليط من ادب الجاحظ

وابن المقفع وابى الفرج الاصفهانى ولذلك لم يكن الرافعى يكتب تلك الكتابات الصحفية الخفيفة السريعة التى تلتمس ازجاء الفراغ ، بل كان يكتب ليضيف ثروة جديدة الى اللغة وينشىء ادبا يسمو بضمير الأمة ، تسير به الى المجد والخلود .

لقد كان مذهبه فى الادب : الدين واللغة والقرآن والعروبة والاسلام ، ولها جميعا كان يجاهد ، وللرافعى حب اشرنا اليه ، وحتى فيما كتب عن الحب ، لم يحد الرافعى عن مذهبه واهدافه : للدين وللغة والقرآن .

وكتبه فى فلسفة الجمال والحب ترينا كيف تسمو روح العاشق على الشهوات البشرية ، وكيف اتخذ الرافعى اسلوبا جديدا فيه الفن العميق والتعبير الدقيق والاداء الواضح للتعبير عن اعمق ما تجيش به خفايا النفس الانسانية .

الرافعى الشاعر

انشد الرافعى الشعر واتخذ منه وسيلة للاصلاح والتهذيب وخدمة الاسلام والعروبة وله «ديوان الرافعى» فى ثلاثة اجزاء ، كما الف الكثير من الاناشيد الاسلامية والقومية ومنها نشيد الشبان المسلمين الذى كتبه عام ١٩٢٧ والذى يقول فيه :

رب بالاسلام قد هديتنى
رب من نورك قد آتيتنى
فعلى العهد ما احييتنى
احرس الكنز الذى وهبتنى
أو أموت دونه موت البطل
ثابتا احيا بقلب من جبل
نيرا احيا بقلب من شعل
جاهدا احيا بجسم من عدل

الرافعى والشباب

واذا كان الشباب وسلوكه مشكلة كل زمان ومكان ، فلم يهمل الرافعى ايمانه بالشباب ، بل آمن به ورسم له فى الكثير من كتاباته طريقا قويما اساسه الاستقامة والاعتدال ، حتى يلج الشباب ابواب الحياة ومناهل العلم والمعرفة آمنا مطمئنا ، ومن ثم كان يدعو للزواج وبناء الأسر وصيانة المراة وينهى عن السفه والمغالاة وحب الظهور والايمان بالقوة .

الرافعى والملك

وكان الرافعى شديد الولاء للملك فؤاد ، لذلك قام بينه وبين الشيخ عبد الله عفيفى تنافس على لقب « شاعر الملك » وكلما حانت ذكرى عيد ميلاد أو جلوس الملك فؤاد .. الخ ، طالعت الاهرام فى الصباح قراءها بقصيدة للشيخ عبد الله عفيفى ، وتنشر المقطم فى المساء قصيدة للرافعى ... لذلك فعندما الف الرافعى كتابه « اعجاز القرآن » قام الملك فؤاد بطبعه طبعة ثالثة على نفقته .

وعندما هاجم العقاد الملك فؤاد هجوما عنيفا بسبب اعتدائه على الدستور ، كانت النتيجة ان سجن العقاد عدة اشهر ، ويومئذ اخذ الرافعى يكتب مقالات شديدة فى نقد العقاد . ثم جمعت تلك المقالات فى كتاب سماه « على السفود » .

واوفد الملك فؤاد احد ابناء الرافعي للدراسة بالخارج على نفقته .

على ان الرافعي نفسه ، بعد بضع سنوات ، اسف على مسلكه تجاه العقاد ، وصرح للمغفور له أحمد حسن الزيات ، في حديث نشره في « الرسالة » بان كتاب « على السفود » كان رجسا من عمل الشيطان !

الرافعي ومي :

وعندما أحب الرافعي الاديبة اللبنانية « ماري زيادة » والتي عرفها الادب العربي باسم « مي » — كتب عنها ثلاثة كتب كلها خطابات اليها .. الكتاب الاول سماه « اوراق الورد » ولم ترد عليه « مي » بكلمة واحدة ، فاشتد حبه وزاد حزنه ، فكتب خطابات سماها « رسائل الاحزان » ، ولكن «مي » لم ترد عليه ، فزاد جرحه واشتدالمه واصبحت خطاباته دما أحمر كما يقول هو ، ثم جمعها في كتاب سماه « السحاب الاحمر » ، وقد ظل ذلك « السحاب الاحمر » يغشى حياته حتى مات .

من آثار الرافعي

— النظرات : ديوان شعر

— حديث القمر : وهو مقالات متنوعة

— المساكين : مجموعة آراء في نواحي الحياة .

— ديوان الرافعي : وهو يضم مجموعة من اشعاره .

— أوراق الورد ، رسائل الاحزان ، السحاب الاحمر ، وقد اشرنا اليها فيما تقدم .

— تحت راية القرآن : وهي مجموعة مقالات كتبها في المقتطف ردا على الدكتور طه حسين ، ودفاعا عن تراثنا العربي القديم .

— وحي القلم : وهي مجموعة مقالات نشرت في الصحف والمجلات وخاصة مجلة الرسالة وفيها اوضح اخلاق الاسلام ممثلة في ابطاله العظام

— تاريخ آداب العرب .

— واخيرا وليس آخرا كتابه الخالد « اعجاز القرآن » الذى قرأه الزعيم سعد زغلول وبعث الى الرافعي خطابا جاءت فيه هذه العبارة الرائعة : « كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم ! » وكتب عنه عبد العزيز البشرى : « قرأت (اعجاز القرآن) فاذا هو أبلغ ما كتب مخلوق في كلام الخالق . »

عاش الرافعي موظفا بسيطا في القضاء ، مكافحا بقلمه في الصحف والمجلات والكتب عما يؤمن به ، وخاض كثيرا من الخصومات الادبية والمساجلات مع ادباء عصره .

وصعدت روحه الى بارئها في العاشر من مايو سنة ١٩٣٧ ، وهو اوفى ما يكون صحة واوسع ما يكون آمالا في مضاعفة انتاجه الادبي ، بعد ان بلغ السابعة والخمسين .

الرافعى



فى مرآة معاصريه

● أحمد مصطفى حافظ ●

حبيب الى النفس فى المهرجان الأدبى الكبير لذكرى الرافعى ، .. ان نزف الى القراء أقوال بعض كبار الأدباء عن المنزلة الرفيعة التى يحتلها فى الأدب العربى المعاصر ، كواحد من أفذاذه ، له طابعه الخاص ، وشخصيته المستقلة ..

فهو « واحد من أولئك الذين فرضوا أنفسهم على تاريخنا الفكرى ، فاصبح جزءا من هذا التاريخ » كما يقول صديقنا الدكتور محمد أحمد العزب .

« وقد كان يوصف فى حياته بأنه حجة العرب » (والقول للمازنى) ـ وهذا صحيح الى حد كبير ، وقد لا يكون خير الحجج وأبلغها ، ولكنه حجة قوية بليغة لاشك فى ذلك » .

« وغير قليل من أدب الرافعى سيبقى على الأيام ، ما بقى للأدب ذكر ومقام »

« وأحسبنى لا أبالغ حين أقول ان له من آثاره مالا يرقى اليه قلم فى القديم او الحديث ، وأن له صفحات عديدة فى كل كتاب يبلغ فيها ذروة البلاغة وأحسب أن هذا شأنه كلما أرسل نفسه على السجية ، واجتنب التعمل واتقى الصنعة ، وكان عيبه أن سعة علمه تغريه وتغلبه »

« وكان رأيى فيه دائما أنه أعلم أهل العربية ، وأوسع أدبائها اطلاعاً على علوم الدين ، ولكنه كان لا يجد غيرها ، ولا يستمد الا منها .. وانها لبحر زاخر ، ومحيط عظيم » .

وأحسب أن هذه السطور المضيئة تعتبر بمثابة « رد اعتبار » للرافعى وأدبه، بعد رحيله (١) ، وبعد ما أصابه من قلم العقاد فى كتاب (الديوان) ، الذى أصدره بالمشاركة مع المازنى فى العشرينات ..

وفى وصف (وحى القلم) للرافعى ، يقول الدكتور عبد الوهاب عزام فى ختام مقال له عنه بالرسالة « .. هذا وصف الروض فى كلمات ، لو كانت أزهارا ما مثلته ، ونعت البحر فى سطور ، لو كانت أمواجا أدركته .. فأما الروض فى بهجة جماله ، والبحر فى روعة جلاله ، فهما ما خطه الرافعى .. فان شئت فقل جنات فى صفحات ، وعباب فى كتاب .. وان شئت فقل انه العالم فى سطور قد انتظم ، ووحى الهى سمام الرافعى : وحى القلم » .

ولعل أبلغ وصف فى أسلوب الرافعى عامة ، هو قول الزعيم سعد زغلول فى كتاب الرافعى (اعجاز القرآن) : « بيان كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم .. »

وقبله تنبأ الزعيم مصطفى كامل بمستقبل الرافعى الأدبى فقال : « .. وسيأتى يوم اذا ذكر فيه الرافعى ، قال الناس : هو الحكمة العالية ، مصوغة فى أجمل قالب من البيان .. »

كما دعا له الإمام محمد عبده بقوله : « أسأل الله أن يقيمك فى الأواخر ، مقام حسان فى الأوائل .. »

---

(١) نشرت بمجلة « الموظف » عام ١٩٣٧ .

وقد استجاب الله لدعائه ، وأصبح الرافعي أديب الأمة العربية جمعاء ، الذي وقف قلمه على الذود عن آدابها وسمو خصائصها وأخلاقياتها ..

***

وفي مقالته بافتتاحية جريدة المؤيد ، يقول أمير البيان شكيب أرسلان عن كتاب الرافعي (تاريخ آداب اللغة العربية) : « لو كان هذا الكتاب خطا محجوبا في بيت حرام اخراجه منه ، لاستحق أن يحج اليه ، ولو عكف على غير كتاب الله في نواشيء الأسحار ، لكان جديرا بأن يعكف عليه .. »

هذا ، وتأثر الرافعي في الأجيال التي تلت جيله ظاهر بعمق ووضوح ، في نتاج الصفوة ممن أخذوا عنه ، وأقروا بفضله ، كما نلمس ذلك في قول الدكتور عبده بدوي في ذكرى الرافعي :

لست أنسى .. وكيف أنسى وخطوى ... كان من روضك النضير انطلاقه
لست أنسى ــ ولم أزل بعد طفلا ... كيف حاولت في ذراك الطلاقة
كنت أفقا جمعت منه نجوما ... فاذا الليل .. غنوة .. ورقراقة

الى أن يبدع هذه الصورة المعبرة ، بقوله :

انت اذنت بالحروف فصبل ... خلفك الكون ساحبا أشواقه
كل حرف زرعته .. صار يعطي ... أملا في النفوس .. أو اشراقه

وقول محمود حسن اسماعيل مخاطبا (مصر) بعتاب حزين :

لم يطب للنبوغ فيك مقام ... لا عليك الغداة مني سلام !
المنارات تنطفي بين كفيـ ... ـك ويزهو بشاطئيك الظلام

الى أن يقول :

أنت يا مصر واصفحي ان تعبست ... واشجاك من نشيدي الملام
قد رعيت الجميل في كل شيء ... غير ما احسنت به الأقلام
.. لم يمت من طواه في قلبه الشو ... ق وغني بذكره الاسلام

ولعل في مبادرة الهلال بتكريم الرافعي في ذكراه الثالثة والأربعين ما يرضي روح الشاعر الراحل .. ويطيب لنا في ختام هذه الكلمة العجلى أن نطرزها بما نقتطفه من أوابد الرافعي النثرية ، التي « لا يبلغ شأوها في دقة التعبير وابتكار جليل المعاني » كما يقول محب الدين الخطيب ..

يقول الرافعي في (أوراق الورد) مخاطبا العطر :

« أيها العطر ، كانت أزهارك فكرة من الحسن ، توثبت وطافت زمنا على مظاهر الكون الجميلة ، كي تعود آخرا فتكون فن الحب ، وفي ذلك مازجت الماء العذب ، ولامست أضواء القمر والنجوم ، وخالطت أشعة الشمس ، واغتسلت بمائة فجر ، منذ غرسها الى ازهارها .. لتصلح بعد ذلك أن يمس عطرها جسم الحبيبة ، ويكون رسالة حبي اليها ..

أيها العطر ! لقد خرجت من أزهار جميلة ، وستعلم حين تسكبك هي على جسمها الفاتن انك رجعت الى أجمل من أزهارك ، وانك كالمؤمنين ، تركوا الدنيا ولكنهم نالوا الجنة ونعيمها .. »

ويقول في ذكرى صوت مقرىء ، كان قد استمع اليه في حداثته ، قبل أن يفقد حاسة السمع نهائيا ، بعد ذلك :

« وسمعنا القرآن غضا طريا ، كأول ما نزل به الوحي ، فكان هذا الصوت الجميل يدور في النفس كأنه بعض السر الذي يدور في نظام العالم ، وكان القلب وهو يتلقى الآيات ، كقلب الشجرة يتناول الماء ويكسوها منه .

واهتز المكان والزمان ، كأنما تجلى المتكلم سبحانه وتعالى في كلامه ، وبدا الفجر كأنه واقف يستأذن الله أن يضيء من هذا النور » .

إلهام مصر

• د. محمد عبد المنعم خفاجي •

مهداة الى روح الشاعر : « صالح جودت » فى ذكراه الرابعة ...



صالح جودت

شعرهُ سار فى ضمير الزمانِ
سار أنشودة بكل مكانِ

رددتهُ دنيا العروبة ، لحنا
ثائر الروحِ عبقرىّ المعانى

احتوى كلّ خالد وسرىّ
ورفيع من لبعة الإيمانِ

من نداء الوجدانِ من ثورة الحـ
ـبِّ سَما ، من حرية الإنسانِ

صيغ من روح الشّعب ، من تالدِ المجـ
ـدِ ، تغنّيه مصر والهرمانِ

وأبو الهول رابضٌ أسكرتْه
نشوة السّحرِ من رحيق الدنانِ

كان لحناً للحبّ ، للوطنيّا
ت ، وللمجد ، ليس كالألحانِ

هو وحىُ الآلامِ والأمل البا
سمِ والنورِ والجوى والحنانِ

هو من ذوبِ مهجةٍ أحرقتْها
فى هوى الغيدِ لوعة الحرمانِ

كان أنشودة لمصرَ جميعا
فى انتصاراتها ، وفى الأحزانِ

صوّرتْ بنت رقّة شعر (شوقى)
و « زهير » ، والسّحرَ مِن « حسّان »

ولموسيقاه حلاوة شعر « المتنبى »

و « مسلم » و « ابن هانى »

فى أبولّو تألّق الشاعر الحر

كما قد تألق الفرقدان

أبدا عاش وهو فى نضرة العمر

المتجلّى ، وفارس الميدان

جاد شعرا ، وجاد نثرا ونقدا

فقصب السبق حاز عند الرهان

صالح أنت لم تمت ، أنت حىّ

فى نضير الشباب والعنفوان

شعرك الرائع الجميل صداه

ليس يفنى على مدى الأزمان

فى الحمى ، فى الأردن ، فى السودان

فى الربى ، فى الحجاز ، فى لبنان

صالح ، أنت لم تمت ، أنت حىّ

فى ضمير الأجيال والأوطان

كل ما كتبته سوف يحيا

بعدنا خالد الرؤى والبيان

وبإلهام مصر عاش الذى قد

كتبته يراعة الفنان

شاعر فذ قد فقدناه بالأمس

وكم صال صال فى الميدان

فالأسى ملء كل قلب ودار

ليس تنسى مصر ابنها المتفانى

ابنها البرّ من مواقفه كانت

نضالا مواقف الشجعان

ابنها من كانت بلاغته تحـ

ـكى جلال البيان من « سحبان »

صالح أنت لم تمت أنت حىّ

خالد الذكر فى ضمير الزمان

أنت فينا والخلد رفقة عمر

لسنا صاحبين ، بل أخوان



ماذا تفعل لو وقعت بك السيارة فى الماء ؟

لا قدر الله ؟

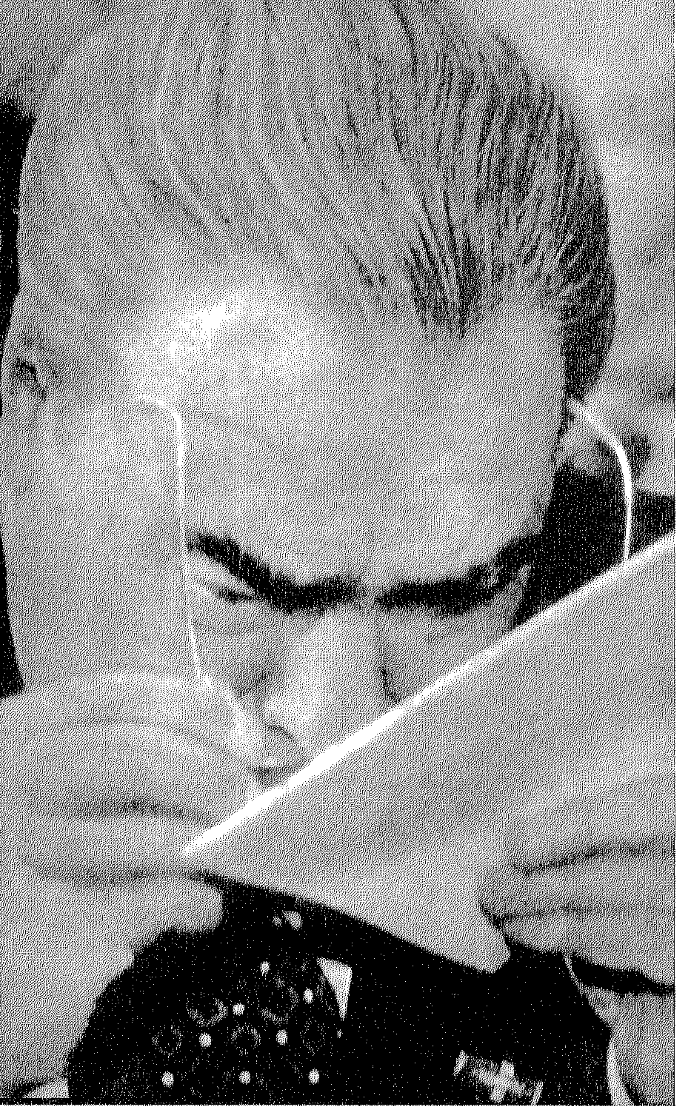
ولكن ذلك اذا حدث فلا تفعل قط ما كانوا يقـولونه لنا قبلا : اسرع باغلاق ابواب السيارة وزجاجها حتى لا يتسرب الماء ، ثم ياتى الناس لانقاذك ..

هذه النصيحة لو اتبعتها كان فيها الموت المحتوم لأن السيارة اذا استقرت فى قاع الماء فلابد ان يتسرب الى داخلها ، والى ان ينتشلوا السيارة بما فيها يكون كل من فى السيارة قد غادروا هذه الدنيا ..

انما الذى ينبغى ان تعمله هو ان تسرع بانزال الزجاج والخروج من نافذة السيارة قبل ان تصل الى القـاع ، وحتى لو غاصت فى الماء فان الخروج من النافذة ليس بالعسير .

واذا كنتما اثنين فلتخرجا فى وقت واحد وكل واحد منكما من جهة حتى لا يختل توازن السيارة وتميل على جنبها وينعدم الأمل فى الانقاذ .







ومع ذلك يُدبر مذبحة أفغانستان!

الصور التى تراها على هاتين الصفحتين تصوران قيصر روسيا ليونيد بريجنيف كما هو اليوم . رجل مريض لا يستطيع الوقوف على قدميه .

ومع ذلك ، وفى هذه الحالة الاسيفة يدير السيد بريجنيف مذبحة شعب كامل هو شعب افغانستان . يصدر الاوامر بقتل الالوف وتشريد الالوف ومحو شعب كامل من على الخريطة ..

حقا ان الشيوعية لا رحمة عندها ولا دين ..

ومع ذلك فلا يزال هناك من يؤمنون بها ويعتقدون ان فيها خيرا للانسانية ..





الأميرة تطبخ
في مطبخ بيتها في باريس وقفت الأميرة كارولين تطبخ الطعام لزوجها. وكأي زوج عادي جلس يأكل ما قدمته الزوجة وكل منهما مشغول في همومه. انتهت أيام الراحة وشهر العسل وبدأت الحياة الزوجية بكل متاعبها وروتينها الذي لا يتغير.
وقد قالت المجلة التي ننقل عنها هذا: إن ذلك يدل على ديمقراطية الأميرة وبساطتها.. فها هي في المطبخ تظهر كأي زوجة. ويمكننا أن نقول: وأي مطبخ! انظر إلى جمال كل قطعة فيه: الموقد والحوض والمعلقات والقاشاني الأسود الجميل.. كل هذا يشرح القلب ويجعل العمل في المطبخ متعة لا تعادل..
وشيء آخر استلفت نظرنا: هذا المطبخ فسيح.. لكنا لو كان في المطبخ الآن خمسة أولاد كل منهم يلعب ويجعل المطبخ جحيما لا جنة..
ملاحظة يسيرة نهمس بها في آذان الذين قلة الأولاد أو تأخرهم في الوصول على الأقل حتى يذوق الأب والأم شيئاً من طعم الحياة..

يخلق من الشبه إثنين !!

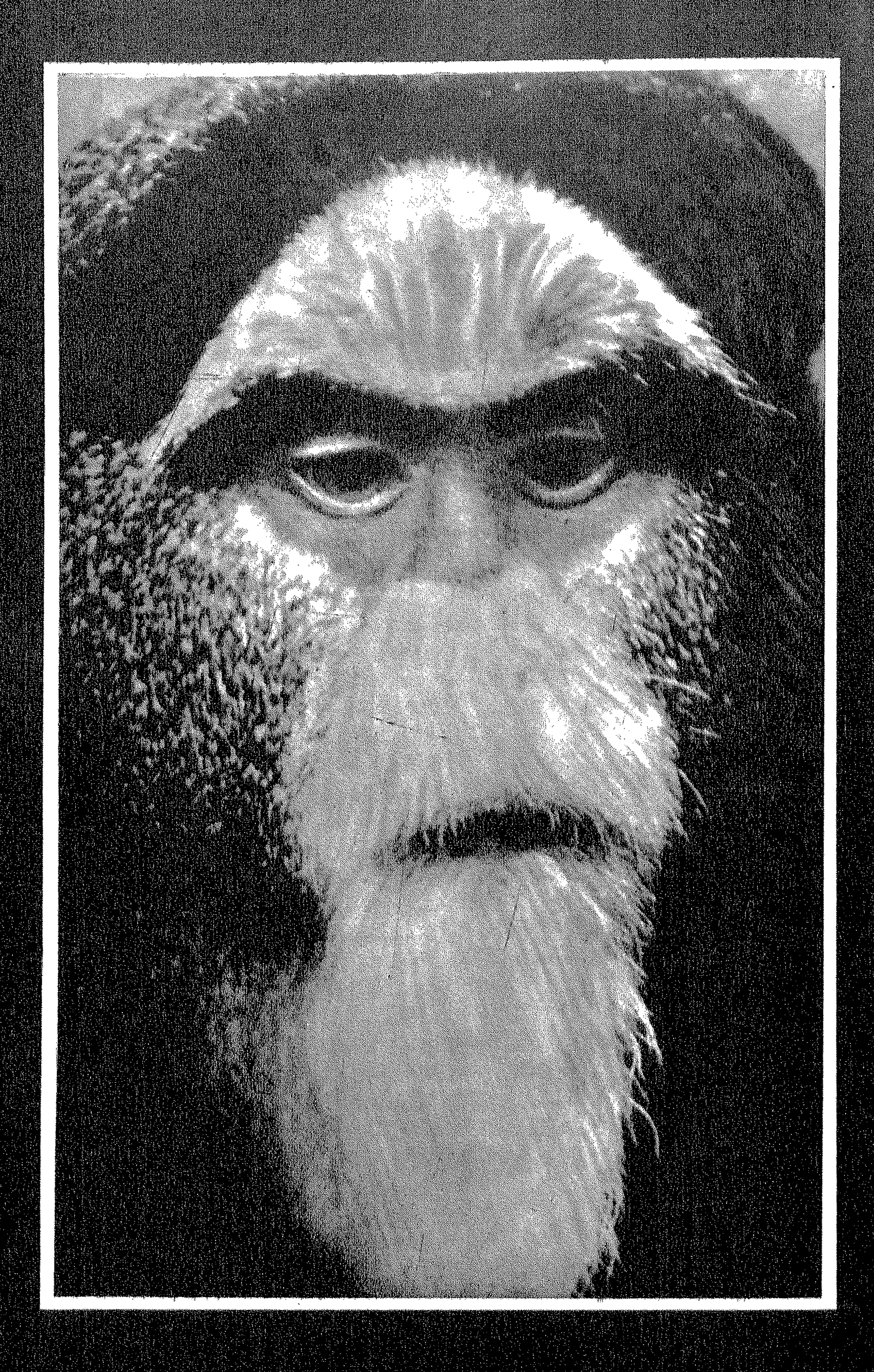


هذه الصورة الا تذكرك بوجه تعرفه ..
ان هذا القرد يتساءل : ما هو الشيء الغريب فى وجهى الذى يجعل كل من يمر بى يطيل النظر الى ..
واظنك تعرف الجواب ..

فهذا الوجه يشبه وجه شخصية سياسية كبرى يتحدث عنها الناس جميعا الآن .. شخصية تهز الدنيا وتثير مشكلة من اكبر مشاكل العصر .. اتعرف من هو .. وما هى المشكلة . !

وصاحب هذه الصورة قرد فى حديقة حيوانات ميونيخ ، وقد لاحظ الحراس أن زوار الحديقة يتزاحمون على قفص ذلك القرد ويتضاحكون . وعندما تامل الحارس وجه القرد ملكته الدهشة من انه لم يتنبه الى أن ملامح ذلك القرد تشبه هذه الشخصية السياسية التى يرد ذكرها كل يوم فى الصحف فأبلغ ادارة الحديقة فلم يصدق المدير عينيه ، والتقطت للقرد هذه الصورة التى نشرت فى اكثر من صحيفة المانية . وقد نصح بعضهم بتشديد الحراسة على القرد المسكين مخافة أن يخطىء بعض المهاويس ويفكر فى الاعتداء على القرد أنتقاما لما يحدث للرهائن الامريكيين .





قضايا !!

• محمد برهام •

ماتت الأسماك إلا ذكرا — فى دثار الخوف يمشى يتصبح

بنقر الحوض بأقصى جهده — علّ بابا لهروب يفتح

ترك الهم عليه مسحة — بعد أن كان سعيدا يمرح

مانجا من دهشة أثوابه — وهى ليست لحداد تصلح

يا رفيقى اقبل عزاء صادقا — مدة فى عمرك ربه يفسح

دمعة الحزن إذا ما أسبلت — قيد الصبر برفق تمسح

إننى والأهل كنا أسرة — فابق فى « الركن » ، لماذا تنزح

عالم أنت ، وإنى عالم — بعضنا من بعضنا يستروح

لك أرنو ثم ترنو إن نضق — صدر كل من بصيص يشرح

فرجة تكمن فى طياتها — فلسفات وقضايا تطرح !

قد حبسناك بحوض زينة — إن حسنا فائقا قد يفضح

لونك الأرقط أغرى صائدا — مثلما يغريه طير يصدح

لقمة للشكر جرت لقمة — قد غدا الشاكر منها يرزح

إننى اخترتك تغدو سابحا — فى جوارى ، وخيالى يسبح !

فكلانا يا رفيقى قصة — من رؤاها يتغذى المسرح

مـنـاجــاة ..

● عبد المنعم الانصاري ●

يا حبيبي أنا خلْفَ الشَّوقِ واللهفةِ ساهرْ
لبِستْ نفسيَ من أجلكَ أثوابَ مسافر .
وبقلبي ظمأٌ يغلي ... كما البركانُ ثائرْ ...
فإذا ما ظهرتْ منكَ لعينيَّ بشائر !!
فسأطوي نحوكَ البيدَ واجتازُ المخاطر ..!

***

وبوهنج من تباريح ظنوني وهمومي ...
تهتدي مركبةُ اللّهفةِ في الليلِ البهيم .
بي إلى قصرِكَ في ظلِّ الدَّوالي والكروم .
وأناجي بابَكَ الفضيَّ وافرحْ بقدومي !
كل ما حوْلي يا ويلي خرافي مثير ..

***

إيهِ ياعطرَ حبيبي ، إنني سوفَ أطير !
ويذوبُ القلبُ مني في خضم من عبير
قدْ خطايَ الآن يا عطرُ إلى البَهْو الكبير
هأنا أقبلتُ من تيهي ياحبِّي الأخير ؟

***

حاملا أشواقَ عمري وحنيني في يديه
ظمأ القلبِ الذي يهفو للقياكَ وريّه !
أغنيات صُنعتها من فرحةِ اللقيا تحيّهْ
وظللتُ العمرَ أشتاقُ لأن تصغي اليّه
وعلى عُوديَ تبكي نغماتُ الأبديّه !

***

آه كم بت أصلّي لك كي تسمعَ منّي
عندما يصدحُ قيثاريَ بالشدو المرن
غير أني لم أكن أدركُ ما يقصيكَ عنّي
لكن اللحظة جاءت ورأت نوركَ عيني
فأنا بين يديك الآن يا حبّي أغنّي !

* سيدات * في بلاط صاحبة الجلالة.. الصحافة

● حافظ محمود ●

الهدايا اكثرها من الرجل ، واكثرها للمرأة ‥ ويبدو أن هذا أمر طبيعي لأن حواء كانت أولى هدايا الحياة لآدم ، فظل آدم وسيظل دائما يقدم الى المرأة الهدايا نظير هديتها ‥

وأنا اقدم قصة المرأة المصرية في بلاط صاحبة الجلالة الصحافة هدية للمرأة المصرية التي قد لا تعلم انها سبقت الكثير من الرجال الى العمل في الصحافة ‥

ان الصورة المتداولة عن العمل الصحفي في مصر تشير الى أن الخطى الأولى في مسار هذا العمل كانت للرجال فقط ‥ وهو رأى يبدو صحيحا اذا أخذنا الأمور بظواهرها ‥ فالرجال هم الذين كانوا ينشئون الصحف ويحررونها ، وهم الذين نظموا العمل الصحفي سواء عن طريق نقابة الصحفيين أو غيرها حتى أن السنة الأولى في تاريخ النقابة لم تشهد انضمام امرأة واحدة الى جدول الصحفيين رغم وجود الصحفيات العاملات في الأربعينات . لكن هذه الصورة تحتاج الى تصحيح غير جذرى اذا رجعنا ثم راجعنا تاريخ الصحافة المصرية .

محررة من عهد الحريم

ان القصة تبدأ في أواسط القرن التاسع عشر ولم تكن هناك صحافة مصرية لا للرجال ولا للنساء غير صحيفتين معروفتين (وانا هنا اتحدث عن الصحافة التي تنطق باللغة العربية)

● الجريدة الرسمية التي تصدرها الحكومة ، وهي جريدة « الوقائع المصرية » التي بدأ ظهورها في سنة ١٨٢٨ .

● وجريدة « السلطنة » التي كانت تصدرها في مصر ، من وراء ستار حكومة الخلافة العثمانية لتحاول بها أن تصد تيار الرغبة المصرية في الاستقلال عن دولة الخلافة ‥ وقد بدأ ظهورها في ١٨٥٨ .

ومع احترامي لآراء اصدقائي أساتذة الصحافة الا أنني اعتبر الصحافة « الرسمية » شيئا اضافيا على تاريخ الصحافة ، وان الصحافة اصلا هي صحافة الشعب ‥ وصحافة الشعب في مصر قد بدأت وجودها بالاذن الصادر للاستاذ « عبد الله افندي أبو السعود » بأن يصدر لحسابه بمدينة الاسكندرية جريدة « وادى النيل »

هذا الاذن قد صدر من الخديو اسماعيل في سنة ١٨٦٦ ، وصدر العدد الأول من هذه الجريدة في يوليو سنة ١٨٦٧ ‥ وهنا تبرز المفاجأة الصحفية المثيرة .

ففي سنة ١٨٦٥ أى قبل الخطوة الأولى للصحافة الاهلية في مصر بأكثر من سنة **فكر الدكتور « محمد على البقلى باشا » كبير أطباء مصر اذ ذاك في اصدار أول مجلة عربية متخصصة ، وكانت**

روزاليوسف



هدى شعراوى



امينة السعيد

متخصصة بطبيعة الحال ، فى شئون الصحة والعلاج ، وقد اختار لها اسم « يعسوب الطب » .

لكن هـذه ليست المفاجاة .. المفاجاة هى ان يدا واحدة قد امتدت لمعاونة الدكتور البقلى فى تحرير هذه المجلة ، وكانت هذه اليد ليست يد رجل انما هى يد السيدة **« جليلة تمرهان » .. وهذه هى هديتى للمرأة المصرية فى تاريخ الصحافة المصرية .**

كيف كانت السيدة جليلة تمارس هذا العمل فى عصر كثر فيه اللغط حول تعليم البنات ؟

اننى أذكر من أحاديث جدتى الكبيرة ان زوجها ، وهو جدى الاكبر . أرسل احدى بناته لكى تدخل مدرسة البنات فى حى السيوفية مع عشرات أخر من بنات المسئولين فقط . وذات صباح قابلها أحد أصدقاء والدها وهى فى طريقها الى المدرسة محجبة يتبعها تابع من « الأغوات » فاذا به يردها بالقوة الى بيت أبيها ، ويقسم انه سوف يقاطعه اذا أصر على اعادة أبنته الى المدرسة فأن تدخل سيدة فى هذا الجو ميدان الصحافة ، وتكتب باسمها المقالات كان شيئا فريدا فى نوعه .. شيئا جديرا باعتزاز المرأة المصرية بدورها فى تاريخنا الصحفى !

مقدمات صحافة نسائية

لم تتكرر قصة السيدة « جليلة تمرهان » سريعا ، لأن الصحافة الاهلية فى مرحلتها الأولى كانت صحافة ثورة وحرب ومواقف كثيرة التصاخب الى أن استقرت الأمور بعض الشىء مع بداية تسعينيات القرن الماضى .. فاذا بفتاة شجاعة أخرى تحاول أن تسهم مع المسهمين فى ميدان الكتابة الصحفية ، فلما لم تستطع أنشأت أول مجلة نسائية متخصصة ، هى مجلة « الفتاة » وكان ذلك فى سنة ١٨٩٢ .

وطبيعى أن هذه المجلة ، على قصر عهدها ، كانت مجلة مقفلة على النساء المتحجبات .. لكن ما كدنا نصل الى سنة ١٨٩٦ حتى تصدت لارادة التغيير سيدة أخرى من أنصار مجلة « الفتاة » فأنشأت مجلة أخرى تعلن الانفتاح الفكرى بين الجنسين .. هذه السيدة هى « الكسندرا أفرينو » التى ساعدتها هويتها على ذلك ، وقد سمت مجلتها باسم « أنيس الجليس » .

وللحقيقة العلمية أو التاريخية يتعين أن أقول بأن هذه الخطى النسائية الثلاث فى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة كانت بمثابة المقدمات .. وان الصحافة النسائية المتكاملة فى مصر قد ظهرت بظهور مجلة « فتاة الشرق » التى أصدرتها السيدة « لبيبة هاشم » فى سنة ١٩٠٦ .

ندوة « فتاة الشرق »

لم تكن مجرد مجلة ، انما كانت ندوة فى مجلة ، فالسيدة لبيبة هاشم كانت فى الواقع هى خط الدفاع الأول عن « حقوق المرأة » بالقدر الذى كان يطيقه عصرها .

لقد ظهرت مجلة « فتاة الشرق » فى

أتون الصراع الذى كان محتدما بين قاسم أمين الذى اشتهر بلقب « محرر المرأة » وبين خصومه فى الرأى .. ان هذه السيدة كانت موفورة الذكاء ، فنقلت قضية المرأة من الجانب الذى يدور حوله الصراع ، جانب « السفور والحجاب » **الى الجانب الذى رضيه المجتمع من قبل من رفاعه رافع الطهطاوى حينما نادى بتعليم البنات .**

كانت ندوة مجلة « فتاة الشرق » تدور كلها تقريبا حول حق المرأة فى التعليم والتثقيف . وشغل الوظائف التى تتصل بذلك . فنجحت ، وازداد نجاحها حين تبنت فكرة « التعليم الاهلى » وهى فكرة نادى بها عبد الله النديم من قبل بالنسبة للذكور ثم تاه نداؤه فى خضم احداث الثورة العرابية وما تلاها ــ حتى ظهرت الفكرة من جديد على صفحات مجلة « فتاة الشرق » وفى ندوتها ، لكن لتعليم الجنسين .

وقد استطاعت مجلة « فتاة الشرق » أن تكون لها رأيا عاما محدودا ،هو الرأى العام الذى ساعد الحركة النسائية الشاملة التى فجرتها الزعيمة هدى شعراوى فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ واقامت لها « الاتحاد النسائى » فى سنة ١٩٢٣ .

صحافة نسائية بالفرنسية

ويشاء القدر الا تخلو النهضة النسائية ، بزعامة هدى شعراوى من جانب صحفى ، وقد كان شيئا تقدميا بالنسبة لما قبل ستين عاما أن ينشىء الاتحاد النسائى جهازا اعلاميا لحركته باصدار مجلة « المصرية » سنة ١٩٢٥ التى أشرفت على انشائها وتحريرها بالفرنسية والعربية الأستاذة سيزا نبراوى التى نذكرها فى هذه المناسبة بما هى أهل له .. وقد ظلت هذه المجلة تصدر بانتظام زهاء خمسة عشر عاما ، واعجب بهذه المجلة باحث جامعى من المانيا ، فوضع فيها كتابا أحرز به درجة الدكتوراه فى الصحافة من جامعة برلين .

لقد كانت مجلة « المصرية » وحيا يوحى لفتاة مصرية ثائرة كانت تدرس القانون فى فرنسا ، وهى المرحومة منيرة ثابت،فما أن حصلت على درجة الليسانس فى سنة ١٩٢٧ حتى شرعت فى تحقيق **حلمها العريض بانشاء جريدتين « عربية وفرنسية » وقد صدرتا باسم « الأمل فى سنة ١٩٢٧ بمعاونة الصحفى الكبير عبد القادر حمزة باشا منشىء دار « البلاغ » وكان لهذه المعاونة أثرها فى التحول بالجريدة الفرنسية الى جريدة يومية سياسية .**

لم تعش الجريدة الفرنسية «ليسبوار» طويلا ، أما زميلتها الاسبوعية العربية ، وهى جريدة « الأمل » فقد ظلت المرحومة منيرة ثابت تكافح كفاحا مريرا لاستمرار اصدارها فلم تتوقف الا بوفاة السيدة منيرة فى منتصف الستينات .

قصة روز اليوسف

كانت الصحافة النسائية فى مصر الى ذلك الحين صحافة رأى يدور حول قضايا المرأة وطنيا وسياسيا واجتماعيا .. لكن هذا الوضع تغير بدخول السيدة فاطمة يوسف «روز اليوسف» فى ميدان الصحافة سنة ١٩٢٥ بانشائها مجلتها التى عاشت عاما على فن النقد فى مجالى الأدب والمسرح . ثم تحولت بها الى مجلة من الطراز الأول للخبر والكاريكاتير السياسى البحت ..

والسيدة روز اليوسف هى أول مصرية تنشىء دارا صحفية تصدر عنها المجلات والكتب ، وتتلمذ عليها فوج كبير من الصحفيين الجدد ، وفى مقدمتهم نجلها احسان عبد القدوس .

ان هذا الكلام يتردد كثيرا ،لكن الاهم منه فى نظرى أن روز اليوسف كانت قصة كفاح نادرة المثال .. يكفى أن صحيفتها كانت أول صحيفة ينعقد بسببها حزب الأغلبية فى منتصف الثلاثينات ليقرر انفصالها عنه ، ولقد **كان الذى ينفصل عن هذه « الأغلبية » فى الماضى يكتب بيده شهادة وفاته سياسيا**

لكن السيدة روز اليوسف استطاعت أن تصمد طويلا .

ولعل السيدة روزاليوسف هي أول وآخر صحفية من الجيل السابق دخلت السجن اربعة أيام في محاولة من السلطة لتغير رأيها ، لكنها لم تتغير .. وربما لم تكن هذه الأيام الاربعة في السجن هي الهول كله في حياتها الصحفية .. لقد رات أهوالا أخرى أشد قسوة كالجوع والحرمان والافلاس .أفلست روزاليوسف الانسانة ماليا اكثر من مرة .. لكن صحيفتها لم تفلس يوما واحدا ، لأنها كانت تفضل صحافتها على احتياجاتها الخاصة

قصة كفاح امينة السعيد

وهنا لابد أن أنتقل من الصحفيات مالكات الصحف الى الصحفيات المحررات فأجدني وجها لوجه أمام الزميلة الجليلة الاستاذة أمينة السعيد .

كان شيئا عجيبا أن تدخل فتاة مصرية دارا صحفية لتعمل مع الصحفيين في مكاتبهم .. كان هذا شيئا عجيبا في منتصف الثلاثينات حينما تجرأت الفتاة أمينة السعيد طالبة كليةالآداب وخريجتها على العمل في جريدة « كوكب الشرق » كما تجرأت على العمل في الاذاعة المصرية على عهد نشأتها .. لكن هذه لم تكن الا احدى أولويات أمينة السعيد .

فهي أول « محررة »
وأول رئيسة لتحرير ..
وأول رئيسة مجلس ادارة
وأول صحفية تصاحب رئيس الدولة في رحلاته الخارجية .
وأول صحفية تنتخب ، بما يشبه الاجماع ، عضوا في مجلس لنقابة الصحفيين ووكيلة لهذا المجلس ، وهي اولوية لم تسبقها اليها اية سيدة في المهن الأخرى .

فتحت السيدة أمينة كل هذه الأبواب للمرأة في الصحافة المصرية وفي مجالس النقابات المهنية والعمالية جميعا ..وهذه حقيقة فاخرة ينبغي أن يعرفها الصحفيون والصحفيات جميعا .



منيرة ثابت

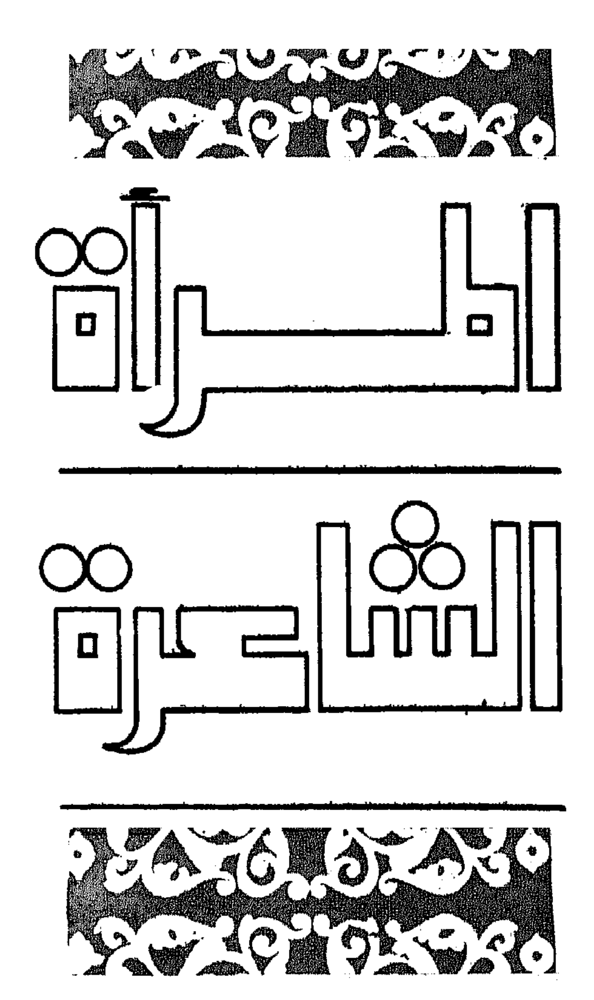
دور آخر للمرأة

الى هنا وأرى أن هذا البحث لن يتم الا اذا ذكرت للمرأة المصرية مواقفها ليس فقط في العمل الصحفي . بل في مساندة لوامع الصحفيين .

نعم ... انني هنا أحني رأسي تحية للسيدة التي شاركت قديس الصحافة أمين الرافعي جهاده الصحفي العظيم .. أمين الرافعي الذي توفي في سنة ١٩٢٧ هو الذي قال عنه الشاعر حافظ ابراهيم « لقد كان أطهرنا جميعا » وقال عنه الشاعر خليل مطران « لقد كان طاهر الجيوب » وطاهر الجيوب هذا كان يملك دارا صحفية تهز رواسخ السياسة هزا ، ومع هذا فقد بحث يوما عن ستين قرشا فلم يجدها ، وعاد الى بيته ليجد فيه **السيدة التي احتملت هذا كله . والتي كانت من أجله ومن اجل الكفاح تعيش على وجبة واحدة كل يوم . !**

ولئن كانت قرينة أمين الرافعي قد بلغت القمة والفداء في سبيل حرية الصحافة التي كانت كل شيء في حياة قرينها ــ فان هناك أخريات .. أمهات وزوجات وبنات كان لهن بعض هذا الفضل .

انا ايضا مدين بالكثير في حياتي الصحفية لزوجتي التي فقدتها منذ شهور وتعلمت منها أن دور المرأة المصرية في الصحافة ليس مقصورا على ما عملته في دور الصحف فقط ، بل وايضا فيما عملته كثيرات صامتات مؤمنات بالصحافة في بيوت الصحفيين .



● د . احمد الحوفي ●

● كانت المرأة ــ وما زالت ــ ينبوع شعر ، ومشرق الهام ، ومجال فن حتى أن مئات من الادباء والفنانين اقترنت أسماؤهم بنساء غرسن في حياتهم ازهارا أو اشواكا كامرىء القيس وعنيزة ، وعنترة وعبلة ، وعروة وعفراء وجميل وبثينة ، وقيس بن الملوح وليلي ، وقيس بن ذريح ولبني وابن الرومي ووحيد ، والبحترى وعلوة ، وابن زيدون وولادة ، وجبران وسلمى كرامة ، والرافعي ومي ، والعقاد ومي ثم سارة ، وتبرارك ولورا ، وبوشكين وغراسيا وجيته وشرلوت . ودانتى وبياتريس ، ولامرتين وجوليا .

هذه المرأة التي ألهمت وأوحت ، وأسعدت وأشقت ، مارست الشعر والنثر منذ زمن قديم ، ومازالت تمارسهما الى اليوم في نطاق اوسع ، وتطور أسرع .

فما الميادين التي جالت فيها شاعرة ؟

وما أبرز السمات التي يمتاز بها شعرها ؟

من السهل علينا حينما نتتبع الموضوعات التي مارستها المرأة الشاعرة أن نذكر منها في الصدارة الرثاء ، والحنين الى الوطن ، والوصف ، والغزل ، والتهنئة ، والمدح ، والابتهال الى الله تعالى ، والتأمل في الاخلاق والحياة .

ثم يطالعنا منها في السنوات الاخيرة تمجيد الامومة ، والاكثار من أغنيات الاطفال ، والاشادة ببطولة المجاهدين ، والتنويه بمآثر الثورات العربية . والتحميس على استرداد فلسطين ، والدعوة الى الوحدة العربية ، والابتهاج



نازك الملائكة

روحية القليني

شريفة فتحى

بالاستقلال ، وامثال هذا مما يتصل بالاحداث المعاصرة التى انفعلن بها ، فعبرن عن انفعالاتهن فى شعر ..

***

أما السمات العامة التى يتسم بها شعرهن فهى كثيرة ، حسبنا منها ما يأتى :

١ ـ يتسم غزلهن بانه مزيج من التمويه والاضطراب والايهام والتخفى فى أزياء يسمينها الكبر تارة ، ويسمينها الدهاء تارة ، فيجى أكثر غزلهن غامضـــا أو مكتوما لكنه يتفلت الى الظهور !

وقد يزعمن أن غزلهن من تدريب القريحة ، أو من المعارضة ، أو من الخيال المحض ، أو من التصوف .

من هذا قول نازك الملائكة :

لا تسلنى عن سر ادمعى الحرى
فبعض السر يابى الوضوحا
بعضها يؤثر الحياة وراء الحسن لغزا
وان يكن مجروحا
لا تسلنى لا تجرح السر فى نفسى
ولا تمح كبرياء سكوتى
لو تكلمت كان فى كل لفظ
قبر حلم وفجر جرح مميت
وتظل الحياة تخلق من وجهى
قناعا صلدا يفيض رياء
جامدا باردا اصما ويخفى

المـــرأة الشــاعـرة



مي زيادة

بعض شيء سميته كبرياء !

***

لا شك أن كثيرا من شعرهن نابع من مشاعر صادقة ومن عواطف جياشة . ولا سيما الشعر المتصل بالغزل والرثاء والامومة ، لانهن أبعـد من الرجال عن مضايق التورط والمجاملات والمناسبات التى قد تضطر الشعراء الى شعر زائف ، وان كان حرص الشواعر المعاصرات على شهود المجامع وعلى المشاركة في المؤتمرات والندوات ، وتنافسهن فى الانتاج وذيوع الصيت يحمل بعضهن على أن يستقين من عواطف ناضبة ، ويستمددن من وشل أو من ينابيع جافة ..

● وشعرهن مقطعات لا قصائد ، لان القصيدة الطويلة تحتاج الى صبر وجهد وعزيمة ، وهن لا يطقن الصبر على هذه المعاناة كما يطيق الرجال .

● وتمتاز قصائدهن ومقطعاتهن بوحدة الموضوع ، وهذه محمدة لهن ، ربما كان مرجعها الى انهن يستغرقن في الموضوع الواحد فلا يتشفعن اليه سواه ، أو الى انهن يسكبن مقدرتهن فى هذا الموضوع ثم لا يلبثن أن يشعرن بتخلف المقدرة وتعذر البيان ، فيكتفين بما قدمن وقلن .

● ويسهل على من يتملى شعر النسوة أن يجد به كثيرا من التعبيرات الانثوية ومن الصور المتصلة بالانوثة ، لان هذه وتلك صدى لحياتهن ولنفوسهن .

من هذا قول روحية القليني :

ســـهرى يا نجم وجـد وحنين ونـواح
ووســـادى وحده يعلم أسرار الجـراح
قصتي بالدمع أرويها على ســمع الوســاد
يكتـم السر أمينـــا حين يبـديه الوداد

● كما يجده حافلا بكلمات متصلة بتكوينهن وبمشاعرهن وبحياتهن وبتجاربهن أكثر من اتصالها بحياة الرجال ، مثل البكاء والدموع ، والانين والتاوه والجراح والصراخ والحنان والاسترحام والشفاه .

تقول شريفة فتحي ذاكرة البكاء والدمع :

وأنا التي أبكي برنة ضحكتي



هيام رمزى　　　عاتكة الخزرجي　　　عائشة التيمورية

فى عبرة تجرى وراء العبرة
فجعلت من دمعى مداد كتابتى

وتقول هيام رمزى ذاكرة الدمع :

كان شعرى دمعه كبرى　　وقيثارا خصيب
دمعة تبكى على الاحـزان　　والوطن السليب

وتقول نازل الملائكة ذاكرة الشفاه :

ورايناها شفاها خوت　　لم تعد تشتكى او تجوع
واكفا ذوت وانطـوت　　لم يعد لاسـاها دموع

وتقول شريفة فتحى ذاكرة الشفاه :

يا زورقا ينساب فى بحر الغرام　　مترنح الخطوات نشوان الهيام
شـبهته بشـفاه ثغر حائرين　　متردد بين البـكاء والابتسـام

أما الصراخ ففى قول نازك الملائكة :

تعذبنى حيرتى فى الوجود　　واصرخ من ألمى من انا ؟

وأما الجرح والجراح ففى قول عاتكة الخزرجى :

اظـل أيا نخلة الشـاطئين　　فـؤادى بافيـائك الحـانية
ولا تنكئى ما بـه من جـراح　　لئلا تكـون بهـا القاضـية !

وأما الاهات والأنات والتوجع والخيبة وما شاكلها فهى كثيرة ، مثل قـول عاتكة :

ويا خيبتى بالناس حـين بلوتهم　　فلله درس ما اشـد واقسى

● على أن شعرهن رقيق التعبير ، لين الاسلوب ، خال من العمق الفكرى ، ومن تفويف الخيال ، ومن توليد المعانى ، ومن الحكمة التى اشتهر بها كثير من الشعراء فى القديم والحديث مثـل المتنبى وشوقى .

وان جنحت الخنساء احيانا الى الجزالة والاغراب ، وحاكت القدماء عائشـة التيمورية فى بعض قصيدها فمالت الى الضخامة والصناعة ، فتوارت أنوثتهـا خلف استار المحاكاة ..

زهرة التيوليب وخطوطها

● ماهر شفيق فريد ●

في مجلة « ايريل » الكندية الصادرة في ابريل الماضي كتب روبرت فوكنفليك ، مدرس الادب الانجليزي بجامعة كاليفورنيا، مقالة عن رواية«راسلاس» للدكتور صمويل جونسون ، وهي رواية لها ترجمتان عربيتان جيدتان ، احداهما بقلم الدكتور مجدي وهبة ، والاخرى بقلم الدكتور لويس عوض في سلسلة « اقرا » . وعنوان المقالة : « زهرة التيوليب وخطوطها » . وهي اشارة الى قول الدكتور جونسون في الرواية ان وظيفة الشاعر ليست هي ان يحصى عدد الخطوط على زهرة التيوليب وانما ان يصف لنا ما تشترك فيه مع غيرها من الازهار، يريد بذلك ان الشاعر احرى بان يركز اهتمامه على العموميات منه على الخصوصيات ، وهو ما يتسق مع مذهب الكلاسيين في القرن الثامن عشر .

ويقول فوكنفليك كاتب المقالة عندما اورد الناقد الانجليزي ليزلي ستيفن – والد الروائية فرجينيا وولف تلك القطعة من رواية « راسلاس» التي اسلفنا ملخصها ، وهي تقع في الفصل العاشر من الرواية ، دعاها « شذرة ربما كانت خاتمتها هي اشهر مقتطف من كتابات جونسون » .

وفي عصرنا دعا الناقد الامريكي و.ك ويمزات هذه القطعة واحدة من قطع جونسون التي لامفر من ايرادها عند الكلام عن ايمانه بالكليات لا الجزئيات .

ومن الافتراضات الكامنة وراء الاهمية التي تعلق على هذا الفصل من رواية « راسلاس » خلال القرنين الاخيرين ما يتجلى في سيرة جونسون التي كتبها سير جون هوكنز حيث يقول : « لقد اعطانا جونسون في هذه الحكاية التي مسرحها الحبشة مايدعوه اطروحة عن الشعر ، واعطانا فيها ما يلوح لي وصفة لصنع الشاعر نستطيع ان نستخلص منها ما ظنه العناصر اللازمة لذلك » .

ويضمر هذا الراى اعتقاداً مؤداه ان شخصية «املاك» في الرواية تنطق باسم جونسون ذاته ، وهو اعتقاد حاول بعض النقاد دحضه في السنوات الاخيرة ، ومصدر القلق الذي يثيره وجود «املاك» في هذا الفصل هو ان بداية الفصل الحادي عشر تقلل من اهمية « املاك» وتلقي بالظلال على سداد ما يعبر عنه من آراء ولهذا السبب عاد الناقد ولتر جاكسون بيت في كتابه المسمى « ما حققه صمويل جونسون » الى مخالفة آرائه الخاصة السابقة وعزا الى الفصل اهمية اقل من تلك التي سبق ان عزاها اليه في كتابه المسمى «من الكلاسيكي الى الرومانتيكي » .

ويبقى اخيرا ان نضيف ان الدكتور جونسون قد حظى باهتمام احد اساتذة الادب الانجليزي بجامعة القاهرة وهو الدكتور مجدي وهبة الذي اتخذ منه موضوعا لرسالته للدكتوراه واصدر عنه كتابا بالانجليزية ، كما نشرت عنه بضع مقالات بالانجليزية للدكتورة فاطمة موسى وآخرين في مجلة «دراسات القاهرة » التي كانت تصدر بصفة غير منتظمة عن قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، وانقطعت منذ سنوات عن الصدور .

كأنك لم تكن

● د . على الباز ●

كأنكَ لم تكُن ...

يوما .. حبيبى !

ولمْ يَكُ بَيْننا

يوما .. غَرامٌ !

أتلتقانى ...

تلوح من بعيد .. ؟

وفى شفتيك ..

يَصطنعُ ابتسامٌ !

وكنتَ إذا لقيتك ..

بين صبح

وبينَ الليلِ

قلتَ : أمرٌ عام !

وتخجل إذ تسلمُ

بالأيادى ...

وكنّا بالشفاهِ

لنا .. سلامٌ !

● دكتور على الباز ● من ديوانه الجديد «دقات قلب»

كلما تقدم العلم أصبحت الخرافة تبدو أكثر معقولية مما كانت !

نحن وأمنا الأرض

● محمد الحديدى ●

● لم تعد لدى العلم - بوصفه وسيلة للملاحظة والتجربة واستنباط القوانين - لم تعد لديه « اجابات صحيحة » و « حقائق ثابتة » كما كان يظن ، وكما كان مامولا عندما فرح الناس والعلماء باكتشافاته الاولى .. حتى علم الفيزياء ، الذى يتناول قطعا من المادة الصماء فى الحركة والسكون والتمدد بالحرارة والاصوات والاضواء ، دون الغوص فى اعماق الذرة والتفاعل الكيميائى واشعاع الالكترونات « او محذوفا منه هذا » اصبح يتعرض للشكوك ..

وكم من معتقدات وقوانين « ثبتت » بالتجربة ثم اتضح ان قدرتنا على التجربة والاستنتاج كانت محدودة واننا بنينا كل شىء على افتراضات غير صحيحة .. قوانين نيوتن فى الحركة ، سوف تصمد لأى تجربة ، وفى مجال الهندسة والتطبيقات العملية لاتزال اصلح من اى وقت مضى ، ولكنها - كما اظهرت النسبية وغيرها من نظريات العلم والفلسفة - كانت قائمة على تصور الزمن المطلق والمكان المطلق ، والكتلة الثابتة ، ونحن نعرف الآن أن الزمن والمكان لا يوجد احدهما منفصلا عن الآخر ، وانهما وجود نسبى ، ليست هناك « هوية » لاى زمن ولا مكان ، طبيعة الفراغ او الفضاء هى نفسها لغز محير ، قد لا يكون هناك شىء اسمه الخط المستقيم ولو كان يبدو لنا كذلك !

اما الكتلة ، وهى كمية المادة ، فليست هى الاخرى شيئا مطلقا او ثابتا بل تتغير بتغير السرعة ، والسرعة - ككل شىء - نسبية ، تختلف باختلاف مكان من يحاول قياسها ، الزمن لا يسير بمعدل

ثابت ، ولو ركبت صاروخا فضائيا يطير بسرعة هائلة ، فان عمرك سوف يطول ! لأن الزمن سيسير بمعدل ابطأ ، ولعل هذه من نعم الله على خلقه الذين يريدون السفر الى ارجاء ملكه ، بشيء من التقدم في علوم الوراثة والتحكم في خصائصها ، قد يتسنى ابطاء الشيخوخة واطالة العمر — طبقا للقوانين التي وضعها الخالق — ثم بركوب الصواريخ قد يتسنى ابطاء الزمن . وهكذا يمكن — « للقادرين »على الاقل — ان يمضوا اجازاتهم في مصايف الكواكب الاخرى .

كل تطور جديد في صناعة الميكروسكوب ، يكشف عن تفاصيل جديدة ومثيرة في اشياء صغيرة لم يكن احد يتصور ان لها تفاصيل او انها تنقسم الى مكونات ! .. انه يبدو كما لو انه كلما صغر الشيء كان عالما او كونا مستقلا بذاته يعادل كل ماحوله في تعقيده وتراكب اجزائه ! .. كل تكبير جديد يتيحه نوع متطور من المناظير الفضائية يضيف الاف المجرات السماوية الى قائمة لا نهاية لها من هذه الاجسام اللامعة ، قائمة لم تعد تعني شيئا الا عند الرياضيين .

الاعماق لا نهائية . منذ خمسين سنة كان علماء الاحياء سعداء بانهم يعرفون ان الخفافيش تلتهم الهوام الصغيرة الطائرة .. ثم اكتشفوا ان الخفافش يصدر اصواتا لا يسمعها الانسان ، بواسطتها يحدد موضع فرائسه ، ((رادار)) على درجة عالية من الكفاءة .. ثم اتضح ان لدى الحشرات بدورها — وسيلة للاستماع الى الوحش المفترس وهو يقترب ثم الافلات منه بحيث لايجدها عندما يتلقى اصداء موجاته الصوتية ..بدات الخفافيش تستخدم اسلوب الطيران المتذبذب ، ولذلك تراها تتراقص في الهواء لكي تربك الحشرات . ولكن الفرائس الصغيرة ما لبثت ان تزودت بوسائل التشويش على ((الرادار)) ، وهكذا .. ولا تزال الوطاويط تلتهم فرائسها الصغيرة ونحن نرقب ذلك دون ان ندري ما يجرى وراء ستائر هذه ((الدراما)) المحيرة ! .

وهكذا ، كلما تقدم العلم اصبحت الخرافة تبدو اكثر معقولية مما كانت ، فمن يدري ؟ .. اذا كانت الخرافة هي كل ما لا يتسنى تفسيره بما نعرفه الآن ، فلماذا لا تكون هي علم المستقبل ؟ .. واذا كانت آذاننا لاتسمع صيحة الوطواط وهو يلاحق فرائسه التي يلتهمها دون أن يستطيع انيراها ، فما أكثر مايجرى مما يمكن أن يسمع ويرى ويلمس ، ونحن لا ندري !

● شعرة في فرو ثعلب ●

هناك حياة على الارض ، وهي حياة واحدة ، تضم كل حيوان ونبات على ظهر هذا الكوكب . وقد قسمها الزمن الى عدة ملايين من الاجزاء ، ولكن كل جزء منها ليس الا عضوا في التكوين الكلي ، فالوردة وردة ،ولكنها ايضا ارنب وعصفور ، كلنا من مادة واحدة ، منصهرة في ذات البوتقة .

هناك اثنان وتسعون عنصرا من المادة توجد في الطبيعة ، كما نعرفها على الأرض ، ولكن ستة عشر منها فقط هي التي يتكون منها الكائن الحي ، منها النتروجين والايدروجين والكربون ، واحد منها ، الكربون — يلعب دورا اساسيا في الحياة لقدرته الفائقة على تكوين انواع عديدة من السلاسل والحلقات التي تنشأ عنها تراكيب كيميائية تبادلية كثيرة ، ولكن من بين آلاف التراكيب الممكنة ، فان البروتينات الحيوية كما نعرفها على الارض تتكون من عشرين حمضا امينيا فقط .. فانظر كم شكلا من اشكال الحياة يمكن ان يوجد بالاضافة لما يوجد !

الادهى من ذلك ان انواع هذه البروتينات تأتي في موضعها المناسب ووقتها المناسب لتكون الاعضاء المختلفة واشكال الحياة المتباينة بناء على « برنامج» مسجل في شفرة ، هذه الشفرة يحملها جزيء ، وهناك اربعة جزيئات فقط هي التي تحمل هذه

الشفرة ، مهما كان نوع المركب الحيوى ، سواء كان ورقة شجرة ام شعرة فى فرو ثعلب .

● **قدرة غاية فى الروعة !** ●

يتضح لنا من هذا ان صور واشكال الحياة — حتي بما نعرفه نحن — لها احتمالات كثيرة لم تحدث بعد ،اى ان فى جعبتها الكثير مما لم تخرج به وليس فى علمنا ما اذا كان هذا سيحدث — او حدث فى مكان آخر .

ومع ذلك فالحياة ، حالة استثنائية! .. الكون فى غاية الضخامة وفى حالة يبدو لنا انها لاترحب بوجود الحياة ، كما ان الترتيبات الوضعية التى يجب أن تتخذ أو تحدث تتطلب درجة عالية من التنظيم لا تتفق مع ماحلا لها، واستمرار الحياة يتطلب المحافظة على اوضاع غير مستقرة ، وهي تستمد مكوناتها من البيئة المحيطة بها ، وهذه البيئة مليئة بالاحتمالات وتسودها الصدفة ، ومع ذلك فالكائن الحى يستمد منها الطاقة الغذائية ، والمعلومات اللازمة لاستمرار الحياة ، وهذه هى اكثر الظواهر عجبا ، استخراج « النظام » من الـ « لانظام»، ولكن الحياة تصل الى ذلك بقدرة فى غاية الروعة .

الكون مكان فى غاية الضجيج ، كل شىء فيه عرضة للقصف المستمر من ملايين الانواع من الموجات الكهرومغناطيسية والصوتية ، والحياة تحمى نفسها من هذا الجحيم بما هى مزودة به من صمامات هى أدوات الحس، لقوب صغيرة تسمح بمرور ما هو مطلوب فقط ، وهو مدى صغير من الذبذبات ، ولكن هذه احيانا تكون اكثر مما هو مطلوب ، ولذلك يوجد وراءها جهاز عصبى يفرض مزيدا من « الرقابة » ...

وقد اجرى احد الفسيولوجيين تجربة على قطة بان عرضها لدق مستمر من آلة كهربائية تحدث صوتا متميزا ، استرعى انتباهها هذا الصوت ولكنها ما لبثت ان اعتادته ولم تعد تلقى بالا اليه ، وعندما انقطع ، عادت فاهتمت بما يجرى .. وكذلك نحن ، انت تنام رغم وجود صوت مستمر من آلة قريبة او من السفينة التى تركبها، جهازك العصبى يعتاد هذا الصوت ويرفض ان يلقى بالا اليه، ولكنه عندما ينقطع فانك تصحو فى الحال !..

وقد تنام الأم فى غرفة بعيدة عن غرفة طفلها وهناك صوت رتيب يستمر طوال الليل وهى لاتدرى به فى نومها ولكن الطفل قد يصيح بصوت اخفض منه ، فتصحو فورا ..

الكائنات الحية اذن تنتقى المعلومات من البيئة المحيطة بها ، ثم « تعالجها » طبقا لبرنامج « وهو البرنامج الذى يحقق لها أعلى فرصة فى البقاء » ثم تخرج معطيات هى بدورها مصدر معلومات لأشكال اخرى من الحياة ، وهذا فى ذاته وصف دقيق لما يحدث فى « الكومبيوتر » ، ولذلك فانه ليس من المستغرب ان يتكون لدينا فهم اعمق للحياة فى ذات الوقت الذى نتوصل فيه الى ابتداع « الكومبيوتر».

هذه « التصفية » أو « الترشيح » للاصوات والعوامل الخارجية ، كان تكون شاردا تماما وهناك اسماء كثيرة تنادى وعبارات تقال ، ثم ينادى احد اسمك فينتزعك من شرودك مع انك لم تكن منصتا — تظهر كيف ان الحياة « تفرز » كل هذه الفوضى التى تعج بها البيئة التى نعيش فيها لتستخرج منها الأشياء غير المحتملة — مثلها ، فهى ذاتها نظام يتصادف ان يتكون فى قلب هذه الفوضى ، مجرد شىء غير محتمل.

● **هذه المصادمات الكونية** ●

وجود الحياة اذن احتمال ضئيل جدا فى وسط هذا الكون الذى لايدل منظره عليها ، واستمرارها احتمال اقل .. واضال،ويقل من ذلك احتمالا

الكون مكان فى غاية الضجيج ، كل شىء فيه عرضة للقصف المستمر من ملايين الأنواع من الموجات الكهرومغناطيسية والصوتية، والحياة تحمى نفسها من هذا الجحيم بما هى مزودة به من صمامات هى أدوات الحس ، ثقوب صغيرة تسمح بمرور ما هو مطلوب فقط ، وهو مدى صغير من الذبذبات ..

ماوقع فعلا على هذا الكوكب وهو وجود مليون صورة من صور الحياة ، وهذه ليست الا قمة الهرم الذى يحوى اشكالا اكثر واكثر من التجارب الحيوية التى لم تستطيع البقاء .

من الصعب على المرء مهما كان ميكانيكيا فى تفكيره ـ ان يتصور ان كل هذا جاء بالصدفة ! وهناك عالم فى الوراثة يقول ان هذا هو نوع الصدفة الذى يحدث عندما نظل نلقى بحجر بعد حجر املا فى ان تحدث الصدفة التى تؤدى الى تكوين منزل يصلح للسكنى ! قد تكون الصدفة قد لعبت دورا فى الموضوع ، ولكن لابد ايضا ان فى أعماق كل هذا الى «اللانظام» الكونى « برنامجا » هو الذى ساعد هذه الصدفة على الحدوث .

ولكى نوضح ما نقصده بـ « عدم النظام » فى الكون ، سناخذ تعريفا لاحد الباحثين فى الموجات المخية ،انه يقول ان « النظام » او « القالب »» هو ما تمكن مقارنته بانواع اخرى من نفس الشىء ، يمكننا ان نقارن صورة بصورة اخرى ، يمكننا ان نقارن وجه انسان بوجه انسان آخر ، اما « الشخبطة » التى ياتى بها طفل صغير يعطى فرشاة الوان فانها لا يمكن ان تقارن حتى بشخبطة اخرى ، اذ ليس لها « نظام» او « قالب »

من الواضح ان الحياة شىء متميز فى وسط كل هذه الانفجارات والمصادمات الكونية !

● نحن وهذا الكوكب ●

هل كان يمكن ان نعيش على كوكب آخر ؟

واذا وجد كوكب آخر ، يماثل الارض فى كل شىء ،فهل يمكن لانسان الارض أن ينتقل اليه ؟

بعبارة اخرى : نظام حياتنا، وتكوين اجسامنا والأجهزة الكثيرة التى تعمل بها ، هل هو مستقل بذاته ؟ ام ان الارض التى نتبع منها والتى خلقنا من طينها ، قد تركت بصماتها عليه ؟

هذا هو السؤال ، كما يقول شيكسبير ..

لكى نصل الى ادراك اوضح للسؤال الذى نحن بصدده ، سنتامل احدى محاولات الاجابة عنه ، عالمة انجليزية ، اجرت تجربة مشوقة ، اصطحبت معها عددا من الطلبة الذين تطوعوا لاجراء

هذه التجربة ، اخذتهم الى جزيرة منعزلة فى شمال النرويج ذات صيف حيث يستمر النهار من مايو الى اغسطس ، فالمنطقة القطبية الشمالية تصبح امبراطورية لاتغرب عنها الشمس عدة شهور من الصيف ، كما هو معروف ، متوقفا طول هذه الفترة على خط العرض ، ويقابل ذلك شهور اخرى فى الشتاء تصبح فيها ثلاجة مظلمة تخيف العفاريت !

قسمت العالمة الفتيان الى قسمين يعيش كل منهما منعزلا تماما عن الآخر ، أعضاء احدى المجموعتين يلبسون فى معاصمهم ساعات تدور ابطأ من زمن الأرض الحقيقى ، فهى تعد اربعا وعشرين ساعة عندما تكون سبع وعشرون قد انقضت فعلا ، بينما يظن اعضاء المجموعة الاخرى أن اربعا وعشرين ساعة قد مضت فعلا — طبقا للساعات التى يحملونها — والواقع ان الزمن المنصرم لايتعدى واحدة وعشرين ، وليست لدى اى من الفريقين وسيلة اخرى يشعر بها بحقيقة الزمن الذى مضى ، فالوقت نهار مستمر والشمس واطئة جدا ، فوق الافق بقليل وتلزمها شهور لكى تتحرك من موضعها بشكل يمكن ملاحظته .

مضى الفريقان فى حياتهما ، ويختبر الفتيان ست مرات كل يوم ، وكانت الملاحظات كما يلى :

درجة حرارة الانسان تختلف على مدى اليوم الواحد ، وهى نادرا ماتكون ٣٧ درجة مئوية ، فهى واطئة عندما ننام ليلا ثم ترتفع مع ارتفاع الشمس وتستمر فى الارتفاع مع تزايد النبض وانتاج البول ، الى ان يصل كل هذا الى قمته فى بداية فترة المساء ، ثم تبدأ هذه الانشطة ومعها التمثيل الغذائى ، تهبط الى ادنى قيمة لها حوالى الرابعة صباحا ، هذا اذا لم تكن مستيقظين نذرع غرف النوم ونحن فى عصبية ، لدواعى العمل ، او بسبب الحب ! وقد اوضحت بعض البحوث ايضا ان ثلثى حالات الولادة تتم اثناء الليل عندما تكون اجساد الأمهات فى حالة استرخاء تام .

هذه الدورة ، هل هى نتاج ظروف كوكب الأرض ؟ وهل كان كل هذا يختلف لو اننا عشنا على ظهر كوكب يدور بسرعة اقل او اكثر من هذه ؟

لنرجع الى التجربة التى تجيب عن هذا السؤال : اظهرت القياسات ان ارتفاع وانخفاض درجة حرارة الجسم عند الفريقين تجاوبا بسرعة مع النظام الجديد ، ونظام المعيشة الجديد ، بصرف النظر عن كون اليوم ٢٧ او ٢٣ ساعة ، مما يدل على ان دورة درجة الحرارة تتبع نظام النوم واليقظة الذى يتبعه الانسان ، وكذلك دورة افراز البول ، توافقت مع النظام الجديد ولكن بعد فترة اطول ، بعد حوالى ثلاثة اسابيع كان اعضاء الفريقين يفرزون اكبر قدر من البول فى ذات الوقت الذى تصل فيه درجة الحرارة الى اقصاها ، هذه كلها — فيما يبدو — امور لا دخل لها بضوء الشمس .

ولكن هناك وظائف اخرى ظلت تتبع نظام الاربع والعشرين ساعة ، منها مثلا تبادل الصوديوم مع البوتاسيوم عن طريق خلايا الجهاز العصبى ، وهى وظائف لانريد — ولا يعنينا — ان نخوض فى تفاصيلها مكتفين بالقول بان بعض وظائف جسم الانسان والحيوانات والنباتات يبدو انها تتبع نظام الأرض فى دورانها حول نفسها وحول الشمس وان هذه خواص فيها لا يمكن تغييرها ، هناك ((ميكانيزم)) او ((آلية)) ثابتة تنظم هذا على اساس اننا خلقنا لنعيش فى هذا المكان ، ولا شك ان بحوث الفضاء المستفيضة قد دلت على امور كثيرة من هذا النوع وهناك من قضوا شهورا فى الفضاء .. ربما لو جاء يوم

ينتقل فيـــه انسان الارض ليعيش فى مكان آخر سوف يحدث التطــــور الداروينى اثره عليه ، الا انه لا يمكن لنا الآن ان نحدس ما اذا كان هـــذا سيحدث ، مهما كنا ميالين للقيـــاس على ماسبق .

بل ان بعض العلماء يعتقـــدون ان الدورة السنوية ـ اى دورة الارض حول الشمس ـ لها هى الاخرى اثرها على حياة الانسان ووظائفه البيولوجيـة ، فهناك تغيرات فى الوزن وفى الحـــالة العصبية خصوصا عند المرضى بالعــلل النفسية ، ولكن الاكثر وضـوحا هو ظاهرة زيادة اعـداد الذين يولدون فى مايو ويونية ، اى الذين تحمل بهم امهاتهم فى شهر اغسطس ، ومن السخف ان نتصور ان سبب ذلك يرجع لـــكون اغسطس هو شهر الاجـازات ، فمن الواضح ان الحمل عند الانســـان لا يتطلب معدلا عاليا من « التزاوج » بين الأبوين ، اذا كان هذا التعبـــير مهذبا بما فيه الكفاية ، كمــا وجـد ان الاطفال الذين يولدون فى مايو يكونون ـ فى المتوسط ـ اثقل وزنا بمقدار مائتى جرام تقريبا ، السبب الحقيقى هو ان هناك دورة هورمونية عند النســاء تتبـع ذبذبة لها علاقة بدورة الارض حـــول الشـــــمس « تماما كما ان دورتهن الشهرية تتبع دورة القمر » ومن العلماء من يوجد العلاقة بين المســـألتين » ـ وهكذا فان الانسان ايضا له موســم للتزاوج . ومما يؤكد ذلك ان المسالة تنعكس فى نصف الكرة الجنـــوبى ، فتحدث الظاهرة فيما بين ديســـمبر وفبراير وهى شهور الصيف هنـــاك

وهناك ظواهر عديدة تـدل على ان الحياة التى تكونت على الارض تتكون من خلايا تحمل كل منها فى طياتهــا مايدل على انها من انتاج الارض ، تماما مثل « ختم المصنع » او العـــلامة التجارية ، او يبدى احد علماء البيولوجيا عجبه لعملية خروج الذبابة من الشرنقة وكيف انها تتبع نظام الـ ٢٤ ســـاعة الارضى مع انها ليست مسالة اعتياد ، فهى تحدث مرة واحدة فى حياتها .

● شئنا ام لم نشا ●

نحن نعيش على ظهر كرة منبعجـة مفلطحة من فوق ومن تحت ، ومنتفخة فى احد نصفيها مما يعطيها شكلا يشبه الكمثرى ، وهى تدور من الغرب الى الشرق بحيث تتحرك الأجســام التى على سطحها بسرعة تقـــرب من الف وخمسمائة كيلو متر فى الساعة ، ولولا جاذبيتها الكبيرة لتناثرت هذه الاجسام بفعل قوة الطرد المركزية ، واما السرعة التى تأخذنا بها فى دورانهـــا حـــول الشمس فتصل الى حوالى ثـــلاثين كيلو مترا فى الثانية الواحـــدة ، ولكن هذه السرعات مجرد قيم متوســطة ، فهى تزيد وتنقص بفعل الشـــكل غير المنتظم للارض ، واليـــوم ليس ٢٤ ساعة بالضبط فهو يتغير على مــدار السنة ، كما ان قياس زمن اليـــوم الواحد سيختلف باختلاف موضـــع الذى يقيس ، فاذا اخـذنا الشمس كنقطة ملاحظة فان متوسط اليوم يكون ٢٤ ساعة ، اما بالنسبة للقمر فهـــو ٢٤٫٨ ساعة ، وبالنسبة لنجم بعيـــد يصبح ٢٣٫٩ ساعة .

وشئنا ام لم نشا ، حاولنـــا ام لم نحاول ، فهى تحملنا على ظهرها وتضع خاتمها علينا ، وهى بدورها تنطبـــع بطابع الكون الهائل الذى هى جـــزء صغير جدا منه ، وكما يقول الشـاعر الانجليزى الكسندر بوب :

« نحن كلنـــــا ، لسنا
سوى اجزاء من الكل المذهـــل
الذى جســدته الطبيعة .. »

●

هذا الصوت وآخرون



عبد العال الحمامصى

● محمد قطب ●

● ثمة علاقة غير منكورة بين الموضوع والابداع الفنى ، ذلك لان اختيار الكاتب لموضوعاته اختيار مقصود بحكم المعنى الذى يقف وراءها • والاختيار يحكمه الاطار الفكرى الذى ينطلق منه الأديب والفنان ••ومع تعاملنا مع العمل الفنى، نكتشف ــ فضلا عن الفكر ــ طبيعة الشخصية الفاعلة ، اننا نستطيع أن نتعرف على شخصية الفنان من أسلوبه فى اختيارالموضوعات • فالفنان لا يتناول موضوعه منسوخا من الواقع أو مقتطعا منه . ولكنه يقدم لنا من خلاله وأثناء تناوله فى شكله النسق التعبيرى، معادلا حسيا للمعنى، والوجدان الذى ينطوى عليه العمل بالنسبة اليه كصانع للعمل وخالقه • ومن ثم يضحى التعبير الانسانى الكامن وراء العمل الفنى أقرب العناصر الابداعية الى النفس لما له من قدرة على نقل التأثير بلغة تضفى عليه وحدته وطابعه الخاص •

ومجموعة « هذا الصوت وآخرون » لعبد العال الحمامصى من هذا اللون القصصى المبدع الذى يكشف لنا بشفافية وايحاء الموضوع عن الشخصية الكامنة وراء العمل • فنحن نلمح هذا الاسقاط الذاتى للتجربة على الخارج كموضوع ثم تمازجهما فى نسيج متشابك يبرز المعنى الانسانى الذى يقصده ويعبر عنه• وبداية فان البيئة التى ينطلق منها الكاتب هى بيئة الصعيد التى ينتمى اليهـا ، يحملها على كتفه بما تمثله من تجارب وخبرات ظلت كامنة فى الوعى ، ثم يلقيها فى أتون المدينة بكل ما تمثله من تطور وتناقض وفساد ، وكأنما يتحاور بمحور الطهارة والفساد ليؤكد جدل الداخل والخارج فى ذات الانسان • وتظل مفردات البيئة وشخوصها عالقة فى حالة الاصطدام بين الحلم الدفين الذى يخفيه وبين جهامة الواقع وقسوته •ومن ثم نلمح على شخوص القصص ــ وهى شخوص تكشف شخصية الكاتب نفسه ــ هذه المعاناة والمكابدة وهذا التوق الجامح الى الغد الجميل •

***

فى قصة « البـذور والتربة » كان المنطلق والمكان هو الصعيد ، ثم كان التجريب فى قلب المدينة مع احساس بالغربة قوى «زهقت من الغربة»،أعادنى الشوق لبلدى .. » . . وبطل القصة يواجه بالرفض من كل الأطراف كما كان بطل قصة (الخلاص) رافضا ومرفوضة .. والشخصية فى « الخلاص » متمردا على سطوة العائلة وقسوتها وممارستها

للتهور . لقد وقع البطل فى وهم الفردية والاعلاء من قيمة الطبيعة والايمان بقدرة الانسان على تعديل الكون وصياغته من جديد .

والقصة يتنازعها خيطان يحددان الملمح الخاص بالشخصية ، فهو محب ، لكنه مرفوض فى حبه ، وانسحب الرفض من منطق التحدى الى الخارج فرفض الواقع فسقط فى نزيفه الداخل ، هذان الخيطان يمتزجان فى نسق تعبيرى واضح .

واذا كان الشر يستفحل على مستوى الواقع والأمم فانه مبثوث بكثرة هائلة فى كثير من القصص بالمجموعة . ان هذا لا يعنى ان يفقد الانسان الامل فى الخلاص من هذا الشر ، وليس الامل هو الالحاد ، وانما الالتجاء الى حمى الدين . لقد كان العجوز الاعمى شارة الضوء . التى انارت الطريق . ولان المعنى الكامن وراء العمل لم يكتمل بعد،فلقد احكم الكاتب قبضته على الشخصية وحاصرها على تمردها وقلقها ، وضياعها .. حتى اكتمل له المعنى حين اكتشف سقطته الهائلة .

والبطل المهزوم المقهور ، النازف من الداخل ، ينكر الاديان ويتردد على بيوت الدعارة ، وهو فى كل الحالات هروب وانسلاخ . فى قصة « وسادة فوق القمر » نرى نفس الشخصية فى تجربة جديدة ، خلت من الاسقاطات السياسية، واخلصت للتعبير عن الذات المحبطة . فالبطل يحلم أيضا بأن يكون زعيما ، يعمل « لتخليص الانسانية من تعاستها ويصنع للناس حياة جديدة » وهو المحب المحبط فى حبه ، « انها الان زوجة وأم ، وربما كانت سعيدة » وهو القادم من الصعيد « كنت فى الصعيد .. أمى مريضة » وهو المهزوم النازف الذى يبحث عمن يشابهه علّه يجد لديه نوعا من المشاركة وبعضا من حنان « يا أختى المهزومة .. أنا أيضا تمزقنى الهزيمة » .

ولربما استهوت الغانية وجدان الفنان . فمن يبيع اللذة يموت بها حين لا تكون اللذة هى محور الفعل . ولقد لمسنا عطف الكاتب على هذا النوع من الناس فى مجموعته الأولى « للكتاكيت اجنحة » كما نلمسه هنا .. أهى المزاوجة بين الذات المبدعة الفاعلة وبين الذات الخارجية كمفرد من مفردات الواقع الجهم ؟ .. أهو البحث عن المعادل الحسى المشابه ؟ .. أم انه الانثيال العاطفى ؟ فالوجدان فى جانب كبير منه تعبير انسانى ، والفنان يعيش هذا الوجدان بكل أبعاده وزواياه . والعالم الذى يبيع اللذة ويحصد القلوب لا يخلو من لمسة وجدان باقية تتغلغل فى النسيج الآدمى، وان غلفتها عربدة المكان وصراخ المادة . ومن ثم يكون الفقد قاسيا «انقبض قلبى .. جئت من اجلها .. ذابت فقاعات الشوق السابحة فوق سطح الرغبة .. وكانت تعطيها حيوية التوق .. ذابت »

والمرأة فى قصتى « الاخرس والدرويش » و « البذور والتربة » تشى بعبق التاريخ وخصوبته ، انها الامتداد للنيل والارض السمراء ، هى الثبات الدائم الأبدى وغيرها زائل متحرك .. هى المؤمنة التى تعلو على من يقيلها ولو كان حبة قلبها ، لقد كرمت الغريب ولزوجته راغمة ، وجاء من اهلها من تودد لها لكنها كرهته فقد كان قاسيا الى ان جاء من احبته فارتعشت رغم امتداد العمر تحمل بذرة الامل — انها الجوهر والحضن الدافىء .. انهامصر كما يريد الكاتب لها

وتتحول الشخصية فى تجسيدها المادى الى رمز أسطورى « مكتوب فى اللوح أن النبع لا يجف أبدا .. » هذا النبع الدفاق كان مدخله الى الرمز السياسى . « وجاء أبوك فقتله (أى الغريب) عشقنى فارتكب الجريمة ، ولم يجرؤ احد على اتهامه ، فقد كانت الدنيا تركع لنفوذه.. » ويظل الأمل فى هذه العجوز قويا فقد تصدق ويخرج من رحمها الغلام الخارق الذى سيمحو كل عار الأزمنة ، ويحقق للحالم الواهم فكرته عن العدل . ومن يقرأ الفقرة التالية يقف على الفور على المعنى

الكامن وراءها ٠٠ فالرمز هنا مستخدم باقتدار وبحذر شديد ٠٠ حيث أضحى جزءا من التجربة لا ينفصل عنها ٠٠ انه يذوب فى تركيب الجمل ٠٠ واختيار اللفظ ، ومسرى الشخصية ،

لكن الأمل الحلم لم يتحقق ولا يزال الرمز قائما فسيدة النعمة فى قصة « الأخرس والدرويش » وجدت مقتولة و « المصحف الصغير فى كفها والمسبحة اليسر تتدلى فوق صدرها ٠٠ » وهو نفس الوصف فى القصة السابقة والدرويش صوت النذير يقف ويحذر ويطلب العودة الى مرفا الايمان ٠٠ الايمان هوالخلاص٠ يطالب الدرويش البلدة « ان تغتسل من النجاسة وان تصرع التنين لياتى موكب الحسين القادم من كربلاء وقد تطهرت الطريق من الافاعى » ٠٠وتكون الصدمة قوية فلقد كانت على مستوى الواقع والرمز نعمة وبركة وعطاء وفيضا « يا لضياعكم معشر الفقراء ، منذ اليوم أنتم اليتامى والمساكين بالروح » ٠ انه الاحساس الذى لازم بطل « الخلاص » غربة الروح ٠ ولقد سقط الزوج المهيب بسقوط المراة القتيل ٠٠ فقد كان يبدو متماسكا ، وكان وجودها يضفى عليه شرفا ومنعة «فهى بنت الأسياد ،سليلة العراقة ،موغلة الأصول » ويابى الياس الا أن تنهزم المراة العجوز ، وتجهض وليدها ، الأمل فى الخلاص ، وحلم الاجيال القادمة ٠

والقصتان تتحاوران ولا تمتزجان ، لتظل المفارقة قائمة ، ويظل البحث عن الخلاص واردا ٠ ولأمر ما ــ كانت قصة « التراب » واضحة ومباشرة ، فلم يعد للرمز مجال ، وانسحب الايحاء وتوارى٠ فها هى مصر تستعيد كرامتها وتحصل على خلاصها ٠ ولقد كان البناء رهيفا فى القصص الثلاث ــ يسير فى « سيمترية » واضحة ــ خيط الحدث الذاتى لا يطغى على الخيط الرمزى الكامن وراء التعبير ، حتى تساويا فى الوضوح فى قصة « التراب » ٠

***

ونلحظ على المجموعة صوتا آسيا حزينا ، صوتا يتوافق مع الذات ، ولا مع الزمن ، ولا مع الواقع ٠٠ ويظل عدم التوافق نغمة تسرى من القصة الأولى حتى الأخيرة ، وكأنها تنويعة على لحن واحد٠ يتضح ذلك فى صوره القصصية الثلاث « متعوس الزمان ٠٠ والمشاغبون ٠٠ ولحظة فى عيونهم ٠٠ وهذا الصوت وآخرون ٠٠ » ولقد اقتربت القصة فى بنائها من الصورة والتحقيق والمقامة ٠ وربما كان ذلك مقصودا ، فلقد تناول موضوعاتها فى نحو نفسى واضح وكان الهدف هو ادانة المجتمع فى لهاثة صوب المادة ، وتحلله من كثير من القيم والأخلاق ولقد صدرت عن نغمة نقدية ساخرة وممرورة وهو يعقد مقارنة بين الفنان المؤمن بكلمته ورسالته وبين ظواهر اجتماعية جديدة تئد كل المعانى الجميلة فى الانسان ٠٠ حتى ليصرخ الكاتب ــ وهو نفسه شخصيات الصور القصصية ــ بندمه على مساره الذى ارتضاه فى عالم الفكر والفن ٠ وفى هذه الصور نقف على كثير من حياة الكاتب الخاصة وهمومه المعيشية ٠ ولقد غلب على الصور الواقعة النقدية التى تمثلت فى استخدامه لاسلوب المقامة مثلا كما فى قصة متعوس الزمان ، هذا الاستخدام الذى يسهل امكانية التلاعب باللفظ والنسق المقامى لاستدعاء السخرية والتضاد ٠٠

والكاتب فى الصفحة الأخيرة من كتابه يوقفنا على المعنى الذى حاول أن يصوره فى أعماله كلها ، من المواجهة الحادة بين الانسان الفنان والواقع الجهم ، من

الحلم الذي وأده الغيلان « من ذا يشفيني من مرض عدم التوافق مع هذا الزمن » .

وفي قصصه الثلاث التي وضعت تحت عنوان « أغنيات حزن وحلم » يصل الابهار الفنى الى درجة عالية فالعنوان وان كان ينسحب على القصص ككل الا انها تفردت بالتشكيل الجمالي الخاص بها حيث نلمح الاستخدام العصرى للاسطورة فيصوغها صياغة جديدة مستغلا المغزى العام للاسطورة ، سواء كانت « قابيل » أو « سالومي والنبى يحيى » أو اسطورة الطوفان وسفينة نوح .. الخ وهو فى كل يحاول الافادة من اشاعة الجو التاريخي الذي يلازمها فى بناء تجربة وتشكيل موضوعه وابراز المعنى الكامن وراءها لاثراء المضمون .

وهو يتصرف فى بناء الاسطورة ليستخرج دلالات جديدة ، واعيا تماما بالخيط الفاصل الذى يفصلها عن الواقع ومنطقه . والصياغه الجديدة لهذه العوالم التاريخية تتميز بميزات جمالية واضحة لا تخطئها العين الواعية أمام هذه القدرة الفاعلة في التشكيل ، فهناك الوحدة الخيالية التى ترصد كل المجازات الذهنية فى ضفيرة فنية باهرة لتوحى بالمعنى الرمزى الذى يستقطب العمل ويشع منه مع قدرة هائلة على الامساك بالفورة الانفعالية الجياشة التى يتحرك فى داخلها الحدث والشخصية .. فيؤدى الى التماسك الداخلى للعمل الفنى ومن ثم تتردد على سطحه ويتغلغل فى داخله ايقاع الوحدة والتنوع فيفوح العمل بمزيد من الشعر والغنائية النابعة من صياغة الكلمات والتكرار اللفظى ودوران العبارة ، واصبح للكلمة دورها القوى فهى لا تصف تجربة وانما تنقل التجربة فى صهدها ونفسها الحار ومن ثم تحدث الرجفة الفنية المتواصلة .. حين تقذف بالمتلقى في أتون العصر بتناقضاته وصورة ومشاكله وطموحاته

***

في « قابيل يخنق القمر » يتراوح التعبير بين ضمير المتكلم والغائب والمخاطب ليبين شمولية المعنى وبعثرته على زوايا الموقف والحدث . فالانسان المتحدث يتحول الى « هو » ليعطى التشابك بين الاثنين . وهي محاورة فنية ممتعة تمثلت فيها الجدة في البناء واللغة وتمازج اللفظ كبنية اساسية فى العبارة مع مجرى الحدث ومسار الشخصية ، فاختيار لفظ « صابرة » يوحي بالدلالة الرمزية المصاحبة له يوضحها هذا التعبير الشمولى « انها تدخلنى اغوار أنوثتها ولكنها تلفظنى الى السطح كلما حاولت الاستيلاء على روحها ..» ويظل للبطل في القصة ولعه الشديد بالعدل ومشاركته لآلام الآخرين مثله فى ذلك مثل بقية أبطال القصص

ولا شك أن اختيار يوحنا « فى قصة يوحنا يبشر فى الحانة » — من بطن التاريخ يحمل دلالة المعنى المصاحب ، خاصة اذا علمنا أنه مات مقتولا من أجل راقصة يهودية مترعة بالاثم والفجور .. وهى «كقابيل» تبدأ بالفعل الماضي كمدخل الى استيلاد التاريخ ومزاوجة بين القديم والحديث .. فالشر منذ القديم واحدلكنه يتزيا بازياء مختلفة .

ومع هذه الجهامة التي تواجه انسان العصر فقد تنبأ الكاتب بحتمية الخلاص وبقوة الارادة فى مواجهة الشر وبقدرة الانسان على صياغة حياته وحمايتها وحين يصل الانسان الى نقطة البدء لينفتح أمامه الطريق تسقط البومه، وتكف عن النعيق ويصدح الصوت بالغناء في لغة صوفية (فى قصة الساعة ٢٥) : « طوبى للذين يطرقون ابواب الغد ويرصفون طريق الخلاص ، ويواصلون المسير ويقتحمون المصير » .

في عالم الجوائز العالمية :

الروائية والرواية الفائزة بجائزة جونكور



● محمود قاسم ●

عندما اعلنت اكاديمية جونكور الفرنسية عن فوز الروائية انطونين ماييه بجائزة جونكور لعام ١٩٧٩ عن روايتها ((بيلاجي لاشاريت))لم يدهش لذلك احد في الاوساط الفرنسية .. فلقد تنبأ الكثير من النقاد ومحرري المجلات الادبية بهذا الفوز ، بعد ان نشرت هذه الرواية خلال ذلك العام..

وفرنسا ، تعتبر بحق في مقدمة الدول الشديدة الاهتمام بالجوائز الادبية ، فهناك العديد من الجوائز التي تمنح للعاملين في مجال الادب ، منها جائزة ميديتسي ، وجائزة فيمينا ، وجائزة رينودو ـ الا ان جائزة جونكور هي اكثر هذه الجوائز اهمية .

وقد اسس جائزة جونكور الاخوان ادمون وجول جونكور ، اللذان كانا يكتبان في الادب وبصفة خاصة في تاريخ الفن ، وفي نظريات الطبيعة . كما كانا يكتبان بعض الروايات الادبية في الصحيفة التي كانا يصدرانها باسم « جورنال » .. وعندما مات ادمون عام ١٨٧٠ اوصى ـ مثلما فعل الفريد نوبل من بعده ـ بأن تخصص ثروته جائزة سنوية للابداع الفني في الأدب .

وفي نهاية القرن الماضي ظهرت نواة اكاديمية جونكور، واهم أهدافها «العمل على تشجيع الابداع الأدبي والابتكار والتجديد في الشكل والمضمون والتعبير الصادق عن معاناة الانسان المعاصر ازاء قضايا البشر .. وان تبتعد هذه الاعمال عن الصراعات السياسية والطائفية داخل فرنسا والعالم » .

وقد تطورت اكاديمية جونكور حتى أصبحت جائزتها تلي في الاهمية الاكاديمية الفرنسية .

وهي تضم الان في عضويتها اسماء لامعة في عالم الادب الفرنسي المعاصر، ومنهم ارمان لانو ، وارمان سالاكرو، وميشيل تورنيه ـ ويرأسها الروائي هيرفيه بازان منذ عدة سنوات ..

اما كيفية اختيار العمل الادبي الفائز فتتم عن طريق ترشيح مجموعة من الكتب التي ظهرت في فرنسا ابتداء من شهر اكتوبر الى اكتوبر الذي يليه ، دون محاباة او تحيز .. ويعقد اعضاء الاكاديمية اجتماعات منتظمة يوميا ابتداء من اول اكتوبر حتى الخامس عشر من نوفمبر لاجراء تصفية الكتب المختارة الى ثمانية او ستة كتب .

وفي يوم الاقتراع يجلس اقدم عشرة اعضاء من الاكاديمية ويختار كل منهم الرواية التي يرشحها للفوز فيكتب اسمها في ورقة صغيرة قبل ان يقرأه على الاخرين .

ثم تعلن بعد ذلك فوز الرواية التي حصلت على اكثرية الاصوات ..

وفي هذا العام كانت انطونين ماييه هي صاحبة اعلى الاصوات لترشيحات عام ١٩٧٩ .

وكما يحدث دائما بالنسبة للرواية الفائزة ، فقد اعادت الاكاديمية طبعها،

وكذلك طبع بعض روايات الاخـوين جونكور ، ومنها « الفتـاة اليزا » و « جوميني المتشرد » .

والاديبة الفائزة انطونين مايبه ، هي احدى الاديبات الكنديات الاصل اللائي تنشر اعمالهن بفرنسا التي تعتبر البلد الام لمقاطعة الكويبك ، وخاصـة منطقة الاكادية التي يتغنى بهـا الفرنسيون دائما على انها قطعـة من فرنسا . وقد نشرت انطونين اربـع عشرة رواية باللغـة الفرنسية فيبلادها ثم جاءت بروايتها ((الزواج)) لتنشرها في فرنسا عام ١٩٧٥ ، وفي عام ١٩٧٧ نشرتروايتها الثانية ((احبال منخشب)) فذاعت شهرتها على المسـتوى الجمـاهيرى ، ثم اكتمـل انتصـارها بفوز روايتها ((بيلاجي لاشاريت)) هذا العام بجائزة جونكور .

وانطـونين تسكن في قـرية كنـدية صغيرة تسمى بوكتوش ، عدد سـكانها اربعة آلاف نسمة وتقع على هضـبة مرتفعة امام جزيرة الأمير ادوار — في منزل مطلى باللون الابيض ..

وهي تبدو اكبر بكثير من سـنها الحقيقي (٤٧ عاما) وضحكاتها الدائمة ونشاطها الغريب واشتراكها في الالعاب الرياضية التي تنظمها جماعات القرية — لا تخفي اثر التجاعيد الكثيرة التي تعلو وجهها ..

والرواية الفائزة تدور احـداثها عام ١٧٥٥ في نفس المنطقة التي نزل بهـا جد انطونين الاول في كندا ، وذلك من خلال حياة « بيلاجي » البيضاء التي اطلقوا عليها فيما بعد اسم « لاشاريت» او العربة ، نتيجة لاشتراكها في قيادة احدى عربات الحرب ضد السكانالحمر لتلك المنطقة .

الاحـداث تبـدا في الخـامس من سبتمبر في ذلك العام حينما يتمـكن السير لورانس من شراء عربة وثلاثة ازواج من الجياد البيضاء ، وتحـاول « بيلاجي » ان تحذو حـذوه بشراء عربة مثله . وبدات تدخر القـروش حتى استطاعت ان تجمع هذا المبـلغ بعد خمسة عشر عاما .. وخلال هذه السنوات بدات مشاعر الحنين للعـودة



انطونين مايبه

الى فرنسا ارض الاجداد تراودها .. لكن هناك رحلة اخـري طويلة كانت تنتظرها طولها عشرة اعوام اخـرى اجتازت خلالها بعربتها مسـتعمرات الشاطيء الشرقى حيث تندلع الحروب بين الفرنسيين والانجليز . وكلما طالت هذه الحرب طالت تنقلات « بيلاجى » الى أن تلتقى يوما بالكابتن بورسـار الفرنسي الذى تطارده القواتالانجليزية .. ومن خلال أجواء الحروب والبحث عن الاستقرار تشعر بالحب نحو الكابتن وتستمر رحلتها بحثا عن ارض لهـا ، فلا هيتجد الارض.. ولا تفوز بالرجل الذى أحبته .. فتموت داخل عربتها عام ١٧٨٠ !.

والرواية تقع في ثلاثمـائة وخمس عشرة صفحة .. وقد كتبتهـا انطونين فيشكلروائي عادي ، بعيدا عن الاسلوب التجريبي الذى انتشر في الادب العالمى خلال الخمسين عاما الاخيرة وقد جعلتها تدور في اطار تاريخي كمـا فعل بعض الكتاب الكبار في الفترة الاخيرة مثـل انتوني بيرجيس ، وهنري ترويا ، في رواياتهما عن نابليون وحروب القـرن التاسع عشر .

وانطونين لم تكتب حتى الان سـوى الرواية ، وقد نشرت اولي رواياتها وهى فيالعشرين من عمرها بكندا وعنعلاقتها بالكتابة تقول ((تنتابني الرغبـة في الكتابة عندما اكتشف فجاة انني موجودة .. وانا أعرف ان هـذا ليس بالشيء الطيب ، ولكنه يمثل لي امرا طبيعيا جدا)) ..

الشيخ إدوار.. هام بمصر حبًا!

● عزت محمد ابراهيم ●

● من الحق أن يقـــال أن من المســتشرقين من وقف من المشرق موقف العــــداء ، وافترى عليه الكذب ، وكال لــه التهم جزافا ، وكان عونا لا عدائه واستعبادا عليه ، وطليعة لجيوشــه تعمل فيــه تخريبا واستعبادا .

ذلك حق تدل عليه الشواهد،وتقوم على اثباته الوقائع والدراســـات .

ولكن من الحق كذلك ان من المستشرقين من أحب الشرق ، وضحى فى سـبيله وكان عونا له على اعدائه ، ونصيرا له على ظالميــــه والمتجنين عليــــه ، وقد كان منهم ((بلنــت)) صــــديق المصريين ومحامى العرابيين ، العظيم الإعجاب والتقدير للامام محمد عبده ومؤلف كتاب ((التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر)) .

ولكن لم يكن كمثـــل ((ادوارد وليم لين)) احد فى حبه لمصر، بل فى هيامه بها ، فانما قد وقفت حياته علهيـــــا وادخر جهده لها ، واختارها فى الحياة رسالته التى لا رسالة له فى الحيـــــاة سواها .

وقد عرفته اول ما عــــــرفته ـ فى أولى سنوات الطلب والتحصيل ـ من بعض كتابات احمد امين عنه فى «فيض الخاطر » ، وقد كان شديد الاعــــزاز له ، عظيم التقدير لجهده ،يبادله وفاء بوفاء ، حتى لقد أطلق عليـــــه لقب « الشــــــيخ ادوارد » لمــا كان له من جهد وعناية باللغة العربية ، ولما وضعه من قاموس عربى انجليزى ، ولمــا كان فيه من ميل للاسلام ، حتى لقــد ظن فيه اضماره له وايمانه به خفيـــــة يمنعه من الجهر به اعتبارات .

وحسبنا فى تقدير جهده فى قاموسه ـ « عربى ـ انجليزى » ـ أن نعــرف انه قد توفر عليه مدى أربعة وثلاثين عاما ، فكان جديرا حقا بما كلل هامته من غار المجد ، وبما رفعه اليه من ذرى الاستشراق ، فكان حجة فى مســـائل اللغة العربية ، وموضعا لثقة علمــاء عصره فيها .

اما دلالة حبه لمصر وهيامه بهــــا فهو كتابه « المصريون المحــدثون : شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاســـع عشر » ، وقد ترجمه الى اللغة العربية عدلى طاهر نور ، وأضاف الى ذلــك تاليف كتاب عنه لخص فيه تلخيصـ وافيا سائر كتبه التى لم تنقـــل الى العربية ، وقد صور « لين » فى كتابه مصر فى هذه الآونة تصويرا دقيقا بقلمه وريشته معا ، وقد قاربت رســومه وإشكاله المائة رسم ، تمثل كل واحدة منها زيا من أزياء ذلك الزمان، أو عادة من عاداته ، أو طريقة من طــــرائق الحياة فيه ، على نحو بالغ الدقـــة ، لايكاد يفوته فيها شىء ، ولو استقلت وحدها بكتاب لكان فيها الكثير من الغنى والدلالة ،وكانت وحدها متحفا مصورا على ورق ، وحسبنا من دقة ملاحظته أن تجد رسما لعين مكحلة ، أو قــدم مخضبة بالحناء ، أو غطاء لرأس ، أو زفة لختان وحسبنا من قيمة هــذا الكتاب ان يقرن فى قرن واحد مع كتب التاريخ الاجتماعى التى كتبها المقريزى، وابن تغرى بردى ، والجبرتى ، فهــو حلقه مكملة لحلقاتها ، ودرة غاليــة من دررها ،وما أجدره بالحرص والاهتمام شأن النفائس التى لا يجوز فيها التفريط أو اهمال ..

ولعلى لم احرص على شىء فى فى مكتبتى حرصى على كتابين احدهما كتــاب « لين » فى طبعته الاولى ، ينتقل معى حيثما رحلت وحللت ، فكأنما احمــل بين دفتيه وطنى ، أما الاخر فقــــد كان كتاب«هز القحوف فى شرح قصيدة

ابى شادوف » للشيخ يوسف الشربينى ، فى طبعة قديمة نادرة ، لاحمد امين — كذلك — فضل التعريف به ، وسبق الاشادة بمكانته ، وما أكثر افضاله .

***

وما كان يتيسر لا دوارد لين ان يكتب ماكتب عن مصر وان يصور ماصور من معالمها لولا ماتهيأ له من اقامة فيها ومخالطة لاهلها واتقان للغتها ، ثم اولا وآخرا حبه لها ، ولقد رحل الى مصر ثلاث مرات واقام فيها سنوات ، وتنقل بين مدنها وركب نيلها واعتلى قمة هرمها ، واستمع الى البحارة فى اغانيهم وساعات لهوهم وسرورهم فكتب كل ذلك وصوره فاحسن فيه واجاد ، وافاد وامتع .

ولقد صعد الى قمة الهرم الاكبر على نحو لايقدم عليه الا شاعر او فنان ، وليس — فحسب — بمغامر مقدام ، وقد اختار لذلك هدأة الليل وسكونه ، فكأنما يريد ان يظفر بمتعة لا يشاركه فيها مشارك ، أو كأنما لايريد ان يفسد عليه احد متعته ..

وهبت الريح وقتئذ عاتية تصطفق بجوانب الهرم اصطفاقا فتحدث دويا فكأنها شلال يهدر وبزغ القمر وارسل الى الجانب الشرقى للهرم الثانى ضوءه فاكسبه منظرا ساحرا ..

واشرقت الشمس فارسلت اشعتها على السهل الممتد اسفل الهرم فاظهرته فى أحلى صورة له وابهاها ، واحس هو انه قد راى مالم يره سواه ، وان ماقد تجشمه من تعب لم يذهب سدى .. كان ماراه من اعجب واروع ماتقع عليه عينا انسان فى هذا العالم الفسيح ، على كثرة ما فيه مما يروع ويعجب .

ولا غرابة بعد ذلك فى أن يتوفر على دراسة الاثار المصرية ويوليها اهتمامه وعنايته ، ثم لا يغفل مع ذلك من تاريخ الحقبة التى عاش فيها ، فيتحدث عن « الكتاتيب » وما كان يتلقاه فيها الصبية من دروس ، ويخص الازهر وعلماءه بالكثير من اهتمامه ..

وقد التقى بالشيخ حسن العطار — رائد النهضة الادبية فى مصر الحديثة واستاذ رفاعة الطهطاوى — وذكره مثنيا عليه ، وذكر الجبرتى واشاد بتاريخه العظيم ، وود لو أن كان قد التقى به ، ولكن لم يتح له به لقاء ، فقد مات الجبرتى عقب قدوم « لين » الى القاهرة لاول مرة ..

وقد التقى بالشيخ محمد شهاب الدين ، وكان من الشعراء المعدودين فى زمانه وامتدت له به صحبة ، والتلفت روحاهما ، فكان يأنس لحديثه ويشغف بسماعه ، وشهد له بالفطنة والذكاء ، واشاد بجودة ادبه ورقة شعره .

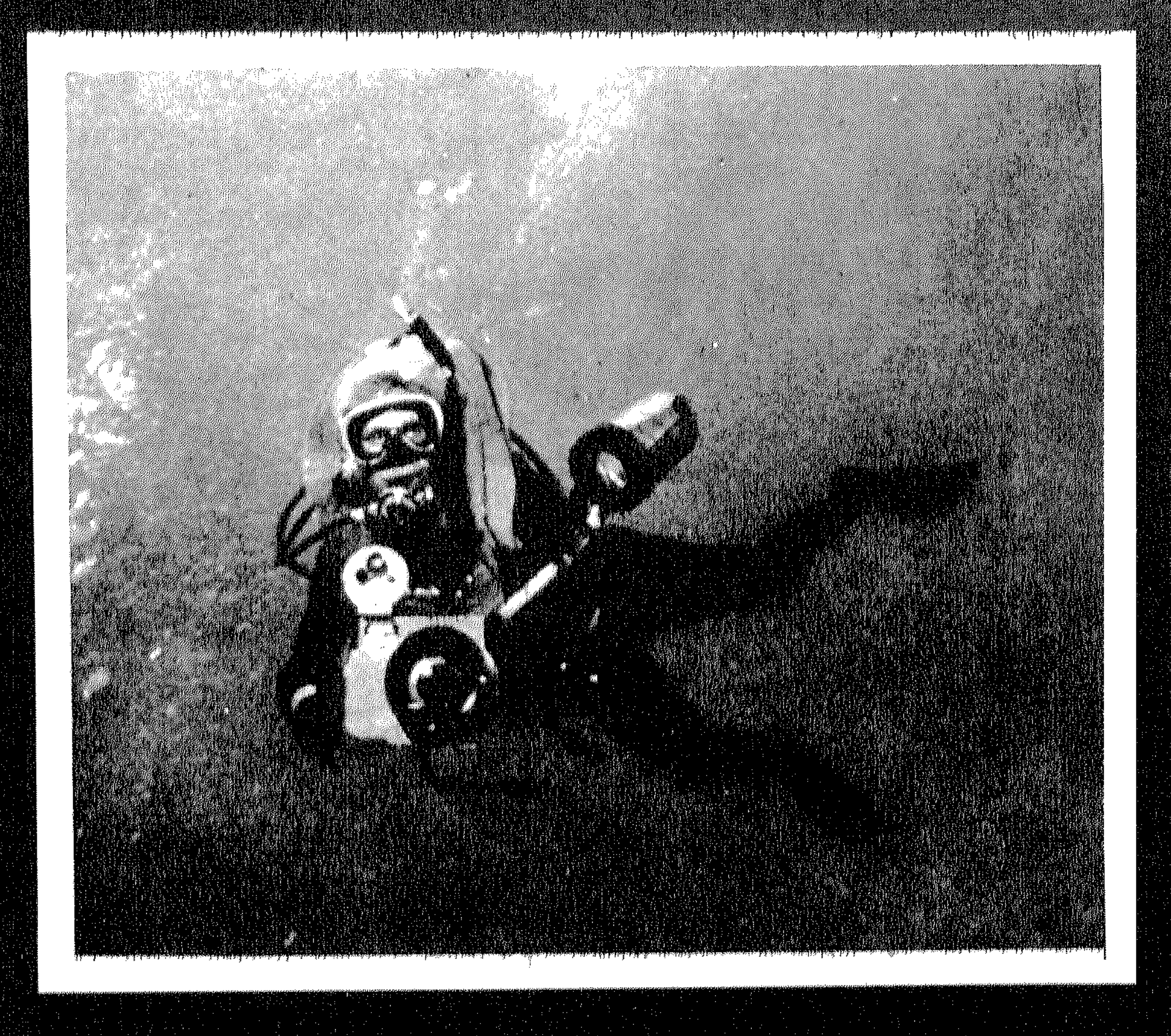
ويضاف الى كتاب « المصريون المحدثون » كتاب « وصف مصر » بالانجليزية وقد تناول فيه صورا طريفة لرؤية هلال رمضان وهلال شوال ويوم العيد ، وقد مضى عليها مائة وخمسون عاما ولا زالت حية فى نفوسنا ، وان كان قد اعتراها تغيير فهو التغيير الطفيف الذى لايمس الجوهر ، والذى كان نتيجة لاختلاف العصر وظهور المخترعات والمستحدثات ..

يقول : « اعلنت مدافع القلعة عصر ذلك اليوم بعد رؤية الهلال انتهاء الصيام بانتهاء اليوم ، وأعيد اطلاقها فى المساء ، وبدأنا العيد بغروب الشمس وعمت الفرحة افراد الشعب ، واقيمت الاراجيح بأنواعها المختلفة فى انحاء المدينة وضواحيها وانتشر القصاصون والشعراء يجمعون المستمعين حولهم فى الاماكن المختلفة » .

ولا تزال المدافع تطلق والاراجيح تقام والفرحة تعم ، اما القصاصون والشعراء فلا حاجة لان يجتمع الناس حولهم فى الاماكن المختلفة ، فحسبهم أن يجتمعوا حول المذياع والمرناة يسمعون ويشاهدون !.

وبعد ، فليست هذه دراسة لـ « ادوارد وليم لين » وليست تحليلا لمؤلفاته ، ولكنها — فحسب — تحية له .. او ليس من حقه علينا ان نبادله حبا واعزازا بحب وإعزاز ؟! ..

في عمق الشعاب المرجانية



المرجان رائعة من روائع الخالق سبحانه . انه حيوان وليس حيوانا ، ونبات وليس نباتا ، ولكنه خلق عجيب بالغ الجمال والعظمة يعيش ويعيش في اعماق بعض البحار . وتعيش فيه وعليه مئات الاسماك ومخلوقات البحر . ثم هو بعد ذلك جوهر جميل تصنع منه الجواهر والعقود والتحف الفاتنة .


جزر الباهاما ...
هذه القرون تمثل « الشعاب المرجانية» والسمكة الصفراء المخططة هى « سمكة الفاخر» .. ان الضوء الساقط على السمكة من الامام وعلى الشعاب المرجانية من الجانب الايسر العلوى اعطت تفاعلا للون والعمق فى هذه الصورة التحت مائية

نزهة فى عمق الشعاب المرجانية

كيف تبدأ الغوص؟

يعتبر الغوص رياضة جذابة تعطيك فرصة رائعة للاسترخاء والاستمتاع بمشاهد الجمال الآسر فى حياة المرجان والاسماك المختلفة الأشكال والالوان ..

كيف تبدأ الغوص ؟

ان الجزء الأعظم من تجربة « زيارة » الشعب المرجانية وما يكتنفها من الواز الكائنات يبدأ الاستمتاع بها من خلال السباحة على سطح الماء مع وضع قناع الوجه على هيئة « نظارة زجاجية » مثبتة بالكاوتشوك الذى يغطى الانف ويمنع تسرب المياه للعينين والانف ، ويمكن التنفس عن طريق الفم بواسطة انبوب قصير من البلاستيك يوضع طرفه المعقوف فى الفم المقفل ، والطرف الآخر يبرز فوق سطح الماء ...

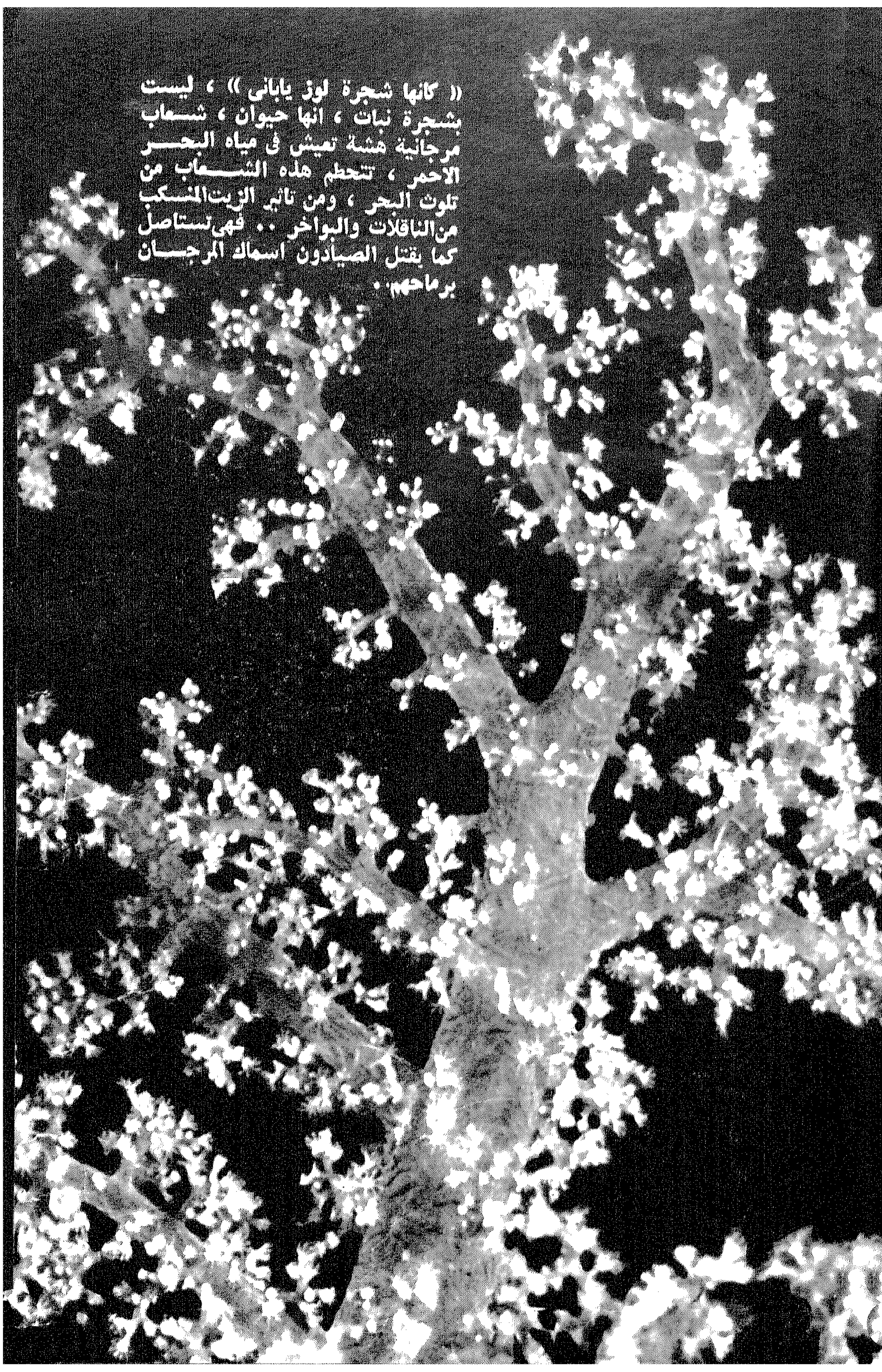
كذلك يستحسن لبس قفازين وحذاء مثل ذلك المستخدم فى لعبة « التنس » ليحفظ الاقدام من خشونة الشعاب التى قد تسبب جروحا قاطعة قد يسممها ويهيجها الافرازات السامة لبعض المرجانيات .

اما الغوص العميق فله استعدادات خاصة أهمها اجهزة التنفس تحت الماء التى استحدث منها مقاسات مختلفة حسب العمق والوقت الذى سيستغرق فى الغوص .

ولقد درس العلماء فى الوقت الحاضر فسيولوجية الغوص دراسة دقيقة ووضعوا قواعد وجداول خاصة للغوص ، تحدد المدة التى يستطيع الغواص ان يمكثها على كل عمق من الأعماق المختلفة حتى اذا ما تعداها اصبح مهددا بالخطر .

مستعمرات المرجان

الشعب المرجانية ... عبارة عن صخور من كربانونات الكلسيوم ، لكنها من صنع احياء ، وهى أحياء حيوانية حية ما بقيت فى الماء وهى احياء صغيرة وعندما تنظر الى هذا الجسم فتجده شيئا كالكبس لا فتحة له الا فى أعلاه ، هى فمه وفوق الفم زوائد متحركة ، تعرف باللامس، عددها ست من المرجانيات الاصلة تحمل الطعام الى جوف الكيس ،وبهذه اللامس خلايا تفرز السم تحمله منها الى الضحية الصغيرة الطافية فى البحر شعيرات تخرج من هذه اللامس قبل ان تلتهمها . وبذلك نجد ان الجزر المرجانية والشعب المرحانية تبنيها كائنات دقيقة لا تكاد ترى بالعين المجردة من فرط دقتها وبسبب سغر هذه الاحياء ودقتها وبسبب استقرارها وعدم انتقالها ، بسبب كل هذا لاترى عين الرجل العادى فى هذه الصخور ما يشعره بوجود حياة ، الا ان يجد له مظهر النبت المجتمع فيحسبه نباتا ، ففيه الجذوع ، وفيه ما يشبه الاوراق والازهار وهى عنده صخور ملونة أجمل تلوين وهو يحسب ان اللون جاء من البحر ، وما جاء اللون الا من حياة هذه الاحياء ، فهى التى صنعته، وهذه



« كأنها شجرة لوز يابانى » ، ليست بشجرة نبات ، انها حيوان ، شعاب مرجانية هشة تعيش فى مياه البحر الاحمر ، تتحطم هذه الشعاب من تلوث البحر ، ومن تاثير الزيت المنسكب من الناقلات والبواخر .. فهى تستاصل كما يقتل الصيادون اسماك المرجان برماحهم .

المرجان

راس لسمكة العقرب

مرجان يلتهم نجمة البحر

اسفنج أحمر نجيمات ريشية

المرجان الاسود الذى تصنع منه العقود

مرجان جورجينيا وعليه اسفنج

هذه الأسماك الصغيرة التي تبدو في غاية البراءة، هي من أشد
أسماك البحر الأحمر افتراسا... إنها من نوع "الباراكودا" الذي يضارع
سمك القرش في ضراوته، والصورة أخذت لها وهي صغيرة
ولكنها عندما تنمو تصل كل منها إلى متر في الطول وتفترس
الإنسان والحيوان. والغريب أنها لا تسبح إلا في مجموعات
طالما كانت صغيرة، فإذا كبرت انفصل بعضها عن بعض!

إلق الرمح بعيداً .. فالتصوير أجمل بكثير



الغواص يحمل « كاميرا سينمائية »

سمكة الجروبر Grouper fish من الانواع التى تؤكل

اثنان من سمكة البلياتشو

مرجان شقائق النعمان

الاحياء المرجانية صنوف ولكل صنف منها لون مختار ، وتخرج الصخور عن الماء فيذهب اكثر لونها . وتعيش هذه الحيوانات فى ثقوب صغيرة على سطح التكوين المرجانى ، ويطلق عليها مجتمعة اسم **المستعمرة المرجانية** .

وتقوم هذه الحيوانات ، بعضها الى بعض ، بلايين بلايين ، فتكون المستعمرات وتموت هذه الاحياء ، فيخلفها غيرها ثم غيرها . وبهذا تتكون الشعب المرجانية فى البحار ، على الاجيال والقرون . وقد تحيا هذه الوحدات من هذه الحيوانات حياة متكافلة فتقوم بينها قنوات تحمل الطعام من حى الى حى ، فكل يصيد ، وكل يتغذى. على كل حال هذا وصف خاطف ، لا يحمل كل مايقال من صفات المرجانيات وتوالدها واختلافها صنوفا.

ولهذه الكائنات اهداب تعمل فى حركة دائبة لترشح غذاءها من ماء البحر الذى يحتوى على مواد عضوية وكائنات دقيقة للغاية تلتهمها حيوانات المرجان القابعة فى ثقوبها او بيوتها .

ولهذه الحيوانات قدرة مدهشة على امتصاص املاح الكالسيوم الذائبة فى ماء البحر ثم تفرزها لتبنى بها بيوتها او هياكل المرجان فى هندسة رائعة يحار العقل البشرى حيالها اذا ما فكر فى طريقة عملها ! ..

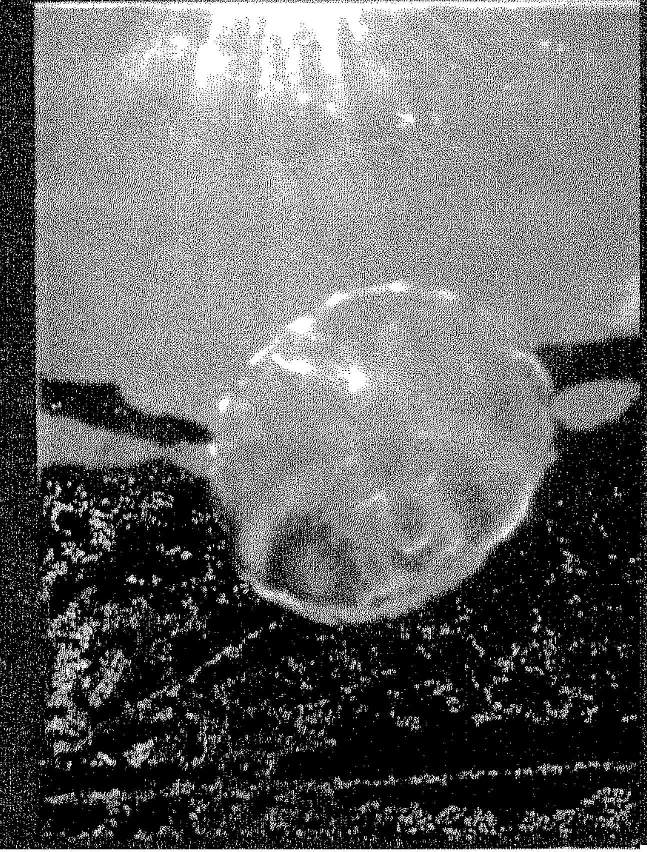
ان افراد هذه الكائنات الدقيقة لا تخطىء ابدا فى تشييد النموذج المميز للمستعمرة . وافراد المستعمرة تفرز قواعد جيرية داخل الثقوب ، وبذلك تمتد ويعلو عرشها وفرعها ، حيث تسكن الاعضاء اللحمية للحيوان فى الادوار العليا التى بناها ، كما تبنى الافراد لها حواجز شعاعية ذات نظام هندسى بديع يدعم البناء ويقويه فى مراحل نموه .

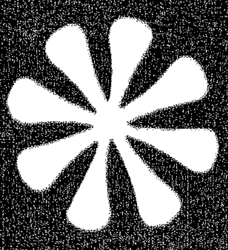
وتنتشر هذه المستعمرات فى المناطق المدارية لاحتياجها الى درجة مرتفعة من الحرارة وقسط مناسب من الضوء ، وحركة دائبة للماء بفعل الامواج والتيارات .

والمرجانيات الطرية لا تكون هيكلا صلبا ، وانما تحاكى الازهار الرخصة فى اشكالها وتباين الوانها ، وذلك مثل النوع المعروف باسم « زهور البحر » الذى يعيش ملتصقا بالصخور وعلى القواقع وقد ينمو احيانا على السرطانات « ابو جلمبو » فتحمله على ظهرها اثناء تجوالها من مكان الى مكان فى قاع البحر ، فتحاكى البستانى الذى يحمل باقة من الازهار الزاهية النادرة يطوف بها ارجاء الحديقة فى زهو وابتهاج ! .

واذا كان هذا هو ظاهر الامر فواقعه يختلف تماما ذلك لان السرطان البحرى يتخذ من هذه الباقة النامية على ظهره وقاية يدرا بها عن نفسه غائلة الاعداء ويختفى تحتها حين ينتقل من مكان الى مكان سعيا وراء رزقه وهو آمن

« الفن شيء جميل » انها « سـمكة قيصر » الطاووسية التى صـورت
تحت مياه المحيط الهنـدى

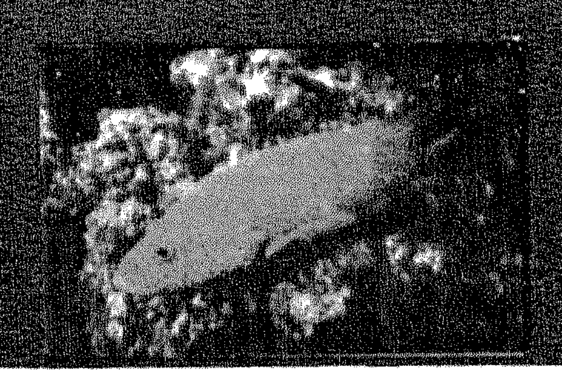


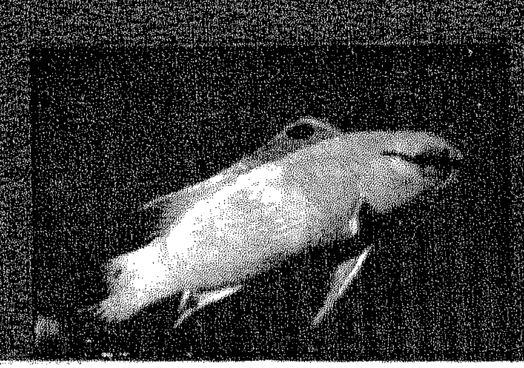


« كأنه طبق من الكريستال الشفاف »
انه حيوان رخو يعيش فى مياه جزيرة
بيتر بالبحر الكاريبى ، يبلغ طول قطره
حوالى عشرون سنتيمتراً .

انه قوقع صـغير ذو اربعـة الوان ،
يتغذى على الطحالب ، وفى الصـورة
يزحف فوق سندس احمر ارجوانى من
اسفنج البحر الاحمر .

• كانها رسم ملون » انها صورة لسمكة البحر الاحمر ، السمكة طولها ثلاثون سنتيمترا وتم تصويرها بالساحل السوداني للبحر الاحمر .. ماذا يسعد مدعو بطوله رياضة الصيد قتل مثل هذه السمكة ؟ هل هم بهذا العجز حتى يحتاجوا للرمح ليبرهنوا على بطولاتهم ؟ كان الاجدر بهم ان يصطادوا صورا جميله كهذه بدلا من قتل هذه الاحياء





« قطعه زينة من اعماق المحيط الهندى » انها سمكة الغرم الحمراء ، مزينة بنقط ملونة زاهية ، وطولها حوالى ستون

سمكة الكنجزجراما التى مرق بسرعة فى مياه البحر الكاريبى ، والخط الاسود على العين يستخدم فى الاستخفاء •



مطمئن ! .. فكثير من اعدائه يخشون القرب من زهور البحر ذات الخـلايا اللاسعة التى تنفث السم فى الاجسام فتخدرها ...

وهناك المرجانيات الصـخرية التى تعيش متحدة مع بعضـها البعض فى مستعمرات كبيرة تضم الواحدة منها آلافا عديدة الافراد ، وكل فرد منها يبنى لنفسه هيكلا متناسقا من المادة الجيرية التى تستخلصها خلاياه الحية من ماء البحر ، وبتضافر هذه الهياكل مع بعضها البعض تتخذ المسـتعمرة المرجانية شكلها المعروف .

● ذات افنان وروعة وبهاء ●

فاذا ما اتيح لك ان تغوص على شعب من هذه الشعب الصخرية وترى بعينى راسك عجائب هذه المخـلوقات فى بيئتها الطبيعية نامية تحت الماء،لافتتنك جمال الوانها وبريقها الزاهى ومزيجها الغريب من كل الوان الطيف المعروفة التى تختلف بين الأحمـر والأزرق والأخضر والأصفر والبنفسجى ، مـع ما ينجم من تداخل بعض هذه الالوان مع البعض الآخر من نغمات لونية قـد لا تستطيع انامل الفنانين المبـدعين ان تحاكيها ...

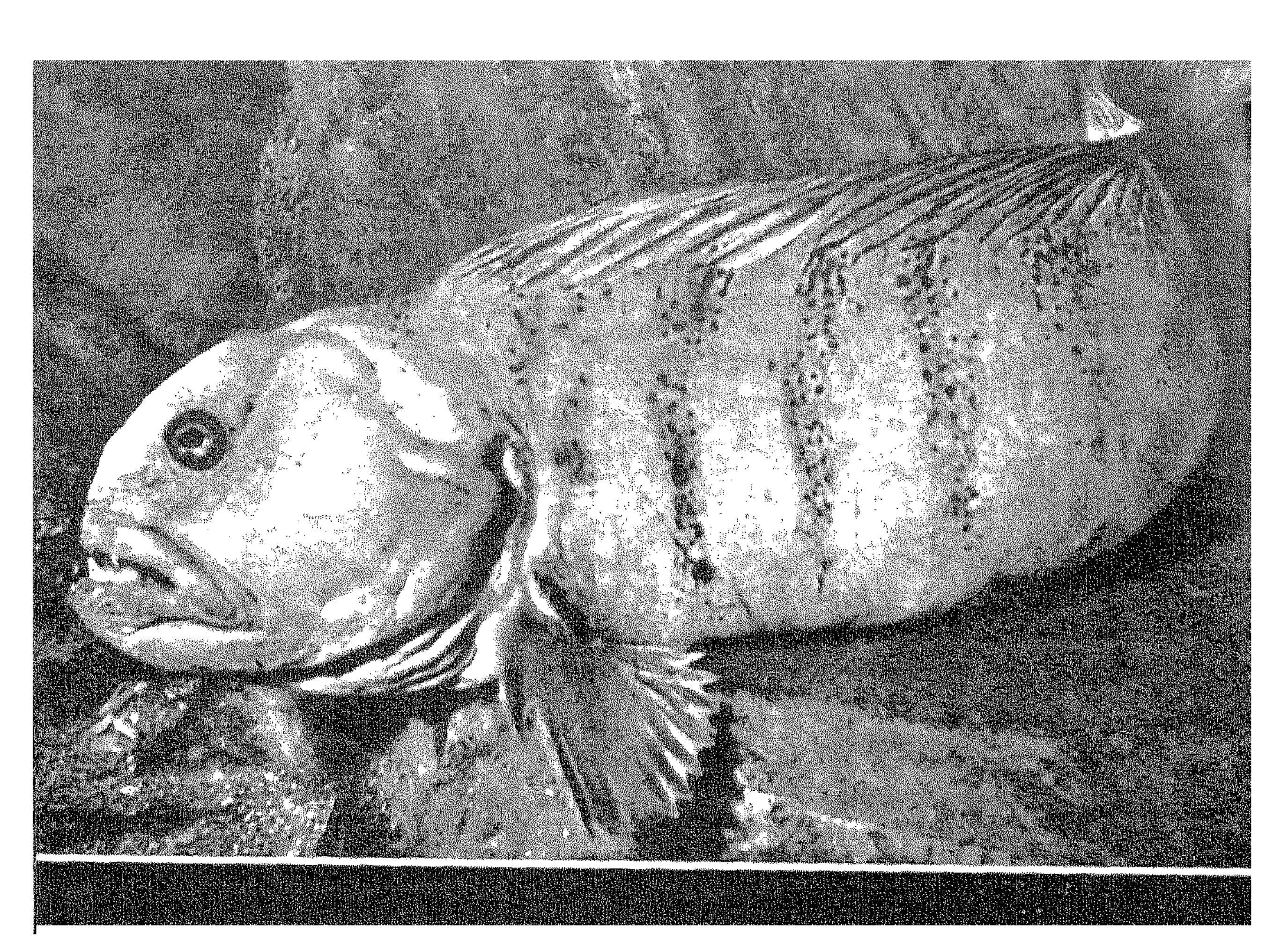
فكانك فى حديقة زاهرة باسقة ذات افنان وروعة وبهاء فيهـا انواع من الأسماك العجيبة الشكل واللون تتنقل بين الشعاب بحركات مختلفـة السرعة والبطء كما تتنقل الفراشات الزاهيـة بين الأزهار والرياحين ...

وهذه الاسماك تتحرك اما فرادى او قطعانا يبدو لك جمعهـا وكأنها تتماوج كحركة السحاب ! ..

وعندما تتكسر الشـعب المرجانية ويتعكر القـاع تحت اقدام الغواص ، فانه يرى زحفا من قوافل هذه الاسماك التى يبدو أنها ستهاجم الغواص ، ولكن الواقع انها تبحث عن الكائنات الدقيقة التى ستتناثر بسبب قلقلة قطع المرجان المـكسورة أو بسبب اهتزاز رواسب القاع حيث أن ذلك يسهل عملية اقتناص الغذاء لهذه الأسماك .

ولو قطعت قطعة صغيرة من هـذه الشعاب وخرجت بهـا الى السطح ووضعتها على يدك حتى يسيل ماؤها فسترى العـديد من الكائنات الحية المختلفة تنفرط خارجة من شـقوق وفجوات الشعاب بحثـا عن الماء الذى سال ... انه حقا عالم عجيب غريب ! .

وبعض « المراجين » ضـخم باسق كالأشجار والبعض الآخر يحـاكى قرون الوعول العملاقة ، فى حين أن ثمـة مستعمرات كروية الشكل عليها تلافيف تشبه تلافيف المخ ولذا سـميت « بمراجين المخ » التى قد تبلغ حجما كبيرا ...



ان ثعلب البحر من اسماك القــــاع المفترسة واكثرها كآبة . وهو يستطيع بقوة فكيه تحطيم اصلب المحارات . وقد اضفى عليه كبر الحجم ــ اذ يصل الى مترين ــ والشكل الرهيب مظهرا مهولا . واذا ما جذبته الشــــباك اخذ يتخبط كالمجنون عاضا مسرعا . ومع ذلك يصطاده صيادو الشواطىء الاسكتلندية . ويعرض للبيع للاكل فى الاسواق

وهناك مستعمرات ضخمة تنبعث من القاع فيمـــا يشبه المظلة او نبات « عش الغراب » ، حتى اذا ما اقترب المرء من حافة الشعب المرجانية حيث المياه متجددة والتيارات المائية محسوسة فانه يجد ما يشبه الاسواط الضخمة تهتز مع حركة الماء كانمـا هى حيات تسعى ، وهـذه هى الاخرى نوع من انواع « المراجين » الطرية .

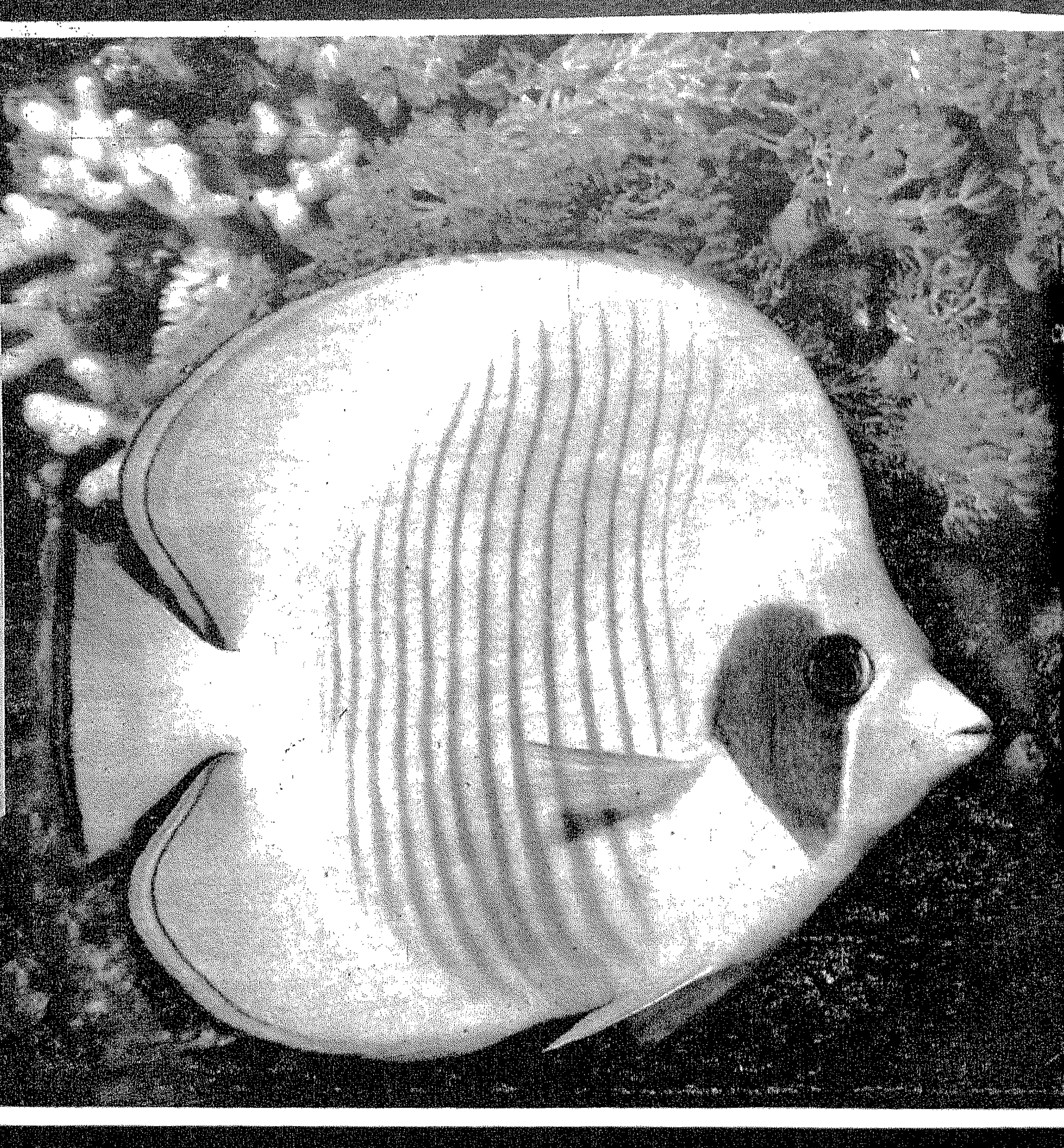
بيد أن الحيـــاة فى عالم الشعب المرجانية تحت الماء لا تخلو هى الاخرى من صور مضحكة . فكثيرا ما يشاهد الغـــواص فى وقت الظهيرة نوعا من حيـــوان الجمبرى الاحمر ينبرى من جحره ويقف مزهوا فوق حافة مرجانية ويحرك شواربه كانمـــا هو يعلن عن وجوده . وسرعان ما تسعى اليه بعض الاسماك وتصطف طابورا كانما كل واحدة منها تنتظر دورها ، فيتولى صاحبنا التقاط براغيث المـاء والطفيليات التى علقت بجسمها واحدة بعـد الاخرى ، ولا تفكر احداها فى الحاق الأذى به . ويشبه العلماء هـذا الجمبرى بالحجام او بصاحب « صـالون الحلاقة » وهو يتقاضى اجره وجبات سمينة مما علق بجسم زبائنه . وهكذا تضرب لنا هذه الكائنات مثـلا حيا على التعـايش السلمى .

● ترجمة : د . محمود الجميلى ●



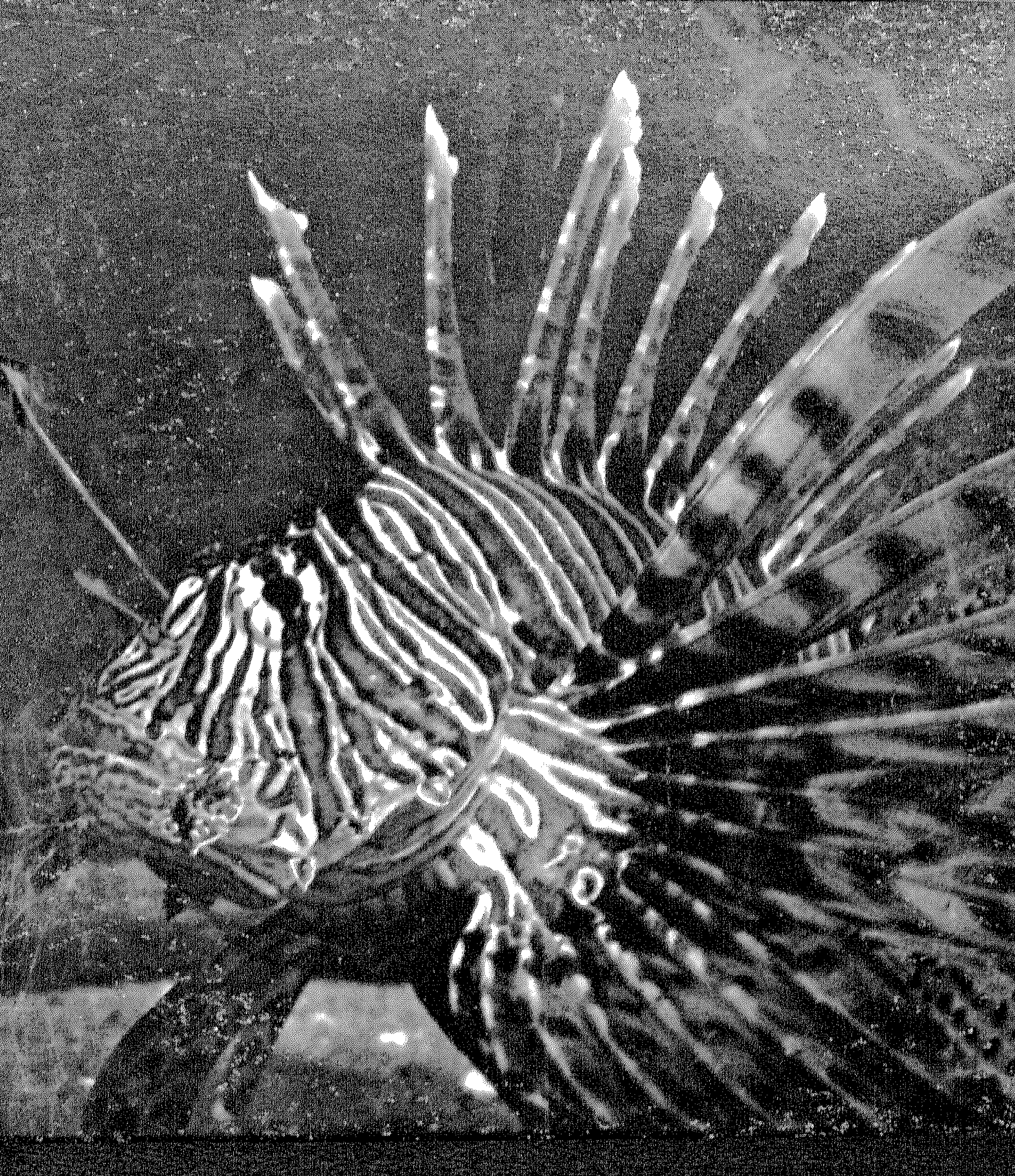
حركة نشطة لمجموعتين من الأسماك الكبيرة المنقطة والأسماك الدقيقة الحمراء، كلها تموج بين الشعاب المرجانية





هذه السمكة الجميلة تعيش بين الشعاب المرجانية . لونها الاصفر سلاحها لانه يخيف بقية الاسماك، وهي تتغذى على شعاب المرجان، شعاب المرجان في اساسها حجر جيرى تتراكم عليها مواد عضوية . تلك السمكة وامثالها تقضم الشعاب المرجانية وتبتلعهـــا فتهضم المواد العضوية وتخرج الحجر الجيرى ترابا، انها لاتؤكل ولكنها تضيء تحت الماء ..

هذا هو المنظر العادى للشـــعب المرجانية هذه الاصابع التي تراها مكونة من حجر جيرى مغطى باحيـــاء هي التي تعطي الشعب المرجانية هيئة الاحياء ،وبين هذه الاصابع تعيش الاسماك والاحيـــاء البحرية الاخرى وتتغذى بها .



سيظل عالم المياه بما يخفيه من اسرار غريبا موحشا على الانسان الذى يتنفس بالرئتين . فحيث يخفت تقلل الضوء، تتربص فى لجى البحر اخطار تحيق الموت بكل كائن حى ينفذ الى ملك الاسماك السامة المفترسة .. وكذا ثعالب البحر وضباعه التى تعيش هناك . ومنذ سالف العصور ومازالت الاسرار والمخاوف تحيط بالاسماك السامة . واكثر الوانها المتالق ببهاء ولها اشواك تحمل غددا سامة كالثعابين . وبينما استطاع الطب الحديث تحويل سم الثعابين القاتل الى دواء شاف ، فلم يتمكن الطب حتى الان من استخدام سم الاسماك فى العلاج . وهذا الضرب من السمك قادر على حمل السم الزعاف فى الجلد او فى الدم ، فى اللحم او فى الكبد ، كما لا يندر وجوده فى البيض الذى يحمله فى بطنه ـ وتبين الصورة سمكة Pterois Volitans الزاهية الالوان والتى تشتهر باسم « السمكة النارية الحمراء » وهى تطعن فرستها بالاشعة الزعنفية الموجودة بزعنفة الظهر

قصـــة

الوصيــة

● محمد عطا ●

- ١ -

● **حينما جلســـنا حوله ، طوانا الصمت برهة ، اقتربنا منـه اكثر ، سألناه :**

- كيف حالك ؟

هز رأسه ، ابتسم ساخرا ، غمغم :- دعوني اكتب وصيتي !

حملقنا في وجوه بعضنا البعض ،فغرنا افواهنا ، ندت منا همهمة ... :

- انها المرة العـاشرة التي يكتب فيها وصيته !

- ٢ -

تفرقنا من حوله،آثرنا أن نتركه وحيدا للوصية قدسيتها ، أعيننا ترمقه بحذر ، كل منا يحجب اعماقه بابتسامة باهتة. وحينما أشار لنا، أفلتت فرحتنا،طفحت من عيوننا .. هرولنا اليه ، تأملنا وجهه الشاحب ، عينيه الغائرتين ، حدقـــات عيوننا تركزت عليه ... عبثا أن نقرأ ما بداخله ، تساءلنا في صمت وشوق:

- هل يوصى لنا بكفنه الحريرى ؟

- ٣ -

تأملنا واحدا واحدا ، همس بصـــوت ثابت :

- اقرأ افكاركم !

انكمشنا في جلستنا ، ابتســـم ، ابتسمنا ... تحسس وجوهنا باصابعه النحيلة، لم نشعر بلمساتها ، غمغم بكلام بلا معنى ، ردد حروفا مبهمة ... تحسرنا عليه ، اطلقنا لدموعنا العنان ، واسينا بعضنا بعضا ...

كفنه سبع طبقات من حرير وشاش، تشممنا رائحته النفاذة ، تحســـسناه خلسة ،راقبنا في سكون، ضحك ضحكة مكتومة ، التزمنا الصمت .

- ٤ -

قذف الينا بوصيته ، تناولناها بلهفة، قرأناها ، اعدنا القراءة ، لم نفهم شيئا .. وحينما سألناه ان يفسر لنا ما كتب ،قهقه ساخرا ...

- وصيتي لا تقرأ

صبرنا نفد ، زمجـــرنا في غضب صحنا :

- اذن فكيف نرثك ؟

جلجلت ضـحكاته ، مزقت آذاننـــا ، **اثارت غيظنا ...**

تناقشنا في أمره ، قررنا الا ندعـــه يكتب ثانية ، ان نسلبه كفنه الحريرى.. وحينما هجمنا عليه ، سقطت عنا اكفاننا تبعثرت عظامنا ، وهو يضحك ويضحك ، ويكتب وصية اخرى !

مرآة

الفكر العربى

الأسس النفسية والفسيولوجية للسلوك

● تاليف : د . عباس محمود عوض ●

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

● يتناول علم النفس النشــــاط السيكلوجي للناس موضحا اوجه الشبه والاختــــلاف في الادراك والتعلم والتفكير والتذكر والاستعدادات والميول والذكاء ، حيث ان الناس لا يكونون بقدر متســـاو في كـل تصرفاتهم أو خصائصهم السيكلوجية ، فالتجـــارب في ميدان القيـاس النفسي اظهرت ان الافراد يختلفون في قدراتهم وسماتهم ، وكذلك الفرد الواحد ، تختلف قدراته وسماته بعضها عن بعـض ، من حيث القوة والضعف ـ وهذه الفروق ترجع الى الوراثة والبيئة أو الى الاثنين معاً .

وقد تناول كثير من العلماء والفلاسفة والمفكرين النفس الانسانية وعلاقتهـــا بالبدن والسلوك البشرى بالدراســـة والتحليل ، محاولين التحكم في النشاط السلوكي للناس ، وكيف ان اى تغيير يجرى في الجسم يكون له صـــداه في النفس ، وعلى ذلك نجد كتاب «الأسس النفسية والفسيولوجية للســـلوك » يستعرض طبيعة العلاقة بين الجســـم والنفس ، ثم اهمية علم النفس مـــن ناحية انه علم تجريبى يبحث في السلوك بطريقة موضوعية .

لذا فقد تضمنت صفحات الكتـــاب الكثير من الحقائق العلمية والمستمـــدة من التجريب والتى تؤكد ان الانســـان انما هو وحدة جسمية نفسية .

وقد حاول المؤلف اثبات ان عـــلم النفس هو العلم الذى ينظر الى الانسان نظرة ، علمية ، الغرض منهـــا الوصول الى القوانين الاساسية التى تنظم سلوك الانسان ، اى الى أوجه نشاط الفرد ، وهذه اما ان تكون ســـلوكا ظاهرا ، كالمشي والاكل والبكاء ، او نشاطا داخليا مستترا كالتفكير والتصور والتخيل ، اى يتناول السلوك الذاتى ، والسلوك الموضوعى ..

وبذلك فقد يتحدد هدف علم النفس في فهم السلوك وتفسيره ومحـــاولة التنبـؤ بحدوثه وان أمكن فضـــبطه والتحكم فيه .

وسلوك الفـــرد بهـــذا المعنى يكـــون استجابة لمنبهـــات أو مثيرات في بيئة الفرد سواء البيئة الواقعية او البيئـــة النفسية والمنبـــه على ذلك اما عامل خارجى او داخلى يثير نشاط الكـــائن الحي او عضو من اعضائه .. حيث ان نشاط الانسان الفرد في بيئته ، انمـــا يصدر عنه كله ، فالانســـان عندما يفكر في موضوع معين ، فان هذا الســـلوك العقلى ، يصحبه تغيرات جسمية وحالات وجدانية ، وتوترات عضلية . وتغيرات في النفس والنبض ، ونشـــــاط في الحواس .

وبذلك لا يوجد نشاط نفسى للانسان فقط ، ولا نشاط عقلى فقط ، انما هو نشاط نفسى جسمى ، وهذا مما يدل

على ان الانسان وحدة نفسية جسمية.
والكتاب يحوى سرا لتساريخ علم النفس ومناهج البحث فيه فبدا من افلاطون وآثاره على تاريخ علم النفس، اذ ان افلاطون يعد من رواد علم النفس التربوى حيث وضع نظاما تربويا فى « جمهوريته » يهدف الى تربية النفس وكشف النقاب عن طبيعة النفس المسيطرة بين افراد « جمهوريته » .
والنفس عند افلاطون ذات طبيعة روحية ، وهى تختلف عن الجسم من حيث انها وجدت قبل الجسم ، وكان مقرها عالم المثل وهى خالدة بعد فنائه .
اما ارسطو فيعتبر بحق المعلم الاول لعلم النفس والمؤسس له ، فكان منهجه العلمى يقوم على الاستقراء والملاحظة الخارجية ووسيلته فى هذا الاحساس والادراك الحسى ، وذلك لانهما من وسائل المعرفة .
والنفس والجسم عند ارسطو كل واحد لايتجزأ ، وقد ساهم ارسطو كثيرا فى وضع علم النفس الاجتماعى .
اما دور العرب فيتمثل فى آراء الفارابى باعتباره عالم نفس الى جانب كونه فيلسوفا ورجل دين ، فقد تناول الفارابى قدرات النفس التى توصل الانسان الى المعرفة وتناول الفارابى نواح من السلوك هى مصدر اهتمام علم النفس الحديث .
ولكن ابن سينا يقول بوحدة النفس وبتعداد وظائفها وبتفاعل العمليات النفسية واعتماد بعضها على بعض .
اما الغزالى فهو اكثر مفكرى الفكر الفلسفى قربا الى علم النفس بمفهومه الحديث فالسلوك عنده له نواح ثلاث : ناحية ادراكية ، ناحية وجدانية، ناحية نزوعية . وهناك سلوك جزئى وكلى ، وهناك سلوك اضطرارى ، وسلوك ارادى . وكذلك اهتم الغزالى بطريقة التعلم واكتساب العادات الصالحة ، والعادات عنده حركية وخلقية وعقلية ومنهج الغزالى فى ذلك منهج التأمل الباطنى الدقيق والملاحظة الخارجية لسلوك الناس ونشاطهم ، وكان هدفه فهم طبيعة البشر ثم العمل على اصلاح امرهم .
ثم يتكلم المؤلف عن دور ديكارت حيث يعد المؤسس الثانى لعلم النفس، فقد استخدم الاكتشافات العلمية التى قامت فى علم الفسيولوجيا وعلم الطبيعة فى الدراسات النفسية .
ثم ظهرت المدرسة الانجليزية الترابطية التى قام على تاسيسها جون لوك ومن انصارها هارتلى ، وهيوم وسبنسر ، تلك المدرسة التى لها اثر بالغ فى توجيه الدراسات النفسية فى نهاية القرن التاسع عشر .
ثم عرض المؤلف ايضا لمدارس علم النفس والدوافع والحاجات النفسية الاساسية للفرد ، وكيفية تحقق النمو النفسى والبيولوجى ومظاهر طفولته الى نموه الاجتماعى ، وكيف يمكن ان يتحقق للفرد توافقه مع نفسه ومع بيئته الاجتماعية والعوامل الديناميية فى عملية التوافق ، وكيف له ان يتجنب الوقوع فريسة الامراض النفسية او العقلية ثم يعرض بعد هذا لاسلوب قياس الشخصية ولنظرياتها المختلفة .
وهنا يتضح لنا من تلك الدراسة ان الدعائم الجوهرية فى حياة الانسان البالغ الراشد تقوم على خواص طفولته المبكرة ففيها يتكون الضمير او الوازع الخلقى من علاقة الطفل بابيه او بمن يقوم مقام الاب وفيها تكون اغلب الاتجاهات النفسية التى تهيمن بعد ذلك على الانا او الذات الشعورية ، وفيها بتكيف الفرد مع بيئته تكيفا عميقا ، يستمر ويؤثر فى مقومات حياته من الطفولة الى الشيخوخة .
وبذلك كان الطفل محورا لكثير من فروع المعرفة . حيث كان ميدانا خصبا لابحاث تتقاسمها علوم مختلفة . ثم تطورت هذه الدراسة حتى انتج عنها علما قائما بذاته هو «سيكولوجية الطفل» الذى اتخذ من التجريب اسلوبا حتى اضحى هذا العلم علما تجريبيا . وبهذا المعنى يشتمل على ميادين ثلاثة : سيكولوجية الطفل ، سيكولوجية المراهقة ، وسيكولوجية الرشد .

باب إلى الشمس

د . عبد الحميد محمود

اخفيت خلف بشاشتى ياسى ... ومخاوفا فى هوة النفس
مازلت ادفعها وتدفعنى ... فتزيدني ياسا على يأس
واخذت كاس الوهم زاهية ... على أرى الآمال فى كاسى
لكنما كاسى مموهة ... مملوءة بالضعف واليأس
فاذا افقت وقعت منحطما ... وسقطت من يومى الى امسى !

•••

اسرعت فى خطوى بلا هدف ... وعلى المدى ما اشرقت شمسى
اسرعت لكن الخطى ابدا ... ما غيرت من ظلمة الحس
ماتت طيور الحب من زمن ... وتخلفت تفتيحة الغرس
وكانما فى افقنا وئدت ... فى مهدها انشودة العرس !

•••

يارب ان نداك ياسرنى ... بطهارة الاصداء والجرس
اقبل على عبد بلا هدف ... فتحت له الاوهام كالرمس
لجلال بابك جاء مضطربا ... مترددا متحشرج الهمس
فى عينه للفجر نافذة ... وبقلبه باب الى الشمس !

استئصال الطحال

كنا معا ، طبيب شاب وانا ، نتحدث عن استئصال الطحال ، وقال لى ان هذه العملية سهلة للغاية ... وقال ايضا : وانا شخصيا اجريت هذه العملية بنفسى وانا ما ازال بعد طبيب امتياز :

قالها بمنتهى الثقة فى النفس ، ووجهه منشرح .

وبعد ان جاء شاه ايران السابق الى مصر ، واتجهت انظار العالم الى مصر ، واذاع كبار الاطباء ان الشاه السابق مريض بالسرطان ، وان هذا السرطان امتد الى الطحال — اصبح الامر يستدعى اجراء عملية له لاستئصال الطحال .

وعندنا فى مصر اطباء اكفاء .. بل لقد وصلت براعة اطباء مصر الى ارفع المستويات العالمية .. واكدت ما اذيع وما نشر من كتب ودراسات تقول ان منبع الطب هو مصر فقد عرفته مصر منذ ٧٠٠٠ سنة .. كما ان قصر العينى يعتبر مدرسة طبية عريقة حققت اعظم الانجازات فى التعليم والتدريس والبحث الطبى ..

وعندما قيل لنا ان قصر العينى القديم سيهدم ليقام فى مكانه قصر اكبر واحدث ، يكون ارقى وارفع مستوى للمستشفيات فى العالم — غمرت الاحلام العظيمة قلوب شباب الاطباء والمواهب المصرية الطبية الكبيرة ..

ولقد دهش الكثيرون عندما عرفوا ان طبيبا امريكيا كبيرا قد حضر لاجراء هذه العملية ..

ولقد ابتسمت وانا اتذكر حديثى الذى بدات به هذا المقال .. فلقد كنا معا ، طبيب شاب وانا ، نتحدث عن عملية استئصال الطحال ، فقال انها عملية سهلة و ... و .. واقرا هذا المقال من الاول !

دكتور ص . ح . م

قصة





● نبيل عبد الحميد ●

● اطفيء انوار السيارة فتتكاثف العتمة على الزجاج ، امامي ومن حولي .. اخرج ، واحاول ان اعبر بركة المياه وانا اشد ((بنطلوني)) الى اعلى . لم يكن الشارع هكذا من قبل . هل اخطات الطريق ؟ ولكن الباب والرقم . اتحسس جيبي المنتفخ بمظروف الاوراق . وجيبي المنتفخ بالمسدس . لن اتركه يفلت هذه المرة ! ...

اقف علي عتبة الباب وانظر الى كتلة الظلام وهي تملأ الدهليز . أمد يدى ناحية الحائط واتحسس . احرك مفتاح النور عدة مرات ، لا فائدة . اشعل العود وارفع يدى واتقدم خطوة ، خطوة الظلال تتداخل وتتكسر على السقف والجدران الكالحة . رائحة رطبة تفوح من الأرض . وارى عينيه تلتمعان وتتسعان ، ويستطيل عنقه وهو يزوم بصوت مشروخ . لا تخف ... مجرد كلب . ينتفض واقفا ويندفع ناحيتي، يتوقف قريبا جدا امامي ويظل ينبح . الهواء يهتز من حولي وتتدافع دقات قلبي وترتعد في اذني . هل اجرى . ؟ كيف والى اين . ؟

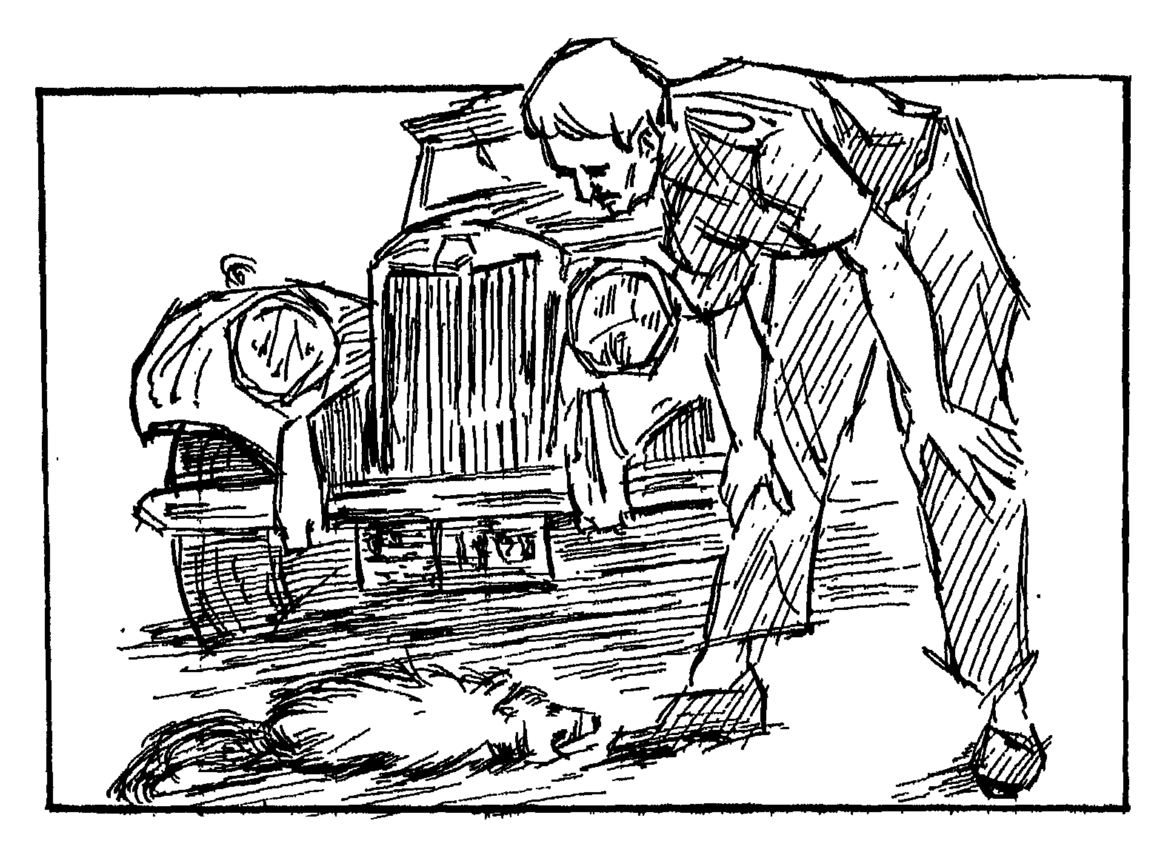
احاول ان اتقدم ناحية السلم . يتراجع، ويندفع ، وتظهر انيابه البيضاء. هل أجلس علي الأرض . ؟ النار تلسعني فاترك العود يسقط وانا انادى .. جوفي مفرغ تماما من كل صوت . نباحه المشحوذ يتصادم بالجدران وبالسقف وبالأرض . اتراجع الى الوراء خطوة .. وخطوة ، استدير وأجرى . الطين يتطاير من حولي ويرتطم بوجهي. أين مفتاح العربة . ؟

أين ثقب الباب . ؟

سترتي تنجذب الى الخلف ويتمزق طرفها ، اشعر برءوس الأنياب تقترب من لحمي . انزع سترتي وارتمي على المقعد وأغلق الباب . دقات قلبي تنتفض في عيني وفي انفي وفي اذني. اراه من خلف الزجاج ينهش السترة بانيابه ثم يطيح بها بعيدا ..

لم يكن عندهم كلب . اذن فقد اتى به لكي يخيفني ....

انفاسي تهدأ .. يقف امام السيارة ،



يدفع التراب بخلفيتيه ويرفع انفه الى اعلى وينبح،اضوء الأنوار وادير المحرك .. يقفز على مقدمة السيارة ، اتراجع واشهق . مخالبـــه السنونة تخمش الزجاج فى عناد ، اللعاب يتساقط من فمه ، عيناه تتسعان وتلتصـــقان بالزجاج ، شرستان قبيحتان

حسنا أيها الكلب .. لنر من منـــا ياكل الآخر . !! ـ اتراجع بالسيارة الى الخلفـدفعة واحدة فتنزلق اقدامه ويسقط فى الضوء ... ولنر من منـا يسحق الآخر !!

اندفع بالسيارة الى الأمام ، يحاول ان ينهض وان يقفز ، صوت ارتطام بين المجلات،اتراجع الى الخلف .. صوت اشياء يابسة تتحطم ...

اندفع الى الأمام .. صوت أشـياء لينة تختلج وتنزف .

اتوقف .. آثار مخالبه عالقة بالزجاج .. العرق البارد ينزلق من رقبتى الى اسفل ... لابد أن اقابله الليلة . لن اترك له الفرصة ابدا . لا شـك انهم ينتظرون عودتى ، يجترون همهمـــات السخرية بأفواههم القذرة . ومن أنت لكى تتمكن من « صاحب الكرامات » ؟!

اذا اردت حقا ان تجعله يوقع عـــلى الأوراق فلابد ان تستعين بســيدنا سليمان ! ..

والمس فوهة المسدس .

حسنا ، ساجعلكم تبتلعون همهماتكم هذه المرة .

انظر الى الخارج وأمد يدى ناحيــة الباب . لابد انه يترقبنى من اعـــلى البيت ، يظن انه سيرعبنى بالظـلام وبالكلب .. لا احب أن ارى بقايا الكلب ... اخرج ولا انظر الى اسفل السيارة .. ابحث واعثر على سترتى ، الحمد لله ، الأوراق فى الجيب كما هى . ماذا كنت افعل لو .. ؟ ابتسم .. اهـلا كلام . ؟ اسمع أنينا خافتا يتسرب من بين المجلات .التقط مسدسى واتراجع الى الخلف . الصمت وصوت انفاسى. الخافت من كلب ميت . ؟ اخطو العتبة واشق كتلة الظلام ... خطوة .. خطوة انفاس ساخنة تلفح ساقى.اهو..؟اشعل العود ، ارى عينيه تلمعان وتتسعان وتنزفان ، بياضا واحمرارا . ينطلق من نفس المكان . اتراجع . انادى بلا صوت .. اين مسدسى .؟انزلق وارتج ، اسقط على الارض .

أمهات في الأربعين وأزواج تحت الثلاثين!

● ماري غضبان ●

●● ظاهرة غريبة نوعا ما ، تلك التى تبدو هذه الأيام في قصص الحب التى تربط نساء اكبر سنا بشبان اقل منهن في العمر والخبرة والتجارب ..

الأمثلة عديدة نراها فى الواقع كما نشاهدها مصورة في السينما والتليفزيون ، وكما نراها فى سطور أعمال أدبيه وروائية .

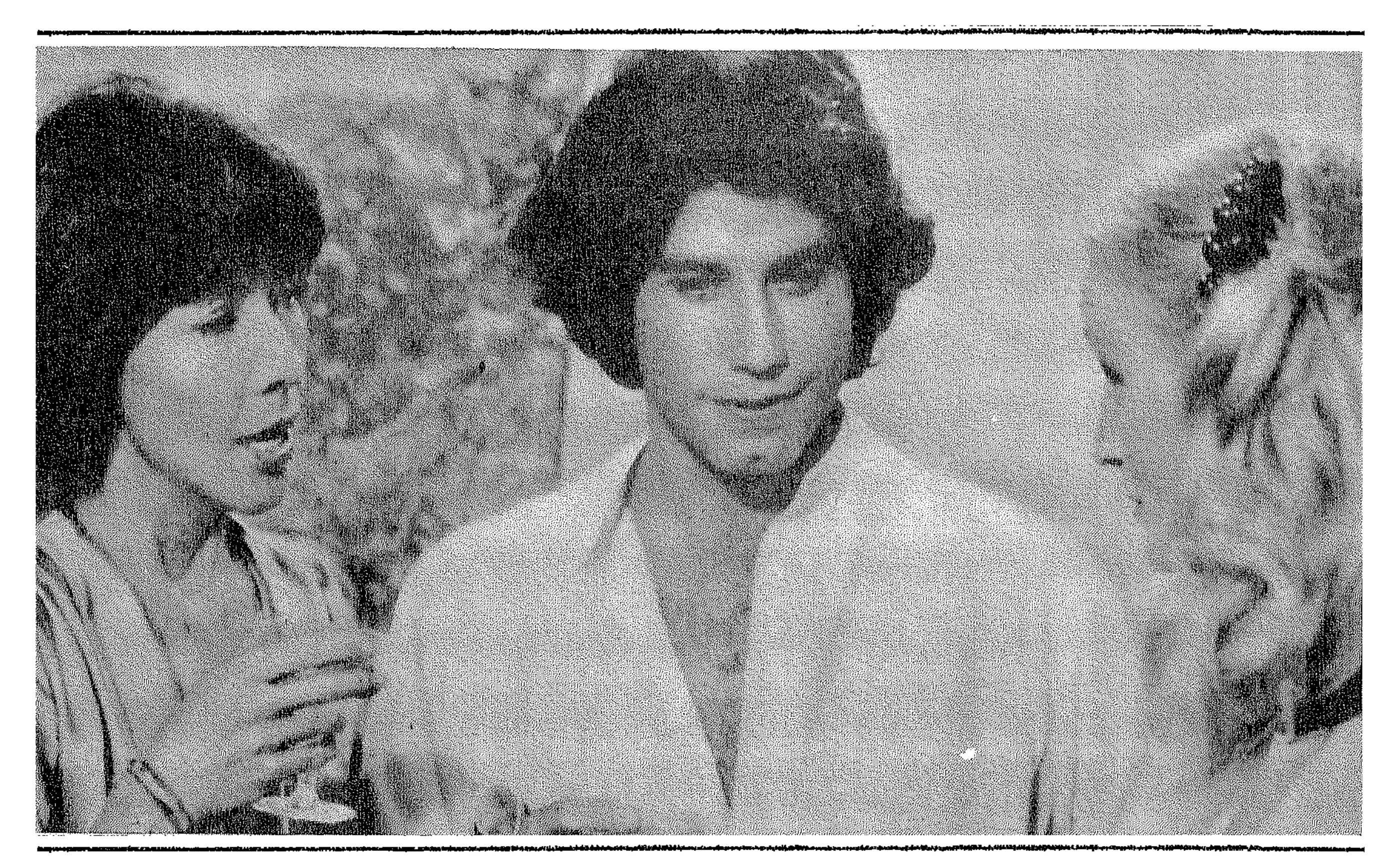
وعلى عكس ما شاهدناه من خلال القصة الشهيرة (الملاك الأزرق) قصة هاينريش مان التى قدمتها السينما أكثر من مرة ، والتي تدور حول علاقة حب بين أستاذ متقدم فى العمر وفتاة شابة تعمل في الفن ، ويحرص على الاقتران بها ويتزوجها فيفقد وضعه ومركزه الأدبى وراء نزوات وعواطف حبه ..

قدمت هذه القصة لأول مرة في الفيلم الذى مثلته مارلين ديتريش فى الثلاثينات ، ثم قدمتها السينما الامريكية في عام ١٩٥٩ فى فيلم (الملاك الأزرق) بطولة ماي بريت ، ومن اخراج ادوارد ديمتريك ثم قدمتها للمرة الثالثة تحت اسم (لوليتا) الفيلم الذى لعب فيه جيمس ماسون شخصية الاستاذ المسن الذى يهيم بحب تلميذته الصغيرة الجميلة

وعلى العكس من هذا التناول السينمائى في فهم قصة « لوليتا » لرى نفس الفكرة تستبدل موقع المرأة بموقع الرجل ، وبدلا من الرجل الناضج الأكبر سنا ، نرى المرأة الناضجة الأكبر سنا فى مواجهة شاب صغير خارج من سنوات المراهقة ، بمعنى أن هذا الشاب يماثل التعبير المذكر عن سلوكيات وواقع الانثي الصغيرة لوليتا .

هذا الشكل لا نراه فقط من اشكال العلاقات فى الاعمال الفنية ، ولكننا نراه بيننا في واقع الحياة .. مثلا النجمة الامريكية الشهيرة الايطالية الأصل التونسية المولد كلوديا كاردينالى متزوجة من شاب يصغرها سنا ، هو المخرج الشاب باسكوالى سكوتيرى الذى يقترب عمره من عمر أكبر ابنائها . وهي تبدو شابة جميلة برغم تجاوزها سن الأربعين ..

نفس الحال فى قصة الحب التى تربط الممثلة العالمية السويسرية الجنسية أرسولا أندرس ، التى تعرفت بالممثل الانجليزى الناشيء هارى هاملين (٢٧ سنة) وأحبته وهى المرأة التى تجاوزت الأربعين ، ولاول مرة تتخلى عن موانع الحمل لتصبح حاملا تنتظر طفلا من



ترافولتا وليل توملين فى فيلم « لحظة بلحظة »

زوجها الشاب ،وكل مخاوفها الآن الا يتم الأنجاب بسلامة ، لأنها الآن فى سن الثالثة والأربعين وهى سن صعبة لمن تحمل وتلد لأول مرة ٠

وهذا الواقع يبدأ أيضا من احداث فى الحياة اليومية تتصاعد لينشغل بها الرأى العام الفرنسى بمسالة الأستاذة جبرائيل روسيبيه التى ارتبطت بقصة حب مع أحد تلامذتها من المراهقين الصغار وقد شغل هذا الموضوع الرأى العام فى فرنسا وخارجها ، وصورت السينما الفرنسية فى فيلم (الموت حبا) ومثلت فيه آنى جيراردو قصة جبرابيل روسيبيه التى أدان المجتمع الفرنسى قصة حبها من البداية ٠

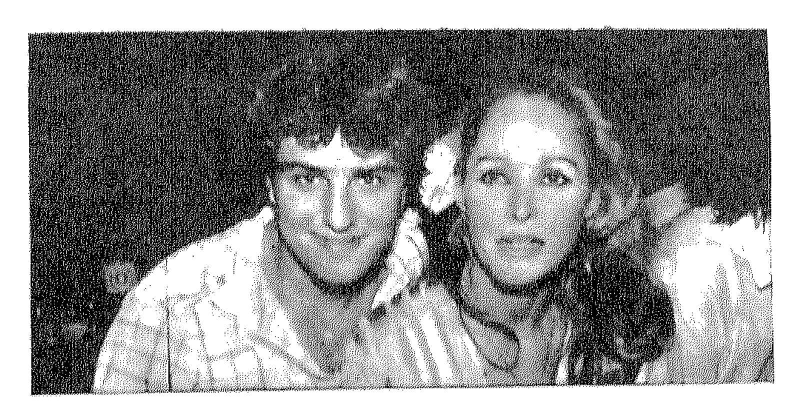
***

وقصة « فيدرا الآثمة » ليست ببعيدة عن الأذهان فهى قصة المرأة التى أحبت ابن زوجها « ايبوليت » ولكن الشاب يرفض هذا السلوك فتلجأ الى والده تحرضه عليه ، ويأكل الندم فيدرا فتنهى حياتها بالأنتحار ٠٠ انها القصة التى صاغها شعرا أ ٠ رابيد ، وسيناك فى مسرحية شعرية ، وتناولها بعد ذلك الكاتب المسرحى الفرنسى راسين ٠ ثم قدمها المخرج اليونانى العالمى كاكويانيس فى فيلم مثلته ميلينا ميركورى تحت نفس الاسم (فيدرا الآثمة) ٠

وهو نفس المضمون الذى أخذت منه السينما العربية نفس الخط فى أول فيلم تمثله نجمة السينما العربية شادية من اخراج المخرج الشاب أشرف فهمى (امرأة عاشقة) سيناريو مصطفى محرم وفيه لعبت شادية دور المرأة العاشقة لابن زوجها أمام محمود مرسى (الزوج) وحسين فهمى (الابن) ونالت عن الفيلم واحده من جوائز التمثيل السينمائى

***

واحدث افلام هذا اللون من التناول



ارسولا آندرسون

السينمائى يبدو فى الفيلم الامريكى (لحظة .. بلحظة) أو لحظة حب الذى أخرجه وكتب قصته جان واجنر ،ولعبت بطولته ممثلة المسرح الامريكية ليلى توملين أمام النجم المطرب المغنى الراقص جون ترافولتا ، وموضوع الفيلم قريب الى حد كبير من قصة فيلم (الأستاذة) التى مثلتها سيمون سينوريه أمام النجم الامريكى وارن بيتى .. وفيلم (لحظة .. بلحظة) يروى قصة حب بين اثنين ينتميان الى شريحة مختلفة فى المجتمع وكل منهما يعيش حياة مغايرة تماما لحياة الآخر ، فالمرأة تريشا سيدة ثرية ارستقراطية تعدت الأربعين (ليلى توملين) زوجة وأم ، تتعرف على شاب صغير وترتبط معه بقصة حب غير عادية تنتهى نهاية غير طبيعية ..

وهو موضوع عايشه بطل الفيلم جون ترافولتا فى حياته حيث ارتبط بقصة حب عنيفة مع الممثلة الراحلة دايان هيلد التى ماتت قبل أن تشهد انتشساره وشهرته الصاروخية ، وكانت هى أحد الأسباب التى عاونته فى طريق النجاح والشهرة ، لكنها ماتت بمرض خطير ليس له علاج قبل أن يقترن حبهما بالزواج وقبل أن يصل ترافولتا الى طريق النجومية .

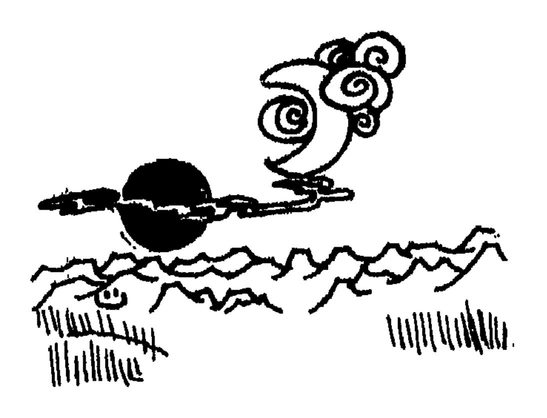
***

وفى نفس الاتجاه تهتم السينما العالميه بابراز هذا اللون من العلاقات -ها هى السينما تعود من خلال فيلم عالمى من انتاج كندا الى الأسطورة اليونانية (أوديب) لتقدمها فى معالجة عصرية من خلال تناول مختلف من فيلم لعبت بطولته صوفيا لورين من اخراج موريس سيجال .. الفيلم هو (أنجيلا) الذى اختاروا له اسم (الساقطة) عند عرضه فى مصر ، وهو يحكى قصة حب بين امراة تعدت الأربعين وشاب فى العشرين ، من خلال قسوة الأحداث السينمائية لتقديم الاسطورة اليونانية (أوديب) . وفى هذا الدور قدمت صوفيا لورين دورا من افضل أدوارها ، نفس الدرجة من الاجادة تفوق الممثل الشاب الذى مثل دور الابن جين .

وهذا الموضوع تناولته معظم وسائل التعبير الأدبية والفنية .. قدمته خشبة المسرح وشاشة السينما والشاشة الصغيرة ـ وها هو يطرح نفسه من جديد من خلال نساء شهيرات فى الغرب يتعلقن برجال شباب يصغرهن فى العمر ، مثلما نرى فى قصص الحب التى تربط أرسولا أندرس بوالد طفلها القادم ، وكلوديا كاردينالى ووالد طفلها الذى جاء مؤخرا ، وبريجيت باردو وحبيبها الشاب . وهذه حالات يعيشها الرأى العام هناك من خلال متابعة أجهزة الاعلام الفنية عندهم .. وما أكثر هذه الحالات فى الحياة العادية الأوروبية الأمريكية واكثرها يعيش فى ظلال الهدوء الاجتماعى والانسانى بعيدا عما يثير اهتمام اجهزة الاعلام الفنيه وغيرها من أدوات التقديم الفنى والثقافى .

●●

شمس و قمر



● تاج الدين نوفل ●

تاج القداسة والجلال ... وعرائس الحسن الغوال

وكواكب الشرف الرفيع ... تدق ابراج الكمال

والمال لا يحصى لديها ... والجمال ذرا الجمال

والعز ملك يمينها ... وجميع ما تبغى تنال

والطهر تاج جميلة ... تثرى به عرش الجلال

والعقل يستبق النهى ... برزانة تزن الجبال

والرأى سهم صائب ... بالحق فى الأمر العضال

والكل يسعى خاطبا ... ود العفيفه فى ابتهال

لكن بنت خويلد ... تسمو الى خير الرجال

***

رأت النجوم ببيتها ... والشمس تعتنق الهلال

هذا محمد الأمين ... تراه فى عين الخيال

زوجا به تسمو الحياة ... ويزدهى عقد الكمال

قد شاقها منه اكتمال ... فى المقال وفى الفعال

ويدق قلب خديجة ... والحب يستبق المحال

فاذا ذكرت محاسنا ... فهما المحاسن لا جدال

***

يا يوم أن جاء النبى ... الغار فى قمم الجبال

وأتاه جبريل الأمين ... الوحى من رب الجلال

ويهزه هزا شديدا ... وهو يدعو فى ابتهال

ودعا خديجة زملونى ... انها آى ثقال

ويقص قصة بعثه ... والزوج تسبح فى الخيال

وتقول لا والله لا ... يخزيك ربك ذو الجلال

انت النبى المرتجى ... يمحو الاله بك الضلال

***

يا سعدها من زوجة ... سبقت بواقعها الخيال

قد صدقته باصغريها ... حين كذبه الرجال

فاحبها حبا تزول ... له الجبال ولا يزال

فالشمس تشرق كل يوم ... ثم تغرب لا محال

لكن شمس خديجة ... تابى الغروب او الزوال

من ديوانه الجديد
« اللؤلؤ والمرجان »

قصة :

العزيزة

● محمد صدقي ●

متعة مشاهدة الزهور الفواحة العطر وهي تستقبل طلوع الشمس ، زاهية الالوان ، نضرة ريانة بالصبا .. بهجة للنفس ، لا تعادلها متعة عند من يزرع الزهور ويرعاها ، يفرح بازدهارها وانتشار أريج عطرها

مثل هذه المتعة المبهجة التي تزيل من كل قلب اى هم يثقله ، تشرح الصدر ، تمنح النفس مع استقبال النهار الجديد قدرة الرضا باحتمال الحياة ايا كانت مصاعبها ..

يعرف كل ذلك ، يفهمه ، تعود أن يحس به « ابو الوفا » البستاني العجوز ، لكنه ذلك الصباح وهو يخطو اولى خطواته داخل حديقته اصابه حزن بالغ اسيف عندما اقترب من حوض ازهار حديقته الاوسط ليسعد برؤية احدى زهوره الاثيرة عنده ، يتنسم عطرها المسكى الفواح ..

الحزن البالغ الاسيف تفطر له قلب أبى الوفا وهو يميل على زهرته الاثيرة عنده ، فاذا بها تستدير عنه بتاج اوراقها الياقوتية القطيفية مائلة بالتماعات الزغب الحريرى فى انكسار حزين ناحية الارض ..

تامل أبو الوفا زهرته مضطربا مندهشا :
تساءل متاسيا بلفة أنامله التى بدأت برفق تتلمسها :

ـ مالها « العزيزة » .. لماذا تستدير بوجهها عنه ؟ !

والحنو بلمسات أنامله المدربة يقرب أوراقها القطيفية بحنان من شفتيه يترضاها ، يتشمم عطرها بلهفة الاشفاق الحزين

لكن الزهرة مرة اخرى تحت تاج كاسها ، مالت به ناحية الظل من الجانب الآخر ..

قال البستاني « ابو الوفا » يحدث نفسه

ـ عجيب أمر هذه الزهرة .. منذ عثرت على بصيلتها لزهرة بربة بين الصخور .. وأنا اعرف انها من نوع كريم نادر ، نوع كما علمتني خبرتي رائع الرأس دائما ، زهرته فواحة برائحة المسك ، جلالها فى رائحتها ولونها وسموق ساقها بالتاج الياقوتى المتلألىء .. اليس اسمها « العزيزة » .. الزهرة التى تعيش طويلا ، ولا تموت الا رائعة كاس تاجها ! مهما واجهتها ظروف صعبة معاكسة .. قد تذبل ، تضمحل صلابة ساقها ، يخبو تلألؤ اوراقها ، يتكدر لونها الى البنى حتى تتحول محترقة بالجفاف ، غير قادرة على امتصاص غذاء التربة ، وتجف ، تجف ، حتى تموت .. لكنها تظل رائعة الراس ، تذرى الرياح المكسية باوراقها الجافة ، لكن .. تظل ساقها متماسكة . عودا من حطب جاف صامد للريح ، كما تموت الاشجار الكبيرة العتيقة واقفة ..

لكن .. مالها الان هذه العزيزة التى حلمت ، تمنيت ، بحثت طويلا حتى عثرت عليها .تخذلنى ؟!

وتفحص « ابو الوفا » باناة خاشعة شفوقة اوراق زهرته المفضلة التى يعشقها منذ وضع بصيلتها فى ذلك الحوض ورعاها بعناية الشوق والحب للزهور الكريمة .. تاملها .. فكر فى حالتها الغريبة عن خبرته ، تفحصها بيقظة الحدب العطوف متسائلا :

ـ ماذا حدث للعزيزة .. كيف اصابها هذا المكروه الذى اجهله ؟ .

كان يحب فيها دقة حجمها الصغير ، انعكاسات تلألؤ اللمعان الياقوتى بين اوراقها ، ساقها النحيلة السامقة الكبرياء ، كما لو كانت بين الزهور ترفع بجلال توليفات اوراقها الفواحة بالعطر المسكر الذى تعودان يتعبه شفا صدره كل صباح مع طلوع الشمس وغمرة الاحساس الطروب بان هذه هى زهرته « العزيزة » .. ماله الذى يعيش من اجله ، سره الخاص فى بستان عمره ..

لكن .. مالها العزيزة اليوم تنأى عنه بتاجها الياقوتى منكسرة حزينة ؟!



ببراعة البستانى وحذقه وصبره الودود فى مهنته راح ابو الوفا يدير انامله الخبيرة فى تربة العزيزة ، يحفر حول ساقها ، يغير لها حبيبات التربة السمراء بتربة اخرى ، مخصبة تحته وهج الهجر اياما ، اجتلبها من حول اقوى زهور الحديقة ريمانا ليساعد بخصبها على عودة النمو لزهرته العزيزة كى تقوى على الوقوف قادرة على مواجهة اعاصير الريح وآفات التربة

رواها بقطرات الماء على فترات فى رقة ..

اسند ساقها بعود جاف غرسه الى جوارها ، ثم ربطهما بخيط رفيع الى زهرة عباد شمس فتية لتنتعش فى ظل قرصها الكبير ..

صنع من اجل العزيزة كل شىء استطاعه .. اقتلع جذور زهور بديعة عزيزة عليه من حولها ليفسح لها غذاء التربة من حولها ..

فعل كل شىء استطاعه ، لكن العزيزة مالت براسها اكثر ناحيـــة الارض .. ومالت .. ومالت ..

كانت كل يوم تميل براسها اكثر دون ان تجدى معها كل محاولات « ابو الوفا » الحزين ، حتى مالت اكثر واكثر .. حتى التربت بتاجها المحترق من تراب الحديقة ، اوشكت ان تدفن تاجها الى جوار ساقها فى الطين

اتكون يا ابا الوفا قد فقدت خبرتك فى رعاية « العزيزة » .. قصرت فى العناية بها .. أم .. ماذا ؟ !

عندما مر ابو الوفا ذات صباح مسـدلة فى الحديقة ابصر بالعزيزة جثة هامدة ترقد متصولة العنق بين تشققات الطين الجافة

بقلب حزين من راحة يده مرتجفة الاصابع .. وباحساس الوفاء للزهرة التى كان يعشق تنسم رائحتها الفواحة بعطر المسك كل صباح حفر حفرة صغيرة الى جوار ساق العزيزة الجاف .. وكما يدفن الاب ابنه الصغير الوحيد بكل الحزن الذى يكسر القلب ، وارى « ابو الوفا » زهرته العزيزة لحدها .. ثم غطاها بالتراب فى رفق حزين ، ومشى خارجا من الحديقة لا يرى شيئا مما حوله ، لا يسمع تغريدا لعصفور بالحديقة ، لا تضىء الشمس أمام ناظريه ، لا ترطب نسمات الصباح فى الحـديقة بروائحها الزكية حر صدره ..

مكتئبا .. مشى حتى جلس عند سور حديقته الى جوار شجرة السنط المصرى التى كان قد اقتلعها بعيدا من وسط الحديقة بين الزهور ، محددا مكانها الصحيح الى جوار اشجار العوسج ليكمل بها فراغا فى سور الحديقة

وتمر الايام .. تمر الايام الصعبة الذكريات بأبى الوفا وحديقته التى أهملها ..

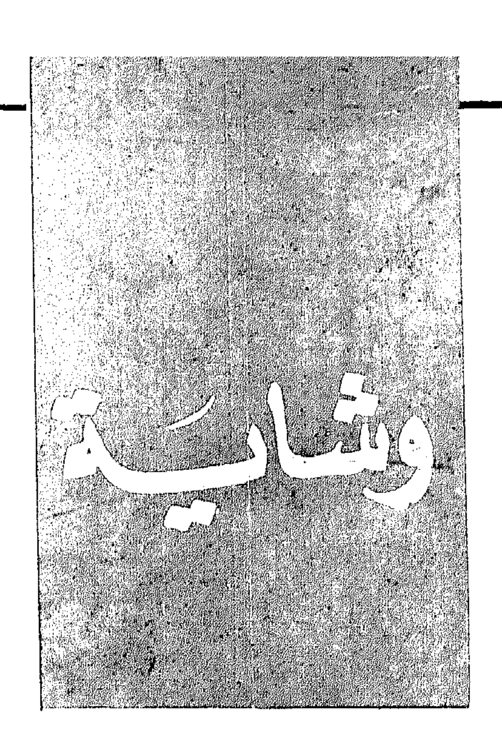
كان قد تعود الحزن والجلوس وحيدا قرب باب الحديقة وسور العوسج يتأمل .. حتى حدث يوما ان قام يمشى شاردا بعد منتصف السوالى وسط الحديقة فخيل اليه وهو يمر مكتئبا بمكان زهرته القديمة ـ مرقدها الذى كان قد دفنها فيه ـ انه يسمع بخبرته العتيقة كبستانى ماهر رفيفا ناعما .. كالهمس .. ورائحة مسكية توقظ فى صدره أشواق سحر نافح الرائحة فى قارورة ذكريات عمره

تلفت « ابو الوفا » حوله ..

تلمس بعينين شغوفتين سطح التربة امامه ليرى زهرة صغيرة ، ياقوتية الاوراق الرقيقـة تسمق فوق ساق خضراء نحيلة ، رافعة الراس ، لم تغرس بعصيلتها اصابعه ..

ابصر ابو الوفا ارتجاف اوراق الزهرة الياقوتية الصغيرة مشعة متلألئة ، ترتجف بين نسمات الصباح الهنية اللينة .. وكأنها تهمس له .. تحدثه ، وثغره يفتر عن ابتسامة فرح طفولى غامر ..

ـ ابا الوفا .. ابا الوفا .. يا ابا الوفا .. لماذا حزنت طويلا من اجلى .. ناسيا ان بذرتى لن تفنى وفى الارض تربة .. وحولى فى الحديقـة زهور اخرى ؟؟ !



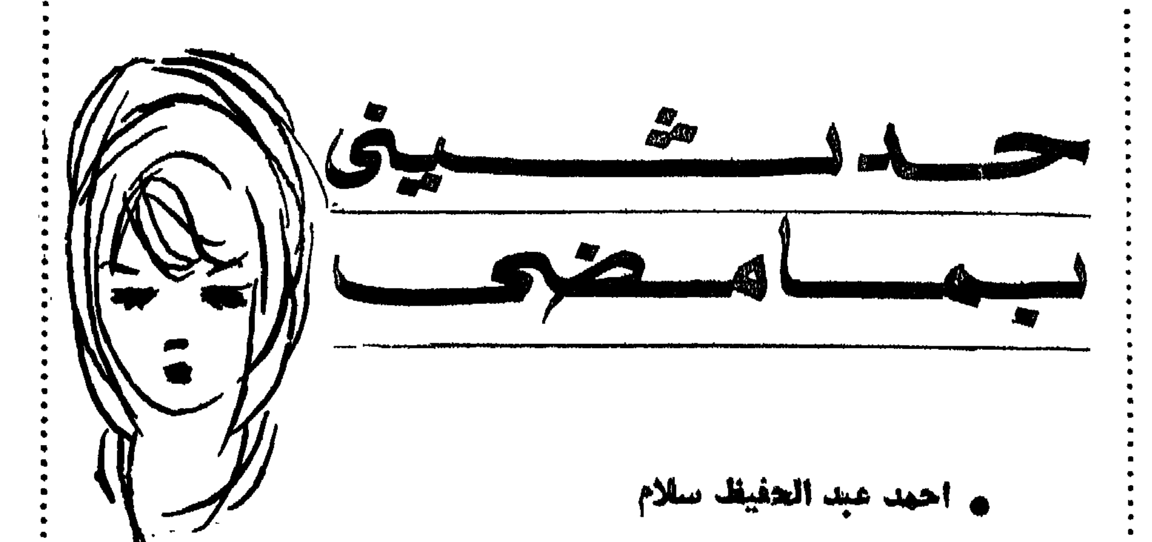


● عبد الهادى النجار ●

انبئت أن صديقتي
شغلت بغيري – في جنون !!
ان صح ذاك فانني
من بعدها عيشى يهون
تلك التى كطتها
بمحبتي لو يعلمون !
يا كثرها افراحنا
لن نفترق : انى يكون
لا ، لا . . . فان صديقتى
تهوى الفضيلة : لن تخون
فالتم تعقلك ماتما
حتى تبيع الياسمين !

●●●

ودنت معطرة الوفا
وتبوح بالسر الدفين ؟
هتفت الهجر كوكبا
انسامه تسبى العيون
انت الذى غمر الوجو
د ببسمة الروح الامين !
انت الذى علمتنا
الا تغالبنا الشجون !
فى كل آن كنت لى
يا زورقى ... همس الجفون !
يا اسرى ، مهما تنا
ينا فلن ينساى الحنين
فدع الوشاة مكانها
انا تجاوزنا الظنون !



حدثينى بما مضى

• احمد عبد الحفيظ سلام

حدثينى بما مضى فلقد   هاج لحن الشباب وانتحبا
ان تكن نزوة الصبا ذهبت   فالغرام الاصيل ما ذهبا !
انت يا فتنتي هواك به   فاض كاس الحنين وانسكبا
انا احيا له كما وقفت   وردة مال عودها طربا !

***

اذكرى جنة وانت بها   خمرة كاللهيب في قدحى !
كم شربنا سلاف نشوتنا   وانطلقنا باجنح المرح !
وانتشينا فصار مرتعنا   مسرحا فى محافل الفرح ..
ومضى يومنا وقد ضحكت   شمسه بالضياء والوضح !

***

كم تركنا الزمان جانبنا   فهو قيد بمشرق وغروب
نحن لا نعرف الحدود ولا   تنتهى شمس يومنا بمغيب
عمرنا سرحة وما دخلت   لحظة فى سجله المكتوب !
سارت الارض فى ملاحمها   وكلانا فى حلمه الموهوب !

***

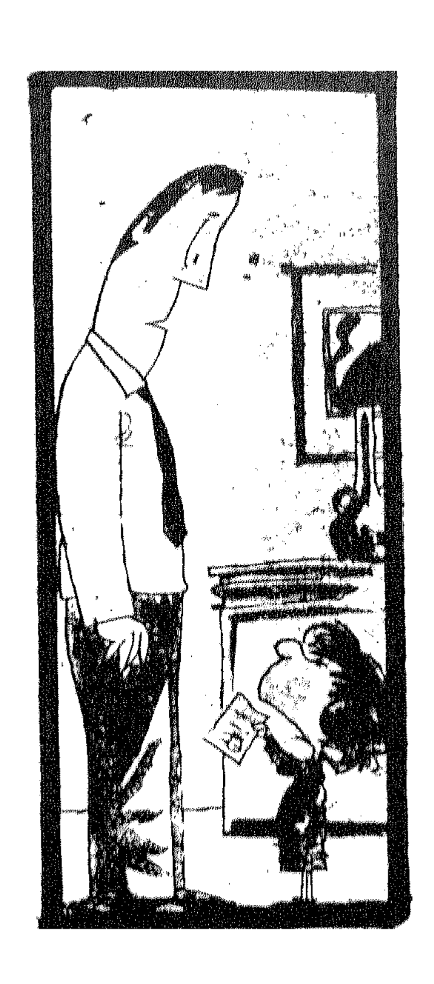
وكأن الخلود يتركنا ...   فى ظلال مظلولة وحياه
ما عرفنا الذهاب او خطرت   نغمة من ندائه وصداه
غير انا نعيش ساعتنا   نجمع الدهر كله ومداه
مثل طفلين ظل صبحهما   يتهادى بفجره وضياه !

***

حدثينى فما نسيت وما   غاب روض الشباب عن خلدى
انا فى ظله وان عصفت   امسياتى بلحنه الغرد ..
قد جعلت الذى مضى مددا   لصباحى ومغربى وغدى ..
انت يا سلوتى عل زمنى   حدثينى به ال الابد !

كاريكاتير

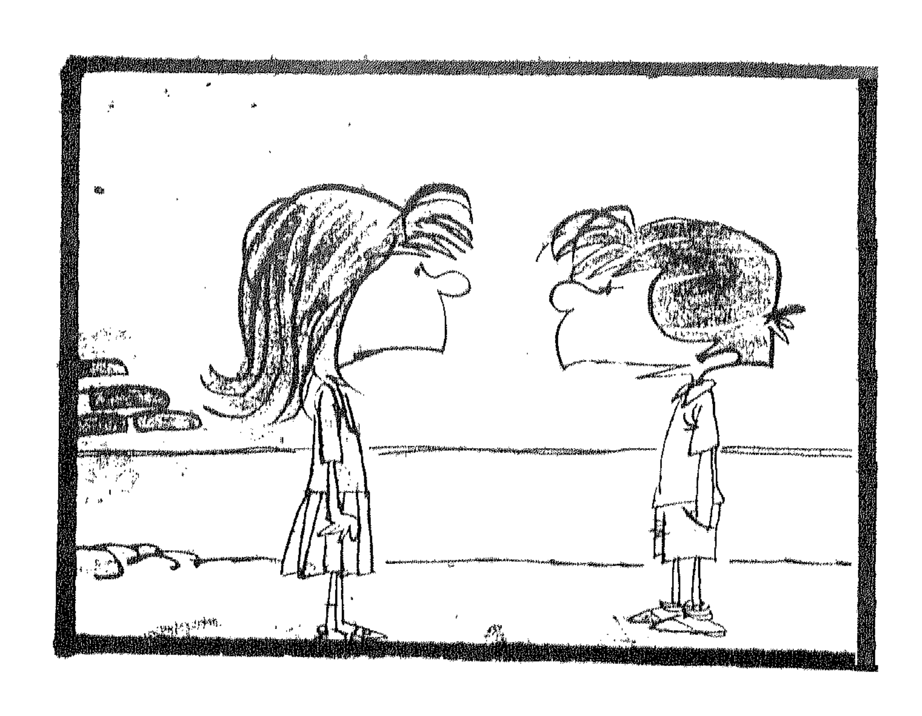
جيل جديد جداً..!



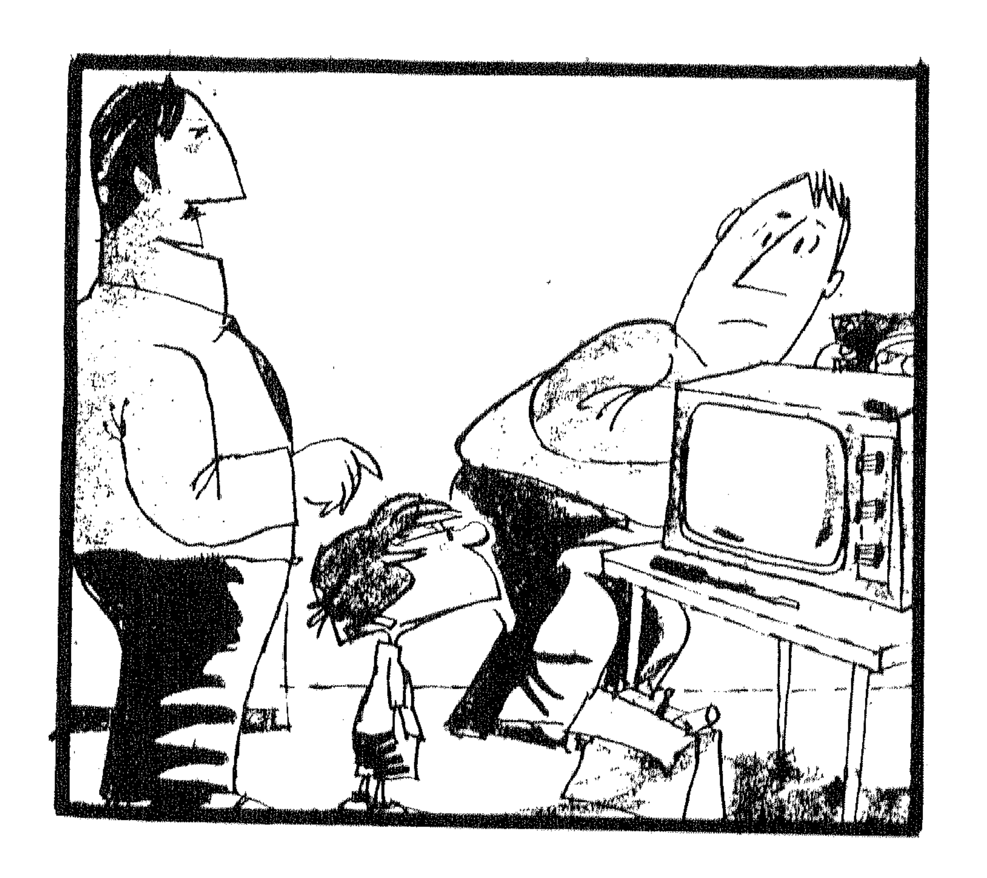
الولد لابيه : انا معاك يابابا ان الشهادة بتاعتى السنة دى مش قدكده ... لكن انت لك برضه نصيبك من المسئولية ! .. والا يعنى نسيت انك كنت بتساعدنى وتحل لى الواجب؟ !



الولد لامه : باركى لنا ياماما .. خلاص انا وعرفت أعلنا خطبتنا ! .. شدوا حيلكم يا للا بقى وجهزوا لنا الشقة!



الولد لصديقته : تأكدى انك عاجبـــانى لدرجة الخطبـة وعقد القران .. لكن اللى مش عاجبنى ابدا مـامـاكى وباباكى ! . . اتصرفى بقى ودبرى لنا الحل السعيد !



الرجل لصاحبه : عجيبة جـــدا انـــك عاوز تصلح التليفزيون بعـــد ابنك ماتعب فيه وعطله ! لأ، لا ياراجل .. اعقل ، احمد ربنا وشوف للولد مكافأة مجزية !

الإســـتشـــارة..

● رفقى بدوى ●

— ١ —

● هكذا تكون الايام ، علقما امتصه صباحا ومساء ، ولفــة الاستشارة تحاصرنى فى كل مكان، لذلك، تعودت أن اجلس مفكرا فى اشياء بعيدة كل البعد عن الموضوع الذى يثيرنى ، افكر فى الاعلانات وانا منحشر حشرا وسط الجمهور الملتصق التصـــــــاقا فى « الأتوبيس » ، افكر ما معناها ...

دخان السجائر يخنقنى والنوافذ، كل النوافذ ، مغلقة ، خوفا من برد الشتاء اللعين ، كانت ســـيجارة الملتصق بى تلسعنى وتحرق قفاى ، لكنه تاسف .. قرضت اظـــافرى قرضا ، وابتسمت هكذا ، تعودت الا استثار بعد ان ضربت مرة فى « الأتوبيس » لاننى حاولت أن أعنف احد المدخنين لانه حرق بسيجارته قميصى .

— ٢ —

كمســــــئول ادارة يجب أن أكون متماسكا ، وأن أكون حازما ، لـــكنى اتعجب لشباب هذه الأيام ، فلقد اقسم الملعون بشرف أمه اذا اعطيته تقريرا اقل من ممتاز ليضربنى ويعلمنى الأدب .

قلت له مرارا يا أستاذ سالم لا تعلم الزملاء التسيب وتجعلهم يوقعــون لك بالحضور والانصراف ، يا أستاذ سالم أنت لا تعلم مدى ما اتحمله من أجلكم لدى المدير العام ، لكن الملعون سالم نفذ ما وعد وصفعنى امام كافــة الموظفين ، فنقرت بأصـــابع يدى مكتبى وقضمت اظافر يدى الاخرى واعتذرت له ..!

— ٣ —

عنفتنى زوجتى مرارا ، وقالت انها قد خطبت لمن هم أفضل منى ، ولولا قدرها السيىء لكانت اليوم مثل زوجـة جارنا الميكانيكى او زوجة النقاش الذى يسكن فوقنا .

قالت ذلك ثم لعنت الشـــــهادات الجامعية واليــوم الذى عرفتنى فيه ، وقالت اننى ضـــحكت عليهـــا ببعض الـكلمات التى لا تنفع ولا تشفع ، فانقر المائدة ، باصابع يدى واقضم اظــافر



اصابع اليد الاخرى ثم انسل انسلالا مفكرا فى معنى كلمة مارس او امشير او ربيع اول .

— ٤ —

كانت السينما ممتلئة ، فيوم الاحد عطلة لصبية الورش والمحلات ، وبعض التلاميذ الهاربين من المدرسة .

كنت ارتدى ملابسى القديمة كى لا اظهر بمظهرى الرسمى كمدير ادارة واكون شاذا فى صالة العرض ، فالافلام الثلاثة المعروضة فى برنامج واحد لذى القبضة الحديدية ، قاهر الشيطان .

كنت قد تعودت الا اذهب للعمل يوم الاحد ، وادخل حفلة السينماالصباحية وكنت اشعر بالضيق الشديد فى نهاية الاسبوع ، وانتظر يوم الاحد بفارغ الصبر ، حيث ان زوجتى ذات الحسب والنسب والرفعة سليطة اللسان ... وكانت طفلتى التى انجبتها مؤخرا بعد زواج دام ثلاث سنوات تجعلنى حين انظر فى عينيها اشعر بأن كل شيء يهون ، وبضرورة استمرار هذا الرباط لنهاية العمر .

كنت اصفر لها وارقص ، ترتمى على، فاقبلها ... وكان لسان زوجتى الحاضر دائما ، والحامل دائما لكلمات السخرية منى ومن عائلتى ، يجعلنى انتظر يوم الاحد بصبر نافذ .

كثيرا ما احاول ان امسك بكرسى والقيه فى وجهها ، وافتح فمى عن آخره لاطلق قسم الطلاق ، لكن فمى الملعون ينغلق بمفرده ، لان عينى طفلتى الجميلتين حين تنظران الى وتبتسم تجعلنى اؤجل اى شيء لاسبح فى هاتين العينين الصافيتين البريئتين ، فانقر باصابع يدى على المائدة واقضم اظافر اليد الاخرى ، وابتسم ! .

كنت افضل الجلوس فى «الترسو» او الصالة لكى اختفى وسط الصبية ، وكنت حال دخولى صالة العرض انسى اننى احمل شهادة عليا ، ومدير ادارة ، وانسى ايضا اننى انسان مختلف عنهم ، بل اجاهد فى ان اكون مثلهم ، فاغير لغتى وطبيعتى وادخن السجائر الرديئة .

يبدأ العرض السينمائى ، فيرتفع صوتى عاليا مشجعا البطل على قتل خصمه ، ونتيجة لما احدثه من هرج ترتفع كلمات من اركان الصالة تطالب البطل ايضا بأن يقتل خصمه .. وعندما يحدث ما انتظره وينقطع الشريط السينمائى فجاة — ودائما يحدث ذلك — وتصبح الصالة مظلمة ، أرفع صوتى لاعنا ماكينة العرض والسينما. فتحدث الجلبة والصفير من جميع المواقع .

اشعر ان شيئا ثقيلا قد ازيح عن صدرى ، واننى حين عودتى بعدمشاهدة العرض اكون اكثر استعدادا على تحمل اهانات زوجتى ، واكثرطواعيةلاوامرها، واحس بان قامتى التى كانت ممتدة ومرفوعة ، وقوتى التى كانت كقسوة بطل الفيلم — حين كنت ادق كراسى السينما عند انقطاع الشريط السينمائى — قد أصبحت كقوة فأر ،وقامتى قصيرة مرنة وقابلة للانحناء اكثر من اى وقت مضى ! ....

سلامة قلبك

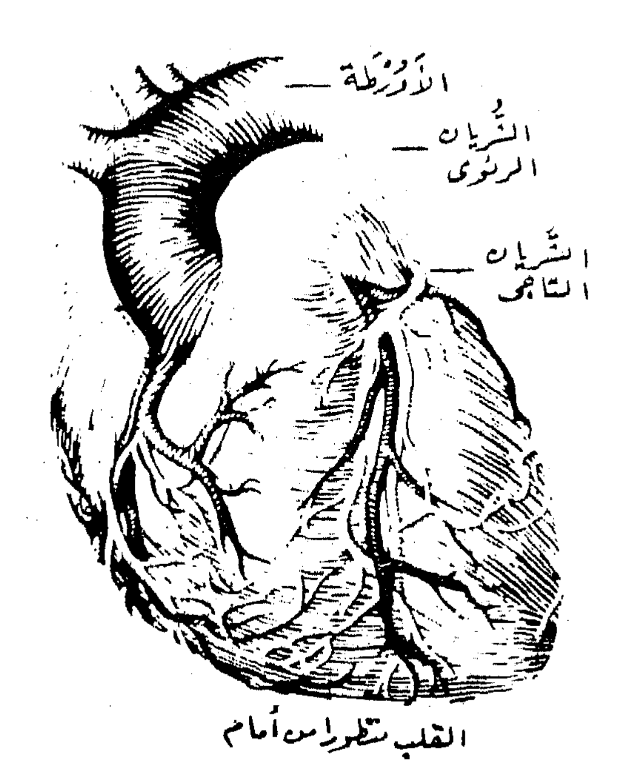
قلب الانسان هو العضو الاساسى فى الجسم . فهو الذى يمده بالدم والحياة ... والقلب فى حجم قبضة اليد ، وهو عضو عضلى وظيفته ضخ الدم الى جميع اجزاء الجسم ...

ويتكون القلب من اربع « حجرات » اثنتان علويتان تستقبلان الدم القادم فى الاوردة ، واخريان سفليتان تضخان الدم فى الشرايين ... فاذا وضعت يدك على صدرك وأحسست بدقات قلبك فاعلم أنك تضع يدك على « الحجرة » السفلى من الناحية اليسرى التى تضخ الدم لجميع أجزاء الجسم ، أما جارتها اليمنى فتضخ الدم الى الرئتين ..

ويضخ القلب فى الدقيقة الواحدة كمية من الدم تعادل جالونا وربع جالون، وهذا الدم يتسرب الى شبكة طويلة من الاوعية الدموية داخل الجسم ، وتحمل الشرايين الدم من القلب بينما تقوم الأوردة بحمله الى القلب ، ويحتوى الدم الذى يدخل الجانب الايمن من القلب على ثانى اكسيد الكربون ، وهذه المادة يطردها الجسم فى هواء الزفير مستبدلا الاكسجين ويتم ذلك عبر جدران حويصلات الرئتين بحيث يصبح الدم عند وصوله الى الجانب الايسر من القلب . قد تمت تنقيته واحتوى على الاوكسجين ليساعد على تزويد الجسم بالطاقة التى يتطلبها ...

والقلب نفسه بحاجة الى تغذية ينالها بواسطة الشرايين التاجية .

ولكى تطمئن على سلامة هذا الجزء الهام من الجسم ولكى تعرف ما اذا كنت ـ لا قدر الله ـ معرضا للاصابة بمرض القلب فقد أعد لك الدكتور محمد شرف رئيس قسم العلاج الطبيعى بمستشفى السباحل جدولا يساعدك،وحتى لا ينتابك الخوف على قلبك ... وقد راجع هذا الجدول الدكتور ضياء ابو شقه اخصائى القلب .



القلب منظوراً من أمام

بعد ان تقرأ هذا الجدول ...

اعط نفسك الرقم الذى ينطبق عليك فى كل خانة ..

ثم اجمع هذه الارقام لتعرف فى أى مجموعة تقع من حيث احتمال الاصابة بمرض القلب ...

اذا وجدت انك معرض فلا تخف واستشر طبيبك

ولاحظ فى الجدول ما يلى .

● وزنك يجب ان يكون تحت المعدل الطبيعى

● حركتك يجب ان تكون بمعدل صحى ، فأبدأ فى ممارسة شىء من الرياضة او على الاقل المشى

● تجنب أو قلل الدهون فى طعامك ما استطعت ...

اعداد : موريس عزيز

الجنس	ضغط الدم القراءة العليا	نسبة الدهون فى غذائك	الحركة	التدخين	الوزن	الوراثة	السن
أنثى تحت الأربعين ١	١٠٠ ١	لا يحتوى على دهون ١	عمل يدوى ويمارس الرياضة ٢	لا يدخن صفر	أقل من الطبيعي بـ ٣ كيلو فأكثر صفر	عائلة بدون مرض قلب ١	١٠ - ٢٠ سنة ١
أنثى من ٤٠ - ٥٠ سنة ٢	١٢٠ ٢	تحتوى ١٠٪ دهون وزيوت ٢	عمل نصف يدوى ويمارس الرياضة أحيانا ٢	سيجار أو غليون ١	طبيعي ١	قريب واحد ٢	٢١ - ٣٠ سنة ٢
أنثى فوق الخمسين ٣	١٤٠ ٣	تحتوى على ٢٠٪ ٣	عمل مكتبي ويمارس الرياضة بشدة ٣	١٠ سجاير ٢	١-٥ كجم أكثر من الطبيعي ٢	٢ أقارب بعد سن الستين ٣	٣١ - ٤٠ سنة ٣
ذكر ٥	١٦٠ ٤	تحتوى على ٣٠٪ ٤	عمل مكتبي ويمارس الرياضة أحيانا ٥	٢٠ سيجارة ٤	٥ - ١٠ كجم أكثر من الطبيعي ٣	قريب واحد تحت الستين ٤	٤١ - ٥٠ سنة ٤
ذكر متوسط التوتر ٦	١٨٠ ٦	تحتوى على ٤٠٪ ٥	عمل مكتبي ورياضة قليلة ٦	٣٠ سيجارة ٦	١٠ - ٢٠ كجم أكثر من الطبيعي ٥	٢ أقارب فوق الستين ٦	٥١ - ٦٠ سنة ٥
ذكر قلق ٧	أكثر من ٢٠٠ ٨	تحتوى على ٥٠٪ ٧	عمل مكتبي ولا يمارس الرياضة ٨	٤٠ سيجارة فأكثر ١٠	أكثر من ٢٠ كجم أكثر من الطبيعي ٧	٣ أقارب تحت الستين ٧	٦١ - ٧٠ سنة ٨

٦ - ١١ غير معرض ١٢ - ١٧ احتمال الإصابة قليل ١٨ - ٢٤ احتمال طبيعي ٢٥ - ٣١ احتمال وارد أو متوسط

٣٢ - ٤٠ خطر ٤١ - ٦٣ اذهب إلى طبيب القلب فورًا

جدول يساعدك أن تطمئن على قلبك

قصـــة

معـزوفة مـن عمـق الـزمـن!

● مراد صبحي متي ●

في صغري عاد ابي في تلك الليلة، مبكرا ، ولا تزال آثار « البودرة » فوق وجهه على الفور ادركنا أن لديه عملا ... انتعل حذاءه الاسود اللامع . ارتدى جلبابه الابيض الحريري المخصص للحفلات ، تحت معطفه الحالك السواد . اصبح على « سنجة عشرة » . طال الوقت عليه . وراح يسري عن نفسه بتدليك طبلته براحة يده ، في انتظار من يصحبه ، الى « الفرح » المنشود ...

اخيرا لم يجد بدا من السماح لي باصطحابه ــ لاول مرة ... لم اصدق أذني ، كدت اطير فرحا ... لست اذكر الآن ، كيف وصلنا الى حيث الاضواء الباهرة ، والضحكات الطليقة، والزغاريد العالية ...

دخل اعضاء الفرقة الموسيقية مع ابي في نقاش حاد طويل عريض وهم يتهمونه بالتاخر البالغ عن الموعد ، وهو يجلس الى جوارهم أمام المدعوين فوق نصب مرتفع ــ اشبه بخشبة المسرح ــ بينما اندسست وسط الحاضرين ، وأنا أعيد نظري ، واقاوم رغبتي الجارفة في أن اميل فوق آذان جيراني، لاخبرهم انني ابن « توفيق » هذا الطبال .. المعروف !..

وبدأ الحفل بتقدم « عشرة بلدي » من راقصة الفرقة ومطربتها الاولى ــ حيث راحت تتثنى وتتلوى ، على انغام الموسيقى ، ثم تبادل معها افراد الفرقة فقرات البرنامج التالية، وأبي يسهم فيه بنصيب الأسد، فلا غنى عن أصابعه الحساسة ، وضرباتها البارعة فوق طبلته العتيدة ، تصحبها اهتزازات جسمه المتتابعة . الى اعلى واسفل، ويمنة ويسرة، وخلفا وأماما ، تبعا لماتتطلبه «أصول الصنعة» والايقاع المطلوب !.

امتدت السهرة الحافلة بألوان المسرات ، وامتدت ، لتتخللها لحظات « النقطة » ــ بين الحين والحين ــ تهبط خلالها الراقصة الى صفوف المدعوين ، تتمايل بجسمها اللدن فوق كتف هذا أو ذاك لتتلقى الاوراق المتفاوتة القيمة ــ فوق جبينها ، او داخل فتحة صدرها المتسعة ، فتنفلت برشاقة ودلال ، لتقبل «النقطة» مرددة كلمات صاحبها في « تحية العريس ، وأهل العريس ، والعروس .. واهل العروس ، والضيوف و ... انا وانت، الف مرة ، وكمان الف مرة !.. » ..

وتعزف الموسيقى جزءا من السلام الوطني قد يطول او يقصر قليلا، حسب قيمة « النقطة ... »

.. مضت الساعات، حافلة بالمتعة، وانا أقاوم رغبتي القاهرة في النعاس، حتى الظهر أمام والدي بمظهر الذي يعتمد عليه : فجأة .. تصاعدت اصوات عابثة ، من شلة شباب ثمل ، تردد بصوت منغم رتيب: «ليفه، ليفه، ليفه،

اذا بى اجد ابى يقف مترددا ، ليقابل عاصفة من التهريج والصفير ، ليلقى « منولوجا » فكاهيا ، وهـــو يهتز بجسمه الضئيل القصير ، على نغمات الموسيقى هزات متتالية ، قوبلت بالضحكات المتوالية التى أثارت فى قلبى الصغير ، كوامن من الالم والمرارة !

.. ثم ، اذا به فى حركاته العشوائية يقترب من حافة النصب المرتفع ، دون أن يشعر ، لتزل قدمه ، ويتهاوى الى الارض على حين غرة ، لولا أن أسرع القريبون منه الى نجدته ، فلم يصب الا بعرج ظهر أثره بوضوح وهو يعود الى مقعده ، مادا ذراعيه المرتجفتين الى الامام يتحسس بهما الطـــريق ووجهه ينطق بالألم الفادح المكبوت، فى اعماقه ، وعيناه الغائرتان المظلمتـــان تحدقان فى .. لا شيء !! ...

كاد قلبى يسقط بين ضلوعى ، ودموعى الغزيرة تنهمر فوق وجنتى.. يا لابى الضرير المسكين ! .. يحدث له كل هذا ، وأجده يكبت آلامه ومشاعره بشجاعة نادرة ، ويستأنف عمله فى الحال ، فى سبيل لقمة العيش له .. ولى .. ولوالدتى المريضة ، ولاخواتى واخوتى الكثيرين ! ..

اشـــاهد أحد المدعوين يسر فى أذن الريس « حميدو » ــ رئيس الفريق ــ شيئا ، دفعه الى الغمز بعينيه الى زملائه ، حيث كفوا فورا عن العزف دفعة واحـدة ، وما لبث ابى أن أدرك باذنيه المرهفتين حقيقة المؤامرة، فكف بدوره ... وعادوا الى العـــزف ، فاستأنف ايقاعه . وعندما توقفــوا ثانية ، توقف معهم هذه المرة فى آن واحد . فلم يتمالك المستمعون الا أن انطلقوا فى تصفيق حاد طويل ، تخللته عبارات الاستحسان الصادقة لاول مرة!!

وضع صـــاحب المؤامرة فى كف ابى ورقة مالية تقديرا له. رفضها والدى فى اباء وشمم . عندما اصر الرجـــل ، واقسم بالطلاق ، تناولها ليدسها فى



يد «الريس حميدو » فى كبرياء، ليعاود الناس التصفيق ! ..

هنا امتلأت فخرا واكبـــارا لموقف والدى المشرف ، ولم اتوان عن الاندفاع صوبه، متخطيا الصفوف بلا تردد .. وبكل مافى من عاطفة القيت بنفسى بين أحضانه ، اقبله بحرارة ، هاتفا مـــن أعماق فؤادى : ــ « ابويا .. ابويا.» تدحرجت العبرات من عينى فوق وجهه فضمنى الى صدره بحنان دافق . . . وقدته الى الخـــارج مرفوع الراس ، وسط عاصــــفة من التصـــــــفيق . . .

●

مناجاة فى صبح الربيع



● ابراهيم صالح ●

وقادتنى خطاى الى ضفاف نام فى أحضانها الظل
وسبح فوقها الطل
ونور صباحها طفل
وحول الجدول الرقراق صل التوت والصفصاف والنخل
***
وقفت هنيهة وبروحى الظمأى تمشت نشوة كبرى
تموج بأعينى سحرا
وتجرى فى دمى شعرا
وتهتك كل ستر لف هذا الكون يخفى خلفه سرا !
***
سمعت هتاف أعماقى تردده لهاة الطائر المرباح
على الأغصان والأدواح :
تعالى فالق الاصباح
تعالى من يفجر من كهوف الليل آيات السنا اللماح
***
واغرق خاطرى النشوان فيض عبقرى من رؤى الاشراق
دعته مليكة الآفاق
وحيا رسمها الأحداق
وهبت من كراها صحوة تحيى الربيع الزاهر الألاق !
***
وغنى للحياة نشيدها الأزلى ركب زاحف للنور
على درب البقاء يسير
وفى فلك الوجود يدور
فيصحو ان صحت شبابة الحادى ويغفو ان غفا الديجور
***
وطافت روحى السكرى تزف الركب تحدو فى المسير خطاه
وترفع للسما شكواه
دعاء ضارعا وصلاه
وتحنا يسحر الدنيا ويشجى مسمع الايام رجع صداه ؟●●

شمس تضيء أو شمعة تحترق

● درية عبد الله ●

للانسان فى علمه اربعة احوال ، كحاله فى اقتناء الاموال : اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا .. وحال ادخار لما اكتسبه ، فيكون به غنيا عن السؤال .. وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعا .. وحال بذله لغيره فيكون به سخيا متفضلا ـ وهو اشرف احوال المال .

فكذلك العلم ، يقتنى كما يقتنى المال ، فله حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل يغنى عن السؤال ، وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به ، وحال تبصير ـ وهو اشرف الاحوال ..

فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما ، ويصبح كالشمس التى تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها .. اما الذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال من العلم ، والمسن الذى يشحذ غيره ولا يقطع ، والابرة التى تكسو غيرها وهى عارية ، والشمعة التى تضىء لغيرها وهى تحترق ..

ويجب على المعلم ان يقتصر بطالب العلم على قدر فهمه ، فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله فينفره ، اقتداء بذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم)) .

وقال على رضى الله عنه ، مشيرا الى صدره : ((ان هاهنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة ـ وصدق رضى الله عنه ، فان قلوب الابرار قبور الاسرار . فلا ينبغى ان يفشى العالم كل ما يعلم الى كل احد .

وقال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا [الجو]اهر فى اعناق الخنازير ، فان الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير .

ولذلك قيل : كل لكل عبد بمقدار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك .

وسأل شخص أحد العلماء عن شيء فلم يجب ، فقال السائل : أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار)) .!

فقال العالم : اترك اللجام واذهب ، فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمنى .. فقد قال الله تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق .

وأن يكون المعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار ... وأرباب الابصار أكثر من أرباب البصائر .

ومثل المعلم المرشد من المسترشدين كمثل الظل من العود ، فكيف يستوى الظل والعود أعوج ؟.

وقال الله تعالى : ((اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم)) .

ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه اكبر من وزر الجاهل ، اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ايضا .. من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها .

ولذلك قال على رضى الله عنه : قصم ظهرى رجلان :

عالم متهتك ، وجاهل متنسك ،

فالجاهل يغر الناس بتنسكه ،

والعالم يغرهم بتهتكه .

قصة :

أبى والزمن !

● محمد مصطفى الجمل ●

● حملت ديوانا من الشعر فى حقيبتى كالعادة ، وانا ذاهب لزيارة أبى . كنت اشعر باننى سعيد .. اسعد الناس وانا اقرأ له القصائد التى يحبها .. ادخل السرور على قلبه . اجعله يحتمل ايامه الثقيلة هذه ، فارتاح عندما يطرب وتشى ملامح وجهه بالرضا والحماس

منذ زمن وهو لا يستطيع قراءة الأشعار بنفسه ، وكان اذا حاول فان ذلك يجهده ، ويضيق صدره العجوز فيلقى بالكتاب فى مكان لا تستطيع ذاكرته الضعيفة أن تسترجعه .. ثم اصبح بعد ذلك يسترجع فى وجودى ما بقى فى ذاكرته من بقايا قصائد ، ويجهد عقله كثيرا ليسترجع اكثر من بيت ، ويهجو الزمن اذا ما سقطت من وعيه شطرة بيت .. ويقول فى حسرة :

ـ اسوأ ما فى حياة الانسان ، ان تفنى ذاكرته قبل فنائه !

ثم لم تعد ذاكرته تستطيع الاسترجاع ، فرغبت عن طيب خاطر ان اقوم بدور ذاكرته الضعيفة ، ولم اكن قد يئست تماما من جفاف القناة التى توصلنى بقلبه وروحه . فما زال يستوعب الى حد ما .. وحتى عندما لايستوعب أشعر بانه قد تحرك فى داخله اصداء انفعال قديم وأطراف خيال منسحب .. انفعالات وخيالات استخرجها من قلبه بما أذكر له من احداث غابت ومناسبات غاصت تحت ركام سنينه الثمانين

كنت اعانى واجاهد ، لا آمل التكرار والاعادة ، اشرح وافسر حتى يقول لى ساخراً وهو يضحك :
ـ هل تعلمنى ياولد ؟ ! والله حال .. انقلبت الايام !

كان يرفض ان تكون الايام قد انقلبت بحق ، وانه يعيش بلا زمن ، لانه لا احداث فى حياته تجعله يحس بان هناك ما يسمى بالزمن . لايتصور انه يعيش زمنا لم يعد له بداية ، لم يعد له نهاية ـ لم يعد له معنى ..

وشعرت فى هذه المرحلة من عمره بان لى دورا وان هناك دينا واجب السداد . لم أكن اشعر بعناء وأنا اقوم بهذا الدور ، فقد عشقت الشعر على يديه الى حد اننى اخترت ان اكون مدرسا مثله ـ للغة العربية .

وقلت لنفسى :

ـ على أن اسعده وهو عجوز ، كما اسعدنى وانا صغير !

وقد كانت لسعادتى هذه جذور فى الماضى . كنت أحب الابناء الى قلبه ، ودائما ما يسعد بوجودى الى جواره وهو يستمع الى القصائد الشجية التى يغنيها عبد الوهاب أو تشدو بها أم كلثوم . وكلما اخذت هدنة من الاستذكار ينتهزها ليسمعنى ابياتا من الشعر ، ويسالنى عن معناها ، فاجيبه باجابات ساذجة بسيطة ، فيضحك من اعماقه ، ثم يشرح لى هذه الابيات وهو منتش فاحس باننى فهمت وانفعلت وغمرتنى سعادة طاغية ، واوقن أن أبى مدرس بارع لايشق له غبار .. وحلمت لو اننى اصبحت مدرسا فى مثل براعته !

كنت أقترب من المنزل ـ هذه المرة ـ وأنا مشغول مهموم ، لقد جدت عليه فى الايام الاخيرة ظاهرة جديدة ، جعلتنى اشك فى عدم قدرتى على مواصلة قراءة الاشعار له .. تقترب مهمتى فى تسليته واسعاده من حالة التوقف . بدأت ذاكرته تضعف اكثر . تهوى بسرعة . تغور فى اعماق الخواء .. منذ فترة وهو يتابعنى بصعوبة وعناء . يشرد منى . يسقط فى هاوية حصاد رحلة الثمانين عاما

ضغطت على جرس الشقة ، ارتد الصوت الى اذنى كانه جرس نهاية يوم دراسى طويل . وقلت فى نفسى :

ـ ماذا لو ان ما اتوقعه قد حدث .. لو ان ذاكرته قد سافرت الى بعيد !

فتحت امى الباب ، دخلت عليه ، حيانى بضحكته الصاخبة التى تخفى وهنه .. نفس ضحكته فى ايامه الزهرة . ومع ذلك شتان بين هذه وتلك .. سلمت عليه وقبلته فى جبهته . تبادلنا التحية والترحيب . مازال هذا فى الامكان . غسلت امى التين الذى احضرته معى ووضعته امامه . واخذت اتامله بقلق وقد بدا كأن على صفحة وجهه رماد احساس قديم انطفأت جمرته .. اصابعه نفس اصابعى . شعر رأسينا ينقرض من نفس المكان .. نفس الملامح تقريبا . نفس العين



بالتاكيد .. انا امتداده الذى مازال حيا الى حين ..

ثم اخرجت الديوان من حقيبتى وقلت له بسماحة ورقة :

ـ هل اقرا لك بعض الاشعار ؟

رد بايماءة واهنة لاتشى بانه راغب فى ذلك، ولا توحى بانه يرفض . تناول ثمرة تين .. اخذ يمضغها بلثته وهو سعيد . اخذت اقرا ببطء . لم اشعر بانه معى .. اخذت اعيد ما قرات من ابيات قليلة ، لم اشعر بانه استجاب لى . انا اعرف من ملامحه متى يستجيب ومتى لايستجيب . ظللت اعيد القراءة على امل ان اصل للحظة الاستجابة ، ألتى تعودت آن تاتى بطيئة بطيئة مفككة .. وعبثا احاول ان اقرا ابطا ، واعيد القراءة ، واذكره ببعض المناسبات .. هذه القصيدة غنتها أم كلثوم . هذه القصيدة غناها عبد الوهاب ، ثم اخرى .. نسخت هذه الابيات وعلقتها فى حجرتك بمنزلك الريفى . ثم آخرى .. هذه الأبيات معلقة خلف ظهرك الآن . وهذا البيت هجوت به أمى ذات مساء . ثم هذا البيت افتخرت به ذات مرة على صديقك عبد الهادى ، ثم هذه القصيدة أسعدتك لاننى حفظتها على يديك

ظللت أعيد دون ان افوز حتى برجع الصدى . وقلت اغامر ، استطرد فى انشاد قصيدة جاهلية قديمة كان لايمل القاءها على مسامعى . فلعل بعض أبياتها تحرك فى داخله أصداء الانفعال القديم . ظللت اواصل الانشاد الى أن وصلت الى البيت الذى يقول :

فانك كالليـــــل الذى هو مدركى

وان خلت ان المنتاى عنك واسع

وبلا مقدمات اجهش بالبكاء . اخفى وجهه بكفيه . غسلهما بدموعه . تساقط بعضها فوق صدر جلبابه . صدره يرتجف وانفاسه تتهدج ـ توقفت فجأة ، لم يتوقف هو عن البكاء . قبلته فى جبهته واخذت اربت على ظهره وأنا اســـاله بتوسل :

ـ لماذا تبكى يا ابى ؟
استعاد كبرياءه ورد بعناد :
ـ انا لا أبكى يا ولد

ـ هل طربت لهذا البيت ؟

رد بلا تردد وبثقة اذهلتنى :
ـ نعم !

غمرتنى الفرحة وقلت لنفسى ان ذاكرته بدات تستجيب من جديد . ومن شدة فرحى اردت ان اطمئن الى ذلك فعدت اساله :

ـ هل اثارك ما قصد اليه الشاعر ؟

بعد صمت وتردد قال بكلمات متقطعة :

ـ هو يتحدث عن الموت .. أليس كذلك ؟

فوجئت برده ، لم يكن الشاعر حقيقة يتحدث عن الموت ، كان يمدح بطش احد الملوك .

اردت ان اخفف عنه ، ان ابعد عن ذهنه فكرة الموت البغيضة فقلت بانكار :

ـ الشاعر لا يقصد الى ذلك
ـ اى شاعر ؟ .
ـ الذى قال هذا البيت
ـ اى بيت ؟
ـ الذى قراته الان .
ـ هل قرات شيئا ؟

لم اتمالك انفعالى .. انحدرت من عينى دمعتان ساخنتان وانا اراه يغرق فى صمته .. يسقط فى بحر ذهوله . ينفصل عن عالم الواعين .. وكان زمنه قد استحال الى زمن ابدى .
ليس له بداية ، ليس له نهاية . .
ليس له معنى !

زهرات من رياض العرب

● محسن فهمي ●

● المساواة الاسلامية ●

اختصم ابى بن كعب وعمر بن الخطاب – وهو أمير المؤمنين – فقال عمر لابى: اجعل بيني وبينك حكما ..

فاختار ابى ، زيد بن حارثة ، فذهب اليه مع امير المؤمنين ، فقال عمر لزيد اتيناك لتحكم بيننا ..

فوسع زيد عن صدر فراشه لعمر ، وقال : ههنا يا أمير المؤمنين !

فقال عمر : هذا أول جور في حكمك ! ولكن أجلس مع خصمى .

فجلسا معا بين يدى زيد ، وادعى ابى وأنكر عمر ، فقال زيد : اعف أمير المؤمنين من اليمين ..

فغضب عمر ، وحلف ، ثم قال لزيد لن تكون قاضيا عادلا حتى يستوى عندك عمر وعامة الناس !

● العقل والغنى ●

قال رجل اعرابى لغنى ، أيها الفتى أيسرك ان يكون لك مئة الف درهم وانت احمق ؟.



فقال الفتى : والله لا يسرني ذلك .. لانى اخاف ان يجنى على حمقى جناية تذهب بمالى ، ويبقى على حمقى فاصبح وانا عاطل من فضيلتى العقل والغنى أ.

● احتمال البلاء بالهمة ●

قال الصوفى أبو الحسن الثورى :

رأيت شيخا ضعيفا قد أحاط به جماعة من العسكر ، وأخذوا يضربونه بالسياط ، وهو صامت صابر ، فلما جلدوه دفعوه الي السجن ، وهو يمشى بينهم مرفوع الرأس ؟ فمضيت اليه فى سجنه ، وسألته كيف احتملت ألم السياط ، وانت شيخ ضعيف ؟



فقال : يابنى ، ان احتمال البلاء يكون بالهمة ، ولا يكون بالبدن !

فقلت : وما الصبر عندك ؟

فقال : ان يكون حالك عند نزول البلاء كحالك عند زواله !

● الزهد بين كلمتين ●

قال الامام على ، كرم الله وجهه : الزهد كله بين كلمتين من القرآن الكريم .

قال الله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » فمن لم يأس على الماضي ، ولم يفرح بالآتى ، فقد أخذ الزهد بطرفيه .

● دعوة مستجابة ●

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دعوة المظلوم مستجابة ، وان كان فاجرا ففجوره على نفسه » .

الحب !

عبد الرحمن عبد المولى

كل شيء يتغير ..
يتغير !
انما حبك .. أخضر
في دمائى جد أخضر
كل شيء يتغير
ودمائى تتغير
انما حبك .. مابى ؟ كلما اقصيت .. يكبر !
هو كالبذرة .. في صدرى اذا ما زدت بعدا ،
كلما اربى وازهر !

***

لا تكوني فى سبيلى ، لا تكوني
اننى اخشى على حبى من تفريط طرفى ..
فتوارى عن عيونى
وامنحينى وردة الوهم ، امنحينى
كل لقيا بيننا .. سيف على عنق ظنونى !

***

انني ابغيك شيئا لا يطال
لا ينال .
انما الحب أمل
شفة تحيا ، وتفنى .. بالقبل

***

أنت .. لو كنت بدربي ـ لا أكون
اننى بعض ظنون
وحياتى ..
وحياتى في التمنى
لا تقولي الحب يا عصفورتى .. بعض لقاء
كل ما قيل عن الحب ـ هراء ..
انما الحب عناق لخيال
وارتقاب .. لمحال !

***

أنت لا تدرين .. ما معنى الهوى
هو طيف ليس الا ..
ان راى النور ـ تولى
هل ترى المقلة جفنيها .. ليلقى كل قيس مشتهاه
فتناءى وتناءى ..
تقترب مني الحياة

نتيجة مسابقة

شهر مارس سنة ١٩٨٠

هذه هي نتيجة مسابقة عدد مارس ١٩٨٠ : ((اقرأ الهلال واكسب جائزة ومسابقة ((الهلال)) في الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا ، اذا شاء الحظ وكان من الفائزين . .

فان ((الهلال)) حافل بالمقالات المتعة ، ونحن نريد من القارىء ان يقرأها ، ويبدى رايه فيها . وهذه هي الغاية التى نرمى اليها من وراء هذه المسابقات اما الكسب المادى فرمزى فحسب ..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم فى المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة ، واجريت القرعة بينها..

وفيما يلى اسماء الفائزين فيمسابقة شهر مارس ١٩٨٠ ، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ، ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا فى مسابقاتاعدادنا القادمة ..

الجوائز وأسماء الفائزين

الجائزة الاولى ، وقدرها خمسة جنيهات : احمد ابراهيم احمد درويش - منزل محمود مناع بشارع عمر بن الخطاب - منطقة الحميات - بسريد بني سويف الجديدة .

الجائزة الثانية ، وقدرها ثلاثة جنيهات : محمد محمد بندارى -كفر سنباط مركز زفتى - غربية .

الجائزة الثالثة ، وقدرها جنيهان مصريان : منير عبد العزيز قنديل بمحافظة المنيا - سمالوط مامورية الضرائب العقارية .

الجائزة الرابعة ، اشتراك سنة فى الهلال : ابراهيم المزوغيى - المدرسة الابتدائية عين سلطان ولايةباجة الجمهورية التونسية .

الجائزة الخامسة : اشتراك سنة فى الهلال : آيت وارهام محمد - ص . ب ٤٩٦١ مراكش - المدينة المغرب .

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر مايو ١٩٨٠

هل قرات هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز . . .

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا ، اذكر إسم القائل، وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ــ والثانية ثلاثة جنيهات ــ والثالثة جنيهان ــ والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى ((الهلال))

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد يوليو ١٩٨٠

آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من يونيو ١٩٨٠

● الاسئلة : ●

س ١ ــ كيف تتكون الجزر والشعب المرجانية ؟

ج ــ ... ...(مقال ... ...)

س ٢ ــ ماذا تعرف عن مدينة عنتيب ؟

ج ــ ... ...(مقال ... ...)

س ٣ ــ ماهى مهنة البحث عن المتاعب ؟

ج ــ ... ...(مقال ... ...)

س ٤ ــ من الكاتب المصرى الذى قال: استاذى الأول هو الفقر ؟

اقرأ الهلال واكسب جائزة

جـ ـ ... ...(مقال ... ...)

س ٥ ـ من من شاعرات مصر حاكت القدماء في بعض قصيدة فتوارت انوثتها ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ٦ ـ كم يبلغ محصول السمك اليومى فى اليابان ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ٧ ـ من مؤلف النشيد الوطنى الذى مطلعه : اسلمى يامصر اننى الفدا

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ٨ ـ ماهو عصب التراجم ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ٩ ـ متى يظهر الدين على حقيقته ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ١٠ ـ من مؤلف قصة ((الملاك الازرق)) ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد مايو ١٩٨٠

الاسم: ـــــــــ السن: ـــــــــ

العنوان: ـــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــ

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٧ لسنة ١٩٨٠

من مجموعة "كنوز الشعر"

بغيرك لا..

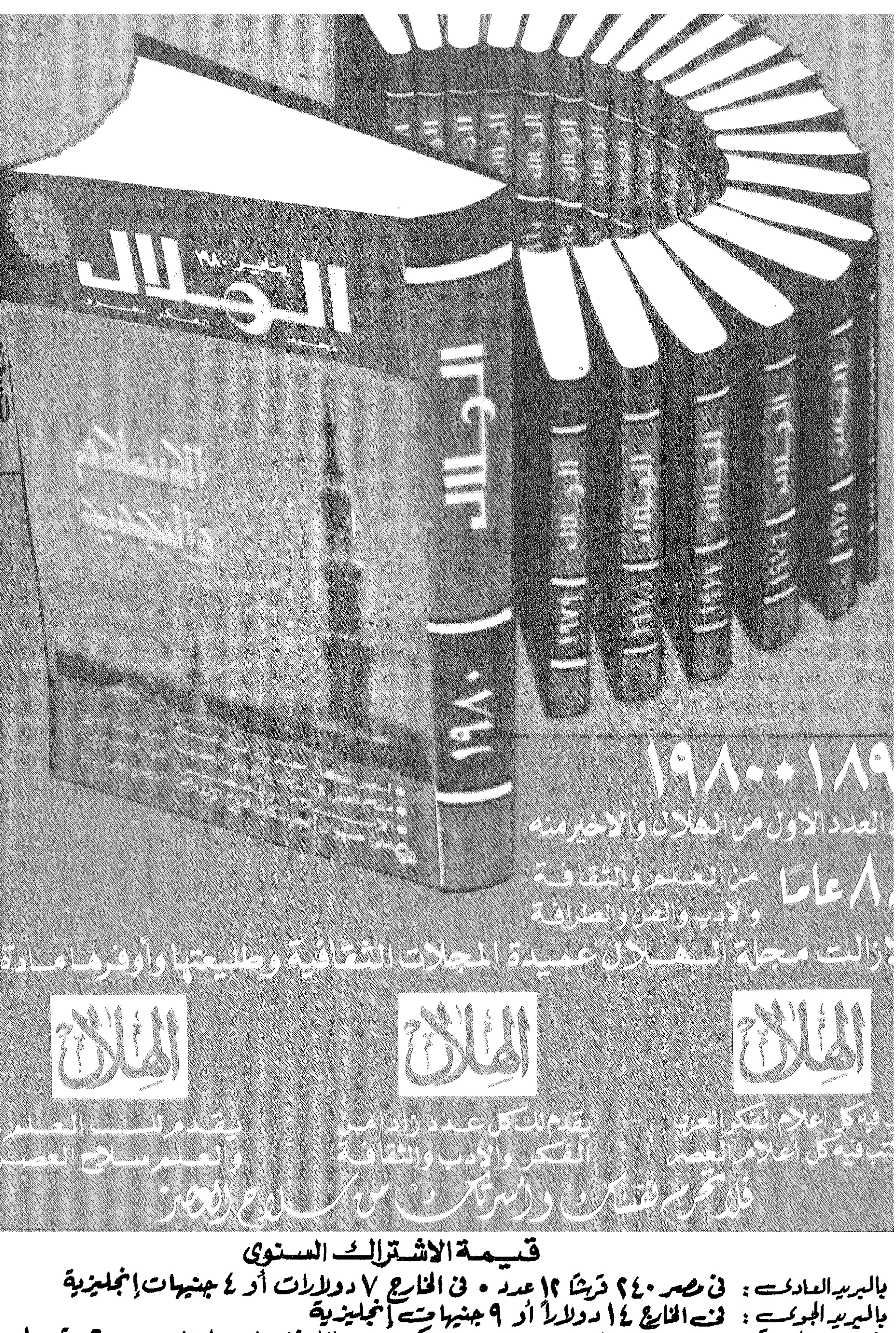
• للشاعر الانجليزى : هنرى ديمونت •

• ترجمة : حسن حسين شكرى •

بغَيْركَ ، يا حبيبى ، لا يُرى نورُ الصَّباحْ
ونجمُ اللَّيلِ ، يأفلُ فى مجاليهِ الفِسَاحْ
وزهرُ الرَّوضِ ، يأبى أن يكونَ لهُ مراح
وورْدُ الحبِّ ، يذبلُ ، تاركا شوكَ الجراح !

***

بغيركَ ، ياحَبيبى ، كمْ خَبا نجم الرَّجاء
بغيركَ شمسُ آمالى يُجَلِّلُها المساء !
ومجدُ الكونِ ، فى قلبى ، وفى عينى هَباءْ !
واظمأ فى هجير ولا إخال له انتهاءْ !
بغيرك ، لا أكون ، ولا يطيبُ لى البَقاءْ !



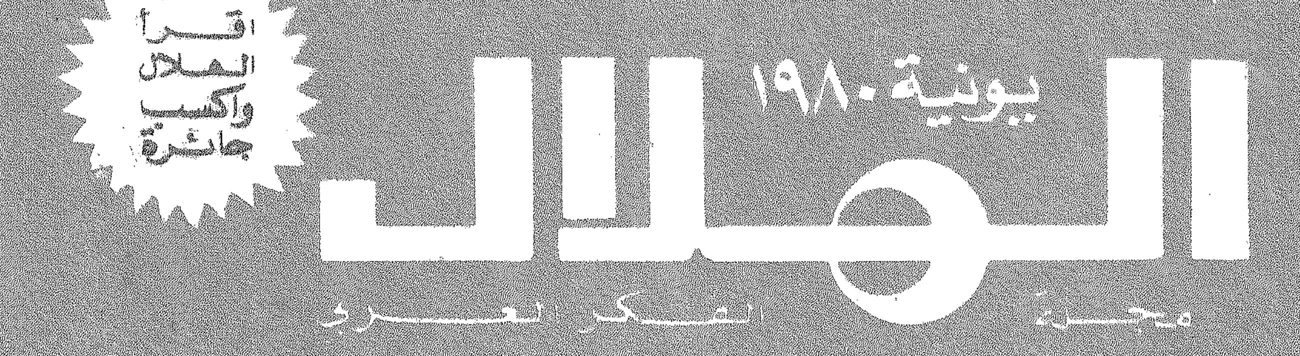
قيمة الاشتراك السنوي

بالبريد العادي : فى مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عدد ، فى الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات إنجليزية

بالبريد الجوي : فى الخارج ١٤ دولاراً أو ٩ جنيهات إنجليزية

فى البلاد العربية : سوريا : ٣٠٠ ق.س الكويت : ٣٥٠ فلسا لبنان : ٢٥٠ ق.ل

العراق : ٤٠٠ فلس الأردن : ٢٥٠ فلسا السعودية : ٤ ½ ريال

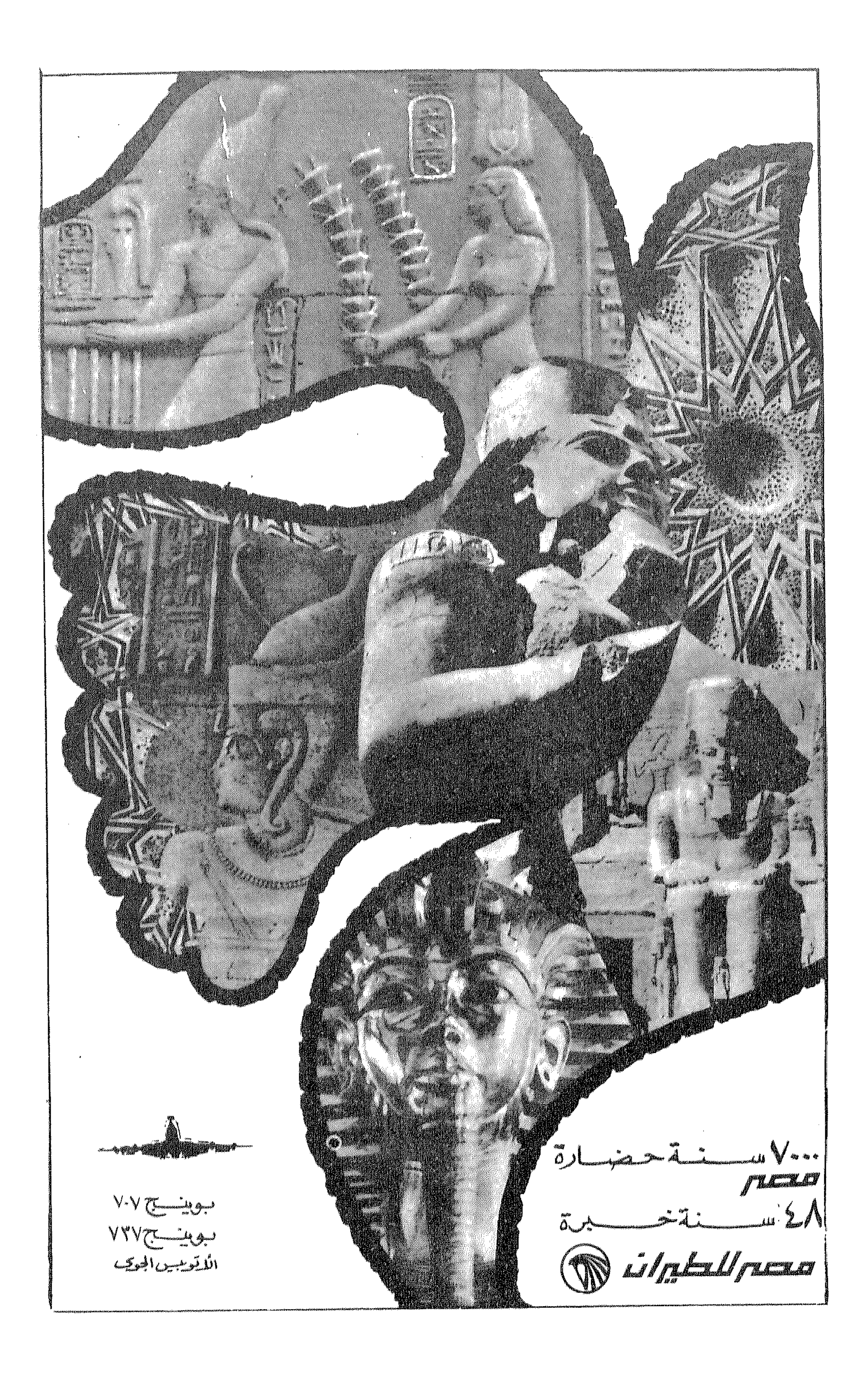


البراكين نعمة ونقمة

سلامة أعصابك

(استطلاعان بالألوان)

- شخصية الشهر: الزيات رجل الأسلوب المنمق
- كيف ترجم العقاد لابن الرومي؟
- من القلب مع .. محسن محمد
- رحلة حياة وفن وتصوف د. مصطفى محمود
- الاب الصينية .. تحت مجهر العالم


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٨ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

عباقرة العصر

●●

في الخامس من هذا الشهر ، مايو ١٩٨٠ ـ توفي الماريشال جوزيف بروز تيتو • فقدت يوغوسلافيا بطلا ، وفقدنا نحن صديقا ، وفقد العالم واحدا من بناة القرن العشرين •

وهذا بالضبط ما قلناه يوم توفي ديجول ، ويوم توفي نهرو ، ويوم توفي عبد الناصر ، ويوم توفي تشرشـــل ، ويوم توفي ماوتسي تونج ، كلهم كانوا عظماء وعباقرة ، كلهم تشاركوا في صناعة هذا العصر الذي نعيش فيه ••

فلننظر الى هذا العصر ، لننظر الى العالم الذي صنعه اولئك العباقرة •

هل يعجبنا ؟

ان الحروب تمزق العالم • القارات الأربع مشتعلة نارا : في اوروبا صراع الكتلتين الصامت على اشده ، والشيوعيون يستعيدون خمس بلاد أوروبية ويهددون الباقي •

وآسيا اكلتها الشيوعية ، والهند الصينية غارقة في الدماء ، والروس يفترسون افغانستان • وايران سقطت في بحر من الفوضى بلا ساحل ، والهند غاضبة لأن الامريكيين يسلحون باكستان والبوارج وحاملات الطائرات تسد مدخل الخليج ، وأي شرارة يمكن أن تشعل نارا لا تبقي ولا تذر ••

وافريقيا لا تفرغ ابدا من المآسي والمذابح • بالامس القريب قتل رئيس جمهورية ليبيريا وأعقب ذلك مذبحة • وفي تشاد معركة أهلكت البلاد من سنوات لأن فرنسا تريد أن تظل صاحبة الكلمة النافذة في بلد تقول هي انها منحته الحرية ، وفي اوغندا رئيس طريد هو ملتون اوبوتي يشعل الدنيا لكي يعود الى الرياسة • خلف ذلك كله تقف أوروبا • وفي جنوب القارة لا زالت جنوب أفريقية تستعبد السود ولا زالت تسرق بلدا كاملا هو ناميبيا •

وعالم العرب تائه لا يدري الى اين تلقي به المقادير ، واسرائيل لا زالت تحلم بابادة شعب فلسطين والدنيا كلها تتفرج ، وفي كوبا شعب سئم الحياة في ظل طاغية يقال انه هو ايضا عبقري ••

هذا هو العالم الاسيف المحزن الذي نعيش فيه •

هذا هو العالم الذي صنعه لنا اولئك العباقرة •

ترى كيف كان حالنا يكون لو لم يكن صناع عصرنا عباقرة ؟ ••

المحرر

●●

فى هلالك
هذا الشهر


الهلال
مجلة الفكر العربى
رجب ١٤٠٠ هـ
يونية ١٩٨٠ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة الثامنة والثمانون ـ أول يونية سنة ١٩٨٠ ـ ١٧ من رجب سنة ١٤٠٠

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها . . ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت ام لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

في قلب كل شاعر او مفكر او اديب امراة تحركه وتلهمه وتدفعه الى الابداع ، وقد خصصنا في هذا العدد قسما لذلك الموضوع الطريف وغلافنا هذه المرة نافذة يطل منها اجمل ما في المراة عيناها مصدر الفتنة والالهام

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم – قيمة الاشتراك السنوي ١٢٠٠ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشاصاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادي ٧دولارات او ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

لكيلا تكون واحداً من القطيع!

بقلم: رئيس التحرير

ليس اسهل على الانســـان من ان يكون واحــدا من القطيع ، وليس أخطر على حضارة الامة من روح القطيع وكل انسان يستطيع أن يخرج من القطيــع اذا اراد ، ولكن معظم الناس يفضلون أن يظلوا في القطيع : بلا ملامح ، بلا شخصية ، وبلا مسئولية تبعا لذلك ، ولأنه واحد من القطيع فهو مخرب وفوى وهادم للحضارات

ان أكبر من يفيد من مهنة التعليم هوالمعلم نفسه . ان وظيفته الرئيسية هي أن يعلم ، ولكنه في نفس الوقت يتعلم ،والمعلم الذى لا يتعلم من مهنتــه ومــن تلاميذه لا يمكن قط أن يكون معلما صالحا .

وخلال السنوات الطويلة التى قضيتها في هذه المهنة الشريفة المجهدة كان حرصي على أن أعلم نفسي لا يقل بحال عن حرصي على أن أعلم تلاميذى ، ومازلت الى يومى هذا اتعلم من تلاميذى بقدر ما يتعلمون منى ، فانا انصت اليهم أكثر مما ينصتون الى ، وافكر فيهم أكثر مما يفكرون فى . ولا يضايقني شيء مثل الطالب الذى لا يريد أن يتعلم . انه يريد أن ينجح دون أن يتعلم . أنا بالنسبة له مجرد واحد من حملة الاختام التى لابد أن توضع على ورقته ليصبح حامل ليسانس وبالليسانس يهرول الى حيث يكسب لقمة العيش . هذا ليس طالبي ولا أنا اعرفه ..

وأنا أحاول دائما أن أختار من الطلاب افرادا لا ينظرون هــذه النظرة أو يتجهون هذا الاتجاه ، وفي معظم الاحيان لا أوفق ، لأن الغالبية العظمى من هؤلاء الطلاب يريدون أن يكونوا أفرادا من القطيع ، لا يريد الواحــد منهم أن يتميز بشيء أو ينفرد بخاصة تفتح أمامه طريقا جديدا في الحياة ..

حتى الذين يحصلون على درجات عالية منهم ويواصــلون الدراسات العليا ليحصلوا على الماجستير فالدكتوراه يعملون ذلك بعقلية القطيع : ان الواحد منهم

● معظم من تلقاهم من الشباب يقولون لك إنهم يريدون أن يكونوا فى مستقبل حياتهم رجالاً متميزين يحملون المسئوليات الكبار ، ولكنهم فى أعماق نفوسهم يريدون أن يكونوا أفراداً من القطيع ، لأن الامتياز يتطلب عملاً وموهبة والمسئولية لها تكاليف ، وهؤلاء لا يحبون العمل ويجتهدون فى التهرب من المسئوليات

يريد مني أن أختار له الموضوع وأن أكتب له المذكرة الخاصة بأسباب اختياره اياه وأضع له الفصول والأبواب وما الى ذلك ، وفى أحيان كثيرة عندما يجد اننى لا أريده أن يكون واحدا من القطيع يتركنى الى غيرى ممن هم أيسر وأسلسس واكرم في منح الألقاب العلمية ، هؤلاء فى العادة أساتذة طيبون يدعون الطالب يدرس يكتب كما يريد ، ولا يكادون يعطونه ساعة من وقتهم فى الشهر ، ثم يحصل الطالب على أيديهم على الدرجة بمرتبة الشرف الأولى ، ويظل الطالب برغم ذلك واحدا من القطيع ..

وليس أسهل فى الدنيا من أن يكون الانسان واحدا من القطيـــــع ، فيزج نفسه فى التيار ويسير به التيار ، فلا هو يخالف مرة أو يناقش مرة ، انما هو يهمل مع المهملين . انك لا تســـمع صوته وحده أبدا لأنه دائما مختبىء وراء الآخرين وصوته جزء من صوت المجموعة أو « الكورس » .

وهذا الطراز من الناس لا يعرف الطموح بل يعرف الطمع . انه لا يطمح قط لى ما هو أحسن ، بل يطمع فيما فى أيدي الناس . انه يريد أن يحصـــل على كل شيء بدون عمل ، يريد المال والغنى والمراكز العالية دون أن يبذل مجهودا، هو يكره الذين يحصلون على المال والغنى والصيت والمراكز العليا لأنهم يحققون مالا يستطيع تحقيقه هو ، وينكر عليهم استحقاق ما أدركوه ويقع فيهم بلسانه لأنهم ليسوا من القطيع .

وهذا الطراز من الناس ثقيل جدا ومتعب جدا ، لأن خاصـيته الكبرى هى الطمع ، والطمع لا حدود له في حين أن الطموح له حدود ، فأنا أستطيع التفاهم مع الشاب الطموح لأننى أعرف ما يريد ولأننى أعرف ما يريد فاننى أستطيع أن أعاونه أو أتعاون معه ... أما الواحد من القطيع فلا يمكن أن اتفـاهم معه أبدا لأننى لا أعرف ما يريد ، وأنا أعرف ما يريد لأنه يريد كل شيء ، ويريده بدون مجهود . وهو مستعد دائما للانقلاب عليك وانكار كل فضيله فيك لأنك رفضت له طلبا أو أعتذرت له عن شيء ..

وليس هناك اصعب من الخروج من القطيع ، لأن ذلك يقتضى من الانسان ان يجتهد ويتعب ويفكر ويبحث ويجرب ويغامر ، وهذه كلها مطالب عسيرة . وقد واجه خطر الضياع في القطيع نفر كبير جدا من العظماء ، فعندما بدأ برناردشو يكتب احس ان أحدا لا ينتبه الى ما يكتب ، ووجد نفسه شيئا فشيئا يتحول الى صحفي صغير من القطيع ، فاعاد النظر فى نفسه وطريقته فى الحياة ، وصنع نفسه صناعة جديدة ، فقرأ فى مجال واسع جدا ، واخذ يبحث لنفسه عن طريق جديد ، وبالفعل استطاع بذكائه واجتهاده أن يجد اسلوبا جديدا فى الكتابة

لكيلا نكون واحداً من القطيع

وفلسفة جديدة في الحياة ، بل وجد طريقة جديدة ليلفت النظر الى نفسه ، فصار يخطب في هايدبارك ، وصار يكتب المقال ثم يرد على نفسه ويسفه رأى نفسه ، ثم يكتب مدافعاً عن نفسه .. وشيئا فشيئا تنبه أصحاب الصحف الى هذه الزوابع التي يثيرها هذا الشاب الايرلندى طويل الوجه النحيف الأعجف ، فقرأوا ما يكتب فراقهم وأحسوا فيه بالجديد ، فأوسعوا له الطريق ، فمضى الى الأمام، وهكذا « شق طريقه » حرفيا ، وخرج عن القطيع وأصبح مع الزمن برنارد شو وفي يوم من الأيام كان يصعد سلم « الديلي تلجراف » وفي يده مقال ، وكانت عادته أن يصعد السلم عدوا ، فلقي واحدا من زملائه القدامى أيام كان واحدا من القطيع ، فدعاه هذا الزميل الى فنجان قهوة في غرفة واسعة يجلس فيها عشرات صغار الصحفيين ، وبينما كان يتحدث الى صاحبه تلفت حوله وتأمل القطيع فأصابه رعب ونهض يجرى وأكمل صعود السلم ولقي رئيس التحرير وسلمه مقاله ، ولاحظ الرجل ان برنارد شو ممتعض فسأله عما يقلقه فقال كلمة لا ينساها قط من يسمعها : ان القطيع فظيع ، ولكن المخيف هو أن تكون أنت واحدا منه !

ومثل هذا حدث لبابلو بيكاسو أشهر المصورين في العصر الحديث ، فقد وجد نفسه في أول الطريق واحدا من القطيع ، قال : وأحسست انني اذا مضيت على هذه الوتيرة فسأجد نفسي عما قريب واحدا من الفنانين الطيبين الذين ضاعوا في طريقي وخرجت من « الكومة » و « الكومة » .. هي الكلمة الاسبانية التي ينتظرون من يشتريها منهم بملاليم ، وشيئا فشيئا يصبحون متسولين . وقد أنفت نفسي من ذلك ، فمضيت أبحث لنفسي عن طريق ، وذهبت الى باريس ، وهناك ازدادت نفسي رعبا من منظر القطيع ، وجدتهم في ضياع والكثيرون منهم ينتحرون . فذهبت الى برشلونه ثم الى مدريد ثم الى باريس ومضيت أرسم كالمجنون ، وازور المتاحف في حمى حتى رسمت لوحة « عازف القيثار العجوز » ورآها الناس وأحسوا ان عندى شيئا جديدا أقوله ، وتنبه لى النقاد ، وسرت في طريقي وخرجت من « الكومة » و « الكومة » .. هي الكلمة الأسبانية التي تقابل هنا لفظ القطيع ، فيقولون على الشخص الذى لا يتميز بشيء : هذا واحد من الكومة .

واعجب محاولات الخروج من القطيع ما فعله سلفادور دالى الرسام الاسباني القطلوني المشهور ، فهذا رجل موهوب . بدأ حياته الفنية في باريس بعد الدراسة الطويلة ، وكان يرسم أول الأمر رسما كلاسيا اى تقليديا ، وكان يخرج قطعا رائعة ، ولكنها لم تستلفت نظر أحد لأن البيوت حافلة بأمثالها ، فاتجه الى تيار السوريالية ، وأخذ يرسم ، وتمكن من استلفات النظر الى نفسه، ولكنه ظل مكانه سنوات طويلة ، وأحس انه يكاد يصبح واحدا من القطيع ، فذهب الى نيويورك ، وعاونته سيدة ثرية على أن يقيم معرضا ، ولم يذهب الى المعرض الا عدد قليل من الناس ، فاخترعت السيدة الثرية أن توضع احدى لوحاته في « فاترينة » محل تجارى كبير لتلفت النظر ، ولكن مدير المحل

● ليس أخطر على حضارة الأمة من أن تسودها روح القطيع ويكون همّ الواحد من أفرادها أن يلتحق بوظيفة تعطيه راتبًا ولا تكلفه عملا أو مسئولية ليسير في القطيع الضخم مشاغله مشاغل القطيع وهمومه هموم القطيع.

تأمل اللوحة ثم اعتذر عن عدم امكان وضعها في « الفاترينة » لأنها لم تكن شيئا في نظره · وغضب دالي وقرر في نفسه شيئا ··

وفي اليوم التالي حمل كرسيا ومضى الى ذلك المتجر في الشارع الخامس أو « الفيفث أفيينو » وحطم الفاترينة بالكرسي ، وقبض عليه البوليس ، ونشرت الصحف الخبر وقالت ان دالي فعل ذلك احتجاجا على اهمال الناس اياه رغم امتيازه وقال انه يتحدى النقاد ويطلب اليهم أن يزوروا معرضه ، وذهبوا ووجدوا في لوحاته شيئا جديرا بالتنويه ، وأقبل الناس على المعرض وبيعت كل لوحاته ومن ثمن اللوحات دفع الغرامة التي حكمت عليه بها المحكمة ، ومن ذلك الحين أصبح في طليعة الرسامين ·· خرج من القطيع !

ومن الغريب ان معظم الناس يفضلون أن يكونوا في القطيع لأن ذلك لا يكلفهم جهدا ويرفع عنهم المسئولية ، فهم مستريحون جدا ، لا يتعرضون لمتاعب أو مواجهات ، ويظلون طول عمرهم كالفيران التي لا تخرج الا في الظلام وتأكل في الظلام ، وهي بهذا الأسلوب تعيش دون أن تتعرض لخطر ، ولكنها خطر على الآخرين ، وهل هناك أخطر من الفأر الذي يقرض كل شيء حتى الخشب والحديد ، وينجب مئات الفيران التي تفسد كل شيء لمجرد انها فيران ؟ ··

كذلك القطيع انه خطر جدا · ورجل القطيع كما قلت لك رجل حاقد غاضب يستكثر الخير على كل الناس الا على نفسه ، وهو مخرب ، وشعوره بأنه واحد من القطيع واحساسه بألا أحد يراه أو يلتفت اليه يجعله يخرب أكثر · ولقد جلست أول ما تخرجت في غرفة واحدة مع عدد من موظفي القطيع ، فوجدت ان السنتهم لا تعفي أحدا من النقد اللاذع ، ووجدتهم يقولون في الناس مالا يرضى **اي ضمير ، واحسست وانا بينهم ان فيران المكاتب هؤلاء اخطر على البلد من الاحتلال البريطاني ، فتركت العمل هناك ودخلت في مسابقة اعلن عنها بنك التسليف ـ وكان بنكا دوليا اذ ذاك ـ يطلب مترجما ، وحصلت على الوظيفة وخرجت من القطيع بعض الخروج ، واتجهت الى الصحافة وبدات من تحت الصفر في « اللطائف المصورة » وشيئا فشيئا خرجت من وحشية القطيع وسرت في الطريق ··**

واذا نحن نظرنا في تاريخ الفكر العربي نجد انه لايزال بخير ما دام العاملون فيه والقائمون بأمره خارج عقلية القطيع ، وانظر مثلا كيف كان يكتب الجاحظ وكيف كان يفكر واصل بن عطاء ، وكيف كان يقول الشعر أبو نواس · هنا تشعر انك أمام رجال لا يمكن أن يكونوا من القطيع · رجال لهم وجوه وملامح



لكيلا تكون واحداً من القطيع

وخصائص وصفات ، ولايزال الفكر العربي في صعود ما دامت هذه الشخصيات فيه ...

ثم وصلنا الى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادى وبدأ رجل الفكر يتحول الي واحد من القطيع : وضع نفسه في ظل سلطان أو أمير أو حتى واحد من الاثرياء ، ومضى يأكل من فتـــاته كما يأكل الفار في الظلام ، وأعـوزتهم العبقرية فلجأوا الى السجع يغطون به العجز ، والى شعر المديح الزائف يلتمسون به الرزق ؛ وكتبوا ونظموا والفوا الكتب للامراء وسادة الناس حتى ثقلت بهم سفينة الفكر العربى وأخذت تهبط فى الماء حتى لم يبق منها الا السطح طافيا على وجه الماء ، وهذا ما نسميه عصر الركود ، وانقضت القرون ونحن فى الركود حتى جاء العصر الحديث وأفقنا من النوم وظهر الرجال الذين رفضوا أن يكونوا من القطيع وأولهم محمود سامى البارودى ، ودبت الحياة فى كيان الفكر العربى ، فاخذ ينهض حتى بلغ الشأو الذى بلغه فيما بين الثلاثينات والاربعينـــات .

والميزة الأولى لرجال مثل طه حسين والمازنى والعقاد انهم رجال رفضـــوا أن يكونوا من القطيع ، وثاروا على عقلية القطيع ، حتى احمد شوقي كان أول أمره يريد أن يكون مداحا من شعراء القصور ، فشتموه واخافوه ، فتنبه الى عبقرية نفسه وخرج من شعر المديح الى شعر الفن والحياة ، وخرج من القطيع ، وهنا فقط أصبح احمد شوقي .

والذى الاحظه ، وهذا بيت القصيد من هذا المقال ، اننا نعود شيئا فشيئا الى روح القطيع ، فهناك مئات يكتبون ، وننظر فيما يتقـدمون به فتحس انك قرأت هذا الكلام قبلا ، والحقيقة انك لم تقرؤه ، ولكن كاتبه قلد فيه كاتبـا تعرفه ، لأنه ليست له شخصية فانتحل شخصية غيره وتقدم بها اليك ومضى فى سعيه بطريقة الفار الذى يعيش فى الظلام ولكنه يأكل الحديد ، فحيثما تلفت وجدته ، وقد يصنع لنفسه اسما ، ولكنه يظل اسما فى القطيع ، وحذار من هذا الطراز من أفراد القطيع ، لأنه قد يأكلك أنت نفسك فى الطريق ...

ذلك لأن القطعان مخربة دائما . والبقرة فى ذاتها حيـــوان خير كله نعمة وبركة ، ولكنها تصبح نقمة اذا صارت في القطيع ، وقطيع البقر اذا انطلق فى طريقه داس كل شىء وحطم كل شىء . ومن هنا فان القطيع فى جملته قوة هائلة، ولكنها قوة تخريب . ومن أخطر الأشياء على كيان الأمة أن تغلب عليهـا روح القطيع فتخرب نفسها بنفسها ، واذا أردت أن تأخذ صورة حية عن القطيع وكيف يخرب حضارة أمته فخذ أى جزء من اجزاء « تجارب الأمم لمسكوية واقرأ فيه . هذا الكتاب تاريخ لبغداد والدولة العباسية فى عصر التدهور ، وهو كتاب حزين مقبض للنفس ، ولكنه يشرح للقارىء الذكى كيف تحولت أمة العرب من أمـة رجال ذوى شخصيات ووجود وملامح الى قطيع نتيجة للظلم والهـوان وســوء الحكم ، والقطيع هو الذى خرب بغداد وقضى على الدولة العباسية ، وفى النهاية أوقف مسيرة الحضارة العربية ..

فأنت اذ تقرأ صفحات « تجارب الأمم » ترى كيف تحولت بغداد الى سـاحة قتال بين الشيعة والحنابلة ، وأنت تشعر ان الشيعة الذين تقرأ أخبار أعمالهم

● إن القطيع خطر ومخرب . والفرد منه يدوس كل شيء ولا يهتم إلا بنفسه وفى سبيلها يخرب كل شيء بما فى ذلك الوطن نفسه . إنه يعيش بلا وجه أو شخصية أو ملامح ولا يعرف الطموح . ومفتاح حياته كلها هو الطمع ... وواجبك الأول لكى تفهم معنى الحياة هو أن تخرج من القطيع .

ليسوا شيعة ، ولا الحنابلة حنابلة ، انما هم قطيعان سوداوان يخربان بلدهما تحت لواء مكذوب ، ففى كل يوم هيصة وصدام وقتل وتخريب ، وفى كل يوم يقتل انسان طيب مفيد من مثل فقيه كبير أو طبيب ماهر أو شاعر فى مطالع نهوضه ، هؤلاء قضت عليهم القطعان وداستهم أقدام البقر الهائج .

انني انسان يحب الناس ، ولكنى لا احب الناس الذين لا يريدون ان يكونوا ناسا ، اى الناس الذين يحركهم الطمع لا الطموح والمطالب المادية العاجلة لا المطالب الانسانية التى تحتاج الى وقت لكى تدرك . ولا تحسب ان رجل القطيع لابد ان يكون فقيرا او لابد ان يكون من الغوغاء ، بل قد يكون من سراة الناس وأصحاب القوة والمال ، بل قد يكون من اهل العلم ، ولكنه فى أعماق نفسه رجل قطيع ، فهو يدوس غيره ويحطم القانون ويرتكب الفظائع فى الناس لكى يصل الى المال الكثير ، ولانه رجل قطيع فهو رجل طمع ، والطمع لا حدود له ، ومن ثم فهو كلما اثرى زاد طمعا وزاد تخريبا وشرا ، فتجده صاحب اموال وعمائر ولكن طريقته فى الحياة هى طريقة الفار الذى يقرض كل شيء فى الظلام حتى الحديد يقرضه ويهضمه !

أما رجل القطيع من أهل العلم فأمامك غثاء السيل الذى تمتلىء به بعض معاهد العلم الكبرى ، من رجال كل ما حصلوا عليه من العلم هو ما كتبوا به رسالة الدكتوراه ، ولا يكاد الواحد منهم يدخل هيئة التدريس حتى ينطلق يدوس الدنيا ليجمع المال او ليصل الى الوظائف العليا : فهو يعطى دروسا خاصة دون حساب ، وهو يسرق من الكتب ليؤلف من المسروقات كتبا باسمه، وهو يتزلف ويتقرب ويصعد ، وفى يوم من الأيام تجده فى المراكز الكبيرة وأنت تدهش كيف وصل على قلة بضاعته ، والجواب انه فى طريقه الى هذا المركز داس الزملاء وداس الطلاب وداس القانون وداس كل شيء ، وفى النهاية قضى على الجامعة التى يعمل فيها شأن جماهير الثورة الفرنسية التى كادت تأكل الثورة الفرنسية ، وشأن الفار الذى يقرض الحديد ، وشأن قطيع الماشية الذى يدوس كل شيء ويخرب كل شيء ..

روح القطيع هذه قتلت عالما عظيما مجاهدا هو ابن تيمية ، رغم علمه الغزير وايمانه الغلاب وجهاده النبيل فى سبيل السنة ادخله القطيع فى السجن ثلاث مرات مات فى آخرها .. قتله القطيع الذى قضى على حضارتنا من عشرة قرون وحبسها وراء القضبان ألف سنة أو تزيد .

د . حسين مؤنس

كلمة الأريسيين في كتاب النبي إلى هرقل

● د . احمد الحوفي ●

بعث النبي عليه الصلاة والسلام رسائل الى الملوك والامراء ، يدعوهم فيها الى الاسلام ، منها رسالة الى هرقل امبراطور الروم ((الامبراطورية البيزنطية))جاءت فيها كلمة ((الاريسيين))

وقد اتفق مدونو السيرة النبوية وكتاب التاريخ ومؤلفو المعاجم اللغوية على النطق بهذه الكلمة ، ولكنهم اختلفوا فى معناها ، فرايت أن اجعلها موضوع هذا البحث .

واقتضى هذا ان يتقدم نص كتاب النبي الى هرقل ، وكيف نطق السابقون بكلمة « أريسيين » ؟ وبم شرحوها ؟. ثم أعقب عليهم بكلمة ممهدة للكشف عن الصواب فى نطق الكلمة وفى معناها ، ثم يجيء الرأى الذى لعلنى اهتديت اليه ..

رسالة النبي الى هرقل

أما رسالة النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل فهى «٢» :

« من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم .

« سلام على من اتبع الهدى .

« أما بعد ، فانى ادعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين .

((فان توليت فعليك اثم (الاريسيين

((يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم،الا نعبد الا الله ، ولانشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا: اشهدوا بانا مسلمون)) . (٣)

لكن كلمة الاكارين او كلمة الفلاحين وردت فى بعض الروايات بدلا من كلمة « الاريسيين » (٤)

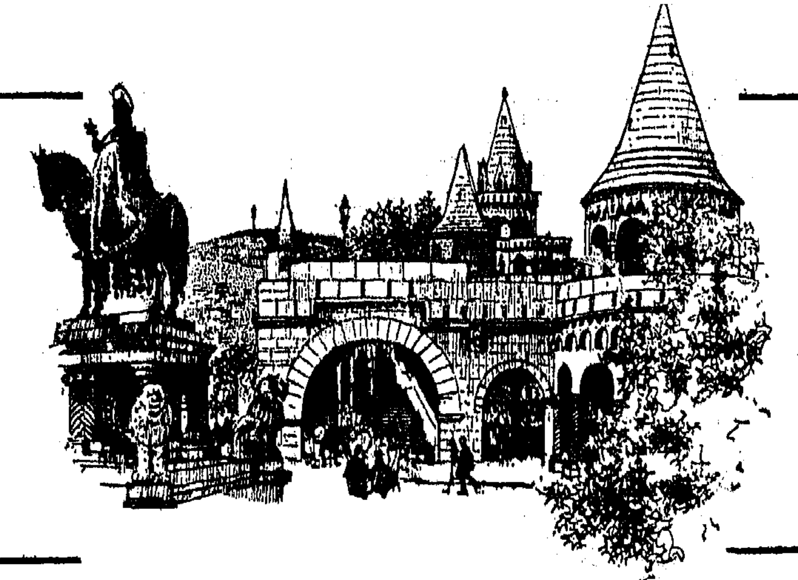
---

(١) كان هذا سنة ٩ هـ « ٦٣٠ م » وقيل سنة ٨ هـ وقيل سنة ٦ هـ«تاريخ الطبرى ٣/٨٩ وتاريخ الكامل لابن الاثير ٢ - ٨٠ والاستيعاب فى معرفة الاصحاب ١ - ٤٦١ ، والاصابة فى تمييز الصحابة ٢ - ٣٨٥ .

(٢) صحيح البخارى ٤/٤٤ ، ٤٧ وصحيح مسلم ٣/١٣٩٦ ، وانسان العيون المعروف بالسيرة الحلبية ٣/٢٨٣ ، وصبح الاعشى ٦/٣٧٦ ومجموعة الوثائق النبوية فى المعهد النبوى ٢٩ للدكتور محمد حميد الله الحيدر ابادي .

(٣) سورة آل عمران ٦٤ .

(٤) تاريخ الطبرى ٣/٨٧ ، والكامل فى التاريخ لابن الاثير ٢/٨٠ ، وصبح الاعشى ٦/٣٧٧ .



ولم أجد فى سيرة ابن هشام نصا لاية رسالة من رسائل النبى الى الملوك والامراء ، واكتفى ابن هشام بالاشارة الى الرسائل . (٥)

وارجح أن كلمة « الاريسيين » هى الاصيلة فى كتاب النبى عليه الصلاة والسلام،وان كلمة الاكارين أو الفلاحين رواية بالمعنى ، كما حدث فى كثير من النصوص .

١ ــ فكيف نطق القدماء كلمة « الاريسيين » ؟ لقد نطقوها هكذا « الاريسيين » بفتح الهمزة وكسر الراء الممدودة وكسر السين وبعدها ياء مشددة ممدودة . (٦)

وجاء فى شرح صحيح مسلم اربع روايات فى ضبط الكلمة .

اشهرها فى روايات الحديث وفى كتب اهل اللغة هو الضبط السابق .

وثانيهما مثله ، ولكن بعد السين ياء واحدة .

وثالثها بكسر الهمزة وتشديد الراء وبعدها ياء واحدة وسين ممدودة ..

ورابعها هكذا «اليرسيين» بياءمفتوحة وراء ساكنة وسين مكسورة بعدها ياء مشددة ممدودة .

٢ ــ وبماذا فسروها ؟

جاء فى السيرة الحلبية وفى شرح صحيح مسلم أن المراد الفلاحون ، واشار أصحاب هذا التفسير الى ان كلمة الاكارين أو كلمة الفلاحين وردت فى بعض روايات الرسالة بدلا من كلمة « اريسيين » ، وقالوا ان الاكار هو الفلاح لان اهل السواد ومن والاهم اهل فلاحة ، والمراد عليك اثم رعاياك الذين يتبعونك ، وينقادون لامرك ، وخص هؤلاء بالذكر ، لانهم اسرع انقيادا من غيرهم ، اذ الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين . (٧)

وقال القلقشندى ــ بعد ان اورد صورة ثانية للرسالة من كتاب الاموال لابى عبيدة جاء فيها قول النبى لهرقل: « فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام ان يدخلوا فيه » ان ابا عبيدة قال : اراد بالفلاحين اهل مملكته ، لان العجم عند العرب كلهم فلاحون ، واهل زرع وحرث . (٨)

وفى شرح صحيح مسلم ان المراد اليهود والنصارى ، او اتباع رجل اسمه عبد الله بن اريس .

وفى المعاجم الثلاثة : لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس : (٩) الاريسى ، والاريس على وزن جليس ، والاريس على وزن سكيت : الخادم ،

---

(٥) سيرة ابن هشام ٢٥٤/٤ .
(٦) المراجع السابقة .
(٧) انسان العيون ٢٨٣/٣ .
(٨) صبح الاعشى ٣٧٧/٦ .
(٩) مادة أرس .

والاكار ، وفلاح السواد الذي لا كتاب له .

وقيل آن « الاريسيين » قوم من المجوس لا يعبدون النار ، ويزعمون انهم على دين ابراهيم ، ويعبدون الله تعالى ، ويحرمون الزنا ، وصناعتهم الحراثة .

وقيل انهم الأمراء وكبراء القوم الذين يمتثل الناس امرهم ، ويطيعونهم فهم في الكتاب النبوى القادرون على هداية قومهم ولم يهدوهم ، وانت اريسيهم الذي يطيعونك ، ويجيبون دعوتك ، ويمتثلون أمرك ، واذا دعوتهم الى امر اطاعوك ، فلو دعوتهم الى الاسلام لأجابوك ، فعليك اثمهم .

وقيل ان في اتباع هرقل ملك الروم فرقة تعرف بالاروسية ، فجاءت كلمة « الاريسيين » على النسب اليهم .

او هم عبدة النار من الفرس ، لانهم كانوا يفلحون الارض بالشام ، اذ انهم زراع ، واهل الشام صناع ..

وقيل انهم اتباع عبد الله بن اوس ، وهو رجل كان في الزمن الاول ، وقد قتلوا نبيا بعثه الله اليهم .

اما اريس فجمعه اريسيون ، واما اريس فجمعه أريسون ، وارارسة ، واراريس ، وارارس

والفعل ارس يارس من باب ضرب ، وارس يؤرس تاريسا .

وفي كتاب من معاوية الى ملك الروم ، وقد بلغه أنه يقصد بلاد الشام ايام صفين : لاردنك اريسا من الارارسة ترعى الدوابل (١٠) .

وفي حديث آخر : فعليك اثم « الأريسيين » .

٢ ــ لكن هذا التفسير يقتضى التعقيب :

٣ ــ فهو لا يتفق على معنى كلمة (اريسيين) ، لانهم الفلاحون ، او الخدم ، او الفلاحون الذين لاكتاب لهم ، او قوم من المجوس يعبدون الله ولا يعبدون النار ، أو الأمراء والكبراء .

ب ــ واني استبعد من المناقشة الزعم بانهم اتباع رجل اسمه عبد الله ابن أرس أو ابن اريس لأن هذا كلام لا اصل له ، ولا سند ، ولو فرضنا انه شبه صحيح لجاء النسب الى ارس على هذه الصورة ارسيون .

كما استبعد انهم جماعة من المجوس يعبدون الله تعالى ، ولا يعبدون النار ، لأن المجوس كلهم منذ كانوا عبدة للنار ، وليست فيهم طائفة تعبد الله ، والا ما كانوا مجوسا .

وليس من الصواب في شيء ان نفسر الكلمة بانها تعنى الأمراء والكبراء والقادرين على هداية الناس ، فانه لا مسوغ لهذا التفسير .

ومن الميسور دحضه بعدة اعتراضات: لماذا اختص النبي الأمراء والكبراء بالذكر ؟

وهل كان الامراء والكبراء في اى بلد وفي اى عصر سباقين الى اتباع المذاهب الجديدة ؟

الم يكونوا حراصا اشد الحرص على مناصبهم ومنافعهم ونفوذهم ؟

وهل كانوا يطمئنون الى ان الدين الجديد سيكفل لهم ما يتمتعون به ؟.

لا ، فانهم كانوا يتخوفون من الدين الجديد أن يسلبهم ما ليس لهم بحق ، فلابد أن يعارضوه وأن يصدوا الناس عنه .

وقد حدث فيما بعد ما يؤكد هذا ، اذ تصدى كثير من كبراء الشام للدعوة الاسلامية ، وحاربوها حينما بلغتهم ، حتى نصر الله دينه في خلافة ابى بكر وعمر .

ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام ليحمل هرقل اوزارهم ، وهم ليسوا اسرع تقبلا للاسلام من غيرهم ، ولم يكن النبي ليختصهم ويهمل ذكر الشعب وهم الاكثرية ، وهم الاقربون قبولا

(١٠) الدوابل جمع دوبل وهو الخنزير

للاسلام .

ومما ذكروه فى معنى الكلمة انهم الفلاحون .

وهذا تفسير بعيد ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يذكر فى كتبه الاخرى الى الملوك والولاة صنفا من النساس ذوى حرفة، فمثلا فى كتابه الى المقوقس عظيم مصر قال : فان توليت فانما عليك اثم القبط ، (١١)

ولم يقل : فعليك اثم الاكارين او الفلاحين .

وانذر كسرى بانه ان تولى فعليه اثم المجوس (١٢) ، واوعد النجاشى انه ان صد عن الاسلام فعليه اثم النصارى من قومه . (١٣)

فلماذا اختص الفلاحين فى كتابه الى هرقل ؟

اما القول بأنهم سكان السواد فانه واضح البطلان ، لان السواد جزء من العراق الخاضع لفارس فى ذلك الوقت ، لا جزء من الشام .

وكانما حاول القائل به ان يسوغه فقال ان سكان السواد من ابناء الفرس كانوا يفلحون الأرض بالشام اذ ان اهل الشام صناع لايجيدون الفلاحة، واهل فارس زراع لا يحسنون الصناعة .

وهذا تأويل لاسند له من تاريخ الأمتين .

ثم انه ليس من المعقول ان يلقى النبى على كاهل هرقل ملك الروم وزر قله ضئيلة من مجوس الفرس مقيمين فى ملكه ، ويخليه من اوزار اكثر قومه. وهم نصارى اقرب من المجوس الى تعاليم الاسلام والى تقبله .

وليس من الصواب الزعم بان العجم كلهم فى نظر العرب اهل زرع وحرث. وانه ليدحض هذا الرأى ان كتب النبى الأخرى الى العجم الآخرين لم ترد فيها كلمة الفلاحين .

ومن مجافاة الصواب القول بان الاريسيين هم اليهود والنصارى ، لان هذه الكلمة لم تستخدم للدلالة عليهم فى اى عصر وفى اى وطن .

وقد جرى القرآن الكريم على اطلاق ((اهل الكتاب)) على اليهود تارة وعلى اليهود والنصارى تارة ، على حين انه اذا اراد اليهود وحدهم كان يسميهم احيانا اليهود واحيانا بنى اسرائيل ، واذا اراد النصارى وحدهم كان يطلق عليهم كلمة النصارى .

واذا مارجعنا الى كتب النبى التى بعثها الى الملوك نجده ذكر كلمة النصارى فى كتابه الى النجاشى والمقوقس ، فمن غير المعقول ان يعبر عن اليهود والنصارى معا بكلمة الاريسيين فى كتابه الى هرقل .

اما الزعم بان اليهود والنصارى اتبعوا ذلك الشخص المسمى بعبد الله ابن ارس او اريس (١٤) فهو زعم يجمل بطلانه لانهم لم يجتمعوا فى عهدما على عقيدة ، ولم يلتفوا يوما ما حول داعية . اذ ان بينهم من العداء والاختلاف ما لا تنطفىء ناره . وذلك الاسم المزعوم لا يعدو ان يكون اسطورة ..

اما قول الزبيدى : وقيل ان فى اتباع هرقل ملك الروم فرقة تعرف بالاروسية، فجاءت كلمة ((الاريسيين)) على النسب اليهم ، فهو اقرب الى الصواب مما عداه .

ولكن النسب الى الاروسية كان ينبغى ان يكون اروسيين لا اريسيين كما وردت الكلمة فى الروايات المعتمدة.

●((للبحث بقية)) ●

---

(١١) تاريخ الطبرى ٨٥/٣ وانسان العيون ٢٩٥/٣ ومجموعة الوثائق النبوية ٥٠ وصبح الاعشى ٣٧٨/٦

(١٢) تاريخ الطبرى ٩٠/٣ وصبح الاعشى ٣٧٨/٦ وانسان العيون ٢٩١/٣ ومجموعة الوثائق النبوية ٥٤ وتاريخ الكامل لابن الاثير ٨١/٢ .

(١٣) تاريخ الطبرى ٨٩/٣ ومجموعة الوثائق ٣٦ .

(١٤) كما جاء فى شرح مسلم ، او ابن ارس كما جاء فى تاج العروس

كيف ترجم العقاد لابن الرومي

● د . محمد احمد العزب ●

على الرغم من كثرة المحاذير آثرنا الوقوف عند هذه الترجمة التي تصادفنا في هذا السبيل ، لاننا ننظر الى هذه المحاذير نفسها نظرة مختلفة تماما ، فهي في رأينا علامة جودة لا علامة احباط وهي دليل استقلال وليست دليل تبعية ، ثم هي بعد مناط اخذ ورد مما يجعل لوقفتنا عندها عائدا فكريا يثرى حركة البحث ، ولا يمر به مجرد مرور على سطوح المسامات .. ثم هي اخيرا بمنهجها في التاليف ، وبمنظورها المعاصر ، وبالقيم الفكرية والفنية التي تعطيها وتثيرها معا ، يمكن ان تكون اعون تمثيل واصدقه لما نريد التمثيل به وله في هذا المجال ..

من الوجهة العامة :

نستطيع ان نقول ان العقاد في ترجمته لابن الرومي قد استطاع ان يسير على منهجية واضحة : فمن تمهيد يعالج فيه الكاتب اشتاتا من القضايا الصميمية .. الى فصل اول عن عصر ابن الرومي يرصد فيه الكاتب ما يموج به هذا العصر من تيارات ومذاهب واتجاهات .. الى فصل ثان عن اخبار ابن الرومي نستبين فيه ملامح تاثيرات العصر في الرجل والرجل في العصر ، وتاثيرات النشاة والبيئة والخطوب في تكوين الشاعر المترجم له .. الى فصل ثالث عن حياة ابن الرومي ، كما تؤخذ من معارضة اخباره على شعره ، يحاول فيه الكاتب ان يستقرىء من الملامح الفنية ارتالا من الملامح الوجودية في اطار من استلهام انماط معينة من شعر ابن الرومي لايتعداها الى غيرها من الانماط ..

.. الى فصل رابع عن عبقرية ابن الرومي يوشك العقاد من خلاله ان يجعل من الكائن الانسان كائنا شاعراً بما هو غاضب على الفصل الجائر بين ان يكون الشاعر « موجوداً » وبين ان يكون « فنانا » وفي هذا الفصل نستبين ملامح المكونات الطبيعية والفنية التي كونت عبقرية ابن الرومي ..

الى فصل خامس عن فلسفة ابن الرومي يضع فيه العقاد ما يشبه ان يكون حجر الاساس في حركة الابداع الفني على مستوى شعرى ، بحيث لا يجوز لشاعر كبير ان يكون شاعرا ولا كبيرا الااذا كانت له فلسفة تستوعب الحياة وتدرك الدنيا كلها ادراكا متفردا وممتازا .. الى فصل سادس عن صناعة ابن الرومي ، يتحدث فيه المؤلف عن السمات البارزة في قصائد ابن الرومي ، من حيث الشكل ومن حيث المحتوى جميعا .. الى خاتمة جديرة بالتامل والدرس ، بماهي محاولة لترسيخ فهم معين لمسار الحركة الشعرية كيف هي ، وكيف ينبغي ان تكون ..

هذا هو الاطار العام الذى تحركت فيه منهجية هذه الترجمة الادبية ، وهو كما نرى اطار يتحرك فيه العقاد من العام الى الخاص ، الى الاخص ، بمعنى انه بدأ من العصر ، وانتهى الى صناعة الشاعر ، مرورا باخباره وحياته .. وليس ــ كما نرى في تراجم كثيرين غيره مجرد خبط عشوائى كل همه حشد نقول تاريخية عن حياة الرجل واخباره غير مرتبط ذلك كله بعصر الرجل ولا بنوعية ميوله وابداعاته .

استطاع العقاد أن يعري أعماق ابن الرومي وأن يدفع ضد الافتراء عليه، وأن يعقد أوشج الأواصر بين الفن والرجل والحياة الطبيعية والمعطى الثقافي على امتداد العصور..

ومن الوجهة الخاصة :

نستطيع أن نقول ان العقاد فى ترجمته لابن الرومى لم يقف على مشارف العمل المنهجى مكتفيا فى ذلك بمجرد البناء ، ولكنه فى كل خطوة من خطواته على طريق هذا العمل استطاع بحق أن يثير عديدا من القضايا الصميمية والتطبيقية ، وأن يضع مقولات على مستوى الحداثة والابداع وأن يفجر جدلا حول عديد من المواضعات التى كانت مستقرة وقائمة، وأن يقول من خلال ذلك كله كلماته هو، وبصوته هو ، بلا محاولة للهروب فى أردية غيره من الاغيار ..

ففى التمهيد يعالج العقاد مفهوم التراجم ونوعية ما تتصدى له ترجمته لابن الرومى بين هذه المفاهيم ... ثم يرقى من ذلك الى معالجة مفهوم الشاعرية ، ومدى ارتباطها الحميم والعضوى بما يسميه العقاد ((الطبيعة الفنية)) . ثم يمضى التمهيد ليعالج قضية الفن والحياة ..

والعقاد هنا يؤكد ان الفن ينبغى ان يكون موضوع حياة الشاعر ، وان حياة الشاعر ينبغى ان تكون موضوع فنه بلا فصام ... ويمضى التمهيد بعد ذلك ليعالج موقف ابن الرومى بين المجددين غائصا على المعانى ، ومستقصيا لجوانب الحس ، وجالشة أعماقه بروافد الوهب والعطاء ..

ان الحس التحليلى يستبين فى هذا التمهيد حتى من أول صفحات هذه الترجمة ، الى جوار ميله الفاهم الى ان تكون الترجمة ترجمة حقيقية لمالك الذات الداخلية بما هى المستودع الحقيقى والأمين لوقائع الخارج المادى.

ان المتأمل لهذا التمهيد يستطيع على الفور أن يؤكد انه أمام صفحات جادة وواثقة ، فاقتحام تراجم الأغيار فى الادب العربى ينبغى بالفعل ان يبدأ من هذه النقطة ، من نقطة ان نفهم كل المقولات التى يمكن أن تتصدى لها الترجمة .

ان التمهيد هنا لا يعنى « تقريظا » هابطا ولا متشنجا لعمل الكاتب ، ولا ينحنى على ادعاءات كاذبة موعود بها على وجه ما يلى من صفحات الكتاب، ولا يهرب من كونه الخاص ـ بما هو تمهيد ـ ليحيل على اكوان اخرى أو يستجدى من أكوان أخرى من فصول الترجمة وابوابها على السواء. .. ان التمهيد هنا يعنى « فعلا فنيا» بحجم الفعل والفن . يعنى حجرا فى أساس بناء وليس مجرد ظل لبناء !

هو عصر المتناقضات ..

وفى الفصل الاول «عصر ابن الرومى، او القرن الثالث للهجرة » يقف العقاد من هذا العصر على المستويين الزمانى والمكانى موقف الباحث الرائع المزود بحاسة الكشف واحتياز عنصر الشمول ، ففى الكلمات الأولى ـ فى مفتتح الفصل ـ تلك التى استعارها العقاد من « ديكنز » تتلخص روح هذا العصر ، وتتجمع خوافيه وبواديه . فهو عصر المتناقضات بحق، حين نرى فيه ذروة التصميد العلمى الى جوار وهدة التدلى الخلقى .. وهو عصر الاضطراب بحق ، حين نرى فيه ثمانية من الخلفاء يعاصرهم الشاعر وينتهى أمرهم جميعا الى **القتل والخلع واستصفاء الاموال ..**

كيف ترجم العقاد لابن الرومي

وهو عصر الفتن بحق ، حين نرى اشتاتا من دعاة التمرد على كل مستوى من المستويات . وهو عصر فقدان المحور بحق ، حين نرى الى مثل هذه التمردات الهائلة تفتقد فى اساسها العنصر العقائدى ..

وهو عصر الانحطاط الخلقى والدينى والسياسى والاجتماعى بحق ، حين نرى ما يمسوج فى جنباته من صراعات واحتدامات .. ثم هو عصر العلم بحق حين تتكامل فيه المذاهب الاربعة، وينبغ فيه من اقطاب الحديث والرواية والنحو واللغة والأدب والتواريخ والجغرافية والفلسفة ارتال هائلة من عباقرة مفكرى العربية الذين يحتلون حتى اليوم اروع مناطق الريادة فى هذه العلوم ..

ثم هو عصر الشعر كذلك بحق ، وعصر علم الشعر الى جوار ذلك بحق أيضا : حين تكاملت لهم نظرة فى الشعر وحين ماجت المرحلة بأولئك الرائعين من شعراء العربية الأفذاذ ...

ان العقاد هنا لا يعطى مسحا تاريخيا للمرحلة غير موشوج الاواصر بشاعره المترجم له ، انه يركز عينيه أولا على الحركة الفكرية المتحمسة بالضرورة بغيرها من حركات السياسة والاجتماع والاخلاق والدين ، ليس لمجرد الحشد التراكمى الذى يضيف الى مؤلفاتنا فى هذه الألوان مؤلفا جديدا ، ولكنه يفعل ذلك بحثا عن روافد الفكر التى يمكن أن تكون قد شكلت ملامح شاعره الصميمية ، وانطلاقا من قاعدة ان الشاعر ليس ظاهرة خارقة نبتت من الفراغ وهى سائرة الى الفراغ وانما ظاهرة خارقة نبتت من لحم الواقع الوجودى بكل ماله وما عليه ، ولن يجدى الباحث ان يتجاهل حقيقة هذا الواقع الوجودى أو حقيقة الوجودية فى اطارها الزمانى .. على النقيض ، فان البحث عن الجدوى مع تجاهل هذه الحقائق ليس سوى أحلام تافهة أو سراب خادع بلا جدوى على الاطلاق .

وهو على توهجه ما يزال ...

وفى الفصل الثانى ((اخبار ابن الرومى))يؤكد العقاد على هذه الحقيقة ويرفض أن يكون الشاعر نبتا بلاجذور ويرفض كذلك ان يعطى للعصر كل طاقة التشكيل فى رسم ملامح شاعره ، فاذ التطرف الجاهل هنا أوهناك غير مامون المثار على أى من الاحتمالات .. ان الوسطية فى هذا الصدد قد تفيد بلا حدود ، فالعصر والشاعر معا يقومان بعملية معاطاة من لون فريد .. ولا يريد العقاد لشاعره ان يكون هنا شاعر عصره وحده ، بمعنى أنه لا يريد لشاعره أن يكون لولا هذا العصر لماكان شاعرا ، فهو شاعر حتى ولو لم يولد فى هذا العصر وولد فى غيره من العصور، فالشاعرية هنا ليست مجرد وصف.. لاحق بمجرد رجل وانما هى كينونة هذا الرجل ومجاله معا .

واذا كانت ((الدعاية)) من جهة ، والتكوينات النفسية للشاعر من جهة اخرى ، قد اخملت الرجل والشاعر حينا من الدهر ، فقد استطاع الشاعر فيه ان ينفض عنه كل الغبار ،وان يحرك كل الجذوات تحت كل الرماد، وان يتوهج عبر آماد التاريخ الشعرى وهو على توهجه لايزال ..

ويستقصى العقاد فى منهجية اخبار شاعره المادية ، ولكن حصاد هذا الاستقصاء لا يقيم امام الباحث هيكلا لشاعر رجل ، ولا صورة متكاملة لانسان حتى فى مرحلة من المراحل ، كل الذى تعطيه هذه الأشتات من الاخبار أن شاعرنا كان رجلا محاصرا بحس التطير ، وانهم رووا عنه فى ذلك الكثير !

وفى الفصل الثالث ((حياة ابن الرومى ـ كما تؤخذ من معارضة اخباره على شعره)) ـ يقول العقاد من أول الامر أن هذه الاخبار التى عثر عليها لا يمكن أن تعطى صورة متكاملة لشاعر ولا لانسان .. انها اخبار عاجزة عن امدادنا بمادة ترجمة متوازنة

لزيادتها المفرطة فى موضع ، ونقصانها الشائه في موضع آخر، ومن هنا كان لجوء العقاد الى محاولة استقراء ديوانه الشعرى ..

وقد نبه هنا الى حقيقة اشستجر ويشستجر حولها الخلاف حتى الان ، وهى مدى صلاحية الشعر ليكون مصدرا من مصادر عمل كاتب التراجم الغيرية، فان بعض الباحثين ياخذ على العقاد اتجاهه الى هذا المنطلق ويزعم ان اشد الضلال يكمن فى هذا العنوان «حياته من شعره» كما فعل العقاد فى كتابه عن ابن الرومى ، ويكاد يقترب شيئا من الانصاف حين يقول : « والخطا عند العقاد فى العنوان لافى الكتاب ، فهو قد قام بحق التاريخ حين جمع الأخبار الممكنة عن الشاعر ثم حاول أن يجد فى الشعر صورة لشخص ابن الرومى»(١)

ومهما يكن من صوابية بعض الرؤى المعترضة فى هذا المجال ، فان العقاد لم يأخذ حياة شاعره من شعره ، وانما أخذها من وقائع حياته المادية اولا ، وحين لم يسعف الكم الوجودى من وقائع هذه الحياة باستغراق حياة شاعره ، لجأ الى لون من الوان الإستقراء ، فنفى أن يلجأ الى اكثره بما هو احزان شاعر وافراح انسان من خلال قصائده الى عواطف انسانية عامة تدل دلالة اكيدة على تفردها وامتيازها من غيرها بلا حدود ... ولكنه لجأ الى لون من الشعر « الاحصائى » كما قلت ، بمعنى ان الجانب الشعرى من شعر ابن الرومى والذى استعان به العقاد كان جانبا نصيا ووثائقيا يعطى بالأرقام والاحجام حقائق من حياة شاعره ، وليس مجرد بوح وتجريد لايعطى تفردا بالذات ؟!

عبقرية عربية خالقة ..

وقد نلاحظ كذلك ان قول العقاد ان رصد حياة هذا الشاعر من شعره ممكنة حيث لا يمكن ذلك مع شاعر آخر ، يوحى بأن هذا المنهج لو كان منهجه الاساسى لطبقة على كل من درس من الشعراء ، وهو لم يفعل على وجه التأكيد ـ فقد افنته حوادث الحياة عن استنطاق الشعر ، واذا اقتدر فى هذا الصدد واعطى مثل هذه الترجمة فليس ذلك عيبه وانما هو مجده ..

وقد يوجد الباحث الذى يعثر على الحلقات المفقودة من حياة ابن الرومى من بطون الكتب . ويترجم له على هذا الاساس ، ومرة اخرى لا يمكن ان يكون ذلك لو حدث مطعنا موجها للعقاد بما هو باحث قد بذل وسعه ، وتكاملت لديه حقائق لم تف بترجمة متكاملة ، فلجا الى شعر هذا الشاعر المترجم له، واستخلص لنا من الشعر ووقائع الحياة مثل هذه الترجمة الرائعة ، ان محاكمته ينبغى ان تكون على ضوء مالديه بالفعل من امكانيات الواقع المادى ، وهى شحيحة بلا جدال ؟

وتسلمنا هذه القضية هنا الى قضايا اخرى لا يقف عندها العقاد وقفة متسرعة عن الفنان فى ابن الرومى، وعن مزاجه ، وطباعه ، واطواره ، ومفتاح شخصيته ، والحق ان هذا الفصل سياحة من أروع سياحات الفكر العربى المعاصر فى ممالك الذات ... فقد استطاع العقاد ان يعرى اعماق الرجل، وان يدافع ضد هضمه والافتراء عليه، وأن يعقد أوشج الأواصر بين الفن والرجل والحياة الطبيعية والمعطى الثقافى على امتداد العصور ..

ان هذا الحس التحليلى الشامل الذى يتقافز عبر كل صفحات الترجمة يؤكد ان العقاد قد ضرب ضربته الرائعة فى مجال التراجم ، وليس ـ كما زعموا ـ قد احبط فى لون اراده علامة تبريز وتفرد وامتياز .

وفى الفصل الرابع « عبقرية ابن الرومى » يشير العقاد الى ان الفصول السابقة قد انجزت مهمة الحديث عن

---

(١) د/ احسان عباس ـ فن السيرة ـ ص ٨٦ .



كيف ترجم العقاد لابن الرومى

حياة ابن الرومى ، وقد بقى للفصول التالية أن تنجز مهمة الحديث عن عبقريته . ويستدرك فى ذكاء ووعى ، بان حائطا ما لا ينبغى أن يقوم — فى التراجم — بين حديثناعن عبقرية الشاعر وحياته ، فلولا هذه العبقرية لما انتضى كاتب واحد قلمه ليعانى فى رصد حياة هذا الشاعر أو قل هذا الانسان ...

وقد يلجأ العقاد الى شيء من الاعتساف حين يصف عبقرية الرومى بأنها عبقرية يونانية ، حتى ولو أقام حكمه هذا على كثير من الركائز الانسانية ، فليست العبقرية اليونانية وحدها هى القادرة على عبادة الحياة وعشق الطبيعة ، واقتناص الصور والاشكال ، وتشخيص المعانى ، وايثار الجمال على الخير ، والنظر الى الدنيا كمعرض منصوب للتملى لا كحصن مغلق أو صومعة موحشة ... فان العبقرية « المثقفة » قدرت وتقدر وهى قادرة أبدا على العطاء فى كل هذه المجالات ولست أعتقد أن ابن الرومى يمكن ان يكون عبقرية من اى لون غير أن يكون عبقرية عربية مثقفة وخالقة ...

وربما نتوقف مع تقسيمات عقادية أخرى كفصله بين العاشق والمحب واسقاط هذا الفهم على شاعره، ولكننا لا نريد هنا ، فكل ما نرجوه فى هذه الدراسة أن نؤكد على قضية أن العقاد فى كتابه عن ابن الرومى قدخطا بالترجمة الغيرية فى الأدب العربى الحديث خطوة بارزة ، وأن منهجه القاصد فى هذه الترجمة بالذات ، ومع هذا الشاعر بالذات ، لا تزال على المستوى الفنى من أروع ابداعاتنا الحديثة فى هذا الصدد ..

موقف لا يميل مع الهوى ..

وفى الفصل الخامس « فلسفة ابن الرومى » يقرر العقاد أنه لابد لكل شاعر كبير من فلسفة للحياة ، ويفرق بين الشاعر الكبير والشاعر الصغير بنوعية ما يرتكز عليه من هذه الفلسفة وأوشك أن أؤكد أن هذه القضية التى تثار على هذا النحو فى ترجمة أدبية كهذه تساوى أن نحنى لها رءوسنا بلا ملال ...

ان شعرنا العربى —حتى الحديث منه — يعانى من جدب تنظيرى بلا حدود، ولست أعنى بذلك اننى أطالب بأن يقول الشعر العربى نظرية ما ، ولكنى أعنى بالضرورة ان هذا الشعر مطالب بان يصدر عن شاعر له « فلسفة حياة » ثم لا يهم بعد ذلك ان يضرب هذا الشعر فى كل اتجاه : غزلا ، او وصفا ، أو تمردا ، او عتابيات ... لابد اساسا لهذا الشعر أن يقول كلمة ما .. كلمة نابعة من موقف وجودى لا يميل مع الهوى ، ولا يتلكأ فى دروب التسيب المريض ، كلمة تشكل حجم فلسفة شاعرها وان لم تزعق بمقولات هذه الفلسفة المؤطرة بكثير من الأقيسة والحدود والمواضعات .. لقد كان المعرى شاعرا فيلسوفا ، ولكنه لم يكن فيلسوفا شاعرا . . . وهذا ما نقصد اليه بالوقوف عند حدود هذه القضية التى اثارها العقاد.

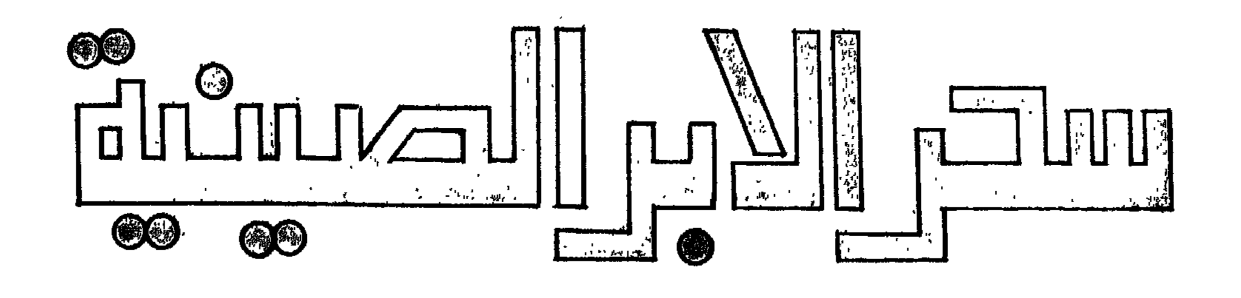
وفى الفصل السادس : صناعة ابن الرومى » يقف العقاد من شاعره وقفة الدارس لمناحية القولية والابداعية والذوقية ، فيعطيه ماله ، ويحاسبه على ما قصر فيه ، وتأتى « الخاتمة » بما يمكن أن يسمى نظرية فى الشعر ، واذا كنت تخالف العقاد فى بعض من مقولاتها ، فانك لا يمكن الا أن تحترم وجهة نظره ، وطريقته فى عكس هذه الوجهة فى أسلوبه الواثق المتلىء العظيم .

فاذا خلصنا من ذلك الى ان العقاد قد أعطى صورة ممتازة عن شاعره ، بادئا من العام ومنتهيا الى الخاص ، ومتكرسا فى ملامح العصر ، والرجل والحياة ، ونوعية العبقرية ، وهوية الفلسفة ، وصناعة الشاعر — لادركنا على الفور اننا امام ترجمة كاملة مضيئة، يعرف صاحبها — أو قل يتهدى بحدسه الصادق — كيف يعالج هذا اللون من الابداع بكل هذه الفنية ، وبكل هذا الاقتدار ...

الإنسان والطائر

ابراهيم عيسى

الفجرُ فى مَهْـدِ الأفقْ .. يحبو ويلهو بالألَـــق
ويبعثر الضوءَ النَّـدِيَّ على الوجود فينطلـــقْ
وتثاءبت حتى البراعمُ ... فالشـذا قلب خَفَـــقْ
وصَحَتْ على غصن الحياةِ مُنى تزقزق فى الحَدَقْ
وترفُّ أجنحـــةُ الضياءِ على الربَى والمنحنَى
والطيرُ تسـخو بالغنـاءِ لمن أسـاءَ وأحسَـنا
وتَهيمُ فى تسـبيحها وتعودُ تلتقـط الجَنَى
صلواتُها تغـريدة سجَـدَتْ بمحرابِ السَّـنا
وتَعَمْلَقَ الانسانُ فى خَطـو يَـدِب على الثـرَى
يَلْقَى أخاه ببسـمة بيضـاء تُخفى الخنجَـرا
ويَمد كفّـا للسلام حوَتْ عـداء ممطـرا
ويَجُر ذيلَ الـكبرياءِ منمّقـا ومعطّـرا
آثامُهُ ليـل ينـوح ويرتَمى كالجـدولِ
ويداه كم خَنَقَـت مُنىً عاشـتْ بصدرِ البلبـل
وكأنه مَلَكَ الـزمانَ وهَمَّ بالمسـتقبلِ
ويقـول فى جبـروته : المُلك لى ... المُلـك لى
حتى إذا أرْخَى المسـاءُ على الوجـودِ سـتائرَه
والنجمُ أينقظ جَفنَتَـه .. والليلُ حَلّ ضـفائرَه
ضَـمَّ الوجودُ جناحَـهُ .. وطوَى الفؤادُ سرائره
وغفا السَّـنا .. والكونُ مَدَّ إلى الصباحِ نواظرَه
والطيرُ عادتْ للعشَـاش تَجُر أسـتارَ الحَلَكْ
تغفو على تسبيحـةِ التغريدِ تشكر من مَـلَكْ
ورُبَّـا بهـا ترنيمَه : يا ربَّنـا ما أكمَـلَكْ
وتقول فى تغـريد ها : المُـلْكُ لك .. الملكُ لَكْ



- العلاج بالابر الصينية .. حقيقة أم وهم ...
- على أنه فلسفة نشأت واستغلت
- هل يرتقي عالم الطب من مستقبل ؟

● د . عبد المحسن صالح ●

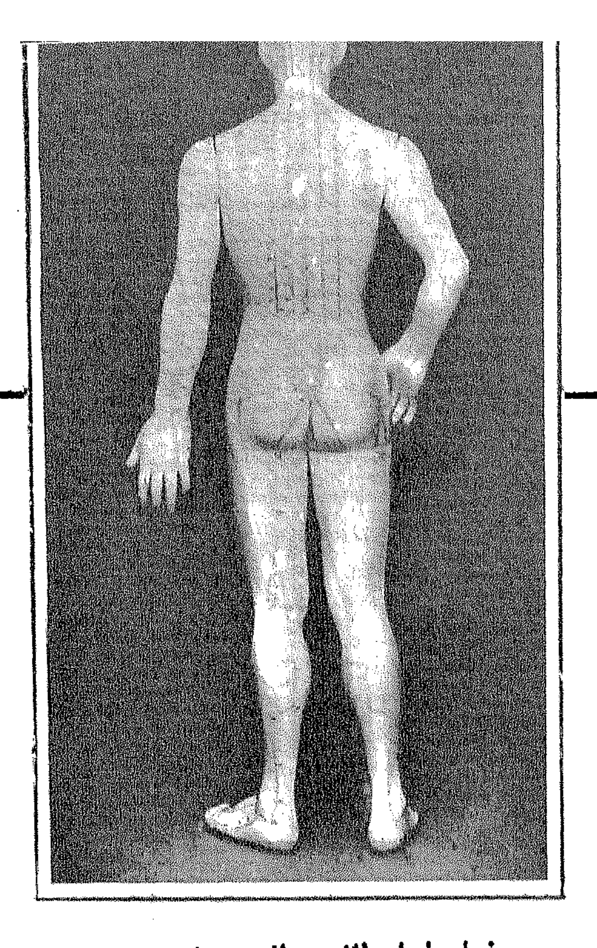
زارني صديق مصاب بارتفاع في ضغط الدم ، واخبرني انه قادم لتوه من عيادة خاصة تعالج شتى الامراض بالابر الصينية ، وانه توجه اليها بعد أن سمع وقرا عن « معجزاتها » ـ « هكذا ؟ » ـ الشيء الكثير ، وكانت هذه جلسته الرابعة ، ولقد تلقى عددا من الابر التى تغرس فى مواضع محددة، وتبقى مغروسة فيها ربما لعشرين او ثلاثين دقيقة ، وبعدها تنزع ، على ان يعود بعد يومين او اكثر حسبما تقتضيه الحالة ، وهو يامل ان يشفى تماما من ضغط الدم الذى يسبب له اعراضا مزعجة !

ولم اشأ أن اقطع عليه خط الرجعة أو أن احطم له آماله ، نزولا على احكام قول مأثور يقول « لو ان احدكم اعتقد فى حجر لشفاه » اذ ليست العبرة فى الحجر ، انما العبرة تنبع من النفس وما اعتقدت ، فكم من امراض تظهر لاضطراب فى النفس ، وكم من امراض تزول لطمانينة حلت بها ، فالانسان وما يعتقد ، والعقيدة فى شىء، خير من لاشىء ، وهذا ركن من الاركان الهامة التى يقوم عليها علم الطب النفسى فان توحى لنفسك بخير ، تجد خيرا ، ومن اوحى لها بعكس ذلك ، فلن يجد الا ما سعى .. وهو ماعبر عنه الشاعر « كن جميلا ترى الوجود جميلا » !

وتقابلت مع الصديق صدفة بعد شهر ، وسالته عن حاله ، وعن حال ابره التى كان « يتعاطاها » فى جسده، فاخبرني « أنها لم تزد الضغط الا ضغطا ويبدو انهم قد ضحكوا على ، ولكنه التشبث بالامل يا صاح » !

وهذا صحيح .. والصحيح ايضا ان الابر الصينية لا تفعل المعجزات كما يظن الناس ، لكن الناس معذورون لأنهم يتقبلون معلوماتهم من بعض الكتاب الذين ينشرون عن طريق اجهزة الاعلام كل ما يثير الناس ، ويجذب انتباههم، وعادة ما يكتب هؤلاء الكتاب عن غير علم ثم انهم يتحيزون لما يكتبون ، فيوهمون الناس بقوى خفية تكمن فى الابر الصينية او غيرها ، ويجعلونهم ينطلقون وراء امل كاذب ، وكان صاحبنا ـ الذى قدمناه ـ ضحية لما قرأ ، وما اكثر ضحايا القراءات الخادعة ؟

لكن ذلك لا يعنى اننا ننكر فكرة الابر الصينية من اساسها ، بل نقصد



النموذج يوضح جسم الانسان، وكانما هو مزود بقنوات .. ومن خلال هذه القنوات يتم تعادل العنصر السالب والموجب (اى الين واليانج فى تصور الاساطير الصينية) وعند التعادل يتم الشفاء .

انها ليست البلسم والعلاج من كل الامراض ، بما فى ذلك مثلا السكر والضغط والسرطان والحصوات والشلل والجنون .. الخ .. فالواقع ان مجال الابر محدود ، لكن قبل ان نقدم حدودها ، كان لزاما علينا ان نعرض الفكرة القديمة التى نشات منها ، فلقد تاسست على فلسفة خاصة آمن بها حكماء الصين منذ الاف السنين !

***

بنيت فكرة الابر الصينية على اعتقاد صينى قديم ، يفترض ان الانسان ليس الا صورة مصغرة للكون الكبير ، ولهذا يتاثر الجسد بالقوانين الكونية التى تسرى على الاجرام السماوية ، ويعتقد حكماء الصين ان قوانين الكون تتبع منها قوتان هما : « ين » و « يانج » .

و « ين » تمثل العنصر الانثوى ، وتتميز بصفات سلبية ، فى حين « يانج » يمثل العنصر الذكرى ، وذو صفات ايجابية ، وهاتان القوتان الكونيتان تمتزجان فى كل من الذكر والانثى ، والغريب ان هذا المفهوم ليس بعيدا تماما عن الحقيقة التى يعرفها علماء الغدد الصماء ، فتحت كل جلد ذكر هرمونات انثوية ، وتحت جلد كل انثى هرمونات ذكرية ، ايهما يتغلب فى المخلوق ، يؤثر فيه ، ويحدد جنسه ، لكن هذا ليس بيت القصيد، « الين » « واليانج » الكونيين قد نقلا الى الجسم البشرى — على حد اعتقادهم — خلال ١٢ قناة اوبرجا ، ومن كل قناة يتفرع ٣٠ فرعا ، ولهذا تصور الصينيون القدماء وجود ٣٦٠ موقعا محددا فى جميع اجزاء الجسم صالحة لغرس الابر .. والابر — فى عرفهم تساعد على اعادة التوازن بين «الين» « واليانج » ، اى بين القوة السالبة والموجبة ، فكل الامراض التى تحل بالجسم ترجع الى اختلال الموازين بين « الين » و « اليانج » ، ولا يهم ان توضع الابر فى الموقع الذى حل به المرض ، لان كل القنوات تؤدى الى بعضها ، وهذا من شانه ان يصلح الخلل !

الغريب ان هذه الفكرة قد نشات ايضا عند قدماء المصريين وعرب الجاهلية والاشوريين والبابليين ، ومن جاء بعدهم من اليونانيين والرومان القدامى

لكن الفكرة قد اتخذت فلسفة اخرى لا تقوم على غرس الابر ، بل قامت على ربط حظ الانسان في الحياة ببروج السماء الاثنتي عشرة ، والاغرب من ذلك ان هذه الفكرة القديمة لاتزال سارية بيننا حتى الان فيما نسميه بطالع البروج او ((انت وبختك)) .. او ((حظك هذا الاسبوع)) .. الخ !

وايا كانت الامور ، فان فكرة الابر الصينية قد نشات من أسطورة تقول ان جنديا صينيا كان يعيش هناك منا ثلاثة الاف عام ، ثم أصيب بسهم واستقر في جسده ، فلاحظ ان دخول السهم في منطقة ، قد احدث ما يشبه التخدير او فقدان الحس في منطقة اخرى .

ومرت هذه الحادثة دون آن يعيرها احد اهتماما ، وتمر مئات السنين ، ويجيء احد الحكماء ويسمع القصة ، ويحاول ان يأخذها مأخذ التجربة والجد ، فيجريها بالابر هذه المرة ، لا بالسهام ، ويقال انها اشتغلت ، وتطورت ، وأصبحت وسيلة من وسائل العلاج التي انتقلت عبر الاجيال منذ حوالي الفي عام !

***

والان .. ما هي مهمة هذه الابر بالضبط ؟

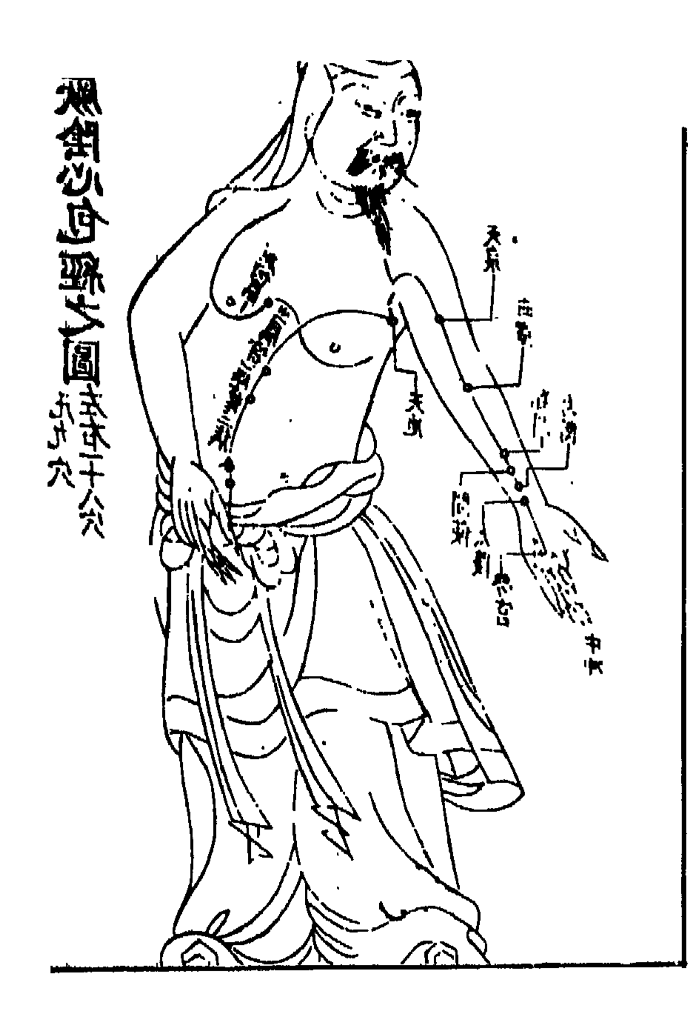
مهمتها تخفيف اوقتل الالام ، وليس شفاء الامراض ، فمعظم العمليات الجراحية التي تتم الان في الصين تستخدم هذه الابر في عمليات التخدير والهيئات الطبية والعملية التي توجهت من الدول الغربية الى الصين لتدرس هذا الامر ، وتراه رؤية العين ، قد اعترفت صراحة بان الابر وسيلة فعالة في طمس نبضات الالم اثناء العمليات الجراحية ، او في الالام الناشئة عن الحروق او الاورام او ما شابه ذلك .

وكيف تطمس الابر الالم ؟

هذا — صراحة — ماحير اطباء الغرب وعلماءهم ، كما ان اطباء الصين انفسهم لا يعرفون كذلك كيف تشتغل الابر في طمس الالم ، كل ما عرفوه ان التجربة المتوارثة من الاجداد الى الابناء تؤكد ذلك !

ولحيرة الشرق والغرب ما يبررها لان السيطرة على الالام تخضع لقوانين الجسم ونظمه والابر قد اطاحت صراحة بهذه القوانين ، فللالم شبكة عصبية هائلة تنتشر — على الاخص — تحت بشرتنا وجلودنا ، ففي طرف الاصبع منها الالاف ، ثم تتجمع الالاف مع الاف اخرى من المناطق او الاصابع المجاورة ، وتسير مع بعضها في حزم ، وتتجمع الحزم مع الحزم من كل انحاء الجسم ، لتصبح حزمة هائلة فيها ملايين فوق ملايين من هذه الاعصاب الناقلة للاحاسيس ، وكل هذه تصب في المخ ، والمخ ((يرشح)) المعلومات ويصنفها ، ويوجهها الى مراكزها الخاصة بها . فنحس بالعالم الذي حولنا ، ونعرف لسعة النار ، من برودة الثلج ، من **وخز الابر ، من طعم السكر والحنظل الخ .. اى أن كل شيء في اجسامنا يسير وفق نظام متقن ، لا خلل فيه ولا فوضى !**

والعلم الحديث المؤسس على الملاحظة والتجربة ، ثم اعتماده على حصيلة النتائج المتجمعة والتي يمكن نسجها في نظريات وقوانين ، لتساير نظم اجسامنا ، هذا العلم يدخل في السيطرة على الالام من الابواب الامامية ، لا الخلفية .. بمعنى انه ياتيها من حيث يتطلب نظام الجسم ذلك ، والوسائل الحديثة في استنباط قائمة طويلة وعريضة من المسكنات والمواد المهدئة والمنومة التي تقتل الالام ، ثم الاجهزة الاليكترونية التي تستخدم في ذلك ، كل هذا يشير الى ان علماء الغرب ينهجون النهج القويم .. صحيح انهم لم يصلوا في ذلك الى حد المثالية او الاتقان ، لكن المتطلع الى تاريخ الطب والعلم يشهد بحق أن كل شيء يتطور



مواقـع غرز الابر الصينية فى التصـور الصينى القديم ..

الى الاحسن والاتقن فى زمن قيـــاسى قصير !

***

ان ما حير علماء الغرب « والعلمـاء « المودرن » عموما ان الابر الصـينية تغرس فى مواضع لا شان لها بالشـبكة العصبية الناقلة للالام ، ولا شان لهـا ايضا بتلك التصورات القـديمة التى ترجع الامراض الى قوى سالبة وموجبة تتمثل فى « الين » و « اليانج » ، وهذا التصور الغريب لا يقره علماء الصـين كذلك .

صحيح ان علماء الشرق مبهـورون بما حققه الغرب من انجازات فى قتـل الالام .. هذه الانجازات التى تتمثـل لنا فى ملايين من حالات الالم التى يتعرض لها سكان هذا الكوكب كل يوم ، ولكل الم وسيلة خاصة يطمس بها ، فهناك العمليات الجراحية التى تزيل مسببات الالم ، وهناك عمليات قطع العصـب الموصل بين الجزء الذى ينبض بالالـم وبين ما يستقبل هذا الالم « اى المخ » . وهنالك الاف الادوية المسكنة والمخدرة التى تتدخل مع الجهاز العصبى المركزى وتغير أو تحور فى نبضات الالم ، وهناك الاجهزة الاليكترونية الحديثـة التى « تشوش » على الحزم او « الكابلات » العصبية الحية الناقلة للالم قبل دخولها الى المخ ، وهناك مؤثرات كثيرة تشتغل على مراكز محددة فى المخ ذاته . . هذه المؤثرات قد تكون كهربية او كيميائيـة أو عن طريق الايحاء النفسى أو التنويم .. الخ ..

لكن الابر الصينية لا شان لها بهذ النظام على الاطلاق ، وهذا مادعا علماء الغرب الى الشك والريبة ، واعتقـد بعضهم ان فى الامر خدعة ، بمعنى ان المريض قد يتقبل المخدر قبل العملية خلسة ، ثم تاتى الابر بعد ذلك لتجعل للطب الصينى سحرا وغموضــا ، فيحير به الصينيون اهل المهنة فى الدول الغربية الراسمالية .

وعندما اعلن الرئيس الامريــكى السابق ريتشارد نيكســون زيارته للصين فى فبراير عام ١٩٧٢ ، كان فى صحبته اثنان من اطبائه هما : دكتور كينيث ويلاند ، ودكتور وولتر تكاش ، ولقد طلب منهما زملاؤهم جمـع بعض التحريات الصحيحة عن حقيقة العلاج والتخدير بالابر الصينية ، ولم يـكذب الطبيبان الخبر ، وعندما وصـلا ورايا مايجرى فى احدى المستشفيات الحديثة دهشا ، وكانما هما لا يصدقان عينيهما !

« كنت منذ عدة شهور اسـمع عن التخدير بالابر الصينية ، وكنت لا آخذ ذلك على محمل الجد ، خاصـة وان المواقع التى تغرس فيها تلك الابر لاعلاقة

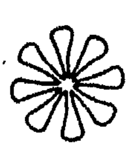
لها بالجهاز العصبي للانسان ، ومع ذلك تراهم يؤيدون ان المريض لا يحس بأية آلام اثناء اجراء عمليات كبيرة في صدره او مخه ، أو اخرى معقدة في بطنه ، ثم ان المريض يستطيع ان يتحدث مع من حوله وهو في كامل وعيه ، او انه يشعر بدنياه المحيطة به ، في حين انه لا يحس بما يجرى له من جراحة خطيرة ، وطبيعي ان اى طبيب غربي ، أو اى طبيب اخر تقبل العلوم الطبية الحديثة ـ لا يستطيع ان يصدق شيئا من ذلك . »

« ولما رأيت صدقت .. ومع ذلك لم استطع ان ادرك السر » ـ كما يقول طبيب نيكسون الخاص !

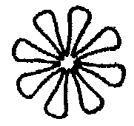
دعنا الان نختار حالة من تلك الحالات التي رآها دكتور تكاش بصحبة الطبيب الصيني « وو » الذي اعترف صراحة انه لا يعرف كيف تقوم هذه الابر بالتخدير ، لكن الذي يعرفه حقا انها تشتغل ، وتؤدى عملها بكفاءة ، وذكر للامريكي أن بحوثا طويلة قد اجريت منذ عام ١٩٥٧ حتى الان ، لكن احدا لم يستطع ان يتوصل الى نظرية معقولة يوضح بها سر هذه الابر !

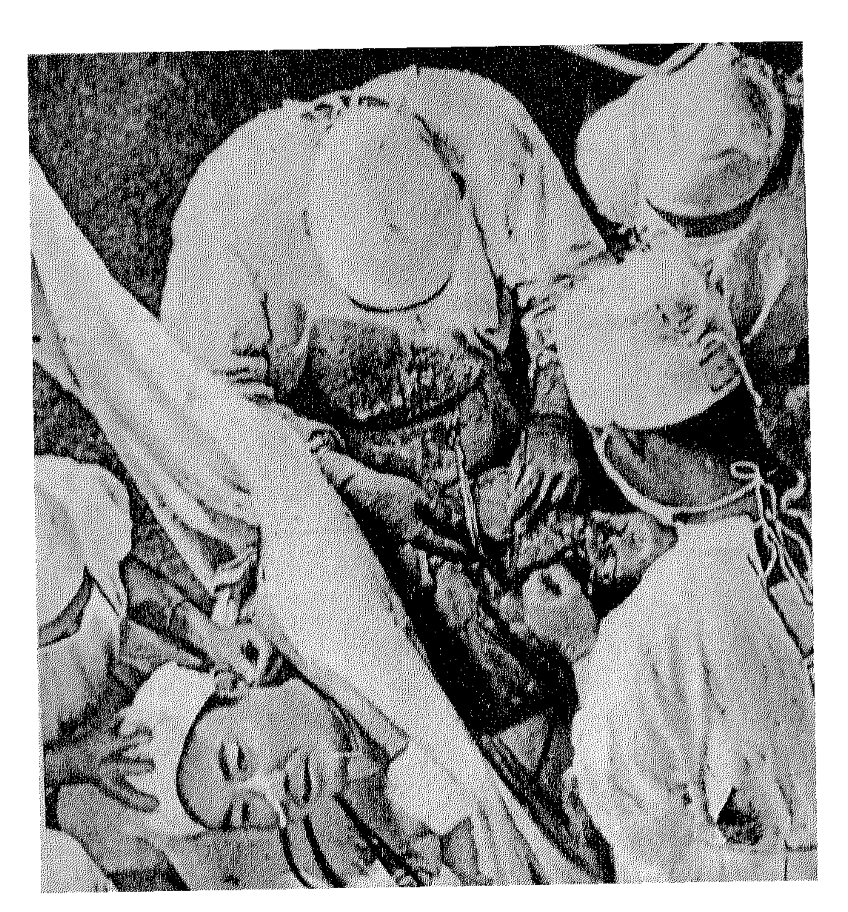
والان .. الى صالة العمليات ، ولندخل الى الحجرة رقم « ٣ » ، وعلى منضدة الجراحة تستلقى سيدة تبلغ من العمر ٣٧ عاما ، وفي اذنيها وذقنها ورقبتها .. الخ ، غرست عدة ابر رفيعة من الصلب ، وانتظرت طبيبتان صينيتان حوالى ثلث ساعة ، حتى يظهر اثر التخدير بالابر ، ولقد كانت المريضة طوال الوقت في كامل وعيها ، وبدات احدى الجراحتين في عملية شق البطن حتى وصلت الى احد المبيضين ، حيث يكمن فيه ورم في حجم ليمونة كبيرة ، واستؤصل الورم بالفعل ، وامسكته الطبيبة الجراحة بملقط ، ثم وضعته امام عيني المريضة لتراه ، وابتسمت المريضه وشكرت الطبيبه ، فلنتذكر انها كانت في كامل وعيها ، ورغم ذلك لا تحس بما يجرى في بطنها .

« وبعد أن انتهت العملية ، وربط الجرح بضمادات معقمة ، وارتدت المريضة ملابسها ، قامت وسارت بضع خطوات ، ثم التفتت الينا « والكلام

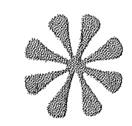


احدى العمليات الجراحية التي تجرى تحت تخدير باستخدام الابر الصينية وحدها (راجع المقال) ..

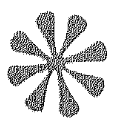








هكذا تغرز الابر الصينية فى وجه هذه السيدة الصينية وطبيعى ان ذلك ليس بقصد العلاج من الامراض ، بقدر ماهو ايحاء لتخفيف الآلام !



على لسان الطبيب الامريكى »، ولوحت لنا بيدها محيية ، ثم حيت الطبيبتين ومدير المستشفى دكتور ماو الذى كان يرافقنا ، وعندما شاهدنا كل ذلك ظهرت الدهشة على وجهينا ، اذ لم يكن الامر يحتمل اية خدعة ، ولو كان فيه خدعة او سر دفين ، فلاشك انه اعظم من يمكن ان يستعين به الطب ، فالمريضة لا تحس بأية الام ، كما انها على اتصال دائم بمن حولها ، وتستطيع ان تتخاطب معهم ، وفوق كل هذا تقوم وتخطو امامنا دون ان يظهر عليها ما ينم على انها كانت فى عملية جراحية كبيرة منذ دقائق » !

ويعلق دكتور تكاش على الكثير مما شاهده ويقول : ومع أنني رايت كل ما رأيت بعيني اللتين فى راسى ، الاانني اعلم ان كثيراً من الاطباء الامريكيين لن يصدقوا مارايت ، لان التخدير بالابر لا يقوم على اى منطق طبى ، خاصة وان تلك الابر لا تمس عصبا ولا وعاء دمويا ، ولا اى ممر من ممرات الالم او مسبباته » !

***

هل هو سحر ؟ .. ام ان من ورائه قوى خفية تضع العلماء فى حيص بيص؟ واذا عجزت الهيئات الطبية والعلمية عن اكتشاف السر ، فماذا يعنى هذا حقا ؟ .. هل يعنى ان القدماء كانوا اكثر علما ، واعظم تقدما من انسان القرن العشرين ؟

الواقع ان المشاهدات الفردية قد لا تعنى فى مجال العلوم الطبية او التطبيقية شيئا يمكن ان نؤسس عليه رايا أو نظرية او مبدأ او حتى قانونا، فالكلام فى هذا الموضوع كثير ، وقبة مبالغات ، والعلم لا يقوم على الكلام ، ولاالمبالغات ، ولا الحكايات والروايات»

والعلم دائما يحترم نفسه ، ومن هنا ظهرت اصالته .. ثم انه يتعامل غالبا مع ما خلق الله ، او يشيد بناءه وصرحه على نظم الكون والحياة ، وفى كليهما ابداع واتقان وروعة لا تتجلى الا لقوم يعلمون ، والذين يعلمون حريصون على ما يقولون .. فمازالت هناك متاهات ما نريد ان نصل اليه ، ان ما يتردد بين الناس عن معجزات الابر الصينية وسحرها ، ثم عجز العلماء عن فهم



وتقييم هـــذا اللغز الكبير ، ليس له الان ما يبرره ، لان الامر يحتـــاج الى دراسة وافية ومقنعة ، مع اخذنا فى الاعتبار كل العوامل التى يمكن ان تؤثر فى النفس البشرية ، فتجعلهـــا تستجيب او لا تستجيب .

خذ لذلك مثلا ومثلا .. فهناك حالات من المرض او الالم الوهمى ، وفيه يطلب المريض دواء معينا يعتقد انه الـــدواء الوحيد الذى يريحه من الامه ، ويحقن بالدواء ، ويؤكد ان كل شيء قد زال ، وانه لا يشعر بالام المرض على الاطلاق .. لكنه فى الحقيقة لم يأخذ الا دواء وهميا .. فلم يكن فى الحقنة الامحلول معقم من ملح أو سكر لا يضر ولاينفع ، وهذا ينبئك بطبيعة النفس البشرية ، وما جبلت عليه من أوهام فى بعض الاحيان

من الناس مثلا من يعتقد فى قـدرة القديسين والاولياء والمشايخ على شفاء الامراض ، وازالة الالام ، فمجرد لمسة من رجل يدعى الولاية والصلاح ، قد تزيل بعض المتاعب عند بعض النـاس .. لكن ليس كل الناس ، اذ لا يمكن لرجل عاقل ان يلجأ الى ما يلجأ اليـه الدراويش واتباع الدراويش ، ومـع ذلك فانت لا تستطيع ان تحـول بين الناس وبين ما يعتقدون ، فاذا اعتقدت فى شيء ، فربما تتأثر به النفس ، وله تستجيب ، وقد يظهر ذلك على هيئة مرض أو شفاء .. وليس للطـــب أو العلم شأن بعقيدة الناس ، لكن شأنه ان يأخذ هذه العوامل فى الاعتبار عند تقييمه لمسالة الابر الصينية ، فربمـا كانت هناك علاقة « روحية » او علاقة عقيـــــدة وثقة بين المريض الصينى والطبيب الصينى ، وان هذه العلاقة قد تؤدى الى نوع من التخـــدير او التنويم الذى قد يطمس الالم !

والعلم يقول هنا : دعنا نأخـذ فى الاعتبار عينات من اهل الصين ، ومن أهل اوربا وامريكا وافريقيا .. الخ ، ونجرب عليهم الابر الصينية ، ونرى النتائج ، ثم نضع النتائج فى تحليـــل احصائى ، ومن هذا التحليل سنعرف ان كان التخدير يتم بعامل نفسى فى المقام الاول او بالابر فى المقام الاول . ايهما ارجح ، يكون الحكم له او عليه ، فليس كل الناس متساوين فى الادراك والايحاء والاستجابة وتحمـــل الالم والعوامل البيولوجية الاخرى .. اضف الى ذلك ان كل الناس ايضا ليســـوا متساويين فى قبولهم للتنويم ، او فى ممارستهم لتمرينات اليوجا « وهـذا بدورها تحتوى على عناصر من التقويم الذاتى »

لكن .. ليس معنى هذا اننا ننكر التخدير بالابر ، بل ان انكارنا ينصب على انها قد صارت وسيلة للعلاج من الامراض ، وكأننا نحن نعود الى ممارسة الطب الصينى بالطريقة التى مضى عليها اكثر من الفى عام ، فلم يتخذ الصـــينيون القدامى هذه الوسيلة لكى يخدروا بها مرضاهم ، ويجروا عليهم العمليـــات الجراحية ، بل كانوا يوحون للناس على انها طريقة عظيمة للعلاج لمعادلة « اليين » و « اليانج » فى الجسد ، ولا احـــد يستطيع ان يبلع الان هـذه الفكرة ، حتى ولو كان اطباء الصين انفســـهم فهم يعترفون صراحة انها للتخـدير ، وليست للعلاج ، ولاشك ان ســـعى الانسان من قديم الزمن ، كان ينصب اســـاسا على تخفيف الالم ، والابر الصينية احدى هذه الوسائل .. لكن هل هى التى تقوم بتخفيف الالم حقيقة ام ان فى الامر ما يشبه التنـــويم او الايحاء .. ؟

اننا لن نقفز الى الاستنتاج قفزا كما يحلو لكثير من الناس ان يفعل ذلك ، فلقد علمنا العلم ان النتيجة مربوطـة بالارقام والاحصائيات والتجـارب ، وعلى نطاق واسع ، وهذا مالم يقم به احد بعد فى هذا المجال ؟

ويبقى القول الفصل معلقا ، ليبالغ بعض الكتاب فيما يكتبون ، وما اكثر ما يبالغون فيخدعون .. وعليهم وزر ماكتبوا فخدعوا !

الوقوف في الممنوع !!

• ابراهيم صبري •

ووقفت « في الممنوع » .. أنتظر   والشوق في عينيَّ يستعر
والناس .. كل الناس .. ترقبني   وكأنني عجب ... وهم بشر
يتساءلون بكل ما ملكوا   من دهشة : ما الأمر ! ما الخبر ؟
وأتى أمين الدرب ينبئني   أن ليس لي في الدرب منتظر
قلت استمع لي .. قال وأسفا   إن المقام هنا لمن بكروا
قلت استمحتك يا أخي عذرا   فلقد صبرت وطال بي السفر
وأتيت درب الحب ملتمسا   بربوعه .. ما أخَّر القدر
إن الهوى بالأمس واعدني   وأغاله ما زال ينتظر !
بش الأمين .. ورغم بسمته   أدركت أن القلب ينفطر
قال استمعت إليك فاسمع لي   واحذر ففيما ترغب الخطر
أخلفت موعدك الذي ولى   وأتيت بالأقدار تعتذر
أنت الذي أهدرت موعدها   وتخال أن الوقت يدخر
ولقد علمت بأن ما يمضي   في دورة الأفلاك مندثر
وأراك بالمقطوع في ولع   وبسكة الممنوع تشتهر !
قلت الذي أرجوه ليس له   زمن يحدده وينحصر
وفوارق الأزمان ما برحت   في حومة الأشواق تنصهر
ولقد أتيت الدرب يحملني   شوق إلى من شئت مستعر
غنيت أشعاري له نغما   تشدو به الأطيار والشجر
والناس كل الناس ترمقني   وكأنني عجب ... وهم بشر !
يتساءلون بكل ما ملكوا   من دهشة .. ما الأمر ؟ ما الخبر ؟
وأكاد أن أمضي بمركبتي   لأريح من عجبوا ومن نظروا
لكن صوتا جاء ينبئهم :   يا كل من سمعوا ومن بصروا :
إن الهوى لا عمر يحكمه   أبدا .. ولكن الهوى العمر !



"من القلب" محسن محمد

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

● على باب مكتبه استقبلني بقامته العملاقة .. وابتسامته العريضة .. البداية مشجعة حول فنجان قهوة كانت دردشة الحوار ... احسست بعدها انه رجل داس الغرور ، ورفع التواضع الى قمة هامته ، فتح قلبه ((للهلال)) وتحدث بصراحة .

● صورة بالقلم ●

قال وهو يقرأ من سطور محفورة فى الذاكرة لكي يرسم الصورة التى طلبتها :

« .. اشتغلت بالصحافة بالثانوية العامة ، أول ما كتبت ثلاثة أسطر تحت عنوان رسالة الى عزيزى القارىء .. نشرت فى مجلة « الاسبوع » التى كان يصدرها الاستاذ جلال الحمامصى فى ذلك الوقت ..

« منتهى الفرحة والسعادة عندما نشرت لى هذه السطور رغم أنها لاتحمل توقيعي ..

فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٧ اشتغلت فى « الزمان » من مكتبها فى الاسكندرية « ــ محسن اسكندرانى ــ » وكنت مندوبا متعدد الاختصاصات . حوادث اقتصاد . جمارك . اخبار الوزراء عندما ينقلون نشاطهم الى مدينة الثغر أستاذى كمندوب صحفى . محمدرشاد السيد مدير تحرير « جورنال دى جيبت » .

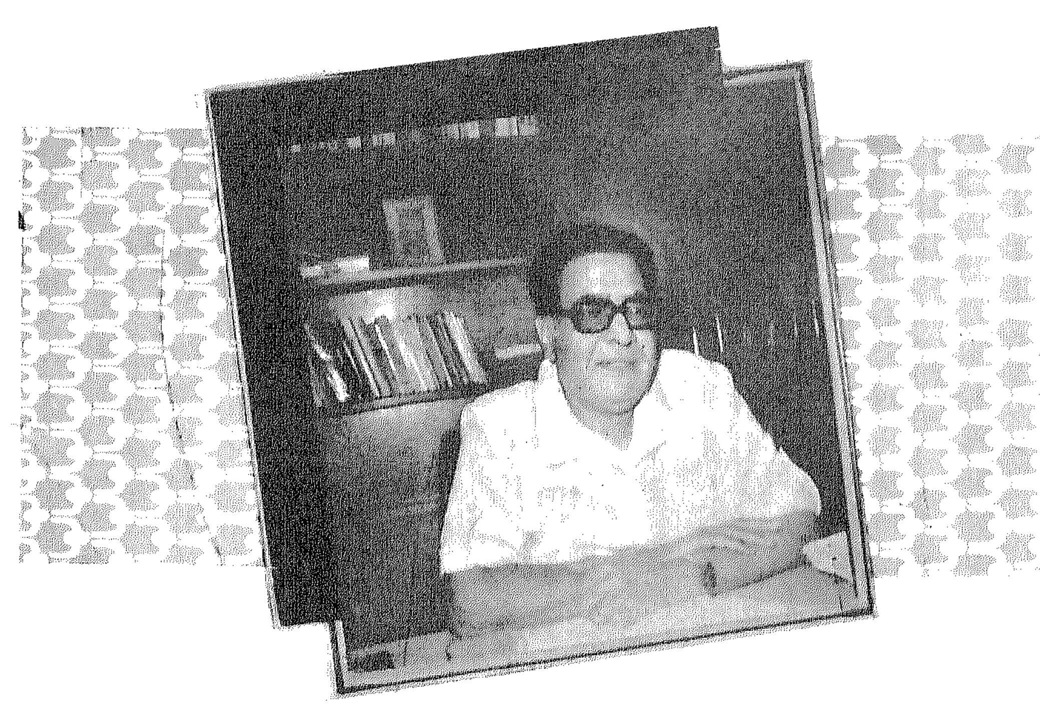
بعد ذلك فى الاخبار . اخبار اليوم . وكالة انباءالشرق الاوسط ثم الجمهورية»

جاء محسن محمد مضطرا الى القاهرة بعد أن قررت الاخبار نقله من الاسكندرية كان عندى شقة على الكورنيش لو احتفظت بها لتقاضيت اكثر مما كسبته فى حياتى الصحفية .. يضحك من اعماقه « لكن هذا يعاقب عليه القانون » .

● صحفى بلا هوية ●

فى بلاط صاحبة الجلالة تكثر المتاعب .. من رئيس تحرير الى السجن ، من مدير تحرير الى الشارع .. محسن محمد أحد الذين تعرضوا لهذه المتاعب .. « لا أريد أن انسج حول نفسى بطولة » ــ هكذا قال عندما سألته عن هذه الفترة . وعندما لمح اصرارى قال :

« المتاعب الصحفية كثيرة . لكنها تهون عندما تكون فى بلدك بين اهلك وأصدقائك لكنها تكون مريرة قاسية على النفس عندما تكون فى بلد غريب .. فقد كنت صحفيا



بلا هـــوية فى الكونغـــو أيام « لومومبا » . والانفصـــال الذى قام به «تشومبى» « سحبوا جواز سفرى فاحسست بالضياع . لا احد يشعر بك او بوجودك تبحث عن الحقيقـة وانت فى حاجة الى من يبحث عنك . منتهى القســوة والمرارة والشعور بالوحـدة .. فى بلد ملىء بالصراعات .. الخوف يشل تفكيرك فى كـل لحظة تمر عليك . لن يمد اليك احد يد المعاونة او المساعدة ..

ماذا تنتظر بعد ذلك .. »

قلت له : اجابة السؤال التالى .

● جنون بالتاريخ ●

هواية وصلت بصاحبها الى درجة العشق الكامل لتاريخ مصر ، فقدكان محسن محمد فى صحبته توت عنخامون فى رحلتـه الى انجلترا عام ١٩٧٢ ، بعدها كمايقول محسن «أصابنى جنون بالتاريخ» .

كتب محسن محمد تحمل هـذه الدلالة ! « تاريخ للبيع » ، « التاريخ السرى لمصر » ، ــ «عندما يموت الملك» ــ سنة من عمر مصر ــ التسعـ والحرب ــ « أصول الحكم » ــ ثمانية عشر عاما من التوقف من عام ١٩٥٤ بعد اول كتاب له « حكايات صحفية » ولم يكن قد مضى عليه أكثر من سبع سنوات على الاشتغال بالصحافة ، الى ان جاء عام ١٩٧٢ والرحلة المباركة مع الملك توت ، ثم السيل المنهمر من الكتابات التاريخية . فما السر ..؟!

يقول محسن محمد :

« .. **فترة التوقف هذه .. كانت نابعة عن مبدأ ــ ان الذى يحتـرف الصحافة عليه ان يتفرغ لها بالكامل .. فى هذه الفترة ايضا واصـلت الدراسة فى الجامعة . وحصلت على ليسانس الاداب قسم انجليـزى ثم الماجستير ، والصحافة غير التاليف ، ولكن هذه الكتب التى تقصدها أخذتها من الزاوية الصحفية البحتة ..**

« فعندما كشفت الخارجية البريطانية عن الوثائق السرية التى مضى عليها ثلاثون عاما كان من بينهـا حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ . اعتبرته خبرا لكن جاء متأخرا ثلاثون سنة « لا يعرفه احـد . من هذا المنطلق كان كتاب « تاريخ للبيع » وماتلاه من كتابات سياسية تاريخيـة صحفية . »

● المراة فى ادبه ●

رغم ان محسن محمد يصر عـلى كونه صحفيا فقط فله كتاب فى أدب الرحلات عن الصين : « ولا عجيـب الا الصين » ، فى هذا الكتـاب أعلى من قدر المراة عموما .. « المـراة التى بهرتنى هى المراة الصينية » هكذ

حوار من القلب مع محسن محمد

قال لي محسن محمد في حديثه . .
لماذا ؟!

« .. في هذا البلد الذي يصل تعداد سكانه الى الف مليون نسمة — كانت المراة هي العنصر الاساسي في تنظيم النسل ، جعلوها تؤخر سن الزواج وافقت . وان تتنازل عن كل ادوات التجميل حنت راسها طواعية . اقنعوها بالعدول عن لبس الفستان الابيض في الزفاف رضيت .. قالوا لها انه يرمز الي الموت قالت لا اريده. المراة — ياسيدي — هي الساق الثانية في المجتمع .. الرجل من غير المراة لا يساوي شيئا .. »

● الصفحة الادبية ●

اختفاء الصفحة الادبية من معظم الجرائد له تعليل عند محسن محمد يعترف به « نحن على راس المهملين في ذلك . كما انه انتهى عصر الكاتب الواحد . فقد كان هناك طه حسين والدكتور هيكل في السياسة، والدكتور منذور في الوفد المصري ، والعقاد في البلاغ .. اليوم الجريدة تهتم كمهنة بالصحافة

« .. اولا .. ثم ياتي الاهتمام بالادب .. ايضا ربما لضيق المساحة ، ربما لتغير اهتمامات الناس . او القطاعات التي تخدمها الجريدة . »

قاطعته : ترى هل اصبح الادب نوعا من الترف الفكري يجب أن نعزف عنه الى ما هو اهم منه ؟؟

قال :

« الادب جزء من حياتنا ، وان كان عهد سيطرة الادباء على الصحافة قد انتهى . فلم يعد هناك مثل العقاد كاتبا اول ، او مندور مثلا . وان كان العقاد له منطق ومندور له منطق آخر . اليوم اصبح اصدار الصحف صناعة . والصحف المصرية في طريقها لان تقترب من صحافة الغرب . رئيس التحرير اليوم هو الكاتب السياسي الاول ، وسوف يكون بجانبه كتاب ادب جدد .

في جريدة «لندن تايمز »او«نيويورك تايمز » كتاب الافتتاحية كتاب مجهولون وأن كانوا ادباء وسياسيين أيضا .

ولان مصر عاشت في مشاكل خلال الثلاثين سنة الاخيرة تغير فيها تركيب المجتمع .. هذا التغير جعل الادب يتوارى وليس معنى ذلك انه سيختفي. فقط هناك نوع من الانحسار الثقافي نظرا لظهور طبقة الحرفيين وهي الطبقة التي تملك القوة الشرائية حاليا

● الراى والراى الآخر ●

تركني محسن محمد ارتب افكاري وسحب سجادة واستاذن في صلاة المغرب .. قبل ان يدخل عليه وقت صلاة العشاء .

وفي الصحافة دائما قضية الراى والراى الاخر ..

« حرية الراى خطرة جدا , ومن يقل غير ذلك فهومخطيء.. وأيضا هي

« .. صمام الامن الوحيد .. والذين يقولون بحرية الراى يتصورون حريتهم فقط . ولكن الفكرة كما يقال يخدمها انصارها ويخدمها خصومها فانا مع الحرية الى اخر المدى وبدونها لا يمكن ان يحقق المجتمع أى تقدم .»

كان هذا كلام محسن محمد « وقد قاله « بدون الدخول في مناقشات فلسفية »

● سارتر يقول ●

قلت له حول الحرية يقول سارتر « انا حر حتي في أختيار الحرية» فما مدى انطباق ذلك مع الواقع العملى ؟

قال محسن محمد :

« انا مع الحرية الى اخر مدى ولا يمكن ان يحدث تقدم بدون الحرية ، الفكرة ان الثورة مثلا كان يتربص بها قوات الاحتلال فى الداخل وتريد الثورة ان تقى نفسها شر هؤلاء الخصوم،لكنها لاتحمى نفسها من نفسها فتكون النتيجة أن تنحرف الثورة . تضع قيودا على حرية الراى أو محاكمة الصحفيين بعد فترة ليس فيها دستور ولا برلمان ، فتكون النتيجة حرية الخطأ والانحراف، لان كل واحد يعتقد ان تقارير الاجهزة احكام نهائية ، عندما تكون الصحف الخاصة ممنوعة تصبح مهمة الصحف القومية خطيرة ، وعليها ان تضمن حرية الراى حتى النهاية معادلة صعبة وأنا متفائل دائما »

● التفاؤل والتشاؤم ●

قلت للاستاذ محسن محمد .. هل يعني هذا انك كاتب متفائل .. ولماذا؟

قال بحماس شديد :

«انا كاتب متفائل جدا وذلك لاسباب

اولا والدى توفي وانا عندى من العمر ستة اشهر فقط لم يترك لنا شيئا ابدا ، ولو عاش لما بقيت كاتبا او رئيس تحرير او خلافه ، لكن ربنا بيساعد وانت بتساعد والشعب كله بيساعد . فنحن شعب متضامن فى المأساة وغير متضامن فى الافراح .

ثانيا : الظروف ساعدتنى جدا فكثير من الناس ساعدونى متطوعين منهم مثلا محمدرشاد السيد ،و جلال الحمامصى، ومصطفى امين

ثالثا : بالنسبة للمراة ، عندما مات والدى لم تتزوج امى وعاشت لكى تربينى ، فانا مؤمن بالمراة لاننى مؤمن بأمى فوالدتى وهبت حياتها لكى تساعدنى .

ولذلك فتفاؤلى بلا حدود

● تفسير ●

ولذكرت ما كتبه محسن محمد فى عموده اليومى : « احتفظ بالنصيحة لنفسك،فانت أحوج اليها من الاخرين»

هل يعد نوعا من الانانية أن يحجب الانسان نصائحه عمن يطلبها ؟ ..

قال وهو يبتسم : « ابدا ، ابدا .. انا لم اقصد ذلك ، فقط نحن نتبادل النصائح ولا نتبادل العمل »

« .. وحقيقة انا أحوج الناس الى النصيحة .. وقصدى من ذلك قبل أن تنصح الاخرين انصح نفسك .. »

● نصيحة ●

قلت له : قبل ان انهى حديثى .. ما هى نصيحتك للادباء الشبان وكذلك للصحفيين الشبان ؟ ..

قال : النصيحة الخالدة .. على الاديب ان يظل ينحت الصخر باظافره .. وعلى الصحفى ان يقرأ ويقرأ ويقرأ الى ان يصبح مثل دائرة معارف ..

وعندما قام ليودعنى ادركت قيمة ما قاله الدكتور مؤنس أن محسن محمد محبوب من جميع الناس — وفى المقال سر هذا الحب .. ●

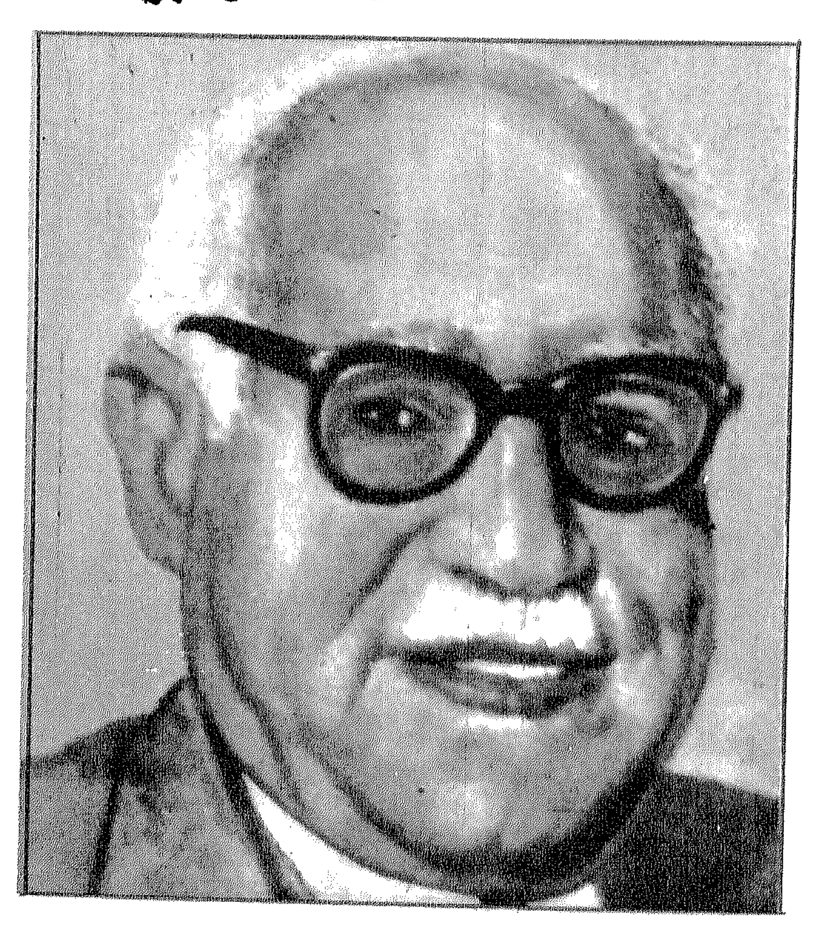
أدمع الذكرى

• محمود المتريس •

شآبيبُ دمع ... عَلَّ قلبي بها يَبْرا
ويسلو غراما .. ضَلَّ في تيهِ عُمْرِ
غرام شقى .. عاثَ في روضَةِ المُنى
فروَّع في أفيائها الطَّيرَ والزَّهْرِ
خمائلُ كانت تلهمُ الطير شدوَه
وينفث فيها الزَّهر من عرْفهِ سِحْرا
أتاها ... وفيها اللَّحن والعِطر والنَّدى
وخلَّفها – من طُول ما روَّعت – قَفْرا
غرامٌ ... تغشَّى القلبَ في ليلةٍ لها
على الدَّهرِ ذكرى .. لا يمل لها ذِكْرا
وإنِّى ، وإنْ عاتبْتُ .. لم أنسَ وقفتى
أمام جَمال نارُه تشعِل الصَّخْرا
جمال تَنَزَّى بالصَّبابات والصِّبا
وعربد نَشْوانا بأيَّامه السَّكْرَى
على حبه – ياقلبُ – فارقتُ صحبتى
وأوغلت فى وهم .. تجبرَ واستشرى
وبت شباب العُمْر فى ربقَة الهوى
وكم باتَ رهْن العِشق قبلك من أسرَى
وكم كانَ ليل الأسر .. حلْوا زمَانُه
بصحبة حسناء .. توشَّحت الفجرا
وحتى .. ولمَّا أطلقتكَ يد الأسى
وددتَ إلى أحضانه .. عودة أخرَى
غرام ... طواهُ العمْر فى ميعَة الصبا
وكان نَصيب القلب من أمره خسْرا
ومن عجب مازال يَهْفو لطَيفه
فيرقبُه سرا ، وينكره جهْرا
يكادُ من الوَجْد العتىِّ ... يقودُنى
إلى قدَر فى الحبِّ .. لا يرحم القَدرا !
حنانيكَ قلبى ... ما لهاتيكَ عودة
ولو زدْت صبرَ البائسينَ بها صبْرا
فهاكَ دموعى .. علَّها تُطفىء الجوَى
وتمسح من صفَحات أشجاننا سطرا

شخصية الشهر

أحمد حسن الزيات

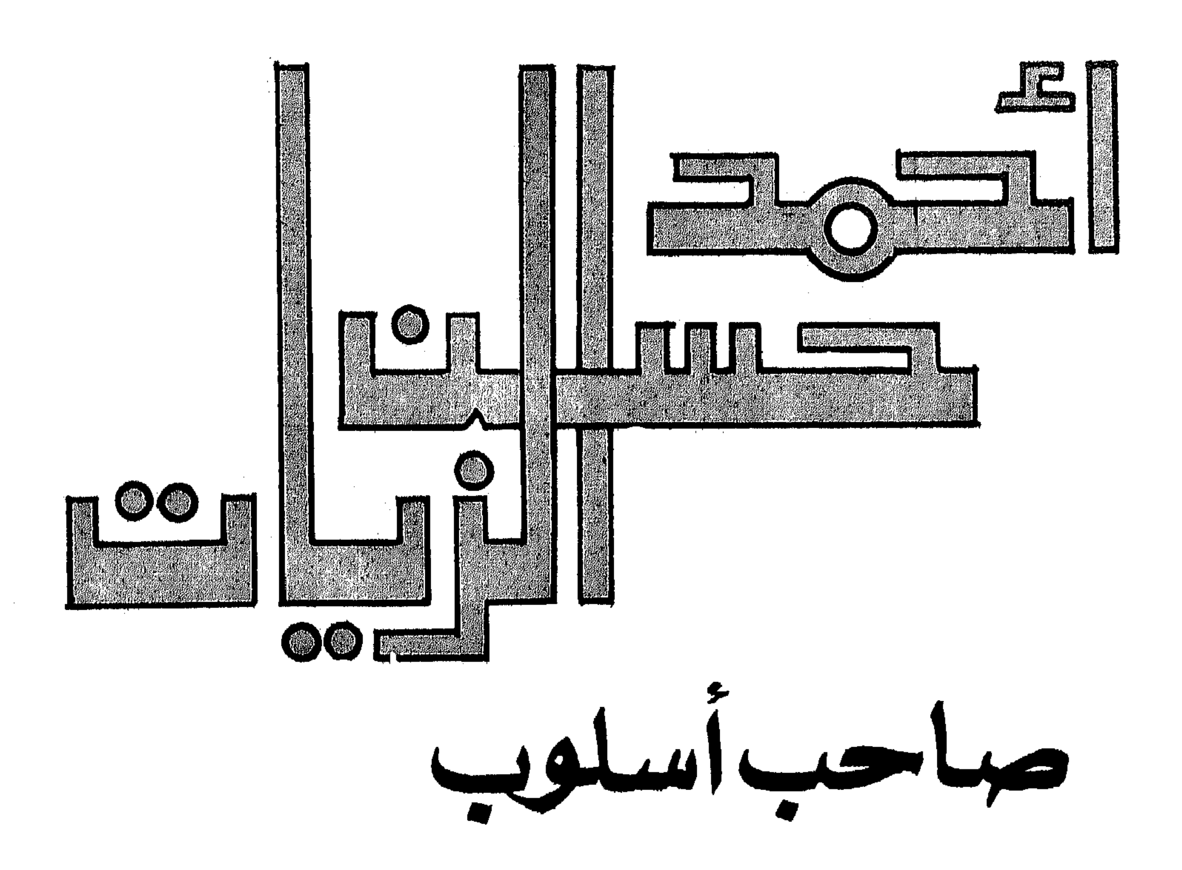


الميدان الادبى ابتداء من عشرينات هذا القرن ، يذكرك بميدانى الادب والشعر فى البصرة وبغداد خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين : صراع عنيف بين عدد كبير من الموهوبين • كل منهم يبحث لنفسه عن مكان فى عالم الادب

وكما كان الصراع فى الماضى يدور بين عبد الحميد الكاتب وعمرو بن سعده وابى نواس وابى العتاهية ، ومسلم بن الوليد ـ كان يدور فى قاهرة العشرينات والثلاثينات بين طه حسين والعقاد والمازنى والزيات وسلامه موسى وشوقى وحافظ ، وكل منهم يبحث عن أحسن ما عنده ليصل به الى أحسن ما يستطيع ••

وسط هؤلاء اختار الزيات الاسلوب الانيق المنمق ••

فهو دائما فى بحث عن الكلمة والجملة والسجعة والايقاع • من كل محاسن لغة العرب اختار طريق الحلاوة ، فكان يكتب وكأنه يعزف ويؤلف الكتاب وكأنه يصنع « مشربية »



صاحب أسلوب

● محمد عبد الغنى حسن ●

قبل ان نمضى فى الحديث عن صاحب « الرسالة » احمد حسن الزيات كاتبا ناثرا ذا ((اسلوب)) نعتقد ان الحق والمنطق يقضيان علينا ان نعرف رأيه فى « الأسلوب » جملة ، وعلاقة الأسلوب بالبيان خاصة ، او بالبلاغة على وجه العموم ..

ولم يحوجنا الصديق احمد حسن الزيات الى أن نلم رأيه فى الأسلوب من فصوله المتفرقة ، أو مقالاته المتنوعة . فقد اشتمل كتابه المشهور : « دفاع عن البلاغة » على فصل جيد عن «الأسلوب» فيه الغناء عن كل ما قد نتلمسه عنده من الرأى فى هذه القضية التى ستفضى بنا الى التعرف على أسلوبه البيانى من خلال بحثه ، كما تعرفنا على الأسلوب عنده من خلال كتاباته ومأثوراته وروائع مقالاته .

ويبلغ فصل « الأسلوب » فى كتاب : « دفاع عن البلاغة » للزيات سبعين صفحة كاملة ، وهو فصل طويل جدا اذا قيس بصفحات الكتاب كلها وتبلغ قرابة الثمانين ومائة من الصفحات .

والحق أن الزيات حين كتب عن ((الأسلوب)) فى دفاعه عن البلاغة انما كان يقصد ان يحدد معالم اسلوبه هو وكان يقصد الدفاع عن مذهبه البلاغى .. ولعله احس ـ وهو الذكى الهادىء الطبع ـ ان بعض الناس لم يكن راضيا عن طريقته فى « الأسلوب » ، ولا عن مذهبه فى الكتابة ، وانهم اتهموه بتغليب اللفظ ، وايثار الصنعة ، وترجيح البيان ، فاراد ان يرد عليهم من طريق غير مباشر ، وان يقول لهم : ان الاسلوب الذى اتخذته فى هذا العصر ـ الذى افسدته السرعة ، وجنت عليه الصحافة، وابتلاه التطفل ـ هو الأسلوب العربى المبين ، الذى حام البيانيون والنقاد القدامى حوله ولم يوضحوه ، والموا به خفافا سراعا ولم يحددوه .. الى ان جاء مؤرخنا العبقرى ، وعالمنا الألمعى « ابن خلدون » ، فتحدث فى « مقدمته » المشهورة عن « الأسلوب » حديثا لم يحط به البلاغيون واهل البيان ، فى القرون السبعة التالية للاسلام ..

ولقد تميز فى عصر « الزيات » وقبيل اشتهاره بسنين ، عدد من الكتاب النابهين . فظهر الأستاذ الامام محمد



احمد حسن الزيات

عبده فى لغته التى تحررت من أثقال الكتابة فى القرن الماضى ، وظهر محمد المويلحى فى نثره المتأنق ، وظهر الأمير شكيب أرسلان فى بيانه المرسل ، وسلكه المفصل ، وظهر السيد رشيد رضا فى ترسله المبين ، وظهر الشيخ على يوسف صاحب المؤيد فى حرارة بيانه ، وطلاقة لسانه ، وظهر مصطفى لطفى المنفلوطى فى أسلوبه الجديد الفريد الذى تفزعت له أسماع الزيات نفسه ، وطه حسين ، ومحمود حسن زناتى وهم لا يزالون شداة علم فى الأزهر ، فكانوا يترقبون صحيفة « المؤيد » كل خميس « ليقرأوا مقال المنفلوطى خماس وسداس وسباع ، وطه مرهف أذنيه ، وزناتى مسبل عينيه ، والزيات مأخوذ بروعة الأسلوب ، فلا ينبس ولا يطرف ، وكلهم يودون لو يعقدون أسبابهم بهذا المنفلوطى الذى اصطفاه الله لرسالة هذا الأدب البكر ..
كما يقول الزيات ..

***

وهكذا نرى « الزيات » منذ شبابه الباكر يشغل نفسه بالأساليب ،ويتذوق الجمال فى كل جميل منها ، ويصطفى لنفسه و « لرسالته » الخالدة من الكتاب الأصلاء من يرى فيهم فضل بيان ، وفضيلة لسان ، وتفردا فى الميدان ..

فيعجب بمصطفى صادق الرافعى منذ ارتفع للرافعى بين العرب صوت ،ويقول عنه فى تقدير سليم ووزن حكيم :«رحم الله الرافعى ! لقد كان فى الكتاب طريقة وحده ، وحسب الكاتب مزية ان لا يكون لأسلوبه ضريع فى الأدب كله . فاذا قيل لك ان الرافعى قديم الأسلوب فى التفكير والتعبير ، فاحمل ذلك على الحسد الذى لا حيلة فيه ، او على الجهل الذى لا حكم معه .. أسلوب الرافعى يمتاز بالسلامة والسلاسة والايجاز والعمق . وهذه المزايا نتائج حتمية لاكتمال عدته ، وغزارة مادته ، وصفاء ذوقه ، وذكاء فهمه ... والرافعى كان يقتصد فى أسلوبه ، لأنه ينفق عليه من جهده ومن ذوقه ومن فنه ما يجعله أشبه بومضات الروح ، ونبضات القلب ، ونفحات العافية . فهو يفصل اللفظ على قدر المعنى تفصيل « الموضة » الفاشية اليوم ، يقصر ولا يطول ، ويضيق ولا يتسع ، ولكنه ــ على ضيقه وقصره ــ يظهر الجسم الجميل على أتم ما يكون حسنا وأناقة . وهو بعد ذلك أسلوب جيد التقسيم ، سليم المنطق الا أنه بعيد الاشارة ، يستسر جماله على القارىء العجلان ، والفهم البطىء . فاذا روى فيه الناقد المتذوق انكشف له فى كل كلمة سر ، وطالعته فى كل فقرة آية ..

أحمد حسن الزيات
صاحب أسلوب

ويقف الزيات وقفة أخرى مع أسلوب العقاد في « سارة » ــ وان كان هو أسلوب العقاد في كل كتاباته ــ فيقول: « أما أسلوب « سارة » فهو أسلوب العقاد : صريح لا رغوة فيه ، جلي لا غبار عليه ، مستقيم لا التواء به ، يتصل فيه اللسان بالعقل فلا يلغو ، ويعتمد فيه القلم على القريحة فلا يهن ، على أن العقاد في سارة قد احتفل لأسلوبه ، واحتشد لفنه ، فجاء من النمط العالي ، لا تجد خللا في سبكه ، ولا قلقا في اطراده ، ولا هنا في منطقه ، ولا سقطا في ألفاظه ولا شططا في معانيه .. »

***

وأسلوب احمد حسن الزيات في مترجماته هو أسلوبه في محرراته وموضوعاته . فالطابع العام للأسلوب المتميز المتفرد هو واحد في الحالين : التأليف والترجمة ، الا ما تقضي به ضرورات الترجمة مما يقيد المترجم بالأصل ، ويربط المعرب بالنص .

وحين ترجم الزيات في سنة ١٩٤٠ قصائد وأقاصيص « من الأدب الفرنسي» مضى في العمل من أوله الى آخره لم يكشف لنا عن منهجه ، ولم يوضح لنا أسلوبه في الترجمة . ولكنه حين أعاد نشر ذلك الكتاب في سلسلة « كتاب الهلال » مارس سنة ١٩٦٢ تحت عنوان جديد هو : « ضوء القمر وقصص أخرى » **صنع للكتاب مقدمة ابان فيها عن مذهبه وأسلوبه في الترجمة ، الذي جمع فيه بين مذهب يوحنا بن البطريق من ناحية، ومذهب حنين بن اسحاق من الناحية الأخرى ، فقال ان المذهب الذي اتبعه هو توفيق بين المذهبين : « فانا أنقل النص الأجنبي الى العربية نقلا حرفيا ، على حسب نظمه في لغته ، ثم أعود فأجريه على الأسلوب العربي الأصيل ، فأقدم وأؤخر دون أن انقص او ازيد ، ثم اعود ثالثة فأفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم ، والمجاز المطابق والنسق المنتظم . فلا أخرج من هذه المراحل الثلاث ، الا وانا على يقين جازم بأن المؤلف لو كان كتب قصته أو قصيدته باللغة العربية لما كتبها على غير هذه الصورة .. »**

وحديث الزيات عن « الأسلوب » لا يرجع الى اللفظ وحده ، أو الجمل وحدها ، ولكنه يرجع ــ كما عبر ابن خلدون في المقدمة ونقله الزيات في دفاعه عن البلاغة ــ الى « صورة ذهنية للتراكيب » .. « وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب والمنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب، باعتبار الاعراب والبيان ، فيرصها فيه رصا ، كما يفعل البناء في القالب ، والنساج في المنوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، فأن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة .. »

ومن هنا كان الاسلوب عند «الزيات» فكرة وصورة ذهنية معا ، وليس هو ــ كما توهم المتوهمون ــ سرد ألفاظ لاتسفر عن معنى ، وحشد أسجاع لا تؤدي الى غرض : أو هو ــ كما وضحه بعد قليل من ايراده كلام ابن خلدون ــ طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ ، وتأليف الكلام . وهذه الطريقة قد تختلف عند كاتب أو شاعر ، كما تختلف عند الشاعر أو الكاتب نفسه باختلاف الفن من القول الذي يعالجه ، والموضوع الذي يتناوله ، والشخص الذي ينطق بلسانه .. أو

● كان الزيات منذ شبابه الباكر يشغل نفسه بالأساليب، ويتفوق ويتذوق الجمال في كل جميل منها، ويصطفي لنفسه و"لرسالته" الخالدة من الكتاب الأصلاء من يرى فيهم فضل بيان، وفضيلة لسان، وتفردا في البيان

ينطق عنه .

***

واذا كان « الأسلوبيون » العرب قد غالوا في تغليب الجانب اللفظي حتى كادوا يهملون « الفكرة » أو ينتقصون من قدرها في تكوين قوام الأسلوب ، فإن « الزيات » قد جمع بين اللفظ والمعنى جمعا لا مفر منه ، وأوضح ان العلاقة بينهما كالعلاقة بين الروح والجسد ، فلا وجود لأحدهما بغير صاحبه ، لأن الأسلوب — كما يرى الزيات — هو الهندسة الروحية لملكة البلاغة ، والبلاغة التي يعنيها « الزيات » هي التي لا تفصل بين العقل والذوق ، أو بين الفكرة والكلمة ، أو بين المضمون والشكل . وهل يجوز الفصل بين الروح والجسد ؟

وما أصدق « الجرجاني » في دلائل اعجازه وهو يقول : « فاذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا ، او يستجيد نثرا ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق ،وحسن انيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس ينبئك عن احوال ترجع الى أجراس الحروف ، والى ظاهر الوضع اللغوى ، بل الى أمر يقع من المرء في فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زناده .. »

واحتفال الزيات باللفظ ، ومبالغته في التأنق ، واسرافه في حلية الشكل هو مظهر من مظاهر مفهومه للاسلوب على انه « فكرة وصورة » . فهو يحاول في كل ما يكتبه أن يبرز الجانب اللفظي للبيان دون اغفال للجانب المعنوى ..

ويتضح ذلك في بحوثه ودراساته الأدبية والنقدية ، مثلما يتضح في مقالاته وخطراته . فاقرأ له كتابه في تاريخ الأدب العربي — وهو كتاب دراسة وبحث مثل كتاب جرجي زيدان في آداب اللغة ، وكتاب الشيخ الاسكندرى وزميله وعنوانه « الوسيط » في الأدب العربي وتاريخه وغيرهما من كتب التاريخ الأدبي — فانك تجد فيه أسلوب الزيات واضحا متميزا . واقرأ له كتابه : «في أصول الأدب » — وهو محاضرات ومقالات في الأدب العربي — تجد احتفاله بالأسلوب هنا كاحتفاله بالأسلوب في مقالاته الأسبوعية بالرسالة ، وكاحتفاله بالترجمة والتعريب لجوته في « آلام فرتر » ولجي دي موباسان في « ضوء القمر » وغيرها ، ولألفونس دوديه في « النجوم » وللامارتين في « البحيرة » و « المساء » و « الوادى » وغيرها ، ولشاتو بريان في « مغرب الشمس في البحر » ..

***

وقد بلغ من احتفال الزيات بألفاظه وجمله في كتاباته ومترجماته أنه كان يستجلب الألفاظ المعجمية الفصيحة ذات الرنين الخاص والبنية الخاصة ، ويضعها موضع الألفاظ المألوفة الجارية

أحمد حسن الزيات

صاحب أسلوب

على الألسنة ، حتى ليخيل اليك أنه يتفصح ويكاثر بحصيلته اللفظية ،وحتى ليضطر فى كثير من الأحيان الى أن يشرح هذه الألفاظ المجتلبة فى هوامش كتبه ، دون أن تدعو حاجة اليها ، أو تقوم ضرورة لها •• وقد احتشدت رواية « آلام فرتر » ــ وهى مترجمة ــ بعشرات وعشرات من الألفاظ الغريبة غير الدائرة على الألسن ، والمودعة بطون المعاجم اللغوية • واضطر هو الى تفسيرها فى الهوامش مثل : مركوم ، نزية أى جدة ، يتصافقون ــ أى يتبايعون ، المندية أى المخجلة ، رجل أصحر القلب أى ظاهر السريرة ، عرسوا بالمكان أى أقاموا به ، السورة أى الحمية ، العيش الرفيغ ــ بالغين المعجمة ــ أى الواسع الطيب ، فتاة موقورة الأذن أى ثقيلة السمع •••

وما اليها ، من مئات الكلمات التى تبدو غريبة على الأسماع ، غير مألوفة فى الاستعمال ، ومجافية لمقتضيات البلاغة من محاولة الافهام ••

وعذر الزيات فى ذلك الميل اللغوى، والمتجه اللفظى أن العصر الذى ترجمت فيه « آلام فرتر » وصدرت فيه فى ربيع سنة ١٩٢٠ كان عصر انذار وتكاثر بالمحصول اللغوى المعجمى ، وعصر تنادر بكل غريب من الألفاظ •• فالشيخ عبد العزيز البشرى ، ومحمد صادق عنبر ، والرافعى ، والأمير شكيب ارسلان ، والشيخ حمزة فتح الله ، والشاعر محمد حافظ ابراهيم يصنعون ذلك ، ويرصعون به مقالاتهم أو كتبهم ، ولا يجدون فيه حرجا ، بل يرون فيه احياء للدفين ، واستعادة للمكنون •

وتصادفنا عند حافظ ابراهيم فى ترجمته «للبؤساء» كثرة من تلك الالفاظ الغريبة التى اخذ بعض الكتاب يتحررون منها بعد ذلك •• بل وجدنا « الزيات » نفسه ــ فى مقالاته ومترجماته المتأخرة ــ يلفظها من معجمه ، ويضع مكانها الفاظا مأنوسة مألوفة ••

وقد آثر الزيات فى أسلوبه طريقة المزاوجة فى الجمل ، والازدواج فى الفواصل ، فى غير سجع تارة ، وفى سجع غير متكلف ولا متصنع تارات ، وقد يختم السجعات المتتالية بفاصلة غير مسجوعة ، فيحس القارىء أنها فاصلة مقطوعة ، كقوله فى مقال كيف نعالج الفقر : (انهم ان يفعلوا ذلك لا يجدوا فى البيوت عائلا ، ولا فى الطريق سائلا، ولا فى السجون قاتلا ، ولا فى المواخير ساقطة !) •

وكقوله فى مقال الأمل : « فبين روح الله المؤاسى ، ومدد الرجاء الآسى ،تندمل الجفون القريحة ، وتلتئم القلوب الجريحة ،وتنتعش الجدود العاثرة » • فأنت تحس أن الفاصلتين : « ساقطة » و « العاثرة » قد نبا بهما الموضع عما قبلهما من سجعات ••

وللزيات عذره حين يسجع فيما يؤلفه من الكلام ، ولكن ما عذره حين يترجم قصيدة أو قصة فيلجأ الى السجع أليس ذلك أثرا من آثار تأثره بمذهبه فى البلاغة ، ومنهجه فى الأسلوب سواء أكان مؤلفا أو مترجما ؟!

***

ويعتمد احمد حسن الزيات فى اسلوبه الأنيق الرشيق على الاثارة والتأثير والتصوير ، سواء أكان فى اهدا المواقف، أم أحد العواطف •• فاذا تحدث عن عطل مجتمعاتنا من الأنس بحضور المرأة ، أثارك بقوله من مقالة « العيد » ــ « فاذا لم تصبح المرأة فى البهو عطر المجلس ، وعلى الطعام زهر المائدة ، وفى الندى روح الحديث ، وفى الحفل مجمع الأفئدة ، فهيهات أن يكون لنا عيد صحيح ، ومجتمع مهذب ، وحياة طيبة ، وأسرة سعيدة •• » •

واذا تحدث عن حزنه ولوعته بفقد ولده « رجاء » فى ربيع ١٩٣٦ أثار

● احتفال الزيات باللفظ، ومبالغته في التأنق وإسرافه في حلية الشكل - هو مظهر من مظاهر مفهومه للأسلوب على أنه "فكره وصورة" يحاول في كل ما يكتبه أن يبرز الجانب اللفظي للبيان دون إغفال للجانب المعنوي.

احزانك معه بقوله : « يا جبار السموات والارض رحماك ! افي مثل خفقة الوسنان تبدل الدنيا غير الدنيا ، فيعود النعيم شقاء ، والملاء خلاء ، والأمل ذكرى ؟! أفي مثل تحية العجلان يصمت الروض الغرد ، ويسكن البيت اللاعب ، ويفبح الوجود الجميل ؟ »

والوجازة هي هدف الزيات حين يكتب وغايته حين يسترسل ... ففقراته وجيزة لا يملها طول ، ومقالاته وجيزة لا يعيبها سرف ، وحتى رسائله الخاصة تبلغ في القصر حدا لا يداني . وكذلك حديثه في الندوة كحسوة الطير لا يطول ولا يمل ..

وأذكر من رسائله ما بعث به الى في آخر سنة ١٩٤٩ : « صديقي محمد عبد الغني حسن ! سيصدر عدد الرسالة الممتاز في أول يناير ١٩٥٠ ، فأرجو أن يزدان صدره بقصيدتك المعتادة . والله يحفظ على مودتك ، وييسر لى رؤيتك » ، وما بعث به الى قبل ذلك بعام يقول : « صديقي .. أرجو ألا تحرم قراءك من كلمة تنشر في عدد الرسالة الممتاز الذي سيصدر في أول يناير سنة ١٩٤٩ . ولك التحية الخالصة ، والمودة الصادقة»

وأذكر أن مكاتبات كثيرة دارت بيني وبين كثير من أدباء مصر والعالم العربي من أمثال أنطون الجميل ، وعزيز أباظة، وعلى الجارم ، وجورج صيدح ، وجعفر الخليلي ، والعلامة عبد الحسين الأميني، وسيد قطب ، وعبد الرزاق الهلالي ، وأحمد زكي أبو شادي ، ووحيد الدين بهاء الدين ، وزكي مبارك ، ومصطفى عبد الرازق ، وعيسى الناعوري ، ووديع فلسطين ، فما وجدت أكثر من صديقي الزيات وجازة في الكلام كادت تكون ضنا .. !

***

وللزيات أسلوب في النقد ناعم لا يجرح ، رقيق لا يدمي . أراد مرة في مقال له أن ينقد المهندسين لتقاعس فيهم فقال : « ولكن مهندسينا كسائر أهل الفكر فينا ، لا يعملون الا للعيش ! فاذا ضمنوه هدهدوا كسلهم الرخي اللذيذ على كرسي العمل الدوار في المكتب ، أو على كرسي الهضم الهزاز في المنزل » .

وأراد مرة أن يكتب عن كتاب «عبقرية محمد » للعقاد ، وان ينقد فيه سهوا حدث من كاتبنا العبقري ، فقال : «ولولا ان العقاد أدركه نسيان الانسان ، فأراد غار ثور ، وكتب غار حراء ، لقلت ان كتابه قبس من الوحي نزل عليه من السماء .. »

وقد ميز الزيات أسلوبه بترصيع كتاباته ومقالاته بنوادر أدبية ، وطرف تاريخية ، تاتي في كلامه كأنها ارتداد الى الأصل القديم الذي كان يعتز به صديقنا الراحل متحدثا معنا تحت ظلال الكافورة .. في مدينة المنصورة على شاطىء النيل من فرع دمياط ، أو مؤنسا لنا في ندوة صديقنا الكبير « محمد توحيد السلحدار » التي كان يتردد عليها معنا الأساتذة الشيخ حلمي عمارة والشيخ زناتي ، والوزير محمد حلمي عيسى ، والدكتوران عثمان امين وفؤاد الأهواني رحمهم الله ، والأصدقاء احمد رمزي السفير المؤرخ ، واحمد بدوي الزميل المجمعي ،وعلى أدهم الأديب الناقد اطال الله حياتهم ، ونفع بهم على القرب والنأى ، وعلى الحل والمرتحل ..

الزيات..

مذهبه فى الأدب

• د. محمد عبد المنعم خفاجى •

– ١ –

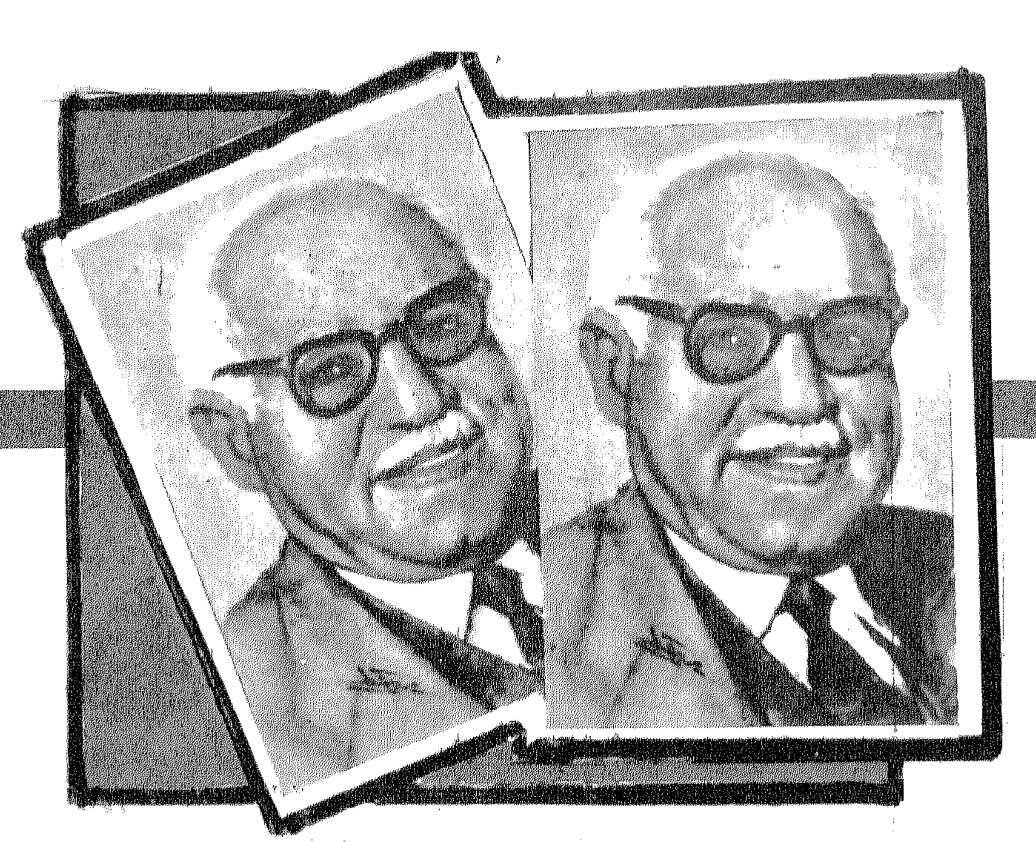
فى صباح الخميس الثالث عشر من يونيو عام ١٩٦٨ ، والسابع عشر من ربيع الاول عام ١٣٨٨ هـ ، أى منذ اثنى عشر عاما ، وعن ثلاث وثمانين سنة ، – توفى الزيات ، أحد رواد الأدب الحديث وأعلامه • وكان ميلاده عام ١٨٨٥ فى قرية كفر دميرة القديم مركز طلخا بمحافظة الدقهلية ، وبين المنصورة وطلخا ودمياط عاش الفتى الصغير يطلب العلم ويجلس الى حلقات العلماء ، وقدم القاهرة ، ودرس فى الأزهر ، وتتلمذ على سيد بن على المرصفى ، كما تتلمذ عليه طه حسين وزكى مبارك وغيرهما من أعلام العصر •

وقد وجهه المرصفى صوب الأدب وأغراه بقراءة كتب التراث ، وحبب اليه قراءة نهج البلاغة ومقامات البديع والحريرى ، والتزود بادب ابن المقفع والجاحظ وابن عبد ربه والمبرد وغيرهم من أئمة الأدب ، وطبعه كذلك حفظه للقرآن الكريم منذ صغره على الأسلوب العربى البليغ ، وكان هو وطه حسين والزناتى أصدقاء الشباب والثقافة والأدب فى الأزهر وخارج أروقة الأزهر •

أخذ يتصل بالبيئات الأدبية خارج الأزهر ، فعكف على قراءة المنفلوطى وتأثر بمذهبه فى الأدب والبيان تأثرا كبيرا ، كما قرأ لغيره من أدباء العرب والمهجر الأمريكى ، ولكن تأثره الشديد كان بمصطفى لطفى المنفلوطى ، الذى كان يشبهه فى النشأة الأدبية الى حد كبير •

ومن مصطفى لطفى المنفلوطى أخذ الزيات العناية الشديدة بأسلوبه ، والحرص الشديد على أن يكون طابع أدبه رومانسيا ، وأن تكون نزعته فى الأدب رومانسية المذهب والأسلوب ، ثم تعلم الفرنسية ، وطالت قراءاته لأدبها وأدبائها ، فزادت نزعته الرومانسية وضوحا وجلاء ، وظهر هذا الطابع فى كتاباته فى كتاب « تاريخ الأدب العربى» الذى أصدره عام ١٩١٦ وفى ترجمته لكتاب آلام فرتر لجوته (١٩١٩) ثم لكتاب رفائيل للامرتين بعد ذلك ••

ويسأله غير واحد : لماذا ترجمت «آلام فرتر » ويجيبهم عن هذا السؤال فيقول فى وصف نفسه : « شاب طرير حصره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية ، وطبيعة المجتمع فى دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده ، واحساس مشبوب يتوقد بالجمال ، وقلب غريب يتحرق ظمأ الى الحب ، فالطبيعة فى خيالى شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ،



احمد حسن الزيات

وكان فهمى لكل شىء ، وحكمى على كل شخص ، يصدران عن منطق افسده اقيسته الخيال ، وزور نتائجه المثل الأعلى • ثم فجر هذه الحال التى وصفت هوى دخيل ، فسبحت منه فى فيض سماوى من النشوة واللذة ، واحسست ان وجودى الخيالى قد امتلأ ، وقلبى الصادى قد ارتوى ، وحسى الفائر قد سكن • ورحت أسلك هذا الطريق السحرى محمولا على جناح الهوى ،حتى ذكرنى الزمن الغافل ، فاقام فيه عقبة ، اصطدم الخيال بالواقع • فلما قرأت « آلام فرتر » سمعت نواحا غير ذلك النواح ، ورايت روحا غير هاتيك الأرواح واحسست حالا غير تلك الحال »

●●●

وفى الوظيفة كان عمل الزيات فى مدارس الفرير بالخرنفش يصله بالادب الفرنسى ، وكان محببا اليه أن يقرأ أعلام الأدباء الفرنسيين من ذوى الميول الرومانسية ، وترجم حكم لامرتين شعرا ،ونال الليسانس من كلية الحقوق جامعة باريس عام ١٩٢٥ وسافر الى بغداد عدة أعوام أستاذا فى دار المعلمين العليا ،ثم عاد ليعمل فى الجامعة الامريكية فى القاهرة ، وأصدر كتابه «فى أصول الأدب » ، وأخذ يفكر فى اصدار مجلة الرسالة ••

وفى الخامس عشر من يناير ١٩٣٣ تحقق الحلم وصدرت الرسالة ، وكتب فيها كبار الكتاب والأدباء والشعراء والنقاد والعلماء ، ولم تلبث أن أصبحت مدرسة أدبية كبيرة ، يلتف حولها شيوخ الأدباء ، كما يلتف حولها الشباب وكانت الرسالة بمثابة حلم جميل ينساب شعرا وسحرا فى أخيلة الشباب ، وكنا ننتظر يوم الاثنين من كل أسبوع ، على أحر من الجمر ، لنتلقف الرسالة ونقرا لكتابها وكنا نبعث اليها بآرائنا فى الأدب والشعر والنقد فتنشرها وتنوه بها ••

وكان كذلك للرسالة صداها العميق البعيد فى مختلف أنحاء الوطن العربى ، وتلاقى شباب الأمة العربية وشيوخها على صفحاتها على كلمة سواء اخوانا متحابين ، وقد استمرت الرسالة فى الصدور عشرين عاما ، ثم احتجبت عن القراء فى الخامس عشر من فبراير عام ١٩٥٣ ، ورثاها الزيات فى أهرام ٢٣ من فبراير عام ١٩٥٣ بمقال عنوانه « الرسالة تحتجب » ، وفى ٢٥ من يوليو ١٩٦٣ عادت الرسالة الى الصدور من جديد باشراف الزيات وكانت فى هذه المرة تصدر من قبل وزارة الثقافة ولكنها احتجبت بعد قليل •

الزيات .. مذهبه فى الأدب

- ٢ -

جمعت مقالات الزيات فى صدر الرسالة فى كتاب بعنوان « وحى الرسالة » نال عليه جائزة من الدولة عام ١٩٥٣ ، لما تضمنه من مذهب أدبى جديد يقوم على :

١ - تطعيم الفكر العربى الحديث بآثار الفكر الغربى .

٢ - العودة بالبلاغة العربية الى طابعها العربى الأصيل الأول الذى يتمثل فى نهج البلاغة ورسائل ابن المقفع والجاحظ وأضرابهم ، ويتحلى بالايجاز ، ورصانة الفواصل وقصرها ، وجمال اللفظ ووقع موسيقاه الساحر .

وقد نال عام ١٩٤٨ عضوية المجمع اللغوى فى القاهرة ، بجانب عضويته فى المجمع العلمى العراقى ببغداد ، والمجمع العلمى العربى فى دمشق ، وعضويته فى المجلس الأعلى للفنون والآداب فى القاهرة ونال جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٢ فى الآداب ، وصدر له بعد ذلك بعام كتابه « فى ضوء الرسالة » .

لقد كانت الرسالة مدرسة أدبية متميزة ذات مذهب أدبى واضح ، يعمل على وصل الجديد بالقديم والشرق بالغرب ، والأصالة بالتجديد ، وعلى بعث الفكر الاسلامى بعثا جديدا ، وعلى العناية بالأسلوب وجعله صورة للذوق الرفيع ، والطبع الساحر . وكان الزيات ينشر فيها بين الحين والحين مقالات عاصفة ، من مثل مقالته « يا رياح الخريف هبى » (عدداكتوبر ١٩٥١) ، ومقالته : « ثوروا على القصر قبل أن يثور » ، ومقالته « فلاحون وأمراء » التى نقد فيها الطغيان السياسى نقدا لاذعا ، ومقالته « عهد وأى عهد » (عدد ٢٦ من نوفمبر ١٩٣٤) .

ويروى الزيات فى بعض مقالاته ثلاث قصص من حياته : قصة حبه لزميلته الفرنسية فرنالد ، وقصة حبه للحسناء المصرية التى تزوجها بعد ، وقصة حبه للفتاة العراقية لورا .

وكان الزيات أحد معالم المنصورة فهو يسافر اليها كل اسبوع ، ويجلس على شاطىء البحر الصغير فى مقهى جميل ، ومعه أصدقاؤه من الأدباء والشعراء والنقاد وكان هذا المجلس المتميز يثير قضايا الفكر والأدب والنقد المتجددة التى تحملها الرسالة كل اسبوع ...

وكم تحدث الزيات عن الحب والجمال والطبيعة فى المنصورة ، ومن قصصه القصيرة قصته « رجلان وامرأة » التى نشرت فى مجلة الرواية التى كان يصدرها الى جانب مجلته « الرسالة » ، وكانت مدرسة فى فن القصة ، وبخاصة القصة القصيرة ، ومن قصصه فيها : قصة « الحب الأول » التى صور فيها حبا قديما له وهو صبى فى الريف .

●●●

وكان الزيات بحكم طابعه الرومانسى يحب الطبيعة حبا كبيرا ، ويحب من أجلها الريف ، وكم كتب عن الريف بكل أحلامه وآلامه ، ومن قصصه التى كان ينشرها فى « الرواية » قصص تموج بصور الريف وبالحياة فيه بأحزانها وأشواقها ، وبطبائع الريف وعواطف الريفيين ونفسياتهم ، ومن بينها قصة « جلاد الشيطان » حيث نرى بطل القصة ينتظر حبيبته على أحر من الجمر ،ويقنع ان لم يرها برؤية أى شى يتصل بها بسبب ، ككلبها الرابض على عتبة الباب أو حمارها الذى يتمرغ فى التراب ... وفى بؤس الريفيين فى ظلال الاقطاع كتب مقالته عن الثالوث الرهيب : المرض والفقر والجهل .

ومن « وحى الرسالة » فى اجزائه الأربعة ، الى « دفاع عن البلاغة » كان الزيات موصول الفكر بالمنفلوطى وببديع الزمان الهمدانى وبالحريرى .

وعاد الى رصانته الأسلوبية من جديد فى مقالاته فى صدر مجلة الأزهر التى



تولى رياسة تحريرها بعد قيام ثورة يوليو باعوام قصار .

ومذهب الزيات فى البلاغة والبيان مذهب الصانع الماهر ، الذى يتخير لكلامه ما شاء له ذوقه أن يتخيره من لفظ رفيع ، وخيال بديع ، وتصوير بليغ . ويكاد يرجع بأسلوبه البيانى الى مدرسة البديع ، فجمله موقعة ومصبوغة بأصباغ كثيرة من الحلى الجمالية البارعة .

والصدق فى الفن هو سر بلاغته عند الزيات ، وهو فى الادب وضع اللفظ فى موضعه ، ووصف الشىء بصفته ، ومطابقة الكلام لمقامه ..

والجمال عند الزيات يرتبط بالذكاء والقوة والوفرة ، والذكاء عند الزيات مرادف للحرية عند العقاد ، فكل منهما يرى فى الجمال الطبيعى نظاما دقيقا محكما يعبر عن تلاؤم وسائل الحياة مع غايتها . وهو كذلك يربط جمال الطبيعة بانطلاقها وحريتها كما فعل العقاد .

والجمال الصناعى لابد له عند الزيات من القيود ، وعلى الفنان العمل على اخفاء تلك القيود ، حتى تظهر فى اعماله السمة الدالة على الطبع والالهام الحر ، ومن ثم رفض نظرية التقليد او المحاكاة فى الفن لان الجمال الفنى عنده اسمى من الجمال الطبيعى .

- ٣ -

ومذهب الزيات فى الحياة له اثره الكبير فى مذهبه فى الادب ، ويقول الزيات من مقال له نشر فى « مجلة الوعى الباكستانية » : عام ١٩٦٠ لكل انسان مذهب فى الحياة ، يبتدىء بأمله ، وينتهى باجله ، كل نفس من انفاسه خطوة عليه ، وكل دور من عمره مرحلة فيه ، فالمذاهب تختلف باختلاف الناس فى الطينة والبنية والوارثة والبيئة ، ومن الخير للبادئين الناشئين من الشباب ان يطيلوا النظر فى مذاهب المنتهين من الشيوخ ..

ويقول : ان مذهبه فى الحياة يتميز بالاستقامة والوضوح ، وانه قد الزمه هذا المذهب طبعه الحر المسالم ، لانه منذ حمل نصيبه من اعباء الحياة حاول ان يستقل فى عمله عن ارادة الغير ، واستغنى بقدرته عن معاونة الناس . ومن مذهبه : الايثار ، وكراهية الظهور .

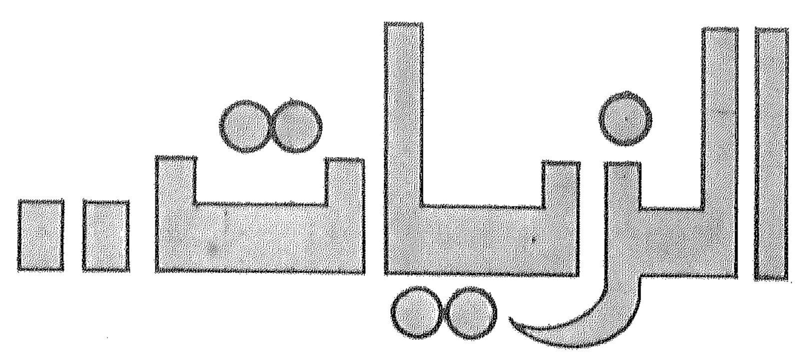
ويقول : انه نال شرف الجهاد الوطنى فى الثورتين المصريتين : فكان فى الاولى جنديا مجهولا يكتب المنشورات الثورة السرية للطلبة وهو مدرس فى المدرسة الاعدادية ، وكان فى الاخرى وطنيا معروفا ، يوقظ الوعى القومى ، ويلهب الشعور الوطنى ، ويتحدى ارادة القوى بصلابة الضعيف ..

وكان الزيات يجعل الجمال سبيلا الى الخير ، ودليلا على الحق ، ويسعى فى الحياة بقلب فياض بالشعور وصدر مفتوح الى حب الخير ، وعقل ينبض بالذكاء والقريحة والموهبة .

وتالقت فى شخصية الزيات عبقرية الخلق والابداع الادبى ، تالسق عصره باعلام الادباء والنقاد والشعراء والكتاب وبمواهب العباقرة من لداته واصدقائه من أمثال طه حسين والعقاد وزكى مبارك واحمد امين وعبد الوهاب عزام وأمين الخولى واحمد محرم وعلى محمود طه وابراهيم ناجى وسواهم من الرواد الخالدين

رحمه ورحمهم الله اجمعين ●●





أدى الرسالة كاتباً ومربياً

● د. احمد متولى مسلم ●

عندما اصدر احمد حسن الزيات مجلة ((الرسالة)) كان يهدف الى تجميع وبلورة الفكر العربى ، من خلال جميع اقلام مفكرى العروبة وكان فى ذلك متاثرا بآراء الافغاني ، ومحمد عبده . وصدر عددها الاول فى ١٥ من يناير سنة ١٩٣٣ .

ونشرت ((الرسالة)) الادب العربى، واظهرت الادباء عشرين عاما متصلة ، ودعت الى التحرر ، وكان منهجها تقريب وجهات النظر ، ورعاية القديم وبعثه ، وتقبل الجديد بعد دراسته ، ومقاومة طغيان السياسة بصقل الطبع وبهرج الادب بتثقيف الذوق ، وحيرة الامة بتوضيح الطريق ، وهاجمت ((الرسالة)) كل دعوة تنال من العروبة والاسلام ، وحولت التيارات الغربية الجريئة الى تيارات معتدلة، واوضحت الدين على اصح وجه ، وجددت اللغة وطورت الادب ، ووجهت الاصلاح ..

وتوقفت الرسالة فى ٢٥ من فبراير سنة ٥٣ وبعد عشر سنوات عادت الى الظهور ولم تستمر طويلا ، توقفت بعد سنتين

وقد اصدر الزيات الى جانب ((الرسالة)) مجلة ((الرواية)) ، وكانت مدرسة فى فن القصة القصيرة .

وقد تزوج الزيات مرتين ، ونال جائزة الدولة سنة ٥٣ ، والجائزة التقديرية سنة ٦٢ . وكان عضو المجمع اللغوى ، ورئيس تحرير مجلة ((الازهر)) ..

وتوفى الزيات سنة ١٩٦٨ وترك ثمانية كتب هى : آلام فرتر - روفائيل - تاريخ الادب العربى - فى اصول الادب - دفاع عن البلاغة - مختارات من الادب الفرنسي - فى ضوء الرسالة وحى الرسالة فى اربعة اجزاء .

● صفاته من كتاباته ●

كان الزيات هادئا وقورا .. لم يكن عنيفا كالعقاد ، ولا ثائرا كطه حسين، وكان أدبه صورة لطبيعته: بلاغة أزهرية وثقافة فرنسية ، واسلوب انيق منمق، الكلمة فيه توزن بجوار الكلمة، والجملة ترص بعناية بعد الجملة ، والمعنى يؤدى باقتصاد مهذب ، مع المحافظة على موسيقى الايقاع .

وسنلقى نظرة على ادبه ، فى محاولة لادراك صفاته ، وتكوين شخصيته .

يقول الزيات فى كتابه « فى اصول الادب » سنة ٢٨ ان اسباب نجاحه فى التدريس خمسة :

١ - مواصلة الدرس وادمان النظر: فلم اترك كتابا فى المواد التى ادرسها حتى تقصيته او الممت به ، واستفدت

منه ، وكان جدوى ذلك على وثوق الطلبة بما اقول . وظهور التجديد فيما اعمل ، ولن تجد اشفع للمدرس من سعة اطلاعه وغزارة مادته .

٢ ـ اعداد الدرس واداؤه : وكان يعنيني على الاخص ربطه بالدروس السابقة ، والسير فيه مع الطلاب خطوة خطوة على الطريقة الاستنتاجية ثم تلخيصه بطريق الاسئلة ، فكان من حسن اعداده ان ملأت الوقت كله به ، فلم يعد فيه فراغ لعبث عابث ، ولاتجني سفيه ، وحررت اليه اذهان الطلاب بالتشويق والتطبيق والسؤال ، فلم يصبهم سأم ولا ضيق .

٣ ـ مسايرة الترقي : فلم اتشبث بالقديم ، ولم اتعصب للكتاب ، ولم امن الا بما له قيمة عملية ، فالموضوعات منتزعة من حياة التلميذ ، وحال المجتمع ، والامثلة مستنبطة من اساليب العصر ، والبحث حر في حدود المنطق ، يقوم على اساس التحليل والنقد والموازنة . وفي تشابه الفكرة والنزعة والغاية توثيق الصلة بين المعلم والمتعلم .

٤ ـ حسن الخلق : ولعمري ما يؤتى المعلم الا من اغفاله هذه الجهة ، فالادعاء والتظاهر ، والكبرياء والتفاخر ، والكذب والتحيز ، والكسل والتدليس ، آفات العلم ، وبلايا المعلم وما استعبد النفس الشابة الحرة كالخلق الكريم ، ولا يسر تعليمها وتقويمها كالقدوة الحسنة .

٥ ـ قوة الحزم : فكنت الين في غير ضعف ، واشتد في غير عسف ، واسير بالطالب الى الواجب عن طريق ضميره وحسه لا عن طريق تأنيبه وحبسه ، واجعل رضاي منه غاية ثوابه ، وسخطي عليه غاية عقابه .

وهذا النص يوضح طريقة الزيات في سبك الالفاظ والجمل ، وفي نفس الوقت يدل على قوة الشعور الديني ، والاتجاه الخلقي ، والميل الى التجديد ، نتيجة لقوة الضمير ، والشعور بالمسئولية ، ونقد النفس ويرجع كل ذلك الى الوراثة والتربية في الاسرة ، والدراسة في الازهر ، ثم الجامعة ، والانفتاح على ثقافة الغرب .

***

فاذا عدنا الى حياته الباكرة ، نجده يصف نفسه في مقدمة ((آلام فرتر)) سنة ١٩ بقوله :

« لماذا ترجمت فرتر » ؟ شباب طرير حصره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية ، وطبيعة المجتمع ، في دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده ، واحساس مشبوب يتوقد بالجمال ، وقلب غريب يتحرق ظما الى الحب ، فالطبيعة في خيالي شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ، وكان فهمي لكل شيء ، وحكمي على كل شخص ، يصدران عن منطق افسد اقيسته الخيال ، وزور نتائجه المثل الاعلى . ثم فجر هذه الحال التي وصفت هوى دخيل هادىء ولكنه ملح ، فسبحت منه في فيض سماوي من النشوة واللذة ، واحسست ان وجودي الخالي قد امتلأ ، وقلبي الصادي قد ارتوى .

حتى ذكرني الزمن الغافل ، فاصطدم الخيال بالواقع ، والحبيب بالخاطب ، والعاطفة بالمنفعة . فلما قرأت ((آلام فرتر » كنت اقرأ ولا ارى في الحادثة سواي ، واشعر ولا اشعر الا بهواي ، وأندب ولا اندب الا بلواي))

وهذا النص يكشف عن نفس مرهفة الاحساس ، مشبوبة العاطفة ، مشبوبة بالجمال ، تكبتها التقاليد السائدة ، والحياء الشديد .

نعم لم يكن الزيات ـ لشدة حيائه ـ يصرح بحبه لمن يحب ، لكنه يصرح بعواطفه ، ويكشف عن حبه المكبوت على صفحات ادبه وهو في ذلك يتأثر بالمدرسة الرومانسية الفرنسية المشبعة بالعاطفة والخيال .

شدة حياء .. وموهبة ضخمة .. ودافع قوى الى التعبير وتحقيق الذات كل ذلك زهده في الوظائف بعد عودته من العراق ، ودفعه الى اقتحام مجال الصحافة واصدار مجلة الرسالة . ولولا ذلك لظلت موهبته في الظل محجوبة عن الناس .

وعلى قدر ما كان هيوبا في مواجهة الناس ، كان يفتح قلبه لقرائه ، ويطلعهم

على اسراره ، لم يخف عنهم صبواته الى الجمال ، بل حكى فى مقالاته قصة حبه لزميلته الفرنسية « فرناند » . وقصة حبه للفتاة المصرية التى تزوجها وقصة حبه للحسناء العراقية « لورا » وفى مجلة « الرواية » كتب قصة « الحب الاول » صور فيها اول حب له وهو صبى فى الريف ، وصارح قراءه باحزانه ايضا . فعندما توفى ابنه الطفل الذى رزق به فى الكبر ، احس بصدمة شديدة ، ورثاه رثاء موجعا فى « الرسالة » ..

وبسبب صراحته فى الكتابة ، كان يعيب على الكتاب ميلهم الى الرمزية

***

والادب يكشف عن مدى انسانية صاحبه وايمانه ، وقد ضرب الزيات فى كل ذلك مثلا رفيعا . فقد هاجم الاقطاع بعدما لمس بشاعاته فى قريته ، وهاجم الغنى الفاحش ، وطالب بتعليم الشعب، وسن القوانين لحماية العمال والفلاحين وطالب بتمصير البنوك والمتاجر والمصانع والشركات ليحل فيها المصريون محل الاجانب .

ولم يكتف بالمطالبة بحقوق الفلاح المشروعة، بل دعا الى اشعاره بانسانيته وآدميته ، فالفلاح لا يصلحه تنظيم قريته ، ولاتجميل داره بقدر مايصلحه تربية ذوقه وارهاف حسه .

وقد تميز عصر الزيات بالمعارك الادبية . كان الاديب يصول ويجول ، ويدعو زملاءه الادباء الى المبارزة، ليطير صيته فى الافاق ، لكن الزيات المهذب لم يكن ليلجأ الى هذا الاسلوب، بسبب خلقه اولا ، ولان « الرسالة » حققت له من الشهرة والانتشار ما كان يحلم به . فى كل البلاد العربية وبلاد المهجر، كانت الرسالة تمثل واقع الناس وتطلعاتهم . كانوا يهتدون باشعاعها، ويرتفعون الى مستواها ، وكانت تثار فيها القضية او المناقشة ، فيدور الموضوع على الالسنة والصحف ، فى جميع ارجاء الوطن العربى .

حقا لقد ادى الزيات رسالته على اكمل وجه : كاتبا ، وصحفيا ، ومربيا ومؤرخا لادب العرب .

● حدود الشخصية السوية ●

لو تأملنا شخصية الزيات نجد انها تتصف بالعواطف الجياشة ، وشدة التدين ، والمثالية ، وتحكيم الارادة والمنطق فى الحدس والشعور .. والميل الى التأمل ، والتعمد ، والدقة، والنظام والتانق ، والحرص على الوقت ، والاقتصاد فى الصحة والمال ، والثبات على المبدأ والهدف .. وتعويض النقص فى المضامين المبتكرة بزيادة المحسنات فى الاسلوب .

وهذا النمط من الشخصية ينطبق على ما يسمى فى الطب النفسى بالشخصية الوسواسية ، وهى لاتخرج عن حدود الشخصية السوية ، بل بالعكس ، هى ميزة كبيرة لاصحابها ، والمجتمع يدين بالكثير من تقدمه ورقيه للشخصيات الوسواسية .. فالرجل منهم يشعر كانما نذر حياته للقضية التى يخدمها . فاذا اخذ نفسه بأى عمل ، فهو يهتم به . ويضحى من اجله ويصرف فيه جهد طاقته . وتبدو ملامح الشخصية منذ سن مبكرة ، وتستمر طول العمل ، اسلوبا مميزا للحياة ..

ويبدو ذلك بوضوح فى الزيات .

عندما طلب العلم سعى اليه فى كل مكان : فى الازهر ، وحلقات المساجد ، فى الجامعة الاهلية ، وفى مدرسة الحقوق ، وفى جامعة باريس .. فى كتب التراث الاسلامية ، وفى الادب الفرنسى . واستضاء بالافغانى ومحمد عبده . ورسمت كل هذه المشاعل طريقه.

وعندما بدأ يكتب كان موسوسا فى اختيار الالفاظ ، وسبك الجمل ،

وتعويض ضعف المعنى حيث يكون بحلاوة الاسلوب .

وعندما فكر فى اصدار « الرسالة » لم يجد تشجيعا من صديقه طه حسين « فزاده ذلك عنادا واصرارا». واستمر عشرين عاما يكافح فى سبيل العروبة والاسلام ، وتجديد اللغة ، وتطوير الادب ، وتوجيه الاصلاح . وعن طريق « الرسالة » انشأ جيلا من الادباء تزعم النهضة الفكرية ، وأثار النفوس على الفساد والاستبداد والتخلف ، وارسى معانى الحرية والديموقراطية، والعدالة والقومية ..

وعندما كتب تاريخ الادب العربى فى اكثر من خمسمائة صفحة ، ضمنه تاريخ الادب من العصر الجاهلى الى العصر الحديث ، واستوعب فيه اهم من عرفت العربية من كتاب وشعراء ، وصف أعمالهم ، وقومها ، واختار نماذج منها ، وبلغ الغاية فى تحضير المادة ، وتنظيم البحث ، وتوخى الدقة، وتحرى الصواب .

واحتجبت « الرسالة » عن قرائها فى فبراير ٥٣ ، غابت عشر سنوات ، وعاد الزيات فى الرابعة والسبعين من عمره يجدد العهد لقرائه المخلصين أن تكون « الرسالة » فى هذا العهد كما كانت فى عهد الاقطاع البائد ، مستقلة الرأى ، حرة الكلمة ، لا تستعين بغير الله ، ولا تستلهم غير الحق ، ولا تمالق شهوات العامة ، ولا تمالىء نزوات الخاصة ، ولا تميل عن مكانها الوسط، لا يمنة ولا يسرة ، فان اليمين والشمال مضلة ، والطريق الوسطى هى الجادة، عليها يأتى الكتاب ، وآثار النبوة ...

وفى الحق كان الزيات — شخصيته وادبه وعلمه — من اعظم قادة الفكر فى الوطن العربى فى القرن العشرين .

امنية ليتها تتحقق

منذ سبعة عشر عاما قرأ الزيات خبر وفاته فى صحيفة « البلاد السعودية ». قال الخبر : « نفقد العالم هذا الشهر « يوليه ٦٣ » أدبيين كبيرين . هما ارنست همنجواى ، وأحمد حسن الزيات . وقرأ مرثية كتبها احد الشعراء فى نفس الصحيفة يقول فى مطلعها :

لم يكن ما ينشر الزيات شعرا
كان فوق السحر والشعر .. كان حياة !

وظن اصدقاؤه انه سيتشاءم من الخبر الآن الزيات ارسل برقية شكر للجرائد التى نشرت خبر الوفاة فى صفحتها الاولى ، ثم عادت فنشرت تكذيبا للخبر وعلق الزيات على الموضوع : ما اجمل ان يعرف الانسان — وهو على قيد الحياة — ان الناس تقدره بعد وفاته !

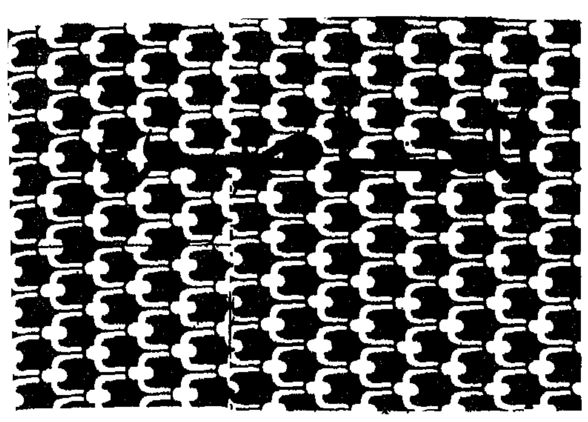
هل تحققت امنية الزيات ؟
اين الكتب التى كتبت عنه ؟

انك لتقرأ الكتاب الضخم فى الادب المعاصر فلا تجد عن الزيات الا سطورا قليلة ، لا تفى حق رائد كبير من رواد الفكر ، فتح الابواب ، وكشف المجاهل وتخرج على يده جيل كبير من الكتاب والشعراء ، لا من مصر وحدها ، بل من الوطن العربى كله ، واسهم فى خلق رأى عام عربى يحتفظ بالتراث ويحتضن الجديد ..

وتفتح « الموسوعة الثقافية » التى تقع فى أكثر من الف صفحة ، فلا تعثر على كلمة واحدة عنه .

وليس الذنب ذنب المؤسسة التى أصدرت الموسوعة ، بل ذنب الاساتذة المصريين الذين اختارتهم لتاليفها ، واذا بهم لم يسمعوا عن مدرسة « الزيات » التى لا يقل تلامذتها عن تلامذة المدارس الضخمة التى كانت لفحول الكتاب ، امثال ابن المقفع ، والجاحظ وابن العميد ..

ياليت امنية الزيات تتحقق ! ●





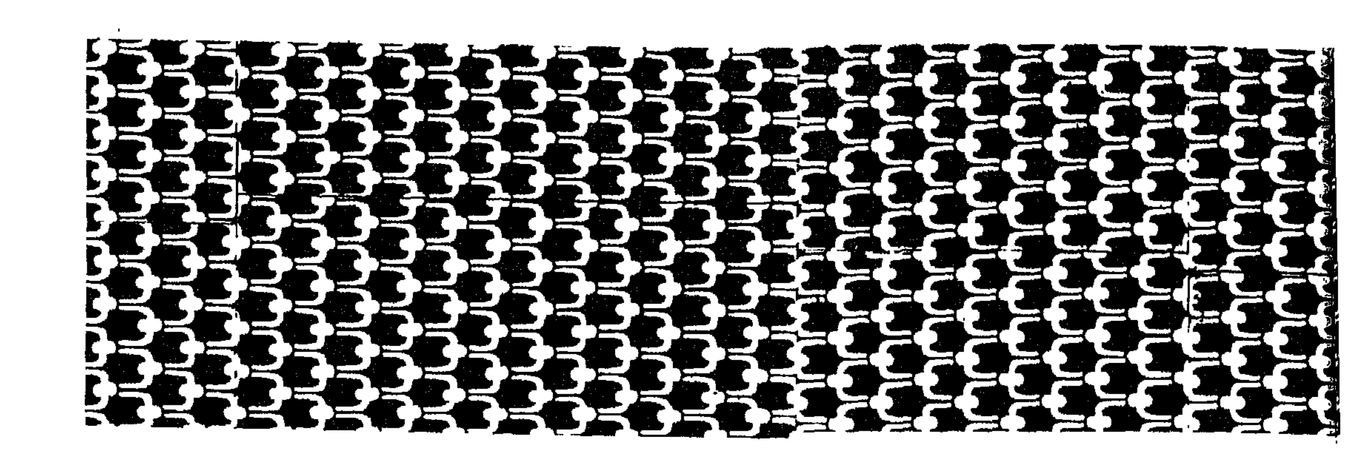
• محمد شوقي امين •

١ ـ أعرض في هذا الفصل صوت فقيد اللغة والأدب الاستاذ • « احمد حسن الزيات » احد الخالدين اعضاء مجمع اللغة العربية المصرى ، حول اللغة المعاصرة • و « الخالدون » لقب اطلق منذ قرون على اعضاء المجمع اللغوى الفرنسى ، وفيما قرات ـ أو سمعت ـ أن ليس المقصود باطلاقه خلود اصحابه، بل المقصود خلود كراسيهم التى لا يشغر منها كرسى الا امتلأ بخلف ممن كان يحل فيه •• ولعل « الزيات » نفسه كان يلمح الى هذا المعنى حين قال فى تابين زميل مجمعى له : « ان المجمعيين كالأنواء فى السماء ، كلما سقط نجم منها فى الغرب ، طلع بحياله نجم آخر فى الشرق فلا يزال العالم الأدبى منهم فى ضوء مستمر ، وغيث متصل » •

عرفنا « الزيات » كاتبا ـ كما وصفه الدكتور « محمد مهدى علام » ـ : « رصين الأسلوب ، يعرف للألفاظ حقها ويضن بالفكرة الا تكتسى الثوب التعبيرى الدقيق الذى يليق بها » • فهو من تلك الصفوة التى ازدان بها العصر الحديث أمثال « محمد المويلحى » و «المنفلوطى» و « الرافعى » و « صادق عنبر » و « حسن القاياتى » و « طه حسين » أولئك الذين حرصوا كل الحرص على سلامة اللفظ ، وجودة التركيب ، وأعادوا الى البيان العربى ما كان له فى عصر ازدهار الفصحى من صفاء وروعة •

ولقد كان ذلك بعض ما حدانى سنة ١٩٣٨ ـ وسامحنى الله ـ على أن أتصدى « للزيات » فى احدى فواتحه لمجلته « الرسالة » وكانت تحمل ـ فيما أذكر ـ عنوان : « الطفولة المعذبة » • فنشرت نبذة فى صحيفة « البلاغ » عنوانها « زيف البيان » ، أوردت فيها عشر كلمات عددتها مآخذ لغوية تجرى بها أقلام الكتاب ، وكان من بينها ـ أظن ـ كلمة « التكاتف » بمعنى التعاون والتناصر ، وكنت لذلك العهد متأثرا فى تحرير الألفاظ بما أفاض فيه النقاد المتزمتون من أمثال « ابن قتيبة » و « الزبيدى » و « الحريرى » قديما ، و « ابراهيم اليازجى » و « أسعد داغر » و « محمد على الدسوقى » حديثا ، يطيب لى أن ألبه فى الصحف على ما ينشأ من الصيغ والعبارات مخالفا للمألوف من القواعد والمأثور فى المعجمات ، موصوما بأنه من أوهام الخواص أو من لحن العوام !

٢ ـ وتعاقبت سنون بعد سنين •• ودخل « الزيات » عضوا فى « مجمع اللغة العربية » سنة ١٩٤٩ ، وأنا قعيد



« المجمع » منذ ولد ، فتلاقينا على شوق، وكانما كان دخـوله في المجمع موعـدا ضربه لاثارة قضية « اللغة المعـاصرة » وموقف النقاد منها • ولم تكن هـذه القضية جديدة على المجمع ، فانه في عامه الاول قرر آن مما يطلق عليه اسم «المولد» ما استعمله المولدون على غير استعمال العرب ، جاريا على اقيسة كلام العرب ، من مجاز واشتقاق ونحوهما ، وحكمه انه عربى سائغ ، وبعد اثنى عشر عاما اضاف المجمع الى قراره هـذا ايجاب تتبع الألفاظ والأساليب الشائعة ، ان فى الصحف والمجلات أو فى المسرح والاذاعة ، أو فى الرسائل والكتب ، واتخاذ قرارات فيها • ولكن « الزيات » لم يجد فى ذلك مقنعا ، اذ كان يهدف الى ما هو أبعد عمقا ، وأوسع أفقا ، فقدم الى « المجمع » بحثا عنوانه : « الوضع اللغوى ، وهل للمحدثين حق فيه ؟ » مقترحا فتح باب الوضع على مصراعيه ، بوسائله المعروفة ، وهى الارتجال والاشتقاق والتجوز وكذلك رد الاعتبار الى المولد ليرتفع الى مستوى الكلمات القديمة ، وكذلك اطلاق القياس فى الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه، فان توقف القياس على السماع يبطل معناه ، وكذلك اطلاق القياس من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع ، كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم •

ومع أن « المجمع » سبق له أن عرض لقضية القياس فى اللغة ، عقب بحث للأستاذ « أحمد أمين » عضو المجمع ، وقرر الأخذ بمبدأ القياس فى اللغة ، وجواز الإجتهاد فيما أقر من قواعد متى توافرت شرائطه ـ فان « المجمع » عبر عن مدى استجابته لدعوة « الزيات » الجريئة والجهيرة فى قرار لا يخلو من ضيق ، وهو أن تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى فى هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ،ولم يعرف لها مرادف عربى سابق صالح للاستعمال • وشفع قراره هـذا بما يعززه ، فقرر قبول السماع من المحدثين ، بشرط أن تدرس كل كلمة على حدتها ، قبل اقرارها •

وفي السنة التي عرضت فيها هذه القضية ،قدم الأستاذ «ابراهيم مصطفى» عضو المجمع بحثه « فى أصول النحو » مقترحا فيه أن ينظر فى آثار أدبائنا من الكتاب والشـعراء ، وربما حسن أن يقتصر على من مضى به التـاريخ مدة لا تجعل للمودة أو غيرها شبهة الأثر فى الحكم ، فمن رأى المجمع صحة أسلوبه واستقامة عربيته ، وثقة ، وجعل قوله مددا للغة وحجة فيها •

وأبى « الزيات » الا أن يتابع جهوده ـ أو على الأصح : جهاده ـ فى اصابة غرضه على أوسع نطاق ، فقدم الى مؤتمر المجمع بحثا عنوانه : « المجمع واللغة العامة » وفيه يقترح أن يهيىء المجمع قواه أو أكثرها لجمع ألفاظ الحضارة الموضوعة والمسموعة والمنقولة من الفئات المصرية والأقطار العربية ، فيسأل كل ذى سلعة وكل ذى صنعة وكل ذى آلة عن اسمها العام واسم كل جزء من



اجزائها وكل نوع من انواعها ، ويقدم كل أولئك للجان المختصة ، فتصنفه وتغربله وتعرفه ٠ والحق أن ما طلبه « الزيات » انما كان بسطا وتوسعة أو تأييدا لقرار مجمعى صدر قبل ذلك بسنوات ، وهو ينص على العناية بجمع المصطلحات الفنية التى يستخدمها العمال فى مصانعهم والتجار فى متاجرهم وأسواقهم والزراع فى مزارعهم ، حتى اذا اجتمعت طائفة منها نظر فى وضعها فى المعجم بعد صياغتها وفق الأوزان العربية !

٣ ـ على أن هذا كله كان محصورا فى مجال النظر ، فلم يقف « الزيات » بدعوته الخاصة « باللغة المعاصرة » عند حدود المبادىء والقرارات والمناهج ٠٠٠ لقد واجه «المجمع» بعشرات من الالفاظ المسموعة عن المحدثين ، على خلاف ماسمع عن العرب الأولين فى الصيغة والدلالة، فناقشها مجلس المجمع ومؤتمره ، وأقر منها الكثير ٠

٤ ـ وفى البحث الذى خص به « الزيات » موقف المجمع من اللغة العامة سنة ١٩٥٢ أشار الى أن «المعجم الوسيط» الذى يزمع المجمع طبعه بعد الفراغ من اعداده سيجىء على غير ما ينتظر الناس، فان جمهرة المثقفين ينتظرون من معجم ينشره المجمع بعد ثمانى عشرة سنة قضاها فى الوضع والتعريب أن يكون فيه لكل معنى اسم ، ولكل مصطلح لفظ ، ولكنهم سيجدون « المعجم الوسيط » أقرب ما يكون الى المعاجم المنشودة فى الاقتصاد على المواد القديمة، والنفور من الألفاظ الجديدة ، كان ذلك ما خشيه « الزيات » وندد به فى بحثه ولكن المجمع كان معنيا بان يحتوى المعجم على أمهات المصطلحات العلمية والفاظ الحضارة ، وحدث بعد ذلك أن ألقيت أصول المعجم الى لجنة رباعية من بينها « الزيات » و « ابراهيم مصطفى » فانفسحت الفرصة امام اللجنة لاضافة ما رأت اضافته من محدث الاستعمال ، وذلك ما دعا اللجنة الى أن تنص فى مقدمة المعجم على أنها وضعت كلمة (محدثة) بجانب ما حوى المجمع من لفظ استعمله المحدثون فى العصر الحديث ، وشاع فى لغة الحياة العامة ، وغنى عن البيان أن اللجنة الرباعية لم تأذن للكلمات المحدثة فى أن تدخل المعجم الا بعد أن اطمأنت الى سلامة تخريجها ، أو ضرورة قبولها ٠

٥ ـ واذا كان « الزيات » قد طابت نفسه فى حياته بأنه أسهم فى ارساء الدعائم لقضية اللغة المعاصرة ، بما أصدر المجمع من قرارات ، وبما أجاز من كلمات ، وبما حوى « المعجم الوسيط » من ألفاظ حضارية واستعمالات عصرية ـ فان هناك مسألتين ،لهما صفة العموم حاول « الزيات » اقناع المجمع برأيه فيهما ، ولكنه قضى نحبه قبل أن يقضى منهما أربه ٠

أما المسألة الأولى ، فهى قول الناس : الثلاثة كتب ، والمائة صفحة ، والقاعدة فى تعريف العدد المضاف بأول أن تدخل أل على المضاف اليه ، ويجيز الكوفيون دخولها على المضاف اليه معا ، فيقال : ثلاثة الكتب ، أو الثلاثة الكتب ، ومائة الصفحة أو المائة الصفحة ، وقد طلب « الزيات » الى المجمع اجازة ما يستعمله الناس ، استنادا الى ورود مثله فى الحديث النبوى مرتين : « فأتى بالألف دينار » و « قرأ العشر آيات » ، كما ورد فى « طبقات الشعراء » لابن سلام، اذ قال : « وجعلنا أصحاب المراثى طبقة بعد العشر طبقات » ٠ ولم ير المجمع يومئذ اجازة ذلك ٠

ولكننى بعد ذلك بسنين طوال رأيت ان أتابع البحث ، اذ أن استخدام المعاصرين لهذا الوضع استخدام محكم ، والمطالبة بتغييره مطالبة بما ليس فى المكنة ، **ومن أمثلته : مشروع الألف كتاب ، ومشروع الألف مسكن ، وبلد المليون شهيد ، فقدمت الى المجمع ما أستند اليه فى تخريج هذا الوضع ،**

واوضحت أن « ابن مالك » لم ينكره ، بل عالج تعليله ، ومن النحاة كابي حيان وابن عصفور من أشاروا الى اجازته .

وكان أن اقر المجلس والمؤتمر منذ سنوات فصار ما انتهيت اليه ، وسيسجل التاريخ « للزيات » فضله في هذا التيسير . ومما لا يكاد ينقضي العجب منه أن وزارات التربية في العالم العربي ما زالت تعرض على طلابها الناشئين في احكام العدد ما يوحي اليهم أن من يقول: الألف كتاب والألف مسكن والمليون شهيد لا يعرف من العربية ما يعرفه الناشئون من المتعلمين !

وأما المسالة الاخرى ، فهي الوقوف بالسكون على الاعلام المتتابعة ، دون فصل بينها بكلمة « ابن » ، وهو النمط المصري السائد في نسق الاعلام ، فيقال : سافر محمد على حسن ، أي سافر محمد بن على بن حسن . وقد طلب « الزيات » الى المجمع سنة ١٩٥٥ اقرار هذا النمط ، واجازة التسكين من باب التخفيف ، أو من قبيل التنظير بين ذلك وبين تسكين اعلام الحروف في فواتح السور من القرآن الكريم ، اذ يقال : الف لام ميم ، و : حاميم ، او: كاف ، ها ، يا ، عين ، صاد . فان لم يجز التسكين ، فليكن الاعراب على حسب العوامل ، او بالاضافة .. ولم يطمئن المجمع الى رأى مما هو معروض ، على الرغم من استحثاث « الزيات » له ، وقوله مداعبا : اخشى أن يكون « محمد على حسن » قد سافر الى غير رجعة !

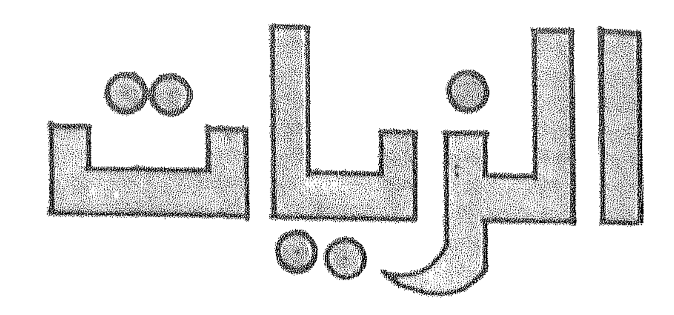
واعاد المجمع النظر في الموضوع بعد ذلك باعوام ، بناء على ما عرضته لجنة الاصول من اجازة التسكين مع حذف « ابن » تيسيرا على القراء والكتاب ، وتخلصا من صعوبة الاعراب ، ولكن مؤتمر المجمع سنة ١٩٦٥ رأى التأجيل وفي سنة ١٩٧٤ حين استقبلني المجمع عضوا فيه ، قلت في حفل الاستقبال :

« بودى ان اقول للمجمع انك وقفت ببابك موضوع الاعلام ، فلم تجز ان يقال : محمد على حسن . وحتى متى تظل اسماؤنا مواليد غير شرعية في النسب اللغوى الصريح ، وفي اللغة منادح للاجازة ، اما على أن الوقف جائز في لغة تميم باطلاق ، واما على الوصل هنا بنية الوقف ، او على اعطائه حكمه ، أو على اجرائه مجراه ، بحسب اختلاف تعبير النحاة ــ والحق ان الاسماء الان ليس من غرضها التنسيب الذى يتوضح بذكر كلمة « ابن » ، وانما يسمى المرء باسمه المؤلف من كلمتين أو ثلاث او اكثر : ولو نقص الاسم كلمة لما تعرف ، وعندى ــ ان كان لى « عند » ــ ان الذين ينتظرون الرجوع الى نسق الاعلام على الوضع المأثور ، سيبلغون مناهم اذا شاب الغراب أو اذا القارظ العنزى آب .. »

ذلك مارفعت به صوتى ، والمجمع يستقبلني عضوا ، وفيما بعد ذلك استطعنا في « لجنة الاصول » و « لجنة اللهجات » ان ننتهى الى اجازة نسق الاعلام موقوفة متتابعة ، تعويلا على ان ظاهرة الاسكان في الفصحى غير منكورة، فهي واردة فيالقراءات السبع للقرآن ، وهي لغة في بنى تميم وبنى اسد وبعض نجد ، وهي واقعة في شواهد من الشعر الفصيح ، ومن النحاة من اجازوها في النثر على الصحيح ، وفي الاختيار دون اختصاص بحال الضرورة ، افلا يجيز لنا ذلك استعمال هذه الرخصةفي نمط جزئى لا مندوحة عنه ، هو نسق الاعلام ؟ .

وبناء على هذا اقر المجمع ذلك ، واكتسبت اعلام العرب في مختلف اوطان العرب الشرعية اللغوية، ذاكرة للزيات. نصيبر اللغة المعاصرة ما كان له من فضل السبق الى البحث والتوجيه .





الزيات في مرآة معاصريه

● احمد مصطفى حافظ ●

لا شك ان وجداننا الادبى يزداد يقظة وتالقا ، بهذا الداب من الهلال على الاحتفاء بذكرى روادنا الاعلام ..

والاستاذ الزيات ، رحمه الله ، يعد فى الطليعة من اساطيننا .

حيث اصدر استاذنا الزيات مجلته المشهورة ((الرسالة)) فى فترة اعقبت توقف مجلة ((ابوللو)) عن الصدور ، فملات الفراغ الكبير فى مجالات الفكر والادب ، واستمرت لمدة تزيد عن عشرين عاما ، بمؤازرة اقلام اعلام الفكر والادب بمصر والامة العربية جمعاء ، حتى اصبحت ،كما وصفها بحق ، سجل الادب ، وديوان العرب المشترك .. ومن افتتاحيات الرسالة طيلة فترة اصدارها ، توفر للزيات نتاج كبير ضخم ، ضمن كتابه ((وحى الرسالة)) باجزائه الاربعة .. وفى هذا الكتاب الشامخ ، يقول ((العقاد)) :

((ان به سلاسة تطوع العصى، وتملك الزمام فى الوعر والسهل على السواء)).

اما توفيق الحكيم ، فيقول عنه انه « مجموعة دراسات عميقة ناضجة للمجتمع ، وتصوير بارع للتطورات الخلقية والنفسية ، واشارات دقيقة، وجولات موفقة فى الادب والحياة .. »

ويصفه « الدكاترة » زكى مبارك بانه «يمتاز بميزة اصيلة ،هى تصويره لاكثر ما يحيط بهذا العصر من مشكلات عقلية ، ومعضلات ذوقية . »

ويعقد الدكتور اسماعيل احمد ادهم مقارنة بين الزيات والرافعى ، ينتهى فيها الى ان « ذهن الزيات يختلف عن ذهن صاحبه « اى الرافعى » من جهة الصفاء وعدم انقطاع الصلة بينه وبين عقل الناس ، فمعانيه مفهومه ، وهى ذات اصل دقيق من الفكر .. »

وفكر الزيات ملتقى العقلين: العربى والغربى ، العربى فى روعته ، والغربى فى عظمته وترتيبه ، وانتظامه ودقته ...

***

ومن روائع ما قدم الزيات للادب العربى فى حقل الترجمة ، قصة « رفائيل » عن الشاعر الفرنسى

الكبير لامرتين ، التى يصف اديب كبير كالدكتور عبد الوهاب عزام تاثيرها عليه ، وجدانيا ، بقوله :

« حاولت صدى أن أسكن جاشي . أو اكفكف دمعى .. ما تعمدت البكاء ولا رجوته ، ولا خلت ان انتهى اليه .. ولكنه كان وحيا من الحزن والدمع ، لا اعرف من اين هبط ، بل ثورة من هموم راكدة ، وأحزان كامنة ، كانت قصة رفائيل لها كقدحة الزند ، او كضربة مسجاة على نبع يدافع الثرى لينفجر .. كذلك انتهت لى قصة رفائيل ، وكذلك آبكى لا مرتين بعد مائة سنة ، رجلا مجهولا يشبه لا مرتين طبعا مكتئبا ، وقلبا منقبضا ، ونفسا ملتهبة .. وكذلك فعلت بى قصة رفائيل .. فلما افقت لم ادر اساء الى لامرتين أم أحسن ، ولم ادر أأحمد صديقى الزيات .. أم الجاه ؟! »

***

كما ترجم الزيات رائعة الشاعر الالمانى الخالد « جيته : آلام فرتر » باسلوب اخاذ ، وهى تصور وفاء المحبين .

وفى اسلوب الزيات يقول الاستاذ محمد عبد الحليم ابو زيد : «استطاع النثر الفنى على يد الاستاذ الزيات ان يرتقى ويصفو ، ويشف .. الى ما تنقطع دونه فنية كثير من الآثار الشعرية ، فهو نغم رائع ، وموسيقى عذبة ، وعمق ، وجودة سبك ، وسلامة فكر ، وشفافية خيال ..

ان آياته النثرية تحطم الحواجز بين الشعر والنثر الفنى وهذاما تكاد تتلاقى عليه المذاهب ، وتتوائى عنده الآراء .. »

وقد قدم الزيات للمكتبة العربية كتابه الجامع المانع ـ كما يقولون ..

« تاريخ الادب العربى » فى شتى عصوره ، وذيله بقاموس يشرح ماغمض من الالفاظ والعبارات .. كما قدم كتابيه « اصول الادب » و « دفاع عن البلاغة » .. وبذل فيهما من الجهد ما استحق عليه ثناء الادباء والدارسين عامة .. فكانما « انتقى من روضة مونقة الربيع أزهارا ، ذات أريج خاص فى باقة واحدة ، علم رغبة الناس فى تنسم عبيرها فيسر عليهم سبيل اقتنائها وتشممها ، والافادة بما يستروحون من عبقها ، دون كبير سعى او عظيم جهد .. » ـ كما يقول الاستاذ مصطفى الصباحى فى جريدة الدستور .

وخير ما يصف كتابات الزيات عامة انها : « تصيب المنحى الحسن ، والتنسيق المطرد ، ثم اللفظ المتخير ، والسبك المحكم الى جانب التبصر ..

واسلوب الاستاذ الزيات الترسل فى بسط العبارة ، والترفق فى تدوين الفكرة .. » كما يقول الدكتور بشر فارس فى جريدة المقطم ..

وكما يقرر شاعر القطرين خليل مطران ان اسلوبه « وحى رسالة ، وما اربى بذلك الى محاولة بديعيه استمد منها وسيلة سهلة التقريظ ، بل ارمى ، الى غرض ابعد واسمى .. »

ويطيب لنا فى ختام هذه الكلمة العجلى ان اقطف هذه العبارة البديعة التى بقيت بالذاكرة لاكثر من ربع قرن من الزمان ، من تعبير الزيات فى وصف مظهر الحياة الروحية فى رمضان ، بقوله :

« فالمآذن الحالية بالمصابيح ، الشادية بالتسابيح ، ترسل فى عمق الوجود نور الله وحكمته .. »

يرحمه الله ●●

احمد حسن الزيات

سيرة وتحية

● مصطفى الشهابى ●

كانوا فتية ثلاثة جمعهم صحن الازهر القديم ، ولكن حب الادب وطد اواصر المودة بينهم حتى كادوا أن ينصرفوا عن دراسة علوم الدين ، فانجذبوا الى الشيخ المرصفى ، رائد دراسة الأدب بالأزهر يومئذ ، وقضوا اغلب وقتهم فى قراءة دواوين الشعر العربى القديم وامهات كتب الادب ، واخذوا يجهرون بأن كتب القدماء افضل من كتب شيوخهم فى الأزهر القديم .

وشاع نبأ الفتية الثلاثة بين الطلاب والشيوخ ، وعرف عنهم الاهتمام بما يسمى «الأدب» وهو «النثر والشعر الذى ينظم فى اغراض دنيوية » ، فتجمعت حولهم العواصف ، وتفاقم الأمر حتى انتهى الى شطب اسمائهم من الأزهر ، وتوسط لهم احمد لطفى السيد فلم ينفذ قرار الفصل وعاد الجميع الى الازهر .

وهكذا انتهت الأزمة ، ولكن طموح طه حسين دفعه الى التفكير فى الانتساب للجامعة المصرية المنشأة حديثا ولكن الفقر كاد يحول بينه وبين الانتساب اليها من جهة ومعارضة أخيه الأكبر من جهة أخرى وامتناعه عن ان يدفع له رسم الالتحاق ـ وكان جنيها واحدا ، فتولاه اليأس وانتابته الكآبة .

وعندما روى طه للزيات ما يشكو منه فضحك الزيات وقال :

تحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسك هكذا ، من أجل جنيه !

فقال طه : لأنى لا أملك هذا الجنيه وليس لى أدنى أمل فى الحصول عليه !

فأجاب الزيات : سأقرضك الجنيه ، ولا ترده الى الا اذا تيسرت أحوالك ، بعد سنة ، بعد سنتين ، بعد عشر سنوات !

وأعطاه الزيات الجنيه وفى اليوم التالى ذهب الى الجامعة ودفع الرسم واصبح طالبا جامعيا ، ومن الطريف أن ذلك الجنيه لم يسدده طه حسين للزيات حتى وفاته ! ولكنه لم يقطع صلته بالأزهر وواصل الدراسة فى الجامعتين أما زميلا طه حسين ، وهما المغفور لهما احمد حسن الزيات ومحمود زناتى ، فلم يستكملا الدراسة بالأزهر خشية أن يلحقهما ما لحق به .

وانصرف الزيات الى دراسة اللغة الفرنسية فبرع فيها واجادها واشتغل بالتدريس فى المدارس الاهلية . وفى نفس الوقت التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس ، وعين عقب عودته بقليل فى الجامعة الامريكية بالقاهرة ثم انتدبته حكومة العراق لتدريس الأدب العربى بدار المعلمين العالية فى بغداد ، فظل هناك ثلاث سنوات من ١٩٢٩ ـ ١٩٣٢ .

قال الزيات عن تلك الفترة انها كانت خير أيام حياته ، اذ عرف فيها أشهر رجالات العراق والتقى خلالها عدة



محاضرات كان لها دوى فى المحيط الأدبى ، فاشتهر اسمه وعلا ذكره

وكان طه حسين ، قبل رحيل الزيات للعراق يعمل على تعيينه للتدريس بكلية الآداب بالاتفاق مع احمد لطفى السيد مدير الجامعة ولكن المرتب الذى كان سيتقاضاه كان أقل بكثير مما كان يتقاضاه من الجامعة الأمريكية ، ولذلك أرجىء التعيين حتى يعود من بغداد ويشغل درجة استاذ استنادا الى ماضيه فى التعليم •

وعاد الزيات الى مصر واذا به يجد أن طه حسين قد فصل من الجامعة وان لطفى السيد قد استقال ، واصبح من العسير على نفسه ان يعود للجامعة الأمريكية بعد ان تركها على الرغم منها

الرسالة ثم الرواية

وبعد عودته من العراق جالت بخاطره فكرة اصدار مجلة للأدب الرفيع ، فبادر الى زيارة صديقه الدكتور طه حسين فى نوفمبر عام ١٩٣٣ وصارحه بما فكر فيه •

وبعد نقاش طويل قال طه حسين

ـ أنت وشانك •• اما شانى فهو المقال الذى اكتبه والرأى الذى أراه •

وعندما فاتح الزيات أخلص اصدقائه من اعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر أيدوا فكرته وظاهروه على تفاؤله، مما دفعه الى اصدار « الرسالة » فى أواخر عام ١٩٣٣ ، يعاونه كوكبة من ارباب الاقلام وأهل الفكر ••

ثم انصرف عن الكتابة فى الرسالة بعض أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وانتهى بهؤلاء الأمر الى اصدار مجلة « الثقافة » ولكن الرسالة لقيت الاقبال والرواج وابتسم لها الحظ فعاشت عشرين عاما متجاوزه عمر أغلب المجلات المصرية وقتذاك وبعد أن كانت الرسالة تطبع فى المطابع الخاصة ، اشترى صاحبها لها مطبعة ، بل ورفع باسمها عمارة احتلت المطبعة فيها الدور الأول فيها وشغلت مكاتبها الدور الثانى وكان الدور الثالث بيتا للزيات ليكون مع مطبعته ومكتبه فى مكان واحد •

وكان الزيات شديد العناية بالرسالة يراجع كل ما ينشر بها ، حتى أنه كان يعيد صياغة الأسلوب اذا تعثر الكاتب

وقد ربت مدرسة الرسالة جيلا من الأدباء والكتاب بل والشعراء •

ولم يقتصر كتابها وشعراؤها على ابناء مصر ، بل أسهم معهم عدد غير قليل من ادباء وشعراء الدول العربية الشقيقة •

وافسحت الرسالة لقلم المرأة مكانا على صفحاتها •

وللرسالة الفضل الأكبر فى اعلان المولد الادبى للكاتب الكبير الاستاذ توفيق الحكيم ، فعلى صفحاتها ظهر كتاب ((اهل الكهف)) ، وكتب الحكيم ماكتب تحت عنوان « من برجنا العاجى » ، وكان لهذه المقالات من الشهرة والتقدير ما جعل الادباء والقراء يلقبون الحكيم بصاحب « البرج العاجى » •

أحمد حسن الزيات سيرة وتحية

وفى صباح يوم ٢٣ من فبراير سنة ١٩٥٣ اعلن صاحب الرسالة احتجابها فى مقال نشره بجريدة الأهرام ..

وبعد احتجاب الرسالة بأكثر من عشرة أعوام عادت للصدور فى عام ١٩٦٣ تحت اشراف وزارة الثقافة والارشاد القومى ولكنها لم تلبث أكثر من بضعة أعوام .

وجدير بالذكر أن الزيات تولى ادارة ورئاسة تحرير مجلة الأزهر عدة سنوات قبل أن يعود للرسالة عندما اصدرتها وزارة الثقافة وبذلك ظهرت الرسالة على صفحات مجلة الأزهر فترة من الزمن

والى جانب الرسالة اصدر الزيات مجلة « الرواية » فى عام ١٩٣٧ وكانت تنشر مختارات من الأدب العالى واقاصيص وروايات عربية ، وكانت نصف شهرية وقد توقفت عن الصدور عام ١٩٥٣ ايضا بعد أن قامت بدور كبير فى دعم فن القصة العربى فى الأدب الحديث .

وقد اختار الزيات مما نشره على صفحات الرسالة مقالاته فى الأدب والنقد والاجتماع والسياسة والتاريخ وصدرت فى كتابين الأول هو « وحى الرسالة » والثانى « فى ضوء الرسالة » .

فى المجمع والجائزة

وفى عام ١٩٤٩ اختير عضوا بمجمع اللغة العربية وقد عمل منذ اختياره على تحقيق الأهداف التى من أجلها انشىء المجمع ، وقد اشترك فى عدد كبير من لجانه .

وكان ترشيح الزيات لجائزة الدولة التقديرية مصدره عدة هيئات أولاها مجمع اللغة العربية الذى قال عنه انه « فى مقدمة كتابنا الذين أسهموا فى حركة البعث الأدبى الحديث وشاركوا فى معركة التجديد » ، وقد ظفر بهذه الجائزة عام ١٩٦١ .

من آثار الزيات

- مؤلفاته : الخلاصة الوفية فى تاريخ أدب اللغة العربية ، وهو كتاب موجز ألفه فى شبابه .

- تاريخ الأدب العربى ويعتبر من أهم الكتب التى صدرت عن الأدب العربى . نال عليه جائزة الدولة عام ١٩٥٣ .

- دفاع عن البلاغة ، وهو كتاب قيم دافع فيه عن الالفاظ البليغة ذات التعبير الدقيق الذى يليق بالافكار الرفيعة، وفيه يقول « الكلمة فى الجملة كالقطعة فى الآلة ، اذا وضعت فى موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة . والا ظلت جامدة ، وللكلمات أرواح كما قال موباسان » .

- فى أصول الأدب ، وهو مجموعة محاضرات ومقالات فى الأدب العربى القى بعضها فى بغداد عندما كان يحاضرها والبعض الآخر فى الجامعة الامريكية بالقاهرة ، أما المقالات فنشر بعضها بالسياسة الاسبوعية وبمجلة التربية الحديثة وبالرسالة .

ومن ترجمات الزيات :

- آلام فرتر - لجوته .
- رفائيل - للامرتين .

- واشترك فى ترجمة كتاب «محاضرات فى الفلسفة » لاندريه لالاند .

- واشترك كذلك فى ترجمة كتاب « مختارات من الأدب الفرنسى » .

- « من الأدب الفرنسى ، قصائد وأقاصيص » مجموعة قصائد وأقاصيص ونشرها فى كتاب .

- وترجم أيضا مختارات من الأدب الحديث نشرت فى سلسلة كتاب الهلال تحت عنوان « ضوء القمر وقصص أخرى » .

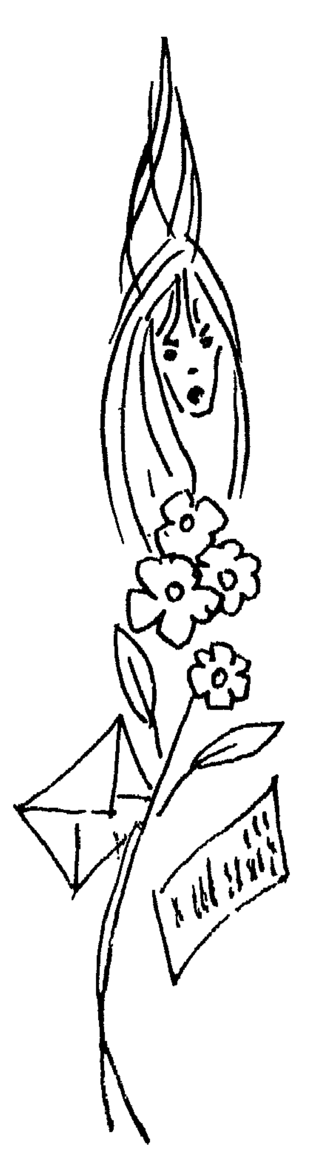
العاصفة

د. انس داود

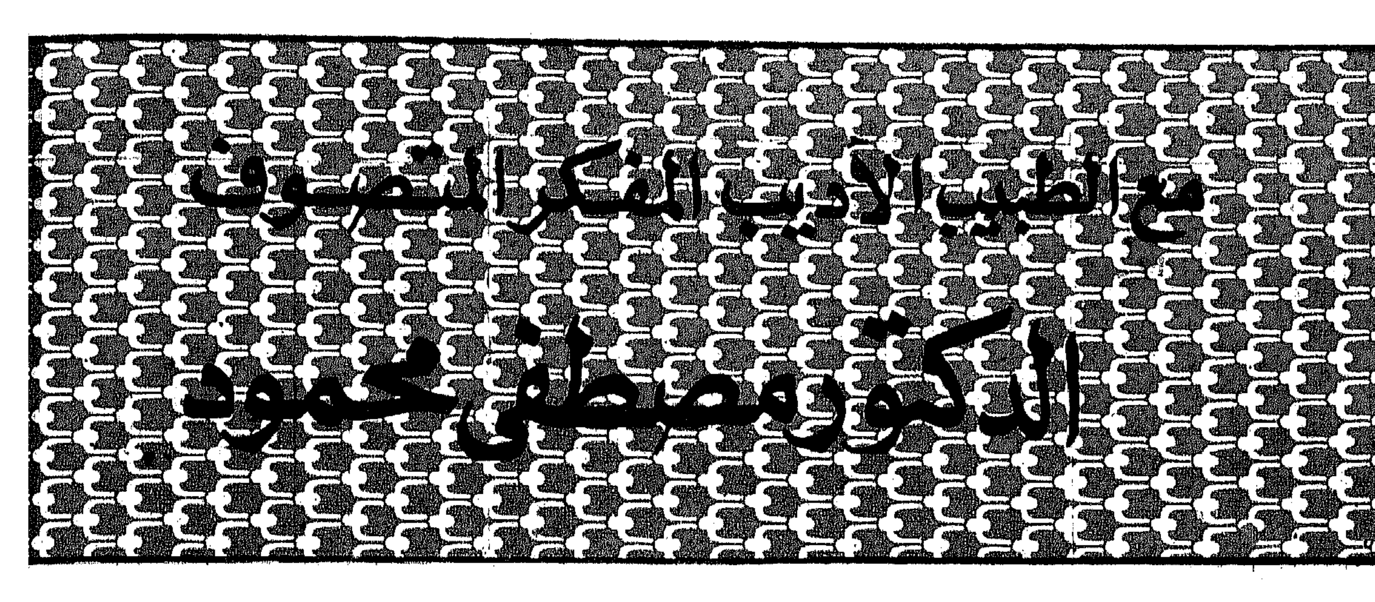
عرفت الحكاية ! ..
اتتنى الرسائل عنك ،
بأن وراء العيون العميقات الف روايه
وحشدا من العاشقين .. ضحايا
وأنت ابتسامة ثغر رقيق
وهمسة صوت مشوق
ورفة هدب ..
واشياء اخرى تفتح فى مرح انثوى
مروج الغواية !

●●●

وجاءت الى الرسائل ،
أن لا امر بدرب الجنون
واهرب من قدر العاصفة
وانسج حولى خيوط السكون
وآوى الى جبل من جليد اليقين
وادفن فى القلب احلامه الوارفة
وابعد عنك
كما يبعد الخصب عن غيمة ماطرة
وارحل عنك ...
كما يرحل الطير عن روضة عاطرة
واحرم فيك
كما يحرم العاشقان لقاء على ليلة مقمرة ؟
وكيف تذود الرسائل
قلبى عن النار
عن ظمأ لا يمل الى شعلة غامرة !
الى أن تفجر عيناك بركان شعر
بكونى
تغير خارطة العمر
حين تكونين انت .. وجودى وامنى
على مرفأ الخطر المستثار
يقينى وظنى ..
وراء هبوب العواصف
وهج اشتعال البروق
وابع حس !



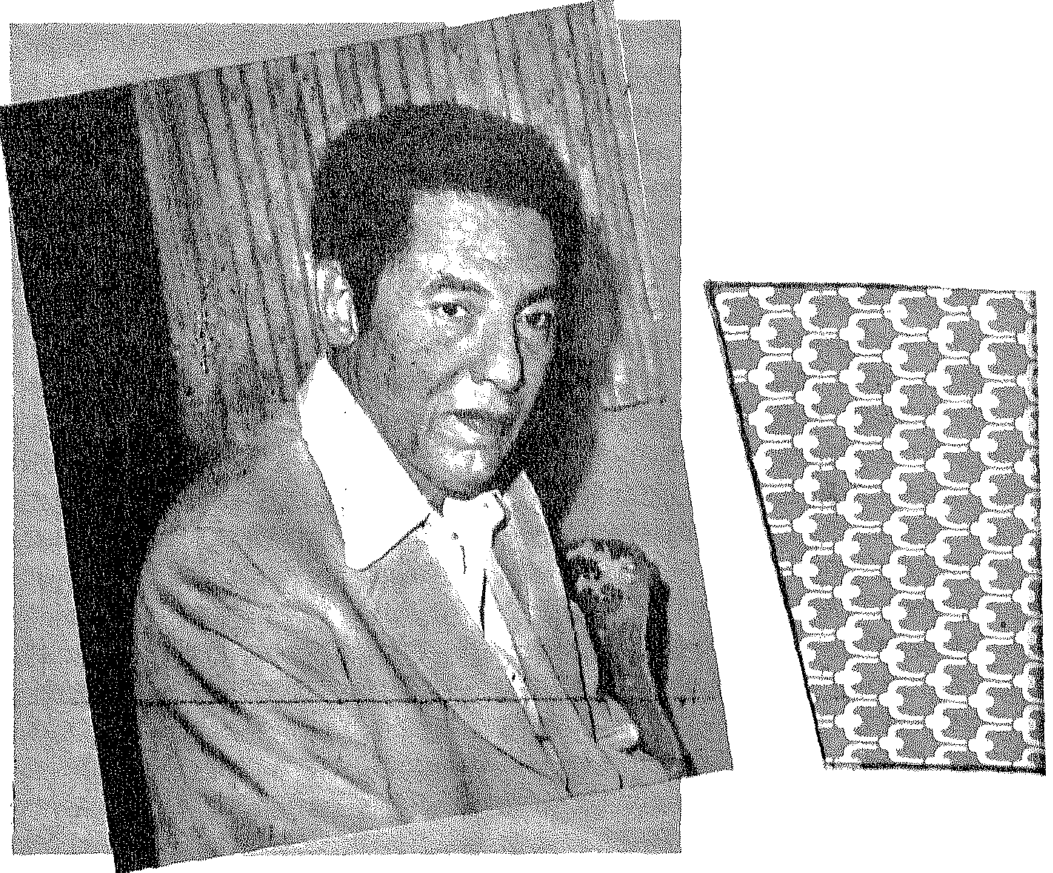
رحلة حياة وعلم وإيمان



● اجرى الحوار : عادل عبد الصمد ●

في اكثر مواقف الحوار معه ، تاخذك جاذبية الحديث المتدفق من فكر عالم ، وقلب مؤمن ..
ان اللقاء والحوار مع الدكتور مصطفى محمود لقاء وحوار مع عالم ، وفنان ، واديب ، ومتصوف في وقت واحد معا ..
وحتى عندما يشغلك الحديث الممتع عن سؤال خطر لك ان تساله ، فان ادلة الحوار — في عالم مصطفى محمود ، ستتيح لك فوق ما يخطر لك ! ..

من حيث المولد فكان شبين الكوم منوفية في ديسمبر عام ١٩٢٠ ، ثم تركناها الى طنطا ، وعشت نصف عمري في رحاب السيد البدوى .. وفي مرحلة التعليم الابتدائي أصابني الاضطراب والخوف بسبب طبيعة المدرسين المتشددة حيث كانوا يتبعون اسلوب العنف والضرب والتخويف ، فكانت سنوات الدراسة الاولى صراعا مع الخوف واستغراقا في الحلم والخيال والاسطورة وميلا الى الانطواء . . .
ولكن مع مرور الوقت ومضى السنين بدات اصارع هذا الخوف ، واستطعت أن استانف دراستى الابتدائية وقضيت على الفشل الذي كان يمكن ان ينتابنى
وفي هذه المرحلة كانت تستهويني علوم الكيمياء والفلك والطبيعة ، وعملت في بيتنا معملا صغيرا ، كنت اقضى وقتى فيه لاصنع الروائح العطرية والصابون ودوائر السلك ، وكان ذلك نتيجة لحبى الشديد للخيال العلمى ، الى جانب حبى للموسيقى ، فتعلمت العزف على الناى ثم العود ، وحاولت كتابة الزجل والشعر .



الدكتور مصطفى محمود

واستطيع ان اقول ان عناصر شخصيتى تبلورت فى هذه المرحلة التى تدور كلها حول حب العلم والفن والادب .

أما مرحلة الدراسة الثانوية فقد برز فيها حبى للعلوم واضحا لدرجة تمنيت معها دخول كلية العلوم بعد حصولى على الثانوية ،ولكن اخى الاكبر رفض والحقنى بكلية الطب ، فوجدت الدراسة بها هوى فى نفسى لانى وجدت نفسى لأول مرة مع الانسان وجها لوجه ..

ومع البلوغ جاءت موجة التمرد والرفض فى قضية الاديان ، فاصبحت رافضا لكل شىء حولى مناقشا كل شىء هدفى اعادة تقييم كل شىء، وبذلك تبلور الخط الاخير الذى قدر لى ان يحكم حياتى كلها فيما بعد وهو الرفض أو القبول

ولقد استمر الرفض ربع قرن تقريبا .. كانت شخصيتى تنمو فى كل هذه الخطوط فى وقت واحد ...

وكنت فى نفس الوقت اشتغل مع كامل الشناوى فى الجريدة المسائية ثم مع اسرة مجلة التحرير فى بداية انشائها الى ان تخرجت طبيب امتياز عام ١٩٥٢ فكنت فى حالة عجيبة احمل عودا ، ونايا ، وقلما ، وسماعة ، ورأسا مليئا بالاحلام والشكوك والتفلسف ...

وهنا توقف الدكتور مصطفى محمود فى الحديث فقلت له : ولكن ... لماذا احببت الدراسة فى كلية الطب برغم انها لم تكن على هواك فى البداية

قال : الشىء الذى جعلنى احب هذه المهنة انها مهنة تعقد علاقة مستمرة بين صاحبها وبين الانسان ... فالطبيب يلتقى بكل طبقات المجتمع ، وهو بذلك يتصل بقلب المجتمع وروحه ، وهو الوحيد الذى يحضر لحظة الموت ولحظة الميلاد ، وهما من اللحظات التى يقف امامها الفيلسوف حائرا !

ومن هذه اللحظات ـ لحظات الموت ولحظات الميلاد ـ كانت بداية التفكير والتأمل فى حياتى ، وبداية الغاز لانهاية لها ...

وعدت اسأله فقلت : كيف كانت

مع الطبيب الأديب المفكر المتصوف
الدكتور مصطفى محمود

رحلتك من الشك الى الايمان ؟

قال وهو يتأمل بعمق كعادته :

اذكر انى بدأت أصلى فى طفولتى وفى سن ست سنوات فكنت أصلى دون اكراه من احد ، حتى وصلت الى سن المراهقة فبدأت اتمرد على كل شىء ، ثورة فى الفكر وفى الحياة باكملها ، فناقشت كل ما يعترضنى ثم كان وقوفى بعد ذلك امام الجسم الميت فى كلية الطب فاطلعنى على محتويات جسم الانسان والمخ والأعصاب ، فوقفت حائرا امام الموت .. فكان السؤال الذى حيرنى من اين والى اين ؟

كما كانت فى البداية محاولتى الأولى للاجابة من خلال الكيمياء والطبيعة والعلوم من اين والى اين! ماذا يستطيع العلم ان يقول ؟

فلم أجد عند العلم اجابة عن قضية من اين والى اين .

فطلبت الاجابة فى كتب الفلسفة من سقراط الى افلاطون الى ارسطو الى كانت الى شوبنهور الى نيتشه ، الى الفلاسفة المحدثين امثال كارل ماركس ووليم جيمس وجورج سانتانا ... فلم اجد اجابة شافية ، ورايت كل فيلسوف يبنى مذهبا ليهدم به مذهب الذين سبقوه ، ثم ياتى من بعده فيلسوف آخر يهدمه وهكذا ... فلم أجد اجابة شافية فى الفلسفة

ولكن السؤال أصبح الف سؤال ، وهو كما قال البعض « الفلسفة تعكر ولا تصطاد » .

وحاولت اطلب الاجابة فى الدين ، فبدأت رحلة الأديان من الفيديات الهندية والبوذية واليوجا والزرادشتية الى اليهودية والمسيحية ، وانتهيت الى شواطىء القرآن فوجدت الاجابة ، فى بحر التصوف الاسلامى الذى تصب فيه جميع الجداول ...

● الاسلام الكامل علم وعمل ●

وكان طبعيا ان يكون السؤال التالى عن التصوف من وجهة نظر الدكتور مصطفى محمود :

قال : التصوف هو المعرفة الالهية عقلا وقلبا وعبادة وسلوكا .

وليس كلاما فقط .. بل لابد ان يصحبه خلق وعمل ، وهذا هو الاسلام الكامل الذى يلزم بالعلم والعمل .

واذا كان هذا هو التصوف ، فماذا عن الصوفى ..

يقول الدكتور مصطفى : الصوفى قد أحب الحق وتحققه ، لانه أحب الله الذى هو الحق الاعلى ، وأحب الخير وحققه لانه أحب الله الذى هو الخير الاسمى .وأحب الجمال وتذوقه لانه أحب الله الذى هو الجمال الاسمى .. وهو فى حبه لله وحبه لكل شىء بالله وفي الله ، فقد عرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات سواء ما كان متصلا فيها مع ربه أو بحياته مع نفسه ومع الآخرين وهذا الانسان الكامل هو الذى نجد صورته المثلى فى التصوف السنى الاسلامى .

● وعندما اسأل عن الحب الالهى وترتيب درجات هذا الحب ..

يبدأ الدكتور مصطفى محمود ترتيب درجات الحب ، وشرح كيف ان الحب الجنسى هو ادناها جميعا ، لانه يلتصق بصورة واحدة من مظاهر الكون وبالتصاق المحب بهذا المظهر الواحد يحجب عما وراءه من حقائق الكون ، ولذلك فان الحب الطبيعى أعلى من الحب الجنسى ، لانه يتوجه الى جميع الصور الجميلة من نساء وفراشات وزهور .

واعلى منه الحب الروحانى لانه يحب الموضوع فى ذاته ولجوهره دون قصد لذة واعلى منه الحب الالهى الذى يتوجه الشوق منه الى أصل كل شىء ، وصورة جميع الصور فيما خلق الله تبارك وتعالى .

ويقول الدكتور مصطفى محمود : ان التراث الصوفى بحر عميق فيه اللؤلؤ والصدف ولكنه فيه أيضا التماسيح والحيتان ، وعلى ذلك فالقراءة فى

رغم مرحلة النقل التى نعيش فيها ، ورغم أننا أخذنا من الأدب الغربي قالب القصة والمسرح ، إلا أننا وضعنا فى هذه القوالب تراثنا وشخصيتنا .. فأنت تقرأ فيما يكتبه نجيب محفوظ ، وتوفيق الحكيم ، وطه حسين ، والعقاد ، ويوسف إدريس ، تقرأ مصر ، وتجد مصر ..

التصوف أشبه بالملاحة فى بحار الظلمات بقارب شراعى ، وما أكثر ما تنكسر الدفة • ويفقد السالك اتجاهه ... وبذلك كان النور الهادي هو نور الكتاب والسنة •

● بالعقل والمنطق معا ●

قلت للاديب والعالم : أنت توظف العلم لخدمة الدين وأنت متصوف وعالم أيضا ... أيهما أكثر فائدة للآخر التصوف للعالم أم العالم للمتصوف ؟

قال : فى نظرى ليس هناك فرق بين العالم والمتصوف • وان التصوف الاسلامى يشترط العلم ، والله لا يسعد الا بالعلم وليس بالجهل ، والعلم مطلوب ومأمور به ، والعلم لا يعنى علم القرآن فقط ولكنه كل العلم المتاح للانسان وكل على قدر ما يستطيع أن يحصل •

ويستطرد الدكتور مصطفى محمود :

وفى الاسلام نحن نعتمد على جميع القنوات التي توصل الى المعرفة ،فهناك قنوات العقل والمنطق والتأمل وأيضا الاستبطان والاستبصار والوجدان الكشفى ، كل هذه القنوات تسخر لفهم حكمة الاشياء ، وهذا هو الفرق بيننا وبين الغرب لانهم يتعاملون بالمنطق الرياضى الجاف ، انما نحن نصل الى الله مسلمين بالعقل والمنطق معا •

وأسأل الدكتور مصطفى محمود عن الايمان فيقول :

أن ادرك انى لست وحدى فى هذه الدنيا وانها لم تخلق عبثا ولا عفوا ، فان احساس قلبى هو أقوى درجات الايمان ... والحب مكابدة قلبية لا تتم عن طريق العقل وحده وهو مدرك عقلى وقلبى ، وهذا أقوى انواع الايمان ، على عكس الايمان العقلى المثبت بالبراهين •

● الاخذ والعطاء يتداول بين الامم ●

فأقول له : والآن ما رأى د • مصطفى محمود فى الرأى القائل باننا مقلدون ، ونفتقد الى العنصر الابداعي الابتكارى ، ومن هنا جاءنا التخلف ؟

ويقول : ينطبق هذا الكلام الى حد ما على المائة سنة الاخيرة التى ساد فيها الاستعمار الوطن العربي ، فنحن الآن نأخذ القطار والدبابة ، والسيارة والتليفزيون ، والمفاعل الذرى — من الغرب ، ولا نخترع شيئا • كما اننا نأخذ قالب القصة والمسرح من الغرب ، وأساليب البناء أيضا غربية •

وهذا امر طبيعى ، ففى العصور الوسطى صنع الغرب ما نصنع الآن ، فكان يعيش مرحلة ظلمات ، وكان ينقل حضارته عنا ، فاخذ الكيمياء والطبيعة والرياضيات والفلسفة منا نحن وكان يترجم عن ابن سينا ، وابن رشد والرازى وابن الهيثم وابن حيان — الى

مع الطبيب الأديب المفكر المتصوف
الدكتور مصطفى محمود

لفنه ، وهكذا كان الاخذ والعطاء يتداول بين الامم ..

ولكن رغم مرحلة النقل التي نعيش فيها ، ورغم اننا اخذنا من الادب الغربي قالب القصة والمسرح الا اننا وضعنا في هذه القوالب تراثنا وشخصيتنا ، فانت تقرا فيما يكتبه نجيب محفوظ ،وتوفيق الحكيم ، وطه حسين ، والعقاد ،ويوسف ادريس – تقرا مصر ، وتجد مصر ، برغم ان القوالب اجنبية • وتلك بداية ولعلنا نكون مقبلين على عصر نهضة نعطى فيه الغرب كما اخذنا منه •

ويمتد الحوار الى دور الكاتب في المجتمع فيقول الدكتور مصطفى محمود ان الكاتب هو مصلح اجتماعي ومقنن لنظريات وفلسفات ذات منهج ورؤية ، وهو المصور للواقع مع المزج بالخيال – هو كل هذه الإشياء ، فيقدم الواقع مع الحلم والحاضر والمستقبل ، ويقدم المشكلة والرؤية والحل •

ثم يتعجب كاتبنا مما يدور الآن فى الساحة الثقافية وما يقال عن ركود الثقافة وعن توقف المسيرةالادبية فيقول:

ان الكلام عن توقف المسيرة الادبية غير صحيح ، فالادب لم يتوقف بتوقف طه حسين والعقادوانما علىالعكس سار بخطى أوسع وبمنظور مستقبلي أشمل وما نقراه لكتاب اليوم من قصة قصيرة ، ورواية طويلة ،ومسرحية – أعمق وأجمل وأشمل فى الرؤية مما كتبه العقاد وطه حسين •

ولكن – هل يستطيع الناقد أن يخلق الكاتب الجيد ، أو أن الكاتب الجيد هو الذى يطور المنهج النقدى ويخلق الناقد المتمكن ؟

ويجيب الدكتور مصطفى فيقول : لا يستطيع أحد أن يخلق أحدا ... كل ما يفعله الأدب الجيد ان يقدم مادة ملائمة للنظر والتحليل ،فاذا كانت هناك الموهبة الناقدة ظهر الناقد ، فاذا لم تكن هناك الموهبة لم يستطع الاديب أن يخلق ناقدا والعكس صحيح •

ثم يصل بنا الحوار الى ما يقال عن الاختلاف بين علم النفس وتقاليد الدين في علاج الامراض النفسية •

فيقول : هناك اختلاف كامل بين الدين وعلم النفس فالدين اشراق واستنارة باطنية ، بينما علم النفس نوع من التحليل العقلي • وحاليا علم النفس يعالج بالاقراص والمسكنات ، وقد انتهت بالمناسبة ، مدرسة التحليل الفرويدى تماما من المدرسة النفسية •

يبقى أمر هام لابد أن يأخذ دوره فى الحوار ان التقدم العلمي قد جاء اساسا ليخدم الانسان ، ولكن اثبت العكس ، ففي ظل العلم فقد الانسان السيطرة على نفسه وزاد القلق وفقدنا عنصر الامان •

ويعلق الدكتور مصطفى بالموجز المفيد فيقول :

هذا صحيح ، ولكنه يرجع الى عدم الايمان وضمور الرحمة في نفس الانسان ، والانحلال الخلقى ، وغلبة القسوة هى التى جعلت من العلم مصنعا للرعب والقنابل ولم تجعل منه نورا وامنا للناس ..

نعود الى العلم مع الشمس والطاقة وخسوف الشمس ..

يقول العالم والمفكر صاحب الاهتمامات العلمية والدينية فهى شاغله الاوحد :

ان العلماء يحاولون تقليد العمليات التى تجرى داخل الشمس .. فأرادوا عمل شمس صغيرة على الارض مثل « بطارية » تولد طاقة ، فواجهتهم مشاكل عديدة أهمها تسخين العناصر الى غازات عالية ، تصل الى ملايين الدرجات مثل الحرارة العالية فى باطن الشمس ، وكيفية تقليد الضغوطالعالية الحاصلة داخل الشمس ..

ونرى العلماء فى أمريكا والمانيا يتعاونون من أجل اطلاق منظار فلكى يذهب الى الشمس ،يتابع ويصور وينقل الينا كل نبضة تجرى داخل هذا النجم الخطير ..

وفى الواقع ما زالت أعز لحظة عند العلماء هي لحظة متابعة وتصوير الشمس عند خسوفها وما يسمونه ساعة

الصفر فى خسوف الشمس لدرجة ان العلماء يستعدون لهذه اللحظة استعدادا تاما بكل الاجهزة التي تلزم ذلك . وهذا الاستعداد يسبق تلك اللحظة بسنين .

كل هذا لتسجيل الخسوف الكلي ، ولتصوير هذه اللحظة الصغيرة ، وعادة لا تزيد عن دقائق ، ثم تظهر الشمس مرة أخرى ..

وهنا يتبادر السؤال التالى .

ماذا يحدث عند خسوف الشمس ؟

في هذه الحالة نجد ان القمر اثناء دورانه حول الارض ياخذ وضعا بين الشمس والارض ويخفي وجه الشمس ، فتاتي لحظة يغطي فيها وجه الشمس بالتمام ، وفي نفس الوقت فان الشمس تلقي ظل القمر على الارض في مخروط في منطقة ما ،من يقف فيها يرى الشمس محجوبة تماما فيما يسمى بساعة الصفر فى الخسوف الشمسي .

وهنا في هذه اللحظة يرى الواقف في هذه المنطقة قرص الشمس محجوبا تماما ولاول مرة يرى الاكليل الشمسي أو الهالة الشمسية مكشوفة تماما ، وهذه مسألة تهم العلماء جدا لانهم يريدون ان يرصدوا الاكليل الشمسي او الهالة الشمسية ، ويكشفوا الغازها ، فان من عجائب هذه الهالة الشمسية ان درجة حرارتها تصل لمليون مع أن سطح الشمس درجة حرارته ستة آلاف .

وهنا نلاحظ سرا عجيبا جدا وهو أن قرص الشمس عندما يحجب اثناء الخسوف الكلى ، فاننا نجد الدنيا تظلم اثناء النهار ، ولاول مرة نرى الكواكب فى وقت الظهيرة نتيجة الاظلام ــ فماذا يعنى ذلك ؟

يقول الدكتور مصطفى انه يتضح لنا شيء خطير وهو ان الكواكب ظهرت فى غير مكانها المحسوب ، بعكس قوانين الفلك ، حيث ان الفلك كما نعلم علم دقيق يعرف حركة الكواكب ومتى توجد وكيف وأين بالدرجة والثانية والدقيقة فمحسوب فى الجداول انه اذا أمكن رؤية الكواكب بالنهار نتيجة احتجاب الشمس ؛ فانه سيكون مكانها كذا ..

وفى نهاية الرحلة مع المفكر والعالم والفيلسوف والمتصوف ــ أردت أن أتعرف كيف يقضي الدكتور مصطفى محمود يومه ، وما هى أسعد أيامه ؟

قال : أسعد أيامى هو مابدأ بصلاة الفجر ، فهذه الدقائق القليلة التى أتقها بين يدى الله ، وهداة الليل والسكون هى احيانا تكون اثمن من جميع ساعات العمر ، لحظات يتجرد فيها الانسان من كل شيء ، يتجرد من همومه وشهواته وشواغله يتجرد من عمله ونفسه واسمه ، ويقف فى العراء التام كأنه نقطة عدم بين يدى الوجود الاعظم الله ، لحظة ضعف واعتراف وشكر .

وأجمل الايام عندى هو مابدأ بتلك اللحظات ، وعادة يتلو هذه اللحظات ساعة تأمل مع النفس أو استماع لبعض القرآن الكريم ، ثم تعقب ذلك غفوة قد تطول ، اصحو بعدها على شمس النهار لابدأ حياتى وعملى ..

وهكذا حتى ياتى وقت الظهيرة والاسترخاء ثم يبدأ المساء ، وانا اقضى اغلب الامسيات فى بيتى بين كتبى اقرأ وافكر واتامل نجوم الليل من خلال « تلسكوب » او أتابع خلية حجمها واحد على الالف من المليمتر من خلال ميكروسكوب .. او تجدنى غارقا فى صمت تام لا صوت ولا حركة كأني فى حالة عطل تام .. والحقيقة ان الحركة تكون قد انتقلت الى داخل كما تحول الصمت الى حوار بيني وبين نفسي ، قد تكون هذه المرة بداية لمقالة او لكتاب جديد .. او تجدنى امضى بعض الليل فى الاستديو الخامس بالتليفزيون بين الكاميرات والديكورات اسجل حلقة جديدة لبرنامج « العلم والايمان »

ويحلو لى فى اوقات الفراغ وفى شمس الشتاء ان اخرج الى صحراء الهرم ، او اتردد على شاطىء بحيرة قارون فى الفيوم او على شاطىء البحر ، ثم بعد الواحدة صباحا يبدأ ختام اليوم لاصحو على اسعد لقاء مع الفجر الجديد.

●●

حيوان أم لعبة؟

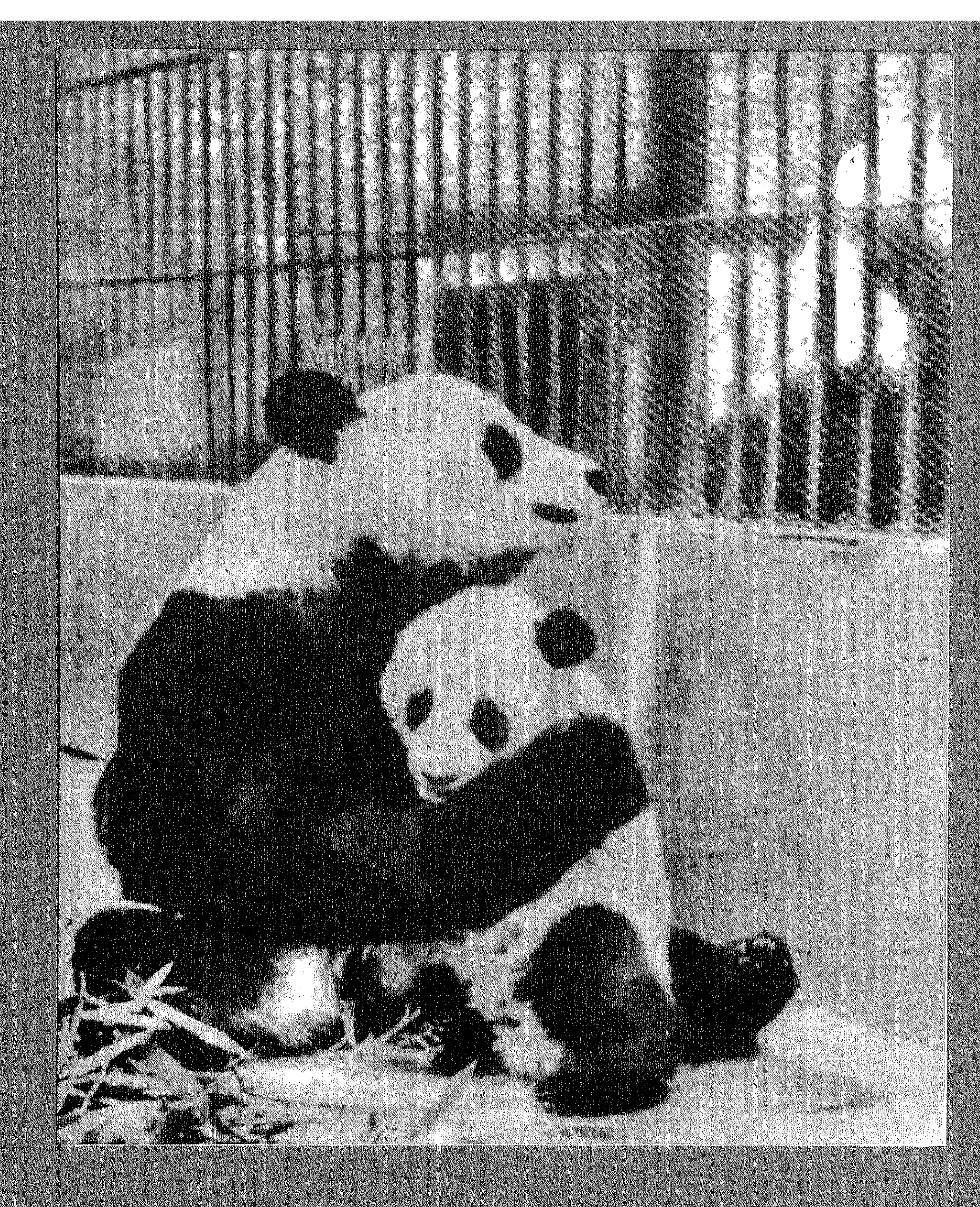


الباندا فصيلة من الدببة لا توجد الا في الصين •

وهي دببة تأكل اللحم ، ولها اظافر فيها قوة ولكنها تتميز بكسل شديد ، ولهذا فهي لا تكلف نفسها عناء الصراع للحصول على فرائسها ، ومن هنا فهي مسالمة جدا ، ولا يخشى انسان او حيوان باسها • ولكي تريح نفسها من متاعب الآخرين فهي تعيش على الاشجار ،فنجد الباندا وزوجته مقتعدين مكانهما في اعلى شجرة معظم الوقت ، ولا ينزلان الى الارض الا اذا اشتد بهما الجوع، هنا ينشطان بعض الشيء حتى تقع لهما فريسة صغيرة مثل ارنب او اي نوع من الاعناز ، وبعد أن ياتيا على الفريسة يعودان الى الشجرة ويخلدان للنوم •

والطف ما في الباندا هو لون فرائها ،فهو ابيض اسود لا يتغير كما ترى في الصور المنشورة مع هذا الكلام ، وهذا الفراء هو الذي يجذب اليها الإنظار ، فان شكلها لطيف جدا كانها لعبة اطفال ، ولا يمكن ان يمر بقفصها احد في حدائق الحيوان الا استلفتت نظره ووقف عندها ، وخاصة الاطفال ••

ثم ان الباندا رغم كسلها البالغ حيوانات ذات دعابة ، فهي تلعب بعضها مع بعض دائما ، وتاتي بحركات غاية في الطرافة ،والدببة كلها على اي حال تاتي بحركات لطيفة جدا ، فهي رغم ضخامة حجمها بهلوانات فتسير على قدميها الخلفيتين وتتشقلب وتاتي بحركات هي الغاية في الطرافة ••



ولكن الباندا حيوانات نادرة ، ولا يزيد الموجود منها فى العالم على مائتين ، ومعظم حدائق الحيوان فى العالم خالية منها ، ولهذا فان الصين تعنى بها عناية شديدة ، وتهدى منها للدول بحساب دقيق ، ويتولى موضوع الاهداء رئيس جمهورية الصين نفسه ، لان هدية زوج من الباندا تعتبر تحفة نادرة . والى الآن اهدى الرئيسان ماوتسى تونج وهوا فينج اربعة ازواج فحسب : الى كوريا الشمالية والولايات

ناس وصور وحكايات

حيوان .. أم لعبة؟

المتحدة واليابان والمانيا الغربية ، وقد كان وصول زوج الباندا الى المانيا حدثا كتبت فيه الصحف ، وما زال المستشار شميت يفكر : الى اى حديقة حيوانات المانية يعطيها ؟ فان فى المانيا الغربية نحو عشرين حديقة حيوان ، وكل منها طامعة فى تلك الطرفة الجميلة وعندما زار نيكسون الصين زيارته المشهورة التى فتحت الابواب بين الصين والولايات المتحدة عاد بزوج من الباندا ، واعتبر الناس ذلك من جلائل اعماله ..

والسر فى ندرة الباندا هو انها قليلة الانجاب جدا ، ويعلل الباحثون ذلك بكسلها الشديد ، فقد يمر موسم اللقاح دون أن يقترب الباندا من رفيقته ! واذا حدث ذلك فنادرا ما تحمل ، واذا حملت اتت بدب واحد ، ولابد من انتظار عامين او ثلاثة حتى تأتى بالثانى . ولكن الأنثى شديدة الحنان على والدها ، وهى ما تفتأ طول اليوم تهدهده وتلاعبه ولا تطيق أن يبتعد عنها مترا ..

ويطلق رجال حدائق الحيوان على أزواج الباندا اسماء ذات طابع صينى ، فالزوج الذى فى اليابان يسمى الذكر كان – كان والانثى لان – لان . والانثى الزوج الموجود فى حديقة حيوان لندن تسمى تشى – تشى ، وذكر الزوج الموجود فى موسكو آن – آن . وقد فقد كل منهما أليفه من سنوات ويعيش عزبا . وقد نقلوا تشى – تشى مرة الى آن – آن لتحمل وتلد ولكنها لم تحمل رغم تكاليف النقل بالطائرة فعادوا وحملوا آن – آن من لندن الى موسكو بالطائرة ، وهناك حصل اللقاح والحمل أخيرا ، وقد عقد اتفاق دبلوماسى بين الدولتين على أن يكون المولود الأول لروسيا والثانى اذا حدث فى المستقبل – لانجلترا ..

وهكذا ترى أن لهذه الحيوانات دورا فى الدبلوماسية ، وبالفعل تعتبر هدايا الباندا هدايا دبلوماسية ، فلا تهديها الصين الا للبلاد الصديقة جدا .

المـــرأة والحيــــة



العلاقه بين المراة والحية قديمة معروفة ، فكلنا نعرف دور الحية فى اغراء حواء واخراجها ـ هى وزوجها آدم عليه السلام من الجنة ..

وفى جنوبى سويسرا ، فى مقاطعة التسين سيدة تســمى الويزا باخ تحب الحيات الضخمة وتربيها فى بيتها بعد أن تنزع منها غدة السم وتكسر طـرفى النابين اللذين ينفثان السم .

وقد شكا الجيران من ذلك وحاول البوليس ان يستولى على الحيات ليعدمها استجابة لمطالب الجيران ولكن السيدة تتمسك بحياتها ولا سبيل للقانون اليها .



الحقيقة.. وظل الحقيقة

يقولون ان ظل كل شيء يطابق اصله فكما يكون الاصل يكون الظل ، ولكن المصور الذى التقط هذه الصورة اراد ان يثبت العكس ، فتحرى ان يصور لاعب تنس فى لحظة اشبه فيها ظله شكل قرد متعلق بذيله فى شجرة.وقد استوقف نظره هذا الظل الغريب،فظل بالكاميرا الى جانب اللاعب حتى حانت الفرصة فكانت هذه الصورة الطريفة .

أول قمر صناعي ترسله ألمانيا إلى الفضاء

كانت الاقمار الصناعية الى حين قريب اختصاصا امريكيا روسيا ، وذلك بسبب ثقل تكاليفها وصعوبة اطلاقها ووضعها في مواضعها المحددة لها .

ثم دخلت الميدان انجلترا ، فصنعت قمرا ولكنها لم توفق الى اطلاقه ، وصنع الفرنسيون عددا صغيرا من الاقمار . والآن جاء دور الالمان ، وقد نجحوا في أول محاولة واثبت قمرهم الصناعي انه لا يقل كفاءة عن الامريكي والروسي .

وكلمة قمر صناعي مضللة فالحقيقة أن هذه الاجهزة التي تطلق في الفضاء ليست اقمارا في شيء ، انما هي تسمى في الغرب توابع .. (ساتليت) وهي عبارة عن اجهزة تتلقى الموجات الصوتية والضوئية وتعيدها الى الارض في المواضع المحددة لها ، وسبب صنعها والاعتماد عليها هو أن الموجات الصوتية والضوئية لا تسير الا في خطوط مستقيمة ، وحيث ان سطح الارض منحن فان الموجات المرسلة لا يمكن أن تصل الى المكان المطلوب الا اذا انطلقت في الجو ثم ارتدت الى الارض مرة اخرى في خطين مستقيمين :

١ ـ جهاز توجيه التابع الكترونيا من الارض ليسير في المسار المقرر ويستقر في الموقع المطلوب .

٢ ـ غرفة صغيرة لقائد التابع اذا اريد أن يستعمل مركبة فضائية ، وفي هذه الحالة يذهب القائد ومن معه بالتابع كأنه صاروخ فضائي ، فيحدد المكان والمسافة ثم يعود الى الارض . ويطلقون بعد ذلك توابع تثبت في الهواء .

٣ ـ جهاز رادار .

٤ ـ جهاز خاص لكشف الاقمار الصناعية او التوابع الاخرى ، والجهاز الالماني يستطيع « سرقة » الصور التي ترسلها الاقمار الروسية الى الارض ، فهو جاسوس على الجواسيس .

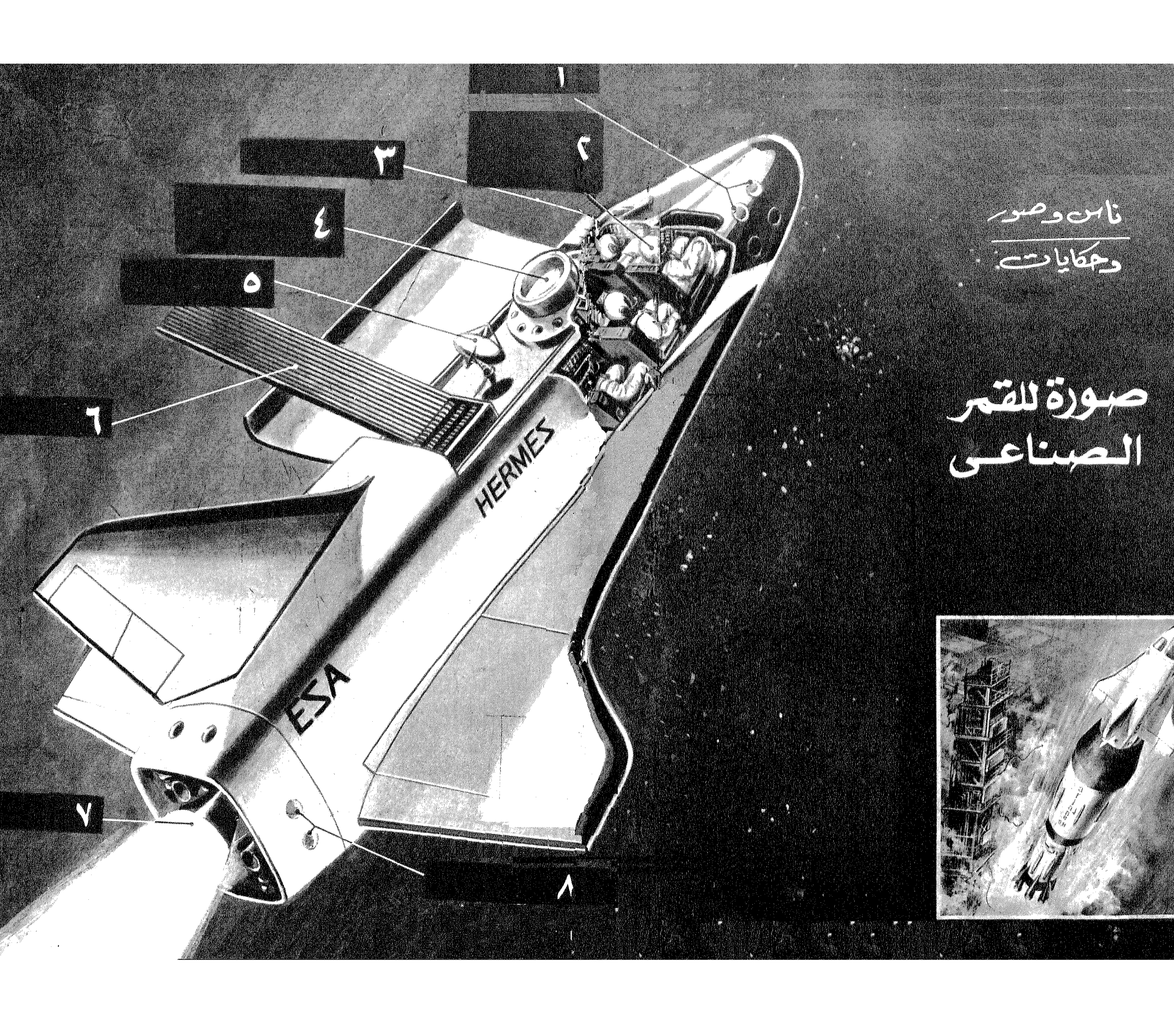
٥ ـ جهاز للاتصال بالارض .

٦ ـ الهوائي العاكس ، انه اشبه بجناح طائرة ، ولكنه لوحة عاكسة . هذا الهوائي اهم ما في التابع .

٧ ـ جهاز قذف الصاروخ أو التابع .

٨ ـ جهاز لتوجيه الصاروخ .





١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
HERMES
ESA
ناس وصور
وحكايات
صورة للقمر
الصناعى

شخصيات ومواقف

ابن سبعين

● ليلى : بنت الشهباء ●

هو واحد من أولئك الذين ساروا في طريق الله ، بالله ، ولله .. وترقوا في مدارج الكمال ، بلا اقتدار بأنموذج الكمال ، فاختلفت الالسن فيه .. وقد اتفقت كلمة المؤرخين على ان : ((اغراض الناس فيه متباينة ، بعيدة عن الاعتدال ، فمنهم المرهق المكفر ، ومنهم المقلد المعظم الموقر ، وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والانتقاد ما لم يقع لغيره ، والله تعالى اعلم بحقيقة أمره)) .

عبد الحق بن سبعين ابو محمد عبدالحق بن ابراهيم بن محمد بن محمد ابن سبعين المقدسي الرقوطي الاندلسي ــ ولد سنة اربع عشرة وستمائة (٦١٤) هـ . ينتهي نسبه الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم درس العربية والآداب في الاندلس ، وانتقل الى سبته ، وانتحل التصوف ، وعكف برهة . على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها . ثم رحل الى المشرق بعد ان أخرجه ابن خلاص حاكم سبته ، وذلك على اثر وشاية الحاسدين من فقهاء عصره الذين ضاق صدرهم من اقبال الناس عليه ، واعتقادهم به .

ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء ، كثر عليه التأويل ، ووجهت لالفاظه المعاريض ، وقلبت موضوعاته . وتعاورته الوحشة ، وجرت بينه وبين كثير من اعلام المشرق والمغرب خطوب يطول ذكرها . ولما تلاحقت انفاس تاريخ مشرق في حسد الاندلس ، وبدا المخاض في رحم فكرها وأدبها ، وتسابق كبار فلاسفة وعلماء ليمتطوا شمس ادب وفكر يجوبون رحاب الاندلس ، فما من معضلة فلسفية أو علمية تفاقم غموضها في ليل علماء العصر آنذاك ، الا وكان وهج شمس المعرفة عند علماء الاندلس كاشفا لقمة غموضها ، مضيئا اعماق حقيقتها ..

ولما وجه ملك النورمانديين الامبراطور فردريك الثاني المسائل الصقلية تبكيتا للمسلمين وافحاما لهم ، كما يذكر صاحب « النفح » ـ أرسل بمسائله هذه الى المشرق ، ومصر والعراق ، والشام ، واليمن .. فجاءته الاجوبة بما لا يقنع أو يرضى .. وتبقى حقيقة الاشياء قابعة في الاعماق تنتظر رجل ما وراء الاعماق ليكشف سترها ، ولم يكن سواه .. عبد الحق بن سبعين .

ولهذا نرى ان الكمال على مسرح الفكر عند رجل ما ، سرعان ما يجمع حوله الانوار ، وتتبعه الابصار .. فما من حركة ولا سكنة في الفكر الا ولها متأسون ، وبها مقتدون ، وعليها ناقدون ولها متخرصون ، فيختلط المدح بالقدح ، والحق بالباطل ، وتلتبس الحقيقة عند غير اهلها ، فهم فيها حائرون ..

لذلك كله آثرت ان اتخذ التوثيق معيارا للتحقيق ، وان اضع كل كلمة قيلت فيه او نسبت اليه في ميزان النقد العلمي ، فلا اقبل الا ما صحت نسبته وبان قصده .

ولاتخذن من وصيته لاصحابه نموذجا نتعرف به على عقيدة الرجل ومنهجه . يقول ابن سبعين :

(سلام عليكم ، حفظكم الله .. حافظوا على الصلوات ، وجاهدوا النفوس في اتباع الشهوات ، وكونوا عباد الله اوابين ، توابين ، واستعينوا على الخيرات بمكارم الاخلاق واعملوا على نيل الدرجات السنية ، ولا تغفلوا عن الاحكام السنية ، وذوقوا مفصل اللذات الروحانية : ولازموا المودة في الله بينكم) .

انه يدعو اصحابه الى التزام الشريعة ، واجتناب نواهيها ، وتربية النفس والتوبة الى الله على الدوام ، والتزام

مكارم الاخلاق : فالتصوف اخلاق ، ومن زاد عليك فى الاخلاق زاد عليك فى التصوف ، ثم بعد ذلك همة عالية تدفع صاحبها الى طلب المعالى والبعد عن السفاسف ، وملاحظة المودة فى الله (فان أوثق عرى الايمان الحب فى الله، والبغض فى الله) .

ويتابع وصيته : (وعليكم بالاستقامة على الطريقة ، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة ، ولاتفرقوا بينهما فانهما من الاسماء المترادفة) والاستقامة اعلى ما يتطلبه المؤمن فى حياته ، فمن استقام فقد افلح (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال . يا رسول الله : قل لى فى الاسلام قولا لا اسأل عنه أحدا . قال : قل آمنت بالله ثم استقم) . فمن استقام التزم الشريعة بحقيقة ، فاذا خالفت الحقيقة الشريعة رفضها وقدم الشريعة . فالشريعة خبر، والحقيقة شهود الخبر ، والشريعة ايمان والحقيقة احسان ..

الشريعة امر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية .. فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصولة . فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة انباء عن تصريف الحق، فالشريعة ان تعبده ، والحقيقة ان تشهده ، والشريعة قيام بما امر ، والحقيقة شهود لما قضى، وقدر، واخفى واظهر) .

بعد ذلك يتابع ابن سبعين وصيته ليهاجم دعاة التحقق فى زمنه فيقول: (واكفروا بالحقيقة التى فى زمانكم هذا، وقولوا عليها وعلى اهلها لعنة الله فانها حقيقة كما سمى اللديغ سليما ، واهلها يهملون حد الحلال والحرام ويستحقون باشهر الحج والصوم ، والاشهر الحرم، قاتلهم الله انى يؤفكون وقدغلبت عليهم احكام الجهل ، واكثروا من جمع الاعراض للولد والاهل ، وحرموا مزية الرحمة والعفو ، واسخفوا بسيرة ابى جهل وفرعون) .

فهو فى هذه الاسطر يؤكد على التزام جانب الشرع وحدوده، وان الناس قد اغفلوا ذلك وبعدوا عنه ، فهو يرى كما يرى سابقه ابن عربى ــ رحمه الله فى معارج القدس ان الحقيقة اهلها قليل ، وادعياؤها كثير

يقول بعد ذلك :

(واعلموا ان القريب الى منكم من لا يخالف سنة أهل السنة : ويوافق طاعة من له العزة والمنة ، ويؤمن بالحشر والنار والجنة ، ويفضل الرؤية على كل نعمة ، ويعلم بعدها ان المرجو أن يصل لكل رحمة ، ويطلب الذات بعد الادب مع الصفات والافعال ، ويضبط نفسه بالمشاهدة فى القوم ، والروح فى كامل الاحوال ، وكل مخالف بأن منه التخلف والفساد، وان كان من آخوانكم فاهجروه فى الله ، ولا تلتفتوا اليه ، ولا تسلموا له فى شىء ولا تسلموا عليه ، حتى يستغفر الله العظيم بحضور الكل منكم، ويرضى عن نفسه وحاله وعنكم ، ويخرج عن صفاته المذمومة ، ويترك نظام دعوته المحرومة ، وانا اشهد الله أنى قد خرجت عن كل مخالف سخيف العقل واللسان ، ولا نسبة بينى وبينه فى الدنيا ولا فى الاخرة ، فمن زل قدمه يستغفر الله ولا يخدعه قدمه ... واغتبطوا بما انتم عليه ، فما فى العصر ، يصل اليه . والقوى الذنب منكم لا تقبلوا له توبة الا بحلق الراس ولبس الصوف ، والوقوف من المغرب الى العشاء الاخرة والصمت ، ومن يسمع منكم من يتكلم القبيح فى التحقيق ، فازجروه واهجروه : ووبخوه وذموه ، وتغافلوا عنه ، ولا تقبلوا بعد ذلك منه) .

بعد ذلك يختتم ابن سبعين وصيته لاصحابه ببيان مقامه واحواله فيقول: (واعلموا انه لا حاجة لى فى السموات، ولا فى الارض ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولا فى الامل المقدر ولا فى الكون الكون ، ولا فى النظام القديم ولا فى التعلق الصرف ، ولا فى الشأن المشار اليه ولا فى الجسوم المقيدة ، ولا فى الذوات المجردة ، ولا فى الاعراض المعددة ، ولا فى الكمالات الممتدة ، ولا فى الحروف المعتدة ــ الا فى ذات الله ... وفى المعددة ذات من صحبنى من اجله . والسلام على من صلحت نسبته واستقامت سنته ورحمة الله تعالى وبركاته) .

ولابن سبعين مصنفات فى علوم

عصره ، يلغز فيها تارة ويفصح اخرى.. منها كتاب (يد العارف) قيل انه الفه وهو فى الخامسة عشرة من عمره . وكتاب (البدو) وكتاب (ما لابد للعارف فيه) . وكتاب (الاحاطة) ، وكتاب الحروف الوضعية فى الصور الفلكية وشرح كتاب (آدريس عليه السلام) ، والذى وضعه فى علم الحرف) .

(ابن سبعين ونقد الناقدين)

ولا اعسر على الباحث المحقق من ان يجد نفسه امام اقوال متنافرة واضداد متغايرة لا تستند فى توثيقها ولا تجريها على اسس الجرح والتعديل .. فمحب مادح ، ومبغض قادح . فاذا جاز لنا ان تقبل التوثيق مبهما غير مفسر ، فلا يصح بحال أن نعتمد النقل غير موثق والجرح غير مفسر ..

قالوا فى كيفية وفاة ابن سبعين انه فصد يديه وترك الدم يخرج حتى توفى ...

ونحن لا نعتمد هذه الرواية ولا نقبلها فهى بعيدة عن الحس الايمانى بعد الارض عن السماء ، فضلا عن هلهلة النقل وضعفه .

ومما اخذ على ابن سبعين سلاطة لسانه فى نفر من فلاسفة الاسلام ومفكريه . كامام الحرمين (الجوينى عبدالملك وتلميذه حجة الاسلام الغزالى) . فقد نقل ابن العماد الحنبلى فى الشذرات انه ـ اى ابن سبعين قال فى الغزالى:

(ادراكه فى العلوم اضعف من خيط العنكبوت) ا..

ثم يعقب ابن العماد على ذلك بقوله: (فان صحت نسبة ذلك اليه فهو من اعداء الشريعة المطهرة بلا ريب) ... ولا شك فى ان للغزالى مكانته العظيمة فى قلوب علماء الاسلام ، غير ان هذه المكانة لا تمنع وجود مخالف او ناقد (فما منا الا رد ورد عليه) .

وابن سبعين اندلسى مغربى ، وحدة الطبع عن بعض المغاربة امر معروف حتى قيل فى ابن حزم ان لسانه وسيف الحجاج شقيقان ا.

على ان ابن سبعين حينما ذكر ماذكر فى الامام الغزالى ، قد عقب بعد ذلك بقوله : (وينبغى ان يعذر ويشكر لكونه من علماء الاسلام على اعتقاد الجمهور ، ولكونه عظم التصوف ، وحال اليه بالجملة ، ومات عليه) .

الا ترى بعد ذلك ان قول ابن العماد (فان صحت نسبة ذلك اليه فهو من اعداء الشريعة المطهرة بلا ريب) ـ الا ترى ان غيرة وحمية ، بلغت حدتها خارج حدود المعقول والمقبول سيما وانتقاد المتعاصرين او المتقاربين ، امر فطرى ، غريزى ، جرى عليه السلف وتبعهم على ذلك الخلف ، حتى قيل : (لا عبرة لقول المعاصر فى معاصره) ..

فابن سبعين لا يتهم الغزالى فى دينه ولا فى خلقه ، انما يرى قصر باعه فى العلوم العقلية ، ويرى أن الغزالى متاثر بفلسفة اخوان الصفا ، وهذا ما يراه الشيخ مصطفى صبرى فى كتابه (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) .

والحقيقة ان الغزالي ـ رحمه الله ـ تبرأ من كل ما كتب فى علوم الفلسفة بعد ان سلك طريق القوم ، ونهج منهجهم والف كتابه (احياء علوم الدين) .

ومما رمى به عبد الحق بن سبعين ما نسب اليه زورا وبهتانا من قوله انه يعتقد أن النبوة مكتسبة .

ولست أدرى اين عثر المخالف على هذه العبارة فى كلام ابن سبعين ومن نقلها عنه او سمعها منه .

فبالعودة الى مصادر التاريخ التى ترجمت لابن سبعين . نرى ان كل من نقل هذه العبارة عنه ، عزاها الى الامام الذهبى : وكلهم شاكون فى صحة نسبتها

---

(١) ابن شاكر (الوفيات)

الى ابن سبعين ، فصاحب النفح يقول: (ويرمى بأمور الله تعالى أعلم بحقيقتها) ويقول فى موطن آخر (والله تعالى اعلم بحقيقة امره) وقال فى درة الاسلاك ما سبق نقله (ولما توفرت دواعى النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التاويل ، ووجهت لالفاظه المعاريض وقلبت موضوعاته وتعاورته الوحشة) .

وقال ابن شاكر بعد ان ذكر قول ابن سبعين نقلا عن الحافظ الذهبى قال – اى الذهبى – : « أن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الاسلام) .

بعد هذا الشك الذى رايت ، من اين جاءت تلك المقولة ؟. ومن نسبها اليه ؟. اين هى فى كلامه ، من سمعها منه ؟.

كلهم يعزونها الى الذهبى ، والذهبى نفسه شاك فى صحتها لا يعزوها لاحد ولا يرويها عن ثقة .. انما يقول: (واشتهر عنه انه قال) – فمن اين جاءت تلك الشهرة يا ترى ؟.

على السنة العامة ؟ ومن اين للعامة بذلك ؟!.

أمن الحاسدين الناقمين ام من فقهاء بلده الذين جرت بينه وبينهم خطوب لما نال من المكانة الرفيعة والمنزلة العالية ..

وبعدها . ليقل واحد أننى سمعتها منه أو قرأت ذلك له ..

فالحافظ الذهبي وهو من اكبر المنكرين لطائفة الصوفية ، بعد أن ذكر العبارة قال : « ان كان ابن سبعين قال هذا ... » – شك وتردد . فمثل هذا النقل ينبغى الا يعتمد عليه والا يقبل والا نحسن الظن بنقل الاخرين الى حد اتهام وتكفير الاخرين ... كما فعل شكيب ارسلان فى حلله وكما فعل ابن كثير فى البداية فى ترجمة ابن سبعين .

بعد هذا ماذا بقى من تهم وجهت لابن سبعين ؟..

قالوا انه لم يزر النبى صلى اللهعليه وسلم .. وتأول المغرضون حول عدم الزيارة ، ونكتفى هاهنا بجواب لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة ، من ان ابن سبعين عاقه خوفه من امير المدينة عن القدوم اليها ، فعظم عليه بذلك الحمل وقبحت الاحدوثة .

بقى أن نذكر ما ذكره ابن شاكر فى الفوات نقلا عن الشيخ شمس الدين الذهبى أن فقيرا صالحا اخبره ، انه صحب فقراء من السبعينية – وهم اتباع ابن سبعين – وكانوا يهونون له ترك الصلاة وغير ذلك . وقد رأينا نقيض كل ذلك فى وصيته لاصحابه والتى اظهرت منهج ابن سبعين وطريقته وموقفه من المخالفين للشريعة .

بقى بعد ذلك شيء واحد : ذلك ان ابن سبعين من القائلين بوحدة الوجود وهذه حقيقة لا شك فى نسبتها اليه .

وعيرنى الواشون انى احبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

غير ان وحدة الوجود ليست كما يفهمها الكثيرون من أن الله عين كل شيء ، بل هو عين وجود كل شيء ، وليس كل شيء عينا لوجوده .

فهو عين الأشياء جملة لا عين كل شيء ، وما بين القصدين مفاوز تنقطع دونها اعناق الرجال .

وفى الحقيقة ان وحدة الوجود كما قال الشريف الجرجانى (أمر ذوقى لا يدرك بالكلام) .

فهى لا تعنى حلولا ولا اتحادا ولا تشبيهاولا تمثيلا ولا تعطيلا اذا التشبيه بمن ، والتنزيه عمن : وما ثم الا هو ..

لذلك ارى الحديث عن وحدةالوجود، امر لا يصل الانسان اليه بالعلمالمجرد، بل هو حالة وجدانية التعبير عنها من الدقة بمكان بحيث لو وضعت كلمةمكان كلمة ، او حرف مكان حرف لاقتضى الحامل الاتحاد والكفر والتشبيه ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

لذا اقول وانا اعنى ما اقول : سيبقى ابن سبعين تواما لقضية الوجود على الدوام .. ●

الأميرة التي ليس لها اسم في التاريخ

● د . طه وادى ●

هذه ليست قصة كما نظن .. وانما هى « ترجمة » لورقة بردى عثر عليها بالقرب من الاهرام ... لذلك نعتذر عن غرابة الاسلوب ، وضياع بعض السطور منها ، كما أن نهايتها توحى بانه كانت هناك ورقة مكملة لم نعثر عليها ... واذا كان فى اسلوبها بعض غرابة فالسر فى ذلك يرجع الى محاولة أن تكون الترجمة صادقة مع طبيعة النص الاصلى ..



ـ ١ ـ

الموقف الاول : خارج اطار الزمان والمكان ..

● الشخصيات : امرأة تبدو فى عفة مريم ، وجمال نفرتيتى ، وروعة افروديت ، وبعد نظر زرقاء اليمامة .. تلبس ثوبا فيه ألوان الطيف ، وعمرها يصعب تحديده ..

وهناك رجل فى ملابس الرعاة ، جسده عملاق مثل رمسيس ، جمع بين وسامة يوسف ، وحكمة سليمان ، وشجاعة اخيل ، وان لم يتطهر أحيانا من حيرة « هاملت » ...

ـ أى هذا الراعى امينانوس ... قص على ما رأيته من أحداث فى قريتك خلال ذلك الاسبوع الذى لم آرك فيه ؟

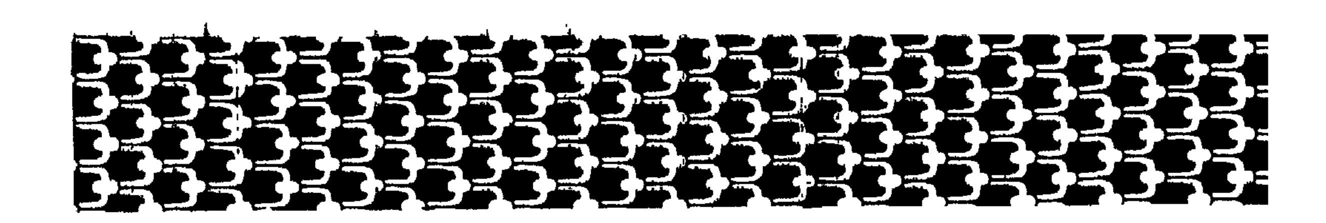
ـ وما فائدة الكلام يا مولاتى ... انت تسألين ، دائما ، عن الكلام ، وأنا أفضل الحديث عن الفعل ... نعم يا مولاتى الفعل حقيقة ، والكلمة طائر ضال !

(عنزة صغيرة تقترب من الراعى ، فيأخذها بحنان وكأنها ذات بشرية)

ـ لم هذه الثنائية ، وهذا الفصل التعسفى يا أيها الراعى امينانوس ... الكلمة بنت الفعل ، فلا فرق بينهما !

ـ ولكن الفعل يتجدد ويتغير دوما ، فهل تقدر الكلمات على أن تعدل الدلالة وتغير الطبيعة بنفس السرعة التى يتغير بها الفعل البشرى ؟!

الاميرة تتأمل الافق البعيد وترنو الى شمس الاصيل ، غطت الوادى بأشعة لا شرقية ولا غربية ... الذهب فى السماء ، النار فى الشمس ، وعلى الارض الانام والاغنام ، وفى الصحراء لا نبات ولا ثمر ، مع انه يوجد الشمس والقمر .. تعطل ارادة البشر أين المفر .. والكلمة سهلة والفعل مات ان هذا لشىء عجاب ! .



(الراعي يقول لنفسه : لماذا أيها الرب جمعت بيني وبين هذه الاميرة الحالمة ... انني حقا لا أزور معبدك الا يوم الموسم ، ولا أقرأ أورادك الا نادرا ، ومع هذا فانا لست ممن يعدون في العصاة الاشرار ، الذين لن تلتقي روحهم بجسدهم بعد الرحيل .. وسوف آخذ الى قبري كثيرا من الحنطة ، ولبن الماعز ، ولحم الضأن، لم اذن كل هذا أيها الالة آمون ... هذه الغزالة الشاردة الناعمة الرفيعة ..

أنه كان يوما ليس يمكن أن ينسى ، طارت عنزتها حين سمعت صوت أغنامي ، وجرت ومعها الوصيفة تريدان أن تعيدا العنزة الشاردة .. هي تلك الاميرة تفتخر على بان بعلها الذي يعمل في قصر الأمير قد اشترى لها هذه العنزة من السودان في احدى رحلاته اليها ، ولكن عنزتي مصرية . حتى العنز اصبح له جنسية ، ولو انه هو ـ أي العنز ـ لا يقول شيئا ، ونحن الذين نتقول عليه ، وهي ـ أي الأميرة تريد مني أن أقول ، وتنسى انه في البدء كان الفعل ...)

ـ ٢ ـ

الراعي بنفسه يجلس الان في كوخه مع زوجته وأطفاله الثلاثة ، الكل يتناولون الطعام : حنطه مع لبن ، وبيض مشوي على النار .

والراعي صامت،والزوجة تتابع اطعام الاطفال،والولد الكبير هادىء مثل أبيه والطفل الصغير شقي جدا لا يأكل ولا يبقى على الطعام ، غالبا يوقع طاجنه الفخاري ، لذلك ترقبه الام في لهفة ... البنت تجلس بجوار الام ، كأنما هي ـ أي البنت ـ تريد أن تتعلم منها مبكرا سر مهنة الامومة ... الام مظلومة ، والبنت مظلومة ، ولكن من الظالم في هذه الحياة ؟ ..

ـ ٣ ـ

(العائلة ـ أي عائلتك يا امينانوس ـ صارت تأكل كثيرا ، ولها احتياجات كثيرة واسعة . ولا أحد يعمل الا انت ... لكن لمن تشكو أي هذا الراعي الفقير امينانوس ؟ .. تعيش في بلد يزرع الحنطة والارز والكتان ، ويربي الماشية والحيوان ، والنيل يستخرج منه الاسماك والحيتان ، ولكن رزقك محدود ، وطريقك مسدود ، واملك في قصر مرصود ! ولكن لابد لكل بدء بد ، والاميرة تريد أن أتكلم ... ما أريده هو الفعل ، الفعل فصل والفعل نصل ، والفصل نصر ! ..

(١) معللتي بالوصل والموت دونه   اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر !

(ابو فراس الحمداني)

(ب) اذا كانت الارزاق تجري على الحجا   هلكن اذن من جهلهن البهائم !

(أبو الطيب المتنبي)

(ج) وتعطلت لغة الكلام وخاطبت   عيني في لغة الهوى عيناك !

(احمد شوقي)

ـ ٤ ـ

الاميرة تمشط شعرها بعد أن أكملت ارتداء ملابسها ... نظرت في المرآة التي جاءتها هدية من مدينة منف ـ وها هي تنظر الان اليها في قريتها سقارة . الاميرة في المرآة صارت طائرا ... خرجت من اطار المرآة ... جمع الزمان في لحظة : الامس والغد ، واليوم ..

كان أبوها أحد الكهنة ، ولدت في قصر ، وتزوجت أحد رجال الحاشية •
ـ حاشية قصر فرعون ••• اعطاها كل شيء • ولكن حياة البلاط جعلت نظرتة الى الحياة فيها استعلاء على البشر ، وشك مريض في الانثى •
ولكن الرب اعطاها روحا طاهرة وعقلا متفتحا ، تريد أن توقع فى كتاب الكون •• تشتاق الى أن تقوم بدور في الحياة ، تريد أن تقرأ اسفار التـــاريخ وكتب الفلسفة ولوحات الفنون • تتمنى أن تشكل قصيدة ••• في قلبها حب شديد للبشر • وفي رأسها عقل مفتوح ••
الحياة ••• الانسان ، يا أى هذا الانسان ، انت ـ وليس الملائكة ـ الذى علمه الرب ••• الاسماء كلها ••• انت الحرية ، انت العلم ، انت العمل •

ـ ٥ ـ

انت الامل ـ ياللقسوة • وانت أيضا النار •• الليل •• الظلم !

(أ) ـ اعطني حريتي اطلق يدى انني اعطيت ما استبقيت شيئا
آه من قيـــــدك ادمى معصمـــى لم أبقيه ، وما ابقي عـــلى ؟
(ابراهيم ناجى)

(ب) ـ « الى الذين يؤرقهم الشوق الى العدل ، والى الذين يؤرقهم الخوف من العدل ، الى الذين يجدون ما لا ينفقون ، والى الذين لا يجدون ما ينفقون ـ الى أولئك وهؤلاء جميعا أسوق هذا الحديث » •
(المعذبون في الارض ـ طه حسين)

« انا ولدك حوريس ، جئت اعيد اليك الحياة ، لم يزل لك قلبك الحقيقى •• قلبك الماضى » •

(كتاب الموتى)

ـ ٦ ـ

ـ اريد يا اميرتى ، واعرف جيدا ما اريد ••
(الاميرة ملاك الرحمة •• قديسة لابسة طارحة ، ملكة عليها التاج •
أم تحمل الوليد ••• اخت تشد حبال الخيمة •• صديقة تعرف معنى الصديق ••• عالمة وعلمي مثل علمها ! •• الاميرة لا هذا ولا ذاك ، تعيش لكى تبنى • وتبنى من أجل أن تعيش • تعيشى يا مصر ، يا أم الكوخ والقصر) •
ـ أيها الراعى الحكيم امينانوس •• أتعرف سر حيرتك ، غربتك ••• لا تحزن
ـ لقد علمك رعى الاغنام الحكمة الخرساء والصمت الميت ••
صرت كأنك شاة في القطيع • أو لست تعرف انني لا أدرى معنى هذا البكاء النبيل الذى يصدره نايك الحزين ؟ •• الصمت موت ، والكلمة صوت ، تكلم تجد نفسك ويأتى فعلك ••
ـ لكنى كلمت نفسى كثيرا •••
ـ الكلمة لا تؤثر الا اذا سمعت •• الفكرة الحبيسة جنين مجهول حتى تولد الكلمة الفاعلة كالطفل الشرعي يعرف أبويه •
ـ فيك شبه من أمى النبيلة ••
ـ لا ، ليس كثيرا •• أمك طيبة ، ولكن ليست طاهرة •
ـ يا لقسوتك !
(كان يريد أن يقول يالا نافيتك وظلمك)

ـ أمك لم تعرف غير أبيك ، ومن يدرى ماذا كان الحال تصبح هي عليه اذا وجدت رجلا أفضل منه ، بل أى رجل والسلام •
ـ ماذا تريدين ؟
ـ اعرف من الرجال اكثر مما تعرف انت من الغنم ، وأعرف عنكم الكثير •• ولكن الخيوط لا تتشابك والخطوط لا تتداخل •
ـ يعنى ماذا ؟
ـ لا احب الشرح •• فاللغة عاجزة والفعل واضح !

ـ ٧ ـ

(أ) ـ يموت الهوى منى اذا ما لقيتها ويحيا اذا فارقتها فيعـــود !
(جميل بن معمر)

(ب) ـ « ان السيف قاطع حقا للالسنة والرءوس ، ولكنه ليس بقـــاطع في المشاكل والمسائل » • (توفيق الحكيم ـ السلطان الحائر)

ـ ٨ ـ

أول ما نبدى اليوم نصلى على النبى نبى عربى سيد ولد عدنان •• وبعد الثناء على طه الرسول ، أنشأ الراوى يقول :

بعد أن طال الحوار بين الراعي والاميرة أدرك انه لابد له أن يفكر ـ بصوت عال ـ في مصيره ••• ان دوام الحال من المحال • وفي الامكان تغيير كل ما كان ••• لقد أدرك أن الفعل أساس الفكر ، وان اليد لا تقدر ان تصفق وحدها ،فبدأ يعيد أغنامه الى أصحابها • ولم يكن له الا خروف وشاة تركهما لاسرته ، ثم مضى يعد للامر عدته •• وقبل أن تشرق عليه شمس عهد جديد ـ قال للاميرة مودعا

ـ رغم ما بيننا من حواجز وسدود ـ احترمها وأجلها ـ الا انني اراك اقرب انسان لى •• لقد عرفت لغتي بلاغتها منك ، واستمدت ارادتى قدرتها بك ••• أيتها السيدة العظيمة ، عاهديني على أن أناقش معك كل ما يجد فى طريقي ، وأن التمس منك الدافع والامل ، فانت الثورة والوطن ، وانت الحمي والسكن ••
(نظرت اليه فى كبرياء الواثق وجراة النبيل وحياء الكريم)
ـ بشرط أن تعود ظافرا ••• أو لا تعد !

ـ ٩ ـ

(أ) ـ اذا فهمت جملة فان هذا يعنى
انك قد فهمت لغة !
واذا فهمت لغة فذلك يعنى :
انك قد أصبحت خبيرا فى التكنيك •• (وين ستاين)

(ب) ـ آنا ان قدر الاله مماتى لا ترى الشرق يرفع الراس بعدى
(حافظ ابراهيم)

(ج) ـ منين اجيب ناس لمعناة الكلام يتلوه !
(موال شعبي أدهم الشرقاوى)

ـ ١٠ ـ

ولبست الاميرة احلى ثيابها ••
وكان ان طلعت الشمس فى موعدها !

الكلمات

جان بول سارتر

● ترجمة د : سليم الأسيوطى ●

كان جان بول سارتر ١٩٠٥ – ١٩٨٠ – المعروف بأبى الوجودية – فيلسوفا وكاتبا روائيا ومؤلفا مسرحيا وناقدا .. كتب العديد الكثير من كل هذه ، ولعل أبرز وأحدث كتاباته هو سيرته الذاتية التى ظل يخطط لها لسنوات كثيرة ..

وقد مرت به سنوات كثيرة ولم يتقدم فى كتابتها الى ما بعد الكتاب الأول فى هذه السيرة والقصيرة جدا « الكلمات » الذى يصور طفولته وصلته بالثقافة وعلاقته باللغة ، ربما كان هذا الكتاب أجمل مؤلفاته وأكملها من الناحية الفنية والأدبية واللغوية – ونورد هنا مقتطفات من « الكلمات » ..

« **ان كل ما يحرزه الكاتب من الرفعة والقاب الشرف يعرض قراءة للضغوط التى اعتقد أنها ليست رغبة أحد .. ، فالأمر ليس سيان اذا ما وقعت كتابات جان بول سارتر – فقط – او جان بول سارتر الحائز على جائزة نوبل » ! (١)**

« لقد أعددت نفسى من سن مبكرة على أن أرى فى مهنة التعليم عمل الراهب والى الأدب بوصفه حبا وهياما .. كانت الكتب لدى طيورى وأعشاشها ، وحيواناتى المدللة حظيرة ماشيتى ، وقريتى .. وكانت مكتبتى صورة العالم فى المرآة .. »

***

« لست متشائما ، كما قيل عنى . انى شخص يجد فى أن يجعل الناس .. **أكثر وضوحا ، يواجهون بعضهم بعضا – وهذا ما يجعلهم يكرهوننى .. انى اخيف الناس ، لقد كانوا دائما يخشون التفكير .. كتب « ستندال » فى عصره يقول :**

« **ان الناس يعادون كل تفكير سليم » – وما زال هذا يصدق علينا الى حد بعيد جدا .**

« انى لا أرى سببا يدعو لأن تستمر الاسرة على هذا الوضع .. أن الآباء فى المستقبل سوف لا يهيمنون ولن تكون النساء محرومات من المساواة كالمعهود بهن حتى الآن .. فالمهم ألا تضار العلاقة بين الآباء والأبناء »

---

(١) فى عام ١٩٦٤ ، والفيلسوف فى التاسعة والخمسين من عمره ، رفض قبول جائزة نوبل فى الأدب



جان بول سارتر

« لا يوجد اب صالح ، هذه هي القاعدة ، فلا تنزلوا باللائمة على الرجال، ولكن رباط الاسرة الذى انفرط .. ان انجاب الأطفال أفضل ما في الوجود ، ولكن « امتلاكهم » ظلم وجور »

« لقد كنت فى عينى أمى طفلا فى الشهر العاشر من عمرى .. «أنضجتنى» الحياة أكثر من غيرى ، وطلتنى بمادة زجاجية أكثر منهم ، فأصبحت هشا أكثر منهم بسبب بقائى « فى الفرن » فترة أطول ! »

« لقد رايت فارقا عظيما بين سيمون دو بوفوار وجيل حينما كنا طلابا ومن هم فى سن العشرين اليوم ، لقد كنا ضعاف العقول ، ينقصنا الوعى ، مترددين لا نحسم أمرا ، أما اليوم فهم أكثر تسلحا للحياة ، عما كنا ، الى حد بعيد .

انهم اكثر تفتحا ، ويعرفون اشياء كثيرة كنا نجهلها . »

« انى أمتدح ارادة الترحيب بالاشياء كلها ... ان عنف المصادفة وترتيب الاسباب التى تتهددنا فجأة ، تفقد قناعها فاذا ما كان الأنسان يميل الى المفاجآت فقد وجب عليه أن يميل أيضا الى الومضات النادرة التى تكشف للطيبين ان الارض لم تخلق لهم . »

« لم يحدث قط فى حياتى ان اصدرت أمرا الا وضحكت من نفسى وأضحكت الآخرين منى .. وما ذلك الا لأن آفة السلطة لم تهزمنى بعد انى لم اتعلم الطاعة ولم اعتدها .. »

« ان ديجول طويل جدا ، وأنا قصير جدا .. ونحن لا نتساوى طولا ، ولا فى غير الطول مهما كنا نتشابه . »

« انى لا أهتم بما اذا كان أبناء وطنى سينسوننى غداة يواروننى تحت اطباق الثرى .. فما داموا على قيد الحياة ، فانى سوف أخامرهم كالشبح ، مجردا من الأسم والادراك .. سوف أمثل فى كل واحد منهم ،تماما كما يمثل البلايين من الموتى المجهولين منى الذين يشلون منى وأحول دونهم والفناء ..

جحـود..

كأنَّكَ بالأمس ، لا ••• لَم تَحبِّى
ولم تذكرى أنَّ عَيْنيك •• حَسبى !
ولَمْ ترفلى فى نعيـــم مُقيـــم
خلال ضلوعى •• وفى ركن قلبى !
ولمْ تَقصدينى •• ولَم تسبعينى
ولم تقرأى فى الهوى ، كلَّ كتبى !
ولم تَخضَعى أن أشَـــار بَنـانى
إليكِ ••• ولم تهرَعى كىْ تلبِّى !
كأنَّك تنسَــين يومَ التقَينــــا
متَى •• ولماذا •• وكيفَ •• وأينَ ؟!
ويوم التقينــا معـــــا فى عِنـاق
يُذيب الصَّـــبابة فى مُهْجتَينـا
فكمْ مَجلس ضَمَّنــــا واحتوانا
سكُون •• وأسدَلَ ليـل علَينـا !
فلسْـــنا نَغيــب ولسْنا نفيـقُ
فأرواحُنا فى الهوى بينَ ••• بين !
غدا •• حيث قد لا يُفيـــدُ النـدمْ
وحيثُ ظـــلام الشـــتاء يعـُــم
••• ولا أىَّ عطـــف ولا أىَّ كفٍّ
ولا ســاعد يحتَوى أو يَضـــم
ستَبحَث عَيْناك عنّى كثـــيرا
وتسفَح فَيْضَ دمـــوع ودم !
وهَيهات أن تَرجعى ••• أو أعودَ
وإن كان حبّكِ ••• للآن ــ لَم !!

• عبد الجواد طايل •
من ديوانه الجديد ((ولــكنى أحبك))



المرأة .. فى أدبهم

المراة هى روح الاديب شاعرا كان أم ناثرا ..

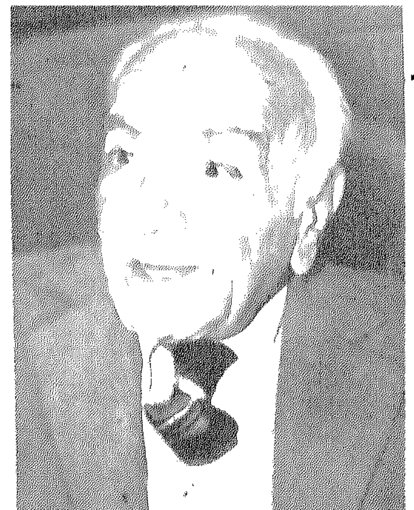
أيا كان موقفه من ألحياة واسلوبه فى التعبير الفنى فان المراة محرك أساسى لذهنه وقلمــــه . حتى اولئك الذين تخطوا سن الاستجابة لدواعى الحب والغزل تظل المراة الملهمة الكبرى لهم فى كل ما يلهمون .

فى بلاد الغرب يكشف الشعراء والكتاب عن موقفهم من المراة وعلاقاتهم بها ، اما عندنا فلا زال هذا الطراز من الحياء المفتعل والاتجاه الى استرضاء عامة الناس والارتباط الشديد بالتقـاليد كل هذا تسدل ســــترا من الضباب على تلك الناحية من فكر ادبائنا ..

وهذه الصفحات محاولة للرؤية من خلال الضباب من خـلال فرجة صغيرة بين السطور ..

● اعداد : موريس عزيز ●





المرأة .. فى أدبهم

ليست ملاكا ولا شيطانا ولا أفعى .. ولكن ..

● محمد زكى عبد القادر ●

ان رايى فى المراة هو رايى فى الانسان عموما ... ولا فرق فى الحقيقة بين المراة والرجل . وانما ظهر الفرق لبعض من لا ياخذون الامور بعمق واعتقدوا وقرروا بأن المراة غير الرجل وان لها خصائص وصفات حسنة او سيئة مخالفة لصفات الرجل سواء ان كانت حسنة او سيئة .

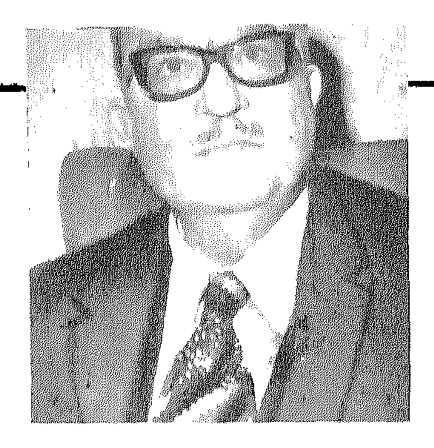
والسبب فى وجود هذا الفرق الظاهرى بين المراة والرجل يرجع الى الظروف والقيود التى عاشت فيها المراة فى الأجيال الماضية حيث كان الرجل هو صاحب السلطان وصاحب التشريع والمسيطر على المجتمع بصفة عامة ، فكان صوته الاقوى ورايه الانفذ والاصح .

واما القول حول وصف المراة بأنها لغز أو ملاك او شيطان اوافعى الخ .. هو محصلة الوضع الذى عاشت فيه المراة واشرت اليه فيما سبق ؛ فهى ليست لغزا على الاطلاق ولا ملاكا على الاطلاق ولا شيطانا على الاطلاق ولا افعى ، انها فى عبارة موجزة انسان مثل الرجل تماما لها عيوبه وفضائله ولها عيوبها وفضائلها مع فرق بسيط نتيجة اختلاف الجنس .

وقد صورت المراة فى ادبى كما ذكرت ولم اشعر ايضا بانها ملاك او انها شيطان ، فيها الملاك فى بعض الحالات وفيها الشيطان فى بعض الحالات الاخرى .

وربما اختلفت عن الرجل فى بعض التفاصيل ولكنها تتفق معه فى الخطوط العامة مع ملاحظة اختلاف الجنس بطبيعتها .

ويوم ان تمارس المراة حقوقها وواجباتها كما يمارسها الرجل ويوم ينظر المجتمع اليها كما ينظر الى الرجل يعطيها من الحقوق ما يعطى الرجل ويضع عليها من الواجبات ما يضع على الرجل — تنتفى الفكرة الشائعة الان من حيث تقسيم المجتمع الى امراة ورجل . وبطبيعة الحال ، وهذا رايى ، لا اعتقد ان لى مواقف معينة مع المراة تختلف عن المواقف المشابهة وفى الظروف المشابهة مع الرجل . ●●



هى النصف الذى لانصف غيره

• ثروت اباظة •

المرأة لاينبغى ان تنفصل فى السؤال عن الانسان .. فالمرأة هى النصف الاخر من الحياة ، وبغيرها لا حياة . فهذه التفرقة التى اجدها تزداد اتساعا كل يوم بين المرأة والرجل، شىء مضحك لانه لا وجود لرجل بغير امرأة ولا وجود لامرأة بغير رجل ... والسؤال عن النصف تقصير ، فالمرأة هى النصف الذى لا نصف غيره للرجل ...

ثم ان المرأة تمثل فى حياتنا الام والزوجة والابنة والاخت والخالة والعمة والحبيبة الامل .

والمرأة تمثل فى تصورى اللطف الذى ارفقه الله تعالى بكارثة نزول آدم من الجنة ، فهى بطبيعة تكوينها لا بطبيعة وجودها هى النسمة التى صحبت آدم من الجنة لتجعل الحياة بالنسبة له مطاقة ومحتملة .

تلك هى المرأة فى حنانها وفى حبها وفى عطفها فى الغائها للتفكير لتجعل المشاعر نسمة الصيف ودفء الشتاء ، ولكن الله سبحانه وتعالى كما جعل منها هذه النسمة وهذا الدفء جعل منها الريح والنار .

وهناك امرأة تحرق وهناك امرأة تقتلع الجذور حتى يصبح الرجل بلا جذور ؟ والحقيقة انه عندما اكتب لا أضع اطارا لما اكتبه عن المرأة ..

انما الشخصية هى التى تحدد معالم نفسها داخل الرواية ويبقى على النقاد ان يصنفوا ما يكتبه الكاتب ، وهم وحدهم يستطيعون ان يتحدثوا عن المرأة فى ادبه .

وخاصة ان كتبى الآن اصبحت من الكثرة بحيث لا استطيع ان احكم عليها حكما مطلقا .

وقد يحدثك عنها الدكتور احمد يونس وهو معنا الان فيقول الدكتور أحمد . ان المرأة فى رواية « شىء من الخوف » كانت رمزا للمقاومة والارادة والنزوع الى فرض الحياة على الموت ..

ويستطرد الاستاذ ثروت مكملا حديثه :

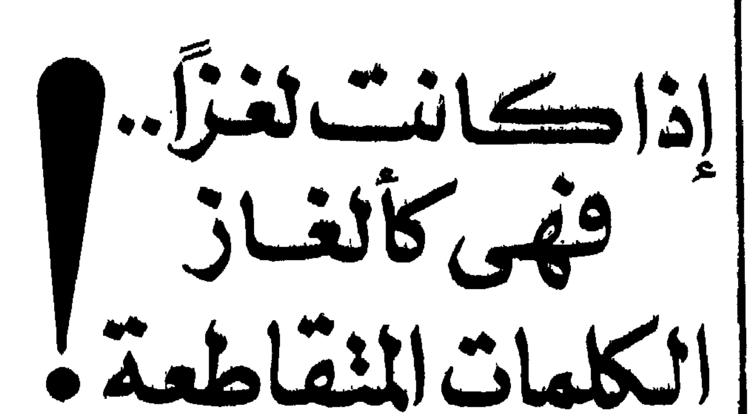
ان المرأة فى احدى رواياتى تمثل الدمار وفى رواية اخرى .. وهى هارب من الايام ـ تمثل الثقة ... وهكذا فى كل رواية لها مواقف تتشكل مع الاحداث ، اما عن مواقفى مع المرأة ، فلا يمكن ان يكون لى موقف مع المرأة ككل . فانا احب امى واكبرها وكان زواجنا بناء على حب ، واحب ابنتى واكبرها وارجو ان تسمو بمكانة امها وجدتها ..

ولكنى اكره المرأة المسيطرة واكره المرأة المتفلسفة ، واحس انها نوع من الانسان لا هو من الرجال ولا النساء ، وكانها تكون جنسا ثالثا .

والمرأة المتفلسفة فى اغلب آرائها ليست على قدر من العلم الكبير ، فالسيدة المثقفة تعرف كيف تكون امرأة ومثقفة ، اما السيدة التى تكتفى بالقشور لاتستطيع ان تظهر الا القشور والقشور وما اعتمه بالفلسفة او التفلسف اى التظاهر بالعلم .

وهن فى هذه الحالة عالمات بكل شىء ولا يقتصر علمهن على جانب من الحياة اكره الى ما يكون . واكره المرأة الانانية والجشعة واكره ايضا الرجال من يماثل هؤلاء النسوة ●●





إذا كانت لغزاً.. فهى كألغاز الكلمات المتقاطعة!

● يوسف جوهر ●

النساء لسن معلبات موضوعة على رفوف بقال تفتح علبة فتجد ملاكا واخرى فتجد شيطانا .. واحسب ان المراة فى تركيب طبعها تجمع خصال الملاك والشيطان ، وكل ما هنالك ان النسبة هى التى تختلف بين واحدة وواحدة ، وان هناك امراة معظمها ملاك ، واخرى اغلبها شيطان ، واخرى بين بين ، مثلها فى ذلك مثل الرجل سواء بسواء .. لم أصادف فى حياتى نساء أسوأ من الرجال او رجالا اسوأ من النساء وكلنا بشر صاغنا خالقنا من نور ووهج ومن تراب وطين ...

ولا احسب ان المراة لغز الا بقدر ما فى الغاز الكلمات المتقاطعة من صعوبة وتعقيد ، يتصدى لها الخبير فيصل الى الحل فى خمس دقائق ، والغشيم فيصل اليه فى سنة أ .. و « الخيبة » يقف مبهوتا امام اللغز ، ويعود من حيث بدأ ولا يصل الى نتيجة .

وليس بالضرورة أن وراء كل عظيم امراة .. فكم من عظماء مشوا وحدهم فى طريق المجد ... وليس كل فاشل مستطيعا ان يمسح فشله فى امراة ... والناس يتناولون هذا المثل الان بطريقة تجرى مجرى النكتة ، وقد يسالونك : « والمراة العظيمة هل وراءها رجل ؟! »

وقد يسرفون فى السخرية ويقولون لك ، مثلا ، ان وراء كل مرتش عظيم امراة تنتظره فى ملهى او محل أزياء . ووراء كل سفاح سياسى أو اقتصادى امراة .

ثم ما هو مقياس العظمة وتعريفها ومواصفاتها فى زمن تنقلب فيه المقاييس رأسا على عقب ... افهم ان يقال ان وراء كل رجل سعيد امراة تملأ حياته بالتفاؤل والاقدام ، ووراء كل رجل تعس امراة تقلب حياته جحيما ... وان تكوين أسرة سعيدة عمل عظيم ، وان الوطن العظيم هو الذى يضم أكبر مجموعة من الاسر السعيدة .

وقد صورت المراة فى ادبى .

كما اسلفت القول بأن المراة ليست ملاكا صرفا ولا شيطانا صرفا .. وهى بنت بيئتها ونشاتها وظروفها ومجتمعها وليست لى مواقف ضد المراة .. فى وسعى ان كانت سيئة أن ارحمها والتمس لها الاعذار والظروف المخففة

ولكن لى موقفا معها فان المراة أمى .. ومن هنا يحلو لى الابتهال والركوع فى محرابها المقدس ، وعندما اكتب قصة عن الامومة احس انى أعزف على اعذب وتر فى نفسى .

●●



المرأة فى رأيي وفى أدبى
جميلة فى كل حالاتها

● حسين القبانى ●

المراة فى رايى وفى راى كل رجل ايضا، كما اعتقد ــ هى الحياة بكل ما فيها من مباهج ومتاعب بالنسبة للرجل ... ولا اتصور ان تكون هناك حياة بغير المراة .

وقد اكون جريئا اكثر من غيرى حين اصرح بان المراة ومحاولة ارضائها واغرائها هى وراء كل مجهود يبذله الرجل لكى يصل الى الثروة او الشهرة او المركز الرفيع ... تلك هى الحقيقة فى رايى ولو حاول الكثيرون ان ينكروها.

انا لا اتفق مع القائلين بان المراة لغز او ملاك او شيطان او افعى الى آخر الصفات التى يحاول بعض الفلاسفة والكتاب بان يصفوا بها المراة ...

لان المراة هى الجزء المتمم للرجل ، ولا اعتقد ان هناك رجلا يقبل ان يكون لغزا أو ملاكا أو شيطانا أو ثعبانا .

انما المراة هى فى الواقع مخلوق آدمى كرمه الله اكثر مما كرم الرجل : فهى الوعاء الذى يحفظ الجنس البشرى ، وهى الام التى تربى وتضحى ، وهى الاخت التى تحنو وتعطف ، وهى الزوجة التى تقف بجانب زوجها فى مواجهة الحياة بكل جوانبها ، وهى الابنة التى تسعد كل اب أكثر مما يسعد الابن .

ومن هذا يتبين ان المراة ليست لغزا كما يتصورها بعض الكتاب انما هى انسانة رقيقة وهادئة ومسالمة ومتعاونة اذا وجدت الرجل الذى يفهمها ويقدرها ويحترمها .

والمراة هى السبب الاساسى فيما وصل اليه كل انسان حتى ولو ابى ان يعترف بهذه الحقيقة ، وليس من الضرورى ان تكون هذه المراة زوجة قد تكون صديقة او حبيبة او زميلة او المراة بوجه عام . وليس من الضرورى ايضا ان تكون متعاونة مع الرجل حتى يصل الى المركز الرفيع ..

فقد وصل نابليون الى مجده المبكر بسبب رغبته القوية فى أن يثبت عظمته امام جوزفين التى كانت تستخف به وتبحث عن غيره ليحيط بها ، وأراد أن يثبت لها انه اعظم الرجال ..

وحتى سقراط المعروف تاريخيا انه كان يعانى الكثير من سوء أخلاق زوجته ، فقد اراد ان يثبت لها بطريق غير مباشر انه ليس الرجل البشع الكريه الذى تراه امامها انما هو رجل عظيم رغم كل ما تظن فيه .

واننى لم احاول فى ادبى الا ان اضع المراة فى مكانة خاصة او مميزة ، كما كنت اتناولها دائما كشريكة للحياة سواء ان كانت زوجة او صديقة او ملهمة ، ولا اذكر اننى كتبت قصة او موضوع لم يكن فيه المراة السند الاساسى لانها فى الواقع تملأ حياتى وتفكيرى وتشعرنى دائما بان الحياة بدونها لا تستحق ان يحياها الرجل .

وكل مواقفى فى كتاباتى كانت مع المراة حتى فى المواقف التى هاجمت فيها طائفة منهن فى كتاب ((من ليالى قصر العينى))

اما فيما عدا هذا فان مواقفى مع المراة دائما هو موقف الكاتب الذى يحب المراة فى كل صورها وفى كل حالاتها والذى يراها دائما جميلة ان لم تكن شكلا فهى جميلة موضوعا .. ●●

المرأة..

فى القصة المصرية

● د. سيد حامد النساج ●

كيف صورت المراة فى ادبك ؟

لست مبدعا ، ولكنى ناقد ودارس وباحث . ولما كنت حريصا فى دراساتى على ان اكشف – دائما – عن صورة المجتمع فيما يبدعه المبدعون من الكتاب فانى – بالتالى – اهتم بمعرفة صورة المراة ، ودورها ، ووجودها ، وتاثيرها فى العمل الفنى وفى المجتمع على السواء .

اما كيف صورت المراة فى القصة المصرية ، فمن المهم التاكيد على ان اختفاء المراة من الحياة المصرية فى اوائل القرن ، ادى الى عدم ظهورها فى القصة المصرية بشكل واقعى . على عكس ماكان عليه وضعها فى انجلترا – مثلا – حيث ادى ظهورها : عاملة وقارئة ، الى ازدهار فن القصة والرواية

وفى البداية ، صورت المراة فى شكل خيالى رومانسى خالص ، عندما لم يكن لها وجود حقيقى ومؤثر اى عندما كانت قعيدة بيتها ، وسجينة فكر جدتها ، ورهينة عادات وتقاليد تشل حركتها

ولما خرجت الى الحياة العامة ، وشاركت الرجل : التعليم ، والثقافة ، والعمل ، والشارع والحافلة والمشكلات اليومية ، والقضايا الاجتماعية والانسانية ، تباينت صورتها لدى الكتاب ، وتنوعت النظرة اليها واختلفت أساليب التعبير عنها .

ومع ذلك فان القصة المصرية ، طويلة وقصيرة ، لم تترك حالة من حالات المراة النفسية ، او وضعا من اوضاعها الاجتماعية ، او موقفا من موقفها الانسانية ، او غريزة من غرائزها ، الا وصورتها ، ووقفت عندها . اذ اصبحت جزءا من اجزاء المجتمع ، وغدت – بالتالى – شخصية من الشخصيات التى تحفل بها القصة .



نراها عند عيسى عبيد وشحاتة عبيد ، شخصية متقدمة ناضجة تشترك فى الثورة وتتمرد على الاوضاع المتخلفة وينظر اليها كل من احمد خيرى سعيد ومحمود طاهر لاشين ويحيى حقى نظرة اكثر واقعية . ويصورون المراة المكافحة التى تنهشها ظروف قاسية ، اعظمها اقتصادى .. ويحاول محمود تيمور ان يعطف عليها ـ عطفه على الانسان بشكل عام ـ فيقدمها فى صور شتى : سوية ، محبوبة ، عاشقة متفانية ، مضحية ، متطلعة .

وينحاز محمد عبد الحليم عبدالله الى مرحلة معينة من عمر المراة الام ، ويختار مواقفها التى تشرفها وهى أم تسعى من أجل ابنائها ، وتتحمل العذاب فى سبيلهم ، وتتصدى لعوامل مدمرة عنيفة . والمراة التى تنتمى الى البيئات الشعبية ، بكل ماتتسم به من دلال وخفة وحركات ، ورغبات صريحة تجد ظلها فى قصص امين يوسف غراب .

اما ابراهيم المصرى ، فانه يركز على المراة « البورجوازية » فى خريف عمرها ، حين تشعر بانهيار قوتها وتملك غريزتها لها وتحكمها فيها ، لدرجة محطمة . وكانه يرى ان ذلك جزء من انهيار هذه الطبقة .

ولا تختفى المراة فى قصة من قصص محمود البدوى . صعيدية . فلاحة . اوروبية . مدنية . فى الاربعين من عمرها . تختلف زاوية النظر اليها من قصة الى قصة . وتتباين طريقة المعالجة وفقا لذلك . مما يدعونا الى دراسة «المراة» فى قصصه التى ظلت قائمة فيها منذ نصف قرن

وتسقط المراة عند يوسف ادريس نتيجة لسقوط المجتمع نفسه . وتتردى فيما خلقه لها المجتمع ، ووصفها به عندما اوقعها فيه . نتيجة تناقضاته وشراسته ، فى ((الحرام)) و ((العيب)) و ((النداهة)) وغيرها .

وتبدو مواقف المراة اشبه بماينتخذه الرجال فى القرية عند عبد الرحمن الشرقاوى . وهى عند ثروت اباظة محتفظة بكثير من القيم الاخلاقية . أما نجيب محفوظ فانه كشف عن داخل المراة ، وانعكاس هذا على سلوكها الخارجى ، وارتباط الاثنين معا بالطبقة التى تنتمى اليها المراة وهى الطبقة المتوسطة الصغيرة ساكنة الاحياء الوطنية من المدينة .

والسؤال الان

هل لك موقف معين من المراة ؟

والجواب انى مع المراة عندما تكون صادقة واعية متقدمة فى فكرها ايجابية نقية فى سلوكها . غير مستاسدة ولا كاذبة . غير وصولية . متفانية . امينة عادلة فى حكمها على نفسها وعلى الاخرين وانا ضد المراة عندما لا تكون كذلك

المكتبات فى العصر الإسلامى

● محمد قنديل البقلى ●

● الغرام بجمع الكتب قديم ، منذ ان تهيأت الحياة العربية للحضارة ، ومنذ ان كان اخذ واعطاء فى التعليم .. وعلى الرغم من ان الطباعة لم تكن عرفت فى ذلك العهد البعيد الا ان النسخ اغنى عن ذلك شيئا فكان طالب العلم والراغب فى كتاب بذاته يتولى نسخه بيده ، او يحيل ذلك الى ناسخ من النساخ الذين انتشروا فى ذلك العهد انتشارا واسعا ...

وهذه المخطوطات الكثيرة التى جمعت لنا ذلك التراث الحافل فى العلوم والآداب والفنون ، ان هى الا ثمرة من ثمرات هذه العهود التى لم تكن تعرف الطباعة وانما كان اعتمادها كله على ما تنتجه الأيدى الناسخة ، ولقد استمر النسخ الى ما بعد ان عرفت الطباعة ولكنه كان شيئا قليلا الى جانب حصيلتنا من الطباعة .

والمكتبات التى شغف بجمعها العلماء والدارسون فى القديم كانت لا شك كلها أو كل كتبها على الأصح خطية، منها ما كان يكتب بيدى صاحب المكتبة ، هذا اذا كان ممن يجودون الخط اوكان ذا يسار محدود ، ولكن الكثرة من تلك الكتب التى كانت تضمها المكتبات الخاصة أو مكتبات المساجد اوالمكتبات العامة فيما بعد ، كانت كثرتها أو جلها من المخطوطات .

ولقد شهدت العصور الأولى مكتبات عامة كانت تفرد لها امكنة خاصة او تضم الى المساجد يستفيد منها المختلفون الى تلك المساجد ، هذا الى مكتبات كانت تضم الى المدارس مثل ما كان فى المدرسة النظامية فى بغداد .

وكانت هذه المكتبات خاصها وعامها تكاد تكون مباحة لجميع المختلفين اليها يفيدون منها مستعيرين تارة او جاعلين من أوقاتهم ساعات يجلسون فيها فى تلك المكتبات يطالعون ويقرأون .

هذا ماعهدته الحياة العربية منذ ان كان لها علم وفن وادب وكان لها فى هذا كله تاليف ، وامتدت العصور ولم تتخلف الحياة العربية عن هذا شيئا ، ونكاد نشهده فى العصر الأيوبى على نطاق أوسع ومدى أبعد ، فلم تكن المدرسة تعليما ومكتبة ولا المسجد درسا ومكتبة، المصدرين الوحيدين للثقافة والعلم فى ذلك العصر الأيوبى ، بل شاركتهما فى ذلك المكتبة العامة والخاصة تفتح المكتبة العامة ابوابها للراغبين والمفيدين سواء فى ذلك من كان على صلة بصاحب المكتبة او كان طالب علم فحسب .

وتحدثنا كتب التاريخ عن اصحاب للمكتبات الخاصة كانوا اسخى مايكونون على الوافدين الى مكتباتهم يخصونهم برعايتهم وعنايتهم ، وكثيرا ما كانوا يعيرونهم مايطلبون وان كانت المغبة غير مامونة فى كثير من الاحيان ..

ولقد شهد العصر الأيوبى عناية فائقة باقتناء الكتب وحفظها ، وكانت ثمة دور للكتب فى قصور الخلفاء والسلاطين والأمراء ثم الاعيان يتنافس بعضهم بعضا فى جمع الكتب ولاسيما ما كان منها نادرا أو نفيسا ، واشتهر من تلك المكتبات فى مصر مكتبة القصر الفاطمى ، وكم تحدث عنها المؤرخون ولهجت بها السنة العلماء وسار ذكرها شرقا وغربا .

يقول ابو شامة فى كتابه الروضتين «٢٦٨/١» عن هذه المكتبة ـ اى مكتبة القصر الفاطمى ـ : «وكانت من عجائب الدنيا ، لانه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من الدار التى بالقاهرة فى القصر » ـ اى القصر الفاطمى .

ويقول ابو شامة ايضا عن تلك المكتبة: «ومن عجائبها انه كان بها ١٢٢٠ نسخة من تاريخ الطبرى »

فانظر الى اى مدى كان حرص الأيوبيين على ان يمكنوا الناس من القراءة وييسروا لهم النسخ الكثيرة من الكتاب الواحد ، واننا لو قارنا بين ما نحن عليه اليوم وما كان عليه العصر الأيوبى قديما لوجدنا الفرق بين جهدنا وجهدهم عظيما ، فلقد كانوا حقا اعرف منا بحاجة القراء .

ثم يقول ابو شامة ايضا عن المكتبة : « انها كانت تحتوى على الف ألف كتاب » ـ وهذا كثير اذا قيس بما عليه مكتباتنا اليوم

ثم يقول: «وكان فيها من المخطوطات المنسوبة ـ اى المعزوة الى اصحابها ـ شيء كثير »

ويقول العماد الاصفهانى عن هذه المكتبة ايضا : « ان بها من الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة الف مجلد ، وكانت فى مختلف العلوم والفنون ، فى الأدب والشرع والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية والهندسية والتواريخ والتفسير » .

ويزيدنا العماد الأصفهانى عن هذه المكتبة فيقول : « انها كانت تحوى من الكتب الكبار وتواريخ الأمصار ومصنفات الاخبار مما يشتمل كل كتاب على خمسين او ستين جزءا مجلدا » .

ويحدثنا العماد ايضا عن نظام هذه المكتبة فيقول : « وكانت الكتب داخلها محفوظة فى خزائن مقسمة » .

ويزيد العماد : « وكانت الخزائن فى القصر مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالمعروف »

ومما يؤسف له ان هذه المكتبة العظيمة انتهى بها الأمر الى أن بيعت بالمزاد فصار بعضها الى القاضى الفاضل، وصار بعضها الآخر الى العماد الإصفهانى ، وكان القاضى الفاضل كما كان العماد ممن يعنون بجمع الكتب وحفظها عناية كبيرة وكانت لكل منهما مكتبته الخاصة التى كانت مضرب المثل.

وكما كانت الحال فى القاهرة من العناية بالمكتبات عامة وخاصة كانت العناية فى غيرها بالحواضر الاسلامية الاخرى ، فلقد كان فى بغداد دار للكتب ملحقة بالمدرسة النظامية وقد تعاقب على تولى امرها جماعة من العلماء

الأجلاء والادباء الفضلاء منهم ابو يوسف الاسفرائيلي وكان اديبا شاعرا وكانت وفاته سنة ٤٩٨ هـ ، ثم محمد بن احمد الابيوردي الشاعر الأديب .

ولقد كانت ببغداد دار كتب اخرى في ذلك العصر ـ اعنى العصر الايوبي ـ تعرف برباط المامونية .

وكان بآمد دار كتب عظيمة تحوي نحو الف الف واربعين الف كتاب ، ويقال ان القاضي الفاضل استولى على نفائس هذه المكتبة بعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي على آمد ، ويقال ان الذي حصل عليه منها كان حمل سبعين بعيرا

وكذلك كانت باصبهان دار كتب كبيرة في ذلك العصر الأيوبي ، وكانت بجوار جامعها ، ويقال ان تاج الملك هو الذي بناها .

ومما يروى عن حب العلماء في ذلك العصر للكتب وكثرة جمعهم اياها ان مكتبة القاضي الفاضل ، الذى عرفت عن غرامه بالكتب ما قدمت لك قبل ، كانت تضم مائة الف كتاب « مرآة الزمان : ٨ / ٤٧٣ » كما كان القاضي القفطي يجمع من الكتب ما لا يوصف ، ويقال انه كان يرحل هنا وهناك طلبا لكتاب يسمع عنه وكان لا يحب من دنياه سوى جمع الكتب ، ولقد قدرت مكتبته بخمسين الف دينار

ويروى ابن شاكر الكتبي في كتابه فوات الوفيات « ٢ : ١٩٢ » حكايات غريبة عن غرام القفطي بالكتب وكذا يروى ياقوت الحموي عنه في كتابه «ارشاد الأريب» (٥ : ١٢١) مثل هذا الحديث فيقول : « وكان ـ اي القفطي ـ جماعا للكتب حريصا عليها ، ولم أر مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها اشد اهتماما منه بها ولا اكثر حرصا منه على اقتنائها وحصل منها ما لم يحصل لأحد »

ويروى عن حب المسلمين للكتب أن حمدون الكاتب عندما تقاعد به الدهر وبطل عن العمل اخرج كتبه ليبيعها وعيناه تذرفان الدمع كالمفارق لعزيز عليه من اهله .

هكذا كان شان السلف من حب للكتب وتفان في جمعها ، وهكذا كانت الدولة تعنى بالكتب هذه العناية الفائقة وتيسر للقراء من الكتاب الواحد نسخا كثيرة ، ولقد كانت للكتب مع تلك العهود وفي الحواضر الكبرى اسواق تباع فيها الكتب وتشترى ويتنافس فيها المتنافسون ، ويقال ان قرطبة تقدمت على حواضر الاسلام كلها في تجارة الكتب ، وكان اعيانها يتنافسون في شراء الكتب الثمينة ويرخصون في سبيلها كل غال .

هذه الحال هي التي هيات المسلمين الى ان يكونوا على دراية واسعة وعلى ان يكونوا اصحاب تلك التواليف الكثيرة ننعم بالافادة منها اليوم ونعيش على ما فيها .

علمينى



• فريد قرنى •

علّمينى كيفَ لا أشكو إذا حطمْتُ كأسى
كيف أقتاتُ بأوهامى إذا عزَّ التأسّى
وأريق الآهَ والواهَ على مذْبح يأسى
وأذيبُ الدّمعَ فى لحن أعزّي فيه نفسى
وإذا ما أظلمت دنياى من يأسى وبؤسى
وحجبْتِ النورعن فجْرى وعن روحى وحسى
علّمينى كيف لا أنسى ، فشأن الدّهر ينسى
ثم لا أبكى على أمسى إذا ما ضاع أمسى !
علمينى • !!

علّمينى كيف أجْنِى النور من عينيكِ سحرا
علمنينى كيف أحسو الجمر من خدّيك خمرا
وأحسُّ الليل فى شعرِك يجلو الحسن فجرا
وأشمُّ الفتنة الحمراء من ثغرك عِطرا
وأصوغ الهمسَ من جفنيك ألحانا وفكرا
وأصبُّ الحبَّ من قلبى فى قلبكَ شعرا
لا تقولى أنتَ بالحب وبالأحباب أدرى
أنا طفل ليسَ يدرى من كتاب الحب سطرا !
علمينى • !!

قصة



رذاذ الليمون ..!

● فتحي سلامة ●

● **نصعد التل خلف الحمير ، تتقارب ارجلها الخلفية ، وتتقوس ذيولها الى الداخل ، تتثاقل ارجلها الامامية في وثبات ضيقة ، تتقوس ظهورها، يرتفع صهد الحر وتراب المزلقان ، فاذا اعتلت الحمير ظهر المزلقان تعتدل في خطوها ، وتتلكأ وهى تنظر الى لمعان قضبان السكة الحديد ، ثم تطاطىء رءوسها متشممة ، يخبط حافر احداها جسم القضيب ، تدوى الخبطة فى رنين ...**

نلهث ونحن ننادي عليها لكى تمضى ، تتوقف الحمير ناظرة الى منحدر التل ، تظهر الترعة وكدبره المزلقان ، تطلق الحمير ارجلها الامامية مفرودة فى استقامة ، تندك الارجل بينما تتقوس ظهورها مع اقتراب ارجلها الخلفية من الامامية منحرفة الي اليسار ، تضطرب ظهورها وتكاد تسقط حمولتها من اغبطة السباخ ، يلكز كل منا حماره بعصا التوت ، نستحثها المضى ، الحمير تخاف الانزلاق ، رءوسها ترتفع وتنخفض فى توتر ، ترتفع اصواتنا مهددة ، بينما أيادينا تدفعها من الخلف ، يرتفع صوت ابى المكارم محذرا :

ـ اصبر ياولد :

تستدير رءوسنا جهته ، تلمع ازيار الماء فى ضوء الشمس ، التوتة تغربل اشعة الشمس ، تنسل سهام الضوء من بين الافرع والاوراق ، نترك امر الحمير ونسرع نحو الازيار ، نتخاطف الكوز ، من يشرب اولا يكون ابن ملك ... كلنا نود ان نصبح ملوكا او على الاقل ابناء ملوك . يحسمها ابو المكارم .

الازيار والمزلقان والكوبرى، والطريق نفسه ... كل الاشياء هنا تسمى باسم ابى المكارم ، زيرعم ابو المكارم ، ومزلقان عم ابو المكارم ، وكوبرى عم ابو المكارم .. ابو المكارم هو الملك ، والملك من حقه ان يعطى الكوز الى من يشاء ....

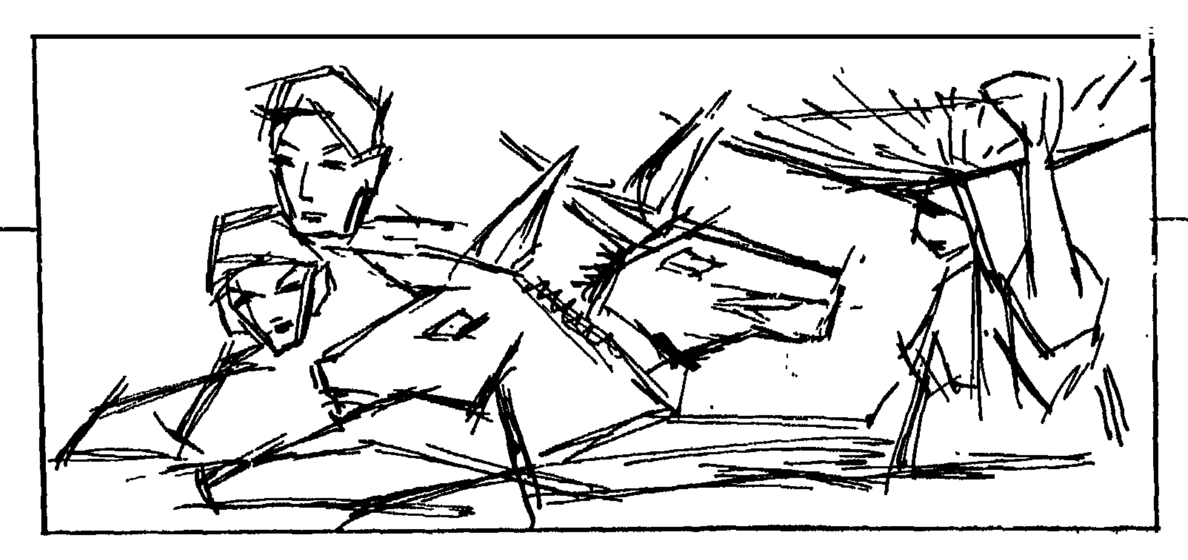
نقف فى لهفة والكوز فى يده ، **ينظر الينا وهو يبتسم، ترتفع أيدينا نحوه.. الحمير اجتازت مهبط المزلقان ، من ينقلب غبيط حماره عليه ان يعيد ملأه واعادته الى ظهر الحمار ، .. عيوننا تروح وتجىء بين الكوز وغبيط الحمار، قال :**

ـ من يشرب اولا يقع غبيطه اولا .

نتراجع ، وتنكمش الرغبة ، يمر الكوز ، تنهد ايدينا فى استسلام تزداد، ابتسامة ابى المكارم ، قال :

ـ الماء لا يمر على عطشان !

نشربه فى لهفة ، من يرتوى يجرى



وهو يصيح على حماره ، .. ماء الازيار بارد ، ومذاقه حلو ، نتقافز خلف الحمير ، تتقاسم السور الحديدى الكوبرى ، نمشى على طواره الاسفلتى وعصا التوت فى الايدي تدق على السور ، جلبة الرنين فى ضحى القرية ، دوامات الصدى ، المياه اسفل الكوبرى تدور فى دوامة والشمس تبرق فوقها ، يعلو الضجيج ، ابو المكارم يصيح :

ــ يا ولد !

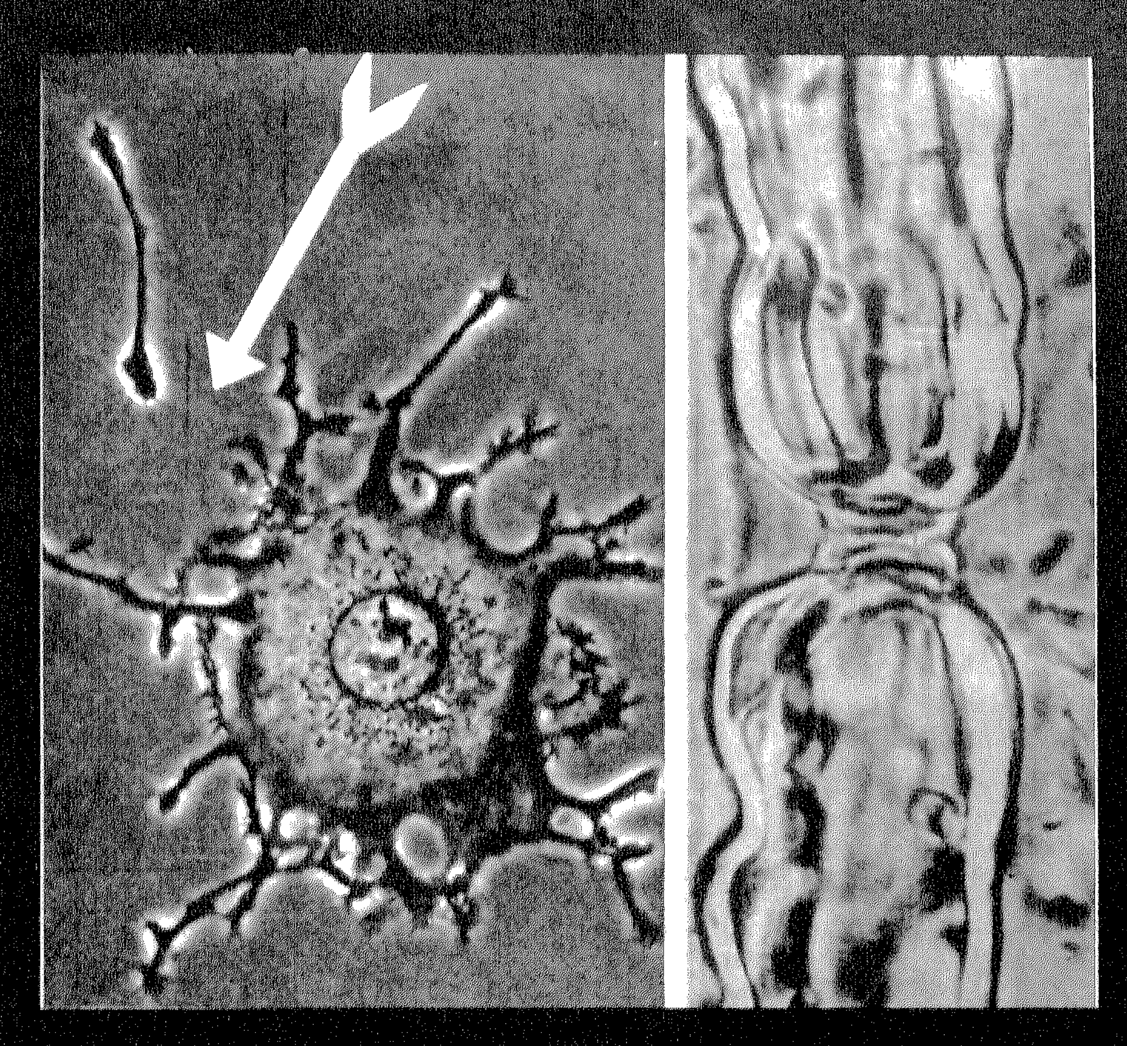
تسبقنا الحمير وهى تدب على الدرب الترابى بجوار جنينة صلاح ابو كريم حبات الليمون على الافرع الرقيقة تتمايل تحت ضوء الشمس ، تبرق فى لونها الاصفر ، رائحة الليمون تضفى الأمان على الطريق ، صلاح ابو كريم لا يحب من يسرق الليمون من على الشجر ، من يريد عليه أن يدخل الى ارض الحديقة ويأخذ من المفروس على الأرض ، اى عدد يشاء ، حتى ولو ملأ مقطفا من الليمون ، ولكن لا ينزع ليمونة واحدة من على الشجرة ، فالشجرة روح تتألم ، وصلاح ابو كريم شقيق العمدة والسارق جزاؤه الضرب والحبس فى محل الادب بدوار العمدة .

ندلف من تحت اسلاك السور نجمع الليمون وتملأ الجيوب ، نقفز الى الخارج الشمس تكرره التراب ، ونحن نقضم حبات الليمون ، يملأ رذاذ الليمون حلوقنا ...

نسمع نهيق حمار ، نتنبه ، نتخلص من بقايا الليمون المقضوم ، النهيق علامة سيئة ، نجرى ، كل منا يحجل خلف حماره ، تتوقف الحمير لتشمم الهواء فى نهم ، نضربها فى قسوة ، تتحطم عصا التوت ، على ورك الحمار وهو لا يتحرك ، يرفع وجهه الى اعلى مادا رقبته ، يقلب شفته العليا حتى تلمس حافة انفه ، تتدلى شفته السفلى ، تلمع اسنانه الامامية متراصة فى انتظام ، يهزراسه وتتشنج اذناه ، تنفرج اسنانه الامامية ويظهر اللسان ، ينفتح الفم كشق فى حائط مرسلا بداية النهيق صوتا اجشا طويلا ومستمرا ثم ينقطع نجأة ، يمد الحمار رقبته اكثر يتقلص الفم يعود النهيق ولكن فى مقاطع سريعة يتصلب جسد الحمار ، ترتعش الاذنان ، يعود النهيق المتواصل ، ايدينا تدفعه الى الامام ، لم يعد يهتم ، فتحتا انفه مستديريان فى تكور عصبى ، يرتفع النهيق من كل الحمير ، يتجاوب مع صوت نهيق من مكان آخر ، تقف الحمير مع نهاية سور جنينة الليمون فى مظاهرة ونهيقها يثير اعصابنا ...

نضربها فى عنف ، نركلها فى غيظ ، ندور حولها نسبها ، ندفعها من الخلف ، نجذبها الى الامام نضربها على وجوهها ، ابدا لا تكف عن النهيق ، نزيد من حركتنا حولها ، بدات عيوننا تدمع نخشى سقوط الاغبطة ، ننفجر فى البكاء مع اول غبيط يقع ، ترتفع ايدينا بالضرب على راس اول حمار يفلت من حمله وهو يبرطع خارجا من الدائرة ، تضطرب الافودة مع تساقط الاغبطة ، يعود الينا الصبر والجلد ونحن نتأهب لاعادة تحميل السباخ ..

سلامة أعصابك



للمرة الاولى امكن بواسطة اشعة ليزر تصوير خلية من خلايا الجهاز العصبي صورة واضحة منفصلة عن غيرها والسهم تشير الى السائل المحيط بالخلية .

صورة للاربطة التى تربط حزم الخيوط العصبية بعضها الى بعض . هذه الاربطة تبعد الواحدة عن الاخرى ٥ر١ ملليمتر .

كل ما في خلق الانسان معجزات للخالق ، ولكن الجهاز العصبي واتصاله بالمخ وطريقة عمله تعد على رأس ذلك الاعجاز ، ورغم مابذل العلماء من جهود في دراسة الجهاز العصبي فان الطب لايزال في المراحل الاولى من معرفته بحقيقة الجهاز العصبي وكيف يعمل اقرا هذا المقال وتامل الصور لتعرف السبب .

في المخ يوجد حوالي ١٥ مليار خلية عصبية تحكم كل احساسات الانسان وحركته الارادية وغير الارادية وهذه الخلايا منقسمة الى مجموعات ، لكل مجموعة وظيفة وعمل محدد . لكي يدرس العلماء عمل هذه المجموعات يضعون خلايا الكترونية موصوله باسلاك دقيقة باجهزة متطورة ـ رسام المخ ((مسند)) الكهربائي ((اليكترو انسيفا لوجرام ((الصورة اعلاه)) والصورة اسفل الكلام اخذت لمجموعة من هذه الخلايا ، وهي مكبرة ١٠٠٠ مرة ، ونظرة واحدة عليها تريك مقدار تعقيدها وصعوبة فهم طريقة عملها .



أنت جالس تقرأ جريدة أو كتابا . على المنضدة الى جوارك فنجان قهوة . دون شعور منك تمد يدك لتأخذ الفنجان وترشف منه رشفه انه لا يزال شديد الحرارة . لا تكاد أصابعك تمس الفنجان حتى تنقبض وتبتعد ، فى نفس الوقت يدق جرس الباب . تسرع بوضع الجريدة والفنجان ثم تسرع لتفتح الباب. فى نفس الوقت يسرى فى كيانك شعور من الترقب وربما الخوف ،وربما تسارعت دقات قلبك ترى من الطارق فى هذه الساعة من الليل ؟ ..

ـ هذه كلها أشياء عادية جدا ، وأنت تحس بها أو تعملها تلقائيا دون أن تشعر بها أو تفكر فيها : ذهنك يفكر فيما تقرأ الرغبة فى ارتشاف القهوة من الفنجان. لذعة الحرارة وابعاد الفنجان . سماعك طرق الباب . تخوفك وتساؤلك عن الطارق . تسارع دقات قلبك ... كل هذه أشياء تجرى داخل كيانك وأنت لا تكاد تشعر بها ، وهى مع ذلك ابسط ما يمكن أن يحدث ..

ولكنك اذا فكرت فى كيفية حدوثها وما يجرى داخل ذهنك وجسمك لكى تحس بذلك وتتحرك تبعا له يملكك العجب .. فذلك كله من عمل جهازك العصبى : أدق وأعجب أجهزة الجسم كله .. فشبكة الاعصاب التى تنتشر فى مخك وفى جسدك كله لو قيست لبلغ طولها ما بين الارض والقمر ! وفى هذا الجهاز نحو ١٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ خلية لكل منها عملها الخاص الدقيق ولابد أن تقوم به على الوجه الأكمل فى جزء على عشرة أو عشرين من الثانية ، ولابد أن يتناسق عمل كل خلية مع الخلية الاخرى والا لما استطعت التحرك بنظام وهدوء ودقة ..

ولابد أنك رأيت مرة انسانا مثلك يسير فى الطريق فى بطء شديد : يحرك قدميه بصعوبة ، أو انسانا آخر يتعلثم فى كلامه أو لا يسمع طرق الباب ... هنا فقط تفهم معنى ما قلت لك من عجيبة ذلك الجهاز العصبى وطريقته فى العمل ..

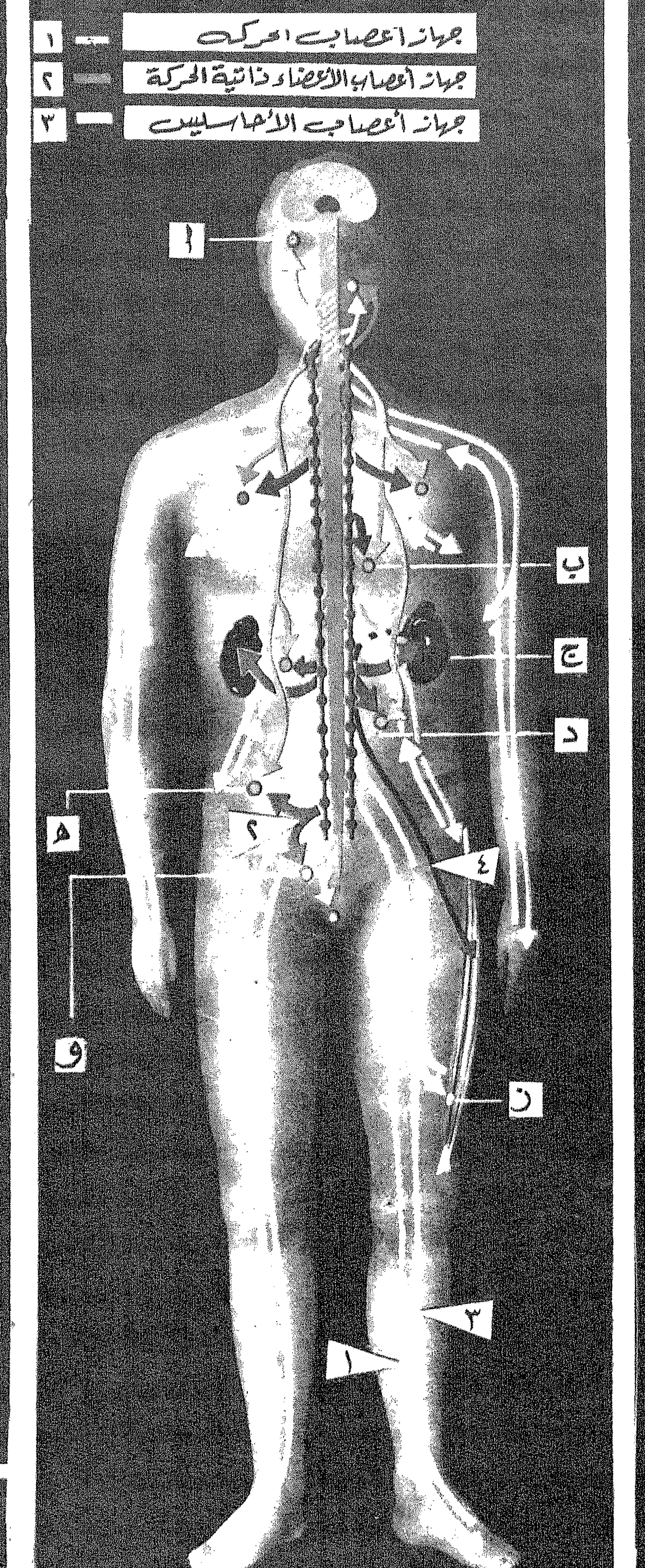
وهذا الجهاز العصبى المعجز ينقسم الى ثلاثة اجهزة تعمل فى انسجام تام بينها ، وهى :

١ ـ جهاز اعصاب الحركة ، وهو الذى يسيطر على العضلات سيطرة تامة دقيقة حتى تتحرك القدم مثلا ـ بكل عضلاتها ـ الحركة الدقيقة المناسبة عندما يصدر لها الامر بذلك ..

٢ ـ جهاز أعصاب الحس ، وهو الذى يجعلك تحس بانك تضع يدك ـ مثلا ـ على شيء ساخن فيصدر الامر الى جهاز أعصاب الحركة لكى تسرع بابعاد يدك عن الشيء الساخن ..

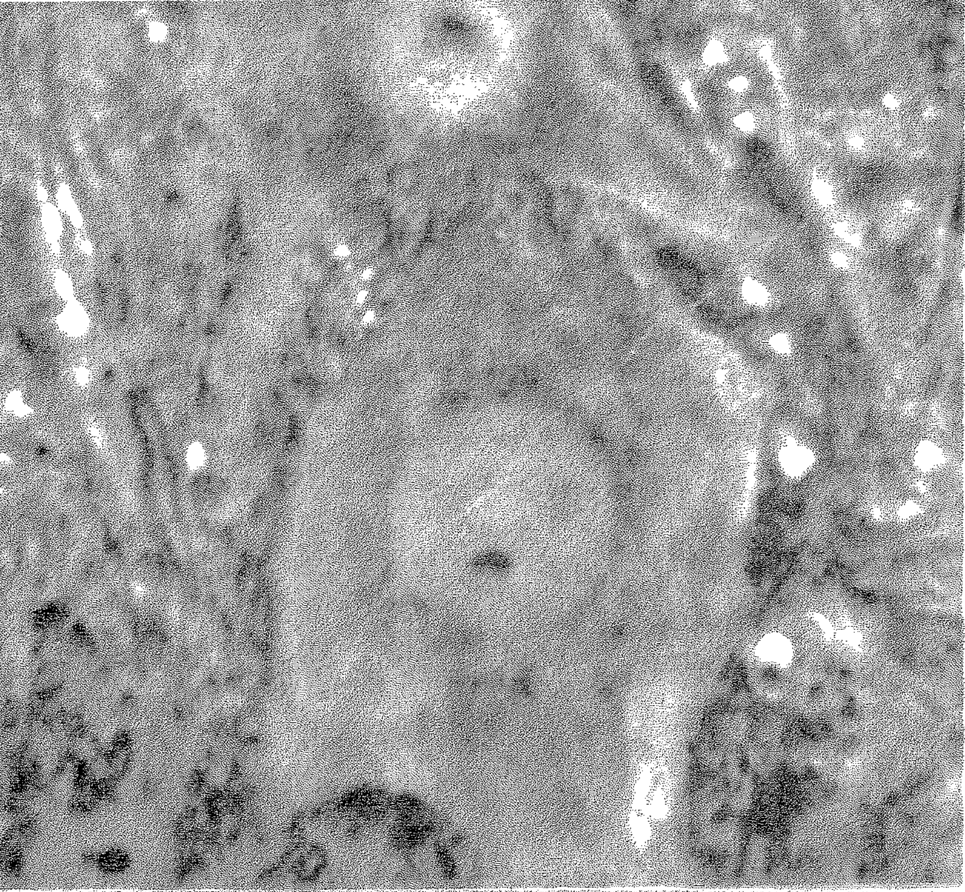
٣ ـ جهاز اعصاب الوظائف العضوية وهو الذى يجعل القلب يسرع فى ضرباته ساعة الخوف ويجعلك تحس بالجوع أو بالامتلاء ، ويجعل الكلى تعمل فى نظام تام .

وكل جهاز من هذه مكون من بلايين الخلايا ، ولكل خلية أو مجموعة من الخلايا وظيفة محددة تقوم بها ، وهى فى المخ تنتظم فى صورة مجموعات وخيوط أعصاب ، وفى الجسم كله تنتشر فى شبكة هائلة من خيوط الاعصاب



الجهاز العصبي المركزي باجزائه الثلاثة . وقد جعلت كل جهاز بلون كما هو مبين فى الرسم فجهاز اعصاب الحركة ملون باللون الاحمر وجهاز الحركة الطبيعية باللون الاخضر اما جهاز اعصاب الاحساس فلونه اصفر ، والاسهم تشير الى مسار الاشارات التى تعطيها خلايا كل جهاز وتبين كيف ان خلايا المخ هى التى تقوم بتنسيق العمل بين بعضها وبعض • وهذه الاجهزة متصلة بكل اجزاء الجسد وفى الصورة ترى باللون الازرق :

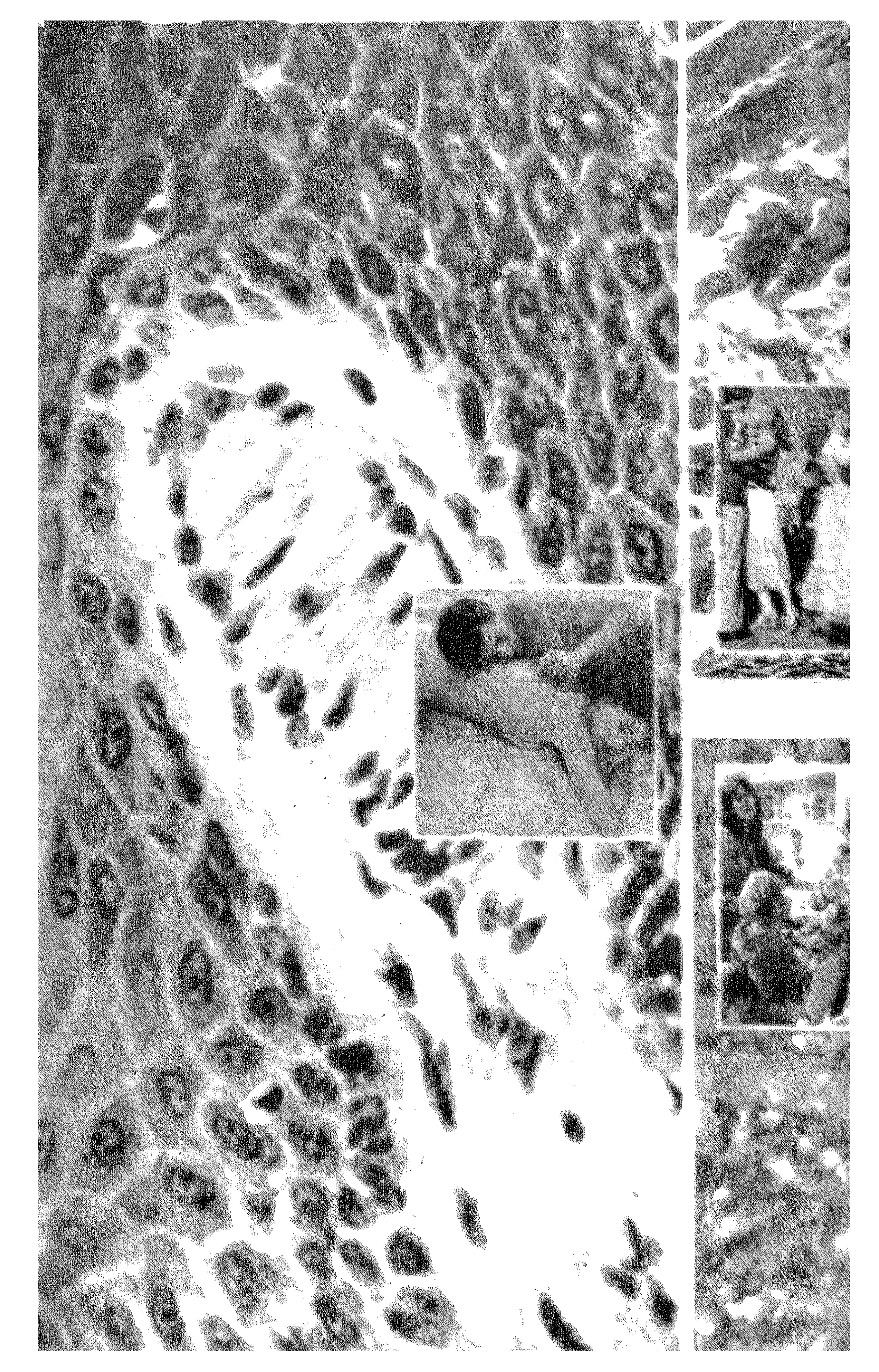
ا ـ عصب العين
ب ـ اعصاب القلب
ح ـ اعصاب الكلى
ء ـ اعصاب المعدة
هـ ـ اعصاب غدد الجهاز التناسلى
و ـ اعصاب العضلات
ز ـ نهايات اعصاب العضلات



جهاز اعصاب الحركة جمعت كل منها في حزمة عصبية مكبرة ٨٣٠ مرة ،وكل حزمة تنتهي الى عضلة من العضلات انظر الي الصورة رقم ٣ ، وفي الصورة الصغيرة ترى شبانا يراقصون شابات والجهاز العصبي هو الذى يضبط كل الحركة والاحساسات .

يقوم الجهاز العصبي العضوي بضبط حركة كل الاعضاء ، ولكن المخ يتحكم فيها . الصورة تمثل خلايا هذا الجهاز في مساحة جزء من ١٠٠٠٠ر٠ الليمتر ، والصورة الصغيرة تمثل اطفالا ونساء في حالة خوف وهذه الخلايا هي التى تتحكم في عمل قلب كل انسان

مجموعة من خلايا اعصاب جهاز الاحساس وهي موجودة في العين والاذن ومنتشرة على الجلد ومتصلة بمركز الاحساس العصبي في المخ . الصورة لمجموعة من هذه الخلايا في المخ مكبرة ١٠٠٠٠مرة وفي الصورة الصغرى طبيب يكشف على مريضه وبمجرد لمس اذنه لجلدها ينتقل الاحساس الى المخ



تتوزع فى الجسم كله ، وتصل الى أدق جزء منه • وهذه الشبكة الهائلة هي التى تجعلك تشعر بكيانك ووجودك وتجعلك تتحرك وتعمل وتأكل وتشرب وتنام ••

والى سنوات قلائل كان العلماء لا يعرفون الا الخطوط العريضة لتركيب هذا الجهاز ، ولكن العلم دخل من سنوات فى مرحلة جديدة من دراسة الجهاز العصبى بأقسامه الثلاثة ، مرحلة تعتمد على الميكروسكوبات الكهربائية والاجهزة الالكترونية والاجهزة الحاسبة **هذا بالاضافة الى المعامل والمختبرات التى تجرى ابحاثا وتجارب فى غاية الغرابة والتنوع •••**

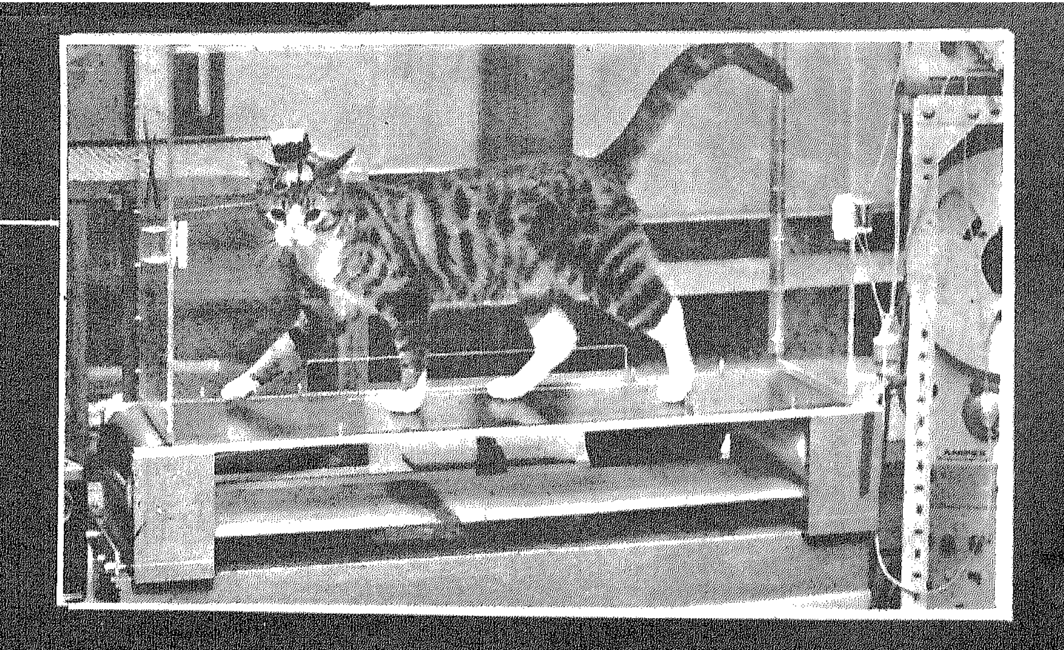
فهناك مثلا مختبر فى احدى الجامعات الامريكية يجرى تجارب منذ سنوات على حركة القطة وكيف تسير ،وكيف تتناسق حركة رجليها الاربعة بهذا الشكل المعجز والهدف الاخير من هذه الابحاث هو معرفة : كيف يتحرك جسم الانسان ، وكيف يقوم جهاز الحركة بتنسيق حركات العضلات •

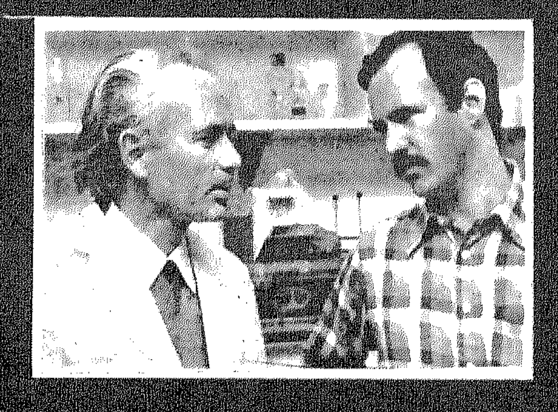
ان هناك اليوم باحثين فى الطب يقولون أن أساس الامراض كلها فى الجهاز العصبى ، أو أن الامراض انما هى مظاهر لحالات ضغط واصابات فى الجهاز العصبى ، فاذا شكوت صداعا مثلا فانك اليوم تأخذ قرصا مسكنا ، ولكن هذا ليس بعلاج ، لأن هذا الصداع فى الحقيقة مظهر لمرض عصبى أو لشيء يشكو منه الجهاز العصبى • وفى بعض المستشفيات الامريكية لا يعطون المريض قرصا مسكنا اذا شعر بالصداع وانما يقولون له : نم هادئا وحاول أن تحصر الهموم التى تشغلك أو الافكار التى تؤرق راحتك فستجد انها سبب صداعك واذا أنت عرفتها زال الصداع • بل انهم يقولون أن السرطان نفسه ليس مرضا هو مظهر لمرض أو اضطراب فى الجهاز العصبى •

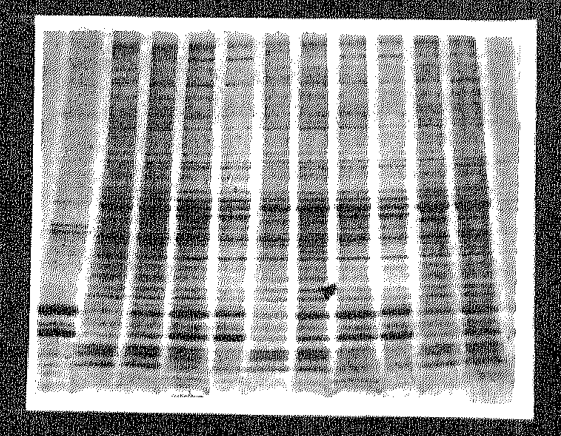
لهذا يركزون اليوم تركيزا عظيما على دراسة خلايا الجهاز العصبى فى المخ والاحبال العصبية والخلايا العصبة فى الجسم كله ، لأن خلايا الاعصاب هى التى تهيمن على كل شيء ، وامراض خلايا الجهاز العصبى ليست أمراضا وانما هى اضطرابات أو اختلالات فى الاستقبال والارسال ، أو هى اختلال فى السوائل الداخلة فى تركيب الخلية، فقد يكون سبب الروماتيزم مثلا نقصا فى المغنيسيوم أو الكالسيوم فى داخل الخلايا العصبية •

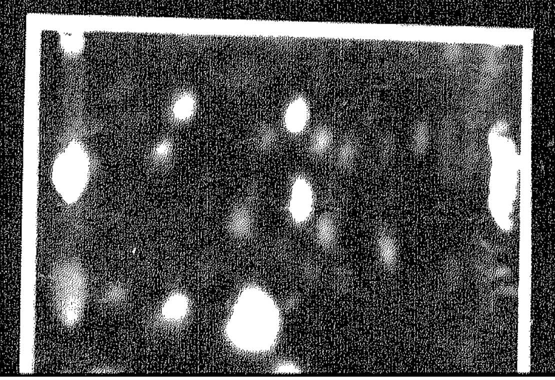
لقد أصدر عالم فرنسى أخيرا دراسة كبرى عن الخلايا والخلايا العصبية بالذات قال فيه أن الامراض كلها توجد فى خلايا الجهاز العصبى ، فقد تشكو ألما فى ساقك ، ومصدر الالم فى خلايا عصبية فى المخ أو نخاع العظام ، فاذا عالجت هذه الخلايا امتنع الالم ، وقد نشرت مجلة بارى ماتش موجزا لنظريات هذا الطبيب الفرنسى وختمتها بعبارة له يقول فيها : اننا الآن على أبواب عصر جديد فى الطب والعلاج ، عصر الخلية ، فهى أساس كل جسد الكائن الحى،فيها الصحة وفيها المرض •

والصور المرافقة تلقى ضوءا على حقيقة هذا الجهاز الغريب وطريقة عمله ••









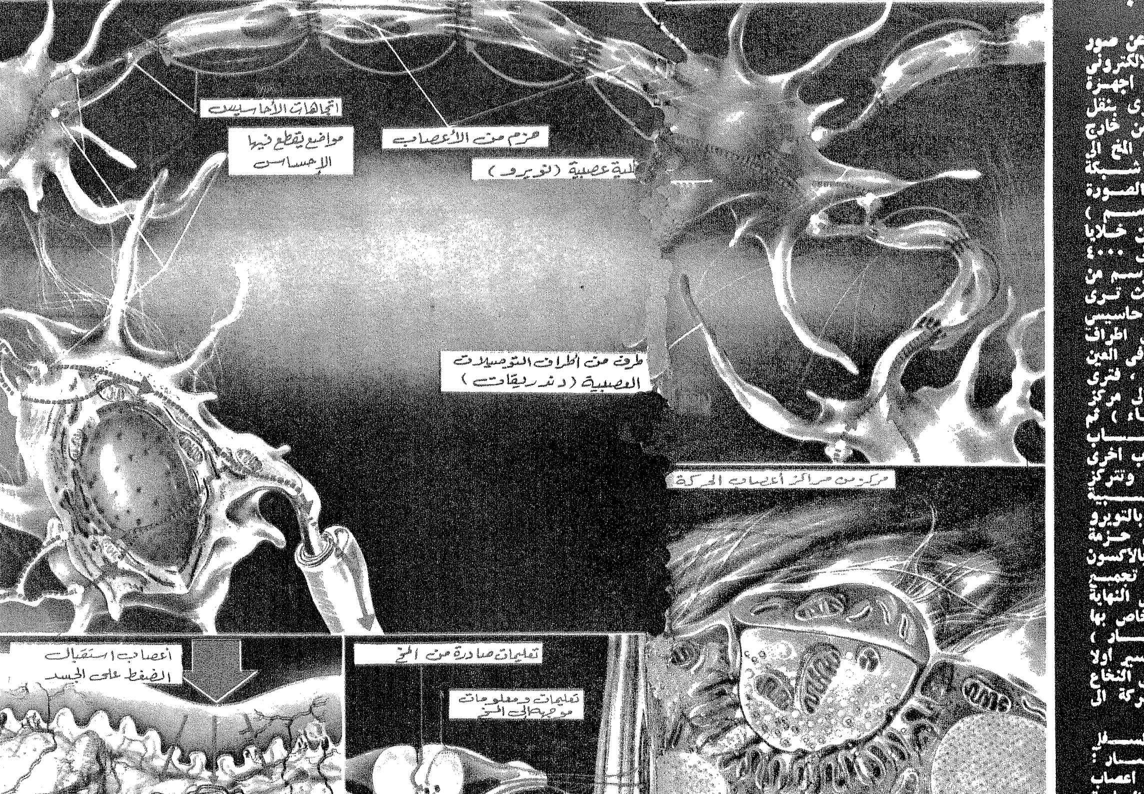
تجربة تجرى على جهاز اعصاب الحركة فى القطة لكى يعرف العلماء كيف يتم التنسيق - عن طريق المخ والجهاز العصبى بين حركة اقدام القطة الاربع ٠

عالمان من علماء الاعصاب هما الدكتور نويهوف (الى اليمين) والدكتور ج ٠ لين اللذان يعملان فى شركة ماكس بلانك لادوية الأعصاب يتناقشان فى موضوع تنسيق حركة العضلات ٠

هكذا تبدو صورة خلايا بياض البيضة على جهاز التحليل الضوئى ٠وكل خط راسى هنا يمثل خلايا بياض البيضة الذى يشبه فى تركيبه تمام المشابهة تركيب عصب الابصار عند الارنب ٠

الكثير من خلايا الاعصاب يشبه فى صورته الضوئية خلايا بياض البيضة (وهو يتكون من الاحماض الامينية) وهذه البقع البيضاء فى الصورة تمثل بعض خلايا بياض البيضة الموجودة فى الجهاز العصبى ٠

— سلامة أعصابك —



هذا الرسم المنقول عن صور أخذت بالميكروسكوب الالكتروني يصور لنا كيف تقوم اجهزة الجهاز العصبى المركزى بنقل الاوامر والاحاسيس من خارج الجسم الى المخ ومن المخ الى الاعضاء عن طريق شبكة الاعصاب . ففى الصورة الكبيرة (فى اعلى الرسم) ترى مجموعات من خلايا الاعصاب مكبرة حوالى ٤٠٠٠ مرة ، ويبدأ شرح الرسم من اليمين (اعلى) حيث ترى الاسهم الحمراء تبين احاسيس وصلت من الخارج الى اطراف الاعصاب على الجلد او فى العين او الاذن وما الى ذلك ، فترى ان الاحساس وصل الى مركز عصبى (نقطة بيضاء) ثم سار فى خيوط الاعصاب ليصل الى مراكز اعصاب اخرى (نقط بيضاء اخرى) وتتركز فى مجموعة خلايا عصبية مركزية أو ما يسمى بالنويرو ثم تصل بعد ذلك الى حزمة اعصاب أو ما يسمى بالاكسون وهذه تنقلها الى مركز تجمع احساسات ثم تصل فى النهاية الى مركز الاحساس الخاص بها فى المخ (اقصى اليسار) فتصدر أوامر المخ وتسير أولا فى الخلايا العصبية فى النخاع لتوصل أوامر الحركة الى العضلات .

والصور الثلاث السفلى تبين من اليمين الى اليسار :
ا ـ نهاية مجموعة من اعصاب الحركة ب ـ الاوامر الصادرة من المخ وسيرها فى النخاع ومن النخاع الى العضلات (الاسهم الحمراء والزرقاء) ج ـ خيوط الاعصاب تحت الجلد وهى تنقل أى لمس خارجى على الجلد (السهم الاحمر) الى اعصاب الاحساس

البراكين نعمة ونقمة!

البراكين فوهات من الجحيم تنفتح فى الأرض وتقذف اللهب والحمم والغازات السامة والابخرة الخانقة وتنشر الدمار .. ولكن ذلك كله يتحول بعد ان يهدأ البركان الى نعم كبرى .. ان البراكين نعمة فى ثوب نقمة ..

فالحمم والمواد التى تقذفها البراكين عندما تبرد تتحول الى تربة من اخصب ما يعرف الناس واراضى البراكين هى أراضى المحاصيل الممتازة الوافرة ... ثم ان حرارة البراكين ستصبح فى القريب مصدرا كبيرا من مصادر الطاقة •



هذه القرية التى كانت قائمة قريبا من البركان ماتت • غطتها « اللافا » الى قرب اسقف البيوت• والتراب الذى تراه جاء من الغازات التى تحولت الى رماد وهبطت الى الارض • بعد سنة من هذا الموت ستتفجر الحياة فى نفس هذه القرية بصورة تدعو الى العجب لان هذه هى اخصب تربة فى الدنيا •



فوهة بركان بعد ان بدأت الثورة تخمد : توقف انبعاث اللافا ولكن الغازات تحيط بالموقع كله . هذا العالم استطاع ان يقترب الى مسافة عشرين مترا ثم مد هذا القضيب المعدني ليأخذ شيئا من المواد المنصهرة لكي يحللها وهي لا تزال مشتعلة ، هذا القضيب مصنوع من معدن جديد صنع خصيصا لهذه الغاية ، والغرض منه ان يصلوا الى نوع من المعادن لا ينصهر في حمم البركان ، ومن هذه المعادن ستعمل الاجهزة التي تحيل الحرارة الى كهرباء

البراكين نعمة ونقمة !!

فى البداية كانت الارض بركانا واحدا . كانت كتلة من النار تدور فى الفضاء . شيئا فشيئا بدأت النار تخمد وبرد سطح الأرض بعض الشىء واخذ يجمد وتكونت القشرة الارضية . ولكنها كانت مغطاة بالبراكين كما تغطى بقع الحصبة جلد الطفل المصاب بها ، ثم أخذت القشرة تزداد سمكا وقل عدد البراكين حتى انحصرت اليوم فى نحو مائتى بركان حى نشيط .

ومنذ القديم كره الناس البراكين لأنها فى الحقيقة تلحق بهم شرا لا يوصف، فان البركان عندما يثور يقضى على كل ما حوله لمسافات بعيدة ، فالى جانب حمم « اللافا » والغازات الملتهبة تنفث البراكين غازات سامة تملأ الجو لمساحات بعيدة ، فعندما ثار بركان سانتورين سنة ١٥٠٠ ميلادية فى جزيرة تقع على بعد ١٠٠ كيلومتر شمالى كريت ،ماتت كل الكائنات الحية فى دائرة قطرها مائة كيلو متر بل ماتت الحياة على جزيرة كريت نفسها ..

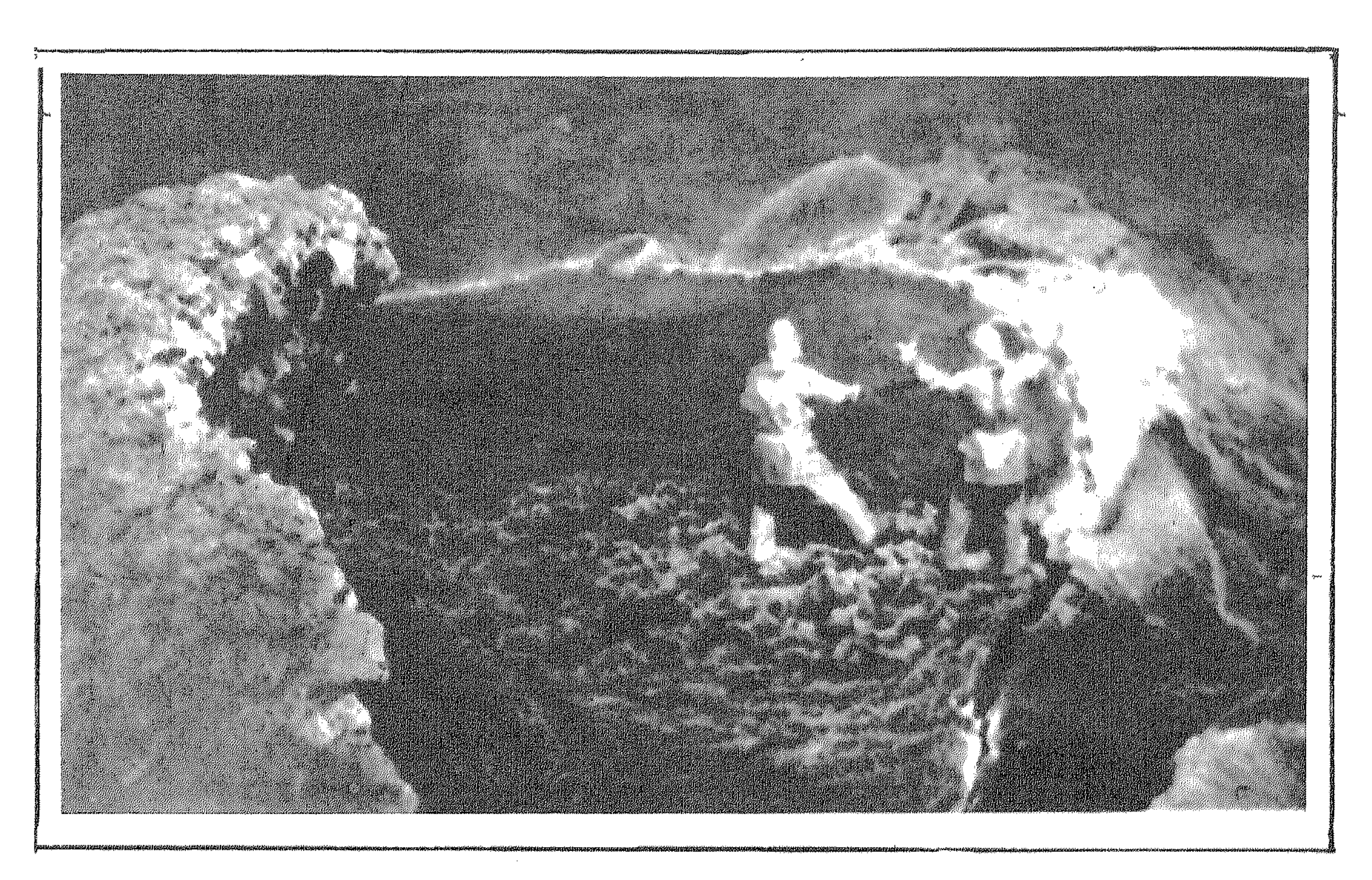
ولكن هذا الموت الذى تنشره البراكين يتحول الى حياة فيما بعد ، لأن المواد التى تتكون منها « اللافا » ثم الغازات التى يمتصها الجو والارض كل ذلك يجعل التربة من أخصب ما يمكن ، ولا تكاد الارض تبرد حتى تندفع الحياة فى قوة وغزارة لا توصف ، ولعلك تذكر الخضرة البديعة التى تغطى جزر المحيط الهادى ، وكلها جزر بركانية .

ولكن العلماء يفكرون اليوم فى شىء آخر : هو الاستفادة من حرارة البراكين فى الحصول على الطاقة ، فان الحرارة التى تنبعث من البركان عند انفجاره تعادل ١٥٠٠ قنبلة ذرية ، واذا استطعنا الافادة من جزء يسير من هذه الحرارة لحصلنا من البركان الواحد على ما يعادل مائة بليون طن من البترول ! ..

ولكن كيف ؟ .. تلك هى المشكلة . ان الاستفادة من الطاقة البركانية لا يتيسر الا اذا أخذنا هذه الحرارة فى وقت انفجار البركان . وفى وقت الانفجار لا يستطيع احد الاقتراب من مخروط البركان . انهم يبتكرون ملابس خاصة وقناعات تقى من التسمم ونظارات تحمى العيون . انهم يعملون اشياء أخطر بكثير مما يتعرض له الذين يقومون برحلة نحو القمر .

وفى مصر بالذات نحن أحوج ما نكون الى الاستفادة من هذه الحرارة الطبيعية، حقا أن بلادنا ليس فيها براكين ،ولكن نفس الاجهزة التى تستخدم للاستفادة من حرارة جوف الارض هى التى تستعمل للاستفادة من الطاقة الشمسية ، ومن المعروف أن حرارة باطن الارض هى نفس حرارة الشمس ولكنها مختزنة فى باطن الارض ، فاذا نحن وثقنا صلاتنا بالهيئات العلمية الغربية التى تدرس وسائل الافادة من حرارة البراكين استطعنا أن نقتبس الوسائل التكنولوجية التى تمكننا من الافادة من حرارة الشمس على نطاق واسع .

لقد دخلنا بالفعل فى عصر استخدام الحرارة الشمسية فى مصر ،ولكن التقدم فى هذا المجال لا زال بطيئا جدا ، واذا كانوا فى بلد مثل فرنسا يفيدون بالفعل من حرارة الشمس مع أن الشمس لا تطلع هناك الا نحو ثلث العام ، واذا طلعت كانت حرارتها قليلة لا تقاس بما عندنا ، فلماذا لانطور نحن وسائل استخدام حرارة الشمس حتى تكون



هذان العالمان دخلا قرب فوهة البركان ودرجة الحرارة تصل فى الفوهة الى ١٠٠٠ مليون درجة • أنهما يجوسان خلال رماد البركان الذى برد ويحاولان ان يجدا وسيلة لوضع اجهزة تحيل الحرارة الى كهرباء ثم يمدان سلوكا الى مسافات بعيدة من البركان للاستفادة من الكهرباء أو لتحويلها مرة اخرى الى حرارة •

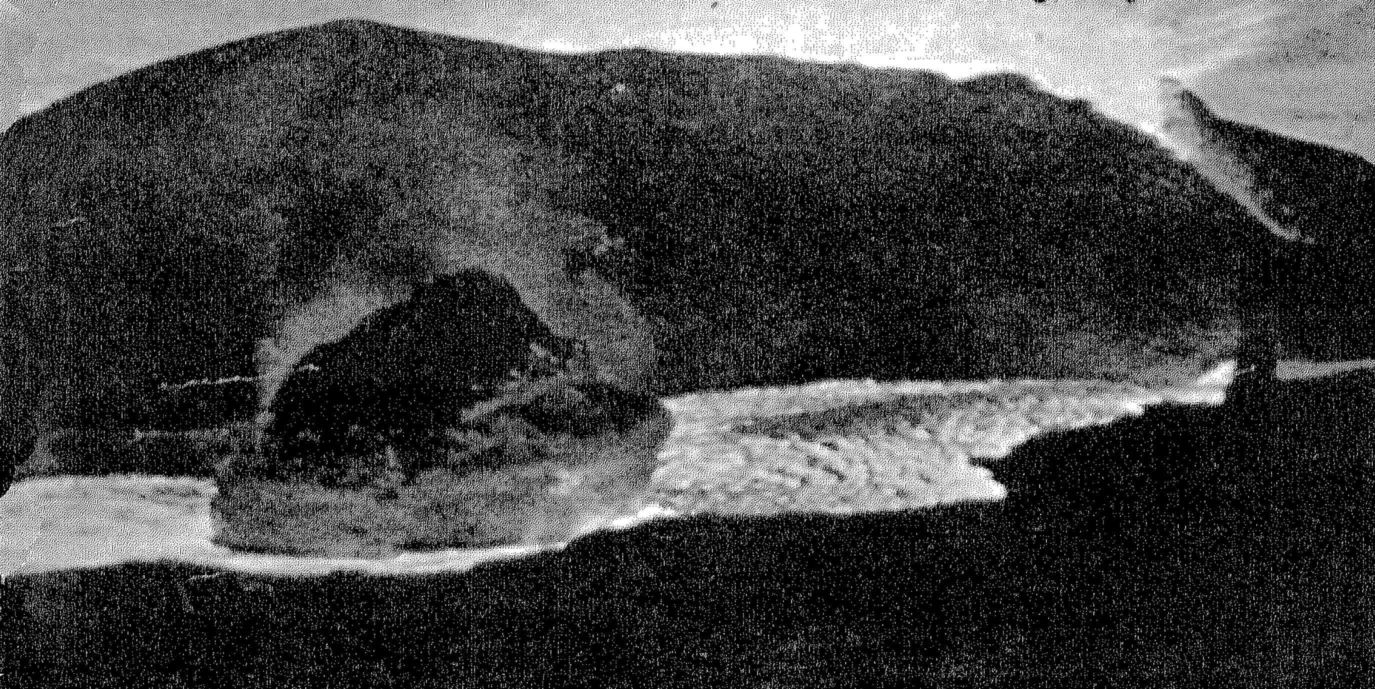
المصدر الاساسى للطاقة عندنا فى كل استخدامات البيوت ، فلا نستخدم الوقود الا للمصانع •

حقا انه لا يعلم أسرار الكون الا خالقه فمن ذا يصدق اننا نعيش على كوكب باطنه بركان هائل يغلى بحرارة تصهر الصخور حتى تصير بالماء ؟ ان حجر البازلت الاسود والبنى الذى تعرفه ، وهو حجر صلب تنكسر عليه أقوى المعاول ، ولكنه عندما يخرج من باطن الارض فى ثورة البركان يكون بخارا ثم يتكثف سائلا ثم يصبح حجرا صلدا فاى حرارة هذه ! وكيف لا نستطيع الافادة منها ، انهم يفكرون اليوم فى عمل براكين صناعية ، أى يحفرون القشرة الارضية حتى يصلوا بواسطة أنابيب معدنية الى باطن الارض الملتهب فتندفع الحمم والغازات فيستطيعوا استخدامها • وأول محاولة من هذا النوع تجرى اليوم فى وادى الكولورادو فى الولايات المتحدة • فلماذا لا نجرب نحن شيئا مثل ذلك فى صحارينا الواسعة ؟ لقد ثبت ان الحفر اذا وصل الى عمق عشرين كيلو مترا وصلنا الى طبقة حرارية تصل الى نصف مليوز سنتيجراد ، وعند هذا العمل تنفجر الحرارة الباطنية فتندفع فى الانبوب وينشأ عنها بركان صناعى يمكن استخدام حراراته • هذه اليوم مجرد أفكار ومشروعات وموضوع تجارب : ولكن التاريخ علمنا ان أحلام الامس ومستحيلاته انما هى حقائق الغد وممكناته ، ومن مثلا كان يتصور الصعود الى الفضاء والاقمار الصناعية ستصبح فى يوم من الايام حقائق كما هو الحال اليوم •

ترجمة • ح • م

صورة فريدة لفوهة البركان والحمم تتصاعد منها ، والفوهة نفسها كأنها بحر من سوائل الصخور المنصهرة • أخذت الصورة من طائرة هيلوكوبتر • وقد حسب العلماء مقدار الطاقة الحرارية التى تفجرت من هـــذا البركان بما يعادل ١٥٠٠ قنبلة هيدروجينية •

أخذت تلك الصورة من مسافة خمسة كيلو مترات من فوهة البركان الملتهب ، وقد التقطت من هيلوكوبتر ، فاصل تيار حمم اللافا الملتهبـــة والسنة اللهب المشتعل ، وسحب الغازات غير القابلة للاشتعال ولكنهـــا ستتحول الى رماد • كل هذه خيرات ومصادر للطاقة والحياة ولكن بعد ان تخمد ثورة البركان •• والمطلوب الآن كيف نستفيد من الحرارة اثناء ثورة البركان •



وشوشات



● احمد السمرة ●

يا عــــذْبَة الإينـاسِ إن تَرْتَضِى عادَتْ بَشاشاتُ الزّمانِ الرّضِى
أهدتْ جَـديبَ الروحِ طُهرا •جرت خَيلا لغَير النـور لم تَـركُضِ
تَمَـايلتْ تحتَ النّدى بترعمـا غَضّا بغَير الحُسـن لم يَنْبض
وطَوّقَت قِيثـارة • شَـوْقَها عهد •• وفاء • بَعْـدُ لم ينقض

***

المرقص • الصّنجُ • البيان •الخطى دُنيا تهادت وفقَ ما تَـرتَضِى
والليلُ أرسَى البَدرَ فى رَاحِنـا وقال : عَما فَـاتك استَعوضِى
عُودِى رؤى الأفراح مُنـداحة هَذا التّدانى وَصْـله يَقتَضى
خُذى لِدفْءِ العُمر من دفئِـه لا تَرفَعى التّكليفَ أو تخفضى
فاللّحنُ أزكَى السِّحر فى مَعرض عَن شَدو بدعِ الشّعـرِ لا يَنقضى

***

هذا قِطاف الحبّ حلْو الجَنَـى عن غُصنـه المطلولِ لَن تُعرِضى
واللّيلُ كأسٌ عَتّقته المُـنَى رَوِيّ الهَوَى من خَمْـره الأبيض
يارقّةً تحدو مَسـيرَ الشّـذَى مِن عُنف أشـواكِ النّوى رَوّضى
هَذى يَدى بالخصر مزهـوّة ياراحَة الأرواح هَيّـا انهضى
لِى رقصَـة مَهمُوسَـة فاسمَحِى سَعَادتى تنهـار • لا ترفُضِى
دُورِى بنـا دُورى ففى مهجـتى جفنٌ لعَينِ الحُبّ لم يَغمَـضِ

البحث عن بندقية
وثقب فى جدار الخوف

● محمود العزب ●

هناك مقياس جوهرى لكل عمل ادبى لا يختلف عليه اثنان ، هو مدى صدق ذلك العمل فى التعبير عن التجربة الانسانية ، تلك التى يتناولها الكاتب من خلال رؤية معينة ، تمكنه من ان يغوص فى اعماق التجربة ، ويتعرف بدقة على جوانبها ودقائقها ، وتنوعها وثرائها ، وقيمها ومعاييرها .

ورواية «البحث عن بندقية» للاستاذ عبد الستار خليف ، تخطو على الطريق الجاد من خلال الالتصاق بالانسان فى لحظات قوته ، وضعفه ، وخطئه وصوابه واوهامه واحلامه ، ونوازعه وآمساله ، وتهفو الى توكيد كرامة الانسان وهو يواجه مصيره التعس ، تحت وقع الضغوط الاجتماعية الظالمة .

احداث الرواية تدور فى الريف ابان الحرب العالمية الثانية ، وفى عالم الريف الذى يسوده التخلف والجهل والاستعباد ، تقع الجريمة ، وتتكرر ، وفى معظم الروايات التى تتناول الريف ـ ابتداء من « يوميات نائب فى الارياف » يكون الحدث الرئيسى وقوع جريمة مادية ، تشد الخيوط حولها ، وبطل رواية « البحث عن بندقية » الذى اصبح شابا فتيا ، تخبره أمه العمياء ذات صباح مبكر بحقيقة مقتل والده من اجل الارض ، ويخرج من بيته ملتاعا هائما على وجهه مخترقا العزبة الى الحقول والساقية ، حيث أرض ابيه ، التى ضمها اليه الحاج ناجى اغتصابا محتميا بسلطانه وجبروته .. وتجرى أمه خلفه ، وتصل اليه عند الساقية بصحبة ومساعدة « بدرية » حلمه الغالى فى الزواج والحياة الهانئة .. وتتوالى التفاصيل ، فيعرف كيف قتل والده ، وكيف اغتصبت الارض ، واصاب العمى أمه ، وتتكشف لنا ملامح العزبة ، وظروفها وخفاياها ، وشخوصها ، ثم نتعرف على جوانب شخصية البطل ومكانته الوضيعة فى مجتمع العزبة المستسلم الخاضع اللامبالى ، ونخطو الى عالمه الداخلى ، وأفعاله وردود افعاله ، وبخاصة صلته السابقة بشخصية « شكرى افندى » المتعلم الذى اجبر على مغادرة العزبة الى الاسكندرية لانه يبث افكارا جديدة أو غير مألوفة ، ويثير احلاما لا قبل



لاهل القرية بتصديقها ، ويتاثر بهـا البطل «سيد» بعض التاثر، ويستجيب للاحلام استجابات غامضة ، ويزلزل كيانه مقتل أبيه ، وضياع ارضه ، ويتحول الى انسان آخر يفكر ويبحث عن وسيلة للانتقام ، وفي عالم تحكمه القوة لابد من استخدام وسيلة القوة: بندقية

ويدور باحثا عن واحدة ، وتفشل محاولاته ، والبندقية التي تمناها ليست في مقدرة بندقية « رضوان الاعور » الاتوماتيكية حامي حمى الحاج ناجي ، ويضيق به الحال الى أن يظهر الحل من خلال حديثه مع عم « عرباوي » .. بندقية الحاج ناجي نفسه المعلقة في حجرته ، يسرقها ويستخدمها في القضاء عليه ، وحين جرت المحاولة بالفشل ، اهتزت العزبة كلها «بالفعلة » الجريئة ، من سيد

وعكر صوت الطلقة مجرى الاستسلام والعجز والخوف ، وتناقلت الافواه الخبر في دهشة جسور ، والحاج ناجي نفسه بان اضطرابه للعيون برغم عدم اصابته هو ، واختفى الشاب الجريح في عشة دسوقي ، لكن الجرح يتلوث وتتضاعف خطورته ، فيعود الى منزل حبيبته «بدرية» فتاة الاحلام واليقظة ، ورمز الامل والمستقبل ،لكن الخبر يتسرب فيقبض عليه ويساق الى معتقل الطور .

الشاب الذي « فعلها » مجرد شاب فقيرشبه عاطل ، يضطر احيانا ان يسرق بيضة أو فرخة او برتقالة ، ومجتمع القرية يزدريه ، وينظر اليه بغير احترام ، ولا يكاد يجد عملا منتظما ، وتكشف تجربة حياته ، واحتكاكه بشخصيات مختلفة كنعمان ورضوان ، وعوض افندي وعم عرباوي ، وشكري افندي تكشف عن رومانسيته وواقعيته معا .

وتبدلت نظرة اهل العزبة اليه تدريجيا ، وتعكس ذاكرة العزبة صورا اخرى سبقته في الجراة امثال « حسن بن نبوية ، والبراوي .. » والتي نالت عقابا رادعا صوره الكاتب بمهارة واقتدار ، هذا وتتنفس الرواية صرخة احتجاج اسيانة

على الظلم ، الذى يعانيه الانسان .. الفلاح ، وتعكس نشيدا حزينا يتعلق بالانسان والارض ، وتجسيدا للقهر والطغيان فى ريف الاربعينات ، وابناء العزبةعلى سلبيتهم واذلالهم وخضوعهم ولا مبالاتهم ، يعانون المرارة والهوان، فى صمت وخنوع ، الا ان ذلك لم يمنع من ان يجمعهم لحن واحد حزين تعزفه الصدور فى خفية ، وتنفثه الزفرات فى مرارة ، يظهر ذلك ـ وان كان قليلا او مبهما او طائشا ـ فىلحظات الغضب العاجز المؤقت ، او لحظات البوح والتنفيس العابر ، او لحظات انفلات حبل الصبر فى غياب ـ واه ـ لرادع الخوف الموروث .

وعندما فعلها ((سيد)) الذى كان يطلق عليه ((الدودة)) هزلا وهزؤا ـ دخل اللحن ايقاع جديد ، وانشق ثقب دقيق فى جدار الخوف ، لم تستطع ان تحجبه عين الحاج ناجى الحانقة المتوعدة .

***

هذه الرواية تختلف عن روايةالارض ـ مثلا ـ فى عنصر فنى جرهرى ،هو اتخاذها بطلا واحدا محورا لعملها وارتكازها ، فى حين أن « الارض » استخدمت محاور ثلاثة فى درجة واحدة من الاهمية .. دارت حولها الاحداث الى النهاية ، هذه المحاور هى :

١ ـ الارض ـ أرض اهل القرية بقطعها الصغيرة .

٢ ـ مقاومة الاهالى الجماعية أو شبه الجماعية .

٣ ـ الاقطاع واستخدامه لسلطة الحكومة بالقهر المباشر لاهل القرية .

وفى البحث عن بندقية يمكن تقديم تقسيم ـ نظرى ـ كما يلى :

١ ـ فئة محدودة العدد حاولت مقاومة الاستغلال وسلطته .

٢ ـ فئة سلبية هم معظم اهل العزبة ، تعودت الخضوع والخنوع وتؤثر السلامة .

٣ ـ فئة انتهازية فى خدمة الاقطاع، وفى خدمة مصالحها الشخصية .

وفى تقديرى ان المؤلف صور الفئة الاولى ومعظم الثانية بكثير من المهارة والدقة ورصد حركاتهم واقوالهم ، وتصرفاتهم ، وحوارهم ، واحلامهم وهمومهم ، وهذه احدى الميزات الهامة فى هذه الرواية ، وفى الوقت نفسه نجدان جزءا من الفئة الثانية مع الثالثة لا ينموان ولا يتطوران بالقدر المناسب فنيا ، بل يحافظان على نوع من نمطية جامدة طوال الرواية ،وهذا مما اضعف من رصد حالاتهم النفسية والسلوكية، وقلل من دورهم فى الصراع سواء أكان سلبا أو ايجابا ، وجعلهم بمعزل ـ أو شبه معزل ـ عن الاحداث ، بقعة باهتة فى الصورة ، برغم أن الصورة صورتهم وتخصهم فى المقام الاول ، وبرغم ـ كذلك ـ اختلاف المصالح ، وتضارب المنافع ، ولا أعنى بهذا هو مجرد بعدهم عن الاحداث ـ فهم برضاهم وبرغمهم متواجدون فيها ـ بل أعنى أنهم اصطبغوا بصبغة شابها الجمود والركود ، ليس بحكم طبيعتها وملامحها الذاتية ومزاجها وسلوكها ـ بل بما فرضه عليها المؤلف نفسه ـ وليس نابعا من دورها .

***

والشخصية الرئيسية تنفرد بخاصيتها الفنية ، فاقتحمت عالمنا دون تباطؤ او انتظار ، لنرى نوازعها وهمومها وخطوات مصيرها بعد أن

تكاثفت وتعقدت وتشابكت الى ان نصل فى نهاية الرواية ، برغم المسحة الرومانسية ــ الى نتائج حتمية بعيدة عن الانفعال خلال الحقبة التاريخية التى تتناولها الرواية كاشفة عن جو الريف المثقل بالمظالم والعبودية النفسية والاقتصادية .

والرواية فى عمومها يمكن تقسيمها الى قسمين :

قسم سعى بكثير من المهارة الىسبر اغوار الشخصية ، وتحديد ملامحها وقسماتها النفسيةوالاجتماعية ،وعرض توتراتها ومشاعرها ومشكلاتهاالداخلية تجاه الاحداث ، بحيث نجح الكاتبالى حد بعيد فى رصد مختلف الاهتزازات والاضطرابات والانفعالات التىصاحبت البطل فى مسيرة حياته ، يحيط ذلك كله باطار الريف وبيئته المحلية ، وهو لم ينس استغلال البيئة جيدا ،وجعلها تشكل نسيجا هاما فى رسم الاحداث.

« يمثل هذا القسم بوضوحغالب: فصل : الارض ، وفصل : البندقية »

وقسم آخر ابتعد كثيرا عن العالم الداخلى سواء بالنسبة للبطل او من اتصل بهم او عاش معهم ، وهذاتسجيله للتوترات ، والافعال وردود الافعال ، واهتم بالاطار الخارجى ، وسجلالبيئة من ظاهرها دون دمجها وتداخلها ، وجريان الاحداث كان قريبا من « الريبورتاج» فى بعضها ، على الاقل مبتعدا عن التعمق الذى ساد القسم الاول « يمثل هذا القسم : فصل البلدة وفصل الام »

هذه رواية ريفية ، ، تستقبلك رائحة الريف قادمة من البيوت ، والحارات ، والازقة ، والدكاكين ، والحقول ، والاشجار ، والاحواض الزراعية ، وتهب عليك الرائحة من الوجوه ، والسلوك ، والمعاملات، والخفايا والاسرار والانحلال المستتر.

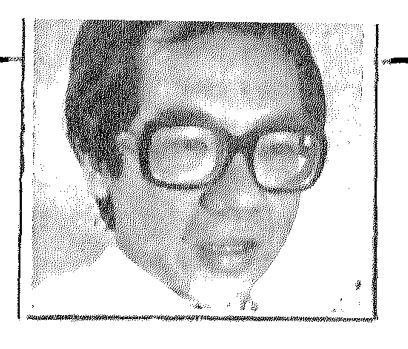
وتقف هذه الرواية فى صف الروايات التى تعكس الصراع بين الظالمين والمظلومين ، وتصور البؤس الانسانى ، من خلال الوضع الاجتماعى القائم حيث الفقر قسمة الفلاح ، فيقوم باشق الاعمال لكسب ادنى حد من الرزق ، واستغلال اصحاب الارض ومالكيها لتعب الناس وجهودهم .

وبرغم كل الظروف فقد تحول تدريجيا موقف اهل العزبة من «سيد» وخف الاحتقار والازدراء ، وحل محلهما شعور بالرضا والاكبار ، فاصبح « سيد» .. ــ « الدودة » ــ كما كانوا يصفونه .. السيد بحق وحقيق .

هذا ولم تخل هذه الرواية من اخطاء وهنات . منها كثرة الوصف لمجرد الولع به وبغير ضرورة فنية ، ومنها استخدام جمل طويلة يضيق القارىء بطولها ، ومثل : ارتفاع صوت المؤلف احيانا على صوت الشخصية ، ومنها :

كيفية استغلاله لحكاية الزناتىخليفة ومنها ، بضعة سطور هنا او هناك ، زائدة كان يحسن هجرها ، ومنها: سطور نهاية الرواية عند قوله : يا امي ص ٢٨٤ زيادة مقحمة ، ومنها : بضعة اخطاء لغوية ومطبعة ، ومنها : استخدام كلمة : الرياح .. ونحن فى بؤونة ــ عز الصيف .

لكن برغم ذلك فان هذا العمل يبشر بروائى واعد ●



فى لندن وسنغافورة

لقاء مع الأديب السنغافورى

الدكتور تواسو بونج

فى طريق عودته من لندن الى وطنه سنغافورة ، أمضى الاديب السنغافورى المسرحى « تواسوبونج » اياما فى القاهرة عقد خلالها لقاءات مع المخرجين ونجوم المسرح المصرى وتابع باهتمام احدث العروض المسرحية .

وفى لقاء معه ، سألته عن اهم ماقدم للمسرح من أعمال .. فقال تواسوبونج: فى سنغافورة ، وطنى ، قدمت أعمالا مسرحية لتليفزيون سنغافورة عام ١٩٦٩ حيث كتبت واخرجت نحو عشرين مسرحية ، منها : « الفنان الشاب وهى كوميدية ــ ثم «زهور الصداقة» . وهى مسرحية طويلة من ثلاثة فصول .. ثم « الام ايضا تخطىء » وهى للاطفال ..

ومن اهم مسرحياتى « الهدية غير المتوقعة » وقد فازت بجائزة عام ١٩٧٨ فى مسابقة وزارة الثقافة هناك ، وهى تحكى قصة شابين أراد كل منهما ان يقدم هدية للآخر فى مناسبة قومية ، ولكن الخطأ وسوء الحظ كانا حليفهما اذ وصلت هدايا مفاجئة ومختلفة تماما ..

والاديب السنغافورى تواسوبونج يحمل درجة الدكتوراه من لندن فى علم الاجتماع والاجناس ، ويعمل استاذا فى جامعة سنغافورة مدرسا لعلم الاجناس باللغة الانجليزية .. ولكنه يقدم مسرحياته باللغة الصينية التى حصل فيها على البكالوريوس من جامعة سنغافورة ثم واصل دراساته فى جلاسجو ولندن وبلفاست .

وعدت أسأله : لقد شاهدت الكثير من المسرحيات فى بريطانيا خلال اقامتك هناك .. ما رأيك فيها ؟ قال : لقد كنت أراسل اكبر الصحف السنغافورية اثناء اقامتى فى لندن واكتب لها عن المسرح البريطانى ، وقد شاهدت فى خلال اقامتى هناك حوالى أربعمائة مسرحية انجليزية فى لندن او مانشستر او بلفاست وغيرها ، والتقيت بالكثير من مخرجى وممثلى ومؤلفى المسرحيات التى شاهدتها ، خاصة واننى كنت وما زلت امارس الاخراج والتاليف المسرحى الى جانب عملى كأستاذ فى الجامعة .

ورايى أن الدراما فى بريطانيا بلغت الان مستوى عاليا لاسباب كثيرة ، منها أن الدراما لها تاريخ طويل هناك ، فمنذ القرن السادس عشر حتى الان ، تتوالى أجيال مجيدة من كتاب الدراما والمسرح ومترجمى الاعمال المسرحية الجيدة .

ومنها ان المسرح فى بريطانيا يتمتع بحب تقليدى متجدد من الجمهور ، وبذلك تتحقق له موارد كافية .. ولان التليفزيون والاذاعة هناك يقدمان اعمالا مسرحية جيدة ، فان المسرح الانجليزى يحاول دائما ان يرفع من مستواه ليكون منافسا قويا لهما ..

كما ان عندهم عددا كبيرا من مدارس ومعاهد الدراما ، بعضها حكومى وبعضها أهلى ، وكثير من مشاهير الفنانين المسرحيين يعطون دروسا فى تلك المعاهد ، مما يرفع المستوى المسرحى هناك ..



اوبرا تاريخية صينية عرضت
فى سنغافورة فى مهرجان فنى

بالاضافة الى ذلك فهناك هيئات متخصصة في المسرح مثل «الاولدفيك» و «المسرح القومى» ، و « المسرح الملكى » فى مانشستر ، و « المسرح المدنى » فى جلاسجو ـ وهى مسارح تقدم اعمالا كلاسيكية لشيكسبير ، وابسن وغيرهما .. الى جانب مسارح الهواة، والمسارح التجارية التى تقدم اعمالا سريعة للسواح .. وكل هذا يرفع من مستوى المسرح والحياة المسرحية فى تلك البلاد.

قلت له : وماذا عن المسرح فى بلادك واهم اعماله وفنانيه ؟.

قال : عندنا فى سنغافورة حوالى عشرين فرقة درامية مسرحية تقدم اعمالها بأربع لغات ، بعضها يقدم مسرحياته بالصينية وبعضها بالملاوية وبعضها بالانجليزية ثم باللغة الهندية.. وجميع الفنانين من الهواة اى ان لكل منهم وظيفة يؤديها فى الصباح، ثم فى المساء يعمل بالتمثيل او الاخراج حسب ميوله واستعداده .. اى ان الفن فى سنغافورة ليس حرفة يتعيش منها ، ومعظم العاملين فى هذا الحقل الفنى من الشباب، اذ ان المسرح السنغافورى لم يظهر الى الوجود الا مع بداية حركة الاستقلال منذ عشرين عاما او اكثر قليلا، فقبل ذلك كانت المسارح انجليزية، وكانت هناك بعض الفرق الصينية .. ومازال للمسرح الانجليزى آثاره فى سنغافورة من اهمها « نادى المسرح » الذى يرجع تاريخه الى اكثر من ثلاثين عاما .. واهم المسارح التى تقدم باللغة الصينية الان « مسرح الشباب » ويقدم اعمالا فى المسرح وللاذاعة والتليفزيون ، ويقدم اعمال الفنانين والمخرجين والمؤلفين الشبان .

وكثير من الاعمال المسرحية تترجم من لغة الى اخرى مثلا بعض المسرحيات الصينية تترجم الى الملاوية وغيرها وهكذا ..

واستطرد الاديب والمسرحى السنغافورى تواسوبونج يقول :

ـ ان جميع المبانى المسرحية عندنا ملك الدولة ، وكل الفنانين والمخرجين من الاهالى ولا يحصلون على مرتبات من الدولة ، فالحكومة تنفق فقط على الاداريين الذين يقومون برعاية المسرح ومبانيه وما الى ذلك ، وهذا من اختصاص وزارة الثقافة بالذات .

وتقوم الحكومة بتشجيع الفنانين باقامة مباريات ومسابقات فى التاليف المسرحى والاخراج والتمثيل ، وتقدم للفائزين جوائز مالية مختلفة ، الى جانب ما تقدم من شهادات التقدير ، والميداليات فى جميع الوان الفنون من تاليف واخراج وتمثيل وغيرها من الفنون .

●●

قصـــة

محـــــــاورة

● وفية خيرى ●

.. ليلة عيد الميلاد .. كتلة الاجساد البشرية تتمايل نشوى بحلول العام الجديد .. التقت عيناي بعينيه .. اشاح عني بوجهه ، اندمج في الحديث مع مجموعة من الاصدقاء وسط الضجيج ومع ذلك احسست بنظراته تخترق ظهرى ، مع تمنيات الاصدقاء لى في العام الجديد ـ رغم انشغاله بالحديث ...

قابلته لاول مرة عندما قدمه لى أحد زملاء المكتب

ـ آنسة منى .. أقدم لك الاستاذ محمود

ـ اهلا وسهلا •

ـ الانسة منى رغم اننا كنا زملاء دراسة ، وخريجي دفعة واحدة ، الا انها اصبحت الكل فى الكل هنا ، بينما لا ازال انا ـ محلك سر ! •

ـ تشرفنا يا آنسة منى

ـ الاستاذ محمود جار وصديق قديم .. لطالما لهونا ولعبنا سويا بالكرة الشراب ونحن اطفال .. اردف هو باسما :

ـ كان يسير مختالا ببنطلونه الطويل عندما كنت انا لا ازال أتعثر فى البنطلون القصير !!

تصغرنى اذن ـ ما دمت تصغر زميل دراستي ... فهمنا الاشارة والتلميح ـ لا باس ، ثم ماذا ـ تريد مني خدمة ـ ساقضيها لك على اى حال فهذه مهنتي ووظيفتى التى اتقاضى عليها مرتبى قدم الطلب مشفوعا بالمستندات وسوف ننظر فيه ـ مكتبنا مخصص لذلك • لتقديم الطلبات والمستندات ولم يشترط من بينها حداثة السن والفتوة وقوة العضلات •

ومع ذلك ورغم هذه المقابلة التى اتسمت بالزهو والخيلاء من جانبه ، احسست انني سأراه مرة ثانية وثالثة ، وانه سيكون بيننا اشياء ـ لا ادرى كيف ـ اقول لكم الحقيقة ، ربما لانني اردت ذلك ، من صميم قلبى أردته ـ ربما عملا بالمثل القائل «القط يحب خناقه» ربما لانى عندما تشممت رائحة التحدى فى لهجته تفتحت شهيتى للدخول معه فى محاورة لنرى من منا المنتصر ومن المهزوم ...

ولقد صدق ظنى ـ لقد سعى الى مرة آخرى ـ جاء لمكتبنا يسال عن مصير الطلب ، لاحظت انه قد انتقى ملابسه بعناية ، وانه يبتسم كثيرا ، ويتحدث فى مرح وحماس • وحاولت أن أدارى ارتباكى .. انشغلت بالبحث له عن مصير الطلب ، أدرت له ظهرى وفتحت درج الملفات .. سمعته يهمس ورائي فى صوت خافت :

ـ ماذا تفعلين مساء اليوم ؟ ان لم يكن هناك ما يشغلك فانا ادعوك ...

التفت اليه فجاة بهذه السرعة تكون الامور ؟ وفى مكان عمل تطلبني للمقابلة !

بهت لصمتي وتحديقى فيه ...

ـ آسف ، لم اقصد الاهانة ..

مددت له يدى بالطلب :

ـ ما هو طلبك ـ مرفوض !

امسك بالطلب ... قرا التاشيرة عليه فى اندهاش •

ـ مرفوض ؟! هكذا ، دون ابداء الاسباب والمبررات ..

ـ اى خدمات اخرى ؟

ـ اريد تفسيرا لما حدث ...

ـ عندنا لا نفسر لعملائنا اسباب الرفض والقبول ! ..

انتم بهذا تفقدون العملاء !..

رفعت راسي اليه وسددت اليه نظرة وضعت فيها كل ثورتى عليه ممزوجة بمشاعر التحدى التى بدات تملا نفسى نحو هذا المحاور الجديد •

بهت للنظرة .. شكرنى واستعد للانصراف •

ولكن فجاة وهو خارج من الباب اصطدم برئيسي، مدير الشركة ، داخلا الحجرة وهو يحمل فى يده زجاجتي مرطبات واحدة له وواحدة لى كعادته كل صباح •

تعالت بينهما كلمات الترحيب ..

ـ هذا انت يامحمود ؟ .. كيف تجيء للشركة دون ان تمر بى •

ـ لى زمن لم اولك يا همام بك •

غادر الاثنان الغرفة وقد تشابكت آيديهما ، بعد أن ترك المدير زجاجتى المرطبات على مكتبى دون أن يلقى على تحية الصباح •

صديق اذن هو للمدير ـ ومع ذلك جاءنى انا ـ ادعى انه مجرد عميل من العملاء ممن لا رساطة لهم ، وهؤلاء غالبا ما نرفض لهم الطلبات ـ مكتبنا يرفض كل طلب ما لم يكن مشفوعا بتوصية من شخص من الشخصيات التى تجرى بيننا وبينها المعاملات •

لماذا فعل ذلك ؟..

وفى اليوم التالى كنت اتلهف شوقا الى رؤيته ... لا بد سياتى للشركة مرة أخرى ، على الاقل لمقابلة المدير .. كنت أحدق فى وجوه الغادين والرائحين ... لم يات ولم أره بعد ذلك لمدة شهور ... ثم فجاة ، وانا اعبر الميدان توقفت سيارة صغيرة امامي وسمعت صوتا مالوفا ياتيني عبر الباب المفتوح :

ـ لقد قبل مشروعي ... أتعرفين • قبله المدير !

حدجت فيه صامتة وضجيج الشارع يحول بينى وبين استيعاب ما يقول :

ـ انها عبارة تقليدية يستخدمونها للمساومة •

ـ أنا لا افهم ما تقول !

ـ بل تفهمين ، اقصد عبارة «مرفوض» يقصدون بها المساومة ... هذا شانهم دائما ، يطلبون مقابلا لما يقدمون لك من خدمات ... لقد عرفت ما يريدون فاعطيتهم ما يريدون ـ ماذا اسميه : «بقشيش» ! ..

تريدين أن اوصلك الى مكان ما ؟

سرحت بافكاري بعيدا :

ـ شكرا ... لا أريد « بقشيش » !

استدركت :

ـ بيتي على بعد خطوات من هنا ، مجرد أن أعبر الطريق ! ...

تركته وسرت في طريقي وبركان من الثورة والغضب يهز كياني ... هزمت في الجولة الاولى، ولكن لا بأس فستكون بيننا جولات أخرى ـ لايمكن أن تنتهي المحاورة بيننا بمثل هذا الاسلوب .

وانشغلت بعد ذلك بحياتي وعملي وانا احاول جهدي ان اطرده من ذهني ـ ان الهزيمة شيء حقير ـ تعودت دائما على الانتصار ـ كيف يهزمني هذا المغرور .. ولاول مرة اشعر ان شيئا ما قد انكسر بداخلي ..

كنت اصحو في الصباح فاشعر انني لا اود ان انهض من الفراش ـ فجاة ، كرهت عملي ، كرهت المدير ـ لم اعد اقبل دعوته لي على فنجان قهوة او زجاجة مرطبات كعادته كل صباح ـ كرهت العملاء ذوي الكروش والساعات الفاخرة والنظارات ذات الاطر الذهبية فليذهبوا جميعا الى الجحيم !

اريد ان أخلو لنفسي ـ أفكر في مستقبلي ـ بلغت الخامسة والثلاثين دون زواج ، الجميع يقولون انني الكل في الكل هنا ـ هراء ! .. ـ مجرد واجهة براقة نظيفة لواقع حقير ـ الخدمة مقابل الخدمة ـ المساومات تجري جهارا نهارا ـ يساومون على كل شيء حتى على المقدسات .

ولكن هو ـ لماذا يحاورني ـ ماذا يريد ؟

ووجدتني أسعى الى الزميل الذي عرفني به ـ انتهزت مناسبة عيد الميلاد لكي أتمنى له سهرة طيبة بين الاسرة والاولاد .

رحب بي ـ جلست امامه أحتسي فنجان القهوة الذي قدمه لي :

ـ هذا شرف عظيم ان تخصيني أنا بالزيارة دون بقية الموظفين رغم اني لست على مستوى المديرين .

تغاضيت عن العتاب والتلميح ـ حاولت ادارة الحديث نحو الوجهة التي اريدها .

ـ آه تقصدين محمود ، جاري العزيز القديم ـ لا تصدقي انني أكبره ، هو يكبرني بعامين ـ أراد مداعبتك عندما عرف أنك كنت زميلة دراستي .

ذكرت اسمي يا زميلي مسبوقا بلقب آنسة ، انسة في الخامسة والثلاثين يلقبونها بالكل في الكل . هنا ـ لا بأس من هزة بسيطة تهز هذا الكيان المتماسك المتين ـ

ـ قبل المدير طلبه بعد ان رفضته ادارتي ..

ـ هراء ... المدير لم يقبل المشروع ـ الطلبات لا تعرض على مجلس الادارة اذا كان مؤشرا عليها من ادارتك بالقبول .

ـ تعني ...

ـ أعني ان الطلب سيعاد اليك مرة أخرى للتاشير عليه .

ـ لن أقبل !

ـ جاءت معرفتكما اذن بعكس ما كنت أتوقع..

ـ وهل توقعت ان اقع في غرامه فاقبل ما سبق ان رفضته ادارتي ؟!

ـ تصورت انك ستعملين خاطرا لي .

ـ تعرف انني لا اجامل أبدا في العمل !

ـ ولا في العلاقات ، وربما كان هذا هو السبب في بقائك حتى الان ... دون زواج ... أهذا ما أردت ان تقوله يا زميلي العزيز ؟!

نهضت دون كلمة ، وغادرت المكان ...

وكما توقع زميلي تماما ـ جاءني الطلب مرة اخرى مشفوعا ببطاقة توصية من المدير ، كدت أمزقه ... كيف تصور انني يمكن أن اغير رأيي في قرار اتخذته بعدم القبول .

وهذا المدير ـ منذ متى وهو يحافظ على المظاهر ويلتزم بالاصول ... انه يقبل ما يريد ان يقبل دون حاجة لهذه الرسميات .

اخذت الطلب وسرت متجهة نحو مكتب المدير ـ ولكن فجاة وجدته امامي يبتسم لي :

ـ آنسة منى ...

ـ هذا طلبك ، كنت ذاهبة به الى المدير ..

ـ ان المدير يعرف عنه كل شيء .

ـ سبق لي ان رفضت الطلب ، ولكنك تصر على احراج موقفي .

ـ اعادة النظر في الأشياء كثيرا ما يفيد . والوساطة ايضا امر غير مرفوض خاصة اذا كان الدافع نبيلا ...

اختلطت في ذهني الاشياء ـ اصبحت وانا اعيد قراءة المشروع اسرح بخيالي في شخصية محمود ـ احقا دافعه نبيل ـ ماذا يريد مني ـ ان اقبله، هو ام اقبل المشروع ... ولحيرتي وتشتت افكاري، قررت ان اركن الموضوع ... تاركة لعامل الزمن اظهار حقيقة الموقف بيننا ، فلو كان المدير حقا يريد مجاملة صديقه لما اكتفى ببطاقة التوصية ، ولحدثني بنفسه في الموضوع .

والان ، ونحن نحتفل بالعام الجديد ، وشرائط الورق الملون تتدلى من السقف وتختلط « بالطراطير » على الرءوس ، وكرات من الورق الواهن يتقاذفها الاصدقاء في مرح وجنون ـ أراه منشغلا عني بالحديث ـ ولا زالت المحاورة بيننا قائمة نتبادل حوارها بلغة العيون .

وفجاة ، وكما توقعت تماما ، استدار وواجهني بعينين دهشتين كعيون الاطفال ، وكأنه يراني لاول مرة :

ـ آنسة مني ... أنت هنا ـ ياللحظ السعيد !

وقبل ان أرد تحيته اردف وسط الضجيج .

ـ اما آن الاوان لتغيري من طريقتك في المعاملة ... شكى لي بعضهم من ان معاملتك مع العملاء سوف تؤدي بشركتكم الى خراب أكيد !

سكت ، ولم أجب ... أضاف هو بصوت متردد خجول :

ـ هل لي ان أعرف مصير الطلب ؟

هكذا تتصور انك بهذه الطريقة ـ بهذا الاستفزاز والتحدي سوف تدفعني الى ما تريد ـ « حسنة وانا سيدك » أسلوب لا يخيب ، ولكن معي أنا الحال مختلف :

ـ طلبك مرفوض ، للمرة الثانية مرفوض ، برغم وساطة المدير .

وقبل ان يسترسل في استيضاح الموضوع ـ اردفت :

ـ وضعت المدير في خيار ما بين قبول استقالتي او قبول المشروع... رفض استقالتي فانا بالنسبة له أهم من صداقتك بكثير .

وفي اليوم التالي جاء المدير الى مكتبي لتهنئتي بالعام الجديد ، وشربنا القهوة وتضاحكنا وتجادلنا فيما نتحدث فيه من أمور .

انا لا اجامل ابدا في العمل ـ ولا اقبل الوساطة ـ ولا حتى من المدير .

لم اصل لهذا المركز اعتباطا ـ وصلت اليه بالجد والكفاح ومعرفة « بواطن الامور » ـ فامراة مثلي اذا وضعت استقالتها في جانب ـ وفي الجانب الاخر قبول مشروع اوصى عليه المدير ، واختار المدير الاحتفاظ بها على حساب مجاملة الصديق ، فلا بد انها حقا امراة جادة صلبة لا تجامل ابدا في عملها .

ولكن لا بد انها احيانا تجامل المدير ! ●●

صوت شعرى معاصر

● ماهر شفيق فريد ●

د.ج. انرايت واحد من ابرزالشعراء الانجليز المعاصرين ، كتب عنه بليك موريسون دراسة عنوانها « حكايات فى جنة عدن » وذلك فى عدد من « ملحق التايمز الادبى » بمناسبة صدور ديوان جديد لانرايت عنوانه «الفردوس محلى بالصور » .

يقول بليك موريسون : ان كلمة « لا ادرى » هى الصفة التى كثيرا ما كان يوصف بها مجموعة « شعراء الحركة » : فليب لاركن وكنجزلى ايمس ودونالد ديفى ، وغيرهم ممن اسهموا فى مجموعة شعرية عنوانها « ابيات جديدة » او – ان شئت – « خطوط جديدة » ، وقد ارتبط انرايت بتلك المجموعة من الشعراء وبدأ شعره يظهر معها فى الخمسينات . قيل ان هؤلاء الكتاب يتسمون بالحذر والشك وقلة القابلية للانخداع ، وهاهو ذا انرايت يأتى لكى يعيد كتابة قصة سقوط آدم وحواء كما وردت فى التوراة .

ان انرايت – بطبيعة الحال – خليق ان يستهجن الزج بتلك البطاقة القديمة – بطاقة « شعراء الحركة » – فى معرض الحديث عن ديوانه . فقد ظل دائما رجلا مستقلا . وان الصفات التى خلعها النقاد عليه عبر السنين : « هو ذو اصالة ، فطن ، متهكم » – قد وجهت الانتباه دائما على التقريب الى الصفات التى تنفرد بها موهبته ، ففى الشعر كما فى السياسة كان الدور الذى يستمتع به اكثر من غيره هو دور الحاد اللسان ، الذى لا يكبحه شىء ، الساخر من الشعارات الفارغة . لقد كان دائما بعيدا عن النظر الى الاشياء بعين التوقير ، وهذا ما يضفى على ديوانه الجديد تشويقا خاصا .

***

وقصيدة « الفردوس محلى بالصور» التى يحمل الديوان عنوانها تشغل نحو ثلثيه وتتكون من سلسلة من الحكايات القصيرة عن جنة عدن ، مرورا بذكر التفاحة المحرمة ، الى موت آدم فى سن التسعمائة والثلاثين ..

وفى هذه الجنة كما يذكر الشاعر انرايت من الكماليات اكثر مما يحتاج اليه المرء: مرطبات ، وماء ساخن ، ونقود..وهى مفارقة يستكشفها انرايت حين يقول : « اذا احتجت الى مال ، فان المال ينمو على الاشجار ، ولكن ما عساك صانعا بالمال ! »

وعلى هذا النحو ايضا يصور غواية الثعبان لحواء – بلغة السبعينات ..ان الحيلة التى يلجأ اليها الثعبان هى انه يخبر حواء بانها ضحية لتعصب آدم لجنسه من الذكور ، فيقول لها : «انها مؤامرة بطبيعة الحال . والهدف منها هو ابقاؤك فى مكان التابع .. انه لايريد الا ان تظلى بكماء » .

ليس ثمة ماهو جديد بصورة خاصة فى هذا الاضفاء للطابع المعاصر على مادة التوراة ..

ففى ديوان « كرو » او « الغراب » فعل تدهيوز نفس الشىء ، وهذه

الحيلة يمكن ان تغدو مملة بسرعة .. بيد ان انرايت - على الاقل - لايحمل عصريته على محمل الجد ويرفض ان يعظ عن مدنيتنا ، ان التوريات والنكات هى الشيء الرائج فى ايامنا . وآدم المتقدم فى السن يقول لورثته : « لقد كانت الامور مختلفة فى ايامى .. فقد كان الناس يعيشون الى الابد انذاك ».
وهذا الفردوس الحافل بالمزح والالعاب يقف على النقيض من جنة ملتون الجادة فى قصيدة «الفردوس المفقود» . خليق بنا ان نتذكر ان الناقد الراحل ف.ر ليفيز قد اخذ على ماتون اسلوبه الجليل وموسيقاه المسكرة .

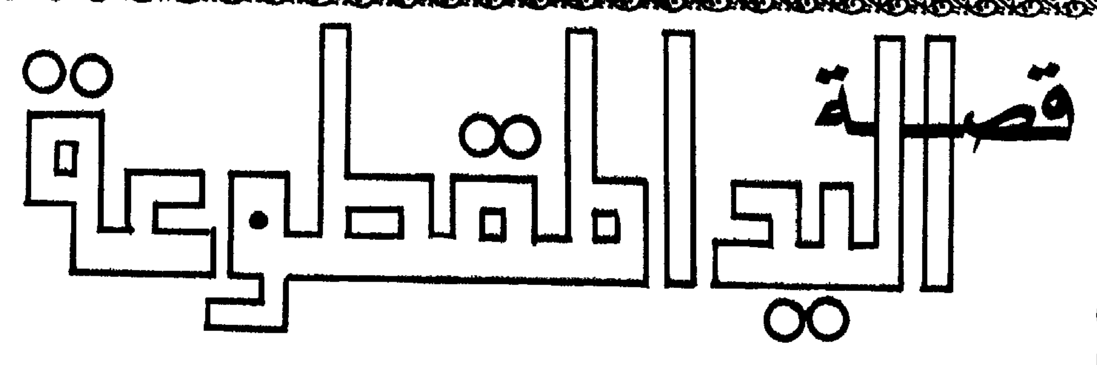
وانرايت الذى كان ذات يوم تلميذا لليفيز فى الجامعة يضمر نقدا مشابهـا لملتون عندما يلمح فى ثنايا كتـابه الى البيت التاسع والثمانين من الكتـاب التاسع من قصيدة «الفردوس المفقود».

وفى احيان اخرى يلمح انرايت الى بليك ويبدو انه يحاكيه محاكاة ساخرة بيد ان الاهداف التى يسدد اليهـا سهامه اكبر من ذلك فان اكثر خيوط « الفردوس محلى بالصور » الحاحا هو ان الادب باكمله بل واللغة ذاتها نتيجة للسقوط . ان التشبيه والبلاغة هما « اداتا الشيطان » واللغة اداة تدمير : « اننا نثرثر حتى الموت بعدة اصوات» على حين ان « الصمت هو لسـان البقاء »

والمفارقة التى ينطوى عليها هـذا الموقف هى ان انرايت ذاته ثرثار كبير يؤثر « شعر المناسبات » . فكثير من قصائده تبدا كرد على شخص ما او شيء ما ، بدلا من الصنعة المنمقـة بعناية وانبثاقات البصيرة . وكثير من القصائد فى الجزء الاخير من «الفردوس محلى بالصور » تلقائية على نحو يدعو للاعجـاب احيانا وموحية بانهـا قـد ارتجلت على عجل فى احيان اخرى .. وفى هذه القصائد يلعب انرايت دور الانسان الذى انجابت عنه الاوهام .. انه اكثر ازدراء لآلهة العصر الحديث: التحليل النفسى ، والتكنولوجيا، ودولة الرخاء ، والمساواة ، والادب - منه للالهة القديمة . وهنا يصبح سـلاح انرايت هو المحاكاة الساخرة . وفى هذا العصر الذى يجنح فيه الشعراء الى نظم الصور لا الافكار ، فى سلاسل قـد تضعف شعبية انرايت ، ولكنه فى خير قصائده يظل يستخدم على نحو ناجح فن ازالة الوهم من نظرتنا الى الاشياء.

فى العـدد القـادم

نتيـجـة مسـابـقـة
إقـرأ الـهـلالـ واكسـب جـائـزة



● محمد كمال محمد ●

فى أعماق عينيه حدقت ، وأنا احادثه دون ان يجيب : لا أصدق انه ولدى بذاته ..

ــ سيسقط البيت .. لابد ان تتركه توا !

رددتها ثانية ليفتح فمه المطبق بكلمة ترد لهفتى .. ظل واقفا مثلما وقفت بعد ان قدم لى مقعدا نحيته بيدى ..

ــ لن تجد بيتا عندما تجىء لزيارتنا .. لقد حددت لى الموعد ولم تأت ؟

كنت خلفت ورائى الدهليز الممتد وعنابر المرضى على الجانبين ، حتى مسكن الاطباء ابحث عنه بعد ان تهرب منى أياما .. وكان خارج غرفته جالسا مع اخته الصبية التى سبقتنى لزيارته يلعب الورق !

كان اليأس حاداً بداخلى . وربما لن يطلع علينا نهار نتنفس هواءه . وليس ثمة نجاة بغير ان تمتد لنا يده ..

هدرت فى وجهه ، عندما لم أجد سوى كلمات تعثرت على شفتيه :

ــ منذ اللحظة لاحق لك ان تعرفنى !

انخطف لون أخته التى كانت تنظر نحوثا ممسكة بالورق حتى ينتهى الموقف لتواصل اللعب .. حملقت فى وجهى المرتعد ممزقة بالدهشة والاسى .. صحت فيها لتنهض ، فالقت الورق واختلست الى اخيها نظرة منخفضة وقامت متباطئة ..

كنت ارتجف بالصدمة والالم ... وكانت عيناى مظلمتين ، كأنما اطبقتا دون ان ادرى ..

دقت اذنى نشجة ابنتى فنهرتها :

ــ تبكين ! انه لا يستحق !

كانت الارض الاسمنتية القاتمة مبللة بالماء والصابون .. وكنت اخطو محاذرا بين النساء المنحنيات يمسحن فى تباطؤ .

رفعت ابنتى الى وجهها ..

ــ اين نذهب لو سقط البيت ؟!

ارتعدت يدها فى يدى ..

فى خفوت قلت :

ــ من اجل ذلك ارسلتك اليه ..

حدقت امامى : فى مدخل الشقة التى بقيت بسكانها فى البيت وحدها ، كان الاثاث مكوما . وكانت زوجتى مع البنتين الكبيرتين يقبعن فى جوار ، لا يجسرن على التحرك ، والخطر الداهم يتربص ..

ــ لم افهم عندما قال لا نقود معى للشقة التى تريدونها .. قولى هذا لابيك !

مسحت دموعها المتساقطة وسألت :

ــ الن نراه ثانية ؟!

كانت ثمة عتمة فى نهاية الدهليز تلفلف ميتا يحملونه على محفة ..

اطبقت عينى على الظلام :

ــ الجاحد ؟

بصوت عال رددتها لنفسى ..

ثارت فى عينى الدموع ، وانا ادلف من بوابة المستشفى الى زحام الشارع

تصلبت يدى حول اليد الصغيرة .. كانت الوجوه تمرق من جانبى شوهاء وبعضها الاخر بلا ملامح ●

الإنســـان والحيـــاة.. والجمال

● عمر عمران احمد طه ●

تمتع بالجمـــال ولا تدعه ...
فما نبض الحياة سوى الجمال !
وكيف تقول فى الدنيا شـــقاء
وانت ترى اعاجيب الخيـــال ...
وكيف تحس اغلالا وهمـــا ...
وانت تعيش أشـــواق الوصـــال
ومـا عمـــر الفتى الا ثـــوان
مع الأحلام والســـحر الحـــلال
بنفسك أن ترى الأيام حســـنا
وتغفى للمخطـــوب وللنصـــال
وفى جنبيك اشـــواق تغنى ...
الى الفجر الســـنى الى المعـــالى
وانت تحيـــك أثـــواب الأمـــانى
وتصـــنع فى الورى أبهى اللآلى !

***

تمتـــع بالحيـــاة وجب هـــواها
وروحك مغـــدق عذب الخـــلال
تحيى طلعة الاصـــباح حبـــا
وكفك للنســـائم فى ابتهـــال
وقف بالروضة الغنـــاء واقطف
شـــذى الأزهار فى فيح التـــلال
وتجرى الشمس كى تحبوك دفئا
ويســـطع بالمنى قمر الليـــالى
اذا ابتســـم الحبيب ورق ثغـــرا
وأومـــا بالرضـــا حلو الـــدلال
واشـــعل فى الفؤاد لهيب حب
وأجج لهفة برؤى الوصـــال
فهـــذا الكـــون عند خطاك يلهو
وانت بســـاحه رحب المجـــال
وفى قـــرب الالـــه رياض أمـــن
وفى الايمان واحات الظـــلال
وكل الخلق يسبح فى انبهـــار
يكبر للمهيمن ذى الجـــلال ...
لمـــن خلقت أفانيـــن الجمـــال
لمن يا قوم هاتيـــك المجـــالى !

قصة

الملاك ينسحب



● مرفت مصطفى عابدين ●

● سيدتي الفاضلة .. اسمحي لى ان أكتب لك هذه الرسالة بعد ان خرجت من المصحة العقلية وتم شفائي..اسمحي لى ان آخذ من وقتك لحظات تكفي لمجرد قراءة رسالتي ، ولو اني أعرف أنه ليس عندك وقت فراغ ولو لبضع دقائق ـ ومن خلال رسالتي .. هناك سؤال اوجهه لك أيضا ولا أطمع في الاجابة عنه ..

عندما كنت شابا فى الثامنة عشرة رسبت فى اختبار الثانوية العامة ، ولقبت بالفاشل ،وقررت الانتحار لفشلى في التعليم ولفقر والدى الشديد .. يومها برزت لى فتاة رائعة الحسن والجمال ، أشبه بملائكة السماء وبنات الحور ، كانت ابنة أغنى رجل فى المنطقة مدت لى يد المساعدة والعون ، ولامتنى كثيرا على رغبتى فى الانتحار ، وأثنتنى عن عزمى ، وقالت فيما قالت « أن شبابك خسارة ، وأن الحياة جهاد .. وأن الطريق ليس صعبا .. وعليك أن تواصل المسيرة وتعيد الكرة ، وسيكون النجاح حليفك ان شاء الله ..

فتحت لى بهذا الكلام باب الأمل من جديد .. وكانت تترقب نجاحى ،وتفرح لأنها صانعة هذا النجاح .. وكانت تحفزنى وتدفع بى الى التقدم ، وتعطف على وعلى عائلتى وتمدنا بما يسترنا ..

وأحببتها كل الحب ، ولم تغلق الباب فى وجهى لكيلا اتمادى فى حبى لها وتعلقى بها .. حقا اننى لم أصرح لها بحبى ، لكنها كانت تشعر به .. حقا اننى لم أتغزل فى جمالها الفاتن ولا فى سحر عينيها لأنها كانت تفوق جمال البشر ، وتسمو وتعلو الى حد الغنى عن كل قول أو مدح أو حتى شعر يقال فيها .. كانت نظراتى لها حبا وطاعتى لها حبا ، وأصبحت طوع يدها تدفع بى كما تشاء ..

ونجحت بفضلها نجاحا باهرا ، هز وجدانى ، ورد لى كرامتى أمام أهلى وأهل الحى ، وتحول كسلى الى نجاح ويأسى الى آمال .. ولأنى كنت رهن اشارتها أفعل كل ما تأمر به دون جدل ، فقد دخلت الجامعة وحصلت على شهادتى كما أمرت هى ، وتهيأت لحياة كريمة كما قالت لى ..

***

وصارحت امي بحبي للفتاة الملاك ، وبرغبتى الشديدة في الزواج بها ففغرت امي فاها وقالت لى : « أجننت ؟ .. اتفكر فى الزواج بها وهي فى السماء ونحن فى الأرض » .. فقلت لأمي يومها انها هي حدثتني كثيرا « ان الرجل بعمله واخلاقه ، ليس بماله وحسبه ونسبه » .. فما كان

وهكذا وافقتنى أمى ولكنها طلبت منى تأجيل المسألة الى أن أؤدى فترة الخدمة العسكرية وأتسلم عملى بعدها ، واستعد بمهر مناسب ..

ووعدتنى كذلك أن تذهب الى والدتها لتمهد للموضوع .. وهكذا ايضا عشت بالأمل فترة تجنيدى ، وكنت أحلم بالعمل والربح لكى أحقق رغبتى وأمل عمرى ..

وعندما انتهت تلك الفترة وخرجت الى الحياة العملية ، وسألت أمى عن ملاكى ـ ردت على قائلة : « انها تزوجت ! .. »

وماجت الدنيا ودارت بي .. كيف ؟ الم تذهبى الى والدتها كما وعدتينى يا أمي ؟! »

فبكت أمي وقالت لى : ذهبت يا بنى ولكنى لم اقو على مفاتحة والدتها لأن



العين لا تعلو عن الحاجب ، ولأن هذه الطبقة خلقت من مسك وعنبر ، ونحن خلقنا من طين .. ومن الحكمة أن نعرف قدرنا ولا نتطفل عليهم بسخافات ربما تضحكهم منا ، وربما تجلب سخطهم علينا .. وأنا فضلت الصمت ، والله يساعدك على نسيان هذا الحب غير المتكافيء ! »

ولم أسمع بقية حديث أمي ..وفقدت صوابي ، وخلعت نصف شعر رأسي بيدي ،ولم يستطيعوا اسكاتي أو تهدئتي يومها أبدا ..

ضربني أبي وعنفني ولكن لم تخمد ثورتي بل زادت .. ثم لم أعرف ماذا حدث بعدها ، كل الذي أعنيه أنني دخلت مصحة عقلية .. نعم ، جننت بسبب الصدمة ..

***

ومرت الأيام حتى شفيت تماما وخرجت للحياة سليما معافى ..وكانت رغبتي شديدة في أن أرى ملاكي ولو مرة واحدة من بعيد ، يكفيني أن أراها فقط ، لأن حبها ما زال يسيطر على كل حواسي .. ولم تستطع كل هذه الاعوام أن تنسى القلب حبه ، لأن القلب هو التعبير الوحيد لحياة الانسان ووجوده وما يشعر به هو الصدق الذى لا نستطيع الهروب منه ..

والححت على والدتي لكي اعرف منها عنوان ملاكي ، وعرفته ..

وتلصصت عدة أيام بجوار مسكنها لعلي اراها ، وعندما رايتها تهلل وجهي فرحا ، وكاد قلبي يقفز من بين ضلوعي بهجة .. ولكنها للاسف نظرت لي نظرة عابرة ولم تعرفني لأن الزمن غير من ملامحي واضاف على قسمات وجهي سطورا لم تكن هناك من قبل ..

ومرت من أمامي وتجاوزتني وسارت في طريقها مرفوعة الرأس ، شامخة عظيمة كما عهدتها دائما ، وجمالها لم تنل منه الأيام بل زادته ..

وفتحت باب سيارتها والقت بنفسها داخلها وفي ثبات انطلقت في طريقها .. وأنا واقف كالمذهول من هول الموقف ووقعه على نفسي .. لقد نسيتني تماما ، وكان عقلها الذكي المفكر لم يعد يذكر هذا الانسان الذى أنقذته من الموت يوما ما .. ولا هذا الانسان الذى صنعته ودفعت به الى القمة بارادتها وعطفها ..

ان مشاغل حياتها لا تترك لها فرصة للتفكير في أى شيء غير يومها الذى تعيشه ، ومستقبلها ومستقبل أولادها الذى ترسمه وفق خطة منظمة تحكم تنفيذها .. أما أنا فبالنسبة لها فمجرد ماض لا تستطيع أن تتوقف لكي تتذكره

وأنا تائه في صحراء الحياة من أجل هذا الحب الذى كان ، والذى ضاع ..

وليس بيدى ان افعل شيئا اى شيء . كل ما أستطيعه هو الاحتفاظ بهذا الحب الى ان ياذن الله وتنتهي حياتي ..

والآن اتقدم واشكر ملاكي .. اشكر « صانعتي » يوم ابعدتني عن الانتحار واعادت الى املي في الحياة .. يوم ان عطفت على وساعدتني وساعدت اسرتي .. ولا الومها أبدا أو أعتب ، فقد سبق ان قلت انها ليست من البشر بل هي من الملائكة الذين يسطرون الخير بحروف من نور ، ويكونون سببا في سعادة البشر ..

انني الآن وبعد أن تم شفائي من الجنون ـ مرض العصر ـ اتقدم لصانعتي بالشكر ، واعود أسالها : لم أنقذتني من الانتحار ، وساعدتني لمواصلة السير .. ثم انسحبت من طريقي ، وتركتني اتوه في بيداء الحياة ؟! ..

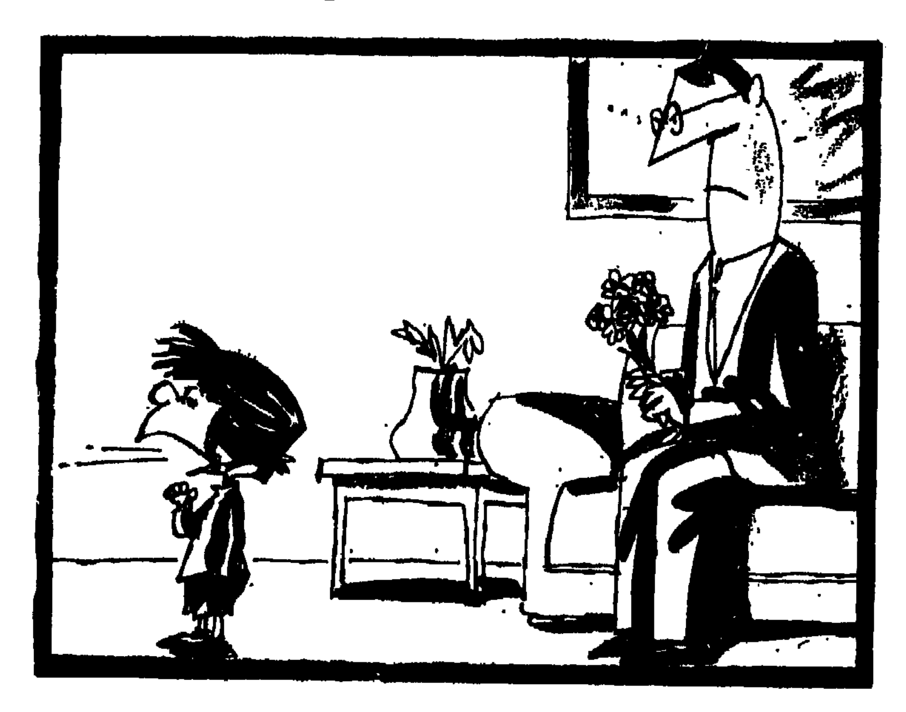
ان هذا الملاك المنقذ هو أنت يا سيدتي ..

كاريكاتير

جيل جديد جداً !



الولد لأبيه : وباعتبارنا دلوقت رجاله زى بعض ، لازم نحدد الاختصاصات بيننا ، ونتعامل على مستوى راجل لراجل ! .

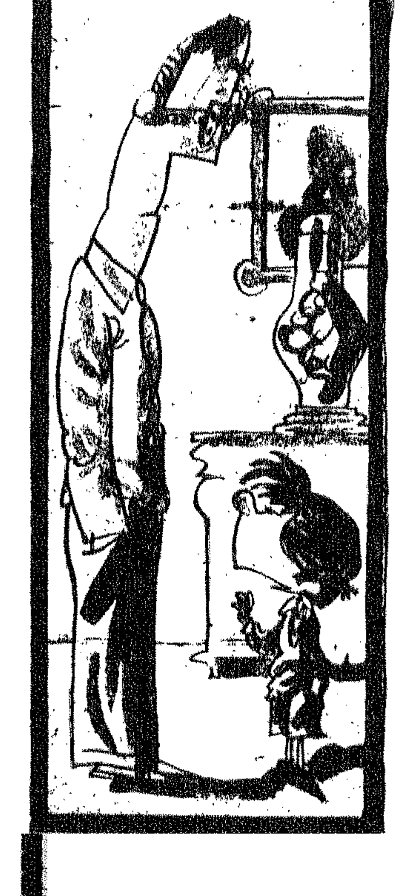


الولد « ينادى اخته » : يانادية .. الاستاذ الخطيب جه ، معاه الورد والـذى منه .. ايه رايك ، نفرج منه يروح يشوف واحده غيرك . والا احسن يستنى واستلم منه الهدايا ؟!



الاب للام : انا خــلاص
ضهـرى ح ينكسر ! ..
ياللا انتى بقى شويةاعملى
له نفسك حصان ! .

الولد لابيه : وقدامك دلوقت فرصة مدهشة..
مزاجى النهارده اخر عظمة .. يعنى تقدر تنتهز
الفرصـــة وتشتمنى زى ما انت عاوز ! ..



الولدلابيه : لما لقيـــت الجرسون مش عاوز ييجى
لنا ، قلت اعمل فيه كـده علشان ييجى يشتكى لـك
منى ، تقوم تنتهز الفرصة وتقول له على طلبك ! .



القصة الإنسانية البسيطة وراء الفوز بكل هذه الجوائز !

● ماري غضبان ●

●● فى النصف الثانى من ابريل الماضى اعلنت جوائز مسابقة ((الاوسكار)) للافلام السينمائية ، وفاز الفيلم الامريكى ((كرامر ضد كرامر)) على اكبر عدد من الجوائز ..
فقد حصل الفيلم على جائزة احسن فيلم لعام ١٩٨٠ وحصل مخرجه روبرت بنتون على جائزة احسن مخرج وحصل النجم داستين هوفمان على جائزة احسن ممثل فى نفس الفيلم ، وحصلت الممثلة الشابة ميريل ستريب عن دورها فيه ، على جائزة احسن ممثلة مساعدة .. كما حصل ايضا كاتب السيناريو المخرج روبرت بنتون على جائزة احسن سيناريو ..

● وكل هذه الجوائز فاز بها الفيلم الذى كتب قصته الروائى ايفرى كورمان الذى وضع قصة بسيطة تلمس اوتار النفس البشرية من خلال موضوع انسانى عالجه برقة وحذر ونعومة ، جعلت اتحاد النقاد الامريكيين يمنحونه ايضا وقبل ان يصل الفيلم الى جوائز الاوسكار - جائزة احسن تصوير ، وجائزة احسن تمثيل للدور الاول وللدور المساعد ، وجائزة احسن سيناريو ..

والقصة البسيطة التى نجحت فى ان تقدم هذا الفيلم السينمائى الناجح قصة تحدث كثيرا فى الحياة الاجتماعية للرجل والمراة من خلال العلاقات الشخصية ، فقد عاد الزوج « داستين هوفمان » الى بيته وهو فى قمة السعادة عندما اخبره رئيسه فى العمل انه يستحق المكافاة والترقية نتيجة جهوده الخارقة ..

وعندما يصل الزوج الى منزله يفاجأ بزوجته « ميريل ستريب » تثير امامه ازمة غير متوقعة تضيع من نفسه ملامح السعادة والفرحة فقد واجهته زوجته برغبتها فى الانفصال عنه متصورة ان حياتهما اصبحت مستحيلة ..

تنحصر المشكلة بعد هجر الزوجة لزوجها فى ابنهما الوحيد .. كيف يكون حال الطفل « جاستين هنرى » الذى بقى مع والده وهو طفل فى السادسة من عمره..هل يمكن لوالده ان يحسن تربيته ؟ ..

ويجد الاب نفسه فى مواجهة المسئولية عن ابنه فيقوم برعايته ونظافته وتعليمه . ويتعلق الابن بالاب ويتعلق الاب بابنه ولا يتصور احدهما ان يبتعد عن الاخر .

لكن الاحداث تتراكم عليهما اذ ترفع الام قضية تطالب فيها بحضانة الطفل فى وقت يكتشف فيه الزوج انه لايزال يحمل لزوجته كل الحب والعواطف الطيبة . ولا يعرف لماذا طرأ على حياتها هذا السلوك المفاجىء فى رغبتها فى الانفصال .. وكانت هى ايضا تفكر على البعد فى ذكرياتها مع زوجها واشتياقها لوحيدها الطفل ، حتى يلتقيان فى المحكمة ، ويدرك محامى كل طرف ان مشاعر الحب مازالت دافئة بينهما ، وينشغل كل محام عن حيثيات القضية بمحاولة جمع شمل الاب والام مع طفلهما الجميل فى عودة لعش الحب يجمع بينهما .

● واحداث القصة تدور حول زوجين من الطبقة المتوسطة حياتهما عادية بسيطة وجدا نفسيهما فجاة فى مواجهة مع حياة زائفة . وارادا ان يتعلما من جديد معنى وجودهما الانسانى .. العواطف والاحاسيس التى يعكسها هذا الشعور تبدو واضحة فى هذا الفيلم خلال اكثر من عنصر : القصة البسيطة التى يدور حولها الكتاب المأخوذ عنه الفيلم .. ثم هذه المعالجة السينمائية فى السيناريو الرقيق ، يضاف اليهما عنصر التمثيل



مشاعر الاب الحانية
« داستين هوفمان »

والتعبير بصدق عن الأدوار ، بداية من الادوار الرئيسية حتى الادوار الفرعية والثانوية ..

لقد وصفت ناقدة مجلة «نيوزويك» قصة الفيلم بأنها جيدة الى الحد الذى يجعلها قابلة للتصديق .

وهذا الذكاء فى التناول والحساسية فى المعالجة من ابرز اسباب تميز هذا العمل السينمائى الذى خرج بقصة عادية من الاف القصص التى تتكرر فى الحياة العادية ، لكى تصبح نموذجا للتاثير على مشاعر واحاسيس البشر .

هذه المشاعر المتضاربة بين السعادة والحزن .. الابتسامة والبكاء .. المشاركة الوجدانية والسخرية تبدو للمتفرج وهو يتابع « تيد »بطل القصة (داستين هوفمان) وهو يقوم بدور مزدوج فى الحياة لابنه الوحيد ، فهو الاب ، وهو الام ، وهو كل العناصر المشكلة للاسرة السعيدة بالنسبة لوجوده الوحيد فى حياة ابنه .



القصة الإنسانية البسيطة ..
وراء الفوز بكل هذه الجوائز !!

ولايستطيع الانسان ان يمنع نفسه من التأثر بمشاهد الحياة المستمرة للاب مع ابنه وهما ينتقلان من ازمة الى اخرى فى حياتهما ، خاصة وان الطفل الصغير ازاء ارتباطه بوالده يخرج عن هذا الارتباط احيانا لكى يتحدى سلطة الاب ، مما يوجد معنى اخر للتفاهم الاعمق بين الاب وصغيره الوحيد .

والعالم حولنا بما فيهمن متناقضات وامور بعيدة عن الرقة والانسانية ومن عوامل الاثاره والعنف والكراهية ـ هذا العالم اصبح مرفوضا من اكثر البشر ، وفجاة وجد الناس هذا المشهد الرقيق الانسانى بين الاب وابنه فى مواجهة غابات الاثارة والعنف .. هذا « المذاق الجديد » من مشاعر الحب والاحاسيس الانسانية ، نقل الناس من عالمهم المرفوض الى عالم اخر يبحثون عنه .

ورغم بساطة هذا الحب وتنوع وسائل التعبير عنه ، لم يقع مخرج الفيلم وكاتب السيناريو فى شباك « الميلودراما » والمعالجة المغرقة فى الاثارة الرخيصة .

● والعلاقة بين الرجل والمراة التى تتشابك احداثها فى هذا الفيلم بين مشاعر زوج جريح وزوجة ثائرة على حياتها ، يعالجها الفيلم بموضوعية وتعقل وحياد دون ان يأخذ جانب طرف ضد آخر .. ويبدو هذا بشكل أوضح فى الفترة التى اعتبرها الزوجان المنفصلان « هدنة » يعيدان فيها تقييم امور حياتهما ، لعندما انفصلا وعاد كل منهما يطالب بحضانة الطفل، كانت المشاعر الودية تنمو من جديد لكى تقرب كل منهما للاخر .



ميريل ستيريب مثلت
دور الام فى الفيلم

هذا التناول «المحايد» الموضوعى للقصة البسيطة المستمرة استمرار للعلاقات الانسانية يبدو فى جملة حوارات محددة بقولها « تيد » بطل الفيلم وهو يخاطب نفسه فى صراع داخلى يعرف فيه انه لم يكن المخطىء ولكنه فى ذات الوقت لم يكن يعرف الكيفية التى يتحسس بها مشاعر زوجته وكيف يقترب من عمق شعورها لكى يعرف هل هى سعيدة او العكس ..

يقول تيد كرامر « داستين هوفمان» فى حواره مع نفسه : ولانتى سعيد تصورت ان معنى هذا انها ايضا كانت سعيدة » !! .

أعصى الأعضاء على الإنسان

اللسان

● دوية عبد الله ●

من نعم الله العظيمة على الانســـان، ومن لطائف صنعه الغريبة ـ اللسان.. اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان.. ثم انه ما من موجود او معدوم ، خالق او مخلوق ، متخيـــل او معلوم ، الا واللسان متناول له ويتعرض له باثبات او بنفي . وهذه خاصية لا توجـــد في سائر اعضاء الجسم ..

فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور .. والآذان لا تصل الى غـــير الاصوات .. واليد لا تصل الى غـــير الاجسام ، وكذا سائر الاعضاء ..

اما اللسان فمجاله رحب الميـــدان ولا لمجاله حد او منتهى ..

له في الخير مجال ، وله ايضا في الشر مجال . واعلم أن اعصى الاعضاء على الانسان : اللسان ، لانه لا تعب في اطلاقه، وكلنا يعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت ..

يقول صلى الله عليه وسلم : ((من صمت نجا)) .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه . ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به ..))

وعن البراء بن عازب قال : جـــاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « دلني على عمل يدخلنى الجنـــة » .. قال : « اطعم الجائع ، واسق الظمآن ، وأمر بالمعـــروف وانه عن المنكر ، فان لم تطق فكف لسانك الا من خير .. »

وقال صلى الله عليه وسلم : «اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان . » وفي الحـــديث الشريف قوله صلى الله عليه وســـلم : « ان اكثر خطايا ابن آدم فى لسانه . »

وقال عيسى عليه السلام : « العبادة عشرة اجزاء ، تسعة منها فى الصمت، وجزء فى الفرار من الناس . »

وقيل لعيسى عليه السلام : دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : « لا تنطقوا أبدا » فقالوا : لا نستطيع ذلك . فقال فلا تنطقوا الا بخير » .

● وقال عبد الله بن مسعود :«والله الذى لا اله الا هو ، ماشىء أحوج الى طول سجن من لسان ! »

● وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار : « يا ابا يحيى ، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينـــار والدرهم ! »

● وروى ابو بكر بن عبـــاس قال : اجتمع اربعة ملوك :

ملك الهند ، وملك الصـــــين ، وكسرى وقيصر .

فقال الاول : انا اندم على ما قلت، ولا اندم على ما لم اقل !

وقال الثانى : انى اذا تكلمت بكلمـــة ملكتنى ولم املكها ، واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكنى !

وقال الثالث : عجبت للمتـــكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته ، وان لم ترجع لم تنفعه ! .

وقال الرابع : انا على رد ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت !

قصة : حروف من نور

● عبد العزيز الشناوى ●

● افسح الخطو .. لماذا لم تعلن عن اعتراضك .. رفضك امس؟ مازال القرار فى يدك .

لابد أن تصل اليوم الى حل .. لا ضرورة للمقدمات . لكن ، هل سيمكنك وكيل الوزارة من أن توضح له هذا الاحساس الذى يحتويك ؟..
((لم أنم طوال الليل . ظللت أتقلب على الحصير كالمحموم .. لو اراد منك ايضاحا ، ماذا تقول له ؟ كلمات قليلة .. تفيض بالتوسل و .. هل سيقتنع ؟؟))

انكمشت خطواته . ماذا تفعل لو علمت امك ، وأهل القرية ؟ لابد من سبب وجيه لكى تبرر ! .. شاعر القرية لا يسليها ، أهل القرية يريدون يأملون ..

المرء لا يستطيع ان يرضى سائر البشر ، لكن طبيب الوحدة المجمعة والمشرف الزراعى من ابناء القرية ، يعملان بها ..

عاد يراجع فى ذهنه الكلمات التى يحسن أن يبدأ بها الحديث مع وكيل الوزارة .. لا داعى لان تذكر له الحقيقة بطريق مباشر .. فعندما تسلمت خطاب التعيين . شد على يدك :

– مبروك .. حظك من السماء . تم تعيينك مدرسا فى قريتك .. سوف يعفيك ذلك من البحث عن شقة ، عن متاعب المواصلات و..

وقبل أن اصل الى القرية حاصرتنى نوبة من الضيق . القلق . والحيرة . هناك فارق كبير بين ابن الامس الذى كان يعمل فى حقول القرية ، يذهب الى المدرسة يحمل كتبه فى كيس من القماش ، يرتدى بنطلونا قديما وحذاء ممزقا .. ومدرس اليوم !

خطواتى تنتحر .. مازالت تحت ضغط افكارى ؟ هل لاحظت امى قلقى واضطراب نومى ؟ عندما وضعت رأسها على الوسادة لم تستيقظ الا مع شروق الشمس .. لاول مرة ادرك ان الليل طويل .. لن اتراجع .. قررت وضع حد لهذه الحيرة .. لقد فعلت خيرا عندما اخفيت امر تعيينى فى القرية عن امى امس ! .. سأخبرها بعد عودتى اليوم و ..
((بقى هذا الحلم فى قلبى كالارض الخضراء))

واذا بلغها انك .. فسوف تسألك:
((كيف أقدمت على ذلك العمل الطائش ؟))

– ((اتريدين ان اصبح معرة اهل القرية ؟))

– ((لماذا .. ؟ هل فعلت منكرا ؟ ان صندوقى هذا بما يحتويه من حمص وفول سودانى و .. انفق عليك حتى تخرجت فى الجامعة ؟))

توقف .. لماذا لم تمر على ((عرضحالجى)) القرية ؟ الذى عودنى أن اكون صديقا . لماذا لم احك له حكايتى ؟ . عرضت عليه الامر كله؟ كان سيجد طريقة لانقاذى من مستنقع حيرتى ! .

ارتطم بصره باحدى الصور المعلقة على الجدران . ماذا تفعل لو دخلت أحد الفصول ، ورسم تلميذ شقى على السبورة صورة امرأة تجلس امام باب مدرسة تبيع الحمص والفول السودانى و .. ؟!

اطل وجه امه فى ذهنه .

– ((سرعان ماينسون ..))

– ((تقولين .. ينسون ؟ هذه اوهام من وحى طيبة قلبك !))

واصل السير .. ((عرضحالجى)) القرية دائما يصرخ فى وجهه :

– انت تخلق اوهاما لا اساس لها الايام تأكل المشاكل .. تطوى الذكريات .. تضمد الجروح ؟

تذكر أيام كان يذهب مع اطفال القرية يجمع لطع دودة ورق القطن .. يحصد القمح و.. لماذا استيقظت في أعماقك كل الايام الماضية .. الان؟ لماذا تبدو قريبة كل القرب !!

مد يده في جيبه . التقط خطاب التعيين .. لو كانت قرية اخرى غير قريتي ؟

تطلع الى المبنى الكبير . كيف اشق طريقي بين هذه الاجساد الواقفة امام الباب ؟ .. يوم أن نجحت في الثانوية العامة بتفوق ، اقبل اهل القرية على امي ، شدوا على يدها مهنئين .

اعاد الخطاب الى جيبه . ما هذه الاوراق المعلقة داخل اللوحة الزجاجية؟ اسماء المدرسين الذين اعتمدت اماكن تعيينهم .. لو قرأ احد من اهل القرية اسمي . حمل النبأ الى امي..

ـ « كيف اذهب الى المدرسة ، وانت .. ؟ »

ـ « طول عمري على هذا الحال ، هل .. ؟ »

ـ « كم تربحين كل شهر ؟ ثلاثة جنيهات ؟ خمسة ؟ ساعطيك ستة جنيهات على شرط الا تجلسى امام المدرسة و .. »

ـ « اتنى .. »

ـ « ساحطم هذا الصندوق الخشبى اذا حملته و .. ؟ »

ـ « ما يصعب الامور ويعقدها الاهتمام باشياء ليس لها وجود الا فى رءوسنا »

ارتفع صوت البواب :

ـ لن يدخل احد .. السيد وكيل الوزارة مشغول

ماهذا الذى يدب فى عروقى ؟ قدرة على التحدى ؟ لابد ان اقابله بأى ثمن .. اطلب منه نقلى الى اى مكان بعيد عن قريتي .. انا موافق على الذهاب الى اخر الدنيا !

صنع الواقفون طريقا ، تقدمت احدى الفتيات نحو باب وكيل الوزارة ...

كان اهل القرية ينظرون الى باحترام بالغ . المح فى عيونهم ظلال التقدير عندما كنت احمل الصندوق الخشبى المملوء بالفول السودانى والحمص . واجلس بجانب والدتى امام باب المدرسة .. ماذا سيحدث بعد ان ؟؟ سيحل الاحتقار مكان الاعزاز و ..!

راى المشرف الزراعى وطبيب الوحدة المجمعة يقفان امام اللوحة الزجاجية ماذا يفعلان ؟ يبحثان عن اسم أحد أقاربهما ؟ كلاهما من ابناء القرية . يعملان فيها منذ سنوات .. لخدمة القرية : سيحملان الخبر اليها ، يهرعان الى أمك .. لايهمنى .. لقد اتخذت قرارا . لن أقبل العمل فى مدرسة تجلس أمى امام بابها تبيع الفول السودانى و ..

فتح باب وكيل الوزارة . هب البواب واقفا . برزت الفتاة تحمل فى يدها ملفا . اطل وجه وكيل الوزارة . اين يذهب ؟ سيغادر مكتبه ؟ لماذا لا اندفع نحوه و .. ؟

اغلق الباب . اقبل المشرف الزراعى نحوه ، شد على يده :

ـ الف مبروك !

اضاف طبيب الوحدة المجمعة .

ـ غمرتنى السعادة ، خاصة عندما قرأت تعيينك فى القرية ..

ماذا اقول لهما ؟ اأخبرهما بما عزمت على تنفيذه ؟

وضع المشرف الزراعى يده على كتف طبيب الوحدة المجمعة :

ـ لم لا يكون الانسان صادقا مع نفسه ؟

هل انت المقصود بهذا القول ؟كيف عرف انك .. ؟ اقرأ مايدور براسك ؛ لماذا اقتحمت هذه العبارة اهتمامك سمعت هذه الكلمات كثيرا . لكن هذه المرة لها طعم اخر ، سحر خاص .. حركت فى أعماقك اشياء جديدة! برقت عيناه ، ابتسم . لماذا لا تستأجر امه دكان « عرضحالجى » القرية المجاور للمدرسة ؟ تملؤه بالحلوى ، الفول السودانى ، الحمص .. ؟ تقف فيه امك ، بدلا من ان تحمل صندوقا خشبيا ، تجلس به امام باب المدرسة .! استدار .. زادت ابتسامته اتساعا ..

●●

روح عن نفسك

اولا : لغز شعرى : ماهو ؟

اسم من هويته   اربع فى حروفه
فاذا زال ربعه   زال باقى حروفه

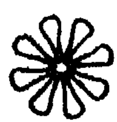
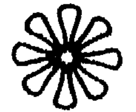
ثانيا : مسالة حسابية :

ضع الارقام الناقصة فى عملية الضرب التالية :

× ١×
٣ × ٢

× ٣ ×
٣ × ٢ ×
× ٢ × ٥

١ × ٨ × ٣٠

ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ــ قام احدهم بتجربة لمعرفة سرعة سقوط الاشياء ، فالقى من نافذة مسكنه بالدور العاشر باحدى العمارات ، ليمونة وقالب طوب عادى ، فايهما يصل الى ارض الشارع أولا ؟

٢ ــ ما الشىء الذى يشبه نصف القمر تماما ؟

٣ ــ كيف تجعل شمعة واحدة تضىء كشمعتين ؟

٤ ــ دخل شخصان مطعما وكان احدهما ابن الاخر فى حين ان الاخر لم يكن اباه .. فمن يكون ؟

٥ ــ كيف تستطيع أن تحصل على كيلو جرام من الارز من كيس به عشرة كيلو جرامات اذا لم يكن لديك سوى قطعة تزن كيلو جرامين ؟

رابعا : اختبر معلوماتك

١ ــ ايهما اكبر ، البحر الاحمر ام البحر الاسود ؟

٢ ــ اختلطت ثلاث بيضات مسلوقة مع ثلاث بيضات أخرى نيئة ، فكيف تميزها عن بعضها البعض دون أن تكسرها ؟

٣ ــ اى المدن المصرية اشتهرت بصناعة القلل والأوانى الفخارية ؟

٤ ــ اى هذه المعادن أثقل وزنا : الحديد ، الرصاص ، الزئبق ، النحاس ام الذهب ؟

٥ ــ ما اكبر طير فى العالم ؟

٦ ــ من ابتكر شخصية « ميكى ماوس » ؟
٧ ــ ماذا يوضع فوق ظهر كل من الحيوانات الآتية ليتسنى ركوبه : الجمل ، الحمار ، الحصان ؟
٨ ــ هل لمصارين بعض الحيوانات فائدة ، عدا اكلها محشوة ؟
٩ ــ مم تصنع المستردة ؟
١٠ ــ ماذا يسمى ارتفاع مياه البحار والمحيطات فى اوقات معينة ، وما فائدته وما الذى يقابله ؟

الإجابات

اولا : لغز بالشعر : غزال
ثانيا : مسالة حسابية :

٤١٥
٣٨٢
———
٨٣٠
٣٣٢٠
١٢٤٥
———
١٥٨٥٣٠

ثالثا : اختبر ذكاءك :
١ ــ يصلان فى وقت واحد !
٢ ــ نصفه الآخر !
٣ ــ ضع الشمعة امام مرآة !
٤ ــ امه . .
٥ ــ تقوم بوزن كيلو جرامين ثم توزعهما على كفتى الميزان حتى تتعادلا .
رابعا : اختبر معلوماتك :
١ ــ البحر الاحمر
٢ ــ تدير كل بيضة حول طرفها المدبب فالبيض المسلوق يدور بسهولة، فى حين أن البيض غير المسلوق لا يدور.
٣ ــ قنا ، ولعلك سمعت اغنية القلل القناوى !
٤ ــ الذهب .
٥ ــ النعام
٦ ــ والت ديزنى
٧ ــ الهودج للجمل ، والبردعة للحمار ، والسرج للحصان .
٨ ــ تصنع من مصارين بعضها الأوتار الموسيقية واوتار مضارب الكرة، وكانت تصنع منها خيوط العمليات الجراحية .
٩ ــ من الخردل .
١٠ ــ المد ويساعد السفن على دخول الموانى والخروج منها وعكسه الجزر .

زهرات من رياض العرب

• محسن فهمى •

• الآباء والابناء •

غضب معاوية بن ابى سفيان يوما على ابنه يزيد ، فأرسل الى الاحنف بن قيس ــ وكان معروفا بالحلم وسداد الرأى ــ فسأله عن رايه فى البنين ، فقال: يا امير المؤمنين ، انهم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، وهم الخلف من بعدنا ، فكن لهم أرضا ذليلة ، وسماء ظليلة ، ان سألوك فأعطهم ، وان استعتبوك فأعتبهم ، ولا تمنعهم رفدك يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا ، فيملوا حياتك ، ويستعجلوا موتك !.

فقال معاوية : لله درك يا ابا بحر !. لقد دخلت على وانى لمملوء غضبا على يزيد .. فسللته من قلبى !.

• صفة الحجاج •

سأل عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى عن عيبه ، فتلكأ عليه ، فأبى **الا ان يخبره ، فقال : انا حديد ، حسود ، حقود ، لجوج ، ذو قسوة .**

فقال عبد الملك : والله ما فى الشيطان شر مما ذكرت !.

• الرجال ثلاثة •

قال سيدنا الحسن بن على بن ابى طالب ، رضى الله عنهما : الرجال ثلاثة ، فرجل رجل ، ورجل نصف رجل ، ورجل لا رجل ..

أما الرجل الرجل فذو الرأى والمشورة ، واما الرجل نصف الرجل فذو الرأى الذى لا يشاور .. واما الرجل الذى ليس برجل فالذى لا رأى له ولا يشاور !.

• الناس رجلان •

قال المسيح ــ عليه السلام ــ يعظ **الحواريين : لا تنظروا فى أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظروا فى أعمالكم كأنكم عبيد ، فانما الناس رجلان : مبتلى ومعاف ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية .**

• ذروة الكمال •

سئل اديب عالم : متى يبلغ الرجل ذروة الكمال ؟ .

فأجاب : اذا اتقى من خلقه ، وجاد بما رزقه ، واختار من القول اصدقه ، وحسن فى كل الاحوال خلقه ، فذاك الذى نهج الى الكمال طرقه !.



• اطب مطعمك •

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : تليت هذه الآية عند النبى صلى الله عليه وسلم : **« يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا » .**

فقال سعد بن أبى وقاص ، فقال : يا رسول الله ، ادع الله ان يجعلنى مستجاب الدعوة . فقال : ياسعد ، اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة . والذى نفس محمد بيده ، ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما وايما عبد نبت لحمه من السحت والربا ، فالنار اولى به .



هند

• محمد عادل سليمان •

صدقيني .. أتحـــدى الزمـنـا
ان يكـن غير منـــك الأعينـــا
نهر عينيك حليب .. موجـــه
عسل . يختال فيــه ســــفنا
لون عينيـــك .. انا اعــرفه
منـذ ان كنــا صـغيرين هنــا
وجهك السوسن .. دنيــاى التى
عشت فيها .. فعشقت السوسنا

•

صوتك الناغم .. يادفء الضحى
يا جنونى .. كم عشقت الارغنا
كم همسنا .. فانسكبنا نغمــا
راغش الضوء .. يضوى ليلنـــا
كلمـــا هيجــت قلبى وتــرا
ــ ياكنارى ــ صرت كـلى اذنــا
طائر الصـــمت على اعيننـــا
مد بالسحر جنـــاحا .. وانثنى
وغرسنا فى مســـاء نجمــــة
فزرعنـــا .. وقطفنـــا حبنـــا
لا تقولى .. والثـــلاثون التى
فرقتنا .. أو ننسى الزمـنـا ؟..
والمســـافات التى نعــــرفها
وزعت فى كــل درب خطــونا

•

لا تقولى .. فانا والحـب .. لا
نعرف الايام ســـورا بيننــا
وجهك السوســـن فى قلبى انا
وهو فى عينى المرايا والســـنا
هو يغــزونى .. انا اغـــزو به
زمن الغربة .. والبعــــد .. انا
ان نكن عشنا غريبين .. فلــم
نقتـــرب الا جنـــاحا .. يدنا
ثم عدنا .. طائرين التقيـــــا
بعـد ما طفنا بحـــارا .. مــدنا
آه يا هند .. وعــــدنا ، انت لى
منذ ان كنـــا صغيرين هنـــا ..
بيتنـــا ظـل رمـادى .. متى
يرحل الظل .. وتخضر المنى ؟!.

(١٨)

سباحة الليالى الطويلة فى خمائل الألغام !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

فى قصر الرمال ..
هو ـ السلطان ـ يعبر بهو الثريات حتى يتوقف
فترفع له الأستار عن ركن الأركان ...
هى ـ رائعة الحنان ـ هناك يستغرقها بين يديها كتاب
حتى تلتفت ، فتلتقى بعينيه فى ابتسام واهتمام !

هى : ـ مولاى ؟! نعمك الله مساء !
السلطان : ـ ونعمك يا « هى » ..
هى : ـ لم استشعر مقدمك .. عفوا ! .. شغلنى ما كنت اقرا !
السلطان : ـ لا عتب ! فلقد راقنى ما كنت ارى !
هى : ـ انك يروقك دائما ما ترى هنا .. : الصحف والكتابات والكتب !
السلطان : ـ والليله يزيد هنا ما يروق ويبهج !
هى : ـ ربما لأن ...
السلطان : ـ لأن هنا ايضا امراة جميلة تقرا كتابا !
هى : ـ آه .. قلت لى يوما ان ذلك فى الناس والعصر منظر جميل !
السلطان : ـ جميل ، و .. قليل !
هى : ـ الله ! .. جميل ، وقليل .. اهذا شىء من الشعر ؟!
السلطان : ـ لا .. ولعله شىء يغرى بالشعر !
هى : ـ اذن ، فبماذا يغريك الآن ، او يوحي اليك هذا المنظر ؟ ..

السلطان : ـ منظرك ؟ .. : امرأة جميلة تقرأ كتابا ؟!
هى : ـ ... امرأة جميلة تقرأ كتابا ! ..
السلطان : ـ يوحى الى أن ذلك بمناسبة معرض القاهرة الدولى للكتاب !
هى : ـ هاها ... ولو أنى لم أزر المعرض هذا العام فى الشهر الماضى ...
السلطان : ـ خسارة أن فاتتك زيارة هذا الـ .. بازار !
هى : ـ الـ .. بازار ؟!
السلطان : ـ نعم ، والبازار كلمة فى الفارسية والانجليزية تعنى « السوق » ... وهى تبدو فى أطراف استعمالاتها حين تجىء عربية ايطالية !
هى : ـ وكيف ... كيف تجىء ؟ ..
السلطان : ـ فى محاورات كثيرة ومناسبات ... مثلا ، حين تلفتنى حقيبة يدك اللطيفة هذه فاسالك : اشتريتها من « سوق الكانتو » ؟!
هى : ـ الله يسامحك يا مولاى ! .. ولكن ، هاها ... لماذا تقول عن معرض الكتاب : ـ « البازار » ؟!
السلطان : ـ لست أنا الذى يقول ! .. الم تقرأى خلال الشهر الماضى (١) ؟
هى : ـ تذكرت الآن ... آه ، كتب الدكتور مؤنس عن معرض القاهرة للكتاب ، فقال عنه بازار الكتاب !
السلطان : ـ لم يعجبه شىء
هى : ـ ولكن أنت ...
السلطان : ـ لم يعجبنى بالطبع انه لم يعجبه شىء !
هى : أهذهبداية حلقات جديدة تكتبها بعنوان « نقد النقد » ؟!
السلطان : ـ لا ، ليس بعد !
هى : ـ والذى قلت الآن انه لم يعجبك و ......
السلطان : ـ ذلك مجرد رأى فى رأى أ
هى : ـ يبقى أن نعرف ..
السلطان : ـ يبقى أن أعرف الليلة من أنت ؟!
هى : ـ من أنا ؟ .. الا ترى أننى هى ، رائعة الحنان ؟!
السلطان ـ لا أظن ! .. رائعة الحنان وتسرح بى فى حقل الأسئلة المحشوة بالالغام ؟!
هى : ـ أها ... من تظننى اذن ؟
السلطان : ـ أنت .. أنت متأكدة انك الليلة لست ، « هى » .. المقررة علينا كل يوم وكل ليلة ؟!

● فى طريقه الى المكتبة ●
● يقبل عليه تابعه احمس (٢) ...

احمس : ـ مولاى ؟!
السلطان : ـ أينك يا احمس والى أين ؟
احمس : ـ فى خدمتك ، والى طاعتك !

---

(١) كان الامل ان تنشر هذه الحلقة من الناس والعصر فى خلال الشهر الاسبق ، ولكن ... ظهر هذا الامل الصغير كيذبان كبير .. !
(٢) أحمس ، واحد من واحد وستين اسما للشجاعة والشجاع فى لغتنا العظيمة !

السلطان : ـ اذن ، حسبك الآن من طاعتى ان تنظر من ببابنـا الليلة من الشعراء والنقدة !
احمس : ـ ولكن الليلة يا مولاى ككل الليالى ـ لا أحد ! ...
: ـ ما يزالون بعد تشغلهم المعايش ؟
: ـ وتحديات غلاء المعيشة !
: ـ كنت والله احب أن يجيئونا ، فنسمر فكرا وشعرا ، ونطرب فنبـذل العطايا ، ونبذر البدور !
: ـ البدور ، والبدرات جمع بدره .. آه ، والبدرة كيس فخيم حشوه عشرة آلاف درهم !
: ـ ومافى ذلك ؟
: ـ ابدا يا مولاى ... ولكن خطر لى ان احسبها اليوم بسـعر العمـلات الصعبة !
: ـ الاسترلينى مثلا او بالدولار ؟ ..
: ـ نعم يا مولاى ، وبالسعر التشجيعى !
: ـ ولكن ، لم ترهق راسك الآن فى الدوران بين الدراهم والدولار ؟!
: ـ لعلها مناسبة يا مولاى أن اتفقه حسابات فروق تحويل العملة !
: ـ وفيم ينفعك فقهك بهذا ..
: ـ ربما يخطر لى ان اعرف ، مثلا ، كم ينال صديقنا صبرى العسكرى لو انه سمر معنا ليلة وتسلم البدرة آخر السهرة !
: ـ ولكن صبرى العسكرى لا يقول ، اعنى لا يقرض ، شعرا !
: ـ وهل « البدرات » عندك يا مولاى جوائز فقط للشعر والشعراء ؟!
: ـ .. انما هى لكل سابق مبدع فى كل ميدان فكر وادب !
: ـ وصبرى كاتب قاص روائى ، وهو صاحب « الملهى الليلى »
: ـ اذن ، فاجعل لنا موعدا معه ، نسمر ليلة فى « الملهى الليلى » ، علنا نرد عليه بعض ما ..
: ـ افعل يا مولاى ، لو انك خففت عنى زحمة بريدك هذا الاعجمى ! ...
: ـ الأعجمى ما ليس بعربى ! .. وانت تقصد هذا البريد الاوربى ..
: ـ اهو بريد ادب ؟
: ـ اكثره عن القصة والرواية والروائيين هناك ..
: ـ ومن هناك نمد لنا من موائدهم فنسهر ، ونسمر ، .. ولا « نبدر »
: ـ الليلة اذن لن يعنيك حساب فروق العملة وتحويلاتها !
: ـ والليلة ايضا ، يا مولاى ، يهنيك أن تمسك عليك خزائنك ! ..

● بعد لحظات ●

: ـ اهذا هنا مفتتح البريد يا مولاى ؟
: ـ .. والمفتتح كما يبدو سوف يعجبك !
: ـ وفيم يعجب ، اعنى ...
: ـ ربما لأن فيه ما يهم اهتمامك بالعملات حرة أو صعبة !

: ـ آه!ا ٠٠ كيف يا مولاى ، و ٠٠ أين ؟
: ـ أنظر ٠٠ ٠هذه أحسن رواية انجليزية لهذا الموسم ـ ١٩٨٠/٧٩ ـ اسمها « أوفشور » ، يعنى قريبا من الشاطىء ، أو بعيدا ، أو ٠٠٠
: ـ أو كما قال المؤلف ٠٠
: ـ لا ، المؤلفة ، وهى بينيلوب فيتزجرالد ، انجليزية ، أم لثلاثة أولاد ، تعيش فى وحدة سكنية بالمجمعات العائمة على طرف نهر التيمس ٠٠٠
: ـ ولكن ٠٠ أين فى ذلك يا مولاى العملات و ٠٠٠
: ـ فى الجائزة التى فازت بها « اوفشور » هذا العام ـ جائزة بوكر !
: ـ ومن بوكر ؟
: ـ بوكر ماكونيل ، مؤسسة فى لندن ، تجارية دولية ـ تمول ـ باسمها ـ هذه الجائزة لأحسن رواية تكتب بالانجليزية فى بريطانيا والكومنولث وايرلندا وباكستان ٠٠
: ـ المهم الآن الجائزة ، اعنى قيمتها ٠٠
: ـ قيمتها تضاعفت الآن ، وبعد عشر سنوات من تاسيس هذه الجائزة ٠٠ وهى الآن اقل قليلا من جائزة نوبل السويدية ، واقـــرب كثيرا من جونكـــور الفرنسية !
: ـ آه يا مولاى ٠٠ لو اننى الآن اعطيت منك الأمان !
: ـ اذن ؟
: ـ اذن لقلت انك الآن تتعمد اغاظتى مع سبق الاصرار والترصد !
: ـ ألأنى أفتح لك شرفات العصر ٠٠ وأقرأ عليك ما لم تكن تقرأ ؟!
: ـ لا ٠٠ وانما لأنك تبخل عنى بما تعرف أنى أريد أن أعرف !
: ـ وأين ـ هاها ٠٠ أين موضع البخل هنا ؟
: ـ الجائزة و ٠٠٠
: ـ ألم أقل لك انها ـ الجائزة ـ تضاعفت قيمتها ؟
: ـ حصل يا مولاى ٠٠
: ـ تريد اذن أن تعرف أحكامها وضماناتها و ٠٠
: ـ أريد ، وأمرى الى الله !
: ـ حسنا ، ان مؤسسة بوكر تضع ادارة هذه الجائزة تحت اشراف رابطة الكتاب فى بريطانيا ٠٠ الا يعجبك ذلك ؟
: ـ يعجب !
: ـ وفى كل سنة تؤلف لها لجنة تضم ناشرين واصحاب مكتبات ٠ وهيئة تحكيم من كبار النقاد والمجمعيين والأدباء ، راسها هذه السنة اللورد آســـا بريجز ٠٠
: ـ طبعا لمجرد انه لورد ٠٠
: ـ لا ، ولكن لانه لورد آسابريجز الكاتب المعروف ، والمؤرخ ، والمذيـع ، وعميد كلية ورستر فى اوكسفورد !

: ـ آه ، اغفر لى يا مولاى ظن السوء فى اللورد و ..

: ـ والذين معه .. : مايكل رتكليف ، كبير مراجعى الكتب فى التيمس ـ وبل جرين ، الكاتب والاذاعى والناقد ـ وهيلارى سبيرلينج الناقدة والمؤلفة ـ وبول تيرو ، الكاتب والمراجع ..

: ـ نعم النخبة !

: ـ قرأوا ، وقوموا بالأناة وحسن الرأى ، سبعين رواية ، صدرت كلها ـ بالانجليزية عام ١٩٧٩ ..

: ـ .. وأحرزت قصب الفوز تلك التى اسمها « عند الشاطىء » أو قريبا منه ...

: ـ « أوفشور » ! .. قال عنها اللورد رئيس هيئة التحكيم : كان الاختيار صعبا ، ولكننا انتهينا الى رأى جامع .. فهذه الرواية وثيقة واصيلة .. ليس فيها أى أثر من الاقتباس عن الآخرين .. وهى على جاذبيتها وأسرها ، خلو من التزويق . وكل لفظة فى موضعها الأفضل والأجمل ! »

: ـ شهادة ليس كمثلها !

: ـ وليس بعدها ، الا موضوعها !

: ـ آه ، موضوعنا يا مولاى !

: ـ بالطبع موضوع الرواية .. والحق ان « اوفشور » تجسد ، بعمق والتدار ، مرحلة مثيرة من الحياة فى زورق قديم ، عمره مائة عام ، على نهر التيمس ، عاشتها المؤلفة طوال سنوات ثلاث ، غرق فيها الزورق بها وابنتيها الاثنتين ـ مرتين !

: ـ آه ، ولبعضهن رصيد من أرواح القطط !

: ـ حرام عليك !

: ـ قصدت فقط أن أقول : مكتوب لها ان تعيش ، لتكتب و ... تكسب !

: ـ تكسب المجد ، والتكريم ، والـ ..

: ـ الاهم .. : الجائزة !

: ـ الجائزة ! أما تزال تحوم حولها ؟!

: ـ ولماذا يا مولاى تذودنى عنها ؟!

: ـ ما دامت ليست لك ، فما يهمك منها ؟!

: ـ لانى تهمنى ، تسعدنى ، فى عالم الأدب ـ اخبار الفلوس وحسابات فروق العملة !

: ـ سوف يسعدك اذن ان جائزة بوكر قيمتها عشرة آلاف جنيه استرلينى سنويا !

: ـ سنويا ! .. وبالاسترلينى ! .. آه ..

: ـ مالك ؟ .. لماذا لا تبدو سعيدا ؟!

: ـ آه ، ساحاول .. بعد ان أجفف دمعتيى !

: ـ دمعتيك ؟!

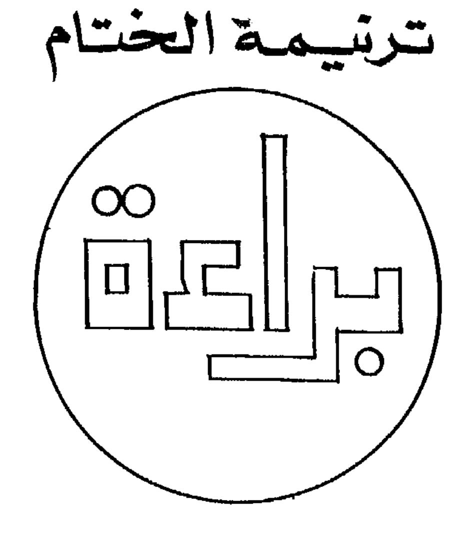
: ـ ... دمعة على حالى ... ودمعة على شباب مؤلفى القصة والرواية عندنا ! ..

● نصر الدين عبد اللطيف ●

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠

ترنيمة الختام





● د . احمد بديع ●

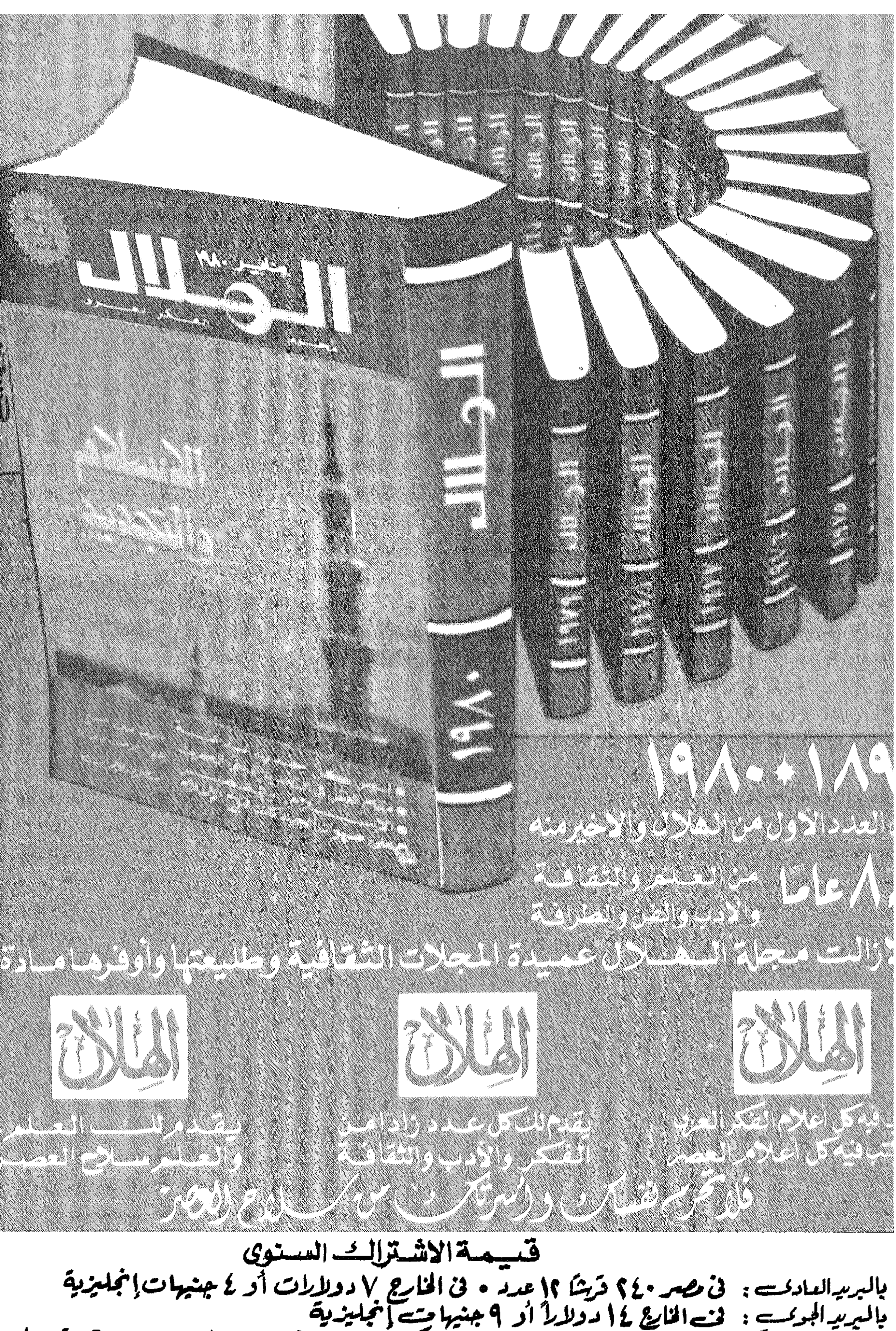
خدعتني كأنهـــا لا تبـالي
حرقة الوجـد او لهيب الليالي !
نسيت اننا شـقيقان في الرو
ح وصنوان في الرؤى والمآل !
انا احيـا بهـا وتحيا بحبي
فبقـاء بلا هوى - كالزوال !

***

قد عرفنـا الهوى وكان جنينـا
زانه الحسن رائقـا والتعالي
حضنته الضـلوع حضن وليـد
في مهاد من السـنا والجلال
ورعينـاه حين شب قويا
ياسر اللب بالصبا والجمـال

***

سكن القلب مثلما تسكن الاصدا
ف مكنـونة ارق اللآلي
لم اخن عهدها وقد طال عهـدي
والمحـاذير كم تحـز حبـالي
فاذا لم يكن لاخـلاص قلبي
من صـدى غير عابثات الخلال
واذا انت لم تبـالي فاني
قد برئت ... ولم اعد لابالي !



الهلال
يناير ١٩٨٠
الإسلام والتجديد
١٩٨٠ • ١٨٩
العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨ عاما
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
زالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
الهلال
الهلال
الهلال
فيه كل أعلام الفكر العربي
تب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم
والعلم سلاح العصر
فلا تحرم نفسك واشترك من سلاح العصر
قيمة الاشتراك السنوى
بالبريد العادى : فى مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عددا • فى الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات إنجليزية
بالبريد الجوى : فى الخارج ١٤ دولارا أو ٩ جنيهات إنجليزية
فى البلاد العربية : سوريا : ٣٠٠ ق.س الكويت: ٣٥٠ فلسا لبنان: ٢٥٠ ق.ل
العراق: ٤٠٠ فلس الأردن: ٢٥٠ فلسا السعودية: ٤ ½ ريال